دكتور جمال الدين فالح الكيلاني

سلسلة
الإمام عبدالقادر الجيلاني
: تفسير جديد

إعداد وترتيب
الدكتور عبدالوهاب الصيني
الجامعة الإسلامية العالمية _ إسلام آباد
2025

سلسلة الإمام
عبد القادر الجيلاني
: تفسير جديد

دكتور جمال الدين فالح الكيلاني

سلسلة
الإمام عبدالقادر الجيلاني
: تفسير جديد

سلسلة الإمام عبدالقادر الجيلاني
: تفسير جديد

1- كتاب جغرافية الباز الاشهب: قراءة ثانية في سيرة الشيخ عبد القادر الكيلاني وتحقيق محل ولادته وفق منهج البحث العلمي "دراسة تاريخية".

2-من الشك إلى اليقين، دراسة في نسب الشيخ عبد القادر الجيلاني، بحث نقدي في مصادر التاريخ الإسلامي الوسيط.

3- كتاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة.

4- كتاب ثورة الروح : دراسة في فلسفة التصوف عند الامام عبد القادر الجيلاني.

5- كتاب هكذا تكلم الشيخ عبدالقادر الكيلاني.

6- كتاب تحقيق فتوح الغيب، للامام عبدالقادر الجيلاني.

7-كتاب تحقيق بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب.

8-كيف نقرأ التصوف الاسلامي

الأهداء الى:

باز الله الأشهب

سلطان الأولياء

تاج العارفين

قطب بغداد

شيخ الأسلام

الأمام

عبدالقادر الجيلي

الذي غرس بذور النور في ارض الظلمة

وترك في خلق الله عشقا ملك القلوب!

اهدي هذا الجهد المتواضع

"جمال الدين"

من كتاب مذكرات الدكتور عماد عبد السلام رؤوف رحمه الله تعالى:

"وممن أشرفت عليهم السيد الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني وهو باحث جاد ومؤرخ حاذق أستطاع خلال وقت قصير نسبيا أن يتحف المكتبة العربية والإسلامية بعددا غير قليل من المؤلفات المهمة التي تناولت جوانب متنوعة من التراث الاسلامي لا سيما منه التراث القادري التراث الذي نجم عن الجهود العظيمة التي بذلها السيد الشيخ عبدالقادر الجيلاني المتوفى ببغداد سنة 561 هجرية وأستطاع الباحث أن يعيد تحقيق عددا من مؤلفات السيد الشيخ الجيلاني ويكتب دراسات متنوعة ومعمقة في اعادة قراءة سيرته المعطاء"

مذكرات العلامة الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف

"رحمه الله"

جغرافية الباز الأشهب

قراءة ثانية في سيرة

الشيخ عبدالقادر الكيلاني

وتحقيق محل ولادته وفق منهج البحث العلمي

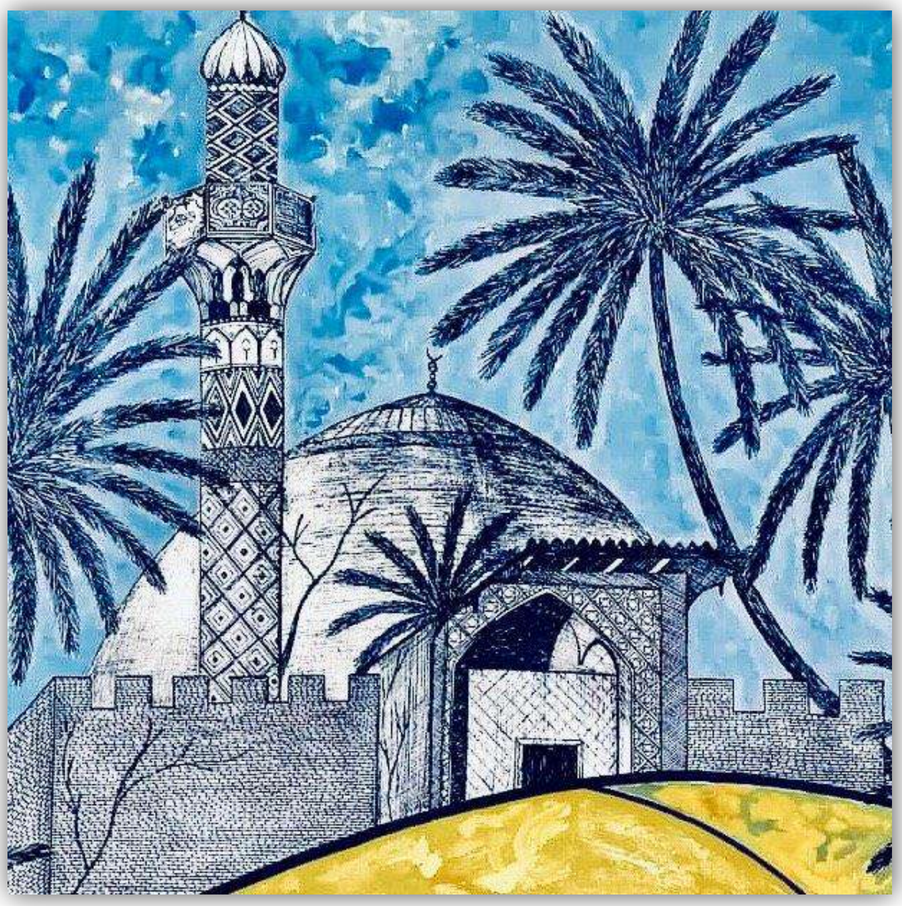
"دراسة تاريخية ، عربي - آوردو"

تأليف

الدكتور/ جمال الدين فالح الكيلاني

تقديم

الدكتور/ عماد عبدالسلام رؤوف



دار الإسلام

DARULISLAM

دكتور/ جمال الدّين فالح الكيلانيّ

جغرافية الباز الأشهب

قراءة ثانية في سيرة

الشّيخ عبد القادر الكيلانيّ

وتحقيق محلّ ولادته وفق منهج البحث العلميّ

"دراسة تاريخية ، عربي-آوردو"

مراجعة وتقديم

الأستاذ الدكتور

عماد عبد السّلام رؤوف

اسم الكتاب: جغرافية الباز الأشهب .
اسم المؤلف: جمال الدين فالح الكيلاني .
تقديم: عماد عبدالسلا م رؤوف.
الناشر: دار الإسلام – لاهور.
لوحة الغلاف: الفنان التشكيلي رؤوف العطار
الطبعة: الخامسة ٢٠١٩م.
البريد الإلكتروني :
darulislam@yahoo.com
razaulhassanqadri@gmail.com

آية 7
إهداء 8
شكر وتقدير.. 9
كتاب تقييم علمي 10
تقديم الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف 11
كلمة الأستاذ الدكتور ماجد عرسان الكيلاني 14
كلمة الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور 15
كلمة الأستاذ الدكتور محي هلال السرحان 16
كلمة الاستاذ الدكتور رشيد الخيون 17
كلمة الأستاذ الدكتور محسن مهدي 18
كلمة الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد................................ 19
كلام للإمام النووي 20
الحقيقة والتاريخ 22
مدخل 24
صعوبات الدراسة 25
رحلة المكان والزّمان 26
رؤية بانوراميّة لسيرة الإمام عبد القادر الجيليّ 27
مع الشيخ عبد القادر الجيلي 28
اسمه وكنيته ونسبه 28
مولده ونشأته 29
أسفاره 31
من الجيل إلى بغداد 31

من بغداد إلى بعقوبة 32
من بغداد إلى الدّيار المقدّسة 32
الأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة 34
جلوسه للوعظ والتّدريس 36
الملامح العامّة لدعوته للإصلاح 40
منهجه في الدّعوة والإرشاد 41
الشيخ عبد القادر الجيلي ودوره الجهاديّ خلال الحروب الصّليبيّة 43
مع المدارس الفقهيّة 44
مؤلّفات الشّيخ 45
وفاته 49
أولاده 50
قراءة متأنيّة في المصادر والمراجع الّتي ذكرت ولادة الإمام عبد القادر الجيليّ 53
جدليّة التّراث والمعاصرة في التّاريخ الإسلاميّ 54
دعوة لتفكيك التّراث 54
تسويغ 56
نظرات 58
المؤرّخون الأوائل 59
الماضي المبكّر (السّمعانيّ نموذجا) 59
مؤرّخ لا يجامل أحدا (أبو الفرج ابن الجوزيّ) 64
عيون التّاريخ 68
المؤرّخون المتأخّرون 69
الشّطنوفيّ 69

ابن الملقّن 73
زين الدّين السّائح 74
محافظون 75
ابن تيميّة، الذّهبيّ ابن كثير وابن رجب 75
إشكالية 76
لمحة عن جغرافية العراق التاريخية 77
درب التّاريخ الصعب 79
مقابسات 79
ملحمة الدّيموغرافيّة 81
الخروج من دائرة التّكرار 83
كسر الزّجاج 87
خاتمة 88
قائمة بأهمّ المصادر والمراجع 90
سيرة الباحث جمال الدّين فالح الكيلانيّ 102
مرفقات 108
كلمات مختارة حول الكتاب 120

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

{الأعراف/143}

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى العلامة الأستاذ الدكتور
صالح أحمد العلي
(رحمه الله تعالى)
أول من نبّهني لضرورة تحقيق محل ولادة
الشيخ عبد القادر الجيلي
فإلى روحه الزكية في أعلى علّيّين
أقدم هذا الجهد المتواضع

"جمال الدين"

شكر وتقدير

بعد أن أنعم الله عليَّ بهذا الجهد المتواضع، أتقدَّم بوافر الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، لتفضّله بكتابة تقديم الدراسة، و لمراجعته لها، و لجهوده في ترصين مادة الدراسة، فجزاه الله خير الجزاء على حسن صنيعه.

وأسجِّل خالص تقديري للدكتورين "محي هلال السرحان" و"سالم الآلوسي"، لنصائحهما العلمية البناءة من فيض خبرتهما ولمراجعتهما الدراسة وتزويدي بنقولات من بعض المخطوطات النادرة.

وأتقدَّم بعرفاني إلى الدكتور ماجد عرسان الكيلاني، لاطّلاعه على الدراسة، و لما أبداه من ملاحظات سديدة أفدت منها.

وإلى الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الذي اطَّلع على المحاولات المبكرة للدراسة وقوَّمها.

وإلى عديلي الشيخ عفيف الدين عبد القادر الكيلاني، لتشجيعه المتواصل.

No :
Date :   /   / 201

العدد : ١٤٨
التاريخ : ٨ / ٢ / ٢٠١٥

إلى / الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

م/ شكر

تحية طيبة .....

يعد كتاب جغرافية ألباز الأشهب إضافة أصيلة للمكتبتين العراقية والعربية . والباحث الدكتور **جمال الدين فالح الكيلاني** شخصية علمية وأكاديمية تمكن بجهده العلمي المميز من اكتشاف حقائق غفل عنها الآخرون ، في حقل التراث العلمي . امتاز هذا الكتاب بالرصانة العلمية ، واعتمد في كتابته على منهجيه علمية صارمة ، وعلى مصادر أصيلة .

نتقدم بوافر الشكر لكم لجهودكم تلك والى مزيد من العطاء .

أ.م.د. عبد الله حميد العتابي
مدير المركز

نسخه منه الى /////
- مكتب مدير المركز .
- الحفظ العام .

Arab League
Union of The Arab
Historians
General Secretary

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الدول العربية
اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة

العدد : ت/ ٤٨٥
التاريخ : ٢٢ ربيع الاول ١٤٤١ هجرية
الموافق : ١٩ / ١١/ ٢٠١٩ ميلادية

إلى معهد الدراسات الإسلامية ولاية قانصو - الصين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

نؤيد لكم بان السيد الدكتور جمال الكيلاني هو من بين المؤرخين الشباب الذين يتمتعون بقدرة وقابلية فكرية وعلمية على الأبداع والتحليل والتعليل والاستنتاج التأريخي المبني على الأصالة العربية الاسلامية المقرونة بالأيمان فيما يكتب والايمان بهدف كتابته ، وتميزت بعض مؤلفاته بالأصالة والأبتكار لانه خاض في مواضيع جديدة وفيها اشكالات كبيرة ولكنه حسم أمرها بثقة كبيرة ، وعمق تأريخي فريد ، كما أنه أنتج العديد من المؤلفات وبالأخص في علم التأريخ وخاصة ما يتعلق بسيرة الشيخ الامام الهمام عبد القادر الحسني الهاشمي الكيلاني (قدس الله سره) ولا يمكن لأي شخص ان يقرأ او يبحث او يكتب عن سيرة الشيخ عبد القادر الكيلاني الاستغناء عنها او اغفالها ، كما انه يتميز هذا الباحث الشاب بالثقة بالنفس وبالدقة والامانة العلمية ، ونحن إذ نشهد بذلك فإنا ندعو الله تعالى له بالتوفيق والسداد والنجاح ودوام هذا العطاء الفكري والعلمي .

ومن الله نستمد العون والتوفيق والسداد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة
بغداد

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

"تعليم مهارات التفكير النقدي، واثارة الأسئلة العميقة، والتربية على احترام الحق في الخطأ، والحق في الاختلاف، من أهم المبادئ التي يجب اعتمادها في مختلف مراحل التربية والتعليم في مجتمعنا المسلم، ومن دون ذلك يسقط أكثر الأبناء في شباك المفاهيم المغلقة ، والروايات التاريخية الهزيلة، والمعتقدات المتشددة، وكراهية المختلف".

تقديم

الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

بسم الله الرحمن الرحيم

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ (17) الرعد

أدت عوامل متنوعة في العقود الاخيرة إلى وجود اهتمام متزايد بالتاريخ، قراءة وتفسيرا وكتابة، وهو اهتمام تولد من إحساس عام بضرورة إدراك جذور الظواهر العامة في حياة الأمة إدراكا سليما، فلم تعد التبريرات التاريخية السالفة، بكافية لتفوز بقناعة المثقّف، ولم يعُدْ هو يرضى بها دليلاً يسبر به غور جذوره في عمق ماضيه، و إن إعادة البحث في الجذور، يعني إعادة قراءة الماضي، ثم كتابته، وفق منهج علمي رصين، يجلي الحقائق ويثبتها، ((لعملية الفهم)) لتاريخ جديد، تنير الحاضر والمستقبل.

تفاصيل لكنّها مهمّة

تفاصيل حياة الكبار كبيرة في حد ذاتها، لها دلالاتها في شخصية صاحبها، وربما في توجهاته الاجتماعية والفكرية، ومن المحتمل أن تؤثر مسألة صغيرة لا تبدو مهمة في سلوك عام لشخصية ما، فالبشر لا يعيشون في فراغ، ولا خارج الجغرافية، وإنما هم أبناء طبيعيون لبيئتهم الأولى التي ولدوا فيها أو نشؤوا في أفيائها، ومن ثَمَّ يصبح البحث في جزئيات هذه البيئة مطلوباً لاستكناه طبيعة من هو موضوع البحث والدراسة، وشخصية فذة

كشخصية السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني، تحتاج من الباحث اليوم أكثر من وقفة ومن تأمل، فالرجل الذي عاش في عصر صاخب كثرت فيه الصراعات الاجتماعية، والاتجاهات الفكرية، حتى لاحته تلك الصراعات بأتونها، قدم إلى بغداد شاباً فتياً، فجاب محلاتها، ودرس على أيدي علمائها، وتأثر بأجوائها العامة، فلم يكن إذن إلا أحد أبنائها، بغدادياً في نشأته ودراسته وثقافته، وشيوخه وطلبته ووفاته ومدفنه، فلم تكن مسألة تحديد مكان ولادته وقضائه سني حياته الأولى تلقى من اهتمام الباحثين ما يذكر، وكان بعض المؤلفين قد ساق رواية تفيد بأن منشأه الأول في بلاد جيلان، في اقليم طبرستان، وأنه لهذا السبب نسب إليها، وذاع خبر هذه الرواية لدى من جاء من بعده من الكتاب والمؤرخين، إلا أن من الباحثين المتتبعين من لم يكتف عند حدود الرواية المذكورة، فأعلنوا شكهم فيها، على أساس وجود مواقع عدة في العالم ومنها العراق تحمل اسم جيلان، وجيل، منها بلدة تقع قرب بغداد ، نسبه اليها مؤرخون اخرون ولكنها لسبب ما بقيت في الظل ولم تأخذ مكانتها بل أنهم ربطوا بين منشئه هذا وبين ثقافته التي كانت منذ أول قدومه بغدادية في مفرداتها، أدباً وعلماً وشعراً ودرساً وتأليفاً ومحاضرة. والدكتور جمال الدين فالح الكيلاني من المهتمين بدراسة حياة السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني، فقد أولاه أكثر من دراسة وبحث وتحقيق، وعني بتتبع كثير من التفاصيل التي لم يولها السابقون من استحقاق و اهتمام، ووقف على مسألة موطن الشيخ الأول، وتتبع الروايات السابقة التي تناولت هذا الأمر، وقارن بينها، ورجع الى كتب البلدانيات الإسلامية، ورحلات الرحالين، وقد استغرق منه جهداً جهيدا ووقتاً طويلا، وخلص موفقا إلى تقرير ولادة الشيخ كانت في بلدة جيلان التي في العراق، وليس في جيلان الواقعة في المشرق الإسلامي.

وأنا على يقين من أن هذه المسألة كانت تستحق ما بذله الدكتور الكيلاني فيها من جهد ووقت، واطلاع على مختلف الروايات والمصادر والدراسات، لاهميتها التاريخية والجغرافية، و هذا شأنه في الكتابة العلمية، وما عهدته فيه منذ عهد بعيد، إن غيرته على الحقيقة، وحبه العجيب للتاريخ، وتأسيه بسير العظماء، وشغفه باحياء التراث الإسلامي، أمور يتميز بها، وهي السبب وراء ما تحظى به بحوثه من تقدير، فبارك الله فيه وفي بحثه، وعسى أن يستمر في إلقاء الضوء على مثل هذه الشؤون التاريخية إن شاء الله تعالى.

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

كلمة الداعية عفيف الدين عبدالقادر منصور الكيلاني :

بوركت جهودكم الحثيثة في إعادة كتابة التاريخ القادري وفق منهج البحث التاريخي، ليظهر بالحلة التي تليق به، بدأ من تحقيق ولادة الإمام عبدالقادر الجيلاني.. وما زال الطريق طويلاً أمامكم وأنتم أهل لتحمل هذه الأمانة العلمية .

الشيخ عفيف الدين الكيلاني.

كلمة الأستاذ الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

إن تحقيقكم لمحل ولادة الإمام المصلح عبد القادر الجيلاني، مجهود مضنٍ، ومفاجأة سارة، برفع الأنقاض عن حادثة تاريخية، بقيت مغيَّبة في الظّلّ، خصوصاً إذا كنّا لا نعرف الكثير عن حياة الجيلاني المبكّرة.

عملكم في نظري، لؤلؤة تمَّ جلوها، كما يجلو الغواص للآلئه، حين يخرجها من أعماق البحر، لتأخذ مكانها الصحيح بين حقائق التاريخ وثوابت الجغرافيا. رحم الله الحسن البصري، بقوله: من لم يكن له عقل يسوسه لا ينتفع بكثرة روايات الرجال.

الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

كلمة الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

التاريخ الإسلامي، متعدّد الروايات، لذلك فإنّ مَهمّة المؤرّخ والمحقّق هي غربلة ما جاء في كتب التاريخ ومناقشته ومحاولة الوصول إلى الحقيقة، إذ يجب أن يكون المؤرخ قاضياً عادلاً خصوصاً أنه يحكم على التاريخ، وعليه أن ينتصر للحقيقة فقط.

تحقيقكم لمكان ولادة شيخ الاسلام عبد القادر، صاحب الاسم المضيء، في تاريخنا، هو إنجاز علمي، يعيد الى الأذهان، أهمية فحص الروايات وعدم التسليم بها إلا بعد التدقيق.

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

كلمة الأستاذ الدكتور محي هلال السرحان

إنّ تحقيق تراثنا بطريقة علمية، وتقديمه للناس، مطلب حضاري مُلحّ، خصوصا وسط الكمّ الهائل من الروايات المختلفة للحدث، وهذا يتطلب، مؤرخين حرفيين، يمتلكون أدواتهم، وأراك قد وُفّقت في بحثك عن ولادة سيدنا عبد القادر الجيلاني في العراق وقدّمت لنا دراسة تستحق الإعجاب.

الدكتور محي هلال السرحان

كلمة الاستاذ الدكتور رشيد الخيون

الشيخ عبد القادر الكيلاني، سنَّ سنّة حسنة بإحاطة التصوف بروحيته، وجهده في إدامته، فاليوم حيث تجد القادرية ينتصب أمامك الشيخ عبد القادر، الباز الأشهب، بنظرة واثقة مشجعة على السلم الاجتماعي بعيداً عن تسييس الدين وتحزبه، وللتصوف القادري دور مرموق في هذا المجال، ولي الشرف أن عشت ردحاً في أيام الدراسة مجاوراً لتربته.

كان جهد الباحث الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني، المعروف بالدقة والموضوعية، حفيد المحتفى به، بإعادة كتابة سيرة جدّه الشيخ، وفق منهج البحث التاريخي، جهداً فيه الكثير من الوفاء والأصالة والرصانة، وهو جزء من مهمة إحياء التراث الإسلامي، وما ينفع في مواجهة التشدّد والتعصب، وما ترفع من رايات باسم الدين. آملين أن يصل الكتاب إلى قراء العربية، ويسد حاجة من احتياجات البحث.

الدكتور رشيد الخيون

كلمة الأستاذ الدكتور محسن مهدي

مما لا يقبل الشك أن هذا الكتاب يعدّ إضافة متميّزة للدراسات التاريخية وللنقد السِّيَري، في آنٍ واحد فقد سعى الباحث الكريم د.جمال الكيلاني لدراسة سيرة جدّه دراسة اعتمدت نقد الرواية التاريخية نقدا خارجيا وداخليا وترجيح النص بمقارنته مع الوقائع والأدلة الثابتة، ليميط اللثام عن حقائق مغيّبة، فكان هذا الكتاب بحقّ، يستحقّ الإشادة و التنويه لأصالته وجدّته وقوة حجته وإقناعه، وفّق الله الباحث لمزيد من الدراسات الجادة.

الدكتور محسن مهدي

كلمة الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد

البحث يوصلنا الى الحقائق والعمل الجاد في البحث يوصلنا الى الإبداع والتألّق، عكس الباحثين الذين يستسلمون للبحوث والكتابات والتصورات السابقة فتكون بحوثهم ميتة خالية من الإبداع، و أنت بدراستك هذه كنت من المبدعين الجادين، نتمنّى لك المزيد من الإبداع.

الدكتور كمال مظهر أحمد

كلام للإمام النووي

ما علمنا فيما بلغنا من التفات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وانتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق وتتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة, وانعقد علية إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والإعظام، والرجوع إلى قولة والمصير إلى حكمه، وأُهرع إليه أهل السلوك من كل فجٍّ عميق. وكان جميل الصفات شريف الأخلاق كامل الأدب والمروءة كثير التواضع دائم البشر وافر العلم والعقل شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه، معظّما لأهل العلم مُكرِّماً لأرباب الدين والسُّنَّة، مبغضاً لأهل البدع والأهواء محبًّا لمريدي الحقّ مع دوام المجاهدة ولزوم المراقبة إلى الموت. وكان له كلام عالٍ في علوم المعارف، شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى، سخيّ الكفّ كريم النفس على أجمل طريق وبالجملة لم يكن في زمنه مثله رضي الله عنه.

"الإمام الغزالي"

من لم يشكّ لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر، بقي في متاهات العمى.

"الإمام الطبري"

فإن كان ثقة فاقبل وإن لم يكن ثقة فلا تقبل.

"جان جاك روسو"

إنّ وقائع التاريخ الكبرى عائمات جليد طرفها ظاهر فوق الماء، وكتلتها الرئيسة تحت سطحه ومن يريد استكشافها عليه أن يغوص في الأعماق.

لسيرة السيد الشيخ عبد القادر الجيلي (470-561 هـ/1077-1165م) أبعاد مختلفة تهمُّ الباحث في تاريخ الفكر العربي الإسلامي عامةً والمعنيّ بدراسة الشخصيات الإسلامية المؤثّرة في أواخر عصر الخلافة العباسية خاصّة، لما له من دور كبير في عصره أثناء الحروب الصليبية إذ أدّى دوراً خاصاً في إعداد وتوجيه وتربية جيل من الدعاة الذين أسهموا مع صلاح الدين الأيوبي في تحرير القدس الشريف.

استأثرت سيرة الشيخ عبد القادر الجيلي باهتمام عدد كبير من المؤلفين والباحثين في عصره وفي العصور التي تلته وما يزال موضوعاً قيماً للباحثين والدارسين في العالم الإسلامي.

لم ندخل لدراسة (مكان ولادة الشيخ عبد القادر الجيلي) بمنطق البراءة والدهشة التي وفّرتها الكثير من المصادر التاريخية المتعددة والتي انساقت الى دور الخيال المؤدّي الى صناعة الخرافات ودورها الحاسم في تفسير التاريخ، لقد كان الشّكّ دليلنا في تناول موضوع دراستنا (الملغّز والمضبّب)، لذا قد اطّلعنا على الكثير من المصادر التاريخية والمعاصرة، ولم يدهشنا اسم هذا المؤلف المشهور أو ذاك ولا الإجماع المسبق على استنتاج معين بخصوص حادثة ما في التاريخ.

ليس حبًّا في الاختلاف فقط –رغم مشروعيته– ولكن لإعطاء الواقعة التاريخية حقّها الكامل وبشفافية تضمن لها الصدقية.

و إزاء الكمّ الهائل من المصادر والمراجع والدراسات والبحوث القديمة والمعاصرة، بذلنا الجهد الوفير لرصد المعلومة من مختلف المصادر وتبويبها للوصول الى النتائج المناسبة وكتابة تسويات تأريخية، ولسنوات عدة كان الصبر دليلنا.

ومن اجل استكمال هدف دراستنا الموضوعي والجاد، تجنبنا الانسياق وراء العاطفة والحماسة الزائدة والتي كانت فخاخا وقع فيها بعض الباحثين في ملاحقة الأحداث، مكتفين بما قدم لهم من روايات في متون ومراجع التاريخ اللامعة والأثيرة لديهم.

وبعد، فإنّ غايتي في كل ما كتبت هو الوصول الى الحقيقة مجردة عن الهوى، والغرض في ضوء تقديم "عرض وافٍ وتفسير جديد" للسيرة القادرية، وعلى كل حال آمل ان يكون من شأن هذه الدراسة ملء فراغ متواضع في حقل الدراسات التأريخية، المكرسة للبحث في جوانب تدخل في إطار "المسكوت عنه" و"اللامفكر فيه" من سير أعلام الأمّة ومنهم الشيخ عبد القادر الجيلي.

وبعيدا عن الطابع "الأكاديمي"يشرّفني أن أذكر أنّي رأيت سيدنا الرسول "صلى الله عليه وآله وسلّم" في المنام في يوم إتمام دراستي هذه وبصحبته جدنا الباز عبد القادر الجيلي "قدس الله روحه"، وقد مسك بيدي اليمنى وأخرجني من الظلمات الى النور ... ومن الله التوفيق والسداد.

بغداد: جمال الدين فالح الكيلاني

مدخل

جيلان العراق: هي قرية تاريخية، عراقية من توابع مدينة المدائن ومن معالمها المعروفة في التاريخ والآثار، و تبعد 40 كيلو مترا، جنوب العاصمة بغداد، وهي بابلية، عراقية قديمة الأصل والتسمية ويؤكد الدكتور بهنام أبو الصوف أن كل المدن التي حملت الاسم ذاته أخذت أسماءها من جيلان البابلية[1] ذكرتها عشرات المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية وكتب البلدانيين العرب[2] وإليها ينسب العديد من الأعلام ولعل من أهمهم الشيخ عبد القادر الجيلي، الإمام والفقيه والمصلح، الذي يوصف بـ"تاج العارفين" و"قطب بغداد" و"باز الله الأشهب" الذي غرس بذور النور في أرض الظلمة، وترك في خلق الله عشقا ملك القلوب![3].

إليه تنسب الطريقة القادرية الصوفية والذي ساهم في إعداد جيل صلاح الدين الذي حرّر القدس الشريف من الصليبيين[4].

---

[1] التادفي، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، ص99 وجيلان العراق، أصل اسمها و موقعها بابلي/عراقي قديم يعني الارض المرتفعة: مقابلة مع العلامة الدكتور "بهنام أبو الصوف"، بتاريخ 2002/12/16 ومقابلة مع العلامة الدكتور "فوزي رشيد" بتاريخ 2001/9/7 وانظر، .Delopote–L–Mesopotamia–london–1925– p136
The Archaeology: Formation and Transformation of an Ancient Iranian State – by D. T. Potts, Cambridge University Press, 29/07/1999 – pp. 45–46 – . ISBN 0–521–56358–5

[2] ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج2،مادة ص200.

[3] الشطنوفي، بهجة الاسرار ومعدن الانوار، ص32، الآلوسي، شهاب الدين أبي الثناء (ت1270هـ/1854م)، والطراز المذهب في شرح الباز الاشهب، مخطوط في المكتبه القادرية، رقم1405، ص 12، وزيدان، يوسف، باز الله الاشهب، ص14.

[4] الكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، 309، والمؤلف نفسه، نشأة القادرية، رسالة ماجستير غير منشورة، ص89.

صعوبات الدراسة

واجه الباحث عدداً من الصعوبات في ثنايا البحث، فمن ذلك تشتت المعلومات في كتب التراجم والطبقات التي وضعت على أسس مختلفة، وبما أن سيرة الشيخ عبد القادر الجيلي ليست مقصورةً على فئة معينة دون أخرى فقد اضطر الباحث إلى الرجوع إلى أكثر تلك المصادر لكي يكمل النقص الموجود في بعضها من بعضها الآخر.

وكذلك صعوبة الاطلاع على المخطوطات وندرتها وتفرقها في البلدان مما تطلب مراسلة المكتبات والاشخاص في مختلف البلدان للحصول على نقولات للمقارنة والتدقيق.

وتمثلت صعوبة أخرى في أنّ أكثر كتب التاريخ قليلة الاهتمام بالأخبار التاريخية الموثّقة بالزمان والمكان للحياة المبكرة للجيلي والتي وجدها الباحث متناثرة في نتف من الكتب و الأخبار، وأما كتب التصوف، التي تناولت الجيلي، فهي كتب طُرُقيّة، اهتمت بما نسبت اليه من كرامات أكثر، ويعود ذلك –إلى حدّ كبير– لتركّز اهتمامها على العلاقة غير التاريخية بين الانسان وربه، وهو أمر كان من شأنه أن يزيد من صعوبة استخراج الدلالة التاريخية منها.

رحلة المكان والزمان

في هذه الدراسة بنا حاجة الى رحلتين عبر الزمان والمكان، سنعود معا قرونًا عدة؛ إلى العصر العباسي الثاني، و إلى أرض السواد، ذلك لأن الجغرافيا التاريخية، هي دراسة الحاضر التاريخي للمكان، وعلى الباحث ان يعود الى موضوع دراسته، زمانا ومكانا، وهناك إدراك عام بأنّ الجغرافية والتاريخ صنوان، ولا تزال منطقة الحدود المشتركة بينهما غير مطروقة – نسبيا– للجغرافي والمؤرخ على حد سواء، وهما يدركان تمام الإدراك أنّ هاتين الدراستين مترابطتان، وإن كلًّا منهما يستطيع ان يقتبس ضوءأ من الاخرى[1].

[1] شلش، إسماعيل سرور، جغرافية الإسلام التاريخية، ص3، وينظر أيضًا: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت 808 هـ). المقدمة، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978. ص 467، وجعيط، هشام، في السيرة النبوية، دار الطليعة، بيروت، 1990، ص132.

رؤية بانوراميّة

لسيرة

الامام عبد القادر الجيلي

مع الشيخ عبد القادر الجيلي

1- اسمه وكنيته ونسبه:

أبو صالح السيد محيي الدين عبد القادر بن السيد أبي صالح موسى بن السيد عبد الله الجيلاني بن السيد يحيى الزاهد بن السيد محمد المدني بن السيد داود أمير مكة بن السيد موسى الثاني بن السيد عبد الله أبي المكارم بن السيد موسى الجون بن السيد عبد الله المحض بن السيد الحسن المثنى بن السيد الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب زوج السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد "صلى الله عليه وآله وسلم". فبينه وبين فاطمة الزهراء "رضي الله عنها" أحد عشر أباً[1].

[1] ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج 10، ص 219، ج 10، ص 7، ج 10، ص 194. وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 426. وابن الأثير، الكامل. وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق 1، ص 264، 124. الشطنوفي، بهجة الأسرار، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج 39، ص 86-100، وينظر ج 36، ص 10. والعبر في خبر من غبر، ج 3، ص 36. وابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص 127 (الرقم 125). والعمري، مسالك الأبصار، ج 8، ص 188- 196 (الرقم 49)، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج 19، ص 26-28 الرقم (7158). واليافعي، مرآة الجنان، ج 3، ص 262-275. وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 313، وينظر ج 12، ص 244، و ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ط (بدون)، 2 ج، (تصحيح محمد حامد الفقي)، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1952. ج 1، ص 290-301 (الرقم 134). وابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن احمد المصري، (ت 804 هـ). طبقات الأولياء، ط 2، (تحقيق نور الدين شريبة)، دار المعرفة، بيروت، 1986. ص 246، والجامي، نفحات الأنس، ج 2، ص 679-682، والتادفي، قلائد الجواهر، (والكتاب في مناقب صاحب الترجمة). الشعراني، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 177-186 (الرقم 248)، والمناوي، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 676 (الرقم 424)، وابن العماد، شذرات الذهب ج 6، ص 330-336. والقادري، ظهير الدين، الفتح المبين، ص21، ومخطوطة محي هلال السرحان، المهداوي، إيمان كمال مصطفى، عبدالقادر الكيلاني أديبا، ص32، و"نسب الشيخ عبدالقادر الجيلي"، ثابت لا ينكره إلا معاند أو جاهل يقول: إن قاضي القضاة ببغداد في عصره، عماد الدين نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر، هو أول من أعلن ذلك، والجواب: إنه صاحب مسؤولية وأمانة كبرى في بغداد، عاصمة العالم القديم، وعندما دوّن نسب أسرته كان لإقرار بواقع، وإعلان حقيقة وهو "قاض" وليس "وليا" مثل جده، وفي ذلك يقول (نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر):

((نحن من أولاد خير الحسنين*من به أصلح بين الفئتين

يشبه المختار في أعلاه إذ*كان ادناه شبيها بالحسين

سرّ كتمان أبينا أصله*أنّه قال بأن الفقر زين.))

2- مولده و نشأته:

ولد الشيخ عبد القادر الجيلي في (جيل العراق) في 11 ربيع الثاني وهو الأشهر[1]، سنة 470 هـ الموافق 1077م[2]، في جيل العراق وهي قرية قرب المدائن جنوب بغداد, وهذا ما نأخذ به نتيجة البحث[3]، لا في جيلان الطبرستان كما يردد اعتمادا على رواية واحدة رددتها بعض الكتب بلا تدقيق او نظر وهو موضوع بحثنا.

وقد نشأ الشيخ عبد القادر في أسرة وصفتها المصادر الإسلامية بالصالحة[4]، فقد كان والده أبو صالح موسى على جانب كبير من الزهد وكان شعاره مجاهدة النفس وتزكيتها بالأعمال الصالحة ولذا كان لقبه "محبّ الجهاد" وأمه فاطمة بنت عبدالله الصومعي الزاهد الحسيني[5]. وكانت للشيخ

انظر: ابن الصابوني، تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، جمال الدين أبي حامد محمد بن علي المحمودي، المعروف بابن الصابوني، المتوفي سنة 680هـ، حققه وعلق عليه، الدكتور مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي،1957، ص371، مع العلم أن الإمام الجيلي، أشار لنسبه الشريف في العديد من أشعاره المشهورة، وكتبت في ذلك المجلدات، وممن صرح بنسبه الحسني الشريف، المفكر الايراني المعروف، الدكتور "مرتضى مطهري"، في كتابه الإسلام وإيران، ترجمه هادي الغروي، مطبعة سبهر، طهران، 1985، ص207، وللباحث دراسة في تحقيق نسبه الشريف، بطريقة علمية وحسب منهج البحث التاريخي وهي ما زالت مخطوطة موجودة في المكتبة القادرية الشريفة تحت رقم 5046 تصوف.

[1] الدروبي، إبراهيم، المختصر في تاريخ شيخ الاسلام، ص112، ومخطوطة أنساب الطالبيّين للآلوسيّ، ورقة98.

[2] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 10، ص 84 – 85، ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج 5، ص 28 –29، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق 1، ج 8، ص 173.

[3] الكيلاني، جمال الدين فالح، الشيخ عبد القادر الكيلاني، رؤية تاريخية معاصرة، ص87.

[4] ابن الدبيثي، محمد سعيد، المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد، ط 1، 3 ج، 1 م، (دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، منشور مع كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في المجلد رقم 15، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997. ص 87 – 88 (الرقم 291).

[5] ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ،ج11، ص116، وكانت والدته لحقت به ببغداد، بعد أن استقر فيها الشيخ عبد القادر وأصبح له شأنًا ومكانة مرموقة ورافقته في رحلته الثانية للحج وتوفيت ببغداد ولم نجد تحديدا لتاريخ وفاتها مع الاسف، مخطوطة مناقب الشيخ عبد القادر، لقطب الدين موسى بن محمد اليونيني، مكتبة (الاسكوريال) بأسبانيا المحفوظة تحت الرقم (417/2) ورقة 11ب، مصورة الدكتور محيي هلال السرحان، وينفي الدكتور عبد الله السامرائي:"نسبه المقامات

موسى أخت صالحة اسمها عائشة[1]، كان الناس يستسقون بها إذا حُبس عنهم المطر، وكان جدّه عبد الله بن يحيى الزاهد من أهل الإرشاد، وأما صفات الشيخ عبد القادر الخَلْقية رضي الله عنه كان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه نحيف البدن مربوع القامة عريض الصدر عريض اللحية طويلها أسمر اللون مقرون الحاجبين ذا صوت جهوري وسمت بهي وقدر علي وعلم[2].

المنسوبة لها وله" في بعض البلدان الإسلامية وهو ما أكده الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، انظر: السامرائي، عبدالله سلوم، دراسة في سلسلة نسب الشيخ عبد القادر الكيلاني، مكتوبة بخط اليد (مصورة)، لدى السيد عبد الستار هاشم سعيد الكيلاني، مقابلات متعددة ومطولة مع (أستاذي وشيخي) الدكتور عماد عبد السلام رؤوف 1996/9/1 وما بعدها.

[1] ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج4، ص199.

[2] الواضح الجلي: أن جده الأول "عبدالله الجيلاني" هو أول من استوطن جيل العراق منتقلا إليها من إمارة الحسنيين في المشرق الإسلامي في "كردستان الكبرى المترامية الأطراف" وأن جده يحيى الزاهد، هو أول من دخل المشرق، واقرب الاعلام نسبا اليه: هو الامام علي الشرقي (الشرجي: باللهجة العراقية) بن احمد بن محمد المدني بن داود الامير بن موسى الثاني (دفين قضاء علي الشرقي–محافظة ميسان)، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص561، العمري، ابو الحسن، المجدي في النسب، مخطوط مكتبة الاسكندرية رقم 3742 ورقة 31، الكيلاني، جمال الدين فالح الكيلاني، الامام عبد القادر الجيلاني: جيلان العراق لا جيلان طبرستان، مجلة كلية الاداب، جامعة عين شمس، 2009، تراجع –دراسة– التي كتبها الدكتور صالح احمد العلي عن عرب خراسان، والمقالة التي كتبها الدكتور عبد الرزاق الانباري، التوزيع الجغرافي لعرب خراسان، والكتاب الذي الفه الدكتور ناجي حسن الياسري، بعنوان القبائل العربية في المشرق، مع اهمية الرجوع الى المصادر.

3- أسفاره:

أ- من الجيل الى بغداد :

كان الشيخ عبد القادر الجيلي قد نال قسطاً من علوم الشريعة في حداثة سنه على أيدي أفراد من أسرته[1]، ولمتابعة طلبه للعلم رحل إلى بغداد ودخلها وعمره ثمانية عشر عاماً سنة 488هـ الموافق 1095م في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبد الله العباسي. وبعد أن استقر الشيخ عبد القادر في بغداد انتسب إلى مدرسة الشيخ أبو سعيد المخرمي التي كانت تقع في حارة باب الأزج، في أقصى الشرق من جانب الرصافة، وتسمى الآن محلة باب الشيخ، وفي سفرته هذه كانت له قصة ننقلها للتوثيق والدرس، من مخطوطة معتمدة، قال الشيخ عبد القادر "بَنَيْتُ أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من الجيل إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أُمِّي أربعين دينارًا، وعاهدتني على الصدق، ولمَّا وصلنا أرض خواء خرج علينا عرب، فأخذوا القافلة، فمرَّ واحد منهم، وقال: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا. فظنَّ أني أهزأ به، فتركني، فرآني رجل آخر، فقال ما معك؟ فأخبرته، فأخذني إلى أميرهم، فسألني فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدَتْني أُمِّي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها. فصاح باكيًا، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أُمِّك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله!! ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك. فقال مَنْ معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعًا ببركة الصدق وسببه[2].

---

[1] ابن الدبيثي، المصدر السابق، ص306.

[2] الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج2، ص441، و ينظر هامش 36، للدكتور مصطفى جواد، في تحقيقه لكتاب تكملة اكمال الاكمال، لابن الصابوني، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،1957، انظر: بهجة الأسرار، للشَّطَّنوفيّ، تحقيق: جمال فالح الكيلانيّ، ص156.

ب- من بغداد الى بعقوبة :

وللشيخ عبدالقادر، سفرة ثانية في حياته وهي من بغداد الى مدينة بعقوبة، بقصد الكسب وقد وصفها بقوله، "كان جماعة من اهل بغداد يشتغلون بالفقه فاذا كان ايام الغلة يخرجون الى الريف يطلبون شيئا من الغلة فقالوا لي يوما اخرج معنا الى بعقوبة نحصل منها شيئا... فخرجت معهم وكان في بعقوبة رجل صالح يقال له "الشريف البعقوبي" فمضيت لأزوره فقال لي: مريدو الحق والصالحون، لا يسئلون الناس شيئا، ونهاني ان اسئل الناس فما خرجت الى موضع قط بعد ذلك، وكان لهذه السفرة وقع بيلغ في نفس الشيخ عبدالقادر، حيث تركت فيه اثرًا عميقًا وعلمته درسًا بليغًا نافعًا، ويظهر من امتناع الجيلي عن السؤال قوة الارادة الصادقة في الامتثال لقبول النصيحة كما يظهر استعداده للطاعة عند صدور الامر الصالح[1].

ج- من بغداد الى الديار المقدسة :

وتؤكد المصادر والمراجع، انها سفرتان لا واحدة، وكانت بقصد أداء فريضة الحج، وقد كانت الحجة الاولى سنة 509هـ، وفيها التقى الشيخ عدي بن مسافر، واما الحجة الثانية فكانت سنة 555هـ، وفيها التقى بعدة شيوخ من ابرزهم الشيخ ابي مدين شعيب وغيره من الاعلام، وكانت برفقته والدته، وقال عبدالرزاق بن الشيخ عبدالقادر، "لم يحج والدي رضي الله عنه بعد ان اشتهر امره الا حجة واحدة وكنت فيها قائد زمام راحلته، ولم يعرف

[1] الشريف البعقوبي: أبو عبد الله محمد بن علي بن عرفة البعقوبي الشافعي الاشعري، من أعلام التصوف العراقي وأعلام مدينة بعقوبة في العصر العباسي الثاني ومن جملة مشايخ الشيخ عبد القادر الجيلاني، تذكرة المقتفين لآثار اولي الصفا وتبصرة المقتدين، للواسطي، ص421، مخطوطة مصطفى جواد، لدى ولده جواد مصطفى جواد.

للشيخ عبد القادر غير هذه السفرات، وبعدها انقطع للتدريس والوعظ والإرشاد"[1].

[1] وهناك اشارة كونها توفيت ببغداد بعد ان كانت التحقت بولدها الشاب وهذه المخطوطة لم تحدد وفاتها أيضا، ابن الجوزي، كلام الشيخ عبدالقادر، مخطوطة سالم الالوسي، وانظر للتوسع: كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، للباحث، ص 7–76.

4- الأوضاع السياسية والاجتماعية :

وكان العهد الذي قدم فيه الشيخ الجيلي إلى بغداد تسوده الفوضى شملت كافة أنحاء الدولة العباسية[1]، حيث كان الصليبيون يهاجمون ثغور الشام[2]، وقد تمكنوا من الاستيلاء على أنطاكية وبيت المقدس وقتلوا فيهما خلقًا كثيرًا من المسلمين ونهبوا أموالًا كثيرة[3]. وكان السلطان التركي "بركياروق" قد زحف بجيش كبير يقصد بغداد ليرغم الخليفة على عزل وزيره "ابن جهير" فاستنجد الخليفة بالسلطان السلجوقي "محمد بن ملكشاه" ودارت بين السلطانين التركي والسلجوقي معارك عديدة كانت الحرب فيها سجالا، وكلما انتصر أحدهما على الآخر كانت خطبة يوم الجمعة تعقد باسمه بعد اسم الخليفة[4].

وكانت فرقة الباطنية[5] قد نشطت في مؤامراتها السرية واستطاعت أن تقضي على عدد كبير من أمراء المسلمين[6] وقادتهم فجهز السلطان

---

[1] ابن الدبيثي، المصدر السابق، ص124.

[2] القادري، ظهير الدين، المصدر السابق، ص16، وعليوي، جعفر موسى، عبدالقادرالجيلاني والتصوف، أطروحة دكتوراة، كلية الاداب جامعة بغداد 2002، ص198.

[3] ابن كثير، المصدر السابق، ج3، ص43.

[4] ابن الاثير، اللباب في معرفة الانساب، ج1، ص266.

[5] أطلق عليهم اسم الحشيشية لاستعانتهم بالحشيش في الترويج لمذهبهم وفي حوادث الاغتيال السياسي ولذلك اشتهرت كلمة حشاش في اللغات الاوربية بمعنى "قاتل"، وينظر الشهرستاني، الملل والنحل، ص27، 29، والقاري، علي بن سلطان، نزهة الخاطر الفاتر في سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني، مخطوطة القادرية، ص43، وشعبان، محمد عبد الحي محمد شعبان، التاريخ الاسلامي تفسير جديد (الدولة العباسية)، المكتبة الاهلية، بيروت، 1977 ص134، واركون، محمد، الفكر الاسلامي: نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح؛ دار الساقي بيروت، 2009، ص 124.

[6] المكي، بن عزوز، السيف الرباني، ص406.

السلجوقي جيشاً كبيراً سار به إلى فارس فحاصر قلعة "أصفهان" التي كانت مقراً لفرقة الباطنية وبعد حصار شديد استسلم أهل القلعة فاستولى عليها السلطان وقتل من فيها من المتمردين[1]، وكان "صدقة بن مزيد" من أمراء قبيلة بني أسد[2] قد خرج بجيش من العرب والأكراد يريد الاستيلاء على بغداد فتصدى له السلطان السلجوقي بجيش كبير من السلاجقة فتغلب عليه[3]. وكان المجرمون وغيرهم من العاطلين والأشقياء ينتهزون فرصة انشغال السلاطين بالقتال فيعبثون بالأمن في المدن يقتلون الناس ويسلبون أموالهم فإذا عاد السلاطين من القتال انشغلوا بتأديب المجرمين[4] وهذا كان حال السياسة ،انها ميكافيللية لا ترحم، وفي غمرة هذه الفوضى كان الشيخ عبد القادر يطلب العلم في بغداد[5]، وتفقه على مجموعة من الشيوخ والفقهاء ومن بينهم الشيخ أبوسعيد المُخَرَّمي، فبرع في المذهب والخلاف والأصول وقرأ الأدب وسمع الحديث على أيدي كبار المحدثين. وقد أمضى الشيخ من عمره ثلاثين عاما يدرس فيها علوم الشريعة أصولها وفروعها[6].

---

[1] الكيلاني، علاء الدين، تحفة الابرار ولوامع الابرار، مخطوطة جامعة برنستون، نسخة السيد عبدالستار هاشم سعيد الكيلاني (لواء مهندس متقاعد)، ص76.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص371.

[3] ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج 10، ص 208 ،211، 220 – 221، 252، 257، 264 ،271.

[4] ابن الاثير، المصدر السابق، ج9، ص561، وينظر: النجار، محمد رجب، حكايات الشطار والعيارين، عالم المعرفة، الكويت،1981، ص 176.

[5] ابن خلكان، وفيات الاعيان،ج3، ص 24، 227، 254، 446.

[6] ابن الوردي، مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب، نسخة سالم الالوسي، ص181.

5- جلوسه للوعظ والتدريس:

حينما أنس الشيخ أبو سعيد المُخَرمي من تلميذه عبد القادر غزارة العلم ووفرة الصلاح عقد له مجالس الوعظ في مدرسته بباب الأزج في بداية 521 هـ، فصار يعظ فيها ثلاثة أيام من كل أسبوع، بكرة الأحد وبكرة الجمعة وعشية الثلاثاء وكان اول كلامه: (غوّاص الفكر يغوص في بحر القلب على درر المعارف، فيستخرجها الى ساحل الصدر، فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان، فتشترى بنفائس أثمان حسن الطاعة، في بيوت أذن الله أن ترفع)[1] واستطاع الشيخ عبد القادر بالموعظة الحسنة أن يردَّ كثيراً من الحكام الظالمين عن ظلمهم وأن يردَّ كثيراً من الضالين عن ضلالتهم وخصَّ الحاكمين بانتقاداته وحذّر الناس من الانصياع لهم بما يخالف الشريعة يقول في أحد مجالسه: صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة. قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوة آلهة، و يحكم جعلتم الفرع أصلاً، المرزوق رازقاً، والمملوك مالكاً، الفقير غنياً، العاجز قويا والميت حياً، إذا عَّظمت جبابرة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنياءها ونسيت الله عز وجل ولم تعظِّمه، فحكمك حكم من عبد الأصنام، تصيّر مَنْ عظّمتَ صنمَك، وانتقد الولاة والموظفين الذين يجتهدون في تنفيذ أوامر السلاطين دون تحرز ولم تتوقف

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 168– 170. وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 49، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8، ق 1، ص 39–40، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 4، ص 216–219، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 6، ص 191 (ترجمة مطولة)، والاسنوي، طبقات الشافعية، ج 2، ص 111، وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 214، والجامي، نفحات الأنس، ج 2، ص 516، والمناوي، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 704، (الرقم 445). وابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج2، ص40، كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، للباحث، ص 7–76..

انتقادات الشيخ عبد القادر للحكام عند المواعظ العامة، وإنما تناولت المواقف الخاصة التي تبرز فيها انحرافات أو مظالم، ففي عام 541هـ/1146م ولّى الخليفة المقتفي يحيى بن سعيد المعروف بابن المرجم القضاء. فمضى الأخير في ظلم الرعايا ومصادرة الأموال وأخذ الرشاوي، فكتبت ضده المنشورات وألصقت في المساجد والشوارع دون أن يستطيع أحد أن يجهر بمعارضته. ويذكر سبط ابن الجوزي أن الشيخ عبد القادر، اغتنم وجود الخليفة في المسجد وخاطبه من على المنبر قائلاً: وليت على المسلمين أظلم الظالمين وما جوابك غداً عند رب العالمين، فعزل الخليفة القاضي المذكور ولقد تكررت هذه المواقف مع الوزراء والرؤساء والحجاب، وتذكر المصادر التاريخية أن هؤلاء كانوا يستمعون لملاحظات الشيخ عبد القادر لاعتقادهم بصلاحه وصدق أغراضه، فلقد حرص الشيخ عبد القادر على أن يبقى بعيداً عن مواطن الشبهات أو التقرب للحكام، فقد ذكر عنه أنه ما ألمّ بباب حاكم قط وأنه تتناولها يده[1]، وحيث كان الوزراء والأمراء والأعيان يحضرون مجالسه، وكانت عامة الناس أشد تأثراً بوعظه، فقد تاب على يديه أكثر من مائة ألف من قطاع الطرق وأهل الشقاوة[2]، وأسلم على يديه ما يزيد على خمسة الآف من اليهود والنصارى[3]. و أيضا، فإن الجيلي قد تأثر بفكر الغزالي حتى أنه ألف كتابه "الغنية" على نمط كتاب "إحياء علوم الدين". وانه التقى به وجلس بين يديه وأخذ عنه[4] وكان الشيخ عبد

---

[1] الكتبي، ابن شاكر، فوات الوفيات، ج1، ص73.

[2] المقريزي، السلوك،ج1، ص 72.

[3] شيمل، الابعاد الصوفية في الاسلام، ص 297.

[4] انظر: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 10، ص 182، وابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني الحنبلي البغدادي، (ت 629 هـ). كتاب التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، (تصحيح وتعليق الطاف حسين)، ط 1، 2 ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكنّ—الهند، 1983. ج 2، ص 163، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 226، والذهبي، تاريخ الاسلام، ج 38، ص 112،وابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص 113 (الرقم 105)،

القادر يتمتع بشخصية "كارزمية" فذة ونفوذ روحي فكان يسيطر على قلوب المستمعين إلى وعظه ويستهوى نفوسهم في التلذّذ بحديثه[1]، حتى أنه استغرق مرة في كلامه وهو على كرسي الوعظ فانحلت طيّة من عمامته وهو لا يدري فألقى الحاضرون عمائمهم وطواقيهم تقليداً له وهم لا يشعرون وكان شديدا في انتقاده العلماء الذين يطرقون أبواب السلاطين فيقول لهم: يا سلاّبين الدنيا بطريق الآخرة من أيدي أربابها. يا جهالاً بالحق؛ أنتم أحقّ بالتوبة من هؤلاء العوام، أنتم أحق بالاعتراف بالذنوب من هؤلاء؛ لا خير عندكم. وقال: لو كانت عندك ثمرة العلم وبركاته لما سعيت إلى أبواب السلاطين في حظوظ نفسك وشهواتها.

وحذّر عامة الجماهير من حضور مواعظهم والاستماع إلى أحاديثهم فقال: يا عباد الله... لا تسمعوا من هؤلاء الذين يُفرحون نفوسكم. يذلون للملوك ويصيرون بين أيديهم كالذّرّ لا يأمرونهم بأمر ولا ينهونهم عن نهي. إن فعلوا ذلك فعلوه نفاقاً وتكلّفا طهّر الله الأرض منهم ومن كل منافق أو يتوب عليهم ويهديهم إلى بابه إنّي أغار إذا سمعت واحداً يقول: الله الله وهو يرى غيره.

كما نعى على العلماء المتعصّبين للمذاهب ومن ذلك قوله: دع عنك الكلام فيما لا يعنيك. اترك التعصب في المذاهب واشتغل بشيء ينفعك في الدنيا والآخرة. يريد بذلك تصحيح الوضع السائد والمساهمة في تخريج جيل من العلماء الربانيين الذين يقومون بوعظ الناس وهدايتهم وتزكيتهم ونشر التعاليم الصحيحة في أوساط الأمة حتى يخرج جيل النصر المنشود

والصفدي، الوافي بالوفيات، ج 18، ص 7، وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 297، وابن العماد، شذرات الذهب، ج 6، ص 275، وينظر الكيلاني، جمال الدين فالح، لقاء الامامين الغزالي والجيلاني: حقيقة تاريخية، مجلة الديار اللندنية، العدد 854.

[1] ابن العماد، المصدر السابق، ج5، ص19.

الذي يتحقق على يديه وعد الله بالنصر للمؤمنين وقد حالف الشيخ عبد القادر الكثير من النجاح[1].

و بعد أن توفي الشيخ أبو سعيد المبارك المُخَرمي فُوّضت مدرسته إلى خليفته الشيخ عبد القادر الجيلي فجلس فيها للتدريس والفتوى، وكانت شخصيته الفذّة وحبه للتعليم وصبره على المتعلمين جعلت طلاب العلم يقبلون على مدرسته إقبالا عظيما حتى ضاقت بهم فأضيف إليها ما جاورها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثلها وبذل الأغنياء أموالهم في عمارتهم وعمل الفقراء فيها بأنفسهم حتى تم بناؤها سنة 528 هـ الموافق 1133م. وصارت منسوبة إليه[2].

[1] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8، ق 1، ص 138، والشطنوفي، بهجة الأسرار، ص 309، 114.

[2] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10، ص173؛ وللتوسّع في بذل المال انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج5، تحقيق محمد احمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1978، ج6، ص176، والمدرس، عبد الكريم، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج5، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1997، ج5، ص87، وأبو الاعلى المودودي، تفسير سورة النور، المكتبة الاسلامية، القاهرة،1958، ص35.

6- الملامح العامة لدعوته للإصلاح:

بدأ مجلسه بالرجلين والثلاثة ثم تزاحم الناس حتى صار مجلسه يضمّ سبعين ألفاً، ثم تزايد الإقبال حتى ضاقت المدرسة فخرج إلى سور بغداد بجانب رباطه، وصار الناس يجيئون إليه ويتوب عنده الخلق الكثير، ومنذ ذلك الوقت بدأ الشيخ عبد القادر دعوته التي انمازت بأمور؛ منها: اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة، كرّس الشيخ عبد القادر معظم أوقاته للمدرسة التي آل أمرها إليه بعد شيخه أبي سعيد المخرمي فكان لا يخرج منها إلا يوم الجمعة إلى المسجد أو الرباط وكان يعتز بمهنة التدريس هذه ويعدّها "أشرف منقبة وأجلَّ مرتبة". وإنّ العالم محبوب من أهل الأرض. لقد أمضى الشيخ عبد القادر في التدريس ثلاثاً وثلاثين سنة بدأها عام 528هـ/1133م حتى وفاته عام 561هـ/1116م.

7- منهجه في الدعوة والإرشاد:

وضع الشيخ عبد القادر منهاجاً متكاملاً يستهدف إعداد الطلبة والمريدين علمياً وروحياً واجتماعياً ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويشتمل المنهج على:

أ- الإعداد الديني والثقافي: يتحدد هذا الإعداد بحسب عمر الطالب أو المريد وحاله، ويتسع المنهج تدريجيا حتى يتضمن حوالي ثلاثة عشر علماً تشمل التفسير والحديث والفقه والخلاف والأصول والنحو والقراءات بالإضافة إلى ما سبق ذكره، وكان الجمع بين الفقه والتصوف شرطاً أساسياً للمريدين.

ب- الإعداد الروحي: يستهدف الإعداد الروحي تربية إرادة المتعلم أو المريد حتى يصبح صفاء بلا كدر ويصير مع النبي صلى الله عليه وسلم في عقله ومشاعره ومعناه ويكون دليل قدوته.كما أقام التزكية الروحية على قاعدة فكرية تستهدف إقناع المريد بما يمارسه.

ج- الإعداد الاجتماعي: ليس الصوفي عنده ذلك الفرد المنعزل عن أمته، فاستهدف الإعداد توثيق العلاقات بين الأفراد والجماعات والقضاء على أسباب التفكك الاجتماعي الذي ساد المجتمع. كذلك حرص الشيخ عبد القادر أن يبتعد بالمريد عن كل ما ينزل من مكانته الاجتماعية كالبطالة والعيش على هبات المحسنين، وسؤال الناس، وحثه على الاشتغال بالكسب والتجارة مع مراعاة قواعد الأخلاق والأمانة. وقال:... أن تصحب الأغنياء بالتعزز والفقراء بالتذلل... وعليك بصحبة الفقراء والتواضع وحسن الأدب

والسخاء... وعلى المريد أن يحذر من الضعف أمام عطاء الأغنياء، أو يطمع بنوالهم، لأن تملقهم من أخطر الأمور على دين المرء وعلى خلقه[1].

[1] ابن فضل الله، مسالك الابصار، ج1، ق1، ص104، والكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، الولايات المتحدة، ص 302، وعفيفي، ابو العلا، التصوف الثورة الروحية في الاسلام، الاسكندرية، 1953، ص56، الكيلاني، جمال الدين فالح، الشيخ عبد القادر الكيلاني، ص76.

8- الشيخ عبد القادر الجيلي
ودوره الجهادي خلال الحروب الصليبية:

تدل الأخبار المتعلقة بالمدارس الإصلاحية وخصوصاً مدرسة الشيخ عبد القادر أنها لعبت دوراً رئيساً في إعداد جيل المواجهة للخطر الصليبي في البلاد الشامية وذلك عن طريق الإسهام في إعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصليبي: قام الشيخ عبد القادر الجيلي والمدرسة القادرية بدور هام في إعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصليبي، فكانت تستقدمهم وتوفر لهم الإقامة والتعليم، ثم تعيدهم إلى مناطق الثغور والمرابطة. وكان من بين هؤلاء الطلاب بعضهم الذي اشتهر فيما بعد في ميدان الفقه و السياسة، كما شارك تلاميذ الشيخ عبد القادر في الجيش والجهاد العسكري؛ ومنهم بعض أولاده ومنهم "عبد العزيز، وموسى"، ويأتي على رأس هذه الجماعات أسرة صلاح الدين الأيوبي. كما اشتغل نفرٌ من تلاميذ المدرسة القادرية مع نور الدين ثم صلاح الدين في السياسية ولعب بعضهم أدواراً في غاية الخطورة وكان للشيخ عبد القادر، شخصيا اتصالات واسعة بقادة العالم الاسلامي، وتعاون وتنسيق مباشر وغير مباشر في الشؤون الثقافية والسياسية والعسكرية، واذا ما اتفقنا على هذا من ان الشيخ عبد القادر كان على وعي وقناعة وايمان بان الجهاد اعلى درجات الايمان وان محاربة الظلم والظالمين والعدوان والمعتدين افضل انواع العبادة، فلنا ان نقول باطمئنان ان الشيخ عبد القادر الجيلي، ابرز المجاهدين واشهرهم في محاربة الغزاة الصليبيين[1].

[1] للتوسع في موضوعة (الشيخ عبد القادر الكيلاني ودوره الجهادي خلال الحروب الصليبية) انظر: كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، للباحث، ص 84-94 وابن خلكان، وفيات الاعيان، ج3، 205- 208، والذهبي، تاريخ

9- مع المدارس الفقهية:

كان الشيخ عبد القادر عالما متبصرا يتكلم في ثلاثة عشر علماً من علوم اللغة والشريعة، حيث كان الطلاب يقرؤون عليه في مدرسته دروسا من التفسير والحديث والمذهب والخلاف والأصول واللغة، وكان يقرأ القرآن بالقراءات وكان يفتي على مذهب الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام أحمد بن حنبل الشيباني وهذا هو المشهور والمتداول وهناك رواية فريدة، تصرح أنه أفتى على مذهب الإمام الاعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن النعمان الكوفي أيضا[1].

الاسلام، ج 30، ص170-175، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج 19، ص 63-64، وينظر: الكيلاني، ماجد عرسان، المصدر السابق، ص 265، ومقابلة شخصية مع الدكتور ماجد عرسان الكيلاني بتاريخ 2005/8/12.

[1] التادفي، المصدر السابق، ص43، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 5، ص 153-161، والاسنوي، طبقات الشافعية، ج 2، ص 157-158، وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 131، ومصطفى جواد، أصول التاريخ والادب، ج23 ص54.

10- مؤلفات الشيخ:

صنف الشيخ عبد القادر الجيلاني مصنفات كثيرة في الأصول والفروع وفي أهل الأحوال والحقائق وبعضها منسوب، منها ما هو مطبوع ومنها مخطوط ومنها مصور وأغلب المطبوع منها مترجم إلى العديد من اللغات العالمية وهناك دور نشر غربية اوربية وامريكية، متخصصة بنشر كتبه باللغة الانكليزية، ومن الجدير بالذكر ان هذه الكتب اشتملت على العديد من المصطلحات، التى تجيزها الأصول القرآنية والنبوية، وهى مصطلحات مكونة من ألفاظ قرآنية أو نبوية وموضوعة على معانيها، أو معان أخرى تجيزها الأصول القرآنية والنبوية ورتبنا بعضها ترتيبا ألف بائيا مشرقيا، من حرف الألف إلى حرف الياء على النحو التالى:

الأبـد، الاتصـال، الإحسـان، الإخبـات، الاختيـار، الإخـلاص، الإرادة، الاستقامة، الاصطفاء، الاصطناع، الاعتصـام، الامتحـان، الإنابـة، الإيثـار البخل، البسط، البصيرة، البعد، البقاء، البلاء، التبتل، التجلى، التسليم، التفريد، التفكر، التقديس، التقوى، التواضع، التوبة، التوجه، التوحيد، التوفيق، التوكل، الثقة، الجنة، الجوع، الحال، الحجاب، الحرص، الحرمة، الحرية، الحزن، الحسد، الحق، الحقيقة، الحكمة، الحياء، الحياة، الحيرة، الخاصة، الخاطر، الختم، الخشوع، الخشية، الخلق، الخلة، الخلوة، الخليفة، الخوف، الدعوى، الدنيا، الذكر، ذو العقل، الذوق، الران، الرجاء، الرضا، الرعاية، الرغبة، الرهبة، الروح، الرياء، الزهد، السالك، الستر، السكر، السكينة، السماع، الشاهد، الشريعة، الشكر، الصبر، الصدق، الصفاء، الطهارة، العارف، العامة، العبرة، العبادة، العجب، العدو، العزم،

الغرق، الغرور، الغشاوة، الغضب، الغيبة، الغيرة، الفتوة، الفرار، الفقر، الفناء، القرب، القلب، الكبر، اللطف، المأخوذ والمستلب، المجاهدة، المحاسبة، المحبة، المحو، المراقبة، المقام، المكر، النفس، الهمة، الهوى، الهيبة، الورع، الوفاء بالعهد، الولي، اليقظة، اليقين.

وأهم هذه الكتب :

- **الغُنية لطالبي طريق الحق: وهو من أشهر كتب الشيخ في الأخلاق والآداب الإسلامية وهو جزءان حققه الدكتور فرج توفيق الوليد.**
- **الفتح الرباني والفيض الرحماني: وهو من كتب الشيخ المشهورة وهو عبارة عن مجالس للشيوخ في الوعظ والإرشاد، يمتاز بقوة العبارة ودقة الوصف.**
- **فتوح الغيب: وهو عبارة عن مقالات للشيخ في العقائد والإرشاد ويتألف من 78 مقالة.**
- **إغاثة العارفين وغاية منى الواصلين.**
- **أوراد الجيلي.**
- **آداب السلوك والتوصل إلى منازل السلوك.**
- **تحفة المتقين وسبيل العارفين.**
- **جلاء الخاطر في الباطن والظاهر.**
- **حزب الرجاء والانتهاء.**
- **الحزب الكبير.**
- **دعاء البسملة.**

- الرسالة الغوثية: موجود منها نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد.
- رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله.
- الفيوضات الربانية: وهذا الكتاب ليس للشيخ ولكنه يحتوي الكثير من الأوراد والأدعية والأحزاب المنسوبة للشيخ.
- معراج لطيف المعاني.
- يواقيت الحكم.
- سر الأسرار في التصوف: وهو كتاب معروف وتوجد نسخة منه في المكتبة القادرية ببغداد وفي مكتبة جامعة إسطنبول.
- الطريق إلى الله: كتاب عن الخلوة والبيعة والأسماء السبعة.
- رسائل الشيخ عبد القادر: 15 رسالة، يوجد نسخة في مكتبة جامعة إسطنبول.
- المواهب الرحمانية: ذكره صاحب روضات الجنات.
- حزب عبد القادر الجيلي: مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة الأوقاف ببغداد.
- تنبيه الغبي إلى رؤية النبي: نسخة مخطوطة بمكتبة الفاتيكان بروما.
- وصايا الشيخ عبد القادر: موجود في مكتبة فيض الله الشيخ مراد تحت رقم 251.
- تفسير القرآن الكريم: وقام بتحقيقه الدكتور فاضل جيلاني وهو مطبوع في تركيا وغيرها، ولنا عنه دراسة مطولة منشورة، خلاصتها: انه لم يبق من التفسير إلا الاسم والخطوط العريضة للأصل، وأنه تعرض لإعادة صياغة تكاد تكون كاملة.
- الدلائل القادرية.

- الحديقة المصطفوية.
- الحجة البيضاء.
- عمدة الصالحين في ترجمة غنية الصالحين.
- بشائر الخيرات.
- ورد الشيخ عبد القادر الجيلي.
- كيمياء السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة.
- المختصر في علم الدين.
- مجموعة خطب[1].

---

[1] للتّوسع في مؤلّفات الشّيخ عبد القادر المخطوطة والمطبوعة واماكن وجودها انظر: كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، للباحث، ص 64-70.

11- وفاته:

استمر الشيخ عبد القادر مثابرا في دعوته إلى الله تعالى والجهاد في سبيله، حتى وافاه الأجل ليلة السبت 10 ربيع الثاني سنة 561 هـ، فُرغ من تجهيزه ليلا وصلى عليه ولده عبد الوهاب في جماعة من حضر من أولاده وأصحابه، ثم دفن في رواق مدرسته، ولم يفتح باب المدرسة حتى علا النهار وأهرع الناس للصلاة على قبره و زيارته وكان يوما مشهودا، وبلغ تسعين سنة من عمره[1]. ولله در بعضهم حيث جمع ذلك كله يعنى تاريخ الولادة والوفاة والعمر في بيت مفرد حيث قال:

إن باز الله سلطان الرجال
جاء في عشق و مات في كمال

فعلى هذا كلمة (عشق) عددها بالجمّل أربعمائة وسبعين، فهو تاريخ الولادة وكلمة (كمال)، أحد وتسعون فهو قدر العمر، وإذا ضمينا كلمة (عشق) مع كلمة (كمال) يكون الحاصل من العدد خمسمائة وأحد وستون، فهو تاريخ الوفاة للجيلي[2].

---

[1] ابن النجار، محب الدين، ذيل تاريخ بغداد، ط1، 5 ج، 5م، منشور مع كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، في المجلدات الخمسة 20، 19، 18، 17، 16، 1997. ج1، ص 248.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج 20، ص444.

12- أولاده:

كان للشيخ عبد القادر تسعة وأربعون ولداً، سبعةٌ وعشرون ذكراً والباقي إناث، منهم:

عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر (ت 602 هـ)، تفقه على والده، وحدث ووعظ ودرّس وتخرج به غير واحد، ورحل إلى إحدى قرى سنجار واستوطنها في حدود سنة 580 هـ بعد أن غزا عسقلان وزار القدس وكانت ذريته في سنجار في منتصف القرن العاشر والرجل احد قادة جيش صلاح الدين الايوبي ومستشاريه "ومن ذريته صاحب هذه الدراسة المتواضعة".

عيسى بن الشيخ عبد القادر (ت 593 هـ)، تفقه على والده وسمع منه الحديث ومن غيره، ودرس وحدث ووعظ وأفتى، وصنف كتاب جواهر الأسرار ولطائف الأنوار في علوم الصوفية، وقدم مصر بعد وفاة والده وحدث بها ووعظ وتخرج به جماعة من أهلها، وتوفي فيها، وقد لبس منه خرقة التصوف القادرية بعض أهل مصر.

عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر (522 هـ-593 هـ)، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً، قرأ الفقه على والده حتى برع فيه، ودرّس بمدرسة والده وهو حي نيابة عنه في مستهل سنة 543 هـ وقد تجاوز العشرين من عمره، ثم بعد وفاة والده اشتغل بالتدريس، وكان أميز اخوانه، وكان فصيح الوعظ حادّ الخاطر وله مروءة وسخاوة، وقد جعله الناصر لدين الله على المظالم فكان يوصل إليه حوائج الناس وكان ذلك سنة 583 هـ، وبنى تربة الجهة الخلاطية سلجق خاتون وتولى وقفها بأمر من الخليفة الناصر لدين الله. وروسل من

الديوان العزيز إلى الشام، وكان عبد الوهاب قد رحل إلى بلاد الهند في طلب العلم، وتخرج به غير واحد،وقرأ عليه ابن الدبيثي بعض الأحاديث.
وفي سنة 588 كفت يد عبد الوهاب عن وقف الجهة الخلاطية وأخرج ابناء الشيخ عبد القادر عن مدرستهم و سُلّمت إلى عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597 هـ) وذلك بسبب الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر، ثم رُدّت المدرسة إلى أبناء الشيخ عبد القادر بعد أن قبض على الوزير ابن يونس (ت 593 هـ).
عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر (528–603هـ) كان ثقة حافظاً زاهداً عابداً ورعاً "لم يدخل فيما دخل فيه غيره من إخوته" وكان فقيهاً صالحاً، تفقه على والده وحدث وأملى ودرّس وخرّج وأفتى، وتخرج به جماعة، "لكن معرفته بالحديث غطت على معرفته بالفقه"، وكان منقطعاً في منزله عن الناس لا يخرج إلاّ في الجمعات، "وكان خشن العيش صابراً على فقره، عزيز النفس عفيفاً على منهاج السلف"، وهو والد قاضي القضاة ابي صالح نصر بن عبد الرزاق .
ومن أحفاد الشيخ عبد القادر الذين لهم صلة بموضوع البحث: قاضي القضاة أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي (ت 633 هـ)، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً، وكان مقدم مذهبه وشيخ وقته، درّس في مدرسة جده وغيرها، وقلد قضاء القضاة في خلافة الظاهر بأمر الله "ولم يقلد قضاء القضاة حنبلي سواه"، فسار سيرة حسنة من فتح بابه ورفع حُجابه والجلوس للناس عموماً والاذان على بابه والخروج إلى صلاة الجمعة راجلاً، ثم عزل سنة 623هـ فرجع إلى مدرسة جده يدرس ويفتي، ولما تكامل بناء الرباط المستجد بدير الروم جُعل شيخاً على من به من الزهاد إلى أن توفي، "وتخرج به في علمي الشريعة والحقيقة أناس من اهل بغداد".

وله كلام حسن. وكان مقداماً من الرجال لا يهاب، وله أشعار في الزهد، وفي سنة 630هـ انفذ رسولاً إلى الموصل واربل. وقد ألّف في الزهد، وبنيت له دكة بجامع القصر للمناظرة، وكان له قبول تام، وكان يحضره أناس كثيرون، ومن اولاد الشيخ عبد القادر، صالح وبه يكنى عند العامة، وله ايضا موسى ومحمد وعبد الغني وعبد الله، مع اختلاف المصادر.

يستنتج مما تقدم انه استمر احترام الناس، الخاصة منهم والعامة، لأبناء الشيخ عبد القادر الجيلي واحفاده، وبخاصة الذين حملوا منهم رسالة الشيخ عبد القادر، طيلة القرن السادس وحتى سقوط بغداد بيد التتار سنة 656 هـ ومن المعلوم، انتشار الاسرة القادرية شرقا وغربا ودورها السياسي والثقافي والديني والاجتماعي عبر العصور[1].

[1] الكيلاني، جمال الدين فالح، المصدر السابق، ص32.

قراءة متأنية
في المصادر والمراجع التي ذكرت ولادة
الامام عبد القادر الجيلي

"من أجل بناء مستقبل جديد نحتاج إلى بناء ماض جديد، من خلال السعي لترميم الذاكرة التاريخية، بتقريبها أكثر من الواقع التاريخي، وتحويل تاريخنا - بوجهيه المضيء والقاتم إلى ماض حي يزخر بالعبرة والخبرة، لا ذخيرة متفجرة تدمر الحاضر وتلغم المستقبل. "

1- دعوة لتفكيك التراث:

ان المصير الذي يؤول اليه الفكر حين يدخل في الزمان لا بد ان ينتهي بصاحبه، بصورة او اخرى الى فاجعه، فالحقيقة التاريخية، تنتمي اصلا الى عالم الازل والابدية، الذي يفارق تماما وقائع التاريخ ويعلو عليها، ولا يخضع لقانون الصيرورة الصارم، وهي حين تتجسد في الانسان فانما تعانق الزمان وتحل فيه، والزمان يدخل في دائرة الحركة، فهو اذا خاضع خضوعا تاما للتغيير هو وكل ما ينطوي عليه، والذي يقع ضحية هذا التجسد هو الحقيقة نفسها، لانها ستفقد برائتها الاولى التي جاءتها من افق المطلق وستتقمص، جملة الاشكال الزمنية التي يمكن تعتري أي انسان تحل فيه، ومن اجل هذا كان الجهد الانساني التاريخي للعودة الى احضان الحقيقة يتخطى، في عسره وصعوباته، كل التقديرات الممكنة، وكان وجود الانسان على الارض محنة يتطلب الانتصار عليها توترا مستمرا ورجاء واسعا، والواجب هو التقرب من الحقيقة التاريخية بقدر الطاقة الانسانية، وعبور الهوة التي تفصل الوجود في الزمان عن الوجود في الازل.

وفي تقديري أن التراث هو ما تركته الأجيال السابقة من الأمة لنا، إلا أنه إن لم يُفكّك تفكيكاً حياً وعلمياً، ويُعاد تركيبه من جديد، سيبقى خارجاً عنا، ومجرد تحفة جميلة نتغنى بجمالها. والتراث يفترض ان يفكك بمعنى ان ننفذ الى روحه الكامنة، كالذرة حينما تفككها تنبعث منها طاقة هائلة، لكنك إذا لم تفعل، ستبقى ثابتة على حالها الى يوم الدين. على هذا الجيل ان ينظر

الى التراث والتاريخ نظرة تنفذ الى اعماقه، تستطيع ان تحرك ما هو ثابت وما هو راكد منه وان تفكيك كتلته لكي تعيد استخدامها في حياتها المعاصرة، هو السبيل الوحيد بتقديري الى ان نأخذ من التراث روحه لا شكله، وإلاّ فإن شكل كل شيء الآن هو افضل مما كان.

2- تسويغ:

يقتضي واقع الحال أن يكون أول ما ألقى به القارئ تسويغ عمل يبدو أن القول فيه قد حسم فيه حسما لا رجعة عنه منذ زمن بعيد، وبيان معنى النظر في قضية ظاهرها أنها غير ذات جدوى أو نفع لأحد، وتعزيز الإعتقاد بأن هذه المسألة (الصدئة) تحمل دلالات فوق ما يوحي به بادئ الظن وعاجل الوهم والخاطر.

وليس يخفى على احد ان السيرة القادرية قد احتلت مكانا فسيحا في مصادرنا العربية الاسلامية وفي حياتنا الثقافية الاتباعية، والحقيقة ان الذي يتابع المعلومات المتناقضة للمسألة المقصودة، يأخذه الذهول والانبهار، اما الذي يدقق في هذه المعلومات المتناثرة هنا وهناك، وينظر فيها من اجل الفهم والرؤية، فأن عليه ان يعد نفسه لحالة من الاعياء الشديد. واليوم تبدو لي الامور مختلفة كل الاختلاف عن كل ماقيل في هذه المسألة، اذ بت ازعم ان مجموعة من الاخطاء قد وقعت، وان النظر ينبغي ان يرجع من جديد في دراسة المسألة برمتها.
وانا، اذ اعاود النظر في هذه القضية المعقدة، ادرك منذ البداية انني اخوض معركة (المسلمات) هي خصمي الالد فيها، وانني اسير تماما ضد الاتجاه المعاكس لمجرى التيار، وذلك عند امرين على الاقل:

الاول: انني ارى ان أنأى (بالموضوع) نأيا يشبه ان يكون تاما عن (المردد)، وان ارد الامور الى نصابها في هذا الشأن (لحساب التأريخ).

الثاني: وهو الاخطر والاجل، انني اريد ان انظر في المسألة لا بما هي قضية خلافية، وانما بما هي (حالة) يجب ان تخضع للفحص والتدقيق ورفع الغطاء عما ردد بلا تحقيق ونظر.

بيد انه لابد لي –وقد افصحت مرة واحدة تقريبا عن المقاصد البعيدة لهذا العمل– من ان ابين للقارئ، معطيات المسألة والتي جيرت بتعميم غير دقيق، الى جيلان الطبرستان.

3- نظرات:

إن أول القضايا وأهمها هي -ولا شك- تلك التي تتعلق بالمصادر والمراجع التي يمكن استخدامها ضمن دراستنا هذه، وعليه فإن أول ما نلاحظه هو أن المصادر والمراجع المتوافرة لدينا هي كثيرة وشحيحة معاً، وأن المصادر التي تضم معلومات مبكرة عن شخصية الشيخ عبد القادر الجيلي، ومحل ولادته هي بطبيعة الحال مصادر من القرن السادس الهجري[1]، أي إنها مصادر معاصرة له ولكنها على أهميتها لاتتجاوز، اصابع اليد الواحدة.

وأما المصادر المتأخرة، وهي عديدة، فإنها تنتشر من القرن السابع وحتى عصرنا الحديث، وتستمد معلوماتها من المصادر المبكرة، بطريقة كلاسيكية، مما يجعل اهميتها ثانوية.

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 260، وابن الاثير، الكامل، ج 9، ص240، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8، ق 1، ص 119، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 97، وابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص 51، وابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الامصار، (تحقيق بسام محمد بارود)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ج 8، ص 167، والصفدي، الوافي بالوفيات، ط1، (تحقيق احمد الأرناؤوط، تركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000. ج 8، ص 76 ، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 6، ص 60. الاسنوي، طبقات الشافعية، ج 2، ص 113، وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 242، والجامي، نفحات الأنس، ج 2، ص 520، والمناوي، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 649.

أ – الماضي المبكر:

من أهم المؤرخين الاوائل، السمعاني (نموذجا)[1]، هو العلاَّمة الحافظ، تاج الإسلام، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر التميمي السَّمعاني المَرْوزي.

والسَّمعاني –بفتح السين المهملة، وسكون الميم، وفتح العين المهملة، وفي آخرها النون– نسبة إلى (سمعان) وهو بطن من تميم كما قال المؤلف نفسه. قال المعلِّمي اليماني رحمه الله: "وليس معنى هذا أنه بطن قديم معروف في الجاهلية، فإن علماء النسب لا يعرفون ذلك، وإنما سمعان – والله أعلم– تميميٌّ كان هو أو ابنه في زمن الصحابة، وكان فيمن غزا مرو، واستوطنها، وكثر بنوه فنُسبوا إليه، وبذلك صار بطناً من تميم".

مولده ونشأته:

ولد أبو سعد بمدينة مرو (احدى مدن تركمانستان حاليا) يوم الاثنين الحادي والعشرين من شعبان سنة ست وخمسمئة هجرية، وما أن بلغ سنتين أو نحوهما حتى كان أبوه يحضره مجالس المحدِّثين، ويكتب له ما أملَوه أو قرئ عليهم وهو حاضر، ويثبت ذلك ويصححه ليكون أصلاً يرجع إليه ولده ويروي منه إذا كبر. ولم يكتف أبوه بذلك بل رحل به – وعمره ثلاث

[1] انظر: ابن الأثير، كتاب اللّباب، ج 1، ص14؛ الذّهبيّ، سير أعلام النّبلاء، ج 20، ص 456؛ السّبكيّ، طبقات الشّافعيّة الكبرى، ج 7، ص 180.

سنوات– إلى نيسابور، وأحضره لدى كبار محدِّثيها وسمع له منهم. ويتوفى الأب سنة عشر وخمسمئة وعمرُ أبي سعد حينئذ ثلاث سنين وخمسة أشهر، فكان وصيُّه وعمَّاه خيرَ خلف لخير سلف، فالبيئة صالحة فاضلة، والعناية والرعاية مستمرتان، وفي ذلك ما يغني عن الكلام في تنشئة هذا الغلام تنشئة علميَّة رفيعة، كان نتاجها أن حفظ القرآن الكريم، وتعلَّم الفقه والعربيَّة والأدب، وصار يسمع الحديث مع عمَّيه، ثم بعد أن قارب العشرين صار يسمع بنفسه.

رحلته في طلب العلم:

تاقت نفس الشاب إلى الرحلة سعياً وراء التحصيل، وألحَّ على أوصيائه أن يأذنوا له بالسفر إلى نَيْسابور ليسمع "صحيح مسلم" من المتفرد به المعمَّر الثقة أبي الفضل الفراوي الذي طال عمره، وأصبح يتوقع كل يوم موته، وإذا مات ولم يسمع منه أبو سعد كانت حسرة في قلبه لا تندمل، فلم يأذنوا له حتى جاوز عمره الثانية والعشرين من السنين، ولم يسمحوا له بالسفر وحده بل سافر معه أحد عمَّيه.

وبعد أن أتم أبو سعد سماع "صحيح مسلم" في نيسابور انتقل منها إلى غيرها بحيث طوَّف في أكثر مراكز العلم في الدنيا عدة سنوات، وعمَّت رحلته بلاد خراسان وأصبهان وما وراء النهر والعراق والحجاز والشام وطبرستان، ثم عاد إلى وطنه مرو سنة سبع وثلاثين أو ثمان وثلاثين وخمسمئة، وكان ذلك كله قبل زواجه.

ثم بعد أن تزوج ورُزق بأبي المظفر عبد الرحيم رحل به إلى نَيْسابور ونواحيها وبلخ وسَمرقند وبُخارى... ثم عاد إلى مسقط رأسه، وألقى عصا السفر والترحال بعدما شقَّ الأرض شقاً، وأقبل على التصنيف والإملاء والوعظ والتدريس.

مؤلفاته وثناء العلماء عليه:

سرد ابن النَّجار –نقلاً عن السَّمعاني نفسه– أسماء تصانيفه التي تزيد على الخمسين ثم قال: "سمعت من يذكر أن عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ، وهذا شيء لم يبلغه أحد، وكان مليح التصانيف، كثير النشوار والأناشيد، لطيف المزاج، ظريفاً، حافظاً، واسع الرحلة، ثقة، صدوقاً، ديِّناً. سمع منه مشايخه وأقرانه، وحدَّثنا عنه جماعة".

وقال فيه الذهبي:"الحافظ البارع العلاَّمة... وكان ذكيّاً فَهِماً، سريع الكتابة مليحها. درَّس وأفتى، ووعظ وأملى، وكتب عمَّن دبَّ ودرج... وكان ثقة، حافظاً، حجَّة، واسع الرحلة، عدلاً، ديِّناً، جميل السيرة، حسن الصحبة، كثير المحفوظ..." .

وقال ابن العماد: "وفيها –يعني سنة اثنتين وستين وخمسمئة– الحافظ أبو سعد السَّمعاني، تاج الإسلام عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي

الشافعي، محدِّث المشرق، وصاحب التصانيف الكثيرة، والفوائد الغزيرة، والرحلة الواسعة...".

وفاتــه:

بعد هذا التطواف المستمر، والعمل الدؤوب أفلتْ شمس هذا العالم الحاذق، ليُسجَّل اسمه في سجل الخالدين، وذلك بمرو سنة اثنتين وستين وخمسمئة، وله من العمر ست وخمسون سنة[1].

يذكر محمد التاذفي في كتاب قلائد الجواهر: أن السمعاني يتحدث عن الجيلي في كتابه ذيل تاريخ بغداد. والواقع أن ما يذكره الذيل من معلومات هي تقليدية، من إنه فقيه حنبلي ورجل ورع، ينسب لطبرستان وهذا القول ينطبق على كتابه الانساب ايضا ومن المفيد هنا، ان "مصطفى جواد" في كتابه "مختصر الانساب للسمعاني" يشكك ان يكون الشيخ عبدالقادر الجيلي هو المقصود بعبارة (ومنها عبد القادر ابو محمد) وهي الصيغة المستعملة في الانساب، ويقول هذه الكلمة لا تكفي ان تكون دليلا على طبرستانية الجيلي[2]، والسمعاني لم يحدد مصدر معلومته او ممن نقلها، مما يترك، علامة استفهام كبيرة حول المعلومة والتي اعتمدها من بعض جاء بعده

---

[1] السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الانساب، تحقيق مرجليوث، مطبعة بريل، ليدن، 1912، ص 510، والتادفي، محمد بن عيسى، قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر، دار الباز، فلوريدا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1998، ص197، وجواد ، مصطفى، مختصر الانساب، مخطوطة فريدة بخط الدكتور مصطفى جواد، كتبت بخطه الجميل والدقيق، ص 139، وهي ملك الدكتور حسين علي محفوظ، وكان –رحمه الله– قد اطلعني عليها سنة 1997، وهذا الكتاب موثق ومذكور في كتاب (في التراث العربي للدكتور مصطفى جواد، بتحقيق محمد جميل شلش وعبدالحميد العلوجي، منشورات وزارة الاعلام العراقية سنة 1977،ص57.

[2] ابن الاثير، المصدر السابق، ج8، ص132.

من المترجمين للجيلي، والمرجح انه اعتمد على المسموع لا الحقيقة خصوصا وهو من مرو لا من بغداد[1].

---

[1] انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 12، ص 114 (الرقم 6559)، والسمعاني، الانساب، ج 3، ص 176، وابن الاثير، الكامل، ج 8، ص 351، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج 22، ص113، وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 104، وامنة محمد نصير، ابو الفرج بن الجوزي، ص202.

ب – مؤرخ لا يجامل احدا:

ومن المؤرخين المهمين أيضا ابن الجوزي البكري البغدادي (ت 597 هـ)[1]، هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر وينتهي إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه). عاش حياته في الطور الأخير من الدولة العباسية، حينما سيطر الأتراك السلاجقة على الدولة العباسية. وقد عرف بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره بواسط ولم تكن بالبلدة شجرة جوز سواها، وقيل: نسبة إلى فرضة الجوز وهي مرفأ نهر البصرة. حظي ابن الجوزي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون، وبلغت مؤلفاته أوج الشهرة والذيوع في عصره، وفي العصور التالية له، ونسج على منوالها العديد من المصنفين على مر العصور.

وقد توفي أبوه وهو في الثالثة من عمره فتولت تربيته عمته، فرعته وأرسلته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ ببغداد، فحفظ على يديه القرآن الكريم، وتعلم الحديث الشريف، وقد لازمه نحو ثلاثين عامًا أخذ عنه الكثير حتى قال عنه: لم أستفد من أحد استفادتي منه.

شيوخة وأساتذته تعلم ابن الجوزي على يد عدد كبير من الشيوخ، وقد ذكر لنفسه (87) شيخًا، منهم: أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر [467–550 هـ = 1074– 1155م]: وهو خاله، كان

[1] انظر: ابن كثير، البداية والنّهاية، ج 13 ص34؛ ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج 2، ص 458؛ ابن العماد، شذرات الذّهب، ج 4، ص 329.

حافظًا ضابطًا متقنًا ثقة، وفقيهًا ولغويًا بارعًا، وهو أول معلم له. أبو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر الجواليقي [465-540هـ = 1072م-1145م]: وهو اللغوي المحدث والأديب المعروف، وقد أخذ عنه اللغة والأدب. أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري المعروف بابن الطبري [435-531ه =1043-1136م] وقد أخذ عنه الحديث . أبو منصور محمد بن عبد الملك بن الحسين بن إبراهيم بن خيرون [454-539هـ = 1062-1144م] وقد أخذ عنه القراءات.

منزلته ومكانته:

كان ابن الجوزي علامة عصره في التاريخ والحديث والوعظ والجدل والكلام، وقد جلس للتدريس والوعظ وهو صغير، وقد أوقع الله له في القلوب القبول والهيبة، فكان يحضر مجالسه الخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء والأعيان، وكان مع ذيوع صيته وعلو مكانته زاهدًا في الدنيا متقللا منها، وكان يختم القرآن في سبعة أيام، ولا يخرج من بيته إلا إلى المسجد أو المجلس، ويروى عنه أنه كان قليل المزاح . يقول عن نفسه: "إني رجل حُبّب إليّ العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يحبب إلي فن واحد بل فنونه كلها، ثم لا تقصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه، والزمان لا يتسع، والعمر ضيق، والشوق يقوى، والعجز يظهر، فيبقى بعض الحسرات"[1].

[1] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 10، ص185.

وهو من معاصري الشيخ عبد القادر الجيلي (مكانا وزمانا—ابن بغداد)، والذي توفي بعد ربع قرن من الجيلي، ومدة ذيوع صيته تتوافق مع مدة شهرة الجيلي، وفي مخطوطة كتابه عن الشيخ عبد القادر الجيلي ويعدها الكثير من الباحثين مفقودة، وتوجد نسخة منها في مكتبات السوربون، نقل منها نصوصا مجتزأة الدكتور مصطفى جواد في كتابه أصول التاريخ والأدب[1]، ومن المؤكد ان البروفيسورة الفرنسية، جاكلين شابي "الاستاذة في جامعة السوربون"، اطلعت عليها وقت كتابتها لبحثها في حياة الجيلي[2]، يحدد ابن الجوزي ان الجيلي من بلاد الرافدين ومولود في الجيل (العراقية)[3]، واعتمد ابن الجوزي، في كتابه "المذكور" والمسمى "درر الجواهر من كلام الشيخ عبد القادر" على كونه ابن بغداد وأهل مكة أدرى بشعابها، ولا صحة للعداوة بين الجيلي وابن الجوزي والتي اعطيت اكثر من حجمها، وذكر هذا "الكتاب الوثيقة" ووثقه، التادفي في قلائد الجواهر، ص21، ويوسف زيدان في تحقيقه للديوان، ص41، ومع أن ابن الجوزي كان من أشد نقاد الصوفية إلا أن نقده الذي ضمنه كتابه "تلبيس إبليس" جاء نقداً لمظاهر بعض الصوفية دون أن يذكر فيه شيئاً عن الكبار أمثال الجيلي، والمرجح أن ابن الجوزي كان يعدّه من رجال التصوف الملتزم، وهو الموقف الذي تبناه ابن تيمية فيما بعد.

أما كتابه "المنتظم في تاريخ الملوك والامم" فقد جاءت فيه أخبار الجيلي على نحو موجز وذلك بشهادة سبطه وابن الاثير. وقد وجد الباحث

[1] جواد، مصطفى، أصول التاريخ والادب، مخطوطة جواد مصطفى جواد، ج 23، ص461.

[2] جاكلين شابي، عبد القادر الجيلاني بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الأدبية، (ترجمة الدكتور حسن سحلول)، مجلة التراث العربي، العدد (70)، السنة (18)، كانون الثاني، 1998، ص2.

[3] ابن الجوزي، كتاب، درر الجواهر من كلام الشيخ عبد القادر، مخطوطة سالم الالوسي، ص8.

في "الكامل" لابن الأثير (ت 630 هـ) رقيباً ناقداً لما أورده ابن الجوزي من تراجم الصوفية وأخبارهم.

وتابع سبط ابن الجوزي (ت 654 هـ) في كتابه "مرآة الزمان" أكثر ما أورده جده إلا أنه كان ناقداً لمواقف جده تجاه بعض آل الجيلي.

وابن الجوزي يشغل بين المؤرخين مكاناً مهما، بصفته معاصراً للشيخ عبد القادر الجيلي وكان قريبا منه سكنا، وهو صاحب مصداقية تاريخية أكبر بكثير من تلك التي يتمتع بها بعض الكتاب المتأخرون، كونه لا يجامل احدا وصاحب صرامة ودقة وحدادة محسوبه له، توفي عام 597هـ/1200م.

ج– عيون التواريخ:

تجدر الإشارة إلى أنّ هناك عددًا كبيرًا من المؤرخين المعاصرين، يتناولون الشيخ عبد القادر الجيلي دون الخوض في موضوعة جيلان وتحديد موقعها، كابن الأثير الشافعي الأشعري: توفي عام 630هـ/1233م، وشهاب الدين السهروردي الشافعي: توفي عام 632هـ/1234م. وكان له من العمر نحو عشرين عاماً عند وفاة الجيلي، و هو يذكر الجيلي اسماً في كتابه عوارف المعارف بخصوص زواج الزاهد. وابن النجار الشافعي: توفي عام 643هـ/1245م وابن عربي: المفكر الصوفي الشهير. توفي عام 643ه/1210م. ويذكر الجيلي نصاً في كتاب الفتوحات المكية[1]، وغيرهم.

[1] رؤوف، عماد عبد السلام، مدارس بغداد، ص96.

3- أمّا طبقة المؤرّخين المتأخّرين فأهمّهم:

أ- علي:

نور الدين الشطنوفي: علي بن يوسف المصري الشافعي، والشطنوفي من اعلام عصر المماليك في مصر فهو كان شيخ المقارئ المصرية في عصره وله مكانة كبيرة في تاريخ التصوف الإسلامي. والشّطّنوف (بفتح اوله وتشديد ثانيه وفتح النون واخره فاء)، نسبة إلى قرية شطنوف (وهي بلدة في مصر من نواحي كورة الغربية عنده يفترق النيل فرقتين، فرقة تمضي شرقياً إلى تنيس ودمياط وفرقة تمضي غربياً إلى رشيد، على فرسخين من القاهرة. وشطنوف: من كورة الغربية بينها وبين القاهرة مسيرة يوم واحد) وهي اليوم من نواحي مركز اشمون بمديرية (محافظة) المنوفية. ولد في القاهرة عام (644هـ) وتوفي بها عام (713هـ). قال الأمام الذهبي في كتابه (معرفة القراء الكبار)، وهو محقق في القاهرة من قبل محمد سيد جاد الحق: "لقد حضرت مجلس أقرائه وأستأنست بسمته وسكونه"، وكان الشطنوفي ذا غرام كبير للشيخ عبد القادر الجيلاني. جمع أخباره ومناقبه فيها ما يقرب ثلاث مجلدات. تلقى العلوم على يد شيوخ عصره، درس اللغة العربية والفقه على المذهب الشافعي إلى أن أصبح عالماً يُشار اليه بالبنان في القراءات والنحو واللغة والفقه وجلس للتدريس بالجامع الطولوني وجامع الحاكم والجامع الأزهر. تصدر للأقراء في الجامع الأزهر في القاهرة وتكاثر عليه الناس لأجل الفائدة منه

ويروى انه عمل على الشاطبية، شرحاً جيداً.ويعد بهجة الأسرار، أهم مؤلفات الشطنوفي وبهِ عرف وبهِ أرتبط اسمهُ، حيث شُغف المؤلف بحب الشيخ عبد القادر ودّون فيه كتابه في ثلاث مجلدات موزعة على واحد وأربعون، وتكمن أهمية (البهجة) أن مؤلفها أول من افرد كتابا عن المترجم له وهو أقدم من أشتغل بها كسيرة شخصية، حيث أن الشطنوفي ولد عام 644هـ/1246 م، والشيخ عبد القادر الجيلاني توفي عام 561هـ/1163م، وهذه المدة القصيرة نسبياتسمح لمن يكتب أن يسمع ويدون، ممن عاصر او سمع.

توفي في العصر المملوكي عام 713هـ/1314م. شيخ المقارئ المصرية، صاحب كتاب بهجة الأسرار و معدن الانوار وهو أشهر كتاب عن عن حياة الجيلي من الطراز الإخباري بكل معنى الكلمة والشطنوفي رجل جمع روايات وأخبار وآثار، نقل كل ما أثر عن الشيخ عبد القادر أو نسب له من خوارق العادات من غير تدقيق أو تمحيص أو نظر أو تأمل مما يردُه الشرع وينكره العقل ألا أنه نقل أيضاً أخباراً وروايات صحيحة وحقيقية متوفرة ومشهورة، فهل يجوز تجاوز الكتاب لأنه نقل الصحيح وغير الصحيح.

إن للشطنوفي ميزةً فهو لا يتحدث إلا بالأسانيد وهو أمر قام به قبله كبار المؤرخين مثل المؤرخ الطبري (ت 310 هـ/912م) في (تاريخ الأمم والملوك). إذ إن نقل الروايات منهج إسلامي أصيل حيث تترك عملية التحليل للباحث. وكما قال الطبري متحدثاً عن الخبر (فإن كان ثقةً فاقبَل

وإن لم يكن ثقةً فلا تقبل)[1]. ولقد نقده كاتب متأخر هو ابن رجب، وكتاب التاذفي قلائد الجواهر هو تلخيص لكتاب البهجة، والكتاب له نشرات تجارية عدة وهي سقيمة، وقد قمنا بتحقيقه، اعتمادا على مخطوطة نادرة وفريدة، كان قد نسخها، الدكتور مصطفى جواد من السوربون "أيام دراسته هناك"، يذكر فيها ان الشيخ عبد القادر الجيلي من مواليد جيل العراق، قرب المدائن وكذلك مخطوطتي بهجة الاسرار، الخاصة بجامعة برنستون، ومكتبة الكونكرس[2]، اما في نشراته التجارية فتورد ان الجيلي ولد في الطبرستان، مع تردد واضح لأي مدينة ينسب، مما يدلل ان الكتاب تعرض للتحريف، من الناسخين عبر العصور، وتكمن أهمية مخطوطة (البهجة) في أن أغلب ما كتب بعدها اعتمد عليها قديماً وحديثاً بل إن منها ما كان عملية نقل فصول كاملة مثل (الدر الفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر) لزين الدين عبد الرحمن بن محمد البسطامي السائح الحنفي (858 هـ/1454م) و(قلائد الجواهر) لمحمد بن يحيى التادفي الحنبلي (963هـ/1555م)، و(تحفة الأبرار) ليحي بن أحمد الجيلاني (1113هـ/1701م) و(الجني الداني) لجعفر البرزنجي (1177هـ/1763م)، و(الفتح المبين) لظهير الدين القادري، وهو السيد {عبد الرحمن الكيلاني النقيب} (1110هـ)، مع ملاحظة ان العديد من المخطوطات القادرية، ما هي الا مختصرات للبهجة في نسخها المختلفة، وأما الدراسات الحديثة فقد اعتمدت عليها بشكل كبير مثلا: كتاب (الشيخ عبد القادر الكيلاني تاج الأولياء) لعبد الله السامرائي، وهو مازال مخطوطة أكمل تأليفه رحمه الله عام 1996، وكتاب

---

[1] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/923م)، تاريخ الأمم والملوك، ج 1، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1965، ص5، والكيلاني، جمال الدين فالح، المصدر السابق، ص129.

[2] البلاطي، علي محمود، عبد القادر الجيلاني (رسالة ماجستير)، ص 42.

(هكذا ظهر جيل صلاح الدين) للكيلاني، ماجد عرسان، دار الرسالة، بيروت، 1999؛ و(عبد القادر الجيلاني ومذهبه الصوفي)، لسهيل، جعفر صادق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية إدارة العلوم، جامعة القاهرة، 1975، إذ لا يكاد يخلو فصل من فصولها من هوامش لكتاب (البهجة)؛ و(عبد القادر أديباً) لإيمان كمال مصطفى، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، مطبعة الوقف، بغداد، 2008؛ ورسالة القحطاني، سعيد، الشيخ عبد القادر وآراؤه الاعتقادية والصوفية، أطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية الدعوة، جامعة أم القرى، الرياض، 1997، أما رسالة الماجستير (صوفية بغداد) التل، عمر، الجامعة الاردنية 2008، فقدت اعتمدت على (بهجة الاسرار) بشكل رئيس وفي أغلب صفحات الرسالة تقريبا وغيرها، وهناك العديد من المخطوطات والمصادر والمراجع اعتمد على البهجة دون ان تشير اليه في المصادر[1].

---

[1] الشطنوفي، المصدر السابق، ص148.

ب – عمر:

عمر بن علي بن أحمد، سراج الدين أبو حفص الأنصاري، الشافعي المعروف بابن الملقن، (ت 804هـ/1401م). قال فيه الحافظ العلائي: الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث الحافظ المتقن سراج الدين شرف الفقهاء و المحدثين فخر الفضلاء[1]. وقال الشوكاني: إنه من الأئمة في جميع العلوم, وقد اشتهر صيته وطار ذكره وسارت مؤلفاته في الدنيا. وقال أيضا: وقد رُزق الإكثار من التصنيف وانتفع الناس بغالب ذلك[2]. وقال السيوطي: الإمام الفقيه الحافظ أحد شيوخ الشافعية وأئمة الحديث: ويتحدث في كتابه درّ الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، عن ولادة الشيخ عبد القادر، في أرض السواد، متطرقا، إلى ارتباط الشيخ عبد القادر بأرضها من سياحته الأولى، وإنه لم يدخل أو يخرج من العراق إلا للحج، مستندا بذلك الى رواية يرجعها الى ولده عبد الوهاب بن عبد القادر[3].

---

[1] العلائي، عقيلة الطالب، 231، الخيون، رشيد، الاديان والمذاهب في العراق، دار الجمل، المانيا، 2004، ص 86، 319، 323، 455.

[2] الشوكاني، البدر الطالع، ص341.

[3] انظر: السمعاني، الانساب، ج 4، ص503، وابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 280، وابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 3، 205–208، والذهبي، تاريخ الاسلام، ج 30، ص170–175، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج 19، ص 63–64، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 5، ص 153–161، والاسنوي، طبقات الشافعية، ج 2، ص 157–158، وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 131، ابن الملقّن، درّ الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، مخطوط في مكتبة طلعت المصرية تحت رقم 839/تصوّف.

ج – السائح :

و لا يفوتنا ان نذكر المؤرخ الامام زين الدين عبد الرحمن بن محمد البسطامي الحنفي السائح المتوفي سنة 858 هجرية في مدينة بروسة وقبره هناك (تركيا)، وله مكانة مرموقة بين علماء القرن التاسع الهجري، نتيجة إسهامه الكبير في دفع عجلة الفكر والتقدم العلمي والادبي من مؤلفاته التي تزيد على الاربعين مؤلفا في مختلف العلوم، مثل التفسير والحديث والفقه والوقوف على التواريخ وهو خبير في علم الطب، ويقول في كتابه الدر الفاخر في مناقب الشيخ عبدالقادر،"ولد في الجيل وهي قرية من قرى بغداد" نقلا عن مخطوط قديم لبهجة الاسرار ومعدن الانوار للشطنوفي، (قال الشطنوفي –رحمه الله تعالى–: اخبرنا الفقيه ابو عبدالله محمد بن الشيخ ابي العباس احمد بن عبد الواسع بن اميركا بن شافع الجيلي الحنبلي، قال جدي عبد الواسع، قال ذكر ابو الفضل احمد بن صالح بن شافع الجيلي الحنبلي –رحمه الله تعالى– ان مولد الشيخ محي الدين عبدالقادر الجيلي –رضي الله عنه– سنة احدى وسبعين واربعمائه بالجيل من قرى بغداد وانه دخل بغداد سنة ثمان وثمانين واربعمائة وعمره ثماني عشرة)[1].

[1] انظر: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج 1، ص 208، وأبو شامة، شهاب الدين. تراجم الرجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط 2، ص 12، والشطنوفي، بهجة الأسرار، ص 241، والذهبي، المختصر المحتاج إليه،

د- محافظون:

أما، ابن تيمية: المتوفَّى عام 728هـ/1328م. والذهبي: المتوفَّى عام 748هـ/1348م. وابن كثير: المتوفَّى عام 774هـ/1373م، وابن رجب المتوفَّى عام 795هـ/1392م مؤلف كتاب ذيل على طبقات الحنابلة، فهم لا يتحدثون، عن ولادته بدقة، ويمكن الإفادة بشكل عام من كتاباتهم، ولكن في كتابه شخصية الشيخ الجيلي فقط[1]، إن المصادر المتأخرة عن هذه المدة وفيرة، ولكنها تكرر نفسها تماما، وكل من جاء بعدهم، نقل عنهم، وبشكل رتيب ومكرر ونستطيع عمل ببليوغرافيا خاصة بالمؤلفات والكتب التي تناولت الشيخ الجيلي بشكل جامد وعلى وتيرة واحدة، لا يختلف فيها، الا اسم المؤلف وعنوان الكتاب، اما المضمون فهو ثابت، الا من كلمة هنا وكلمة هناك او تقديم هنا وتاخير هناك وهذا ظلم لهذه السيرة ولم تبداء بشائر التجديد في دراسة السيرة القادرية الا مع شيخنا الدكتور ماجد عرسان الكيلاني في كتابه هكذا ظهر جيل صلاح الدين.

ص 258 (الرقم 94). تاريخ الاسلام، ج 42، ص 134. وينظر ج 41، ص 77. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 19، ص 204 (الرقم 7412)، وابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج 1، ص 388 (الرقم 196)، والتادفي، قلائد الجواهر، ص 89، وابن العماد، شذرات الذهب، ج 6، ص 514، وابن الملقن، درر الجواهر في مناقب الشيخ عبدالقادر، ص64، مخطوط بمكتبة طلعت المصرية تحت رقم 839 تصوف، والبسطامي، زين الدين، الدر الفاخر في مناقب الشيخ عبدالقادر، دراسة وتحقيق، علي محمد علي البلاطي، رسالة ماجستير غير منشورة، 1999، ص175–178، ومن الغريب ان المحقق لم يعلق على هذه العبارة المهمة واكتفى بنقل نص كلاسيكي لياقوت "جيلان اسم لبلاد كثيرة وراء طبرستان ....وهناك جيل قرب بغداد" ص78.

[1] السامرائي، عبدالله سلوم، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، تاج الاولياء، ص72.

4- إشكالية:

وهنا نصرح بوجود خلاف في تحديد محل ولادة الشيخ عبد القادر الجيلي، بين المؤرخين والجغرافيين، ولا صحة لرواية ولادته في جيلان الطبرستان (المتداولة: والمسلَّم بها نتيجة التراكم غير الدقيق)، لإن أغلب من ذكرها اعتمد على رواية واحدة، رُدِّدت من دون نظر أو تحقيق، معتمدين على الطريقة الإخبارية في النقل والكتابة التاريخية الكلاسيكية.

5- *لمحة عن جغرافية العراق التاريخية:*

قسم العرب بلاد ما بين النهرين إلى إقليمين، الأسفل والأعلى، وعرف الأسفل باسم العراق وهو ذو أرض رسوبية خصبة، وعرف الإقليم الأعلى بالجزيرة وهي سهول صخرية تحيط بها مياه أعالي الفرات ودجلة والأنهار التي تصبّ فيها جنوبي السهول الصخرية، ومعنى العراق الجرف أو الساحل، وكان العرب يسمون السهل الرسوبي بأرض السواد واتّسع مدلول كلمة السواد حتى صارت هي والعراق لفظين مترادفين في الغالب.

أما الحدّ الطبيعي بين إقليمي الجزيرة والعراق فحدد بخط يبدأ من دجلة عند تكريت ويتجه غرباً إلى الفرات ثم يعبره أسفل من عانة بشيء يسير، ومن جنوب هذا الخط يبدأ السواد.

وكان العرب يسقون أرض ما بين النهرين بتحويل الفائض من ماء الفرات إلى عدد من الأنهار تأخذ من الفرات إلى دجلة فتسقى سهول ما بين النهرين، وأما الأرض الواقعة شرقي دجلة فكانت تسقى إما من الأنهار المنحدرة من جبال إيران، وإما من أنهار تخرج من دجلة متجهة شرقاً ثم تعود إليه.

والأنهار التي تحمل من الفرات إلى دجلة أربعة: نهر عيسى الذي بنى الخليفة المنصور فوق مصبه المدينة المدورة، ونهر صرصر وهو يجري بموازاة نهر عيسى، ونهر الملك وكانت على ضفافه مدينة يقال لها نهر الملك جنوب صرصر، ونهر كوثى أسفل نهر الملك، والنهران الأخيران يقع مصباهما أسفل قرية جيل قرب مدينة المدائن وهناك من يقول انها عند التقاء نهر ديالى بالدجلة، وهي منطقة تاريخية معلومة، نسب إليها العديد من الأعلام[1].

[1] ينظر: جواد، الدكتور مصطفى، سوسة، الدكتور احمد (1958). دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، المجمع العلمي العراقي، بغداد. ص 242–243، ولسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نهر عيسى، ص 48، نهر صرصر ص50، نهر الملك ص93، نهر كوثى ص 94.

6- درب التاريخ الصعب:

أ – مقابسات:

ويؤكد نسبته الى (جيل العراق)، عدد من المؤرخين منهم: ابن الجوزي، في كتابه عن الشيخ عبد القادر والمسمى بـ(درر الجواهر من كلام الشيخ عبد القادر)، وكتابه (درر العقود)[1]، وشمس الدين بن ناصر الدمشقي في (تاريخه)[2]، و علي بن سعيد في (جغرافيته)[3]، والشطنوفي، في (بهجة الاسرار ومعدن الانوار)، واليافعي في (خلاصة المفاخر في ترجمة الشيخ عبد القادر)، والبسطامي في (الدر الفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر)[4]، والعلامة مصطفى جواد في كتابيه (أصول التاريخ والأدب)، و(مختصر الانساب)[5]، والمؤرخ حسين علي محفوظ في (سيرة حياة)[1]، والمؤرّخ جعفر

---

[1] ابن الجوزي، درر الجواهر من كلام الشيخ عبد القادر، مخطوطة نادرة في بضع صفحات عند العلامة سالم الالوسي، ص3، وذكر هذا الكتاب ووثقه، التادفي في قلائد الجواهر، ص21، ويوسف زيدان في تحقيقه للديوان، ص41، ودرر العقود (بضع صفحات منه فقط)، مخطوط الاسكوريال، رقم582/8 الورقة 981 مصورة سالم الالوسي.

[2] ينظر: كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني تاج الاولياء، للدكتور عبدالله سلوم السامرائي، ص 19.

[3] ابن سعيد، علي، الجغرافية، (مخطوط مصور مكتوب في ورقته الاولى انه من القرويين وبين قوسين (كتاب في الجغرافية لابن سعيد) – مصور لدى الدكتور علي البلاطي) ورقة 95.

[4] الشطنوفي، بهجة الاسرار بتحقيق جمال الدين فالح الكيلاني، 291 واليافعي، وابن سعيد، خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر، مخطوط جامعة برنستون، مصورة السيد عبد الستار هاشم سعيد الكيلاني، ورقة 12، والبسطامي، الحنفي، الدر الفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر 175 وما بعدها مع ضرورة الرجوع للمخطوط الاصلي ورقة 87.

[5] جواد، مصطفى، المصدر السابق،ج 32، ص743.

خصباك في دراسته عن الاحتلال المغوليّ[2]، والمؤرخ عباس بن جواد الشافعي البغدادي في كتابه (نيل المراد في تاريخ اهل بغداد)[3]، والدكتور خاشع المعاضيدي في كتابه (أعالي الرافدين)[4]، والمؤرخ التركي، شمس الدين سامي، في موسوعته (قاموس الاعلام)، والمفكر الفرنسي الدكتور محمد أركون في مقابله معه في جريدة "الشرق الأوسط" والمفكر الماركسي هادي العلوي في حواره في جريدة الحياة الدولية والدكتور عماد عبد السلام رؤوف[5] وغيرهم و تحدث عنها الدكتور يوسف زيدان، مطولا في كتابيه (عبد الكريم الجيلي وكتابه باز الله الاشهب)[6]، والدكتور عماد عبد السلام رؤوف في مقالته عن عبد الكريم الجيلي {حفيد الامام عبد القادر الجيلي والمولود في جيل العراق ايضا}[7] وغيرهم وتؤكد جميع المصادر أن الشيخ عبد القادر لم يكن مهتمًا بموضوعة الاصل والفصل وهذا معروف[8]، مما فتح الباب لأن يُنسب لطبرستان، أو غيرها، والامام عبد القادر لم يعلق على ذلك، شأنه شأن موضوعة نسبه، مما يتناسب مع شخصيته، على حد قول العلامة

---

[1] محفوظ، حسين، سيرة حياة، المنشورة في جريدة البيان، البغدادية، العدد 867 (صفحة خاصة بسيرته).

[2] جعفر خصباك، الاحتلال المغولي للعراق (656هـ/1258م) مقدماته وعوامله ووقائعه، مجلّة العلوم ببغداد، العدد 3 (بغداد: مطبعة الرابطة، 1378هـ/1958م، ص23.

[3] البغدادي، عباس، نيل المراد في تاريخ اهل بغداد، مخطوط فريد فرغ منه مؤلفه في شعبان سنة 1333هـ، مخطوطة محيي هلال السرحان، ورقة 65.

[4] المعاضيدي،خاشع، اعالي الرافدين، ج 2، ص77.

[5] سامي، شمس الدين، قاموس الاعلام، ص3087، حوار مع المفكر الفرنسي–الجزائري الدكتور محمد أركون في جريدة الشرق الأوسط، حاوره صلاح عواد، لندن، 2006/5/23، حوار هادي العلوي في جريدة الحياة الدولية الثلاثاء 23 تموز (يوليو) 1996 الموافق 8 ربيع اللأول 1417هـ/العدد 12202، حوارات متعددة مع شيخي واستاذي الدكتور عماد عبد السلام رؤوف.

[6] زيدان، يوسف، عبد الكريم الجيلي، ص15.

[7] رؤوف، عماد عبد السلام، عبد الكريم الجيلي، ص 11، مستلة من مجلة الاستاذ/كلية التربية/جامعة بغداد.

[8] ابن كثير، المصدر السابق،ج 9، ص155.

مصطفى جواد في تعليقاته على كتاب تكملة اكمال الاكمال، وغيره من المصادر والمراجع[1].

ب – ملحمة الديمغرافية :

يقول الجغرافي ياقوت في معجم البلدان: الجيل قرية من اعمال بغداد تحت المدائن بعد زرارين ويسموها الكيل وقد سماها ابن الحجاج – الكال– قال:

لعن الله ليلتي بالكال * إنها ليلة تعر الليالي[2].

ويقول الشطنوفي، في بهجة الاسرار ومعدن الانوار والجيل قرية بشاطئ الدجلة على مسيرة يوم واحد من بغداد تحت المدائن بعد زرارين، وفيها ولد شيخ الإسلام عبد القادر وإليها نُسب[3]، وأغلب سكانها من "الاكراد" النازحين من كردستان الكبرى المترامية الاطراف وبالذات من قبيلة بشدر، حسب معطيات الطوبوغرافيا التاريخية، (وهم من الاقوام الآرية الاعجمية التي كان لها دور كبير في التاريخ والحضارة الاسلامية، ويطلق على الاكراد قريش العجم تعظيما لهم) وهذا ما اورده المؤرخ عباس العزاوي في تعليقاته

---

[1] ابن الصابوني، جمال الدين، تكملة إكمال الإكمال، ط (بدون)، 1 ج، (حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد)، المجمع العلمي العراقي، بغداد (د. ت.) ص 97–98، (1) ابن الأثير، المصدر السابق، م 9، ص225، وينظر ابن الوردي، زين الدين عمر (ت 749هـ/1348م)، تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، تحقيق احمد رفعت البدراوي (جزءان، بيروت:دار المعرفة، 1389هـ/1970م)، ج 2، ص 26.

[2] الحموي، المصدر السابق، ج 2، 201.

[3] الشطنوفي، المصدر السابق، ص72، وينظر أيضا الباكوي، عبد الرشيد صالح بن نوري (الف كتابه بين سنتي (806هـ و816هـ)، تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ترجمة بونيا توف (موسكو: مطبعة العلم، 1971م)، ص34.

على رحلة المنشي البغدادي والمستشرق الروسي باسيل نيكتين، في كتابه المهم "الكرد"، وما ذكره المؤرخ والوزير الكردي محمد أمين زكي لـ"رشيد عالي الكيلاني" حيث اراد ان يذكر اسم الشيخ عبد القادر الجيلي في كتابه: اعلام الكرد، ولكن رشيد عالي الكيلاني التمس منه تأجيل الموضوع لاسباب سياسية، وغيرهم من المؤرخين وهذا يعلل تعلق الاكراد به كونه نشأ في بيئة كردية ومن المعروف أن الكرد يعتبرون الامام عبد القادر الجيلي احد اعلامهم[1]، وطبعا هذا لا يتعارض، بأي حال من الاحوال، مع نسبه الحسني العريق.

[1] انظر: العزاوي، عباس، رحلة المنشي البغدادي، 63 وباسيل نيكتين، الكرد، ترجمة صلاح بruari، دار الروائع بيروت،1977، ص203 وكمال مظهر أحمد، كردستان، ترجمة محمد ملا عبد الكريم بيارة، دار افاق عربية، بغداد، 1984، ص 106، 161، 204–205، كذلك شرفخان البدليسي (1005هـ/1596م)، الشرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكردية، ترجمة محمد جميل بندي روزبياني (بغداد: مطبعة النجاح، 1373هـ/1953م)، ج 1، ص 22، 24، وينظر محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، ترجمة محمد علي عوني (القاهرة: مطبعة مصر، 1368هـ/1948م)، ص 126، 127، والامدي، سيف الدين، المدارس الصوفية ودورها الاصلاحي، جريدة الاتحاد، العدد 98. والمعروف ان الاكراد، "يفخرون كونه ولد ونشأ بينهم ويعرفون ذلك ويتعاملون على اساسه"، مقابلة مع الدكتور كمال مظهر احمد، بتاريخ 1999/11/8م ومقابلة مع السيدة أمل رشيد عالي الكيلاني، ابنه رئيس الوزراء العراقي السابق، بتاريخ 1999/6/13.

the Encyclopaediq of Islam, M.th Houtsma, vol II, printed by E,J. Brill, leyden, 1927). P1140.

ج– الخروج من دائرة التكرار:

لقد نعتته المصادر المبكرة أجمع، بالجيلي، وهي نسبة جيلان العراق وهو اللقب الذي عُرف به بين معاصريه[1]، ومن المعروف أن هناك العديد من المناطق في العالم تحمل اسم جيلان منها: جيلان العراق وجيلان إيران وجيلان أفغانستان وجيلان تركيا وجيلان كوسوفو وجيلان مصر[2]، بل ان من ينسبه الى جيلان الطبرستان، يتردد الى اي قصبة منها بالتحديد ينسبه، فمرة الى نيف[3] ومرة الى بشتير[4] ومرة الى بنبق[5] وهناك من ينسبه الى كيلان غرب أو رشت أو آمل أو مازندران في المشرق الاسلامي أو قرية جيل قرب شهربان (المقدادية–حاليا) أو كيل قرب كفري في العراق، او جيل قرب

[1] جواد، مصطفى، المصدر السابق، ج 1، ص 99، وتميز المصادر المبكرة للتاريخ الاسلامي بين الجيلاني والجيلي وتقول ان الجيلاني كل من نسب الى جيلان، اما الجيلي فهو لمن انتسب لاحد ابناء المهاجرين منها، أي كان احد اجداده جيلانيا، والكتبي، ابن شاكر، فوات الوفيات ج 2/4 ص، وزيدان، عبدالكريم الجيلي، ص13–15 وباز الله الاشهب، ص26.

[2] مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الاسلام، ص 114، وينظر مواقع النت المتعددة لهذه المدن.

[3] التادفي، المصدر السابق، 88.

[4] الفيروز ابادي، القاموس، ج 4، ص612.

[5] القزويني، اثار البلاد، ص 234.

المدائن، وغير ذلك، مما يدل على ان الموضوع مرتبك اصلا عند القدامى[1]، ولقد حار مؤرخون معاصرون الى اي هذه المواقع ينسب، مثل الدكتور كامل مصطفى الشيبي والذي عدد بعض الروايات في دراسته[2]، والدكتور عبد الله السامرائي والذي عقد فصلا كاملا في كتابه الشيخ (عبدالقادر الكيلاني تاج الاولياء) في عشرة أوراق من القطع الكبير بخط اليد في موضوعة جيلان وقرر ان الموضوع {فيه اختلاف واضح وكبير بين المؤرخين}[3]، والدكتور صادق جعفر سهيل الذي ذكر الاقليمين معا، وجعفر موسى عليوي، الذي نقل كل ماورد في الموضوع[4] وغيرهم، ومن يتصفح مخطوطة (تاريخ شيخ الاسلام عبد القادر وأولاده) للدروبي يطلع على روايات مختلفة في مكان الولادة، مع ترجيح واضح لرواية جيل العراق[5]، ومن يتابع سيرة الامام عبد القادر الجيلي، يعرف انه قضى أغلب سياحاته وايامه الاولى في جيل العراق[6]، ومن المؤكد انه ليس للصدفة دور في ذلك، بل دليل على ارتباطه الوثيق بهذه الارض، انها فلسفة المكان، ويؤكد الاستاذ علاء اللامي في كتابه، السرطان المقدس: صفحات من تاريخ العراق، نقلا عن استاذه المفكر العراقي المعروف هادي العلوي، ان كلمة الجيلي تحرفت الى

---

[1] الشيبي، مصطفى كامل، الشيخ عبد القادرالكيلاني، إلمامات بشخصيته وفكره التربوي، ص 6، وينظر: القادري البودشيشي، عبد القادر، دفاع عن الطرق الصوفية، مجلة دعوة الحق، المغرب، العدد 95، و Biographical encyclopaedia of sufis: central asia and middle east, pg 123, Vol 2. Hanif N. Sarup and Sons. (2002) ISBN 81-7625-266-2, 9788176252669 ، Abd al-Kadir al-Djilani, W. Braune, The Encyclopaedia of Islam, Vol. I, ed. H.A.R Gibb, J.H.Kramers, E. Levi-Provencal, J. Schacht, (Brill, 1986), 69.

[2] الشيبي، مصطفى كامل، المصدر السابق، ص32.

[3] السامرائي، عبد الله، المصدر السابق، 18.

[4] سهيل، صادق جعفر، عبد القادر الجيلاني وفكره الصوفي، ص26.

[5] الدروبي، المصدر السابق، ص15.

[6] التادفي، المصدر السابق، ص43، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1250هـ/1834م)، البدر الطالع، ج 1، دار الكتب للطباعة، القاهرة، 1941، ص 26.

الكيلاني في العصور المتاخرة وإن كانت الدلالة واحدة والاصل هي الجيلي واليها النسبة[1]، وهذا مطابق لرأي عالم الاجتماع الكبير الدكتور علي الوردي الذي كان يعيب على المؤرخين العراقيين، تمسكهم برواية ولادة الشيخ عبد القادر في الطبرستان، في ظل وجود رواية تقول بولادته بالعراق، وانه كان يشعر بالاسى لذلك[2].

والشيخ عبد القادر عرف بلقبه (الجيلي) مبكرا، ذكر ذلك ابن الجوزي وهو معاصر له (كما بينا)، وهي نسبه جيل العراق، وابن الاثير[3] وابن كثير[4] وابن شاكر[5] وابن خلكان[6] وغيرهم كثير، ومن المهم ان السيد شرف شرف الدين الكيلاني في كتابه تاريخ النقباء وغيره يؤكد انه منسوب الى جيل العراق[7]، ولكنه يرجع ويقول انه نسب اليها لقضائه اوقاتا طويلة فيها لا لولادته فيها[8]، وهذا ما لا يتناسب مع منهج البحث ولا يقبله المنطق، ووجوده في الجيل دلالة على ارتباطه اللصيق بالمكان، ومن المستشرقين اشارت المستشرقة الفرنسية البروفيسورة (جاكلين شابي) اشارة واضحة الى وجود رواية واضحة وصريحة، تشير الى انه ولد في بلاد الرافدين وقاربت من

---

[1] اللامي، علاء، السرطان المقدس، ص64.

[2] الوردي، علي، محاظرة القيت في كلية الاداب بجامعة بغداد بتاريخ 1995/1/19 و(مقابلة شخصية للباحث مع الدكتور علي الوردي، بنفس التاريخ، بحضور الدكتور علي نشمي حميدي).

[3] ابن الاثير، المصدر السابق، ج 9، ص 571.

[4] ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 254.

[5] ابن شاكر، عيون التواريخ، ج 12، ص 116.

[6] ابن خلكان، المصدر السابق، ج 6، ص 169.

[7] الكيلاني، شرف الدين، تاريخ النقباء، ص30.

[8] الكيلاني، شرف الدين، المصدر نفسه، 31، وهذا اختلاف في الرأي، لا يقلل من مكانة مؤلف الكتاب والكتاب نشره لكتاب "تحفة الابرار".

ذلـك المستشـرقة الألمانيـة البروفيسـورة، آن مـاري شـيميل والتـي أعتبـرت الشيخ عبد القادر الجيلي "اكبر ولي شعبي في الاسلام"[1].

---

[1] شابي، جاكلين، المصدر السابق، ص 9، **, Boyle . J . A . The Cambridge History of Iran -**
5 Volume (Cambridge , University printer , 1388 . A . H 1968 .A .C) , vol.5 ..

7- كسر الزجاج:

من الجدير بالذكر ان العلامة سالم الالوسي، يذكر: ان الرئيس السابق "أحمد حسن البكر" في بداية حكمه، طالب (مملكة إيران) باسترجاع رفاة الخليفة هارون الرشيد كونه رمزا لبغداد في عصرها الذهبي، وذلك بدعوة من المؤرخ المرحوم عبد الجبار الجومرد الموصللي، الوزير السابق في عهد الزعيم "عبد الكريم قاسم"، وصاحب الكتاب المعروف (هارون الرشيد)[1]، ولكن (مملكة إيران) امتنعت، وبالمقابل طلبت استرجاع رفات الشيخ عبدالقادر الجيلي، بحجة انه من مواليد (كيلان إيران)، وعندها طلب الرئيس من العلامة الدكتور مصطفى جواد[2] بيان الامر، فأجاب المرحوم مصطفى جواد: إن المصادر التي تذكر ان الشيخ عبد القادر الجيلي، من مواليد كيلان إيران، مصادر تعتمد رواية واحدة وتناقلتها بدون دراسة وتحقيق، اما الصواب فهو من مواليد قرية تسمى (جيل) قرب المدائن، ولا صحة لكونه من إيران او ان جده اسمه جيلان، وهو ما اكده العلامة الدكتور حسين علي محفوظ[3] في مهرجان تخليد معركة جلولاء التاريخية، الذي اقامه اتحاد المؤرخين العرب في مدينة جلولاء، وكان الالوسي من الحاضرين ايضا سنة **1996**، ومجموعة كبيرة من المؤرخين العراقيين، وفعلا اخبرت الدولة الإيرانية بذلك، ولكن بتدخل من دولة عربية، اغلق الموضوع[4].

---

[1] الجومرد، عبد الجبار، هارون الرشيد، ص 531.

[2] سالم الالوسي، من اوراق سالم الالوسي (محفوظ لديه)، ص 72.

[3] مقابلات متعددة مع العلامة، حسين علي محفوظ، بتاريخ 1996/10/23م وما بعدها.

[4] مقابلات متعددة مع العلامة سالم الالوسي، بتاريخ 1996/9/12 وما بعدها.

خاتمة:

لقد ازداد يقيني –بعد محاولتي هذه– أن تراثنا بعامة يحتاج إلى جهد في ناحيتين اثنتين:

الأولى: ناحية تكشيفه وفهرسته بشكل عام حتى يتسنى لنا معرفة ما فيه وبخاصة أن كثيرًا من علمائنا كانوا يكتبون بطريقة شمولية، فيتعرضون لمباحث داخل كتبهم لمناسبة ما، قد لا يدل عليها أو يسيء بها عنوان الكتاب ذاته.

الثانية: ناحية قراءته قراءة منهجية تبتعد عن الحكم السابق مدحًا نتيجة مذهبية أو انبهارا أو ملاحظة وقدحًا نتيجة لسبب أو لآخر من الأسباب غير الموضوعية، وتقصد إلى التعرف الحق على مكنون هذا التراث مقدرة أننا وأصحابه أبناء حضارة واحدة، بيننا قواسم مشتركة، ومن الممكن أن يكون بيننا بعض الاختلاف الدائر في ساحة الاجتهاد، والمستند إلى ظروف العصر ومستجدات الحياة وهو ما يسمح به سمت وخصائص التفكير الحر في الإسلام.

وعلينا ونحن نقرأ تراثنا أن نقدر الفرق بين نص استمد قداسته من الوحي والعصمة، ونص يجوز عليه الصواب والخطأ لأنه جهد بشري محكوم بقوانين الحياة البشرية في قابليتها للتغير والتعديل والاستدراك.

ومن كل ماسبق يتجلى لنا وبوضوح تام أن الامام عبد القادر الجيلي، عراقي الولادة والوفاة وهذه حقيقة (تاريخية–جغرافية) قائمة على منهج

البحث التاريخي، في ضوء تقصّي المصادر المبكرة والمعاصرة للشيخ الجيلي وفي ضوء المخطوطات التي كشفت حديثا، وآراء كبار علماء المدرسة التاريخية العراقية الحديثة.

وهذه الدراسة، كل غايتها نشر الوعي التاريخي، الى جانب التعريف بموضوعات "مهملة" برغم اهميتها، عن طريق إماطة اللثام عن حقائق تاريخية قمينة بأن تعرف في حد ذاتها بعد أن طال غيابها.

ذلك درس وعبرة جرى استخلاصها نتيجة استقراء التاريخ الاسلامي، فهل يمكن ان نستوعبها ونفيد منها في تحريك عجلة هذا التاريخ قدما إلى الامام.

قائمة بأهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

(أ) المخطوطات

1- الالوسي،شهاب الدين أبو الثناء (ت1270هـ/1854م) ،الطراز المذهب في شرح الباز الاشهب،مخطوط في المكتبه القادرية،رقم.1405

2-الإمام الشطنوفي،علي بن يوسف (ت713هـ/1313م)، بهجة الأسرار ، مخطوطة المكتبة القادرية تحت الرقم .1560

3- الإمام الشطنوفي، علي بن يوسف(ت713هـ/1313م)، بهجة الأسرار ، مخطوطة دار المخطوطات تحت الرقم .3216

4-النووي، يحي بن شرف (ت676هـ/277م)، بستان العارفين،مخطوط في المكتبه القادرية،رقم.932

5-الهروي، علي بن سلطان القاري(ت1014هـ/1605م)،(من علماء الدولة العثمانية)، نزهة الخاطر في ترجمة الشيخ عبد القادر، مخطوطة المكتبة القادرية تحت رقم .724

6- الكيلاني (1944-)،فالح نصيف الحجية الكيلاني، شرح ديوان السيد الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، مخطوطة عند المؤلف .726

7-القادري (؟)،ظهير الدين ، الفتح المبين ، مخطوط محي هلال السرحان.

8- مؤلف مجهول (؟)، انساب الطالبيين ،مخطوط سالم الالوسي.

9-قطب الدين موسى بن محمد اليونيني (هج726)، مناقب الشيخ عبد القادر ،مكتبة (الاسكوريال) بأسبانيا المحفوظة تحت الرقم (417/2) ، مصورة الدكتور محي هلال السرحان.

10- العمري،ابو الحسن ()،المجدي في النسب ، مخطوط مكتبة الاسكندرية رقم 3742 .

11- الكيلاني ()، علاء الدين ،تحفة الابرار ولوامع الابرار ،مخطوطة جامعة برنستون ،مصورة السيد عبدالستار هاشم سعيد الكيلاني (لواء مهندس متقاعد)

12- ابن الوردي (ت 749هج)،مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب ،نسخة سالم الالوسي .

13- جواد، مصطفى (1996-)،اصول التاريخ والادب ،مخطوطة في 24 مجلد و أغلبها نقولات من مخطوطات نادرة ، لدى ولده جواد مصطفى جواد ،ومخطوطة مختصر الانساب وهي ملك الدكتور حسين علي محفوظ . وكتابه ، في التراث العربي ،تحقيق : محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي ، منشوراة وزارة الاعلام ، بغداد ، 1977

.14- ابن الجوزي (ت597 هـ/1201 م) ،درر الجواهر من كلام الشيخ عبدالقادر ،مخطوطة نادرة في بضع صفحات عند العلامة سالم الالوسي ،ص3،وذكر هذا الكتاب ووثقه ، التادفي في قلائد الجواهر ،ص21ويوسف زيدان في تحقيقه للديوان ،ص41 ،ودرر العقود ،مخطوط الاسكوريال ، رقم8/582 الورقة 981 مصورة سالم الالوسي .

15- اليافعي ،ابن اسعد ت(768هج)، خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر ، مخطوط جامعة برنستون ، مصورة السيدعبد الستار هاشم سعيد الكيلاني.

16- البغدادي ،عباس ()، نيل المراد في تاريخ اهل بغداد ،مخطوط فريد فرغ منه مؤلفه في شعبان سنة1333هـ ،مخطوطة محي هلال السرحان .

(ب) المصادرالعربية

1- ابن الأثير، محي الدين المبارك بن محمد الجزري، (ت:630هـ /1208م) ، الكامل في التاريخ، ج9 ،دار صادر، بيروت، .1975

2- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (ت 930هـ/1523م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار الكتب، القاهرة، 1952.

3- ابن تغرى بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

4- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (ت 768 هـ/1327 م)، الفتاوى، المكتبة السلفية، الرياض، .1960

5- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت833هـ/1429م)، غاية النهاية ،ج1، القاهرة،.1932

6- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597 هـ/1201 م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1، مطبعة حيدر آباد، دائرة المعارف الأسلامي، .1969

7- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني(ت853 هـ/1449م)، الدرر الكامنة، ج3، مطبعة حيدر آباد ،الهند، .1929

8- ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي(456هـ/1604م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، .1967

9- ابن خلكان،أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1972.

10- ابن الدبيثي، محمد بن سعيد بن محمد(ت637هـ/1239م)، المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد ، انتقاء الذهبي، تحقيق مصطفى جواد،مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ،1952.

11- ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي (ت795هـ/1392م) ،الذيل على طبقات الحنابلة،ج1-2 ، مطبعة الحلبي،القاهرة ، 1952.

12- ابن الصابوني، جمال الدين(ت680هـ/ 1283م)، تكملة إكمال الإكمال، تحقيق، مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، 1957.

13- ابن عربي، محي الدين(ت638هـ/1240م)، الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحي، ج6، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994.

14- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحق الحنبلي(ت1089 هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج4-5 ، مكتبة المقدسي، القاهرة ، 1929.

15- ابن الكازروني، ظهيرالدين علي بن محمد(ت697هـ/1297م)، مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، 1970.

16- ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء (774هـ/1372م)،

أ- البداية والنهاية ، ج6،مطبعة السعادة، مصر، 1968.

. ب- تفسير القرآن العظيم، ج13،مكتبة دار التراث، القاهرة، 1972.

17- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك أيوب الحميدي(ت218هـ/ 820م)، السيرة النبوية، ج3، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1966.

18- أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن (ت665هـ/1269م)، الروضتين في أخبار الدولتين، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1962.

19- البغدادي، ابو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد ين رجب الحنبلي(ت795هـ/1392م)، ذيل طبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمدية،القاهرة، 1952.

20- البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر(ت429هـ/1031م)، الفرق بين المذاهب، دار الجيل، بيروت، 1965.

21- التادفي، محمد بن عيسى،(ت963هـ/1465م)، قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر،دار الباز، فلوريدا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1998.

22- التنوخي،ابو علي المحسن بن علي(384هـ/994م)، الفرج بعد الشدة،دار صادر،بيروت،1978.

23- الجيلاني، محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله(ت561هـ/ 1262م).

ا- فتوح الغيب، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1960.

ب-الغنية لطالبي طريق الحق، تحقيق فرج توفيق الوليد، ج3، دار الفكر، بيروت، 1995

ج- الفتح الرباني والفيض الرحماني،دار الجميل،المانيا، 1997.

د-تفسير الجيلاني ،باعتناء فاضل جيلاني ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2007.

ذ- الجيلاني،عبد القادر،ديوان عبد القادر الجيلاني،تحقيق يوسف زيدان،دار الجيل،بيروت، 1983.

24- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله(ت1067هـ/1656م)، كشف الظنون،مكتبة إسماعيليان، طهران، 1947.

25- الحموي، ياقوت ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي،(ت626هـ/1229م)، معجم البلدان، ج5، بيروت، 1956.

26- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م).

أ- سير أعلام النبلاء، ج13،12، دار الرسالة للطباعة، بيروت، ط4، 1986.

ب- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، وزارة الأرشاد، الكويت، 1963.

ج- المختصر المحتاج اليه، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المعارف،بغداد، 1951.

27- الزبيدي، محمد مرتضى،(ت 1205 هـ/1790م) .

أ- تاج العروس في شرح جواهر القاموس، مطبعة الكويت، الكويت، 1980.

ب- إتحاف السعادة للمتقين في شرح إحياء علوم الدين، ج1،المطبعة الملكية،المغرب، 1936.

28- سبط ابن الجوزي، يوسف(ت654هـ/1256م)، مرآة الزمان، مطبعة حيدر آباد، الهند، 1936.

29_ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ /1369م)، طبقات الشافعية، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1965.

30- السهروردي، عمر بن محمد بن عبد الله البكري(ت632هـ /1134م) ، عوارف المعارف، دار الكتاب العربي للطباعة، بيروت ، 1966.

31- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ /1505م) .

ا- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1934.

ب- حسن المحاضرة ،ج1،مطبعة الحلبي،القاهرة، 1900.

32- السمعاني، عبد الكريم بن محمد ،(506هـ/1880م)،كتاب الانساب ، تحقيق مرجليوث، مطبعة بريل، ليدن، 1912.

33- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت1250هـ/ 1834م)، البدر الطالع، ج1، دار الكتب للطباعة، القاهرة، 1946.

34- الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير،(ت310هـ/912م) .

أ-جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج5، تحقيق محمد احمد شاكر ، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1978.

ب- تاريخ الأمم والملوك، ج5-1 ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ج4-5 دار المعارف للطباعة، القاهرة، .1978

35- الشطنوفي،علي بن يوسف(ت713هـ/1313م)، بهجة الاسرار، تحقيق ، جمال الدين فالح الكيلاني ،مطبعة الحكومة ، الجزائر، 2011.

36- القادري،ابو الظفر ظهير الدين،(ت.م)، الفتح المبين ، المطبعة المركزية، القاهرة، 1888 .

37- القرطبي،أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري،(ت671هـ /1272م) ، الجامع لأحكام القرىن،ج5، دار احياء التراث العربي ، بيروت، 1985.

38- القرطبي،عريب ابن سعيد،(ت369هـ/971م) ، صلة تاريخ الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار المعارف للطباعة ، القاهرة،1971.

39 – الكتبي،محمد بن شاكر (ت764ه/1362م).

أ- فوات الوفيات، ج2-1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية للطباعة، القاهرة، 1954.

ب- عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشد للطباعة، بغداد، .1983

40- محمد فؤاد عبد الباقي ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان(البخاري ومسلم)، ، دار الكتب العلمية، بيروت،1982.

(ج) قائمة المراجع

1- إبراهيم،حبيب جميل،تاريخ متصوفة بغداد،مكتبة الشرق الجديد،بغداد،.1988

2- إقبال،محمد،ديوان إقبال،دار الصحابة للطبع،باكستان،.1996

3- جواد،مصطفى ، و أحمد سوسة،خارطةبغداد،مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد،.1959

4- الجيلاني، عبدالرزاق ،الشيخ عبدالقادرالجيلاني،دار القلم بيروت،.1983

5- الجيلاني، ماجد، هكذا ظهر صلاح الدين، المعهد العالي الاسلامي، الولايات المتحدة الامريكية،.1996

6- حسن،حسن إبراهيم،تاريخ الأسلام السياسي،ج4،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،.1986

7- الخضري،الشيخ محمد،الدولة العباسية،دار الكتب العلمية، بيروت ،.1993

8- رؤوف،عماد عبد السلام.

ا-الآثار الخطية في المكتبة القادرية،مطبعة الإرشاد،بغداد،1971.

ب-مدارس بغداد ، بغداد ، 1985.

ج-معالم بغداد في العصور المتأخرة، بغداد ،.2002

9- زامباور،معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي ،ترجمة زكي محمد حسن،مطبعة فؤاد الأول،القاهرة ،.1951

10- الزركلي،خير الدين،الأعلام،ج5،مطبعة النهضة،القاهرة ،.1949

11- السامرائي، عبدالله سلوم، عبد القادر الجيلاني قطب الاولياء، مخطوط مصور لدى الشيخ عفيف الدين الكيلاني.

12- السامرائي،يونس بن ابراهيم،الشيخ عبد القادر الجيلاني، حياته و آثاره،مكتبة الشرق الجديد للطباعة،بغداد،.1988

13- الشرقاوي،حسن،معجم الفاظ الصوفية،دار مختار للنشر، القاهرة ،.1987

14- شعبان،محمد عبد الحي محمد،التاريخ الإسلامي : تفسير جديد ،دار الأهلية للنشر،بيروت،.1983

15- شوقي، ضيف، العصر الاسلامي، الكويت،.1995

16- عاشور،سعيد عبد الفتاح،مصر في عهد المماليك،دار الكتب المصرية،القاهرة،.1966

17- عطية الله، احمد، القاموس الاسلامي، ج3،2،1، دار مكتبة النهضة للطباعة، القاهرة، .1976

18- عفيفي،ابو العلا،التصوف والثورة الروحية في الإسلام،دار جامعيون ،مصر،1997.

19- عنان،محمد عبد الله،المعارك الحاسمة في التاريخ،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،.1953

20- عمر ، فاروق ، الدولة العباسية ،دار الشروق ،الاردن ،.2000

21- اللامي ، علاء ، السرطان المقدس ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، 2004.

22- المدرس،عبد الكريم،مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج5،دار الحرية للطباعة،بغداد، 1997.

23- المودودي،ابو الاعلى، تفسير سورة النور، المكتبة الاسلامية، القاهرة، 1958.

24- النجار، محمد رجب، حكايات الشطار والعيارين، عالم المعرفه، الكويت ،1981.

25-شابي، بروفسورة جاكلين، (1998). عبد القادر الجيلاني بين الحقيقة التاريخية و الأسطورة الأدبية (ترجمة الدكتور حسن سحلول)، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، السنة (18) كانون الثاني (70)، دمشق. نسخة الكترونية طبعت بتاريخ 14 / 9 / 2004.

26- محمد اركون،الفكر الاسلامي :نقد واجتهاد ،ترجمة هاشم صالح ؛دار الساقي، بيروت، 2009.

27- جعيط ،هشام، في السيرة النبوية، دار الطليعة ،بيروت، 1990.

28-الخيون ، رشيد ، الاديان والمذاهب في العراق ، دار الجمل ، المانيا ، 2004.

29- جواد، الدكتور مصطفى، سوسة، الدكتور احمد (1958). دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، المجمع العلمي العراقي، بغداد.

(د) الرسائل الجامعية

1-التل، عمرسليم عبد القادر، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري،رسالة ماجستير ،الجامعه الاردنية، .2009

2- سهيل، جعفر صادق ، عبد القادر الجيلاني ومذهبه الصوفي، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، .1975

3- القحطاني، سعيد، الشيخ عبد القادر الكيلاني وآرائه الاعتقادية والصوفية، اطروحة دكتوراه ، كلية الدعوة، جامعة أم القرى،الرياض، .1997

4-المهداوي ,ايمان كمال مصطفى,عبدالقادرالجيلاني اديبا,رسالة مجاجستير,كلية التربية ابن رشد,جامعة بغداد, .1996

5-عليوي ,جعفر موسى,عبدالقدرالجيلاني والتصوف ,اطروحة دكتوراة ,كلية الاداب جامعة بغداد.2002

6-البلاطي ,علي محمود علي ,الدر الفاخرفي ترجمة الشيخ عبدالقادر ,دراسة وتحقيق ،علي محمود علي البلاطي,رسالة ماجستير, معهد التاريخ للدراسات العليا 1999(نسخة البلاطي الشخصية).

7-ماجد عرسان الكيلاني, نشأة القادرية,رسالة ماجستير,جامعة بيروت العربية,1996.

سيرة الباحث: جمال الدين فالح الكيلاني

بقلم
أ.د.إبراهيم خليل العلاف
أستاذ التاريخ الحديث–جامعة الموصل

صديق عزيز، أتابع منذ فترة طويلة، نشاطاته العلمية، ولي معه علاقة تبادل علمي... هو جمال الدين بن فالح بن نصيف بن جاسم بن أحمد الحجية بن عبد الكريم بن عبد الرحيم بن خميس بن ولي الدين محمد بن عثمان بن يحيى بن حسام الدين بن نور الدين بن ولي الدين بن زين الدين الكبير بن شمس الدين بن شرف الدين بن محمد الهتاك بن عبدالعزيز بن الباز الاشهب الشيخ عبدالقادر الجيلي بن ابي صالح موسى بن عبدالله الجيلي بن يحيى الزاهد بن محمد المدني بن داود امير مكة بن موسى الثاني بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن اسدالله الغالب علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم اجمعين،من الأسرة الكيلانية، ذرية الشيخ عبدالقادر الجيلي.

من مواليد 1972، ومنذ طفولته أولع بحب التاريخ، وقراءة الكتب المتنوعة، تأثر بوالده الأستاذ فالح الحجية الكيلاني–الأديب والشاعر، وأخذ عنه حب الأدب والمعرفة وتذوق الشعر،وبحكم نشأته في الخالص وعلاقة القرابة التي تربطه بالعلامة سالم عبود الالوسي ،تعرف بالعلامة مصطفى جواد

وتراثه، واهتم منذ بواكير حياته العلمية بالتراث القادري والذي بات تخصصه الدقيق، ويعد نفسه من تلاميذ الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ومدرسته التاريخية، مارس التدريس في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوية، كما حاضر في جامعة بغداد والجامعة المستنصرية واتحاد المؤرخين العرب وجامعات القادسية والبصرة وواسط.

حصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من كلية التربية –ابن رشد –جامعة بغداد. كما نال شهادة (دبلو م) في اللغة الانكليزية من معهد المعلمين.

لم يقف عند هذا الحد، بل غذ السير، وأكمل دراسته وحصل على شهادة (دكتوراه) فلسفة في التاريخ الإسلامي. ولحبه التاريخ والدراسات التاريخية انتمى إلى "معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا التابع لاتحاد المؤرخين العرب ببغداد"، وحصل على شهادة ماجستير آداب في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية. حصل على لقب "باحث علمي" من مركز دراسات التاريخ والوثائق والمخطوطات سنة 1998 .

والدكتور الكيلاني عضو اتحاد المؤرخين العرب 1996وعضو الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب 1998 وعضو جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق 1995 وعضو (شرف) لجنة الدراسات القادرية المغرب1997. مشرف مركز دراسات الإمام عبد القادر الجيلاني المتخصص بالتراث والتاريخ والأنساب القادرية 2011 .

كرم بالعديد من الشهادات التقديرية من المجمع العلمي العراقي1996 والهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب 2000، والهيئة العامة للاثار1997 وجامعة بغداد1999 وغيرها.

اهتم بتاريخ الأنساب وشغل نفسه بهذا اللون المهم من الدراسات التي تحتاج إلى معرفة بأمور كثيرة. وقد أجيز في مجال دراسة وتدقيق الأنساب من ثلة من الأساتذة العراقيين المعروفين أمثال الدكتور عماد عبد السلام رؤوف والأستاذ سالم عبود الالوسي والأستاذ اللواء احمد خضر العباسي والأستاذ الشيخ خليل الدليمي والأستاذ جمال الراوي، ويفخر بأنه حضر دروس للعلماء الأعلام كل من الشيخ العلامة عبد الكريم محمد المدرس- مفتي الديار العراقية- والعلامة الدكتور حسين علي محفوظ والعلامة الدكتور علي الوردي والعلامة الدكتور حسين أمين، والعلامة صالح احمد العلي والعلامة عبد الرزاق الحسني وغيرهم.

كما أن لديه العديد من البحوث والدراسات والكتب. من كتبه المنشورة: كتاب الإمام عبد القادر الجيلاني -تفسير جديد، مراجعة الأستاذ الشاعر فالح الحجية الكيلاني، مكتبة المصطفى، القاهرة، 2009. وكتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي- بغداد 2011. وهو بالاصل رسالة باشراف الدكتورة لقاء الطائي والدكتور رؤوف وكتاب "بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي، دراسة وتحقيق"، تقديم الدكتور حسين أمين شيخ المؤرخين -نشر على نفقة السيد احمد الكيلاني، الجزائر 2011. وكتاب "أصول التاريخ الإسلامي"، مراجعة الدكتور حسين علي محفوظ (مخطوط) 1999. وكتاب "تنقيحات دراسة تحليلية لنسب الإمام عبدالقادر الجيلاني"، مراجعة الدكتور عبد القادر المعاضيدي (نشر محدود)

منه نسخة محفوظة في المكتبة القادرية 1996. وكتاب "دراسات في التاريخ الأوربي"، تقديم الدكتور كمال مظهر احمد (معد للنشر)، وكتاب الرحلات والرحالة في العصر العباسي: دراسة تاريخية وهو بالأصل أطروحته للدكتوراة (معد للنشر)، وكتاب التاريخ العثماني تفسير جديد تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، وكتاب التاريخ الاسلامي رؤية معاصرة تقديم الدكتور صالح احمد العلي وكتاب الاستشراق وكتاب المدخل في تاريخ الفلسفة الاسلامية وغيرها.

ومن بحوثه ودراساته: عرض كتاب الإمام عبد القادر الجيلاني– تفسير جديد في مجلة فكر حر 2009. وعرض مخطوطة مهجة البهجة ومحجة اللهجة (كتاب) منشورة في جريدة الصباح 2005. ومقالة مصطفى جواد ومخطوطة نادرة عن الكيلاني جريدة الصباح 2006. ومقالة رشيد عالي الكيلاني ابن ديالى المشورة في جريدة العراق 2002. ومقالة المقدادية أصل التسمية المنشورة في جريدة العراق 2002. ومقالة: "الشرق الأوسط واصل التسمية" المنشورة في مجلة كلية الاداب جامعة عين شمس 2009. ومقالة عن "براغماتية السيد عبد الرحمن الكيلاني النقيب", مجلة فكر حر2009. ومقالة عن "الشيخ عبدالقادر الكيلاني:جيلان العراق لا جيلان طبرستان"، مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس 2009. وتفسير الجيلاني – دراسة في نسبة التفسير للمؤلف، مجلة رؤى 2010. و"المؤرخ هشام جعيط – دراسة في رؤيته للسيرة النبوية"، مجلة رؤى 2010.

هذا فضلا عن عشرات المقالات المنشورة على شبكة الانترنت وضمن مواقع كثيرة ومن الموضوعات التي كتبها موضوعات، عن عصر الرسالة

وعصور الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين والعصر الحديث والمعاصر والشخصيات العربية والإسلامية وبعض الشخصيات الغربية، مثل مقالات تدور حول الشيخ عبد القادر الجيلاني وذريته في العالم، وأهمية ثورة الحسين في التاريخ العربي الإسلامي، وإبان بن عثمان المؤرخ المبكر، والإمام الغزالي، والإمام الرفاعي، والإمام أبو مدين، والإمام البخاري، والشيخ ابن تيمية وقوميته، والشريف البعقوبي، الامين والمأمون والميكافلية، والطريقة القادرية المبكرة، و معنى الباز الاشهب، والتراث الصوفي – دراسة أولية، والإمام أبو إدريس البعقوبي، والمغول، وجنكيز خان، وهولاكو خان، وتيمورلنك، والدولة الفاطمية وخلفاءها، وبغداد، وسمرقند، وكابول، ودلهي، والمقدادية أصل التسمية، والناصرية العراقية، والصويرة العراقية، والعزيزية العراقية، وال بابان، وال السعدون، ومحمد الفاتح، وسليمان القانوني، ومراد الرابع، وعبد الحميد الثاني، والشرق الأوسط، والمكنا كارتا، وعبد القادر الجزائري، وجمال الدين الافغاني، وعبد الكريم قاسم، والحبوبي الشاعر والإمام، والسيد محمد باقر الصدر، والمؤرخ الدروبي وجهوده في تدوين تاريخ الأسرة القادرية في العهد العثماني، والرينسانس، ومترنيخ، وبسمارك، وهتلر، وميكافللي والميكافلية، وونستون تشرشل، وجان جاك روسو، والثورة الفرنسية، ولويس الرابع عشر، ولويس السادس عشر، وماري انطوانيت، ونابليون الأول، ونابليون الثالث، وقراءة في كتاب –لينين– خطوة إلى الإمام خطوتان إلى الوراء، وتلخيص كتاب قصة الفلسفة للمؤرخ ويل ديورانت، وتاج محل، والأزهر، والقرويين، وبدر شاكر السياب، و"الصراع السياسي والديني في اليمن قبل الإسلام –نجران نموذجا".

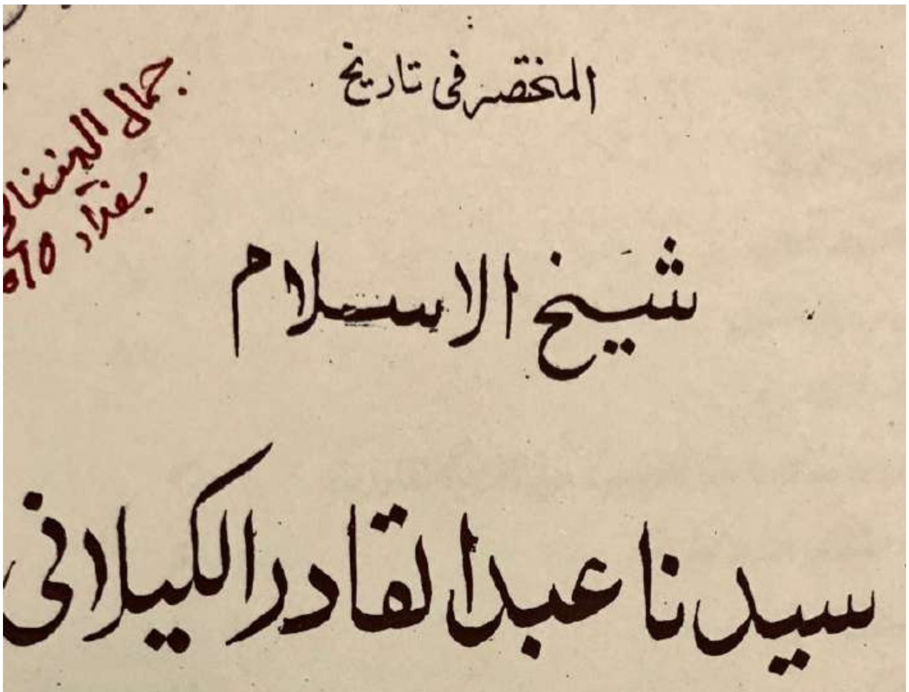
درس التاريخ على أيدي العديد من أساتذة التاريخ في العراق منهم

الأساتذة الدكاترة عماد عبد السلام رؤوف وكمال مظهر احمد وفاروق عمر، وعبدالرزاق الانباري وعبد القادر المعاضيدي وخاشع المعاضيدي وعبد القادر الشيخلي وجعفر عباس حميدي ويقظان سعدون العامر وحمدان الكبيسي وقحطان عبد الستار الحديثي وهاشم يحيى الملاح وعبد الامير العكام وصادق ياسين الحلو ومفيد كاصد الزيدي ومحمد احمد الشحاذ وعبد الامير دكسن وعبد الجبار ناجي وفاروق عباس وهيب وخضير الجميلي وطارق نافع الحمداني ومحمد جاسم المشهداني ومحمد باقر الحسيني ومزاحم علي عشيش البعاج وناهض عبدالرزاق القيسي ومحي هلال السرحان.

من آراءه"أن التاريخ لايعرف اليوم والأمس والغد وإنما هو نهر الحياة يمضي الى الاجل المضروب الذي قدره علام الغيوب، فالتاريخ كله تاريخ معاصر، نعم له تقسيمات علمية، ولكنه يعيش معنا ويهمنا وعلينا أن نستفاد منه في حياتنا كلها ويستند في هذا الرأي على أن استقراء التاريخ خير من التجارب، وان اختيار سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر، يبدو امرا بعيدا عن الحقيقة والواقع لان التطور التاريخي يمتاز دائما بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها ببعض، وان وقائع التاريخ الكبرى عائمات جليد طرفها ظاهر فوق الماء، وكتلتها الرئيسية تحت سطحه ومن يريد استكشافها عليه أن يغوص في الأعماق، والفرق بيننا وبين الغرب اننا نعيش في التاريخ فقط وهم يفهمونه ويستغلونه لتحقيق مصالحهم، والتاريخ هو طريق الإنسانية الى الحضارة، لأنه ضوء ينير الماضي لرؤية الحاضر والمستقبل، فجذور أنظمتنا السياسية، والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية، تمتد عميقا في تربة الأجيال الماضية".

مرفقات:

(نصوص من مخطوط الدروبي توضح ملامح التباين في تحديد مكان ولادة الإمام الجيلي/ إنموذجاً)



السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه

نسبه الشريف

هو شيخ الاسلام تاج العارفين محي الدين ابو محمد السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني بن ابي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله (١) بن موسى الجون (٢) ابن عبد الله المحض بن الحسن بن ابي محمد المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب الهاشمي القرشي العلوي الحنبلي السيد الشريف الصالح المشهور والمعروف بسبط ابي عبد الله الصومعي الزاهد وكان يعرف بالجيلاني وامه ام الخير امة الجبار فاطمة بنت ابي عبد الله الصومعي

وذكره الشيخ محمد امين الكيلاني في رياض البساتين نقلا عن كتاب نتيجة التحقيق (٣) في بعض اهل الشرف الوثيق للشيخ محمد بن احمد المسناوي فقال . لقد اتفق الناقلون من المؤرخين وغيرهم لهذا النسب انه كما ذكر .

وذكره في النجوم الزاهرة فقال . وفي سنة ٤٧٠ هـ كان شيخ العراق الشيخ عبد القادر الجيلي صاحب حال ومقال عالماً عاملاً قطب الوجود امام اهل الطريقة قدوة المشائخ في

ما كتبه المتقدمون

---

(١) ام عبد الله هي ام سلمة بنت طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه . رياض البساتين

(٢) الجون من اسماء الأضداد وغلب استعماله في الاسود وامه لم تكن امة بل هي قرشية اسدية وهي هند بنت ابي عبيدة بن عبد الله بن زمعة الأسدي الصحابي . رياض البساتين

(٣) طبع في تونس سنة ١٢٠٦ هـ

في زمانه بلا مدافعة ومناقبه وشهرته اشهر من ان تذكر وكان ممن جمع بين العلم والعمل افتى ودرس ووعظ سنين ونظم ونثر وكان محققاً صاحب لسان في التحقيق وبيان في الطريق وهو احد المشايخ الذين اشتهر ذكرهم في الشرق والغرب اعاد الله علينا من بركاته وبركات اسلافه الطاهرين (١)

وقد سمع الحديث ببغداد من الباقلاني وجعفر السراج وابي بكر بن سوسن وابن عقيل والقاضي ابي الحسين وبرع في المذهب والخلاف وقرأ الادب على ابي زكريا التبريزي وصحب الشيخ يحيى بن علي الدباس الزاهد وقد اخذ عليه بن قدامة

وذكره ابن الجوزي في المنتظم (٢) فقال . ودرس بمدرسة المخرمي (٣) القاضي ابي سعيد بن المبارك ابن علي وكانت مدرسته لطيفة ففوضت الى الشيخ عبد القادر فتكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت وضاقت المدرسة بالناس وكان يجلس عند سور بغداد مستنداً الى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير فعمرت المدرسة ووسعت وتعصب له في ذلك العوام واقام في مدرسته الى ان توفي سنة ٥٦١ هـ ودفن بها .

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي طبع دار الكتب المصرية في القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ الموافقة لسنة ١٩٣٥ م (٢) طبع حيدر آباد دكن

(٣) المخرم بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المهملة وتشديدها ثم ميم وبعدها ياء النسبة نسبة الى محلة المخرم ببغداد نزلها بعض ولد يزيد بن المخرم فسميت به قاله الجوهري وجاء ايضا ان المخرم اسم محلة كانت عامرة آهلة ومقراً للوزارات والملكية والسلطنة في ايام بني العباس وموضعها اليوم الصوافية الكرخية شمالي بغداد الشرقية معلقات تاريخ الدبيثي ص ٧٠

وذكره الحافظ الذهبي في تاريخه الكبير الجامع للاعيان فقال . قدم الشيخ عبد القادر الجيلي بغداد سنة ٤٨٨ هـ وعمره ثماني عشرة سنة وكان الخليفة ببغداد اذ ذاك المستظهر بالله (١) ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله ابو القاسم عبد الله العباسي . وقد كمل انشاء مدرسته سنة ٥٢٨ هـ وصارت منسوبة اليه وتصدر بها للتدريس والفتوى والوعظ مع الاجتهاد في العلم والعمل . وقال الحافظ الذهبي ايضا . انبأنا ابو بكر بن طرخان ان الشيخ الموفق اخبره قال وقد سئل عن الشيخ عبد القادر الجيلي فقال ادركناه في آخر عمره فاسكننا في مدرسته وكان يعني بنا وربما ارسل الينا ابنه يحيى فيسرج لنا السراج وربما ارسل لنا طعاما من منزله وكان يصلي الفريضة بنا وكنت اقرأ عليه من حفظي من كتاب الهداية فاقمنا عنده شهرا ثم مات وصلينا عليه ليلا في مدرسته .

وذكره السمعاني في الانساب (٢) فقال هو ابو محمد عبد القادر من اهل جيلان امام الحنابلة وشيخهم في عصره فقيه صالح دين خير كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة كتبت عنه .

وذكره محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد (٣) فقال الشيخ عبد القادر بن ابي

---

(١) المستظهر بالله العباسي بويع بالخلافة يوم الاثنين ثامن عشر محرم سنة ٤٨٧ هـ الموافقة لسنة ١٠٩٤ م كتاب النبراس في خلفاء بني العباس لابن تاليف عمر بن الشيخ حسن طبع مطبعة المعارف في بغداد بتعليق الاستاذ السيد عباس العزاوي المحامي سنة ١٣٦٥ هـ الموافقة ١٩٤٦ م

(٢) الانساب للسمعاني وهو عبد الكريم بن محمد بن منصور بن عبد الجبار بن احمد بن جعفر بن التميمي الملقب تاج الاسلام المولود سنة ٥٠٦ هـ والمتوفى سنة ٥٦٢ هـ طبعه مرغليوث المستشرق الانكليزي في القاهرة (٣) مخطوط منه الجزء العاشر يبتدئ من حرف العين في المكتبة الظاهرية في الشام نسخت وبعه بخطي .

صالح جنكادوست الزاهد من اهل جيلان احد ائمة المسلمين العاملين بعلمهم وقد دخل بغداد ٤٨٨هـ وله ثماني عشرة سنة من العمر واحكم الاصول والفروع والخلاف وسمع الحديث واشتغل بالوعظ الى ان برز فيه وصحب الشيخ حماد الدباس الزاهد واخذ عنه علم الطريقة.

ثم قال ايضا قرأت في تاريخ ابي شجاع بن الدهان بخطه انه في سنة ٥٢٦هـ بدأوا في بناء سور بغداد ولم يبق عالم ولا واعظ الا وخرج بجماعته وعمل في السور (١) وذهبت نوبة اهل باب الازج (٢) صحبة الشيخ عبد القادر الجيلي وهو راكب على بغلة وعلى رأسه لبنتان.

وذكره الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي في طبقاته (٣) فقال. عبد القادر بن ابي صالح عبد الله بن جنكي دوست (٤) ابن ابي عبد الله الجيلي ثم البغدادي الزاهد شيخ العصر وعلامة الحين وقدوة العارفين وقد ظهر للناس وحصل له القبول التام وانتصر اهل السنة بزمانه وظهوره وانخذل اهل البدع والاهواء وجائته الفتاوى من سائر الاقطار وهابه الخلفاء والوزراء والملوك

وذكره ابن كثير في تاريخه (٥) فقال الشيخ محي الدين محي السنة عبد القادر بن ابي صالح ابو محمد الجيلي دخل بغداد فسمع الحديث واشتغل به حتى برع فيه وكان له اليد الطولى في الحديث والفقه والوعظ وعلوم الحقائق

---

(١) سور بغداد زال اثره الآن وانه رشيد باشا الكوزلكلي والي بغداد بدأ بهدمه وتوالى الهدم وزاد في ايام مدحت باشا والي بغداد حتى لم يبق له عين ولا اثر

(٢) باب الازج واقعة في باب الشيخ وقد سميت اجزاء في ذلك الاسم

(٣) طبقات بن رجب طبع مصر

(٤) جنكي دوست بضم الجيم والدال والواو معناه بلغة تلك الناحية العظيم القدر. رياض الرياحين

(٥) ابن كثير له تاريخ طبع في مصر

افلت شموس الأولين وشمسنا

ابدا على فلك العلى لا تغرب

وذكره شمس الدين سامي المؤرخ التركي في صحيفة ٣٠٨٧ من الجزء الرابع[1] من كتابه قاموس الاعلام تحت عنوان عبد القادر الكيلاني ماهذا تعريبه.

ان الغوث الاعظم محي الدين ابو محمد بن ابي صالح بن جنكي دوست كان من اعاظم اولياء الله ومن شيوخ الطريقة فالطريقة العلية القادرية منسوبة اليه. اما نسبه الشريف فيتصل بعترة الامام الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنها. ولد في مقاطعة كيلان في ايران سنة ٤٩١[2] وبعد ان تلقى مبادي العلوم وهو في شبابه وصل الى بغداد واخذ علم الفقه على ابي سعيد المخرمي وابو بكر المظفر وسمع الاحاديث النبوية من مشاهير المحدثين وبعد باشر بالوعظ والتدريس احاط صيته وشهرته العالم وكان امام زمانه اتبع المذهب الحنبلي فهو شيخ الحنابلة وتلقى العلوم الادبية على ابي زكريا التبريزي وكان خلال طلبه للعلم يتعيش بكد يمينه وان مشاهير العلماء اخذوا منه ورووا عنه ومنهم ابو سعد السمعاني وبقي مدة طويلة مشتغلا بالوعظ ببغداد ومجالس وعظه كان يؤمها الخاص والعام ثم انسحب الى الخلوة[3] وباشر في الرياضة والتعبد وبعد ذلك خرج للسياحة وسار ويجاهد نفسه في الصحارى زاهدا متعبدا وقد عاشر الشيخ احمد الدباس واخذ عنه الطريقة. وفي سنة ٥٢١ هـ عاد من جديد الى عقد مجالس الوعظ فبيانه المستمد من الحكم الالهية جلب اليه الناس من بلاد بعيدة. وفي سنة ٥٢٨ هـ باشر في التدريس والافتاء في مدرسة ابو سعد والف بضعة كتب في الفروع واصول الفقه والتصوف. [لقب بشيخ الحنابلة ببغداد]

ان تصوفه وتقواه وبيانه ومعارفه الحكمية كثيرة وقد جمعت ودونت من قبل العالم الاسلامي بعنوان الملفوظات الكيلانية.

ويروى ايضا ان كتاب فتوح الغيب وغنية الطالبين وبهجة الاسرار من انفاسه المباركة

---

(١) طبع استانبول سنة

(٢) ان سنة ولادة الشيخ عبد القادر الجيلي الصحيح المتفق عليه هي ٤٧٠ هـ لا سنة ٤٩١ هـ

وفي المتداول مجموعة اشعار في التصوف والحقيقة باسم ديوان الغوث الأعظم . ولما كانت قد فقدت آثاره في اللغة العربية فكان يلقب عند العرب الجيلي والجيلاني . ومن جهة من يذهب بأنه ولد في قرية جيل القريبة من بغداد وتوجد كتب مختلفة في لغات مختلفة تبحث عن علمه وعرفانه وكراماته .

وفي سنة ٥٦١ھ ارتحل الى دار البقاء . واصبح ضريحه مزاراً للانام ومعوذاً ومزيناً

اما طريقته فمنتشرة في كافة الممالك الاسلامية على الأخص في بلاد الهند والمملكة العثمانية

وذكره فريد وجدي في صحيفة (٨١) من الجزء الثالث من دائرة المعارف باختصار

فقال الجيلاني هو عبد القادر الجيلاني والجيلي كان من كبار شيوخ الصوفية له اتباع كثيرون الى اليوم . وهو مؤلف كتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني في التوحيد على طريقة الصوفية وله كتاب فتوح الغيب ثم توفي سنة ٥٦١ هـ

قلت وله كتب اخرى منها تفسير القرآن الكريم بجزئين كبيرين مخطوط وهو محفوظ في خزانة كتب السيد عبد الحميد كرامة مفتي طرابلس الشام .

وجاء في التعليق على كتاب الاسلام الصحيح (١) للسيد محمد اسعاف النشاشيبي قول الفاروقي مجدد الالف الثاني ما هذا نصه :

ان القطبية لم تكن على سبيل الاصالة إلا لأئمة اهل البيت المشهورين ثم صارت بعدهم لغيرهم في سبيل النيابة عنهم الى ان انتهت النوبة الى الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره .

فعلق الاستاذ النشاشيبي على هذا البحث فقال .

اقول . ان الشيخ عبد القادر قدس الله سره قد نال ما نال من القطبية بواسطة جده على اتم وجه فقد كان من اجلة اهل البيت حسنياً من جهة الأب حسينياً من جهة الام . انتهى .

وذكره السيد محمد سعيد الكردي في كتابه الذي ترجم فيه الجنيد البغدادي فقال

فالاعيان المشاهير الذين جددوا طريقة السيد الجنيد من بعده اولهم سيدي عبد القادر الكيلاني

وذكره الشطنوفي في بهجة الاسرار فقال

سئل الشيخ عبد القادر الجيلي عن مولده فقال لا اعلمه حقيقة لكني قدمت بغداد في السنة التي مات فيها التميمي (٢) وعمري اذ ذاك ثماني عشرة سنة

قلت والتميمي هذا هو ابو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن اسد توفي سنة ٤٨٨ هـ فيكون مولده على هذا البيان سنة ٤٧٠ هـ قلت وهو رضي الله عنه منسوب الى جيل بكسر الجيم وسكون الياء وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان وبها ولد في نيف قصبة منها ويقال فيها ايضاً جيلان وكيلان وكيل ايضاً قرية بشاطئ دجلة على مسيرة يوم من بغداد مما يلي طريق واسط ويقال ايضا جيل بالجيم ومن ثم يقال كيل العجم وكيل العراق وجيل العجم وجيل العراق وابو العبر ثابت بن منصور الكيلي من كيل العراق والجيل ايضاً قرية تحت المدائن وفي رواية ايضاً جيلاني منسوب الى جده جيلان وابو عبد الله الصومعي من اجلة مشايخ جيلان وامه ام الخير امة الجبار فاطمة بنت ابي عبد الله الصومعي وكان لها حظ وافر من الخير والصلاح وللشيخ عبد القادر الجيلاني اخ هو الشيخ ابو احمد عبد الله سنه دون سنه نشأ نشأة صالحة في العلم والخير مات بجيلان شاباً .

وعمته المرأة الصالحة ام محمد عائشة بنت عبد الله وام ابيه عبد الله ام سلمة بنت محمد ابن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه .

وذكر في البهجة ايضاً ان شيخ الاسلام محي الدين عبد القادر رضي الله عنه لما تحلى بحلل العلوم الشرعية ونال لطائفها وتجمل بتيجان الفنون الدينية وحاز شرائفها وهجر في مهاجرته الى الحق كل الخلائق وتزود في سفره الى ربه عز وجل احسن الاداب واشرف الحقائق اتضح له حقيقة الحق المكنون وشاهد مجاري القدر في تصاريف المشيئات . وكان اول جلوسه للوعظ في الحلبة البرانية في شوال سنة ٥٢١ هـ لله در مجلس تجلله الهيبة والبهاء وتحف به الملائكة فقام بنص الكتاب والسنة خطيباً على الاشهاد

ودعا

ودعا الخلق الى الله عز وجل فاسرعوا الى الانقياد يالله من داع اجابته ارواح المشتاقين

وذكره البستاني في الجزء الحادي عشر من دائرة المعارف فقال

هو احد اكابر العلماء وائمة الصوفية التي طافت شهرته بقاع الارض وعم الاعتقاد به مسلمي

الشرق والغرب وطريقته اعم الطرائق انتشاراً واكثرها مريدين وتابعاً .

اما نسبه فهو من اولاد الحسن بن الامام علي بن ابي طالب ساق نسبه هكذا النسابة والمؤرخون

الذين عدّ بعض المتأخرين منهم سبعين مصنفاً

اما مولده وبلاده . المتواتر انه من بلاد جيلان ويقال لها جيل وكيل وكيلان من بلاد الفرس

وموضع الشيخ عبد القادر من تلك البلاد بشتير واليه نسبه الفيروزبادي في القاموس

قال في العمدة صفي الدين عبد المؤمن في كتابه مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع

بشتير بالضم والتاء المثناة المكسورة وياء ساكنة موضع في بلاد جيلان وقال هذا

قال الحافظ السيوطي وصرح في آثار الازهار بنسبة الشيخ الى بشتير اتباعا لياقوت

بعد ما صح انه من بلاد جيلان . وقال الشيخ الشطنوفي في كتاب بهجة الاسرار ان

الشيخ عبد القادر ولد في قرية من بلاد جيلان يقال لها نيف فيظهر ان نيف في الموضع

الذي يقال له بشتير ربما كان محرفاً عن لفظ تشتيري وهي كما في مراصد الاطلاع قرية

كبيرة ذات نخل وبساتين تختلط ببساتين شهربان في طريق خراسان في نواحي

بغداد وصاحب الترجمة جيلاني الاصل بالاجماع ولو نسب الى غير بلاده الاصلية لكان

اولى به بغداد موضع هجرته وضريحه انتهى

وذكر السيد محمد المعروف بالمنشي البغدادي في صحيفة ٣٦ من رحلته تحت عنوان الباب الثالث

في ذكر المنازل من بغداد الى كرمانشاه ما هذا نصه :

ومن هذه القرى قرية جيلان ينسب اليها الشيخ عبد القادر الكيلاني

وقد علق على هذه العبارة الاستاذ الفاضل السيد عباس العزاوي المحامي فقال ، جيلان لم تكن من قرى بعقوبة ولعل المؤلف اراد كيل اوجيل في قضاء كفري التابع للواء كركوك ذكرا وليا جلي ان الشيخ عبد القادر ينسب اليها فيقال الجيلي . وهل هو من بيشدر المعروفة قديما بقرية بشتير لم يتحقق المراد للبعد بين الموطنين . ولعل بيشدر كانت ممتدة النفوذ الى تلك الانحاء . ومنهم ينسب الشيخ عبد القادر الى كيلان العجم وهو الاكثر ولعل الاول هو الصواب انتهى .

قلت ان الشيخ عبد القادر الجيلي شخصية تاريخية لايفتقر وجودها الى دليل وهو لم يترك لنا كتبا بخط يده وتوقيعه انما كان له معاصرون وكان بعضهم من تلاميذه . والبعض الآخر تلمذوا على تلاميذه فالشيخ عبد القادر كان موجودا ومعروفا باسم الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي وانه كان يرأس مدرسة شيخه ابي سعيد المخرمي القائمة في باب الازج المعلومة الحدود حتى اليوم وقد عرف ببلده وهي جيل فسواء كانت جيل واقعة على بحر الخزر او في العراق او في ديار اخرى فهذا لا يترك مجالا للنقاش والبحث حول بلده كونها جيلا ولو نظرنا الى الموسوعات وكتب التراجم نجد ان شيخا حنبلي المذهب لم يجد فضلا عن زهده وورعه وتقواه ما يبرر الانتساب الى عشيرة وقد ساق النسابة هذا اثابت نسبه الى الحسن بن علي بن ابي طالب ع وانه لم يتخذ نسبه هذا وسيلة لجمع المال او الجاه كما هو شأن طائفة من المسلمين

ولما دعاوى النسب التي تقام الآن في المحاكم الشرعية لتحقيق اشتراك في ارث او استحقاق في وقف فلم يكن للشيخ عبد القادر مطمع كهذا

الايام الدباس سلك فوراً تحت تأثير نظره وان احدهما شوهد وهو يحمل بازاً عند خروجه للصيد ففي مثل هذه الظروف يقول الدميري ان الشيخ عبد القادر لقب بالباز الأشهب . (١)
ان مدرسة الدباس كانت صارمة ويظهر ان التلاميذ الصوفية نظروا نظرة غير مرضية لانتماء هذا الفقيه بينهم وبعد مدة حكم بان الشيخ عبد القادر اهل بان يلبس ثياب الصوف (الخرقة) ثم اكسي من قبل القاضي ابو سعد المبارك المخرمي الذي هو رئيس مدرسة فقهية حنبلية واقعة في بغداد قرب باب الازج وقد لوحظ ان الشيخ عبد القادر اصبح يتصل بابي سعيد

---

(١) قلت ان هذا اللقب متواتر بين الناس ~~ومن بعده~~ ان احد قادة السلطان مراد الرابع عليه الرحمة عند ما قاد جيشه لانتزاع بغداد من ايدي العجم سنة ١٠٤٨ هـ اجرى كشفاً على جميع التحصينات التي وضعها العجم لمحافظة بغداد ليرى هذا القائد نقطة الضعف فيها ويجعلها هدفاً لهجومه وبينما هو في هذا التفكير اخذته سنة من النوم فرأى في نومه ان الشيخ عبد القادر الجيلي تمثل له كالباز الأشهب على احد ابواب السور وعند ما استيقظ من نومه تيقن ان الله تعالى سينصر الجيوش العثمانية الاسلامية في انتزاع بغداد من ايدي العجم السفاكين فيما وجه هجومه من تلك الناحية وقد اخبر القائد السلطان مراد بهذه الرؤيا ثم نفذت الخطة ونجحت الجيوش في استرداد بغداد من ايدي العجم

يا ئل ما ذكرنا . ان نساء بغداد كن يأخذن اطفالهن الى المدفع الذي كان عند باب القلعة المسمى (الطوب ابو خزامه) وهو من المدافع التي استعملت في هدم السور عند حصار بغداد من جانب السلطان مراد الرابع لا لاعتقادهن فيه الضرر او النفع لان هذا السلاح المعدني ليس فيه قدسية خاصة بل انهن يرمزن لتقديس واحترام هذا المدفع ذكرى يوم انقاذهن من ظلم وبطش الاعاجم وهذا شيء مألوف لا يؤاخذ عليه حتى عند الغرب فاليوم نجد في معظم بلاد اوروبا نصباً تذكارية تسمى

الباز الأشهب

الباز الأشهب

[illegible]

ورابعها الاشارة وخامسها الغربة وسادسها لبس الصوف وسابعها السياحة وثامنها الفقر فالسخاء لنبي الله ابراهيم والرضا لنبي الله اسحق والصبر لنبي الله ايوب والاشارة لنبي الله زكريا والغربة لنبي الله يوسف ولبس الصوف لنبي الله يحيى والسياحة لنبي الله عيسى والفقر لسيدنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم واوصيك يا ولدي ان تصحب الاغنياء بالتعزز والفقراء بالتذلل وعليك بالاخلاص وهو نسيان رؤية الخلق ودوام رؤية الخالق ولا تتهم الله في الاسباب واسكن لله في جميع الامور ولا تضيع حوائجك اتكالاً باحد لما بينك وبينه من القرابة والمودة والصدق وعليك بخدمة الفقراء بثلاثة اشياء احدها التواضع والثاني حسن الآداب والثالث سخي النفس وامت نفسك حتى تحيى واقرب الخلق الى الله اوسعهم خلقا وافضل الاعمال رعاية السر عن الالتفات الى شئ يؤذي الله وعليك اذا اجتمعت بالفقراء بالتواصي بالصبر ان الفقير لا يستغني بشئ سوى الله تعالى يا ولدي ان الصولة على من دونك ضعف وعلى من فوقك فخر وان الفقر والتصوف فلا تخلطهما بشئ من الهزل هذه وصيتك انتهى (١)

ولادة الشيخ عبد القادر الجيلي

قدس سره

لقد ثبت بالتواتر ان الشيخ عبد القادر الجيلي ولد يوم الحادي عشر من شهر ربيع الثاني سنة ٤٧٠هـ .

وفاة الشيخ عبد القادر الكيلاني

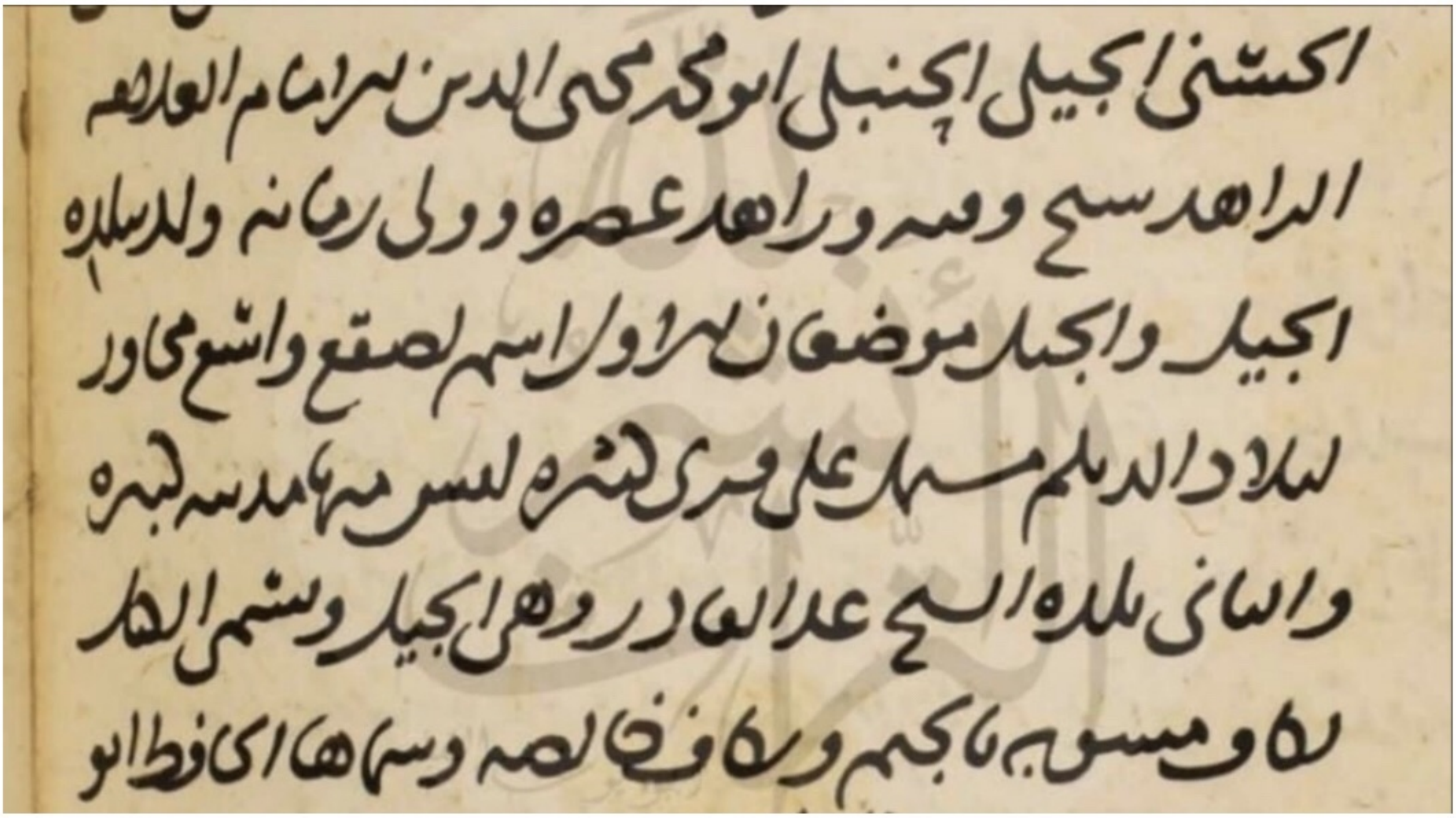
قدس سره

قال العلامة شمس الدين توفي الشيخ عبد القادر الجيلي ببغداد ليلة السبت ثامن شهر ربيع الآخر سنة ٥٦١هـ ودفن في الليل بمدرسته بباب الازج ببغداد

---

(١) الجزء الرابع من كتاب تاريخ العراق بين احتلالين للعلامة السيد عباس العزاوي المحامي

ابن الجوزي، كتاب، درر الجواهر من كالم الشيخ عبد القادر، مخطوطة سالم الالوسي، ص8.


الحسني الجيلي الحنبلي ابو محمد محي الدين بن الامام العلامه
الزاهد شيخ وقته وزاهد عصره وولي زمانه

ابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢ هـ) في كتابه: (جواب المراعي لسلف الشيخين عبد القادر وابن الرفاعي/خ)

وهذه رسالة تسمى جواب المراعي لسلف الشيخين
عبد القادر وابن الرفاعي تصنيف الامام العلامة الحجة
حافظ العصر شيخنا الشيخ شمس الدين ابي عبد الله
محمد بن ابي بكر عبد الله بن محمد بن ناصر الدين القيسي الشافعي
الدمشقي رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلومه امين

وزاد الله عصره ودولة زمانه ولد ببلدة الجيل والجيل موضعان
الاول منهما اسم لصقع واسع مجاور لبلاد الديلم مشتمل
على قرى كثيرة ليس منها مدينة كبيرة والثاني منهما
بلدة الشيخ عبد القادر وهي الجيل وتسمى الكيل بكاف
مشوبة بالجيم وبكاف خالصة وسماها الحافظ ابو
عبد الله محمد بن سعيد الدبيثي الكال وكانه اخذه
من ابن الحجاج الشاعر فانه سماها في بعض شعره بالكال
وهي قرية تحت مداين كسرى ولد بها الشيخ عبد القادر

النجوم الزاهرة للمؤرخ إبن تغري بردي المتوفى سنة 874هـ

وفيها توفي بُهْلول بن صالح أبو الحسن التُّجِيبيّ، كان إماماً حافظاً، قدم بغدادَ وحدّث بها، ومن رواياته عن آبن عباس رسالةُ زيادِ بنِ أنعُم.

وفيها توفّي محمد بن سَمَاعة بن عبيد الله بن هِلال بن وَكيع بن بِشْر أبو عبد الله القاضي الحنفيّ التَّيمي، ولد سنة ثلاثين ومائة، وكان إماماً عالماً صالحاً بارعاً صاحب اختيارات وأقوال في المذهب، وله المُصَنَّفات الحِسان، وهو من الحُفّاظ الثّقات، ولي القضاءَ وحُمِدت سِيرتُه، ولم يَزَل به إلى أن ضَعُفَ نظرُه وآستعفى، وكان يصلّي كل يوم مائتي ركعة. قال: مكثتُ أربعين سنة لم تفُتْني التكبيرةُ الأولى في جماعةٍ إلا يوماً واحداً ماتت فيه أمّي ففاتتني صلاة واحدة، وصلّيتُ خمساً[1] وعشرين صلاة رحمه الله تعالى.

وفيها تُوفّي محمد بن عبد الملك بن أبَان بن أبي[2] حمزة الزيّات، الوزير أبو يعقوب وقيل: أبو جعفر. أصلُه من جِبل[3] (قرية تحت بغداد). قلت: ومنها كان أصل الشيخ عبد القادر الكيلاني[4]. وكان أبو محمد هذا تاجراً وآنتمى هو للحسن بن سهل فنوّه بذكره، حتى آتصل بعده بالمعتصم، ثم آستوزَره الواثِق. وكان أديباً فاضلاً شاعراً عارفاً بالنّحو واللغة جواداً مُمدَّحاً، ومن شعره على ما قيل قوله: [الطويل]

فإن سِرتُ بالجُثمان عنكم فإنّني ... أُخلّف قلبي عندكم وأسِيرُ
فكونوا عليه مُشفِقين فإنّه ... رهينٌ لديكم في الهوى وأسِيرُ

قلت: وما أحسن قولَ القاضي ناصح الدّين الأرّجانيّ في هذا المعنى: [الكامل]

---

(١) في تهذيب التهذيب: «فصليت خمساً وعشرين صلاة أريد بذلك التضعيف».
(٢) كذا في الأصول والأغاني: ٢٣/٤٦ طبعة الهيئة المصرية العامة. وفي وفيات الأعيان: «أبان بن حمزة».
(٣) كذا في الأصول. وفي الأغاني وابن خلكان: «جَبُّل». قال ياقوت: الجبل قرية من أعمال بغداد تحت المدائن بعد زرارين يسمونها الكبل. وفي هامش الأغاني (المذكور أعلاه): الجُبُّل قرية مقابلة لقرية دسكرة خربي بغداد.
(٤) أو عبد القادر الجيلاني. والصواب أن أصله من جيلان التي وراء طبرستان.

ابن الملقن،در الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، مخطوط في مكتبة طلعت المصرية تحت رقم 839/تصوف.

لله . الفصل الخامس في بيان بعض مناقبه وما وعد
أهل محبته . الفصل السادس في بيان عدد أولاده
الذكور . الفصل السابع في بيان تاريخ مولده ووفاته .
الفصل الأول في بيان نسبته ونسبه وسبب تسميته
بمحي الدين فأقول وبالله التوفيق ، أما نسبته
رضي الله عنه فقد قال العلماء رضي الله عنهم إنه منسوب
إلى جيل بكسر الجيم وسكون الياء وبها ولد ويقال
فيها أيضا جيلان وكيلان أيضا وهي قرية على
شاطئ(١) مسيرة يوم من بغداد مقابلي طريق واسط وكان
به جد لأمه يسمى بأبي عبد الله الصومعي وكان يعرف
بجيلان ونحن إذا قلنا عبد القادر الجيلاني أي ينسب إلى
جده وهذا في بعض الروايات والتحقيق أنه جيلاني أبا
وأما وأصلا . وأما نسبه رضي الله عنه فهو عبد القادر
ابن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن موسى
ابن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله أبي الكرام موسى
الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط

① الدجلة ملي

– أ.د.عبدالستار عزالدين الراوي : يسعدني أن أنوه برصانة إنجازكم العلمي الموسوم (جغرافية الباز الاشهب) واشيد بالنتائج القيمة التي توصلتم اليها تدقيقا وتحقيقا ، وما حظيت به جهودكم في هذا السفر من الاهمية والاعتبار، بشهادة ذوي الرأي والاختصاص . إن إختياركم شخصية السيد عبدالقادر الكيلاني ، عنوانا لبحثكم وتحت اشراف الصديق البروفيسور عماد عبدالسلام رؤوف ، المؤرخ المدقق ، يضفي على عملكم العلمي ميزة التحقق الدقيق والإحكام السديد . لاسيما لشخصية بمنزلة الكيلاني الذي يستحق بجدارة أن يوضع في مركزه التاريخي ، بوصفه علما عراقيا وعربيا ، وواحدا من ابرز أعمدة التصوف الانسلامي وقطبا من أقطابه الاربعة ، تحتل مدرسته العرفانية مكانة كبرى بين الطرق الصوفية الاربع ، فالطريقة القادرية تضم الملايين في مشرق العالم ومغربه ، فضلا عن حضوره الروحي والوجداني لدى العراقيين والشعوب الاسلامية ، ولذلك فإن اعتقد بأن بحثكم المعمق في تأصيل جغرافية المكان للشيخ الكيلاني.. (جغرافية الباز الاشهب) سيجد دون ادنى شك مكانا رفيعا في ذاكرة بغداد وخزائن العلم العراقية ، وسيكون عونا للباحثين في تاريخ التصوف الاسلامي، بوصفه جهدا علميا موثوقا في مقدماته ونتائجه ، متمنيا للباحث الكريم التوفيق والسداد.

– أ.د.أيمن فؤاد سيد : سرني الجهد العلمي الكبير للدكتور جمال الدين فالح الكيلاني في كتابه (جغرافية الباز الاشهب) وقد تصدى لدراسة وتحقيق سيرة الشيخ عبد القادر الكيلاني في رؤية جديدة وقراءة معاصرة,وقد امتاز بمعلومته الجديدة في تحديد نسبة الشيخ الكيلاني ومرجعيتة الى جيلان العراق. التي هي اصل تسمية جيلان حيثما وجدت هذه التسمية وقد توافق في ذلك مع اعلام المؤرخين وبعض الدراسات الاركولوجية.اتمنى للدكتور جمال الدين كل التوفيق ومزيدا من النتاج العلمي المميز.

– أ.د. فاروق عمر : اطلعت على الكتاب ووجدتك ، امينا على الحقيقة واعتمدت على مصادر رصينة وتناولت موضوعا مهما جدا، ومنذ القراءة الاولى لمست مقدرتكم العلمية ورصانة ادائكم الاكاديمي وهذا بكل تاكيد يدل وبدون ادني شك على حبكم للعلم والتراث العلمي كما هو الحال ينم عن قدرتكم في الاخذ بزاوية تناول متميزة ... الكتاب يعد اضافة علمية راقية للمكتبة التاريخية .

– أ.د. طارق نافع الحمداني : من جديد نطل ونشيد بالدكتور جمال الكيلاني الذي بذل جهودا علمية محترمة واظهر لنا هذا الكتاب الرصين الثمين في محتوياته ومعلوماته الجديدة التي اكد حقائق كان البعض منها مشوش والاخر غائب.نتمنى للسيد المؤلف السداد والتوفيق وننتظر منه نتاجات علمية اخرى.

– أ.د. فاضل عبود التميمي : الكتاب مهم لان مؤلفه كتبه على وفق منهجية اعتمدت النصوص المحققة التي لاشبهه تلحق متونها فضلا عن انه اعتمد مراجع جديدة اماط اللثام عن فحوى دلالاتها...

– أ.د.رعد شمس الدين الكيلاني : ان الشيخ الكيلاني كنز من كنوز المعرفة والتربية ولكنه مع الاسف الشديد لم يأخذ حقه من الدراسة وما قام به الدكتور جمال الدين يعبر عن وفاء العلماء والباحثين للسيرة العطرة للباز الاشهب فقد سلط الباحث على سيرة الشيخ وحلل الروايات التاريخية وخرج بنتائج علمية رائعة تدل على عمق الفكر وسعة الاطلاع ندعو الله ان يسجل للباحث اجر ما قام به من عمل.

– أ.د.فهمي جدعان : اننا عندما نتابع الانتاج الفكرى والثقافي والعلمى لأهلنا بالعراق ....يدفعنا الأمل وتصل بنا السعادة الى الاطمئنان على بلاد الرافدين التى انتجت علما وادبا انار الارض بمشارقها ومغاربها ثقافة وفكرة ....وما السيد الدكتور جمال الدين فالح الكيلانى بأقل من هؤلاء بل هو من رافدا قويا ينبع من هذا الجدول الصافي ...من بغداد حاضرة العلم والفكر والخلافة....انتم من تبثون في ارواحنا الامل القائل "اننا لازلنا امة العرب على قيد الحياة" .

– أ.د.سعد زغلول عبد الحميد : وفقكم الله لهذا الانجاز واكيد ان من يتتلمذ على يد الاستاذ الكبير عماد عبدالسلام رؤوف لابد ان تكون له لبنة في كتابة التاريخ وسبر اغواره ، وهذا ما لمسته خلال قرائتي لبحثكم العلمي الرصين جغرافية الباز الاشهب.

– أ.د.أسماء صقر القاسمي : جهد قيم يستحق الإشاده لازاله اللغط حول تاريخ شخصيات لها وزنها وحجمها فى تاريخ الأمة الاسلامية العربية .

– أ.د. يقظان سعدون العامر : ان الولوج الى عمق التاريخ وسبر اغواره يحتاج الى جهد كبير , وبدراستك هذه جمال الدين ،كنت باحثا دقيقا ، خاصة أن مسألة مكان ولادة الشيخ عبد القادر رحمه الله عليه ،محل جدل

منذ زمن طويل حيث طالبت المملكة الايرانية بنقل ضريحه الى ايران بحجة كونه من ولادة جيلان الايرانية .

– أ. عـلاء الـدين المـدرس : ان الاهتمـام بتـراث الاعـلام والمجـددين والمصـلحين الربـانيين، هـو عبـادة لله ودعـوة للحـق والنـور وبيـان لحضـارة القران.. قال النبي العربي والرحمة المهداة: الناس كالابل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة.. وهكذا يحدد النبي الكريم نسبة المجددين والرواحل بين الناس بنسبة 1% وهي نسبة ضئيلة معبرة عن ندرة هؤلاء الرواحل المجددون في حياتنا وفي التاريخ بشكل عام. ولعل الامام المجدد السيد الشيخ الجيلاني من أبرز هؤلاء المجددين والمهدين خلال تاريخنا الاسلامي الطويل، فهو الامام العلوي السلفي الصوفي، الذي جمل الفضائل كلها في عصر التدهور والركود والانحدار الاسلامي في أواخر العصر العباسي الأخير.. فكان سببا مهما في ظهور حركة التجديد والنهضة والأخلاق والجهاد.. جيل صلاح الدين الايوبي الذي تحررت على يديه القدس الشريف وتم طرد الغزاة من بلاد الشام، الى بلادهم في أوربا التخلف والهمجية في ذلك العصر المظلم بالنسبة لها .. والمنير المشرق بالنسبة للمشرق الاسلامي في بغداد والقاهرة وقرطبة.. بفضل هؤلاء الرجال الرواحل والعظام. ولعل كتابكم الجميل (جغرافية الباز الأشهب) بشكله ومضمونه هو لافته كبيرة على طريق استلهام تراث ذلك الجيل الرباني الفريد الذي سار على نهج الجيل القراني الأول جيل الآل والأصحاب الكرام. ولعل في تحقيق محل ولادة الشيخ عبد القادر بالشكل الذي ظهر، في بغداد أرض السلام والعلم والحضارة، هو من الثمار الرائعة التي جاءت في سفركم الطيب، التي تتناغم مع الشخصية العربية الجزلة التي كانت تزين سيرته العطرة، التي امتازت بالشجاعة والعفة والحكمة، وفي منهجه السلفي الصوفي الوسطي المستقى من مشكاة القران

وسيرة المصطفى.. ولعل السلوك الاخلاقي والمسائل الاخلاقية التي أصلتها الطريقة القادرية بشكلها المتوازن الوسطي البعيد عن الاضافات والشطحات المتأخرة، والتي أضيف الى منهج التصوف الرباني القادري، هي أجمل ما قدمه الشيخ عبد القادر الجيلاني ومدرسته الفذة لهذه الامة وتراثها الزاخر. ولعل من الانصاف القول بأننا ندين لهذا الامام باعادة الحياة للأخلاق والسلوك الفاضل والمنهج القراني المعتدل المتسامح، الذي يفتقده المجتمع اليوم من خلال تطبيق المسائل الاخلاقية في حياتنا المعاصرة المليئة بالتأزم والاستقطاب الديني، ومن خلال الدعوة الى المنهج الوسطي الرباني الذي بشر به الشيخ عبد القادر على نهج النبوة.. وجمع خلاصات المدارس والمذاهب الاسلامية والانسانية، التي تعبر عن جوهر الدين والاخلاق. بوركتم والى مزيد من الاعمال المتميزة والهادفة لخدمة تاريخنا وتراثنا الخالد. ..

– أ.د.مؤيد الونداوي : لا بد لمثل هكذا كتابات قيمتها الكبيرة وتستدعي الاهتمام والتعرف على محتوياتها بوصفها تقدم مادة جديدة للباحثين والمتخصصين مع اطيب تمنياتي للدكتور جمال الدين وشكرا على الجهد الكبير الذي بذله في اعداد هذا الكتاب.

– أ.د احمد هاشم السامرائي: ان الكتاب الذي بين ايدينا كتاب كبير بمادته ومنهجه ومؤلفه ، فحين اطلعت عليه وجدت منهج البحث فيه قائما على الدقة والموضوعية ، فاستطاع الأخ الدكتور جمال الدين أن يرصد أشياء لم يسبقه إليها أحد ، بحسب علمي ، وما هذا إلا فتح من الله ، أرجو للأخ الدكتور الفاضل مزيدًا من العطاء لخدمة تراثنا الخالد ، وخدمة أولياء الله الصالحين .

– أ.د.بشار عواد معروف : أبارك جهدك العلمي الكبير دكتور جمال الدين الكيلاني ... كنت موفقا اولا في اختيار موضوع بحثك الذي كشف حتما عن جوانب عظيمة وجديدة لهذه الشخصية الدينية والعلمية الخالدة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني ....ادعو لك صادقا المزيد من العطاء العلمي .. كتبت عن رجل فذ في علمه ومكانته العالمية المرموقة ... ومما يضيف على رصانة مؤلفك القيم حتما لمسات العالم الجليل الاستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف موضع فخرنا جميعا ....بوركت جهودكما ....

– أ.د. مصطفى الزلمي : بارك الله بالباحث وجعله الله في ميزان حسناتكم ..كنت منصفا في استقصائك لسيرة صاحب الذكر العطر الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس الله روحه) ومنهجيا رائعا .. أضفت بعملك الصالح هذا_ مادة تاريخية أكاديمية للمكتبه العراقية والعربية والاسلامية ... كل الاعتزاز بك باحثا اكاديميا مجيدا.

– أ.د. حمدان الكبيسي : بارك الله بيك على هذا المجهود الكبير والاكثر من رائع وان هذا الكتاب المبارك والطيب باذن الله يشكل اضافة مهمة ورائعة في المكتبات العراقية والعربية والعالمية وخاصا المكتبات التاريخية الاكاديمية ونسال الله الواحد الاحد ان يجعلة في ميزان حسناتكم ويجزيكم عنة خير الجزاء وندعوا من الله سبحانةوتعالى ان يحفظكم خدما للعلم والعلماء ومن الله التوفيق .

– أ.د. هاشم يحيى الملاح : عودنا الباحث جمال الدين الكيلاني على الأصالة فيما يكتب ويبحث وهذه الدراسة دليل اخر على ذلك ، لقد استخدم ادوات البحث التاريخي بتجرد كبير وكانت له روح المطاولة على

تتبع الحدث التاريخي وتحقيقه بتجرد بالرغم من ان الموضوع شديد المساس بتاريخ الاسرة الكيلانية التي ينتمي لها ...بارك الله فيه وننتظر المزيد

.

– أ.د.عادل المخزومي : يبدو لمن يطلع على السطور الاولى من كتاب الدكتور جمال الدين الكيلاني ، بأنه سيدخل الاعتقاد الى قلبه بان الدكتور جمال الدين الكيلاني ، كان مدفوعاً بسبب عاطفته ليكتب عن أحد أجداده ، و سيتطرق الى القاريء هاجس يشير الى ما سيصادفه من مديح و إطراء للشخصية المبحوث عنها ، و بذلك ، أرى هكذا قاريء سيتصور بانه سيدخل جبّاً حالك الظلام ، لكن عند استمرار القاريء في البحث عن (العراقي ، المتصوف ، الفقيه ، المقدس الشيخ عبد القادر الكيلاني) سيجد نفسه انه على النقيض مما اعْتَقَدَ مسبقاً ، لماذا ؟

الجواب انه سيجد نفسه قد انتقل من ظُلمة الجهل بمعرفة الشخصية صاحبة الموضوع ، الى فضاءات منيرة ، لا حدود لها من المعارف التي تدفعه لأن يستزيد من معرفة شخصية و علمية واحد من الرموز العربية ، المتحدرة من سلالة سيد البشر ، و انها عراقية المنبت و الترعرع ، مما يزيدنا تشوقاً للمعرفة كباحثين عن جواهر كنوزنا ، أصحاب العطاء الثَّرْ ، و في مقدمتهم رمزٌ كان له عطاءه الفقهي – الجهادي – التصوفي ، و جهود كثيرة أخرى نَهَلَ منها أصحاب الاختصاص ، مما دفع غير العراقيين يتمنون ان يكون هذا الرمز من كنوزهم ، و لأجل الاختصار بودي ان يتقبل اخي الدكتور جمال الدين الكيلاني ، خالص تبريكاتي ، و أمنياتي بالمزيد من العطاء ، رعاك الله متألقاً.

– أ.د. قحطان الحديثي :مامن شك أن الكتابة التحقيقية التوثيقية تعد من أكثر البحوث العلمية أهمية في حياة المجتمع فما بالك في كتاب يحقق

ويوثق في حقيقة ميلاد شخصية مهمة في العالم الإسلامي ,وينقذنا فعلا من ورطة "المعرفة غير الدقيقة" التي سادت بيننا لدهر من الزمن .

– أ.د.خالد ناجي السامرائي : ليس غريبا على حفيد قطب بغداد ، وعلم زمانه غير مدافع ، صاحب الكرامات الشيخ عبد القادر الكيلاني ، هذا العطاء المعرفي وهذا الأستقصاء الممنهج لسيرة جده العطرة.

أن نتاجك العقلي هذا لهو أكبر من مجرد مصنف يضاف الى جملة المصنفات العربية ، أنه توثيق لواحد من علامات بغداد ، بأيضاح معطيات حياته تتجلى بغداد بأزهى حللها ، كيف لا وهو الباز الأشهب درة عقدها ، كتابك هذا أضافة قيمة للمكتبة العربية بعامة ومكتبة التصوف الأسلامي الصافي .

– أ.د.نبيلة عبد المنعم داود : اثني على الجهد الكبيرالذي بذله الدكتور جمال الدين في سيرة الامام والشيخ الجليل عبد القادر الكيلاني طيب الله ثراه من اجل تصحيح التراث الاسلامي وتنقيته من الشوائب بحق هذا الشيخ من اجل تنوير الاجيال القادمة وارشادها الى كيفية اثبات الحقائق التاريخية العلمية والتحقق من المعلومات الصحيحة وليس نقل ما توارثه الباحثون . وانا وجد ت هذا الذي قال به الدكتور جمال الدين الكيلاني اكيد جهد استثنائي في مجال البحث التاريخي وارفد المكتبة الاسلامية بهذه الدراسة الرائعة .بارك الله في جهدك واتمنى ان اربى عمل اخر في تاريخ الامة الاسلامية ورجالها .

– أ.د.عبد القادر المعاضيدي : بارك الله في الباحث المحقق جمال الدين فالح الكيلاني ؛ فقد أجاد و أفاد و أعطى التحقيق حقه المعتاد حين جاء بسيرة الشيخ الصالح الاواب سيدنا عبد القادر الحسني قدس الله روحه و زاد ؛ و حقق مكان ولادته بالضبط بتوفيق و سداد , و دلل و حجج مبحثه

بكـل دليـل و حجـة و استشـهاد ؛ فجـزاه الله خيـرا وبـارك فيـه بغيـر حصـر و أعداد.

– أ.د.عبـد الامير دكسـن : سـرني ان اقـدم التهـاني للجهـد العلمـي المتميـز الـذي بذلـه الـدكتور جمـال الـدين الكيلانـي فـي كتابـه التـاريخي الرصـين ، جغرافيـة البـاز الاشـهب ، عبـد القـادر الكيلاني متمنيـا المزيـد مـن التقـدم في مجال البحث التاريخي .

– أ.د. زياد الصميدعي : منذ زمن ليس بقريب وانا ابحث عن حياة سيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني قدس الله سره العزيز وكانت تدور في راسي اسئلة لم اجد من قد اجاب عنها حتى قيض الله لنا علما من اعلام التاريخ فتح الله تعالى عليـه فاتحفنا بكتابه الرائع جغرافيـة البـاز الاشـهب الـذي اجـاب علـى ماكان يدور في ذهني ووضح تاريخا علاه غبار التزوير والتحريف فجزاك الله تعـالى خيـرا يادكتورنـا العزيـز جمـال الـدي الكيلانـي وفـتح الله عليـك بفتـوح العارفين .

– أ.د. أحمـد شـوقي العمرجي : قـرأت دراسـتكم الطيبـة عـن سـيدى عبـد القـادر الجيلانـى ياسـعادة الـدكتور جمـال الـدين، وهـي دراسـة قيمـة ومجهـود علمى رائع وقد تناولت هذا الموضوع بطريقة علمية ومنهجية جزاكـم الله خيراً عليه.

– أ.د.أحمد ناجي الغريري : إن أقدم تعريف لمصطلح التاريخ ، هو حفظ الاشياء الجليلة . ويقينا أن كل ما ورد من تعريف لمصطلح التاريخ بعد ذلك ، لا يخلو قطعا من هذا المعنى . ومن ذلك فالمؤرخ المدرك لماهية عمله ووجوب قلمه ودقة اختياره ، لا ينفّك أن يبحث فيما فيه فائدة للإنسان . ونعتقد أن الترجمة للأفاضل والكرام من البشر ، إنما هو انعكاس لما يحمله

هذا الذي ترجم لهؤلاء الافاضل من صفات الاحسان والفضيلة . وما ساقه الدكتور جمال الدين الكيلاني في كتابه " جغرافية الباز الأشهب " الرائع بمضمونه وما حمله من معرفة ، فهو يعد إضافة علمية تضاف الى التاريخ الحضاري لهذه الامة التي يفتخر بها كل من أنتمى اليها ومن دانت له قطوفها . فمبارك لنا لأن زميل لنا قد أنجز ، وللأخ الدكتور وللجامعة التي احتضنت مثل هذه الكفاءة التي بلا شك ، سيتحفنا صاحبها بغيرها من تحف العقول.

– أ.د. السيد عبد العزيز سالم : اهنئكم السيد المحقق جمال الدين فالح الكيلاني على انجازكم العلمي الرصين في كتابكم : جغرافية الباز الاشهب . وفقكم الله الى مزيد من الاعمال في تحقيق تراث الامة والكشف عن الحقيقة مما نحن بامس الحاجة اليه في زمن سادت فيه الجهالة وغيبت الحقيقة. اسأل الله لكم التوفيق واتطلع الى مزيد من العطاء .

– أ.د . محمد مظفر الادهمي : مؤلفكم"جغرافية الباز الأشهب" ينم عن جهد طيب ومبارك إذ اجتهد وجدَّ وبرع فيه الباحث الدكتور جمال الكيلاني وأضاف إلى المكتبة العربية الاسلامية –هذا المصنف – لينضم مع كتب ثراثية كثيرة لها شهرتها ومصادرها الموثوقة ، فضلا عن ذلك إن فيه مادة علمية رصينة ودقة وموضوعية انماز بها منهجه وأسلوبه في البحث العلمي فأضاءت شطرا هاماً من صفحات التاريخ لرجالات أمتنا العربية والاسلامية الخالدة ولاسيما العالم الرباني جليل القدر عظيم الفخر الإمام عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره الشريف) ادعو الله تعالى أن يلهم أحبتنا وباحثينا لتوخي الدقة والصواب في القول والعمل ومزيدا من الإبداعات بإذنه تعالي.

– أ.د.حاتم صالح الضامن : البحث في سيرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ليس سهلا، بل محفوف بالمخاطر، ولا يتصدى له إلا من تمرس على البحث

وتسلح بالصبر، فهنيئا للدكتور الشريف جمال الدين على هذا العمل الجاد والذي يعد إضافة حقيقية في المكتبة التاريخية عموما والصوفية خصوصا، وأتمنى أن ينجز المؤلف بحوثا أخرى في المجال ذاته.

– أ.د. عبد الرزاق الانباري: هذا المؤلف"جغرافية الباز الأشهب"جهد مشكور من الباحث الدكتور جمال الكيلاني فقد برع في توضيح ما اختلط في كتب ثراثية كثيرة لها شهرتها ومصادرها الموثوقة في تأكيد أن الإمام عبد القادر الجيلي "عراقي الولادة النشأة والوفاة وعندما نضئ هذه الصفحة من صفحات التاريخ لإمام جليل مثله ، نكون أصبنا كبد الحقيقة والدقة والموضوعية التي يتميز بها منهج البحث العلمي وفقك الله أخي الدكتور جمال ومزيدا من الإشراقات لكم في المستقبل بإذن المولى تعالي.

– د.مأمون فريز جرار : اطلعت على تحقيقك العلمي لمكان ولادة القطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني ، قدس سره ،جدك ، وجدي لأمي ، فزادني هذا الاطلاع رغبة في المزيد من معرفة أخباره ، وقراءة كتبه ، ومما يحفزني إلى ذلك أن الإمام عبد القادر من أساتذة الأستاذ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي ، رحمه الله ، مؤلف رسائل النور ، وهو من اتخذته إماما لما رأيت في رسائل النور من العلم اللدني الذي يلبي حاجة العصر ، وقد كان القطب الرباني سيدي عبد القادر موجها لأستاذنا النورسي في الطريق إلى الله ، فبارك الله فيك على الجهد العلمي الكير في تحقيق موطن ولادة جدنا قدس سره ، وقراءتي لكتابك هذا يحفزني إلى الاطلاع على كتبك الأخرى ومقالاتك حول جدنا القطب الرباني، جزاك الله خيرا ونفع بك ، ونفعنا ببركة جدنا ، آمين

–أ. د. عبد الرحمن علي الحجي : جهود مباركة بذلها المؤلف الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني من أجل إظهار الحقيقة وهي أن جدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني عراقي المولد والولادة، وعمل توثيقي منهجي رصين نهجه الباحث في إظهار الحقيقة للتاريخ والأمة. بارك الله فيك والى مزيد من الكتابة إن شاء الله .

– أ.د.علاء موسى كاظم نورس : هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو إضافة قيمة للمكتبة الإسلامية عمومًا والعراقية خصوصًا؛ ويتجلَّى ذلك في المعلومات الدقيقة التي سلط الباحث جمال الدين الكيلاني الضوء عليها : تحديد محل ولادة الشيخ الكيلاني وهي في جيلان العراق، حيث كانت محل خلاف. ثم المنهجية التي سار عليها. وأنا في هذا المقام أسأل الله له التوفيق والتفوق في عمله وحياته، وأدعوه إلى مزيد من هذه الجهود التي تبرز للعالم علماء العراق، وتحدد هوية هذا البلد بتاريخه العظيم، الذي يسعى أعداؤه إلى قطع الصلة به.

– أ.د.عبد الستار مطلك درويش : الدكتور جمال الدين الكيلاني اطلعت على كتابكم الرائع الذي خصصته لشيخنا عبد القادر الكيلاني قدس الله سره وانه لشرف كبير لكم ولنا ان نطلع على سيرته ودوره الكبير في الدعوه الى الله وفد جاء الكتاب بحقائق في غاية الاهميه وتعد فتح افاظه الله عليك بارك الله فيك ،ابارك لك هذا الجهد الطيب وابارك للاستاذ الدكتور العلامه عماد عبد السلام وجعله الله في ميزان حسناتكم واتمنى ان توزع الكتاب وتنشره بشكل واسع دعواتي لكم بالتوفيق ودمت اخا عزيزا.

– أ.د.عامر الجميلي : قرأت طبعة كتابكم القيّم جغرافية الباز الاشهب، فطالعني فيه خير كثير ، ونعمت كما نعم غيري بما فيه من رصانة وتمحيص

ومقدرة فنّيّة ومنهجيّة كبيرة ، وإتيان بأدلّة تثبت بما لا يدع مجالاً للشكّ في ترجيح مكان ومولد ونشأة الشيخ الكيلاني ، وهو ما ترجحه الدراسات التاريخية الحديثة أيضاً ، واحبّ أن اضيف دليل آخر على ما تفضّلتم به من قرائن وأدلّة قاطعة ، فأقول إنّ منطقة (الجيل أو الگيل أو الگال) وهي من أعمال بغداد في منطقة المدائن ، كانت هي وغيرها من مناطق شرقي العراق ما بين (واسط وبعقوبة) مركزاً روحياً لانتشار مذهب التصوّف الإسلامي أكثر منه في مناطق شمال إيران ومنها بطبيعة الحال (گيلان طبرستان) ، ومن يطّلع على كتاب زميلنا الدكتور (محمد حسين علي السويطي) الموسوم " تاريخ واسط – دراسة في الحركة الفكرية خلال العصر العبّاسي " ، وكتاب الدكتور (تحسين حميد مجيد) ، الموسوم " تاريخ ديالى " و كتاب الدكتورة (ناجيّة عبدالله ابراهيم) الموسوم " ريف بغداد " وغيرها من الكتب التي عالجت موضوع (الجغرافية التاريخية لمناطق شرقي العراق ، يخرج منها بجميعها إلى محصّلة مفادها أن تلك المنطقة كانت (بيئة متكاملة وحاضنة لظهور وانتشار وانتعاش وازدهار مذهب التصوّف الإسلامي) ، ونشر طرقه إلى عموم العالم الإسلاميّ بشرقيّه وغربيّه ، وتزخر تلك الكتب التي نوّهت بها إلى سرد لذكر مشاهير علماء التصوّف من أتباع تلك الطرق الصوفيّة ، ولم يفت الرحّالة العرب والمسلمين أن ينوّهوا بهذه الظاهرة اللافتة للإنتباه !

– أ.د.سامي مكي العاني : الفاضل جمال الدين فالح الكيلاني يضرب بمطرقته لينبّه الباحثين إلى عدم الاستسلام لما بات من المسلّمات .. فكثير من الأخطاء تصبح حقائق بتراكم السنين ، وبتداول الباحثين لها من غير تمحيص .. وأن يعمد الباحث جمال الدين الكيلاني – في كتابه هذا – إلى

إحدى السواري فيهدمها ويبيّن أنها ما عادت عمودًا تقف عليه الحقائق العلمية فذلك شأن يستلزم تتبّعًا وتحليلا وقراءات متأنّية متعدّدة ، وشجاعة وتجرّدًا لوجه العلم والحقيقة .. وحين يكون هذا النهج النقدي مبكّرًا لدى الباحث الجليل فإنّ القادم من أبحاثه سيكون له شأنٌ في محافل الصدور والأعيان..

الاختصارات والرموز

ترمز الحروف والكلمات التالية إلى ما يقابلها أينما وردت في الدراسة:

ص:	صفحة
ج:	جزء
ق:	قسم
ع:	عدد
ت:	توفي
هـ:	هجري
م:	ميلادي
ط:	طبعة
د. ط:	دون طبعة
د. ت:	دون تاريخ نشر
د. م:	دون مكان نشر
د. ن:	دون ناشر



مولدِ قادری

اُردو ترجمہ

جغرافية الباز الأشهب

حضرت سیدنا الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ

کی سیرتِ مبارکہ اور آپ کے مقامِ ولادت پر جامع تحقیق

تالیف

ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی

ترجمہ و پیشکش

سید وحید القادری عارف

پرل پبلیکیشنز
شکاگو، الی نائے
یو ایس اے

مولدِ قادری

اردو ترجمہ

جغرافیۃ الباز الاشہب

حضرت سیدنا الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ

کی سیرتِ مبارکہ اور آپ کے مقامِ ولادت پر جامع تحقیق

تالیف

ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی

نظرِ ثانی

ڈاکٹر عماد عبد السّلام رؤوف

ترجمہ و پیشکش

سید وحید القادری عارف

تفصیلاتِ اشاعت

کتاب کا نام: مولدِ قادری

صنف: ترجمہ 'سیرت' تذکرہ' تحقیق

تالیف: ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی

ترجمہ و پیشکش: سید وحید القادری عارف

سن اشاعت: ۲۰۱۷ء

ناشر: پرل پبلیکیشنز' شکاگو' الی نائے (امریکہ)

فہرست

صفحہ	عنوان
8	آیتِ کریمہ
9	انتساب
10-11	کلمات۔مولانا مفتی خلیل احمد شیخ الجامعہ (جامعہ نظامیہ)
12-16	تقریظ۔ڈاکٹر توفیق انصاری احمد
17-20	عرضِ حال۔سید وحید القادری عارف
21	ہدیہءتشکر۔ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی
22-24	مقدمہ۔ڈاکٹر عبد السلام رؤوف
25	کلمات۔ڈاکٹر ماجد عرسان الکیلانی
26	کلمات۔ڈاکٹر سعید عبد الفتاح عاشور
27	کلمات۔ڈاکٹر محی ہلال السرحان
28	کلمات۔ڈاکٹر رشید الخیون
29	کلمات۔ڈاکٹر محسن مہدی
30	کلمات۔ڈاکٹر کمال مظہر احمد
31	ارشادات امام نووی رحمۃ اللہ علیہ
32	اقوالِ زرّین
33-34	حقیقت اور تاریخ

صفحہ	عنوان
35	باب الداخلہ
36	مشکلاتِ تحقیق
37	سفرِ مکان وزمان
38ومابعد	حضرت سیدنا الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی سیرت پر نظر غائر
39-40	حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ نام 'کنیت اور نسب
41-42	مقامِ ولادت وآفرینش
43 ومابعد	آپ کے سفر
43-44	جیل سے بغداد کا سفر
44	بغداد سے بعقوبہ کا سفر
44-45	بغداد سے دیارِ مقدسہ کا سفر
46-47	سیاسی اور سماجی پس منظر
48-52	مجلسِ وعظ وتدریس
53	آپ کی دعوتِ اصلاح کی خصوصیات
54-55	آپ کی دعوت وارشاد کا طریقِ کار
56-57	صلیبی جنگوں کے دوران آپ کا مجاہدانہ کردار
58	فقہی مکاتبِ فکر
59-61	تصانیف

صفحہ	عنوان
62	وفات
63-66	اولاد
67ومابعد	حضرت الشیخ عبدالقادر الجیلی رضی اللہ عنہ کے مقامِ ولادت کا ذکر اور اس کے مصدر و مرجع پر تفصیلی نظر
68ومابعد	تاریخِ اسلامی میں تہذیب و ثقافت پر مباحث
68	ثقافتی ورثہ کی بیخ کنی
69-70	تاویلات
70	جائزہ
71ومابعد	ابتدائی مورخین
71-74	ماضیءبعید۔ مثلاً السمعانی
74-78	ابوالفرج ابن الجوزی۔ مورخ جو کسی اور کی پیروی نہیں کرتے
78-79	تاریخ کی نظر میں
79ومابعد	مورخین متاخرین
79-82	الشطنوفی
82-83	ابن الملقن
83-84	زین الدین السائح
85	اعتدال پسند مورخین ابنِ تیمیہ 'الذہبی 'ابنِ کثیر اور ابنِ رجب

صفحہ	عنوان
86	وضاحت
87-88	عراق کے تاریخی جغرافیہ کا ایک جائزہ
89وما بعد	تاریخ کی دشوار راہیں
89-91	کڑیاں
91-92	مردم شماری کے شواہد
92-95	دائرہء تکرار سے خروج
96	فیصلہ کن پیش رفت
97-98	خاتمہ
99-109	اہم ذرائع اور حوالہ جات کی فہرست
110-116	سوانح محقق ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی از ڈاکٹر ابراہیم خلیل العلاّف
117-131	ملحقات
132-153	کتاب کے متعلق منتخب اقوال

بسم اللّٰہ الرحمٰن الرحیم

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

(سورۃ الأعراف/۱۴۳)

صدق اللّٰہ العظیم

اور جب موسیٰ ہمارے مقرر کیے ہوئے وقت پر (کوہ طور) پر پہنچے اور ان کے پروردگار نے ان سے کلام کیا تو انہوں نے عرض کیا کہ اے میرے پروردگار مجھے (اپنا جلوہ) دکھایئے کہ میں آپ کا دیدار کر سکوں۔ ارشادِ باری ہوا تم مجھے ہرگز نہ دیکھ سکو گے۔ ہاں پہاڑ کی طرف دیکھتے رہو اگر یہ اپنی جگہ قائم رہا تو تم بھی مجھے دیکھ سکو گے۔ جب ان کے پروردگار نے پہاڑ پر تجلی فرمائی تو (تجلیءانوارِ ربانی) نے اس کو ریزہ ریزہ کر دیا اور موسیٰ بے ہوش ہو کر گر پڑے۔ جب وہ ہوش میں آئے تو عرض کیا کہ آپ کی ذات پاک ہے، میں آپ کی جناب میں توبہ کرتا ہوں اور میں سب سے پہلے ایمان لانے والا ہوں۔ (سورہءاعراف آیت ۱۴۳)

صدق اللہ العظیم

انتسابِ کتاب

میں اپنی اس کاوش کو حضرت العلامہ صالح احمد العلی رحمۃ اللہ تعالیٰ علیہ کی روحِ پاک کی خدمت میں ہدیہ پیش کرتا ہوں جنہوں نے مجھے حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کے مقامِ ولادت کی تحقیق کی جانب توجہ دلائی۔

ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی

انتسابِ ترجمہ

میں اپنے اس ترجمہ کو والدی و شیخی حضرت العلامہ ابو الفضل سید محمود قادری خلیفہء نقیب الاشراف بغداد حضرت سید ابراہیم سیف الدین الکیلانی رحمۃ اللہ علیہما سے منسوب کرتا ہوں جن کا فیضِ تربیت میرے لئے ہمیشہ مشعلِ راہ ہے۔

سید وحید القادری عارف

کلمات

فضیلت مآب مولانا مفتی خلیل احمد صاحب

شیخ الجامعہ "الجامعة النظامية"

حیدر آباد دکن

الحمد لله ربّ العالمين و الصلوٰة و السلام على سيدنا و مولانا محمد و آله و أصحابه الأكرمين أجمعين امّا بعد! حضور پیرانِ پیر رضی اللہ تعالیٰ عنہ کی شخصیت اور خدمات کسی پر پوشیدہ نہیں۔ آپ کی سیرت و خدمات پر تقریباً ہر زبان میں کئی کتابیں لکھی گئی ہیں۔ ہر ایک نے اپنی تحقیق کے مطابق مواد جمع کیا۔

اب محترم ''**ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی حفظہ اللہ**'' کی تصنیف ''**جغرافية الباز الأشهب**'' کے نام سے منظرِ عام پر آئی ہے۔ کتاب کے نام سے ظاہر ہو رہا ہے کہ مصنف کی تحقیق کا دائرہ وہ مقامات ہیں جہاں حضور غوث الاعظم رضی اللہ تعالیٰ عنہ کی ولادت ہوئی اور جہاں آپ نے تعلیم پائی اور جہاں آپ نے وصال فرمایا۔ ان مقامات کی جغرافیائی نوعیت کو واضح کیا گیا۔ نیز تاریخ ولادت کے بارے میں بھی آپ کی تحقیق عام تحقیق سے جدا ہے۔ جیسا کہ ترجمہ کی اس عبارت سے ظاہر ہوتا ہے:

> ''مشہور ہے کہ حضرت شیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ مورخہ ۱۱/ربیع الثانی ۴۷۰ھ مطابق ۱۰۷۷ء کو جیل میں تولد ہوئے جو عراق میں بغداد کی جانب مدائن کے قریب ایک قریہ ہے اور یہی ہمارے اس تحقیقی مقالہ کا ماخذ و موضوع ہے''

کہ آپ کی ولادت جیلِ عراق میں ہوئی نہ کہ جیلانِ طبرستان میں جیسے بعض کتابوں میں بغیر تحقیق و تدقیق لکھا جاتا رہا ہے۔ اس طرح بعض امور میں اختلاف پایا جاتا ہے۔

مصنف موصوف خود بغداد کے رہنے والے ہیں اور خانوادہء قادریہ سے تعلق رکھنے والے ہیں۔اس کتاب پر عرب علماء کے تقاریظ بھی موجود ہیں۔اس کتاب کی اہمیت وافادیت کے پیشِ نظر حضرت مولانا سید وحید پاشاہ قادری رحمۃ اللہ علیہ کے نواسے جناب سید وحید القادری عارف حفظہ اللہ نے اردو داں طبقہ کے لئے اردو زبان میں اس کا ترجمہ کیا۔ محققین کے لئے اور معتقدین کے لئے یہ کتاب مفید اور معلومات آفریں ہے۔

دعاہیکہ اللہ تعالیٰ مصنفِ علاّم کو جزائے خیر دے اور اس میں مترجم وناشر اور مطالعہ کنندگان کو بھی شامل فرمائے۔آمین بجاہ سید الأنبیاء والمرسلین صلی اللہ علیہ وآلہ وأصحابہ وسلّم

مفتی خلیل احمد

شیخ الجامعة النظامیة

حضرت سیدنا غوثِ اعظم دستگیرؒ پر تحقیقی مقالہ
جناب سید وحید القادری عارف کی اردو ترجمانی

ڈاکٹر توفیق انصاری احمد

آجکل کسی بھی موضوع پر تحقیقی کام کا آغاز کرنا جوئے شیر لانے سے کچھ کم نہیں۔ حوالوں کی کمی اور عدم دستیابی سے لے کر وقت کی کمی تک مراحل ہی مراحل کا سامنا کرنا پڑتا ہے اور پھر حقیقی تحقیق کے لئے ضروری اخراجات بھی درکار ہوتے ہیں۔ اگر پروجیکٹ کی تکمیل کے لئے مناسب گرانٹس مل جائیں تو فبہاورنہ صاحبِ تحقیق کو اپنے کام کی تکمیل کے لئے زیر بار ہوجانے کی نوبت آجاتی ہے۔ تحقیقی مقالہ چاہے کسی یونیورسٹی سے ڈگری حاصل کرنے کے لئے ہو یا پھر تحقیقی موضوع پر کسی کتاب کی اشاعت کے لئے ہو ہر صورت میں تحقیق کے زمرہ میں آتا ہے۔

زندگی کے مختلف شعبوں میں مختلف موضوعات پر تحقیقی کام ابتدائے آفرینش سے جاری ہے اور رہتی دنیا تک جاری رہے گا۔ تحقیقی کام کو ہمیشہ قدر کی نگاہ سے دیکھا گیا ہے کیوں کہ یہ کام زندگی میں "یقین اور عمل" کے راستے متعین کرکے انسان کو رہبری کی راہ دکھاتا ہے تاکہ تحقیق کی روشنی میں وہ حصولِ مقصد میں کامیابی حاصل کرکے منزلِ مراد تک پہنچ جائے۔

ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی: سرزمینِ عراق میں پلے بڑھے' ابتدائی تعلیم و تربیت کے بعد تحقیق کو اپنا مقصدِ حیات بنایا' مذہبی موضوعات پر تحقیقات کرتے رہے۔ ماہران اور دانشورانِ علم و فن سے قدم قدم پر دادِ تحقیق حاصل کی۔ تحقیق کے میدان میں اپنا ایک الگ مقام بنایا اور پھر اپنی آبائی جڑوں کی تلاش میں جب آگے بڑھے تو ان کی نظر اپنے جدّامجد غوثِ اعظم حضرت سیدنا شیخ عبدالقادر جیلانی ؒ پر جاکر ٹھہر گئی۔ دراصل یہی وہ منبعِ علم و فن اور نقطہء آغاز تھا جس سے ابتداء کرکے محقق اپنی تحقیق کی انتہا تک پہنچ

سکتا تھا۔ انسان کا خمیر جس مٹی سے اُٹھتا ہے اُس کا گہرا اثر اُس کی شخصیت پر مرتّب ہوتا ہے اسلئے یہ ضروری ہو جاتا ہے کہ انسان کو پہچاننے کے لئے اُس کا ماحول اور آنے والا زمانہ 'اُس انسان کی مٹی 'ملک اور آب و ہوا سے کماحقہٗ تحقیقی طور پر واقفیت حاصل کرے۔ اس عظیم نقطہ ءآغاز اور دیگر متعلقہ تحقیقی موضوعات کو پیشِ نظر رکھ کر ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی نے اللہ کا نام لے کر اس بامقصد تحقیقی کام کا بیڑا اُٹھایا اور مسلسل عرق ریز کاوشوں کے بعد اپنے جدّامجد ؒ پر ۲۰۱۵ء میں اس تحقیق کو اپنی حد تک مکمل کر کے خود اپنے آپ کو پہچاننے کے راستے متعیّن کر لئے۔ ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی کا یہ مقالہ عربی زبان میں لکھا ہوا ہے۔

جب اللہ تعالیٰ کسی سے کچھ کام لینے کا ارادہ فرماتا ہے تو وہ خود بخود ایسے اسباب پیدا کر دیتا ہے کہ عقلِ انسانی حیران ہو جاتی ہے۔ ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی کا ربط جناب سید وحید القادری عارف سے ہوا اور انہوں نے یہ خواہش ظاہر کی کہ اُن کی اس تحقیق کا اردو ترجمہ 'عقید تمندانِ غوثِ پاک ؒ کے استفادہ کے لئے انٹرنیٹ پر پوسٹ کر دیا جائے تو زمانہ اس تحقیق سے استفادہ کر سکتا ہے۔

اِس سے پہلے کہ بات آگے بڑھے 'پہلے جناب سید وحید القادری عارف کے نام اور کام پر روشنی ڈالنا ضروری ہے۔ جناب سید وحید القادری عارف اپنے والد حضرت العلّامہ ابوالفضل سید محمود قادری ؒ سابق سیشن جج کے لختِ جگر ہیں۔ بچپن ہی سے ان کی تعلیم و تربیت حضرت ؒ کے سایہ ءعاطفت میں رہی جس کی وجہ سے اوائلِ عمری ہی میں اُردو' عربی اور فارسی زبانوں میں دسترس حاصل ہو گئی۔ لکھنے پڑھنے کا ہنر اور شعر و شاعری کا شغف گھٹی میں پڑ گیا۔ کمسنی کا خوابیدہ شعور 'تربیت کی آب و ہوا سے بیدار ہو کر مہکنے چہکنے لگا۔ پھر کیا تھا زبان و بیان کو پر لگ گئے۔ مذہبی و ادبی محفلوں میں شرکتوں اور نمائندہ بزرگوں کی صحبتوں نے ان کو اپنے رنگ میں رنگ دیا۔ ذہن کو جِلا ملی تو ذہن کو عطا اور پھر قلم رواں دواں ہو کر صفحہ ءقرطاس پر نظم و نثر کے موتی لٹانے لگا۔

یہاں یہ بات قابلِ ذکر ہے کہ جناب سید وحید القادری عارف پدری نسب سے نسبتی قادری اور مادری نسب سے حقیقی قادری ہیں۔ قادریت ہر دو طرح ان کا جزوِ بدن ہے۔ان کے والدِ محترم ؒ حضرت پیر سید ابراہیم سیف الدین قادری الکیلانی ؒ نقیب الاشراف بغدادِ شریف کے خلیفہ تھے۔اس طرح ان کا خاندانی اور نسبتی سلسلہ حضرت پیرانِ پیر سید نا غوثِ اعظم دستگیر ؒ تک پہنچ جاتا ہے۔

جنابِ عارف نہ صرف ایک اچھے ادیب و شاعر ہیں بلکہ ایک اعلیٰ درجہ کے مترجم بھی ہیں۔ "مشکوٰۃ النبوّۃ" (مصنّفہ حضرت سید شاہ غلام علی قادری ؒ خلفِ اکبر حضرت سید شاہ موسیٰ قادری ؒ) کی آخری تین جلدوں کا فارسی زبان سے اُردو زبان میں ترجمہ کرنے کا سہرہ ان ہی کے سر جاتا ہے۔ ترجمہ میں زبان کی نزاکتوں کا خیال رکھنا اور زبان کی چاشنی کو برقرار رکھنا کوئی آسان کام نہ تھا لیکن جنابِ عارف نے بڑی خوبی اور اہتمام سے ان تمام مراحل کو بہ حُسن وخوبی طے فرمایا ہے۔ان کے علاوہ "ذکرِ محمود" (سوانحِ حیات حضرت علامہ ابوالفضل سید محمود ؒ) کی تالیف کچھ اس دلچسپ پیرایہ میں فرمائی ہے کہ کتاب ہاتھ سے نہیں چھوٹتی۔ اسی طرح "افکارِ محمود" (رشحاتِ قلمِ سحر نگار حضرت مولانا ابوالفضل سید محمود قادری ؒ) کو مرتّب فرما کر جنابِ عارف نے ایک باکمال ادیب و شاعر کے مضامین کو منظر عام پر لانے کی عظیم ادبی خدمت انجام دی ہے۔ "سرمایہءِ حیات" (در مدحِ سرورِ کائینات صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم) جناب سید وحید القادری عارف کے نعتیہ کلام کا پر سوز مجموعہ ہے جس میں انہوں نے اپنی منتخب نعتوں کو یکجا کر کے زیورِ طبع سے آراستہ فرمایا ہے۔ ان کے علاوہ جنابِ عارف کے کئی ایک مذہبی وادبی مضامین مختلف اخبارات ورسائل میں شائع ہو چکے ہیں۔

جنابِ عارف ایک زمانہ سے جدّہ میں مقیم ہیں اور حرمین الشریفین سے حد درجہ قربت رکھتے ہیں۔ دن بھر کی مصروفیات کے بعد جو وقت ملتا ہے وہ لکھنے پڑھنے میں صرف کرتے ہیں۔ نام و نمود سے دور ہیں اسلئے محفلوں 'مشاعروں میں بہت کم نظر آتے ہیں۔ آجکل الکٹرانک ٹیکنالوجی کی ترقی سے بہت سہولتیں میسر آگئی ہیں جن سے بجا طور پر استفادہ کرتے ہوئے جنابِ عارف "آن لائن مشاعروں و محفلوں" میں

شریک ہو جاتے ہیں۔ اپنا تازہ کلام فیس بک پر پوسٹ کرتے ہیں اور شائقانِ سخن سے بے ساختہ داد وصول کرتے رہتے ہیں۔

جناب سید وحید القادری عارف نے ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی کے تحقیقی مقالہ "جغرافیة الباز الأشهب" یعنی حضرت سیدنا الشیخ عبد القادر الجیلانیؒ کی سیرتِ مبارکہ وولادت باسعادت کا اُردو ترجمہ محقق و مولف کی خواہش پر بالآخر اوائلِ جنوری ۲۰۱۶ء میں مکمل فرما کر اس کو خصوصی ویب سائٹ پر ارادتمندوں کے لئے پوسٹ کر دیا اور پھر اس ترجمہ کی ایک کاپی اس عاجز کو بذریعہ ای میل روانہ فرمادی تاکہ امریکہ کی سرزمین پر بھی اہلِ عقیدت اس سے مستفیض ہو سکیں۔ جنابِ عارف سے یہاں شخصی ملاقات میں خصوصی محفلیں منعقد ہوئیں جس میں منتخب اہلِ مذہب و ادب نے ان کی شخصیت اور کلام کو خراجِ تحسین سے نوازا۔

جنابِ عارف سے متعارف ہونے والی ان ہی شخصیتوں میں اک مشہور نام جناب خلیل الزماں خان صاحب کا بھی ہے۔ خلیل صاحب شکاگو کی سرکردہ مذہبی وادبی شخصیت ہیں۔ دی عثمانینس یو ایس اے کے صدر و دیگر انجمنوں کے سرپرست کی حیثیت سے ان کا نام وکام زبان زدِ خاص و عام ہے۔ حضرت سیدنا غوثِ اعظم دستگیرؒ سے عقیدت کا یہ عالم ہے کہ شکاگو میں پچھلے تریالیس (۴۳) سال سے پابندی کے ساتھ ' ہر سال حضرت پیرانِ پیرؒ کی نذر و نیاز اور جلسہ کا اہتمام کرتے ہیں جس میں ہر گوشہ سے عقید تمندوں کا ہجوم رہتا ہے۔ اس عاجز کے ذریعہ جب خلیل الزماں خان صاحب کو جناب سید وحید القادری عارف کے غوثِ پاکؒ پر اُردو ترجمہ کا تفصیلی علم ہوا تو اُنہوں نے فوراً اس ترجمہ کو اپنی جانب سے کتابی صورت میں اشاعت کیلئے پیشکش فرمادی (جزاک اللہ خیر) جس کو شکریہ کے ساتھ قبول کر لیا گیا۔

حضرت سیدنا عبد القادر الجیلانیؒ کی جائے ولادت و پاک سیرت پر اب جناب سید وحید القادری عارف کا یہ تاریخی اُردو ترجمہ زیورِ طبع سے آراستہ ہو کر منظرِ عام پر آرہا ہے اور اس میں کچھ تاخیر ضرور ہوئی

ہے لیکن "دیر آید درست آید" کے مصداق یہ تاخیر بہر صورت خیر کی جانب ہی رجوع کرتی ہے۔ شاید قدرت کو یہی منظور تھا کہ اس تحقیق کی ابتداء کرنے والا'اس کا ترجمہ کرنے والا'اس کام کو کتابی صورت دینے والا'اس کی صورتگری میں حصہ لینے والا اور اس کو پڑھنے والا'سب ہی موتیوں کی طرح ایک ہار میں جڑ کر منبعِ تحقیق اور صاحبِ تصدیق حضرت سیدنا عبد القادر الجیلانی غوثِ اعظم دستگیرؒ کی ذاتِ گرامی کو خراجِ عقیدت پیش کریں۔

اور آخر میں اللہ تعالیٰ سے عاجزانہ دعا ہے کہ وہ اپنے حبیبِ پاک سرورِ کائینات صلی اللہ علیہ وآلہ و سلم کے واسطے سے ہم سب کی اس سعی کو شرفِ قبولیت عطا فرمائے (آمین ثم آمین)۔

دعا گو

توفیق انصاری احمد

عرضِ حال

سید وحید القادری عارف

قطبِ ربّانی' صاحب الاشاراتِ والمعانی' سیّدنا عبدالقادر الجیلانی قدّس اللہ سرّہ العزیز سے میری قلبی وابستگی کا ظاہری سبب تو یہ ہے کہ آپ میرے جدّمادری ہیں اور میں آپ کے سلسلہء طریقتِ قادریہ سے منسلک ہوں لیکن اس سے سوا جو بنیادی وجہ ہے وہ یہ کہ آپ کی عظیم مقناطیسی شخصیت میں پنہاں جاذبیت نے ہمیشہ مجھے آپ کے دامانِ بیکس پناہ سے مربوط رکھا۔ آپ شارحِ آیاتِ قرآنی بھی ہیں معلّمِ رموزِ عرفانی بھی۔ مربیّء دینِ فطرت بھی ہیں منبعِ علم و حکمت بھی۔ یہ وہ شخصیت ہے جو کمسنی میں ادب و اخلاق کی تصویر ہے' عنفوانِ شباب میں حصولِ علم کے لئے منہمک و مشغول ہونے کی بے مثال عملی تعبیر ہے تو پھر تا دمِ آخر ابنائے امّتِ عربیہ واسلامیہ کی اصلاح و تربیت کے ذریعہ احیائے دینِ متین و سنّتِ حضورِ نبیء کریم علیہ افضل الصلوٰۃ والتسلیم کی مسلسل تنویر ہے ۔ جہاں علمائے کرام' اساتذہء عظام اور مشائخِ ذی احتشام کی خدمت میں استمرارِ طلبِ سعادت آپ کے حسنِ عقیدت کی دلیل ہے وہیں ان اکابرینِ دین وملت کی آپ پر شفقت و عنایت اور اپنے شیوخ واساتذہ کی موجودگی میں مجالسِ وعظ و نصیحت کا انعقاد اور ان کی مسندِ ارشاد پر آپ کا متمکن ہونا اس خوبیء سیرت کی سند ہے۔ آپ کی سیرتِ مبارکہ جہاں مسجد و مدرسہ و خانقاہ سے آپ کی ہمہ تن وابستگی کا نام ہے وہیں مشکل عرصہء حیات میں عملی جدوجہد کا جاودانی پیغام ہے۔ یہاں پاسِ شریعت بھی ہے عبادت و ریاضت کی کثرت بھی ہے اور درس و تدریس و تربیت کا اہتمام بھی ہے۔ ایک طرف تو آپ ان وابستگانِ مدرسہء قادریہ کی عملی تربیت فرماتے ہیں جو ہر سمت سے جوق در جوق آپ کی جانب کھنچے چلے آتے ہیں تو دوسری طرف آپ کے نوکِ قلم سے پھیلتی انوارِ ہدایت کی کرنیں چہار دانگِ عالم میں ضوفشانی کرتی نظر آتی ہیں۔ جہاں آپ کی تعلیمات باعثِ تجدیدِ ایمان و ایقان ہیں وہیں ان سے ایسی

تربیتِ روحانی میسّر آتی ہے کہ قلوبِ انسانی پاکیزگیءِ نفس اور بالیدگیءِ روح کی منازل سے آشنا ہوجاتے ہیں۔ یہ وہ درِ بارِ دُر بار ہے کہ جس سے وابستگی فلاحِ دارین کی ضمانت ہوجاتی ہے۔ آپ کی ذاتِ ستودہ صفات آپ کے حینِ حیات بھی علمائے حق کے لئے مشعلِ راہ اور اولیائے برحق کے لئے محورِ نگاہ رہی اور آپ کے اس جہانِ فانی سے پردہ فرمانے کے بعد سے آج تک بھی اس بحرِ ذخّار سے لاتعداد طالبانِ ہدایت فیضیاب اور اس رہنمائے راہِ حق کی رہنمائی میں اپنی منزلِ مقصود پر فائز ہوتے آئے ہیں اور یہ سلسلہ ان شاءاللہ العزیز تا قیامِ قیامت جاری وساری رہے گا۔

آپ کی سیرتِ مبارکہ پر یوں تو صدیوں سے کتابیں لکھی جاتی رہی ہیں جن سے آپ کی علوِّشان کے چرچے انحائے عالم میں ہوتے رہے ہیں لیکن ان میں زیادہ تر کتابیں آپ کی بغدادِ شریف میں آمد اور اس کے بعد کی عملی زندگی پر مشتمل ہیں جبکہ آپ کے مقامِ ولادت اور وہاں کے حالات پر ہمیں شاذ و نادر ہی کوئی تصنیف نظر آتی ہے۔ اکثر و بیشتر مصنفین نے گیلانِ طبرستان کو آپ کا مقامِ ولادت بتایا اور یہ روایت نقل در نقل کتبِ سیر و تاریخ میں منتقل ہوتی چلی آئی جس سے آپ عربی الاصل ہونے کے باوجود عجمی قرار پاتے رہے۔ یہ موضوع عراقی علماء' خاص طور پر افرادِ خاندانِ کیلانیہ کا مرکزِ توجہ بنا رہا اور وقتاً فوقتاً اس پر سوال اُٹھتے رہے۔ پچھلے سال اسی خاندانِ کیلانیہ کے فردِ فرید ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی بارک اللہ فی علمہ و شرفہ نے اپنی تالیف "جغرافية الباز الاشهب" کی الکٹرانک کاپی میرے پاس روانہ کی اور خواہش فرمائی کہ میں اس کتاب پر ایک تعارفی مضمون بزبانِ اردو انٹرنیٹ پر لکھوں۔ ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی نے تاریخ میں اختصاص کیا ہے اور ڈاکٹریٹ کی ڈگری حاصل کی ہے۔ تکمیلِ تعلیم کے بعد انہوں نے یوں تو کئی تاریخی کتب و مضامین تحریر کئے لیکن اپنے جدّ اعلیٰ حضرت سیدّنا الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ تعالیٰ عنہ کی شخصیت' تعلیمات اور کارناموں پر ان کی تصانیف بڑی اہمیت کی حامل ہیں۔ زیرِ نظر کتاب "جغرافیۃالباز الاشہب" میں قابل مصنف نے خاص طور پر حضرت غوثیت مآب رضی اللہ عنہ کے مقامِ ولادت پر سیر حاصل بحث کی

ہے جس کے بعد قاری پر بلا کسی شک و شبہہ واضح ہو جاتا ہے کہ آپ کی ولادت اور نشو نما جیلانِ عراق میں ہوئی اور وہیں سے آپ نے بغداد کا قصد کیا جہاں آپ نے اپنی باقی ماندہ حیاتِ مبارکہ بسر فرمائی۔ اکثر کبارِ مورخین اور اساتذہء شعبہء تاریخ نے ڈاکٹر کیلانی کے اس اقدام کو بے حد سراہا کہ انہوں نے جدید مورخین اور تاریخ کے طالبانِ علم کو عرصہء دراز سے بلا تحقیق نقل ہوتی روایتوں سے صرفِ نظر کرنے اور اصل موضوع پر کھلے دل و دماغ سے غور و فکر اور تحقیق کرنے کی جانب متوجہ کیا ہے۔ میں نے اس کتاب کے مطالعہ کے بعد یہ مناسب محسوس کیا کہ ایک مختصر تعارفی مضمون کی بجائے اس تمام تر مقالہ کو حضرت غوثِ جیلانی رضی اللہ عنہ کے اردو داں معتقدین و وابستگانِ سلسلہ کے حسنِ مطالعہ کے لئے اردو زبان میں پیش کیا جائے۔ میں نے ڈاکٹر کیلانی سے اپنے اس خیال کا اظہار کیا تو انہوں نے مجھے ہی اس کی ذمہ داری دیدی جسے میں نے بسر و چشم قبول تو کر لیا لیکن اپنی مصروفیات کے باعث اس کام کی تکمیل میں تاخیر کر دی جس کے لئے میں تہہ دل سے معذرت خواہ ہوں۔ دیگر یہ کہ کتاب کا مطالعہ کر لینا اور اس پر اپنی رائے ظاہر کر دینا نسبتاً آسان ہوتا ہے لیکن جب معاملہ اسے کسی دوسری زبان کے پیکر میں ڈھالنے کا ہو تو اس میں رفتارِ قلم سست ہو جاتی ہے۔ اور یہ کچھ عجب بھی نہیں کہ کسی موضوع پر قلم اُٹھانے اور اپنے افکار کو الفاظ کا روپ دینے میں صاحبِ قلم بالکل آزاد ہوتا ہے جبکہ کسی کتاب کے ایک زبان سے دوسری زبان میں ترجمہ و پیشکش کے لئے کئی پابندیوں کا سامنا ہوتا ہے۔ ایک تو یہ کہ مترجم مصنّفِ کتاب کے افکار کا پابند ہوتا ہے اور ان میں اپنی جانب سے کسی طرح کی کمی بیشی کے لئے آزاد نہیں ہوتا۔ دوسرے ہر زبان کے اپنے محاورے ہوتے ہیں اور اپنا اندازِ بیان ہوتا ہے اور اگر انہیں لفظ بہ لفظ دوسری زبان میں منتقل کیا جائے تو کبھی لذّتِ تحریر شہید ہو جاتی ہے تو کبھی ترجمہ اصل مقصدِ تحریر سے بعید ہو جاتا ہے۔ پھر ہر زبان اور اُس کے اہلِ زبان کی اپنی تہذیب ہوتی ہے جو اگر جوں کی توں دوسری زبان میں پیش کر دی جائے تو بعض اوقات یہ اِس زبان اور اِس کے اہلِ زبان کے لئے بد تہذیبی کے دائرے میں تک شمار ہو جاتی ہے۔ انہی اسباب کے پیشِ نظر میں نے

ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی سے عرض کیا کہ میری اردو تحریر کسی طور عربی مضامین کا لفظی ترجمہ نہ ہو گی بلکہ میں اپنی اس تحریر کو ترجمہ کی بجائے مصنّفِ کتاب کے اقوال کی ترجمانی قرار دوں گا اور میری کوشش یہ ہو گی کہ جو کچھ میں نے پڑھا اسے اپنی حسبِ فہم واستطاعت اپنے اندازِ بیان میں اپنے ہم زبان افرادِ ملت خاص طور پر حضرت سیدنا الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ سے وابستگان اور آپ کے عقیدت مندوں تک پہنچادوں۔ میں نے اس اردو تحریر میں اس بات کا خیال رکھا کہ فصول کی ترتیب اور ان کے عنوانات اصل عربی کتاب کے مطابق ہی رہیں اور حتی الامکان جملوں کی اصل ترتیب و تشکیل بھی قایم رہے اگرچیکہ الفاظ میرے اپنے ہوں۔ عربی تحریر میں اکثر القابات کا خیال نہیں رکھا جاتا اس لئے حضرت 'رحمۃاللہ علیہ' رضی اللہ تعالیٰ عنہ وغیرہ جیسے القاب میری جانب سے اضافتیں ہیں۔ اسی طرح کتاب کی ابتداء میں جن اہم شخصیات کے کلماتِ تحسین پیش کئے گئے ہیں اور تتمہ ٔ کتاب میں کتاب کے متعلق جن شخصیات کے منتخب اقوال شامل ہوئے ہیں ان کے ناموں کے ساتھ اصل کتاب میں ان کے عہدوں کا ذکر نہ تھا جنہیں میں نے اپنی جانب سے شامل کیا ہے تاکہ اس طرح اردو قارئین کے لئے ان کا تعارف بھی ہو جائے اور میرے خیال میں یہ ضروری بھی تھا کیونکہ یہ شخصیات عالمِ عرب کی مشہور و معروف اور نمائندہ شخصیات ضرور ہیں لیکن اردو دان طبقہ میں شائد ہی کوئی ان سے متعارف ہو گا۔

مجھے یقین ہے کہ قارئین تاریخ کے لئے عموماً اور وابستگانِ سلسلہ ٔ قادریہ کے لئے خصوصاً یہ تحقیق ایک بیش قیمت تحفہ سے کم نہیں اور قوی امید ہے کہ مصنفِ محترم کی دیگر تصانیف بھی اِن شاء اللہ عنقریب ان کے مطالعہ کے لئے میسّر ہوں گی۔

و ما توفیقی الّا باللہ العلي العظیم

سید وحید القادری عارف

جنوری ۲۰۱۶ء

هدیۂ تشکر

ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی

میں اللہ سبحانہ تعالیٰ کی اس نعمت پر شاکر ہوں کہ مجھے اس عاجزانہ تحقیق کی توفیق دی۔ بعد ازاں اپنے استاد محترم ڈاکٹر عبدالسلام روؤف صاحب کی خدمت میں ہدیہ ءتشکر پیش کرتا ہوں کہ انہوں نے اس پر نہ صرف مقدمہ تحریر کیا بلکہ میری اس تحریر پر نظرِ ثانی کی اور اصل مواد کی تحسین پر بھی توجہ فرمائی۔

ڈاکٹر محی ہلال السرحان اور ڈاکٹر سالم الآلوسی صاحبان کا بھی شکر گزار ہوں کہ انہوں نے اس تحریر کو دیکھا اور اپنے تجربہ کا فیض علمی نصیحتوں کی صورت میں مجھ تک پہنچایا اور مجھے بعض نادر و نایاب مخطوطات کی نقلیں بھی فراہم کیں۔

میں ڈاکٹر ماجد عرسان الکیلانی صاحب کا شکر گزار ہوں کہ انہوں نے میری اس تحریر کے متعلق معلومات حاصل کیں اور اپنے مفید مشوروں سے نوازا جن سے مجھے کافی مدد ملی۔

ڈاکٹر سعید عبدالفتاح عاشور صاحب کا بھی شکریہ کہ انہوں نے تحقیق کے ابتدائی مراحل میں تصحیح فرمائی۔

اور اپنے ہمزلف شیخ عفیف الدین عبدالقادر الکیلانی صاحب کی مسلسل ہمت افزائی کے لئے میں ان کا ممنون ہوں۔

مقدمة الکتاب

فضیلت مآب پروفیسر ڈاکٹر عماد عبدالسلام رؤف صاحب

پروفیسر تاریخِ حدیث وصدر مرکزاحیاءالتراث العلمی العربی۔بغدادیونیورسٹی

بسم اللہ الرحمٰن الرحیم

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ

سو جھاگ تو سوکھ کر زائل ہو جاتا ہے اور (پانی) جو لوگوں کو فائدہ پہنچاتا ہے وہ زمین میں ٹھہرا رہتا ہے۔

(سورہءاعراف آیت ۱۷)

صدق اللہ العظیم

ماضیءقریب میں تحقیق کے دوران بعض متنوع وجوہات نے تاریخ اور اس کے رجحاناتِ مطالعہ' تشریح اور تحریر پر نظرِثانی کے اہتمام کی جانب محققین کو راغب کیا۔یہ اہتمام امتِ مسلمہ کی عام طرزِ زندگی پر اثر انداز ہونے والے بنیادی امور کے حقیقی ادراک کی ضرورت کے احساس کے باعث ظہور پذیر ہوا۔ گزشتہ تحریر شدہ تواریخ میں جو مواد تھا وہ تہذیب و ثقافت کے محققین کو مطمئن کرنے کے لئے کافی نہیں تھا اور نہ ان میں موجود دلائل کے ذریعہ وہ عہدِ ماضی کی گہرائی تک پہنچ سکتے تھے۔ چنانچہ ضرورت اس بات کی تھی کہ تاریخ کی بنیادوں کو ایک بار پھر کھوجا جائے اور ان کے بغور مطالعہ کے بعد حقائق معیارِ علمی کے اصولوں پر ثابت ہو جائیں اور انہیں سادگی کے ساتھ یوں تحریر کیا جائے کہ دورِ حاضر اور مستقبل میں تاریخ کو اس جدید منہج پر بہتر انداز میں سمجھا جاسکے۔

اہم تفصیلات

سر کردہ شخصیات کی مفصل سوانح حیات فی نفسہ نہایت اہمیت کی حامل ہوتی ہیں کیوں کہ یہ نہ صرف مذکورہ شخصیت کے مرتبہ پر دلالت کرتی ہیں بلکہ اس کے فکری اور اجتماعی رجحانات کی بھی عکاس ہوتی ہیں اور ان سے بسا اوقات بعض ایسے باریک مسائل کی بھی تشریح ہو جاتی ہے جو عموماً غیر اہم جان کر نظر انداز کر دئے جاتے ہیں۔ انسان نہ خلا میں بستا ہے اور نہ جغرافیائی حدود سے خارج ہو سکتا ہے۔ وہ فطری طور پر اسی اولین ماحول کا حصہ ہوتا ہے جس میں اس کی پیدائش اور پرورش ہوتی ہے۔ اسی باعث اس ماحول کا تفصیلی مطالعہ موضوعِ تحقیق شخصیت کے مزاج کو سمجھنے کے لئے ضروری ہوتا ہے۔ اور جب تحقیق حضرت الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ جیسی عظیم المرتبت شخصیت سے متعلق ہو تو محقق کے لئے محلِ فکر مزید غور طلب ہو جاتا ہے کیونکہ آپ کا دورِ حیات ہمہ اقسام کے فتنوں' سماجی تنازعات اور نظریاتی اختلافات سے پُر تھا اور یہ بسا اوقات مختلف انداز سے آپ کے سامنے سر اُبھارتے رہے تھے۔ آپ عنفوانِ شباب میں بغداد تشریف لائے اور وہیں سکونت پذیر ہو گئے۔ آپ نے علمائے بغداد سے تعلیم پائی اور وہاں کے ماحول میں اس طرح رنگ گئے کہ آپ اہلِ بغداد میں شمار ہوئے اور اپنی نشو نما' تعلیم و تربیت' ضعیفی' وفات اور مدفن کے اعتبار سے بغدادی ہی کہلائے۔ اسی باعث اس مقام کے متعلق محققین نے زیادہ توجہ نہ کی جو آپ کا مقامِ ولادت ہے اور جہاں آپ نے اپنی زندگی کے ابتدائی چند سال بسر فرمائے تھے۔ بعض مولفین نے اس روایت کو اپنایا جس کے مطابق آپ کا مقامِ ولادت جیلان بتایا گیا جو طبرستان کے گرد و نواح میں واقع ہے۔ بعض مورخینِ متاخرین نے بھی اسی روایت کو اپنی کتب میں نقل کیا سوائے ان محققین کے جنہیں اس روایت پر یقین نہ تھا اور جنہوں نے اپنے اس شک کا اظہار بھی کیا کہ جیلان نامی متعدد شہر دنیا میں موجود ہیں جن میں سے جیلان اور جیل عراق میں بغداد سے قریب واقع ہیں اور انہوں نے آپ کی نسبت ان کی جانب کی۔ لیکن ان کا یہ نظریہ کسی طرح عوام النّاس سے پوشیدہ رہا اور تاریخ میں اپنا مقام نہ پاسکا حالانکہ انہوں نے بڑے شرح و بسط کے ساتھ آپ کی جائے آفرینش اور بغداد میں تشریف آوری کے وقت وہاں موجود

تہذیب وثقافت کی تمام کڑیوں مثلاًعلم وادب'شعر وشاعری'درس وتدریس'تالیفات'محاضرات کاآپس میں ربطِ محکم ثابت کیاہے۔ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی نے حضرت الشیخ عبدالقادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کی حیاتِ مبارکہ کا بڑے اہتمام سے مطالعہ کا کیاہے اور اس خصوص میں متعدد تحقیقات وتالیفات کو بنظرِ غائر دیکھااور ان رموز تک رسائی حاصل کی جن تک محققینِ ماضی نہ پہنچ سکے تھے۔انہوں نے حضرت الشیخ رضی اللہ عنہ کے وطنِ اصلی کے مسئلہ کا بھی مطالعہ کیا'اس سلسلہ میں وارد روایات کا تقابلی جائزہ لیااور بلادِ اسلامیہ میں موجود لٹریچر اور سفر ناموں کی جانب رجوع کیااور کافی مشقت اور طویل وقت صرف کرنے کے بعد اس نتیجہ پر پہنچے کہ حضرت الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کی ولادت عراق میں واقع جیلان میں ہوئی نہ کہ اس جیلان میں جو مشرقِ اسلامی کا حصہ ہے۔مجھے یقین ہے کہ یہ مسئلہ حقیقتاًاُس مشقت اور توجہ کا مستحق تھا جس کا بیڑہ ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی نے اُٹھایااور مختلف روایات اور وسائلِ علمی کی تاریخی اور جغرافیائی اہمیت کا مطالعہ کیااور دراصل علمی تصانیف'تاریخ سے گہری دلچسپی'عظیم شخصیتوں کی سیرت سے دلی تعلق'احیائے معارفِ اسلامیہ سے شغف وہ خصوصیات ہیں جن کے باعث وہ متمیز ہیں اور ان کی تحقیقات قدر ومنزلت کی نظر سے دیکھی جاتی ہیں۔اللہ تعالیٰ ان کے اس مشغلہء تحقیق میں برکت عطا فرمائے اور وہ اسی طرح مزید تاریخی تحقیقات کے ذریعہ اپنی علمی ضوفشانیاں عام کرتے رہیں۔

ڈاکٹر عماد عبد السلام رؤف

کلمات

فضیلت مآب پروفیسر ڈاکٹر ماجد عرسان الکیلانی صاحب

پروفیسر شعبہء تعلیم۔اُمّ القریٰ یونیورسٹی۔ سعودی عرب

امامِ مصلح حضرت سیدنا الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کے مقامِ ولادت سے متعلق آپ کی یہ تحقیق دراصل آپ کی ان تھک محنت کا پھل اور ایک خوش کن اور حیرت افزا خبر ہے جو اس تاریخی حقیقت کو بے نقاب کرتی ہے جو حضرت شیخِ جیلانی رضی اللہ عنہ کی ابتدائی حیات سے ناواقفیت کی وجہ سے پوشیدہ رہی۔

آپ کا یہ عمل میری نظر میں ان جلا کردہ موتیوں کی مانند ہے جنہیں غوطہ خور سمندر کی گہرائیوں سے نکالتے ہیں اور ان کو چمکاتے ہیں تاکہ وہ تاریخی حقائق اور جغرافیائی ثبوتیات کے درمیان اپنا صحیح مقام پا سکیں۔ اللہ سبحانہ تعالیٰ حضرت حسن البصری پر رحمت فرمائے کہ انہوں نے فرمایا "جس کی عقل اس کی رہنمانہ ہو اسے اوروں کی روایات کی کثرت سے بھی کچھ فائدہ نہیں ہوتا"۔

ڈاکٹر ماجد عرسان الکیلانی

کلمات

فضیلت مآب پروفیسر ڈاکٹر سعید عبدالفتاح عاشور صاحب

پروفیسر تاریخِ قرونِ وسطیٰ جامعہ اسکندریہ 'مصر و جامعہ عربی بیروت

تاریخِ اسلامی متعدد روایات پر مبنی ہے۔اسی لئے مورخ اور محقق کے لئے ضروری ہوتا ہے کہ وہ ان روایات کی اچھی طرح چھان بین کرے اور حقیقتِ حال تک پہنچنے کی کوشش کرے۔خاص طور پر جب مورخ تاریخ پر کوئی فیصلہ کرے تو اس کا یہ فیصلہ منصفانہ اور صرف حقیقت کو منظرِ عام پر لانے کے لئے ہو۔

حضرت شیخ الاسلام عبد القادر رضی اللہ عنہ 'جنکا نامِ نامی ہماری تاریخ میں روشن و منور ہے' ان کے مقامِ ولادت سے متعلق آپ کی یہ تحقیق ایک علمی کارنامہ ہے اور اس سے ذہنوں میں ایک بار پھر اس امر کی اہمیت اجاگر ہوتی ہے کہ روایات کی تحقیق کی جائے اور انہیں بغیر غور و فکر تسلیم نہ کیا جائے۔

ڈاکٹر سعید عبدالفتاح عاشور

کلمات

فضیلت مآب ڈاکٹر محی ہلال سرحان صاحب

رکن "اتحاد الکتّاب و المؤلفینن"-بغداد

رکن "اتحاد المورّخین"۔بغداد

مدیر تحریر "مجلة الشریعة والقانون"

مدیر تحریر "مجلة الرسالة الإسلامیة"

علمی تحقیق ہمارا سرمایہ ہے اور اس کو عامۃ الناس تک پہنچانا وقت کی اہم ضرورت ہے۔ خاص طور پر روایات کے انبار کی موجودگی میں مورخین کا یہ فریضہ ہے کہ وہ اپنے قلم کو قابو میں رکھیں۔ میری رائے میں عراق میں سیدنا عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کے مقامِ ولادت سے متعلق آپ کا یہ مقالہ اسی امر کی توفیق کا مظہر ہے اور آپ نے جو تحقیق پیش کی ہے وہ یقیناً لائقِ ستائش ہے۔

ڈاکٹر محی ہلال سرحان

کلمات

فضیلت مآب ڈاکٹر رشید الخیون صاحب

مصنف "الادیان و المذاهب بالعراق"

و دیگر مطبوعاتِ متعددہ

حضرت الشیخ عبد القادر الکیلانی رضی اللہ عنہ نے اقدارِ تصوف کی روحانیت کا احاطہ کیا اور اس طرح ایک سنّتِ سنیّہ کی بنیاد ڈالی اور اس کے قیام کے لئے جدوجہد فرمائی۔ آج بھی قادریت حضرت بازِ اشہب سیدنا عبد القادر رضی اللہ عنہ کے انہی نظریات کی علمبردار 'عزم واستقلال سے معمور' سیاست اور جانبداری سے بعید سماجی بلندیوں پر فائز نظر آتی ہے اور تصوفِ قادری کا اس خصوص میں ہمیشہ بڑا اہم کردار رہا ہے۔

مجھے ایامِ طالبعلمی میں حضرت علیہ الرحمہ کے روضہ ءمبارکہ کے قریب سکونت کا شرف حاصل رہا ہے۔

ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی حضرت الشیخ رضی اللہ عنہ کی اولاد سے ہیں اور اپنی تحقیق میں گہرائی اور گیرائی کے لئے معروف ہیں۔ اپنے اس مقالہ کے ذریعہ انہوں نے اپنے جدّامجد رضی اللہ عنہ کی سیرتِ طیبہ کو تاریخی تحقیق کے نقطہ ءنظر کے عین مطابق بڑی احتیاط کے ساتھ مکمل 'مستند اور مدلل انداز میں تحریر کیا ہے جو اسلامی ورثہ میں ایک قابلِ قدر اضافہ ہے اور جس سے شدت پسندی اور تعصب سے مقابلہ میں مدد ملے گی اور پرچمِ اسلامی خوشگوار بلندیوں پر لہرائے گا۔

میں امید کرتا ہوں کہ ان کی یہ کتاب قارئین میں مقبول ہو گی اور اس سلسلہ میں مزید تحقیق کا سدِّ باب ثابت ہو گی۔

ڈاکٹر رشید الخیون

کلمات

فضیلت مآب پروفیسر ڈاکٹر محسن مہدی صاحب

سابق پروفیسر ہارورڈ یونیورسٹی-امریکہ

اس میں کوئی شک نہیں کہ یہ کتاب مطالعہ ءتاریخ اور تنقیدِ سیرت میں ایک بہترین اضافہ ہے۔ موقر محقق ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی نے اپنے جدّامجد رضی اللہ عنہ کی سیرت کااس انداز سے مطالعہ کیا کہ بیک وقت تاریخی روایتوں پر اندرونی اور بیرونی تمام تر تنقیدوں کو پیشِ نظر رکھتے ہوئے ان کے متن پر نظرِ ثانی کی' ان کا معترف شدہ شواہد اور دلائل سے تقابل کیا اور ان حقائق کو منظرِ عام پر لے آئے جو اب تک پردہ ءاخفامیں تھیں۔ یہ کتاب اپنے موضوع پر جامع و مدلل ہے اور قارئین کو قائل کرنے کی امتیازی خصوصیت رکھتی ہے اور اسی باعث خاطر خواہ پزیرائی کی مستحق ہے۔ اللہ سبحانہ تعالیٰ مصنفِ محترم کو مزید قابلِ قدر مطالعات کی توفیق عطا فرمائے۔

ڈاکٹر محسن مہدی

کلمات

فضیلت مآب پروفیسر ڈاکٹر کمال مظہر احمد صاحب

پروفیسر بغداد یونیورسٹی۔ عراق

اکثر دیکھا گیا ہے کہ محققین سابقہ تحقیقات 'کتب اور نظریات کو بآسانی قبول کر لیتے ہیں جس کے باعث ان کی تحقیق میں صلاحیت وجدّت کا فقدان ہوتا ہے۔اس کے برعکس آپ کا یہ مقالہ نہ صرف حقائق کی جانب ہماری رہنمائی کرتا ہے بلکہ میدانِ تحقیق میں صحیح طرزِ عمل کے ساتھ بے نظیر تخلیقی صلاحیتوں کا مظہر ہے۔آپ کا شمار آپ کی اس تحریر کے باعث حقیقی تخلیق کاروں میں ہوتا ہے۔آپ کی مزید تخلیقات کے لئے ہماری نیک خواہشات پیش ہیں۔

ڈاکٹر کمال مظہر احمد

ارشادات

حضرت امام حافظ محی الدین ابوذکریا یحییٰ النووی رحمۃ اللہ علیہ

کراماتِ اولیاء میں ہمیں حضرتِ قطب' شیخِ بغداد محی الدین عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی کرامات سے زیادہ کسی اور کی کرامات نہیں ملتیں۔ آپ بغداد میں سر گروہِ ساداتِ شافعیہ و حنابلہ تھے۔ اپنے وقت میں آپ علم و دانش کے اعلیٰ ترین منصب پر فائز تھے۔ آپ کی صحبت سے متعدد اکابرین فیضیاب ہوئے۔ عراق کے مشائخینِ عظام بھی آپ کی جانب رجوع کرتے تھے۔ تشنگانِ علم بکثرت آپ کی خدمت میں حصولِ علم کے لئے حاضر ہوتے تھے اور آپ کے بے شمار تلامذہ نے علم و حکمت کے بلند ترین مقامات تک رسائی حاصل کی ہے۔ تمام مشائخین اور علمائے وقت آپ کی بے انتہا توقیر و احترام کرتے تھے۔ آپ کا قول ان کے لئے قولِ فیصل ہوتا جس کی وہ بلا ردو کد تعمیل کرتے۔ اہلِ سلوک آپ کی خدمت میں دور دراز کے علاقوں سے جوق در جوق حاضر ہوتے تھے۔

آپ صفاتِ جمیلہ اور اخلاقِ شریفہ کے حامل' ادب و مروت میں کامل' تواضع و انکساری کے پیکر' خوش صورت' علم و دانش سے لبریز' احکامِ شریعت پر سختی سے عمل پیرا' اہلِ علم کے لئے قابلِ تعظیم' اربابِ دین و سنت کے لئے لائقِ تکریم' اہلِ بدعت و اصحابِ حرص و ہوس سے ناراض' مریدینِ حق سے محبت کرنے والے اور مجاہدہ اور مراقبہ کے تاحیات پابند تھے۔ علوم و معارف میں آپ کے اقوال بلند ہیں۔ حرماتِ اللہ کا لحاظ نہ کرنے والوں پر آپ شدت سے ناراض ہوتے تھے۔ کریم النّفس تھے۔ سخاوت میں بے مثال تھے۔ الغرض اس زمانہ میں کوئی آپ جیسا نہ تھا۔ رضی اللہ عنہ

(ماخوذ از کتاب "بستان العارفین")

اقوالِ زرین

حضرت امام غزالی

رحمۃ اللہ علیہ

"جس نے شک نہیں کیا اُس نے دیکھا نہیں

اور جس نے دیکھا نہیں وہ تاریکی میں بھٹکتا رہا"

حضرت امام طبری

رحمۃ اللہ علیہ

"جو قابلِ اعتماد ہو اسے قبول کر لو

اور جو نا قابلِ اعتماد ہو اسے قبول نہ کرنا"

جان جیک روسو

(Jean-Jacques Rousseau)

"عظیم تاریخی حقائق سطحِ آب پر بہتے اس برف کی مانند ہیں جس کا اوپری حصہ پانی پر بہتا نظر آتا ہے لیکن جس کا اصل تو دہ زیرِ آب ہوتا ہے اور جس کی حقیقت غوطہ زنی کے بغیر معلوم نہیں ہو پاتی"

حقیقت اور تاریخ

حضرت سیدنا الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ (۴۷۰-۵۶۱ ھجری/۱۰۷۷-۱۱۶۵ء) کی سیرتِ طیبہ کی مختلف جہتیں ہیں جو عام طور پر عربی اور اسلامی نظریات کی تاریخ کے محققین کے لئے اور خاص طور پر خلافتِ عباسیہ کے اواخر میں اثر انگیز مسلم شخصیتوں پر ریسرچ کرنے والوں کے لئے نہایت اہم ہیں کیونکہ آپ کے عرصہ ءحیات میں واقع صلیبی جنگوں کے دوران آپ ہی نے مبلغین کے کئی گروہ تیار کئے تھے اور ان کی تعلیم و تربیت فرمائی تھی جنھوں نے صلاح الدین ایوبی کے ساتھ بیت المقدس کی آزادی میں حصہ لیا تھا۔

حضرت سیدنا الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی سیرتِ طیبہ یکساں طور پر آپ کے دورِ حیات میں اور آپ کی وفات کے بعد بیشتر مولفین اور مورخین کی تحقیق پر اثر انداز رہی ہے اور آج تک بھی عالمِ اسلامی میں محققین اور علماء کی تحقیق کا اہم موضوع بنی ہوئی ہے۔

میں نے حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کے مقامِ ولادت کے متعلق یہ تحقیق اس لئے نہیں کی کہ میں متعدد تواریخ کے اس نظریہ پر حیرت زدہ ہوں جن کا تاریخ کی تشریح میں خرافات کو پروان چڑھانے میں بڑا اہم کردار رہا ہے بلکہ میری اس تحقیق کی اصل وجہ ان مصادر پر میرا شک تھا اور یہی شک اس مبہم و غامض موضوع کی جانب میرا رہنما بنا۔ چنانچہ میں نے متعدد تاریخی اور معاصر ذرائع کا گہرا مطالعہ کیا تاکہ کسی مشہور مصنف کا نام یا کسی تاریخی واقعہ پر پچھلے دور میں کی گئی اجتماعی نتیجہ خیزی میرے لئے باعثِ حیرت نہ رہے۔

میرا مقصد محض اختلاف کرنا نہیں بلکہ اس تاریخی واقعہ کو کما حقہٗ شفافیت کے ساتھ منظرِ عام پر لانا ہے۔ میں نے بکثرت موجود قدیم و معاصر ذرائع اور حوالہ جات، تعلیم اور تحقیق کے مختلف ذرائع سے متعلق معلومات کے حصول کے لیے کوشش کی اور مناسب نتائج تک پہنچنے کے بعد ان تاریخی حقائق کو ترتیب وار تحریر کیا۔ یہ مرحلہ بڑا صبر آزما تھا اور اس میں کئی سال صرف ہوئے۔

میں نے اپنے اس ہدف کی تکمیل کے لئے کسی طرح کے میلانِ طبع سے اجتناب کیا جو اکثر محققین کا انداز رہا ہے اور جس کے باعث وہ تاریخی حقائق کی تحقیق میں ان روایات پر اکتفا کر گئے جو معروف تواریخ کے صفحات میں موجود تھیں اور یہی ان کی تحریروں پر بھی اثر انداز رہیں۔

پھر جو کچھ میں نے تحریر کیا اس کی غرض و غایت بلا کسی شخصی جذبہ کے محض حقیقتِ حال تک رسائی اور سیرتِ قادریہ کی تشریح پر باندازِ نو ضوفشانی کرنا ہے۔ بہر حال مجھے امید ہے کہ میری اس تحریر سے مطالعاتِ تاریخ' تحقیق و تالیف اور امّتِ اسلامیہ کی سرکردہ شخصیات 'بشمول حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی سیرت کے متعلق جو فکری سکوت کا خلا تھا وہ خاطر خواہ طور پر پُر ہو گا۔

مجھے فخر ہے کہ مجھے اس مقالہ کی تکمیل کے دن خواب میں سیدنا رسول اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم کے دیدار کا شرف حاصل ہوا۔ میں نے دیکھا کہ آپ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم ہمارے جدّ امجد الباز الاشہب سیدنا عبد القادر الجیلی قدّس اللہ روحہُ کے ساتھ ہیں اور آپ نے میرے ہاتھ کو تھاما اور مجھے تاریکیوں سے نکال کر روشنی کی جانب لے آئے۔

اور تمام توفیق و تکمیل اللہ کی جانب سے ہے

جمال الدین فالح الکیلانی

بغداد

باب الداخلہ

جیلان 'عراق: عراق میں ایک تاریخی گاؤں ہے جو شہرِ مدائن کے ماتحت اور اس کے مشہور و معروف آثارِ قدیمہ میں شمار ہوتا ہے۔ یہ دارالحکومت بغداد سے ۴۰ کیلو میٹر جنوب میں واقع قدیم عراقی بابلی قریہ ہے۔ ڈاکٹر بہنام الصوف اس امر کی توثیق کرتے ہیں کہ وہ تمام شہر جنکا نام جیلان ہوا ہے ان کی وجہِ تسمیہ بابل قدیم کا یہی شہرِ جیلان ہے[1] اور اس کا ذکر بلادِ عرب کی متعدد تاریخی اور جغرافیائی کتابوں[2] میں موجود ہے۔ اور اسی شہرِ فرخندہ بنیاد کی جانب کئی عظیم شخصیتیں منسوب ہیں جن میں اہم ترین امام وفقیہ و مصلح حضرت سیدنا الشیخ عبدالقادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی ذاتِ بابرکات ہے جو "تاج العارفین" "قطبِ بغداد" اور "باز اللہ الاشہب" کے القاب سے معروف ہیں اور جنہوں نے اس تاریک سرزمین میں نور و حکمت کے بیج بوئے اور خلق کے دلوں کو مالک الملک کے عشق سے لبریز کر دیا[3]۔

سلاسلِ تصوف میں طریقہء قادریہ آپ ہی سے منسوب ہے اور آپ ہی نے صلاح الدین ایوبی کے اس لشکر کی فراہمی میں مدد کی تھی جس نے بیت المقدس کو صلیبی طاقتوں سے آزاد کیا تھا[4]۔

۱۔التادفی۔" قلائد الجواہر فی مناقب عبد القادر"۔ ص ۹۹ اور "جیلان العراق۔ اسکی وجہِ تسمیہ (بلندی پر واقع سرزمین) اور عراقِ قدیم' بابل میں اس کا محل وقوع۔ علامہ ڈاکٹر بہنام الصوف سے انٹرویو بتاریخ ۲۰۰۲/۱۲/۱۶ء اور علامہ ڈاکٹر فوزی رشید سے انٹرویو بتاریخ ۲۰۰۱/۱/۷ء

اور دیکھئے Delopote-L-Mesopotamia-london-1925- p136

The Archaeology: Formation and Transformation of an Ancient Iranian State

by D. T. Potts, Cambridge University Press, 29/07/1999 - pp. 45-46

ISBN 0-521-56358-5

۲۔یاقوت الحموی۔" معجم البلدان" جلد ۲۔ مادہ ص ۲۰۰

۳۔الشطنوفی۔"بهجة الاسرار ومعدن الانوار"۔ ص ۳۲' الآلوسی۔ شہاب الدین ابی الثناء (ت 0471 ھجری 0812 ء)۔"الطراز المذهب فی شرح الباز الاشہب" مخطوطہ نمبر ۱۴۰۵ المكتبة القادرية ص ۱۲' زیدان۔ یوسف۔"باز الله الاشهب" ص ۱۴

۴۔الکیلانی۔ ماجد عرسان۔"هكذا ظهر جيل صلاح الدين،" ص ۳۰۹۔ اور اسی مصنف کا غیر مطبوعہ مقالہ "نشأة القادرية" ص ۸۹

مشکلاتِ تحقیق

راقم الحروف کو اثنائے تحقیق میں متعدد مصائب کا سامنا کرنا پڑا۔ ان کے منجملہ کتبِ تذکرہ اور طبقات میں بکثرت پائی جانے والی معلومات ہیں جنکی اساس مختلف فیہ ہے۔ مزید برآں حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی کتبِ سیرت کسی خاص گروہ تک محدود نہیں جس کے باعث محقق کو ان میں سے اکثر و بیشتر کتب کی جانب رجوع ہونا پڑا تاکہ اگر کہیں کوئی کمی پائی جائے تو کسی اور مقام سے اس کا ازالہ ممکن ہو سکے۔

اسی طرح مختلف مقامات پر موجود نادر و نایاب مخطوطات کے بارے میں معلومات کا حصول اور پھر ان تک رسائی کا مرحلہ تھا جس کے لئے متعدد شہروں میں واقع لائبریریوں اور متعلقہ اشخاص سے خط و کتابت کی گئی تاکہ ان نوادرات کی نقل حاصل کی جائے اور ان کا مقارنہ کیا جا سکے۔

ایک اور مشکل یہ پیش آئی کہ جب میں نے مختلف کتب و رسائل کا مطالعہ کیا تو پتہ چلا کہ اکثر کتبِ تاریخ میں حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی ابتدائی زندگی کے زمان و مکان پر قابلِ اعتماد معلومات کی فراہمی کا اہتمام نہیں کیا گیا ہے۔ جہاں تک حضرتِ جیلی رضی اللہ عنہ سے متعلق کتبِ تصوف کا تعلق ہے تو وہ تاریخی واقعات سے قطعِ نظر زیادہ تر آپ کی کرامات کے تذکرہ اور بندہ اور اس کے رب کے درمیان تعلق پر مرکوز ہیں جس کے باعث ان سے تاریخی دلائل کا استخراج مشکل ہے۔

سفرِ مکان وزمان

مورخین اور ماہرین جغرافیہ اس بات پر متفق ہیں کہ تاریخ اور جغرافیہ میں مشترک اقدار ہیں اور کسی مسئلہ پر روشنی ڈالنے کے لئے یہ باہم دیگر مربوط اور لازم وملزوم ہیں[1]۔ کسی مقام کی موجودہ حیثیت کو سمجھنے کے لئے بھی اس کے تاریخی جغرافیہ کا مطالعہ لازمی ہے اور محقق کے لئے ضروری ہوتا ہے کہ وہ اپنے موضوع پر عہد و مقام دونوں کی رو سے تحقیق کرے۔

چنانچہ ہمارے اس تحقیقی مقالہ کی تدوین کے لئے نظریہء زمان و مکان سے دو جہتوں میں سفر ضروری ہے اور ہم خلافتِ عباسیہ کے عہدِ ثانی اور (دجلہ و فرات کے اطراف واکناف میں واقع) ارضِ سواد کی متعدد قرون پر مشتمل تاریخ کا یکساں جائزہ لیں گے۔

۱۔شلش۔اسماعیل سرور''جغرافية الإسلام التاريخية''ص ۳

ابن خلدون۔عبدالرحمٰن بن محمد(۸۰۸ ھجری)''المقدمة''ایڈیشن ۴'دارالکتب العلمیہ 'بیروت ۱۹۷۸'ص ۴۶۷

جعیط۔ہشام''في السيرة النبوية''مطبوعہ دارالطلیعہ بیروت ۱۹۹۰'ص ۱۳۲

حضرت سیدنا الشیخ عبد القادر الجیلی
رضی اللہ عنہ
کی سیرت پر نظرِ غائر

حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ

نام۔ کنیت۔ نسب

ابو صالح السید محی الدین عبد القادر بن السید ابی صالح موسٰی بن السید عبد اللہ الجیلاني بن السید یحیٰ الزاهد بن السید محمد المدني بن امیر مکه السید داود بن السید موسیٰ الثاني بن السید عبد اللہ ابی المکارم بن السید موسیٰ الجون بن السید عبد اللہ المحض بن السید الحسن المثنیٰ بن السید الإمام الحسن السبط بن امیر المومنین علي بن ابی طالب زوج السیدۃ البتول سیدۃ النساء العالمین فاطمة الزهراء بنت رسول اللہ سیدنا محمد مصطفیٰ صلی اللہ علیه وآله وسلم۔ چنانچہ آپ گیارہ واسطوں سے حضرت فاطمۃ الزہراء رضی اللہ عنہا کے صاحبزادے ہیں[1]۔

۱۔ ابن الجوزی۔ "المنتظم" جلد ۱۰' صفحہ ۲۱۹' جلد ۱۰۔ صفحہ ۷' جلد ۱۰۔ صفحہ ۱۹۴۔۔ یاقوت الحموی۔ "معجم البلدان" جلد ۱۔ صفحہ ۴۲۶۔۔ ابن الاثیر۔ "الکامل" اور سبط ابن الجوزی۔ "مرآة الزمان" جلد ۸۔ صفحات ۱۲۴ اور ۲۶۴۔۔ الشطنوفی۔ "بهجة الاسرار" اور ذہبی "تاریخ الاسلام"۔ جلد ۳۹۔ صفحات ۸۶-۱۰۰ اور جلد ۳۶ صفحہ ۱۰ اور "العبر فی خبر من غبر" جلد ۳۔ صفحہ ۳۶۔۔ ابن الدمیاطی۔ "المستفاد من ذیل تاریخ بغداد" صفحہ ۱۲۷ (نمبر ۱۲۵)۔۔ العمری۔ "مسالک الابصار" جلد ۸ صفحات ۱۸۸-۹۶ (نمبر ۴۹)۔۔ الصفدی۔ "الوافی بالوفیات" جلد ۱۹۔ صفحات ۲۶-۲۸ (نمبر ۱۵۸۷)۔۔ الیافعی۔ "مرآة الجنان" جلد ۳ صفحات ۲۶۲-۲۷۵۔۔ ابنِ کثیر۔ "البدایة و النهایة" جلد ۱۲ صفحہ ۳۱۳ اور جلد ۱۲ صفحہ ۲۴۴۔۔ ابنِ رجب۔ "الذیل علی طبقات الحنابله" دو جلدیں (تصحیح محمد حامد الفقي)، مطبعة السنة المحمدیه' قاہرہ۔ ۱۹۵۲۔ جلد ۱ صفحات ۲۹۰۔ ۳۰۱ (نمبر ۱۳۴)۔۔ ابن الملقن۔ سراج الدین ابو حفص بن علی بن احمد المصری (ت ۸۱۲ ھجری.) ۔ "طبقات الاولیاء" طبع ۲ (تحقیق نور الدین شریبہ)، دار المعرفہ، بیروت، ۱۹۸۶ صفحہ ۴۲۱۔۔ جامی۔ "نفحات الأُنس" جلد ۲۔ صفحات ۶۷۹-۶۸۲۔۔ التادفی۔ "قلائد الجواهر"۔۔ الشعرانی۔ "الطبقات الکبریٰ" جلد ۱ صفحات ۱۷۷-۱۸۶ (نمبر ۲۴۸)۔۔ المناوي۔ "الطبقات الکبریٰ" جلد ۱۔ صفحہ ۶۷۶ (نمبر ۴۲۴)۔۔ ابن العماد۔ "شذرات الذهب" جلد ۶ صفحات ۳۳۰-۳۳۶۔۔ القادري۔ ظہیر الدین۔ "الفتح المبین" صفحہ ۲۱۔۔ مخطوطات محي هلال السرحان، المهداوي، ایمان کمال مصطفی۔ " عبدالقادر الکیلاني أدیباً" صفحہ ۳۲۔۔ اور حضرت الشیخ عبدالقادر الجیلي رضی اللہ عنہ کا نسب ثابت ہے جس سے کوئی جاہل یا آپ سے بغض وعناد والا ہی انکار کر سکتا ہے۔ کہا جاتا ہے کہ حضرت عماد الدین نصر بن عبد الرزاق بن الشیخ عبد القادر رحمۃ اللہ علیہم نے جو اپنے وقت میں بغداد کے قاضي القضاۃ تھے اس نسب کا اعلان کیا تھا اور اس کا جواب یہ ہے کہ حضرتِ مذکور علیہ الرحمہ اس

وقت بڑے ذمہ دار اور صاحبِ امانت مانے گئے ہیں جبکہ بغداد عالمی مرکز کی حیثیت کا حامل تھا اور جو انہوں نے اپنے خاندان کا نسب ترتیب دیا تو یہ دراصل سچائی کا اقرار اور اعلانِ حقیقت تھا۔ چنانچہ حضرت نصر بن عبد الرزاق بن الشیخ عبد القادر رحمۃ اللہ علیہم فرماتے ہیں:

نحن من أولاد خير الحسنين
من به أصلح بين الفئتين
يشبه المختار في أعلاه إذ
كان ادناه شبيها بالحسين
سرّ كتمان أبينا أصله
أنه قال بأن الفقر زين

یعنی "ہم حضرتِ امامِ حسن علیہ السلام کی اولاد سے ہیں جو خیر الحسنیین ہیں اور جن کے باعث دو گروہوں میں صلح ہوئی (عرضِ مترجم: یہاں سننِ نسائی میں مذکور حدیثِ مبارکہ "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين" کی طرف اشارہ ہے کہ ارشادِ نبوی صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم ہے کہ میرا یہ بیٹا مسلمانوں کا سردار ہے اور بہت ممکن ہے کہ اس سے ان کے دو عظیم گروہوں میں صلح ہو جائے) اور جو جسم کے اوپری حصہ میں اپنے نانا نبیء مختار صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم سے مشابہہ تھے جب کہ حضرت امامِ حسین علیہ السلام جسم کے باقی آدھے حصہ میں آپ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم سے مشابہت رکھتے تھے۔ ہمارے جدّ امجد کی پوشیدگی کا راز آپ کے اس فرمان میں ہے کہ فقر ہی بہتر ہے"۔

دیکھئے ابن الصابونی۔ "تكملة إكمال ا لإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب"۔ جمال الدین ابی حامد محمد بن علی المحمودی المعروف ابن الصابونی۔ وفات ٦٨٠ ھجری۔ تحقیق و تعلیق ڈاکٹر مصفطیٰ جواد۔ مطبوعہ مطبع المجمع العلمی۔ عراق۔ ١٩٥٧۔ صفحہ ٣١٧۔ معلوم ہو کہ حضرت امام جیلی رضی اللہ عنہ نے خود اپنے متعدد مشہور و معروف اشعار میں اپنے نسبِ شریف کی جانب اشارہ فرمایا ہے جو ان مجلدات میں موجود ہیں۔ آپ کے نسبِ حسنی کی صراحت کرنے والوں میں مشہور ایرانی مفکر ڈاکٹر مرتضیٰ مطہری بھی شامل ہیں۔ دیکھئے کتاب "الإسلام و إیران" ترجمہ ہادی غروی 'مطبع سپہر ایران ١٩٨٥ صفحہ ٢٠٧۔ اور اسی محقق کا علمی اسلوب اور تحقیقِ تاریخ کے اصول پر تحریر شدہ مقالہ بھی مخطوطہ حالت میں مکتبہء قادریہء شریفہ میں قسمِ تصوف نمبر ٥٠٤٦ کے تحت موجود ہے۔

مقامِ ولادت و آفرینش

مشہور ہے[1] کہ حضرت الشیخ عبدالقادر الجیلی رضی اللہ عنہ ۱۱ ربیع الثانی ۴۷۰ ھجری مطابق ۱۰۷۷ عیسوی[2] کو جیل میں تولد ہوئے جو عراق میں بغداد سے جنوب کی جانب مدائن سے قریب ایک قریہ ہے اور یہی ہمارے اس تحقیقی مقالہ کا ماخذ[3] و موضوع ہے کہ آپ کی ولادت جیلِ عراق میں ہوئی نہ کہ جیلانِ طبرستان میں جیسے بعض کتابوں میں بغیر تحقیق و تدقیق لکھا جاتا رہا ہے۔

حضرت الشیخ عبدالقادر رضی اللہ عنہ کی پرورش اس خاندان میں ہوئی جسے اسلامی مواخذ و مراجع میں خاندانِ صالح سے موصوف کیا گیا ہے[4]۔ آپ کے والدِ ماجد حضرت ابو صالح موسیٰ زہد و تقویٰ' ریاضت و مجاہدہ اور اعمالِ صالحہ کے ذریعہ تزکیہء نفس میں یکتائے زمانہ تھے اور اسی باعث اُن کا لقب "محب الجہاد" (جنگی دوست) تھا۔ آپ کی والدہء ماجدہ حضرتہ فاطمہ بنت عبداللہ الصومعی الزاھد الحسینی[5] تھیں۔ حضرت الشیخ موسیٰ علیہ الرحمہ کی ایک ہمشیرہء صالحہ عائشہ[6] نامی تھیں جن کے وسیلے سے لوگ بارش کے لئے دعا کرتے تھے اور آپ کے جدّ امجد حضرت عبداللہ بن یحییٰ الزاھد علیہ الرحمہ اصحابِ رشد و ہدایت سے تھے۔

جہاں تک حضرت سیدنا الشیخ عبدالقادر رضی اللہ عنہ کی صفاتِ مبارکہ کا تعلق ہے تو آپ نحیف البدن' درمیانی قد' کشادہ سینہ' طویل چوڑی بھوری ریشِ مبارک' جڑواں بھنویں' بارعب آواز' وضعدار شخصیت کے حامل اور صاحبِ علم و قدر تھے[7]۔

۱۔ الدروبی۔ ابراہیم۔ "المختصر في تاريخ شيخ الاسلام" صفحہ ۱۱۲ اور آلوسی کی مخطوطہ "أنساب الطالبين" صفحہ ۹۸

۲۔ ابن الجوزی۔ حوالہء گزشتہ جلد ۱۰۔ صفحات ۸۴-۸۵' ابن النجار۔ "ذيل تاريخ بغداد" جلد ۵۔ صفحات ۲۸-۲۹' اور سبط ابن الجوزی۔ "مرآة الزمان"۔ قسم ا جلد ۸ صفحہ ۱۷۳

۳۔ الکیلانی۔ جمال الدین فالح۔ "الشيخ عبد القادر الكيلاني، رؤية تاريخية معاصرة" صفحہ ۸۷

۴۔ابن الدبیثی۔ محمد سعید۔"المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد"ایڈیشن ا۔جلد ۳۔منثورا۔مطالعہ و تحقیق مصطفیٰ عبدالقادر عطا۔جو خطیب البغدادی کی تصنیف "تاريخ بغداد" کی جلد ۱۵ کے ساتھ نشر ہوئی۔مطبوعہ دار الکتب العلمیہ۔بیروت۔۱۹۹۷۔صفحات ۸۷-۸۸(نمبر ۲۹۱)

۵۔ابن کثیر۔"البداية والنهاية في التاريخ"جلد ۱۱۔صفحہ ۱۱۶۔اور جب حضرت الشیخ عبدالقادر رضی اللہ عنہ نے بغداد کو اپنا جائے سکونت بنالیا اور وہاں آپ کی رفعتِ شان مشہور و معروف ہوگئی تو آپ کی والدہ ماجدہ بھی بغداد آگئیں اور آپ کے دوسرے سفرِ حج میں آپ کے ہمراہ رہیں۔اُن کی وفات بھی بغداد میں ہوئی لیکن افسوس کہ سنِ وفات معلوم نہ ہوسکا۔اسکوریال(El Escorial)لائبریری اسپین میں نمبر ۲/۴۱۷ کے تحت محفوظ قطب الدین موسیٰ بن محمد الیونینی کے مخطوطہ "مناقب الشيخ عبد القادر"صفحہ ۱۱ب جسکی تصویر ڈاکٹر محی ہلال السرحان نے لی۔

اکثر بلادِ اسلامیہ میں آپ کی اور آپ کی والدہ ماجدہ کی جانب جن مقامات کو منسوب کیا گیا ہے ان سے ڈاکٹر عبداللہ السامرانی نے انکار کیا ہے اور ڈاکٹر عماد عبدالسلام رؤوف نے بھی اس کی تائید کی ہے۔دیکھئے السامرانی۔عبداللہ سلوم۔"دراسة في سلسلة نسب الشيخ عبد القادر الكيلاني" مصورہ مخطوطہ جو جناب عبدالستار ہاشم سعید الکیلانی کے پاس موجود ہے۔

استادِ مکرم و شیخ ڈاکٹر عماد عبدالسلام رؤوف صاحب کے ساتھ ۱۹۹۶/۹/۱ کو اور اس کے بعد میری متعدد ملاقاتوں میں بھی ان موضوعات پر طویل گفتگو رہی۔

۶۔ابن العماد۔"شذرات الذهب في أخبار من ذهب"۔جلد ۴۔صفحہ ۱۹۹

۷۔یہ امر واضح ہے کہ آپ کے جدّ امجد حضرت "عبداللہ الجیلانی" جو جیل 'عراق میں پہلی بار سکونت پذیر ہوئے۔یہ مشرقِ اسلامی میں امارتِ حسنیین کے عہد میں جو کردستان اور اس کے وسیع و عریض اطراف و اکناف میں تھی جیل منتقل ہوئے تھے۔اور اُن کے والدِ ماجد حضرت یحییٰ الزاھد پہلے شخص تھے جو مشرق میں وارد ہوئے تھے۔آپ کے قریب ترین رشتہ دار حضرت امام علی الشرقی (عراقی لہجہ میں انہیں الشرجی کہا جاتا ہے)علیہ الرحمہ بن احمد بن محمد المدنی بن داؤد الامیر بن موسیٰ الثانی تھے جو علاقہ میسان میں واقع قضاء علی الشرقی میں مدفون ہیں۔ابن الاثیر۔"الكامل في التاريخ"جلد ۹ صفحہ ۵۶۱۔العمری۔ابو الحسن "المجدي في النسب"۔مخطوطہ۔مکتبۃ الاسکندریۃ نمبر ۳۷۴۲ صفحہ ۱۳۱۔الکیلانی۔جمال الدین فالح۔"الامام عبد القادر الجيلانى: جيلان العراق لا جيلان الطبرستان"۔"مجلة كلية الاداب"عین شمس یونیورسٹی۔۲۰۰۹۔ملاحظہ فرمائیں ڈاکٹر صالح احمد العلی کا عربِ خراسان کے موضوع پر تحریر کردہ مضمون 'ڈاکٹر عبدالرزاق الانباری کا مقالہ "التوزيع الجغرافي لعرب خراسان" اور ڈاکٹر ناجی حسن الیافعی کی تالیف "القبائل العربية في المشرق" اور ان کے مصادر کی جانب مراجعت کی اہمیت۔

آپ کے سفر

الف: جیل سے بغداد کا سفر:

حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ نے بعض علومِ شرعیہ کم سنی میں اپنے افرادِ خاندان سے حاصل کئے' اور پھر مزید علوم کے حصول کے لئے آپ ۱۸ سال کی عمر میں سن ۴۸۸ ھجری مطابق ۱۰۹۵ عیسوی' خلیفہء عباسی مستظہر باللہ ابو العباس احمد بن المقتدی بِامر اللہ ابو القاسم عبد اللہ العباسی کے دورِ خلافت میں بغداد تشریف لائے۔ بغداد میں سکونت پذیر ہونے کے بعد آپ حضرت الشیخ ابو سعید المخرمی رحمۃ اللہ علیہ کے مدرسہ سے وابستہ ہو گئے۔ یہ مدرسہ الرصافہ سے مشرق کی جانب محلہ "باب الازج" میں واقع تھا جو اب محلہء "باب الشیخ" سے موسوم ہے۔ آپ کے اس سفر کے دوران ایک واقعہ قابلِ اعتماد مخطوطات میں درج ہے اور اسے ہم بغرضِ درسِ اخلاقی یہاں نقل کرتے ہیں۔ حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ فرماتے ہیں کہ میں نے اپنے ہر امر کی بنیاد سچائی پر رکھی۔ اس کی وجہ یہ ہے کہ جس وقت میں طلبِ علم کی غرض سے جیل سے بغداد کی جانب روانہ ہونے لگا تو میری والدہ نے مجھے چالیس دینار دیئے' اور مجھ سے ہمیشہ سچ کہنے کا وعدہ لیا۔ جب ہم ایک ویرانہ میں پہنچے تو کچھ عرب نمودار ہوئے' اور انہوں نے قافلہ کو لوٹ لیا۔ ان میں سے ایک میرے پاس آیا اور پوچھنے لگا "تمہارے پاس کیا ہے؟" میں نے کہا چالیس دینار ہیں۔ اس نے خیال کیا کہ میں مذاق کر رہا ہوں اور مجھے چھوڑ دیا۔ پھر مجھے ایک دوسرے شخص نے دیکھ لیا۔ اس نے مجھ سے پوچھا "تمہارے پاس کیا ہے؟" میں نے اسے بھی بتا دیا تو وہ مجھے اپنے سردار کے پاس لے گیا۔ سردار نے بھی وہی سوال کیا اور میں نے اسے بھی وہی جواب دیا۔ تم ایسے سچ کیسے کہہ سکتے ہو۔ میں نے جواب دیا کہ میری ماں نے مجھ سے سچ کہنے کا وعدہ لیا ہے اور مجھے ڈر ہے کہ میں وعدہ خلافی نہ کر بیٹھوں۔ وہ چیخ کر رونے لگا اور کہا "کیا عجب ہے کہ تمہیں اپنی ماں سے وعدہ خلافی کا ڈر ہے اور میں اللہ سبحانہ تعالیٰ سے کئے گئے عہد میں خیانت سے تک نہیں ڈرتا"۔ پھر اس نے حکم دیا کہ اہلِ قافلہ کو ان کو ان سے

۱۔ ابن الدیثی۔ حوالہء گزشتہ۔ صفحہ ۳۰۶

لوٹا گیا مال واپس کر دیا جائے۔ اور کہا" میں آپ کے دستِ مبارک پر اللہ کے حضور توبہ کرتا ہوں"۔ اس کے ساتھیوں نے کہا: کہ آپ ہم سے بڑے قاطعِ طریق ہیں اور اب آپ توبہ میں ہمارے سر گروہ ہیں اور ان تمام نے آپ کی اور آپ کی صدق گوئی کی برکت سے توبہ کا شرف حاصل کیا[1]۔

ب: بغداد سے بعقوبہ کا سفر:

حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کا دوسرا سفر بغداد سے شہرِ بعقوبہ کی جانب کسبِ معاش کے قصد سے تھا۔ آپ اپنے اس سفر کے متعلق فرماتے ہیں "اہلِ بغداد سے فقہاء کی ایک جماعت فصل کی کٹائی کے دنوں میں غلہ کے حصول کے لئے دیہی علاقوں کا رخ کرتی تھی۔ ایک دن انہوں نے مجھ سے کہا کہ ہمارے ساتھ چلو تا کہ کچھ غلہ لے آئیں اور میں ان کے ساتھ چلا گیا۔ بعقوبہ میں ایک نیک شخص تھے جن کا نام "الشریف البعقوبی" تھا۔ میں ان سے ملاقات کے لئے گیا تو انہوں نے فرمایا" طالبانِ حق اور صالحین کسی سے کچھ نہیں مانگتے "اور مجھے لوگوں سے سوال کرنے سے منع کیا۔ میں نے اس کے بعد اس غرض سے کسی مقام کا سفر نہ کیا"۔ یہ سفر حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کے نفسِ مبارکہ کے لئے بڑا اہم 'نفع بخش اور سبق آموز تھا جس کا آپ کی شخصیت پر گہرا اثر ہوا۔ آپ کا ترکِ سوال پر عمل پیرا ہونا آپ کے ارادہء صادقہ کی قوت اور نیک نصیحت کو قبول کرنے اور اس پر عمل کرنے کے جذبہ کی دلیل ہے[2]۔

ج: بغداد سے دیارِ مقدسہ کا سفر:

مصادر و مراجع سے پتہ چلتا ہے کہ یہ ایک نہیں دو سفر تھے جو فریضہء حج کی ادائیگی کی غرض سے تھے۔ آپ کا پہلا

۱۔ الذھبی۔ "سیر اعلام النبلاء" جلد ۲ صفحہ ۴۴۱۔ اور دیکھئے ابن الصابونی کی کتاب "تکملة اکمال الاکمال" ڈاکٹر مصطفیٰ جواد کی تحقیق۔ حاشیہ ۳۶۔ مطبوعہ المجمع العلمی العراقی۔ بغداد۔ ۱۹۵۷۔ اور دیکھئے شطنوفی کی "بهجة الأسرار" پر جمال فالح الکیلانی کی تحقیق۔ صفحہ ۱۵۶

۲۔ الشریف البعقوبی۔ ابو عبد اللہ محمد بن علی بن عرفة البعقوبی الشافعی الاشعری رحمۃ اللہ علیہ جو خلافتِ عباسیہ کے عہدِ ثانی میں شہرِ بعقوبہ اور اہلِ تصوفِ عراق کے سرکردگان سے اور حضرت الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کے شیوخ سے تھے۔ دیکھئے واسطی کی تصنیف " تذكرة المقتفين لآثار اولي الصفا وتبصرة المقتدين" صفحہ ۴۲۱۔ مخطوطہ مصطفیٰ جواد جوان کے صاحبزادے جواد مصطفیٰ جواد کے پاس موجود ہے۔

حج سن ۵۰۹ ھجری میں تھا جس کے دوران آپ کی ملاقات حضرت الشیخ عدی بن مسافر رحمۃ اللہ علیہ سے ہوئی جبکہ دوسرا حج سن ۵۵۵ ھجری میں تھا جس میں آپ کی والدہء ماجدہ آپ کے ہمراہ تھیں[1]۔ آپ نے اس حج کے دوران متعدد شیوخ سے ملاقات فرمائی جن میں حضرت الشیخ ابی مدین الشعیب رحمۃ اللہ علیہ قابل ذکر ہیں۔

حضرت عبد الرزاق بن الشیخ عبد القادر رحمۃ اللہ علیہ فرماتے ہیں "میرے والد رضی اللہ عنہ نے اپنی شہرت کے بعد صرف ایک دفعہ حج کیا اور اس سفرِ حج میں زمامِ قیادت میرے ہاتھ میں تھی"۔

حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کے ان سفروں کے علاوہ کسی اور سفر کا علم نہیں کیونکہ ان کے بعد آپ درس وتدریس اور وعظ ونصیحت میں مشغول ہو گئے۔

۱۔اس جانب اشارہ ملتا ہے کہ آپ کی والدہء ماجدہ اپنے نوجوان صاحبزادے سے ملاقات کے بعد بغداد میں ہی وفات پا گئیں لیکن ان مخطوطات میں ان کا سنِ وفات مذکور نہیں۔ دیکھئے ابن الجوزی کی تصنیف "كلام الشيخ عبدالقادر" جو سالم الآلوسی کی مخطوطہ ہے اور مزید ملاحظہ کریں اس مقالہ نگار کی کتاب " الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة "صفحات ۷تا۷۶

سیاسی اورسماجی پس منظر

جس عہد میں حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ بغداد تشریف لائے اس وقت حکومتِ عباسیہ کے تمام ممالک میں عجیب افراتفری کا دور دورہ تھا[1]۔ صلیبی طاقتیں شام کے دہانے پر حملہ آور تھیں[2] اور انطاکیہ اور بیت المقدس پر قبضہ کرنے میں کامیابی کے بعد وہاں مسلمانوں کا قتل عام کر رہی تھیں اور ان کے اموال کو لوٹ رہی تھیں[3]۔ اسی دوران ترکی سلطان "برکیاروق" ایک عظیم لشکر کے ساتھ عازمِ بغداد ہوا تاکہ خلیفہء وقت کو اس کے وزیر "ابن جہیر" کو معزول کرنے پر آمادہ کر سکے۔ خلیفہ نے سلجوقی سلطان "محمد بن ملک شاہ" سے مدد حاصل کی۔ چنانچہ ترکی اور سلجوقی سلطانوں کے درمیان متعدد معرکے ہوئے۔ ایک تذبذب کی کیفیت تھی کہ ان میں سے جو کوئی کسی معرکہ میں فتحیاب ہوتا تو اگلے خطبہء جمعہ میں خلیفہ کے نام کے بعد اس کا نام لیا جاتا تھا[4]۔

اسی دوران فرقہء باطنیہ[5] بھی اپنی خفیہ سرگرمیوں اور مسلم امراء اور قائدین[6] کے خاتمہ میں منہمک

۱۔ابن الدیثی۔ حوالہء گزشتہ۔ صفحہ ۱۲۴

۲۔القادری۔ ظہیر الدین۔ حوالہء گزشتہ۔ صفحہ ۱۶'۔۔علیوی۔ جعفر موسیٰ کا مقالہء ڈاکٹریٹ "عبدالقادر الجيلاني والتصوف"۔ کلیۃ الاداب۔ بغداد یونیورسٹی۔ ۲۰۰۲۔ صفحہ ۱۹۸

۳۔ابن کثیر۔ حوالہء گزشتہ۔ جلد ۳' صفحہ ۴۳

۴۔ابن الاثیر۔ "اللباب في معرفة الانساب" جلد ا۔ صفحہ ۲۶۶

۵۔ان کو "الحشيشية" کہا جاتا تھا کیونکہ یہ لوگ سیاسی قتل و غارتگری اور اپنے مذہب کی ترویج میں حشیش کا استعمال کیا کرتے تھے۔ اسی باعث یوروپین زبانوں میں لفظ "حشاش" بمعنی قاتل مشہور ہوا۔ دیکھئے الشہرستانی کی "الملل والنحل" صفحہ ۲۷ اور ۲۹ ــــ القاری۔ علی بن السلطان۔ "نزهة الخاطر الفاتر في سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني" مخطوطہ القادریہ صفحہ ۴۳۔۔ شعبان۔ محمد عبدالحي محمد شعبان۔ "التاريخ الاسلامي تفسير جديد(الدولة العباسية)" المکتبۃ الاھلیہ بیروت۔ ۱۹۷۷۔ صفحہ ۱۳۴۔۔ ارکون۔ محمد۔ "الفكر الاسلامي :نقد واجتهاد"۔ ترجمہ ہاشم صالح۔ دار الساقی بیروت۔ ۲۰۰۹۔ صفحہ ۱۲۴

۶۔المکی۔ بن عزوز۔ " السيف الرباني" صفحہ ۴۰۶

تھا۔ سلطانِ سلجوقی نے ایک بڑا لشکر تیار کیا اور اس کے ساتھ فارس کا رخ کیا جہاں اس نے "اصفہان" کے قلعہ کا محاصرہ کر لیا جو فرقہ ء باطنیہ کا گڑھ تھا۔ شدید گھیراؤ کے بعد اہلِ قلعہ نے ہتھیار ڈال دئے۔ سلطان نے قلعہ پر قبضہ کر لیا اور وہاں موجود باغیوں کو قتل کر دیا[1]۔ پھر امرائے قبیلہ ءبنی اسد[2] سے "صدقہ بن مزید" نے عرب اور کردیوں کے لشکر کے ساتھ بغداد پر قبضہ کا ارادہ کیا تو سلطانِ سلجوقی نے سلجوقیوں کی ایک بڑی فوج کے ساتھ اس کا مقابلہ کیا اور اسے شکست دی[3]۔ یہاں مجرم دراصل بے روزگار اشرار تھے جو سلاطین کو آپس میں جنگ و جدال پر اُکساتے تھے تاکہ شہر کا امن و امان درہم برہم ہو اور وہ لوگوں کو قتل کریں اور ان کا مال لوٹ سکیں۔ اور جب سلاطین جنگ سے لوٹتے تو وہ مجرموں کو سزائیں دینے میں مصروف ہو جاتے[4]۔ ظلم و بربریت اور دہشتگردی کے اس سیاسی پس منظر اور ماحول میں حضرت عبد القادر رضی اللہ عنہ بغداد میں حصولِ علم میں مشغول تھے[5]۔ آپ نے شیوخ اور فقہاء کی ایک جماعت سے فقہ کی تعلیم حاصل کی جن میں حضرت الشیخ ابوالخیر المخرّمی رحمۃاللہ علیہ بھی شامل تھے۔ آپ اختلاف و اصول مذہب میں امتیاز کے حامل ہوئے' ادب کا مطالعہ کیا اور کبارِ محدثین سے سماعتِ حدیث کی۔ اس طرح حضرتِ شیخ رضی اللہ عنہ تیس سال تک علومِ شریعت کے اصول و فروع کی درس و تدریس میں مشغول رہے[6]۔

۱-الکیلانی۔ علاءالدین۔ "تحفة الابرار ولوامع الابرار" مخطوطہ۔ پرنسٹن یونیورسٹی۔ نسخہ جناب ہاشم سعید الکیلانی (ریٹائرڈ بریگیڈیر انجینئر)۔ صفحہ ۷٦

۲-ابن تغری بردی۔ "النجوم الزاهرة" جلد ۵' صفحہ ۱۷۳

۳-ابن الجوزی۔ نفسِ مصدر۔ جلد ۱۰۔ صفحات ۲۰۸۔ ۲۱۱۔ ۲۲۰۔ ۲۲۱۔ ۲۵۲۔ ۲۵۷۔ ۲٦۴۔ ۲۷۱

۴-ابنِ کثیر۔ مصدرِ گذشتہ۔ جلد ۹۔ صفحہ ۵٦۱۔۔ النجار۔ محمد رجب۔ "حكايات الشطار والعيارين"۔ عالم المعرفہ۔ کویت۔ ۱۹۸۱۔ صفحہ ۱۷٦

۵-ابن خلکان۔ "وفيات الاعيان" جلد ۳۔ صفحات ۲۴'۲۲۷'۲۵۴'۴٦۴

٦-ابن الوردی۔ "مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب"۔ نسخہ سالم الآلوسی۔ صفحہ ۱۸۱

مجلسِ وعظ وتدریس

جب حضرت ابو سعید المُخرمی رحمۃ اللہ علیہ نے اپنے شاگردِ رشید حضرت عبد القادر علیہ الرحمہ میں علم واستقامت کی کثرت پائی تو آپ کے لئے ۵۲۱ ھجری کے اوائل میں باب الازج میں واقع اپنے مدرسہ میں مجالسِ وعظ کا اہتمام فرمایا جہاں آپ ہفتہ میں تین دن 'بروزِ اتوار' بروزِ جمعہ اور منگل کی شب کو خطاب کرنے لگے۔

آپ کا پہلا فرمان یہ تھا:

''فکرِ معرفت کے متلاشی قلب کے سمندر میں غوطہ زن ہو کر معارف کی موتیوں کو ساحلِ صدر پر لے آتے ہیں، پھر زبان ان کی فروخت کے لئے آواز لگاتی ہے تو نفس حسنِ طاعت کے دام دے کر انہیں ان گھروں میں خرید لیتے ہیں جنہیں بلند کرنے کے لئے اللہ سبحانہ تعالیٰ نے ارشاد فرمایا ہے''[1]

حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ اپنے مواعظِ حسنہ کے ذریعہ کئی ظالم حکمرانوں کو ظلم سے روکنے اور متعدد گمراہوں کو گمراہی سے پلٹانے میں کامیاب رہے۔ خاص طور پر حکام آپ کی تنقید کا نشانہ ہوتے تھے اور ساتھ ہی آپ عامۃ النّاس کو خلافِ شریعت امور میں ان کی اطاعت سے منع فرماتے تھے۔

ایک مجلس میں فرماتے ہیں:

'' بادشاہ رعایا کے معبود ہو گئے۔ دنیا' مال ومتاع' بے فکری' رتبہ وطاقت معبود بن گئے۔ تم نے فروع کو اصل بنالیا۔ رزق پانے والے کو رازق' مملوک کو مالک' فقیر کو غنی' عاجز کو قوی' مردہ کو زندہ سمجھ لیا۔ تم نے دنیا کے غرور کرنے والوں' فراعین' حکمرانوں اور دولتمندوں کی بڑائی شروع کر دی اور اللہ عزوجل کی عظمت

۱-ابن الجوزی۔ حوالہء گزشتہ۔ جلد ۹ صفحات ۱۶۸-۱۷۰' یاقوت الحموی۔ ''معجم البلدان'' جلد ۴ صفحہ ۴۹' سبط ابن الجوزی۔ ''مرآة الزمان'' جلد ۸' قسم ۱' صفحات ۳۹-۴۰' ابن خلکان۔ ''وفيات الأعيان'' جلد ۴ صفحات ۲۱۶-۲۱۹' السبکی۔ ''طبقات الشافعية الكبرى'' جلد ۶ صفحہ ۱۹۱ (ترجمہ مطولہ)' الاسنوی۔ ''طبقات الشافعية'' جلد ۲ صفحہ ۱۱۱' ابن کثیر۔ ''البداية والنهاية'' جلد ۱۲ صفحہ ۲۱۴' جامی۔ ''نفحات الأنس'' جلد ۲ صفحہ ۵۱۶' المناوی۔ ''الطبقات الكبرى'' جلد ۱ صفحہ ۴۰۷ (نمبر ۴۴۵)' ابن رجب۔ ''الذيل على طبقات الحنابلة'' جلد ۲ صفحہ ۴۰' الکیلانی۔ جمال الدین فالح۔ ''الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة'' صفحات ۷۶-۷۷

کو فراموش کر دیا تو تمہارا حکم وہی ہے جو بت پرستوں کا ہے کہ تم اپنے ان بتوں کی بڑائی کرنے والے ہو۔"
آپ نے بلاامتیاز ان ظالم سلاطین کے آلہء کار اور عملے کو بھی اپنی تنقید کا نشانہ بنایا جو ان کے احکام کو نافذ کرنے کی کوشش کرتے تھے۔ اور یہی نہیں' آپ اپنی عام محافلِ وعظ میں ان حکمرانوں کو بھی ہدفِ تنقید بناتے تھے اور ان کے مخصوص انحراف اور ظلم پر اپنے تاثرات بھی بے جھجک بیان کرتے تھے۔ چنانچہ سن ۵۴۱ ھجری مطابق ۱۱۴۶ عیسوی میں جب خلیفہء مقتفی نے یحییٰ بن سعید کو جو ابن مرجم کے نام سے معروف تھا قضاءت پر فائز کیا تو اس نے رعایا پر ظلم کی انتہا کر دی' ان کے مال لوٹے اور رشوت کا بازار گرم کیا۔ چونکہ علی الاعلان کوئی اس کی مخالفت نہیں کر سکتا تھا اس لئے اس کے خلاف منشور لکھے گئے اور مساجد اور راستوں پر چپکائے گئے۔ سبط ابن جوزی لکھتے ہیں کہ حضرت عبد القادر رضی اللہ عنہ نے ایک دفعہ جب خلیفہ کو مسجد میں پایا تو اس موقع کو غنیمت جان کر برسرِ منبر اس سے مخاطب ہو کر خطبہ دیا اور فرمایا کہ "تم نے مسلمانوں پر ظالم ترین حکمران مسلط کر دیا اور کل ربّ العالمین کو تم کیا جواب دو گے"۔ خلیفہ نے فوراً قاضیء مذکور کو برطرف کر دیا۔ اسی طرح کا معاملہ آپ نے کئی وزیروں اور دیگر سر کردہ شخصیتوں کے ساتھ بھی کیا اور تاریخ میں مذکور ہے کہ وہ حضرت عبد القادر رضی اللہ عنہ کے ارشادات کو سنتے تھے کیونکہ وہ آپ کی صدقِ مقصد اور نیک نیتی پر کامل اعتقاد رکھتے تھے۔ حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ خود کو شکوک و شبہات سے بالاتر اور حکام کی قربت سے دور رکھتے تھے۔ آپ کے متعلق کہا جاتا ہے کہ آپ نے کبھی کسی حاکم کے دروازے پر دستک نہیں دی[1]۔ آپ کی مجلسِ وعظ میں وزراء اور امراء بکثرت حاضر رہتے۔ عوام النّاس پر آپ کی وعظ و نصیحت کا گہرا اثر ہوتا تھا جس کے باعث آپ کے دستِ حق پرست پر ایک لاکھ سے زیادہ چوروں اور اشقیاء نے توبہ کی[2] اور پانچ ہزار سے زیادہ یہود و نصاریٰ نے اسلام قبول کیا[3]۔

۱۔ الکتبی۔ ابن شاکر۔ "فوات الوفیات" جلد ۱ صفحہ ۳۷

۲۔ المقریزی۔ "السلوك" جلد ۱ صفحہ ۲۷

۳۔ شیمل۔ "الابعاد الصوفية في الاسلام" صفحہ ۲۹۷

حضرت الجیلی رحمۃ اللہ علیہ حضرت الغزالی علیہ الرحمہ کی فکر سے متاثر تھے۔ آپ نے ان کی "احیاء علوم الدین" کی طرز پر ایک کتاب " الغنیۃ" بھی تالیف فرمائی۔ آپ نے حضرتِ غزالی رحمۃ اللہ علیہ سے ملاقات بھی کی اور ان کے پاس بیٹھ کر ان سے استفادہ بھی کیا[1]۔ حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ ایک طلسماتی شخصیت اور منفرد روحانی اثر کے حامل تھے۔ آپ جب وعظ فرماتے تو سامعین آپ کی گفتگو کی دلکشی میں ایسے کھو جاتے کہ ان کے دل آپ کی وعظ و نصیحت سے مغلوب ہو جاتے[2]۔ ایک دفعہ آپ کرسیءوعظ پر تشریف فرما تھے۔ اثنائے گفتگو میں آپ کا عمامہ کھل گیا اور آپ کو اس کی خبر تک نہ ہوئی تو حاضرین نے بھی آپ کی تقلید میں بے ساختہ اپنے سروں سے عمامے اور ٹوپیاں اتار دیں۔ آپ ان علماء پر بھی شدید تنقید فرماتے تھے جو سلاطین کے در پر دستک دیتے تھے۔ آپ ان سے مخاطب ہو کر فرماتے:

"اے آخرت کی راہ میں اہلِ دنیا سے دنیا لوٹنے والو' اے حق سے ناآشناؤ' تمہیں ان عوام سے زیادہ توبہ کی ضرورت ہے' تمہیں اپنے گناہوں کے اعتراف کی ان سے زیادہ حاجت ہے کہ تمہارے پاس کوئی بھلائی نہیں"۔

اور فرماتے:

"اگر تمہارے پاس دولتِ علم اور اس کی برکتیں ہوتیں تو تم اس طرح ان سلاطین کے دروازوں کی جانب اپنے خواہشاتِ نفس کی پابجائی کے لئے نہ دوڑتے"۔

۱- ابن الجوزی۔ حوالہء گزشتہ۔ جلد ۱۰ صفحہ ۱۸۲' ابن نقطہ۔ ابو بکر محمد بن عبد الغنی الحنبلی البغدادی وفات ۶۲۹ھ۔ "کتاب التقیید لمعرفة الرواة والسنن والمسانید" تصحیح و تعلیق الطاف حسین۔ ط ۱۔ ۲ ج۔ دائرۃ المعارف العثمانیہ۔ حیدر آباد دکن۔ الھند۔ ۱۹۸۳۔ جلد ۲ صفحہ ۱۶۳' ابن خلکان۔ "وفیات الأعیان" جلد ۳۔ صفحہ ۲۲۶' الذھبی۔ "تاریخ الاسلام" جلد ۳۸ صفحہ ۱۱۲' ابن الدمیاطی۔ "المستفاد من ذیل تاریخ بغداد" صفحہ ۱۱۳ (نمبر ۱۰۵)' الصفدی۔ "الوافي بالوفیات" جلد ۱۸۔ صفحہ ۷' ابن کثیر۔ "البدایة والنھایة" جلد ۱۲ صفحہ ۲۹۷' ابن العماد۔ "شذرات الذھب" جلد ۶ صفحہ ۲۷۵' الکیلانی۔ جمال الدین فالح۔ "لقاء الامامین الغزالي والجیلاني: حقیقة تاریخیة" در مجلہ "الدیار اللندنیة" شمارہ ۸۵۴

۲- ابن العماد۔ حوالہء گزشتہ۔ جلد ۵ صفحہ ۱۹

اور عامۃ النّاس کو ان کی مجالسِ وعظ میں جانے اور ان کی گفتگو کو سننے سے یوں منع فرماتے:

"اے اللہ کے بندو' ان لوگوں کی گفتگو نہ سننا جو صرف تمہارے نفس کو خوش کرنے والے ہوں۔ یہ لوگ اصحابِ حکومت کے سامنے جھکنے والے ہیں اور ان کے پاس مٹی کے ان ذرّات کی مانند ہیں جو نہ انہیں کسی معروف کا حکم دے سکتے ہیں اور نہ ہی کسی منکر سے روک سکتے ہیں۔ اور اگر یہ کیا بھی تو نفاق اور تکلّف سے کرتے ہیں۔ اللہ اس زمین کو ان سے اور ہر منافق سے پاک کر دے یا پھر انہیں توبہ اور ہدایت نصیب فرمائے۔ مجھے حیا آتی ہے جب میں کسی کو اللہ اللہ کہتے سنتا ہوں اور وہ کسی اور سے اُمید رکھتا ہے"۔

اسی طرح آپ نے مذاہب میں شدت پسند علماء کی بھی تنبیہ فرمائی۔ اس خصوص میں آپ کے اقوال کے منجملہ یہ قول بھی ہے کہ "بے فائدہ گفتگو سے پرہیز کرو۔ مذاہب میں عدم رواداری کو ترک کر دو اور ایسے کام کرو جو دنیا اور آخرت میں تمہارے لئے نفع بخش ہوں"۔ اس موقف سے آپ کی مراد صورتِ حال کی اصلاح اور علمائے ربانی کی ایک ایسی جماعت کی افزائش تھی جو لوگوں کو وعظ و نصیحت کرے' انہیں ہدایت و پاکیزگی کی راہ دکھائے اور امّتِ مسلمہ میں صحیح تعلیمات پھیلائے تاکہ آنے والی نسلیں ان لوگوں کی خصوصیات کی حامل ہو جائیں جن کے ہاتھوں اللہ سبحانہ تعالیٰ نے ایمان والوں کی کامیابی کا وعدہ فرمایا ہے اور حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ اپنے اس مقصد میں بڑی حد تک کامیاب رہے[1]۔

حضرت الشیخ ابو سعید المخرمی علیہ الرحمہ والرضوان کی وفات کے بعد ان کے مدرسہ میں تدریس و افتاء کی ذمہ داری اُن کے خلیفہ حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی علیہ الرحمہ کے سپرد ہوئی۔ آپ کی شخصیت کی جاذبیت' علم دوستی اور طالبانِ علم کے ساتھ ہمدردانہ سلوک کے باعث طلبا اس مدرسہ کی جانب جوق در جوق آنے لگے

۱۔ سبط ابن الجوزی۔ "مرآۃ الزمان" جلد ۸ ق ۱ صفحہ ۱۳۸' الشطنوفی۔ "بہجۃ الأسرار" صفحات ۱۱۴'۳۰۹

یہاں تک کہ مدرسہ میں جگہ کی تنگی ہونے لگی تو اصحابِ ثروت کی مالی اعانت اور فقراء کی عملی خدمات سے مدرسہ کے اطراف واکناف کے مکانات اور دیگر املاک کو اس میں شامل کر لیا گیا اور یہ تعمیر سن ۵۲۸ ھجری مطابق ۱۱۳۳ عیسوی میں تکمیل پائی اور یہ مدرسہ آپ سے منسوب کیا گیا[1]۔

۱۔ابن الجوزی۔ حوالہء گزشتہ۔ جلد ۱۰ صفحہ ۱۷۳' اور مدرسہ کی توسیع میں مالی اعانت کے متعلق دیکھئے محمد بن جریر الطبری کی" جامع البيان في تأويل آي القرآن" جلد ۵۔۔ "تحقيق محمد احمد شاكر"۔ مطبع مصطفیٰ الحیلی؛ قاہرہ ۱۹۷۸' جلد ۶ صفحہ ۱۷۶۔۔ المدرس۔ عبدالکریم۔"مواهب الرحمن في تفسير القرآن" جلد ۵ دار الحريه للطباعه۔ بغداد۔ ۱۹۹۷۔ جلد ۵ صفحہ ۸۷ اور ابو الاعلیٰ مودودی۔"تفسير سورة النور"۔المكتبة الاسلامية۔ قاہرہ ۱۹۵۸ صفحہ ۳۵

آپ کی دعوت اصلاح کی خصوصیات

حضرت الشیخ عبدالقادر الجیلی رضی اللہ تعالیٰ عنہ نے اپنی مجلس کی ابتداء دو یا تین لوگوں سے فرمائی پھر آپ کی مقبولیت میں اضافہ ہوتا گیا یہاں تک کہ مدرسہ میں گنجائش نہ رہی تو آپ حصارِ بغداد کی جانب واقع اپنی رباط میں مجالس منعقد فرمانے لگے اور وہاں لوگ بکثرت آپ کی خدمت میں آتے اور آپ کے دستِ مبارک پر توبہ کرتے۔ ابتدائے وقت سے آپ کی دعوت وارشاد کی امتیازی خصوصیت تعلیم و تربیتِ روحانی کا منظم اہتمام تھا۔ حضرت الشیخ عبدالقادر علیہ الرحمہ نے جب اپنے شیخ حضرت ابو سعید المخرمی رحمۃ اللہ علیہ کے بعد مدرسہ کی ذمہ داری سنبھالی تو آپ نے اپنا زیادہ تر وقت مدرسہ کی خدمت کے لئے وقف فرمادیا۔ آپ مدرسہ سے سوائے جمعہ کے باہر نہ نکلتے جب آپ مسجد یا رباط کو تشریف لے جاتے تھے۔ آپ کو اپنے منصبِ تدریس پر فخر تھا اور اسے "اعلیٰ منزلت اور عظیم مرتبت" جانتے تھے کہ بلاشبہ صاحبانِ علم ہی اہلِ زمین کے محبوب ہوتے ہیں۔

حضرت الشیخ عبدالقادر رضی اللہ عنہ نے تدریس کی ابتداء سن ۵۲۸ ھجری/۱۱۳۳ء میں کی اور سن ۵۶۱ ھجری/۱۱۶۶ء یعنی اپنی وفات تک تینتیس (۳۳) سال اس شعبہ سے وابستہ رہے۔

آپ کی دعوت وارشاد کا طریق کار

حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ نے ایک مکمل نصابِ تعلیم وضع فرمایا تھا جس کا ہدف طلبا اور مریدین کی علمی' روحانی اور سماجی تربیت تھی جو انہیں امر بالمعروف اور نہی عن المنکر کے پیغام کا حامل اور اس کا اہل کر دیتی تھی۔ یہ نصاب حسبِ ذیل امور پر مشتمل تھا:

الف۔ مذہبی اور ثقافتی تربیت: اس تربیت کا انحصار طالبِ علم یا مرید کی عمر پر ہوتا اور اس کا نصاب بتدریج ۱۳ علوم پر محیط ہو جاتا جن میں تفسیر' حدیث' اصولِ فقہ' اختلافِ فقہ' نحو' قراءت وغیرہ شامل ہوتے۔ مریدین کے لئے فقہ اور تصوف کی بیک وقت تعلیم بنیادی شرط ہوتی۔

ب۔ روحانی تربیت: اس نظامِ تعلیم کا ہدف متعلم یا ارادت مند کی ایسی روحانی تربیت ہے کہ جس کی بدولت روح ہر کدورت سے پاک ہو جائے اور اسے فکری اور عملی طور پر حضور نبیء اکرم صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم کی معیت حاصل ہو جائے اور اس کے ہر قدم میں یہی اس کے لئے مشعلِ راہ بنی رہے۔ تزکیہء روح کا یہ طریقہ اس نظریہ پر قائم ہے کہ مرید اپنے عمل کا قائل اور اس سے پوری طرح مطمئن رہے۔

ج۔ سماجی تربیت: آپ کے پاس صوفی وہ نہیں جو دنیا سے کنارہ کش ہو کر تنہائی میں بسر کرے۔ اسی لئے آپ نے افرادِ امّت کے درمیان گہرے تعلق کا اہتمام فرمایا اور ان اسباب کا تدارک کیا جو سماجی اتحاد کے زوال کا باعث ہوتے ہیں۔ اسی طرح حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ نے مریدین کو بیروزگاری' محسنین کے عطیات پر زندگی بسر کرنے' لوگوں کے آگے دستِ سوال دراز کرنے جیسے امور سے دور رکھنے کی تدبیر کی جو انہیں ان کی سماجی حیثیت سے کمتر کر دیتے ہیں اور انہیں امانت داری کے ساتھ تجارت وکسبِ معاش کے اخلاقی قواعد وضوابط بتلائے اور اس پر آمادہ کیا۔ آپ فرماتے ہیں "مالداروں کے ساتھ بردباری سے اور فقراء کے ساتھ عاجزی سے رہو ۔ خود پر فقراء کی صحبت لازم کر لو اور ان سے حسنِ ادب اور سخاوت سے پیش آؤ۔ مرید کو چاہئے کہ وہ دولتمندوں

کی داد و دہش کے سامنے کمزور نہ ہو اور نہ اُس کی اِس عطا کی لالچ کرے کیونکہ ان کی خوشامد میں انسان کے دین اور اخلاق کے لئے بڑے خطرے ہیں'''۔

۱-ابن فضل اللہ۔"مسالك الابصار"جلد۸ صفحہ ۱۰۴۔۔الکیلانی۔ماجد عرسان۔"هكذا ظهر جيل صلاح الدين"امریکا۔صفحہ ۳۰۲۔۔عفیفی۔ابوالعلا۔"التصوف الثورة الروحية في الاسلام"۔اسکندریہ۔۱۹۵۳۔صفحہ ۵۶۔۔الکیلانی۔جمال الدین فالح۔"الشيخ عبد القادر الكيلاني" صفحہ ۷۶

حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ
اور
صلیبی جنگوں کے دوران آپ کا مجاہدانہ کردار

شواہد سے پتہ چلتا ہے کہ بلادِ شام میں صلیبی قبضوں کے باعث جو خاندان بے گھر ہو گئے تھے ان کے بچوں کی تعلیم و تربیت کے ذریعہ اصلاحی مدرسوں اور خاص طور پر حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کے مدرسہ نے ان مناطق میں صلیبی طاقتوں کے خطرات سے نمٹنے کے لئے ایک مکمل نسل کی تیاری میں مرکزی کردار ادا کیا۔ چنانچہ حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ اور آپ کے مدرسہء قادریہ نے ان بے گھر بچوں کو عیسائیوں کے مقبوضہ علاقوں سے لاکر ان کی اقامت و تعلیم و تربیت کے بعد انہیں خالی مقامات پر متعین کرنے کا اہتمام کیا۔ انہی طالبانِ علم سے بعض فقہ اور سیاست کے میدان میں مشہور و معروف ہوئے تو حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کے بعض تلامذہ نے جہادی افواج میں شمولیت اختیار کی۔ ان میں خود آپ کے بعض صاحبزادے مثلاً حضرت عبد العزیز اور حضرت موسیٰ علیہما الرحمہ بھی شامل تھے۔ اور ان سب میں صلاح الدین ایوبی علیہ الرحمہ کے افرادِ خاندان سرِ فہرست تھے۔ اسی طرح مدرسہء قادریہ کے تلامذہ کی ایک جماعت پہلے نور الدین اور پھر صلاح الدین کے ساتھ نہ صرف سیاسی میدان میں مشغول رہی بلکہ نہایت پُر خطر حالات میں ہمہ تن ان کا ساتھ دیا۔ حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کے عالمِ اسلامی کے قائدین سے شخصی تعلقات تھے اور انہیں سیاسی' ثقافتی اور فوجی معاملات میں بلاواسطہ اور بالواسطہ آپ کا تعاون حاصل تھا۔ اگر ہم اس سے اتفاق نہ بھی کریں کہ حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ یہ شعور' اعتقاد اور ایمان رکھتے تھے کہ جہاد ایمان کے اعلیٰ درجات کا حصہ ہے اور ظلم اور ظالموں سے' جارحیت اور باغیوں سے مقابلہ کرنا افضل عبادات سے ہے' ہم اتنا تو کہہ ہی سکتے ہیں کہ آپ صلیبی طاقتوں کے خلاف نمایاں اور مشہور مجاہدین سے تھے[1]۔

۱۔حضرت الشیخ عبدالقادر الکیلانی اور صلیبی جنگوں کے دوران آپ کے جہادی کردار پر مزید تفصیل کے لئے دیکھئے اسی مولف کی کتاب " الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة" صفحات ۸۴تا۹۴۔۔ابن خلکان۔"وفيات الاعيان" جلد۳ صفحات ۲۰۵تا۲۰۸۔۔ذھبی۔"تاريخ الاسلام" جلد ۳۰ صفحات ۷۰تا۱۷۵ا۔۔صفدی۔"الوافي بالوفيات" جلد۱۹ صفحات ۶۳و۶۴۔۔الکیلانی۔ماجد عرسان۔حوالہء گزشتہ۔صفحہ ۲۶۵ اور ماجد عرسان الکیلانی سے شخصی ملاقات بتاریخ ۲۰۰۵/۸/۱۲

فقهی مکاتبِ فکر

حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ متبحر عالم تھے اور آپ علمِ لغت و شریعت سے متعلق تیرہ (۱۳) علوم پر ماہرانہ کلام فرماتے تھے اور انہی علوم میں آپ کے مدرسہ کے طالبانِ علم بھی درس لیا کرتے تھے۔ ان میں علومِ تفسیر' حدیث' مذہب' خلاف' اصول اور لغت شامل تھے۔ آپ علمِ قراءت میں بھی کامل و اکمل تھے اور قرآنِ کریم کی تلاوت متعدد روایات سے کیا کرتے تھے۔ مشہور دلیلوں سے ظاہر ہے کہ آپ مذاہبِ حضرت امام محمد بن ادریس الشافعی اور حضرت امام احمد بن حنبل الشیبانی علیہما الرضوان کے مطابق فتویٰ دیتے تھے لیکن ایک روایت یہ بھی ملتی ہے کہ آپ نے حضرت امامِ اعظم ابو حنیفہ النعمان بن ثابت بن نعمان الکوفی رضوان اللہ علیہ کے مذہب پر بھی فتویٰ جاری کیا ہے[1]۔

۱- التادفی۔ حوالہ ء گزشتہ۔ صفحہ ۴۳۔۔ السبکی۔" طبقات الشافعیة الکبری ' "جلد ۵ صفحات ۱۵۳تا۱۶۱۔۔ الاسنوی۔"طبقات الشافعیة "جلد ۲ صفحات ۱۵۷و۱۵۸۔۔ ابن کثیر۔"البدایة و النھایة"جلد ۱۲ صفحہ ۱۳۱اور مصطفیٰ جواد۔"أصول التاریخ و الادب"جلد ۲۳ صفحہ ۵۴

تصانیف

حضرتِ شیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ نے اصول و فروع اور احوال و حقائق میں بکثرت کتابیں تصنیف فرمائیں اور بعض کتابیں آپ سے منسوب بھی کی گئیں۔ ان میں سے کچھ طبع ہوئیں' کچھ مخطوطات کی شکل میں موجود ہیں اور کچھ تصویر کردہ ہیں۔ اکثر طبع شدہ تصانیف کا دنیا کی متعدد زبانوں میں ترجمہ ہوا جبکہ یورپ اور امریکہ میں انگریزی ترجموں کی اشاعت کا بڑا اہتمام کیا گیا۔ قابلِ ذکر بات یہ ہے کہ ان تصانیف میں جو اصطلاحات پائی جاتی ہیں وہ قرآنِ کریم کے الفاظ و معانی اور ارشاداتِ نبوی صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم پر مشتمل اور اپنے موضوعات میں ان ارشادات و معانی کے عین مطابق ہیں۔ ہم نے ان اصطلاحات کے منجملہ بعض کی حرفی ترتیب اس طرح کی ہے:

ابد (بمعنی ہمیشگی)۔ اتصال۔ احسان۔ اخبات(خشوع و خضوع)۔ اختیار۔ اخلاص۔ ارادہ۔ استقامت۔ اصطفاء (انتخاب)۔ اعتصام۔ امتحان۔ انابت۔ ایثار۔ بخل۔ بسط۔ بصیرت۔ بُعد۔ بقا۔ بلا۔ تبتل۔ تجلی۔ تسلیم۔ تفرید۔ تفکر۔ تقدیس۔ تقویٰ۔ تواضع۔ توبہ۔ توجہ۔ توحید۔ توفیق۔ توکل۔ ثقہ۔ جنت۔ جوع۔ حال۔ حجاب۔ حرص۔ حُرمت۔ حُرّیہ (بمعنی آزادی)۔ حُزن۔ حسد۔ حق۔ حقیقت۔ حکمت۔ حیا۔ حیات۔ حیرت۔ خاصیت۔ خاطر۔ ختم (بمعنی مہر)۔ خشوع۔ خشیت۔ خُلق۔ خلت (بمعنی محتاجی)۔ خلوت۔ خلیفہ۔ خوف۔ دعویٰ۔ دنیا۔ ذکر۔ ذوالعقل (صاحبِ عقل)۔ ذوق۔ ران (بمعنی مخالف) ۔ رجا۔ رضا۔ رعایت۔ رغبت۔ رھبت (بمعنی حالتِ خوف)۔ روح۔ ریا۔ زہد۔ سالک۔ ستر۔ سُکر۔ سکینہ۔ سماع۔ شاہد۔ شریعت۔ شُکر۔ صبر۔ صدق۔ صفا۔ طہارت۔ عارف۔ عام۔ عبرت۔ عبادت۔ عُجب (بمعنی خود پسندی)۔ عدو۔ عزم۔ غرق۔ غرور۔ غشاوہ (بمعنی کہرہ یا پردہ)۔ غضب۔ غیبت۔ غیرت۔ فتوّۃ (بمعنی کرم)۔ فرار۔ فقر۔ فنا۔ قرب۔ قلب۔ کبر۔

لطف۔ ماخوذ و مُستلب (بمعنی سلب شدہ)۔ مجاہدہ۔ محاسبہ۔ محبت۔ محو۔ مراقبہ۔ مقام۔ مکر۔ نفس۔ ہمت۔ ھویٰ (بمعنی خواہشات)۔ ہیبت۔ ورع۔ وفائے عہد۔ ولی۔ یقظہ۔ یقین۔

ان تصانیف کے منجملہ بعض اہم تصانیف یہ ہیں:

- **الغُنية لطالبي طريق الحق** (غنیۃ الطالبین): یہ آپ کی مشہور ترین تصانیف سے ہے جو اسلامی آداب واخلاق پر مشتمل ہے۔ یہ دو حصوں میں ہے۔ ڈاکٹر فرج توفیق الولید نے اس پر تحقیق کی ہے۔
- **الفتح الرباني والفيض الرحماني**: یہ بھی مشہور کتابوں سے ہے جو حضرت الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کی مجالسِ وعظ وارشاد پر مشتمل ہے اور اپنے اندازِ تحریر اور عبارت آرائی میں بے نظیر ہے۔
- **فتوح الغيب**: حضرتِ شیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کے عقائد وارشاد کے مختلف موضوعات پر ۷۸ مقالات پر مشتمل تصنیف ہے۔
- **إغاثة العارفين وغاية منى الواصلين**
- **أوراد الجيلي**
- **آداب السلوك والتوصل إلى منازل السلوك**
- **تحفة المتقين وسبيل العارفين**
- **جلاء الخاطر في الباطن والظاهر**
- **حزب الرجاء والانتهاء**
- **الحزب الكبير**
- **دعاء البسملة**
- **الرسالة الغوثية**: اس تصنیف کا ایک نسخہ مکتبۃ الاوقاف بغداد میں موجود ہے۔
- **رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله**

- **الفيوضات الربانية:** یہ حضرتِ شیخ رضی اللہ عنہ کی تصنیف نہیں ہے لیکن اس میں آپ سے منسوب اوراد و وظائف اور دعائیں ہیں۔
- **معراج لطيف المعاني**
- **يواقيت الحكم**
- **سر الأسرار في التصوف:** یہ مشہور و معروف کتاب ہے اور اس کے نسخہ مکتبۃ القادریہ بغداد اور استنبول یونیورسٹی لائبریری میں موجود ہیں۔
- **الطريق إلى الله:** خلوت' بیعت اور اسمائے سبعہ پر مشتمل کتاب
- **رسائل الشيخ عبد القادر:** ۱۵ نامہ جات۔ استنبول یونیورسٹی لائبریری میں ایک نسخہ موجود ہے۔
- **المواهب الرحمانية:** صاحبِ روضات الجنّات نے اس کتاب کا ذکر کیا ہے۔
- **حزب عبد القادر الجيلي:** مکتبۃ الاوقاف بغداد میں قلمی نسخہ موجود ہے۔
- **تنبيه الغبي إلى رؤية النبي:** اس کا ایک نسخہ ویٹیکان روم۔ اٹلی میں موجود ہے۔
- **وصايا الشيخ عبد القادر:** مکتبۃ فیض اللہ الشیخ مراد میں نمبر ۲۵۱ کے تحت نسخہ موجود ہے۔
- **تفسير القرآن الكريم:** ڈاکٹر فاضل جیلانی نے اسکی تحقیق کی ہے اور یہ مطبوعہ حالت میں ترکی وغیرہ میں موجود ہے۔ ہمارے پاس اس پر طویل اسٹڈی شائع ہو چکی ہے جس کا خلاصہ یہ ہے کہ اس تفسیر میں سوائے نام اور موٹی لکیروں کے کچھ واضح نہیں اور اس کی تکمیل کا کام جاری ہے۔
- **الدلائل القادرية**

وفات

حضرت الشیخ عبدالقادر رضی اللہ عنہ مسلسل بندگانِ خدا کی حق سبحانہ تعالیٰ اور جہاد فی سبیل اللہ کی جانب دعوت وارشاد میں مصروف رہے تاآنکہ بقضائے الٰہی ہفتہ کی شب بتاریخ ۱۰ ربیع الثانی سن ۵۶۱ ھجری کو آپ نے اس جہانِ فانی کو خیر باد کہا۔ آپ کی تجہیز و تکفین رات کو ہی کر دی گئی۔ آپ کے صاحبزادے حضرت عبد الوہاب رحمۃ اللہ علیہ نے نمازِ جنازہ پڑھائی جس میں آپ کی اولاد و اصحاب شامل تھے اور آپ کے مدرسہ کے جوار میں آپ کی تدفین عمل میں آئی۔ جب مدرسہ کا دروازہ دن چڑھنے پر کھولا گیا تو لوگ آپ کی قبر کی زیارت اور وہاں نماز کے لئے یوں جوق در جوق آنے لگے کہ جس کی کوئی مثال نہ تھی۔ آپ کی عمرِ شریف ۹۰ سال تھی[۱]۔ کسی نے کیا خوب کہا ہے:

إنَّ بازَ اللهِ سلطانُ الرِّجالِ
جاءَ في عِشقٍ وَ ماتَ في كمالِ

چنانچہ اس بیت میں "عِشقٍ" کے عدد ۴۷۰ ہوتے ہیں جو آپ کا سنِ ولادت ہے اور "کمالِ" کے عدد ۹۱ ہیں جو آپ کی عمر تقریبی ہے۔ اگر "عِشقٍ" اور "کمالِ" دونوں کو یکجا کیا جائے تو ان کے مجموعی عدد ۵۶۱ ہوتے ہیں اور یہ آپ کا سنِ وفات ہے[۲]۔

۱- ابن النجار-محب الدین۔ "ذیل تاریخ بغداد" ط ۱'۵ج'۵م جو خطیب البغدادی کی کتاب "تاریخ بغداد" کی پانچ جلدوں ۱۶'۱۷'۱۸'۱۹'۲۰ کے ساتھ ۱۹۹۷ میں نشر ہوئی۔ جلد ۱ صفحہ ۲۴۸

۲-الذھبی۔ حوالہء گزشتہ۔ جلد ۲۰۔ صفحہ ۴۴۴

اولاد

حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کی ۴۹ اولادیں ہوئیں جن میں ۲۷ صاحبزادے اور باقی صاحبزادیاں تھیں۔ان کے منجملہ بعض کا یہاں ذکر کیا جاتا ہے:

- حضرت عبد العزیز بن الشیخ عبد القادر رحمۃ اللہ علیہ متوفی ۶۰۲ ھجری:۔آپ نے اپنے والدِ ماجد سے تعلیم و تربیت پانے کے بعد درس وتدریس اور وعظ وارشاد میں مشغولیت اختیار کی اور آپ کے دستِ مبارک پر کئی طالبانِ ہدایت درجہء کمال پر پہنچے۔آپ نے عسقلان کے غزوہ اور بیت المقدس کی زیارت کے بعد سن ۵۸۰ ھجری کے آس پاس سنجار کے ایک قریہ کی جانب سفر کیا اور اسی کو اپنا وطن مالوف بنالیا۔آپ کی اولاد بھی پندرھویں صدی کے اواسط تک وہیں آباد تھی۔آپ صلاح الدین ایوبی کی فوج کے قائد اور ان کے مشیر تھے۔اس متواضع مقالہ نگار کا تعلق بھی آپ ہی کی اولاد سے ہے۔
- حضرت عیسیٰ بن الشیخ عبد القادر رحمۃ اللہ علیہ متوفی ۵۹۳ ھجری:۔آپ نے اپنے والدِ ماجد سے فقہ کی تعلیم پائی اور سماعتِ حدیث وغیرہ فرمائی۔درس وتدریس اور وعظ وافتاء کی خدمت انجام دی اور علومِ صوفیہ میں ایک کتاب "جواهر الأسرار ولطائف الأنوار" تصنیف فرمائی۔آپ نے اپنے والدِ ماجد کی وفات کے بعد مصر کا رخ کیا اور وہاں مواعظِ حدیث کا سلسلہ جاری فرمایا۔اہلیانِ مصر کی ایک کثیر تعداد نے آپ سے تکمیلِ علم کی اور بعض نے خرقہء تصوفِ قادریہ پہنا۔آپ کی وفات مصر ہی میں ہوئی۔
- حضرت عبد الوہاب بن الشیخ عبد القادر رحمۃ اللہ علیہ (۵۲۲-۵۹۳ ھجری):۔آپ حنبلی فقہ کے عالم اور واعظ تھے۔اپنے والدِ ماجد رضی اللہ عنہ سے تعلیمِ فقہ پائی یہاں تک کہ اس میں کامل واکمل ہوگئے۔اوائلِ سن ۵۴۳ ھجری میں جبکہ آپ کی عمر بیس سال سے متجاوز تھی آپ نے اپنے والدِ ماجد رضی اللہ عنہ کی موجودگی میں نیابت کی اور ان کے مدرسہ میں پڑھانے لگے۔پھر اپنے والد رضی اللہ عنہ کی وفات کے بعد پوری طرح درس وتدریس میں مشغول ہوگئے۔اپنے بھائیوں میں ممتاز مقام کے حامل تھے۔وعظ میں فصیح اور تواضع'

مروّت و سخاوت میں بے مثل تھے۔ سن ۵۸۳ ھجری میں خلیفہ ءعباسی الناصر لدین اللہ نے آپ کو محکمہ ء عوامی شکایات پر مقرر کیا تھااور آپ سے خلائق اپنے حوائج کی پابجائی کے لئے رجوع ہوتی تھی۔آپ ہی نے الناصر لدین اللہ کی ایماء پر سلجوق خاطون کا مقبرہ جہتِ خلاطیہ میں تعمیر کروایا تھااور اس وقف کے متولی رہے۔ دیوانِ عزیز کی جانب سے شام کے سفیر رہے۔ حضرت عبد الوہاب علیہ الرحمہ نے طلبِ علم کی غرض سے بلادِ ہند کا بھی سفر کیااور وہاں متعدد افراد آپ کے دستِ حق پرست پر فارغ التحصیل ہوئے۔ابن الدبیثی نے آپ سے چند احادیث پڑھیں۔

سن ۵۸۸ ھجری میں حضرت عبد الوہاب کو جہتِ خلاطیہ کے وقف سے لا تعلق کر دیا گیااور حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کے صاحبزادوں کو ان کے مدرسہ سے بے دخل کر کے اسے عبد الرحمٰن بن الجوزی متوفی ۵۹۷ ھجری کے حوالہ کر دیا گیا۔ بعد میں وزیر ابن یونس متوفی ۵۹۳ ھجری کی گرفتاری کے بعد یہ مدرسہ حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کی اولاد کو لوٹا دیا گیا۔

- حضرت عبد الرزاق بن الشیخ عبد القادر رحمۃ اللہ علیہ (۵۲۸-۶۰۳ ھجری):۔آپ صاحبِ ثقہ 'حافظ 'عابد' زاہد اور متقی تھے۔اپنے برادران میں ممتاز حیثیت کے حامل تھے۔فقیہِ صالح تھے اور اپنے والدِ ماجد رضی اللہ عنہ کی خدمت میں فقہ کی تعلیم پائی تدریس و کتابتِ حدیث کی۔ پھر بعد فراغت خدمتِ افتاءانجام دی اور کئی طالبانِ علم کی تعلیم و تربیت فرمائی۔آپ معرفتِ فقہ کی بہ نسبت معرفتِ حدیث میں زیادہ معروف ہوئے۔اپنے گھر میں گوشہ ءتنہائی میں بسر فرماتے اور صرف جمعہ کو باہر نکلتے۔ عُسرت و تنگ حالی تھی لیکن اپنے فقر پر صابر تھے۔ نہایت خوددار اور اپنے اسلاف کی مانند پاکباز تھے۔آپ قاضی القضاۃ حضرت ابی صالح نصر بن عبد الرزاق علیہ الرحمہ کے والد تھے[۱]۔

۱۔ عرضِ مترجم: اس خاکسار کا تعلق بھی حضرت عبد الرزاق بن الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کی آل سے ہے۔ فالحمد للہ علی ذالک

حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کے پوتوں میں حضرت قاضی القضاۃ ابو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجیلی رحمۃ اللہ علیہ (وفات ۶۳۳ ھجری) شامل ہیں جنکا اس مقالہ کے موضوع سے تعلق ہے۔ آپ حنبلی فقہ میں ماہر اور واعظ تھے۔ اپنے مذہب کے پیشوا اور شیخِ وقت تھے۔ اپنے جدّ امجد کے مدرسہ اور دیگر مدارس میں درس دیا کرتے تھے۔ خلیفہ الظاہر بامر اللہ کے عہد میں قاضی القضاۃ رہے اور آپ کے سوا کوئی اور حنبلی قاضی القضاۃ نہ ہوا۔ آپ کے حسنِ خُلق کے باعث آپ عوام میں بے حد مقبول و معروف ہوئے۔ آپ کا در تمام لوگوں پر ہمیشہ کھلا ہوتا اور جو چاہتا آپ کے دروازہ پر آواز لگاتا۔ آپ ان کے درمیان بیٹھتے اور پاپیادہ نمازِ جمعہ کے لئے تشریف لے جاتے۔ سن ۶۲۳ ھجری میں آپ نے تنہائی اختیار کی اور صرف اپنے جدّ مجد کے مدرسہ میں درس و افتاء میں مشغول ہو گئے۔ جب دیرِ روم میں رباطِ مستجد کی تعمیر تکمیل پائی تو آپ کو وہاں کے اصحابِ زہد کا تا حینِ حیات پیشوا مقرر کیا گیا۔ علمِ شریعت و حقیقت میں اہلِ بغداد کی کثیر تعداد آپ کی خدمت میں فارغ التحصیل ہوئی۔

صاحبِ اقوالِ حسنہ اور شجیع و نڈر تھے۔ زہد سے متعلق آپ کے اشعار اور تالیفات معروف ہیں۔ سن ۶۳۰ ھجری میں موصل اور اربیل کے سفیر کی خدمت انجام دی۔ آپ کے لئے قصرِ شاہی کی مسجد میں مناظرہ کی غرض سے اسٹیج بنایا گیا تھا۔ آپ مقبولیتِ عام کے حامل تھے اور طالبانِ علم کا ایک جمِّ غفیر آپ کی جانب رواں ہوتا تھا۔ اولادِ شیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ میں عام طور پر آپ کی کنیت صالح رہی لیکن مختلف روایات میں موسیٰ' عبد الغنی' اور عبد اللہ بھی بیان کی گئی ہے۔

چھٹی صدی ھجری میں تاتاریوں کے ہاتھوں سن ۶۵۶ ھجری میں بغداد کے سقوط تک حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کی اولاد و احفاد اور خاص طور پر وہ جنہوں نے حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کے پیغام کو عام کیا' خاص و عام میں نہایت احترام و مقبولیت کے حامل رہے۔ اور پھر افرادِ خاندانِ قادریہ اقطاعِ عالم'

شرق و غرب میں پھیل گئے اور ہر دور میں جو ان کے سیاسی' ثقافتی' دینی اور اجتماعی کارنامے رہے ہیں وہ کسی سے پوشیدہ نہیں[۱]۔

۱۔الکیلانی۔جمال الدین فالح۔حوالہء گزشتہ۔صفحہ ۳۲

حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ
کے مقامِ ولادت کا ذکر اور اس کے مصدر و مرجع پر تفصیلی نظر

تاریخِ اسلامی میں تہذیب وثقافت پر مباحث

ا- ثقافتی ورثہ کی بیخ کنی:

جب ہم کسی عہد کا بنظرِ غائر مطالعہ کرتے ہیں تو یقیناً" ایسی کسی نہ کسی تلخ حقیقت سے روشناس ہوتے ہیں جو از اول تا اخیر اصل واقعہ سے یکسر مختلف ہوتی ہے اور کسی سخت قانونِ شریعت کے تابع نہیں پائی جاتی۔ اور جب یہ حقیقت کسی انسانی شخصیت پر اثر انداز ہوتی ہے تو مرورِ وقت کے ساتھ رفتہ رفتہ یہ اثر اس قدر گہرا ہو جاتا ہے کہ اصل حقیقت نہ صرف اپنی سچائی کھو دیتی ہے بلکہ پوری طرح مفقود ہو جاتی ہے۔ اسی لئے ناقدینِ تاریخ کی یہ کوشش رہتی ہے کہ اصل حقیقت تک رسائی کے لئے اِن ظاہری حقائق سے صرفِ نظر اُن تمام عواقب و نتائج اور امکانات کا گہرا مطالعہ کریں اور مسلسل و مکمل غور وخوض کے بعد اس خصوص میں پیدا ہونے والے ہر اُس شائبہ کو حل کریں جو اصل تاریخی حقیقت کو روپوش کر کے اس کی موجودہ شکل کے باعث ہوں۔

میں سمجھتا ہوں کہ ثقافتی ورثہ وہ سرمایہ ہے جسے گذشتہ نسلوں نے ہمارے لئے چھوڑا ہے اور اگر اُس کی کماحقہٗ علمی و عملی تحقیق کے ذریعہ جدید طرز پر عقدہ کشائی نہ کی جائے تو اُس کی حقیقت ہم سے پوشیدہ رہے گی اور ہم صرف اُس کی ظاہری خوبصورتی کے قصیدے پڑھتے رہیں گے۔ دراصل ثقافتی ورثہ اِس عقدہ کشائی کا متقاضی ہوتا ہے۔ یہ اُن جوہری ذرّات کی مانند ہوتا ہے جن کی توانائی کا اندازہ اُن کے تجزیہ کے بغیر نا ممکن ہوتا ہے اور اگر یہ تجزیہ نہ کیا جائے تو وہ تاابد اپنی موجودہ شکل میں ہی باقی رہ جاتے ہیں۔ اسی طرح ہم اگر اپنے ثقافتی ورثہ کی گہری تحقیق کریں تو اس کی تہہ میں موجود حقائق کو منظرِ عام پر لا سکتے ہیں تاکہ موجودہ عصر میں اس سے استفادہ کیا جاسکے۔ میرے خیال میں اس عظیم سرمایہ کی روح تک پہنچنے کا یہی واحد ذریعہ ہے ورنہ ہم اس کی ظاہری آب وتاب میں ہی کھوئے رہ جائیں گے۔

۲-تاویلات:

صورتِ حال کا تقاضا یہ ہے کہ قاری کو پہلی تاویل یہ در پیش ہو گی کہ یہ قول ایک طویل مدت سے معترف شدہ ہے۔اس سے کسی نے انحراف نہیں کیااور نہ اس میں بظاہر کسی کا ذاتی نفع و نقصان ہے- پھر اس امر نے اس فراموش شدہ مسئلہ پر یقین کو یوں بھی فروغ دیا کہ اس معاملہ میں حسنِ ظن اور زود گمانی سے بڑھ کر دلائل موجود ہیں۔

یہ بات کسی سے چھپی نہیں کہ سیرتِ قادریہ عربی اور اسلامی وسائلِ علمی اور ہماری تقلیدی ثقافتی زندگی میں نہایت اہم مقام کی حامل ہے۔ حقیقت یہ ہے کہ اگر کوئی مقصودہ مسئلہ میں متضاد معلومات کی پیروی کرے گا تو وہ اسی میں غلطان و پیچان ہو جائے گا جبکہ قرب و بعد میں نشر شدہ معلومات کی بنظرِ غائر تدقیق اپنے آپ میں ایک تھکا دینے والا کام ہے۔اس مرحلہ سے گزرنے کے بعد مجھے یوں محسوس ہوتا ہے جیسے حقیقتِ حال اس خصوص میں اب تک جو کچھ کہا گیا ہے اُس سے یکسر مختلف ہے اور میں اس نتیجہ پر پہنچا ہوں کہ اس مسئلہ میں بہت ساری غلطیاں ہوئی ہیں اور اس پر نظرِ ثانی کی ضرورت ہے۔

میں نے جب اس پیچیدہ مسئلہ پر نظر کی تو مجھے ابتداء ہی سے یوں لگنے لگا گویا میں نے تسلیم شدہ اوامر کے خلاف ایک جنگ چھیڑ دی ہے اور میں اس سیلِ روان کے برعکس تیر رہا ہوں۔اس کی دو وجوہات ہیں:

- پہلی وجہ یہ کہ میں چاہتا ہوں کہ میرا نظریہ ایک تحقیق شدہ امر ہو اور میں حقائق کو نئے سرے سے پیش کروں جو تاریخ میں اپنا صحیح مقام پا جائے
- دوسری وجہ جو نہایت اہم ہے یہ کہ میں چاہتا ہوں کہ اس مسئلہ پر میری نظر ایک اختلافی مسئلہ کے طور پر نہیں بلکہ ایک تحقیق شدنی مسئلہ کے طور پر ہو جس کی صحیح جانچ پڑتال ہو اور ان امور کی حقیقت کو منظرِ عام پر لایا جائے جو تاامروز بلا تحقیق کہے جاتے رہے ہیں۔

مجھے اسی لئے یہ ضروری محسوس ہوتا ہے کہ میں جس طرح قبل ازیں اس کے دوررس مقاصد کی تحقیق کر چکا ہوں' قارئین کے سامنے اُن حقائق و کوائف کو بے نقاب کر دوں جن کی بلا تدقیق تکرار کے باعث حضرت عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی نسبت جیلان طبرستان سے کر دی گئی۔

۳-جائزہ:

اس خصوص میں اولین اور اہم ترین مسئلہ بلا شک ان مصادر و مراجع کا ہے جن سے ہم اپنی اس تحقیق میں استفادہ کر سکتے ہیں اور اس تعلق سے جو پہلی بات لائقِ توجہ ہے وہ یہ ہے کہ جو مصادر و مراجع ہمیں دستیاب ہیں وہ بیک وقت کثیر التعداد بھی ہیں اور قلیل المتن بھی۔ خصوصاً وہ مصادر جن میں حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی شخصیت سے متعلق ابتدائی معلومات ملتی ہیں چھٹی صدی ہجری یعنی خود حضرت علیہ الرحمہ کے عہد کی ہیں لیکن ان کی اہمیت ایک ہاتھ کی انگلیوں پر گنی جا سکتی ہیں۔

جہاں تک بعد کے وسائل علمی کا تعلق ہے تو یہ بکثرت ہیں اور ساتویں صدی ہجری سے ہمارے آج کے دور تک پھیلی ہوئی ہیں لیکن ان میں موجود معلومات ابتدائی مصادر سے کلاسیکی انداز میں مرتبط ہیں جس کے باعث اِن کی اہمیت ثانوی حیثیت کی ہو جاتی ہے۔

۱-دیکھئے ابن الجوزي، حوالہء گزشتہ۔ج ۹، ص ۲۶۰ ،اور ابن الاثیر" الكامل" ج۹، ص ۲۴۰، اورسبط ابن الجوزي" مرآة الزمان" ج۸، ق ۱، ص ۱۱۹، اورابن خلكان" وفيات الأعيان" ج۱،ص۹۷، اورابن الدمياطي، "المستفاد من ذيل تاريخ بغداد" ص۵۱ ، اورابن فضل الله العمري" مسالك الأبصار في ممالك الامصار"(تحقيق بسام محمد بارود)، المجمع الثقافي،أبو ظبي، ج۸، ص ۱٦۷ ،اورالصفدي" الوافي بالوفيات" ط ۱،(تحقيق احمد الأرناؤوط، تركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ۲۰۰۰ ج ۸ ص۲۷ ، اورالسبكي"طبقات الشافعية الكبرى" ج٦ ص ٦۰.اورالاسنوي"طبقات الشافعية"ج۲، ص ۱۱۳ اورابن كثير" البداية والنهاية" ج۱۲، ص ۲۴۲ ، اورالجامي"نفحات الأنس"ج ۲ص۵۲۰ ،اورالمناوي"الطبقات الكبرى" ج۱، ص۲۴۹

ابتدائی مورخین

الف-ماضیءبعید۔ مثلاً السمعانی:

ابتدائی عہد کے مورخین میں اہم ترین السمعانی ہیں جنکا پورا نام علامہ حافظ تاج الاسلام ابو سعد عبد الکریم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبدالجبار بن احمد بن محمد بن جعفر التمیمی السمعانی المروزی علیہ الرحمہ ہے۔

السمعانی 'فتحِ سینِ مہملہ 'سکونِ میم 'فتحِ عینِ مہملہ اور آخر میں نون کے ساتھ "سمعان" کی نسبت سے ہے جو بنی تمیم سے تھے جیسا کہ خود حضرتِ مؤلف نے ذکر کیا ہے۔ا لمعلّمی الیمانی رحمہ اللہ فرماتے ہیں "اس سے مقصود جاہلیت کا معروف قبیلہ نہیں ہے اور بے شک علمائے انساب اس سے لاعلم ہیں۔ واللہ اعلم۔ تمیمی خود یا اُن کے بیٹے عہدِ صحابہ میں موجود تھے اور "مرو" کے غزوہ میں شریک ہونے اور وہاں کی سکونت اختیار کرنے والوں میں شامل تھے۔ وہاں کی اکثر تعمیرات آپ سے منسوب ہیں اور اس طرح آپ بطنِ تمیم سے کہلاتے ہیں"

ولادت اور نشو نما:

ابو سعد موجودہ ترکمنستان کے شہر "مرو" میں دوشنبہ ۲۱ شعبان سن ۵۰۶ ہجری کو پیدا ہوئے۔ آپ ابھی دو سال ہی کے تھے کہ آپ کے والد آپ کو محدثین کی مجلس میں ساتھ لے جانے لگے۔ وہ ان کی موجودگی میں وہاں جو کچھ درس دیا جاتا اُس کو لکھتے جاتے پھر اس کی تصحیح کرتے تاکہ ان کے صاحبزادے جب بڑے ہو جائیں تو اس کا مطالعہ اور اس سے استفادہ کر سکیں۔ آپ کے والد نے صرف اسی پر اکتفا نہیں کیا بلکہ جب آپ کی عمر تین سال کی ہوئی تو آپ کو اپنے ساتھ نیشاپور لے گئے اور وہاں کے محدثینِ کبار کی مجالس میں حاضر رہنے لگے تاکہ آپ ان عظیم شخصیتوں کے فرمودات کو سن پائیں۔ آپ کے والد کی وفات سن ۵۱۰ ہجری میں ہوئی جبکہ ابو سعد

ا-دیکھئے ابن الاثیر "کتاب اللبّاب" ج ا، ص ۱۴، اور الذھبی "سیر اعلام النّبلاء" ج ۲۰، ص ۴۵۶ ، اور السبکی "طبقات الشافعیة الکبری" ج ۷، ص ۱۸۰

کی عمر تین سال اور پانچ ماہ تھی۔ آپ کے چچا اپنے بھائی کے بہترین جانشین تھے اور انہوں نے اسی پاک و ذی فضیلت ماحول میں آپ کی تربیت کو جاری رکھا اور اس طرح آپ کی پرورش علمی رفعتوں کے ساتھ ہوئی جس کے نتیجہ میں آپ نے قرآنِ کریم حفظ کیا' فقہ' عربی اور ادب کی تعلیم حاصل کی اور اپنے چچاؤں کے ساتھ سماعِ حدیث میں مشغول ہو گئے اور جب آپ کی عمر تقریباً بیس سال کی ہوئی تو آپ بذاتِ خود سماعِ حدیث فرمانے لگے۔

طلبِ علم کے لئے سفر:

عالمِ شباب میں آپ نے تحصیلِ علم کے لئے سفر کا ارادہ کیا اور اپنے چچاؤں سے نیشاپور جانے کے لئے اجازت کی درخواست کی تاکہ " صحیح مسلم " کا درس اس کے ماہر ابی الفضل الراوی سے لے سکیں جو بہت بوڑھے ہو چکے تھے اور ان کی وفات کسی وقت بھی متوقع تھی اور اگر ابو سعد کے اُن سے سماعِ حدیث سے قبل اُن کا انتقال ہو جاتا تو آپ کے دل میں جو افسوس ہوتا اُس کا اندمال ناممکن تھا۔ آپ کے چچاؤں نے ۲۲ سال کی عمر تک آپ کو سفر کی اجازت نہ دی اور جب دی تو آپ کو تنہا سفر نہ کرنے دیا بلکہ آپ کے ایک چچا آپ کے ساتھ ہو گئے۔

جب ابو سعد نیشاپور میں " صحیح مسلم " کی سماعِ حدیث سے فارغ ہو گئے تو آپ وہاں سے منتقل ہو گئے اور کئی سالوں تک دنیا کے متعدد مراکزِ علمی میں حاضری دیتے رہے۔ آپ نے بلادِ خراسان' اصفہان' ماوراء النہر' عراق' حجاز' شام اور طبرستان کا سفر کیا پھر سن ۵۳۷ یا ۵۳۸ میں اپنے وطن مرو لوٹ گئے اور یہ سب آپ کی شادی سے قبل ہوا۔

پھر آپ رشتہ ءِ مناکحت میں جُڑ گئے اور آپ کے ایک صاحبزادے ابی المظفر عبد الرحیم پیدا ہوئے جن کے ساتھ آپ نے نیشاپور اور اس کے اطراف و اکناف مثلاً بلخ' سمرقند' بخارا۔۔ کا سفر کیا۔ بعد ازاں آپ اپنے وطن مالوف واپس آ گئے اور انحائے ارضی کے اس طویل سفر کے بعد مزید سفر کو ترک کیا اور تصنیف' املاء' وعظ و تدریس کو اختیار فرمایا۔

آپ کی تصانیف اور علماء کی تعریف:

ابن النجار نے خود السمعانی سے نقل کرتے ہوئے آپ کی ۵۰ سے متجاوز تصانیف کے نام ذکر کئے ہیں پھر تحریر کیاہے کہ "میں نے سناہے کہ آپ کے شیوخ کی تعداد سات ہزار کہی جاتی ہے اور یہ نعمت کسی اور کو حاصل نہیں ہوئی۔ آپ اپنی تصانیف کی ملاحت' دلنواز قصائد' لطیف مزاجی' ظریف طبیعت' حفظِ قرآن' کثرتِ سفر' بھروسہ مندی' صداقت' دیانت سے معروف ہیں اور آپ سے آپ کے مشائخ اور ہمعصروں نے سماعت کی اور ایک جماعت نے آپ سے ہم تک حدیث پہنچائی"۔

الذھبی آپ کے متعلق فرماتے ہیں "آپ ممتاز حافظ وعلامہ' ذی فہم وفراست' نہایت تیزی سے دلچسپ تحریر کرنے والے تھے۔ آپ نے درس وتدریس' افتاء' وعظ واملاء کا کام کیا اور اپنے تجربات کو پابندِ تحریر کیا۔ آپ ثقہ' حافظ' حجت' کثیر السفر' منصف مزاج' نہایت دیندار' بہترین سیرت' حسنِ صحبت اور وسیع یادداشت کے لئے معروف ہیں"۔

ابن العماد فرماتے ہیں "اور اسی سن ۵٦۲ ہجری میں حافظ ابو سعد السمعانی' تاج الاسلام عبد الکریم بن محمد بن منصور المروزی الشافعی (کی وفات) ہے جو مشرق کے محدث' کثیر تصانیف کے مصنف اور وسیع سفر کرنے والے تھے"۔

آپ کی وفات:

اس مسلسل خدمت علمی کے بعد علم وعمل کا یہ سورج غروب ہو گیا لیکن اس کا نام خالدین کی فہرست میں درج ہو گیا۔ آپ کی وفات مرو میں ۵٦۲ ہجری [1] میں ہوئی۔

ا-دیکھئے السمعاني، عبد الکریم بن محمد، "الانساب" تحقیق مرجلیوث، مطبعة بریل، لیدن ۱۹۱۲ ،ص ۵۱۰اور التادفي، محمد بن عیسی،" قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر"، دار الباز، فلوریڈا،امریکہ،۱۹۹۸،ص۱۹۷ اورجواد مصطفی"مختصر الانساب"، مخطوطہ بخط ڈاکٹر مصطفی جواد، ص۱۳۹ اور یہ ڈاکٹر حسین علي محفوظ رحمہ اللہ کی ملکیت ہے جنہوں نے مجھے سن ۱۹۹۷ میں اس پر مطلع کیا تھا اور یہ نہایت معتبر کتاب ہے اور ڈاکٹر مصطفی جواد کی کتاب "في التراث العربي" بتحقیق محمد جمیل شل وعبد الحمید العلوجي، منشورات وزارة الاعلام العراقیة سن ۱۹۷۷ ،ص۵۷ میں بھی مذکور ہے

محمد التاذفی "قلائد الجواہر" میں تحریر کرتے ہیں کہ السمعانی نے حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کا ذکر اپنی کتاب "**ذیل تاریخ بغداد**" میں کیا ہے۔ اور حقیقتاً جو کچھ آپ نے تحریر کیا ہے وہ تقلیدی معلومات ہیں جیسے آپ فقہِ حنبلی کے عالم' متقی و پرہیزگار بزرگ ہیں اور آپ کا تعلق طبرستان سے ہے اور یہی قول آپ کی کتاب "**الانساب**" پر بھی منطبق ہوتا ہے۔

یہاں قابلِ ذکر بات یہ ہے کہ مصطفیٰ جواد نے اپنی کتاب "**مختصر الانساب للسمعانی**" میں اس پر شبہ ظاہر کیا ہے کہ "الانساب" میں جو صیغہ "عبد القادر ابو محمد" مستعمل ہوا ہے اس سے حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ مقصود ہیں۔ اور پھر کہتے ہیں کہ یہ کلمہ حضرت شیخ الجیلی کے طبرستانی ہونے پر دلیل نہیں ہو سکتا' اور السمعانی نے اپنے اس مفروضہ کا کوئی مصدر تحریر نہیں کیا ہے اور نہ ہی یہ بتایا کہ یہ کس سے منقول ہے جس کے باعث اس قول پر اور اس کے بعد جن لوگوں نے اس پر اعتماد کیا اور حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کا ذکر کیا ان پر ایک بڑا سوالیہ نشان بن جاتا ہے کہ انہوں نے حقیقت پر نہیں بلکہ ان سنی سنائی باتوں پر بھروسہ کیا اور خاص طور پر اس لئے بھی کہ ان کا تعلق مرو سے ہے بغداد سے نہیں[۲]۔

ب- ابو الفرج ابن الجوزی۔ مورخ جو کسی اور کی پیروی نہیں کرتے:

دیگر اہم ترین مورخین میں حضرت ابن الجوزی البکری البغدادی علیہ الرحمہ (متوفی ۵۹۷ ہجری)[۳] بھی شامل ہیں۔ آپ کا نامِ نامی ابو الفرج عبد الرحمٰن بن علی بن عبید اللہ بن عبد اللہ بن حمادی بن احمد بن جعفر اور آپ کا سلسلہ ءنسب خلیفہ ءاول حضرت سیدنا ابو بکر الصدیق رضی اللہ عنہ سے جا ملتا ہے۔ آپ خلافتِ عباسیہ کے

۱۔ ابن الاثیر' حوالہ ء گزشتہ۔ ج ۸، ص ۱۳۲

۲-۱- دیکھئے الخطیب البغدادي، "**تاریخ بغداد**" ج ۱۲ ص ۱۱۴ (نمبر ۶۵۵۹) اور السمعانی "**الانساب**" ج ۳ ص ۱۷۶' اور ابن الاثیر "**الکامل**" ج ۸ ص ۳۵۱ اور الصفدی "**الوافی بالوفیات**" ج ۲۲ ص ۱۱۳ اور ابن کثیر "**البدایہ و النهایه**" ج ۱۲ ص ۱۰۴ اور آمنہ محمد نصیر "**ابو الفرج الجوزی**" ص ۲۰۲

۳- دیکھئے ابن کثیر "**البدایه و النهایه**" ج ۳ ص ۳۴' ابنِ رجب "**ذیل طبقات الحنابله**" ج ۲ ص ۴۵۸' ابن العماد "**شذرات الذّهب**" ج ۴ ص

عہد اواخر میں بقیدِ حیات تھے جب کہ سلجوقی ترکیوں نے حکومت پر قبضہ کر لیا تھا۔ آپ کے مکان کے بیچوں بیچ "جوز" یعنی اخروٹ کا ایک درخت تھا اور اس کے سوا سارے شہر میں اخروٹ کا کوئی اور درخت نہ تھا جس کے سبب آپ ابن الجوزی کے نام سے مشہور ہوئے۔ یوں بھی کہا جاتا ہے کہ آپ نہرِ بصرہ پر واقع "فُرضة الجوز" بندر گاہ کی نسبت سے ابن الجوزی کے نام سے معروف ہوئے۔ حضرت ابن الجوزی رحمہ اللہ کو بے حد شہرت حاصل ہوئی اور وعظ و خطابت اور تصانیف کے باعث آپ بلند مرتبت کے حامل تھے۔ اس کے علاوہ آپ متعدد علوم و فنون کے ماہر تھے۔ آپ کی تصانیف آپ کے حینِ حیات اور آپ کے بعد کے ادوار میں بھی شہرت کی بلندیوں پر فائز رہیں اور عہد بعد عہد کئی مصنفین نے آپ کے منہج کی اقتداء کی۔

آپ ابھی تین سال کے تھے کہ آپ کے والدِ ماجد کا انتقال ہو گیا اور آپ کی پھوپھی نے آپ کی تربیت کی ذمہ داری سنبھال لی۔ انہوں نے آپ کو پروان چڑھایا اور بغداد میں واقع مسجد محمد بن ناصر الحافظ کو بھیجا جہاں آپ نے حضرت محمد بن ناصر الحافظ رحمہ اللہ کے دستِ مبارک پر قرآنِ کریم حفظ کیا اور حدیثِ شریف کا علم حاصل کیا۔ آپ کم و بیش تیس ۳۰ سال تک حضرت علیہ الرحمہ کی خدمت میں رہے اور ان سے بہت مستفید ہوئے یہاں تک کہ خود حضرت علیہ الرحمہ نے فرمادیا کہ مجھ سے کسی نے ان کی طرح استفادہ نہیں کیا۔

آپ کے شیوخ اور اساتذہ:

حضرت ابن الجوزی رحمہ اللہ کئی شیوخ کی خدمت علمی سے بہرہ افروز ہوئے۔ آپ نے اپنے ۸۷ شیوخ کا ذکر کیا ہے جن میں سے چند یہ ہیں:

- ابو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علی بن عمر رحمۃ اللہ علیہ (۴۶۷—۵۵۰ ہجری=۱۰۷۴—۱۱۵۵ عیسوی) جو رشتہ میں آپ کے ماموں تھے۔ یہ جید 'ذی اعتبار 'عالم 'حافظ 'فقیہ اور ماہرِ لسان تھے۔ یہ آپ کے پہلے استاذ تھے۔

- ابو منصور موہوب بن احمد بن الخضر الجوالیقی رحمۃ اللہ علیہ (۴۶۵—۵۴۰ ہجری=۱۰۷۲—۱۱۴۵عیسوی) جوایک مشہور ماہرِ لسانیات' محدث وادیب تھے۔ آپ نے ان سے زبان وادب کی تعلیم حاصل کی۔
- ابو القاسم ھبۃ اللہ بن احمد بن عمر الحریری المعروف بہ ابن الطبری رحمۃ اللہ علیہ (۴۳۵—۵۳۱ ہجری =۱۰۴۳—۱۱۳۶عیسوی)۔ آپ نے ان سے علمِ حدیث حاصل کیا۔
- ابو منصور محمد بن عبدالملک بن الحسین بن ابراہیم بن خیرون رحمۃ اللہ علیہ (۴۵۴—۵۳۹ ہجری=۱۰۶۲—۱۱۴۴عیسوی) جن سے آپ نے قراءت سیکھی۔

مقام ومنزلت:

حضرت ابن الجوزی رحمہ اللہ تاریخ' حدیث' وعظ' مناظرہ اور علمِ کلام میں علامہء وقت تھے۔ آپ نے کمسنی سے ہی مجالس وعظ وتدریس کی ابتداء فرمادی تھی اور اللہ سبحانہ تعالیٰ نے عوام الناس کے دلوں میں آپ کا رعب اور قبولیت ڈال دی تھی۔ آپ کی مجالس میں خلفاء' وزراء' امراء' علماء اور دیگر ممتاز شخصیتیں حاضر ہوتی تھیں۔ آپ اپنی شہرتِ تامہ اور علوِ منزلت کے باوجود ایسے زاہد و متقی تھے کہ جس کی مثال کم ملتی ہے۔ سات دن میں قرآن ختم فرماتے' اپنے گھر سے مسجد یا مجلس کے علاوہ کسی اور مقام کے لئے نہ نکلتے اور روایت ہے کہ آپ بہت کم مزاح فرماتے تھے۔ اپنے متعلق خود فرماتے کہ "میں وہ ہوں جسے ایامِ طفولیت سے ہی علم سے شغف رہا اور میں اسی میں مشغول ہو گیا۔ پھر مجھے ایک فن نہیں بلکہ تمام فنون سے دلچسپی ہو گئی اور میں کبھی اس خصوص میں کم ہمت نہ ہوا بلکہ میں ان کا یکے بعد دیگرے متلاشی رہتا اور اس پر متفکر ہوتا کہ وقت میں وسعت نہیں ہوتی' عمر مختصر ہوتی جاتی ہے' شوق بڑھتا جاتا ہے' ضعیفی ظاہر ہوتی جاتی ہے اور بعض حسرتیں باقی رہ جاتی ہیں"[1]۔

آپ زمان ومکان کے اعتبار سے حضرت الشیخ عبدالقادر الجیلی رضی اللہ عنہ کے ہم عصر تھے۔ آپ اہلِ بغداد سے

۱-ابن الجوزی حوالہء گزشتہ۔ج ۱۰'ص ۱۱۸۵

تھے اور آپ کی وفات حضرت شیخ جیلی کے ربع صدی بعد ہوئی۔ آپ بھی اسی وقت شہرت کی بلندیوں پر تھے ا جس وقت حضرت شیخ جیلی رضی اللہ عنہ کی شہرت آفاق کی بلندیوں کو چھو رہی تھی۔ حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کے متعلق آپ نے ایک کتاب تحریر فرمائی جو اکثر محققین کی رسائی سے دور رہی۔ اس کا ایک مخطوطہ نسخہ سوربون (Sorbonne) یونیورسٹی فرانس کے کتب خانہ میں موجود ہے جس سے کچھ اقتباسات ڈاکٹر مصطفیٰ عبد الجواد نے اصولِ تاریخ پر اپنی کتاب "اصول التاریخ و الادب"[1] میں نقل کئے ہیں۔ اور یہ بات مسلّمہ ہے کہ سوربون یونیورسٹی کی فرانسیسی پروفیسر جاکلین شابی نے حضرت شیخ جیلی کی حیات پر اپنی ریسرچ[2] کے سلسلہ میں اس کتاب کا مطالعہ کیا جس میں ابن الجوزی نے یہ ثابت کیا ہے کہ حضرت شیخ جیلی رضی اللہ عنہ کا تعلق "بلاد الرافدین" یعنی Mesopotamia سے ہے اور آپ کا مقامِ ولادت جیلِ عراق ہے[3]۔ ابن الجوزی نے اپنی کتاب موسوم بہ "دُرر الجواهر من كلام الشيخ عبد القادر" میں اس قول کو اختیار کیا ہے کہ حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ ابنائے بغداد سے تھے اور سچ ہی کہا گیا ہے کہ "اہلِ مکہ اپنے اہلیان کو بہتر جانتے ہیں"۔ اور جو حضرتِ جیلی اور ابن الجوزی میں عداوت کی روایتیں بڑھا چڑھا کر پیش کی گئی ہیں وہ بے بنیاد ہیں۔ اس کا ذکر "الكتاب الوثيقه" میں موجود ہے اور اس پر التادفی نے "قلائد الجواهر" صفحہ ۲۱ پر اور یوسف زیدان نے اپنی "تحقیقِ دیوان" کے صفحہ ۱۴۱ پر مہرِ توثیق ثبت کی ہے۔ مخفی مباد کہ ابن الجوزی صوفیا پر شدید تنقید کرتے تھے لیکن آپ نے اپنی تصنیف "تلبيس ابليس" میں جہاں بعض صوفیا کے ظاہری اعمال پر تنقید کی ہے وہیں حضرت جیلی رضی اللہ عنہ اور آپ جیسے کبارِ صوفیا کا کچھ تذکرہ نہیں کیا ہے۔ احتمال ہے کہ ابن

۱۔جواد مصطفیٰ۔"اصول التاريخ و الادب" مخطوطہ جواد مصطفیٰ جواد'ج ۲۳۔'ص ۴۶۱

۲۔جاکلین شابی"عبد القادر الجيلانى بين الحقيقة التاريخية و الأسطورة الأدبية" (ترجمہ ڈاکٹر حسن سحلول) مجلة التراث العربی عدد (۷۰) السنہ (۱۸) جنوری ۱۹۹۸'ص ۲

۳۔ابن الجوزی۔ کتاب "درر الجواهر من كلام الشيخ عبد القادر" مخطوطہ سالم الالوسی'ص ۸

الجوزی نے آپ کا شمار بھی پابندِ شریعت صوفیائے کرام میں کیا ہے اور یہی موقف ابن تیمیہ نے بھی اختیار کیا ہے۔ جہاں تک آپ کی کتاب "المنتظم فی تاریخ الملوک و الامم" کا تعلق ہے تو اس میں حضرتِ جیلی رضی اللہ عنہ کا تذکرہ خلاصۃً آپ کے صاحبزادوں اور ابن اثیر کی شہادت پر کیا گیا ہے۔ راقم الحروف نے ابن الاثیر متوفی (۶۳۰ ہجری) کو "الکامل" میں ابن الجوزی نے صوفیائے کرام کے متعلق جو تذکرے کئے ہیں ان پر تنقید کرتا پایا۔ پھر سبط ابن الجوزی (متوفی ۶۵۴ ہجری) نے بھی اپنی کتاب "مرآۃ الزمان" میں اپنے دادا کے اقوال کی اتباع کی لیکن انہوں نے بعض افرادِ خاندانِ جیلی کے متعلق اپنے دادا کے موقف پر تنقید کی ہے۔

ابن الجوزی حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کے ہم عصر ہونے اور آپ کے قریب سکونت رکھنے کے باعث مورخین میں ایک اہم مقام رکھتے ہیں اور آپ کی منزلت تاریخ میں دیگر مورخین سے کہیں زیادہ ہے کیونکہ آپ کسی اور کی غیر ضروری تقلید نہیں کرتے تھے اور اپنے اقوال میں راست بازی' دقت اور مضبوطی کے حامل تھے۔ آپ کی وفات ۵۹۷ ہجری/ ۱۲۰۰ عیسوی میں ہوئی۔

ج-تاریخ کی نظر میں:

یہ بات قابلِ ذکر ہے کہ اکثر ہمعصر مورخین نے حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کا ذکر جیلان اور اس کے اصل محلِ وقوع کو جانے بغیر کیا ہے۔ ان میں حسبِ ذیل مورخین شامل ہیں:

- ابن الاثیر الشافعی الاشعری متوفی ۶۳۰ ہجری/ ۱۲۳۳ عیسوی
- حضرت شہاب الدین السہروردی الشافعی متوفی ۶۳۲ ہجری/ ۱۲۳۴ عیسوی جنکی عمر حضرت شیخ جیلی رضی اللہ عنی کی وفات کے وقت تقریباً ۲۰ سال تھی اور جنہوں نے حضرت شیخ جیلی کا نام اپنی کتاب "**عوارف المعارف**" میں زواج الزہد کے سلسلہ میں کیا ہے
- ابن النجار الشافعی متوفی ۶۴۳ ہجری/ ۱۲۴۵ عیسوی اور

- مشہور صوفی مفکرابن عربی متوفی ۶۴۳ ہجری/۱۲۱۰ عیسوی جنہوں نے حضرت جیلی کا ذکر اپنی کتاب " الفتوحات المکیۃ"[۱] میں کیا ہے۔

مورخین متاخرین

مورخین متاخرین کے گروہ میں اہم ترین حسبِ ذیل ہیں:

الف: الشطنوفی:

آپ کا نام نامی نور الدین علی بن یوسف المصری الشافعی الشطنوفی رحمۃ اللہ علیہ تھا اور مصر کے عہدِ مملوک کے معروف علماء میں آپ کا شمار ہوتا تھا۔ آپ مصر کے شیخ القراء تھے اور تصوف میں آپ کا بڑا مقام ہے۔ الشَّطَّنَوف (فتحِ شین' تشدیدِط' فتحِ نون اور فائے ساکن سے) مصر کے قریہء شطنوف کی نسبت سے ہے جو کرّہء غربی میں واقع ہے اور جہاں دریائے نیل دو حصوں میں بٹ جاتی ہے۔ ایک حصہ مشرق میں جزیرہء تنیس اور دمیاط کی جانب اور دوسرا حصہ مغرب میں شہرِ رشید کی جانب چلا جاتا ہے جو قاہرہ سے دو فرسخ کے فاصلہ پر ہے۔ شطنوف اور قاہرہ ایک دن کی مسافت پر ہیں اور آجکل شطنوف مرکزِ اشمون کے گرد ونواح میں ہے جو المنوفیہ گورنریٹ کے تابع ہے۔ حضرتِ شطنوفی سن ۶۴۴ ہجری میں قاہرہ میں تولد ہوئے اور وہیں سن ۷۱۳ ہجری میں وفات پائی۔ امام ذھبی جو قاہرہ میں محمد سید جاد الحق سے ماقبل محققین سے تھے اپنی کتاب "معرفۃ القراء الکبار" میں تحریر فرماتے ہیں کہ "میں آپ کی مجلسِ قراءت میں جا چکا ہوں اور آپ کے پر سکون اندازِ قراءت سے محظوظ ہو چکا ہوں"۔ حضرتِ شطنوفی علیہ الرحمہ حضرت شیخ عبدالقادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کی شخصیت سے بہت متاثر تھے اور انہوں نے آپ کے جو اخبار و مناقب جمع کئے ہیں وہ تین جلدوں پر محتوی ہیں۔ اپنے عہد کے شیوخ کی خدمت میں عربی لغت اور مذہبِ شافعی میں علمِ فقہ کی تکمیل فرمائی اور علومِ قراءت' نحو' لسانیات اور فقہ میں وہ ممتاز مقام

۱۔ روؤف' عماد عبدالسلام' مدارس بغداد' ص ۹۶

حاصل کیا کہ ایک زمانہ آپ سے رجوع کرتا تھا۔ جامعِ طولونی' جامعِ حاکم اور جامعِ ازھر میں درس وتدریس کی مجالس منعقد فرماتے تھے۔ جامعِ ازھر قاہرہ میں آپ نے قراءت شروع کی اور لوگ جوق در جوق آپ سے مستفید ہونے لگے۔ روایت ہے کہ آپ نے امام شاطبیؒ کی "الشاطبیه" کی بہترین شرح فرمائی تھی۔ "بھجة الاسرار" آپ کی تالیفات میں اہم ترین سمجھی جاتی ہے اور اسی سے آپ نے حضرت شیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کے محب کے طور پر شہرت پائی۔ "بھجة الاسرار" کی آپ نے تین جلدوں میں تدوین کی جو اکتالیس (۴۱) حصوں پر مشتمل ہے اور یہ اس لئے اہم مانی گئی کہ اس کے مؤلف وہ پہلے فرد ہیں جنہوں نے حضرت شیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کی سیرت پر کوئی کتاب تصنیف فرمائی کیونکہ حضرتِ شطنوفی رحمہ اللہ ۶۴۴ ہجری / ۱۲۴۶ عیسوی میں پیدا ہوئے جبکہ حضرت شیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کی وفات ۵۶۱ ہجری / ۱۱۶۳ عیسوی میں ہوئی اور یہ مدت اتنی مختصر ہے کہ اس میں حضرت الشیخ رضی اللہ عنہ کے ہم عصر اصحاب سے اُن کی روایات کو سننا' جمع کرنا اور تحریر کرنا ممکن تھا۔

مصر کے شیخ القراء' صاحبِ کتاب "بھجة الاسرار و المعدن الانوار" حضرتِ شطنوفی نے عہدِ مملوکی سن ۷۱۳ ہجری مطابق ۱۳۱۴ عیسوی میں وفات پائی۔ "بھجة الاسرار" حضرت شیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی حیاتِ مبارکہ پر مشہور ترین کتاب ہے جو خبروں کی طرز پر تحریر کی گئی ہے۔ حضرتِ شطنوفی نے اس کتاب میں حضرت شیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ سے منسوب خبریں اور روایتیں' خوارقِ عادات سب کچھ بغیر کسی تحقیق' غور و فکر یار دوبدل کے شامل کیا ہے۔ اس میں جہاں وہ روایات ہیں جنہیں شریعت بھی رد کرتی ہے اور عقل بھی تسلیم نہیں کرتی وہیں وہ روایات بھی بکثرت شامل ہیں جو نہ صرف صحیح ہیں بلکہ مشہور و معروف ہیں۔ تو کیا اس کتاب کو صرف اس لئے نظر انداز کرنا درست ہوگا کہ اس میں صحیح اور غیر صحیح دونوں روایات نقل کی گئی ہیں؟

حضرتِ شطنوفی کا ایک امتیاز یہ ہے کہ وہ کسی سند کے بغیر بات نہیں کرتے۔ یہی اسلوب ان سے قبل کبارِ مورخین کا رہا ہے مثلاً طبری (متوفی سن ۳۱۰ ہجری / ۹۱۲ عیسوی) نے اپنی کتاب "تاريخ الأمم و الملوك" میں

اصل منہجِ اسلامی کی روایات نقل کی ہیں لیکن ان کے تجزیہ کا کام قارئین پر چھوڑ دیا ہے۔اور جیسے طبری نے خبر کے متعلق فرمایا ہے کہ "اگر یہ لائقِ بھروسہ ہو تو قبول کر لو اور اور اگر قابلِ اعتماد نہ ہو تو قبول نہ کرنا"۔ بھجۃ الاسرار پر بعد میں ابن رجب نے تنقید کی جبکہ التاذفی نے اس کی تلخیص "**قلائد الجواهر**" کے نام سے تحریر کی۔ اس کے متعدد کمزور ایڈیشن شائع ہوئے۔ ہم نے اس کتاب پر تحقیق کے لئے اس نادر مخطوطہ نسخہ پر اعتماد کیا ہے جسکی نقل ڈاکٹر مصطفیٰ جواد نے اپنے جامعہ ءسوربون Sorbonne University میں طالبعلمی کے زمانہ میں حاصل کرلی تھی اور جس میں تحریر ہے کہ حضرت الشیخ عبدالقادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی ولادت جیلِ عراق میں ہوئی تھی جو مدائن کے قریب واقع ہے۔ یہی بھجۃ الاسرار کے پرنسٹن یونیورسٹی Princeton University اور کانگریس لائبریری Congress Library میں موجود مخطوطہ نسخوں میں بھی تحریر ہے[2]۔ لیکن اس کے جو کمرشیل نسخے شائع ہوئے ہیں ان میں لکھا ہے کہ آپ کی ولادت طبرستان میں ہوئی تاہم ان نسخوں میں اس امر پر واضح طور پر تردد نظر آتا ہے کہ آپ کی ولادت کس شہر میں ہوئی-اسی سے صاف ظاہر ہے کہ اصل کتاب میں بعد کے نقل کرنے والوں نے تحریف کی ہے۔

بھجۃ الاسرار کے ان مخطوطات کی اہمیت کا اندازہ اس بات سے لگایا جا سکتا ہے کہ ان کے بعد دورِ قدیم وجدید میں اس موضوع پر جو کچھ تحریر کیا گیا اس کا انحصار انہی کے اعتماد پر تھا۔ بلکہ بعض تحریریں تو من وعن ان کے فصلوں کی نقل تھیں۔ اس کی مثال زین الدین عبد الرحمان البسطامی السائح الحنفی (۸۵۸ ھجری/۱۴۵۴ عیسوی) کی "**الدر الفاخر فی مناقب الشیخ عبد القادر**" محمد بن یحیٰ التادفی الحنبلی (۹۶۳ ہجری/۱۵۵۵ عیسوی) کی "**قلائد الجواهر**" یحییٰ بن احمد الجیلانی (۱۱۱۳ ہجری/۱۷۰۱ عیسوی) کی "**تحفة الأبرار**" جعفر البرزنجی

۱-الطبری۔ابو جعفر محمد بن جریر متوفی ۳۱۰ ہجری/۹۲۳ عیسوی۔"**تاريخ الأمم و الملوك**"ج ا' تحقیق محمد ابوالفضل ابراہیم' دارالمعارف قاہرہ' ۱۹۶۵' ص ۵' اور الکیلانی۔جمال الدین فالح۔ حوالہء گزشتہ۔ ص ۱۲۹

۲-البلاطی۔ علی محمود؛"**عبد القادر الجيلاني**" (ماسٹرس مقالہ) ص ۴۲

۱۱۷۷ہجری/۱۷۶۳عیسوی) کی "الجنی الدانی" ظہیر الدین القادری یعنی السید عبد الرحمٰن النقیب (۱۱۱۰ہجری) کی "الفتح المبین" جیسی کتابیں ہیں۔ یاد رہے کہ اکثر مخطوطاتِ قادریہ بھجۃالاسرار کی مختصرات ہیں جبکہ حالیہ تجزیاتی تحریریں اس پر مکمل اعتماد کرتی ہیں۔ مثلاً عبداللہ السامرائی کی کتاب "الشیخ عبد القادر الکیلانی تاج الأولیا" جو ابھی مخطوطہ کی شکل میں ہے جبکہ مولف علیہ الرحمہ نے اسے ۱۹۹۶ء میں مکمل کر دیا تھا' ماجد عرسان الکیلانی کی تصنیف "ھٰکذا ظهر جیل صلاح الدین" (دارالرسالہ بیروت ۱۹۹۹ء)' جعفر صادق سہیل کی کتاب "عبد القادر الجیلانی و مذھبه الصوفی" (غیر شائع شدہ ماسٹرس مقالہ' ادارۃ العلوم کالج' قاہرہ یونیورسٹی' ۱۹۷۵ء) جس میں بھجۃالاسرار کے حاشیہ کی شاید ہی کوئی فصل چھوٹی ہو' ایمان کمال مصطفٰی کی "عبد القادر ادیباً" (مرکز البحوث والدراسات الاسلامیہ' مطبعۃ الوقف بغداد' ۲۰۰۸ء)' سعید القحطانی کا غیر شائع شدہ رسالہ "الشیخ عبد القادر و آراؤه الاعتقادیة و الصوفیة" جو انہوں نے ڈاکٹریٹ کی ڈگری کے لئے کلیۃ الدعوۃ' جامعۃ ام القری' ریاض میں ۱۹۹۷ء میں داخل کیا اور عمر التل کا ۲۰۰۸ء میں جورڈن یونیورسٹی Jordan University کی ماسٹرس ڈگری کے لئے تحریر کردہ مقالہ "صوفیة بغداد" شامل ہے جن کے اکثر و بیشتر صفحات خاص طور پر بھجۃالاسرار پر اعتماد کرتے ہیں۔ ان کے علاوہ بھی ایسے کئی اور مخطوطات' مصادر اور مراجع ہیں جو بھجۃالاسرار پر معتمد علیہ ہیں[1]۔

ب: ابن الملقن:

آپ کا نام عمر بن علی بن احمد' سراج الدین ابو حفص الانصاری الشافعی رحمۃ اللہ علیہ تھا اور آپ ابن الملقن سے معروف تھے۔ آپ کی وفات سن ۸۰۴ ہجری/۱۴۰۱ عیسوی میں ہوئی۔ حافظ العلائی نے آپ کو شیخ' فقیہ' امام' عالم' محدث' حافظ' ماہر' سراج الدین' شرف الفقہاءِ و المحدثین اور فخر الفضلاء[2] لکھا ہے۔ الشوکانی علیہ الرحمہ

۱- الشطنوفی۔ حوالہء گزشتہ۔ ص۱۴۸

۲- العلائی۔ "عقیلة الطالب" ۲۳۱' الخیون' رشید "الادیان و المذاھب فی العراق" دارالجمل جرمنی' ۲۰۰۴ء' ص۸۶' ۳۱۹' ۳۲۳' ۴۵۵

فرماتے ہیں کہ آپ جمیع علوم کے ائمہ سے تھے اور آپ کی منزلت مشہور ہوئی'آپ کا ذکر عام ہوا اور آپ کی تالیفات انحائے عالم میں پھیل گئیں۔ شوکانی یہ بھی فرماتے ہیں کہ آپ کی تصانیف بکثرت ہیں اور ان کی اکثریت نے عوام النّاس کو فائدہ پہنچایا[1]۔ حضرتِ سیوطی فرماتے ہیں کہ آپ امام'فقیہ'حافظ اور شیوخِ شافعیہ اور ائمہء حدیث سے تھے۔اور آپ نے اپنی کتاب ''درّ الجواهر فی مناقب عبد القادر''میں حضرت الشیخ عبدالقادر رضی اللہ عنہ کا مقامِ ولادت عراق میں ارضِ سواد بتایا ہے جو آپ کی ابتدائی سیاحت سے میل پاتا ہے اور آپ عراق سے سوائے سفرِ حج کے کبھی باہر نکلے نہ واپس لوٹے اور اس کی سند اس روایت سے بھی ملتی ہے جو آپ کے صاحبزادے حضرت عبدالوہاب بن عبدالقادر علیہ الرحمہ سے منسوب ہے[2]۔

ج: زین الدین السائح:

یہ ناممکن ہے کہ ہم مورخ حضرت امام زین الدین عبدالرحمٰن بن محمد البسطامی الحنفی السائح علیہ الرحمہ کا ذکر نہ کریں۔ آپ کی وفات ۸۵۸ ہجری میں ترکی کے شہر بروسہ Bursa میں ہوئی اور آپ وہیں مدفون ہوئے۔ نویں صدی ہجری کے علماء میں آپ کی بڑی قدر و منزلت ہے جو فکری'علمی اور ادبی ترقی میں آپ کی عملی مساعی اور آپ کی مختلف علوم مثلاً تفسیر'حدیث'فقہ میں چالیس سے زیادہ تصانیف اور تواریخ پر آپ کی مضبوط دست گرفت کے باعث تھی۔ آپ کو علمِ طب میں بھی یدِ طولیٰ حاصل تھا۔ آپ اپنی کتاب ''در الفاخر فی مناقب الشیخ عبد القادر''میں تحریر فرماتے ہیں کہ حضرت شیخ عبدالقادر رضی اللہ عنہ جیل میں تولد ہوئے جو بغداد کا ایک قریہ ہے''جو الشطنوفی کی''بهجة الأسرارو معدن الانوار''کے قدیم مخطوطہ نسخہ سے منقول ہے۔

۱-الشوکانی۔''البدر الطالع''ص ۳۴۱

۲-دیکھئے: السمعانی۔''الأنساب''ج ۴'ص ۵۰۳'اور ابن الجوزی'حوالہء گزشتہ۔ج ۸'ص ۲۸۰'اور ابن الخلکان۔''وفیات الاعیان''ج ۳'ص ۲۰۵-۲۰۸'اور الذھبی۔''تاریخ الاسلام''ج ۳۰'ص ۱۷۰-۱۷۵'اور الصفدی''الوافی بالوفیات''ج ۱۹'ص ۶۳-۶۴'اور السبکی''طبقات الشافعية الکبری''ج ۵۔ ص ۱۵۳-۱۶۱'اور الاسنوی'' طبقات الشافعية ''ج ۲'ص ۱۵۷-۱۵۸'اور ابن کثیر ''البداية و النهاية''ج ۱۲'ص ۱۳۱'اور الملقن''درّ الجواهر فی مناقب الشیخ عبد القادر ''جو مخطوطہ حالت میں طلعت لائبری مصر میں نمبر ۸۳۹/تصوف کے تحت موجود ہے

الشطنوفی رحمہ اللہ تعالیٰ تحریر کرتے ہیں کہ فقیہ ابو عبد اللہ محمد بن الشیخ ابی عباس احمد بن عبد الواسع بن امیر کابن شافع الحنبلی نے ہمیں بتایا کہ ان کے دادا عبد الواسع نے بتایا کہ ابو الفضل احمد بن صالح بن شافع الجیلی الحنبلی رحمہ اللہِ تعالیٰ نے کہا کہ حضرت الشیخ محی الدین عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی ولادت سن ۴۷۱ ہجری میں جیل میں ہوئی جو بغداد کے قریوں میں سے ایک قریہ ہے اور آپ سن ۴۸۸ ہجری میں بغداد میں داخل ہوئے جبکہ آپ کی عمر (۱۸) سال تھی[۱]۔

۱۔ دیکھئے ابن النجار۔ ''ذیل تاریخ بغداد'' ج ۱ ص ۲۰۸ 'اور ابو شامہ 'شہاب الدین'' تراجم الرجال القرنین السادس و السابع المعروف بالذیل علی الروضتین'' ط ۲ 'ص ۱۲ 'اور الشطنوفی ''بھجة الأسرار ''ص ۲۴۱ اور الذھبی۔ ''المختصر المحتاج الیہ'' ص ۲۵۸ (نمبر ۹۴)'''تاریخ الاسلام'' ج ۴۲ 'ص ۱۳۴ اور دیکھئے الصفدی۔ ''الوافی بالوفیات'' ج ۱۹ 'ص ۲۰۴ (نمبر ۴۱۲۷)' اور ابن رجب۔ ''الذیل علی طبقات الحنابلة'' ج ۱ 'ص ۳۸۸ '(نمبر ۱۹۶)' اور التادفی۔ ''قلائد الجواھر'' ص ۸۹ 'اور ابن العماد۔ ''شذرات الذھب'' ج ٦ 'ص ۵۱۴ 'اور ابن الملقن۔ ''درر الجواھر فی مناقب الشیخ عبد القادر'' ص ٦۴ 'مخطوطہ تصوف نمبر ۸۳۹۔ طلعت لائبریری مصر 'اور البسطامی۔ زین الدین۔ ''الدر الفاخر فی مناقب الشیخ عبد القادر'' غیر شائع شدہ ریسرچ مقالہ برائے ماسٹرس ڈگری '۱۹۹۹ 'علی محمد علی البلاطی 'صفحہ ۱۷۵ تا ۱۷۸ 'عجیب بات یہ ہے کہ مقالہ نگار نے اس اہم عبارت پر کوئی تبصرہ نہیں کیا اور صرف یاقوت کے اس کلاسیکی متن کو نقل کرنے پر ہی اکتفا کیا کہ ''جیلان طبرستان کے آگے کئی شہروں کا نام ہے۔۔۔ اور ایک جیل بغداد سے قریب بھی واقع ہے'' ص ۷۸

اعتدال پسند مورخین

ابنِ تیمیہ'الذہبی'ابنِ کثیر اور ابنِ رجب:

ابن تیمیہ متوفی سن ۷۲۸ ہجری/۱۳۲۸ عیسوی'الذھبی متوفی سن ۷۴۸ ہجری/۱۳۴۸ عیسوی'ابنِ کثیر متوفی سن ۷۷۴ ہجری/۱۳۷۳ عیسوی اور ابنِ رجب متوفی سن ۷۹۵ ہجری/۱۳۹۲ عیسوی صاحبِ کتاب "ذیل علی طبقات الحنابلة" نے حضرت شیخ عبدالقادر رضی اللہ عنہ کی ولادت کے متعلق صراحت سے کچھ نہیں لکھا۔تاہم ان کی کتابوں سے صرف حضرت شیخ جیلی کی شخصیت کے خصوص میں بشکلِ عام استفادہ کیا جاسکتا ہے[1]۔اس عہد کی دیگر مصادر گو بکثرت ہیں لیکن یہ تمام کی تمام محض اسی طرز کی تکرار ہیں اور جو کچھ کتابیں بعد میں تحریر کی گئیں انہی سے اخذ شدہ معلومات پر مبنی ہیں۔ایسی کتابوں اور تصانیف کی ایک طویل فہرست مرتب کی جاسکتی ہے جو حضرت شیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کی شخصیت پر ایک سخت گیر رویہ رکھتی ہیں۔ان میں سوائے مولف کے نام کے کچھ تبدیلی نہیں پائی جاتی۔ تمام مضمون وہی ہوتا ہے صرف یہاں وہاں چند کلمات بدل دئے جاتے ہیں یا کچھ آگے پیچھے ہو جاتا ہے اور یہ حضرت شیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کی سیرتِ مبارکہ پر کسی ظلم سے کم نہیں۔اس خصوص میں ہمیں پہلی خوش آئند تبدیلی ہمارے شیخ ڈاکٹر ماجد عرسان الکیلانی کی کتاب "ھکذا ظھر جیل صلاح الدین" میں ملتی ہے۔

۱۔السامرائی۔عبداللہ سلوم"''الشیخ عبد القادر الجیلانی' تاج الاولیاء''ص ۷۲

وضاحت

یہاں ہم یہ واضح کردیں کہ مورخین اور ماہرینِ جغرافیہ کے درمیان حضرت شیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کے مقامِ ولادت پر اختلاف کے باوجود یہ بات مسلمہ ہے کہ جیلانِ طبرستان میں آپ کی ولادت کی روایت صحیح نہیں کیونکہ یہ بلا کسی تحقیق یا نظرِ ثانی کے صرف ایک روایت پر اعتماد کرتے ہوئے بالتواتر نقل کی جاتی رہی ہے جو بطورِ خبر کلاسیکی تاریخی تحریروں میں وارد ہوئی ہے۔

عراق کی تاریخی جغرافیہ کا ایک جائزہ

مابین النہرین بلادِ عرب نچلے اور اوپری دو علاقوں میں منقسم ہے۔ نچلا علاقہ "عراق" سے موسوم ہے جو نہایت زرخیز اور رسوبی سرزمین ہے جبکہ اوپری علاقہ کو "الجزیرہ" کہتے ہیں جو پتھریلا میدان ہے اور فرات اور دجلہ اور ان دیگر نہروں سے گھرا ہوا ہے جن کا پانی اس علاقہ کے جنوبی حصہ میں گرتا ہے۔ عراق کے معنی جُرف یعنی نوکیلی چٹانوں یا ساحلی سرزمین کے ہوتے ہیں۔ عرب نے رسوبی علاقوں کو ارضِ سواد کا نام دیا تھا اور یہ اس قدر عام ہوا کہ "عراق" اور "سواد" مترادف الفاظ کی مانند ہو گئے۔

جہاں تک "جزیرہ" اور "عراق" کے علاقوں کی قدرتی حدود کا تعلق ہے تو یہ ایک لکیر ہے جو ٹکریٹ کے پاس دجلہ سے شروع ہوتی ہے اور مغرب میں فرات کی جانب ہوتے ہوئے نچلے حصہ پر کھنچتی چلی جاتی ہے۔ اس لکیر کے جنوب سے سواد شروع ہوتا ہے۔

عرب مابین النہرین کی اراضی کی آبرسانی فرات کے پانی کو چند نہروں کی جانب موڑ کر کیا کرتے تھے جو فرات سے دجلہ کی جانب بہہ نکلتی تھیں اور اس علاقہ کی آبیاری کرتی تھیں۔ لیکن دجلہ کے مشرق میں واقع علاقہ یا تو ایران کی پہاڑیوں سے بہنے والی ندیوں سے فیضیاب ہوتا یا ان نہروں سے جو دجلہ سے مشرق کی طرف بہتی ہوئی واپس اس کی جانب لوٹ جاتی ہیں۔

فرات سے دجلہ کی جانب بہنے والی یہ چار نہریں ہیں:

- نہرِ عیسیٰ: جسے خلیفہ منصور نے شہرِ مدوّرہ کے دہانے پر قائم کیا تھا
- نہرِ صرصر: جو نہرِ عیسیٰ کے متوازی بہتی ہے
- نہر الملِک: جس کے سواحل پر شہرِ "نہر الملِک" واقع ہے جو صرصر کے جنوب میں ہے
- نہرِ کوثی: جو نہر الملک کے نچلے علاقہ میں بہتی ہے

آخری دو نہریں قریہء "جبل" کے پاس سے نکلتی ہیں جو شہرِ "مدائن" کے نواح میں واقع ہے۔ بعض اقوال کے مطابق ان کی ابتداء اس مقام سے ہوتی ہے جہاں دجلہ اور نہرِ دیالی ملتی ہیں اور یہ ایک تاریخی مقام ہے جس سے متعدد علماء منسوب ہیں[1]۔

ا۔ دیکھئے جواد' ڈاکٹر مصطفیٰ "سوسة"۔ ڈاکٹر احمد (۱۹۵۸)" "دلیل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً و حديثاً" المجمع العلمی العراقی' بغداد' ص ۲۴۲-۲۴۳' ولسٹرانگ "بلدان الخلافة الشرقية" نہر عیسیٰ' ص ۴۸' نہر صرصر' ص ۵۰' نہر الملِک' ص ۹۳' نہر کوثی' ص ۹۴

تاریخ کی دشوار راھیں

الف۔کڑیاں:

حضرت شیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کی جیلِ عراق سے نسبت کی تاکید متعدد مورخین نے کی ہے جن میں قابلِ ذکر حسبِ ذیل ہیں:

- ابن الجوزی۔ان کی کتابوں "**درر الجواهر من کلام الشیخ عبد القادر**"اور"**درر العقود**[1]"میں
- شمس الدین بن ناصر الدمشقی۔ان کی"**تاریخ**[2]"میں
- علی بن سعید۔ان کی"**الجغرافیة**[3]"میں
- الشطنوفی۔"**بهجة الأسرار و معدن الانوار**"میں
- الیافعی۔"**الدر الفاخر فی مناقب الشیخ عبد القادر**[4]"میں
- علامہ مصطفیٰ جواد۔ان کی کتابوں"**أصول التاریخ و الأدب**"اور"**مختصر الانساب**[5]"میں

۱۔ابن الجوزی۔" درر الجواهر من کلام الشیخ عبد القادر" کے بعض صفحات میں جو نادر مخطوطہ کی شکل میں علامہ سالم الالوسی کے پاس محفوظ ہے'ص ۳' اور اس کتاب اور اس کے قابلِ اعتماد ہونے کا ذکر التادفی نے "قلائد الجواهر" ص ۲۱ اور یوسف زیدان نے اپنی تحقیق "الدیوان" کے ص ۴۱ پر کیا ہے۔"درر العقود" کے چند صفحات پر جو مخطوطہ حالت میں اسپین کے الاسکوریال El Escorial میوزیم میں نمبر ۸/۵۸۲ ورقہ ۹۸۱ کے تحت موجود ہے اور جس کی نقل سالم الالوسی کے پاس ہے۔

۲-دیکھئے ڈاکٹر عبد اللہ سلوم السامرائی کی کتاب "الشیخ عبد القادر الکیلانی' تاج الاولیاء"ص ۱۹

۳- علی بن سعید۔ "الجغرافیة" متصور مخطوطہ جس کے پہلے صفحہ پر تحریر ہے کہ یہ قرویین Qarawiyyin سے ہے اور بین قوسین تحریر ہے "کتاب فی الجغرافیة لابن سعید" اس کی کاپی ڈاکٹر علی البلاطی کے پاس موجود ہے۔ ورقہ ۹۵

۴-الشطنوفی۔"بهجة الأسرار و معدن الانوار" بتحقیق ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی'ص ۲۹۱' الیافعی اور ابن سعید۔"خلاصة المفاخر فی مناقب الشیخ عبد القادر" مخطوطہ'پرنسٹن یونیورسٹی'تصویر کردہ السید عبد الستار ہاشم سعید الکیلانی'ورقہ ۱۲'البسطامی الحنفی۔"الدر الفاخر فی مناقب الشیخ عبد القادر"ص ۷۵ ومابعدہ۔اصل مخطوطہ سے رجوع کریں ورقہ ۸۷

۵-جواد مصطفیٰ۔حوالہء گزشتہ۔ج ۲'ص ۳۴۳

- مورخ حسین علی محفوظ۔"سیرۃ حیاۃ[1]"میں
- مورخ جعفر خصباک۔ان کے مغل تسلط پر مطالعہ[2] میں
- مورخ عباس بن جواد الشافعی۔ان کی کتاب"نیل المراد فی تاریخ اھل بغداد[3]"میں
- ڈاکٹر خاشع المعاضیدی۔ان کی کتاب"اعالی الرافدین[4]"میں
- ترکی مورخ شمس الدین سامی۔اپنے انسائکلوپیڈیا"قاموس الاعلام[5]"میں
- فرانسیسی مفکر ڈاکٹر محمد ارکون۔جریدہء"الشرق الاوسط"کے اپنے انٹرویو[6] میں
- مارکسی مفکر ہادی العلوی۔جریدہء"الحیاۃ الدولیۃ"کے اپنے مکالمہ[7] میں
- ڈاکٹر عبد السلام رؤوف[8]

ان کے علاوہ بھی کئی اور حوالہ جات ہیں جن کا ذکر تفصیلی طور پر ڈاکٹر یوسف زیدان نے اپنی دو کتابوں"عبد الکریم الجیلی"اور"باز اللہ الاشھب"[9] میں اور ڈاکٹر عماد عبد السلام رؤوف نے عبد الکریم الجیلی پر اپنے مقالہ

ا۔محفوظ حسین۔"سیرۃ حیاۃ"جو جریدہء البیان'بغداد'عدد ۸۶۷ میں حضرت عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی سیرت کے مخصوص صفحات پر شائع ہوئی۔

۲۔جعفر خصباک۔"الاحتلال المغولی للعراق(۶۵۶ہجری/۱۲۵۸ء) مقدماتہ و عواملہ و وقائہ"مجلۃ العلوم بغداد'عدد ۳'بغداد: مطبعِ رابطہ ۱۳۷۸ ہجری/۱۹۵۸ء'ص ۲۳

۳۔البغدادی'عباس۔"نیل المراد فی تاریخ اھل بغداد"مخطوط جسے اس کے مولف نے شعبان سن ۱۳۳۳ ہجری میں ختم کیا'مخطوطہ محی ہلال السرحان'ورق ۶۵

۴۔المعاضیدی'خاشع۔"اعالی الرافدین"ج ۲'ص ۷۷

۵۔سامی شمس الدین۔"قاموس الاعلام"ص ۳۰۸۷

۶۔فرانسیسی جزائری مفکر ڈاکٹر محمد ارکون سے انٹرویو۔"الشرق الاوسط"۔۲۰۰۶/۵/۲۳ء۔انٹرویو کنندہ صلاح عواد'لندن

۷۔مکالمہ ڈاکٹر ہادی العلوی۔جریدہء"الحیاۃ الدولیۃ"۔سہ شنبہ'۲۳جولائی ۱۹۹۶ء موافق ۸ ربیع الاول ۱۴۱۷ھ۔عدد ۱۲۲۰۲

۸۔شیخی واستاذی ڈاکٹر عماد عبد السلام رؤوف کے ساتھ متعدد مکالمے

۹۔زیدان۔یوسف۔"عبد الکریم الجیلی"ص ۱۵

"**حفيد الامام عبد القادر الجيلى و المولود فى جيل العراق ايضاً**"[1] میں اور دیگر افراد نے بھی کیا ہے۔ یہ تمام وسائل اس امر پر متفق ہیں اور یہ بات معروف ہے کہ حضرت شیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ اصل و فصل کے موضوع سے کوئی دلچسپی نہیں رکھتے تھے[2] اور شائد اسی وجہ سے آپ کی نسبت طبرستان سے کئے جانے کی راہ ہموار ہوئی کیونکہ آپ نے خود کبھی اس خصوص میں کوئی تشریح نہیں فرمائی۔ آپ کا موضوع آپ کا نسب تھا جو آپ کی شخصیت کے عین مطابق تھا جیسا کہ علامہ مصطفٰی جواد نے تبصرہء کتاب "**تكملة اكمال الكمال**" میں تحریر کیا ہے اور دیگر مصادر و مراجع[3] میں بھی موجود ہے۔

ب۔ مردم شماری کے شواہد:

مشہور ماہرِ جغرافیہ یاقوت "**معجم البلدان**" میں لکھتے ہیں کہ "الجیل" بغداد کے عوامل میں المدائن کے ماتحت زرارین کے بعد واقع ایک قریہ ہے جسے "الکیل" بھی کہا جاتا ہے اور حجاج نے اسے "الکال" کا نام دیا تھا۔ چنانچہ وہ کہتا ہے:

لَعَنَ اللهُ لَيلَتِي بِالكَالِ   اِنَّهَا لَيلٌ تَعَّرَ اللَّيَالِي[4]

حضرتِ شطنوفی "**بهجة الأسرار و معدن الانوار**" میں فرماتے ہیں کہ "جیل دجلہ کے کنارے ایک دن کی مسافت پر مدائن کے ماتحت 'زرارین کے بعد واقع ایک قریہ ہے۔ یہیں شیخ الاسلام حضرت عبد القادر کی ولادت ہوئی

ا۔ رؤوف 'عماد عبد السلام۔ "عبد الكريم الجيلى" ص ۱۱ 'مجلة الاستاذ ' کلیۃ التربیۃ بغداد یونیورسٹی 'اشاعتِ ثانی

۲-ابن کثیر۔ حوالہء گزشتہ۔ ج ۹ 'ص ۱۵۵

۳-ابن الصابونی 'جمال الدین۔ "تكملة اكمال الكمال" طبدون 'ج ا' (تحقیق و تبصرہ ڈاکٹر مصطفٰی جواد) 'المجمع العلمى العراقى 'بغداد 'ص ۹۷-۹۸ 'ابن الاثیر۔ حوالہء گزشتہ۔ م ۹ 'ص ۲۲۵ 'اور دیکھئے ابن الوردی 'زین الدین عمر (متوفی ۷۴۹ ہجری/۱۳۴۸ عیسوی) "تتمة المختصر في أخبار البشر" (تاریخ ابن الوردی) 'تحقیق احمد رفعت البدراوی (دو حصے 'بیروت 'دار المعرفہ ۱۳۸۹ ہجری/۱۹۷۰ عیسوی) 'ج ۲ 'ص ۲۶

۴-الحموی۔ حوالہء گزشتہ۔ ج ۲ 'ص ۲۶

اور آپ اسی سے منسوب ہوئے[1]۔ تاریخی ٹوپو گرافک معلومات کے مطابق یہاں زیادہ تر کُرد مہاجر سکونت پذیر ہیں جو وسیع و عریض کردستانِ کبریٰ 'خاص طور پر قبیلہء بشدر سے تعلق رکھتے ہیں۔ یہ لوگ عجمی آریائی قوم سے ہیں جن کا اسلامی تاریخ و تمدن میں بڑا حصہ رہا ہے اور انہیں احتراماً قریشِ عجم کہا جاتا ہے"۔ اور یہی مورخ عباس العزاوی 'منشی البغدادی کے سفر نامے پر اپنے تبصرے میں اور روسی مستشرق باسل نیکٹن Basil Nikitin نے اپنی اہم کتاب "الکرد" میں تحریر کیا ہے اور یہی بات معروف کُرد مورخ اور وزیر محمد امین ذکی نے "رشید عالی الکیلانی" سے کہی تھی جب وہ اپنی کتاب "اعلام الکُرد" میں حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کا ذکر کرنا چاہتے تھے لیکن رشید عالی الکیلانی نے کچھ سیاسی اسباب کے باعث ان سے اس موضوع کو ملتوی کرنے کی درخواست کی۔ دیگر مورخین نے بھی اس بات کا اثبات کیا ہے کہ آپ کی نشو نما کُرد ماحول میں ہوئی اور یہ بات اظہر من الشمس ہے کہ اکراد حضرت امام عبد القادر رضی اللہ عنہ کو اپنے سر کردگان میں شمار کرتے ہیں[2]۔ اور یقیناً یہ بات کسی طرح آپ کے عالی حسنی نسب ہونے سے متصادم نہیں ہوتی۔

ج۔ دائرہء تکرار سے خروج:

مجموعی طور پر تمام ابتدائی حوالہ جات حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی جیل سے

۱۔ الشطنوفی؛ حوالہء گزشتہ۔ ص ۲۷ اور دیکھئے الباکوی 'عبد الرشید صالح بن نوری (جنہوں نے اپنی کتاب ۸۰۶ ہجری اور ۸۱۶ ہجری کے درمیان لکھی) "تلخیص الآثار و عجائب الملك القهار" ترجمہ بونیاتوف (ماسکو: مطبعۃ العلم ۱۹۷۱ء) ص ۳۴

۲۔ دیکھئے العزاوی 'عباس۔ "رحلة المنشي البغدادي" ۶۳ اور باسل نیکٹن Basil Nikitin "الکرد" ترجمہ صلاح برواری 'دار الروائع 'بیروت 'ص ۲۰۳ اور کمال مظہر احمد۔ "کردستان" ترجمہ محمد ملا عبد الکریم بیارہ 'دار آفاق عربیہ 'بغداد '۱۹۸۴ء ص ۱۰۶ '۱۶۱ '۲۰۴-۲۰۵ اور اسی طرح شرفخان البدلیسی (۱۰۰۵ھ /۱۵۹۶ء) "الشرفنامه في تاريخ الدول و الامارات الكردية" ترجمہ محمد جمیل بندی روزبیانی (بغداد 'مطبعۃ النجاح '۱۳۷۳ھ /۱۹۵۳ء) ج ۱ 'ص ۲۲ '۲۴ اور دیکھئے محمد امین ذکی۔ "تاريخ الدول و الأمارات الكردية في العهد الاسلامي" ترجمہ محمد علی عونی (قاہرہ۔ مطبعۃ مصر '۱۳۶۸ھ /۱۹۴۸ء) 'ص ۱۲۶ '۱۲۷ اور الامدی 'سیف الدین۔ "المدارس الصوفية و دورها الاصلاحي" جریدۃ الاتحاد 'عدد ۹۸ اور یہ معروف ہے کہ "اکراد فخر کرتے ہیں کہ آپ کی ولادت اور پرورش ان کے درمیان ہوئی۔ وہ یہ بات جانتے ہیں اور اسی پر عمل پیرا ہیں"۔ ڈاکٹر کمال مظہر احمد سے ملاقات بتاریخ ۱۹۹۸/۱۱/۸ء اور عراق کے سابق وزیرِ اعظم رشید عالی الکیلانی کی صاحبزادی امل رشید الکیلانی سے ملاقات بتاریخ ۱۹۹۹/۶/۱۳ء اور دیکھئے The Encylopedia of Islam, M. Th. Houtsma, Volume II, Printed by E.J.Brill, Leyden 1927, Page 1140

نسبت کے قائل ہیں'اور یہ وہی جیلان ہے جو عراق میں واقع ہے اور اسی نسبت سے آپ ملقب ہوئے اور اپنے معاصرین میں بھی اسی لقب سے معروف رہے[1]۔ یہ حقیقت ہے کہ دنیا میں ایسے متعدد مقامات ہیں جو "جیلان" کے نام سے موسوم ہیں۔ان میں جیلانِ عراق'جیلانِ ایران'ترکی میں واقع جیلان'کوسوفو میں موجود جیلان اور مصر کا شہر جیلان شامل ہیں[2]۔ لیکن جو لوگ آپ کو جیلانِ طبرستان سے منسوب کرتے ہیں وہ اس پر متردد نظر آتے ہیں کہ آپ کو وہاں کے کس قصبہ سے منسوب کریں۔ کبھی آپ کو "نیف"[3] سے منسوب کر دیا جاتا ہے' کوئی آپ کا تعلق "بشتیر"[4] سے بتاتا ہے تو کوئی آپ کی نسبت "بنبق"[5] سے کر دیتا ہے۔ پھر وہ لوگ بھی ہیں جو آپ کو "کیلانِ غربی" یا "رشت" یا "آمل" یا مشرقِ اسلامی میں واقع "مازندان" یا "شہر بان" (موجودہ المقدادیہ) کے قریب واقع قریہء "جیل" یا عراق میں "کفریٰ" کے قریب موجود "کیل" یا المدائن سے قریب واقع "جیل" یا کسی اور مقام سے متعلق بتاتے ہیں۔ یہ اس بات پر دلیل ہے کہ یہ موضوع ابتداء ہی سے الجھن کا باعث بنا رہا ہے[6]۔ مورخینِ معاصرین نے اس بات پر فوکس کیا کہ مذکورہ مقامات میں سے کس مقام سے آپ کی نسبت ہے۔ان میں حسب ذیل مورخین شامل ہیں:

- ڈاکٹر کامل مصطفیٰ الشیبی۔ جنہوں نے اپنی اسٹڈی میں متعدد روایات پیش کی ہیں[7]

۱۔جواد مصطفیٰ۔ حوالہء گزشتہ'ج ۱'ص ۹۹'تاریخ اسلامی کے ابتدائی مصادر الجیلانی اور الجیلی میں فرق یوں بتاتے ہیں کہ الجیلانی ہر وہ فرد ہے جس کی نسبت جیلان سے ہے جب کہ الجیلی وہ افراد ہیں جو ان مہاجرین کی اولاد ہیں جنہوں نے جیلان سے ہجرت کی۔دیکھئے الکتبی'ابن شاکر؛ "فوات الوفيات" ج ۲/ص ۴'اور زیدان "عبد الكريم الجيلي" ص ۱۳-۱۵'اور "باز الله الاشهب" ص ۲۶

۲۔مونس'حسین۔ "أطلس تاريخ الاسلام" ص ۱۱۴ اور انٹرنیٹ پر ان شہروں کے متعلق متعدد سائٹس دیکھی جاسکتی ہیں۔

۳۔التادفی۔ حوالہء گزشتہ'ص ۸۸

۴۔الفیروز آبادی۔ "القاموس" ج ۴'ص ۶۱۲

۵۔القزوینی۔ "آثار البلاد" ص ۲۳۴

۶۔الشیبی'مصطفیٰ کامل۔ "الشيخ عبد القادر الكيلاني' المامات بشخصيته و فكره التربوي" ص ۶'اور دیکھئے القادری'البود شیشی۔ "عبد القادر'دفاع عن الطرق الصوفيه" مجلہ دعوۃ الحق'مراکش'عدد ۹۵'اور

"Biographical Encyclopaedia of Sufis: Central Asia and Middle East", pg 123, Vol 2. Hanif N. Sarup and Sons. (2002) ISBN 81-7625-266-2, 9788176252669 Abd al-Kadir Al-Djilani, W.Braune, "The Encyclopaedia of Islam", Vol. I, ed. H.A.R Gibb, J.H.Kramers, E. Levi-Provencal, J. Schacht, (Brill, 1986), 69

۷۔الشیبی'مصطفیٰ کامل۔ حوالہء گزشتہ'ص ۳۲

- ڈاکٹر عبداللہ السامرائی۔ جنہوں نے اپنی کتاب "**الشیخ عبد القادر الکیلانی تاج الاولیاء**" میں جیلان کے محل وقوع پر ایک مکمل باب تحریر کیا جس میں وہ اس نتیجہ پر پہنچے کہ اس موضوع پر مورخین میں واضح اختلاف پایا جاتا ہے[1]۔
- ڈاکٹر صادق جعفر سہیل۔ جنہوں نے دونوں اقالیم کا بیک وقت تذکرہ کیا ہے
- جعفر موسیٰ علیوی۔ جنہوں نے اس موضوع پر بہت ساری روایات پیش کی ہیں[2]۔

اگر کوئی الدروبی کی "**تاریخ شیخ الاسلام عبد القادر و اولادہ**" کی ورق گردانی کرے تو وہ آپ کے مقامِ ولادت کے متعلق کئی روایات دیکھ سکتا ہے جن میں جیلِ عراق کی روایت کو واضح ترجیح دی گئی ہے[3]۔اور حضرت امام عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی سیرت کا مطالعہ کیا جائے تو معلوم ہوتا ہے کہ آپ نے اپنی ابتدائی عمر کا اکثر حصہ جیلِ عراق میں بسر کیا اور وہیں زیادہ تر سیر و سیاحت فرمائی[4] اور یہ محض اتفاق نہیں بلکہ اس پر دلالت کرتا ہے کہ آپ کا اس سرزمین سے گہرا تعلق ہے۔ یہی فلسفہء مکانی ہے۔استاذ علاء اللامی نے اپنی کتاب "**السرطان المقدس**" میں تاریخِ عراق پر کئی صفحات لکھے ہیں۔ وہ اپنے استادِ محترم معروف عراقی مفکر ہادی العلوی سے نقل کرتے ہیں کہ لفظ "الجیلی" عہدِ متاخر میں "الکیلانی" میں تبدیل ہو گیا اور اس کی کوئی دلیل ہے تو یہی کہ اصل لفظ الجیلی ہے اور یہ اسی کی جانب نسبت ہے[5]۔اور یہی رائے عظیم ماہرِ سماجیات ڈاکٹر علی الوردی کی ہے جو ان عراقی مورخین کی مذمت کرتے تھے جنہوں نے حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کی طبرستان میں ولادت کی روایت اپنائی ہے اور وہ اس پر افسوس کیا کرتے تھے[6]۔

حضرت الشیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ لقب الجیلی سے ابتدائی دور میں ہی ملقب ہو چکے تھے۔ آپ

۱-السامرائی'عبداللہ۔ حوالہء گزشتہ 'ص۱۸

۲۔ سہیل'صادق جعفر۔"**عبد القادر الجیلانی' فکرہ الصوفی**"ص۲۶

۳-الدروبی۔ حوالہء گزشتہ 'ص۱۵

۴-التادفی۔ حوالہء گزشتہ 'ص۴۳'اور الشوکانی'محمد بن علی بن محمد (متوفی ۱۲۵۰ھ/۱۸۳۴ء)'"**البدر الطالع**"ج۱'دار الکتب للطباعہ 'قاہرہ'۱۹۴۱ء؛ص۲۶

۵-اللامی'علاء۔"**السرطان المقدس**"ص۶۴

۶۔الوردی'علی۔ آرٹس کالج بغداد یونیورسٹی میں منعقدہ لیکچر بتاریخ ۱۹۹۵/۱/۱۹ء اور اسی روز راقم الحروف کی ان سے ڈاکٹر علی نشی حمیدی کی موجودگی میں ملاقات

کی جیلِ عراق سے نسبت کا ذکر ابن الجوزی نے بھی کیا ہے اور وہ جیسا کہ ہم پہلے بتا چکے ہیں آپ کے ہم عصر تھے۔

ابن اثیر[1]' ابن کثیر[2]' ابن شاکر[3]' ابن خلکان[4] اور دیگر کئی مورخین نے بھی اس کا ذکر کیا ہے۔ ان میں اہم ترین السید شرف الدین الکیلانی ہیں جنہوں نے اپنی کتاب "تاریخ النقباء" میں اس بات کی تاکید کی ہے کہ آپ جیلِ عراق سے منسوب تھے[5]۔ لیکن انہوں نے آگے چل کر تحریر کیا ہے کہ آپ جیلِ عراق سے وہاں زیادہ وقت بسر کرنے کے باعث منسوب تھے ولادت کی وجہ سے نہیں[6]۔ یہ تحقیق کے طریقِ کار سے میل نہیں کھاتا اور نہ ہی اسے منطقی طور پر تسلیم کیا جا سکتا ہے۔ آپ کی جیلِ عراق میں موجودگی آپ کے اس مقام سے گہرے تعلق کی دلیل ہے۔ مستشرقین Orientalists کے منجملہ فرانسیسی مستشرق پروفیسر جاکلین شابی (Jacqueline Chabbi) نے آپ کی بلاد الرافدین میں ولادت کی صاف و صریح روایت کا واضح اشارہ دیا ہے اور اسی سے جرمن مستشرق پروفیسر این میری شیمل Annemarie Schimmel بھی متفق ہیں جنہوں نے حضرت الشیخ عبدالقادر الجیلی رضی اللہ عنہ کو اسلام کا عظیم و مقبول ترین ولی مانا ہے[7]۔

۱-ابن الاثیر۔ حوالہء گزشتہ' ج۹' ص۵۷۱

۲-ابن کثیر۔ حوالہء گزشتہ' ج۱۲' ص۲۵۴

۳-ابن شاکر۔"عیون التاریخ" ج۱۲' ص۱۱٦

۴-ابن خلکان۔ حوالہء گزشتہ' ج٦' ص۱٦۹

۵-الکیلانی' شرف الدین۔ "تاریخ النقباء" ص۳۰

٦-الکیلانی' شرف الدین۔ حوالہء گزشتہ' ص۳۱۔ یہ صرف اختلافِ رائے ہے اور اس سے مولفِ کتاب کی منزلت کم نہیں ہوتی۔ اس کتاب کی نشر و اشاعت کتاب "تحفة الأبرار" کے ساتھ ہوئی

۷-شابی' جاکلین۔ حوالہء گزشتہ؛ ص۱۹ اور

The Cambridge History of Iran. Boyle. J. A -5 Volume (Cambridge, University printer, 1388. A. H 1968.A .C) vol. 5

فیصلہ کن پیش رفت

یہ بات قابل ذکر ہے کہ علامہ سالم الالوسی فرماتے ہیں کہ عراق کے سابق صدر احمد حسن بکر نے اپنی صدارت کے ابتدائی دور میں مملکتِ ایران سے خلیفہ ہارون الرشید کی باقیات عراق کو لوٹانے کا مطالبہ کیا کیونکہ وہ بغداد کے سنہری دور کی نشانی ہے۔ اور یہ انہوں نے معروف مورخ عبد الجبار الجومرد الموصلی مرحوم کی خواہش پر کیا تھا جو عراق کے سابق فوجی کمانڈر عبدالکریم قاسم کے دور میں وزیر اور مشہور کتاب "هارون الرشيد" کے مصنف تھے[1]۔ لیکن مملکتِ ایران نے اس مطالبہ کو خارج کر دیا اور اس کے بدلہ میں حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی باقیات کی ایران کو واپسی کا مطالبہ اس حجت پر کیا کہ آپ کیلان 'ایران میں تولد ہوئے تھے۔ اس پر صدرِ عراق نے علامہ ڈاکٹر مصطفیٰ جواد[2] سے اس کی وضاحت طلب کی۔ مصطفیٰ جواد مرحوم نے اس کے جواب میں وضاحت کی کہ جو حوالے یہ بتاتے ہیں کہ حضرت الشیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی ولادت کیلانِ ایران میں ہوئی ان تمام کا ایک ہی روایت پر اعتماد ہے جو بغیر کسی تحقیق کے نقل ہوتی آئی ہے۔ لیکن حقیقت یہ ہے کہ آپ کی ولادت المدائن کے قریب واقع قریہ "الجیل" میں ہوئی اور یہ صحیح نہیں کہ آپ ایران میں پیدا ہوئے تھے یا آپ کے کسی جد کا نام جیلان تھا۔ اسی بات کی تاکید ڈاکٹر حسین علی محفوظ[3] نے تاریخی معرکہ ء جلولاء کے جاودانی میلہ میں کی تھی جس کا اہتمام ۱۹۹۶ء میں عرب مورخین نے شہرِ جلولاء (Jalawla) میں کیا تھا اور جس میں آلوسی کے بشمول دیگر عراقی مورخین کی ایک کثیر تعداد بھی موجود تھی۔ یہ بات حکومتِ ایران کو بتا دی گئی اور پھر عرب ممالک کی مداخلت کے بعد یہ موضوع بند ہو پایا[4]۔

۱۔الجومرد،عبدالجبار۔"هارون الرشيد"ص ۵۳۱

۲-سالم الالوسی۔"من اوراق سالم الالوسی"(جو ان کے پاس محفوظ ہے)'ص ۲۷

۳۔علامہ حسین علی محفوظ سے ۱۹۹۶/۱۰/۲۳ء کو اور اس کے بعد متعدد ملاقاتیں

۴-علامہ سالم الالوسی سے ۱۹۹۶/۹/۱۲ء اور اس کے بعد متعدد ملاقاتیں

خاتمہ

اس کوشش کے بعد میرا یقین پختہ ہو گیا کہ ہمارے ثقافتی ورثہ پر دو جہتوں میں تحقیق و تخصیص کی ضرورت ہے:

ایک: اس کی بشکلِ عام وضاحت و فہرست نویسی تاکہ ہمیں اس کے محتویات کا کماحقہٗ پتہ چلے۔ یہ خاص طور پر اس لئے ضروری ہے کہ ہمارے پیشرو علماء نے اس کو مجموعی طور پر ہی تحریر کیا ہے جس کے باعث متلاشیانِ حقیقت کو ان کی کتابوں میں غیر مدلل باتیں ملتی ہیں جو اکثر عنوانِ کتاب سے ہی ٹکرا جاتی ہیں۔

دوسرے: اس کا صحیح طور سے مطالعہ اور تدقیق جو اس پر پہلے نکالے گئے نتائج کی مذہبی بنیاد یا کسی شخصی تاثر کے زیرِ اثر غیر ضروری تعریف یا مذمت سے دور ہو اور صرف اور صرف اس ثقافتی ورثہ میں مخفی حقایق سے آگاہی کے مقصد کے تحت کی جائے۔ یہ بات ہمارے پیش نظر رہے کہ ہم سب ایک ہی تہذیب سے متعلق اور مشترکہ اقدار کے حامل ہیں اگرچیکہ ہمارے درمیان بعض اجتہادی امور میں اختلاف ممکن ہے جو متطلباتِ زمانہ اور بدلتے اندازِ زندگی کے باعث ہو سکتا ہے اور جس کی اجازت دائرہءاسلام میں جائز آزادیءفکر کی حدود میں موجود ہے۔

اس تہذیب و ثقافت کے مطالعہ کے وقت ہمیں یاد رکھنا ہو گا کہ نصِ قطعی جو وحیءالٰہی سے مستمد ہونے کے باعث مقدس و معصوم ہوتی ہے اس میں اور اس نص میں بڑا فرق ہوتا ہے جو حیاتِ بشری کے قوانین کے تابع اور تغیرات "ترمیمات اور اندازِ فہم کے زیرِاثر مبنی بر خطا و صواب ہوتی ہے۔

جو کچھ اوراقِ گزشتہ میں بیان کیا جا چکا ہے اس سے صاف ظاہر ہو جاتا ہے کہ حضرت امام عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی ولادت و وفات عراق میں ہوئی اور یہی تاریخی اور جغرافیائی حقیقت ہے جو تحقیق تاریخ کے ضمن میں ابتدائی اور حضرت شیخ جیلی رضی اللہ عنہ کے عہد کے حوالوں کی روشنی میں 'ان مخطوطات کی ضوفشانی میں جو حال ہی میں سامنے آئے ہیں اور عراقی مدرسہءتاریخِ جدید کے علمائے کبار کی آراء کے بموجب ثابت ہو چکی ہے۔اور اس تحقیق کی اشاعت کا مقصد اس تاریخی شعور کو سامنے لانا ہے کہ بعض موضوعات اگرچہ ان کی اہمیت

سے انکار نہیں کیا جاسکتا' مہمل ہیں اور تا کہ یہ نادر حقیقتیں ایک طویل مدت تک عوام النّاس کی نگاہوں سے او جھل ہونے کے بعد بے نقاب ہو جائیں۔

یہ ایک درسِ عبرت ہے جس کا خلاصہ اسلامی تاریخ کے گہرے مطالعہ کے باعث ممکن ہو پایا ہے تو کیا یہ ممکن نہیں کہ ہم اسے کماحقہُ سمجھیں اور اس سے استفادہ کرتے ہوئے اس تاریخ کے پہیئے کو آگے کی جانب حرکت دیں۔

اہم ذرائع اور حوالہ جات کی فہرست

- القرآن الکریم

الف- مخطوطات

۱- الالوسی'شہاب الدین ابو الثناء۔۔(متوفی ۱۲۷۰ہجری/۱۸۵۴ء)۔"الطراز المذهب فی شرح باز الأشهب"المكتبة القادريہ بغداد میں موجود مخطوطہ-نمبر ۱۴۰۵

۲-امام شطنوفی'علی بن یوسف۔۔(متوفی ۱۳۷ہجری/۱۳۱۳ء)۔"بهجة الأسرار"-المكتبة القادريہ بغداد میں موجود مخطوطہ-نمبر ۱۵۶۰

۳-امام شطنوفی'علی بن یوسف۔۔(متوفی ۱۳۷ہجری/۱۳۱۳ء)۔"بهجة الأسرار"- دار المخطوطات بغداد میں موجود مخطوطہ-نمبر ۳۲۱۶

۴-النووی'یحییٰ بن شرف۔۔(متوفی ۶۷۶ہجری/۱۲۷۷ء)۔"بستان العارفين"-المكتبة القادريہ بغداد میں موجود مخطوطہ۔نمبر ۹۳۲

۵-الھروی'علی بن سلطان القاری۔۔(متوفی ۱۰۱۴ہجری/۱۶۰۵ء)۔(جو سلطنتِ عثمانیہ کے معروف علماء سے تھے)۔"نزهة الخاطرفي ترجمة الشيخ عبد القادر"-المكتبة القادريہ بغداد میں موجود مخطوطہ۔نمبر ۷۲۴

۶-الکیلانی'فالح نصیف الحجیہ الکیلانی۔۔(۱۹۴۴ء۔۔)۔"شرح ديوان السيد الشيخ عبد القادر الجيلانی"۔ مولف کے پاس موجود مخطوطہ۔۷۲۶

۷-القادری'ظہیر الدین۔۔(؟؟؟؟)۔"الفتح المبين"۔ محی ہلال السرحان کا مخطوطہ

۸-مولف مجہول۔۔"انساب الطالبين"۔سالم الالوسی کا مخطوطہ

۹-قطب الدین موسیٰ بن محمد الیونینی۔۔(۷۲۶ ہجری)۔"**مناقب الشیخ عبد القادر**"۔اسپین میں اسکوریال لائبریری میں موجود مخطوطہ نمبر ۱۷۴۱/۲۔ تصویر کردہ ڈاکٹر محی ہلال السرحان

۱۰-العمری'ابو الحسن۔۔(؟؟؟؟)۔"**المجدی في النسب**"۔مکتبۃ الاسکندریہ'مصر میں موجود مخطوطہ نمبر ۳۷۴۲

۱۱-الکیلانی'علاء الدین۔۔(؟؟؟؟)۔"**تحفة الابرار و لوامع الابرار**"۔پرنسٹن یونیورسٹی امریکہ میں موجود مخطوطہ۔تصویر کردہ ریٹائرڈ بریگیڈیر انجینئر السید عبد الستار ہاشم سعید الکیلانی

۱۲-ابن الوردی۔۔(متوفی ۷۴۹ ہجری)۔ مخطوطہ "**خريدة العجائب و فريدة الغرائب**"۔نسخہ سالم الالوسی

۱۳-جواد مصطفیٰ۔۔(۱۹۹۶)۔"**اصول التاريخ و الادب**"۔۲۴ جلدوں پر مشتمل مخطوطہ جس میں بیشتر نادر و نایاب مخطوطات کی نقل ہے اور جو ان کے صاحبزادے جواد مصطفیٰ جواد کے پاس محفوظ ہے'اور مخطوطہ "**مختصر الانساب**" جو ڈاکٹر حسین علی محفوظ کی ملکیت ہے اور ان کی کتاب "**فی التراث العربی**" تحقیق محمد جمیل شلش اور عبد الحمید العلوجی'نشر کردہ وزارۃ الاعلام بغداد ۱۹۷۷ء

۱۴-ابن الجوزی۔۔(متوفی ۵۹۷ ہجری/۱۲۰۱ء)۔"**درر الجواهر من كلام الشيخ عبد القادر**"۔چند صفحات پر مشتمل نادر مخطوطہ جو علامہ سالم الالوسی کے پاس موجود ہے۔ صفحہ ۳۔اور اس کتاب کا ذکر التادفی نے "**قلائد الجواهر**" میں صفحہ ۲۱ پر'یوسف زیدان نے "**الديوان**" پر اپنی تحقیق میں صفحہ ۱۴ پر اور "**درر العقود**" مخطوطہ اسکوریال نمبر ۸/۵۸۲ (نقل کردہ سالم الالوسی) کے ورقہ ۹۸۱ پر کیا ہے

۱۵-الیافعی'ابن سعد الجوزی۔۔(متوفی ۷۶۸ ہجری)۔"**خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر**"۔ پرنسٹن یونیورسٹی میں موجود مخطوطہ۔تصویر کردہ السید عبد الستار ہاشم سعید الکیلانی

۱۶-البغدادی'عباس۔۔(؟؟؟؟)۔"نیل المراد فی تاریخ اھل بغداد"۔ منفرد مخطوطہ جسے مولف نے شعبان ۱۳۳۳ہجری میں مکمل کیا۔ مخطوطہ محی ہلال السرحان

ب-عربی وسائل

۱-ابن الاثیر' محی الدین المبارک بن محمد الجرزی۔۔ (متوفی ۶۳۰ہجری/۱۲۰۸ء)۔"الکامل فی التاریخ"۔ ج۹'دار صادر بیروت ۱۹۷۵ء

۲-ابن ایاس'محمد بن احمد الحنفی۔۔(متوفی ۹۳۰ہجری/۱۵۲۳ء)۔"بدائع الظهور فی وقائع الدهور"۔ تحقیق محمد مصطفیٰ'دار الکتب'قاہرہ'۱۹۵۲ء

۳-ابن تغری بردی'جمال الدین ابوالمحاسن یوسف۔۔(متوفی ۸۷۴ہجری/۱۴۶۹ء)۔"النجوم الزاهرة فی اخبار مصر و القاهرة"۔دار المعارف'قاہرہ

۴-ابن تیمیہ'ابوالعباس احمد بن عبدالحلیم۔۔(متوفی ۷۶۸ہجری/۱۳۲۷ء)۔"الفتاویٰ"۔المکتبۃ السلفیہ' ریاض'۱۹۶۰ء

۵-ابن الجرزی'ابوالخیر محمد بن محمد۔۔(متوفی ۸۳۳ہجری/۱۴۲۹ء)۔"غاية النهاية"۔ج۱'قاہرہ'۱۹۳۲ء

۶-ابن الجوزی'جمال الدین ابوالفرج عبدالرحمٰن بن علی بن محمد۔۔(متوفی ۵۹۷ہجری/۱۲۰۱ء)۔"المنتظم فی تاریخ الملوک و الامم"۔ط۱'مطبوعہ دائرۃ المعارف الاسلامی۔حیدرآباد'۱۹۶۹ء

۷۔ابن حجر'شہاب الدین ابوالفضل احمد بن محمد بن علی العسقلانی۔۔(متوفی ۸۵۳ہجری/۱۴۴۹ء)۔"الدرر الکامنة"۔ج۳'مطبوعہ حیدرآباد'ہند'۱۹۲۹ء

۸۔ابن حزم'ابو محمد علی بن سعید الاندلسی۔۔(متوفی ۹۵۶ہجری/۱۶۰۴ء)۔"جمهرة أنساب العرب"۔ تحقیق عبدالسلام محمد ہارون'دار المعارف'قاہرہ'۱۹۶۷ء

۹- ابن خلکان' ابو العباس شمس الدین احمد بن محمد بن ابی بکر۔۔(متوفی ۶۸۱ہجری/۱۲۸۲ء)۔"وفیات الأعیان و أنباء ابناء الزمان"۔ تحقیق احسان عباس'دار الثقافه'بیروت'۱۹۷۲ء
۱۰-ابن الدبیثی'محمد بن سعید بن محمد۔۔(متوفی ۶۳۷ہجری/۱۲۳۹ء)۔"المختصر المحتاج الیه من تاریخ بغداد، انتقاع الذهبی"۔ تحقیق مصطفیٰ جواد'مطبعة المجمع العلمی العراقی'بغداد'۱۹۵۲ء
۱۱-ابن رجب' زین الدین ابو الفرج عبد الرحمٰن بن شهاب الدین الحنبلی۔۔(متوفی ۷۹۵ہجری/۱۳۹۲ء)۔"الذیل علی طبقات الحنابلة"۔ج۱-۲'مطبعة الحلبی'قاہرہ'۱۹۵۲ء
۱۲-ابن الصابونی'جمال الدین۔۔(متوفی ۶۸۰ہجری/۱۲۸۳ء)۔"تکملة إکمال الإکمال"۔ تحقیق مصطفیٰ جواد'مطبعة المجمع العلمی العراقی'بغداد'۱۹۵۷ء
۱۳۔ابن عربی'محی الدین۔۔(متوفی ۶۳۸ہجری/۱۲۴۰ء)۔"الفتوحات المکیة"۔ تحقیق عثمان یحییٰ'ج۶' داراحیاءالتراث العربی'بیروت'۱۹۹۴ء
۱۴-ابن العماد'ابوالفلاح عبدالحق الحنبلی۔۔(متوفی ۱۰۸۹ہجری/۱۶۷۸ء)۔"شذرات الذهب فی اخبار من الذهب"۔ج۴-۵'مکتبة المقدسی'قاہرہ'۱۹۲۹ء
۱۵- ابن الکازرونی' ظهیر الدین علی بن محمد۔۔(متوفی ۶۹۷ہجری/۱۲۹۷ء)۔"مختصر التاریخ"۔ تحقیق مصطفیٰ جواد'مطبعة الحکومة' بغداد'۱۹۷۰ء
۱۶-ابن کثیر'اسماعیل بن عمر ابوالفداء۔۔(متوفی ۷۷۴ہجری/۱۳۷۲ء)۔
أ-"البدایة و النهایة"۔ج۶'مطبعة السعادة'مصر'۱۹۶۸ء
ب-"تفسیر القرآن العظیم"۔ج۱۳'مکتبة دار التراث'قاہرہ'۱۹۷۲ء

۱۷-ابن ہشام'ابو محمد عبد الملک ایوب الحمیدی۔۔(متوفی ۲۱۸ہجری/۸۲۰ء)۔"السیرۃ النبویۃ"۔ ج۳'
تحقیق محمد محی الدین عبدالمجید'دارالفکر للطباعۃ'بیروت'۱۹۶۲ء
۱۸- ابو شامہ' شہاب الدین ابو محمد عبد الرحمٰن۔۔ (متوفی ۶۶۵ہجری/۱۲۶۹ء)۔"الروضتین فی اخبار
دولتین"۔ المؤسسۃ المصریۃ للتألیف و النشر'قاہرہ'۱۹۶۲ء
۱۹-البغدادی' ابو الفرج عبد الرحمٰن بن شہاب الدین احمد بن رجب الحنبلی۔۔ (متوفی
۷۹۵ہجری/۱۳۹۲ء)۔"ذیل طبقات الحنابلۃ"۔ مطبعۃ السنۃ المحمدیۃ'قاہرہ'۱۹۵۲ء
۲۰-البغدادی'ابو منصور عبدالقاہر بن طاہر۔۔(متوفی۴۲۹ہجری/۱۰۳۱ء)۔"الفرق بین المذاھب"۔ دار
الجیل'بیروت؛۱۹۶۵ء
۲۱-التادفی'محمد بن عیسیٰ۔۔(متوفی۹۶۳ہجری/۱۴۶۵ء)۔"قلائد الجواھر فی مناقب عبد القادر"۔دار
الباز'فلوریڈا'امریکہ'۱۹۹۸ء
۲۲-التوخی'ابو علی المحسن بن علی۔۔(متوفی ۳۸۴ہجری/۹۹۴ء)۔"الفرج بعد الشدۃ"۔دارصادر'بیروت'
۱۹۷۸ء
۲۳-الجیلانی'محی الدین ابو محمد عبدالقادر بن ابی صالح موسیٰ بن عبداللہ۔۔(متوفی۵۶۱ہجری/۱۲۶۲ء)۔
أ۔"فتوح الغیب"۔مطبعۃ الحلبی'قاہرہ'۱۹۶۰ء
ب-"الغنیۃ لطالبي طریق الحق"۔ تحقیق فرج توفیق الولید'ج۳'دارالفکر'بیروت'۱۹۹۵ء
ج-"الفتح الربانی و الفیض الرحمانی"۔دارالجمیل'جرمنی'۱۹۹۷ء
د-"تفسیر الجیلانی"۔باہتمام فاضل جیلانی'دار الکتب العلمیۃ'بیروت'۲۰۰۷ء
ذ-"دیوان عبد القادر الجیلانی"۔ تحقیق یوسف زیدان'دارالجیل'۱۹۸۳ء

۲۴-حاجی خلیفہ'مصطفٰی بن عبداللہ۔۔(متوفی ۱۰۶۷ہجری/۱۶۵۶ء)۔''کشف الظنون''۔مکتبۃ اسماعیلیان' تہران'۱۹۴۷ء

۲۵-الحموی' یاقوت 'شہاب الدین ابو عبد اللہ یاقوت بن عبد اللہ البغدادی ۔۔ (متوفی ۶۲۶ہجری/۱۲۲۹ء)۔''معجم البلدان''۔ج۵'بیروت'۱۹۵۶ء

۲۶۔الذھبی'شمس الدین محمد بن احمد بن عثمان۔۔(متوفی ۷۴۸ہجری/۱۳۴۷ء)۔

أ۔''سیر أعلام النبلاء''۔ج ۱۲-۱۳'دار الرسالة للطباعة'بیروت'ط۴'۱۹۸۶ء

ب-''العبر فی خبر من غبر''۔ تحقیق صلاح الدین المنجد'وزارۃ الارشاد'کویت'۱۹۶۳ء

ج-''المختصر المحتاج الیه''۔ تحقیق مصطفٰی جواد'مطبعة المعارف'بغداد'۱۹۵۱ء

۲۷-الزبیدی'محمد مرتضٰی۔۔(متوفی ۱۲۰۵ہجری/۱۷۹۰ء)۔

أ۔''تاج العروس فی شرح جواھر القاموس''۔مطبعة الکویت'کویت'۱۹۸۰ء

ب-''اتحاف السعادة للمتقین فی شرح احیاء علوم الدین''۔ج ا'المطبعة الملکیة'مراقش' ۱۹۳۶ء

۲۸- سبط ابن الجوزی'یوسف۔۔ (متوفی ۶۵۴ہجری/۱۲۵۶ء)۔''مرآة الزمان''۔ مطبوعہ حیدرآباد' ہند' ۱۹۳۶ء

۲۹- السبکی' تاج الدین عبد الوہاب بن علی بن عبد الکافی۔۔ (متوفی ۷۷۱ہجری/۱۳۶۹ء)۔''طبقات الشافعیة''۔مطبعة عیسیٰ الحلبی'قاہرہ'۱۹۶۵ء

۳۰-السہروردی'عمر بن محمد بن عبداللہ البکری۔۔(متوفی ۶۳۲ہجری/۱۱۳۴ء)۔''عوارف المعارف''۔دار الکتاب العربی للطباعة'بیروت'۱۹۶۶ء

۳۱-السیوطی'جلال الدین عبدالرحمٰن بن ابی بکر۔۔(متوفی ۹۱۱ہجری/۱۵۰۵ء)۔

أ۔''تاریخ الخلفاء''۔ تحقیق محمد محی الدین عبدالمجید'مطبعة الاستقامة'قاہرہ'۱۹۳۴ء

ب۔''حسن المحاضرة''۔ج۱'مطبعة الحلبی'قاہرہ'۱۹۰۰ء

۳۲۔السمعانی'عبدالکریم بن محمد۔۔(متوفی ۵۰۶ہجری/۱۸۸۰ء)۔''کتاب الانساب''۔ تحقیق مرجلیوث' مطبعة بریل'لیڈن Leiden'۱۹۱۲ء

۳۳۔ الشوکانی' محمد بن علی بن محمد۔۔ (متوفی ۱۲۵۰ہجری/۱۸۳۴ء)۔''البدر الطالع''۔ج۱' دار الکتب للطباعة'قاہرہ'۱۹۴۶ء

۳۴-الطبری'ابو جعفر محمد بن جریر۔۔(متوفی ۳۱۰ہجری/۹۱۲ء)۔

أ۔''جامع البیان فی تأویل آی القرآن''۔ج۵'تحقیق محمد احمد شاکر'مطبعة مصطفی الحلبی'قاہرہ' ۱۹۷۸ء

ب۔''تاریخ الامم و الملوک''۔ج۱-۵'تحقیق محمد ابوالفضل ابراہیم'ج۴-۵'دار المعارف للطباعة' قاہرہ'۱۹۷۸ء

۳۵۔الشطنوفی'علی بن یوسف۔۔(متوفی ۷۱۳ہجری/۱۳۱۳ء)۔''بهجة الأسرار''۔ تحقیق جمال الدین فالح الکیلانی'مطبعة الحکومة'الجیریا'۲۰۱۱ء

۳۶-القادری'ابوالظفر ظہیر الدین۔۔''الفتح المبین''۔ المطبعة المرکزیة'اقاہرہ'۱۸۸۸ء

۳۷۔ القرطبیؒ' ابو عبد اللہ محمد بن احمد الانصاری۔۔ (متوفی ۶۷۱ہجری/۱۲۷۲ء)۔''الجامع لإحکام القرآن''۔ج۵'دار احیاء التراث العربی' بیروت'۱۹۸۵ء

۳۸-القرطبیؔ' عریب ابن سعید۔۔ (متوفی ۳۶۹ہجری/۹۷۱ء)۔"صلة تاريخ الطبري"۔ تحقیق محمد ابو الفضل ابراہیم'دار المعارف للطباعة' قاہرہ'۱۹۷۱ء
۳۹۔الکتبی'محمد بن شاکر۔۔(متوفی ۷۶۴ہجری/۱۳۶۲ء)۔
أ۔"فوات الوفيات"۔ج۱-۲' تحقیق محمد محی الدین عبدالمجید'المكتبة التجارية للطباعة' قاہرہ'۱۹۵۴ء
ب-"عيون التواريخ"۔ تحقیق فیصل السامر و نبیلہ عبدالمنعم داؤد'دار الرشد للطباعة' بغداد'۱۹۸۳ء
۴۰-محمد فواد عبدالباقی۔۔"اللؤلؤ و المرجان فيما اتفق عليه الشيخان (البخاري و مسلم)"۔دار الكتب العلمية'بیروت'۱۹۸۲ء

ج-کتابیات

۱۔ابراہیم'حبیب جمیل۔۔"تاريخ متصوفة بغداد"۔ مكتبة الشرق الجديد'بغداد'۱۹۸۸ء
۲-اقبال'محمد۔۔"دیوانِ اقبال"۔ دار الصحابة للطبع'پاکستان'۱۹۹۶ء
۳-جواد'مصطفی اوراحمد'سوسہ۔۔"خارطة بغداد"۔ مكتبة المجمع العلمی العراقی'بغداد'۱۹۵۹ء
۴-الجیلانی'عبدالرزاق۔۔"الشيخ عبد القادر الجيلانی"۔دارالقلم'بیروت'۱۹۸۳ء
۵-الجیلانی'ماجد۔"هكذا ظهر صلاح الدين"۔ہائراسلامک انسٹٹیوٹ'امریکہ'۱۹۹۶ء
۶-حسن'حسن ابراہیم۔۔"تاريخ الإسلام السياسي"۔ج۴' مكتبة النهضة المصرية'قاہرہ'۱۹۸۶ء
۷-الحضری'الشیخ محمد۔۔"الدولة العباسية"۔ دار الكتب العلمية'بیروت'۱۹۹۳ء
۸-رؤوف'عماد عبدالسلام۔۔
أ-"الآثار الخطية في المكتبة القادرية"۔ مطبعة الإرشاد'بغداد'۱۹۷۱ء
ب-"مدارس بغداد"۔ بغداد'۱۹۸۵ء

ج-''معالم بغداد فی العصور المتأخرة''۔ بغداد'۲۰۰۲ء

۹-زمباور۔۔''معجم الأنساب و الأسر الحاكمة في تاريخ الإسلامي''۔ترجمہ ذکی محمد حسن' مطبعة فواد الاول' قاہرہ'۱۹۵۱ء

۱۰-الزرکلی'خیر الدین۔۔''الأعلام''۔ج۵' مطبعة النهضة' قاہرہ'۱۹۴۹ء

۱۱-السامرائی'عبداللہ سلوم۔۔''عبد القادر الجيلانی قطب الاولياء''۔شیخ عفیف الدین الکیلانی کے پاس موجود مخطوطہ

۱۲-السامرائی'یونس بن ابراہیم۔۔''عبد القادر الجيلانی حياته و آثاره''۔مكتبة الشرق الجديد' بغداد' ۱۹۸۸ء

۱۳-الشرقاوی'حسن۔۔''معجم الفاظ الصوفية''۔دار مختار للنشر' قاہرہ'۱۹۸۷ء

۱۴-شعبان'محمد عبدالحي محمد۔۔''التاريخ الاسلامی: تفسير جديد''۔دار الأهلية للنشر'بیروت'۱۹۸۳ء

۱۵-شوقی'ضیف۔۔''العصر الاسلامی''۔کویت'۱۹۹۵ء

۱۶-عاشور'سعید عبدالفتاح۔۔''مصر فی عهد المماليك''۔دار الكتب المصرية' قاہرہ'۱۹۶۶ء

۱۷-عطیۃ اللہ'احمد۔۔''القاموس الاسلامی''۔ج۱'۲'۳'دار مكتبة النهضة للطباعة' قاہرہ'۱۹۷۶ء

۱۸-عفیفی'ابوالعلاء۔۔''التصوف و الثورة الروحية في الإسلام''۔'دار جامعيون'مصر'۱۹۹۷ء

۱۹-عنان'محمد عبداللہ۔۔''المعارك الحاسمة في التاريخ''۔مكتبة النهضة المصرية' قاہرہ'۱۹۵۳ء

۲۰-عمر'فاروق۔۔''الدولة العباسية''۔دار الشروق' اُردن'۲۰۰۰ء

۲۱-اللامی'علاء۔۔''السرطان المقدس''۔الدار العربية للكتاب'بیروت'۲۰۰۴ء

۲۲-المدرس'عبدالکریم۔۔"مواهب الرحمان فی تفسیر القرآن"۔ج۵'دار الحرية للطباعة بغداد'
۱۹۹۷ء
۲۳-المودودی'ابوالاعلیٰ۔۔"تفسیر سورة النور"۔المکتبة الاسلامية'قاہرہ'۱۹۵۸ء
۲۴-النجار'محمد رجب۔۔"حكايات الشطار و العيارين"۔عالم المعرفة'کویت'۱۹۸۱ء
۲۵-شابی'پروفیسر جاکلین(۱۹۹۸ء)۔۔"عبد القادر الجيلانی بين الحقيقة التاريخية و الأسطورة الأدبية"۔ترجمہ ڈاکٹر حسن سحلول'اتحادالکتاب العرب کی جانب سے نشر کردہ سہ ماہی مجلۃ التراث العربی' سال۱۸'جنوری ۱۹۷۰ء'دمشق'جسکا الکٹرانک ورژن بتاریخ ۲۰۰۴/۹/۱۴ء طبع ہوا۔
۲۶-محمد ارکون۔۔"الفكر الاسلامی: نقد و إجتهاد"۔ترجمہ ہاشم صالح'دار الساقی' بیروت'۲۰۰۹ء
۲۷-جعیط'ہاشم۔۔"في السيرة النبوية"۔دار الطليعة'بیروت'۱۹۹۰ء
۲۸-الخیون'راشد۔۔"الاديان و المذاهب فی العراق"۔دار الجمیل'جرمنی'۲۰۰۴ء
۲۹-جواد'ڈاکٹر مصطفیٰ اور سوسہ'ڈاکٹر احمد(۱۹۵۸ء)۔۔"دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً و حديثاً"۔المجمع العلمی العراقی' بغداد

د-مقالات (Theses)

۱۔التل'عمر سلیم عبدالقادر۔۔"متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري"۔ تھیسس برائے ماسٹرس ڈگری۔یونیورسٹی آف جورڈن-۲۰۰۹ء
۲-سہیل'جعفر صادق۔۔"عبد القادر الجيلاني و مذهبه الصوفي"۔ تھیسس برائے ماسٹرس ڈگری۔دار العلوم کالج'قاہرہ یونیورسٹی-۱۹۷۵ء

۳-القحطانی،سعید۔۔"الشيخ عبد القادر الكيلاني و آرائه الاعتقادية و الصوفية"۔ تھیسس برائے ڈاکٹریٹ،کلیۃ الدعوۃ،ام القریٰ یونیورسٹی-ریاض۔۱۹۹۷ء

۴-المھداوی،ایمان کمال مصطفیٰ۔۔"عبد القادر الجيلاني اديباً"۔ تھیسس برائے ماسٹرس ڈگری،ابن رشد کالج آف ایجوکیشن،بغداد یونیورسٹی-۱۹۹۶ء

۵-علیوی،جعفر موسیٰ ۔۔"عبد القادر الجيلاني والتصوف"۔ تھیسس برائے ڈاکٹریٹ،کالج آف آرٹس، بغداد یونیورسٹی-۲۰۰۲ء

۶-البلاطی،علی محمود علی۔۔"الدار الفاخر فى ترجمة الشيخ عبد القادر"۔ تحقیق ومطالعہ علی محمود علی البلاطی،تھیسس برائے ماسٹرس ڈگری، معهد التاريخ للدراسات العليا(انسٹیٹیوٹ فار ہائر اسٹڈیز - تاریخ)-۱۹۹۹ء۔(البلاطی کا شخصی نسخہ)

۷-ماجد عرسان الکیلانی ۔۔"نشأة القادرية"۔ تھیسس برائے ماسٹرس ڈگری، بیروت عربی یونیورسٹی-۱۹۹۶ء

سوانح محقق ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی

بقلم

ڈاکٹر ابراہیم خلیل العلاف

پروفیسر ماڈرن ہسٹری۔ موصل یونیورسٹی

ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی میرے عزیز دوست ہیں جنکی علمی سرگرمیوں سے میں ایک طویل عرصہ سے واقف ہوں اور جن سے میرا تبادلہ ء علمی کا تعلق ہے۔ان کا تعلق خاندانِ کیلانیہ سے ہے اور یہ حضرت شیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ کی اولاد سے ہیں۔ان کا سلسلہ ء نسب حسبِ ذیل ہے:

جمال الدين بن فالح بن نصيف بن جاسم بن احمد الحجية بن عبد الكريم بن عبد الرحيم بن خميس بن ولي الدين محمد بن عثمان بن يحيى بن حسام الدين بن نور الدين بن ولي الدين بن زين الدين الكبير بن شمس الدين بن شرف الدين بن محمد الهتاك بن عبدالعزيز بن الباز الاشهب الشيخ عبدالقادر الجيلي بن ابي صالح موسى بن عبدالله الجيلي بن يحيى الزاهد بن محمد المدني بن داود امير مكة بن موسى الثاني بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن اسدالله الغالب علي بن ابي طالب كرم الله وجهه و رضي الله عنهم اجمعين

ان کی ولادت ۱۹۷۲ء میں ہوئی اور یہ بچپن ہی سے تاریخ اور انواع واقسام کی کتب بینی کا شغف رکھتے ہیں۔اپنے والدِ محترم ادیب و شاعر جناب فالح الحجیۃ الکیلانی سے بہت متاثر رہے اور اسی باعث ادب و معرفت سے عشق اور شعر و سخن کا ذوق ان کی شخصیت کا جزوِ لاینفک ہو گیا جس نے ایک طرف انہیں علامہ

سالم عبود الالوسی کی خدمت سے وابسطہ کر دیا تو دوسری جانب علامہ مصطفٰی جواد اور ان کے قیمتی ثقافتی سرمایہ تک جا پہنچایا۔ اپنی علمی زندگی کی ابتداء سے ہی انہوں نے ورشہء قادریت سے اپنا گہرا تعلق قائم رکھا۔ خود کو پروفیسر ڈاکٹر عبد السلام رؤوف اور ان کے تاریخی مدرسہ کے تلامذہ میں شمار کرتے ہیں۔ ابتدائی' متوسط اور ثانوی تعلیم کے دوران ہی تدریس کو اپنایا اور پھر بغداد یونیورسٹی' المستنصریہ یونیورسٹی ' اتحاد المورخین العربArab Historiographer Federation' القادسیہ یونیورسٹی' بصرہ یونیورسٹی اور وسیط یونیورسٹی میں لیکچرس دئے۔

انہوں نے ابن رشد کالج آف ایجوکیشن' بغداد یونیورسٹی سے تاریخ میں ڈگری کی تکمیل کی اور پھر **معهد المعلمين**(ٹیچرس انسٹٹیوٹ) سے انگریزی میں ڈپلوما حاصل کیا۔ اس پر اکتفانہ کرتے ہوئے انہوں نے اپنے تعلیمی سفر کو جاری رکھا اور سینٹ کلیمنٹس یونیورسٹی سے تاریخِ اسلامی میں ڈاکٹریٹ کی ڈگری حاصل کی۔ تاریخ سے اپنی گہری دلچسپی کے باعث بغداد میں واقع اتحاد المورخین العرب کے تابع ادارہء اعلٰی تعلیم برائے تاریخِ عربی و ثقافتِ علمی "**معهد التاريخ العربى و التراث العلمى للدراسات العليا**" سے وابستہ ہو گئے اور عربی اسلامی تاریخ و تہذیب میں ماسٹر آف آرٹس کی ڈگری حاصل کی۔ ۱۹۹۸ء میں ان کو مرکز برائے تحقیق و تدقیق تاریخی دستاویزات و مخطوطات "**مركز دراسات التاريخ و الوثائق و المخطوطات**" کی جانب سے "**باحث علمى**" یعنی ریسرچ اسکالر کا لقب دیا گیا۔

ڈاکٹر کیلانی حسبِ ذیل اداروں کے رکن ہیں:

- **اتحاد المورخين العرب۔۱۹۹۶ء**
- **الهئية العربية لكتابة تاريخ الأنساب۔۱۹۹۸ء**
- **لجنة الدراسات القادرية المغرب** (اعزازی رکن) ۔۱۹۹۷ء

- مرکز دراسات الامام عبد القادر الجیلانی مخصوص برائے تاریخ و ثقافت و انسابِ قادریہ (ایڈمنسٹریٹر) -۲۰۱۱ء

مزید برآں انہیں ۱۹۹۶ء میں عراقی علمی اکیڈیمی (المجمع العلمی العراقی) ' ۲۰۰۰ء میں عرب تنظیم برائے کتابتِ تاریخِ انساب (الهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب) اور ۱۹۹۷ء میں بغداد یونیورسٹی سے متعدد اعزازی ڈگریوں سے نوازا گیا۔

انہوں نے تاریخِ انساب میں دلچسپی لی اور اس اہم علمی کام میں ہمہ تن مشغول ہو گئے جس کے لئے وسیع معرفتِ علمی کی ضرورت ہوتی ہے۔ انساب کے مطالعہ اور تحقیق و تدقیق میں انہیں متعدد نامور عراقی اساتذہ سے سندِ اجازت حاصل ہے جن میں ڈاکٹر عماد عبد السلام رؤوف' ڈاکٹر علامہ سالم عبود الالوسی' میجر جنرل احمد خضر العباسی' شیخ خلیل الدلیمی' ڈاکٹر جمال الراوی شامل ہیں۔ انہیں اس پر فخر ہے کہ انہوں نے علمائے عظام مثلاً مفتیء دیارِ عراق الشیخ العلامہ عبد الکریم محمد المدرس' علامہ ڈاکٹر حسین علی محفوظ' علامہ ڈاکٹر علی الوردی' علامہ ڈاکٹر حسین امین' علامہ صالح احمد العلی' علامہ عبد الرزاق الحسنی وغیرہم کی مجالسِ درس میں شرکت کی ہے۔

انہوں نے متعدد تحقیقی مقالات' مضامین اور کتابیں تحریر کیں۔ ان کی نشر شدہ تحریروں میں حسبِ ذیل کتابیں شامل ہیں:

- "الامام عبد القادر الجيلاني- تفسير جديد"۔ مراجعہ معروف شاعر جناب فالح الحجية الكيلاني- مكتبة المصطفى ۔ قاہرہ۔ ۲۰۰۹ء

- "الشيخ عبد القادر الجيلاني رؤية تاريخية معاصرة"۔ مقدمہ ڈاکٹر عماد عبد السلام رؤوف۔ مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي۔ بغداد۔ ۲۰۱۱ء۔ جو در حقیقت ڈاکٹر لقاء الطائی اور ڈاکٹر رؤوف کی زیرِ نگرانی تحریر کردہ مقالہ ہے
- "بهجة الأسرار و معدن الانوار للشطنوفي، دراسة و تحقيق"۔ مقدمہ شیخ المورخین ڈاکٹر حسین امین۔ نشر شدہ بر نفخہ ءخاص السید احمد الکیلانی۔ الجیریا۔ ۲۰۱۱ء
- "أصول التاريخ الإسلامي"۔ مراجعہ ڈاکٹر حسین علی المحفوظ۔ مخطوطہ۔ ۱۹۹۹ء
- "تنقيحات دراسة تحليلية لنسب الإمام عبد القادر الجيلاني"۔ مراجعہ ڈاکٹر عبد القادر المعاضیدی۔ نشر محدود۔ جس کا ایک نسخہ المکتبۃ القادریہ میں محفوظ ہے۔ ۱۹۹۶ء
- "دراسات فی تاریخ الأوربی"۔ مقدمہ ڈاکٹر کمال مظہر احمد (زیرِ اشاعت)
- "التاريخ العثمانی تفسیر جدید"۔ مقدمہ ڈاکٹر عماد عبد السلام رؤوف
- "التاريخ الاسلامی رؤية معاصرة"۔ مقدمہ ڈاکٹر صالح احمد العلی
- "كتاب الاستشراق"
- "المدخل فی التاریخ"
- وغیرہم

ان کی تحقیقات اور مقالات میں حسبِ ذیل نوادر شامل ہیں:

- کتاب "الامام عبد القادر الجيلاني– تفسير جديد"۔ شائع شدہ مجلہ ء "فکر حر" ۲۰۰۹ء
- مخطوطہ "مهجة البهجة و محجة اللهجة"۔ شائع شدہ اخبار "الصباح" ۲۰۰۵ء
- مقالہ "مصطفى جواد و مخطوطة نادرة عن الكيلاني"۔ شائع شدہ اخبار "الصباح" ۲۰۰۶ء

- مقالہ "رشید عالی الکیلانی ابن دیالی المشورة"۔شائع شدہ اخبار "العراق" ۲۰۰۲ء
- مقالہ "المقدادية اصل التسمية"۔ نشر شدہ اخبار "العراق" ۲۰۰۲ء
- مقالہ "الشرق الاوسط و اصل التسمية"۔ آرٹس کالج عین شمس یونیورسٹی کے میگزین ۲۰۰۹ء میں نشر شدہ
- مقالہ "براغماتية السيد عبد الرحمٰن النقيب"۔شائع شدہ مجلہ ء "فكر حر" ۲۰۰۹ء
- مقالہ "الشيخ عبد القادر الكيلانى: جيلان العراق لا جيلان الطبرستان"۔آرٹس کالج عین شمس یونیورسٹی کے میگزین ۲۰۰۹ء میں نشر شدہ
- مقالہ "تفسير الجيلانى-دراسة فى نسبة التفسير للمؤلف"۔ شائع شدہ مجلہ ء "رؤى" ۲۰۱۰ء
- مقالہ "المؤرخ هشام جعيط-دراسة فى رؤيته للسيرة النبوية"۔شائع شدہ مجلہ ء "رؤى" ۲۰۱۰ء

اس کے علاوہ انٹرنیٹ کی مختلف ویب سائٹس پر نشر شدہ بے شمار مقالات بھی ہیں جو مختلف وسیع موضوعات پر مشتمل ہیں مثلاً عہدِ رسالت 'خلافتِ راشدہ' امویہ 'عباسیہ 'عثمانیہ کے ادوار' دورِ حاضر اور معاصر عربی 'اسلامی اور بعض مغربی شخصیات 'حضرت الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ اور انحائے عالم میں موجود آپ کی ذرّیت 'تاریخ عربی واسلامی میں انقلابِ حسینی کی اہمیت 'ابتدائی مورخ ابان بن عثمان 'امام غزالی علیہ الرحمہ ' امام رفاعی ' امام ابو مدین' امام بخاری(رحمۃ اللہ علیہم اجمعین)' شیخ ابن تیمیہ اور ان کی قومیت' شریف البعقوبی 'امین و مامون میکافیلی' ابتدائی طریقہء قادریہ 'الباز الاشہب کے معنیٰ' ثقافتِ صوفیہ -ایک ابتدائی مطالعہ 'امام ابو ادریس البعقوبی' مغل 'چنگیز خان' ہلاکو خان' تیمور لنگ' سلطنتِ فاطمیہ اور اس کے خلفاء' بغداد 'سمرقند 'کابل 'دلّی 'مقدادیہ اور اس کی وجہِ تسمیہ 'ناصریہ العراقیہ 'صویرہ العراقیہ 'عزیزیہ العراقیہ ' بابان'

سعدون 'محمد الفاتح'سلیمان القانونی 'مراد الرابع 'عبد الحمید الثانی 'شرقِ اوسط 'ماگنا کارٹا(Magna Carta)'عبد القادر الجزائری 'جمال الدین افغانی 'عبد الکریم قاسم 'الحبوبی۔ شاعر وامام 'السید محمد باقر الصدر 'مورخ دروبی اور عہدِ عثمانی میں خاندانِ قادریہ کی تاریخ کی تدوین میں ان کی مساعی 'الرینسانس(Alrinsans)' مترنیخ (Metternich)' بسمارک (Bismarck)' ہٹلر ' میکافیلی اور میکافیلیہ ' ونسٹن چرچل ' جون جیک روسو ' فرانسیسی انقلاب 'لویس ۱۴(Louis XIV)'لویس ۱۶(Louis XVI)'ماری انٹونیٹ(Maria Antonia)' نپولین اول 'نپولین ثالث ' جائزہء کتاب ''لینن -ایک قدم آگے دو قدم پیچھے(لینن– خطوة الى الامام خطوتان الى الوراء)''مورخ ول ڈیورینٹ(Willian Durant)کی کتاب قصہء فلسفہ (The Story of Philosophy)کا خلاصہ 'تاج محل 'الازہر 'قرویین(Qarawiyyin)'بدر شاکر السیاب 'یمن میں ما قبل اسلام سیاسی ودینی تنازعات مثل نجران۔

انہوں نے تاریخ کی تعلیم عراق کے متعدد نامور اساتذہء تاریخ پروفیسروں وڈاکٹروں سے حاصل کی جن میں عماد عبد السلام رؤوف 'کمال مظہر احمد 'فاروق عمر 'عبد الرزاق الانباری 'عبد القادر المعاضیدی 'خاشع المعاضیدی' عبد القادر الشیخلی ' جعفر عباس الحمیدی ' یقظان سعدون العامر ' حمدان الکبیسی ' قحطان عبد الستار الحدیثی ' ہاشم یحیٰ الملاح ' عبد الامیر العکام ' صادق یاسین الحلو ' مفید کاصد الزیدی ' محمد احمد الشحاذ ' عبد الامیر دکسن ' عبد الجبار ناجی ' فاروق عباس وہیب ' خضیر الجمیلی ' طارق نافع الحمدانی ' محمد جاسم المشہدانی ' محمد باقر الحسینی 'مزاحم علی عشیش البعاج 'ناھض عبد الرزاق القیسی اور محی ہلال السرحان شامل ہیں۔

ان کا نقطہء نظر ہے کہ ''تاریخ آج 'گذشتہ یا آئندہ کل کی پہچان نہیں بلکہ یہ ایک نہرِ حیات ہے جو اپنی اس مقررہ مدت تک جاری وساری ہے جسے علام الغیوب نے مقدر فرمادیا ہے تو تمام کی تمام تاریخ 'تاریخِ معاصر ہے اگرچیکہ اسے علمی بنیادوں پر منقسم کیا گیا ہے لیکن یہ ہمارے ساتھ رہتی ہے اور ہمارے لئے بڑی اہمیت کی حامل ہے اور ہمیں چاہیئے کہ ہم اپنی زندگی میں اس سے خاطر خواہ استفادہ کریں۔اس نظریہ کی بنیاد یہ

ہے کہ تاریخ کا گہرا مطالعہ بذاتِ خود ایک بہترین تجربہ ہے۔ تاریخ کے کسی عصر کی انتہا یا ابتداء کے تعین کے لئے کسی سال یا واقعہ کا انتخاب بعض اوقات حقیقتِ امر سے دوری کا سبب بن جاتا ہے کیونکہ تاریخ کی تبدیلی بتدریج اور مسلسل ہوتی ہے اور اس کی کڑیاں ایک دوسرے سے جُڑی ہوتی ہیں۔ تاریخ میں جو بڑے واقعات وقوع پذیر ہوتے ہیں وہ دراصل برف کے ان بہتے تودوں کی مانند ہوتے ہیں جن کا ایک رخ سطحِ آب پر ظاہر ہوتا ہے لیکن ان کا بہت بڑا حصہ اس سطح کے نیچے پوشیدہ رہتا ہے اور جنہیں ان کی حقیقت جاننی ہوتی ہے انہیں پانی کی گہرائیوں میں غوطہ زن ہونا ضروری ہوتا ہے۔ ہم میں اور اہلِ مغرب میں یہ فرق ہے کہ ہم تاریخ میں جیتے ہیں جبکہ وہ تاریخ کو سمجھتے ہیں اور اسے اپنی مصلحتوں کی پابجائی کے لئے استعمال کرتے ہیں۔ تاریخ دراصل انسان کو تہذیب سے روشناس کرتی ہے کیونکہ یہی وہ روشنی ہے جو ماضی کو ہمارے لئے ایسے ظاہر کر دیتی ہے کہ ہم اپنے حال و مستقبل کو بھی اسی روشنی میں دیکھ پاتے ہیں۔ ہمارے سیاسی 'اقتصادی 'اجتماعی 'دینی اور علمی نظام کی جڑیں گذشتہ نسلوں کی خاک میں مضبوطی سے گڑی ہوتی ہیں"۔

ملحقات

ا-جامعہ موصل 'عراق کی جانب سے عطا کردہ سندِ تعریف

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني المحترم

م/ شكر وتقدير

يقر مركز الدراسات الإقليمية بجامعة الموصل ، بأنك من الباحثين الجادين الذين خدموا المكتبة العراقية المعاصرة خدمة كبيرة من خلال دراساتك العلمية الدقيقة وخاصة في مجال تأصيل ما يمكن أن نسميه (الدراسات الكيلانية) المتعلقة بتاريخ وتراث شيخ بغداد الشيخ عبد القادر الكيلاني (ولادةً و وفاةً) .. بارك الله بجهودك ووفقك خدمة للحقيقة التاريخية الخالصة لوجه الله تعالى ...

الأستاذ الدكتور إبراهيم خليل العلاف

مدير مركز الدراسات الإقليمية

جامعة الموصل

٨ ذي القعدة ١٤٣٣ هـ

الموافق لليوم ٢٤ أيلول – سبتمبر ٢٠١٢

۲-جامعہ بغداد' عراق کی جانب سے عطا کردہ سندِ تعریف

University Of Baghdad
College of Education - Ibn Rushd
The Library

جامعة بغداد
كلية التربية - ابن رشد
المكتبة

((نزل القرآن الى العراق وبعث بالعراق الى القرآن))

No.: | العدد : ٦٨٥
Date: / / 20 | التاريخ : ٣/٤/٢٠١١

الى/السيد جمال الدين فالح الكيلاني

م/شكر وتقدير

تحية طيبة وبعد ......

لايسع كلية التربية /ابن رشد الا ان تقدم شكرها وتقديرها للسيد جمال الدين فالح لاهدائه نسخة عن مصنفه الموسوم (الشيخ عبد القادر الكيلاني :رؤية تاريخية معاصرة ١٠٧٧-١١٦٦م-٤٧٠-٥٦١هـ)الى مكتبة علوم القران التربوية والنفسية متمنين له دوام الموفقية والنجاح .

مع التقدير ......

أ.د.طارق نافع الحمداني
معاون العميد للشؤون العلمية

نسخة منه الى :
المومأ اليه
المكتبة

[illegible]
E-mail:ibn_rushd2004@yahoo.com

۳-صدر دفتر المجمع العلمی، حکومتِ عراق کی جانب سے ارسال کردہ مکتوبِ تشکر

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
ديوان الرئاسة
المجمع العلمي

العدد / ٨٠٣
التاريخ / ١٢ / رجب / ١٤١٧هـ
٢٣ / ١١ / ١٩٩٦م

السيد جمال الدين فالح الكيلاني المحترم
ص. ب ١٩٥ (باب المعظم)
بغـــــداد

تحيـة طيبـة :

تلقينا رسالتك الكريمة وقدرنا اهتمامك بالمجمع العلمي ، ونحن إذ نشكر لك هذا الاهتمام نود أن نبين لك أن المجمع العلمي يرحب بالتعاون معه في جميع المجالات العلمية وينظر الى الجهود العلمية الذي يبذلها الباحثون بعين الرعاية والاهتمـام .

وبصددُ مؤلفاتكم فانكم تستطيعون أن تقدموها الى المجمع لينظر فيها ، وأما بخصوص المسكوكات التي قد ترجع الى العصر السلجوقي فأن مديرية الآثار العامة مهتمة بها ولك أن تقدمها اليها .

نكرر الشكر والمجمع العلمي مستعد للتعاون مع جميع الباحثين الخيرين ونرحب باستقبالكم في المجمع لبحث الموضوع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدكتور ناجح محمد خليل الراوي
رئيس المجمع العلمي

۴-"اتحاد المورخین العرب" بغداد کا مکتوب جس میں دیالی کے ساداتِ کیلانیہ کے تدقیقِ نسب کی خواہش کی گئی ہے

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد المؤرخين العرب
الامانة العامة
الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب

Union of the Arab Historians
Office of General Secretary
The Arab Mission for Genealogy History Writing

العدد ......هـ ـ ن / ٧١......

التاريخ ٧ محرم ١٤٧٢ هجرية

الموافق ١ / ٤ / ٢٠٠١ ميلادية

No.: ....

Date :.............................

الاستاذ جمال الدين الكيلاني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحيل اليكم نسب السادة الكيلانيين في ديالى . نرجو تدقيقه واعلامنا .
مع التقدير .

المرفقات

شجرة نسب

أ.د. محمد جاسم المشهداني
الامين العام
رئيس الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب

نسخة منه الى

مقرر الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب / نرجو المتابعة مع التقدير .

ع

العراق - بغداد - المنصور - شارع النقابات - حي طرابلس - ص ب (٦٣٨٧) هاتف ٨٨٤٠٦٥٩-٥٣٧٢٨٧٥-٥٣٧٢٨٧٦-الفاكس: ٥٣٧٢٥١٦

Iraq-Baghdad-Al-Naqabat St. - P.O. Box (6378) - Tel.: 8840659-5372876-5372876-Cable Moarkheen- Fax: 5372516

۵-"انتخاب المورخین العرب" بغداد کا مکتوب جس میں ساداتِ حیالیین کے نسب کی تدقیق کی خواہش کی گئی ہے

بسم الله الرحمن الرحيم

Union of the Arab Historians
Office of General Secretary
The Arab Mission for Genealogy History Writing

اتحاد المؤرخين العرب
الامانة العامة
الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب

No.: ....
Date: ....

العدد هـ.ن / ١٣٢
التاريخ ١٥ / صفر / ١٤٢٢ هجرية
الموافق ٨ / ٥ / ٢٠٠١ ميلادية

الى / السيد جمال الدين الكيلاني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحيل اليكم نسب عشيرة (السادة الحياليين) .

نرجو تدقيقه .. واعلامنا .

مع التقدير .

أحمد خضر سلمان الدوري
مقرر الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب

نسخة منه الى

اضبارة العشيرة .

ع

العراق - بغداد - المنصور - شارع النقابات - حي طرابلس - ص ب (٦٣٧٨) هاتف ٨٨٤٠٦٥٩-٥٣٧٢٨٧٥-٥٣٧٢٨٧٦-الفاكس: ٥٣٧٢٥١٦
Iraq-Baghdad-Al-Naqabat St. - P.O. Box (6378) - Tel.: 8840659-5372876-5372876-Cable Moarkheen- Fax: 5372516

۶-"انتخاب المورخین العرب"بغداد کا مکتوبِ تشکر

إتحاد المؤرخين العرب
الإمانة العامة
العراق ـ بغداد ـ ص.ب : ٤٠٨٥
هاتف : ٤٤٣٨٨٦٨/٤٤٣٤٢٣٦ برقيا/مؤرخين/بغداد

UNION OF ARAB HISTORIANS
Offce of the General Secretary
Iraq - Baghdad P.O. Box 4085
Tel : 4438868/4434236 Cable Moarkheen Baghdad

بسم الله الرحمن الرحيم

العـدد : 338 / ت
التاريخ : 1996/12/1

Date : ....
No : ....

الاستاذ الفاضل جمال الدين فالح الكيلاني المحترم

م / اهداء كتاب (دراسه في عبد القادر الجيلاني)

تسلمنا بالغ الشكر والامتنان هديتكم الثمينه وبحثكم العلمي الرصين

ونود في هذه المناسبه ان نعبر عن اسمى آيات الاعتزاز والتقدير العالي

لمشاعركم النبيله نحو اتحادكم .

نشكر لكم هذه المشاعر الرائعه ونود ان نسجل اعتزازنا بهديتكم التي اتخذت

لها مكانا بارزا في مكتبتنا وفقنا الله جميعا في خدمة هذه المؤسسه العلميه

والصرح التاريخي العظيم .

وتقبلوا وافر تقديرنا

الدكتور
مصطفى عبد القادر النجار
الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

نسخه منه الى /
ـ المؤلف • جمال الدين الكيلاني / الباحث في جامعه بغداد
ـ الاستاذ سالم الالوسي / مدير عام مركز دراسات التاريخ
ـ المكتبه القادريه العامه ـ مع التقدير
ـ مكتبه اتحاد المؤرخين العرب
ـ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ـ لدراسه الكتاب وتقييمه ولكتابه تقرير عنه

۷-اجازت نامہ برائے تحقیق و توثیق و تصدیق انساب عطا کردہ معروف محقق و مورخِ انساب ڈاکٹر محمد منیر الشویکی الحسینی صدر نقابتِ اشراف لندن 'شام 'عراق واُردن



إجازة عامة

بالسند المتصل إلى بيت النبوة الأطهار في تحقيق وتوثيق وتصديق الأنساب

بسم الله الرحمن الرحيم

طلب الكبير إجازتي وهو الحري بأن يجيزا
فأجزت ممتثلاً له والحق كان هو المجيزا

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

الحمد لله الذي خلق الأنام من أبٍ واحد، وخلق منه زوجه وبثَّ منهما رجالاً ونساءً، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، بطوناً وأفخاذاً ليتعاطفوا. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ وعظَّم الرَّحم في صُدورهم، وأمر أن تتقى كما يتقى فقال جل جلاله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ وجعلها متعلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني. قال صلى الله عليه وآله وسلم: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر). وجعل صلتها في العمر زيادة، وعظَّم شأنها علماً بين الأنام، وجعله مشابهاً لعلم الحلال والحرام، فالعالم بالبطون والأفخاذ والأعقاب حاكم في الفروج والأصلاب، يلحق بها ما غمض على الناس إلحاقه، وينفي منها مااستفاض عندهم إتصاله وإلصاقه، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لعن الله الداخل فينا بلا نسب والخارج منا بلا سبب). وصلى الله وسلم على عبده المجتبى ونبيِّه المصطفى خير الأنبياء والمرسلين، سيد سادات العرب والعجم، الذي به شُرِّف علم النسب وبالإتصال إليه بلغ من بين العلوم أعلى الرتب للمخاطب بـ: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ وعلى آله أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم يقتدى، المنزل بحقهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وعلى أصحابه هداة الأنام والذين منهم القائل: (اعرفوا أنسابكم ولا تكونوا كنبط السواد، يسأل أحدهم عن نسبه، فيقول: أنا من قرية كذا).

أما بعد: فإن الإسناد والإجازة بالسند الصحيح المتواتر من خصائص هذه الأمة الإسلامية، وقد تفانى السادة العلماء النسابون في جمع رواياتهم فاهتموا في توثيقها ودونوها في جرائدهم ومشجراتهم وأضافوا إليها مافاتهم عن شيوخهم وأساتذتهم الأجلاء حتى أصبحت مقرونة بالإجازة عنهم بالسند الصحيح، ولما كانت العادة جارية بين العلماء قديماً وحديثاً بإجازة المفضول للفاضل، وأخذ الأكابر عن الأصاغر، حرصاً منهم على بقاء سلسلة الإسناد، ورغبة في اتصال ذلك بين العباد، طلب مني:

السيد الشريف الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني الحسني حفظه الله ورعاه

من باب رواية الأكابر عن الأصاغر أن أجيز له هذا السند المبارك كما أجزت بذلك، وإن كنت لست أهلاً للإستجازة فضلاً عن الإجازة، فلم أجد بداً من إمتثال ما أمر به، فأجزته بحق إجازاتي العامة عن مشايخي وأساتذتي الأعلام بجميع ما يصح لي على سبيل المثال، منهم: سيدي العارف بالله فخر الأشراف وخلاصة آل عبد مناف، الشريف الشيخ سيد محمد الحسيني القادري، نقيب السادة الأشراف وشيخ الطريقة العلية القادرية في الجمهورية العربية السورية، عن أبيه العارف بالله الشريف الشيخ أحمد الحسيني القادري الشهير بالأخضر أول نقيب للسادة الأشراف في الجزيرة الفراتية. وعن نقيب النقباء في العراق المؤرخ النسابة الشريف جواد بن الشريف محمد علي هبة الدين الحسيني الشهرستاني. وعن العلامة النسابة الشريف مهدي الرجائي الحسيني، عن شيخه سماحة العالم العلامة الشريف أبو المعالي شهاب الدين المرعشي النجفي الحسيني. وعن نسابة العالم الإسلامي الشريف الشيخ جمال الراوي الرفاعي الحسيني، عن جده الشريف الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي الحسيني، عن العالم العلامة الشريف الشيخ محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي الحسيني، نقيب السادة الأشراف في الدولة العثمانية، وعن العلامة الشريف الشيخ محمد حسين الحسيني الجلالي، وعن النسابة الشريف شاكر الموسوي البغدادي الحسيني. وعن النسابة الشريف جاسم الفحام الأعرجي الحسيني النجفي وعن نقيب العباسيين في بغداد النسابة الشريف أحمد خضر العباسي وعن الشريف الشيخ عبد الكريم الحمزاوي الحسيني، نقيب أشراف دمشق. عن أخيه الشريف الشيخ محمد فائز نقيب أشراف دمشق، عن ابن عمه الشريف الشيخ محمد سعيد الحمزاوي الحسيني نقيب أشراف الشام. وعن النسابة الشيخ عباس الدجيلي النجفي، وعن النسابة معين الأشراف الشريف أحمد الفلوجي الرفاعي الحسيني، وعن النسابة الشريف كاظم الدبحاوي الحسيني وعن الشريف الشيخ يوسف هاشم الرفاعي الحسيني، وعن النسابة الشريف صادق الحلي الحسيني، وعن النسابة الشريف الشيخ الدكتور كمال الحوت الحسيني رئيس جمعية السادة الأشراف في لبنان، وعن النسابة الشريف أحمد وفقي الجعفري الحسيني، وعن النسابة الشريف عيسى محسن الحسيني، وعن النسابة الشريف عبد اللطيف الشيخ علي المحاميد الحسيني، وعن الشريف الشيخ عبد القادر البغدادي الحسني، وعن النسابة الشريف عبد الحميد زيني عقيل الحسيني، وعن الشريف الشيخ أحمد السليماني الحسني الجزائري، وعن النسابة الشريف الشيخ محمد ديب السبسبي الحسيني، وعن النسابة الشريف الشيخ عبد العزيز الجيالي الكيلاني الحسني، وعن النسابة الشريف محمد غازي حسين آغا المكناسي الكانسي الحسيني، عن ابن عمه نسابة العترة الطاهرة الشريف محمد عقيل المكناسي المكانسي الحسيني الحلبي، عن النسابة الشريف شهاب الدين المرعشي النجفي الحسيني، والنسابة الشريف مهدي الكاظمي الحسيني، والنسابة الشريف محسن القوعي الإسحاقي الحسيني، وغيرهم كثير. هذا وقد أجزت:

السيد الشريف الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني الحسني حفظه الله ورعاه

بجميع ما يصح لي من إجازاتي العامة عن مشايخي وأساتذتي الأعلام إجازة عامة مطلقة، نعهد إليه في تحقيق وتوثيق وتصديق الأنساب وإيصال الفروع بالأصول مع الدقة التحري والأمانة في ذلك، وليعلم أن هذه الأجازة هي وثيقة رسمية. وأوصي المجاز المذكور بما أوصي به نفسي من ملازمة التقوى في السر والعلن، وأوصيه أن يحفظ لهم كل حرمة، إكراماً لجدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. وأن لاينساني ووالدي ومشايخي من صالح دعواته في خلواته وجلواته، وأن يكثر لي الدعاء بالعفو والعافية في كل الأيام، وخصوصاً في حسن الختام.

حررت هذه الإجازة بتاريخ: 2013/4/8م الموافق: 1434/5/27هـ

النسابة المحقق المؤرخ الشريف
الدكتور محمد منير الشويكي الحسيني
الرئيس التنفيذي للهيئة العالمية العليا للأشراف
الأمين العام للاتحاد العالمي لنقابات الأشراف / لندن
الأمين العام للسادة الهاشميين / سورية
رئيس المركز العالمي لتحقيق وتوثيق أنساب بني هاشم / العراق
المدير التنفيذي لمؤسسة الشريف أسامة المفتي الدولية / الأردن

Registered in LONDON
THE WORLD UNION OF ASHRAF SYNDICATES

۸-وزارتِ اعلیٰ تعلیم وسائنٹفک ریسرچ حکومتِ عراق کی جانب سے سندِ اعتراف

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Of Baghdad
Center of Revival of Arabian
Science Heritage

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مركز أحياء التراث العلمي العربي

No :
Date : / / 201

العدد : ١٤٨
التاريخ : ٨ / ٢ / ٢٠١٥

إلى / الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

م/ شكر

تحية طيبة .....

يعد كتاب جغرافية ألباز الأشهب إضافة أصيلة للمكتبتين العراقية والعربية . والباحث الدكتور **جمال الدين فالح الكيلاني** شخصية علمية وأكاديمية تمكن بجهده العلمي المميز من اكتشاف حقائق غفل عنها الآخرين ، في حقل التراث العلمي . امتاز هذا الكتاب بالرصانة العلمية ، واعتمد في كتابته على منهجيه علمية صارمة ، وعلى مصادر أصيلة .

نتقدم بوافر الشكر لكم لجهودكم تلك والى مزيد من العطاء .

أ.م.د. عبد الله حميد العتابي
مدير المركز

نسخه منه الى /////
- مكتب مدير المركز .
- الحفظ العام .

۹-وزارتِ اعلیٰ تعلیم و سائنٹفک ریسرچ 'حکومتِ عراق کا مکتوب

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Of Baghdad
Center of Revival of Arabian
Science Heritage

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مركز أحياء التراث العلمي العربي

No :
Date : / / 201

العدد : ٩٥٨
التاريخ : ١٧/٧/٢٠١٢

إلى / الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

م / شكر و تقدير

تحية طيبة...

لجهودكم العلمية المتميزة في تحقيق المخطوطات العربية وإزاء تلك الجهود لا يسعنا إلا ان نتقدم لكم بالشكر والتقدير والعرفان أملين المزيد من العطاء والتميز خدمة لتراث امتنا العربية والإسلامية ولبلدنا العراق العزيز .

مع التقدير...

أ.م.د. عبدالله حميد العتابي
مدير المركز

نسخة منه الى///
- وحدة الإدارة / مع الأوليات.
- الحفظ العام.

Baghdad- Al-Jadiriyah P.O.3 (47051)
Tel:7733621

rasiac@rasiac.uobaghdad.edu.iq
http://www.rasiac.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد- الجادرية- ص.ب (47051)
رقم الهاتف 7783621 مباشر

۱۰۔ مورخِ کبیر ڈاکٹر محمود اسماعیل (ولادت ۱۹۳۳ء مصر) مصنف کتب "سوسیولوجیا الفکر الاسلامی" اور "الحرکات السریة فی الاسلام" اور "المهمشون فی التاریخ الاسلامی" کا مکتوب

لقد نوه برصانة "جغرافية الباز الأشهب" ، جملة من الباحثين المعتبرين في الدراسات العربية والاسلامية الكلاسيكية ، وبات التحول عنها الى أطروحة مغايرة أو تفسير علمي أخر أمرا غير يسير ، وهذا القول لا يمكن أن يدخل في باب المبالغة والإفراط أو الإسراف ، فقد كان هناك جيل متمرس من الدارسين العرب أكثر نشاطا في الدراسات القادرية ، غير أن في الوقت الحاضر فأن جمال الدين الكيلاني ، واحد من أفضل القلائل في هذا المجال ، وبجلاء فأنه المرجع الاول بغير منازع ، فقد نشر في السنوات المنصرمة ، أو أعاد نشر عددا من المصادر "القادرية" الاساسية ، وهذه النشرات إنموذج للمعرفة الواسعة مع تفاصيل غنية ، في التعليقات الهامشية على إمتدادها وإشارات متعددة الى مصادر إضافية .

—محمود إسماعيل (مؤرخ)[14]

۱۱-روضہ ءمقدسہ حضرت الشیخ عبدالقادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کا باب الداخلہ



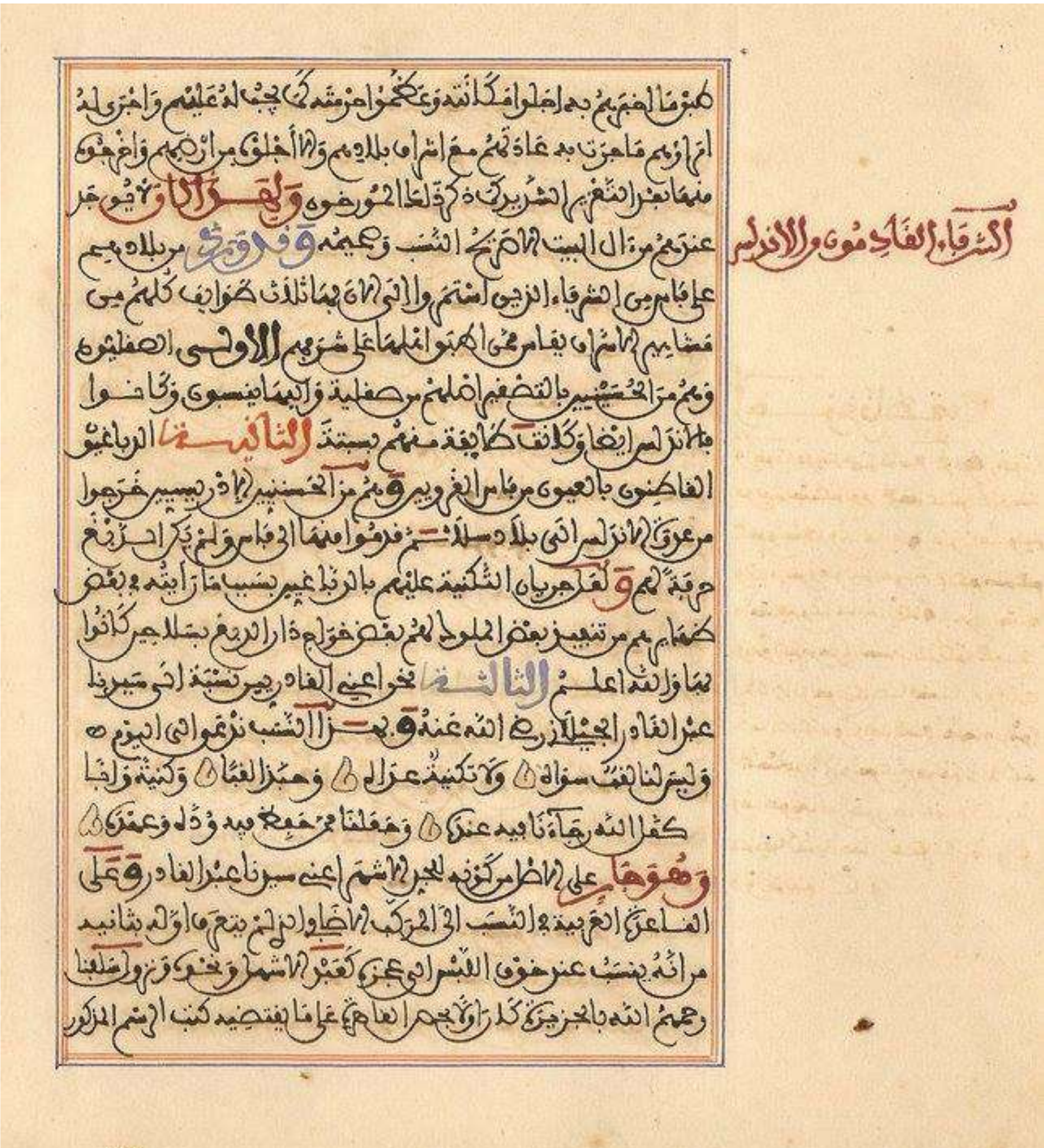
۱۲- مسجد و درگاہِ حضرت الشیخ عبدالقادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کا بیرونی منظر



۱۳-مسجد بارگاہِ حضرت الشیخ عبدالقادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کا اندرونی منظر



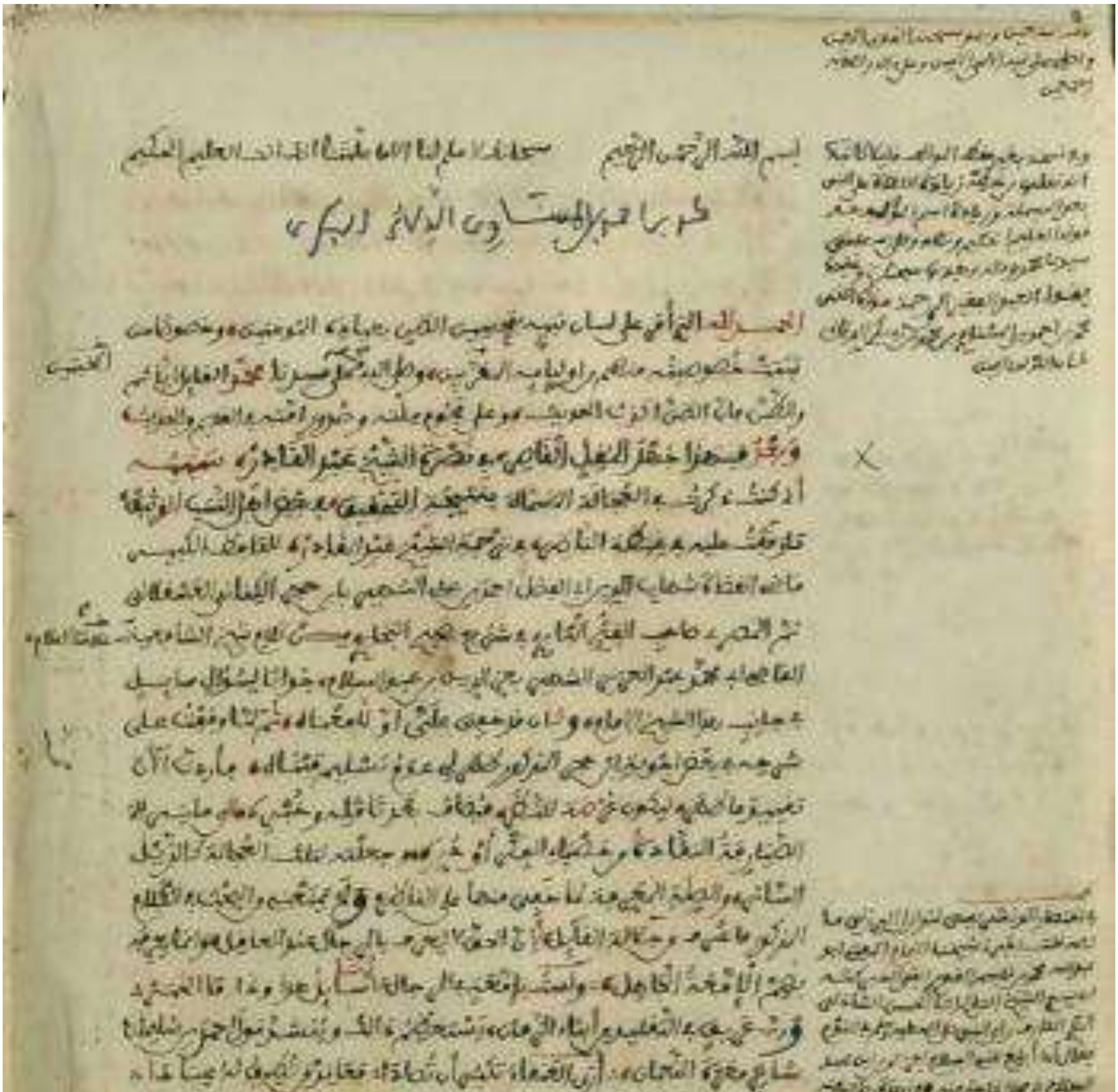
۱۴-اندلس آنے والے اشراف میں خاندانِ کیلانیہ کا ذکر



الشرفاء القادمون من الأندلس

لغير ما أصابهم به أهل أوطانهم وعظموا أمرهم كما يجب لهم عليهم وأجرى لهم
أرزاقهم ما جرت به عادتهم مع أشراف بلادهم ولما أخلوا من أوطانهم وأخرجوا
منها بعد أن تغلب بها الشرك كما ذكر لنا من حضره وبقي الآن يوجد
عندهم من آل البيت الأمر بحفظ النسب وتعظيمه وقد وفد من بلادهم
على فاس من الشرفاء الذين اشتهروا والذين أدركنا منها ثلاث طوائف كلهم من
مشاهير الأشراف بفاس محمي الحسب أعلمها على شرفهم الأولى الصقليون
وهم من الحسينيين بالتصغير أصلهم من صقلية وإليها ينسبون وكانوا
بالأندلس أيضا وكانت طائفة منهم بسبتة الثانية الرباطيون
القاطنون بالعيون من فاس القرويين وهم من الحسنيين لا الحسينيين خرجوا
من عدوة الأندلس إلى بلاد سلا ثم قدموا منها إلى فاس ولم يذكر أحد رفع
حرمة لهم ولقد جربت الشكاية عليهم بالرباط غير ما مرة بسبب ما رأيته في بعض
كتابهم من تقييد بعض الملوك لهم بعض خراج دار الدبغ بسلا حين كانوا
بها والله أعلم الثالثة بنو أعني القادريين نسبة إلى سيدنا
عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وبعض النسب نزعوا إلى اليوم ۝
وليس لنا نعت سواه ۞ ولا تكنية عن اسمه ۞ وحب القلب ۞ وكنية واجبا
كفى الله بعده نائبا عنه ۞ وجعلنا من حفظ فيه وده وعهده ۞
وهو جار على الظاهر من كونه للجد الأشهر أعني سيدنا عبد القادر وعلى
المتعارف الآن بينهم في النسب إلى المركب لا الطاولين لم يتعرضوا لذلك بثانيه
من أنه ينتسب عن جوف البشر إلى عجز كعبد الأشهل ونحوه قرنوا أسلافنا
رحمهم الله بالجزيرة كذا أولا يحمل العامة على ما يقتضيه كتب النسب المذكور

۱۵-مکتبہ مؤسسہ ملک عبدالعزیز؛ دارالبیضاء مراقش کا ایک وثیقہ



کتاب کے متعلق منتخب اقوال

۱-ڈاکٹر عبدالستار عزّالدین الراوی

پروفیسر فلسفہ جامعہ بغداد و سابق سفیر عراق برائے تہران

مجھے آپ کے علمی کارنامہ "جغرافیۃ الباز الاشہب" کے متعلق جان کر بے حد مسرت ہوئی اور آپ نے تحقیق و تدقیق کے اپنے اس اہم اور ذی اعتبار سفر میں جو محنت کی اور قابل قدر شواہد و آراء کے ذریعہ جن نتائج تک رسائی حاصل کی ہے اس کی میں تعریف کرتا ہوں۔ میرے لئے آپ کا حضرت عبد القادر الکیلانی رضی اللہ تعالیٰ عنہ کی شخصیت کو اپنے اس مقالہ کا عنوان بنانا اور پھر میرے عزیز دوست پروفیسر ڈاکٹر عماد عبد السلام رؤوف جیسے مورخ و مدقق کی زیرِ نگرانی اس کام کی تکمیل کرنا خود آپ کی اس علمی تحقیق اور فیصلہ کن توثیق کو معتبر کر دیتا ہے۔ خاص طور پر حضرتِ کیلانی جیسی بلند قامت شخصیت تاریخ میں مرکزی مقام کی مستحق ہے اس لئے کہ آپ عربی اور عراقی عالم' تصوفِ اسلامی کے اہم ستونوں کے منجملہ ایک ستون اور اس کے چار قطبوں میں سے ایک قطب تھے۔ آپ کا مدرسہء عرفانی چاروں طرقِ تصوف میں بڑی منزلت کا حامل ہے۔ چنانچہ طریقہء قادریہ نہ صرف اہلِ عراق میں روحانی اور وجدانی اہمیت کا حامل ہے بلکہ مشرق و مغرب میں کڑوڑوں اہلِ اسلام اس طریقہ میں شامل ہیں۔ اسی لئے میں سمجھتا ہوں کہ شیخ کیلانی رضی اللہ عنہ کے مقامِ اصلی کی تحقیق کے لئے آپ کی یہ گہری ریسرچ "جغرافية الباز الأشهب" بلاشک وشبہ بغداد کی یادداشت اور خزائنِ علمی میں بلند و بالا مقام کی حامل اور تاریخِ تصوفِ اسلامی کے آئندہ محققین کے لئے اپنی علمی بنیاد و نتائج کے باعث ایک دستاویز کی شکل میں ممد و معاون ثابت ہو گی۔ محققِ کریم کے لئے میری نیک تمنائیں پیش ہیں۔

۲۔معروف مصری مورخ و مفکر پروفیسر ڈاکٹر ایمن فواد سید

مشرف المراکز العلمیة' دار الکتب و الوثائق القومیة۔ مصر

مجھے اس عظیم علمی کاوش سے بڑی مسرت ہوئی جس کا مظاہرہ ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی نے اپنی کتاب "جغرافیۃ الباز الاشہب" میں کیا ہے' بڑی تحقیق اور مطالعہ کے بعد حضرت الشیخ عبد القادر الکیلانی رضی اللہ عنہ کی سیرت کو ایک جدید نقطہء نظر سے پیش کیا اور حضرت شیخِ کیلانی رضی اللہ عنہ کی جیلانِ عراق سے نسبت سے متعلق اپنی ان جدید معلومات کے باعث امتیاز کے حامل ہوئے۔ آپ نے جیلان کی جو وجہِ تسمیہ بتائی ہے وہ معروف مورخین کے اقوال اور تحقیقاتِ آثارِ قدیمہ سے موافقت رکھتی ہے۔ میں متمنی ہوں کہ ڈاکٹر جمال الدین کی توفیقات میں اضافہ ہو اور ان کے ذریعہ مزید علمی تحقیقات و نتائج منظرِ عام پر آئیں۔

۳۔معروف عراقی مورخ و مفکر پروفیسر ڈاکٹر فاروق عمر

صدر شعبہء تاریخ' جامعہء بغداد' عراق

میں نے آپ کی کتاب کا مطالعہ کیا اور پایا کہ آپ نے حقائق کے اظہار میں پوری دیانتداری سے کام لیا' ٹھوس وسائل پر اعتماد کیا اور ایک نہایت اہم موضوع کو کامیابی کے ساتھ پیش کیا۔ میں نے اس کتاب کو پڑھنا شروع ہی کیا تھا کہ مجھے آپ کی علمی قابلیت اور اس کی ادائیگی میں پختگی کا اندازہ ہو گیا۔ یہ یقیناً آپ کی علم اور ورثہء علمی سے محبت کا ثبوت ہے جو ہر زاویہ سے بجا طور پر آپ کی صلاحیت کی عکاسی کرتا ہے۔ آپ کی یہ کتاب تاریخ کے کتب خانوں میں ایک قیمتی اضافہ شمار ہو گی۔

۴۔معروف محقق و مصنف ڈاکٹر طارق نافع الحمدانی

پروفیسر تاریخ ابن رشد کالج' جامعہء بغداد' عراق

ہم ایک بار پھر ڈاکٹر جمال الکیلانی کی تعریف و توصیف کرتے ہیں جنھوں نے ذی احترام جدوجہد کے بعد ہمارے لئے یہ کتاب پیش کی جو نہایت ٹھوس جدید معلومات پر مشتمل ہے جن کے باعث وہ حقائق آشکار

ہو گئیں جن میں سے بعض الجھی ہوئی تھیں اور بعض یکسر پوشیدہ تھیں۔ مولفِ محترم کے لئے ہماری نیک خواہشات پیش ہیں اور ہم ان کی مزید تحقیقات کے منتظر ہیں۔

۵۔ معروف محقق و تنقید کار ڈاکٹر فاضل عبود التمیمی

پروفیسر کالج آف ایجوکیشن 'جامعہ دیالی' عراق

یہ ایک اہم کتاب ہے کیونکہ مؤلف نے اس کی تدوین میں تحقیق کے متفقہ طریقہء کار کے بموجب پختہ اور ثابت شدہ نصوص کو اختیار کیا ہے جن کے بعد کوئی شک و شبہ باقی نہیں رہتا۔ مزید یہ کہ انہوں نے اس خصوص میں جدید حوالہ جات کو بھی نہایت مدلل طور پر بے نقاب کیا ہے۔

٦۔ معروف محقق و مصنف پروفیسر ڈاکٹر رعد شمس الدین الکیلانی

صدر شعبہء اسلامک فلاسفی 'جامعہ بغداد' عراق

حضرت شیخ کیلانی رضی اللہ عنہ کی شخصیت علم و معرفت کا خزانہ ہے لیکن یہ امر باعثِ افسوس ہے کہ اس پر کماحقہ تحقیق نہیں کی گئی۔ ڈاکٹر جمال الدین نے جو قابل قدر کام کیا ہے اس سے علماء و محققین کے لئے حضرت بازالاشہب کی سیرتِ مبارکہ سے متعلق یہ کمی پوری ہو جاتی ہے۔ اس محقق نے حضرتِ شیخ رضی اللہ عنہ کی سیرت کا احاطہ تاریخی روایات کے تجزیہ کے ساتھ کیا ہے اور جو علمی نتائج سامنے آئے ہیں وہ ان کی فکر کی گہرائی و گیرائی کی دلیل ہیں۔ ہم دست بدعا ہیں کہ اللہ سبحانہ تعالیٰ محقق کی کاوش کو ان کی میزانِ حسنات میں شامل فرمادے۔

۷۔ معروف محقق و مفکر ڈاکٹر فہمی جدعانی

پروفیسر جامعہء اُردن 'عمان

جب ہم اہلِ عراق کی فکری 'ثقافتی اور علمی کارکردگی کو دیکھتے ہیں تو نہایت پُرامید 'خوش اور مطمئن ہو جاتے ہیں کہ اس "بلادِ رافدین" نے جو علمی و ادبی ضوفشانی کی ہے اس سے سرزمینِ مشرق و مغرب فکر و دانش

کے نور سے منور ہوگئی ہے۔ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی کی شخصیت بھی کچھ کم نہیں۔وہ بھی ایک قوی رافد ہیں اور مرکزِ علم و فکر و خلافت بغداد کے اسی عظیم سلسلہ کی ایک کڑی ہیں۔آپ سے ہماری روحوں میں امید کی لہر پیدا ہو جاتی ہے جو زبانِ حال سے کہتی ہے کہ "ہم امتِ عرب ہیں اور اب بھی زندہ ہیں"۔

۸-معروف محقق و مورخ ڈاکٹر سعد زغلول عبدالحمید

سابق صدر شعبہء تاریخ 'جامعہء اسکندریہ 'مصر

اللہ سبحانہ تعالیٰ اس کامیابی پر آپ کو جزائے خیر عطا کرے۔یہ بات یقینی ہے کہ جو عالمِ کبیر عماد عبد السلام رؤوف کا شاگرد ہوا اسے تاریخ دانی اور تاریخ نویسی میں یدِ طولیٰ حاصل ہوا اور یہی وہ احساس ہے جو مجھے آپ کی اس قابلِ قدر تحقیق "جغرافیۃ الباز الاشہب" کے مطالعہ کے دوران رہا۔

۹-معروف شاعرہ و ادیبہ ڈاکٹر اسماء صقر القاسمی

صاحبزادی شیخ صقر القاسمی 'امیر شارجہ

یہ کتاب امتِ اسلامیہ و عربیہ کی تاریخ میں عظیم و ذی و قار شخصیات کے متعلق الجھن دور کرنے کی ایک لائقِ ستایش کاوش ہے۔

۱۰-معروف محقق و مصنف ڈاکٹر یقظان سعدون العامر

پروفیسر جامعہء بغداد 'عراق

تاریخ کی گہرائیوں تک رسائی اور اس کی تہہ میں چھپی حقیقت کی تلاش بڑی مشقت کا کام ہے۔آپ نے اپنی اس تحقیق میں جس جانفشانی کا مظاہرہ کیا وہ قابلِ قدر ہے 'خاص طور پر اس لئے کہ حضرت الشیخ عبد القادر رحمۃ اللہ علیہ کے مقامِ ولادت کا مسئلہ عرصہء دراز سے متنازعہ رہا ہے۔تب سے جب کہ مملکتِ ایران نے حضرت علیہ الرحمہ کی قبرِ مبارک کی ایران منتقلی کا مطالبہ اس دلیل پر کیا تھا کہ آپ کا مقامِ ولادت جیلانِ ایران ہے۔

۱۱۔معروف مصنف محترم علاء الدین مدرس

سابق ڈائرکٹر وزارتِ صنعت و معادن'حکومتِ عراق

علمائے ربانیین'صلحائے امت اور مجددینِ ملت کے علمی ورثہ کا اہتمام اللہ سبحانہ تعالیٰ کی عبادت'حق اور نور کی جانب دعوت اور قرآنی تہذیب کا بیان ہے۔ حضور نبیءاکرم پیکرِ رحمت صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم کا ارشادِ مبارک ہے کہ "الناس کالابل المائة لا تکاد تجد فیها راحلة"یعنی لوگوں کی مثال ان سو اونٹوں کی ہے جن میں سواری کے لائق کوئی نہیں۔اور یوں نبیءکریم علیہ افضل الصلوٰۃ والتسلیم نے عامۃالنّاس میں متحرک مجددینِ ملت کی تعداد کا تعین ۱% فرمایا جو نہایت قلیل تناسب ہے اور جس سے مراد ہمارے درمیان بلکہ تمام تاریخ میں یہی نادر شخصیات ہیں۔امامِ مجدد حضرت الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ بھی طویل اسلامی تاریخ کے انہی سرکردہ مجددین ومھدیین میں شامل ہیں۔یہ وہ علوی سلفی صوفی امام ہیں جن میں عہدِ عباسی کے آخری دور میں جو اسلامی تہذیب کے جمود'تنزل اور زوال کا دور تھا تمام فضیلتیں جمع ہوگئی تھیں۔یہی وہ شخصیت ہیں جو اس وقت صلاح الدین ایوبی کی تحریکِ اخلاقی تجدد وجہاد وانقلاب کا سبب تھے جن کے ہاتھوں قدسِ شریف آزاد ہوا'بلادِ شام سے فسادی قوتوں کو اکھاڑ پھینکا گیا اور وہ اپنے مقام یوروپ واپس لوٹ گئے جو اس وقت پسماندگی اور بربریت کے تاریک دور کا شکار تھا'اور مشرقِ اسلامی مثل بغداد'قاہرہ اور قرطبہ میں جو تنویر پھیلی ہوئی تھی وہ انہی عظیم متحرک شخصیات کی دین تھی۔آپ کی کتاب "جغرافیۃالباز الاشہب" اپنے اہم مضمون کے باعث اسی منفرد پاک نسل کے الہامی ورثہ کی راہ پر بلند پرچم ہے جو منہجِ قرآنی پر عمل پیرا پہلی نسل یعنی آل واصحابِ رسول علیہم الرضوان کے قدم بقدم تھی۔حضرت شیخ عبد القادر رضی اللہ عنہ کے مقامِ ولادت تحقیق سے ظاہر ہے کہ ارضِ سلامتی وعلم وتہذیب عراق ہے اور یہی آپ کے اس مبارک سفر کا ثمرہ ہے۔یہ وہ عظیم عربی شخصیت ہیں جن کی سیرتِ مبارکہ اپنے سلفی'صوفی'معتدل سلوک ومنہج میں شجاعت'عفت اور حکمت سے ممیز اور مشکوٰۃ قرآنی اور سیرتِ مصطفیٰ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم سے مستنیر تھی۔طریقہء قادریہ نے جس سلوکِ اخلاق اور

مسائلِ اخلاقی کی بنیاد ڈالی وہ متوازن اور درمیانی شکل کی اور بعد میں ہونے والے اضافوں اور خرافات سے بعید ہیں۔ یہ ربانی قادری تصوف کے منہج کے وہ بنیادی اصول ہیں جنہیں حضرت الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ اور آپ کے مدرسہ نے نہایت خوبصورتی سے قائم کئے جو اس امت کے لئے کسی قیمتی ورثہ سے کم نہیں۔ حق تو یہ ہے کہ آج کے اس پُر فتن دور میں ہم اپنی طرزِ حیات میں اخلاق کریمہ 'سلوکِ فاضلہ 'معتدل متسامح منہجِ قرآنی کی واپسی اور اس کی تطبیق کے لئے اس رہنما کے محتاج ہیں تاکہ ہم اسی درمیانی ربانی منہج کی دعوت کے حامل ہو جائیں جس کی منہجِ نبوت پر بشارت ہمیں شیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ اور ان دیگر اسلامی اور انسانی مدارس و مذاہب نے دی ہے جو جوہرِ دین و اخلاق سے آراستہ ہیں۔ اللہ سبحانہ تعالیٰ آپ کے قلم میں برکت عطا فرمائے اور آپ کے ذریعہ ہماری لافانی تاریخ اور میراث سے متعلق مزید ممتاز و کارآمد خدمات سر انجام پائیں۔

۱۲- معروف مصنف ڈاکٹر موئذ الونداوی

مشیر 'اسٹراٹیجک اسٹڈیز سنٹر 'عراق

ایسی کتابوں کی بہت ضرورت ہے جو اعلیٰ قدر و قیمت کی حامل ہیں اور جن میں موجود مضامین میں محققین اور مخصصین کے لئے جدید معلومات کی جانب دعوت و تعارف کا اہتمام ہوتا ہے۔ اس کتاب کی تدوین کی عظیم مساعی کے لئے میں ڈاکٹر جمال الدین کا شکریہ ادا کرتا ہوں اور ان کی خدمت میں نیک خواہشات پیش کرتا ہوں۔

۱۳- ڈاکٹر احمد ہاشم السامرائی

پروفیسر لسانیات ولہجات 'جامعہ ءسامراء 'عراق

ہمارے ہاتھوں میں موجود یہ کتاب اپنے مضامین ' انداز اور اس کے مولف کے باعث بڑی قدر و قیمت کی حامل ہے۔ میں نے اس کا مطالعہ کیا تو پایا کہ یہ اس میں ریسرچ کا طریقہ اپنے موضوع اور اس کی گہرائی پر سختی سے کاربند ہے۔ برادرم ڈاکٹر جمال الدین نے ان امور تک رسائی حاصل کی جن تک میرے علم میں اس سے

قبل کسی کی رسائی نہ ہو پائی تھی اور یہ بجز فضلِ ایزدی ممکن نہیں۔ میں بھائی ڈاکٹر جمال الدین سے ملتجی ہوں کہ وہ ہمارے سرمایہء جاودانہ اور اولیائے صالحین کی مزید خدمت کریں۔

۱۴- معروف مورخ 'مفکر 'مصنف ڈاکٹر بشار عواد معروف

پروفیسر جامعہء اُردن 'عمان

ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی 'میں آپ کی اس علمی کاوش کے لئے مبارکباد پیش کرتا ہوں۔ آپ نے اپنی اس ریسرچ کے موضوع کا انتخاب بڑی کامیابی سے کیا جس نے حضرت الشیخ عبد القادر الکیلانی رضی اللہ عنہ جیسی عظیم دینی و علمی شخصیت سے متعلق جدید پہلوؤں کو بے نقاب کیا۔ میں دعا کرتا ہوں کہ آپ کو مزید عطائے علمی نصیب ہو۔ آپ نے جس شخصیت پر اپنا قلم اٹھایا وہ اپنے دنیائے علم و وقار میں بے مثال ہیں۔ اس پر عالمِ جلیل ڈاکٹر عماد عبد السلام رؤوف کی عنایت نے آپ کے اس قابلِ قدر مقالہ کی قدر و قیمت اور بڑھادی ہے جو ہمارے لئے باعثِ فخر ہے۔ آپ دونوں کی کوششیں مبارک ہوں۔

۱۵- معروف عراقی مفکر ڈاکٹر مصطفی الزلمی

پروفیسر جامعہء بغداد 'عراق

اللہ سبحانہ تعالیٰ آپ کو اس تحقیق کے لئے برکتیں عطا فرمائے اور اسے آپ کی میزانِ حسنات میں شامل کر دے۔ آپ نے حضرت الشیخ عبد القادر الکیلانی قدّس اللہ روحہ کی سیرتِ عطرہ کا احاطہ منصفانہ اور ایک بہترین انداز میں کیا۔ اپنے اس عملِ صالح کے ذریعہ آپ نے عراقی 'عربی 'اسلامی مکاتبِ علمی میں ایک تاریخی و تحقیقی مواد کا اضافہ کر دیا۔ آپ کی یہ تحقیق ہر کسی کے لئے باعثِ فخر ہو گی۔

۱۶-ڈاکٹر حمدان الکبیسی

پروفیسر کالج آف آرٹس' جامعہ بغداد' عراق

اللہ سبحانہ تعالیٰ آپ کی اس بہترین سعیٔ کبیر میں برکتیں عطا فرمائے۔ اللہ نے چاہا تو یہ مبارک وطیب کتاب عراقی' عربی اور عالمی ذخائرِ علمی خصوصاً تاریخ اور علم کے کتب خانوں میں اہم اور خوبصورت اضافہ ثابت ہو گی۔ ہم خدائے واحد واحد سے دست بدعا ہیں کہ اسے آپ کی میزانِ حسنات میں شامل فرمادے' آپ کو اس کے لئے جزائے خیر عطا کرے اور اللہ سبحانہ تعالیٰ آپ کی حفاظت فرمائے اور آپ سے علم اور علماء کی خدمت کا کام لے۔

۱۷-معروف مورخ پروفیسر ڈاکٹر ہاشم یحییٰ الملاح

سابق صدر جامعہ موصل و مشیر وزارتِ اعلیٰ تعلیم' حکومتِ عراق

دراصل ہمیں ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی کی تحریرات و تحقیقات کی عادت ہو چکی ہے اور ان کا یہ مقالہ اس کی ایک اور دلیل ہے۔ انہوں نے اس تاریخی تحقیق میں نہایت غیر جانبداری سے کام لیا اور اس تاریخی واقعہ کے تعاقب و تحقیق میں جو خاندانِ کیلانیہ کی تاریخ کا ایک حساس موضوع ہے ان کا یہ غیر جانبدارانہ رویہ قابلِ ستائش ہے جبکہ وہ خود اسی خاندان سے تعلق رکھتے ہیں۔ اللہ سبحانہ تعالیٰ ان کے لئے برکتیں نازل فرمائے اور ہم مزید تحقیقات کے منتظر ہیں۔

۱۸-معروف مصنف ڈاکٹر عادل المخزومی

سابق پروفیسر فلسفہ تاریخ' جامعہ مستنصریہ' عراق

جب قاری ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی کی اس کتاب کی اولین سطروں کا مطالعہ شروع کرے گا تو اس کے دل میں یہ خیال آسکتا ہے کہ ڈاکٹر جمال الدین نے جو کچھ لکھا وہ اپنے جدّ امجد سے اپنی محبت کے سبب ان کے دفاع میں تحریر کیا ہے اور وہ اس شخصیت کے لئے کی گئی مدح و ثنا کو اسی جذبہ سے دیکھے گا۔ میں جانتا ہوں کہ قاری

کا یہ تصور لاعلمی کی تاریکیوں کے باعث ہو گا لیکن جب وہ عراقی صوفی وفقیہہ تقدس مآب حضرت الشیخ عبد القادر الکیلانی رضی اللہ عنہ کے متعلق اس مقالہ کو آگے پڑھتا جائے گا تو وہ اپنے خیالات میں یکسر تبدیلی پائے گا لیکن یہ تبدیلی کس لئے ہو گی؟ اس کا جواب یہ ہے کہ وہ خود کو جہالت کی تاریکیوں سے صاحبِ موضوع کی شخصیت کی معرفت کی منور فضاؤں میں منتقل ہوتا پائے گا جن کی کوئی حد نہیں کیونکہ وہ اس عظیم علمی شخصیت کو زیادہ سے زیادہ پہچانتا جائے گا جو اہلِ عرب کی معروف شخصیات سے ہیں' جو حضور سید البشر علیہ الصلوٰۃ والسلام کی ذریت سے ہیں اور جن کی ولادت وپرورش عراق میں ہوئی۔ یقیناً یہ ہم جیسے متلاشیانِ کنوزِ معرفت کے اشتیاق میں زیادتی کا باعث ہو گا کہ ہم اپنے ان اصحابِ فضل وعطا کے متعلق جانیں جن میں سرِ فہرست وہ سرکردہ شخصیت ہیں جن کی فقہ 'جہاد' تصوف اور دیگر کئی بیش بہا خدمات کا تذکرہ اصحابِ اختصاص نے کیا ہے جس کے سبب غیر عراقی کو بھی حسرت ہوتی ہے کہ یہ نادر ونایاب جوہر ان کے خزانوں میں ہوتا۔ مختصراً یہ کہ میں برادرم ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی سے ملتجی ہوں کہ وہ میری جانب سے مبارکباد اور مزید تحقیقات کے لئے نیک تمنّائیں قبول فرمائیں۔ اللہ آپ کو اپنی حفظ وامان میں رکھے۔

۱۹- معروف مصنف ڈاکٹر قحطان الحدیثی

پروفیسر کالج آف آرٹس' جامعہ بغداد' عراق

بے شک ہمارے معاشرے میں کسی قابلِ اعتماد تحقیقی دستاویز کا تحریر کرنا نہایت اہم علمی کام ہے اور اس کتاب کا کیا کہنا جو عالمِ اسلام کی ایک اہم شخصیت کے مقامِ ولادت پر باوثوق تحقیق ہے اور جو حقیقتاً ہمیں اُن غیر تحقیق شدہ روایات سے دور لے جاتی ہے جو عرصہ دراز سے ہمارے درمیان پھیلی ہوئی تھیں۔

۲۰-معروف مورخ ڈاکٹر خالد ناجی السامرائی

پروفیسر جامعہ بغداد وصدر عرب عراق نیشنل الائینس'حکومتِ عراق

کوئی تعجب نہیں کہ قطبِ بغداد' عالم زمانہ بلا منازع'صاحبِ کرامات حضرت الشیخ عبد القادر الکیلانی رضی اللہ عنہ کے پوتے نے اس علمی اور سلجھے ہوئے انداز میں اپنے جدّ امجد کی سیرتِ عطرہ رقم کردی۔

آپ کی یہ ذہین کاوش عربی تصانیف میں محض ایک تصنیف کے اضافہ سے کہیں زیادہ بغداد کی نمائندہ شخصیت کی حیاتِ بابرکات کی وضاحت ہے جس کے انوار سے بغداد تابناک ہے اور کیوں نہ ہو کہ وہ اپنی تمام صفات میں بازِ اشہب ہے۔آپ کی یہ کتاب عربی ذخیرہ کتب میں عموماً اور خالص اسلامی تصوف کے مکاتب میں خصوصاً ایک قیمتی اضافہ ہے۔

۲۱-پروفیسر تاریخ ڈاکٹر نبیلہ عبد المنعم داؤد

صدر مرکز احیاء التراث العلمي العربي 'جامعہ بغداد'عراق

میں ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی کی ان مساعی کی تعریف کرتی ہوں جو انہوں نے امام و شیخ جلیل حضرت عبد القادر الکیلانی طیّب اللہ ثراہ کی سیرت میں اس لئے صرف کیں تاکہ اسلامی ورثہ کی تصحیح ہو جائے 'حضرتِ شیخ علیہ الرحمہ کے متعلق شکوک وشبہات دور ہو جائیں اور آئندہ نسلوں کی بلا تحقیق نقل کردہ معلومات کی بجائے ان تاریخی علمی حقائق اور صحیح معلومات کی جانب رہنمائی ہو سکے۔ میں سمجھتی ہوں کہ ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی کا یہ مقالہ تحقیقاتِ تاریخ کے سلسلہ میں ایک غیر معمولی کوشش اور مکاتبِ اسلامی کے لئے قیمتی تحفہ ہے۔اللہ سبحانہ تعالیٰ آپ کی کوششوں کو بابرکت فرمائے اور میں آپ سے تاریخِ اسلامی اور اس کی شخصیات کے لئے مزید تحقیق کی امید کرتی ہوں۔

۲۲- معروف عراقی مورخ و مصنف ڈاکٹر عبد القادر المعاضیدی

پروفیسر تاریخ 'جامعہ بغداد' عراق

اللہ سبحانہ تعالیٰ مقالہ نگار محقق جمال الدین فالح الکیلانی پر برکتیں نازل فرمائے کہ انہوں نے اپنی تحقیق کو بڑی دلچسپی سے سنوارا اور اس کا مستحقہ حق ادا کر دیا جبکہ شیخِ صالحِ اوّاب سیدنا عبد القادر الحسنی قدّس اللہ روحہ کی سیرت لکھی' ان کے مقامِ ولادت کی صحیح طور پر تحقیق کی اور اپنی تحریر کو اطمینان بخش دلائل 'ثبوت اور شہادتوں سے آراستہ کیا۔ اللہ سبحانہ تعالیٰ انہیں اس کے لئے جزائے خیر اور بے حساب برکتیں عطا فرمائے۔

۲۳- معروف عراقی مصنف ڈاکٹر عبد الامیر دکسن

ڈین شعبہء تعلیم 'جامعہء بغداد' عراق

میں بے حد مسرت کے ساتھ ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی کو ان کی اس ممتاز علمی خدمت کے لئے مبارکباد پیش کرتا ہوں جو انہوں نے اپنی باوقار تاریخی کتاب ''جغرافیۃ الباز الاشہب 'عبد القادر الکیلانی'' کے ذریعہ سرانجام دی ہے اور امید کرتا ہوں کہ وہ مزید تاریخی مقالات پیش کرتے رہیں گے۔

۲۴- معروف عراقی مصنف ڈاکٹر زیاد الصمید عی

ڈین شعبہء قانون 'جامعہء عراقیہ 'بغداد' عراق

عرصہء دراز سے میں سیدّنا الشیخ عبد القادر الکیلانی قدّس اللہ سرّہ العزیز کی حیاتِ طیبہ کا مطالعہ کرتا رہا لیکن میرے ذہن میں جو سوال اُٹھتے رہے مجھے کوئی ان کا جواب دینے والا نہ ملا تا آنکہ اللہ سبحانہ تعالیٰ نے مجھے علمائے تاریخ میں سے ایک عالم تک پہنچایا جن پر اللہ سبحانہ تعالیٰ نے اپنے فضل و کرم کا در کھول دیا ہے اور انہوں نے اپنی نادر کتاب ''جغرافیۃ الباز الاشہب'' کا تحفہ دیا جس سے مجھے میرے ذہن میں اٹھنے والے ان سوالات کا جواب مل گیا اور وہ تاریخ صاف ظاہر ہو گئی جس پر تزویر و تحریف کا غبار چڑھ گیا تھا۔ ہمارے عزیز ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی 'آپ کو اللہ سبحانہ تعالیٰ جزائے خیر عطا فرمائے اور آپ پر کشوفاتِ عرفانی کا سلسلہ جاری رکھے۔

۲۵۔معروف مصنف ڈاکٹر احمد شوقی العمرجی

پروفیسر شعبہء تاریخ' جامعہء اسیوط' مصر

محترمی ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی ' میں نے سیّدی عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ کے متعلق آپ کا مقالہء طیبہ پڑھا۔ یہ ایک قیمتی مطالعہ اور شاندار علمی کاوش ہے اور آپ نے اس موضوع کا احاطہ علمی طریقہ اور منہج پر کیا ہے جس کے لئے اللہ سبحانہ تعالیٰ آپ کو جزائے خیر عطافرمائے۔

۲۶۔معروف مصنف ڈاکٹر احمد ناجی الغریری

اسسٹنٹ پروفیسر آرٹس کالج' جامعہء کوفہ' عراق

اگر میں تاریخ کی اصطلاحی تعریف کروں تو یہ اشیائے جلیلہ کی حفاظت کا نام ہے اور یقیناً اس کے بعد تاریخ کی جو بھی تعریف آئی ہے وہ اس بنیادی معنی سے جدا نہیں ہے۔ یہیں سے ہر وہ مورخ جسے اپنے کام کا ادراک ہو' اپنے قلم کے واجبات کا پتہ ہو اور اپنے موضوع کی اہمیت کا اندازہ ہو اس تحقیق کی راہ نہیں چھوڑتا جس میں عامۃ النّاس کا فائدہ ہو۔ اور ہم سمجھتے ہیں کہ بنی نوعِ انسان میں سے اکابر وافاضلِ کرام کا تذکرہ خود تذکرہ نگار کی بھلائی اور فضیلت کی صفات کا بھی عکاس ہوتا ہے۔ ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی نے اپنی ذی وقار کتاب "جغرافیۃ الباز الاشھب" میں جو معرفت آگاہ مضامین تحریر کئے ہیں وہ اس امت کے تاریخ و تمدّن میں علمی اضافہ ہے جو ہر اس شخص کے لئے باعثِ فخر ہے جو اس سے کسی نہ کسی طرح وابستہ ہے یا جس پر اس کے ثمرات نمایاں ہو گئے۔ ہمارے لئے ' برادرم ڈاکٹر صاحب کے لئے اور اس یونیورسٹی کے لئے جس نے اس کارکردگی کو درجہء قبولیت عطا کیا یہ امر مبارک و مسعود ہے کہ ہمارے ساتھی نے یہ کارنامہ انجام دیا اور بے شک صاحبِ کتاب ہمیں اس طرح کے مزید تحائف بھی دیتے رہیں گے۔

۲۷۔معروف مصری مورخ ڈاکٹر السید عبدالعزیز سالم

پروفیسر تاریخ'جامعہ اسکندریہ'مصر

سیدِ محقق جمال الدین فالح الکیلانی 'میں آپ کو آپ کی معتبر علمی کاوش کتاب "جغرافیۃ الباز الاشہب" کے لئے مبارکباد پیش کرتا ہوں۔اللہ سبحانہ تعالیٰ آپ کو امتِ مسلمہ کے علمی ورثہ کی مزید تحقیق اوران پوشیدہ حقیقتوں کو بے نقاب کرنے کی توفیق دے جن پر آج بھی جہالت اور حقیقت ناشناسی کے پردے پڑے ہیں اور جس کی ہمیں اشد ضرورت ہے۔ میں آپ کے لئے اللہ سبحانہ تعالیٰ کی جانب سے مزید توفیق اور عطا کا طالب ہوں۔

۲۸۔معروف مورخ وعالم ڈاکٹر محمد مظفر الادہمی

پروفیسر الجامعة الملكية'عمان'اُردن

تالیف "جغرافیۃ الباز الاشہب" ایک بہترین اور مبارک کوشش کی عکاس ہے جس میں محقق ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی نے بڑے اہتمام اور ممتاز اندازِ تحقیق کا مظاہرہ کیا اور عربی اسلامی ذخیرہء کتب میں اس تصنیف کا اضافہ کیا تاکہ یہ بھی ان نہایت قیمتی کتابوں میں شامل ہو جائے جو اپنے معتمد حوالوں کے لئے مشہور ہیں۔ علاوہ ازیں اس کتاب میں جو علمی مواد ہے وہ اپنے مقصد میں محکم اور واضح ہونے کے باعث ممتاز اسلوب اور طریقہء تحقیق کی حامل ہے جس سے اُمّتِ عربی واسلامی کی نمائندہ شخصیات خاص طور پر عالمِ ربّانی جلیل القدر عظیم الفخر امام عبد القادر الکیلانی قدّس اللہ سرّہ الشریف سے متعلق صفحاتِ تاریخ کے اہم گوشے منّور ہو گئے ہیں۔ میں اللہ سبحانہ تعالیٰ سے دست بدعا ہوں کہ ہمارے محبوب محققین کو قول و عمل میں حقانیت نصیب ہو اور اللہ کے فضل و کرم سے ان کے ذریعہ ایسی مزید تخلیقات سامنے آئیں۔

۲۹۔معروف عراقی مورخ و محقق پروفیسر ڈاکٹر حاتم صالح الضامن

اسسٹنٹ ڈین 'فیکلٹی آف آرٹس' جامعہ بغداد' عراق

حضرت الشیخ عبد القادر الکیلانی رضی اللہ عنہ کی سیرت میں تحقیق آسان نہیں پُر خطر ہے اور یہ کام صرف وہی کر سکتا ہے جسے علمی تحقیق کا تجربہ ہو اور جو جوہرِ صبر سے لیس ہو۔ ڈاکٹر الشریف جمال الدین الکیلانی کو یہ کامیاب مشقت مبارک ہو کہ انہوں نے مکتباتِ تاریخ میں عموماً اور کتبِ تصوف میں خصوصاً ایک حقیقی اضافہ کیا ہے۔ میں امید کرتا ہوں کہ محققِ محترم اس خصوص میں مزید تحقیقات پیش کرتے رہیں گے۔

۳۰۔معروف مورخ و مصنف پروفیسر ڈاکٹر عبد الرزاق الانباری

صدر شعبہ تاریخ' جامعہ بغداد' عراق

یہ تالیف "جغرافیۃ الباز الاشہب" محقق ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی کی لائقِ تشکر کوشش کا نتیجہ ہے جس میں انہوں نے مشہور و معروف اور معتمد سمجھی جانے والی کتابوں میں پائی جانے والی ملاوٹ کی وضاحت کر دی اور یہ بات صاف کر دی کہ حضرت امام عبد القادر الکیلانی رضی اللہ عنہ کی ولادت' نشو نما اور وفات عراق میں ہوئی۔ اور جب ہم صفحاتِ تاریخ سے اس امامِ جلیل سے متعلق اس صفحہ کو دیکھتے ہیں تو ہمیں یہ حقیقت صاف و صریح طور پر نظر آتی ہے اور یہی اس علمی تحقیق کا امتیاز ہے۔ اللہ سبحانہ تعالیٰ برادرم ڈاکٹر جمال کو مستقبل میں ایسی مزید معرفت آمیز تخلیقات کی توفیق میسر فرمائے۔

۳۱۔معروف شاعر و ادیب ڈاکٹر مامون فریز جرار

اسسٹنٹ پروفیسر' جامعة العلوم التطبیقیه' عمان' اُردن

مجھے جب آپ کے اور میری والدہ کے جدِّ اعلیٰ قطبِ ربّانی سیدی عبد القادر الجیلانی قدّس سرّہ کے مقامِ ولادت سے متعلق آپ کی علمی تحقیق کا علم ہوا تو اس خبر نے مجھ میں حضرت علیہ الرحمہ سے متعلق مزید معلومات جاننے اور ان کی کتابوں کے مطالعہ کے شوق کو فروغ دیا۔ اس کی ایک وجہ یہ بھی ہے کہ امام عبد القادر

رضی اللہ عنہ حضرت امام بدیع الزمان النورسی علیہ الرحمہ مؤلف "رسائل النّور" کے اساتذہ سے ہیں جنہیں میں نے اسی وقت سے اپنا امام مان لیا جب میں نے "رسائل النّور" میں موجود اس علمِ لدّنی کو دیکھا جو اس دور کی اہم ضرورت ہے۔ اور قطبِ ربّانی سیدی عبدالقادر رضی اللہ عنہ نے ہی ہمارے استاذ النورسی رحمہ اللہ کی طریق الی اللہ کی جانب رہنمائی کی تھی۔ اللہ سبحانہ تعالیٰ ہمارے جدّامجد قدّس سرّہ کے وطنِ ولادت کی تحقیق میں آپ کی اس عظیم علمی کاوش میں برکت عطا فرمائے۔ آپ کی اس کتاب کے مطالعہ کے بعد مجھے ہمارے جدّامجد قطبِ ربّانی رضی اللہ عنہ کے متعلق آپ کی دیگر کتب و مقالات کو دیکھنے کا اشتیاق ہے۔ اللہ سبحانہ تعالیٰ آپ کو جزائے خیر عطا فرمائے' آپ کے علم کو نفع بخش کر دے اور ہمیں اپنے جدّ کریم کی برکات سے بہرہ مند فرمادے۔ آمین

۳۲۔ معروف محقق و مصنف ڈاکٹر عبدالرحمٰن علی الحجی

سابق پروفیسر تاریخ جامعات بغداد' ریاض' متحدہ امارات' کویت' یمن

ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی نے بڑی مبارک تحقیق کی اور اس حقیقت کا اظہار کر دیا کہ ہمارے جدّ امجد الشیخ عبدالقادر الکیلانی رضی اللہ عنہ کا مقامِ ولادت عراق ہے۔ ان کا اظہارِ حقیقت اور اندازِ تحقیق کا یہ عمل نہایت باوثوق' واضح اور تاریخ و امّت کے لئے ایک دستاویز ہے۔ اللہ سبحانہ تعالیٰ برکتیں عطا فرمائے اور ایسی مزید کتابوں کی توفیق دے۔

۳۳۔ معروف مورخ و مصنف ڈاکٹر علاء موسیٰ کاظم نورس

صدر شعبہء تاریخ جامعہء بغداد و مشیر وزارتِ خارجیہ 'حکومتِ عراق

ہمارے پیشِ نظر یہ کتاب مکتباتِ اسلامیہ میں عموماً اور عراقی مراکز کتب میں خصوصاً ایک قیمتی اضافہ ہے۔ اس کتاب میں محقق ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی نے حضرت شیخ کیلانی رضی اللہ عنہ کے مقامِ ولادت جیلانِ عراق پر جو محلِ اختلاف تھا' نہایت واضح' مدلل اندازِ تحقیق کے ذریعہ ضوفشانی کی ہے۔ میں اپنے اس مقام سے اللہ سبحانہ تعالیٰ سے ان کے عمل اور حیات کے لئے مزید توفیقات کی دعا کرتا ہوں اور ان سے خواہش کرتا ہوں

کہ وہ عراق کی عظیم تاریخ اور علمائے عراق کے متعلق ایسی مزید تحقیقات دنیا کے سامنے پیش کریں جسے اس کے دشمن مٹانے کی کوشش کر رہے ہیں۔

۳۴۔معروف مصنف پروفیسر ڈاکٹر عبدالستار مطلک درویش

صدر شعبہء تاریخ جامعہء دیالی'عراق

ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی' میں نے آپ کی دلچسپ کتاب کا مطالعہ کیا جسے آپ نے حضرت الشیخ عبد القادر الکیلانی قدّس سرّہ کے لئے مخصوص کیا ہے۔یہ آپ کے اور ہمارے لئے بڑے شرف کی بات ہے کہ ہم حضرت علیہ الرحمہ کی سیرت اور دعوت الی اللہ میں ان کے عظیم کردار کو جانیں۔اس کتاب نے حقائق سے متعلق بڑی اہم معلومات فراہم کی ہیں جو آپ پر اللہ سبحانہ تعالیٰ نے اپنے فضل سے کھول دی ہیں اور ان میں برکتیں عطا فرمادیں۔میں اس مبارک کاوش کے لئے آپ کو اور پروفیسر ڈاکٹر علامہ عماد عبدالسلام کو مبارکباد پیش کرتا ہوں اور دعا کرتا ہوں کہ اللہ سبحانہ تعالیٰ اسے آپ کی میزانِ حسنات میں شامل فرمادے اور متمنی ہوں کہ اس کتاب کی وسیع پیمانہ پر نشرواشاعت ہو۔آپ میرے عزیز بھائی ہیں اور میری دعائیں آپ کے ساتھ ہیں۔

۳۵۔معروف مصنف وخطاط ڈاکٹر عامر الجمیلی

اسسٹنٹ پروفیسر'شعبہءادب'قسم آثارِ قدیمہ'جامعہء موصل'عراق

میں نے آپ کی قابلِ قدر کتاب ''جغرافیۃالبازالاشہب''کا مطالعہ کیا۔اس کتاب میں مجھے خیرِ کثیر ملااور میں نے اوروں کی طرح اس میں موجود نعمتوں متوازن تنقیح'فنّی صلاحیت'تحقیقی طریقہء کار اور ان دلائل سے استفادہ کیا جن سے حضرت شیخِ کیلانی رضی اللہ عنہ کے مقامِ ولادت ونشو نما کے متعلق کوئی شک وشبہ باقی نہیں رہتااور یہی جدید تاریخی مطالعات میں بھی مذکور ہے۔آپ نے جن براہین اور حتمی ثبوتوں کا ذکر کیا ہے میں ان میں ایک اور دلیل کا اضافہ کرنا چاہتا ہوں کہ منطقہء''الجیل''یا''الگیل''یا''الگال''جو بغداد کے منطقہء مدائن کے نواح سے ہے'یہ اور واسط اور بعقوبہ کے درمیان واقع مشرقی عراق کے دیگر علاقے شمالی ایران جن میں

موجودہ گیلانِ طبرستان بھی ہے' سے زیادہ مذہبِ تصوفِ اسلامی کی ترویج کے روحانی مراکز کی حیثیت رکھتے تھے۔اور جس کسی نے ہمارے ساتھی ڈاکٹر محمد حسین علی السویطی کی کتاب "تاریخ واسط- دراسة فی الحرکة الفکریة خلال العصر العباسی" ڈاکٹر تحسین حمید مجید کی کتاب "تاریخ دیالی" ڈاکٹر ناجیہ عبداللہ ابراہیم کی کتاب "ریف بغداد" اور ایسی دیگر کتابیں پڑھی ہوں جن میں مشرقی عراق کے تاریخی جغرافیہ کا احاطہ کیا گیا ہے' وہ اس نتیجہ پر پہنچ جائے گا کہ یہ مناطق مذہبِ تصوفِ اسلامی کے ظہور' ترویج' نشو نما اور ترقی کے لئے سازگار ماحول کے حامل تھے اور یہیں سے جمیع انحائے عالمِ اسلامی مشرق و مغرب میں اس طریقہ کی اشاعت ہوئی-اس کا تفصیلی ذکر ان کتب میں موجود ہے جن میں مشہور علمائے تصوف اور طرقِ تصوف کی اتباع کرنے والوں کا ذکر موجود ہے اور جس سے عرب اور مسلم راہ پیما صرفِ نظر نہیں کر سکتے۔

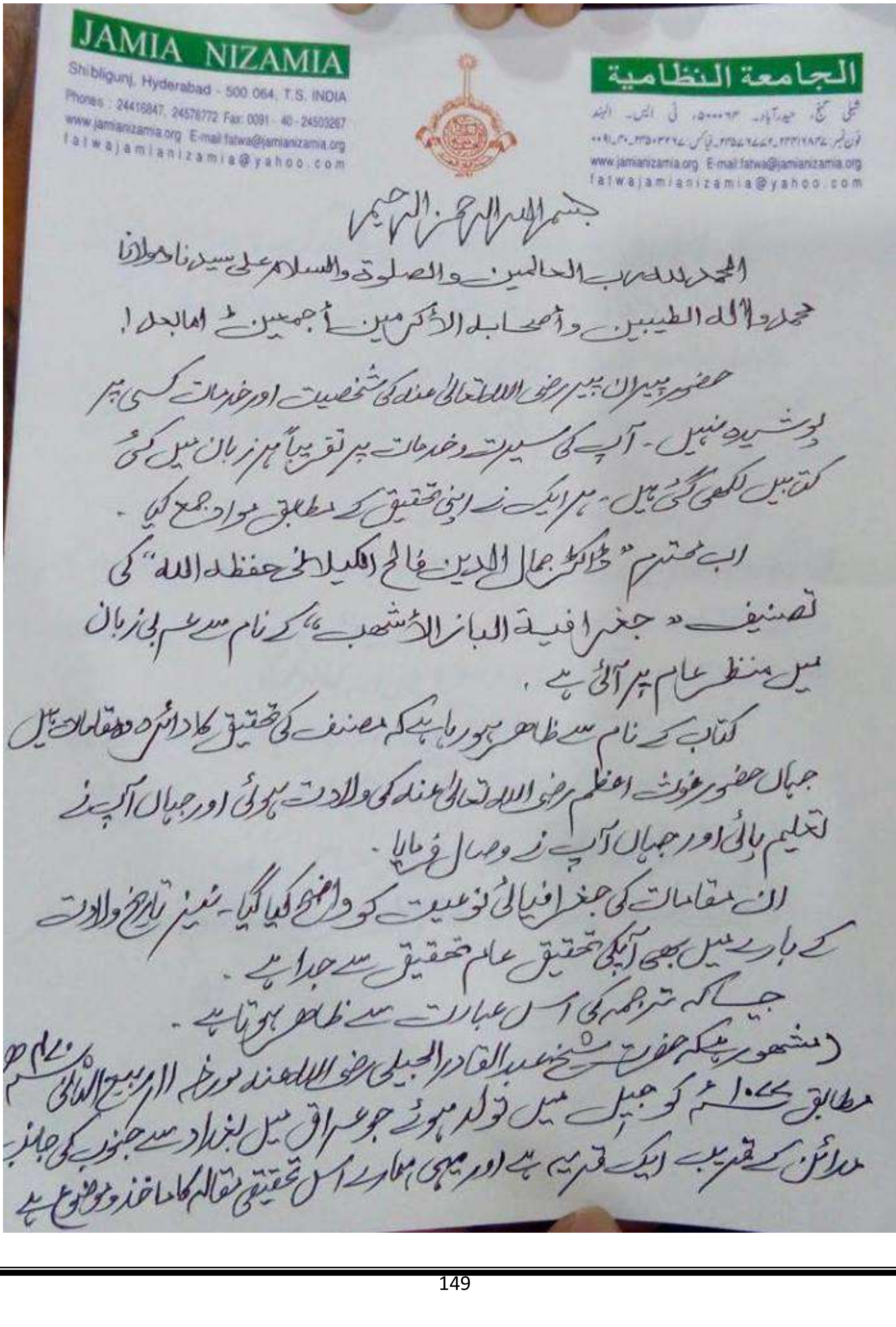
۳۶-معروف مصنف پروفیسر ڈاکٹر سامی مکی العانی

ڈین فیکلٹی آف آرٹس' جامعہ مستنصریہ' عراق

فاضل محقق ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی نے محققین کو آگاہ کرنے کے لئے بانگِ جرس اُٹھادی کہ وہ بلا تحقیق تسلیم شدہ معلومات کو قبول نہ کریں کیونکہ اکثر غلطیاں مرورِ وقت کے ساتھ اور بعد کے مصنفین کی بغیر جانچے قبولیت کے سبب حقائق میں شمار ہونے لگتی ہیں' بلکہ وہ ڈاکٹر جمال الدین الکیلانی کی اقتداء کریں جیسے کہ انہوں نے اپنی اس کتاب میں ایک آہنی دیوار کو منہدم کردیا جس سے ظاہر ہوا کہ جسے حقائقِ علمی کا ایک مضبوط ستون سمجھ لیا گیا ہو اسے بھی تحقیق علمی کی خاطر ہمت کے ساتھ غیر جانبدار تجزیہ اور متکرر گہرے مطالعہ کی ضرورت ہوتی ہے۔اور جب کسی محققِ جلیل کا ابتداء ہی سے یہ تنقیدی انداز رہے تو پھر اس کی پیش کردہ تحقیق علماء اور محققین کی محافل میں قدر و قیمت کی حامل ہو جاتی ہے۔

۳۷۔عکس تحریر مولانا مفتی خلیل احمد صاحب حفظہ اللہ

شیخ الجامعہ 'جامعہ نظامیہ 'حیدر آباد دکن



JAMIA NIZAMIA
Shibligunj, Hyderabad - 500 064, T.S. INDIA
Phones : 24416847, 24576772 Fax: 0091 - 40 - 24503267
www.jamianizamia.org E-mail:fatwa@jamianizamia.org
fatwajamianizamia@yahoo.com

الجامعة النظامية
شبلی گنج، حیدرآباد۔ ۵۰۰۰۶۴، ٹی ایس۔ الہند
www.jamianizamia.org E-mail:fatwa@jamianizamia.org
fatwajamianizamia@yahoo.com

بسم اللہ الرحمن الرحیم

الحمد للہ رب العالمین والصلوۃ والسلام علی سیدنا ومولانا محمد وآلہ الطیبین واصحابہ الاکرمین اجمعین اما بعد!

حضور پیران پیر رضی اللہ تعالی عنہ کی شخصیت اور خدمات کسی پر پوشیدہ نہیں۔ آپ کی سیرت وخدمات پر تقریباً ہر زبان میں کئی کتابیں لکھی گئی ہیں۔ ہر ایک نے اپنی تحقیق کے مطابق مواد جمع کیا۔

اب محترم "ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی حفظہ اللہ" کی تصنیف "جغرافیۃ الباز الأشہب" کے نام سے عربی زبان میں منظر عام پر آئی ہے۔

کتاب کے نام سے ظاہر ہو رہا ہے کہ مصنف کی تحقیق کا دائرہ وہ مقامات ہیں جہاں حضور غوث اعظم رضی اللہ تعالی عنہ کی ولادت ہوئی اور جہاں آپ نے تعلیم پائی اور جہاں آپ نے وصال فرمایا۔

ان مقامات کی جغرافیائی نوعیت کو واضح کیا گیا۔ نیز تاریخ ولادت کے بارے میں بھی آپکی تحقیق عام تحقیق سے جدا ہے۔

جیسا کہ ترجمہ کی اس عبارت سے ظاہر ہوتا ہے۔

(مشہور ہے کہ حضرت شیخ عبد القادر الجیلی رضی اللہ عنہ مورخہ ۱۱ ربیع الثانی ۴۷۰ھ مطابق ۱۰۷۷ء کو جیل میں تولد ہوئے جو عراق میں بغداد سے جنوب کی جانب مدائن کے قریب ایک قریہ ہے اور یہی ہمارے اس تحقیقی مقالہ کا ماخذ وموضوع ہے

JAMIA NIZAMIA
Shibligunj, Hyderabad - 500 064, T.S. INDIA
Phones : 24416847, 24576772 Fax: 0091 - 40 - 24503267
www.jamianizamia.org E-mail:fatwa@jamianizamia.org
fatwajamianizamia@yahoo.com

الجامعة النظامية
شبلی گنج، حیدرآباد۔ ۵۰۰۰۶۴، ٹی ایس۔ الہند
فون نمبر: [illegible] فیاکس: [illegible]
www.jamianizamia.org E-mail:fatwa@jamianizamia.org
fatwajamianizamia@yahoo.com

-۲-

کہ آپکی ولادت جیل عراق میں ہوئی نہ کہ جیلان طبرستان میں
جیسے بعض کتابوں میں بغیر تحقیق و تدقیق لکھا جاتا رہا ہے۔
اسطرح بعض امور میں اختلاف پایا جاتا ہے۔
مصنف موصوف خود بغداد کے رہنے والے اور خانوادہ قادریہ سے
تعلق رکھنے والے ہیں۔
اس کتاب پر عرب علماء کے تقاریظ بھی موجود ہیں۔
اس کتاب کی اہمیت وافادیت کے پیش نظر حضرت مولانا سید وحید پاشاہ
قادری رحمۃ اللہ علیہ کے نواسے جناب سید وحید القادری عارف حفظہ اللہ
نے اردو داں طبقہ کیلئے اردو زبان میں اسکا ترجمہ کیا۔
محققین کیلئے اور معتقدین کیلئے یہ کتاب مفید اور معلومات آفرین ہے۔
دعا ہیکہ اللہ تعالی مصنف علام کو جزائے خیر دے اور اس میں
مترجم وناشر اور مطالعہ کنندگان کو بھی شامل فرمائے۔
وآمین بجاہ سید الانبیاء والمرسلین صلی اللہ علیہ وآلہ واصحابہ وسلم

مفتی خلیل احمد
شیخ الجامعۃ النظامیۃ

۳۸۔ مکتوبِ تحسین بزبانِ عربی

مولانا مفتی خلیل احمد صاحب حفظہ اللہ (شیخ الجامعہ 'جامعہ نظامیہ' حیدر آباد دکن)

بسم الله الرحمن الرحيم

JAMIA NIZAMIA

Shibligunj, Hyderabad - 500 064 A.P. INDIA.

Phones : 4416847, 4576772

Fax : 0091 - 40 - 4503267

www.jamianizamia.org E-mail : fatwa@jamianizamia.org

الجامعة النظامية

شبلی گنج - حیدرآباد - ۵۰۰۰۶۴ اے پی - الهند

فون نمبر ۴۴۱۶۸۴۷ - ۴۵۷۶۷۷۲

فیاکس ۴۵۰۳۲۶۷ - ۴۰ - ۰۰۹۱

www.jamianizamia.org E-mail : fatwa@jamianizamia.org

File & Despatch No. / مشں ومجاریہ نشان

Date : / تاریخ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله الطيبين وأصحابه الأكرمين أجمعين أما بعد:

لا يخفى على أحد ما لسيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه من الفضائل الشخصية الجمة والخدمات الجليلة الباهرة في نشر الإسلام، وقد تناوله المؤلفون في مؤلفاتهم ودراساتهم، فما تركوا لغة من لغات العالم الشهيرة إلا وقد ألفوا فيها كتبا تبحث عن سيرته وفضائله وجهوده في نشر الإسلام والعقائد الصحيحة، وكل واحد منهم جمعوا المواد حسب تحقيقاتهم. وقد صدر حديثا كتاب في اللغة العربية بعنوان: " جغرافية الباز الأشهب" لصاحبه د. جمال الدين فالح الكيلاني حفظه الله.

ويبدو من عنوان الكتاب أن مجال المؤلف في هذا السفر هو الأماكن التي ولد فيها سيدنا عبد القادر الجيلي رضي الله عنه أو حصل فيها على العلوم أو توفي فيها.

وقد أثبت صاحب هذا الكتاب جغرافية هذه الأماكن ومواقعها، ومما يثير نقاشا بين الأوساط العلمية أنه أفرد في تعيين تاريخ ولادة الشيخ عن سائر المؤلفين الآخرين، وذهب إلى قول آخر لا يوافق قول الجمهور. وقد استدل بما ذهب إليه من الشواهد التاريخية وأقوال الرحالة والمؤرخين؛ يقول في كتابه:

"ولد الشيخ عبد القادر الجيلي في (جيل العراق) في ١١ ربيع الثاني وهو الأشهر، سنة ٤٧٠هـ الموافق ١٠٧٧م، في جيل العراق وهي قرية قرب المدائن جنوب بغداد، وهو ما نأخذ به نتيجة البحث، لا في جيلان الطبرستان كما يردد اعتماداً على رواية واحدة رددتها بعض الكتب بلا تدقيق أو نظر وهو موضوع بحثنا".

وقد قدم علماء العرب تقديمات لهذا الكتاب، ونظرا إلى أهمية هذا الكتاب وما احتواه من مواد علمي رصين نقله إلى اللغة الأردية سبط مولانا السيد وحيد باشا عليه الرحمة والرضوان السيد وحيد القادري حفظه الله تعالى.

وآمل أن هذه الترجمة ستفيد الباحثين والمحققين على نطاق واسع بإذن الله تعالى، داعيا المولى عز وجل أن يجزي مؤلف هذا الكتاب خير الجزاء وأن يجزي كذلك المترجم والناشر والقارئ.

آمين بجاه سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلّم.

شیخ الجامعہ
جامعہ نظامیہ

JAMIA NIZAMIA
20-3-160 Hussaini Alam,
HYDERABAD-500 064

۳۹۔ مکتوبِ تحسین پروفیسر مہ جبین اختر صاحبہ

صدر شعبہء عربی جامعہ عثمانیہ وڈائرکٹر دائرۃ المعارف العثمانیہ 'حیدر آباد دکن

نحمده ونصلي على رسوله الكريم ، أما بعد :

لاشك فيه أن الشيخ الجليل سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه يعدّ من كبار الصلحاء والزهداء والأقطاب الذي نوّر العالم بقداسته وصحبته وبتعاليمه المؤثرة على العالم العربي والعجمي لم يزل يستسقي ويستبرك المجتمع الإسلامي بفيوض تعاليمه الروحية ولايزال يستسقون بها حتى الآن.

وهذا شرف وافتخار لي أنني أرقم سطورا عن هذه الشخصية العظيمة ، إن صاحب الرسالة المحققة " جغرافية الباز الأشهب " للدكتور جمال الدين فالح الكيلاني قدم سيرة قطب عصره الكاملة فيها وأعتقد أنها مجهودة جبارة وناجحة.

وقام بترجمة هذه الرسالة في اللغة الأردية سيد وحيد القادري وهي ترجمة ممتازة جدا وهي حاجة مأسة لعامة الناس من عصرنا الحاضر ، وهذا الجهد سيكون هدية علمية لأصحاب الفكر والأدب من آداب اللغة الأردية ، وأهل اللغة الأردية سيعرفون عن جوانب حياة الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وتعاليمه الدينية والروحية مع أن الكتب المختلفة قد ألفت عن حياة الشيخ الجليل في شتى اللغات ولكن هذه الرسالة تتناول جوانب مختلفة عن حياته المجيدة وتعاليمه الخالصة فيلزم علينا أن نطالعها ، لأن المؤلف استدل عن ميزات سيرته بروايات معتمدة وغض البصر عن روايات غير معتمدة أو متروكة.

فأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا مطالعة هذه الرسالة وترجمتها الأردية واغفر لنا أجمعين يارب العالمين – آمين بجاه سيد الأنبياء والمرسلين

البروفيسور مه جبين أختر

رئيسة قسم اللغة العربية بالجامعة العثمانية

ومديرة دائرة المعارف العثمانية ، الجامعة العثمانية

حيدرآباد – الهند

Prof. Dr. MEHJABEEN AKTHER
Head Dept. of Arabic
Osmania University
Hyderabad-500 007.

۴۰۔مکتوبِ تحسین جناب مولوی احمد علی صاحب

کیوریٹر 'سالار جنگ میوزیم' حیدر آباد دکن

Ahmed Ali
Keeper (Mss)
SALAR JUNG MUSEUM
Hyderabad
Minisrtry of Culture, Govt. of India
E-Mail : ahmedali.sjm@gmail.com

احمد علی
محافظ شعبۂ مخطوطات
دار النوادر، سالار جنگ، حیدرآباد۔
وزارتِ ثقافت حکومتِ ہند

بسم اللہ الرحمٰن الرحیم

الی

الدكتور جمال الدين فالح الجيلانى حفظه الله ورعاه

باب المعظم بغداد، جمهورية العراق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرّني ويسعدني ان اقدم الى سماحتكم أكرم التهاني والتبريكات، حيث أنكم قمتم بدراسة سيرة سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى رضي الله عنه وفتحتم بابا جديدا في كتابكم، ومما لا شك فيه أن الكتاب **"جغرافية الباز الاشهب"** هو من أمتع الكتب وأنفعها المتعلقةبسيرة الشيخ وبالأخص في تحديد مكان مولده. وهذا الكتاب هو من نتاج جهودكم الجبّارة في مجال التاريخ، والذي لاقى قبولا واسعا بين الأوساط العلمية والتاريخية، وسيفتح بابا جديدا، ويوجه الدعوة لإعادة النظر في سيرة شيخنا من موارده الأصيلة ومصادره الحقيقية، والذي يقرأ الكتاب يجد أن المؤلف راعى فيه أصول البحث العلمي على وجه أتمّ، وكيف لا يراعي وهو من سلالة شيخنا، ويكفي لشهرة هذا الكتاب أنه طبع أربع مرات حتى الان وترجم الى لغات متعددة.

هذا واهنئكم مرّة ثانية من أعماق قلبي على هذا العمل المبارك، وأسأل الله تعالى ان يوفقكم لمزيد من الإنتاجات العلمية بمثله، وتقبل الله منكم هذه الجهود وجعلها في موازين حسناتكم.

والسلام

5/x/2016

الأستاذ احمد علي
أمين قسم المخطوطات
متحف سالار جنغ،
حيدر اباد، الهند.

AHMED ALI
CURATOR (MANUSCRIPT)
SALAR JUNG MUSEUM
MINISTRY OF CULTURE

ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی کی دیگر تالیفات

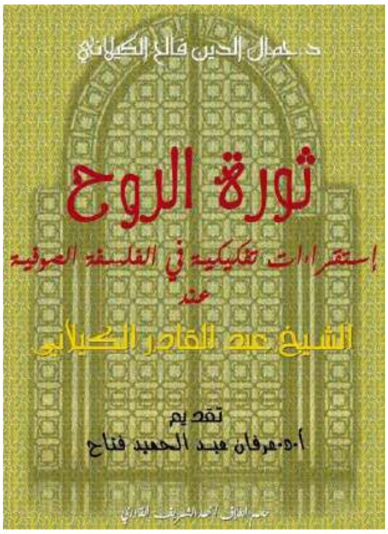


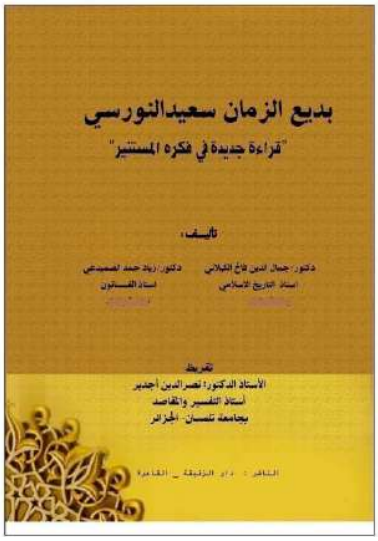








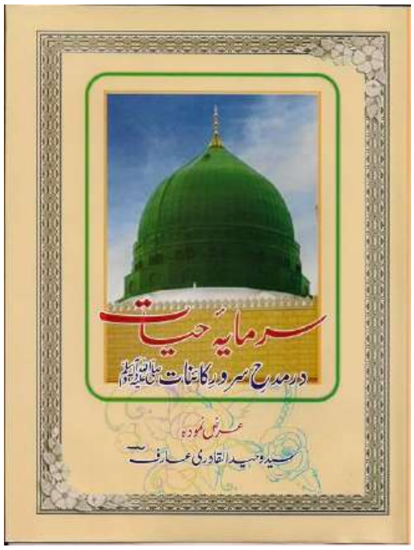


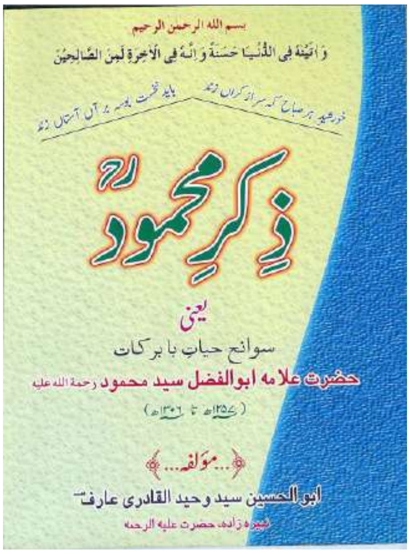


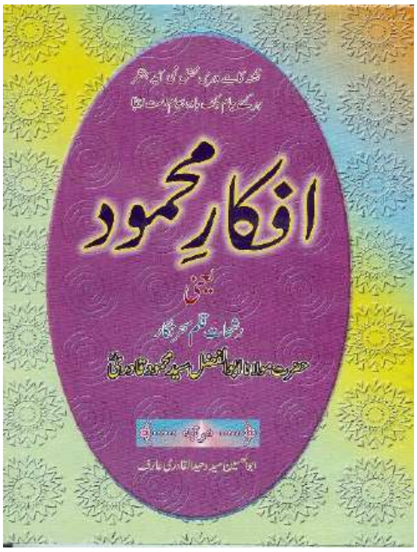


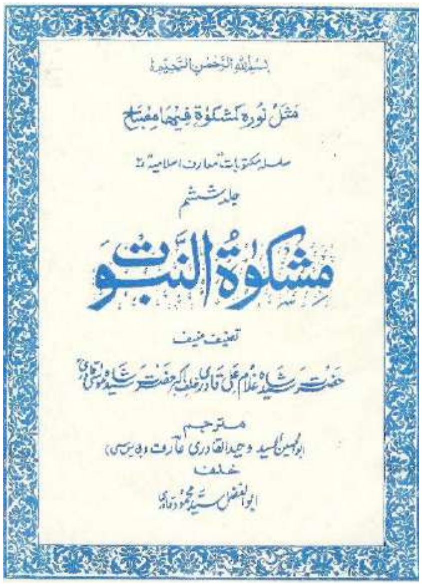


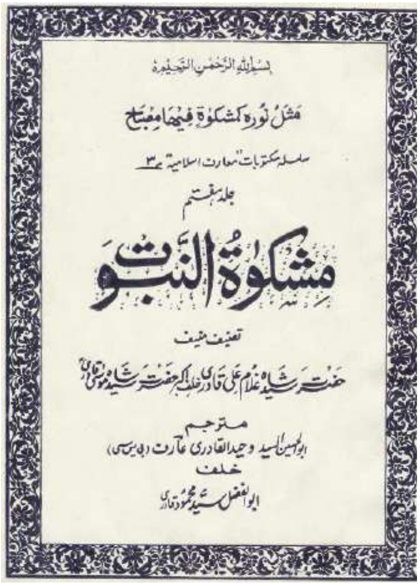
سید وحید القادری عارف کی دیگر کتابیں

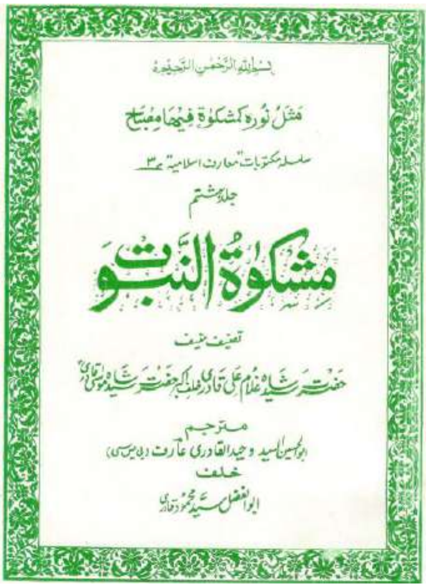


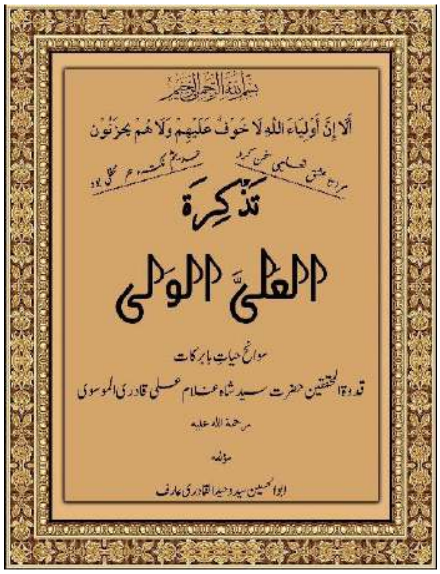


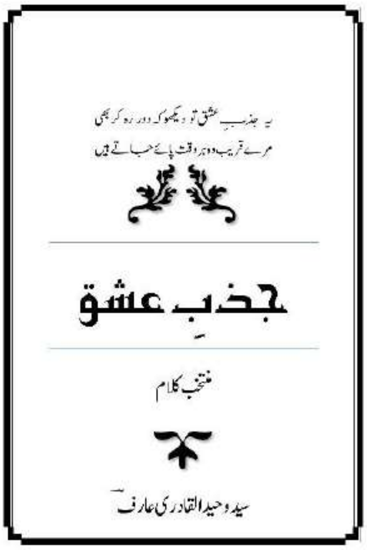












آراء بر کتاب

مولدِ قادری

کسی باشعور انسان کے پاس اگر کوئی غیر معمولی فن ہو تو وہ کبھی نہ کبھی 'کسی نہ کسی طرح منظرِ عام پر آجاتا ہے اور فائیدہ اُٹھانے والے اُس سے فائیدہ حاصل کرتے ہیں۔ جناب وحید القادری عارف نے کوئی تیس ۳۰ سال قبل "مشکوٰۃ النبوۃ" کا فارسی سے اُردو میں ترجمہ کیا تھا جس سے ان کی لسانی صلاحیتوں کا اندازہ ہوتا ہے۔ جنابِ عارف نے ایک بار پھر حضرت سیدنا عبد القادر جیلانی رح کی جائے ولادت وسیرت مبارکہ پر مبنی عربی زبان کے جامع مقالہ کا اُردو ترجمہ کر کے اپنی خداداد صلاحیت کا لوہا منوالیا ہے۔

ڈاکٹر توفیق انصاری احمد

عارف صاحب کو پڑھنے اور پھر ان سے ملنے کے بعد ان کے شعر وادب سے ہر اہلِ نظر متاثر ہوتا ہے۔ اُن کی زبان رفتہ اور اظہار برملا ہے۔ وہ جو کچھ کہتے اور لکھتے ہیں وہ دل کی آواز ہوتی ہے۔ ڈاکٹر توفیق انصاری احمد نے جب حضرت غوث اعظم دستگیر رح کے متعلق عربی مقالہ پر ان کے اُردو ترجمہ کا تذکرہ کیا تو میں نے ازراہِ عقیدت واعترافاً فوراً کتاب کی اشاعت کو ضروری قرار دیتے ہوئے اس کی اشاعت کے اہتمام پر زور دیا۔ خدا کا شکر ہے کہ یہ اُردو ترجمہ 'کتابی صورت میں اب منظرِ عام پر آرہا ہے۔ اُمید ہے کہ عوام وخواص دونوں اس سے مستفید ہوں گے۔

خلیل الزماں خان

صدیوں سے پیغمبروں 'بزرگوں 'صوفیوں اور دانشوروں پر ہر دور میں کتابیں لکھی جاتی رہی ہیں۔ "مولدِ قادری" بھی دیکھنے اور پڑھنے میں آئی کہ یہ کتاب حضرت سید عبد القادر جیلانی رح کی حیاتِ پاک پر عربی مقالہ "جغرافیۃ الباز الاشہب" کا اُردو ترجمہ ہے۔ یہ ترجمہ معیاری ہے اور اس میں ضروری مواد اور حوالہ جات کو سلیقہ سے پیش کیا گیا ہے۔ اس کتاب کی اشاعت پر میں بحیثیت مصنف "ورلڈ بگ بک" دنیا کے سات ارب پچیس کڑوڑ انسانوں کی جانب سے جناب سید وحید القادری عارف کو اُن کے کامیاب اُردو ترجمہ پر دلی مبارکباد پیش کرتا ہوں۔

یوسف قادری

ڈاکٹر جمال الدین فالح الکیلانی کے مقالہ کا اُردو ترجمہ میری نظر سے گزرا۔ مقالہ نگار نے نہایت خوش اسلوبی کے ساتھ حضور غوثِ پاک رح کی سیرت کے اُن بے شمار گوشوں کو منظرِ عام پر لایا ہے جو اہلِ علم کی نظروں سے آج تک بھی اوجھل رہے ہیں۔ چونکہ کسی بھی تحقیقی مقالہ کا عنوان اور معیار عام کتب سے نہایت بلند اور مختلف ہوتا ہے اور اس میں پیش کردہ مواد کو کسی نکتہ یا پہلو کو ثابت کرنے کے لئے حقائق 'دلائل اور حوالہ جات کے شکنجہ میں جکڑ دیا جاتا ہے اس لئے وہی کیفیت یہاں بھی پائی جاتی ہے۔ مجھے یقین ہے کہ مقالہ نگار کی یہ جد وجہد اور ترجمہ نگار جناب سید وحید القادری عارف کی یہ انمول کاوش اہلِ علم کے لئے نہایت مفید ثابت ہو گی۔

پروفیسر احمد عبد الحکیم

پرل پبلیکیشنز شکاگو الی نائے یو ایس اے

د. جَمالُ الدينِ فَالح الكِيلانِيُ

مِن الشَّك إلى اليَقِين

قِراءةٌ مُتأنِّية في نَسب الشَّيخ عبدُ القادِر الكِيلانِيُ

بَحثٌ نَقدِيٌّ في مَصادِر التَّاريخِ الوَسيطِ



تَقديم
أ.د. حُسين عَلي مَحفُوظ

المُشرِف على النَّشر: نصر الدِّين أجدِير

دكتور/جمال الدين فالح الكيلاني

من الشك إلى اليقين

قراءة متأنية في نسب

الشيخ عبدالقادر الكيلاني

"بحث نقدي في مصادر التاريخ الإسلامي الوسيط"

تقديم

الأستاذ الدكتور

حسين علي محفوظ

اسم الكتاب : من الشك إلى اليقين

تأليف : د/ جمال الدين فالح الكيلاني

تقديم : د/ حسين علي محفوظ

تنسيق : د/ أجدير نصر الدين _ تلمسان

الناشر: دار الزنبقة _ القاهرة

الطبعة الاولى ٢٠١٤

البريد الالكتروني: **E-mail :** unecriv@net.sy

الانترنيت : **Internet** : : aru@net.sy

بسم الله الرحمن الرحيم

فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ
فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ
فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ

صدق الله العظيم
"يونس ٣٢"

الإهداء

إلى أستاذي وشيخي ومعلمي
العلامة الأستاذ الدكتور
عماد عبد السلام رؤوف
أقدم هذا الجهد المتواضع

"جمال الدين"

شكر وتقدير

بعد أن أنعم الله عليَّ بهذا الجهد المتواضع، أتقدَّم بوافر الشكر إلى الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ " رح "، لتفضّله بكتابة تقديم الدراسة.
والشكر موصول لأستاذي الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف لمراجعته لها، ولجهوده في ترصين مادة الدراسة ،فجزاه الله خير الجزاء على حسن صنيعه.
وأسجِّلُ خالص تقديري للدكتورين "محي هلال السرحان"و"سالم الآلوسي"، لنصائحهما العلمية البناءة من فيض خبرتهما .
وإلى الدكتورين محمد جاسم المشهداني، الذي اطَّلع على المحاولات المبكرة للدراسة وقوَّمها و زياد حمد الصميدعي، الذي اطلع على النسخة الاخيرة وراجعها.
والى الدكتور ماجد عرسان الكيلاني، لاطلاعه على مسودة الدراسة وملاحظاته السديدة .
والى الدكتور نصر الدين أجدير على تنسيقه للكتاب وأشرافه على نشره .
والى الدكتور علي محمد حسن الصعيدي، على مراجعته للكتاب وتصويباته الكثيرة .
والى عديلي الشيخ عفيف الدين عبدالقادر الكيلاني ، لتشجيعه المتواصل .

الاختصارات و الرموز

ترمز الحروف والكلمات التالية إلى ما يقابلها أينما وردت في الدراسة:

ص:	صفحة
ج:	جزء
ق:	قسم
ع:	عدد
ت:	توفي
هـ:	هجري
م:	ميلادي
ط:	طبعة
د. ط:	دون طبعة
د. ت:	دون تاريخ نشر
د. م:	دون مكان نشر
د. ن:	دون ناشر

«ما كتب أحدا كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن: ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

"العماد الأصفهاني"

"رأيت كثيرا من الأشراف من يجهل نسبه ، ومن ذوي الأحساب من لم يعرف سلفه ، ومن قريش من لايعلم أين تمسه القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله "

"إبن قتيبة "

مقدمة

العلامة الدكتور حسين علي محفوظ

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يعد التاريخ مجرد سرد عاطفي للحوادث السياسية والعسكرية، وما يتصل بنشاطات الحكام وحياتهم، بل قامت محاولات كثيرة موفقة في وضع وتطبيق قواعد لتمحيص المعلومات وتثبيت الصحيح منها، ولقد اتجهت البحوث التاريخية إلى تحديد دراساتها في الزمان والمكان، فاخذت تتناقص البحوث العامة التي يتناول كل منها فترات طويلة او مجتمعات متعددة، وبداء يحل محلها دراسات عميقة لمنطقة معينة او مجتمع محدد اوشخص محدد او تفصيلة محددة، مما يتيح المجال لايستيعاب كافة المعلومات المتيسرة واظهار مختلف العوامل وكيفية تفاعلها وابراز صورة ادق واشد تماسكا عن حياة الانسان وكان من ثمار هذه الدراسات معلومات ادق واوفى وتعليلات اعمق وصور اوضح.

وقد نشر عدد كبير من الكتب نشرًا علميًا دقيقًا وظهرت دراسات نقدية عميقة، وازداد الاهتمام بدراسة جوانب من التاريخ، لم تكن تلقى اهتمامًا كبيرًا من الباحثين.

وبدأت ترسخ عند الباحثين الاكاديميين مثلًا عليا في نشر بحوث علمية تنسجم في أفاقها ومستواها مع الدراسات العلمية المقدرة في العالم.

يعد الشيخ عبدالقادر الجيلي، من الشخصيات الإسلاميةالكبيرة التي كان لها "دور مهم في التاريخ العربي الإسلامي"، والتي قدر لها أن تكون موضوعًا للعديد من الكتب قديما وحديثا، وكان من حسن الحظ ان يعكف باحث معاصر يتميز بالدقة وسعة الأفق والشعور بالمسؤلية والحماس لكتابة دراسات متعددة في السيرة القادرية، جديرة بالتقدير نظرًا لأن الصورة التي يقدمها والمستندة على معلومات غير قابلة للرفض، هي صورة جديدة معتمدة، تضيف إلى معرفتنا وتعدل كثيرًا من أفكارنا المسبقة.

إن دراسة الباحث جمال الدين فالح الكيلاني، تتناول موضوعًا مهمًا وتقدم معلومات موثوقة منظمة، نرجو أن تثير القارئ، وتفتح آفاقًا جديدة للباحثين، والله الموفق

د.حسين علي محفوظ

كلمة للاستاذ الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الأكرم السيد الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قرأت كتابكم في سهرتين كاملتين متتابعتين، فوجدته كما هو العهد في مؤلفاتكم القادرية، ينم عن نبل ظاهر في القصد، وعشق عميق للمقصود، فبارك الله فيكم في كل حين، وجعل مقصودكم شافعاً فيكم يوم تبعثون، بعد شفاعة جده، صلى الله عليه وسلم، بإذن رب العالمين .وإذ أدعوه تعالى أن يثيبكم على عملكم النافع خيرا، أرجو لكتابكم مزيد الذيوع والانتشار، كما لابد لي أن أشكركم شكرا خاصا لتفضلكم بكتابة ذلك الإهداء الرقيق، مما لا استحقه، لولا أدبكم الجم، ووفائكم النادر .

مع خالص مودتي.

الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف

تقريظ بقلم
الشيخ الدكتور / علي محمد الصعيدي . جامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدالله ورسوله النبي الهادي الأمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد، فلقد حاولَ الجيلانيُّ تهذيبَ عقيدةِ الوَلايةِ عند الصوفيةِ، وذلك لِمَا كان يَّتصِفُ بهِ الجيلانيُّ من الوسطيةِ وعدمِ المُغالاةِ، ولقدْ بَنَى مُعْتقدَه فِي الوَلايةِ عَلَى أَسَاسٍ هُوَ الكتابُ والسُّنةُ، لذلكَ فهِيَ عقيدةٌ راسخةٌ، لا يُمْكِنُ تسميتُها بنظريةٍ يُمْكِنُ التنظيرُ لها، بَلْ عَقِيدٌة ثابتةٌ، بصريحِ آيِ القُرآنِ ونُصوصِ السُّنةِ الثابتةِ الصحيحةِ، ويَعْتَمِدُ الجِيلانِيُّ عَلَى ما أَسَّسَهُ في عقيدتِه الخَالِصَةِ، مِنْ خلالِ ما ذَكَرَهُ في كِتَابِهِ الغُنْيَةِ (فالّذي يجبُ عَلَى المُبْتَدِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الاعْتِقادُ الصَّحِيحُ الّذِي هُوَ الأساسُ، فَيَكُونُ عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ أَهْلِ السُّنَةِ القَديمةِ سُنةِ الأَنْبِياءِ والمُرْسلينَ، والصحابةِ والتابعينَ والأولياءِ والصِّدِّيقينَ ...فَعَلَيْهِ بالتَّمَسُّكِ بالكتابِ والسُّنَّةِ والعَمَلِ بِهِمَا أَمْرًا وَنَهْيًا، أَصْلًا وفَرْعًا، فَيَجْعَلُهُمَا جَنَاحَيْهِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الطَّرِيقِ الواصِلِ إِلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، ثُمَّ الصِّدْقَ والاجْتِهَادَ، حَتَّى يَجِدَ الْهِدَايَةَ والإرْشَادَ إِلَيْهِ والدَّلِيلَ، وقائدًا يقودُه، ثُمّ مُؤْنِسًا يُؤْنِسُهُ، ومُسْتَراحًا يَسْتَرِيحُ إِلَيْه في حَالَةِ إِعْيَائِهِ ونَصَبِهِ وظُلْمَتِهِ، عِنْدَ ثَوَرَانِ شَهْوَتِهِ وَلَذَّتِه وهَنَاتِ نَفْسِهِ وهَوَاه المُضِل، وَطَبْعِهِ المَجْبولِ عَلَى التَّثْبيطِ والتَّوَقُّفِ عَنِ السَّيْرِ في الطَّرِيقِ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)(١)، وقال الحكيمُ:" مَنْ جَدَّ وَجَدَ" فبالاعتقادِ يحْصُلُ له عِلْمُ الحقيقةِ، وبالاجْتِهادِ يَتَّفِقُ لَه سُلوكُ الحقيقةِ، ثُمّ يَجِبُ عليه أنْ يُخْلِصُ مَعَ اللهِ عزَّ وجلَّ عَهْدًا بَأْنْ لا يرفَعُ قَدَمًا فِي طَرِيقِهِ إليْهِ، ولا يَضَعُهَا إلا باللهِ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَى اللهِ، فلا يَنْصَرِفُ عَنْ قَصْدِهِ بِمَلامَةِ مُلِيمٍ لأنَّ الصادقَ لا يَرْجِعُ، ولا بُوجودِ كرامةٍ فلا يَقِفُ مَعَها ويَرْضَى بِها عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ عِوَضًا، إذْ هِيَ حِجَابُه عنْ ربِّهِ مَا لَمْ يَصِلْ إليهِ عَزَّ وجلَّ، فإذَا حَصَلَ الوصولُ لا تَضُرُّه الكَراماتُ(٢) .

ومن هنا فإن الشيخ الجيلاني رحمه الله تعالى، كان صوفيًا حنبليًا عالمًا ورعًا، لذا ذكره إلى زماننا هذا، ولقد طعن فيه كثير من الأدعياء، لكن الرجل من ذلك براء، كما سنرى في كتاب الأستاذ الدكتور/ جمال الدين فالح الكيلاني، الذي انبرى للدفاع عن الشيخ ولي الله الجيلاني، حتى يبرهن لعموم الناس على طهارة الرجل وبراءته مما نُسب إليه، وهذا جُهدٌ يُحمدُ عليه، وإنني بعد مطالعتي لكتاباته قديمًا وحديثًا حتى تقريظي لهذا الكتاب، فكلمة حق تُقالُ في حق باحث مُجدٍ أفنى أقلامه وأبحاثهُ في الدفاع عن قضية يؤمنُ بها، ومن هنا فإنني أحمدُ له هذا الصنيع، ولقد جمع بين التأريخ والحديث عن التصوف المعتدل، ولقد وجدت بين دفتي كتابه المراجع الحنبلية من قِبلِ

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

(٢)الْكَرَامَةُ وَهِيَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ غَيْرُ مَقْرُونٍ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ وَلَا هُوَ مُقَدِّمَةٌ، يَظْهَرُ عَلَى يَدِ عَبْدٍ ظَاهِرِ الصَّلَاحِ، مُلْتَزِمٍ لِمُتَابَعَةِ نَبِيٍّ كُلِّفَ بِشَرِيعَتِهِ مَصْحُوبٍ بِصَحِيحِ الِاعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، عَلِمَ بِهَا ذَلِكَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَمْ لَمْ يَعْلَمْ . شمس الدين . أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي . لوامع الأنوار البهية ، وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية . الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها . دمشق . الطبعة: الثانية . ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ م، جـ ٢، صـ ٣٩٢.

الشيخ ابن رجب الحنبلي كما في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة وغيره ، ولقد جمع كثيرًا من كرامات الشيخ الجيلاني، وكل هذا سيتضح من خلال مطالعة الكتاب، والباحث المتميز من يُقارن بين أرآء المدافعين والمعارضين، ويُبت بواقع التجرد البحثي الحق، ثم يتلبس بالحق حيث كان، ولقد لمست ذلك في باحثنا، وختامًا فالله أسأل أن يجزي أخانا فضيلة الدكتور/ جمال الدين الكيلاني. خير الجزاء على هذا الجهد الطيب، وإن كنت أرجو من فضيلته أن يتوسع في مجال الحديث عن شيخ بغداد في عصره الشيخ الجيلاني، ولكن خشية الإطالة على القارئ آثر الحديث بغير إسهاب، فهنيئًا لك جهدك الطيب يا أيها البحاثة المؤرخ، والله أسأل أن يجعل هذا في موازين حسنات مؤلفنا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

الشيخ الدكتور

علي محمد حسن الصعيدي،

دكتوراه العقيدة والفلسفة الإسلامية،

وعضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر الشريف

الحقيقة والتاريخ

الى الذين يحرقهم الشوق الى الحقيقة
الى الذين يؤرقهم الخوف من الحقيقة
الى أولئك وهؤلاء جميعا
يساق هذا الحديث .

لطالما أُسرجت خيل الهمة لسنين خلت، أعدوا بها نحو سهوب الباز الأشهب التي لا تحد، ولطالما وجفت خيلي وكبت ، ووقفت وقفة المتهيب عن مغامرة كهذه، وكنت كلما أفردت أشرعتي لأخوض غمار بحره، رأيتها تنطوي من جديد، تشكو العجز والتقصير، وأي جُرأة الإحاطة بقامة تجاوزت المألوف واقتربت من الأسطورة، غير أن الرغبة الجامحة، بدل أن تخبو شعلتها ، تحولت مع الأيام إلى هاجس ملحاح.

لا تطمح هذه الدراسة الى تقديم تاريخ شامل للسيرة القادرية، بقدر ما تصبوا الى تصوير رؤية عصرية، تتسم بالجدة والصرامة والانصاف لدراسة "اشكالية" نسب الجيلي والتي طرحت مرارا من قبل البعض وبدوافع شتى، وفق رؤى "إيدولوجية" متعسفة. أقصد في هذا البحث إلى تحليل ونقد، هذا النسب، ولست أزعم بان أحدًا قبلي لم يلتفت إلى هذه المسالة، فلقد شغلت هذه الإشكالية عدة مهتمين عبر العصور.

رأينا أن نتجنب الوقوع في مستنقع آحادية الفروض والبراهين والقناعات المسبقة، وكان من أهم ما خططنا له، الخروج بدراسة واعية وجادة تستثمر كل الإمكانيات المتاحة بما فيها الهوامش والإشارات الدقيقة في بعض المصادر الموثوقة، وقراءة مابين السطور في البعض الآخر سعيًا لإكمال بعض الثغرات في الصورة الكلية للواقعة التاريخية.

وخاصةً قد صار جل اعتماد المؤرخين المحدثين، الذين كتبوا في التاريخ الاسلامي، على المصادر التاريخية المطبوعة الموجودة بين أيدينا، ولم يكلفوا انفسهم الرجوع الى المخطوطات المهمة والكتب النادرة، لسبر غورها وكشف أسرارها، وإظهار الجديد فيها، وحتى ذلك المطبوع، فان بعضه لم يلق حظه من البحث العلمي لظهوه مؤخرًا، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن قسمًا من هؤلاء المحدثين رددوا ما ردد غيرهم ممن سبقهم، دون التأكد من الخبر، بالرجوع إلى المصدر الأصلي للرواية، فوقعوا في نفس خطأ سابقيهم، وقد نبه الباحث إلى ذلك في مواطن عدة، ويرجع ذلك اساسا الى اشكالية المنهج والرؤية.

لا ريب أن المصادر العربية الإسلامية تحوي ما يكفي من المواد الموثوقة لدراسة هذه النسب. وكان همي أن أجد هذه المواد وأتفهمها وأحللها في ضوء الطابع العام لكل مصدر، وبالنسبة للمواد المستقاة من مصادر أخرى، كان لابد من بذل عناية كبيرة للتأكد من المعنى الدقيق، ولتحديد الاستعمال

المضبوط للعبارات والألفاظ المهمة التي استعملها جامعو المصادر والثقاة الذين نقلوا عنهم، إن هذا التفهم الأساسي حيوي لاستعمال هذه المصادر استعمالًا صحيحًا.

غايتنا من ذلك نشر الوعي التاريخي دون تفلسف اوتعقيد، تأسيسا على قناعة منا بأهمية هذا الوعي وتلك المعرفة في قراءة واقعنا الملغز والمضبب لنفض الغبار واماطة اللثام عن حقائق تاريخية قمينة ان تعرف بحد ذاتها "مسكوت عنها ولامفكر فيها"، هذا فضلا عن استلهام الدروس والعبر من التاريخ بأعتباره مستودع الحقيقة في التحليل الاخير.

ان تقديم مثل هذا الانجاز في الوقت الراهن، ماهو الا محاولة لتكريس العلم وتسخيره لخدمة اغراض عمليه، حتى لايصبح حكرا قاصرا على الصفوة المختارة، ودك اسوار الاكاديمية المتعالية لتتسرب المعرفة الى الناس صانعة التاريخ.

والله ولي التوفيق والهادي الى سواء الطريق

جمال الدين فالح الكيلاني

بغداد

مع الشيخ عبدالقادر الجيلي
"الرجل والتجربة"

رحلة مع الإمام عبدالقادر الجيلي.

الإمام السيد الشيخ عبدالقادر الجيلي (٤٧٠ هـ - ٥٦١ هـ) الموصفوف بـ "تاج العارفين" و"محيي الدين" و"شيخ الشيوخ" و"قطب بغداد" وسلطان الأولياء وأشهرها "الباز الأشهب" هو أبو صالح السيد محيي الدين عبد القادر الجيلي بن السيد موسى الثالث بن السيد عبد الله الجيلي بن السيد يحي الزاهد بن السيد محمد المدني بن السيد داود الأمير بن السيد موسى الثاني بن السيد عبد الله أبي المكارم بن السيد موسى الجون بن السيد عبد الله المحض بن السيد الحسن المثنى بن السيد الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب زوج السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد صلى الله عليه واله وسلم، ولد الشيخ عبد القادر الجيلاني ، في ١١ ربيع الثاني وهو الأشهر ، سنة ٤٧٠ هـ الموافق ١٠٧٧م، في قرية "جيل" العراق وهي قرية قرب المدائن جنوب بغداد، لا في جيلان الطبرستان كما يردد اعتمادا على رواية واحدة رددتها بعض الكتب بلا تدقيق او نظر[١].

روى الحديث عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني رجال من أمثال، الحافظ عبد الغني المقدسي، و الشيخ الموفق بن قدامة المقدسي، والشيخ علي بن إدريس البعقوبي، وأحمد بن مطيع الباجسرائي، وعبد اللطيف بن محمد بن القبيط، وغيرهم من أئمة الحديث وقرأ الشيخ الجيلاني الأدب على أبي زكرياء يحيى بن على التبريزي[٢].

---

(١) انظر: الكيلاني ، جغرافية الباز الاشهب ، قراءة ثانية في سيرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني وتحقيق محل ولادته وفق منهج البحث العلمي ، المنظمة المغربية للعلوم ، الرباط ٢٠١١ (المصادر المبكرة كلها تلقبه بالجيلي وأما الجيلاني والكيلاني فهي تحريف متأخر).

(٢) الشطنوفي، (مخطوطة) بهجة الأسرار، ص ٢٢٤.

وفي التصوف صحب الشيخ الجيلاني الشيخ حماد بن مسلم الدباس[١] (ت ٥٢٥ هـ) وأخذ عنه علم الطريقة و تأدب به، وأخذ الخرقة من يد أبي سعد[٢] المبارك بن علي بن الحسين المخرمي[٣] (ت ٥١٣ هـ)، وكان أبو سعد حنبلي المذهب وقد درس و أفتى وقبلت شهادته وولي قضاء باب الأزج[٤]، حيث بنى مدرسة هناك [٥].

ثم اشتهرت بالشيخ عبد القادر تلميذه " [٦]. وهكذا كان المخرمي شيخ الشيخ عبد القادر في الفقه وفي لبس الخرقة.

أما سلسلة مشايخ خرقة التصوف التي لبسها الجيلاني من المخرمي فيذكر أن المخرمي لبسها من أبي الحسن علي بن محمد القرشي الهكاري وهو من أبي الفرج الطرسوسي، وهو من عبد الواحد بن عبد العزيز، وهو من والده، وهو من أبي بكر الشبلي، وهو من أبي القاسم الجنيد، وهو من خاله السري

---

(١) انظر ترجمته . ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢١٥. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٥، ص.

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٤. التدافي، قلائد الجواهر، ص ٧.

(٣) أنظر ترجمته في: ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، (ت ٥٢١ هـ). طبقات الحنابلة، ٢ ج، (تحقيق محمد حامد الفقي)، دار المعرفة، بيروت، (د. ت.). ج ٢، ص ٢٥٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢١٥. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٥، ص ٣٥٩. مجهول، (مؤلف من القرن الثامن الهجري)، كتاب الحوادث، وهو الكتاب المسمى وهماً بالحوادث الجامعة و التجارب النافعة والمنسوب لابن الفوطي، ط ١، (حققه و ضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، الدكتور عماد عبد السلام رؤوف)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧. ص ١٦٧. ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٢، ص ٢٢٩. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٦٦ و المخرم اسم رجل وهي محلة ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧١.

(٤) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٢٥٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢١٦. والأزج بالتحريك، محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد فيها عدة محال كل واحدة منها تشبه ان تكون مدينة، و ينسب إليها كثير من أهل العلم (باب الشيخ حاليا). ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٦٨.

(٦) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٥، ص ٣٥٩.

السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو من حبيب العجمي وهو من الحسن البصري وهو من علي بن أبي طالب[١]، إلاّ أن "المعتبر في طريق الخرقة الصحبة" [٢]. وهناك مايشير أيضًا إلى أن الجيلاني أخذ التصوف عن الشيخ أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمذاني الزاهد [٣] (ت ٥٣٥ هـ) لما قدم بغداد [٤]. وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلاني يكتب إسناد خرقته لمن يلبسها منه[٥].

هذا، ويعود تاريخ صحبة الجيلاني للشيخ حماد الدباس إلى سنة ٤٩٩ هـ[٦] وما بعدها. ويبدو أن سنوات الخلوة التي قضاها الجيلاني في سلوكه الصوفي كانت خلال فترة صحبته للشيخ حماد الدباس. وقد كانت خلوة بعد تفقه آنذاك، وفي ذلك قال الجيلاني بعد أن سلك الطريق الصوفي وصار من الواصلين: "المؤمن من يتعلم ما يجب عليه، ثم يعتزل عن الخلق و يخلو بعبادة ربه عز وجل" [٧]، وقال أيضًا" القوم تفقهوا ثم اعتزلوا عن الخلق بقلوبهم. ظواهرهم مع الخلق لإصلاحهم، وبواطنهم مع الحق عز وجل في

---

(١) الجيلاني، عبدالقادر، (ت ٥٦١). فتوح الغيب، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤. ص ١٣٥. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨،ق ١، ص ٢٦٦. الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٦٨١-٦٨٢. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٧-٨ .

(٢) التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨.

(٣) أنظر ترجمته في قلائد الجواهر ص٢٣.

(٤) التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨، نقلها التادفي عن إبراهيم الدّيري الشافعي مؤلف كتاب "مختصر الروض الزاهر".

(٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١٤.

(٧) الجيلاني، محي الدين أبو محمد عبدالقادر بن موسى، (ت ٥٦١ هـ). الفتح الرباني والفيض الرحماني، ط ١، دار الجمل، (المانيا)، ٢٠٠٧ ص ١٥٣.

خدمته وصحبته" [(١)]، وقال أيضًا: "تعلّم ثم اعمل ثم انفرد في خلوتك عن الخلق، واشتغل بمحبة الحق عز وجل. فإذا صح لك الإنفراد والمحبة قربك إليه وأدناك منه وأفناك فيه، ثم إن شاء يُشهرك ويُظهرك للخلق، ويُردُّك إلى استيفاء الأقسام... تستوفي الأقسام وقلبك مع الحق عز وجل"[(٢)].

وقد أوصى الجيلاني أحد طلبة العلم الذين رغبوا بأن ينقطعوا للعبادة فقال له: "إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب، و إلاّ فتنقطع و أنت فُريخ ما ريشت" [(٣)].

وقد ترجمت المصادر المتقدمة[(٤)] للشيخ عبد القادر الجيلاني في حال شهرته ولم تفصل فيما جرى له في حال سلوكه وخلوته التي قضى فيها سنين طويلة.

وعلى كل حال فإن مايجده الصوفي في حال خلوته ومجاهدته هي من الأمور التي يندر أن يتكلم عنها الصوفية بالتفصيل، إلاّ أن الشطنوفي ينسب للشيخ الجيلاني ذكره تفصيل كثيراً مما كان يجده في حال خلوته من مشقة وأمور عجيبة ووصفه لها يعطي صورة نموذجية لما يواجهه الصوفية في خلواتهم، فمن ذلك قوله: "كانت الأحوال تطرقني في بدايتي في السياحة، فأقاومها فأملكها فأغيب فيها عن وجودي، وأغدوا و أنا لا أدري، فإذا سُرّي عني من ذلك وجدت نفسي بعيداً عن المكان الذي كنت فيه" [(٥)]، وقال: "أقمت في

---

(١) الجيلاني، الفتح الرباني، ص ٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧١.

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩٧.

(٤) مثل: ابن الجوزي في المنتظم، وابن الاثير في الكامل، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان.

(٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٣.

صحاري العراق وخرابه خمساً وعشرين سنة مجرداً سائحاً لا أعرف الخلق ولا يعرفوني، ورافقني الخضر عليه السلام في أول دخولي إلى بغداد وما كنت عرفته قبل، وشرط علي أن لا أخالفه وقال لي أقعد هنا فجلست في المكان الذي أقعدني فيه ثلاث سنين يأتيني في كل سنة مرة ويقول مكانك حتى آتيك. وكانت الدنيا وزخارفها وشهواتها تأتيني في صور شتى عجيبة فيحميني الله تعالى من النظر إليها، وتأتيني الشياطين في صور شتى مزعجة ويقاتلونني فيقويني الله تعالى عليهم، وتبرز إليّ نفسي في صورة فتارة تتضرع إليّ فيما تريده وتارة تحاربني فينصرني الله عز وجل عليها،.... وأقمت زماناً في خراب المدائن (جيل العراق) آخذ نفسي بطريق المجاهدات،... واقمت في خراب الكرخ سنين........، ويأتيني رجل في كل سنة بجبة صوف البسها، ودخلت في ألف فن حتى أستريح من دنياكم، وما كنت أعرف إلا بالتخارس والبله والجنون، وكنت أمشي حافياً في الشوك وغيره، وما هالني شيء إلا سلكته ولا غلبتني نفسي فيما تريده قط، ولا اعجبني شيء من زينة الدنيا قط.. [1]، وقال أيضاً: "كنت في زمن مجاهدتي إذا اخذتني سنة اسمع قائلاً يقول: ياعبد القادر ما خلقتك للنوم، قد أحببناك ولم تك شيئاً فلا تغفل عنا وأنت شيء" [2].

ان الهدف من فترة الخلوة والانقطاع عند الصوفية هو قطع العلائق بغية الوصول إلى ما يسميه الجيلاني الوجود الثاني، ويذكر الجيلاني ان العلائق التي قطعها في خلوته هي أشراك الدنيا، وأسباب الخلق المتصلة به، ثم

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٠- ١٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦.

كشف له عن باطنه فرأى قلبه مناطاً بعلائق كثيرة هي إرادته و اختياراته فقطعها وتخلص قلبه منها، ثم كشف له عن نفسه فرأى " أدواها باقية وهواها حي وشيطانها مارد، فتوجه في ذلك، فبرئت أدواء النفس ومات الهوى وأسلم الشيطان وصار الأمر كله لله"، قال: "فبقيت وحدي والوجود كله من خلفي، وماوصلت إلى مطلوبي بعد"، ثم اجتذب إلى أبواب للدخول منها إلى مطلوبه: باب التوكل، وباب الشكر، وباب التسليم، وباب القرب، وباب المشاهدة، فوجد عندها زحمة حتى إذا اجتذب إلى باب الفقر فإذا هو خال فدخل منه فرأى فيه كل ما تركه، قال: وفتح لي منه الكنز الأكبر... ومُحقت البقايا ونسخت الصفات وجاء الوجود الثاني" [١]، ويفهم من معنى الوجود الثاني عند الصوفية انه حال البقاء بالله بعد الفناء فيه، وهو مغاير لحال البقاء بالنفس الذي هو حال الناس عامة.

وفي فترة سياحة الجيلاني تلك أقام سافر إلى بلدة بعقوبة قرب بغداد وهناك التقى بـ (الشريف البعقوبي) [٢]، وقد مرّ عليه شيخه أبو سعد المخرمي ودعاه إلى باب الأزج ومضى، وإلى الجيلاني على نفسه ألاّ يسافر إلا بأمر فجاءه الخضر وأمره بالخروج إلى أبي سعيد فخرج ولبس الخرقة من أبي سعيد ولازم الاشتغال عليه[٣].

وقد كان أول حج للجيلاني قبل ان يشتهر في سنة ٥٠٩ هـ عندما حج وحده على ما تسميه الصوفية قدم التجريد، وفي الطريق التقى بالشيخ عدي بن

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٢-١٨٣.

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٢٧ الشريف البعقوبي الحسني ، مازال ضريحه ظاهرا ببعقوبة.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٧-١٢٨.

مسافر وكان على قدم التجريد أيضاً فتصاحبا في الطريق[١]، ثم لم يحج الجيلاني بعد أن اشتهر أمره إلاّ حجة واحدة وكانت بصحبته والدته التي التحقت به في بغداد لاحقا بعد أشتهار أمره وتوفيت ببغداد [٢].

وإذا كان الجيلاني قد تفقه ولبس الخرقة من يد الفقيه الصوفي أبي سعد المخرمي، فإنه لما صحب الشيخ الصوفي حماد الدباس – والذي لم يكن يُعدّ من الفقهاء – كان الجيلاني لايزال يدرس الفقه، فكان إذا غاب عن الدباس لطلب العلم ثم عاد إليه يقول له الدباس: "أيش جاء بك إلينا؟ أنت فقيه، مُرّ إلى الفقهاء "، وكان أصحاب الدباس يقولون للجيلاني إذا جاءهم: "أنت فقيه، أيش تعمل معنا؟" [٣]، وقد سعى الجيلاني لاحقاً إلى تخفيف حدة تلك العلاقة عبر قيامه بإنشاء الرباط الصوفي إلى جانب المدرسة التي تدرس علوم الشرع في بغداد، وكان ذلك التلازم بين المؤسستين استهلال غير مسبوق في علاقة التصوف بالفقه في بغداد آنذاك.

ويبدو أن صحبة الجيلاني للدباس قد أفضت به إلى أن يقصد فقيهاً صوفياً جاء إلى بغداد يقال له القطب، وكان اسمه يوسف بن أيوب الهمذاني، وقد حلّ للجيلاني جميع ما أشكل عليه من أحوال، وأمره أن يجلس للوعظ[٤]، فكان أول جلوس للشيخ عبد القادر على كرسي للوعظ سنة ٥٢١ هـ، وذلك بعد الفتنة التي حدثت بين الحنابلة والفقيه الصوفي

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٨ولا صحة للمراقد المنسوبة لهما في بعض البلدان الاسلامية.

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩٥.

(٤) انظر ترجمة الشيخ يوسف بن ايوب الهمذاني في المنتظم ج٩ص٥٦ .

الأشعري أبي الفتوح الاسفراييني[١]. وقد كان لظهور الجيلاني في ذلك الوقت أهمية فيما يتصل بالعلاقة بين الاشاعرة والحنابلة أشار إليها ابن الجوزي حيث قال: "وظهر عبدالقادر فجلس في الحلبة[٢] فتشبث به أهل السنة وانتصروا بحسن اعتقاد الناس به" [٣]، يفهم منه أن الجيلاني أنقذ التصوف من الاحتكاكات التي كانت قائمة بين الحنابلة والأشاعرة.

وقد جلس الجيلاني في المدرسة التي كانت لشيخه أبي سعد المخرمي بباب الأزج ثم فوضت إليه، "وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت" [٤].

وقد كان يحضر عنده الرجلان والثلاثة يسمعون كلامه ثم تسامع الناس به وازدحموا عليه، فلما ضاقت المدرسة على الناس حمل الكرسي إلى خارج البلد، فكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط[٥]، "ويتوب عنده في المجلس خلق كثير، فعمرت المدرسة ووسعت" [٦]، وبذل الأغنياء في عمارتها أموالهم، وعمل الفقراء فيها بأنفسهم وتمت التوسعة سنة ٥٢٨ هـ وصارت المدرسة تنسب إليه، وتصدر بها للتدريس والفتوى وجلس بها للوعظ[٧].

وكان الشيخ عبدالقادر" يلبس لباس العلماء، ويتطيلس[٨]، ويركب البغلة،

([١]) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٧. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٥٧.

([٢]) الحلبة: محلة واسعة في شرقي بغداد عند باب الأزج، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٠.

([٣]) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٧. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١،، ص ١٢٤. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٦، ص ١٠.

([٤]) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢١٩

([٥]) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢١٩. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٩٤.

([٦]) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢١٩.

([٧]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٥.

([٨]) يتطيلس: أي يلبس الطيلسان... .

وترفع بين يديه الغاشية[١]، ويتكلم على كرسي عال" [٢]. ويذكر أن الشيخ عبد القادر كان يفتي على مذهب أبي حنيفة و الشافعي و ابن حنبل[٣].

وقد وصف ابن السمعاني الشيخ عبدالقادر، وكان قد لقيه في بغداد، بأنه "إمام الحنابلة، وشيخهم في عصره"[٤]، وتابعه في ذلك كل من الذهبي[٥]، والصفدي[٦]، وابن رجب الحنبلي[٧].

ومن الأمثلة على فتاوى الشيخ عبدالقادر ان رجلاً حلف بالطلاق أن يعبدالله عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت أدائها. فأفتى الجيلاني بأن يأتي الرجل مكة و يُخلى له المطاف ليطوف وحده سبعة أشواط بالبيت ليتحللّ من يمينه[٨].

---

(١) الغاشية: " غاية سرج من أديم مخروز بالذهب يظنها الناظر كلها ذهباً يلقيها (الملك) على يديه يميناً وشمالاً "..... "تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والاعياد ونحوها، ويحملها الركا بدار رافعاً لها على يديه يلفتها يميناً و شمالاً ". انظر ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٢٢٢ (الهامش).

(٢) السهروردي، عوارف المعارف، ص ٢٠٨. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٨. المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٦

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥٠. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٥.الكيلاني ،جمال ، جغرافية الباز الأشهب ص٥٤.

(٤) الذهبي. تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٨٨.

(٥) المصدر نفسه، ج ٣٩، ص ٨٧. وانظر قوله في العبر " شيخ العصر... ومدرس الحنابلة "، ج ٣، ص ٣٦.

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٦.

(٧) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٠.

(٨) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥١. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٤.

أما الكرامات التي كانت تجري على يدي الشيخ عبدالقادر فقد أسهبت كتب المناقب في ذكرها[١]، وقد كانت كراماته ظاهرة، وكان أكثرها شيوعاً في مجالسه العامة أنه "كان يتكلم على الخواطر" [٢]، وهو مما ساعد على اشتهاره وقبوله لدى الناس إذ كانوا ينجذبون إلى مجالسه بفعل الأخبار المتناقلة بينهم عن الكرامات التي تجري فيها[٣]. ويذكر عن الشيخ علي بن الهيتي انه قال: "ما رأيت أحدًا من أهل زماني أكثر كرامات من الشيخ محي الدين عبد القادر رضي الله عنه. وكان لا يشاء أحد أن يرى منه كرامة في أي وقت شاء إلاّ رآها. وكانت الخارقة (الكرامات) تظهر أحياناً منه وأحياناً فيه"[٤]. ويذكر أن الشيخ عبد القادر كان سيد اولياء بغداد [٥].

وذكر عز الدين بن عبد السلام انه "ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلاّ الشيخ عبدالقادر"[٦]، ويذكر عن الشيخ الموفق بن قدامة المقدسي قوله: ولم

---

(١) انظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار. التادفي، قلائد الجواهر. وقد ورد في كتب التراجم التي ترجمت للشيخ عبدالقادر الجيلي بعضاً من تلك الكرامات.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١،، ص ٢٦٤.

(٣) Arburry, sufism, p.85.

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٥٦.

(٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٣٣، ١٣٤، ٣١٧. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨٠. المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٦.

(٦) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩١-٩٢. وانظر الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٧. اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٦٨. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٢.

أسمع عن أحد يُحكى عنه من الكرامات أكثر مما يُحكى عنه، ولا رأيت أحدًا يُعظّم من أجل الدين أكثر منه"(١).

ويذكر الشطنوفي (بتحقيق الباحث) أن سبب تصنيفه لكتاب "بهجة الأسرار" الذي جمعه في مناقب الشيخ عبد القادر إنما كان لإظهار معنى قول الشيخ الجيلاني في أحد مجالسه في بغداد "قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله"(٢)، وهو قول اشاري فلسفي أبستمولوجي، وكان في مجلسه حينها عامة مشايخ العراق(٣)، وبينما يورد الشطنوفي الروايات الكثيرة التي يستشهد بها على أن هذا القول الصادر عن الجيلاني إنما أمر به أمراً إظهاراً لمقام القطب الغوث(٤) – وهو مقام ندر أن يعلن عنه رجل على رؤوس الأشهاد – اعتبره الشهاب السهروردي (ت ٦٣٢هـ) من قبيل الكلمات المؤذنة بالإعجاب التي تظهر من بعض كبار المشايخ بسبب انحصارهم في مضيق سكر الحال وعدم الخروج إلى فضاء الصحو في ابتداء أمرهم"، والقول إشارة إلى "تفرده في

---

(١) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج ٣، ص ٣٦. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٢.

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣.

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٤-١٥. و انظر اسماء الحاضرين في ذلك المجلس، ص ١٣-١٤.

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٥-٣٩. وفيها تفصيل لمعنى القطب والغوث عند الصوفية. وانظر ايضاً في تفسير معنى القطب الغوث نفس المصدر، ص ٤١، ٤٣، ١٦٠، ٣٢٩، ٤٨٠، وغيرها. و انظر: اليافعي، أبو محمد عبدالله بن اسعد، (ت ٧٦٨ هـ). نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية اصحاب المقامات العالية الملقب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد، ط ٢، (تحقيق وتصحيح ابراهيم عطوه عوض)، شركة ومطبعة مصطفى البأبي الحلبي واولاده، القاهرة، ١٩٩٠. ص ٢٩٢.

وقته"[١]، ومع ذلك فقد فهم قول الجيلاني على أنه تصريح بالقطبانية التي ظهر برهانها عليه[٢] والقطبية من مقامات الصوفية .

وقد لقب الشيخ الجيلاني بألقاب تدل على علو مكانته في التصوف، ويلاحظ في تلك المصادر التي ذكرت ذلك أنها مصادر متأخرة كتبت في فترة رواج الطرق الصوفية، ومن تلك الألقاب "ذو البيانين واللسانين، كريم الجدين والطرفين، صاحب البرهانين والسلطانين، إمام الفريقين والطريقين، ذو السراجين والمنهاجين[٣]، الباز الأشهب[٤]. ويبدو أن التثنية الظاهرة في هذه الألقاب تشير إلى الجمع بين الفقه و التصوف، أو على ما تسميه الصوفية الشريعة والحقيقة.

وكان للشيخ عبدالقادر دور في نقد السلطة فقد "كان يصدع بالحق على المنبر ويُنكر على الظلمة". ولما ولي القاضي ابن المرخم[٥] قال الجيلاني على المنبر مخاطباً الخليفة المقتفي: "ولّيت على المسلمين أظلم الظالمين، وما

---

(١) السهروردي، عوارف المعارف، ص ١٤٣-١٤٤. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٥.

(٢) المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٧.

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٥. اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٦٧. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٩. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٢.

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣١٩. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٦٤-١٦٥.

(٥) هو القاضي أبو الوفاء يحيى بن سعيد بن المظفر المعروف بابن المرخم (ت ٥٥٥ هـ)، أقضى القضاة، ولاه المقتفي قضاء بغداد سنة ٥٤٢ هـ، وكان " بئس الحاكم يأخذ الرشا و يبطل الحقوق " وقد قبض عليه الخليفة المستنجد سنة ٥٥٥ هـ واستصفيت أمواله وأعيد منها على الناس ما ادعوه عليه، انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٢٥، ج ١٠، ص ١٩٤. ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٢٣١-٢٣٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٧، ص ١٠، ج ٣٨، ص ١٨٧. ويسميه سبط ابن الجوزي " القاضي ابن المجرم الظالم"، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٢٦٥.

جوابك غداً لرب العالمين"[١]، فلما ولي المستنجد الخلافة قبض على ابن المرخم سنة ٥٥٥ هـ. وفي نفس السنة خلع المستنجد على الشيخ عبد القادر وعلى عدد من شيوخ الصوفية ببغداد[٢] كالشيخ أبي النجيب السهروردي[٣] وابن شقران[٤] ومعهم عبدالرحمن بن الجوزي وأذن لهم في الجلوس بجامع القصر، وفي ذلك دلالة على ميول المستنجد وتوجهاته.

وقد كان للشيخ عبدالقادر موقف من الملوك وذوي السلطان كان من شأنه إعزاز الطريق الصوفي في أعين الصوفية، فقد " كان يرى الجلوس على بساط الملوك ومن يليهم من العقوبات المعجلة، وكان يأتيه الخليفة أو الوزراء أو من له الحرمة الوافرة وهو جالس فيقوم ويدخل داره، فإذا تبعه خرج الشيخ من الدار لئلا يقوم لهم، وكان يكلمهم الكلام الخشن ويبالغ لهم في الموعظة، وهم يقبلون يده و يجلسون بين يديه متواضعين متصاغرين"[٥]، وكانت تهابه الملوك فمن دونهم[٦] ويعرف عن الجيلاني أنه ما ألمّ بباب ذي سلطان ولا

([١]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٢٦٥.

([٢]) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٩٤.

([٣]) ابن الجوزي ج.١٠، ص ١١٥.

([٤]) هو أحمد بن يحيى بن عبد الباقي الزهري أبو الفضائل يعرف بابن شقران (ت ٥٦١ هـ)، وكان معيداً بالنظامية، كان إماماً واعظاً صوفياً. انظر ترجمته في: الذهبي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبدالله بن الدبيثي، ص ١٢٧-١٢٨ (الرقم ٤٥٠). السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ٦٨ (الرقم ٦٠٣).

([٥]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٣. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٤١-٤٢. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٨١.

([٦]) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٢.

جلس على بساطه ولا أكل من طعامه وهذا دليل انه لم يعاني من فوبيا السياسة، بل كان متحديا، سيدا، جريئا في الحق [١].

وللخليفة المستنجد بالله لقاءات مع الشيخ عبد القادر حيث كان يقصده ليلاً في مدرسته وقد شهد له كرامات فيها مواعظ للخليفة[٢]، ومع ذلك كان الشيخ عبد القادر إذا صلى العشاء دخل خلوته وكان لايخرج منها إلاّ عند طلوع الفجر، وقد جاءه الخليفة بالليل مراراً بقصد الاجتماع به دون ان يتمكن من ذلك إلى الفجر[٣].

وتذكر بعض كتب المناقب التي كتبت عن الشيخ عبد القادر أن أحد الخلفاء العباسيين جاء إليه يستغيث به ليرد سلطان العجم الذي قصد بغداد وكان الخليفة قد عجز عن رده، فأغاثه الشيخ ورد جيش العجم عن بغداد بدعاءه[٤].

وللشيخ عبد القادر واقعة مع أحد سلاطين السلاجقة الذين كانوا في بغداد مفادها أن بعض اتباع السلطان مرّ بالشيخ عبد القادر ومعه أحمال خمر للسلطان فأمر الشيخ الدواب بالوقوف فوقفت ولم تتحرك، وتحول الخمر

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٣. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٤١-٤٢. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٨٠.

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٣٠. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٤٠. وانظر حادثة اخرى ذكرها ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٢.

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٧. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٦٠-١٦١. ولا يذكر هذان المصدران اسم الخليفة العباسي ولا اسم السلطان المشار إليهما في تلك الحكاية، كما لايذكران تاريخ حدوثها.

في الأواني إلى خل، ولما بلغ الخبر إلى السلطان حضر لزيارة الشيخ وارتدع عن فعل كثير من المحرمات[١].

وبغض النظر عن موقفنا، ضد أو مع صدقية تلك الحكايات والكرامات، إلاّ أن ورودها في كتب المناقب وبعض كتب التراجم هو ما يهمّ الباحث من حيث أنها حكايات كانت تشكل عنصراً من عناصر الرأي العام والمثيولوجيا الشعبية آنذاك، وكان لها أثر في تشكيل المواقف والقيم التي كانت سائدة في المجتمع في تلك الفترة التاريخية.

ويذكر أن مجالس الشيخ عبد القادر كان يحضرها كبار رجال الدولة مثل نائب الوزراة عز الدين محمد بن الوزير أبي المظفر ابن هبيرة، واستاذ الدار عبد الله بن هبة الله، و حاجب الباب مجد الدين بن الصاحب وغيرهم، وكان الشيخ عبد القادر يخاطبهم بمكنون سرائرهم ويتكلم على خواطرهم في سياق وعظه لهم، كما كان نقيب النقباء ابن الأتقى يحضر مجالس الشيخ عبد القادر وكان يأتيه في غير وقت المجلس و يجلس بين يديه متواضعاً[٢].

لقد كان للكلام على الخواطر عامل جذب للناس، عامتهم وخاصتهم، لحضور مجالس الشيخ عبد القادر، وفي معنى الكلام على الخواطر يقول الشيخ عبد القادر: "إنما أنطّق فأنطق وأعطى فأفرق وأومر فأفعل، والعهدة على من أمرني والدية على العاقلة.... لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم. أنتم بين يديّ كالقوارير يُرى ما في

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٨٩.

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٩٢-١٩٣. وانظر ايضاً ص ٦٧-٦٩.

بواطنكم وظواهركم. لولا لجام الحكم على لساني لنطق صاع يوسف بما فيه، لكن العلم مستجير بذيل العالم كي لا يُبدي مكنونه" [١].

وكان الشيخ عبد القادر "في عصره مُعظماً يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد"[٢]، ومن دلالات تعظيم العامة له أنه كان إذا ذهب إلى الجامع يوم الجمعة" وقف الناس في الأسواق يسألون الله تعالى به حوائجهم، وكان له صيت وصوت وسمت و صمت"، وقد هال الخليفة المستنجد مدى تعلق الناس به وذلك عندما عطس الجيلاني في الجامع في يوم الجمعة فشمته الناس حتى سمعت في الجامع ضجة الناس وهم يقولون يرحمك الله و يرحم بك، وكان الخليفة المستنجد وقتها في مقصورة الجامع[٣].

ومن الآثار السوسيولوجية التي تذكر للشيخ الجيلي في مجتمع بغداد توبة أعداد كبيرة من الناس في مجلسه، حتى قال سبط ابن الجوزي: "وتاب على يده معظم أهل بغداد، وأسلم معظم اليهود و النصارى" [٤]، وقد يكون في ذلك مبالغة إذ يقول الجيلي نفسه "أراد الله مني منفعة الخلقّ، فإنه أسلم على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود و النصارى، وتاب على يدي أكثر من مائة ألف من العيارين، وهذا خير كثير" [٥]. على أية حال، كان التائبون على يد الشيخ عبد القادر من فئات اجتماعية متعددة كالعيارين وقطاع الطريق

---

(١) جدعان ،فهمي ،اسس التقدم عند مفكري الاسلام،دار الشروق،الاردن،١٩٩٠، ص ٥٤.

(٢) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٣.

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٨. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٤٠.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٣. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩٦. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٣٩-٤٠، لكن التادفي يجعل عدد الذين اسلموا من اليهود و النصارى خمسة آلاف.

والقتلة[١] وكان التقليد الجاري في الاعلان عن توبة التائبين ان يأتي التائب إلى الشيخ عبد القادر في مجلسه فيقص الشيخ شعره[٢]، وهذا ماعده المفكر الجزائري محمد اركون ،قمة الانسنة ،ومثال للاسلام الكلاسيكي ،وهي ظاهرة نفسية وابستمولوجية، تستحق الدرس والتحليل، وهذا ما بفسر اليوم ان الكثير من الغربيين يعتنقون الإسلام بواسطة الصوفية، وكان للشيخ عبد القادر طريقة في التصوف تميّز بها في زمانه، وقد وصف طريقته عدد من معاصريه بأوصاف ومصطلحات صوفية فيها قدر من الغموض: قال الشيخ علي بن الهيتي (ت ٥٦٤هـ): "كان طريقه [أي الشيخ عبد القادر] التفويض والموافقة مع التبرّي من الحول والقوة، و تجريد التوحيد، وتوحيد التفريد مع الحضور في موقف العبودية بسر قائم في مقام العبودية لا بشيء ولا لشيء، وكانت عبوديته صحيحة مستمدة من لحظ كمال الربوبية، فهو عبد سما عن مصاحبة التفرقة (إلى مطالعة الجمع مع لزوم أحكام الشريعة)"[٣].

وسئل الشيخ عدي بن مسافر (ت ٥٥٧ هـ) عن طريق الشيخ عبد القادر فقال: "الذبول تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والروح واتحاد الباطن والظاهر، وانسلاخه من صفات النفس مع الغيبة عن رؤية النفع والضر والقرب والبعد "[٤]. وقال الشيخ بقا بن بطو (ت ٥٥٣ هـ) "طريق الشيخ محي الدين عبد القادر اتحاد القول والفعل، واتحاد النفس والقلب، ومعانقة

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٣. وانظر: ص ١٣٤. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٣٨.

(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩٧. العمري، مسالك الأبصار، ج ٨، ص ١٩٤.

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٧٨. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٨٠وانظر محمد اركون ،الفكر الاسلامي ،دار الساقي بيروت٢٠٠٩ص١٣٤.

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٧٩. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٨٠.

الاخلاص والتسليم، وتحكيم الكتاب والسّنة في كل خطوة ولحظة ونفس ووارد وحال، والثبوت مع الله عز وجل على ما قرّ عند الأجلاء المتثبتين"[١]، وقال الشيخ أبو الحسن القرشي: "كانت طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً، ووصفه: قلب فارغ وكون غائب ومشاهدة ربّ حاضر بسريرة لا تتجاذبها الشكوك، وسرٍ لا تتنازعه الأغيار وقلب لا يُفرقه التفات، فجعل الملكوت الأكبر من ورائه، والملك الأعظم تحت قدمه"[٢].

ويذكر شيخنا الدكتور يوسف زيدان أن: للشيخ عبد القادر كلاماً عن طريقته في التصوف يظهر فيه معنىً لم يذكره معاصروه عند حديثهم عنه، وهذا المعنى يظهر في قوله: "كل رجال الحق إذا وصلوا إلى القدر أمسكوا إلا أنا وصلت إليه وفُتح لي منه روزنة فأولجت فيها، ونازعت أقدار الحق بالحق للحق، فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له"[٣]، وتوضح هذا المعنى حادثة وقعت لأحد تجار بغداد سنة ٥٢١ هـ، مفادها أن الشيخ حماد الدباس أخبر التاجر بأنه إذا خرج في تجارته إلى الشام فسوف يقتل ويسلب ماله، ولكن الجيلاني أمر التاجر بالذهاب في تجارته على أن يذهب سالماً ويعود سالماً، ذلك أن الجيلاني سأل الله في هذا التاجر أن يجعل ما قدره عليه من القتل والسلب مناماً لا يقظة، فرأى التاجر الأمر مناماً وتمت له تجارته ورجع إلى

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٧٩.

(٢) الجيلاني،عبدالقادر، تفسير الجيلاني،اعتناء المزيدي،دارالكتب العلمية،ج١،ص٨.

(٣) يوسف زيدان، باز الله الاشهب، دار الجيل بيروت،١٩٩٠ ، ص٨٧.

بغداد سالماً وعُدّت هذه الحادثة من الكرامات التي شهد فيها الدباس للجيلاني بعلو المقام[١].

وطالما أن مجالس الوعظ في بغداد كانت من أبرز الملامح الاجتماعية والدينية آنذاك فمن المناسب في هذا السياق ذكر بعض مواصفات مجلس الشيخ عبد القادر، ففي ذلك دلالة على مكانته عند اهل زمانه ومدى تأثيره فيهم، وهو أمر كان له دور في الرفع من شأن التصوف في تلك الفترة وازدياد إقبال الناس عليه حتى صار للصوفية حُرمة لا تنكر.

كان إذا صعد الشيخ عبد القادر الكرسي للوعظ أو الدرس لا يبصق أحد ولا يتمخط ولا يتنحنح ولا يتكلم ولا يقوم، هيبة له. وكان يُعد من كراماته أن أقصى الناس في المجلس يسمع صوته كما يسمعه ادناهم، "وكان يتكلم على خواطر أهل المجلس و يوجّهم بالكشف"، وكان إذا قام فوق الكرسي يقوم الناس لجلالته[٢]. وكان إذا رأى أحد من الحاضرين شيئاً من الكشف أمره الشيخ بالكتمان قائلاً له "أسكت فليس الخبر كالمعاينة" أو "أقعد فإن المجالس بالأمانة" [٣]. وكان يقرأ في مجلسه مقرئان أخوان بغير ألحان ولكن قراءة مرتلة مجودة، وكان يموت في مجلسه الرجلان والثلاثة [كناية عن تأثرهم بالأحوال]، وكان يكتب مايقول في مجلسه أربعمائة محبرة عالمٍ وغيره، "وكان كثيراً ما يخطو في الهواء في مجلسه على رؤوس الناس خطوات ثم يرجع

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٦٤-٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٨ – ١٩٩.

إلى الكرسي"[١]. وكان للشيخ نقباء يجلسون على الكرسي، على كل مرقاة منهم اثنان، وكان لايجلس كذلك إلا ولي أو صاحب حال، وكان يجلس تحت الكرسي رجال آخرون[٢].

وكان الجيلاني يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات: مرتان بالمدرسة بكرة الجمعة وعشية الثلاثاء، ومرة بالرباط بكرة الأحد، وقد تكلم على الناس مدة أربعين سنة من سنة ٥٢١ هـ ولغاية سنة ٥٦١ هـ. أما مدة تصدره للتدريس والفتوى فامتدت ثلاثاً وثلاثين سنة من سنة ٥٢٨ هـ ولغاية سنة ٥٦١ هـ[٣].

وكان الجيلاني يقبل النذر ويأكل منه، ويأمر كل ليلة بمد السّماط و يأكل مع الأضياف، وكان له حنطة يزرعها له بعض اصحابه كل سنة توخياً للمأكل الحلال، وكان له غلام يقف على باب داره وبيده الخبز وينادي على العشاء والمبيت[٤]. كما يذكر أن الشيخ عبد القادر كان يأكل من عمل يده[٥].

وقد صنف الجيلاني كتاب الغنية لطالبي طريق الحق، وجمع تلاميذه مما دونوه من كلامه في مجالسه كتاب فتوح الغيب[٦] وكتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني (وهو من أروع الكتب التي تخاطب النفس البشرية) وينسب له ديوان جميل من الشعر الصوفي حققه يوسف زيدان وقام

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٢. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٣٧-٣٨.
(٤) التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٥-١٦.
(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٧
(٦) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٦.

بشرحه الشاعر فالح الحجية في مجلد كبير ومما ينسب له من شعر القصيدة الغوثية نوردها لكونها أشهرتها:

القصـــــيدة الغوثيـــــــة كمـــــا وردت فـــــي الـــــديوان:

-1سقاني الحب كاسات الوصال فقلــت لخمرتــي نحــوي تعــالى
-2سعت ومشت لنحوي في كؤوس فهــمتُ بسكــرتي بــين المــوالي
-3وقلت لسائر الأقطاب لُمُّوا بحــاني وادخــلوا ، أنتــم رجــالي
-4وهيموا واشربوا أنتم جنودي فســاقي القــوم بالــوافي ملالــي
-5شربتم فضلتي من بعد سكري ولا نـــلتم عـــلُوّي واتّصـــالي
-6مقامكم العُلا جمعاً ولكن مقــامي فــوقكم مــا زال عــالي
-7أنا في حضرة التقريب وحدي يُصــرّفني وحسْــبي ذو الجــلال
-8أنا البازيُّ أشهب كُلّ شيخِ ومــن ذا فــي المــلا أعطــى مثــالي
-9درست العلم حتى صرت قطباً ونلــت السعــد مــن مــولى المــوالي
-10كساني خِلْعةً بطراز عِزّ وتـــوجني بتيجـــان الكمـــال
-11وأطلعني على سر قديم وقـــلدني وأعطـــاني ســـؤالي
-12وولاني على الأقطاب جمعاً فــحُكِمي نــافِذُ فــي كــل عــالي
-13فلو ألقيت سري وسط نار لــذابت وانطــفت مــن ســر حــالي
-14ولو ألقيت سري فوق ميت لقــام بــقدرة المــولى سعــى لــي
-15ولو ألقيت سري في جبال لــدكت واختفــت بــين الرمــال
-16ولو ألقيت سري في بحار لــصار الكُــلُّ غــوراً فــي الــزَّوالِ
-17وما منها شهور أو دهور تمُــرُ وتنقضــي إلا أتــى لــي
-18وتخبرني بما يجري ويأتي وتُعْلِــمُني فأُقْصــِرُ عــن جــدالي

-19بلادُ الله مُلْكِي تحت حُكْمي ووقـتي قبـل قبـلي قـد صفـا لـي
-20طبولي في السما والأرض دقت وشـاءُسُ السعـادة قـد بـدا لـي
-21أنا الجيلاني مُحيي الدين اسمي وأعـلامي علـى رُوس الجبـال
-22أنا الحسنِيُّ والمخدع مقامي وأقـدامي علـى عُـنق الرّجـال
-23رجالُ خيموا في حيّ ليلى ونـالوا في الهـوى أقصـى منـال
-24رجالُ في النهار ليوث غابِ ورهبـانُ إذا جـنّ الليالـي
-25رجالُ في هواجرهم صِيامُ وصـوت عويلهـم في الليـل عـالي
-26رجالُ ما التهوا عنه بشيء ومـا اختـاروا قصـوراً في عـوالي
-27رجالُ لا يُضام لهم نزيلُ ولا يشـقى الجـليس ولا يُبـالي
-28رجالُ سائحون بكل واد وفي الغابـات في طلـب الوصـال
-29ألا يا للرجال صِلُوا مُحبّاً لـنار البعـد والهـجران صـال
-30ألا يا للرجال قُتِلتُ ظُلماً بـلحظ قـد حـكى رشـق النبـال
-31ألا يا للرجال خذوا بثأري فـإنّي شيخْـكُم قُطـب الكـمال
-32فمن في أولياء الله مِثلِي ومن فـي الحكـم والتصـريف خـالي
-33ترى الدنيا جميعاً وسط كفّي كخـردلةٍ عـلى حُـكْم النّـوال
-34مُريدي لا تخف وشْياً فإني عـزوُمٌ فـاتِلُ عنـد القتـالِ
-35مُريدي لا تخف فاللّهُ رَبّي حَـبَاني رِفْعـةً، نِلـْتُ المعـالي
-36مُريدي هِمْ وطِبْ واشْطحْ وَغَنّي وافْـعل مـا تشـا فْالإسـم عـالي
-37وكُلُّ فَتىَ على قدمِ وإنّي عـلى قـدم النـبي بـدْر الكمـالِ
-38عليه صلاة ربّي كُلّ وقتٍ كتْعداد الرّمال مع الجبال.

توفي الجيلاني ودفن بمدرسته وقد بلغ تسعين سنة[١]، "ودفن ليلاً من كثرة الزحام فإنه لم يبق ببغداد أحد إلاّ وقد جاء إلى باب الأزج وامتلأت الحلبة و الأسواق والدروب فلم يتمكنوا من دفنه"[٢].

ومما قيل في رثاء الشيخ عبد القادر قصيدة لنصر النميري قالها غداة دفن الشيخ عبد القادر، فيها دلالات على مكانة الجيلاني في الفقه و التصوف[٣]، فمنها قوله:

ذو المقام العليّ في الزهـد　　　لا ينكر قول المحب فيه الحسـود

والفقيه الذي تعذر أن يلقى　　　لـه فـي الـورى جميعـاً نديـدُ

تترامـى إليـه فـي العلـم باللـه　　　وبالحكـم فـي الفتـوى الوفـود

ومنها قوله:

يخشـع القلـب عنـده ويظـل　　　الدمـع يجـري وتقشعـر الجلـود

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢١٩.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨،ق ١، ص ٢٦٦.

(٣) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٠٠-٣٠١.

ومنها قوله:

يلتقي النجح ملتقيه ويُعطى عنـــده غايـــة المـــراد المريـــد

ومنها قوله:

مـات مـن كانـت الأقـاليم تُسقى الغيــث أغـوارهــا بــه و النجــود

ومنها قوله:

سيد الأولياء في الشرق والغرب وبحـــر الفضائـــل المـــورود

وقد وصفت المستشرقة شيمل الشيخ عبد القادر بأنه " أكبر وليّ شعبي في العالم الإسلامي " [١]. كما اعتبرته الباحثة الفرنسية جاكلين شأبي أحد أهم من توسط في القرن السادس الهجري بين الحركة الصوفية و الفقهاء وأنه "كان ممن بفضلهم تبنّت الحركة التقليدية خلال القرنين اللاحقين منعطف الطرقية"[٢].

---

(١) شيمل، الابعاد الصوفية في الاسلام، ص ٢٧٩.

(٢) " عبدالقادر الجيلاني بين الحقيقة التاريخية و الأسطورة الأدبية "، بروفسورة جاكلين شابي، (ترجمة الدكتور حسن سحلول)، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد (٧٠)، السنة (١٨)، كانون الثاني، ١٩٩٨، دمشق (نسخة الكترونية).

كان للشيخ عبد القادر تسعة و أربعون ولداً، سبعةٌ و عشرون ذكراً و الباقي إناث[١]، ومنهم.

عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر (ت ٦٠٢ هـ)، تفقه على والده، وحدث ووعظ ودرّس وتخرج به غير واحد، ورحل إلى إحدى قرى سنجار واستوطنها[٢] في حدود سنة ٥٨٠ هـ بعد أن غزا عسقلان وزار القدس وكانت ذريته في سنجار في منتصف القرن العاشر والرجل أحد قادة جيش صلاح الدين الايوبي ومستشاريه[٣].

عيسى بن الشيخ عبد القادر (ت ٥٩٣ هـ)، تفقه على والده وسمع منه الحديث ومن غيره، ودرس وحدث ووعظ وأفتى، وصنف كتاب جواهر الأسرار ولطائف الأنوار في علوم الصوفية، وقدم مصر بعد وفاة والده وحدث بها ووعظ وتخرج به جماعة من أهلها، وتوفي فيها[٤]، وقد لبس منه خرقة التصوف القادرية بعض أهل مصر[٥].

---

(١) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩٧، نقلاً عن ابن النجار. العمري، مسالك الأبصار، ج ٨، ص ١٩٦. ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٢٨. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٨.

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٢. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٥٣ (الرقم ٩٢٦).

(٣) الكيلاني ،جمال الدين فالح، الشيخ عبدالقادرالكيلاني، ص ٩١ ومن ذريته (المحقق).

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤١-٢٤٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٤١. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٩٠-٩١.

(٥) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٥١٤ (الرقم ٧٠٤).

عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر[١] (٥٢٢ هـ - ٥٩٣ هـ)، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً، قرأ الفقه على والده حتى برع فيه، ودرّس بمدرسة والده وهو حي نيابة عنه في مستهل سنة ٥٤٣ هـ وقد تجاوز العشرين من عمره، ثم بعد وفاة والده اشتغل بالتدريس، وكان أميز اخوانه، وكان فصيح الوعظ حادّ الخاطر وله مروءة وسخاوة، وقد جعله الناصر لدين الله على المظالم فكان يوصل إليه حوائج الناس[٢] وكان ذلك سنة ٥٨٣ هـ[٣]، وبنى تربة الجهة الخلاطية سلجق خاتون و تولى وقفها بأمر من الخليفة الناصر لدين الله[٤]، وروسل من الديوان العزيز إلى الشام[٥].

وكان عبد الوهاب قد رحل إلى بلاد الهند في طلب العلم، وتخرج به غير واحد[٦]، وقرأ عليه ابن الدبيثي بعض الأحاديث[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٠٨. أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي، (ت ٦٦٥ هـ). تراجم الرجال القرنين السادس و السابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط ٢، (صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عني بنشره وراجع أصله عزت العطار الحسيني)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤. ص ١٢. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤١. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٥٨ (الرقم ٩٤). تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٣٤. وانظر ج ٤١، ص ٧٧. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٠٤ (الرقم ٧٤١٢). ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٨٨ (الرقم ١٩٦). التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨٩. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥١٤.

(٢) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص ٣٨٩.

(٤) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٣٥، و انظر: ج ٤١، ص ٧٧.

(٥) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٣٥. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص ٣٨٩.

(٦) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤١.

(٧) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٥٨.

وفي سنة ٥٨٨ كفت يد عبد الوهاب عن وقف الجهة الخلاطية وأخرج ابناء الشيخ عبد القادر عن مدرستهم و سُلّمت إلى عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) وذلك بسبب الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبدالقادر[١]، ثم رُدّت المدرسة إلى أبناء الشيخ عبد القادر بعد أن قبض على الوزير ابن يونس (ت ٥٩٣ هـ)[٢].

عبد الرزاق بن الشيخ عبدالقادر[٣] (٥٢٨ – ٦٠٣ هـ)

كان ثقة حافظاً[٤] زاهداً عابداً ورعاً "لم يدخل فيما دخل فيه غيره من إخوته[٥]" وكان فقيهاً صالحاً[٦]، تفقه على والده وحدث وأملى ودرّس وخرّج وأفتى، وتخرج به جماعة[٧]، "لكن معرفته بالحديث غطت على معرفته بالفقه[٨]". وكان منقطعاً في منزله عن الناس لا يخرج إلاّ في الجمعات، "وكان

([١]) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤١، ص ٧٧.

([٢]) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٨٩. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥١٥.

([٣]) انظر ترجمته في: ابن نقطة، كتاب التقييد، ج ٢، ص ١٠٩ (الرقم ٤٣٧). أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٥٨. ابن الساعي، الجامع المختصر، ص ٢١٤-٢١٥. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٢-٢٤٣. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٦١ (الرقم ٩٥٨). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٢٤٨ (الرقم ٦٩٧٤). ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٣، ص ٥٦. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٠-٤١ (الرقم ٢٢١). التادفي، قلائد الجواهر، ص ٩٢-٩٣. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٨-١٩.

([٤]) ابن نقطة، كتاب التقييد، ج ٢، ص ١٠٩.

([٥]) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٥٨. وقال ابن كثير في البداية و النهاية " لم يدخل فيما دخلوا فيه من المناصب والولايات " ج ١٣، ص ٥٦.

([٦]) ابن الساعي، الجامع المختصر، ص ٢١٤-٢١٥.

([٧]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٢-٢٤٣.

([٨]) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤١.

خشن العيش صابراً على فقره، عزيز النفس عفيفاً على منهاج السلف"[١]، وهو والد قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبد الرزاق .

ومن أحفاد الشيخ عبدالقادر الذين لهم صلة بموضوع البحث: قاضي القضاة أبو صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر الجيلي[٢] (ت ٦٣٣ هـ)، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً، وكان مقدم مذهبه وشيخ وقته، درّس في مدرسة جده وغيرها، وقلد قضاء القضاة في خلافة الظاهر بأمر الله "ولم يقلد قضاء القضاة حنبلي سواه"، فسار سيرة حسنة من فتح بابه ورفع حُجابه والجلوس للناس عموماً والاذان على بابه والخروج إلى صلاة الجمعة راجلاً، ثم عزل سنة ٦٢٣هـ فرجع إلى مدرسة جده يدرس ويفتي، ولما تكامل بناء الرباط المستجد بدير الروم جُعل شيخاً على من به من الصوفية إلى أن توفي[٣]، "وتخرج به في علمي الشريعة والحقيقة أناس من اهل بغداد "[٤].

وله كلام حسن في إشارات الصوفية[٥]. وكان مقداماً من الرجال لا يهاب، وله أشعار في الزهد، وفي سنة ٦٣٠هـ انفذ رسولاً إلى الموصل واربل[٦]. وقد

---

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤١. نقلاً عن ابن النجار.

(٢) انظر ترجمته في: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٥. مجهول، الحوادث، ص ١١٥-١١٧. الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق بن أحمد الحنبلي، (ت ٧٢٣ هـ). تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، الجزء الرابع، ٣ م، (تحقيق الدكتور مصطفى جواد)، وزارة الثقافة و الارشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢-١٩٦٥. ج ٤، قسم ٢، ٨٧٣ (الرقم ١٢٩٥). الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٣٥٦ (الرقم ١٣٦٣). تاريخ الاسلام، ج ٤٦، ص ١٧٣. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٧، ص ٤٦ (الرقم ٣٦). ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٨٩ (الرقم ٣٠٧). ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٨١.

(٣) مجهول، الحوادث، ص ١١٥-١١٧. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٩١.

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٥.

(٥) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٣٥٦.

(٦) الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ٤،قسم ٢، ٨٧٤.

ألّف في التصوف، وبنيت له دكة بجامع القصر للمناظرة، وكان له قبول تام، وكان يحضره أناس كثيرون، ويبدو أنه كان يتمتع بمكانة كبيرة عند الناس إلى الحد الذي جعلهم يدفنونه في دكة الإمام أحمد بن حنبل، إلاّ أنه قبض على من فعل ذلك، ثم نبش القبر ليلاً بعد أيام ونقل جثمانه إلى مكان آخر(١).

ويبدو ان نصراً قد التقى بالشيخ محي الدين بن عربي وجرى بينهما مناظرة في حديث من احاديث الصفات(٢). كما يذكر انه ولي النظر في جميع الوقوف العامة ووقوف المدارس الشافعية والحنفية وغيرها، فكان يولي ويعزل في جميع المدارس حتى النظامية، وكان المستنصر يعظمه ويجله ويبعث إليه أموالاً كثيرة ليفرقها(٣).

يستنتج مما تقدم انه استمر احترام الناس، الخاصة منهم والعامة، لأبناء الشيخ عبد القادر الجيلي واحفاده، وبخاصة الذين حملوا منهم رسالة الشيخ عبد القادر، طيلة القرن السادس وحتى سقوط بغداد بيد التتار سنة ٦٥٦ هـ وقد تابع اكثرهم طريق الشيخ عبد القادر في الفقه و التصوف، فكان منهم محدثون وفقهاء ومفتون ومدرسون وقضاة، وكانوا كلهم حنابلة وقد كان ارتحال بعض أبناء الشيخ عبد القادر إلى خارج بغداد، واستيطانهم وتناسلهم حيث استقروا، من العوامل التي ساهمت في انتشار التصوف خارج بغداد كالجبال وبلاد الجزيرة و الشام ومصر والمغرب والاندلس، ومهد لتطور لاحق تمثل في نشوء الطريقة القادرية. وكان تصوف ابناء الشيخ عبد

---

(١) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٦، ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٠-١٩١.

القادر وأحفاده تصوف الفقهاء وهو التيار الذي تنامى في تلك الفترة، وقد شارك بعض أولاده بالغزو ضد الفرنجة كابنه عبد العزيز، كما أسهموا أيضاً في حركة التأليف في موضوع التصوف، ومنهم من كان سفيراً للخليفة، ومنهم من ولي الأربطة الصوفية في بغداد. ومما يلفت الانتباه أنه لم يل قضاء القضاة من الحنابلة أحد سوى نصر حفيد الشيخ عبد القادر، قال ابن رجب الحنبلي المتوفى في نهاية القرن الثامن الهجري: "ولا أعلم أحدًا من اصحابنا دُعي بقاضي القضاة قبله، ولا استقل منهم بولاية قاضي القضاة بمصر غيره"[1]، وفي هذا دلالة على ان التصوف قد صار معترفاً به رسمياً إلى الحد الذي أصبح عنده الصوفي قاضي قضاة في حاضرة الاسلام، وهو حنبلي على غير ما جرت عليه العادة وتعتبر الاسرة الكيلانية من اكبر الاسر في العالم الإسلامي، وبرز منهم العديد من الشخصيات من رؤساء وزارة ووزراء وقادة وثوار وادباء وشعراء وعلماء وفي كل الميادين وهم منتشرين في اغلب ارجاء المعمورة.

لقد ازدهرت حركة تصوف الفقهاء عامة والحنابلة خاصة في بغداد على يد الشيخ عبد القادر الجيلي وتلاميذه الأمر الذي كان من شأنه ان يلطف الخلاف بين المذاهب، فكان تصوف الجميع عامل تلطيف للخلافات المذهبية التي بلغت قبل ذلك حداً كاد يهدد استقرار المجتمع البغدادي.

أما تلاميذ الشيخ عبد القادر فهم أكثر من أن يستوعبوا، وقد انتشروا في بغداد وغيرها من بلاد الإسلام على نحو يخرج هذا البحث عن حدوده لو أريد

---

(١) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٩١.

ذكرهم[١]. ومع ذلك فإن ذكر بعض أشهر تلاميذه من شأنه ان يعطي فكرة عن استمرارية تأثير الجيلاني في حركة التصوف وانتشارها .

لقد انتمى إلى الشيخ عبد القادر (اعداد كبيرة من العلماء و الفقهاء)[٢]، حيث قال ابن العماد أنه " تتلمذ له اكثر الفقهاء في زمنه، ولبس منه الخرقة المشايخ الكبار"[٣]، وفي هذين الخبرين تأكيد للتوجه الصوفي لدى الفقهاء آنذاك، ودور الشيخ عبد القادر في تنشيطه. ويذكر "أن جمهور شيوخ اليمن يرجعون في لبس الخرقة إليه [أي الشيخ عبد القادر]، بعضهم لبسها من يده لما قدمت أعلام فضائله عليهم، والأكثرون من رسول أرسله إليهم"[٤]، ويستدل من ذلك على انتشار التصوف وطريقة نشره إذ كان الشيخ يرسل رسلاً إلى البلاد لينشروا الطريقة ويلبسوا الخرقة القادرية أو كان الناس يقصدونه في بغداد ليلبسوا الخرقة من يده.

ويبدو أن الخرقة القادرية كان يُلبسها الآباء للأبناء خلفاً عن سلف، فيذكر عن جماعات من رجال التصوف أنهم "أخذوا له [أي للشيخ عبد القادر] الخرقة خلفاً عن سلف"[٥]، ويذكر عن بعض مشاهير المقادسة كالحافظ عبد الغني المقدسي و الموفق ابن قدامة المقدسي وغيرهما أنه "من أدركه [أي الشيخ عبد القادر] منهم واجتمع به فقد أخذ عنه، ومن لم يجتمع به منهم

---

(١) للاطلاع على اسماء اشهر تلاميذه في علمي الشريعة والتصوف انظر: الشطنوفي، قلائد الجواهر، ص٩-١١، ٢٢٥-٢٤١.

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٥. اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٦٧.

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٢.

(٤) اليافعي، مرآة الجنان، ٣،٢٦٨. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٢.

(٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٠.

فأخذ عمن أخذ عنه خلفاً بعد سلف"[١]. إن طبيعة هذا الانتقال لخرقة التصوف القادرية كان لها أثر في صبغ كثير من العائلات والأسر بصبغة التصوف حتى كاد ان يكون ذلك وراثياً، فلم يعد التصوف شأناً فردياً كما كان قبل ذلك، وهذا أسهم لاحقاً في التأسيس لقيام ما عرف باسم "الطرق الصوفية" بمعناها الذي راج لاحقاً في بلاد الإسلام عامة، حتى صارت عائلات و أسر بأكملها تتسمى بالقادري والرفاعي والسهروردي وغيرهم، وإنما يعني أن النسبة لم تعد مقصورة على البلد أو الذرية و إنما تعدتهما إلى النسبة إلى طريقة الشيخ المؤسس، ويعبر الشطنوفي عن هذه النسبة الأخيرة بلفظة "انتسب إليه" تمييزاً عن لفظة "انتمى إليه"، بحيث يُفهم ان الانتماء هو سير في طريقة الشيخ، اما الانتساب فهو التسمي بها[٢].

وقد عرف عن بعض تلاميذ الشيخ عبد القادر أنهم نشروا التصوف القادري في بلاد بعينها، وكانوا يدعون الناس هناك للانتماء إلى الشيخ عبد القادر ولبس خرقته، منهم الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن الحداد اليمني الذي دعا أهل اليمن إلى الانتماء إلى الشيخ عبد القادر[٣]، والشيخ أبو عبد الله محمد البطائحي نزيل بعلبك الذي ألبس مشايخ الشام الخرقة القادرية وكان أشهر من لبس منه الشيخ أبو محمد عبد الله بن عثمان اليونيني المعروف بأسد الشام[٤]، وقام الشيخ بديع الدين أبو القاسم خلف

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٦.

(٢) قارن على سبيل المثال قول الشطنوفي " كلهم انتموا إلى الشيخ محي الدين عبدالقادر"، وقوله " تفقه عليه واخذ عنه وانتسب إليه " الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٠، ٢٣٣ على التوالي.

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٢.

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٣.

ابن عياش الشارعي الشافعي بنشر التصوف القادري في مصر بعد أن درس على الشيخ عبد القادر ببغداد، "وألبس أعيان أهلها [أي مصر] يومئذ الخرقة القادرية"، وقد كان الشارعي "من العلماء الصلحاء المحدثين" [١]، وكان شافعياً أخذ عن الجيلي وهو حنبلي مما يؤكد مرة أخرى أنه عند الصوفية تتلاشى الفوارق المذهبية الموجودة عند غيرهم آنذاك.

ونظراً لأهمية تنامي تيار تصوف الفقهاء آنذاك، وازدهار وانتشار حركة التصوف في البلاد و المجتمعات الإسلامية، تغدو الاشارة إلى تراجم بعض مشاهير تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي ودورهم في التصوف أمراً لا مفر منه.

فممن انتمى إلى الجيلي الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق القرشي [٢] (ت ٥٦٤ هـ) الفقيه العارف الزاهد نزيل الديار المصرية، وقد افتى بها على مذهب ابن حنبل ودرس وناظر وتكلم على المعارف والحقائق، وانتهت إليه تربية المريدين بمصر وانتمى إليه ناس كثيرون من الصلحاء، وحصل له قبول تام من الخاص والعام، وكان له كرامات واحوال ومقامات وكلام حسن على لسان أهل الطريقة، وكان من "أوتاد مصر" [٣] التقى بالشيخ عبد القادر الجيلي في الحج على عرفة، ولبس هو والشيخ أبو مدين [٤] من الشيخ عبد

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٧-١٤٨. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨١.

(٢) انظر ترجمته في: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣٧٧-٣٨٥، ٢٢٥. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٠٦-٣١١ (الرقم ١٣٩).

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣٧٧-٣٨٠. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٤) سيأتي ذكره لاحقاً في هذا الفصل.

القادر "خرقة بركة"، وسمعا عليه جزءاً من مروياته، وجلسا بين يديه[١]. وقد كانت الناس بمصر تستنجد به إذا زاد النيل إلى حد الغرق أو نقص عن حد الري[٢]، وفي هذا دلالة على كراماته ومكانته عند الناس. ويذكر عن الشيخ علي بن نجا أنه روى عن القرشي كرامة مفادها إنباؤه عن تملك أسد الدين شيركوه مصر في ثالث مرة يقدمها فجرى الأمر كما ذكر[٣]. ومن كلامه في المعارف قوله: "من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه"[٤]. ومن شعره الصوفي الذي كثر اقتباسه لدى الصوفية:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة ... و أيسر ما في الذكر ذكر لساني

وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهام عليّ القلب بالخفقان

فلما أراني الوجد أنك حاضري ... شهدتك موجوداً بكل مكان

فخاطبت موجوداً بغير تكلم ... ولاحظت معلوماً بغير عياني[٥]

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥٥. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٠٦.

(٢) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٧.

(٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣٨٤.

ويبدو أن الفقيه إذا كان صوفياً ذا كرامات ظاهرة وكلمات هادية يصبح قدوة في المجتمع يقتدى الناس به ويتمثلون اقواله وأشعاره، وهذا الأثر للصوفية في مجتمعاتهم كان واضحاً آنذاك، ولكن القرشي وضع ضوابط للاقتداء بالصالحين فقال محذراً " وإياكم و محاكاة أصحاب الاحوال قبل إحكام الطريق وتمكن الاقدام فإنها تقطع بكم"[١].

ومن تلاميذ الشيخ عبد القادر الفقهاء الصوفية الذين كان لهم شأن عند نور الدين زنكي، حامد بن محمود بن حامد الحرّاني، تقي الدين المعروف بابن أبي الحجر[٢] (ت ٥٧٠ هـ)، شيخ حرّان وخطيبها ومُفتيها ومدرسها، رحل إلى بغداد ولقي بها الشيخ عبد القادر ولازمه" فرآه الشيخ يوماً يمشي على سجادته على بساط للشيخ فقال الشيخ عبد القادر: كأني بك وقد دُست على بساط السلطان، فكان كما قال" [٣]، وبنى نور الدين محمود المدرسة في حران لأجله ودفعها إليه ودرس بها... وكان نور الدين محمود يقبل عليه، وله

---

(١) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٠٧.

(٢) انظر ترجمته في: ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٣٢-٣٣٤ (الرقم ١٥٣). ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٩٢. عباس، الدكتور إحسان، (١٩٨٨). شذرات من كتب مفقودة من التاريخ. ٢ ج، (ج ١، ط ١)، (ج ٢، ط ٣). بيروت: دار الغرب الإسلامي.= =ج ١، ص ١٨٢، (ذكر في كتاب الاستسعاد بمن لقيته من صالحي العباد في البلاد لأبي الفرج ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم الانصاري المعروف بابن الحنبلي (ت ٦٣٤هـ)

(٣) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٣٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٩٢. عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج ١، ص ١٨٢.

فيه حسن ظن" [١]. ولما ولاه السلطان نور الدين قال: "بشرط ان تترك المظالم والضمانات، وتورث ذوي الارحام، فأجابه إلى ذلك " [٢].

ويذكر أنه طلب يوماً من نور الدين قاضياً لحران، وكان نور الدين يومئذ صاحب دمشق، فسيّر إليه أسعد بن المنجا (او المنجى) بن بركات، أبو المعالي الحنبلي القاضي (ت بعد ٥٨١ هـ)، وهو أيضاً من تلاميذ الشيخ عبد القادر، فتولى القضاء و الخطابة بحران سنة ٥٦٧ هـ[٣].

يبدو مما تقدم أن السلطان نور الدين زنكي انتفع بتلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي الذين اسهموا بدور فاعل في النهضة العلمية التي نشطت على يد نور الدين ضمن مشروعه الجهادي ضد الفرنجة.

أما وارث مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني[٤] و أجلّ اتباعه[٥] والمشار إليه بعده[٦] فهو أبو السعود بن الشبل العطار الحريمي.

---

(١) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٣٣، نقلاً عن ابن الحنبلي. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٩٢. عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج ١، ص ١٨٢.

(٢) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٣٣.

(٣) ابن أبي جرادة، كمال الدين عمر بن أحمد (ابن العديم)، (ت ٦٦٠ هـ). بغية الطلب في تاريخ حلب، ط ١، ١٠ ج، (تحقيق الدكتور سهيل زكار)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨. ج ٤، ص ١٥٨٠-١٥٨٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٦-٣٧.

(٤) المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٤٣.

(٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٣٨٩.

أحمد بن أبي بكر بن المبارك[١] (ت ٥٨٢ هـ) " كان له كرامات و إشارات وقبول تام عند الخاص والعام، وكان طريقه الفناء لا يأكل حتى يُطعم ولا يشرب حتى يُسقى ولا يلبس ثوباً حتى يحصل في عنقه، وكان بين يدي الله تعالى بمنزلة الميت بين يدي الغاسل، لا يزال مستقبل القبلة على طهارة لا يتكلم إلاّ جواباً. وكان حسن الاخلاق كريم الطباع متواضعا"[٢]. وقد صحب الشيخ عبد القادر وتخرج به وسمع منه[٣]،وحدث بشيء يسير، واشتغل بحاله عن الرواية[٤]، وكان منزله مجمع الفقراء[٥]. ويذكر "أن الشيخ ابا السعود كان امام وقته"، وكانت طريقته أن "ما جاء من عند الله لا يرده أبداً، ولا يطلب شيئاً من أحد" [٦]. وذكر ابن عربي "انه أعلى مقاماً من شيخه" [٧].

---

(١) أنظر ترجمته في: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨،ق ١، ص ٣٨٩. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٧. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ١٢٩ (الرقم ٤٥٥). تاريخ الاسلام، ج ٤١، ص ١٣٤، ١٥١. الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٧٠٠ (الرقم ٥٣٠). المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٤٣. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٥٠.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨،ق ١، ص ٣٨٩.

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٧.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨،ق ١، ص ٣٩٠.

(٥) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ١٢٩. تاريخ الاسلام ج ٤١، ص ١٣٤.

(٦) الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٧٠٠-٧٠١.

(٧) المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٤٣.

ويبدو أنه كان لأبي السعود بن الشبل اتباع من أهل الحكم مثل استاذ الدار عضد الدين أبي الحسن علي بن بختيار البغدادي[١]. ولما توفي أبو السعود " بنوا عليه قبة عالية، وقبره ظاهر يزار " [٢].

ومن أولاد أمراء العرب الذين صحبوا الشيخ عبد القادر، نصر بن منصور بن الحسن النميري الأديب الشاعر الحنبلي[٣] (ت ٥٨٨ هـ)، وفي هذا دلالة على أن التصوف شمل أناساً من مختلف فئات المجتمع بما فيهم الأمراء.

ومن أشهر من لبس الخرقة من الشيخ عبد القادر، أبو مدين المغربي، شعيب بن الحسين الأندلسي[٤] (ت ٥٩٠ هـ) من أعيان مشايخ المغرب وأحد أوتادها، جمع بين علمي الشريعة والحقيقة و أفتى ببلاد المغرب على مذهب مالك وناظر وأملى وقصده طلبة العلم و أخذوا عنه، وتخرج بصحبته عدد

---

(١) رتبه الناصر أستاذ الدار سنة ٥٨٤ هـ و عزله سنة ٥٨٧ هـ، وانقطع في داره، وكان فيه فضل وله قبول، ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج ٤، ق ١، ص ٤٤٦ (الرقم ٦٣٦).

(٢)سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص ٣٩٠.

(٣)ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٨٥.

(٤) انظر ترجمته في: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٤٠٤-٤١٦، ص ١١٢.

الذهبي، تاريخ الاسلام،ج ٤١، ص ٣٩٨ (الرقم ٤٢٤).

العبر في خبر من غبر، ج ٣، ص ١٠٣.

الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٩٥ (الرقم ٥٤٢٤).

ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٥٣٧.

الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٧٠٢ (الرقم ٥٣١).

التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٠. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢١٥-٢١٧ (الرقم ٢٧٥). التلمساني، أحمد بن محمد المقري، (ت ١٠٤١ هـ). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط (بدون)، ٨ ج، (تحقيق الدكتور إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨. ج ٧ ص ١٣٦-١٤٤. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٩٥.

من الأكابر، سكن بلاد المغرب وتوفي بتلمسان[١]. وقد لبس خرقة التبرك من الشيخ عبد القادر الجيلي في الحج وسمع عليه جزءاً من مروياته وجلس بين يديه[٢]. وكان أبو مدين يرسل بعض تلاميذه، مثل الشيخ صالح بن ويرجان الدكالي، من المغرب إلى الشيخ عبد القادر كي يعلمهم الفقر، وقد جلس الدكالي في خلوة ببغداد مائة وعشرين يوماً بأمر الشيخ عبد القادر ثم رجع إلى المغرب[٣]. قال الذهبي: "كان [أبو مدين] كبير الصوفية و العارفين في عصره"[٤]. وهو "شيخ أهل المغرب"[٥]، وأحد شيوخ محي الدين بن عربي[٦]، ويسميه ابن عربي "بشيخ الشيوخ"[٧]. ويذكر أنه "خرج على يده ألف شيخ من الأولياء أولي الكرامات"[٨].

وهناك مايشير إلى تخوّف الدولة في المغرب من كثرة اتباع أبي مدين، وهو حال تكرر في غيرها من الدول، حيث وشى بعض العلماء بالشيخ أبي مدين عند يعقوب المنصور وقال له: "إنا نخاف منه على دولتكم، فإن له شبهاً

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٤٠٤-٤٠٥، ٤١٥.

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥٥. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٠٦. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٠. التلمساني، نفح الطيب، ج ٧، ص ١٣٨.

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١١٢.

(٤) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤١، ص ٣٩٩.

(٥) الذهبي، العبر، ج ٣، ص ١٠٣. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٩٥. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٥٣٧.

(٦) الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٧٠٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٩٥.

(٧) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٩٥.

(٨) التلمساني، نفح الطيب، ج ٧، ص ١٣٦.

بالإمام المهدي، وأتباعه كثيرون بكل بلد". فبعث إليه يستقدمه، ولكن ابا مدين توفي بالطريق[١].

ولأبي مدين كلام في التصوف عال، ومنه قوله: "إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره". وقوله "الاخلاص ان يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق"[٢]، وقوله "بفساد العامة تظهر ولاة الجور، وبفساد الخاصة تظهر دجاجل الدين الفتانون" [٣].

يستدل من ترجمة أبي مدين أنه كان هنالك صلة واضحة بين صوفية المغرب و صوفية المشرق، وأن التفاعل بينهما كان قائماً، وأن لمتصوفة بغداد من الانتشار والتأثير في المجتمعات الإسلاميةاكثر مما كان للخلافة العباسية نفسها آنذاك.

ومن مشاهير تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي، الشيخ أبو علي الحسن بن مسلم القادسي، وقيل الفارسي[٤] (ت ٥٩٤هـ) كان من الأبدال، وكانت السباع تأوي إلى زاويته، وكان الخليفة وأرباب الدولة يمشون إلى زيارته، وكان له رباط

---

(١) التلمساني، نفخ الطيب، ج ٧، ص ١٤٢.

(٢) الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢١٦.

(٣) التلمساني، نفح الطيب، ج ٧، ص ١٤٣.

(٤) انظر ترجمته في: أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٣. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٨ (الرقم ١٨٣). ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٩٥-٣٩٦ (الرقم ٢٠٠). ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥١٧. قال أبو شامة إنه " من قرية بنهر عيسى يقال لها القادسية "، وقال ابن رجب: " أصله من حوراء قرية من قرى دجيل من سواد بغداد، ثم انتقل منها إلى قرية يقال لها الفارسية من نهر عيسى ".

بالقادسية[١]. تفقه في شبيبته، وكان أبو الفرج بن الجوزي يبالغ في تعظيمه، وتردد إليه الإمام الناصر لدين الله وكان يعتقد فيه، وكان الناس يقصدونه ويتبركون به[٢]. صحب الشيخ عبد القادر واشتغل بالعبادة والانقطاع إلى الله، وكان ذو كرامات[٣].

إن تردد الناصر لدين الله على مثل هؤلاء الرجال له دلالة، وربما كان لمثل هذه الزيارات أثر في توجه الناصر لاحقاً نحو تنظيم الفتوة التي سيأتي ذكرها لاحقاً في البحث.

ومن مشاهير فقهاء الصوفية الذين لبسوا الخرقة من الشيخ عبد القادر الجيلي وتفقهوا عليه وسمعوا الحديث منه، وكان لهم دور يذكر في الدولة النورية والأيوبية، الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الانصاري الدمشقي الفقيه الحنبلي الواعظ[٤] (ت ٥٩٩ هـ) نزيل مصر، والمعروف بابن نجية و(ابن نجا)، بعثه نور الدين محمود بن زنكي رسولاً إلى بغداد سنة ٥٦٤ هـ، "ثم سكن مصر قبل دولة صلاح الدين وفي أيامه وكان له

---

(١) أبو شامة، الذيل، ص ١٣. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٩. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٩٦. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥١٧.

(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٩.

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٨. ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٩٥.

(٤) انظر ترجمته في: البنداري، الفتح بن علي، (ت ٦٤٣ هـ). سنا البرق الشامي، وهو مختصر لكتاب البرق الشامي للعماد الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ)، ط (بدون)، (تحقيق دكتورة فتحية النبراوي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩. ص ٣١٤-٣١٥. أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٤-٣٥. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ١٥٥-١٥٦، ٢٣٠. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٧١-٧٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥٥٤-٥٥٥. عباس، الدكتور احسان، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج ١، ص ١٩٣-١٩٦ (كتاب الاستسعاد لابن الحنبلي). أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٤-٣٥.

منه منزلة جليلة، وهو الذي نمّ على عمارة اليمني الشاعر و أصحابه بما كانوا عزموا عليه من قلب الدولة فشنقهم صلاح الدين.... وكان صلاح الدين يكاتبه و يحضره مجلسه هو وأولاده عبد العزيز و غيره، وكان له جاه عظيم و حرمة زائدة" [١]، وهو الذي نصب له سرير الوعظ بعد انقضاء صلاة الجمعة الأولى في القدس بعد فتحها على يد صلاح الدين يوم ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ، وذلك بعد خطبة القاضي ابن الزكي، وقد حضر صلاح الدين وعظه[٢].

وفي مصر " كان يعظ بجامع القرافة مدة طويلة، وله فيها وجاهة عظيمة عند الملوك... وكان صلاح الدين... يسميه عمرو بن العاص، و يعمل برأيه، وكان أهل مصر لا يخرجون عما يراه لهم زين الدين يعني ابن نجية وكثير من أرباب الدولة " [٣].

وفي بغداد اجتمع بالشيخ عبد القادر وغيره من الأكابر ووعظ بجامع المنصور[٤].

ويذكر الشطنوفي، ويتابعه التادفي، خبر لبس ابن نجا الخرقة من الشيخ عبد القادر الجيلي وقراءته الفقه عليه وسماعه الحديث منه، ثم يذكر خبراً يؤكد فيه اتصال ابن نجا بالدولتين النورية والأيوبية وأثره فيهما بسبب كرامة من كرامات الجيلي، حيث إن ابن نجية حج ثم أتى بغداد والتقى بالجيلي فلما سلم عليه قال له الجيلاني" أهلاً وسهلاً بواعظ الديار

---

(١) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٤-٣٥.

(٢) البنداري، سنا البرق الشامي، ص ٣١٥. عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج ١، ص ١٩٥.

(٣) عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج١، ص ١٩٤-١٩٥.

(٤) عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ١٩٤. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥٥٤.

المصرية". فتعجب ابن نجا وقال له: كيف وانا لا أحسن أصحح الفاتحة، فقال: أمرت أن أقول لك هذا. قال ابن نجا: "فاشتغلت عليه [أي على الشيخ عبد القادر] بالعلم ففتح الله عليّ بالعلم في سنة ما لم يفتحه على غيري في عشرين سنة، وتكلمت ببغداد". ولما استأذن للسفر إلى مصر أوصاه الجيلي أن يقول لجيش نور الدين المتأهب لدخول مصر أنهم لن يملكوا مصر في هذه المرة و إنما في مرة أخرى، فلما أبلغهم ابن نجية لم يقبلوا منه، ثم إن ابن نجية دخل مصر فوجد الخليفة المصري متأهباً فأخبره ان جيش نور الدين لن ينجح في مسعاه، فلما تحقق الأمر اتخذه الخليفة المصري جليساً وأطلعه على اسراره، ثم جاء جيش نور الدين في الثانية فملكوا مصر، وأكرموا ابن نجية بالكلام الذي قاله لهم بدمشق(١).

إن محور هذا الخبر هو أحدى كرامات الشيخ عبد القادر، وكيف كانت سبباً لبداية اتصال أحد تلاميذه بأرباب السلطة، وليست الكرامات بحدّ ذاتها محور الاهتمام هنا، فهذا مما لا يتسع البحث له، وإنما ما يهم البحث هو مدى تأثر أهل ذلك العصر بالكرامات وموقفهم منها وإيمانهم بها على نحو أملى عليهم في بعض الأحيان مواقفهم في الأحداث التاريخية. وكما أنه يصعب تصور التصوف بدون كرامات في القرن السادس الهجري، كذلك فإن تصور مجتمع تلك الفترة يبقي تصوراً قاصراً إذا لم يؤخذ بعين الاعتبار دور الكرامات فيه وأثرها في الفعل التاريخي، وذلك بصرف النظر عن موقف المؤرخ تجاه الكرامات الصوفية، سلبياً كان أم إيجابياً، ويؤكد هذا القول حقيقةُ مفادها أنه لا يكاد مصدر من المصادر التاريخية يخلو من ذكر

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٥٥-١٥٦، ٢٣٠. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٧١-٧٢.

أصحاب الكرامات، الأمر الذي يدل على أن الكرامات كانت عنصراً ثابتاً من العناصر النفسية و الفكرية لأهل تلك الفترة، وبالتالي فإنها تدخل في الفعل التاريخي لهم.

ومن مشاهير تلاميذ الشيخ عبدالقادر، الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي[١] (ت ٦٠٠ هـ) قدم بغداد هو والموفق بن قدامة المقدسي فنزلا في مدرسة الشيخ عبد القادر لما تفرس فيهما الخير والصلاح فأكرمهما وسمعا عليه، ثم توفي الشيخ عبد القادر بعد قدومهما بخمسين ليلة، وكان ميل عبد الغني إلى الحديث و الموفق إلى الفقه[٢]، قال موفق الدين بن قدامة المقدسي: "لبست انا والحافظ عبد الغني الخرقة من يد شيخ الإسلام محي الدين عبد القادر في وقت واحد، واشتغلنا عليه بالفقه وسمعنا منه وانتفعنا بصحبته ولم ندرك من حياته سوى خمسين ليلة" [٣]، وقد اشتهر عبد الغني بالرحلة في طلب الحديث، ومن مصنفاته كتاب الكمال في اسماء الرجال، وغيره، وكان زاهداً عابداً أمّاراً بالمعروف نهاءً عن المنكر[٤] ويذكر له ابن رجب بعض الكرامات[٥].

---

(١) انظر ترجمته في: أبو الشامة، الذيل على الروضتين، ص ٤٦-٤٧. ابن الساعي، الجامع المختصر، ص ١٤٠. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٠، ٢٣١، وغيرها.
الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٧٣ (الرقم ١٠٠٨).
ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٣، ص ٤٦-٤٨. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٥-٣٢ (الرقم ٢١٤).

(٢) الذيل على الروضتين، ص ٤٦.

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣١.

(٤) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٧٣.

(٥) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٢٧.

ومن تلاميذ الشيخ الجيلي، عبد الله بن أبي الحسن بن أبي الفرج الجبائي[١] (ت ٦٠٥ هـ)، من قرية الجبة من عمل طرابلس بجبل لبنان، وكان نصرانياً وأسلم وعمره إحدى عشرة سنة ثم رحل إلى بغداد في سنة ٥٤٠ هـ، وصحب الشيخ عبد القادر وتفقه على مذهب ابن حنبل[٢]، وقد لازم الشيخ عبد القادر واشتغل بالعبادة والانقطاع ولما توفي الشيخ عبد القادر سافر إلى اصفهان واستوطنها[٣] وقد حكى عن الشيخ عبد القادر كثيراً من احواله وكراماته[٤].

ويذكر الجبائي أمراً وقع له مع الشيخ عبد القادر الجيلي فيه دلالة واضحة على دور الشيخ عبد القادر في إحياء تيار تصوف الفقهاء آنذاك، فقد ذكر الجبائي أنه كان يسمع كتاب حلية الأولياء على شيخه أبي الفضل بن ناصر، فرقّ قلبه واشتهى أن ينقطع عن الخلق ويشتغل بالعبادة فمضى إلى الشيخ عبد القادر الجيلي فصلى خلفه، فلما جلس نظر إليه الشيخ عبد القادر وقال: "إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم، فحينئذ يصلح لك الانقطاع، وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه وانت فريخ ما ريشت فإن أشكل عليك شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك و تسأل الناس عن أمر دينك؟ ما يحسن بصاحب الزاوية أن يخرج من زاويته ويسأل

---

(١) انظر ترجمته في: الشطنوفي بهجة الأسرار، ص ٢٣١. الذهبي المختصر المحتاج إليه، ص ٢٢٧ (الرقم ٨٢٣). تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ١٧٥. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٧، ص ٦٩. ابن رجب، الذيل، ج ٢، ص ٤٤ (الرقم ٢٢٤). ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٩. عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ١٨٦.

(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ١٧٥.

(٣) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٤) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ٤٦.

الناس عن أمر دينه. ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يُستضاء بنوره" [١].

إن في هذه الحكاية دلالة على منهج الجيلي في ترتيب الفقه قبل الانقطاع والتصوف، وقد أسهم هذا المنهج في الارتقاء بالفقهاء وبالصوفية على حدّ سواء، وفي ردّ الفقه و التصوف ليكون أحدهما استمراراً للآخر، وربما كان دافع الجيلي في حرصه على ترتيب الفقه قبل التصوف أن لا يدعي التصوف غير فقيه نظراً للمخاطر الاجتماعية التي تترتب على انفلات التصوف من ضوابطه الشرعية.

وقد كان الجبائي كبير الحرمة ببغداد وبأصبهان، وكان إذا مشى في سوق اصبهان قام له أهل السوق[٢].

ومن تلاميذ الشيخ الجيلي المعروفين، عمر بن مسعود بن أبي العز الفراش، أبو القاسم البزاز[٣] (ت٦٠٨هـ)، أحد أعيان أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلي، صحبه مدة طويلة، وتفقه عليه وسمع منه الحديث وتخلق بأخلاقه وتأدب بآدابه وسلك طريقته، وقد كان له خان يبيع فيه البز ثم ترك ذلك وانقطع إلى زاوية (رباط) له إلى جانب مسجد بالجانب الغربي، والتحق به

([١]) ابن رجب، الذيل، ج ٢، ص ٤٦، نقلاً عن ابن النجار. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣١.

([٢]) ابن رجب، الذيل، ج ٢، ص ٤٦، نقلاً عن ابن الحنبلي. عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج ١، ص ١٨٧.

([٣]) انظر ترجمته في: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١٢٤ (الرقم ١٢٨٤).
الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٢.
الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٨٨ (الرقم ١٠٦٧).
تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٠٣.

جماعة من الاتباع، فاشتهر اسمه وشاع ذكره، وقصده الناس للزيارة وكثر الفقراء [اي من الصوفية] حوله، وصار الناس يقصدونه بالنذور والصدقات والهبات والفتوح وينفق ذلك على من عنده، وتاب على يده خلق كثير من خواصّ مماليك الخليفة الترك، ولبسوا منه خرقة التصوف وصلحت أمورهم وانتفعوا بصحبته، وصار منهم جماعة إلى مقامات الزهاد والعباد، وكان للبزاز كلام حسن على طريقة القوم، وله شعر في التصوف، ومنه قوله:

إلهي لك الحمد الذي انت اهله على نعم ماكنت قط لها أهلا

إذا زدت تقصيراً تزدني تفضلاً كأني بالتقصير استوجب الفضلا

وقد حضر ابن النجار – صاحب ذيل تاريخ بغداد – عنده غير مرة وسمع كلامه، وقال عنه " على وجهه انوار الطاعة "[١].

وقال الذهبي عنه "كان من بقايا المشايخ الكبار ببغداد"[٢]. وقد ذكر الشطنوفي ان البزاز كان فقيهاً مفتياً[٣]

يتجلى في ترجمة الشيخ عمر البزاز نموذج سوسيولوجي الذي كان للصوفية ببغداد، فهو فقيه صوفي صاحب رباط وله أتباع كان منهم أعداد كبيرة من خواص مماليك الخليفة الترك، وهذا يلقي ضوءاً على جانب من جوانب الحياة الخاصة لخواصّ الخليفة وحاشيته، ويرجح الباحث أنه الخليفة

---

(١) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٠٤.

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٢-٢٣٣.

الناصر لدين الله، ويمكن فهم توجه خواص مماليكه نحو التصوف في ظل اهتمام الناصر بتنظيم الفتوة، وهو أمر يدعم علاقة التصوف بالفتوة في أواخر القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع، ويحتمل أن يكون ميل مماليك الناصر إلى التصوف بتوجيه من الناصر نفسه.

كما يستنتج من ترجمة البزاز أن بعض تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي كانوا يبنون أربطة لأنفسهم ينشرون من خلالها طريقة الجيلي في التصوف، وهذا ما تؤكده الترجمة التالية أيضاً.

ومن مشاهير تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي، الشيخ أبو الثناء محمود بن عثمان بن مكارم النعّال الحنبلي(١) (ت٦٠٩هـ)، كان من الصالحين الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر(٢)، قال ابن رجب: "وكان الشيخ محمود وأصحابه ينكرون المنكر ويريقون الخمور، ويرتكبون الأهوال في ذلك.... وكان يُسمى شحنة الحنابلة" (٣)، فقد "أنكر على جماعة من الأمراء، وبدّد خمورهم

---

(١) أنظر ترجمته في: أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢.
الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٤٨.
ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٧٧.
ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٦٣ (الرقم ٢٣٣).
ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧١.
عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ٢٠٠.

(٢) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٤٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٧٧.

(٣) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٦٤.
ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧٢.
عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ٢٠٠.

وجرت بينه وبينهم فتن وضرب مرات، وهو شديد في دين الله، له إقدام وجهاد" [١].

وفي هذا الخبر ما يشير إلى جانب من الدور الاجتماعي الذي كان يقوم به فقهاء الصوفية في بغداد، وبخاصة الحنابلة منهم الذين تزايد انتشار التصوف بينهم على نحو جلي في القرن السادس الهجري.

ومما يلفت الانتباه أن الرباط الذي بناه النعال بباب الأزج اختص بإيواء أهل العلم من المقادسة، وغيرهم، حيث كان يؤثرهم وانتفع به كثيرون[٢]. وهذا الموقف تجاه المقادسة مفهوم نظراً للحال التي آل إليها أهالي بيت المقدس وما حوله من تهجير إثر الغزو الفرنجي آنذاك، الأمر الذي استوجب تعاطف المسلمين معهم، فكان موقف النعال المؤثر للمقادسة برباطه بمثابة إسهام من متصوفة بغداد في المجهود ضد الغزو الفرنجي. وقد كان هذا الرباط في سنة ٥٧٢ هـ مليئاً بطلبة العلم حتى أنه لم يكن فيه بيت خال[٣]، ويبدو أن الفترة التي قضاها النعال سائحاً في بلاد الشام[٤] على عادة الصوفية في السياحة، كان لها أثر بالغ في موقفه المتعاطف على نحو مميز تجاه المقادسة إذ ليس الخبر كالمعاينة.

---

(١) عباس، شذرات، ج ١، ص ٢٠٠.

(٢) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٤٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٧٧.

(٣) عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ٢٠٠.

(٤) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٤٩.

و يُستفاد من ذلك أيضاً أن سياحة الصوفية في البلاد كان لها أثر تعدّى الإهتمام الصوفي البحت، من حيث إن سياحتهم مكنتهم من الإطلاع على أحوال البلاد التي دخلوها فكانوا بذلك أوسع أفقاً من غيرهم و أقوى شعوراً بالإنتماء إلى أمتهم الواحدة رغم تفرقها السياسي آنذاك، ولا يبعد أنهم كانوا –بفضل سياحاتهم– بمثابة السفراء الشعبيين بين مجتمعات المدن الإسلامية الذين يُحافظون على اتصالها الشعبي وقوة ترابطها، وبدورها عززت الربط الصوفية المقامة في الحواضر الإسلامية هذا الشعور عبر تواصل والتقاء أهل الربط والقادمين من مختلف بلاد الإسلام لغايات صوفية أو فقهية أو كليهما، ويتوقع أن تكون ثقافة أهل الربط الصوفية ثقافةً وحدويّة في زمن كان فيه التشرذم السياسي، وربما المذهبي، هو السائد، إذ لم يعرف عن الربط الصوفية آنذاك أنها مقصورة أو موقوفة على مذهب دون آخر على نحو ما كانت عليه أكثر المدارس، وهذه ميزة للرباط الصوفي على المدرسة الفقهية.

يقول ابن رجب عن رباط الشيخ محمود النعال: "وكان رباطه مجمعاً للفقراء وأهل الدين وللفقهاء... حتى كان الإشتغال فيه بالعلم أكثر من الاشتغال بسائر المدارس... سكنه الشيخ موفق الدين المقدسي، والحافظ عبد الغني [المقدسي] وأخوه الشيخ العماد، والحافظ عبد القادر الرهاوي وغيرهم من أكابر الرحالين لطلب العلم". وقد كان النعال يجلس في رباطه للوعظ[١].

---

(١) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٦٤.
ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧٢.

ومن مشاهير من لبسوا خرقة التصوف من يد الشيخ عبد القادر الجيلي، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الحنبلي[١] (ت٦٢٠هـ)، شيخ الإسلام[٢]، وقد ورد آنفاً أنه لبس خرقة التصوف من الشيخ عبد القادر واشتغل عليه بالفقه، ولم يدرك من حياة الشيخ عبد القادر غير خمسين يوماً[٣]. قال الذهبي: "وكان [موفق الدين] إماماً حجة مفتياً مصنفاً متفنناً متبحراً في العلوم، كبير القدر"[٤]. وله من المصنفات: المغني، والكافي، والمقنع، والعمدة، والتوابين وغيرها[٥]. ويذكر انه شارك مع صلاح الدين الأيوبي في الجهاد ضد الفرنجة[٦]، وقد ذكر ابن رجب بعضاً من كراماته[٧].

أما بقية تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي، فهم أكثر من أن يحصوا، وقد ذكر الشطنوفي أسماء كثيرين منهم معظمهم من مشاهير فقهاء وحفاظ وقضاة تلك الفترة، ومن هنا يتجلى لنا وبوضوح تام الدور الريادي للشيخ

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٩٠، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٥١. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٤٨٣-٤٩١.

ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٣٣ (الرقم ٢٧٢).

(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٤٨٣.

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣١. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٤٨٤

(٤) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٤٨٥.

(٥) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٤٨٧.

(٦) المصدر نفسه، ج ٤٤، ص ٤٩١.

(٧) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٤٢.

عبد القادر الجيلي في عصره وأثره الكبير في العصور التي تلت، ومكانته في نفوس المسلمين شرقا وغربا[1].

---

(1) التل،عمر ،متصوفة بغداد ،دار المامون ،عمان،٢٠٠٩"اقتباس مطول بتصرف للفائدة"،
وانظر ايضا صادق جعفر ،عبد القادر الجيلاني ومذهبه الصوفي ،القاهرة ،ص٤٣-ص١٢٣.

قراءة جديدة
للنصوص التاريخية القديمة

في المنهج والتحليل :

هناك رجال دفعهم الحماس والقوة لإثبات النسب القادري، وبذات الدوافع ولكن محمولة على معول النقد الهدام لا التجرد البحثي، فكانت دوافعهم الطعن لا تقديم المادة العلمية كما ينبغي للباحث الحق، أن يتجرد من تعصبه لفكره، ليضع طرحه العلمي القائم على الثوابت البحثية المتفق عليها، ليقنن ويحكم من خلال مادته العلمية لا من خلال تعصبه وحكمه بغير أدلة، وتنقيح للغث وترجيح للسمين

لهذا وجدت من المهم أن أبداء بدراسة أكاديمية معتمد منهج البحث التاريخي، عن نسب الشيخ عبد القادر، وأقدم صحيح الطرفين المتناقضين، وسوف أنتهي إلى موقف صارم مع الحجة الراجحة والبينة الناصعة حول هذه القضية.

حول إعادة تشكيل النصوص التاريخية.

أولًا : أضواء جديدة على نسب الشيخ عبد القادر.

لقد اختلف الباحثون بنصوص نسب الشيخ عبد القادر، أختلافًا عميقًا وما زالوا مختلفين وقد أنشطروا إلى فريقين، فريق آمن واقتنع بنسبه العربي الهاشمي العلوي الحسني، وقدم حججًا وأدلة وشواهد تاريخية ورسم بعضهم (شجرات) امتدّت جذورها إلى الدرجة النبوية، وتتابع هؤلاء الشيخ حتى أوصلوا نسبه إلى الإمام الحسن المجتبى عن طريق أبيه، وإلى الحسين الشهيد عن طريق أمه وتدافع بعضهم بالحجة والقرينة فأوصل نسبه (بأبي بكر الصديق رضي الله عنه) وبـ (عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، رضي الله عنهما) .

وذهب فريق آخر إلى نفي نسبه العربي والقول بأنه لا ينتسب إلى الأرومة العربية، فإذا ما أسقطوا ذلك أسقطوا نسبه الهاشمي والعلوي والحسني، وقذفوا أدلتهم وحججهم وأوصلوا مقولتهم وهكذا انقسم الرأي بشأن نسب الشيخ إلى قسمين متباعدين .

وانشغل كل من هذين الفريقين بتعزيز وجهة نظره وتنفيذ نظرة الفريق المضاد له فاجتمعت من حول الشيخ مؤلفات كثيرة وكتابات غزيرة وقد انشغل القراء والمثقفون بهذه المسألة على حساب أمور مهمة وصفات أساسية في حياة الشيخ عبد القادر .

الدوافع والاهداف:

والذي تسبب في هذه الخلافات بخصوص نسب الشيخ هو شهرته الدينية والروحية والعلمية والإجتماعية... والسياسية وأن ضريبة الشهرة قديمًا وحديثًا أن تتزاحم الأقلام والمعاول على هذه الشخصية التي برزت فتقدم صوبها بالمديح لكي تزيد من مكانتها وتواصل رفعها وقد يصيب هؤلاء داء العلو فيسيئوا إلى صاحبهم في صومعة الإندفاع لإعلاء كلمته .

<u>عرض المادة التاريخية من المصادر المبكرة.</u>

قبل التفصيل في دلالاته لابد من توضيح أن ما ذكر والمقتبس من كتاب بهجة الأسرار ومعدن الانوار {قام بدراسته وتحقيقه الباحث إستنادا الى مخطوطة نادرة ومهمة} يبين أن هذه المقدمة مكتوبة من قبل الشيخ عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر تمهيدًا لكتاب الشيخ عبد القادر الجيلاني المشهور –بفتوح الغيب– وفي بهجة الأسرار توضيح آخر يبين أن هذا التمهيد حصل بابلاغ من الشيخ نفسه إلى ابنه عبدالرزاق وابلغ هذا ابنه الاخير ابنه نصر، حيث جاء في كتاب بهجة الأسرار ... { أخبرنا الفقيه العالم أبو المعالي أحمد بن الشيخ المحقق أبي الحسن علي ابن أحمد بن عبد الرزاق بن عيسى الهلالي قال : أخبرنا : قاضي القضاة أبو صالح نصر قال أخبرنا والدي عبد الرزاق قال سألت والدي الشيخ محي الدين عن نسبه قال :

عبد القادر بن أبي صالح موسى، بن أبي عبد الله بن يحيى الزاهد، بن محمد، بن داود، بن موسى، بن عبد الله، بن موسى الجون، بن عبد الله المحض ويلقب ايضا بالمجل، بن الحسن المثنى بن الحسن بن أبي طالب رضي الله عنهم ... سبط أبي عبد الله الصومعي وبه كان يعرف } ١٤٠

ويضيف التادفي في قلائده صاعدًا بنسب الشيخ إلى عدنان فيقول ... {ابن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بن أبي طالب، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، ابن مرة، ابن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنافة، بن خزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مطر، بن نزار، بن معد، بن عدنان القريشي الهاشمي العلوي الحسني الجيلي الحنبلي سبط سيدنا عبدالله – الصومعي الزاهد.... } ١٤١

وفي مخطوطة. نزهة الخاطر الفاتر – وفي الورقة ١٧١- جاء فيها... { إن الشيخ سيد ثابت النسب الجامع بينه وبين الحسب فأنه علوي حسني من جانب الأب وهو من جانب الأم سبط عبد الله الصومعي أحد المشايخ الأولياء الكرام ...} ١٤٢

---

(١٤٠) الشنطوفي : بهجة الأسرار ، ص٨٨. وانظر قلائد الجوهر / حاشية ص ، "الاسباب فنية بحتة خارجة عن ارادة الباحث تم البدء بهذا الرقم في الهامش ، وتعتذر دار الزنبقة عن هذا الارباك في بعض هوامش الكتاب".

(١٤١) قلائد الجواهر:ص٣

(١٤٢) أنظر مخطوطة نزهة الخاطر الفاتر من مخطوطات المكتبة القادرية في بغداد

إن مقدمة الشيخ عبد الرزاق على كتابه – فتوح الغيب – وهو من كتب الشيخ عبد القادر، المعتبرة والتي طُبِعَت أكثر من مرة، والخبر الذي أورده الشنطوفي والذي خلاصته إن الشيخ عبد الرزاق سأل والده عن نسبه فذكر الشيخ الوالد نسبه كما جاء في حاشية كتاب بهجة الأسرار ، وحاشية قلائد الجواهر، وأكد قاضي القضاة نصر بن الشيخ عبد الرزاق هذا النسب ويفهم مما جاء في كتاب قلائد الجواهر وكان الشيخ عبد الرزق هو الذي تحدث لابنه نصر حول ما سمعه من أبيه ن نسبهم، لهذا فان ما جاء في مقدمة كتاب – فتوح الغيب – يعتبر حديثًا من وأحد من ثلاثة أركان من البيت الجيلاني الشيخ عبد القادر نفسه وأبنه عبد الرزاق وحفيده نصر ولهذا فنحن نعتبر هذا القول من اكثر الاقوال "حجية " على نسب الشيخ عبد القادر وذلك للاعتبارات التالية :

أ- إن في تضامين هذا الجزء والذي جاء في المقدمة من كتاب فتوح الغيب فإن هذا إعلان صادر من الشيخ وأفراد عائلته وهؤلاء الثلاثة كانوا جميعًا نحسبهم ولا نزكيهم على الله من الأتقياء الصالحين والصادقين المؤمنين الذين لا يقولون إلا الصدق–. ومن الذين ينطبق عليهم القول – إن الناس مؤتمنون على أنسابهم وإنهم على يقين بأن الناس جميعًا من آدم وآدم من تراب وأن لافرق بين أعجمي وعربي إلا بالتقوى .

ب- متابعة حياة الشيخ عبد الرزاق وولده – نصر – تكشف أن الشيخ عبد الرزاق كان ملازمًا لأبيه وكان يحضر مجلس وعظه، وكان مبعوثه إلى أطراف دولته – دولة الصالحين – وكثيرًا ما كان يخص الشيخ

عبد الرزاق وولده " نصر " بحديث خاص لثقته به واهتمامه وقناعته بأنه يستحق مثل هذه الرعاية .

وعماد الدين قاضي القضاة نصر كان هو الآخر مهتمًا بمناصب جده وقد سافر إلى الجيل – ليقف على أخبار عائلته وكرامتها، كما سافر الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر عن سفرية قائلًا ...{ من أكابر المشايخ من بلاد الجيل في رحلتي إليها يرون عن أكابرهم أنه يعني الشيخ عبد القادر كان لا يرضع في نهار رمضان } ١٤٣

مما يبين أن – نصر – هذا إلى جانب مكانته الدينية والعلمية كان يسعى للوقوف على حقيقة جده وقدم ما وقف عليه وصرح به فحينما يتحدث عن نسب جده يكون صادقًا وأمينًا لان مثل هؤلاء ليسوا بحاجة لأن يسحبوا لأنفسهم نسبًا ليس لهم وهم مدركون بأن شرف الانتساب للإسلام وبلوغ درجة الأولياء فيه لا تدانيها درجة فإذا ما صح لدينا بأن هذا الخبر منسوب إلى الشيخ الجيلي الكبير وإلى ولده وإلى حفيده فإننا نعتبر هذا مرجعًا سليمًا وصحيحًا . (١٤٢)

ويمكن التعديل عليه والاطمئنان إلى ما جاء فيه واعتباره البداية والأساس الذي نبني عليه حكمنا بخصوص نسب الشيخ

١- وجاء في كتاب –الفتح المبين– لمؤلفه ظهير الدين القادري جامعًا وناقلًا عن عدد كبير من الكتاب والمؤلفين يزيد عددهم عن ما نصته ...{... وقال – الإمام الشعراني - : الذي ليس له في نزهة النفس وقوة العلم ومزيد الانصاف ثاني ... في طبقاته الكبرى ... (أبو صالح سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه وهو ابن موسى بن عبد الله

بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين } ...

٢- وقال علي القاري في كتابه نزهة الخاطر ...{ إنه بلغني أن بعض الجهلة بمقام مولانا وسيدنا تاج المخاطر الذي خضع له ركاب الأكابر القطب الرباني .... الشيخ عبد القادر الجيلاني ... أن الشيخ ليس بسيد في النسب وأنه لم يعقب أولادًا حتى ينتسب ... فأجبت أن أذكر بعضًا ما يتعلق بنسبه الشريف وحسبه اللطيف فأما نسبه إجمالًا فقد ذكر مولانا نور الدين عبدالرحمن جامي ... في الجامع بينه وبين الحسب، فإنه علوي حسني من جانب الأب وهو من جانب الأم سبط عبد الله الصومعي }... "و" قال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني الشافعي تتمه روض الرياحين لحكايات الصالحين: إن الشيخ محي الدين أبا محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله ... بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين سبط أبي عبد الله الصومعي الزاهد وبه يعرف حين كان بجيلان .... وفيه تبين أن الشيخ رضي الله عنه سيد شريف من الطرفين بحسب الإبتداء الذي عليه مدار الإنتهاء ...

"و" {قال الشيخ العلامة زروق في = قواعده – المتظمنة لموائد فوائده = لما تكلم في النسب المصطوفي ان المعتبر أصل النسب الديني وفروعه مجردا ثم ان نظاف إلى الطين كان له مؤكدا فلا تلحق رتبة صاحبه لمجال ابدا ولذا اجبت عن قول الشيخ أبي محمد عبد القادر قدمي هذه على رقبة كل ولي لله

في زمانه لانه جمع بين علو النسب وشرف العبادة والعلم مالم يمن لغيره من اهل وقته }... ١٤٤

وأكد نسب الشيخ الشريف عدد من المؤرخين وقد لخص صاحب كتاب الفتح المبين اقوالهم وقد رجعنا اليها كما جاء في تلخيصه وعلى النسق التالي { .... (وقال الشيخ صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي الداراني .. ثم الدمشقي .. في كتابه = فوات الوفيات = عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما) ... (وذكر أبن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ... ثم رفع نسبه إلى الإمام الحسن رضي الله عنه ... فقال حضرة الشيخ عبد القادر بن موسى أبي صالح بن عبد الله ..... بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنهما بنت سيد الأولين والأخرين صلى الله تعالى عليه وعلى اله وصحبه أجمعين) ... (وقال أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي الألوسي ... في كتابه شجرة الأنوار .. سلطان الأولياء عبد القادر الجيلاني .. وهو على ما في شذرات الذهب ابن أبي صالح عبد الله جنك دوست بن أبي عبد الله ..... بن الحسن السبط بن علي كرم الله تعالى وجهه وهو سبط عبد الله الصفوة المكرم من العلماء الأعلام مثل: الإمام اليافعي والهمام مجد الدين صاحب القاموس والعلامة القسطلاني والقطب موسى اليونيني الحنبلي وغيرهم من الأفاضل وكل من ترجم من طبقاته أو ذكر في تاريخه من مشايخ المؤرخين أثبت نسبه الشريف وذكره مثلما تقدمت التقول (١٤٤) ظهير الدين القادري: الفتح المبين ص٢ –ص١٦

فيه من الوجه المنسق ولو أردنا الاستقصاء لكل ما جاء في هذا الباب لاجتمع من ذلك مجلدات عديدة كل واحدة منها يزيد حجمًا على هذا الكتاب ومع هذا فلا نجد أحدًا .... من أهل السنة المرضيين إلا وهو في صحته ثبوت نسبه الشريف من الموقنين } ١٤٥

٣- وبخصوص نسبه من أمه فقد لخص ظهير الدين القادري في كتابه – الفتح المبين – ما جاء في مصادر متعددة بخصوص نسب الشيخ عبد القادر من أمه وأبيه فقال ... { وقال العلامة والمدقق ..... محمد غوث بن ناصر الدين محمد المخاطب بشرف الملك ... في مناقب الغوث الأعظم السيد الشيخ عبد القادر ما نصحه الجدول الثاني في نسبه الشريف رضي الله تعالى عنه وهذا الجدول مشتمل على شعبتين ...

- الشعبة الأولى : في أبائه – رُوي عن الشيخ أبي بكر عبد الرزاق ولده برواية قاضي القضاة أبي صالح نصر رحمه الله أن ولده الشيخ عبد القادر بن صالح موسى بن أبي عبد الله بن يحيى الزاهد .... بن الإمام الحسن المجتبى بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين إلى ان قال :
- والشعبة الثانية في ذكر أمه رضي الله عنها أم الخير فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي ابن أبي جمال ابن السيد محمد ابن السيد علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام

(١٤٥) المصدر السابق ص ١٧-٢٠

علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ....

أقول وقد ساق هذا النسب الشريف على هذا الوجه المنيف العلامة الفهامة – شيخ دقته وفاضل عصره " محمد فاضل الدين " رحمه الله في كتابه – بيان الأسرار – ناقلًا له عن شيخ الإسلام الإمام اليافعي .

"و" {قال العلامة مؤلف كتاب = تحفة الابرار= فيه : وجده لأمه هذا أبو عبد الله الصومعي من أجله مشايخ جيلان ورؤساء زهاوهم له الأحوال النسبية والكرامات الجلية ....}

"و" { قال الشيخ محمد القزويني : الشيخ أبو عبد الله الصومعي الزاهد ... كتاب مجاب الدعوة ... دائم الذكر ... ظاهر الخشوع... صابر على حفظ حالة ومراعاة أوقاته ... ثم قال ... وأمه رضي الله عنها أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي الزاهد ابن أبي جمال ابن السيد محمد .... ابن الإمام جعفر الصادق .... ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان لها حظًا وافرًا من الخير والصلاح ....

وأشتهر ببلاد جيلان أنه ولد للأشراف ولد لايرضع في نهار رمضان ....} ١٤٦
ويقول الشيخ محمد المكي بخصوص نسب الشيخ من امه .....
{.... والصومعي شريف حسيني كما ذكره غير واحد من العدول والثقافة ... هذا لفظ الشيخ علي القاري : فالإمام الجيلي حسني من جهة الأم حسيني

من جهة الأم، ونسبه الحسني هو أن أمه السيدة فاطمة أم الخير بنت أبي عبدالله الصومعي، ابن أبي جمال الدين محمد بن محمود ، ابن أبي العطاء .... ابن محمد الجواد وابن علي الرضا، ابن موسى الكافي، ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ، ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط رضي الله عنه وعنهم أجمعين ... } ١٤٧

ويتصل نسب الشيخ عبدالقادر من جهة امه بالخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي هذا يقول ابن الوردي :{ وأم أبيه عبدالله – يقصد عبدالله بن موسى والد الشيخ عبدالله جد الشيخ عبدالقادر السادس وفي هذا يقول أبن الوردي وأم ابنة عبدالله أم سلمى بنت محمد بن طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ...} ١٤٨

اقوال وأشعار للشيخ عبد القادر ينتسب بها للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

جاء في أرجوزة للشيخ عبد القادر يفتخر بها إلى الرسول الأكرم محمد أفضل الصلاة والسلام:

- {كنيتي أعلى المناصب *** لم ازل قطبا مكرم
- خطوتي الدنيا وجندي *** قدسوا بالجود عندي

---

(١٤٦) الفتح المبين ،ص٥

(١٤٧) محمد المكي ، السيف الرباني ،ص٥-٦

(١٤٨) أبن الوردي :ج٢ /ص٩٩

- والتهامي صار جدي *** أشرف الخلق المعظم}١٤٩

وجاء في بهجة الأسرار وفي فتوح الغيب في حاشية البهجة شعر للشيخ عبد القادر :

- {فمن من رجال الله نال مكاني *** وجدي رسول الله في الأصل رباني}
- {ووالدتي الزهراء بنت محمد *** أبو رسول الخلق عز بهم شأني }١٥٠

في هذه الأشعار يعلن الشيخ اعتزازه بنسبه إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقد يعترض البعض بأن أشعار الشيخ هذه قُصِدَ بها الانتساب الروحي المعنوي وليس الانتساب المادي المعروف، فلذلك فهي لاتؤلف ضجة في هذه الأشعار يعلن الشيخ اعتزازه بنسبه إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقد يعترض البعض بأن أشعار الشيخ

هذه قُصِدَ بها الانتساب الروحي المعنوي وليس الانتساب المادي المعروف، فلذلك فهي لاتؤلف ضجة القائلين بنسب الشيخ العربي .... نحن مع هؤلاء بأن الشيخ كان قد قصد الاعتزاز بشرف الانتساب الواقعي إلى الرسول الأعظم وأن هذا الاعتزاز من الشيخ ليس تفاخر بالانتساب المجذور منه وإنما هو اعزاز بواقع من الشرف الاعتزاز به، فالرسول صلى الله عليه وسلم نفسه اعتز بنسبه العربي حينما قال صلى الله عليه وسلم ... { أحب العربية لاني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي }

---

(١٤٩) كامل الشيبي : الصلة بين التصوف والشيخ ،ص ٤٤٤ ، وانظر المصدر السابق ص١١

(١٥٠) مفتوح الغيب ، ص ٢٢٧ ، وانظر بهجة الأسرار هامش ،ص٢١١.

قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد. المجلد العاشر، تابع كتاب المناقب ،باب ما جاء في فضل العرب:

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي". رواه الطبراني في الكبير والأوسط إلا أنه قال: "ولسان أهل الجنة عربي". وفيه العلاء بن عمرو الحنفي وهو مجمع على ضعفه"اهـ. فالحديث بمجموع طرقِه حسنٌ لغيرِهِ أو يرتقي من الضعف الشديد إلى الضعف الخفيف كما مر ولا بأس بروايتِهِ تَبَعًا للقواعد الحديثية.

وقال الشيخ ...{ كل ولي على قدم نبي وأنا على قدم جدي صلى الله عليه وسلم وما رفع قدما إلا وضعت قدمي في موضعه إلا ان يكون قدما من أقدام النبوة ...} ١٥١

في هذا القول "الأبستمولوجي" اعلان بانتساب الشيخ إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وذلك في نص قوله = وانا على قدم جدي صلى الله عليه وسلم وذلك تحمل دلالات مادية إلى جانب دلالاتها الروحية والمعنوية ، وان اعتراض معترض وكرر القول ان الشيخ قصد بقوله هذه العلاقة المعنوية فحسب ونحن نعلق بان الأخير أن تكون مع هذه العلاقة الروحية علاقة مادية تزين هذه الصلة بالنبوة والولاية

(١٥١)التادفي : قلائد الجواهر ص٢٦(مفتوح الغيب ،ص٢١٨

من أشعار التي تحمل معاني الانتساب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله :-

{ محمد الرسول للخلق رحمة *** وجاهد في كفارهم بالقواضب
أتاني مرارًا قبل عهدي وقال لي *** أنا جدك أفتخر بي فخر المخاطب
إمامي رسول الله جدي وقدوتي *** وعاهدني من كفه وهي طالبي }١٥٢

وفي هذه الأشعار اعتزازي صريح من الشيخ بنسبه للرسول صلى الله عليه وسلم وتفاخر بهذا النسب بمواقفه من رسول الله نفسه صلى الله عليه وسلم وأن من يقرأ هذه الأشعار ويتعهن ها يلمس بأن هناك حوارا بين الشيخ وجده وأنه صلوات الله وسلامة عليه يعلن مواقفه على الانتساب به والتفاخر باعلانه ...

وأن اعتراض معترض بأن هذه الأشعار هي لسان حال الشيخ وليست بالضرورة إقرار من من نفسه فتقول هؤلاء بان الشيخ وهو على مكانته العالية من التقوى والورع لايمكن أن يضع نفسه في هذا الموضع ويسمي نفسه حفيدًا للرسول، والرسول صلى الله عليه وسلم يطالبه بالفخر والانتساب إليه، لولا اطمئنانه بأنه كذلك في النسب إلى الرسول وفي الصدق للعلاقة به ، ومن هنا فإن مثل هذه الأشعار والأقوال التي أشرنا إليها تكون علامة ودلالة على الصلة في النسب والقرابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وضع الشيخ عبدالقادر في واسطة العقد من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

- وجاء في كتاب مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب، قول الشيخ عبدالقادر :{ وقال الشيخ عبدالقادر

الجيلي قدس الله سره – ويكره كل خالق زي العرب وأشبه زي الأعاجم – وقال :- وإذا تقدم ما تغسل فيه الأيدي فلا يرفع متى تغسل الجماعة أيديهما لأن ترفع من زي الأعاجم -}١٥٣

إن مثل هذا القول يضع الشيخ عبد القادر بؤرة الاعتزاز بالعرب زيًا وسلوكًا وعادات ويبتعد عن كل ما يشبه زي الأعاجم والتصرف بمثل ما يتصرون فإذا صح هذا عن الشيخ فإنه يدخل البيت العربي من أوسع أبوابه لأن ترفع من زي الأعاجم .

- وكان الشيخ عبدالقادر يعتز – بعروبته وانتمائه – فحينما وصل بغداد في سنة ٤٨٨ هـ وقد انصرف من عمره ثمانية عشر سنة في مسقط راسه جيلان (العراق) وقد صار لسانه لحان لان الجيل كان يسكنها الكرد . وكانت العربية موجودة ولكنها غير متداولة بالبلدة بشكل واضح أي انها لغة ثانية وهذا مازال موجودا في اغلب البلدات الكردية العراقية والتي تقع جنوب كردستان، فتوجه إلى تعلم العربية الفصحى على أشهر علمائها وواصل الدرس والإحاطة بعلومها زمنًا طويلًا وكان يعتذر عن الخطاب والتحدث إلى فصحاء بغداد . ويبدو أن الشيخ كان – مهمومًا – للحن لسانه، فكان يتنفس عن همه منشدًا

{ وما ينفع الأعراب أن لم يكن تقى **** وما ضر ذا تقوى لسان معجم } ١٥٤

إن شعر الشيخ هذا يعلن فيه – لحن لسانه وليست عجمية نسبه وقوله – ما ينفع الأعراب....– تضمين لمعنى الآية القرآنية الكريمة { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) سورة الحجرات} وهذا يعني أن الشيخ يريد أن يقول إن لحن لسانه لا تمتد إلى حقيقة وإلى قلبه وإيمانه.

وقد واصل تعلمه العربية حتى صار خطيبًا فيها، معتزًا بلغة القرآن وعملًا بهدي رسوله الذي كان يقول ويردد قوله المسلمون المؤمنون ومنهم الشيخ عبدالقادر الجيلي فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:- { أنا عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي .

---

(١٥٣) الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي : مسواك الذهب ،ص٥٨

(١٥٤) بهجة الأسرار ، ص١٠٣

. Hastings, James and Selbie, John A. ١٠. (A - Algonquins) pg ١. (A - Art). Part ١volume
Adamant Media corporation٢٠٠١) ٣١- ينظر في: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج ٩، ص ١٦٨ – ١٧٠. و ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩،و سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٣٩ – ٤٠،و ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢١٦ – ٢١٩،و السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ١٩١ (ترجمة مطولة)،و الأسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١١١،و ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٢، ص ٢١٤،و الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٥١٦،و المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٧٠٤، (الرقم ٤٤٥).

ثانيًا : مشككون بنسبه العربي العلوي الحسني.

١- حجج وأسانيد المشككين بنسب الشيخ .....

بنى المشككون في نسب الشيخ عبدالقادر العربي ، العلوي الحسني على أمور أهمها :

أ- أن الشيخ عبد القادر لم يعلن صراحة أو يتحدث جهارًا عن نسبه كما أنه لم يكتب في كتبه عن هذا الموضوع ولهذا اعتبر الواسطي في كتابه (ترياق المحبين) وصاحب كتاب بحر الأنساب أن ذلك حجة على الذين قالوا بنسب الشيخ العربي العلوي الحسني . يقول الواسطي: {ولم يعترف بهذه النسبة أحد من علماء النسب ... وقالوا إن الشيخ وأولاده ما ادعوا هذه النسبة} ١٥٦

وقال صاحب كتاب بحر الأنساب :{ ولم يدع الشيخ عبد القادر ذلك ولا أحد من أولاده وإنما ابتدئ بهذه الدعوة ولد ولده القاضي أبو صالح نصر ...} ١٥٧

أن الشيخ عبدالقادر حينما وصل إلى بغداد في سنة ٤٨٨هـ وأقام في برج الأزج ووأصل حياته طلبًا للعلم ومشيًا على درب المجاهدة فإنه عرف = بالأعجمي = فكان إذا ما دخل إلى مجلس أو ذهب إلى زاوية فكانوا يخاطبونه بالشاب الأعجمي مرة والعجمي تارة، واطلقوا على برج الأزج برج العجمي.

لقد جاء في مسلسل نسب الشيخ في كل الكتب التي كتبت عن نسبه قولهم .. { عبد القادر ... ابن أبي صالح موسى جنكي دوست ...} ١٥٨

وقد ورد لفظ جنكي دوست في بعض المصادر باعتباره اسمًا وليس صفة

ب- وذكروا في مسلسل نسبه ..(محي الدين أو أبو محمد ابن أبي صالح جنكي دوست او ابن جنكي دوست) ولما كانت هذه اللفظة – جنكي دوست لفظة أعجمية، تعني محبي القتال فقد بنو على هذه التسمية حكمًا بأن الشيخ ليس من آرومة عربية .

والحجة الرابعة أن الشيخ قد هاجر من مدينة الجيل وقد أثبتنا في دراستنا (جغرافية الباز الأشهب: وهو رسالة جامعية) أنها قرب المدائن في العراق لا في المشرق الإسلامي، وكانت هذه المنطقة جيلان العراق وغيرها من الأقاليم المجاورة لها تسكن بعضها جالية كردية (والكرد من الاقوام الاعجمية الارية ولهم مكانة كبيرة في التاريخ العربي الاسلامي) نازحة إليها من كردستان الكبرى ومنها عدة قبائل كردية مثل بشتير وجاوان ويؤكد ذلك عباس العزاوي في عشائر العراق (مادة بشتير) ومصطفى جواد في دراسته عن قبيلة جاوان الكردية وأن نخوتهم (كانت عجم) ومن هنا كانت صفة العجمة التي كانت.

(١٥٦) ترياق المحبين ، ص٥٠
(١٥٧) بحر الأنساب ص١١٧
(١٥٨).بحر الأنساب ٦٥

يقول الجغرافي ياقوت في معجم البلدان : الجيل قرية من اعمال بغداد تحت المدائن بعد زرارين و يسموها الكيل وقد سماها ابن الحجاج - الكال- قال : لعن الله ليلتي بالكال * إنها ليلة تعر الليالي،(٧٧)

ويقول الشطنوفي، في بهجة الاسرار ومعدن الانوار و الجيل قرية بشاطئ الدجلة على مسيرة يوم واحد من بغداد تحت المدائن بعد زرارين، وفيها ولد شيخ الإسلام عبد القادر و إليها نُسب (٧٨) ، و أغلب سكانها من "الاكراد" النازحين من كردستان الكبرى المترامية الاطراف و بالذات من قبيلة بشدر، حسب معطيات الطوبوغرافيا التاريخية و هذا ما اورده المؤرخ عباس العزاوي في تعليقاته على رحلة المنشي البغدادي و المستشرق الروسي باسيل نيكتين ،في كتابه المهم "الكرد".، (وهم من الاقوام الآرية الاعجمية التي كان

انظر: العزاوي ، عباس ، رحلة المنشي البغدادي ،٦٣ والمؤلف نفسه ، عشائر العراق ، ج٢،ص ٩٥، وباسيل نيكتين ،الكرد ، ترجمة صلاح برواري ، دار الروائع بيروت ،١٩٧٧،ص٢٠٣ وكمال مظهر أحمد ، كردستان ، ترجمة محمد ملا عبد الكريم بيارة ، دار افاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٤، ص ٢٠٤،٢٠٥،١٠٦،١٦١، والفيلي ،نجم سلمان مهدي ، الفيليون ، راجعه جرجيس فتح الله ، ستوكهولهم ،٢٠٠١، ص٣٧١،كذلك شرفخان البدليسي (١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م) ، الشرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكردية ، ترجمة محمد جميل بندي روزبياني (بغداد : مطبعة النجاح ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م) ، ج١ ، ص ص٢٢ ، ٢٤ ،و محمد أمين زكي ، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي ، ترجمة محمد علي عوني (القاهرة : مطبعة مصر، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م) ، ص ص١٢٦ ، ١٢٧،و الامدي ،سيف الدين ،المدارس الصوفية ودورها الاصلاحي ، جريدة الاتحاد ،العدد ٩٨، وللاطلاع على تواجد الاكراد جنوب بغداد تاريخيا انظر: جواد ،مصطفى ، في التراث العربي ، بغداد ،١٩٧٩، دار الحرية للطباعة ، ج٢ ، ص٦٨ ، المعاضيدي ،عبدالقادر، واسط في العصر العباسي ،دار الحرية للطباعة ،١٩٨٠، ص١٩٢ ، العلي ، صالح احمد،منطقة واسط، مجلة سومر م ٢٦ ،١٩٧٠ ، م٢٧، ١٩٧١..والمعروف ان الاكراد ،"يفخرون كونه ولد و نشأ بينهم و يعرفون ذلك و يتعاملون على اساسه" ،مقابلة مع الدكتور كمال مظهر احمد ، بتاريخ ١٩٩٩/١١/٨م ومقابلة مع السيدة أمل رشيد عالي الكيلاني ،ابنه رئيس الوزراء العراقي السابق، بتاريخ ٦/١٣/ ١٩٩٩

the Encycl opaediq of Islam, M.th Houtsma, vol II, printed by E,J. Brill, leyden, 1927). P1140

لها دور كبير في التاريخ و الحضارة الاسلامية، و يطلق على الاكراد قريش العجم تعظيما لهم) و ما ذكره المؤرخ والوزير الكردي محمد أمين زكي لـ "رشيد عالي الكيلاني" حيث اراد ان يذكر اسم الشيخ عبد القادر الجيلي في كتابه: اعلام الكرد ، و لكن رشيد عالي الكيلاني التمس منه تأجيل الموضوع لاسباب سياسية ، وغيرهم من المؤرخين و هذا يعلل تعلق الاكراد به كونه نشأ في بيئة كردية ومن المعروف أن الكرد يعتبرون الامام عبد القادر الجيلي احد اعلامهم ومن هنا جاءت العجمة المضافة في بعض المصادر وهذا ما وضحه الدكتور مصطفى جواد، في كتابه اصول التاريخ والادب. وقد تفاعلت هذه مع النقاط الأخرى فتحرك هؤلاء المشككون في كل الإتجاهات وحول كل هذه النقاط ليدفعوا الشيخ بعيدًا عن النسب العربي.

ومما زاد من الأمر – تعقيدًا أن الحكم على شخصية الشيخ عبدالقادر بأنه "أعجمي وعجمي" قد ورد في الكتب التي كانت مؤيدة له مفاخرة بكرامته وعلمه ومنها كتاب – بهجة الأسرار للشنطوفي – وقلائد الجواهر للتادفي وهي من كتب المتأخرين ،والتادفي ناقل من الشطنوفي حرفيًا والشطنوفي هناك عدة روايات لكتابه البهجة ولكن التي تم تداولها كانت محرفة عن الأصل وهي تذكر عجمة الشيخ أما بعض النسخ المخطوطة الأخرى فلا وجود لهذه الأوصاف فيها مما يجعل الموضوع محل نظر.

٢- أشهر القائلين والمشككين بنسب الشيخ .

أ - أقدم المشككين أو القائلين بنسب الشيخ هو :

صاحب كتاب بحر الأنساب والذي جاء في الصفحة ١١٧ منه ما نصه : { ... وقد نسبوا إلى " عبد الله بن محمد بن يحيى " المذكور الشيخ الجليل الباز الأشهب صاحب الخطوات محي الدين عبد القادر الكيلاني فقالوا : هو عبد القادر بن محمد أحد من أولاده وانما أبتدئ بهذه الدعوى ولد ولده القاضي أبو صالح نصر ابن أبي بكر ابن الشيخ عبد القادر على أن عبد الله المذكور رجل حجازي لم يخرج من الحجاز، وهذا أعني جنكي دوست أعجمي صريح كما تراه .

وقال العمري في مشجراته – نسب الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني إلى عبد الله بن محمد ابن الرومية يقال لولده بني الرومية كما يقال لمصدر المذكور ولم يدع الشيخ عبد القادر هذا النسب ولا أحد من أولاده وإنما ابتدئ بها ولد ولده القاضي أبو صالح نصر بن أبي بكر بن عبد القادر ولم يقم عليها بينه ولا عرفها له أحد على أن عبد الله بن محمد يحيى رجل حجازي لم يخرج عن الحجاز وهذا الإسم أعني جنكي دوست أعجمي صريح كما تراه .

ومع ذلك فلا طريق في إثبات هذا النسب إلا البينة العادلة وقد أعجزت القاضي أبي صالح فأقترن بها عدم الموافقة جده الشيخ عبد القادر وأولاده له والله سبحانه وتعالى أعلم.

ومن المعلوم ا ن ابا صالح نصر ابن أبي بكر عبدالرزاق ابن الشيخ عبدالقادر الجيلي لما ابتدئ بهذه الدعوى عورض عليها من علماء النسب ولم يقم عليها بينة شرعية ، وبقيت هذه الدعوى مطوية تحت سقف الإنكار الأسباب منها :- أن النسبة التي ادعاها نصر بن عبدالرزاق كتب فيها – أن أباه عبدالرزاق ابن الشيخ عبدالقادر ابن أبي صالح جنكي دوست ابن موسى ابن عبدالله ابن يحيى ابن محمد – والذي صح عند علما هذا الشأن كافة أن عبدالله الذي نسبوا إليه جنكي دوست هو ابن محمد ابن يحيى، وعبد الله هذا ابن محمد المعروف بابن الرومية لم يعقب وإنما الذي أعقب أخوه يحيى ابن محمد ابن يحيى فمن آخر الأسماء والالحاق بالعقيم أنكرت النسبة المذكورة.

ومن أسباب الإنكار أن عبدالله ابن محمد ابن الرومية الذي نسبوا إليه جنكي دوست توفى في المدينة ليلًا عام ٤٥٠هـ وقبل عام ٤٦٠هـ على الأصح ودفن في البقيع وعمره يوم وفاته دون العشرين ولم يعقب أحدًا كما صح الأغطس الشريف والعميدي وغيرهما ومن المعلوم أن ولادة الشيخ عبدالقادر عام سبعين وأربعمائة فعلى هذا يقال حسن الظن يلزم بتصديق ما غاب علمه حقيقة عن الرجل أحدًا بما قيل من حفظ حجة على من لم يحفظ هذا إذا لم تعقم في الأمر دعوى شرعية وحدث أن هذا الظن لا يدخل أحدًا منه جيلان العجم وكيلان العراق فما تم في شانه إلا حسن الظن والتوفيق على القطع والإنكار ولو ثبت لي بطرق صحيحة ادعاء الشيخ عبدالقادر هذه النسبة لصدقتها لما ثبت عندي من صدق حالة وعلو مقام ولايته ولقطعنا

بصحبتها جزمًا ولكن حيث لم يثبت ذلك فحسب الظن ورعًا والله العليم بحقائق الأمور ...} ١٥٩

٢- ومن المشككين في نسب الشيخ البارزين = الواسطي = صاحب كتاب ترياق المحبين والذي جاء فيه ...

{ ... قال السمعاني عند ذكره عبدالقادر : من أهل جيلان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره ففي صالح دين كثير الذكر ... وكان يسكن بيان الأرج ... وكان أحد أركان هذا الطريق علمًا وعملًا ورياسة ، ونسبه الشنطوفي المصري في بهجته إلى الإمام أمير المؤمنين الحسن السبط ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال هو :- محي الدين عبدالقادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست ابن عبدالله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبدالله بن موسى بن الجون عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن الإمام علي كرم الله تعالى وجهه – قلت– ولم يعترف بهذه النسبة أحدًا من علماء النسب بل ردها الكثير من علماء هذا الشأن ردًا بنا وقالوا: إن الشيخ عبد القادر وأولاده ما ادعوا هذه النسبة ...} ١٦٠

٣-ومن القائلين والمشككين (بنسب الشيخ العربي ... الحسني) ، صاحب كتاب عمدة الطالب ، أحمد بن علي الحسين المعروف بابن عنبة ، ويشاركه في هذا الإتجاه = الخوانساري = في كتابه روضات الجنات ...

---

(١٥٩) بحر الأنساب ، ص ١١٧ -١١٩

(١٦٠) الواسطي : ترياق المحبين ،ص٤٩-٥٠٧- ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢١٩، ج ١٠، ص ٧، ج ١٠، ص ١٩٤.و ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٢٦.و ابن الأثير، الكامل، فراغ. و سبط ابن

الجوزي، مرآة الزمان، ج٨،ق ١، ص ٢٦٤، ١٢٤. الشطنوفي، بهجة الأسرار، و الذهبي ، تاريخ الإسلام، ج ٣٩، ص ٨٦-١٠٠، وينظر ج ٣٦، ص ١٠. و العبر في خبر من غبر، ج ٣، ص ٣٦. و ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٢٧ (الرقم ١٢٥). و العمري، مسالك الأبصار، ج ٨، ص ١٨٨- ١٩٦ (الرقم ٤٩)،و الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٦-٢٨ الرقم (٧١٥٨).و اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٦٢-٢٧٥. و ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٢، ص ٣١٣، و ينظر ج ١٢، ص ٢٤٤،و ابن رجب،. الذيل على طبقات الحنابلة، ط (بدون)، ٢ ج، ام، (تصحيح محمد حامد الفقي)، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٢. ج ١، ص ٢٩٠-٣٠١ (الرقم ١٣٤). و ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، (ت ٨٠٤ هـ). طبقات الأولياء، ط ٢، (تحقيق نور الدين شريبة)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦. ص ٢٤٦،و الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٦٧٩-٦٨٢،و التادفي، قلائد الجواهر، (والكتاب في مناقب صاحب الترجمة). الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٧٧-١٨٦ (الرقم ٢٤٨)،و المناوي ، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٦ (الرقم ٤٢٤)،و ابن العماد، شذرات الذهب ج ٦، ص ٣٣٠-٣٣٦. و القادري ،ظهير الدين ، الفتح المبين ، ص٢١ ، ومخطوطة محي هلال السرحان ، المهداوي ، ايمان كمال مصطفى ، عبدالقادر الكيلاني اديبا ،ص٣٢.

ولقد لخص الخوانساري : رأيه معتمدًا على ما جاء بكتاب العمدة إذ يقول ...{ وقال السيد الأجل الأفضل في هذه الصناعة أحمد بن علي الحسين الحسني في كتابه الموسوم " بعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب " في طي ذكره لعقب عبدالله المحض ابن الحسن المثنى " لشيخ الجليل الباز الأشهب " محي الدين عبدالقادر الكيلاني : فقالوا : هو عبدالقادر محمد ابن جنكي دوست ابن عبدالله محمد الملقب بالوارد لم بدع الشيخ عبدالقادر هذا النسب ولا أحد من أولاده وانما ابتدئ بها ولده القاضي أبو صالح بن أبي بكر بن عبدالقادر ولم يقم عليها بينه ولا عرفها له أحدًا على أن " عبد الله بن يحيى " رجل حجازي لم يخرج من الحجاز وهذا الإسم أعني جنكي دوست أعجمي صريح كما تراه ومع ذلك فلا طريق في إثبات هذا النسب إلا البينة العأدلة وقد أعجزت القاضي ابا صالح وقد اقترن بها عدم موافقة جده الشيخ عبدالقادر ولا أولاده والله أعلم ..} ١٦١

٤-ومن الذين شككوا في نسب الشيخ وذهبوا إلى اخر الشوط في هذا الميدان = القرماني = فقد ذهب إلى والتي أشرنا اليها في الفقرة اعلاه واصدار حكمه في اتسقاط النسب العربي العلوي الحسني عن الشيخ عبدالقادر في رسالة زادت اوراقها عن العشرين ورقة وقد رد عليها الشيخ " محمد المكي في كتابه السيف الرباني "ولما لم نستطيع الوقوف على رسالة القرماني فقد وضعنا رأيه استنادًا إلى ما جاء في كتاب السيف الرباني حيث نقل الشيخ محمد مكي كلام القرماني فقال : {..... قال المعترض وذكر ابن حماد الموصلي عند ترجمة = عبد الله بن محمد بن يحيى الحسني = الذي نسبوا إليه الشيخ عبدالقادر،

(١٦١) الخوانساري : روضات الجنات ، ج٥، ص٨٩

أنه توفي بالمدينة ودفن بالبقيع ليلًا عام ٤٥٠هـ وقال الشريف الأغطس تُوفي عام ٤٦٠هـ وعمره دون العشرين.

وكذلك قال ابن ميمون النسابة وغيره وذكروا أن القاضي أبا صالح نصر بن عبدالرزاق ابن الشيخ عبدالقادر بن جنكي دوست بن عبدالله ثم قالوا ولم يقم على هذه الدعوة بينه ولا ادعاها الشيخ عبدالقادر ولا أحدًا من أولاده وبرهنوا بالأدلة القاطعة أن النسب لعبدالله ابن أحمد بن يحيى لا لعبدالله ابن محمد ابن يحيى الذي نُسِبَ إليه } ١٦٢

ومخطوطة محي هلال السرحان، المهداوي، ايمان كمال مصطفى، عبد القادر الكيلاني اديبا ،ص٣٢ .

---

(١٦٢) السيف الرباني٧- ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢١٩، ج ١٠، ص ٧، ج ١٠، ص ١٩٤.و ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٢٦.و ابن الأثير، الكامل، فراغ. و سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨،ق ١، ص ٢٦٤، ١٢٤. الشطنوفي، بهجة الأسرار، و الذهبي ، تاريخ الإسلام، ج ٣٩، ص ٨٦-١٠٠، وينظر ج ٣٦، ص ١٠. و العبر في خبر من غبر، ج ٣، ص ٣٦. و ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٢٧ (الرقم ١٢٥). و العمري، مسالك الأبصار، ج ٨، ص ١٨٨- ١٩٦ (الرقم ٤٩)،و الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٦-٢٨ الرقم (٧١٥٨).و اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٦٢-٢٧٥. و ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٢، ص ٣١٣، و ينظر ج ١٢، ص ٢٤٤،و ابن رجب،. الذيل على طبقات الحنابلة، ط (بدون)، ٢ ج، ام، (تصحيح محمد حامد الفقي)، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٢. ج ١، ص ٢٩٠-٣٠١ (الرقم ١٣٤). و ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، (ت ٨٠٤ هـ). طبقات الأولياء، ط ٢، (تحقيق نور الدين شريبة)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦. ص ٢٤٦،و الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٦٧٩-٦٨٢،و التادفي، قلائد الجواهر، (والكتاب في مناقب صاحب الترجمة). الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٧٧-١٨٦ (الرقم ٢٤٨)،و المناوي ، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٦ (الرقم ٤٢٤)،و ابن العماد، شذرات الذهب ج ٦، ص ٣٣٠-٣٣٦. و القادري ،ظهير الدين ، الفتح المبين ، ص٢١ ، ومخطوطة محي هلال السرحان ، المهداوي ، ايمان كمال مصطفى ، عبدالقادر الكيلاني اديبا ،ص٣٢ .

النصوص المأخوذة من بحر الأنساب وترياق المحبين وروضات الجنات وعمدة الطالب ورسالة القرماني تسير في خطين متوازيين متكاملين، فهناك بداية كتبها صاحب كتاب بحر الأنساب فجاء الآخرون وأخذوا عنه وساروا على مناهجه حيث إن عبارات هؤلاء كانت متشابهة .

من قراءات هذه النصوص يمكن توزيع الحجج التي بها أسقطوا نسب الشيخ عبدالقادر العربي العلوي الحسني إلى حجتين أساسيتين :

الأولى : أن الشيخ عبدالقادر وأولاده لم يقولوا بهذا النسب ولم يدعوا به وأن حفيد الشيخ نصر ابن عبدالرزاق أول من كتب في ذلك ولم يؤيد قوله جده ولا والده ولا أعمامه .... وانه لم يقدم البينة العأدلة والمقنعة .

والحجة الثانية : أن = عبدالله ابن محمد = الذي نسبوا ليه جنكي دوست رجل حجازي توفي في المدينة سنة ٤٥٠هـ وقبل ٤٥٠هـ ولم يغادر المدينة المنورة وعليه فلا صلة بين جنكي دوست وعبدالله بن محمد ، وهذه اللفظة جنكي دوست أعجمية ، وزاد صاحب كتاب بحر الأنساب ان عبدالله ابن محمد لم يعقب .

فأما بخصوص الحجة الأولى فنقول :

إن عدم اعلان الشيخ عبدالقادر نسبه العربي العلوي لايؤلف حجة على الشيخ ونسبه بأنه ليس عربيًا ، وذلك لان الشيخ كان عبدًا صالحًا ورعًا وكان أولاده على نهجه حملهم كما حمل نفسه على عدم الإدعاء بالنسب العربي ولا بالحسب النبوي ولا بالشرف الديني وذلك لأن هؤلاء يعتبرون شرف الانتساب للاسلام وإلى الولاية اكبر من شرف الانتساب للنسب = الطيني= فالشيخ وأولاده الذي عاش بيت الورء والتقوى .

وكان له باع طويل في العمل الخير ،وأن من عاش في ضلال الكرامات ... كرامات جده الصومعي وامه وعمته ويسمع في كل يوم ... (أنه ولد للأشراف طفل لايرضع في يوم رمضان والذي كن يسمع وهو في الدرب من بيته إلى الكتاتيب من الملائكة ومن هذه البقرة ... لا يحتاج إلى الحديث عن نسبه .

والأمر الثاني الذي يفسر أسباب عدم حديث الشيخ وأولاده عن نسبهم العربي العلوي الحسني ... أن هذه كانت بالنسبة لهم حقيقة قائمة يتحدث بها الأب لإبنه وإلى احفاده بصورة طبيعية وبدون أن يجهدوا انفسهم في ذلك وكانهم متهمين بتهمة .... أن شعور الشيخ وأولاده بهذه الوشيجة في بيت النبوة كانت تبعث في نفوسهم الطمأنانية والثقة ، والتواضع فإن شرف الانتساب لهذا البيت والممتدة جذوره إلى عشرات السنين والمسبوطة علاماته من المدينة المنورة ومكة المكرمة حتى جيلان وهناك الف مشكلة على رؤوس هذه العائلة مشرقة على مدى الزمن الممتد من الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم حتى الشيخ المكرم (رض)

وإذا كان هذا الأمر ينطبق على الشيخ عبدالقادر .... فيعترض المعترضون ولماذا لم تحدث أولاده فهم ليسوا جميعًا على درجة الشيخ عبدالقادر في المكانة والمنزلة العليا .... ويجب أن نذكر هنا بديوان الشيخ عبدالقادر الجيلي وهو مطبوع مشهور وكل أشعاره تذكر النسب الحسني وتتغنى به .

وحينما يقفز سؤال من المشككين .. إذن لماذا تقدم الحفيد نصر ابن عبدالرزاق فكتب ما كتب وكانت كتاباته هي الأولى والمعول عليها في الحكم والقرار على عربية الشيخ وعلويته وحسنيته ؟ ......

نجيب هؤلاء أن قاضي القضاة نصر بن عبدالرزاق تفصله عن جده حقبة من الزمن فلم يعش ويتربى في مدرسته وعلى طريقته كما تربى أولاده . كان الشيخ عبدالقادر على مكانته السامية وبلوغه أعلى الدرجات في سلم الدولة الروحية إلا انه كان يحترس من الإعلان عن مكانته هذه ، كما أنه = اقنع= عن الحديث عن كراماته فهو من المؤمنين والقائلين بأهمية عدم الحديث عن هذه الكرامات إلا عند الضرورة القصوى لكي لا يقع الولي في دائرة الغرور فيتوهم أو يتوهم من يقتدي به بأن هذه الكرامة – من الشيخ نفسه – وليس منحه من الله سبحانه وتعالى ... فإذا كان الشيخ الولي الصالح ممنوع عليه أن يتحدث في ولايته وعن كراماته فكيف يسمح لنفسه أن يُفاخر أو يتحدث عن نسبه .

وإذا تذكرنا أن نصر بن عبدالرزاق (المدون) في نسب جده كان قاضيًا للقضاة فهذه الوظيفة تعني أنه كان يتحمل مسؤولية عملية في الدولة العباسية وليس وليًا مثل جده أو مثل بعض أعمامه ... ولهذا حينما يكتب نصر في مسالة تصور بأن الكتابة والتدوين فيها ليس فيها خير ولا فيها تفاخر وإنما هي إقرار بواقع وإعلان عن حقيقة يكتبون فيها كل بحسب اهتمامه وبحسب الإتجاهات التي يراها ويرى نفسه قادرًا على الكتابة فيها.

وقد يكون قاضي القضاة نصر قد شعر بضرورة تثبيت نسل عائلته لاسيما و قد انتشرت في زمانه الأخبار والقصص التي كانت تروي عن جده حيث أصبح نجمًا ساطعًا في بغداد وهناك المحب والمبغض .

ويبدو لنا أن نصر تحمس وكتب ما كتب بشأن نسب عائلته لأن شهرة جده كانت قد أطلقت على العالم آنذاك وهذه الشهرة لها ثمنها ،فخرجت على السطح السنة وأقلام تنال من الشيخ في هذا الميدان أو ذاك ... وإذا ما تذكرنا بأن الشيخ كان قد فتح معارك مع كثير من الفرق والإتجاهات والأشقاء فان هذه المعارك حملت البعض أن يُنشئ حربًا على الشيخ ويلصق به اتهامات مما حمل حفيده أن يكتب في موضوع النسب ويحدد الموقف منه.

وفي ذلك يقول (نصر بن عبدالرزاق بن الشيخ عبدالقادر) :

((نحن من أولاد خير الحسنين *من به أصلح بين الفئتين

يشبه المختار في أعلاه إذ * كان ادناه شبيهًا بالحسين

سر كتمان أبينا أصله * أنه بأن الفقر زين)).

١٢١- ابن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ ،ج١١،ص١١٦ ،و كانت والدته لحقت به ببغداد ، بعد أن استقر فيها الشيخ عبدالقادر و أصبح له شأنًا و مكانة مرموقة و رافقته في رحلته الثانية للحج وتوفيت ببغداد ولم نجد تحديدًا لتاريخ وفاتها مع الأسف، مخطوطة مناقب الشيخ عبدالقادر، لقطب الدين موسى بن محمد اليونيني ،مكتبة (الأسكوريال) بأسبانيا المحفوظة تحت الرقم (٤١٧/٢) ورقة ١١ب ، مصورة الدكتور محي هلال السرحان ، و ينفي الدكتور عبدالله السامرائي:"نسبه المقامات المنسوبة لها و له" في بعض البلدان الإسلاميةوهو ما أكده الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ،أنظر: السامرائي ،عبدالله سلوم، دراسة في سلسلة نسب الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، مكتوبة بخط اليد (مصورة)،لدى السيد عبدالستار هاشم سعيد الكيلاني ، مقابلات متعددة ومطولة مع (أستاذي وشيخي) الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف ١٩٩٦/٩/١ وما بعدها .

أما حول الحجة الثانية فتقول :

إنها من أخطر الحجج إذ افترض القائلون بها فرضية دون أن يقدموا أدلة لصحة فرضيتهم ، فقد تتابع هؤلاء القول = إن عبدالله بن محمد بن يحي الحسني الذي نسبوا إليه الشيخ عبدالقادر قد توفي بالمدينة عام ٤٥٠هـ وقال بعضهم ٤٦٠هـ وعمره دون العشرين = ... وأراد بعضهم أن يحمل هذا النص = أن عبدالله بن محمد لم يتزوج = ولما شعر بعضهم أن من المحتمل أن يتزوج وهو دون سن العشرين وينجب .... راح هذا البعض وحكم على عبدالله بن محمد بأنه لم ينجب ، ولا عقب له فجعل موضوع عدم انجابه مقترنا تبصر عمره أو بسبب العقم لكي يقطع الصلة مابين الشيخ وهذا ... وبذلك يسقط الصلة مابين الشيخ عبدالقادر ونسبه العربي الذي يمتد من عبدالله بن علي صعودا إلى الإمام الحسن وإلى الدوحة النبوية .

وقول هؤلاء إن عبدالله هذا لم يغادر الحجاز في سبيل بأن يقطعوا الصلة بينه وبين الشيخ عبدالقادر كليًا ... ولاسيما ولادة الشيخ كانت في سنة ٤٧٠هـ وهذا يعني أن اباه موسى وجده عبدالله قد عاشوا في مدينة جيلان وأن عبدالله هذا غير عبدالله بن محمد المتصل نسبه بالحسن المجتبئ عليه السلام .

وذهبوا إلى لفظة جنكي دوست ، واعتبروها اسمًا لوالد الشيخ وليس صفة له أو أنها صفة ولقبًا لجده ولما كانت هذه اللفظة أعجمية = آرية= كردية - قديمة، فكيف يصح أن يتسمى بها عربي .

وبخصوص لفظة جنكي دوست نقول ... إن معظم من كتب في نسب الشيخ اعتبر هذه اللفظة صفة وليس اسمًا مستقلا وأن معناها = محب القتال أو

المجاهد أو الشجاع = ونحن من القائلين بأن استعمال الكلمات الأعجمية صفة أو اسمًا من قبل العرب المسلمين مسالة لاضير فيها فهي ليس محرمة دينيا ومحرمة حضاريًا ولاغريبة الوقوع وبمراجعة بسيطة وسريعة لأي كتاب في أنساب العرب والعلويين ستجد هناك عشرات العرب قد اتخذوا القابًا أعجمية و حسب مناطق اقامتهم ولنأخذ كتاب الفخري في أنساب الطالبيين (نموذجا) لأبي طالب الأزورقاني بتحقيق مهدي الرجائي ،نشره المرعشي في قم سنة ١٤٠٩ هـ ش ،، يعدد عدة شخصيات علوية بالقاب أعجمية ولنأخذ مثل وأحد فقط (أبو عيسى الملقب " كوجك" له عقب بامل وشالوس وكلار) ص١٥٣ وهنا نحيل الجميع إلى التأمل في كتاب العلامة ناجي معروف "عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية" وسيجدوا أمثلة كثيرة من ألقاب عرب خراسان .

والسؤال هل نعتبر السيد كوجك عجميًا وهو الرجل العلوي القح ؟
إن كتب الأنساب والتاريخ ملئية جدًا بتلك النماذج ومن الجهل بالتاريخ وكتبه وفنونه الإدعاء غير ذلك ، وهنا أُحيل القارئ إلى كتاب طبيعة الثورة العباسية لأستاذي الدكتور فاروق عمر للاطلاع على جملة من هذه النماذج التي أشير إليها .

إن تنظيما لنسب الشيخ الشخصية العلوية الامام علي الشرقي (دفين قضاء علي الشرقي – محافظة ميسان - العراق) يمكن توزيعها على النسق التالي :-

١- علي .
٢- ابن أحمد .
٣- ابن محمد .
٤- داود
٥- ابن موسى .
٦- ابن عبدالله .
٧- ابن الحسن .
٨- ابن الحسن .
٩- ابن علي بن أبي طالب .

وإذا مارجعنا إلى شجرة النسب للشيخ عبدالقادر كما جاءت في مقدمة كتاب فتوح الغيب لقاضي القضاة نصر بن عبدالرزاق فهي على السنن التالية :

١- عبدالقادر
٢- ابن أبي صالح موسى جنكي دوست
٣- ابن الإمام عبدالله
٤- ابن الإمام يحيى
٥- ابن الإمام محمد
٦- ابن الإمام داود
٧- ابن الإمام موسى

٨- ابن الإمام عبدالله
٩- ابن الإمام موسى الجون
١٠- ابن الإمام عبدالله المحض
١١- ابن الإمام الحسن المثنى
١٢- ابن الإمام الحسن السبط
١٣- ابن الإمام علي ابن أبي طالب

سنرى تطابق بين النسبين الشريفين ، وقرب العلاقة بين الإمامين وكلاهما ولادة العراق ؟

العرب المسلمين الذين فتحوا إقليم كردستان وغيره من الأقاليم وأقاموا منها سنوات طويلة قد نسوا لغتهم العربية وصاروا يتحدثون لغة أخرى ، فليس من المستغرب ولا من المستحيل أن يسموا أبنائهم بلغات غير عربية ويصف شخصياتهم بألفاظ غير عربية وبعبارة مباشرة أن استعمال لفظة جنكي دوست اسمًا أو صفة لاتؤلف حجة أحد القائلين والمشككين بعربيته أو أرومة الشيخ عبدالقادر .

ويعلق محمد الملكي في سيفه على قول القرماني ومن سبقه بأن عبدالله بن محمد المنسوب إليه الشيخ عبدالقادر لم يغادر الحجاز:-
{ ولا يشكل ما في البهجة " يقصد بهجة الأسرار" : موسى ابن أبي عبدالله ابن يحيى لأن كلمة = أبي= هنا من سبق قلم المؤلف أو الكاتب لأن الشيخ الشنطوفي لم يقل موسى بن عبدالله من أبي عبدالله – فيوافق ما افتراه هذا المعترض ... وقد قال – الشيخ القصار في بعض رسائله – لابن عرضون - -

بعد كلام وما زال الغلط يقع في الأنساب والتواريخ حتى يقبض الله تعالى من ينسبه على ذلك } ١٦٢

يقول ابن الأثير :{ وفيها – سنة ٢٥٠هـ ظهر الحسن بن زيد بن محمد إسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في طبرستان ... و ظهر بالرأي إدريس بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب } ١٦٣

إن شجرة النسب المعتمدة على كتاب قاضي القضاة نصر تبين أن إسم والد الشيخ هو – أبو صالح موسى جنكي دوست – وجلي أن لفظة جنكي دوست = جاءت صفة وليس اسما لشخصية مستقلة .

إن إسم جد الشيخ الأول هو = عبد الله بن يحيى = وليس عبدالله بن محمد = وعليه فلسنا بحاجة إلى متابعة مصير عبدالله بن محمد هذا وكونه مات ولم يعقب ولم يغادر الحجاز ، فإن صلة الشيخ عبدالقادر بعبدالله بن يحيى وليس بعبدالله بن محمد أو عبدالله بن أحمد كما ذهب المشككون .

---

(١٦٢)محمد المكي السيف الرباني ،ص١٨.

(١٦٣) .ابن الاثير الكامل ،ج ٩، ص٥٢٣٥- أنظر ترجمته في: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج ١٠ ، ص ١٨٢،و ابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني الحنبلي البغدادي، (ت ٦٢٩ هـ). كتاب التقييد لمعرفة الرواة والسنن و المسانيد، (تصحيح وتعليق الطاف حسين)، ط ١، ٢ ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكنّ – الهند، ١٩٨٣. ج ٢، ص ١٦٣،و ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٢٦،و الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٨، ص ١١٢،و ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١١٣ (الرقم ١٠٥)،و الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٧،و ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٢، ص ٢٩٧، و ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٧٥ ،و ينظر الكيلاني ،جمال الدين فالح ، لقاء الامامين الغزالي والجيلاني : حقيقة تاريخية ، مجلة الديار اللندنية ، العدد ٨٥٤.

ومن يدقق في شجرة النسب لعائلة الشيخ يتأكد له أن إسم جده الأول كان عبدالله وليس (أبي عبد الله) كما ذهب الشنطوفي في بهجته

وقد رد محمد المكي في كتابه السيف الرباني على أدلة الغرباء أرآء المشككين في نس الشيخ عبدالقادر العربي = العلوي الحسني = ردًا قاسيا تناول جميع النقاط والحجج التي أوردها القرماني في رسالته التي أخذها من الدلائل الذين سبقوه في عملية التشكيك ومما جاء في رده :-

{ ... وأخرج السبوطي في – جامع الطبراني الكبير قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) = ثلاث من الكفر شق الجيب ... والنياحة ... والطعن في النسب....} وروى البخاري في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب = أي أعلمته أني محارب له = وفي رواية له – من أهاب لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة – قال ابن حجر الهتمي في كتاب الكبائر هذا لا أشد منه إذ محاربة الله تعالى للعبد لم تذكر إلا في أكل الربا ((فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)) ....

"وهذه" ملخص ما سود به هذا المعترض صحائفه ورغم أنها أدلة قاطعة في عدم اتصال نسب الشيخ بالبيت النبوي ، مقولات ملا بها عدة صفحات سود مولفة أو أباطيل مزخرفة عزاها لأناس نسابين وآخرين مؤرخين يبلغ عددهم جميعًا نحو أحد عشر .....

متابعة الشبهات :

إننا نذكر أولًا كتب علماء النسب التي صرحت اتصال النسب الجيلي بالجناب الحسني ... ثم ترجع لتتبع الشبه الزائدة في كلامه جملة جملة ....

...اعلم هدانا الله وأباك سواءالصراط ووفانا وإياك بمنه مواقع الأغلاط = إن شرف الشيخ سيدي عبدالقادر نفعنا الله به واتصال نسبه بسيدنا الحسن السبط رضي الله عنه مرجع به العلماء النسابون والمحققون البارعون وكلهم بذكره بصفة الجزم .

ونذكر من عرفنا منهم رحم الله جميعهم :

أولًا: العلامة التهامي العلوي الحسني في كتابه الموسوم (ميزان الذهب في خير النسب) فإنه قال في شرفاء بغداد جيلان جمع وفد الجيلانية أحد الثلاثة قال : وجدهم سيدنا عبدالقادر الجيلاني لا يخفى نسبه في أنه جيلاني علوي.

الثاني : الإمام أحمد بن جزي الاندلسي الغرناطي الشهير في كتابه (مخص البيان في نسب آل عدنان) صرح بأسماء النسب الجيلي إلى الحسن السبط .

الثالث : صاحب (جوهرة العقول في ذكر آل الرسول) عبدالرحمن بن عبدالقادر الفاسي ، ولم يذكر فيها إلا الاشراف المجمع على شرفهم كما نبه على ذلك وكان تأليفه لها بإذن والده شيخ الجماعة .

الرابع : الحافظ بن صخر العسقلاني في (الغبطة)

الخامس: العلامة ابن عرضون بنقل علامة المغرب الشيخ سيدي محمد متولي .

السادس : مرآة الزمان لسبط الجوزي

السابع : مرآة المحاسن للعلامة النسابة الشيخ محمد العربي الفاسي قال ما نصه – وبفاس الشرفاء القادريون من بني الغطب سيدي عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنهم ونسبهم إليه ثانية إلى أن قال وهو رضي الله عنه عبدالقادر بن أبي صالح وذكر النسب المعروف .

الثامن: في أنساب القرطاس ذكر نسبه إلى الحسن السبط
التاسع: العلامة النسابة ابن الطيب في نظمه المسمى بالأشراف على نسبه الأقطاب الأربعة والأشراف .
العاشرة : الإمام النسابة ابن فرحون في كتابه الاعتبار والتعريف بالنسبة إلى النبي المختار.
الحادي عشر : الشيخ محمد بن عبدالرحمن الفاسي " في المنهج البادية" ولا تحقق برعاته في تحرير الأنساب وقد عد في المنهج علم الأنساب من علومه التي منحه الله لها وله فيها اجازات من اهل ذلك العلم .
الثاني عشر: مشجر مراد البغدادي
الثالث عشر : نتيجة التحقق من بعض اهل النسب الوثيق = للشيخ المسناوي وهو من أهل التحرير والضبط في أنساب الاشراف .
الرابع عشر : الشيخ محمد بن قاسم القصار المسناوي وقعت عليه في غير ماتفيد بخطة وكان رحمه الله ممن يعتمد عليه ويرجع في هذا الباب إليه لشدة بحثه عنه ومزيد اعتنائه به ورسوخ علمة ومتانة دينه وأطال الثناء عليه لاسيما في تحرير النسب الشريف إلى أن قال :- شيخ الجماعة سيدي عبدالقادر الفاسي في حق الشيخ القصار بعد الثناء عليه بالتحقيق في العلوم أنه كان عارفًا بأنساب الأشراف محققًا في ذلك لا يقاومه أحد إذا تكلم فيها ولا يقاربه قال الحافظ التنسي في نظم الدر والعيقان = عند الكلام على موسى الجون جد الإمام الجيلي : ثم إن الله تعالى جعل البركة في عقبة فعلك منهم ثلاث طوائف بنو الأخضير وملوك اليمامة والهواشم وبنو أبي عزيز ملوك مكة وفي بني أبي عزيز بقي ملوك مكة - ....

باختصار فكتب الشيخ القصار على كلام التنسي المذكور عاطفًا على الملوك المشار اليهم مانصه = والحركة الكاملة والنعمة الشاملة سيدنا عبدالقادر الجيلي صاحب الملك الحقيقي والخلافة القطبانية وكم في ذرته سيدنا عبدالقادر من الأخبار.

الخامس عشر: مشجر العالم الشيخ علي بن عبد الوهاب الشامي

السادس عشر: مشجر العالم الشيخ محمد بن عباد الأندلسي

السابع عشر: مشحر الشيخ عبد الوأحد الوانشويسي

الثامن عشر: .... إلى الثاني والستون الصفحات من ١٣-١٤-١٥-١٦ أسماء النسابة الذين الفوا كتبًا أكدوا فيها نسب الشيخ عبدالقادر الحسني.

الثاني والستون : الشيخ عيسى التجاني في شرح استغاثته صرح بنسب الجيلي عند قوله في النظم :-

مولاي عبدالقادر الجيلاني **** عونا على ذي خسة أظنماني.

قلت فهؤلاء اثنان وستون شيخًا من أفاضل الأمة واعيانها وفيهم العلا الأولياء العظام والعلماء من اكابر الأقطار وعمد الأمصار كلهم مطبقون على نسب الشيخ عبدالقادر الجيلي الشريف ليس منهم من أشار إلى خلاف فيه ولو لقول ضعيف بعضهم تلقى ذلك من الدفاتير العتيقة في النسب وبعضهم استفاده من التوتر الذي يسجل معه الكذب وبعضهم أخذه من كشفه الصحيح زيادة ما على ما لأهل الظاهر من الثبات الصريح ... فهل يبقى بعد

اجماعهم ما يخاصر العقل من ارتياب ومن إرادة الإطلاع على كتبهم المشار إليها العرب فالعرب بالباب ... }١٦٤*

ثالثًا : أقوال صادرة من الشيخ عبدالقادر وشيوخه ومؤيديه تكرر تسميته بالعجمي والأعجمي ومناقشتها :

استغل المشككون بنسب الشيخ العربي أقوالًا صدرت من الشيخ نفسه اعترف بها بأنه أعجمي اللسان مرة وعجمي تارة " كما أن عددًا من شيوخه واساتذته " ذكروا هذه التصريحات وكانوا من المؤيدين للشيخ الجيلاني ، وقد نشرت الكتب المنحازة والمؤيدة للشيخ عبدالقادر هذه الأحكام مثل كتاب بهجة الأسرار للشنطوفي وقلائد الجواهر للتادفي وسير أعلام النبلاء للذهبي كما أن ابن الساعي سبق له أن حمل قول الشيخ في هذا السياق .

---

(١٦٤) محمد المكي : السيف الرباني ،ص٥-١٦٣٥- أنظر ترجمته في: ابن الجوزي، المصدر السابق ج ١٠، ص ١٨٢،و ابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني الحنبلي البغدادي، (ت ٦٢٩ هـ). كتاب التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، (تصحيح وتعليق الطاف حسين)، ط ١، ٢ ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكنّ – الهند، ١٩٨٣. ج ٢، ص ١٦٣،و ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٢٦،و الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٨، ص ١١٢،و ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١١٣ (الرقم ١٠٥)،و الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٧،و ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٢، ص ٢٩٧، و ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٧٥ ،و ينظر الكيلاني ،جمال الدين فالح ، لقاء الامامين الغزالي والجيلاني : حقيقة تاريخية ، مجلة الديار اللندنية ، العدد ٨٥٤.

*ولقد صرح بصحة نسب الشيخ عبد القادر، الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري من اعلام الأمة الاسلامية في العصر الحديث في كتابه الإسلام وإيران، ترجمة هادي المغروي، مطبعة سبهر، طهران ١٩٨٥، ص٢٠٧ وهو من كبار علماء الأمة الإسلامية في العصر الحديث .

وسوف نجمع هذه الأقوال والأحكام المصادر التي نشرتها بسبب تسلسلها التاريخي وأهميتها ونسعى لمناقشتها :-

١- فقد جاء في مخطوطة " الصوفية والزهار " لابن الساعي :- { ... أن شيخة حماد الدباس لما أمره أن يتكلم على الناس أي يعضهم : قال له عبدالقادر يا سيدي أنا أعجمي قح فكيف تكلم على فصحاء بغداد } ١٦٥.

٢- ويذكر الذهبي هذه المحاورة بين الشيخ وأستاذه حماد الدباس في الصيغة التالية :- { تكلم على الناس فقلت ، ياسيدي أنا رجل أعجمي قح أخرس، أتكلم على فصحاء بغداد ؟ : فقال لي، أنت حفظت الفقه وأصوله والخلاف والنحو واللغة وتفسير القرآن لا يصلح لك أن تتكلم ؟ اصعد على الكرسي فتكلم فإني أرى فيك عذقًا سيصير نخلة ...} ١٦٦

---

(١٦٥) أبن الساعي : مخطوطة الصوفية والزهاد ، ورقة ٨٠ / ت.

(١٦٦)الذهبي : سير اعلام النبلاء /ج٢٠/ص٤٤٦-٤٤٧. ٣٥- أنظر ترجمته في: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٨٢،و ابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني الحنبلي البغدادي، (ت ٦٢٩ هـ). كتاب التقييد لمعرفة الرواة والسنن و المسانيد، (تصحيح وتعليق الطاف حسين)، ط ١، ٢ ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكنّ – الهند، ١٩٨٣. ج ٢، ص ١٦٣،و ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٢٦،و الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٨، ص ١١٢،و ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١١٣ (الرقم ١٠٥).و الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٧،و ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٢، ص ٢٩٧، و ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٧٥ ،و ينظر الكيلاني ،جمال الدين فالح ، لقاء الامامين الغزالي والجيلاني : حقيقة تاريخية ، مجلة الديار اللندنية ، العدد ٨٥٤.

٣- وينقل التادفي هذه القصة بشكل اخر ويضيف اليها فيقول :- { ... وقال أستاذنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فقال لي ، يابني لم لاتتكلم ؟ فقلت يا أباه : أنا رجل أعجمي كيف أتكلم عن فصحاء بغداد . فقال افتح فاك ففتحته فنفث فيه سبعًا وقال تكلم عن الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعضة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتج علي فرأيت عليا رضي الله عنه فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستا . لم لاتكملها سبعًا ؟ قال أدبًا مع رسول الله ثم توارى عني ...} ١٦٧

٤- وجاء في قلائد الجواهر ... { وروي بالإسناد إلى الشيخ أبي بكر بن حوار نفعنا الله به : أنه قال في مجلسه يومًا بين أصحابه سوف يظهر بالعراق رجل من "العجم" عالي المنزلة عند الله والناس اسمه عبدالقادر وسكنه ببغداد ... } ١٦٨.

٥- وذكر التادفي في هذا السياق ...{ وقال الشيخ مطر كنت يومًا عند شيخنا أبي الوفا بزاويته بقلمينا فقال يامطر : اغلق الباب فإذا شاب عجمي يطلب الدخول علي فأمنعه فقمت فإذا الشيخ عبدالقادر وهو يومئذ شاب يطلب الدخول عليه فاستأذن الشيخ فلم يأذن له في الدخول ورائته يمشي في الزاوية كالمنزعج ثم أذن له ولما رآه مشى إليه

(١٦٧) التادفي ، قلائد الجواهر ،ص١٣

(١٦٨) المصدر السابق ،ص٢٣.

خطوات واعتنقا طويلًا وقال له : يا عبدالقادر وعزة من له العزة ما منعتك من الدخول أو مرة جحدًا لحقك بك خشية منك، لكن لما علمت أنك تاخذ مني وتعطيني أمنت اليك رضي الله عنه ورضي عنا بهم ..} ١٦٩

٦- ويواصل التادفي ذكر صفة الأعجمي والعجمي (نقلًا عن بهجة الأسرار) للشيخ عبدالقادر فيقول : وقال الشيخ مسلمة بن نعمة السروجي رضي الله عنه في جواب من سأله يومًا من القطب من هو فقال : هو الآن بمكة مختف لا يعرفه إلا الصالحون ، وسيظهر هنا وأشار إلى جهة العراق = فتى أعجمي شريف = يسمى عبدالقادر مظهر عظيم بالكرامات الخارقات هو قطب وقته وغوث زمانه ...} ١٧٠

٧- وكتب الواسطي (وهو من المتاخرين) في ترياقة نصًا ينص فيه على الشاب العجمي عبدالقادر الجيلاني فيقول ...{ وروي لنا أيضًا أن السيد مهد الدولة عبد الرحيم ابن السيد الجليل سيف الدين عثمان الرفاعي رضي الله عنهما يقول دخلت بغداد ورأيت الشيخ عبدالقادر الجيلاني فرأيت من خلو سره وطهارة قلبه وسلامة خاطره ما طربت له، فلما رجعت من سفري ذكرت ذلك لخالي السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه فقال : الشيخ عبدالقادر عبد صادق في حاله، مبارك في شأنه عامل بعلمه وله من التوفيق نصيبًا دخل مجلس سيدنا الشيخ منصور الرباني رضي الله عنه فلم يلتفت إليه

---

(١٦٩) المصدر السابق

(١٧٠) المصدر السابق

أحدًا وكان آنذاك شابا فقال الشيخ منصور أفسحوا لهذا الشاب العجمي – فسيصر له مع أهل الصدق منزلة محمودة } ١٧١

٨- وتحدث الشطنوفي عن اقامته في بغداد في برج الأزج وعلى أثر ذلك عرف هذا المكان باسم " برج العجمي" يقول الشنطوفي ... { وقد ضل هذا البرج على هذه التسمية بعد مرور قرن من الزمان من وفاة عبد القادر الجيلاني واقترن بحوادث سقوط بغداد على يد التتار} ١٧٢

---

(١٧١) الواسطي : ترياق المحبين ، ص٥٣

(١٧٢) الشنطوفي : بهجة الأسرار ،ص١٠٣

إن قراءة لهذه النصوص العشرة متأنية تمكننا من القول بأن هذه النصوص أطلقت من الشيخ نفسه صنعة لسانه ووصفا لشخصيته وقسم من هذه النصوص اطلقت عليه تسمية لشخصه ووصفًا للسانه من غيره وأن هذه القراءة الفاحصة تمكننا أن نوزع الدلالات للفظتين = أعجمي وعجمي= أن القائلين بهذا أرادوا القول : إن لسان ولغة الشيخ عبدالقادر كانت أعجمية = وكان غير قادر على الكلام بالعربية .

وقسم من النصوص ذهبت إلى أن شخص الشيخ عبدالقادر كان = عجمي= وشاب عجمي = كان المقصود بأن أهل الشيخ غير عربي وليس لسانه فحسب .

سنعلق على هاتين المجموعتين من النصوص من النقاط التالية :-

أ- النصوص التي حملت معنى أن لسانه أعجمي تتمثل في قول الشيخ وقول من أطلق عليه ذلك كما جاء في :-

١- ابن الساعي :"أنا أعجمي قح ..."
٢- الذهبي :"أنا رجل أعجمي قح اخرس..."
٣- التادفي :"أنا رجل أعجمي ..."
٤- الشنطوفي :"لسان معجم...."

إن اعتراف الشيخ لاستاذه حماد الدباس أو في حواره مع نفسه ومع رسول الله (ص) في حسرته على لسانه المعجم ، يكشف بأن المراد من قوله (أعجمي) و(أعجمي قح) إلخ ، أرد بذلك أعجمية لسانه وعدم قدرته على الكلام بالعربية .

وقد أوضح الشيخ ذلك في قوله = فكيف أتكلم عن فصحاء بغداد = ...

وأكد ذلك حينما ردد (أنا أعجمي قح اخرس) فهذه الأعجمية صريحة بينة على لسانه حيث وصف نفسه بانه اخرس .

ومن تعقيب شيخة حماد الدباس موضحا قدرته على الحديث بقوله (لقد حفظت الفقه وأصوله والخلاف والنحو وتفسير اللغة والقرآن) وهذه كلها تعني أن شيخه كان يردد عليه بأنك قادر على الحديث والوعظ والكلام وأنك بهذه المعرفة تستطيع تتكلم عن فصحاء بغداد.

والعرب تطلق على من لايستطيع الكلام بالعربية أو لايجيد الكلام بها بأنه أعجمي يقول جلت حكمته ((وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)) النمل (١٠٣)

وقال سبحانه وتعالى (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيآذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ)) فصلت (٤٤)

لما كان الشيخ قد ولد في جيلان وهي بلد غلب عليها الطابع الكردي داخل العراق العربي وترعرع فيها حتى بلغ عمره ثمانية عشر سنة .

ولما كانت عائلة الشيخ قد هاجرت من الحجاز منذ سنوات طويلة تزيد عن المائتي سنة ولقد كشف لنا الدكتور ناجي معروف رحمه الله تعالى عروبة مئات من العلماء عاشوا في خراسان فقط في كتابه المفيد = عروبة العلماء المنسوبين إلى البلاد الأعجمية =} ١٧٥ويبين الأستاذ معن العجيلي في دراسته عن بلوجستان وكيف وكيف تبدلت بعض صفاتهم وخاصة لسانهم إذ يقول :{ إن العرب في سائر المدن التي استقروا فيها قد تبدلت صفاتهم العربية فلم نعد نسمع عنهم االكثير على نحو ما كان في بداية الفتح العربي وما تلاها فقد تغيروا كليًا وفقدوا لسانهم } ١٧٦

---

(١٧٥) كامل مصطفى الشيبي : المقالة ،ص٤٥.

(١٧٦) معن العجيلي : بلوجستان بلاد العرب ،ص٢١ ابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني الحنبلي البغدادي، (ت ٦٢٩ هـ). كتاب التقييد لمعرفة الرواة والسنن و المسانيد، (تصحيح وتعليق الطاف حسين)، ط ١، ٢ ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكنّ – الهند، ١٩٨٣. ج ٢، ص ١٦٣،و ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٢٦،و الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٨، ص ١١٢،و ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١١٣ (الرقم ١٠٥)،و الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٧.

وبخصوص النص الذي جاء في قلائد الجوهر =سيظهر ... فتى أعجمي شريف = فكلمة = أعجمي = هي وصف للفتى = بخصوص لسانه = حيث إن وصف اللسان غير العربي يكون بكلمة = أعجمي = وعليه ينطبق على هذا النص ما أتينا على ذكره بخصوص النصوص الاربعة السابقة ومن يقراء كتأبي قبيلة جاوان الكردية للعلامة مصطفى جواد وعشائر العراق للعلامة عباس العزاوي يعرف أن ألاكراد الذين سكنوا جنوب بغداد على مدى التاريخ كانت نخوتهم (عجم) وهذه القبائل الكردية استوطنت جيل العراق واتخذت منها مسكننا وفيها ولد ونشاء الشيخ عبدالقادر.

وكلمة=شريف= لاتطلق في مفاهيم تلك المرحلة الحضارية إلا على الشخص الذي يتصل نسبه بالرسول الكريم (ص) فالأشراف هم الهاشميون وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية في تعريف الأشراف ..{ المنتمون إلى عائلة النبي(ص) نسبًا أي أهل البيت إلا أن هذا اللقب تحدد بالعباسيين والعلويين منذ القرن الرابع الهجري . } ١٧٧

فاستعمال كلمة شريف في هذا النص يبين سلامة وصحة ما ذهبنا إليه بأن لفظة "أعجمي " تستعمل صفة اللسان وليس تسمية للأصل والأرومة وأن معنى هذا النص الذي أورده التادفي بأن الفتى العربي الشيخ عبدالقادر كان أعجمي اللسان وهذا مانكره يوسف زيدان في تحقيقه للديوان جملتا وتفصيلا.

أما النصوص التي جاءت وهي تحمل ألفاظ (الشاب العجمي أو برج الأزج أو رجل من العجم) كما جاء في :-

١- الواسطي : ترياق المحبين " الشاب العجمي "
٢- الشنطوفي : بهجة الأسرار وهو يصف برج الأزج بـ = برج العجم=
٣- التادفي : قلائد الجواهر : " فإذا شاب عجمي يطلب الدخول"
٤- التادفي : قلائد الجواهر :" سيظهر بالعرق رجل من العجم "
٥- الشيبي : مقالته " برج العجمي "

*يمكن التعقيب عليها بما يلي :

أن هذه الأحكام والصفات التي سمت الشيخ = شاب عجمي = إلخ تصدر من الشيخ عبدالقادر كما صدرت من الشيخ الاقوال والأحكام التي وصف بها لسانه أكثر من مرة بأنه أعجمي هذه قضية مهمة لابد من الإشارة إليها والتنبيه إذ لايردد البعض بأن الشيخ نفسه اعترف = بعجميته= إنما الذي يمكن قوله إن الشيخ اعترف = بأعجمية لسانه = إن الذين أطلقوا هذه التسميات والأوصاف أطلقوها على شخص الشيخ عبدالقادر الكيلاني لأنه سبق أن قدم من جيلان العراق الأعجمية = الكردية إلى بغداد وهذا الإقليم كان يسمى قبل الإسلام وبعد الفتح الإسلامي = ببلاد المدائن = وهو مركز الدولة الساسانية الفارسية المعروفة في التاريخ.

ومما يعزز هذا الاستنتاج أن كلًا من الشنطوفي في بهجته والتادفي في قلائده حينما كتبوا عن نسب الشيخ وكراماته وحياته أكدوا مرات

النسب العربي العلوي الحسني للشيخ وذكروا في أكثر من مناسبة قولهم { وولد للأشراف ولد لايرضع في يوم رمضان} ، وأن عبارة ولد للأشراف .

كانت معروفة بأن المقصود بها تلك العائلة التي يعود نسبها إلى بيت النبوة.

وواضح أن هذه الأحكام والصفات قد صدرت في زاوية الشيخ أبو الوفا أو مؤيديه وظهرت على لسان الشيخ منصور الرباني وهؤلاء من أهل الحقيقة وأركان التصوف آنذاك فإن أحكامهم ووصفهم للشيخ لم يكن لغرض الحط من مكانته فإنهم حينما أطلقوا أحكامهم وأوصافهم إنما أطلقوها إقرارًا للواقع وإعلان ما كان معلومًا ومشهورًا فلما كان الشيخ عبدالقادر قد نزح من جيل العراقية وكانت منطقة كردية معروفة ، فإن النازح منه والمولود فيه والمتكلم بلغته يسمى بهذه الأوصاف ، فهي صفة للمكان ودلالة عليه وليس صفة أو تسمية للنسب والأصل .

ونتيجة لتاثير المكان على اللغة والأرومة أن العرب الفاتحين الذين سكنوا في الأقاليم غير العربية أخذوا يسمون أنفسهم بأسماء غير عربية وصاروا ينتسبون إلى مدن غير عربية ويلقبون أولادهم بالقاب غير عربية ولذلك فقد اعتقد كثيرون بأن هؤلاء بسبب هذه التسميات والألقاب صاروا غير عرب وظن الكثير بأنهم لاينتمون للعربية بصلة ولقد امتد هذا الأمر إلى الشيخ عبدالقادر فحينما وجد = المشككون= أن لقب أبيه هو جنكي دوست .

وهي لفظة غير عربية أخذوا يؤكدون عجمية الشيخ في حين أن استعمال كلمات غير عربية صفات للأشخاص أو أسماء لهم مسألة قد تقع بحكم العيش الطويل في بلاد غير البلاد العربية وعن هذه المسألة كتب ابن حزم في جمهرته :- { أن علويين سكنوا بلاد الديلم في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي فسموا بأسماء الديلم لمخالطتهم ومداخلتهم أياهم .} ١٧٨.؟

ويعلق كامل الشيبي على ما جاء في الجمهرة وعمدة الطالب فيقول : {... بأن النسابة وقفوا على أسماء وألقاب غير عربية وقد ... زاد ابن عتبة هذا الأمر وضوحا بأيراده نماذج أخرى من هذا القبيل كان منها (كوجك الصغير وكباكي وخربنده وشرف شاه وهمايون وسرهاتك ورئيس خان ...} ١٧٩ (١٧٨) جمهرة أنساب العرب ،ص٤١.

(١٧٩) كامل الشيبي : المقالة ص١٨-١٩ وانظر ابن عنبة عمدة الطالب ص ٤١-٤٢

مع إبن خلدون

وسنلخص هنا خلاصة قول ابن خلدون في النسب ثم نقوم بتطبيق عملي للآلية التي يتبعها في تحقيق الأنساب :

١- النسب أمر وهمي – أي ذهني ومعنوي- لاحقيقة له ونفعه إنما هو في هذه – الوصلة والإلتحام – إذا كان ظاهرًا واضحًا ، حمل النفوس على التوادد وهو المصاهرة في درجة واحدة .

٢- النسب إذا خرج عن التطبيق العملي، وصار من قبل العلوم النظرية ذهبت فائدته

٣- النسب ظرورة التلاحم والترابط وكذلك صلة المصاهرة .

٤- يؤكد ابن خلدون ،إننا نستطيع عد ثلاثة آباء لكل مائة عام كقياس أولي للدراسة ويتحمل الخمسة آباء أيضًا (١.)

ومن الناحية الزمنية يتبين لنا بعد الفحص أن ما بين وفاة الإمام الحسن بن علي سنة ٥٠ هـ، ووفاة الشيخ عبد القادر الجيلي ٥٦١هـ، مدة تساوي ٤٩٣ سنة، وهي مدة تسمح بوجود مابين ١٢ و ١٦ من الأجيال، إذا اعتبرنا متوسط العمر يتراوح بين ٦٠ و ٧٠ سنة، فيكون كل جيل يستغرق ما بين ٣٠ و ٣٥ سنة.

وهذا مطابق تمامًا لسلسلة نسب الشيخ عبدالقادر الجيلي .

يستخلص مما سبق ومن خلال هذه القراءة المتأملة والدقيقة لدراسة النسب القادري، و يتجلى لنا بوضوح صارخ انه نسب علوي صميم ولا عبرة بمن كتب لا سباب عقدية او قومية او نفسية ولا نعتمده، لان منهج البحث التاريخي قائم على الدقة والصرامة والعدل لا على الاهواء والميول.

ابن خلدون ، عبدالرحمن ، المصدر السابق ، ص ٤٥١ ، وانظر الكيلاني جمال الدين فالح ، تنقيحات دراسة في سلسلة نسب الشيخ عبد القادرلا الكيلاني ، مراجعة وتقديم العلامة عماد عبد السلام رؤوف، مطوط باليد ، سنة ١٩٩٦ ، المكتبة القادرية ، رقم ٥٥٠٦٧ ، تصوف.

ملحق : النسب والمصاهرة بين الأسرة الكيلانية والأسرة الهاشمية :

تبيان وتوضيح : وثيقة ملكية نادرة ومه
رسالة من الشريف الحسين بن علي (شريف مكة) الى : السيد عبد الرحمن الكيلاني النقيب (نقيب أشراف بغداد / رئيس وزراء العراق سنة ١٩٢١م) يوصيه خيرا ب(الأمير فيصل بن الحسين) خلال توجهه من الحجاز ليصبح ملكا على العراق ،مؤكدا على تلاحم النسب بين الأسرة الكيلانية و الأسرة الهاشمية :
وعند سؤالنا عن العلاقات (الامتزاج) التي اشار اليها شريف مكة في الوثيقة ، قيل هي اشارة للنسب الحسني الواحد ، ولكن كان للاستاذ الدكتور مؤيد الونداوي (استاذ التاريخ الملكي العراق الحديث) رائي بأن الأمر يتعدى قضية الاصل الواحد الى الامتزاج فعليك بالبحث في مضان التاريخ لعلك تجد سر هذه الاشارة الدقيقة ، وفعلا وجدت أشارة الى مصاهرة بين الاسرتين (الكيلانية والهاشمية) في أحد كتب التاريخ المهمة والنادرة {حيث يؤكد زواج الشريف سعد بن زيد الهاشمي أمير مكة الحسني ،(نصب أميرا ١٦٦٦م) ، من العلوية عفيفة بنت السيد العلامة محمد بن علي بن يحيى الكيلاني الحسني ، وجاءت منه بولدين} ، وهذا دليل ثابت على النسب والمصاهرة بين العائلتين الحسنيتين الشريفتين ،أمرا واقعا ومعروفا.

أنظر : كتاب لمحات أجتماعية من تاريخ العراق الحديث . تأليف الدكتور علي

الوردي ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٧٦،ج٦،ص٨٤ ،وكتاب أشراف مكة المكرمة و أمرائها في العهد العثماني لإسماعيل حقي الجارشلي ، تحقيق ، استاذنا الدكتور خليل علي مراد ، الطبعة الأولى ، الدار العربية للموسوعات - بيروت ، ١٩٨٥ ، ص١١٥.

"الوثيقة مرفقة"

قائمة بأهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

(أ) المخطوطات.

١- الألوسي،شهاب الدين أبو الثناء (ت١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) ،الطراز المذهب في شرح الباز الأشهب ،مخطوط في المكتبه القادرية،رقم.١٤٠٥

٢-الإمام الشطنوفي،علي بن يوسف (ت٧١٣هـ/١٣١٣م)، بهجة الأسرار ، مخطوطة المكتبة القادرية تحت الرقم ١٥٦٠.

٣- الإمام الشطنوفي، علي بن يوسف(ت٧١٣هـ/١٣١٣م)، بهجة الأسرار ، مخطوطة دار المخطوطات تحت الرقم ٣٢١٦.

٤-النووي، يحي بن شرف (ت٦٧٦هـ/٢٧٧م)، بستان العارفين،مخطوط في المكتبه القادرية،رقم.٩٣٢

٥-الهروي، علي بن سلطان القاري(ت١٠١٤هـ/١٦٠٥م)،(من علماء الدولة العثمانية)، نزهة الخاطر في ترجمة الشيخ عبدالقادر، مخطوطة المكتبة القادرية تحت رقم ٧٢٤.

٦- الكيلاني (١٩٤٤-)،فالح نصيف الحجية الكيلاني، شرح ديوان السيد الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، مخطوطة عند المؤلف ٧٢٦.

٧-القادري (؟)،ظهير الدين ، الفتح المبين ، مخطوط محي هلال السرحان.

٨- مؤلف مجهول (؟)، أنساب الطالبيين ،مخطوط سالم الالوسي.

٩-قطب الدين موسى بن محمد اليونيني (هج٧٢٦)، مناقب الشيخ عبدالقادر ،مكتبة (الأسكوريال) بأسبانيا المحفوظة تحت الرقم (٤١٧/٢) ، مصورة الدكتور محي هلال السرحان.

١٠- العمري،أبو الحسن ()،المجدي في النسب ، مخطوط مكتبة الأسكندرية رقم ٣٧٤٢ .

١١- الكيلاني ()، علاء الدين ،تحفة الأبرار ولوامع الأبرار ،مخطوطة جامعة برنستون ،مصورة السيد عبدالستار هاشم سعيد الكيلاني (لواء مهندس متقاعد)

١٢- ابن الوردي (ت ٧٤٩هج)،مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب ،نسخة سالم الألوسي .

١٣- جواد، مصطفى (١٩٩٦-)،أصول التاريخ والأدب ،مخطوطة في ٢٤ مجلد و أغلبها نقولات من مخطوطات نادرة ، لدى ولده جواد مصطفى جواد ،ومخطوطة مختصر الأنساب وهي ملك الدكتور حسين علي محفوظ . وكتابه ، في التراث العربي ،تحقيق : محمد جميل شلش وعبدالحميد العلوجي ، منشوراة وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٧

.١٤- ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ/١٢٠١ م) ،درر الجواهر من كلام الشيخ عبدالقادر ،مخطوطة نادرة في بضع صفحات عند العلامة سالم الألوسي ،ص٣،وذكر هذا الكتاب ووثقه ، التادفي في قلائد الجواهر ،ص٢١ويوسف زيدان في تحقيقه للديوان ،ص٤١ ،ودرر العقود ،مخطوط الاسكوريال ، رقم٨/٥٨٢ الورقة ٩٨١ مصورة سالم الألوسي .

١٥- اليافعي ،ابن اسعد ت(٧٦٨هج)، خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبدالقادر ، مخطوط جامعة برنستون ، مصورة السيد عبدالستار هاشم سعيد الكيلاني.

١٦- البغدادي ،عباس ()، نيل المراد في تاريخ أهل بغداد ،مخطوط فريد فرغ منه مؤلفه في شعبان سنة١٣٣٣هـ ،مخطوطة محي هلال السرحان.

(ب) المصادرالعربية.

١- ابن الأثير، محي الدين المبارك بن محمد الجزري، (ت:٦٣٠هـ /١٢٠٨م) ، الكامل في التاريخ، ج٩ ،دار صادر، بيروت، ١٩٧٥.

٢- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٢.

٣- ابن تغرى بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٤- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم، (ت ٧٦٨ هـ/١٣٢٧ م)، الفتاوى، المكتبة السلفية، الرياض، ١٩٦٠.

٥- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م)، غاية النهاية ،ج١، القاهرة،.١٩٣٢

٦- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧ هـ/١٢٠١ م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، مطبعة حيدر آباد، دائرة المعارف الإسلامي ، ١٩٦٩.

٧- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني(ت٨٥٣ هـ/١٤٤٩م)، الدرر الكامنة، ج٣، مطبعة حيدر آباد ،الهند، ١٩٢٩.

٨- ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي(٤٥٦هـ/١٦٠٤م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧.

٩- ابن خلكان،أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢.

١٠- ابن الدبيثي، محمد بن سعيد بن محمد(ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد ، انتقاء الذهبي، تحقيق مصطفى جواد،مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ،.١٩٥٢

١١- ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين الحنبلي (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م) ،الذيل على طبقات الحنابلة،ج١-٢ ، مطبعة الحلبي،القاهرة ، ١٩٥٢.

١٢- ابن الصابوني، جمال الدين(ت٦٨٠هـ/ ١٢٨٣م)، تكملة إكمال الإكمال، تحقيق، مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٥٧.

١٣- ابن عربي، محي الدين(ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحي،ج٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤.

١٤- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحق الحنبلي(ت١٠٨٩ هـ/١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤-٥ ، مكتبة المقدسي، القاهرة ، ١٩٢٩.

١٥- ابن الكازروني، ظهيرالدين علي بن محمد(ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠.

١٦- ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء (٧٧٤هـ/١٣٧٢م)،

أ- البداية والنهاية ، ج٦،مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٨.

. ب- تفسير القرآن العظيم،ج١٣،مكتبة دار التراث، القاهرة، .١٩٧٢

١٧- ابن هشام، أبو محمد عبدالملك أيوب الحميدي(ت٢١٨هـ/٨٢٠م)، السيرة النبوية،ج٣، تحقيق محمد محي الدين عبدالمجيد، دار الفكر للطباعة، بيروت، .١٩٦٦

١٨- أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن (ت٦٦٥هـ/١٢٦٩م)، الروضتين في أخبار الدولتين، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، .١٩٦٢

١٩- البغدادي، أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد ين رجب الحنبلي(ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، ذيل طبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمدية،القاهرة، ١٩٥٢.

٢٠- البغدادي، أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر(ت٤٢٩هـ/١٠٣١م)، الفرق بين المذاهب، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٥.

٢١- التادفي، محمد بن عيسى،(ت٩٦٣هـ/١٤٦٥م)، قلائد الجواهر في مناقب عبدالقادر،دار الباز، فلوريدا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٨.

٢٢- التنوخي،أبو علي المحسن بن علي(٣٨٤هـ/٩٩٤م)، الفرج بعد الشدة،دار صادر،بيروت،١٩٧٨.

٢٣- الجيلاني، محي الدين أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله(ت٥٦١هـ/ ١٢٦٢م).

ا- فتوح الغيب، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠.

ب-الغنية لطالبي طريق الحق، تحقيق فرج توفيق الوليد،ج٣، دار الفكر، بيروت،١٩٩٥

ج- الفتح الرباني والفيض الرحماني،دار الجميل،ألمانيا،١٩٩٧.

د-تفسير الجيلاني ،باعتناء فاضل جيلاني ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،٢٠٠٧.

ذ- الجيلاني،عبدالقادر،ديوان عبدالقادر الجيلاني،تحقيق يوسف زيدان،دار الجيل،بيروت،١٩٨٣.

٢٤- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله(ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون،مكتبة إسماعيليان، طهران، ١٩٤٧.

٢٥- الحموي، ياقوت ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله البغدادي،(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ج٥، بيروت، ١٩٥٦.

٢٦- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

أ- سير أعلام النبلاء،ج13،١٢، دار الرسالة للطباعة، بيروت، ط٤، ١٩٨٦.

ب- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، وزارة الإرشاد، الكويت، ١٩٦٣.

ج- المختصر المحتاج إليه، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المعارف،بغداد،.١٩٥١

٢٧- الزبيدي، محمد مرتضى،(ت ١٢٠٥ هـ/١٧٩٠م) .

أ- تاج العروس في شرح جواهر القاموس، مطبعة الكويت، الكويت ،١٩٨٠.

ب- إتحاف السعادة للمتقين في شرح إحياء علوم الدين، ج١،المطبعة الملكية،المغرب،.١٩٣٦

٢٨- سبط ابن الجوزي، يوسف(ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان، مطبعة حيدر آباد، الهند،.١٩٣٦

٢٩_ السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ /١٣٦٩م)، طبقات الشافعية، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥.

٣٠- السهروردي، عمر بن محمد بن عبدالله البكري(ت٦٣٢هـ /١١٣٤م) ، عوارف المعارف، دار الكتاب العربي للطباعة، بيروت ، ١٩٦٦.

٣١- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ /١٥٠٥م) .

ا- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٣٤.

ب- حسن المحاضرة ،ج١،مطبعة الحلبي،القاهرة، ١٩٠٠.

٣٢- السمعاني، عبد الكريم بن محمد ،(٥٠٦هـ/١٨٨٠م)،كتاب الأنساب ، تحقيق مرجليوث، مطبعة بريل، ليدن،.١٩١٢

٣٣- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)، البدر الطالع، ج١، دار الكتب للطباعة، القاهرة، ١٩٤٦.

٣٤- الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ/٩١٢م) .

أ-جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج٥، تحقيق محمد أحمد شاكر ، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٧٨.

ب- تاريخ الأمم والملوك،ج٥-١ ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ج٤-٥ دار المعارف للطباعة، القاهرة، ١٩٧٨.

٣٥- الشطنوفي،علي بن يوسف(ت٧١٣هـ/١٣١٣م)، بهجة الأسرار، تحقيق ، جمال الدين فالح الكيلاني ،مطبعة الحكومة ، الجزائر، ٢٠١١.

٣٦- القادري،أبو الظفر ظهير الدين،(ت.م)، الفتح المبين ، المطبعة المركزية، القاهرة، ١٨٨٨ .

٣٧- القرطبي،أبو عبدالله محمد بن أحمد الانصاري،(ت٦٧١هـ /١٢٧٢م) ، الجامع لأحكام القرىن،ج٥، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٩٨٥.

٣٨- القرطبي،عريب ابن سعيد،(ت٣٦٩هـ/٩٧١م) ، صلة تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف للطباعة ، القاهرة،.١٩٧١

٣٩ - الكتبي،محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

أ- فوات الوفيات، ج٢-١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية للطباعة، القاهرة، ١٩٥٤.

ب- عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشد للطباعة، بغداد، ١٩٨٣.

٤٠- محمد فؤاد عبدالباقي ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان(البخاري ومسلم)، ، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٢.

(ج) قائمة المراجع.

١- إبراهيم،حبيب جميل،تاريخ متصوفة بغداد،مكتبة الشرق الجديد،بغداد،.١٩٨٨

٢- إقبال،محمد،ديوان إقبال،دار الصحابة للطبع،باكستان،.١٩٩٦

٣- جواد،مصطفى ، و أحمد سوسة،خارطةبغداد،مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد،.١٩٥٩

٤- الجيلاني، عبدالرزاق ،الشيخ عبدالقادرالجيلاني،دار القلم بيروت،.١٩٨٣

٥- الجيلاني، ماجد، هكذا ظهر صلاح الدين، المعهد العالي الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية،.١٩٩٦

٦- حسن،حسن إبراهيم،تاريخ الإسلام السياسي،ج٤،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،.١٩٨٦

٧- الخضري،الشيخ محمد،الدولة العباسية،دار الكتب العلمية، بيروت ،.١٩٩٣

٨- رؤوف،عماد عبد السلام.

ا-الآثار الخطية في المكتبة القادرية،مطبعة الإرشاد،بغداد،١٩٧١.

ب-مدارس بغداد ، بغداد ، ١٩٨٥.

ج-معالم بغداد في العصور المتأخرة، بغداد ،.٢٠٠٢

٩- زامباور،معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي ،ترجمة زكي محمد حسن،مطبعة فؤاد الأول،القاهرة ،.١٩٥١

١٠- الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٥، مطبعة النهضة، القاهرة ،.١٩٤٩
١١- السامرائي، عبدالله سلوم، عبدالقادر الجيلاني قطب الأولياء، مخطوط مصور لدى الشيخ عفيف الدين الكيلاني.
١٢- السامرائي، يونس بن ابراهيم، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، حياته و آثاره، مكتبة الشرق الجديد للطباعة، بغداد،.١٩٨٨
١٣- الشرقاوي، حسن، معجم الفاظ الصوفية، دار مختار للنشر، القاهرة ،.١٩٨٧
١٤- شعبان، محمد عبد الحي محمد، التاريخ الإسلامي : تفسير جديد ،دار الأهلية للنشر، بيروت،.١٩٨٣
١٥- شوقي، ضيف، العصر الإسلامي ، الكويت،.١٩٩٥
١٦- عاشور، سعيد عبدالفتاح، مصر في عهد المماليك، دار الكتب المصرية، القاهرة،.١٩٦٦
١٧- عطية الله، أحمد، القاموس الإسلامي ، ج١،٢،٣، دار مكتبة النهضة للطباعة، القاهرة، .١٩٧٦
١٨- عفيفي، أبو العلا، التصوف والثورة الروحية في الإسلام، دار جامعيون ،مصر،.١٩٩٧
١٩- عنان، محمد عبد الله، المعارك الحاسمة في التاريخ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،.١٩٥٣
٢٠- عمر ، فاروق ، الدولة العباسية ،دار الشروق ،الاردن ،.٢٠٠٠
٢١- اللامي ، علاء ، السرطان المقدس ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، .٢٠٠٤

٢٢- المدرس،عبد الكريم،مواهب الرحمن في تفسير القرآن،ج٥،دار الحرية للطباعة،بغداد،.١٩٩٧

٢٣- المودودي،أبو الاعلى، تفسير سورة النور، المكتبة الإسلامي ة، القاهرة،.١٩٥٨

٢٤- النجار، محمد رجب، حكايات الشطار والعيارين، عالم المعرفه، الكويت ،١٩٨١.

٢٥-شابي، بروفسورة جاكلين، (١٩٩٨). عبدالقادر الجيلاني بين الحقيقة التاريخية و الأسطورة الأدبية (ترجمة الدكتور حسن سحلول)، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، السنة (١٨) كانون الثاني (٧٠)، دمشق. نسخة الكترونية طبعت بتاريخ ١٤ / ٩ / ٢٠٠٤.

٢٦- محمد اركون،الفكر الإسلامي :نقد واجتهاد ،ترجمة هاشم صالح ؛دار الساقي، بيروت،.٢٠٠٩

٢٧- جعيط ،هشام، في السيرة النبوية، دار الطليعة ،بيروت، .١٩٩٠

٢٨-الخيون ، رشيد ، الأديان والمذاهب في العراق ، دار الجمل ، المانيا ، .٢٠٠٤

٢٩- جواد، الدكتور مصطفى، سوسة، الدكتور أحمد (١٩٥٨). دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، المجمع العلمي العراقي، بغداد.

(د) الرسائل الجامعية.

١-التل، عمرسليم عبدالقادر، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري،رسالة ماجستير ،الجامعه الاردنية،.٢٠٠٩

٢- سهيل، جعفر صادق ، عبدالقادر الجيلاني ومذهبه الصوفي، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،.١٩٧٥

٣- القحطاني، سعيد، الشيخ عبدالقادر الكيلاني وآراؤه الإعتقادية والصوفية، أطروحة دكتوراه ، كلية الدعوة، جامعة أم القرى، ،.١٩٩٧

٤-المهداوي ،إيمان كمال مصطفى،عبدالقادرالجيلاني أديبًا،رسالة مجاجستير،كلية التربية ابن رشد،جامعة بغداد،.١٩٩٦

٥-عليوي ،جعفر موسى،عبدالقدرالجيلاني والتصوف ،أطروحة دكتوراة ،كلية الأدآب جامعة بغداد.٢٠٠٢

٦-البلاطي ،علي محمود علي ،الدر الفاخرفي ترجمة الشيخ عبدالقادر ،دراسة وتحقيق ،علي محمود علي البلاطي،رسالة ماجستير، معهد التاريخ للدراسات العليا ١٩٩٩(نسخة البلاطي الشخصية).

٧-ماجد عرسان الكيلاني، نشأة القادرية،رسالة ماجستير،جامعة بيروت العربية،١٩٩٦.

سيرة الباحث :
جمال الدين فالح الكيلاني

بقلم
أ.د.إبراهيم خليل العلاف
أستاذ التاريخ الحديث –جامعة الموصل

صديق عزيز ، أتابع منذ فترة طويلة ، نشاطاته العلمية، ولي معه علاقة تبادل علمي .... هو جمال الدين بن فالح بن نصيف بن جاسم بن أحمد الحجية بن عبد الكريم بن عبد الرحيم بن خميس بن ولي الدين محمد بن عثمان بن يحيى بن حسام الدين بن نور الدين بن ولي الدين بن زين الدين الكبير بن شمس الدين بن شرف الدين بن محمد الهتاك بن عبدالعزيز بن الباز الأشهب الشيخ عبدالقادر الجيلي بن أبي صالح موسى بن عبدالله الجيلي بن يحيى الزاهد بن محمد المدني بن داود أمير مكة بن موسى الثاني بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن اسدالله الغالب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم اجمعين،من الأسرة الكيلانية، ذرية الشيخ عبدالقادر الجيلي).

من مواليد ١٩٧٢، ومنذ طفولته أولع بحب التاريخ، و قراءة الكتب المتنوعة ،تأثر بوالده الأستاذ فالح الحجية الكيلاني –الأديب والشاعر،وأخذ عنه حب الأدب والمعرفة وتذوق الشعر،وبحكم نشأته في الخالص وعلاقة القرابة التي تربطه بالعلامة سالم عبود الألوسي، تعرف بالعلامة مصطفى جواد وتراثه،

واهتم منذ بواكير حياته العلمية بالتراث القادري والذي بات تخصصه الدقيق، ويعد نفسه من تلاميذ الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ومدرسته التاريخية،مارس التدريس في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، كما حاضر في جامعة بغداد والجامعة المستنصرية واتحاد المؤرخين العرب وجامعات القادسية والبصرة ووا سط

حصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من كلية التربية -ابن رشد -جامعة بغداد . كما نال شهادة (دبلوم)في اللغة الانكليزية من معهد المعلمين .

لم يقف عند هذا الحد ، بل غذ السير ، وأكمل دراسته وحصل على شهادة (دكتوراه) فلسفة في التاريخ الإسلامي. ولحبه التاريخ والدراسات التاريخية انتمى إلى "معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا التابع لاتحاد المؤرخين العرب ببغداد"، وحصل عل شهادة ماجستير آداب في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية. حصل على لقب "باحث علمي" من مركز دراسات التاريخ والوثائق والمخطوطات سنة ١٩٩٨.

والدكتور الكيلاني عضو اتحاد المؤرخين العرب ١٩٩٦ وعضو الهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب ١٩٩٨ وعضو جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق ١٩٩٥ وعضو (شرف) لجنة الدراسات القادرية المغرب ١٩٩٧. مشرف مركز دراسات الإمام عبدالقادر الجيلاني المتخصص بالتراث والتاريخ والأنساب القادرية ٢٠١١.

كرم بالعديد من الشهادات التقديرية من المجمع العلمي العراقي١٩٩٦ والهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب ٢٠٠٠ ،والهيئة العامة للاثار١٩٩٧ وجامعة بغداد١٩٩٩ وغيرها.

اهتم بتاريخ الأنساب وشغل نفسه بهذا اللون المهم من الدراسات التي تحتاج إلى معرفة بأمور كثيرة .وقد أجيز في مجال دراسة وتدقيق الأنساب من ثلة من الأساتذة العراقيين المعروفين أمثال الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف والأستاذ سالم عبود الألوسي والأستاذ اللواء أحمد خضر العباسي والأستاذ الشيخ خليل الدليمي والأستاذ جمال الراوي، ويفخر بأنه حضر دروس للعلماء الأعلام كل من الشيخ العلامة عبد الكريم محمد المدرس- مفتي الديار العراقية-والعلامة الدكتور حسين علي محفوظ والعلامة الدكتور علي الوردي و العلامة الدكتور حسين أمين-والعلامة صالح أحمد العلي والعلامة عبدالرزاق الحسني وغيرهم كما أن لديه العديد من البحوث والدراسات والكتب .من كتبه المنشورة :كتاب الإمام عبدالقادر الجيلاني - تفسير جديد مراجعة الأستاذ الشاعر فالح الحجية الكيلاني ،مكتبة المصطفى ، القاهرة ،٢٠٠٩.وكتاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ،مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي – بغداد ٢٠١١. وهو بالأصل رسالة باشراف الدكتورة لقاء الطائي والدكتور رؤوف وكتاب " بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي ، دراسة وتحقيق " ،تقديم الدكتور حسين أمين شيخ المؤرخين –نشر على نفقة السيد أحمد الكيلاني ،الجزائر٢٠١١ .وكتاب " أصول التاريخ الإسلامي " ،مراجعة الدكتور حسين علي محفوظ (مخطوط) ١٩٩٩.وكتاب "

تنقيحات دراسة تحليلية لنسب الإمام عبدالقادر الجيلاني" ، مراجعة الدكتور عبدالقادر المعاضيدي (نشر محدود) منه نسخة محفوظة في المكتبة القادرية١٩٩٦. وكتاب" دراسات في التاريخ الأوربي" ، تقديم الدكتوركمال مظهر أحمد (معد للنشر) وكتاب ،الرحلات والرحالة في العصر العباسي : دراسة تاريخية وهو بالأصل أطروحته للدكتوراة (معد للنشر) ، .وكتاب التاريخ العثماني تفسير جديد تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف وكتاب التاريخ الإسلامي رؤية معاصرة تقديم الدكتور صالح أحمد العلي وكتاب الاستشراق وكتاب المدخل في تاريخ الفلسفة الإسلاميةوغيرها.

ومن بحوثه ودراساته :عرض كتاب الإمام عبدالقادر الجيلاني - تفسير جديد في مجلة فكر حر ٢٠٠٩.وعرض مخطوطة مهجة البهجة ومحجة اللهجة (كتاب) منشورة في جريدة الصباح ٢٠٠٥.ومقالة مصطفى جواد ومخطوطة نادرة عن الكيلاني جريدة الصباح ٢٠٠٦. ومقالة رشيد عالي الكيلاني ابن ديإلى المشورة في جريدة العراق ٢٠٠٢.ومقالة المقدادية أصل التسمية المنشورة في جريدة العراق ٢٠٠٢.ومقالة" الشرق الأوسط وأصل التسمية" المنشورة في مجلة كلية الأدآب جامعة عين شمس ٢٠٠٩.ومقالة عن " براغماتية السيد عبدالرحمن الكيلاني النقيب "،مجلة فكر حر٢٠٠٩.ومقالة عن "الشيخ عبدالقادر الكيلاني: جيلان العراق لا جيلان طبرستان،مجلة كلية الأدآب جامعة عين شمس ٢٠٠٩.وتفسير الجيلاني – دراسة في نسبة التفسير للمؤلف، مجلة رؤى ٢٠١٠. و"المؤرخ هشام جعيط – دراسة في رؤيته للسيرة النبوية " ، مجلة رؤى ٢٠١٠.

هذا فضلا عن عشرات المقالات المنشورة على شبكة الإنترنت وضمن مواقع كثيرة ومن الموضوعات التي كتبها موضوعات ،عن عصر الرسالة وعصور الراشدين والأموين والعباسيين والعثمانيين والعصر الحديث والمعاصر والشخصيات العربية والإسلاميةوبعض الشخصيات الغربية ،مثل مقالات تدور حول الشيخ عبدالقادر الجيلاني وذريته في العالم ،وأهمية ثورة الحسين في التاريخ العربي الإسلامي ، و إبان بن عثمان المؤرخ المبكر،والإمام الغزالي، والإمام الرفاعي، والإمام أبو مدين ،والإمام البخاري ،والشيخ ابن تيمية وقوميته، والشريف البعقوبي،الامين والمأمون والميكافلية ،والطريقة القادرية المبكرة ،و معنى الباز الأشهب ،و التراث الصوفي – دراسة أولية والإمام أبو إدريس البعقوبي، والمغول، وجنكيز خان، وهولاكو خان، وتيمورلنك، والدولة الفاطمية وخلفاءها، وبغداد، وسمرقند، وكابول، ودلهي، والمقدادية أصل التسمية، والناصرية العراقية، والصويرة العراقية، والعزيزية العراقية، وال بابان، وال السعدون، ومحمد الفاتح ،وسليمان القانوني ،ومراد الرابع، وعبد الحميد الثاني، والشرق الأوسط ،والمكنا كارتا، وعبدالقادر الجزائري، وجمال الدين الأفغاني ،وعبد الكريم قاسم ،والحبوبي الشاعر والإمام، والسيد محمد باقر الصدر، والمؤرخ الدروبي وجهوده في تدوين تاريخ الأسرة القادرية في العهد العثماني، والرينسانس ،ومترنيخ، وبسمارك، وهتلر، وميكافللي والميكافلية، وونستون تشرشل، وجان جاك روسو ،والثورة الفرنسية، ولويس الرابع عشر ،ولويس السادس عشر، وماري أنطوانيت ،ونابليون الأول ،ونابليون الثالث، وقراءة في كتاب-لينين-خطوة إلى الإمام خطوتان إلى الوراء، وتلخيص كتاب قصة الفلسفة للمؤرخ ويل

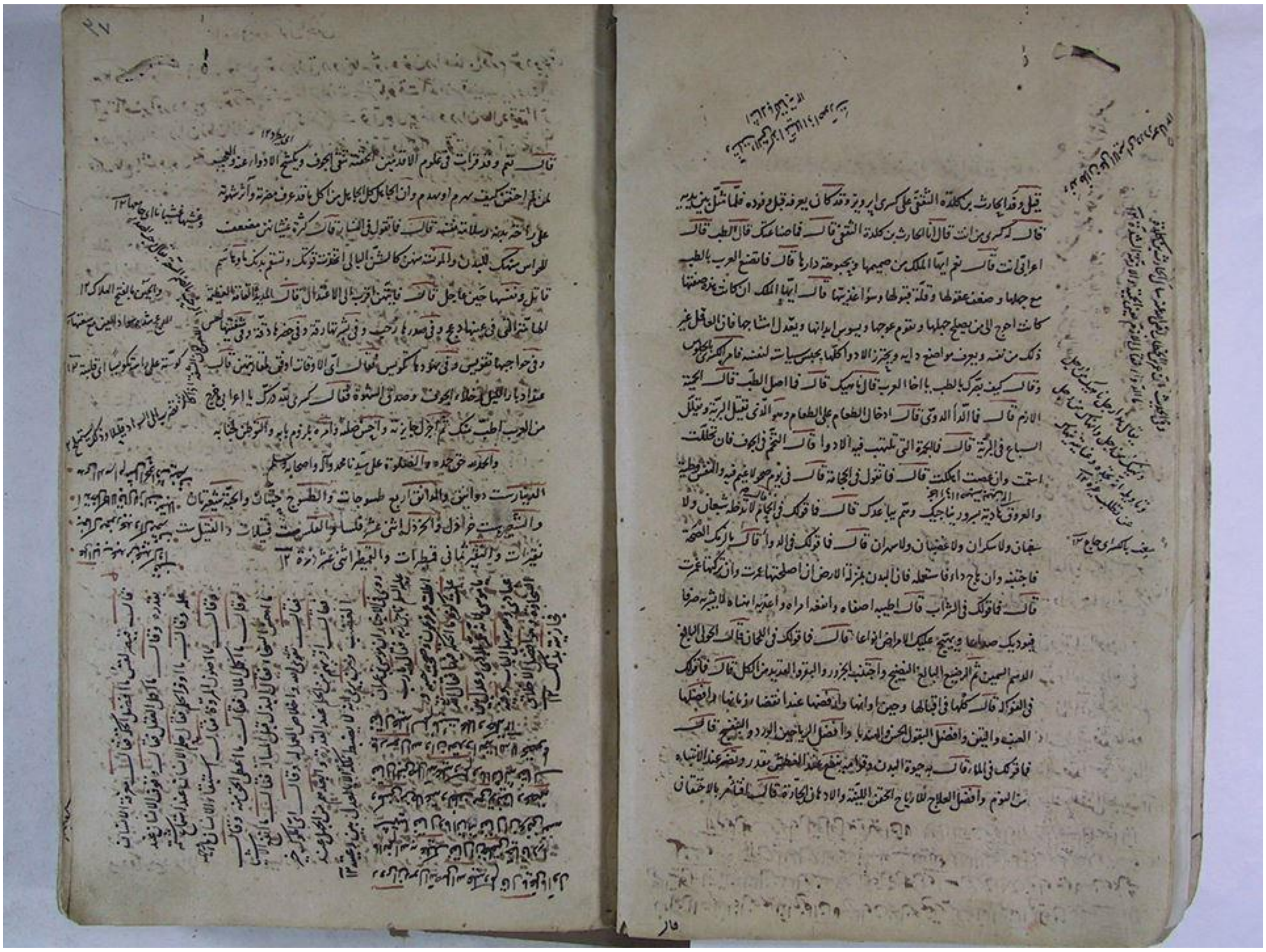
ديورانت، وتاج محل ،والأزهر، والقرويين، وبدر شاكر السياب، و" الصراع السياسي والديني في اليمن قبل الإسلام -نجران نموذجًا."

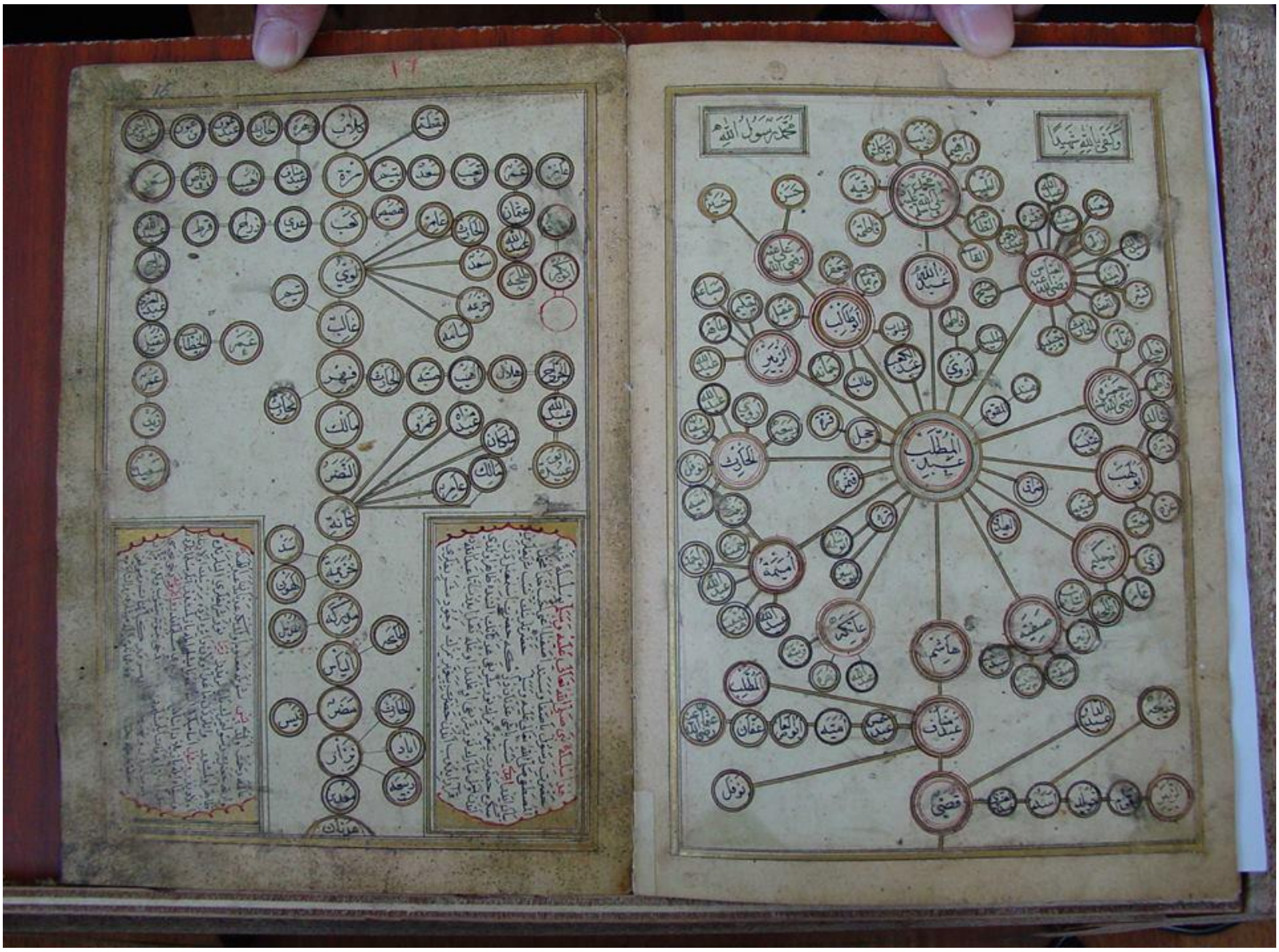
درس التاريخ على أيدي العديد من أساتذة التاريخ في العراق منهم الأساتذة الدكاترة عماد عبد السلام رؤوف وكمال مظهر أحمد وفاروق عمر ،وعبدالرزاق الأنباري وعبدالقادر المعاضيدي وخاشع المعاضيدي وعبدالقادر الشيخلي وجعفر عباس حميدي ويقظان سعدون العامر وحمدان الكبيسي وقحطان عبد الستار الحديثي وهاشم يحيى الملاح وعبد الأمير العكام وصادق ياسين الحلو ومفيد كاصد الزيدي ومحمد أحمد الشحاذ وعبد الأمير دكسن وعبد الجبار ناجي وفاروق عباس وهيب وخضير الجميلي وطارق نافع الحمداني ومحمد جاسم المشهداني ومحمد ياقر الحسيني ومزاحم علي عشيش البعاج وناهض عبدالرزاق القيسي ومحي هلال السرحان.

من آراءه" أن التاريخ لايعرف اليوم والأمس والغد وإنما هو نهر الحياة يمضي إلى الأجل المضروب الذي قدره علام الغيوب. فالتاريخ كله تاريخ معاصر ،نعم له تقسيمات علمية، ولكنه يعيش معنا ويهمنا وعلينا أن نستفاد منه في حياتنا كلها ويستند في هذا الرأي على أن استقراء التاريخ خير من التجارب ،وان اختيار سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر ،يبدو ، امرا بعيدا عن الحقيقة والواقع لان التطور التاريخي يمتاز دائما بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها ببعض ، وان وقائع التاريخ الكبرى عائمات جليد طرفها ظاهر فوق الماء ، وكتلتها الرئيسية تحت سطحه ومن يريد استكشافها عليه أن يغوص في الأعماق،والفرق بيننا وبين الغرب اننا نعيش في التاريخ فقط وهم يفهمونه

ويستغلونه لتحقيق مصالحهم،و التاريخ هو طريق الإنسانية إلى الحضارة، لأنه ضوء ينير الماضي لرؤية الحاضر و المستقبل ، فجذور أنظمتنا السياسية ،والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية ،تمتد عميقا في تربة الأجيال الماضية.."

مرفقـــات

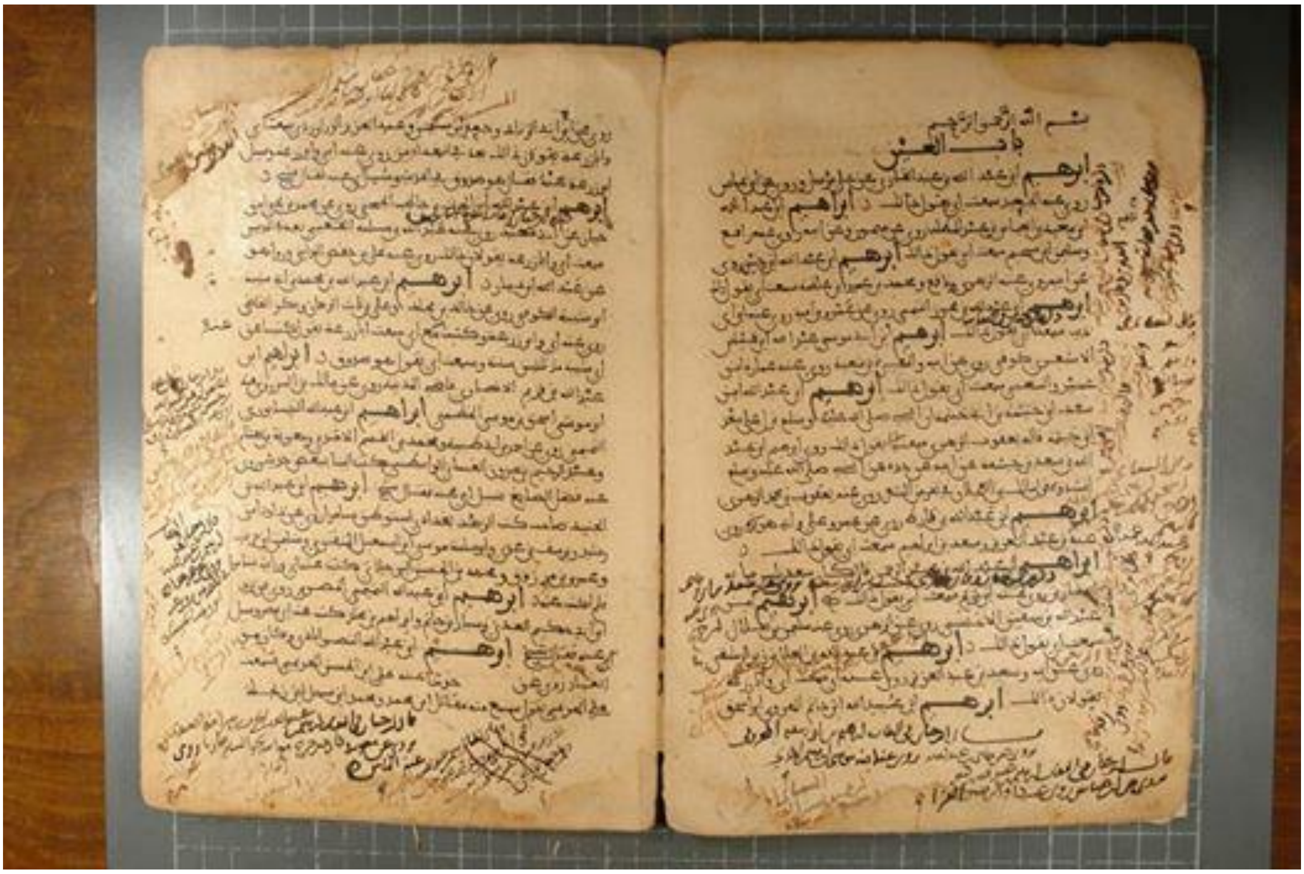


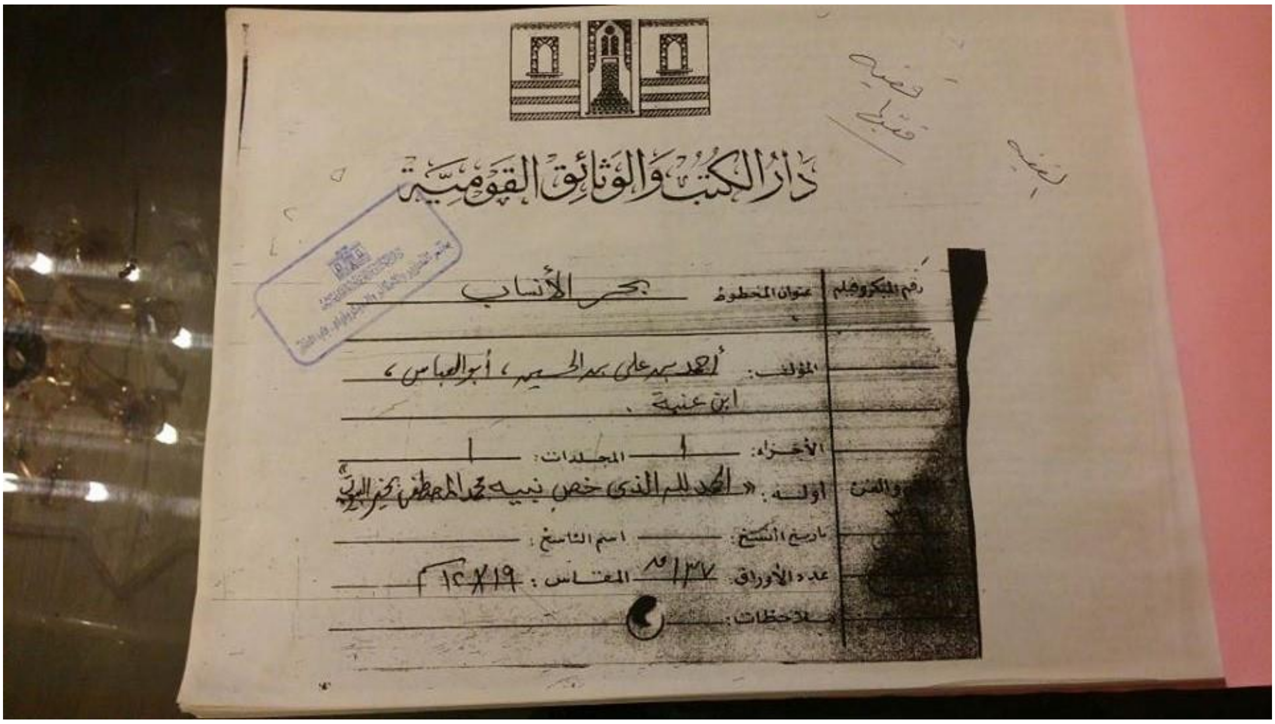

محمد رسول الله
وكفى بالله شهيدا



من مؤمن من من مؤ من غير فضله
على عبده الفقير احمد ابو
حافظ القالي الحنفي

هذا كتاب الثغور الباسمة في فضايل سيتنا فاطمه
بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى اما بعد اخواني
رحمكم الله قال الامام السيوطي رحمه الله تعالى اخبرني
شيخي شيخ الاسلام والمسلمين تقي الدين التميمي بقراتي عليه قال
حدثنا الجمالي عبد الله بن علي الحنبلي قال حدثنا ابو الحسن القوصي
قال حدثتنا زينب وانباني عليا ابو عبد الله محمد بن مقبل الحلبي
عن الصلاح بن ابا عمر المقدسي قال حدثنا ابو الحسن بن البخاري
قال حدثنا ابو علي الرصافي قال حدثنا ابو القاسم ابن الحصين قال
حدثنا ابو علي التميمي قال اخبرنا ابو علي القطيعي قال حدثنا
عبد الله بن احمد بن حنبل قال حدثنا ابي قال حدثنا عفان
قال حدثنا حماد قال اخبرنا عطا بن السايب عن ابيه عن علي رضي
الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة
بعث معه بخميله ووسادة من اديم حشوها ليف ورحايين
وسقا وجرتين فقال علي لفاطمة ذات يوم والله لقد سنوت




دار الكتب والوثائق القومية

رقم الميكروفيلم | عنوان المخطوط: بحر الأنساب

المؤلف: أحمد بن علي بن الحسين، أبو العباس، ابن عنبة.

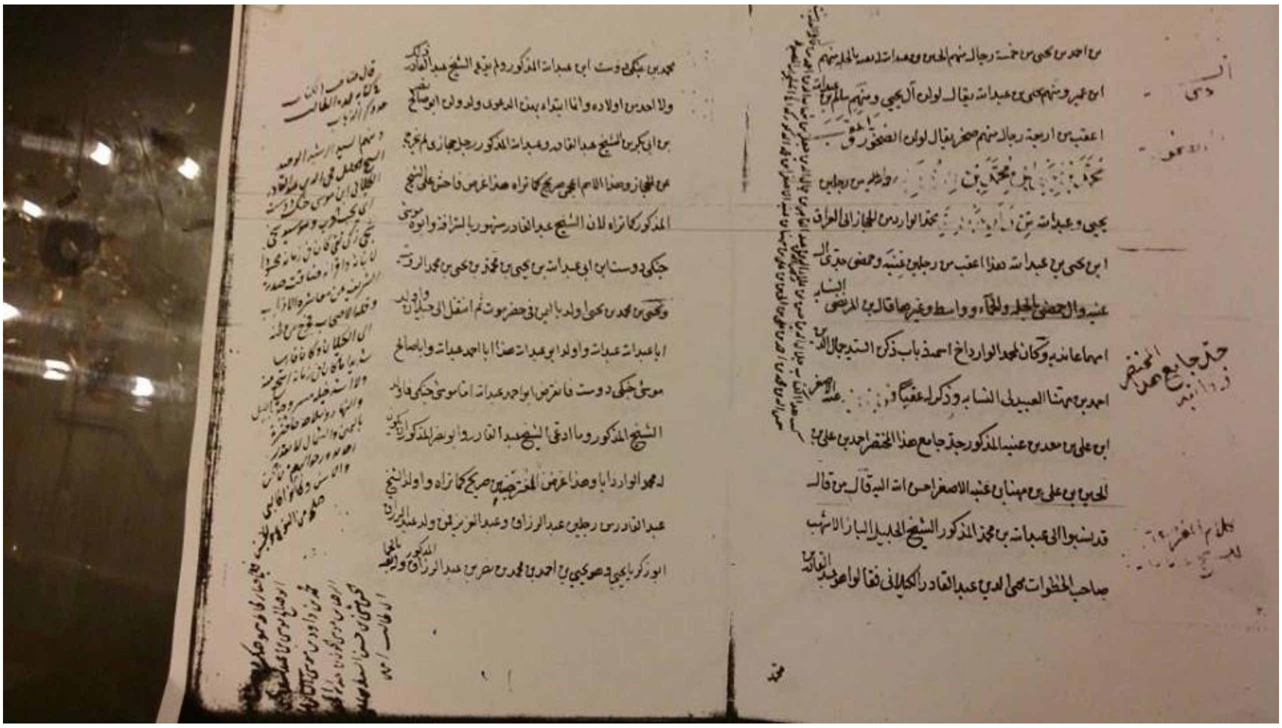
الأجزاء: ١ المجلدات: ١

الفن | أوله: «الحمد لله الذي خص نبيه محمد المصطفى بخير النسب»

تاريخ النسخ: اسم الناسخ:

عدد الأوراق: ١٣٧ق المقاس: ١٩×١٤ سم

ملاحظات:




بسم الله الرحمن الرحيم
يقول عبد الله السالك سبيل الاهتداء بآياته
المستنير بواضح آياته محمد بن علي بن احمد الاوسي الشهير
بالبلنسي كتبه الله ممن ذكره عنده فلم يكن من رحمته
بالمنسي بمنه وكرمه
الحمد لله جامع عوارف الامتنان في علوم القرآن وواضع
معارف الاحسان في فهوم الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
ديوان الرئاسة
المجمع العلمي

العدد / ٨٠٣
التاريخ / ١٢ / رجب / ١٤١٧هـ
٢٣ / ١١ / ١٩٩٦م

السيد جمال الدين فالح الكيلاني المحترم

ص. ب ١٩٥ (باب المعظم)

بغداد

تحية طيبة :

تلقينا رسالتك الكريمة وقدرنا اهتمامك بالمجمع العلمي ، ونحن إذ نشكر لك هذا الاهتمام نود أن نبين لك أن المجمع العلمي يرحب بالتعاون معه في جميع المجالات العلمية وينظر الى الجهود العلمية الذي يبذلها الباحثون بعين الرعاية والاهتمام .

وبصدد مؤلفاتكم فانكم تستطيعون أن تقدموها الى المجمع لينظر فيها ، وأما بخصوص المسكوكات التي قد ترجع الى العصر السلجوقي فأن مديرية الآثار العامة مهتمة بها ولك أن تقدمها اليها .

نكرر الشكر والمجمع العلمي مستعد للتعاون مع جميع الباحثين الخيرين ونرحب باستقبالكم في المجمع لبحث الموضوع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدكتور ناجح محمد خليل الراوي

رئيس المجمع العلمي

٢٠ / ١١

بسم الله الرحمن الرحيم
اتحاد المؤرخين العرب
الامانة العامة
الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب
Union of the Arab Historians
Office of General Secretary
The Arab Mission for Genealogy History Writing

العدد هـ ـ ن / ٧١ No.:
التاريخ ٧ محرم ١٤٢٢ هجرية Date:
الموافق ١ / ٤ / ٢٠٠١ ميلادية

الاستاذ جمال الدين الكيلاني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحيل اليكم نسب السادة الكيلانيين في ديالى . نرجو تدقيقه واعلامنا .
مع التقدير .

المرفقات

شجرة نسب

أ.د. محمد جاسم المشهداني
الامين العام
رئيس الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب

نسخة منه الى

مقرر الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب/ نرجو المتابعة مع التقدير .

ع

العراق - بغداد - المنصور - شارع النقابات - حي طرابلس - ص.ب (٦٣٨٧) هاتف ٨٨٤٠٦٥٩-٥٣٧٢٨٧٥-٥٣٧٢٨٧٦-الفاكس: ٥٣٧٢٥١٦
Iraq-Baghdad-Al-Naqabat St. - P.O. Box (6378) - Tel.: 8840659-5372876-5372876-Cable Moarkheen- Fax: 5372516

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد المؤرخين العرب الامانة العامة الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب	Union of the Arab Historians Office of General Secretary The Arab Mission for Genealogy History Writing

العدد هـ ن / ١٣٢ No.: ....
التاريخ ١٥ / صفر / ١٤٢٢ هجرية Date: ....
الموافق ٨ / ٥ / ٢٠٠١ ميلادية

الى / السيد جمال الدين الكيلاني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحيل اليكم نسب عشيرة (السادة الحياليين) .

نرجو تدقيقه .. واعلامنا .

مع التقدير .

أحمد خضر سلمان الدوري
مقرر الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب

نسخة منه الى
اضبارة العشيرة .

ع

العراق - بغداد - المنصور - شارع النقابات - حي طرابلس - ص ب (٦٣٨٧) هاتف ٨٨٤٠٦٥٩-٥٣٧٢٨٧٥-٥٣٧٢٨٧٦-الفاكس: ٥٣٧٢٥١٦
Iraq-Baghdad-Al-Naqabat St. - P.O. Box (6378) - Tel.: 8840659-5372876-5372876-Cable Moarkheen- Fax: 5372516

لعبد ما أصابهم به أصلوا مكانته وعظموا حرمته لما يجب له عليهم وأجرى له
أمراؤهم ما جرت به عادتهم مع الشرفاء ببلادهم ولما أصلوا من أنسابهم وأخرجوه
منهما بعد الثغر بها الشريف ذلك لما حرروه ولقد كان يوجد
عندهم من آل البيت الطاهر في النسب وصميمه وقد ورد من بلادهم
على فاس من الشرفاء الذين أشتهم والتي كان بها ثلاث طوائف كلهم من
مشاهير الشرفاء بفاس محمي الجنب انتهى ملخصا على شرفهم الأولى الصقليون
وهم من الحسينيين بالتصغير أصلهم من صقلية وإليها ينسبون وكانوا
بالأندلس أيضا وكانت طائفة منهم بسبتة الثانية الرباطيون
الفاطنون بالعيون من فاس الغرويين وهم من الحسنيين الأدارسة خرجوا
من عدوة الأندلس التي ببلاد سلا ثم قدموا منها إلى فاس ولم يكن الربع
حرفة لهم وقد جرى أن التكنية عليهم بالرباطيين بسبب ما رأيته في بعض
ظهائرهم من تحبيس بعض الملوك لهم بعض خراج دار الربع بسلا حين كانوا
بها والله أعلم الثالثة نحو أعني القادريين نسبة إلى سيدنا
عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وهذا النسب نزعموا إلى اليوم ۝
وليس لنا لقب سواه ۝ ولا تكنية عن ذلك ۝ وحسبنا الغنا ۝ وكنية والدنا
كفل الله رجاءنا فيه عندك ۝ وجعلنا من حفظ فيه ودك وعهدك ۝
وهو جار على الظاهر من كونهم لجدهم الأشم أعني سيدنا عبد القادر وعلى
القاعدة العربية في النسب إلى المركب الإضافي ان لم يتعرفا ولد بثانيه
من أنه ينسب عند خوف اللبس إلى عجزه كعبد الأشهل ونحوه ولذلك سلفنا
رحمهم الله بالجزيرة كذا رأى الأجداد العامة على ما يقتضيه كتب النسب المذكور

ومون والأندلس

جال

وثيقة : من الشريف حسين ملك مكة إلى السيد عبدالرحمن الكيلاني النقيب المصدركتاب لمحات اجتماعية، علي الوردي ، ج٦ ،ص

وبعد ثلاثة ايام وصلت الى النقيب برقية من الملك حسين كان هـذا نصها :

فرع الدوحة النبوية فضيلة السيد الاجل حضرة النقيب • ضرورى بلغكم توجه ابنى فيصل الى طرفكم بناءا على طلبات الاهالي المتعـددة ، ولامتزاج عائلتنا بكم ، فلا احتاج ان ابحث عما يجب لسعيكم جميعا فيما يستلزم راحة البلاد ومضاعفة الرغبة وتأمين مستقبل الكل • هذا ما انتظره من همم نجابتكم والحسية الدينية والقومية • والله يتولانا واياكم بالتوفيق•

عن مكة المكرمة في ١٧ حزيران ١٩٢١ م

حسين

Ministry of Higher Education And Scientific Research University Of Baghdad Center of Revival of Arabian Science Heritage	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد مركز أحياء التراث العلمي العربي

No :
Date : / / 201

العدد : ٩٥٨
التاريخ : ١٧/ ٧/ ٢٠١٢

إلى / الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

م / شكر و تقدير

تحية طيبة...

لجهودكم العلمية المتميزة في تحقيق المخطوطات العربية وإزاء تلك الجهود لا يسعنا إلا ان نتقدم لكم بالشكر والتقدير والعرفان أملين المزيد من العطاء والتميز خدمة لتراث امتنا العربية والإسلامية ولبلدنا العراق العزيز .

مع التقدير...

أ.م.د. عبدالله حميد العتابي
مدير المركز

نسخة منه الى///
- وحدة الإدارة / مع الأوليات.
- الحفظ العام.

Baghdad- Al-Jadiriyah P.O.B (47051) Tel:7783621
rasric@rasric.uobaghdad.edu.iq
http://www.rasric.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد- الجادرية- ص.ب (47051)
رقم الهاتف 7783621 مباشر

مركز دراسات
التاريخ والتراث والوثائق والمخطوطات

اتحاد المؤرخين العرب

الرقم :
التاريخ : ٥ شوال ١٤١٧هـ الموافق لليوم ٤ / ٣ / ١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تشرفت بالاطلاع على ما كتبه الشاب اللامع المجتهد الحسيب النسيب السيد جمال الدين السيد فالح الكيلاني عن نسب سيدنا الامام الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس سره)، وقد باركت له هذا الجهد المشكور الذي يدل على المواظبة الجادة والمتابعة المتأنية والصبر على المشاق التي ترافق امثال هذه الأعمال، وليس لي ما اقوله بهذا المقام الا ان اثني على عمله وابارك مسعاه وادعو الله ان يأخذ بيده في انجاز مثل هذا العمل النافع المبارك، والله الهادي الى سواء السبيل

سالم الآلوسي
المدير العام
لمركز دراسات التاريخ والتراث

العنوان : بغداد ـ العراق المنصور ـ شارع النقابات ـ حي طرابلس 8840650 المدير العام



هـذا الكـتاب

مِن الشَّك إلَى اليَقِين

يعد الشيخ عبد القادر الجيلي ، من الشخصيات الإسلامية الكبيرة التي كان لها "دور مهم في التاريخ العربي الإسلامي"، والتي قدر لها أن تكون موضوعا للعديد من الكتب قديما وحديثا، وكان من حسن الحظ أن يعكف باحث معاصر يتميز بالدقة وسعة الأفق والشعور بالمسؤولية والحماس لكتابة دراسات متعددة في السيرة القادرية، جديرة بالتقدير نظرا لأن الصورة التي يقدمها والمستندة على معلومات غير قابلة للرفض، هي صورة جديدة معتمدة، تضيف إلى معرفتنا وتعدل كثيرا من أفكارنا المسبقة.

إن دراسة الباحث جمال الدين فالح الكيلاني، تتناول موضوع مهم وتقدم معلومات موثوقة منظمة ، نرجوا أن تثير القارئ، وتفتح آفاقا جديدة للباحثين، والله الموفق.

أ.د. حسين علي محفوظ

مُصمِّم الغِلاف: مُحمَّد الشَّرِيف القَادِري



جمال الدين فالح الكيلاني
الشيخ عبد القادر الكيلاني
رؤية تاريخية معاصرة
(١٠٧٧-١١٦٦م - ٤٧٠-٥٦١هـ)
تقديم
المؤرخ عماد عبد السلام رؤوف
مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي

دكتور/ جمال الدين فالح الكيلاني

الإمام عبد القادر الكيلاني

رؤية تاريخية معاصرة

مراجعة وتقديم

الاستاذ الدكتور/ عماد عبد السلام رؤوف

تنسيق وترتيب

الأستاذ: نصر الدين أجدير

جامعة تلمسان الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر خاص لكل الأياد البيضاء التي ساهمت في خدمة تراث الباز الأشهب

الطبعة الثانية : دار الفكر Pittsburgh, PA 15213 USA 2014 بيتسبورغ، ب.أ 15213 الولايات المتحدة الأميركية .

تلفون: 5226 441 (412)
فاكس: 0836 417 (775)

الطبعة الأولى : مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي / بغـــداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 126 لسنة 2011

الاهـــــداء

إلى والدي... حبا وعرفانا

إلى الذين ابتلوا فصبروا وثبتوا فما وهنوا وما استكانوا

إلى كل عراقي شريف غيور على وطنه

إلى التي علمتني الصبر لاجل النجاح

زوجتي .... ليلى علي يوسف الكيلاني

إلى اولادي... عمر ا يمن رامي ...دارين

إلى الاخت الفاضلة لطيفة...خالتهم

إلى صالحي امة محمد صلى الله عليه واله وسلم

جمال الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا
نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا
هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ
أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64)
فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ
أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ
تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ
فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي
السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا
لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ
لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي
عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ
أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا
لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ
يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا
الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ
رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ
تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82)

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

للههذه الدنيا سوق بعد ساعة لا يبقى فيها احد، عند مجيء الليل يذهب أهله منه ، اجتهدوا أنكم لا تبيعون ولا تشترون في هذه السوق الا ما ينفعكم غداالله

للهاعمل الخير لمن يستحق ولمن لا يستحق والأجر على اللهالله

للهمن رضا بالقضاء والقدر استراح ومن لم يرض به زاد همه وتعبه ولا يحصل من الدنيا

إلا ما قسم له الله

للهأود لو أن الدنيا بيدي فأطعمها للجياعالله

الإمام عبد القادر الجيلي

مقدمة الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

بسم الله الرحمن الرحيم

ليست مهمة الكتابة في سيرة فذة متعددة الجوانب كسيرة الإمام عبد القادر الجيلي -قدس الله روحه _ ميسورة، ممهدة مهما أوتي المتصدي له من اسباب القدرة والمكنة، فهذا الانسان الكبير استطاع_بخلق وعزم نادرين_أن يتحدى عصرا بكامله، يموج بانواع من التناقضات الاجتماعية، وضروب من الاضطراب ات النفسية والسياسية والاقتصادية، فقدم لمريديه وتلامذته البديل الافضل لمتناقضات ذلك العصر ومشاكله العديدة، ودل ابناء عصره، والعصور التالية، على طريق السلامة والنجاة من ادران الواقع واشواكه الخطرة.

ولم تكن عظمة الإمام تكمن في مبادىء مثالية مطلقة كان يدعو اليها فحسب، وانما في فهمه العميق لمجتمعه، وللمجتمع الانساني بوجه عام، وادراكه جوهر المشاكل الاساسية الذي يعاني منها ذالك المجتمع، فهو على رغم زهده وقناعته الكاملة، لم يقف موقف الضد من الحياة، بما تستوجبه من سعي في سبيل الرزق، وسيطرة على اسباب الدنيا، بل انه اكد على ضرورة العمل من اجل ان يضع الانسان (الدنيا بين يديه)ولكن مع ملاحظة الا تنتقل إلى قلبه فتفسد ذالك القلب، وتقطع اسباب اتصاله بالله سبحانه وتعالى ، وهذا_لعمري_فهم للاسلام سليم، وادراك عميق لجوهره ومعانيه.

لقد توضح لدى الناس، منذ ان غادرهم الإمام ملتحقا بالرفيق الاعلى، ضرورة تسجيل معالم سيرته الطيبة، لتكون نبراسا فتفيد منها الاجيال، وقدوة يتاسى بها السالكون في طرق الحياة، فانبرى عدد غير قليل من المؤلفين والمصنفين إلى جمع اخباره، والتقاط شوارد مواقفه واحواله، ليؤلف صنيعهم كتبا ورسائل مهمة تناقلها الناس وكانت موضع احترامهم وتقديرهم، بل وجدنا في كل عصر من ينبري إلى اعادة كتابة سيرته وجعلها موضوعا يفيد منه اهل ذلك العصر.

وفي العقود الاخيرة من السنين اصبحت سيرة الإمام محورا لعدد من الرسائل الجامعية تناولها اصحابها فيها حياته الثرة، بماتضمه حياته الثرة، بماتضمه من دين وفكر وتعليم وادب.

والكتاب الذي بين ايدينا يقف شاهدا اخر على اعجاب الجيل من ابنائنا بهذه السيرة الوضاءة، واحساسهم باهمية تعاليم صاحبها في هذا العصر ايضا.

والسيد جمال الدين فالح الكيلاني، وهو الذي ينتسب إلى الإمام عبد القادر دما، فضلا عن انتمائه اليه فكرا وعملا، عبر عن قوة هذا الاعجاب وتدفق ذالك الاحساس، بتاليفه كتابه هذا ، وهو يرجو، كمال ارجو، ان ينال به رضا ربه ، وثوابه، فجزاه الله خير الجزاء.

الاستاذ الدكتور: عمادعبدالسلام رؤوف

استاذ التاريخ بجامعة بغداد_كلية التربية_ابن رشد

تمهيـــــد:

إن الاهتمام بسيرة علم من الأعلام لداع كفيل للتجديد في الطرح في كل ما اعتراه من جوانب حياته سواء من حيث التفصيل في حيثياتها أو الفصل في جلب المآخذ التاريخية على ما ورد و إيراد جملة من الشواهد بالاعتبار للترجيح على وجه يفضي بالناظر إلى الاذعان فيما سيق .

ولقد نهزتني جملة من البواعث إلى النظر في سيرة الإمام عبد القادر الجيلي، ما فتات منذ زمن طويل أتتبع كل ما كتب عن الإمام الإمام عبد القادر الجيلي كمطبوعات قديمة أو ما أعيد نشره حديثا من دراسات ورسائل جامعية وقد دفعني ذلك إلى تقديم محاولة لعرض واف ورؤية معاصرة لسيرة الإمام الجيلي بكل أبعادها دينيا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا وعن دور ه في صناعة التاريخ في عصره مما كان له صدى خيب في العصور التي تلت- في نفوس المسلمين - من مملكة ماليزيا إلى مملكة المغرب وفي غيرها من بلدان المعمورة.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى قسمين: الأول وفيه عرض لسيرة الإمام الجيلي بكل تفاصيلها الرئيسة. أما الثاني فكان مختارات لنصوص قادرية في تربية وتهذيب النفس .

أرجو أن أكون قد أسهمت في تقديم مادة مفيدة وآمل أن تثير هذه الدراسة الطلاب والباحثين على سواء وان تشجع على مواصلة البحث فالموضوع مهم و متشعب يتطلب المزيد بعد المزيد من الجهود ، وأتمنى أن تسد هذه الدراسة نقصا وثغرة في المكتبة العربية الإسلامية.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

جمال الدين فالح الكيلاني

بغداد

مع الإمام عبد القادر الجيلي

أولاً : اسمه ونسبه ورحلاته في طلب العلم وشيوخه :

1 - اسمه : هو ابو صالح عبد القادر بن موسى الثالث بن عبدالله الجيلي بن يحيى الزاهد بن محمد المدني بن داود الاميربن موسي الثاني بن عبد الله الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض، ويلقب أيضاً بالمجل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه (1) .

وفي هذا النسب الطاهر يقول :

أنا الجيلي محيي الدين اسـمي — وأعلامـي رؤوس الجبـال
وعبد القادر المشهور اسـمي — وجدي صاحب العين الكمـال
نبي هاشمي مكي حجـازي — هو جدي بـه نلت الموالـي (2)

2- كنيته ولقبه : تجمع كتب السير والتراجم على أن كنيته أبو محمد ونسبته الجيلي (3). وأما الألقاب التي أطلقت عليه فهي كثيرة توحي بدلالات متعددة وهي تشبه في عصرنا الإجازات العلمية والأوسمة التي تمنح للعلماء والعظماء إقراراً بفضلهم وبيانا لعلو منزلتهم، فمن الألقاب التي أطُلقت عليه لقب الإمام، أطلقه عليه السمعاني فقال إمام الحنابلة وشيخهم في عصره. نقله عنه ابن رجب (4) . ومنها لقب شيخ الإسلام أطلقه عليه الذهبي (5).

3- ولادته : ولد الإمام عبد القادر في بلدة الجيل وهي قرية عراقية تابعة لمدينة المدائن قرب بغداد ، وي، والنسبة إليها جيلي و اما جيلاني كيلاني فهي نسبة متاخره والاصح الجيلي لا غيرها رغم اشتهار غيرها في حقب متاخره ، وذلك سنة سبعين وأربعمائة للهجرة (6) .

---

[1] أعلام سير النبلاء (439/20) الإمام عبد القادر الجيلي ص 27.
[2] الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (290/1).
[3] المصدر نفسه ص 28.
[4] الإمام عبد القادر الجيلي للقحطاني ص 28.
[5] سير أعلام البنلاء (439/20).
[6] جغرافية الباز الاشهب 43.

4- طلبه للعلم ورحلاته : رحل الإمام عبد القادر الجيلي من بلده ومسقط رأسه جيلان العراق إلى بغداد حيث دخلها سنة 488هـ وعمره آنذاك ثماني عشرة سنة والتقى في بغداد بمجموعة من مشاهير العلماء الذين نهل من مناهلهم واستفاد من معارفهم حتى أصبح عالماً في مختلف العلوم إذ يصفه الذهبي في ترجمته له بانه : الإمام الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام وعلم الأولياء ومحي الدين (7) .

كما يصفه ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة بانه : شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف (8)، وقد أمضى في طلب العلم اثنين وثلاثين سنة درس فيها مختلف علوم الشريعة ثم جلس للتعليم والوعظ سنة 520هـ (9)

كان خلال فترة طلبه للعلم رغم طولها يعاني من ضيق العيش ويكابد مرارة الحرمان إلا أن ذلك لم يفت في عزيمته ولم يعوقه عن المثابرة في طلب العلم (10) ، وقد نقل ابن رجب ما يصّور لنا تلك المعاناة من كلام الإمام نفسه حيث يقول : وكنت أقتات الخرنوب (11) ، الشوك وقمامة البقل وورق الخس من جانب النهر والشط وبلغت الضائقة في غلاء نزل ببغداد أن بقيت أياماً لم آكل طعاماً بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها يوماً من شدة الجوع لعلي أجد ورق الخس أو البقل، أو غير ذلك، فاتقوت به فما ذهبت إلى موضع إلاّ وغيري قد سبقني إليه، وإن وجدت أجد الفقراء يتزاحمون عليه فاتركه حياءاً، فرجعت أمشي وسط البلد لا أدرك منبوذاً إلا وقد سبقت إليه حتى وصلت إلى مسجد ياسين بسوق الرياحين ببغداد وقد أجهدني الضعف وعجزت عن التماسك فدخلت إليه ووقعت في جانب منه وقد كدت أصافح الموت، إذ دخل شاب ومعه خبز صاف وشواء وجلس ياكل فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أن أفتح فمي من شدة الجوع حتى أنكرت ذلك على نفسي فقلت : ما هذا وقلت ما ههنا إلاّ الله أو ما قضاه عليّ من الموت إذا التفت إليّ الشاب فرآني فقال : بسم الله يا أخي فابيت فاقسم عليّ فبادرت نفسي فخالفتها فاقسم أيضاً فاجبته فاكلت متقاصراً، فاخذ يسالني ما شغلك ومن أين أنت وبمن تُعرف فقلت : أنا متفقه من جيلان فقال : وأنا من جيلان فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر فقلت : أنا هو فاضطرب وتغير وجهه وقال : والله لقد وصلت إلى بغداد

[7] سير أعلان البنلاء (439/20).

[8] ذيل طبقة الحنابلة لابن رجب (290/1).

[9] المصدر نفسه (291/1).

[10] الإمام عبد القادر الجيلي ص 32.

[11] الخرنوب : شجر بري ذو شوك ذو حمل كالتفاح لكنه بشع.

ومعي بقيت نفقة لي فسالت عنك فلم يرشدني أحد ونفدت نفقتي ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلاّ مما كان لك معي وقد حلّت لي الميتة وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء، فكل طيباً فإنما هو لك وأنا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي فقلت له : وما ذاك فقال : أمك وجهّت لك معي ثمانية دنانير فاشتريت منها هذا للاضطرار فانا معتذر إليك فسكنُّه وطيبت نفسه ودفعت إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب برسم النفقة فقبله وانصرف (12).

5- شيوخه : ونتحدث عن بعضهم :

أ- أبو سعيد : المبارك بن علي المخرمي شيخ الحنابلة تفقه بالقاضي أبي يعلي وبنى مدرسة باب الأزج درّس بها بعده تلميذه الإمام عبد القادر الجيلي بعد أن طوَّرها وأدخل عليها بعض التوسعة والتجديد، وكان نزيهاً عفيفاً، وقد فتحت عليه الدنيا، فبنى داراً وحماماً وبستاناً، مات سنة 513هـ.

ب- أبو الوفاء علي بن عقيل بن عبد الله البغدادي : الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة الحنبلي المتكلم صاحب التصانيف ولد سنة 431هـ وكان يتوقد ذكاءاً وكان بحر معارف وكنز فضائل لم يكن له في زمانه نظير (13) . وقد نقل عنه الذهبي قوله : عصمني الله في شبابي بانواع من العصمة وقصر محبتي على العلم وما خلطت لعاباً قط ولا عاشرت إلاَّ أمثالي من طلبة العلم وأنا الآن في عشر الثمانين أجد من الحرص على العلم أشد مما كنت أجده وأنا ابن العشرين وبلغت لاثنتي عشرة سنة وأنا اليوم لا أرى نقصاً في الخاطر والفكر والحفظ وحدَّة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية إلاَّ أن القوة ضعيفة (14) . قال ابن الجوزي : كان ابن عقيل ديناً حافظاً للحدود توفي له ابنان فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه وكان كريماً ينفق ما يجد وما خلفَّ سوى كتبه وثياب بدنه توفي سنة 513هـ (15) ، وينقل الذهبي عن أبي المظفر سبط ابن الجوزي قول ابن عقيل : حججت فالتقطت عقد لؤلؤ في خيط أحمر فإذا شيخ أعمى ينشده ويبذل لملتقطه مائة دينار فرددته عليه فقال : خذ الدنانير فامتنعت وخرجت إلى الشام وزرت القدس وقصدت بغداد فاويت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع فقدموني فصليت بهم فاطعموني وكان أول رمضان فقالوا : إمامنا توفي فصل بنا هذا الشهر ففعلت فقالوا : لإمامنا بنت فتزوجت بها وأقمت معها سنة وأولدتها ولداً ذكراً فمرضت في

[12] الذيل عن طبقات الحنابلة لابن رجب (298/1).

[13] سير أعلام النبلاء (428/19).

[14] الإمام عبد القادر الجيلي ص 38.

[15] سير أعلام النبلاء (446/19).

نفاسـها فتاملتها يومـاً فـإذا في عنقهـا العقـد بعينـه بخيطـه الأحمـر فقلـت لهـا : لهـذا قصـة، وحكيـت لهـا، فبكـت وقالـت : أنـت هـو والله لقـد كـان أبـي يبكـي : ويقـول : اللـهم أرزق ابـنتي مثـل الـذي رد العقـد علـيَّ وقد استجاب الله منه ثم ماتت فاخذت العقد والميراث وعدت إلى بغداد (16).

ج- حمـاد بـن مسـلم الـدباس : كـان الإمـام عبـد القـادر مـن تلامذتـه (17) وقـد أثنـى ابـن تيميـة علـى الجيلـي وشـيخه حمـاد حيـث قـال : فـامر الإمـام عبـد القـادر وشـيخه حمـاد الـدباس وغيرهمـا مـن المشـايخ أهـل الاسـتقامة رضـي الله عـنهم : بانـه لا يريـد السـالك مـراداً قـط وأنـه لا يريـد مـع إرادة الله عـز وجل سواها بل يجري فعله فيه فيكون هو مراد الحق (18).

ح- أبـو محمـد جعفـر بـن أحمـد البغـداي السـراج : الإمـام البـارع المحـدث المسـند بقيـة المشـايخ كتـب بخطـه الكـثير وصـنَّف الكتـب كـان صـدوقاً ألـفَّ في فنـون شـتَّى وكـان ممـن يفتخـر برؤيتـه ورواياتـه لديانتـه ودرايته ثقة مامون عالم صالح ولد سنة 417هـ وتوفي سنة 500هـ (19).

س- أبـو عبـد الله يحـي بـن الإمـام أبـو علـي الحسـن بـن أحمـد بـن البنـاء البغـدادي الحنبلـي : كـان الحـافظ عبـد الله بـن عيسـى الأندلسـي يـثني عليـه ويمدحـه ويطريـه ويصـفه بـالعلم والفضـل وحسـن الأخلاق وترك الفضول وعمارة المسجد وملازمته ولد سنة 453هـ وتوفي سنة 531هـ (20).

ش- وهنـا نشـير إلى تلمذتـه علـى يـد الإمـام ابـي حامـد محمـد بـن محمـد بـن محمـد الغزالـي ، فقـد اثبتـت الدراسـات الاكاديميـة والبحـث التـاريخي ، تلمـذة الإمـام الجيلـي علـى يـد الإمـام الغزالـي ، فقـد التقيـا ببغـداد، لفـترة وجيـزة ، وهنـاك تطـابق في منجيهمـا في الاحيـاء والغنيـة ، وهـؤلاء مـن أشـهر شـيوخه الـذين أخـذ عـنهم وكـان لهـم الأثـر الكـبير في حياتـه ، واول كلامـه ((غـواص الفكـر يغـوص في بحـر القلـب علـى درر المعـارف فيسـتخرجها إلى سـاحل الصـدر فينـادى عليهـا سمسـار ترجمـان اللسـان فتشترى بنفائس اثمان حسن الطاعة في بيوت اذن الله ان ترفع وبذكر فيها اسمة)) وانشد قائلا :

على مثل ليلى يقتل امرء نفســـــه   ويحلو له مســـــر الأماني ويعـــــــذب (21).

[16] المصدر نفسه (447/19).

[17] المصدر نفسه (449/19).

[18] فتاوى ابن تيمية (455/10).

[19] سير أعلام النبلاء (228/19).

[20] المصدر نفسه (6/20).

[21] الإمام عبد القادر الجيلي للقحطاني ص 43.

6- **مكانتـه العلميـة :** ويكفـي في معرفـة مكانـة الإمـام عبـد القـادر الجيلـي العلميـة ثنـاء شـيخ الإسلام ابن تيمية عليه، فقد شـهد ابـن تيمية للشـيخ عبد القادر بانه مـن الشـيوخ الكبار (22). ثـم شـهد لـه بانه مـن أعظـم مشـايخ زمانـه في الأمـر بالتمسـك بالشـريعة الغـراء فيقـول : والإمـام عبـد القـادر ونحـوه مـن أعظـم مشـايخ زمـانهم أمـراً بـالتزام الشـرع والأمـر والنهـي وتقديمـه علـى الـذوق والقـدر مـن أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية (23) .

وقـال القاضـي أبـو عبـد الله المقدسـي، قـال : سمعـت شـيخنا موفـق الـدين بـن قدامـة يقـول : دخلنـا بغـداد سـنة 561هـ فـإذا الإمـام الإمـام محـي الـدين عبـد القـادر ممـن انتهـت إليـه الرئاسـة بهـا علمـاً وعمـلاً وحـالاً وافتـاء وكـان يكفـي طالـب العلـم عـن قصـده غـيره مـن كثـرة مـا اجتمـع فيـه مـن العلـوم والصـبر علـى المشـتغلين وسـعة الصـدر وكـان مـلء العـين وجمـع الله فيـه أوصـافاً جميلـة وأحـوالاً عزيـزة ومـا رأيـت بعده مثله وكل الصيد في جوف الفراء (24) .

وكـان يبـذل أوقاتـاً كـثيرة في سـبيل تعلـيم النـاس الـذين كـانوا يحرصـون علـى حضـور دروسـه علـى اخـتلاف مسـتوياتهم يقـول ابنـه عبـد الوهـاب : كـان والـدي رحمـه الله يـتكلم في الأسـبوع ثـلاث مـرات بكـرة الجمعـة وعشـية الثلاثـاء وبالربـاط بكـرة الأحـد وكـان يحضـره العلمـاء والفقهـاء والمشـايخ وغيرهـم ومـدة كلامــه علــى النــاس أربعــون ســنة أولهــا 521هـ وآخرهــا 561هـ ومــدّة تصــدره للتــدريس والفتــوى بمدرســته 33 ســنة أولهــا 528هـ وآخرهــا 561هـ وكــان يكتــب مــا يقــول في مجلســه أربعمائــة محــبرة (25).

وأمـا ذكـاؤه وفطنتـه وقدرتـه علـى حـل المعضـلات مـن الحـوادث والمسـائل فيشـهد لـذلك مـا ذكـره ابنـه عبـد الـرزاق بقولـه : جـاءت فتـوى مـن العجـم إلى بغـداد فلـم يتضـح لأحـد مـنهم فيهـا جـواب شـافٍ وصـورتها : مـا تقـول السـادة العلمـاء في رجـل حلـف بـالطلاق الـثلاث أنـه لابـّد لـه أن يعبـد الله عبـادة ينفـرد بهـا دون جميـع النـاس في وقـت تلبسـه بهـا فيمـا يفعـل مـن العبـادات ؟ قـال : فـاتى بهـا إلى والـدي فكتـب عليهـا علـى الفـور : يـاتي مكـة ويخلـي لـه المطـاف ويطـوف أسـبوعاً – أي سـبعاً – وحـده وتنحـل يمينـه قال : فمابات المستفتي ببغداد (26) .

[22] فتاوي ابن تيمية (463/10).

[23] المصدر نفسه (488/10).

[24] الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (294/1).

[25] بهجة الأسرار للشطنوفي ص 95.

[26] الذيل على طبقات الحنابلة (294/1).

وعندما ترجم له ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة قال : شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة في وقته محي الدين أبو محمد صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف والأحوال المشهورة (27).

ويقول ابن الجوزي عنه : تكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت وكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير ويشير هو إلى انه واصل بالعلم إلى اعلى المراتب :

درست العلم حتى صرت قطبـــــا	ونلت السعد من مولى المواليـــي
كساني خلعه بطراز عـــــــزم	وتوجني بتيجان الكمـــــال (28).

- بدء الدعوة وأسلوبه في ذلك : يعُيد المؤرخون ظهور عبد القادر إلى عام 521هـ/1127م [29]. والواقع أن عبد القادر بدأ دعوته قبل ذلك، فهو يذكر أنه سبق جلوسه للوعظ فترة التهيؤ النفسي وتشجيع الأصحاب والمحبين وأنه بدأ مجلسه بالرجلين والثلاثة ثم تزاحم الناس حتى صار مجلسه يضم سبعين ألفاً [30]، ثم تزايد الإقبال حتى ضاقت المدرسة فخرج إلى سور بغداد بجانب رباخه، وصار الناس يجيئون إليه ويتوب عنده الخلق الكثير [31]، ومنُذ ذلك الوقت بدأ عبد القادر دعوته والتي تميزت بامور منها :

1- اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة : كان الإمام أبو سعيد المخرمي قد أسس مدرسة صغيرة في باب الأزج (حي من أحياء بغداد) فلما توفي آلت إلى تلميذه عبد القادر الجيلي فعمد إلى توسيعها وإعادة بنائها، كما أضيف إليها عدد من المنازل والأمكنة التي حولها ولقد بذل الأغنياء في عمارتها أموالهم، وعمل الفقراء فيها بانفسهم [32]. وروى لنا المؤرخون - أثناء ذلك - صوراً من البذل والتضحية يكشف عن مدى تعلقّ الأتباع بالشيخ، من ذلك امرأة فقيرة قررت المساهمة في عمارة المدرسة فلم تجد شيئاً. وكان زوجها من العمال فجاءت إلى الإمام عبد القادر

---

[27] المصدر نفسه (290/1).
[28] المصدر نفسه (291/1) الإمام عبد القادر ص 69.
[29] نشاة القادرية د. ماجد الكيلاني ص 79.
[30] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 186.
[31] المنتظم (219/10).
[32] المنتظم (219/10) طبقات الحنابلة (291/1).

تصحب زوجها وقالت : هذا زوجي ولي عليه من المهر قدر عشرين دينار ذهباً ولقد وهبت له النصف بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الباقي، ثم سلمَّت الإمام خط الاتفاق الذي وقعته مع زوجها، فكان الإمام يشغله في المدرسة يوماً بلا أجرة يوماً باجرة، لعلمه أنه فقير لا يملك شيئاً، فلما عمل بخمسة دنانير أخرج له الخط ودفعه له، وقال له : أنت في حِل من الباقي [33]. ولقد اكتمل بناء المدرسة عام 528هـ/133م، وصارت منسوبة إلى الإمام عبد القادر حيث جعلها مركزاً لنشاطات عديدة منها التدريس والافتاء والوعظ [34] وأما تمويل المدرسة فقد أوقف الأتباع والأغنياء عليها أوقافاً دائمة للصرف على الأساتذة والطلاب [35]. ومنه من أوقف الكتب لمكتبتها [36]، وكان لها خدم مهمتهم العناية بامورها وخدمة الأساتذة والطلاب [37].

وكرّس الإمام عبد القادر معظم أوقاته للمدرسة فكان لا يخرج منها إلا يوم الجمعة إلى المسجد أو الرباط ولقد قام أسلوبه في التدريس والتربية على مراعاة استعدادات كل طالب والصبر عليه، وكان يعتز بمهنة التدريس هذه ويعتبرها " أشرف منقبة وأجل مرتبة. وأن العالم محبوب من أهل الأرض، وأنه سيُميَّزُ يوم القيامة عمن سواه ويعطي درجات أسمى من غيره [38]. لقد أمضى الإمام عبد القادر في التدريس ثلاثاً وثلاثين سنة بدأها عام 528هـ/1133م حتى وفاته عام 561هـ/1116م [39] ، ولا تزال المدرسة باقية إلى اليوم [40] ولها مكتبة فيها مخطوطات شهيرة وتعرف باسم المكتبة القادرية [41]، والواقع أن التحليل الدقيق للنظام التربوي الذي طبقه عبد القادر، يكشف عن تاثر كبير بالمنهاج الذي اقترحه الغزالي، فقد وضع الإمام عبد القادر منهاجاً متكاملاً يستهدف إعداد الطلبة والمريدين علمياً وروحياً واجتماعياً ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك توفر لهذا المنهاج فرص التطبيق العملي في الرباط المعروف

---

[33] طبقات الحنابلة (291/1) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 186.

[34] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 186.

[35] شذرات الذهب نقلاً عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 186.

[36] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 186.

[37] المصدر نفسه ص 187.

[38] سر الأسرار، لعبد القادر الجيلي نقلا عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 188.

[39] قلائد الجوهر ص 32 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 188.

[40] مدارس بغدا في العصر العباسي ص 154.

[41] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 188.

باسم الإمام عبد القادر حيث كانت تجري التطبيقات التربوية والدروس والممارسات الصوفية ويقيم الطلبة والمريدون [42] ، وإليك تفاصيل البرنامج المذكور.

أ - الإعداد الديني والثقافي : يتحدد هذا الإعداد بحسب عمر الطالب أو المريد وحاله، فإذا كان ممن يقصدون تصحيح العبادة كالكبار من الناس والعامة درسه الإمام عقيدة أهل السنة وفقه العبادات اللذين تضمنهما كتابه " الغنية لطالبي طريق الحق " الذي صنّفه على طريقة كتاب " إحياء علوم الدين للغزالي " واقتفى الموضوعات نفسها التي عالجها الغزالي في كتابه المذكور. ويضاف إلى ذلك دراسات تستهدف إعداد النابة من الدارسين ليكون داعية بين الناس مثل أهيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووسائله وأساليبه، ودراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة والفرق السائدة [43] بالإضافة إلى التدريب على الوعظ والخطابة والتدريس [44] وأما إذا كان الدارس طالباً من طلبة المدرسة، فإنه يتلقى إعداداً أوسع يتضمن حوالي ثلاثة عشر علماً تشمل على التفسير والحديث والفقه الحنبلي، والخلاف والأصول والنحو والقراءات بالإضافة إلى ما سبق ذكره، على أنه كان يستبعد علم الكلام والفلسفة وينهى عن مطالعة كتبها السائدة [45] ، وكان الجمع بين الفقه والتصوف السني شرطاً أساسياً للمريدين، فقد روى ابن تيمية - في مجلدي التصوف وعلم السلوك - من الفتاوى كيفية تقيد منهج عبد القادر بالأصول الواردة في القرآن الكريم والسنة والتزامه تزكية النفس في منهاجه التربوي [46] .

ب- الإعداد الروحي : يستهدف الإعداد الروحي تربية إرادة المتعلم أو المريد حتى يصبح صفاء بلا كدر ويصير مع النبي صلى الله عليه وسلم في عقله ومشاعره ومعناه ويكون دليل قدوته [47] .

ولكي يصل المتعلم إلى ذلك، عليه أن يلتزم السنة في كل شيء وأن يتصف بصفات أساسها المجاهدة والتحلي باعمال أولي العزم وقد بينت تلك الصفات عند حديثي عن موقفه من العلم والعمل. وكان يرافق الممارسات العملية التي دعا إليها الإمام دراسات نظرية حول مقصود المجاهدات والعبادات التي يمارسها المريد في حياته اليومية وبذلك أقام التزكية الروحية على قاعدة فكرية

---

[42] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 189.

[43] الغنية (1/71 - 84).

[44] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 435.

[45] قلائد الجوهر ص 3.

[46] الفتاوى ، علم السلوك ج 10 ، كتاب التصوف ج 11.

[47] الفتح الرباني ص 206 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 190.

تستهدف إقناع المريد بما يمارسه فكان هناك دراسات حوال الأوراد والأذكار [48]، ودراسات عن التقوى والورع، ودراسات عن أحوال النفس ومداخل الشيطان ودراسات عن الأخلاق التي يجب أن يكون المريد عليها ويحتوي كتاباً (الغنية) " وفتوح الغيب" فصولاً مطولة مما اعتمده الإمام عبد القادر في ذلك [49].

ج- الإعداد الاجتماعي : ويستهدف هذا الإعداد توثيق العلاقات بين الأفراد والجماعات والقضاء على أسباب التفكك الاجتماعي الذي ساد المجتمع في عصره والميدان الذي كان يتم به هذا الإعداد هو المدرسة القادرية نفسها حيث يتدرب المريد على ما يجب أن يتحلى به الفرد خارج المدرسة في المجتمع الكبير. ويشمل هذا الإعداد تنظيم حياة المريد الخاصة، وعلاقات المريدين بالقيادة المتمثلة بالشيخ، وعلاقاتهم ببعضهم البعض، وعلاقاتهم بالمجتمع المحيط، أما عن حياة المريد الخاصة، فقد حدد المنهاج القادري آداباً تنظم دقائق السلوك اليومي للفرد كاللباس والنوم والدخول والخروج والزينة والجلوس والسير والطعام والشراب، ومعاملة الزوجة والأبناء والوالدين، والإقامة والسفر، وفي جميع هذه الآداب يسترشد بما ورد في السنة النبوية.

كذلك حرص الإمام عبد القادر أن يبتعد بالمريد عن كل ما ينزل من مكانته الاجتماعية كالبطالة والعيش على هبات المحسنين، وسؤال الناس، وحثه على الاشتغال بالكسب والتجارة مع مراعاة قواعد الأخلاق والأمانة [50]. وأما عن تنظيم علاقة المريد والطالب بالشيخ، فقد أوجب عبد القادر على المريد طاعة الإمام في الظاهر والباطن وأن لا ينقطع عنه وأن يستشيره في جميع شؤونه وفي المقابل أوجب على الإمام أن يعامل مريديه بالحكمة والشفقة، وأن يؤدبهم ابتغاء مرضاة الله، وأن يكون لهم ملجا وسنداً وراعياً فإذا لم يكن في هذه المنزلة فليترك شيخه وليعد إلى شيخ يؤدبه [51]. وحدد القاعدة التي يعتمدها المريد في صحبة الأغنياء والفقراء بما يلي : أن تصحب الأغنياء بالتعزز والفقراء بالتذلل ... وعليك بصحبة الفقراء والتواضع وحسن الأدب والسخاء .. وعلى المريد أن يحذر من الضعف أمام عطاء الأغنياء، أو يطمع بنوالهم، لأن تملقهم من أخطر الأمور على دين المرء وعلى خلقه. شريطة أن لا يحقد عليهم، وأن يحسن الظن بهم وأن لا يتعالى عليهم [52].

---

[48] الغنية (86/81/2) الفتح الرباني ص 85.

[49] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 192.

[50] المصدر نفسه ص 193.

[51] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 194.

[52] الغنية (128/2 - 154) فتوح الغيب ص 75 ، 167.

2- الوعظ وموضوعاته : بالرغم من اشتغال عبد القادر بالتدريس وإعداد المربين، فإنه لم ينقطع عن مجالس الوعظ العامة التي استهدفت إيصال دعوته إلى عامة الناس، فخصص لذلك ثلاثة أيام في الأسبوع : صباح الجمعة، ومساء الثلاثاء في المدرسة، وصباح الأحد في الرباط [53] ويذكر التادفي أن الحضور كانوا يدونون هذه المواعظ حتى عُدُّ في مجلسه مقدار أربعمائة محبرة [54].

وقد جُمع قسم كبير من هذه المواعظ - أو المجالس كما كانت تسمى- في كتاب يُعرف باسم " الفتح الرباني " مع تحديد تواريخها وأمكنة إلقائها، كان الإمام عبد القادر - في مواعظه - شديد الحماسة للإسلام مشفقاً لما آلت إليه تعاليمه في حياة الناس ويود لو استطاع استنفار الخلق جميعاً لنصرة الإسلام يقول في أحد مجالسه : دين محمد صلى الله عليه وسلم تتواقع حيطانه ويتناثر أساسه. هلموا يا أهل الأرض نُشيّد ما تهدم ونقيم ما وقع : هذا شيء ما يتم يا شمس ويا قمر، ويانهار تعالوا [55] ويقول في موعظة أخرى : سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق وجعله أكبر همي. إني ناصح ولا أريد على ذلك جزاء. آخرتي قد حصلت لي عند ربي عز وجل. ما أنا بطالب دنيا، ما أنا عبد الدنيا ولا الآخرة، ولا سوى الحق عز وجل. فرحي بفلاحكم وغمي لهلاككم إذا رأيت وجه مريد صادق قد أفلح على يدي شبعت وارتويت واكتسبت وفرحت كيف خرج من تحت يدي [56] ومن أقوله كذلك : ألا إني راع لكم، ساق لكم، ناخور لكم ما ترقيت ها هنا وأرى لكم وجود الضر والنفع بعد ما قطعت الكل بسيف التوحيد. ألزمت هذا المقام. حمدكم وذمكم وإقبالكم وإدباركم عندي سواء. كم من يذمني كثيراً ثم يتقلب ذمة حمداً. كلاهما من الله لا منه، إقبالي عليكم لله، أخذي منكم لله لو أمكنني دخلت مع كل منكم القبر وجاوبت عنه منكراً ونكير رحمة وشفقة عليكم [57]. بهذا الحماس، انطلق الإمام عبد القادر يستنفر المسلمين إلى الالتفاف حول الإسلام، ويدعوهم إلى العودة إلى تعاليمه وحمل رسالته. وكان يرى أن صلاح دين الفرد لا يتم إلا بإصلاح القلب وفك إساره من حب الدنيا والأخلاق الذميمة ومن كل ما يشغل عن الله، ومن هنا كثرت في مواعظه دعوة الناس إليه للتربية والتزكية [58] ، وكانت مواعظه وخطبه بعضها موجه لنقد العلماء، والحكام والدعوة لإنصاف الفقراء والعامة.

---

[53] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 195.
[54] قلائد الجوهر ص 18.
[55] الفتح الرباني ص 295.
[56] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 196.
[57] الفتح الرباني نقلاً عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 197.
[58] المصدر نفسه ص 197.

أ- انتقاد العلماء : كان الغالبية من العلماء من العلماء في عهده يتنافسون فيما بينهم على اعتلاء منابر الوعظ والخطابة في الأماكن المشهورة ويسعون في إيذاء بعضهم بعضاً عند الخليفة والوزراء والحكام ومنهم من عرف بسوء الخلق، ومنهم من اشتغل بالخصومات المذهبية، شاهد الإمام عبد القادر عن كتب كل ذلك وأمثاله فشن حملة شديدة على هذا النوع من العلماء واعتبرهم تجاراً يتاجرون بالدين ويساهمون في ارتكاب المحظورات ومن مواعظه العامة في ذلك قوله : يا سلّابين الدنيا بطريق الآخرة من أيدي أربابها. يا جهالاً بالحق، أنتم أحق بالتوبة من هؤلاء العوام، أنتم أحق بالاعتراف بالذنوب من هؤلاء، لا خير عندكم [59] وقال في موعظة ألقاها في المدرسة في 9 رجب 546هـ/1151م : لو كانت عندك ثمرة العلم وبركاته لما سعيت إلى أبواب السلاخين في حظوظ نفسك وشهواتها العَالِم لا رجلين له يسعى بهما إلى أبواب الخلق والزاهد لا يَدَيْن له ياخذ بهما أموال الناس، والمحب في الله لا عينين له ينظر بهما إلى غيره [60].

وحذّر عامة الجماهير من حضور مواعظهم والاستماع إلى أحاديثهم فقال : يا عباد الله ... لا تسمعوا من هؤلاء الذين يُفرحون نفوسكم. يذلون للملوك ويصيرون بين أيديهم كالذر لا يامرونهم بامر ولا ينهونهم عن نهيه. إن فعلو ذلك فعلوه نفاقاً وتكلفا خهر الله الأرض منهم ومن كل منافق أو يتوب عليهم ويهديهم إلى بابه إني أغار إذا سمعت واحداً يقول : الله الله وهو يرى غيره [61].

وهاجم المتعصبين للمذاهب ومن ذلك قوله : دع عنك الكلام فيما لا يعنيك. اترك التعصب في المذاهب واشتغل بشيء ينفعك في الدنيا والآخرة [62]. ولم تنقطع حملات عبد القادر على العلماء والفقهاء [63]. المنحرفين على هدى المصلحين والعلماء الربانيين وكان هجوم الإمام عبد القادر على العلماء المنحرفين يريد به تصحيح الوضع السائد والمساهمة في تخريج جيل من العلماء الربانيين الذين يقومون بوعظ الناس وهدايتهم وتزكيتهم ونشر التعاليم الصحيحة في أوساط الأمة حتى يخرج جيل النصر المنشود الذي يتحقق على يديه وعد الله بالنصر للمؤمنين وقد حالف الإمام عبد القادر الكثير من النجاح بحمد الله في تحقيق هذه المهمة.

ب- انتقاد الحكام : وخص الإمام عبد القادر - الحاكمين بانتقاداته وحذر الناس من الانصياع لهم بما يخالف الشريعة يقول في أحد مجالسه : صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة. قد صارت الدنيا

---

[59] المصدر نفسه ص 198.

[60] المصدر نفسه ص 202.

[61] الفتح الرباني ص 245 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 199.

[62] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 199.

[63] المصدر نفسه ص 201.

والغنى والعافية والحول والقوة آلهة، ويحكم جعلتم الفرع آصلاً، المرزوق رازقاً، والمملوك مالكاً، الفقير غنياً، العاجز قويا الميت حياً، .. إذا عَّظمت جبابرة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنياءها ونسيت الله عز وجل ولم تعظَّه، فحكمك حكم من عبد الأصنام، تصّير مَنْ عِظّمت صنمك [64] ، وانتقد الولاة والموظفين الذين يجتهدون في تنفيذ أوامر السلاخين دون تحرز : يقول في إحدى مواعظه : يا غلام : .. أخدم الحق عز وجل ولا تشتغل عنه بخدمة هؤلاء السلاخين الذين لا يضرون ولا ينفعون أيش يعطونك ؟ يعطونك مالم يقَّم لك ؟ أو يقدرون يقسمون لك شيئاً لم يقسمه الحق عز وجل ؟ لا شيء مستانف من عندهم، إن قلت أن عطاءهم مستانف من عندهم كفرت [65] . ولم تتوقف انتقادات عبد القادر للحكام عند المواعظ العامة، وإنما تناولت المواقف الخاصة التي تبرز فيها انحرافات أو مظالم، ففي عام 541هـ/1146م ولى الخليفة المقتفي يحي بن سعيد المعروف بابن المرجم القضاء. فمضى الأخير في ظلم الرعايا ومصادرة الأموال وأخذ الرشاوي، فكتبت ضده المنشورات وألصقت في المساجد والشوارع دون أن يستطيع أحد أن يجهر بمعارضته. ويذكر سبط ابن الجوزي أن الإمام عبد القادر اغتنم وجود الخليفة في المسجد وخاخبه من على المنبر قائلاً : وليت على المسلمين أظلم الظالمين وما جوابك غداً عند رب العالمين، فعزل الخليفة القاضي المذكور [66] ولقد تكررت هذه المواقف مع الوزراء والرؤساء والحجاب، وتذكر المصدر التاريخية أن هؤلاء كانوا يستمعون لملاحظات عبد القادر لاعتقادهم بصلاحه وصدق أغراضه وكراماته [67]، فلقد حرص عبد القادر على أن يبقى بعيداً عن مواخن الشبهات أو التقرب للحكام، فقد ذكر عنه أنه ما ألمّ بباب حاكم قط وأنه تتناولها يده [68].

ج - انتقاده للأخلاق الاجتماعية السلبية في عهده :

نظر الإمام عبد القادر إلى المجتمع المعاصر له على أنه مجتمع : الرياء والنفاق والظلم وكثرة الشبهة والحرام. وهذه صفات أحالت كل شيء فيه إلى مظاهر خاوية فيها ولا معنى [69]، يستوي في ذلك المتدينون وغيرهم. يقول في إحدى مواعظه : هذا زمان الرياء والنفاق وأخذ الأموال بغير حق. قد كثر من يصلى ويصوم ويحج ويزكي، ويفعل أفعال الخير للخلق لا للخالق، فقد صار

---

[64] المصدر نفسه ص 201.

[65] المصدر نفسه ص 201.

[66] مرآة الزمان (265/8) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 202.

[67] خبقات الحنابلة (292/1).

[68] قلائد الجوهر ص 19-30 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 203.

[69] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 203.

معظم الناس بلا خالق. كلكم موتى القلوب أحياء النفوس والأهوية خالبون للدنيا (70) وقال في إحدى المواعظ : ملائكتكم تتعجب من وقاحتكم، تتعجب من كثرة كذبكم في أحوالكم، تتعجب من كذبكم في توحيدكم، كل حديثكم في الغلاء والرخص، وأحوال السلاخين والأغنياء. أكل فلان، واستغنى فلان، افتقر فلان كل هذا هوس ومقت وعقوبة، وتوبوا واتركوا ذنوبكم وأرجعوا إلى ربكم دون غيره، أذكروه وانسوا غيره (71).

س - الدعوة لإنصاف الفقراء والعامة : ركز الإمام عبد القادر على نصرة الطبقة العامة والفقراء خاصة، فجعل الاهتمام بشؤونهم من شروط الإيمان، وشن حملة شديدة على الولاة الذين يظلمونهم وعلى الأغنياء الذين يخصون أنفسهم دون إخوانهم من الفقراء " باخيب الأخعمة وأحسن الكسوة وأخيب المنازل وأحسن الوجوه وكثرة الأموال " فافتى بان انتسابهم للإسلام دعوى كاذبة وذريعة لحقن دمائهم بالشهادتين (72).

ولقد جعل عدم التفرقة بين الغني والفقير من شروط تقدم المريد في مقامات التزكية، أو نجاة المسلم من عقاب الله (73). وشدّد في وصيته المشهورة لولده عبد الرزاق على خدمة الفقراء وحسن صحبتهم والتعامل معهم : حسبك من الدنيا شيئان : صحبة فقير وحرمة ولي. وعليك يا ولدي أن تصحب الأغنياء بالتعزز والفقراء بالتذلل (74) ولم يقف اهتمام الإمام عبد القادر بالفقراء عند حد الوعظ، وإنما ترجمه لعمل واقع. فكان يفتح بابه للفقراء والغرباء ويقدم لهم المنام والغذاء ويحضرون الدرس ويعطيهم ما يحتاجون (75).

كان يرى هذا الأسلوب من أفضل الأعمال فلقد نقل عنه قوله : فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إخعام الطعام ولا أشرف من الخُلُق الحسن، أودُّ لو كانت الدنيا بيدي أخعمها الجائع، كفى مثقوبة لا تضبط شيئاً لو جاءني ألف دينار لم تبت عندي (76). لهذا كله، أقبلت العامة والفقراء

[70] المصدر نفسه ص 203.

[71] المصدر نفسه ص 203.

[72] الفتح الرباني ص 64 ، 65 هكذا ظهر حيل صلاح الدين ص 204.

[73] المصدر نفسه ص 52 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 205.

[74] الفيوضات الربانية ص 35 - 37.

[75] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 205.

[76] المصدر نفسه ص 205.

على عبد القادر إقبالاً شديداً وتحمسوا له [77]. وتاب على يديه أعداد كبيرة من أهل بغداد، فقد روي عنه قوله : وتاب على يدي من العيّارين والمسالحة أكثر من مائة ألف وهذا خير كثير [78].

4- إصلاح التصوف : أعطى الإمام عبد القادر عناية خاصة لإصلاح التصوف، وأعادته إلى مفهوم "الزهد" ثم توظيفه لأداء دوره في خدمة الإسلام وإصلاح المجتمع ولقد تمثلت جهوده في هذا الميدان.

أ - تنقية التصوف مما طرأ عليه : من انحرافات في الفكر والممارسة ثم رده إلى وظيفته الأصلية كمدرسة تربوية، هدفها الأساسي في غرس معاني التجرد الخالص والزهد الصحيح. ويمثل كتاباه " الغنية لطالبي طريق الحق " وفتح الغيب " خلاصة أفكاره في هذا المجال. ولقد تناول الكتاب الثاني بالشرح ابن تيمية في الجزء العاشر من الفتاوى المسمى " كتاب السلوك " وقدّمه نموذجاً للزهد الذي حث عليه القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولم يكن عبد القادر في هذه المهمة يعتمد على البحث النظري أو الحديث والوعظ وإنما طبقه في ميدان التربية العملية في مدرسته ورباطه [79].

ب- الحملة على المتطرفين من الصوفية : حمل عبد القادر في مواعظه وكتبه على من تلسبوا بالتصوف أو شّوهوا معناه، لأن التصوف الصحيح صفاء وصدق لا يتحققان : بتغيير الخرق، وتصفير الوجوه، وجمع الأكتاف، ولقلقة اللسان بحكايات الصالحين، وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل، وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عز وجل، والزهد في الدنيا، وإخراج الخلق من القلب وتجردهما عمّا سوى مولاه عز وجل [80]، كذلك انتقد ما شاع بين بعض الصوفية من سماع الألحن والرقص وبدع لا تتفق مع الكتاب والسنة وقّرر أن المريد الصادق لا يهيّجه كلامٌ غير كلام الله وهو في غنى عن " الأشعار والقيان والأصوات وصراخ المدعين، وشركاء الشياطين ركاب الأهوية، مطايا النفوس والطباع، أتباع كل ناعق وزاعق [81].

ج- محاولة التنسيق بين الفرق الصوفية وإيجاد التآلف بينها : في الفترة الواقعة بني عامي 546هـ - 550هـ (1151م - 1155م) جرت حركة تنسيق واتصالات بين الطرق الصوفية بهدف توحيد الجهود وتنظيم التعاون ولتحقيق هذا الهدف عقد عدد من الاجتماعات واللقاءات أدت إلى نتائج هامة

[77] المنتظم (219/10).

[78] قلائد الجواهر ص 19 للتادفي.

[79] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 209.

[80] المصدر نفسه ص 209.

[81] المصدر نفسه ص 209.

على المستوى التنظيمي والمستوى النظري، وتصدر الإمام عبد القادر الزعامة وكان أول الاجتماعات التي استهدفت توحيد القيادة عقد في رباط المدرسة القادرية الكائن في منطقة الحلة في بغداد، حيث حضر الاجتماع ما يزيد على الخمسين من شيوخ العراق وخارجه، وكان الاجتماع الثاني - خلال موسم الحج حيث حضره شيوخ الطرق الصوفية من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، حضر هذا اللقاء الإمام عبد القادر الكيلاني من العراق، والإمام عثمان بن مرزوق القرشي الذي شاعت شهرته وانتهت إليه المشيخة في مصر، والإمام أبو مدين المغربي الذي يعود إليه نشر الزهد في المغرب - في ذاك العصر) كذلك حضر الاجتماع شيوخ من اليمن حيث أرسل معهم الإمام عبد القادر رسولاً ينظم أمورهم [83]. وفي نفس الفترة جرت اتصالات بين الإمام عبد القادر والإمام رسلان الدمشقي الذي انتهت إليه تربية المريدين ورئاسة المشايخ في الشام [84]. ثم تلا ذلك اجتماع موسع، حضره جمع كبير من الشيوخ الذين يمثلون مدارس الإصلاح في مختلف أقطار العالم الإسلامي، واستطاع الإمام عبد القادر الجيلي أن ينقل التصوف السني إلى حركة منظمة في العراق وعلى مستوى العالم الإسلامي، ولقد ترتب على هذه اللقاءات المستمرة للمشايخ والعلماء آثار هامة منها.

- وحدة العمل لدى مدارس الإسلام عامة فقد أصبح للزعيم الإمام عبد القادر اجتماعات متوالية مع كبار الشيوخ، يناقشون ما تحيله إليهم المدارس والأربطة في العالم الإسلامي من قضايا ومشكلات.

- إن المدارس والرباخات المختلفة أخذت ترسل إلى المدرسة القادرية النابهين من خلابها والمتقدمين من مريها الذين ترى فيهم مؤهلات المشيخة في المستقبل، كما فعل الإمام أبو مدين المغربي حين أرسل أحد مريديه - صالح بن ويرجات الزركالي - إلى بغداد حيث أكمل علوم الفقه وسلوك الزهد على يد الإمام عبد القادر لإكمال سلوك الزهد وعلوم الإرادة [85].

- إن إحكام الربط بين تعليم الفقه وسلوك الزهد أدى إلى خفة - بل ربما اختفاء - معارضة الفقهاء وإلى التعاون بين الطرفين، بل صار الفقهاء يجمعون بين الفقه والزهد ويسمون ذلك تكامل الشريعة والطريقة. وهذا الأمر جعل ابن تيمية يعتبر عبد القادر وأقرانه من قيادة مدارس الإصلاح

[82] خبقات الحنابلة (306/1) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 245.

[83] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 245.

[84] المصدر نفسه ص 245.

[85] بهجة الأسرار ص 107 هكذا ظهر جيل صلاح ص 247.

نماذج فريدة في الجمع بين الفقه والزهد، فاخلق عليهم إصطلاح " الشيوخ الكبار المتاخرين " ونوّه في فتاويه بمزاياهم وتجردهم، واستقامتهم [86] الاتفاق على رؤية مشتركة للعمل والتعاون على تحقيق الأهداف المتفق عليها، وتقليل مساحة القضايا المختلف فيها مع وضع الخلاف في إخاره الطبيعي.

- خروج الزهد من عزلته التي كان فيها في حالة التصوف، وإسهامه في مواجهة التحديات التي تجابه العالم الإسلامي فقد توثقت الصلات بين نور الدين زنكي في دمشق وبين شيوخ مدارس الإصلاح في بغداد وحّران وجبال هكار ودمشق ثم أعقب ذلك تداعي هذه المدارس للعمل مع نور الدين فصلاح الدين، واستمر هذا التعاون حيث أولى السلطانان عنايتهما الفائقة بمدارس الزهد ورباخاتها، وبَنَيا لها فروعاً جديدة وأوقف عليها الأوقاف في المقابل حملت هذه المدارس مسؤولياتها وأخذت دورها في التوجيه المعنوي للجهاد بطريقة فعّالة ناجحة [87].

5- النهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: يرى الإمام عبد القادر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة أساسية لبقاء المجتمع وسيادة الخير فيه، فإن تُرك تطرق الفساد إليه. وهو واجب على كل مسلم ولكل حسب مستواه ودوره: فالسلاخين: إنكارهم باليد والعلماء إنكارهم باللسان، والعامة إنكارهم بالقلب [88]، والعلماء هم الفئة التي تقرر ما هو معروف مباح، وما هو منكر محرم، أما السلاخين، والعامة فعملهم تنفيذ ما يقرره العلماء في هذا المجال وللعلماء الذين يتسنمون هذه المنزلة صفات تحددهم في العلماء السالكين خريق الزهد دون سواهم هذه الصفات هي:

- أن يكون القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عالماً.

- أن يكون عالماً بالمنكر الذي ينهى عنه على وجه قطعي لما في ذلك من خوف الوقوع في الظنون والإثم. فالواجب إنكار ما ظهر وعدم بحث ما ستر لأن الله نهى عن ذلك [89].

- أن يكون قادراً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه لا يؤدي إلى فساد عظيم وضرر في نفسه وماله وأهله [90].

[86] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 247.
[87] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 247.
[88] الغنية (1/44، 45).
[89] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 216.
[90] المصدر نفسه ص 216.

وحّدد عبد القادر لأساليب الأمر بالمعروف شروطاً وهي كما يلي :

- أن يستعمل اللين والتودد، لا الفظاظة والغلظة. وعليه أن يتحلى بالشفقة على الخلق لوقوعهم في مصايد الشيطان.

- أن يكون صبوراً متواضعاً زائل الهوى قوي اليقين حكيماً يعرف كيف يعالج الأمور.

- أن يامر العاصي وينهاه في خلوة بما ذلك من إمكانية قبول النصيحة، فإن لم ينفع استعان عليه باهل الخير، فإن لم ينفع فباصحاب السلطان [91].

- عدم الخوض في مسائل الاختلاف أمام من يعتقدونها، فمثلاً في مذهب الحنابلة ينكرون اللعب بالشطرنج بينما يجيزه الشافعية، فالدخول في مثل هذه القضايا يثير تصلب المخالفين من المذاهب الأخرى ويفتح باباً للجدل والخصومة، فالحكمة هنا واجبة وأدب العالم أولى من علمه [92].

6- مدارس النواحي والأرياف والبوادي :

تعتبر مدرسة الإمام عبد القادر الجيلي في بغداد من المدارس المركزية في عاصمة الدولة العباسية في عهد نور الدين زنكي ويعتبر الإمام عبد القادر أحد رواد المدراس الإصلاحية التي أثرت في حركة النهوض ومقاومة الغزاة، إلا أن هناك كانت مدارس متعددة ساهمت في دعم الدولة الزنكية والأيوبية ومن أهمها :

أ- المدرسة العدوية : أسس هذه المدرسة الإمام عدى بن مسافر الذي أدرجه ابن تيمية في قائمة (كبار الشيوخ المتاخرين " وأضاف أنه كان رجلاً صالحاً وله أتباع صالحون [93] ، ونشا عدي في قرية يقال لها "بيت فار" في منطقة البقاع غربي دمشق، تتلمذ على الإمام عقيل المنيحي ثم رحل إلى بغداد حيث صحب الإمام حماد الدباس وغيره واجتمع هناك بالإمام عبد القادر الكيلاني وأبي الوفاء الحلواني، وأبي نجيب السهر وردي، ثم ركز على خاصة نفسه، بانواع المجاهدات والتهذيب زمناً خويلاً، ولذلك كان الإمام عبد القادر يثنى عليه كثيراً ويقول : لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الإمام عدي بن مسافر [94] قضى الإمام عدي زمناً في مجاهدة "خاصة نفسه" بالتزكية، ثم عاد للمجتمع واستقر في منطقة " جبال هكار " في شمال العراق بين قبائل الأكراد الهكارية، حيث بنى له مدرسة وأقبل عليه سكان تلك النواحي إقبالاً هائلاً، لما رأوه من زهده وصلاحه وإخلاصه في إرشاد

[91] نشاة القادرية ص 168.

[92] نشاة القادرية ص 168.

[93] فتاوى ابن تيمية، كتاب التصوف (103/11).

[94] النجوم الزاهرة (362/5).

الناس [95]، ويصف ابن خلكان أثر الإمام عدي في مجتمع الأكراد الهكارية فيقول : سار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد [96] ويذكر الذهبي أن من الآثار التي أحدثها الإمام عدي بين الأكراد الهكارية انتشار الأمن في تلك المنطقة وارتداع مفسدي الأكراد وتوبتهم حتى صار لا يخاف أحد في تلك المنطقة الجبلية التي لم تكن آمنة قبل ذلك، وأنه انتفع به خلق كثير وانتشر ذكره. لقد وصف الحافظ عبد القادر الرهاوي شخصية الإمام عدي ومكانته فقال : ساح سنين كثيرة وصحب المشايخ، وجاهد أنواعاً من المجاهدات ثم سكن بعض جبال الموصل في موضع ليس به أنس، ثم أنس الله تلك المواضع به وعمّرها ببركاته حتى صار لا يخاف أحد بها بعد قطع السبل، وارتدع جماعة من مفسدي الأكراد ببركاته وعمّر حتى انتفع به خلق، وانتشر ذكره، وكان معلماً للخير، ناصحاً متشرعاً، شديداً في الله، لا تأخذه في الله لومة لائم عاش قريباً من ثمنين سنة، ما بلغنا أنه باع شيئاً ولا اشترى ولا تلبس بشيء من أمر الدنيا، كانت له غليلة يزرعها بالقدوم من الجبل ويحصدها ويتقوت، وكان يزرع القطن ويكتسي منه، ولا يأكل من مال أحد شيئاً، وكانت له أوقات لا يُرى فيها محافظة على أوراده وقد خفت معه أياماً في سواد الموصل، فكان يصلي معنا العشاء ثم لا نراه إلى الصبح. ورأيته إذ أقبل إلى قرية يتلقاه أهلها من قبل أن يسمعوا كلامه تائبين رجالهم ونساؤهم إلا من شاء الله منهم، ولقد أتينا معه على دير رهبان فتلقانا منهم راهبان، فكشفا رأسيهما وقبّلا رجليه وقالا : أدع لنا فما نحن إلا في بركاتك وأخرجا خبقاً فيه خبز وعسل فاكل الجماعة وخرجت إلى زيارة الإمام أول مرة، فاخذ يجادلنا ويسال الجماعة ويؤانسهم.. وكان يواصل الصوم الأيام الكثيرة على ما اشتهر عنه، حتى أن بعض الناس كان يعتقد أنه لا يأكل شيئاً قط، فلما بلغه ذلك أخذ شيئاً وأكله بحضرة الناس واشتهر عنه الرياضات والسير والكرامات والانتفاع به ما لو كان في القديم لكان أحدوثة. ورأيته قد جاء إلى الموصل فخرج إليه السلطان وأصحاب الولايات والمشايخ والعوام حتى آذوه مما يقبّلون يده، فاجلس في موضع بينه وبين الناس شباك بحيث لا يصل إليه أحد إلا رؤية، فكانوا يسلمون عليه وينصرفون ثم رجع إلى زاويته [97].

قال عنه الذهبي : الإمام الإمام الصالح القدوة، زاهد وقته [98].

[95] وفيات الأعيان (254/3) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 225.

[96] المصدر نفسه.

[97] سير أعلام النبلاء (342،343/20).

[98] سير أعلام النبلاء (342/20).

وقد ظهرت الآثار العلمية والعملية لمدرسة عدي بن مسافر في الدور الكبير الذي لعبه أكراد جبل هكار - فيما بعد - في جيش صلاح الدين حيث شكَّلوا أهم فرقة، واحتل عدد منهم منزلة الأمراء والقادة الذين حقّقوا الانتصارات وأنجزوا الفتوح [99]. توفي الإمام عدي بن مسافر في بلدة الهكارية ودفن بها عام 557هـ [100].

ب- مدرسة عثمان بن مرزوق القرشي : أسس هذه المدرسة الإمام عثمان في "مصر" وكان يعُتبر من أعيان المشايخ الذين جمعوا بين الشريعة والزهد. كان حنبلي المذهب، وكانت له علاقات مع الإمام عبد القادر الكيلاني. لقد لعب - فيما بعد - دوراً هاماً في تمهيد الأجواء لحملات نور الدين على مصر. استمر الإمام عثمان في عمله بالقاهرة حتى وفاته عام 564هـ عن عمر يناهز السبعين ودفن بجانب قبر الإمام الشافعي [101].

ج- مدرسة أبو مدين المغربي : اشتهرت هذه المدرسة في "المغرب" وعرفت باسم الإمام أبي مدين شعيب بن حسين الأندلسي الذي نشا في منطقة أشبيلية في الأندلس ودرس فيها على مذهب الإمام مالك بن أنس، ثم سلك طريق الزهد وجال في المغرب واستوخن مدة في مدينة (بجاية) إلى أن استقر به الطواف في مدين "تلمسان " وبدأ في الإرشاد والتدريس حيث تخرج على يديه الكثير من شيوخ المغرب وزهادها [102]، ويصف الذهبي الإمام أبا مدين بانه كان من أهل العمل والاجتهاد والانقطاع للعبادة والنسك والتربية [103]. كذلك اعتبره ابن تيمية من كبار الشيوخ المتآخرين الذين كانوا على طريقة صالحة ومنهج مستقيم [104]. واستمر أبو مدين مواظفاً على التدريس والعبادة حتى وافاه الأجل حوالي عام 590هـ وكان آخر كلامه : الله الحي، ثم فاضت نفسه [105].

[99] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 256.
[100] قلائد الجواهر ص 85 - 90.
[101] المصدر نفسه ص 113 - 114.
[102] المصدر نفسه ص 108 ، 109 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 237.
[103] سير أعلام النبلاء (219/21، 220).
[104] فتاوى ابن تيمية ، كتاب التصوف (604/11).
[105] سير أعلام النبلاء (220/21).

ح- مدرسـة أبـو السـعود الحَريمـي : درس في المدرسـة القادريـة وتربّـى علـى الإمـام عبـد القـادر وصـار المشار إليـه بعده وصار لـه القبـول التـام عنـد الخـاص والعـام، وأسـس مدرسـة خاصـة بـه ونجـح نجاحـاً قويـا بين جماهير الفقراء وفتح لهم بابه [106].

خ- مدرسـة ابـن مكـارم النعـال : تنُسـب هـذه المدرسـة إلى محمـود بـن عثمـان بـن مكـارم النعـال البغـدادي الـذي كـان يُشـرف علـى ربـاط الوافـدين مـن خـارج بغـداد والعـراق إلى المدرسـة القادريـة ثـم اسـتقل بعـد وفـاة عبـد القـادر وصـار يخـرج باصـحابه لينكـروا المنكـر ويريقـوا الخمـور ويتعرضـوا لـلأذى في سبيل ذلك [107].

د- مدرسـة عمـر البـزاز : تنسـب هـذه المدرسـة إلى عمـر بـن مسـعود البـزاز الـذي وصُـف بانـه مـن أعيـان أصـحاب عبـد القـادر. شـاع ذكـره وأقبـل عليـه الأتبـاع، وتـاب علـى يـده خلـق كـثير مـن مماليـك الخليفة، ويذكر ابن النجار أنه كان يحضر مجالسه [108].

ذ- مدرسـة الجبـائي : أسسـها عبـدالله الجبـائي الـذي كـان في الأصـل مسـيحياً مـن قريـة **"جبـة"** في جبـل لبنـان سُـبي وهـو فتـى ثـم نُقـل إلى دمشـق حيـث أسـلم هنـاك، فاشـتراه علـى بـن إبـراهيم بـن نجـا أحـد أصـحاب عبـد القـادر، فاعتقـه ثـم أرسـله إلى بغـداد عـام 540هـ/1145م حيـث لازم الإمـام عبـد القـادر وصـحب ابـن قدامـة في الدراسـة، وتـدل أخبـاره أن الإمـام عبـد القـادر كـان يرعـاه ويـوده. نـال الجبـائي منزلـة عاليـة في بغـداد وظـل يعمـل مـع الإمـام حتـى وفاتـه، فرحـل إلى أصـبهان حيـث درس وأفتى حتى وفاته عام 605هـ/1208م عن أربع وثمانين سنة [109].

ر- مدرسـة الإمـام ماجـد الكـردي : أسـس هـذه المدرسـة ماجـد الكـردي في منطقـة **"قوسـان"** في العـراق وكـان قـد اشـتهر أمـره في تلـك المنطقـة وقصـده المريـدون والأتبـاع مـن مختلـف أرجائهـا. وكـان علـى علاقـة وخيـدة بالإمـام عبـد القـادر الـذي كـان يجلـه ويـثني عليـه ولقـد اسـتمر في عملـه حتـى وفاتـه عـام 562 [110] هـ.

ز- مدرسـة حيـاة بـن قـيس الحراني : الإمـام القـدوة الزاهـد العابـد، شـيخ حـرّان، وزاهـدها، حيـاة بـن قـيس ابـن رَجَّـال بـن سـلطان الأنصـاري الحرانـي، صـاحب أحـوال وكرامـات وتالـهُ وإخـلاص وتعفـف وإنقبـاض، كانـت الملـوك يزورونـه، ويتبرّكـون، بلقائـه وكـان كلمـة وفـاق بـين أهـل بلـدة وقيـل : إن

[106] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 237.

[107] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 237.

[108] نشاة القادرية ص 194 - 212.

[109] ذيل خبقات الحنابلة (2/45 - 47).

[110] قلائد الجوهر ص 107.

السلطان نور الدين زاره، فقَّوى عزمه على جهاد الفرنج ودعا له وإن السلطان صلاح الدين زاره وخلب منه الدعاء [111]. وقد تخرج على يد الإمام حياة الجم الغفير من الأتباع والمشايخ الذين استانفوا منهجه في الدعوة والإصلاح، وانتمى إليه أعداد عظيمة من الناس وأشار إليه العلماء بالاحترام والتقدير. وكان أهل حران وما حوله يجلّونه ويقصدونه بالزيارة وخلب الدعاء للاستسقاء. لقد استمر في عمله حتى وفاته في حران نفسها عام 581هـ [112].

وقد ذكر الدكتور ماجد عرسان الكيلاني مدارس أخرى كالمدرسة كمدرسة الإمام رسلان الجعبري، ومدرسة عقيل المنيحي، ومدرسة الإمام علي بن الهيتي، ومدرسة الحسن بن مسلم، ومدرسة الجوسقي، ومدرسة الإمام عبد الرحمن الطفسونجي، ومدرسة مولى الزولي، ومدرسة محمد بن عبد البصري، ومدرسة القيلوي، ومدرسة علي بن وهب الربيعي، ومدرسة الإمام بقا بن بطو [113] ومما يكمل الصورة للمدارس التي تناولها البحث في مدارس النواحي والأرياف والبوادي أن نقول إنها كانت تطبق منهاجاً موحداً في التربية والتدريس يتطابق إلى حد كبير إلى التعاليم والمبادئ التي دعا لهما الغزالي والجيلي ، وأنها كانت امتدادات أصغر في الأرياف والجبال والبوادي بحيث يمكن القول أنها بلغت المئات، لأن الأمر لم يتطلب أكثر من استقرار أحد الخريجين في مسجد من مساجد الريف مثلاً، أو الإقامة في رباط أو زاوية وتكريس الوقت للتدريس وسلوك الزهد [114].

7- التعاون بين مدارس الإصلاح والدولة الزنكية :

تدل الأخبار المتعلقة بالمدارس الإصلاحية وخصوصاً مدرسة الإمام عبد القادر أنها لعبت دوراً رئيسياً في إعداد جيل المواجهة للخطر الصليبي في البلاد الشامية [115]. وتدل الإشارات والشواهد التاريخية على أن الطلاب الشاميين كانوا يشكلون مجموعة كبيرة بين الطلاب الذين يفدون من خارج العراق للدراسة في مدرسة عبد القادر، كذلك كانت الشام منطقة جذب لرجالات الدين والمتحمسين لنصرة الإسلام وجهاد الأعداء، وتبدوا مظاهر التعاون بين مدارس الإصلاح والدولة الزنكية في الآتي :

أ- الإسهام في إعداد أبناء النازحين من مناخق الاحتلال الصليبي: قامت المدرسة القادرية بدور هام في إعداد أبناء النازحين من مناخق الاحتلال الصليبي، فكانت تستقدمهم وتوفر لهم الإقامة والتعليم، ثم تعيدهم إلى مناخق الثغور والمرابطة. ولقد كان هؤلاء الطلاب يعرفون " باسم المقادسة

---

[111] سير أعلام النبلاء (181/21 - 182).
[112] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 230.
[113] المصدر نفسه ص 224 إلى 238.
[114] المصدر نفسه ص 238.
[115] المصدر نفسه ص 187.

" نسبة إلى مدينة القدس أو بيت المقدس. وكان من بين هؤلاء الطلاب بعضهم الذي اشتهر فيما بعد من ميدان الفقه والسياسة، ويمكن القول أن إرسال هذه البعوث الطلابية إلى بغداد كان سببه أمران : الأول : حاجة الدولة الزنكية إلى نمط معين من القيادات والموظفين والإداريين : والثاني : ما اشتهرت به مدرسة عبد القادر آنذاك من تجسيد لسياسات الإصلاح، ولابد أن إقرار إرسال هذه البعوث نتج عن دراسة ومشورة [116]، فقد توثقت الصلات بين الإمام عبد القادر ونور الدين فكان نور الدين يرسل أبناء المقادسة النازحين من القدس إلى بغداد ليدرسوا في مدرسة الإمام عبد القادر، ثم يعودوا إلى مناخق الثغور قادة ودعاة ومرشدين، كما كان نور الدين يستقدم مشاهير العلماء الذين تخرجوا من المدرسة القادرية [117]، وكانت المدرسة القادرية، والقيادة الزنكية تعد أبناء النازحين لقيادة حركة الجهاد بدل أن تاتي عليهم حياة التشرد والضياع، أو أن يجدوا خريقهم إلى المدارس العادية التي كانت تُعد الطلاب للوظائف والمصالح الشخصية ويذكر سبط ابن الجوزي في كتابه " مرآة الزمان " أن والد موفق الدين بن قدامه حين نزح من بلاده إلى دمشق كان يقوم بنشاط دائب لحشد الطاقات في مواجهة الاحتلال الصليبي، وأن داره في دمشق كانت ملتقى القيادات الفكرية والسياسية، وأن نور الدين زنكي نفسه كان يداوم على حضور هذه اللقاءات [118].

ب- هجرة العلماء والعمل في المدارس النورية : تداعى العلماء وخريجو المدارس الإصلاحية من كل قطر للعمل في المدارس التي أنشاها نور الدين وصلاح الدين. ومن ذلك ما قام به خريجو المدرسة القادرية حيث كان على رأس المهاجرين إلى هناك موسى بن الإمام عبد القادر الذي قدم إلى دمشق واشتغل بالتدريس حتى وفاته عام 618هـ/1221م [119]. كذلك بنى نور الدين مدرسة في حرّان وأسلمها إلى أسعد بن المنجا بن بركات المتوفى (606هـ/1209م) والذي درس على الإمام عبد القادر ثم عاد إلى الشام، كذلك أسند نور الدين إليه التدريس في المدرسة المسمارية، وأسند إليه القضاء [120]، ولقد استمرت ذريته تتناوب التدريس في مدرسته فيما بعد [121]، كذلك بنى نور الدين مدرسة أخرى في حرّان أسلمها إلى حامد بن محمود (المتوفى عام

116 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 275.

117 الإمام عبد القادر الجيلي الإمام الزاهد القدوة ص 275.

118 مرآة الزمان (8/314،313).

119 شذرات الذهب (5/199) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 276.

120 العبر(5/17) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 277.

121 الدارس في أخبار المدارس (2/115).

570هـ/1174م الذي لازم الإمام عبد القادر ودرس عليه وكان نور الدين يقبل عليه وله فيه حسن ظن [122].

ج- المشاركة في الجيش والجهاد العسكري : وأبرز المدارس التي رفدت هذا الميدان هي المدرسة العدوية وفروعها، التي أسسها الإمام عدي بن مسافر في جبال هكار، فقد شكل خريجو هذه المدارس من الأكراد الهكارية والروادية جمهرة أمراء الجيش وقادة الفتح وجنوده، ويأتي على رأس هذه الجماعات أسرة صلاح الدين الأيوبي وهي من الأكراد الروادية، وأصلهم من بلدة "دوين" من أعمال أذربيجان والروادية قبيلة كبيرة. ولقد وُلد أيوب والد صلاح الدين في البلدة المذكورة ومنها خرج والده شاذي مع ولديه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه إلى بغداد، ومن هناك نزلوا تكريت حيث مات الوالد شاذي، وولد الحفيد صلاح الدين، ثم لم يلبث الأخوان أن رحلا والتحقا بخدمة عماد الدين زنكي [123] وأما الأكراد الهكارية فقد شكّلوا فيما بعد أمراء جيش صلاح الدين وقادته ومن أشهرهم الأمير سيف الدين المشطوب الهكاري الذي لم يكن في أمراء الدولة أحد يضاهيه في المنزلة وكانوا يسمونه الأمير الكبير توفي في القدس عام 588هـ وقد وصف القاضي الفاضل موته بانه : تهدم به بنيان قوم والدهر قاض ما عليه لوم ، واذا مااتفقنا على هذا من ان الإمام عبد القادر كان على وعي وقناعة وايمان بان الجهاد على درجات الايمان وان محاربة الظلم والظالمين والعدوان المعتدين افضل انواع العبادة ، فلنا ان نقول باخمئنان ان الإمام ابرز المجاهدين واشهرهم في محاربة الغزاة الصليبيين [124].

8- صفاته ووفاته : وصف موفق الدين ابن قدامة المقدسي الإمام عبد القادر فقال : كان الإمام عبد القادر نحيف البدن ربع القامة عريض الصدر، عريض اللحية وخويلها، أسمر مقرون الحاجبين أدعج العينين، ذا صوت جهوري وسمت وقدر [125]، وكان وافر النشاط دائم الحركة يرى في الشتاء وكانه في الصيف يتصبب العرق من جسده [126]، وكان يلبس هيئة مخصوصة ويتطليس ويركب البغلة وترفع الغاشية بين يديه [127].

[122] خبقات الحنابلة نقلاً عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 277.
[123] وفيات الأعيان (7/139 - 143).
[124] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 279.
[125] مرآة الجنان لليافعي (3/352).
[126] خبقات الحنابلة (1/299).
[127] عوارف المعارف ص 356 نشاة القادرية ص 131.

وقد أخنب المؤرخون الذين ترجموا لعبد القادر في وصف أخلاقه، فذكروا أن سكوته كان أكثر من كلامه، فإذا تكلم كان كلامه على الخواطر، وكان دائم البشر شديد الحياء، لين الجانب وكانت له عناية بالفقراء والمساكين فقد كان يجالس الفقراء ويغلي لهم ثيابهم ويقف مع الصغير ولكنه يحرص على أن لا يقوم لأحد من العظماء وأعيان الدولة وكان لا يرد سائلاً وكان يكرم جليسه بحيث لا يظن أن أحداً أكرم عليه منه، ويتفقد من غاب من أصحابه ويسال عن شانهم ويحفظ ودهم ويعفو عن سيئاتهم ويصدق من حلف له ويخفي علمه فيه وكان يامر كل ليلة بمد السماط وياكل مع الأضياف والفقراء، وكان إذا أهديت له هدية فرقها أو بعضها على من حضر ويكافيء عليها مهديها [128] ، مع أنه لم يكن يخرج من مدرسته إلا للمسجد أو الرباط فقد كان سريع الذهاب لمشاركة الناس أحزانهم، فلو راجعنا ماكتبه ابن الجوزي، وابن رجب، وسبط ابن الجوزي، وابن خلكان، والذهبي، وابن العماد الحنبلي لوجدنا الكثير من المتوفين المشهورين من العلماء وأرباب الخير يقال عن أحدهم " صلى عليه الإمام عبد القادر [129] وكان الإقبال على الطاعة والخضوع إلى الله وكان كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة [130] ، وكان له حنطة مرباة من الحلال بيد بعض أصحابه من الرستاق يزرعها له كل سنة وكان بعض أصحابه يطحنها ويخبز له منها ويكون غذاؤه [131] منها وكان لا يمس الذهب بيده فإذا جاء أحد بذهب قال له : ضعه تحت السجادة، فإذا جاء خادمه قال له : ما تحت السجادة وأعطه الخباز والبقال . [132]

- وفاته: أجمع المؤرخون على أن الإمام عبد القادر الجيلي رحمه الله قد توفي عام 561هـ [133] ، وقد عاش عبد القادر إحدى وتسعين سنة [134] وقيل : إنه لم يمرض في حياته مرضاً شديداً سوى مرض موته الذي دام يوماً وليلة فقط [135].

وقد ساله ابنه عن مرضه فقال له : لا يسالني أحد عن شيء، أنا أتقلّب في علم الله عز وجل، إن مرضي لا يعلمه أحد، ولا يعقله أحد، وساله ابنه الإمام عبد الجبار ماذا يؤلمك من جسمك؟

---

[128] نشاة القادرية ص 132.

[129] المنتظم (85/10، 122) نشاة القادرية ص 132.

[130] خبقات الحنابلة (292/1) نشاة القادرية ص 133.

[131] نشاة القادرية ص 133.

[132] بهجة الأبرار ص 104 نشاة القادرية ص 133.

[133] الإمام عبد القادر الجيلي ص 265 للكيلاني.

[134] نشاة القادرية ص 133

[135] الإمام عبد القادر الجيلي لعبد الرزاق الكيلاني ص 265.

فقال رحمه الله : جميع أعضائي إلا قلبي فما به ألم وهو مع الله عز وجل وكان يقول رحمه الله تعالى : أنا لا أخاف من أي إنسان، أنا لا أخاف من الموت، ولا من ملك الموت. وكان يرفع يديه ويمدهما وهو يقول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ثم أتاه الحق وسكرة الموت فجعل يردد : استعنت بلا إله إلا الله سبحانه من تعزَّز بالقدرة، وقهر عباده بالموت، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقد تعذر عليه التلفظ بكلمة : تعزز فظل يرددها حتى تلفظ بها، ثم أخذ يردد : الله، الله، الله ، حتى خفي صوته ولسانه ملتصق بسقف حلقه، ثم خرجت روحه الكريمة رحمه الله [136].

وقبل وفاته ساله ابنه عبد الوهاب الوصية فقال له : عليك بتقوى الله عز وجل وطاعته ولا تخف أحداً سوى الله، ولا ترج أحداً. سوى الله، وكل الحوائج كلها إلى الله عز وجل، واطلبها جميعها منه، ولا تثق باحد سوى الله عز وجل، ولا تعتمد إلا عليه سبحانه، وعليك بالتوحيد، التوحيد، جماع الكل التوحيد. ثم قال : مّروا باخبار الصفات على ما جاءت، الحكم يتغير، والعلم لا يتغير، الحكم ينسخ والعلم لا ينسخ [137].

وقد تّم دفنه ليلاً في مدرسته ولم يتمكن أهله وأصحابه من دفنه في النهار من كثرة الزحام، إذ خرج أهل بغداد وامتلأت الحلبة والأسواق والدروب، وقد ولد له تسع وأربعون ولدا، سبعة وعشرون ذكراً، والباقي إناثاً وتزوج أربع زوجات، وفيما يتعلق بزواجه قال الإمام عبد القادر : كنت أريد الزوجة مدة من الزمان ولا أتجرأ على التزوج خوفاً من تكدير الوقت، فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله تعالى إليّ أربع زوجات، ما منهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة [138]. ومن أقواله : الخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربّك [139] وقال عنه الذهبي : ليس من كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الإمام عبد القادر لكن كثيراً منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة [140].

وقال عنه ابن كثير : وانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً، وله سمت حسن وصمت عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه زهد كبير، وله أحوال ومكاشفات ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات أكثرها مغالاة وقد كان صالحاً ورعاً وقد صنّف كتاب "الغنية "

[136] المصدر نفسه ص 266.

[137] الفتح الرباني ص 373، فتوح الغيب ص 130.

[138] قلائد الجواهر ص 41 أي أنهن بنات أغنياء أو يعرفن صنعة من الصفات.

[139] سير أعلام النبلاء (450/20).

[140] المصدر نفسه (450/2).

"وفتوح الغيب " وفيها أشياء حسنة ولكن ذكر فيهما أحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة وبالجملة كان من سادات المشايخ الكبار، قدّس الله روحه ونّور ضريحه [141].

كان للشيخ عبد القادر تسعة و أربعون ولداً، سبعةٌ و عشرون ذكراً و الباقي إناث[142]، ومنهم:

عبد العزيز بن الإمام عبد القادر (ت 602 هـ)، تفقه على والده، وحدث ووعظ ودرّس و تخرج به غير واحد، ورحل إلى إحدى قرى سنجار و استوخنها[143] في حدود سنة 580 هـ بعد أن غزا عسقلان وزار القدس وكانت ذريته في سنجار في منتصف القرن العاشر والرجل احد قادة جيش صلاح الدين الايوبي ومستشاريه [144].

عيسى بن الإمام عبد القادر (ت 593 هـ)، تفقه على والده وسمع منه الحديث ومن غيره، ودرس وحدث ووعظ و أفتى، وصنف كتاب جواهر الأسرار و لطائف الأنوار في علوم الصوفية، وقدم مصر بعد وفاة والده وحدث بها ووعظ وتخرج به جماعة من أهلها، وتوفي فيها[145]، وقد لبس منه خرقة التصوف القادرية بعض أهل مصر [146].

عبد الوهاب بن الإمام عبد القادر[147] (522 هـ - 593 هـ)، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً، قرأ الفقه على والده حتى برع فيه، ودرّس بمدرسة والده وهو حي نيابة عنه في مستهل سنة 543 هـ وقد تجاوز العشرين من عمره، ثم بعد وفاة والده اشتغل بالتدريس، وكان أميز اخوانه، وكان

---

[141] البداية والنهاية (420/16).

(142) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 39، ص 97، نقلاً عن ابن النجار. العمري، مسالك الأبصار، ج 8، ص 196. ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص 128. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 19، ص 28.

([143]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص 242. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص 253 (الرقم 926).

([144]) الكيلاني ،جمال الدين فالح، الإمام عبد القادر الكيلاني، ص 91.

([145]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص 241-242. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 42، ص 141. التادفي، قلائد الجواهر، ص 90-91.

([146]) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 44، ص 514 (الرقم 704).

([147]) انظر ترجمته في: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج 1، ص 208. أبو شامة، شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي، (ت 665 هـ). تراجم الرجال القرنين السادس و السابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط 2، (صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عني بنشره وراجع أصله عزت العطار الحسيني)، دار الجيل، بيروت، 1974. ص 12. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص 241. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص 258 (الرقم 94). تاريخ الاسلام، ج 42، ص 134. وانظر ج 41، ص 77. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 19، ص 204 (الرقم 7412). ابن رجب، الذيل على خبقات الحنابلة، ج 1، ص 388 (الرقم 196). التادفي، قلائد الجواهر، ص 89. ابن العماد، شذرات الذهب، ج 6، ص 514.

فصيح الوعظ حادّ الخاطر وله مروءة وسخاوة، وقد جعله الناصر لدين الله على المظالم فكان يوصل إليه حوائج الناس[148] وكان ذلك سنة 583 هـ[149]، وبنى تربة الجهة الخلاخية سلجق خاتون و تولى وقفها بامر من الخليفة الناصر لدين الله[150]. وروسل من الديوان العزيز إلى الشام[151].

وكان عبد الوهاب قد رحل إلى بلاد الهند في خلب العلم، وتخرج به غير واحد[152]، وقرأ عليه ابن الدبيثي بعض الأحاديث[153].

وفي سنة 588 كفت يد عبد الوهاب عن وقف الجهة الخلاخية وأخرج ابناء الإمام عبد القادر عن مدرستهم و سُلّمت إلى عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597 هـ) وذلك بسبب الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن الإمام عبد القادر[154]، ثم رُدّت المدرسة إلى أبناء الإمام عبد القادر بعد أن قبض على الوزير ابن يونس (ت 593 هـ)[155].

عبد الرزاق بن الإمام عبد القادر[156] (528 – 603 هـ) كان ثقة حافظاً[157] زاهداً عابداً ورعاً " لم يدخل فيما دخل فيه غيره من إخوته[158]" وكان فقيهاً صالحاً[159]، تفقه على والده وحدث

([148]) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج 1، ص 208-209.

([149]) ابن رجب، الذيل على خبقات الحنابلة، ج1، ص 389.

([150]) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص 12. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 42، ص 135، و انظر: ج 41، ص 77.

([151]) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 42، ص 135. ابن رجب، الذيل على خبقات الحنابلة، ج 1، ص 389.

([152]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص 241.

([153]) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص 258.

([154]) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 41، ص 77.

([155]) ابن رجب، الذيل على خبقات الحنابلة، ج 1، ص 389. ابن العماد، شذرات الذهب، ج 6، ص 515.

([156]) انظر ترجمته في: ابن نقطة، كتاب التقييد، ج 2، ص 109 (الرقم 437). أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 58. ابن الساعي، الجامع المختصر، ص 214-215. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص 242-243. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص 261 (الرقم 958). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 18، ص 248 (الرقم 6974). ابن كثير، البداية و النهاية، ج 13، ص 56. ابن رجب، الذيل على خبقات الحنابلة، ج 2، ص 40-41 (الرقم 221). التادفي، قلائد الجواهر، ص 92-93. ابن العماد، شذرات الذهب، ج 7، ص 18-19.

([157]) ابن نقطة، كتاب التقييد، ج 2، ص 109.

([158]) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 58. وقال ابن كثير في البداية و النهاية " لم يدخل فيما دخلوا فيه من المناصب والولايات " ج 13، ص 56.

([159]) ابن الساعي، الجامع المختصر، ص 214-215.

وأملى ودرّس وخرّج وأفتى، وتخرج به جماعة[160]، "لكن معرفته بالحديث غطت على معرفته بالفقه[161]"، وكان منقطعاً في منزله عن الناس لا يخرج إلاّ في الجمعات، "وكان خشن العيش صابراً على فقره، عزيز النفس عفيفاً على منهاج السلف"[162]، وهو والد قاضي القضاة ابي صالح نصر بن عبد الرزاق .

ومن أحفاد الإمام عبد القادر الذين لهم صلة بموضوع البحث: قاضي القضاة أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي[163] (ت 633 هـ)، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً، وكان مقدم مذهبه وشيخ وقته، درّس في مدرسة جده وغيرها، وقلد قضاء القضاة في خلافة الظاهر بامر الله "ولم يقلد قضاء القضاة حنبلي سواه"، فسار سيرة حسنة من فتح بابه ورفع حُجابه والجلوس للناس عموماً والاذان على بابه والخروج إلى صلاة الجمعة راجلاً، ثم عزل سنة 623هـ فرجع إلى مدرسة جده يدرس ويفتي، ولما تكامل بناء الرباط المستجد بدير الروم جُعل شيخاً على من به من الصوفية إلى أن توفي[164]، "وتخرج به في علمي الشريعة والحقيقة أناس من اهل بغداد "[165].

وله كلام حسن في إشارات الصوفية[166]. وكان مقداماً من الرجال لا يهاب، وله أشعار في الزهد، وفي سنة 630هـ انفذ رسولاً إلى الموصل واربل[167]. وقد ألّف في التصوف، وبنيت له دكة بجامع القصر للمناظرة، وكان له قبول تام، وكان يحضره أناس كثيرون، ويبدو أنه كان يتمتع

([160]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص 242-243.

([161]) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج 2، ص 41.

([162]) المصدر نفسه، ج 2، ص 41. نقلاً عن ابن النجار.

([163]) انظر ترجمته في: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص 245. مجهول، الحوادث، ص 115-117. الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن احمد الحنبلي، (ت 723 هـ). تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، الجزء الرابع، 3 م، (تحقيق الدكتور مصطفى جواد)، وزارة الثقافة و الارشاد القومي، دمشق، 1962-1965. ج 4، قسم 2، 873 (الرقم 1295). الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص 356 (الرقم 1363). تاريخ الاسلام، ج 46، ص 173. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 27، ص 46 (الرقم 36). ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج 2، ص 189 (الرقم 307). ابن العماد، شذرات الذهب، ج 7، ص 281.

([164]) مجهول، الحوادث، ص 115-117. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج 2، ص 191.

([165]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص 245.

([166]) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص 356.

([167]) الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، 4،قسم 2، 874.

بمكانة كبيرة عند الناس إلى الحد الذي جعلهم يدفنونه في دكة الإمام احمد بن حنبل، إلاّ أنه قبض على من فعل ذلك، ثم نبش القبر ليلاً بعد أيام ونقل جثمانه إلى مكان آخر[168].

ويبدو ان نصراً قد التقى بالإمام محي الدين بن عربي وجرى بينهما مناظرة في حديث من احاديث الصفات[169]. كما يذكر انه ولي النظر في جميع الوقوف العامة ووقوف المدارس الشافعية والحنفية وغيرها، فكان يولي ويعزل في جميع المدارس حتى النظامية، وكان المستنصر يعظمه ويجله ويبعث إليه أموالاً كثيرة ليفرقها[170].

يستنتج مما تقدم انه استمر احترام الناس، الخاصة منهم والعامة، لأبناء الإمام عبد القادر الجيلي واحفاده، وبخاصة الذين حملوا منهم رسالة الإمام عبد القادر، خيلة القرن السادس وحتى سقوط بغداد بيد التتار سنة 656 هـ. وقد تابع اكثرهم خريق الإمام عبد القادر في الفقه و التصوف فكان منهم محدثون وفقهاء ومفتون ومدرسون وقضاة، وكانوا كلهم حنابلة. وقد كان ارتحال بعض أبناء الإمام عبد القادر إلى خارج بغداد، واستيطانهم وتناسلهم حيث استقروا، من العوامل التي ساهمت في انتشار التصوف خارج بغداد كالجبال وبلاد الجزيرة و الشام ومصر والمغرب والاندلس .

(168) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 46، ص 174-175.

(169) ابن رجب، الذيل على خبقات الحنابلة، ج 2، ص 190.

(170) المصدر نفسه، ج 2، ص 190-191.

آداب الصحبة عند عبد القادر الجيلي :

1 - واجبات المريد : وضع الإمام عبد القادر جملة من الواجبات التي يلتزم بها المريد المبتدئ يمكن حصرها فيما يلي :

أ- الاعتقاد الصحيح هو الأساس .

ب- التمسك بالكتاب والسنة والعمل بهما أمراً ونهياً أصلاً وفرعاً.

ج- الصدق والاجتهاد والإخلاص مع الله والوفاء بوعده وامتثال امره والاستمرار في عبادته ومرضاته ومحبته وكل ما يؤدي إلى قربه.

ح- الحذر من التقصير ومخالطة المقصرين أبناء القيل والقال أعداء الأعمال والتكاليف المدعين للإسلام.

خ- الإتصاف بصفة الكرم مع اليقين والاعتقاد أن الله لم يخلق ولياً بخيلاً.

س- الرضا بعدم الشهرة وخمول الذكر وترك الغرور وقتل الشهوات والرضا بالجوع والحرمان.

ش- الايثار وتقديم أقرانه عند الإمام وفي مجالس العلم، وعند العلماء وأصحاب الفضل فيجوع هو يشبع الباقون ويرضى بالذل لعز الجماعة وكرامتهم.

ر- أن يطلب من الله الستر ومغفرة ما سلف من الذنوب والعصمة فيما بقي من العمر والتوفيق لما يحبه الله سبحانه من الأعمال الصالحة والرضا عنه في حركاته وسكناته.

ز- أن يتحبب إلى الشيوخ وإلى جميع الصالحين وأن يعفو ويصفح عن زلات الغير وإساءات الناس إليه.

ع- أن يزهد في الملذات وأن يقاوم الرغبة في التوسع في الشهوات (171). هذه هي مجمل الواجبات التي ينبغي على المريد أن يقوم بها وهي كفيلة بطبعه على الاستقامة وكريم الأخلاق ونيل الصفات (172).

2- **آداب المريد مع الإمام** : نظراً لأهمية صلة المريد بالإمام فقد وضع الإمام عبد القادر الجيلي آداباً خاصة بالمريد تجاه شيخه الذي سيصحبه وهي :

أ- طاعته وعدم مخالفته في الظاهر أو الاعتراض عليه في الباطن مع الإكثار من قراءة " ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين ءامنوا " (الحشر، آية : 10).

[171] الغنية للجيلاني (163/2) بتصرف يسير.

[172] الإمام عبد القادر الجيلي ص 530.

وإذا ظهر من شيخه ما يكرهه في الشرع استخبر عن ذلك بضرب المثل والإشارة ولا يصرح به لئلا ينفر منه الإمام بسببه.

ب- أن يستر ما قد يرى من عيوب الإمام ويتهم نفسه فربما وقع ذلك لعدم فهمه مراد الشيخ، فإذا لم يجد للشيخ عذراً استغفر له ودعا بالتوفيق ولا يخبر أحداً بما حدث منه ولا يعتقد أن الإمام معصوم، وإنما حصل منه وإنما هو عن غفلة.

ت- ملازمة الإمام وعدم الانقطاع عنه وإذا حدث وأن عبس في وجهه أو غضب عليه أو ظهر إعراض فليفتش في نفسه وما عسى أن يكون قد وقع منه من سوء أدب أو تفريط بترك أمر الله أو فعل نهيه وعليه أن يبادر إلى التوبة والاستغفار والعزم على عدم العودة إليه في المستقبل.

ث- أن يلتزم بالآداب أمام شيخه وأن يتخير أفضل الأساليب عند التخاطب معه وأن يفعل معه ما يسره.

ح- أن يحظى الإمام بثقة مريده ويقينه بانه أهل لأن يتلقى العلم والمعارف على يديه.

ج- أن يحذر من مقارفة الذنوب لأنها تذهب ببركة العلم وتغير الحال كما حدث لآدم حينما أخرج من الجنة بسبب الذنب.

س- ألا يتكلم أمام شيخه إلاّ للضرورة وأن يسكت إذا دارت مسالة عند شيخه ولو كان الجواب عنده بل ينتظر ما يقوله شيخه ولا يعارض (173).

3- الآداب المتعلقة بالإمام تجاه مريده :

أ- أن يقبله لله تعالى ويتعهده بالنصيحة والرفق واللين فيكون معه كابيه وأمه شفقة ورحمة وألاّ يحمله مالا يطيق، بل يتدرج معه حتى ينقله من موافقة الطبع إلى أوامر الشرع ومن الرخص إلى العزائم.

ب- إذا علم منه صدق المجاهدة فلا يتهاون معه بل يلزمه باوامر الله ويزجره عن نواهيه ابتغاء مرضاته سبحانه دون النظر إلى عائد.

ح أن يثبته على الطريق وألاّ يعمل ما من شانه التنفير لأن القصد هو الله وما كان لله دام واتصل.

س- أن يراقب سلوكه فإذا رأى مخالفة للشرع وعظه وزجره وحّذره من العودة ورغبَّة في التوبة إلى الله.

ع- أن يحرص على تلقينه مبادئ الخير ويتجنب الفاحش من القول والخلق، لأنه محل القدوة والرحمة يرعى مصالحه وكل مشاكله ويحمل عنه عبئه (174).

---

173 الغنية للجيلاني (164/2).

4- آداب صحبة الإخوان : بدأ الإمام عبد القادر الجيلي تلك الآداب ببيان آداب صحبة الإخوان وما ينبغي مراعاته في التعامل معهم. من ذلك.

أ- الإيثار والصفح عنهم والقيام معهم في شؤونهم وتقديم الخدمة الممكنة لهم.

ب- ألا يرى له على أحد حقّاً ولا يطالب أحداً بحق بل يرى أن لكل منهم عليه حقاً ثم يجتهد في أداء حقوقهم.

ت- أن يظهر لهم الموافقة في جميع ما يقولون أو يفعلون - وهذا محمول بالطبع على قول الحق والفعل الحسن - وأن يتاول لهم ويعتذر عنهم.

ج- أن يجتنب مجادلتهم ومخالفتهم ويتعامى عن عيوبهم فإن خالفه أحد منهم في شيء سلَّم له ما يقول في الظاهر وإن كان الأمر عنده بخلاف ما يقول (175)- وهذا أيضاً محمول على كون الخلاف في الأمور العادية والحياتية أما إذا كان الخلاف في شيء من الشرع فلا بَّد من بيان الحق بدليله وعدم الموافقة على الباطل.

ر- أن يجتنب فعل ما يكرهونه من حق أو أذية أو غيبة (176).

س- أن يكون المعيار لعلاقات الإنسان بالآخرين هو الحب في الله - عز وجل - والبغض فيه يقول في هذا المعنى : إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبَّه فاعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت فيهما مبغوضة، فابشر بموافقتك لله عز وجل ولرسوله وإن كانت أعماله فيهما محبوب وأنت تبغضه فاعلم بانك صاحب هوى تبغضه بهواك ظالماً له ببغضك إياه وعاص لله عز وجل ولرسوله مخالف لهما فتب إلى الله عز وجل من بغضك وأساله عز وجل محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده. لتكون موافقاً له عز وجل، وكذلك أفعل بمن تحبه يعني أعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت محبوبة فيهما فاحببه، وإن كانت مبغوضة فابغضه كيلا تحبه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك قال عز وجل : " ولا تتبع الهوى فيُضلَّك عن سبيل الله (ص، آية : 26) (177) . وهكذا ومن خلال تلك الآداب فإننا نرى أن الإمام عبد القادر الجيلي لم يجعل من التصوف حالة انفصال عن المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان لأن كماله وسمو اخلاقه لا تبرز بمجرد حصوله على المعارف العلوم وإنما تظهر في حالة احتكاكه ومخالطته وتعامله بمن يعيش

---

[174] الغنية للجيلاني (168/2) بتصرف يسير.

[175] الإمام عبد القادر الجيلي ص 534 الغنية للجيلاني (169/2).

[176] الغنية (169/2) الإمام عبد القادر الجيلي ص 535.

[177] فتوح الغيب للجيلاني، المقالة العادية والثلاثون ص 75.

معهم في المجتمع بمختلف فئاته وخبقاته وهو المحك الذي يظهر الإنسان على حقيقته ولذا كان لا بد من مراعاة تلك الآداب حتى تنصلح الأحوال وتتقارب القلوب (178).

المقامات :

1- التوبة كان الإمام عبد القادر الجيلي يركز عليها ويهتم بشانها، قال العلامة أبو الحسن الندوي : ظهر في بغداد رجل قوي الشخصية قوي الإيمان قوي العلم قوي الدعوى قوي التاثير هو الإمام عبد القادر الجيلي فجدَّد دعوة الإيمان والإسلام الحقيقي والعبودية الخالصة وحارب النفاق وفتح باب البيعة والتوبة على مصرعيه يدخل منه المسلمون يجددون العهد والميثاق مع الله تعالى (179).

والإمام عبد القادر الجيلي يعتبر التوبة باب الدخول على الله سبحانه لنيل رضوانه في الدنيا والآخرة فينبغي اغتنامها وعدم تفويت فرصتها يقول : اغتنموا باب التوبة وادخلوا ما دام مفتوحاً لكم (180)، ويبين أن المهم ليس التوبة فحسب ولكن المهم هو الاستمرار والثبات عليها فيقول : تب واثبت على توبتك فليس الشان في توبتك الشان في ثبوتك عليها ليس الشان في غرسك الشان في ثبوته وتغصينه وثمرته (181) . قد جعلها بمنزلة الماء الذي تزول به نجاسة الذنوب وقذارة المعاصي إذ يقول : يا غلام لا تياس من رحمة الله بمعصية ارتكبتها بل أغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة والثبات عليها والإخلاص فيها(182) .

وعن التائبين يصنف الإمام عبد القادر الناس في التوبة إلى ثلاثة أصناف : توبة العوام وتوبة الخواص وتوبة خاص الخاص ويجعل لكل صنف منهم توبة تخصه فيقول : توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة، وتوبة خاص الخاص من ركون القلب إلى ما سوى الله عز وجل، ثم يوضح معنى قوله تعالى : " وتوبوا إلى الله جميعاً أية المؤمنون لعلكم تفلحون " (النور ، آية : 31) بان هذا : خطاب للعموم بالتوبة وأن حقيقة التوبة في اللغة الرجوع يقال تاب فلان من كذا أي رجع عنه فالتوبة هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الشرع، والعلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات مبعدات من الله عز وجل ومن جنته وتركها مقرب إلى الله عز وجل

[178] الإمام عبد القادر الجيلي ص 535 ، 536.

[179] رجال الفكر الدعوة نقلاً عن الإمام عبد القادر ص 597.

[180] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الرابع ص 18.

[181] الإمام عبد القادر الجيلي ص 597.

[182] الفتح الرباني ، المجلس الثالث عشر ص 48.

وجنته فكانه عز وجل يقول : أرجعوا إلي من هوى نفوسكم ووقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم عندي في المعاد وتبقوا في نعيمي في دار البقاء والقرار وتفلحوا وتفوزوا وتنجوا وتدخلوا رحمتي الجنة العليا المعدة للأبرار (183)، كما يقرر الإمام عبد القادر الجيلي أن التوبة من سائر الذنوب واجبة بإجماع الأمة وأنها تكون من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها (184) .

ثم يعرف الكبائر بانها : ما توعَّد الله عليه بالنار أو ما أوجب عليه الحد في الدنيا وأن بعض العلماء حصرها في سبع عشرة كبيرة : أربع في القلب، وهي الشرك بالله والإصرار على المعصية والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله وأربع في اللسان : وهي شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والسحر. وثلاث في البطن وهي : شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا. واثنتان في الفرج وهما : الزنا واللواط. واثنتان في اليدين، وهما : القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف، وواحدة في جميع البدن : وهي عقوق الوالدين (185). وتحدث عن صدق التوبة : وصحتها ووضع لها شروط ثلاثة

أولها : الندم على ما عمل من المخالفات :

وثانيها : الإقلاع وترك الزلات في جميع الحالات والساعات.

وثالثها : العزم على ألا يعود إلى ما اقترف من المعاصي، والخطيئات (186) . ووضع الإمام عبد القادر الجيلي للتوبة معياراً دقيقاً هو : توجّع القلب عند علمه بفوات محبوبه فتطول حسراته وأحزانه وبكاؤه ونحيبه وإنسكاب عبراته فيعزم على ألاَّ يعود إلى مثل ذلك لما تحقق عنده من شؤم ذلك (187) . ويجعل أيضاً مقياساً آخر يمكن بواسطته معرفة التوبة الصادقة وهو أربعة أشياء.

- أن يملك لسانه من الفضول والغيبة والنميمة والكذب.
- ألاَّ يرى لأحد في قلبه حسداً ولا عداوة أن يفارق إخوان السوء.
- أن يكون مستعداً للموت نادماً مستغفراً لما سلف من ذنوبه مجتهداً في طاعة ربه (188) .

ويرى الإمام عبد القادر الجيلي أن التوبة على وجهين:

[183] الغنية للجيلاني (116/1).

[184] الغنية (116/1).

[185] المصدر نفسه (117/1).

[186] المصدر نفسه (122/1).

[187] المصدر نفسه (122/1).

[188] الإمام عبد القادر الجيلي ص 600.

أحـدهما : في حـق العبـاد بعضـهم تجـاه بعـض وهـذا لا يتحقـق إلاَّ بـرد المظـالم والتحلـل مـن الحقـوق بإعادتها إلى أصحابها.

والثـاني : يتعلـق بحـق الله تعـالى فتكـون التوبـة منـه بالاسـتغفار الـدائم باللسـان والنـدم بالقلـب والإضـمار علـى ألاَّ يعـود إليـه في المسـتقبل (189) . هـذه هـي التوبـة عنـد الإمـام عبـد القـادر الجيلـي ونظراتـه إليهـا وتوجيهاتـه للتـائبين وقـد أوردهـا بعبـارات جميلـة وترقيقـات بديعـة تـدل علـى حساسـية مرهفة لمعنى التوبة وموقف العبد منها (190).

2- الزهـد : والإمـام عبـد القـادر الجيلـي يفـرق بـين الزاهـد الحقيقـي والمتزهـد الصـوري فيقـول : المتزهد يخرج الدنيا من يديه والزاهد المتحقق في زهده يخرجها من قبله (191)

ويقـول : الصـادق في زهـده تجـيء إليـه أقسـامه فيناولهـا ويلـبس ظـاهره بهـا قلبـه مملـوء مـن الزهـد فيهـا وفي غيرهـا (192) ويقـول : وفي النـاس مـن تكـون الـدنيا بيـده ولا يحبهـا يملكهـا ولا تملكـه تحبـه ولا يحبهـا تعـدو خلفـه ولا يعـدو خلفهـا يسـتخدمها ولا تسـتخدمه يفرقهـا ولا تفرقـه، قـد صـلح قلبه لله عز وجل فلا تقدر الدنيا تفسده فيتصرف فيها ولا تتصرف فيه (193)

ويقـول : المـؤمن لـه نيـة صـالحة في جميـع تصـرفاته لا يعمـل في الـدنيا للـدنيا يـبني في الـدنيا للآخـرة يعمـر المسـاجد والقنـاطر والمـدارس والـربط ويهـذب خـرق المسـلمين وإن بنـى غـير هـذا فللعيـال والأرامـل والفقراء ومالا بدَّ له منه يفعل ذلك حتى يبنى له في الآخرة (194).

وبـين الإمـام عبـد القـادر أن الزهـد لـيس أمـراً سـهلاً يمكـن الإتصـاف بـه دون تعـب أو معانـاة، كمـا أنـه لـيس في قـدرة كـل واحـد أن يكـون زاهـداً ، لأن الزهـد علـى حـد تعـبير الجيلـي : منـة صـالحة وإلاَّ فمـا يقـدر أحـد أن يزهـد في قسـمه. المـؤمن يسـتريح مـن ثقـل الحـرص لا يشـره ولا يسـتعجل. زهـد في الأشـياء قبلـه وأعـرض عنهـا سـرّه واشـتغل بمـا أمـر بـه وعلـم أن قسـمه لا يفوتـه فلـم يطلبـه تـرك الأقسـام تعـدوا خلفـه وتـدل وتسـاله قبولهـا (195) وقـال : يـا غـلام هـذا الزهـد لـيس صـنعة تتعلمهـا لـيس هـو

---

[189] الغنية للجيلاني (126/1).

[190] الإمام عبد القادر الجيلي ص 600.

[191] الفتح الرباني للجيلاني ، المجلس الثلاثون ص 106.

[192] المصدر السابق، المجلس الخامس والعشرون ص 89.

[193] المصدر نفسه المجلس الرابع والثلاثون ص 113.

[194] الفتح الرباني للجيلاني ، المجلس السادس عشر ص 59.

[195] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثامن والعشرون ص 98.

شـيئاً تاخـذه بيدك ترميـه بـل هـو خطـوات أولهـا النظـر في وجـه الـدنيا فتراهـا كمـا هـي علـى صـورتها عنـد من تقدم من الأنبياء والرسل (196)

والإمـام عبـد القـادر الجيلـي يـربط بـين العلـم والزهـد، ويـرى لا بًـد مـن تلازمهمـا للوصـول إلى الله عـز وجـل وهـذا واضـح مـن قولـه : مـا وصـل مـن وصـل إلاَّ بـالعلم والزهـد في الـدنيا والإعـراض عنهـا بالقلـب والقالب (197).

وقال : من صح زهده في الخلق صحت رغبتهم فيه وانتفعوا بكلامه والنظر فيه (198).

وكـان رحمـه الله علـى مـذهب الإمـام أحمـد بـن حنبـل، الـذي قـال في الزهـد : الزهـد علـى ثلاثـة أوجـه : الأول : تـرك الحـرام وهـو زهـد العـوام. والثـاني : تـرك الفضـول مـن الحـلال وهـو زهـد الخـوص الثالـث : تـرك مـا يشـغل عـن الله وهـو زهـد العـارفين وعلـق ابـن القـيم علـى كـلام الإمـام أحمـد فقـال : وهـذا الكـلام مـن الإمـام أحمـد يـاتي علـى جميـع مـا تقـدم مـن كـلام المشـايخ مـع زيـادة تفصـيله وتبـيين درجاتـه وهـو مـن أجمـع الكـلام وهـو يـدل علـى أنـه رضـي الله عنـه مـن هـذا العلـم بالمحـل الأعلـى وقـد شـهد الشـافعي رحمـه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهد (199)

ثـم إن التجربـة الصـوفية عنـد الإمـام عبـد القـادر ، بجميـع أبعادهـا وبمراتبهـا كافـة ترتكـز أساسـاً علـى فعاليــة الــذكر ، ولــيس في ذلــك أدنــى مبالغــة ، لأن جميــع الصــوفية في الإســلام ، هــم ذاكــرون بالضــرورة ، ولا يمكــن لأي إنســان أن يتزيــا بــزي الصــوفية أو حتــى يتشــبه بهــم وهــو تــارك للــذكر ، فبالـذكر تنجلـي القلـوب بعـد صـدئها وتتنـور بعـد عتمتهـا[1] وتفـتح مغاليقهـا ، وبالـذكر تصـح النفـوس وتتجـاوز هفواتهـا وتسـمو علـى نقائصـها ، والـذكر وحـده هـو الـذي يكـرس العبـد لمحبـة مـولاه ، لأن الحـب بـادق دلالاتـه يعـني الـذكر ، ولا يمكـن لأي إنسـان أن يتخيـل محبـاً غـافلاً عـن محبوبـه أو عاشـقاً سـاهياً عـن معشـوقه ، والـذكر أيضـاً لا تصـح فروضـه ، إلا إذا توجـه الـذاكر بقلبـه وعقلـه ولسـانه حصـراً نحـو الله تعـالى ، فهـو إذن يـاتي بمعنـى الصـلاة ، والـذاكر الصـادق في ذكـره هـو في صـلاة حيـة ومتواصـلة مـع ربـه ، لأنـه إذا كـان المغـزى مـن الصـلاة هـو إنشـاء معادلـة صـلة ، طرفاهـا العبـد والـرب إذ يواصـل

[196] الإمام الرباني للجيلاني ، المجلس الثلاثون ص 107.

[197] المصدر نفسه ص 106.

[198] المصدر نفسه المجلس الثاني والستون ص 232.

[199] مدارج السالكين لابن القيم (12/2).

(1) الجيلي – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص106 ، والإمام عبد القادر يستشهد هنا بالحديث النبوي الشريف: إن هذه القلوب لتصدأ وإن جاءها قراءة القرآن وذكر الموت وحضور مجالس الذكر.

العبد ربه بالتضرع والخشوع والدعاء ويواصل الرب عبده بالرحمة والقبول والاستجابة ، فان الذكر ما هو في حقيقته إلا محاولة لتحقيق هذه المعادلة على أتم وجه ومن أقرب الطرق فيقول :

وجامعي مجلســـــي والدرس سنتـــــي ومنبري فكرتي والعلم مطلوبــــــــــــي (1)

وهذا هو موخن الأهمية في الذكر عند الصوفية.

الذكر والتوحيد:

إن اشتغال قلب العبد بذكر المرغوبات والمطلوبات يعد في عرف الصوفية شركاً صريحاً ووثنية ظاهرة ، مما يحتاج معه إلى فاس إبراهيم الخليل (عليه السلام)(1) وإصراره وإخلاصه كي تزال ويتطهر منها معبد القلب فيتاهل من جديد ليكون عرشاً للرحمن. وهذا الفاس لا يعني في الحقيقة ، إلا المداومة على ذكر الله تعالى ، فهذا الفعل هو وحده الكفيل بتحطيم تلك الأصنام التي هي كل ما سوى الله عز وجل ، كما يقول الإمام عبد القادر فان: ((القلب لا يصلح للتوحيد ولا يفلح في المحبة ، حتى يترك كل محبوب ويقطع كل موصول ويزهد في كل مخلوق))(2). أي حتى يخلص في ذكره لمذكور واحد وهو الله تعالى ، ومن غرس هذا الذكر ، يثمر التفريد والتمجيد والتعظيم وتثمر المحبة ويثمر القرب ، وهذه هي مقاصد القوم ومطامحهم.

الذكر والحب الإلهي:

اصل المحبة متعلق أولاً بإرادة المحب وتوجه قصد مرامه لطلب المحبوب ، وهذا ما يجسده الذكر الذي إن داوم عليه العبد فان الله تعالى سيحمله بجناح لطفه إلى مقعد صدق عنده وهذا (المقعد) هو الذي يفضي به إلى المحبة. فاما إذا تمت المحبة ، وملأ المحبوب فضاء قلب المحب كله وملكه عندئذ تسقط الإرادة عن المحب وتكون بواعثه مستمدة من إرادة محبوبه ، وهذه كما يسميها الإمام عبد القادر ((حالة المحبة الخالصة)) (2) وهي للمحبين الذين لا يفترون عن ذكر محبوبهم خاصة فإذا ما سمع هؤلاء المحبون ذكر محبوبهم لهم ، فسيعتريهم حبور عظيم ، لدخولهم في حال

---

(1) التادفي – قلائد الجواهر – ص17. ويتشهد الإمام عبد القادر هنا بالحديث الشريف الذي يسال فيه الإمام علي (عليه السلام) النبي محمد (ρ) عن أقرب الطرق إلى الله تعالى وأفضلها عنده وأسهلها على عباده؟ فاقل (ρ): يا علي عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات.

(1) الجيلي – فتوح الغيب – ص93.

(2) الجيلي – جلاء الخاخر – ص45.

(2) المصدر السابق – الصفحة نفسها.

جديد وارتقائهم إلى مرتبة أعلى ، وهي مرتبة المحبوبين المرادين الذين خففت عنهم الأحمال وشملتهم يد العناية الإلهية ، استحقاقاً منهم وفضلاً ومنة من الله تعالى والمحبوبون يكونون بهذه المرتبة قد انتقلوا من حالة الشوق التي تنتفي عند تحقق اللقاء ، إلى حالة الاشتياق التي لا ينفذ لها معين والتي لا يزيدها اللقاء إلا حدة واضطراماً. ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى تاكيد الإمام عبد القادر على الربط العضوي بين أجزاء نظريته الصوفية ، وكما هو واضح ، فالذكر يفضي إلى كل من الزهد والتوحيد والصدق والمحبة في الوقت نفسه ، على أن هذه النظرية لا تختل ولا تهتز أركانها فيما لو استبدلنا الذكر باي فعالية أخرى من الفعاليات الصوفية لأن النتيجة ستكون واحدة في كل الأحوال.

مصدر الذكر

ولا يفوت الإمام عبد القادر أن يذكرنا أن شوق الإنسان إلى ذكر ربه ، مثله في ذلك مثل كل الأحوال الصوفية الأخرى ، لا يعد فعلاً إنسانياً خالصاً – أي يصدر فقط عن إرادة الإنسان وقصده – وإنما مصدره الأول هو الرحمة الإلهية التي إن هب نسيمها على أرواح الذاكرين ، اهتزت تلك الأرواح طرباً لذلك وسعت إلى الانطلاق من أقفاص أشباحها ، متوهجة بذلك الشوق ، ومن توهجها هذا تستضيء العقول والقلوب وهذا هو معنى الجلاء والتالق الذي يسعى الصوفية ، عن طريق الذكر إلى بلوغه.

وكما نلاحظ ، فان عملية التوهج قد بدأت من الأرواح أولاً ، التي هي الأنفس بعد صفائها والتوهج ما هو إلا عملية تنوير معنوية ، أي معرفية ، يفيض معينها من داخل النفس الإنسانية ، بعد استكمالها شروط الجلي المطلوبة والتي مررنا بها سابقاً عبر محطات الزهد والمجاهدة وأنواع الرياضات الروحية ، والتي جاء عامل الذكر أخيراً ، كي يمنحها القدح المطلوب لكل هذا التوهج. على أن هذه المعرفة وإن كانت ذاتية المصدر إلا أنها لدنية الأصل ، لأن مصدرها الحقيقي هو المعرفة الإلهية المغروسة في أصل الفطرة الآدمية والتي لا تخرج إلى حيز الوجود إلا بعد أن تتواصل مع منبعها الإلهي عبر قنوات النور التي ينشئها الذكر. ولعل من نافلة القول أن نشير إلى أن كون الشوق الإنساني إلى الذكر يبدأ من خارج ذاته ، فان ذلك لا يلغي دور الإنسان في التواصل وهذا هو بالضبط ما يميز الذكر من الحب الإلهي عند الإمام عبد القادر ، فالذكر هو مقام طلب وقصد ، وهو مما يشير إلى الافتقار إلى إرادة العبد ، بينما الحب الإلهي وهو التحفة الربانية الخالصة ، فانه من محض

الاصطفاء وليس للعبد فيه كسب ولا اختيار، ولذلك نجد أن الله تعالى قد قدم ذكرنا على ذكره كما في قوله تعالى : "إذكروني إذكركم"(1).

بينما قدم محبته على محبتنا وذلك في قوله تعالى الذي يصف فيه المؤمنين "يحبهم ويحبونه"(2) وفي الخلاصة فإن الذكر يمكن أن يعد من بين الفعاليات الصوفية المزدوجة المصدر ، فهو فتح من الله تعالى من جهة وقصد من العبد من الجهة الأخرى.

3- التوكل : تناول الإمام عبد القادر الجيلي مسالة التوكل وتعرَّض لأربع مسائل.

- الأصل في مشروعيته وتعريف حقيقته : فقال : الأصل فيه قوله تعالى : " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " الطلاق ، آية 3) وقوله عز وجل : " وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين " (المائدة، آية : 23). وحقيقته تفويض الأمور إلى الله عز وجل والتنقي من ظلمات الاختيار والتدبير والترقي إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير فيقطع العبد ألاّ تبديل للقسمة فما قسم له لا يفوته ومالم يقّدر له لا يناله فيسكن قلبه إلى ذلك ويطمئن إلى وعد مولاه (200).

المسالة الثانية : أقسام التوكل ودرجاته : يرى الإمام عبد القادر الجيلي أن التوكل ينقسم إلى ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض : فالمتوكل يسكن إلى وعد ربه وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه (201) ولكن ابن القيم يرى أن التوكل ينقسم إلى سبع درجات :

الأولى : معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه صدورها عن مشيئته وقدرته وهي أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

الثانية : إثبات الأسباب والمسببات.

الثالثة : رسوخ القلب في مقام توحيد المتوكل فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكل معلول مدخول وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ومن هنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلاّ برفض الأسباب وهذا حق لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح.

(1) البقرة /152.

(2) المائدة / 54.

200 الغنية للجيلاني (189/2).

201 الغنية للجيلاني (189/2).

الرابعة : اعتماد القلب على الله واستناده وسكونه إليه بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ولا سكون إليها علامة هذا ألا يبالي بإقبالها وإدبارها ولا يضطرب قلبه عند إدبار ما يحب وإقبال ما يكره منها لأن اعتماده على الله وسكونه إليه ومثل حاله كحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه وطمأنينته بثدي أمه لا يعرف غيره وليس في قلبه التفات إلى غيره. كذلك المتوكل لا ياوي إلاَّ إلى ربه سبحانه.

الخامسة : حسن الظن بالله عز وجل، فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه، ولذلك فسّر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله والتحقيق أن حسن الظن بالله يدعو إلى التوكل عليه، إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به ولا التوكل على من لا ترجوه.

السادسة : استسلام القلب له وانجذاب دواعيه كلها إليه ولهذا فسَّره من قال : أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير.

السابعة : التفويض وهو روح التوكل ولبُّه وحقيقته وهو إلقاء أموره كلها إلى الله وإنزالها به طلباً، واختياراً لا كرها واضطراراً، بل كتفويض الابن العاجز الضعيف كل أموره إلى أبيه العالم بشفقته عليه وتمام كفايته وحسن تدبيره، فهو يرى أن تدبير أبيه له خير من تدبيره لنفسه فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويض أموره كلها إلى أبيه (202).

المسالة الثالثة : ثمرات التوكل : ويرى الإمام عبد القادر الجيلي أن للتوكل ثمرات فقد قال : من أحب القوة في دين الله عز وجل فليتوكل على الله عز وجل لأن التوكل يصحح القلب ويقويه ويهذبه ويهديه ويريه العجائب لا تتوكل على درهمك، ودينارك وأسبابك فإن ذلك يعجزك ويضعفك وتوكل على الله عز وجل، فإنه يقويك ويعينك ويلطف بك ويفتح لك من حيث لا تحتسب (203) .

وهذا ما أكَّده شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو يوضح معنى ما نقل عن الإمام عبد القادر الجيلي من أنه رؤي في المنام وهو يقول إخباراً عن الحق سبحانه : من جاءنا تلقيناه من البعيد، ومن تصرف بحولنا ألنَّا له الحديد، ومن اتبع مرادنا أردنا ما يريد، ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد. فقال فالأوَّلتان : العبادة والاستعانة، والآخرتان الطاعة والمعصية. فالذهاب إلى الله هي عبادته وحده كما قال تعالى : في الحديث القدسي : من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة (204)

202 مدارج السالكين (112/2).

203 الفتح الرباني للجيلاني ، المجلس الثاني والأربعون ص 134.

204 البخاري رقم 7536 مسلم رقم 2675.

والتقرب بحوله هو الاستعانة والتوكل عليه فإنه لا حول ولا قوة إلاَّ بالله وفي الأثر : من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله (205). وعن سعيد بن جبير قال التوكل جماع الإيمان (206) ، وقال تعالى " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " (الطلاق ، آية : 3) .... وقوله : ومن اتبع مرادنا يعني المراد الشرعي، كقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " (البقرة ، آية : 185) وقال تعالى : (يريد الله أن يخفف عنكم " (النساء، آية : 28) وقوله تعالى : " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتُم نعمته عليكم " (المائدة آية : 6) ... وفي الحديث الصحيح : لئن سالني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه (207) .

وقال تعالى : " ويستجيب الذين ءامنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله " (الشورى ، آية ك 26) وقوله : ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد يعني : ترك ما كره الله من المحرم والمكروه لأجل الله، رجاءاً ومحبة وخشية أعطيناه فوق المزيد لأن هذا مقام الصبر (208) وقد قال الله تعالى : " إنّما يُوَفى الصابرون أجرهم بغير حساب " (الزمر ، الآية : 10).

المسالة الرابعة : الأسباب : بين الإمام عبد القادر الجيلي اعتقاده حولها والمتضمن ضرورة الأخذ بها مع عدم الاعتماد عليها فقال : اعتقاد المتبعين لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم : أن السيف لا يقطع بطبعه بل الله عز وجل يقطع به وأن النار لا تحرق بطبعها بل الله عز وجل المحرق بها وأن الطعام لا يشبع بطبعه بل الله عز وجل يشبع به وأن الماء لا يروي بطبعه بل الله عز وجل المروي به. وهكذا جميع الأسباب على اختلاف أجناسها الله عز وجل المتصرف فيها وبها وهي آلة بين يديه يفعل ما يشاء (209)، وهذا لا يعني دعوته إلى ترك الأسباب أو أن هناك تعارضاً بين التوكل والأخذ بالأسباب، بل إن التوكل الصحيح في مفهوم الإمام الجيلي هو الأخذ بالسبب والتوكل على مسبب الأسباب إذ يقول في هذا الصدد : إعط نفسك في بحر التوكل فتجمع بين السبب والمسبب (210) .

4- الشكر : تحدث الإمام عبد القادر الجيلي عن الشكر من خلال ثلاث مسائل :

[205] الإمام عبد القادر ص 612.

[206] السنة، عبد الله بن أحمد رقم 776.

[207] المصدر نفسه.

[208] البخاري رقم 7536.

[209] فتاوى ابن تيمية (549/10) الإمام عبد القادر ص 613.

[210] المصدر نفسه ص 167.

الأولى : حقيقة الشكر : فقال رحمه الله : وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع (211).

وأما أقسامه : فإنه - رحمه الله - قد قسم الشكر إلى ثلاثة أقسام فقال : ثم الشكر ينقسم إقساماً إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة مبعث الاستكانة، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاء والخدمة، وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهور بإدامة حفظ الحرمة (212).

وفي موضع آخر يصف الإمام عبد القادر الجيلي كيفية الشكر فيقول : أما كيفية الشكر فيكون باللسان بالاعتراف بالنعمة وأنها من عند الله عز وجل وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أيديهم لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها. وأن قاسمها ومجريها وموجودها والسبب لها هو الله عز وجل والقاسم هو الله والمجري هو فهو أحق بالشكر من غيره. وأما الشكر بالقلب. فبالاعتقاد الدائم والعقد الوثيق الشديد المنبرم أن جميع مابك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عز وجل ولا من غيره ويكون شكرك بلسانك معبراً عما في قلبك وأما شكر الجوارح : فبان تحركها وتستعملها في طاعة الله عز وجل دون غيره من الخلق فلا تجب أحداً من الخلق فيما فيه إعراض عن الله تعالى ، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأماني وسائر الخليقة بحيث تجعل طاعت الله أصلاً ومتبوعاً وإماماً وما عداها فرعاً وتابعاً ومأموماً (213).

وأما أصناف الشاكرين : فقد جعلهم ثلاثة أصناف :

الأولى : من وصفهم بالعالمين وهم السواد الأعظم من العباد وشكرهم يكون من جملة أقوالهم.

والثاني : من وصفهم بالعابدين وهم المؤمنون على وجه العموم والمباشرون للعبادات المفروضة عليهم يكون نوعاً من أفعالهم.

والثالث : من وصفهم بالعارفين والمقربون وشكرهم باستقامتهم لله عز وجل في سائر أحوالهم، واعتقادهم أن جميع ما هم فيه من الخير وما يظهر منهم من الطاعة والعبودية والذكر لله عز وجل بتوفيقه سبحانه (214) .

[211] الغنية للجيلاني (193/2).

[212] الغنية للجيلاني (194/2).

[213] فتوح الغيب للجيلاني ص 134.

[214] الغنية للجيلاني (194/2) الإمام عبد القادر الجيلي ص 621.

5- الصبر: تحدث الإمام عبد القادر الجيلي عن الصبر، فقال الأصل في مشروعية الصبر قوله تعالى " يا أيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " (آل عمران، آية: 200) وقوله تعالى: " واصبر وما صبرك إلا بالله " (النحل، آية: 127) وقوله صلى الله عليه وسلم: إنما الصبر عند الصدمة الأولى (215)، وأما أنواع الصبر فقد ذكر الإمام عبد القادر أنه على ثلاثة أضرب:

الأول: صبر لله عز وجل وهو على أداء أمره وانتهاء نهيه.

الثاني: صبر مع الله وهو الصبر على جريان قضائه وأفعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا.

الثالث: صبر على الله وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والكفاية والثواب في الدار الآخرة (216). وقال عن أصناف الصابرين بانهم: ثلاثة أصناف: متصبر وصابر وصبار (217). وأخيراً فإن الإمام عبد القادر الجيلي عند تمييزه للصبر يرى أنه على قسمين: أحدهما: صبر على ما هو كسب من فعل أوامر الله وترك نواهيه.

والثاني: صبر على ما ليس بكسب له مما يقدر الله عليه من قضاء فيه مشقة وألم فيصبر على ذلك (218). وبالجملة فإن معاني الصبر تكاد تكون محصورة في الصبر على أداء الواجبات وترك المنهيات والرضى بالمقدورات وهو واضح في كلام الإمام عبد القادر الجيلي -رحمه الله (219).

6- الرضا: قال الإمام عبد القادر الجيلي :فاما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له وقضاء الله - عز وجل - خير من قضاء المرء لنفسه وما قضاه الله لك يا ابن آدم فيما تكره خير لك مما قضى الله عز وجل لك فيما تحب فاتق الله تعالى وأرض بقضائه قال تعالى: وعسى ان تكرهو شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شٌر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (البقرة، آية 216). يعني ما فيه صلاح دينكم ودنياكم فالله عز وجل خوى عن الخلق مصالحهم وكلفهم عبوديته من أداء الأوامر وانتهاء المناهي والتسليم في المقدرو والرضا بالقضاء فيما لهم وعليهم في الجملة واستاثر هو عز وجل بالعواقب والمصالح فينبغي للعبد أن يديم الطاعة لمولاه ويرضى بما

[215] البخاري رقم 1702 مسلم رقم 926.

[216] الغنية (195/2).

[217] المصدر نفسه (195/2).

[218] المصدر نفسه (195/2).

[219] الإمام عبد القادر الجيلي ص 625.

قسم الله له ولا يتهمه (220) وقال : وأعلم أن تعب كل واحد من الخلق على قدر منازعته للقدر والمقدور وموافقته لهواه وترك رضاه بالقضاء فكل من رضى بالقضاء استراح وكل من لم يرضى به طالت شقوته وتعبه ولا ينال من الدنيا إلاَّ بما قسم له (221).

7- الصدق : والأصل فيه عند الإمام عبد القادر الجيلي قوله عز وجل " يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " (التوبة ، آية : 119).وما روي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإيَّاكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً (222) .

والإمام عبد القادر يحدثنا عن صدقه في أحلك الظروف، فقد كان مثالاً للصدق منُذ شبابه وهذه القصة تبين مدى صدقه حيث قال : عندما استاذنت والدتي للسفر إلى بغداد طلباً للعلم، سلمتني أربعين ديناراً وخاطتها تحت إبط قميص وأوصتني بالصدق، وفي أثناء سفرنا خرج علينا ستون فارساً فاخذوا القافلة ولم يتعرض لي أحد فاجتازني أحدهم وقال لي : كم معك يا فقير؟ فقلت أربعون ديناراً فقال : وأين هي ؟ فقلت مخاطة في قميصي تحت إبطي. فظنني أستهزئ به فتركني وانصرف. ومرَّ بي آخر فقال لي : مثل ما قال الأول، فاجبته كما أجبت الأول فتركني وانصرف وتوافيا عند مُقَدَّمِهم فاخبراه بما سمعاه مني فقال : عليَّ به فاتِيَ بي إليه، وإذا هم على تَلٍّ يقتسمون أموال القافلة فقال لي : ما معك ؟ قلت أربعون ديناراً. فقال : وأين هي ؟ قلت مخاطة في قميصي تحت إبطي : فامر به فَفُتِقَ فوجد فيه الأربعين ديناراً فقال : ما حملك على الاعتراف ؟ قلت : إن أمي عاهدتني على الصدق وإني لا أخون عهدها. فبكى المقدم. وقال : أنت لم تَخُنْ عهد أمك وأنا لي كذا وكذا سنة أخون عهد ربي، فتاب على يديَّ فقال له أصحابه : أنت كنت مقدماً في قطع الطريق وأنت الآن مقدمنا في التوبة فتابوا كلهم على يدي وردوا على القافلة ما أخذوا منهم (223).

وللصدق عند الإمام عبد القادر الجيلي منزلة عالية فهو عماد الأمر وفي ذلك يقول : وأعلم بان الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة وهو قوله عز وجل : " ومن يطع

---

220 الغنية للجيلاني (197/2).

221 المصدر نفسه (197/2).

222 البخاري رقم 6094 مسلم رقم 2607 الإمام عبد القادر الجيلي ص 633.

223 الإمام عبد القادر الجيلي ص 64.

الله والرسـول فاولئـك مـع الـذين أنعـم الله علـيهم مـن النبـيين والصّـديقين والشـهداء والصـالحين وحسـن أولئك رفيقا " (النساء ، آية ك 69).

وقـد فـرّق الإمـام عبـد القـادر الجيلـي بـين الصـادق والصـديق بقولـه : والصـادق هـو الاسـم الـلازم مـن الصـدق والصـديق هـو المبالغـة منـه وهـو مـن تكـرر فيـه الصـدق فصـار دأبـه وسـجيته وصـار الصـدق غالبـه فالصـدق اسـتواء السـر والعلانيـة والصـادق هـو الـذي صـدق في أقوالـه والصـديق مـن صـدق في أقوالـه وجميع أفعاله وأحواله (224).

وهكـذا يتـبين اهتمـام الإمـام عبـد القـادر وتاكيـده علـى أهميـة التخلـق والاتصـاف بهـذه الصـفات الحميـدة التي تكسب العبد سعادة الدنيا وفلاح الآخرة (225).

ثامنـاً : تاسـيس الطريقـة القادريـة : تنتسـب الطريقـة القادريـة إلى الإمـام عبـد القـادر الجيلـي الـذي يعتـبر المؤسـس الأول لهـا خصوصـاً بشـكلها الجمـاعي والمـنظم والقـائم علـى جمـع المريـدين وربطهـم بمشـايخ الطريقـة لتـاديبهم وتـربيتهم، حيـث كـان التصـوف في السـابق يقـوم علـى أسـاس فـردي لا أثـر لـه للتجمـع فيـه، ولم يظهـر في شـكل مـنظم تحـت طريقـه واحـدة إلا في عهـد الإمـام عبـد القـادر الجيلـي والمتتبع لظهـور الطـرق الأخـرى يـرى أنهـا جميعهـا إنمـا ظهـرت بعـد الإمـام عبـد القـادر الجيلـي (226) ، والمطلـع علـى سـيرة الإمـام عبـد القـادر يـرى في توجيهاتـه ووصـاياه الـتي وصّـى بهـا أتباعـه الحـرص علـى التمسـك بالكتـاب والسـنة والالتـزام بـالأخلاق الحميـدة وفيمـا يلـي عـرض لأبـرز معـالم الجانـب النظـري لهـذه الطريقة :

1 - التاكيـد علـى التمسـك بالكتـاب والسـنة يقـول رحمـه الله وهـو يوجّـه وصـيته إلى ولـده عبـد الـرزاق : أوصـيك بتقـوى الله وطاعتـه ولـزوم الشـرع وحفـظ حـدوده، وتعلـم يـا ولـدي وفقنـا الله وإيـاك والمسـلمين أن طريقتنـا هـذه مبنيـة علـى الكتـاب والسـنة وسـلامة الصـدر وسـخاء اليـد وبـذل النـدى وكـف الجفـا وحمـل الأذى والصـفح عـن عثـرات الإخـوان (227)، ويقـول في موضـع آخـر : أدخـل الظلمـة بالمصـباح وهـو كتـاب الله وسـنة رسـوله صـلى الله عليـه وسـلم، فـإن خطـر خـاطر (228)، أوجَـد الهـام فاعرضـه علـى الكتـاب والسـنة، فـإن وجـدت فيهمـا تحـريم ذلـك مثـل أن تلـهم الزنـا والريـاء ومخالطـة أهـل الفسـق

[224] الغنية (200/2).
[225] الإمام عبد القادر الجيلي ص 634.
[226] المصدر نفسه ص 636، 637.
[227] الإمام عبد القادر الجيلي ص 639.
[228] الإمام عبد القادر الجيلي ص 640.

والفجور وغير ذلك من المعاصي فادفعه عنك وأهجره ولا تقبله ولا تعمل به واقطع بانه من الشيطان اللعين (229). ومن تركيز الإمام الجيلي على أهمية التمسك بالكتاب والسنة أن جعلهما المقياس في ربط العلاقات الشخصية بالآخرين بقوله : إذا وجدت في نفسك بغض شخص أو حبه فاعرضه على الكتاب والسنة ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (230).

2- خلو طريقته من الأفكار والفلسفات التي كانت سائدة في عصره نتيجة ترجمه المعارف اليونانية وتاثيرها على العقول والأفهام، حتى وقع في حبائلها كثير من المتصوفة فاستخدموا ألفاظها ومصطلحاتها مثل الهيولي (231) ، والعرض، والجوهر (232) .

3- تركيزه على الاهتمام بالجوانب العملية : وتجنب الإغراق في الأمور النظرية والمقدمات الجدلية العقيمة دليل ذلك ما طبقه في حياته وماربَّى عليه أتباعه وما وضعه من أصول لطريقته التي تعتمد على سبعة أصول هي : المجاهدة، التوكل، حسن الخلق، الشكر، الصدق، الرضا، الصبر (233) . وقد تحدثنا عن هذه الأصول بالتفصيل في مبحث المقامات والأحوال.

4- وضعه لمجموعة من الأداب والتعاليم التي يجب أن يتعامل بها المنتسب لطريقته سواء مع النفس أو مع الإمام أو مع الناس، وقد تكلمنا عن ذلك.

5- تاكيده على وجوب تعظيم أوامر الله سبحانه وامتثالها والبعد عن نواهيه واجتنابها والرضا باقدار الله والاستسلام لها يقول : رحمه الله : لابد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء أمر يمتثله ونهي يجتنبه وقدر يرضى به، فاقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة فينبغي أن يلزم همها قلبه، ويحدث بها نفسه ويؤاخذ الجوارح بها في سائر أحواله (234) .

وقد شرح ابن تيمية - كلام الإمام عبد القادر واستحسنه بقوله : هذا كلام شريف جامع يحتاج إليه كل أحد، وهو تفصيل لما يحتاج إليه العبد وهي مطابقة لقوله تعالى : " إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين " (يوسف، آية : 90) ولقوله تعالى : " وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً " (آل عمران، آية : 120) . ولقوله تعالى : " وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم

[229] فتوح الغيب الجيلي ص 640.

[230] الإمام عبد القادر الجيلي ص 640.

[231] الهيولي : لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة وهو جوهر في الجسم.

[232] الجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع وهو مختصر في خمسة أشياء هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل .

[233] الغنية للجيلاني (182/2).

[234] فتوح الغيب للجيلاني المقالة الأولى ص 6.

الأمـور "(آل عمـران ، آيـة : 186) فـإن التقـوى تتضـمن فعـل المـامور وتـرك المحظـور والصـبر يتضـمن الصـبر علـى المقـدور فالثلاثـة ترجـع إلى هـذين الأصـليين، والثلاثـة في الحقيقـة ترجـع إلى امتثـال الأمـر وهـو طاعـة الله ورسـوله وهـو أن يفعـل في ذلـك الوقت مـا أمـر بـه في ذلـك الوقـت وطاعـة الله ورسـوله هـي عبادتـه الـتي خلـق لهـا الجـن والإنـس كمـا قـال الله تعـالى : " ومـا خلقـت الجـن والإنـس إلا ليعبـدون " (الـذاريات ، آيـة : 56) وقـال تعـالى " يـا أيهـا النـاس اعبـدوا ربكـم الـذي خلقكـم والـذين مـن قـبلكم لعلكـم تتقـون " (البقـرة، الآيـة : 21). والرسـل كلـهم أمـروا قـومهم أن يعبـدوا الله ولا يشـركوا بـه شـيئاً وقـال تعـالى : " ولقـد بعثنـا في كـل أمـة رسـولاً أن أعبـدوا الله واجتنبـوا الطـاغوت فمـنهم مـن هـدى الله ومـنهم مـن حقـت عليـه الضـلالة فسـيروا في الأرض فـانظروا كيـف كـان عاقبـة المكـذبين " (النحـل، آيـة : 36). وقـال تعـالى : " وسـئل مـن أرسـلنا مـن قبلـك مـن رسـلنا أجعلنـا مـن دون الـرحمن ءالهـة يعبـدون " (الزخـرف، آيـة : 45) ثـم مضـى - رحمـه الله - في توجيـه كـلام الإمـام عبـد القـادر الجيلي وشرح مراده من تلك العبارات (235

تمثـل رؤيـة الإمـام عبـد القـادر للـنفس الإنسـانية، امتـداداً طبيعيـاً للرؤيـة الصـوفية السـابقة عليـه. فهـي عنـده أيضـا تمثـل مجموعـة الصـفات السـيئة الـتي يحملـها الإنسـان، بينمـا الـروح تمثـل الحسـنة منهـا، وهـو أيضـا يـرى أن لا وجـود لـنفس وروح مسـتقلة أحـداهما عـن الآخـرى، وإنمـا هنالـك ، فقـط ، حـاجز وهمـي يفصـل بينهمـا ، فـالنفس فيمـا لـو صـفت وتخلصـت مـن الصـفات الرديئـة، فانهـا سـتؤول حتمـاً إلى إن تكون روحاً صافية خالية من الصفات الذميمة.

الـنفس إذن تُعـدُّ عنـد الإمـام عبـد القـادر، خصـماً للإنسـان وغريمـاً، وهـو يحـذّر ميرديـه منهـا، بكونهـا خدّاعـة مـاكرة مراوغـة، تظهـر خـلاف مـا تـبطن وتـدعو إلى عكـس مـا تريـد(1) ولـذا فـان العلاقـة معهـا - أي علاقـة الإنسـان مـع نفسـه-(2) لا بـد مـن إن تكـون علاقـة تـربص وعـداء ، يصـل إلى حـدّ التشـفي منهـا، فيمـا لـو لحـق بهـا أذى أو أصـابها ضـرّ، إنهـا تشـكل ثانيـة العقبـتين اللـتين تحـولان بـين العبـد وبـين

[235] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (456/10).

(1) الجيلي - جلاء الخاطر من كلام الإمام عبد القادر الجيلي - ص41.

(2) على الضدّ من الفلاسفة ، يرى الصوفية ان الإنسان يتكون من وحدات متعددة، يعمل احدها بشكل مستقل عن الآخر، وانه يمكن التحكم ببعضها دون الآخر، وايضاً تسليط بعضها على بعضها الآخر وكان الصورة تبدو امامنا كعملية فصل للسلطات ، اذ يفصل الإنسان بين كل من نفسه وعقله وقلبه مما يتيح له مجالاً اوسع للتعامل مع ذاته فالإنسان لا يؤخذ كله ولا يترك كله، اذ ان فيه اجزاء بيضاء واجزاء سوداء، وانه يمكن الاستعانة بتلك على تلك.

نجاتـه، فإمـا الأولى منهمـا فهـي الـدنيا. وأمـا إذا قطـع العبـد هـاتين العقبـتين فانـه سـيكون حتمـاً قريبـاً مـن ربه وبعيداً عن مكامن الخطر.

وقبـل إن نسترسـل مـع وصـف الإمـام عبـد القـادر للـنفس الإنسـانية، لا بـدّ مـن إن نشـير إلى إن الحـديث عـن الـنفس بوجههـا الكـالح، ينطبـق عنـده ، فقـط ، علـى المرتبـة الأولى أو الـدنيا مـن مراتبهـا، وهـي الـتي اصـطلح الصـوفية علـى تسـميتها بـ (الـنفس الأمّـارة بالسـوء) وهـي قرينـة السـوء الـتي لا تـامر صـاحبها إلا بإتيـان الشـرور والمنكـرات ، والـتي لا يمكـن إن يـتخلص الشـخص مـن أذاهـا، إلا إذا تخطاهـا إلى المرتبـة الـتي تليهـا وحتـى آخـر مراتبهـا وهـي (الـنفس الكاملـة) ، عنـدها سـوف تـتخلص هـذه الـنفس من الدور الشائن الذي تقمصته، وثم فانها لن تعود ذلك الخصم المعاند أو العدو اللدود .

الفرق بين النفس والروح

ويمكننـا إن نلاحـظ هنـا، إن الإمـام عبـد القـادر ، كـان اكثـر وضـوحاً مـن سـابقيه في ترسـيم الحـدود بـين الـنفس والـروح ، وهـذا إشـكال واجهـه الكـثير مـن المفكـرين المسـلمين، إذ ورد ذكـر الإنسـان في القـران الكـريم ، مقرونـاً بـالنفس مـرةً وبـالروح آخـرى، فانقسـم النـاس بحسـب ذلـك علـى مـذاهب، فمـنهم مـن اقـرّ بوجـود الاثـنين معـاً ومـنهم مـن قـال بوجـود الـنفس دون الـروح، ومـنهم مـن عـدّ الـنفس خاصـة بالـدنيا وهـي تفنـى بعـد المـوت وأمـا الـروح فانهـا تخـص الآخـرة وهـي تبقـى خالـدة بعـد فنـاء الجسـد، وغـير ذلـك مـن المـذاهب. الإمـام عبـد القـادر، واجـه هـذا الاشـكال ، مـن جهتـه ، بحـلٍ ممتـاز، فهـو يتحـدث عـن الـنفس فقـط وهـذه الـنفس كلمـا ارتقـت إلى مرتبـة أعلـى ، اكتسـبت اسمـاً جديـدأ ، واكتسـت بخصـال وصـفات، هـي حتمـاً، احسـن مـن سـابقاتها، فـاذا كانـت الـنفس في مرتبتهـا الأولى تسـمى بـالنفس الأمّـارة بالسـوء، فانهـا بعـد ذلـك يمكـن إن تسـمى بـالروح أو بالسّـر، علـى إن الانتقـال مـن مرتبـة إلى مرتبة آخرى لا يتم إلا عبر متابعة مفردات السلوك الصوفي.

النفس عدوة الله

الـنفس، اذن ، بوجههـا الأول، هـي ضـدّ الله تعـالى وعدوتـه، نعـم انهـا خاضـعة لحكمـه وقضـائه، وهـي لـه خلقـاً وملكـاً ، ولكـن ذلـك لا يمنـع كونهـا مشـتملة علـى شـرور كـثيرة تـدفعها إلى تقمـص هـذا الـدور السـلبي، ولكـن ، يؤكـد الإمـام عبـد القـادر ، ان الـنفس عـاجزة عـن اتيـان مـا تشـتهي ومـا تريـد، حتـى يوافقهـا الإنسـان علـى ذلـك ويلابسـها ويطيعهـا، فـان فعـل معهـا ذلـك، كانـت صـاحبة إدّعـاء وتمـنٍ

وشهوة، وأمّا ان خالفها وناهزها العداء، بموافقته لربه، فانه سيكون عندئذٍ ، خصماً امام ربه على نفسه.(1) .

وهنا يظهر لنا الإمام عبد القادر ، مكمن التكليف وموضع الحرية في الوجود الإنساني فعوامل الشرّ الكامنة في هذا الوجود، ما هي في حقيقتها الا عوامل سلبية غير فعالة، وعاجزة عن اتيان أي فعل من تلقائها، وانما هي تفعل ما تفعله ، فقط، في حالة انصياع بقية قوى الإنسان لها . ان الإنسان ، في حقيقته ، محمّل بجميع الامكانات خيرها وشرها، وما عليه الا ان يرجّح احدها على الآخر، فإن رجح اعمال الخير، كانت اعماله هو، واستحق عليها الثواب وان رجّح اعمال الشر ، كانت اعماله هو ايضاً واستحق عليها العقاب.

يرى الإمام عبد القادر، إن النفس الأمّارة بالسوء، ما كانت كذلك إلا لجهلها، ولذلك فهي تحتاج إلى تعليم، إنها سيئة الأدب وتحتاج إلى تاديب، إنها- لجهلها- لا تفرق بين الداء والدواء أو بين الحلال والحرام، أو بين ما يصلح وما يفسد، وهي فوق ذلك تواجه الآخرين بالكبر والغضب والاحتقار. إنها، قبل إن يباشرها الإنسان بالمجاهدات، (فرعونة) طاغية، مهرة غير أمنة غير مروضة غير معلمة، وهي لا تفتا تنازع ربها، لأنها مصنوعة من الكبر والعظمة، ولأجل ذلك ولصعوبة وخطورة موقف العبد الذي يبغي النجاة، فان الإمام عبد القادر، ينصح بضرورة تسليم الإنسان نفسه، بيد رائض الأيمان- أي الإمام الصوفي العارف – كي تتعلم وتتادب وتطمئن، فان اطمانت تواضعت وذلت وحسن خلقها وعرفت قدرها واحتملت غيرها، وسعت بعد ذلك إلى عمل الخير والصلاح وهو المطلوب منها.(1)

التصوف وسيلة لإصلاح النفس

إذن فالسلوك الصوفي، كما يرى الإمام عبد القادر، هو الوسيلة الوحيدة لتحصيل المعرفة الحقيقة معرفة الإنسان لنفسه ومعرفته لربه، وعن هذه المعرفة تصدر الآداب وتُستحصل المراتب وتُنال الدرجات، ولكن هذه المعرفة ليست يسيرة المنال، ولا ممكنة التحصيل بالاعتماد على الذات وحدها، بل لابد لها من معونة خارجية، وهذه المعونة يجسدها الإمام المرشد الذي اختص بطبّ النفوس وتمرس بسياستها، وتجسدها أيضا الرسالات السماوية التي علمت الإنسان أصول الحق والحكمة والفضيلة. هذه النفس الأمّارة بالسوء، لا يمكن إن يرخى لها العنان، إذ لا بد من إن

---

(1) الجيلي - رسالة في التصوف- مخطوطة- دار صدام للمخطوطات- تحت رقم- (11042).

(1) الجيلي - جلاء الخاطر من كلام الإمام عبد القادر الجيلي - ص39.

تستاس وتُقتاد وتحجب عنها الرؤيا، حتى لا تنظر إلى ما حولها، فيكون نظرها هذا سبباً لهلاكها. إنها لا بد من إن تكون تابعة لغيرها، لمن هو أعلى درجة واقرب إلى ربه منها، أي القلب ثم من بعد القلب السرّ الذي هو أعلى درجة من القلب، فان أطاعتهما النفس وتبعتهما، ولم تخرج لهما عن رأي واتحدت معهما، عندئذٍ لا تعود تفترق معهما في المطلوب أو في المقصود، فتصير حينئذٍ تامر بما يامران به وتنهى عما ينهيان عنه وتختار ما يختارانه، وحينئذ فقط، تصير نفساً مطمئنة.(2)

ومما سبق ، يمكننا إن نستنتج : إن طاعة النفس للقلب والسر، تمثل الخطوة الأكثر أهمية في السلوك الصوفي بوجه عام، فهي تجسيد أولي لحالة الفناء الصوفي التي يطمح كل مريد إلى بلوغها، فالنفس بطاعتها القلب يعني إتباعها لأوامره، التي هي أوامر تتفق ومبادئ الشريعة والحقيقة، وهذا الأتباع سيخلصها حتماً من كثير مما علق بها من معّاص وآثام، فهي إذن حالة فناء موضعية تحدث داخل الإنسان، فتبدل محل طباعه السيئة طباعاً حسنة، وهذا ما ينسجم وتعريف الإمام عبد القادر للفناء الذي هو: ((إفناء الصفات الذميمة المغروسة في نفس الإنسان واستبدالها بصفات جيدة))(1) وهو تعريف أخلاقي بحت سياتي تفصيل الكلام فيه في موضع لاحق من هذا البحث.

إن الاهتمام الملفت للنظر، الذي يوليه الإمام عبد القادر لموضوع النفس، والذي نراه واضحاً في أكثر كتبه الصوفية، متاتٍ من اعتقاده الجازم – وهو اعتقاد ملازم للسلوك الصوفي بوجه عام – بان السيطرة على نوازع النفس، يعني فيما يعنيه، إلغاء نصف المسافة التي تفصل بين المريد السالك و نيل مراده الأوحد، الذي هو بلوغ أعلى درجات القرب والوصول إلى حضرة (ملك الملوك)، تلك المسافة التي يقدرها الإمام عبد القادر، تهويناً، بـ (قدمين)، فقدم تقطع به الدنيا والقدم الآخر تقطع به نفسك، ثم ((ها أنت وربك))(2)

هكذا بكل بساطة في القول والادعاء وبكل صعوبة في الفعل والسلوك، تلك الصعوبة التي حدت بالإمام عبد القادر، إلى إن يضع(قطع) المريد السالك لنفسه في الكفة المقابلة لكفة قطعه للدنيا، بكل أهوالها وبلاياها وأحلامها ومغرياتها.

إن (قطع) المريد السالك لنفسه، لا يعني التخلص منها بخلعها وإلقائها جانباً، ولا يعني تخطيها وهي باقية على ما هي عليه، فذلك لا يكون، لان النفس الإنسانية، بكل تفاصيلها غير المرغوب

---

(2) الجيلي - الفتح الرباني والفيض الرحماني- ص230.

(1) الجيلي - سير السلوك إلى ملك الملوك- مخطوطة- دار صدام للمخطوطات تحت الرقم (9166).

(2) الشطنوفي- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار-ص44.

فيها، ما هي في حقيقتها إلا جزء من التكوين الإنساني، إنها الطبيعة البشرية التي يستحيل الفكاك عنها أو تخطيها بشكل نهائي، إن الذي يحصل، من جرّاء السلوك الصوفي والمجاهدات والرياضيات، هو: تغيير النفس الإنسانية وتحويلها من حالة إلى حالة أخرى، بحيث تبدو وكانها بدلت خلقاً آخر وكانها قُدت من معدن جديد، هو، ضرورةً، اثمن وأجود من سابقه، لا بل إن ثمنه لا يقارن بسابقه، إذ إن النفس معه، تكون قد خرجت منها روح وجودها، وهي روح الأنانية والكبر والطمع، ودبَّ فيها بدلاً من ذلك، روح الطمانينة والصفاء فاصبحت، حينئذ، مهياة لأن ترى، هي والقلب والسّر، ربها عز وجل، رؤية ذوق ومعنى، وهذه الروّية وهذا التجانس، لم يتحققا للنفس، إلا بعد إن خضعت وأخاعت ربها فآخمآنت، فنفخ فيها ربها، روحاً غير الروح الأولى، إنها ((روح الربوبية روح العقل، روح الزهد في الخلق، روح الوجود بالحق عز وجل، روح الطمانينة إليه والنفور من غيره)). إن السلوك الصوفي على وفق هذا المنظور، يحتاج إلى قطبين: العبد من جهة والرب

من الجهة الآخرى، العبد يسعى إلى إعداد أرض نفسه وتنقيتها وتهيئتها للغرس الجديد، والربّ يدركه بغيث لطفه، فيحيلها من بلقاء إلى خضراء لا تثمر إلا كل خيب مفيد. إن الإمام عبد القادر بوضعه هذه (المعادلة)، يبدو كانه قد حلّ إشكالية التوفيق بين سابق العناية الإلهية وسعي العبد وكسبه، فالعبد دون عناية ربه، لا يمكنه إن يرتقي ويفلح في السلوك، وكذلك فان الذي ينتظر مدد ربه من دون إن يعمل له عمله ويسعى له سعيه، فهو بلا شك، خويل الأمل.

كيفية تغيير النفس

إن كل تغيير ايجابي، يطرأ على نفس المريد، لا يتم إلا بعد إن يفارق إياه(1) أي يفارق نفسه بالمخالفات والمجاهدات، وان يتطارش عن أجابتها لما تميل إليه من الشهوات واللذات وأنواع المطلوبات. إن الهبات الروحانية، الإلهية المصدر، لا تنال، أبدا، بالتمني والادّعاء وترديد كلام أهل الطريق وحفظ حكاياتهم، وإنما تُنال بالعمل المتواصل والجهاد والجوع والسهر، والمحاباة والمعاداة - مجابات الخير وأهله ومعاداة الشر وأهله- فلا يُحسب المريد أبدا في زمرة الروحانيين ما لم يعادِ جملته ويباين جميع الجوارح وينفرد عن وجوده وحركاته وسمعه وبصره وعلمه وعقله.(2) وجميع

(1) التونسي- رياض البساتين في اخبار الإمام عبد القادر الجيلي- ص88.

(2) مباينة العلم والعقل ، لا تعني دعوة الإمام عبد القادر إلى تعطيلهما أو الغائهما، لان ذلك لو فهم من العبارة فانه يعني ايضاً الغاء السمع والبصر وتعطيل جميع الحواس. ان ما يعنيه الإمام عبد القادر من هذه العبارة هو: ان لا يشكل العلم والعقل حجاباً يحول بين المريد السالك و نيل مبتغاه، ولذا فانه يعمد إلى توجيههما الوجه الصحيحة بان يجعل منهما تبعاً للقلب، لا ان يكون القلب تبعاً لهما فيحجباه ويؤخراه. ان القلب هو اداة المعرفة الأولى عند الصوفية، واما المعرفة اللدنية فهي المعرفة التي يسعى الصوفي اولاً إلى

مـا كـان منـه قبـل وجـود الـروح فيـه، (3) وجميـع مـا أوجـد بعـد نفـخ الـروح فيـه لأن جميـع ذلـك يشـكل حجاباً يحجـب الإنسـان عـن ربـه، فـإذا تجـاوز ذلـك، وعقـد العـزم علـى هـذا التغـيير، فانـه سيصـير روحـاً فريـدة، سـرّ السـرّ، غيـب الغيـب، فيبـاين الأشـياء في سـره، عـاداً الكـل عقبـةً وحجابـاً وظلمـة، حينئـذٍ فقط، يصل إلى أقصى ما يمكن إن يصل إليه إنسان من الصفاء والنقاء

والوجـود السـامي الـذي يحـاكي وجـود الملائكـة المقـربين. فيـؤتمن علـى الأسـرار الروحيـة والعلـوم الربانيـة، ثـم يُـردّ إليـه التكـوين وخـرق العـادات.(1) وكانـه قـد بعـث بعـد المـوت ووجـد في الآخـرة، لما سـيعهده في نفسـه مـن القـدرات الخارقـة والصـفات السـامية والنقـاء الـذي لا تغـيير لـه، وكـل ذلـك يعزيـه الإمـام عبـد القـادر إلى: إن المريـد في هـذه الحالـة سـيكون بكليتـه ومجموعـة قـدرة ربانيـة، فيسـمع بـالله ويبصـر بـالله وينطـق بـالله ويـبطش بـالله، ويفعـل كـل أفعالـه بـالله، وفي الوقـت نفسـه يعمـى عمـن سـواه فـلا يـرى لغـيرة تعـالى وجـوداً، علـى إن كـل ذلـك يتقيـد عنـد الإمـام عبـد القـادر، بشـرط حفـظ الحـدود والالتـزام بـالأوامر والنـواهي.(2) وهـو الشـرط الـذي يؤكـده دائمـاً، بحيـث إن خرقـه أو عـدم التمسـك بـه يلغـي الهـدف مـن السـلوك الصـوفي برمتـه، فالصـوفي السـالك، مهمـا بلـغ مـن الـدرجات الروحيـة العاليـة ومهمـا ظهـر عليـه مـن الكرامـات البينـة والقـدرات الخارقـة، وانحـزم معهـا عنـده شـيء مـن الحـدود فلـيعلم انـه مفتـون ممكـور بـه. وليعمـل، إن كـان صـادقاً، علـى إعـادة قيـاس أفعالـه، علـى وفـق تلـك الحـدود. إن الإمـام عبـد القـادر باحكامـه لهـذه العبـارة، لم يـترك المجـال، لأي دخيـل، بـان يـدّعي القـرب مـن الله تعـالى ، وهـو مخـالف أو حتـى متكاسـل عـن إتيـان شـروط الشـرع، فـلا تصـوف خـارج حـدود الله تعـالى ولا وصول بغير أجنحة الشريعة.

التوحيد غاية مجاهدة النفس

إن الغايـة الحقيقيـة، عنـد الإمـام عبـد القـادر، مـن مجاهـدة الـنفس، أو مـن السـلوك الصـوفي بوجـه عـام تكمـن في بلـوغ العبـد مرتبـة التوحيـد الحـق، والتوحيـد الحـق عنـده يعـني تلـك العلاقـة الاسـتثنائية والفائقـة الـتي تـربط العبـد بربـه، بربـاط تحكمـه موازنـة خردية دقيقـة تجمـع بـين عبوديـة العبـد وألوهيـة

تحصيلها، معتمداً على حدسه ودرجة صفاء نفسه، ولذا فلا دور للعلم ولاعقل في هذه المرحلة، وانما ياتي دورهما في مرحلة آخرى أي في مرحلة تحصيل العلوم الشرعية والفقهية، وهي مرحلة سابقة على السلوك الصوفي.

[3] عبارة الإمام عبد القادر هذه، لا تعني اعتقاده بوجود حياة سابقة على هذه الحياة الارضية كتلك التي تؤمن بها بعض الطوائف البوذية، وانما هي تدّل على نفخ الروح التي تاتي بديلاً عن النفس، بحيث ان الإنسان، في معية نفسه الأولى، يبدو كانه ميتاً، فيحييه الله تعالى بهذه الروح النبيلة.

[1] التونسي- رياض البساتين في اخبار الإمام عبد القادر- ص87.

[2] التونسي- المصدر نفسه- ص88.

المعبود فكلما ازداد إحساس العبد بثقل عبوديته من جهة، ازداد إحساسه بعظمة ألوهية خالقه من الجهة الآخرى، وهذا الإحساس يتعزز، حصراً، عن طريق تكريس فعاليات العبودية التي أقرتها الشريعة وهذا التكريس يتعزز أكثر كلما عمل العبد على التخلي عن حظوظ نفسه وسحق وازع الأنانية فيها، وكبح جماح شهواتها ونزوعها المستمر نحو مباشرة لذائذها التي لا تزيدها- في حالة الانغماس فيها- إلا غفلةً وانقطاعاً عن الإحساس بعظمة خالقها وعن الشعور بفقرها تجاهه وحاجتها المستمرة إليه، فإذا كانت عقيدة التوحيد تمثل جوهر الدين الإسلامي، وهي يمكن إن لا يترتب عليها أي عمل أو سلوك روحي، فان التوحيد الحق، يمثل عند الإمام عبد القادر، مرتبة روحية لا ينالها العبد إلا بعد جهد مضنٍ وأعمال شاقة، ويمكن فهم ذلك من خلال زاوية تاكيد الصوفية المستمر على النظر إلى معاني الأمور وفحواها، وعدم حصر النظر إلى المظاهر والحركات، فكما انه يمكن فهم معنىً للصوم هو فوق الجوع والعطش، فكذلك يمكن إن يكون للتوحيد معانٍ هي أكثر عمقاً من الإقرار باللسان والالتزام بالشرائع.

إن التوحيد الحق، هو الذي يجسد حقيقة وجود الإنسان، وليس شيئاً غيره، فالإنسان ما خلق إلا ليعبد ربه، ولا يمكنه إن يعبده بعبادةٍ هي اصحّ واقرب من هذا التوحيد الذي إذا ما بلغه المريد وتحقق به من غير تلفت ولا نظر إلى مخلوق قط، فانه سيتشرب في جميع جوارح الجسم وأفاق النفس وفضاء القلب وعمق السرّ، وسيقلب كيان العبد رأسا على عقب، يقلبه خلقاً آخر، خلقاً جديداً وعجيباً، ولا عجب، فالإنسان لا ياتيه شيء من خارج نفسه، لأنه هو في ذاته، مستودع الأسرار الإلهية ومكمن العلوم اللدنية، وموضع النبوّة، وصفّي الخلافة(1)

هذا الكائن المميز الذي أشتمل خلقه على اغرب الحكم، وأودع فيه الصانع اثمن المعادن الروحية وأعظم الكنوز القلبية، والذي أشتمل كيانه على غرائب أسرار الغيب وجوامع أصناف العلم الرباني، والذي حمل ثقل الأمانة التي كلّت الجبال عن حملها، والذي علّمَ الملائكة ما لم يكونوا يعلمون. ولا ندري، بعد هذا الوصف، هل إن نور التوحيد الحق هو الذي يقلب كيان الإنسان العادي، فيعيده إلى سيرته الأولى قبل إن يهبط إلى الأرض، أم إن ذلك هو من فعل السلوك الصوفي فيه أم من تاثير الزهد في الدنيا والإقبال على الله تعالى ، أم من تاثير المداومة على الذكر والعبادة ولزم حدود الشرع، أم إن كل هذه العوامل، ما هي في حقيقتها، إلا أوجه متعددة لعملة واحدة، معدنها الإنسان الحقيقي النوراني الصوفي الزاهد في الدنيا والذاكر لربه والموّحد بقلبه وعقله ولسانه وكل جوارحه.

(1) استناداً لقوله تعالى: " واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة " البقرة- ص 30.

مخالفة النفس

يشكل اتفاق جميع الصوفية، وبكل ألازمان، وبمختلف مشاربهم ومذاهبهم، على قاعدة (مخالفة النفس)، دليلاً واضحاً وأكيدا على ما لهذه (القاعدة) من أهمية كبيرة في تحقيق الفعل الصوفي

وفي إنجاح المناهج الصوفية العملية التي وضعها كبار مؤسسي الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، من الذين دأبوا، ومنذ باكورة تنظيراتهم الصوفية على دراسة حالات النفس الإنسانية دراسة دقيقة ومتانية، معتمدين في ذلك على وسائل التامل الباطني والاستبطان والمراقبة الذاتية تلك الوسائل التي أصبحت فيما بعد، مناهج علمية يعتمدها علماء النفس المعاصرون. إن الإمام العارف، في الطرق الصوفية، مثلاً، يؤدّي دوراً مباشراً وفعّالاً، في معرفة آفات وعيوب وإمراض نفوس مريديه، فيصف لها ما يلائمها من الأدواء المتمثلة بانواع المجاهدات والرياضيات والأوراد والأذكار، بغية تصفيتها وتطهيرها وتزكيتها، وثم التقليل من تعلقها بالجسد لأجل إخلاقها، بعد ذلك في عالم الروح والولاية.

هذه القاعدة نفسها- أي قاعدة مخالفة النفس- يتخذها الإمام عبد القادر، أساسا لبناءاته الصوفية النظرية ومساراً لمناهجه الصوفية العملية، وهو يرى إضافة إلى ما سبق: إن ماهية وفحوى العبادات التي أمرت بها الشرائع السماوية، تتلخص في مخالفة العبد لنفسه وهواه.(1)

فالإنسان مهما بذل من جهد وشمَّر عن ساعدي الجدّ وبالغ في عبادته لربه، من غير ما معالجة لهوى نفسه ومكافحة لنزواتها، فان تلك العبادة قد تعطيه مفعولاً معاكساً، فتنقلب وبالاً عليه وتورثه الكبر والعجب وتولد لديه الشعور بالمنة على الخالق والشعور بالتفوق على بقية العباد، فيقسو عندها قلبه وتنتفخ نفسه، وقد يبلغ بها ذلك حدّ الانفجار الذي هو موت القلب المؤدي إلى التهلكة. لذلك كان لابد أولا، من مبادرة الإنسان صوب نفسه، وسعيه إلى تاديبها ومحاولته لتزكيتها وتصفيتها فالتصوف ما سمي تصوفاً في تعريف الإمام عبد القادر له، إلا لأنه فعل تصفية للنفوس وتجلية للقلوب(2) وان القلب لا يتم جلاؤه حتى تتم تصفية النفس أولا عن خريق تاديبها وترويضها فتصير عندئذٍ مثل كلب أهل الكهف، رابضة بلا حراك، على باب الرحمة وتُنادي: (يا

---

(1) الجيلي - رسالة في التصوف- مخطوطة- دار صدام للمخطوطات تحت رقم (11042).

(2) يُعدّ بشر الحافي(ت-227هـ) اول من قال بهذا التعريف، فالصوفي عنده هو: من صفا قلبه لله تعالى- انظر- الكلاباذي-التعرف لمذاهب اهل التصوف-ص5. على ان هذا التعريف ينسجم تماماً ونظرية الإمام عبد القادر الصوفية التي ان الفعل الصوفي ما هو في حقيقته الا فعل تصفية وتطهير وتخلص من مذمومات الاخلاق والصفات وتحلٍ بالمحمودات منها.

أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك)(3) ((فحينئذٍ يدخل القلب إلى الحضرة ويصير كعبة لنظرات الربّ، ويكشف عن جلال الملِك وكمال الملك، ويستوخن خيمة القرب، ويغرس في جوار الملك، وتظهر نجابته وتسلم إليه وراثته، ويسمع النداء من الرفيق الأعلى: يا عبدي كن عندي، أنت لي وانا لك، فإذا خالت صحبته، صار بطانة للملك وخليفته على رعيته، وغمينه على أسراره، وأرسله إلى البحر لينقذ الغرقى وإلى ابرّ ليهدي الضال، فان مرَّ على ميتٍ أحياه أو على عاصٍ ذكره أو على بعيدٍ قرّبه أو على شقّي أسعده)).(4) وكما نلاحظ، فان الإمام عبد القادر، يسمح، بين الحين والآخر لنصوصه، بان تسترسل فتفصح عن مخبآت ومكامن هي حتماً مما لا يرضى عنه الفقهاء، بينما هو عرف بحرصه الشديد على حفظ المقاربة معهم. ولعله في ذلك كان محكوماً بمقدماته الصوفية التي لا محيص عنها، فهنا مثلاً تمثل إمامنا صورة الإنسان الرباني الفائق، الكلي القدرة، الذي اخلص في نيته في إنقاذ نفسه، وصبر لأجل ذلك وقاسى أصناف الآلام والأهوال، وحين ظفر بمراده صار هو المنقذ والمغيث لغيره، فلقد اخذ الخلافة من الله تعالى على عباده وهي الخلافة العظمى التي لا تكون في هذه الأرض إلا لواحدٍ من البشر.

ان تاكيد الإمام عبد القادر على: ان تنقية معدن النفس وتصفية مادتها، من العلائق الدنيوية والأوهام والأمراض، يجب ان يكون هو المنطلق الأول للرقي الروحي، متاتٍ من اعتقاده بان النفس هي الأمينة على الجوارح، فاذا ما انحرفت فقد أهلكت معها الكل، وأما إذا استقامت وصفت واخمانت، عندها سيسلم اليها مهمة حفظ الجوارح، لأجل إن يتفرغ القلب بعد ذلك للسفر إلى الحق عز وجل ويطلب ما عنده(1) ويتقرب اليه ويتنور بنوره، وان كل ما يجنيه القلب من هذه الرحلة فانه ضرورةً سيفيض من فضله على النفس ومن النفس على الجوارح، فيصفو الكل ويتنور الكل وتحصل النجاة الدائمة. إذن فالتصوف عند الإمام عبد القادر، هو حصراً تصوف القلوب وكذلك الوصول، هو وصل القلب، وأما النفس فهي في بداية أمرها تشكل عقبة في الطريق، فإذا ما تجاوزها الإنسان صحت رحلته إلى ربه وأما إن فشل في ذلك، فلا خريق ولا وصل ولا تصوف.

أطوار النفس

(3) الفجر /27.

(4) الشطنوفي- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار- ص78.

(1) الجيلي - الفتح الرباني والفيض الرحماني- ص245.

من النفس المطَوعة المروَّضة، فقط، يكون انطلاق المريد نحو هدفه، فهي التي يعمل عليها اولاً ويتعهدها بالشدة والصبر والمكابدة، حتى تصفو وتطمئن وتتنور، فتكون له عندها، كالنجم الذي يهتدي به السائرون وسط ظلمة الليل، واما السرّ، فان الإمام عبد القادر، يشبهه، بعد الصفاء بالشمس الساطعة وليست الشمس كالقمر وليس القمر كالنجوم، ومن غير نور الشمس لا يكون نهار ولا رؤية يقينية، فهي مراتب اذن، والصدارة فيها تكون للسر، وفي تشبيه آخر، فان السرّ، هو الملك المتربع على عرش مملكة الإنسان وامّا القلب فهو وزيره واما النفس واللسان وبقية الحواس والجوارح، فهي خدم بين ايديهما.(2)لا تملك الا الطاعة والخضوع لهما، ولكي لا نستغرب وصف الإمام عبد القادر، للنفس، هنا بالطاعة والخضوع، فاننا نودّ ان نذّكر بان مجرد سطوع شمس السرّ داخل الإنسان، بعد جلاء نور القلب، يدلّ على تغيير معدن النفس، ضرورةً، فلولا ذلك التغيير، لما وصل الإنسان، إلى هذا الترقي الروحي.

معارف النفس

على أساس هذا التقسيم (الطبقي) لعناصر الإنسان، يقسم الإمام عبد القادر، معارف البشر على ثلاثة أصناف وهي: الحكمة والعلم والمعرفة، وهذه المعارف تتدرج رقياً وبالتتابع، فنجم الحكمة أولا، وهي مما يتعلق بامور النفس والدنيا، وهي معرفة ظنية يبلغ الشك فيها مستوىً أعلى من مستوى اليقين، ويسميها الإمام عبد القادر بـ ((مظنّة التهمة))(1)

ولعل مردّ هذا التدني في درجة اليقين، يعود إلى اعتماد هذه (الحكمة) على الحواس، مصادر للمعرفة، والحواس، كما هو معروف لا تتعامل إلا مع الأشياء المادية، وهذه لا تملك من الوجود، عند الصوفية، إلا المرتبة الثانية بعد الروح. بعد هذه (الحكمة) ياتي دور قمر العلم، وهذا الشق من المعارف الإنسانية، متعلق بامور الآخرة، وهو من اختصاص القلب، والمعرفة فيه تكون مصطبغة بصبغة الشبه، أي انه يستوي فيها الشك مع اليقين، وأما مقام القلب هنا، فهو مقام الشبه أيضا، وذلك لتوزعه بين وجهين، فوجه ينظر صوب النفس، فيورثه هذا النظر، العلم الظني، أي الشك،

---

(2) الجيلي - الفتح الرباني والفيض الرحماني-ص223. ويمكننا ان نلاحظ هنا، عدم تاكيد الإمام عبد القادر على ذكر العقل من بين مصادر المعرفة أو مصادر (القرار) وذلك لاعتقاده، بان العقل ما هو في حقيقته، الا أداة محايدة، تميل إلى الخير أو الشر، حسب الآمر الذي يتامر عليه، سواء أكان هذا الأمر نفساً خائشة أو روحاً⟵ ⟶قدسية، فالعقل، وفق هذا التصور يعّد مطية للخير والشر على حدّ السواء، ولتاكيد هذا الرأي انظر: الشطنوفي - بهجة الأسرار ومعدن الأنوار- ص67.

(1) الشطنوفي- المصدر نفسه- ص77.

ووجه ينظر به صوب السرّ، فيورثه هذا النظر المعرفة اليقينية. أخيرا تاتي مرتبة المعرفة، وهي تاج السرّ، وشمس المعرف، وهي مما ينظر به إلى المولى عز وجل(2) ، إنها من صنف اليقين الخالص، (عين اليقين)، الذي لا يتطرق إليه الشك من قريب أو من بعيد، وأما وسيلتها، فالحدس الفائق مضافاً إليه فيض المواهب الإلهية أو ما يسمى بـ (المعارف اللدنية). هذه المعرفة، لا تجنى إلا بعد صفاء السرّ، فإذا صفا السرّ أتت منه العجائب مما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر ببال بشر، حيث عالم الملكوت الأعلى، عالم القدس والخلود والقرب الأبدي.

السلوك الصوفي، اذن، على وفق هذا التشبيه، يمكن عدّه وسيلة من وسائل المعرفة البشرية وليست اية معرفة، بل المعرفة اليقينية التي تعتمد على الذوق والمشاهدة. وهذه المعرفة لا تُنال دفعة واحدة، بل لا بدّ من ان تتدرج صعوداً، ابتداءاً من المعلومات الظنية التي تعتمد على الحدس والاستدلال والاستقراء، وهي مما ينظوي تحتها العلوم الدنيوية، بما فيها العلوم الشرعية، ثم بعدها في المرتبة، تاتي (العلوم) وهي مما يتعلق بالأمور الغيبية، وهذه تحتاج إلى أسس عقلية وحجج وبراهين، ولكنها تعتمد أساساً على التصديق القلبي بالأمور الغيبية والأيمان بها، الذي هو أساساً من عمل القلوب والسرائر. أما المعارف، وهي المرتبة الأخيرة، فانها تتجاوز كل ذلك داخلةً بصورة مباشرة إلى عالم اليقين الذي لا يتطرق إليه شك أو حتى اشتباه، وكون المعرفة لدنية، أي إنها ربانية المصدر، ولكن كونها تاتي من خارج نطاق مدارك الإنسان فان ذلك لا يلغي دور الإرادة الإنسانية في تحصيلها، فالعبد الذي لم يهيئ وعاء قلبه لاستدراج فيضها، لا يمكن ان ينال منها قبساً واحداً، لا بل إنها تُعدّ من أصعب المعارف على الإخلاق، لأنها تحتاج إلى جهد ومثابرة عظيمين .

مما سبق ، يمكننا ان نفسّر مقولة الإمام عبد القادر: ((ان السير إلى الله عز وجل – يكون- على قدر نور المعرفة))(1) أي نور المعرفة بالنفس أولا ثم نور المعرفة به تعالى ، وبغير ذلك لا يتحقق وصول ولا يستحصل قرب، ثم إن هذه المعرفة ، كما تفصح العبارة تقع على درجات، وان هذه الدرجات تختلف باختلاف المصادر التي تنبع منها، وان أرق درجة من درجاتها ، هي تلك التي تتعلق بالسر، وان هذا السر، إذا ما تمكن منه نور المعرفة ، فسيصبح كالشمس التي تنير ما حولها، فيملي على القلب ثم يملي القلب على النفس المطمئنة، وهذه بدورها تملي على اللسان واللسان أخيراً يملي على الخلق، ومن يتكلم على الخلق ((فعليه أن يتكلم

(2) التادفي- قلائد الجواهر في مناقب الإمام عبد القادر-ص51. ويمكن القول ان عبارة الإمام عبد القادرهذه تصلح ان تكون أساساً لبحث مستقل يتناول نظرية المعرفةعنده.

(1) الشظنوفي - بهجة السرار ومعدن الأنوار - ص72

بهذه الصفة وإلا فلا يتكلم))(2) إذ إن الكلام في الحقائق الصوفية والمراتب الروحية ، لا يمكن أن يباح لكل متكلم ، بل هو يوقف حصراً على أهله المتمرسين بحقائقه ، المجاهدين أنفسهم والحافظين أصولَ شرائعهم

الجدل الصاعد والجدل النازل

إن الطريق الصوفي الذي يبغي السالك اجتيازه ، والذي ينتهي به إلى درجة القرب من المولى تعالى ، لا يمكنه قطعه دفعه واحده ، ولا اعتماداً على الوسيلة نفسها ، بل أن هذا الطريق ، يقسمه الإمام عبد القادر على ثلاث مراحل ، وفقاً للتقسيم الثلاثي لباطن الإنسان، المرحلة الأولى منها، يمكن للمريد السالك أن يقطعها اعتماداً على نفسه التي استنارت بعد ان تخلصت من أدرانها وصفت، وصارت مطيعة للقلب ساعيةً لفعل الخير. هذه المرحلة تنتهي عند تخوم باب (الحضرة).(1) وفي هذا (المكان) تبلغ النفس منتهى مراقيها ومراتبها ، فلا وجود للنفس ـ بصورها كافه ـ فيما بعد هذه المرحلة، إذ يبدأ بعدها دور القلب ، الذي يمكنه أن يبلغ بصاحبه إلى مقام (الحضرة). أخيرا ياتي دور السر الذي وحده يمكن أن يصل إلى مقام (المخدع)، قائماً بين يدي الحق تعالى ، وهذا هو أقصى ما يمكن إن يصل إليه أو يناله بشر. ولكن الإمام عبد القادر لا يوقف(مسيرة الروح) تلك، مع نهاية مطاف (جدله الصاعد) ، إذ تبدأ عنده، بعدها ، رحلة (الجدال النازل)، أو رحلة العودة من السماء إلى الأرض، فالسر بعد أن يتمكن من مقامه و ينعم بالقرب والحظوة ، وتنكشف امامه مخبآت العلوم الالهيه، يعود فيلقن القلب من معارفه الربانية (الجديده)، فيحوله إلى قلب جديد وهذا القلب بدوره يلقن النفس ويعيد صياغتها ، وهكذا.

الخلاص الجماعي

وهكذا يمكننا أن نلخص ، مما سبق ، إلى نتيجتين مهمتين ، تسلطان الضوء على فحوى المنهج الصوفي العملي ، أو مضمون طريقته الصوفية التي حاول أن يرسي دعائمها وان يبثها في الآفاق.

---

(2) الجيلي ـ الفتح الرباني والفيض الرحماني ـ ص54

(1) الحضرة : وهي الحقيقة الكلية الجامعة للحضرات الخمس الإلهية : حضرة الغيب المطلق وعالمها عالم الأعيان الثابتة في الحضرة العلمية وفي مقابلها حضرة الشهادة المطلقة وعالمها عالم الملك وحضرة الغيب المضاف وهي تنقسم على ما يكون اقرب من الغيب المطلق وعالمه عالم الأرواح الجبروتية والملكوتية، أي العقول والنفوس المجردة، وعلى ما يكون اقرب من الشهادة المطلقة، وعالمه عالم المثال، ويسمى بعالم الملكوت، والخامسة الحضرة الجامعة للحضرات الأربع المذكورة، وعالمها الإنسان الجامع بجميع العوالم- انظر- الجرجاني- كتاب التعريفات-ص93. وتجدر الاشارة هنا، إلى هذا التعريف ينهل من القاموس الاصطلاحي لابن عربي، الشيء الكثير، إضافة إلى انه يحتاج إلى تعريفات كثيرة أخرى كي يصل مضمونه إلى أذهان الناس، فهو مليء بوفرة من المصطلحات التي لا تقل غموضاً عن المصطلح الأم (الحضرة). ولعل كل ذلك لم يكن حاضراً في قصد الإمام عبد القادر، الذي تعودنا منه دائماً، البساطة والوضوح.

الأولى منهما تتعلق برؤية الإمام عبد القادر للإنسان بكونه وحدة عضوية واحدة، لا تقبل التجزئة أو التفريد على الحقيقة، فالإنسان يصلح كله أو يفسد كله، ولا يمكن أن نرى في الشخص ذاته، نفساً صافيه وقلباً آثماً، أو سراً منوراً بنور المعارف الإلهية وبإزائه روح متمرده غارقة في ظلام الجهل، بل ان مجموع الأجزاء الصالحة ، تشكل إنسانا صالحاً ، وان أي خلل أو نقص في احد أجزاء الإنسان ، سواء أكان يمثل هذا الجزء، نفساً أم قلباً أم روحاً أم سراً، لا يمكن أن يعطينا إلا إنساناً ناقصاً.

الملاحظة الثانية تتعلق بنظرة الإمام عبد القادر للمجتمع البشري بكونه، أيضا، وحدة عضوية واحدة ، لا تقبل التجزئة في الواقع، فلا خلاص لإنسان بمفرده دون بقية أبناء جنسه، بل أن الصوفي الحقيقي، يكون لزاماً عليه- بعد وضوح الرؤية أمامه، وبعد تمكنه من طريقته- إن يدلّ الناس على أكثر السبل نجاةً وأقربها إلى الباري عز وجل، فالنجاة، على وفق هذا المنظور، لا تكون الا جماعية، وكذلك الإصلاح، فهو جماعي أيضا، فلا مجال، إذن ، والحالة تلك، لانطواء الصوفي على نفسه واعتزاله عن الناس بصورة دائمة. أن الصوفي الذي استطاع ان يقطع شوطه في الصعود بنجاح، ثم توقف بعد ذلك، لا يمكن عدّه صوفياً على وجه الكمال، اذ ان هذه الصفة، لا تنال الا من خلال رحلة العودة والنزول، ثم الاندماج بالناس من اجل اصلاحهم.

معرفة النفس الأمّارة بالسوء

فيما سبق، تابعنا، مع منهج الإمام عبد القادر، الصوفي، مراحل تصفية النفس الإنسانية ووسائل تحسين صفاتها، ومراقي سمو مراتبها، وكيف انه يمكن لهذه النفس أن تغدو صالحة مطمئنة، مهياةً لان تلج إلى غرفات رضوان الآخرة من أوسع أبوابها. وهنا، لا بدّ لنا من العودة إلى نقطة البداية وإلى الخطوة الأولى من خطوات السلوك الصوفي وإلى الحالة الأولى من حالات هذه النفس. أما الخطوة الأولى فهي معرفة الإنسان نفسه، وأما حالة النفس الأولى فهي: النفس الأمّارة بالسوء.

يـرى الإمـام عبـد القـادر: إن معرفـة الـنفس الأمّـارة بالسـوء، يُعـدّ ركنـاً أساسـياً ومهمـاً مـن بـين أركـان المجاهـدات والرياضـيات وسـلوك سـبيل القـوم بوجـه عـام.(1) إذ إن هـذه المعرفـة تـدفع بالمريـد السـالك إلى أن يضـع نفسـه الأمّارة بالسـوء في الموضـع الـذي وضـعها ربهـا عـز وجـل فيـه ويصـفها بمـا وصـفها بـه، من قبل إن تخادعه وتظهر له خلاف ما هي عليه.

ولكـي لا يـترك الإمـام عبـد القـادر، كيفيـة هـذه المعرفـة مبهمـة، أو عرضـة لاجتهـاد المجتهـدين وتاويـل المتاولين، فقد وزعها على شقين:

يتضـمن الأول منهمـا متابعـة كلامـه تعـالى ، فقـد ورد فيـه الكـثير مـن الأوصـاف للـنفس الإنسـانية، ولا يخفـى مـا في هـذه المتابعـة مـن تاكيـد مـنهج الإمـام عبـد القـادر، الـذي يحـث علـى ضـرورة الالتـزام بحـدود وأوامـر الشـرع ونواهيـه وان الخطـوة الأولى مـن مرحلـة السـلوك الصـوفي، لا بـد مـن أن تبـدأ مـن خط شروع الشريعة.

أمـا الشـق الثـاني، فانـه يعتمـد بالدرجـة الأسـاس علـى الجهـد الـذاتي للمريـد وعلـى صـبره وإخلاصـه في مسـعاه، فهـو يـتمّ عـن طريـق الاسـتبطان والرصـد الـداخلي والمتابعـة الدقيقـة لخطـرات وحركـات الـنفس، وعـن طريـق هـذه الخطـوة، يمكـن للمريـد مـن أن يعـرف الكـثير مـن خبايـا نفسـه وأسـرارها، فـلا يشـق عليه بعد ذلك أو يخفى، كيفية ملاحقتها ومقارعتها وترويضها وثم حسن سياستها.

صفة النفس الأمّارة بالسوء

هـذه الـنفس الأمّـارة بالسـوء، هـي- كمـا يراهـا الإمـام عبـد القـادر — أعـدى للإنسـان مـن أي عـدو آخـر حتـى ولـو كـان إبلـيس ذاتـه، وإنمـا يقـوى إبلـيس علـى الإنسـان بهـذه الـنفس وبقبولهـا منـه، ولـذا فـان علـى المريـد إن يعـرف، أولا وقبـل كـل شـيء، ماهيـة طباعهـا ومـا رادتهـا، وألام تـدعو وبـم تـامر وكيـف هـو تكوينهـا وخلقهـا. هـذه الـنفس جُلبـت بطريقـة عجيبـة، فهـي مـوطن لكـثير مـن الصـفات والطبـائع المتناقضـة، إنهـا مخلـوق ضـعيف بذاتـه، ولكنهـا في الوقـت نفسـه، قويـة الطمـع، شـرهة مدّعيـة، خارجـة عـن طاعـة الله تعـالى ، متملكـة، متمنيـة. إنهـا إن خافـت، فهـذا يعـني في حقيقـة الأمـر أنهـا

(1) الجيلي - الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل-ج/3- ص1326. وهذا الركن هو واحد من بين أربعة أركان يشترط توافرها في المريد السالك، فيما لو عقد العزم على انتهاج سبيل القوم وهي: أولا معرفة الله تعالى وثانياً معرفة عدو الله إبليس وثالثا معرفة النفس الأمّارة بالسوء، ورابعاً معرفة العمل لله تعالى أو تحري سبل الخلاص. هذه الأركان كما يرى الإمام عبد القادر، هي الطريق الصحيح وان كل ما عداها جهل وتخبط.

آمنـة، وهـي إن صـدقت، فهـذا يعـني إنهـا كاذبـة، رجاؤهـا أمـاني ودعواهـا باخلـة وكـل شـيء مـنها غـرور، وليس لها فعل محمود ولا دعوى حق.(1)

ولـولا أن الإمـام عبـد القـادر قـد ابتـدأ بوصـف هـذه الـنفس بالضـعف لبـدا لنـا إن مصـير الإنسـان معهـا محكـوم لا محالـة بـالهلاك. ولعـل ذلـك (الضـعف) لا يغـير مـن حقيقـة الأمـر شـيئاً، فالرهـان صـعب وواقـع حيـاة البشـر أصـعب، أو لعـل الإمـام عبـد القـادر، كـان يبغـي، مـن وراء إظهـاره لقتامـة موقـف الإنسـان، إن يـبين لنـا مـدى خطـورة السـبيل الـذي يضـع المريـد نفسـه فيـه فالـذي يبغـي النجـاة ويهـدف إلى انتشـال ذاتـه مـن ذلـك المصـير، لا بـدّ عليـه مـن إن يشـمرّ عـن سـاعدي الجـدّ وان يشـد العـزم علـى اجتيـاز العقبات كافة ولو كلفه ذلك تغيير بعض طباعه والتخلص من بعضها الآخر.

إذن فعلـى المريـد السـالك، والحالـة هـذه، إن لا يغـتر بمـا يظهـر لـه مـن نفسـه مـن طاعـة وخضـوع، وان لا يرجـو منهـا خـيرا أو يطمـع في صـواب، بـل أن يبقـى معهـا في دوام المراقبـة والمخالفـة والمحاسـبة فهـو إن حـلّ عنهـا قيودهـا شـردت، وان أخلـق وثاقهـا جمحـت وان أعطاهـا سـؤلها هلكـت وان غفـل عـن محاسبتها أدبرت وان عجز عن مخالفتها غرقت وان اتبع هواها تولت إلى التهلكة.(1)

وعليـه، فلـيس للـنفس الأمّـارة بالسـوء حقيقـة ولا صـدق ولا رجـوع إلى صـلاح أو خـير، وهـي رأس الـبلاء ومعـدن الفضـيحة وخزانـة إبلـيس ومـاوى كـل سـوء ولا يعرفهـا أحـدّ غـير خالقهـا، فهـي في الصـفة الـتي وصـفها بـه.(2) وإضـافة إلى ذلـك، فـان الـنفس لا توصـف بمنقصـة أو رذيلـة، إلا وهـي في حقيقتهـا، أكثـر ممـا توصـف بـه، وهـي لأجـل كـل ذلـك صـارت صـديقة إبلـيس ومسـتراحه ومسـامرته ومحدثتـه، فـإذا عرفهـا المريـد علـى هـذا الوجـه، فقـد عرفهـا وهانـت عليـه وذلـت وقـوي هـو عليهـا بـالله تعالى وبمعرفته هو بها.(3)

إذن فالقصـد مـن وراء معرفـة المريـد بنفسـه هـو: اكتسـاب الخـبرة والدرايـة بهـا وبقـدراتها ونوازعهـا وطباعهـا، وكـذلك مكـامن القـوة والضـعف فيهـا لأجـل الـتمكن منهـا والسـيطرة عليهـا ولأجـل الاسـتعداد والتاهـب لمكائـدها ومصـائدها. فانهـا إن كانـت عـدوة، فهـذا يعـني أنّ المريـد السـالك في حالـة حـرب مسـتعرة معهـا، فـان كـان قـد عقـد العـزم علـى كسـب الجولـة في هـذه الحـرب، فـان عليـه إن يتبحـر جيـداً في معرفـة عـدوه وان يعمـل جاهـداً علـى كشـف أسـراره. ولكـن مـعرفة هـذا العـدو(النفـس) ليسـت

---

(1) الجيلي - الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل –ج/3-ص1330

(1) الجيلي - المصدر نفسه- ج/3-ص1330

(2) يشير الإمام عبد القادر هنا، إلى قوله تعالى: " وما أبريء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء" سورة يوسف - آية/53.

(3) الجيلي - الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل- ج/3-ص1330.

شعاراً يردده المرء مع نفسه، بل هي عمل دؤوب وشاق يتبعه سعي إلى تغيير دوافع النفس وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

ويسال الإمام عبد القادر، بعد كم وكم من المجاهدات والأفعال الشاقة والجوع والعطش، يمكن لهذه النفس، التي جبلتها وحقيقتها الأمر بالسوء، أن تامر بما يامر به القلب؟ أي بمعنى آخر، إن تتهذب طباعها فتصدر عنها أفعال مغايرة تماماً لما كان يصدر عنها في سابق عهدها. إنها في هذه الحالة، ستكون بحاجة إلى عملية تذويب وإفناء، فهي ((إذا ذابت وفنيت، اطمانت إلى القلب، ثم ياتي دور القلب بعدها، فيطمئن إلى السرّ، ثم يطمئن السرّ إلى الحق تعالى ، فيكون شرب الجميع- أي النفس والقلب والسرّ- من هنالك(4) أي من منبع الحق والذوق والمشاهدة، وهو منبع علم اليقين الذي ما بعده علم يفوقه.

1- إن عمليتي التذويب والإفناء، لا تدلاّن عند الإمام عبد القادر على قلع أو إزالة النفس بكل طباعها وأهوائها ونوازعها، وإنما هما تدلاّن على عملية تمثيل أخلاقي لصفات القلب وطبائعه الحسنة، فالنفس التي تعتاد التطلع إلى مقام القلب، لا بدَّ من إن تقتبس من نوره الشيء الكثير. على إن عملية التذويب والإفناء هذه، لا تتم بنجاح إلا بعد إن يكون المريد قد امتلأ إرادةً وعزماً على إن يخالف نفسه في موافقته ربه وموافقته لنفسه في طاعته ربه، في الوقت نفسه الذي يكون فيه قد خالفها في معصيتها ربها، فكل الأعمال التي ياتيها المريد، لا بدّ إن تكون مقرونة بمرضاة الله تعالى وطاعته، وألا فانها لا تحسب من أعمال القلوب ولا تعدُّ من فقرات السلوك الصوفي وهذا النهج- أي اقتران الفعّاليات الصوفية بنية مرضاة الله تعالى - يُعدّ الدليل الوحيد على صحة النهج الصوفي ومشروعيته، ويُعدّ أيضاً، الحدّ الفاصل بين صدق أم كذب هذا ألفعلO

التصوف وطول الأمل

إذن فعملية الترقي بطباع النفس وأهوائها ترتكز بالدرجة الأولى على الإنسان ذاته فالإنسان هو حتماً أشفق شخص واحرصه على حفظ نفسه وإنقاذها وتجنيبها الضياع ، لأنه إن ضيع نفسه فكيف يرجو من غيره أن يوليها عناية أو يحفظها له؟ ويرى الإمام عبد القادر ، إن طول الأمل والحرص على الدنيا ، هما أنكى ما يمكن أن يصيب الإنسان من داء يودي بنفسه إلى التهلكة والضياع ، ولذ فهو ينصح مريديه وسالكي الطريق الصوفي بوجه عام ، أن يجتهدوا من اجل تقصير الأمل وتقليل الحرص على الدنيا عن طريق الإكثار من ذكر الموت (هادم اللذات) وعن طريق مراقبة الله عز وجل

(4) الجيلي - الفتح الرباني والفيض الرحماني-ص174.

والتـداوي بانفـاس الصـدّيقين وكلمـاتهم وهـم شـيوخ ألتصـوف المتمرسـون بطـبّ النفـوس وأخـيراً عـن طريق الذكر الصافي من التكدر، سراً وجهراً وفي جميع الأوقات.(1)

وهـذا (العـلاج) الأخـير، يعـدّ مـن أهـم العلامـات الـتي تميـز جماعـة الصـوفية مـن غيرهـم مـن الجماعـات، وهـم في الوقـت نفسـه ، يعدّونـه ، فيمـا لـو صـحبه جهـاد الـنفس، مـن أفضـل وسـائل نيـل درجات القرب من الله تعالى .

يعـرف الإمـام عبـد القـادر طويـل الأمـل بانـه : مـن يظـن إن بامكانـه أن يقـترب مـن مـولاه ، وان يـنجح في سـلوك طريـق القـوم ، قبـل أن يـتمكن مـن تزكيـة نفسـه وتنقيتهـا مـن الاكـدار وإذابـة شـرورها ، وقبـل أن يـتمكن مـن تغذيـة قلبـه بالغـذاء الحقيقـي ، وهـو ذكـر الله تعـالى وطاعتـه(1) إن الاكـدار الـتي تعلـق بـالنفس والغفـلات الـتي تحجـب القلـب عـن ذكـر ربـه ، تعـد مـن قبيـل النجاسـة الباطنيـة وعـدم الطهـارة الروحيـة في الإنسـان، ومـن كانـت هـذه صـفته، فـلا يطمعـن في قـرب أو وصـول، إذ لا وصـول، علـى الحقيقـة، مـن دون يقظـة القلـب وصـفاء الـنفس وقصـر أملـها، وان مـن قصـر أمـل نفسـه ، فانهـا سـوف تطيعـه إلى مـا يريـد منهـا، وهـو حتمـاً، بعـد أن أصـبح سـالكاً، لا يريـد منهـا، إلا الاسـتزادة مـن وهـج الأنـوار القدسـية. إن الـنفس طويلـة الأمـل، لا تعـدو كونهـا حجابـاً، بحجـب بصـيرة الإنسـان عـن النظـر إلى الحقـائق الربانيـة اليقينيـة، لا بـل إنهـا تحجـب الإنسـان عـن خالقـه وذلـك بتعلقهـا بالـدنيا، أو حتـى تعلقهـا بـالآخرة ، فالـدنيا والآخـرة كلتاهمـا مخلـوق، وان مـن تعلـق بمخلـوق حجـب عـن الخـالق إذ إن (مالـك ومملـوك لا يجتمعـان)(2) علـى إن عبـارة الإمـام عبـد القـادر هـذه، لا تشـكل مانعـاً يمنـع المريـدين مـن الأخـذ بنصـيبهم مـن الـدنيا، فهـذا مـا يؤكـده دائمـاً، بـل ان الـذي يمتنـع عنـده فقـط، هـو اجتمـاع الـدنيا والآخـرة في القلـب، فالقلـب هـو مـوطن الـذكر والعلـم والحـب الإلهـي، وهـو أيضـا، موضـع نظـر الـرب فـإذا مـا التـزم القلـب بهـذا الحـد واخلـص في ولائـه لمـولاه، عنـدها، سـوف لا يكـون هنالـك خـوف على العبد فيما لو نال من الدنيا نصيبه، عبر المنافذ المباحة في الشرع .

مجاهدة النفس

إن مجاهـدة الـنفس الأمّـارة بالسـوء ، هـو الشـعار الـذي لا يكـل الإمـام عبـد القـادر عـن ترديـده في اكثـر مناسـبات حديثـه، فهـو يـرى أن الهدايـة الحقيقيـة تكمـن في مجاهـدة المـرء نفسـه، وانـه لا هدايـة مـن غـير

---

[1] الجيلي –الفتح الرباني والفضل الرحماني –ص174

(1) الجيلي - الفتح الرباني والفيض الرحماني –ص174

(2) الجيلي – المصدر نفسه – ص174

تلك المجاهدة ، وقوله (جاهد نفسك حتى تهتدي)(3) وإننا إذا أردنا أن نسلط الضوء على هذه العبارة، فسيمكننا القول انه يستحيل علينا تصور بلوغ الإنسان سبل الرشاد، وهو مسلوب الباطن وموزع بين أهواء متضاربة ونوازع شتى تدفعه بعيدا حتى عن مجرد النظر إلى تلك السبل والهداية إذا ما فسرت بمعنى الاهتداء والوصول الذي يتم بعد التيه والضياع، فانها ستحتاج حتماً إلى حواس سليمة وبصيرة نافذة، وهذه لا تكتسب إلا بعد تصفية النفس من خلال فعل المجاهدة.

والمجاهدة لصعوبتها وشدة وطأتها على نفس المريد، فان الإمام عبد القادر يشبهها بالموت الإرادي الذي يسعى إليه الإنسان بنفسه في مقابل الموت الطبيعي الذي ياتي حتف الأنف، فالمجاهدة إذن تعني أن يميت المريد نفسه قبل إن يدهمها الموت الطبيعي وهي على حالها الأول فتحرم الحرمان الأبدي، وتعذب وتبعد، فلا قرب لها بعد ذلك ولا جزاء ، أن يميتها بين يدي الحق عز وجل، بالصبر والمخالفة ((فعن قريب يحمد عاقبة ذلك، إذ أن صبره يفنى وأما جزاؤه فلا يفنى))(1)

ولأجل هذه (الاماته) يضع الإمام عبد القادر، لمريديه، خطة عملية، يعلمهم من خلالها – تعليم خبير متمرس – كيفية تعاملهم مع نفوسهم الأمّارة بالسوء فيقول: لا ترخص لها – أي لنفسك – ولا تطعها، كي تفلح، ولا تتبسم في وجهها، وجاوبها عن كل ألف كلمة بكلمة واحدة، إلى أن تتهذب وتطمئن وتقنع ، فإذا ما خلبت منك الشهوات واللذات، فماطلها وآخرها وواعدها في الآخرة، إذ إن لها فيها نعيماً دائماً وملكاً لا يزول، صبرّها على مرارة المنع، حتى يجيئها العطاء الحقيقي الذي ما بعده منع. إذن فلاحّظ للنفس في هذه الدنيا، وأما الحظوظ التي هي نصيب المريد من دنياه والتي لابدّ له من تناولها، فانه لا يمكنه من أن يتناولها، إلا بعد أن يميت أهواء نفسه بحيث يُقبل بعدها على الدنيا من غير إستلاب نفسي أو غفلة قلبية.

ولأجل أن يُحكم المريد، ضرب طوقه حول عنق النفس، فان الإمام عبد القادر، ينصحه، إضافة إلى ما سبق، بان يحرص على التزام الصمت، وأن يمسك عن الإدّعاء، وأن لا يكون له كلام و لافعل وهو في (الطريق)، حتى يخرج من بيت طبعه وهواه ووجوده وحتى يخرج، أخيراً، عن

(3) الجيلي – المصدر نفسه – ص174

(1) الجيلي – المصدر نفسه – ص176. وفي هذه الصفحة يذكر الإمام عبد القادر قصته مع الموت فيقول : أنني مت ثم احياني الله عزوجل ، ثم أماتني فغبت، ثم أوجدني من غيبتي . هلكت معه، ملكت معه، جاهدت نفسي في ترك الاختيار والإرادة ، حتى حصل لي ذلك ، فصار القدر يقودني والمنة تنصرني والفعل يحركني والغيرة تعصمني والإرادة تطيعني والسابقة تقدمني والله عز وجل يرفعني .
أي أنه بعد إماتته لنفسه، صار مطلق التسليم لله تعالى فصار لايفعل ولا يتحرك ولا يقدر الا بالله تعالى .

نفسه، بان ((يترك نفسه وهواه وخبعه على الباب كي يُسرع إلى الأساس، لأنه إذا أحكم الأساس، أسرع في البناء، وأنجز ما عقد عليه العزم، فكان من الواصلين، وما الأساس إلا الشريعة، وما مادته إلا الفقه في الدين)).(2)

ويستدرك الإمام عبد القادر، هنا، فينبه، إلى أن قصده من الفقه في الدين في هذه المرحلة، هو فقه القلب، (1) وليس فقه اللسان، لأن فقه القلب هو الذي يقرّب العبد إلى الحق عز وجل، وأما فقه اللسان فانه لا يُقرِّب إلا من الخلق وملوكهم. (إن فقه القلب يتركك في صدر مجلس القرب من الحق عز وجل، يصدّرك ويرفعك ويقرَبّ خطاك إلى ربك عز وجل).(2)

ولكن ليس علينا أن نعتقد، بناءً على سبق، بان للنفس عند الإمام عبد القادر، كيانها المستقل عن باقي التكوين الكلي للإنسان، لكونها قد بدت أمامنا، وكانها عبد مارق أعجز سيده، فبدا له ضرورة تطويعه وترويضه باقسى الوسائل. إنه يعاملها بإحتقار وتشفٍّ، بحيث يفرح لحزنها ويحزن لفرحها. إن النفس الإنسانية، عند الإمام عبد القادر، إذا كانت جزأ لا يتجزأ من القلب أو السرّ، أو الإنسان بوجه عام بكونه وحدة عضوية لا تقبل التجزئة، فانها في الوقت نفسه، تبدو لنا كجهاز يعمل على وفق آلية خاصة، لها نوع من الاستقلال عن باقي (أجهزة) الإنسان الأخرى، بحيث أنه يمكنه العمل بما يخالف مراد الإنسان ومبتغاه، وعلى هذا الأساس، تكمن مجاهدة المريد في تحوير آلية هذا الجهاز وثم تشغيله عبر آلية جديدة تعمل في تناغم تام مع بقية أجزاء (المجمَّع) الإنساني.

حقيقة النفس

إن حديث مشايخ التصوف، بعامة، عن النفس الإنسانية، بهذه اللهجة التي تغلب عليها نبرة الكراهية والمعاداة، لا يشمل هذه النفس، بمراتبها ومقاماتها كافة، وإنما يشمل منها، فقط، النفس الأمّارة بالسوء، التي لا تمثل، في حقيقتها، إلا وجهاً واحداً من بين أوجه النفس الإنسانية

(2) الجيلي – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص177

(1) فقه القلب عند الإمام عبد القادر، يعني العلم بمراتب النفس وخواطرها وهواجسها وخصالها وأمراضها وكيفية التعامل معها. وهو هنا لا يفاضل بين هذا الفقه والفقه الظاهري أو الشرعي، فللأخير أهميته التي لا غنى عنها لأي سالك، وهذا الموضوع قد تمّ البتّ فيه في الفصل السابق، ولكنه يؤكد، على أن حاجة المريد المرحلية – أي وهو في خور المجاهدة – تكون إلى الفقه القلبي أكثر منه إلى أي علم آخر، لأنه لو ضلع في فقه الظاهر قبل أن يعامل نفسه بالمجاهدات، فانه سيقع حتماً فيما يقع فيه الكثير من الفقهاء، وهو أنه سيكون حبيس رأي أهل الدنيا فيه.

(2) الجيلي – المصدر نفسه – ص 177

المتعددة، التي سياتي تفصيل الكلام فيها، فيما بعد. أما لماذا أولى الصوفية، وبخاصة منهم الإمام عبد القادر النفس الأمّارة بالسوء، كل تلك الأهمية، بحيث انهم، اشبعوها، دون بقية الأنفس، بحثا وتاملا واختبارا، فان ذلك يعود، إلى اعتقادهم: بان هذه النفس، تشكل فى خريق السالكين، مرحلة صعبة وعقبة كاداء، بحيث إذا ما استطاع المريد تجاوزها، فانة سيتيسر عليه بعد ذلك، الإسراع صعودا فى مراقى النفس التالية، فيستحق عندها تسمية الصوفي. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الإمام عبد القادر، لا يعني بإحصائه لأوجه النفس المتعددة، وجود كثرة من الأنفس في الإنسان ذاته، منفصلة إحداها عن الأخرى، بحيث تخلع وتُستبدل، كفعل المرء مع قطع ثيابه، وإنما هي عنده، نفس واحدة، ولكنها تكثرت باعتبار صفاتها الغالبة، وهو يرى أن هذه النفس، بمجموع صفاتها هي: النفس الناخقة وهي القلب، ولكن ليس المراد، هنا، بالقلب هو تلك المضغة اللحمية القابعة في جوف الإنسان، وإنما هو، اللطيفة الربانية، أو الجوهر المجرد عن المادة في ذاته، المقارن لها في أفعاله.(1)

و لا يخفى على القارئ، أن هذا التعريف ينسجم ومعطيات النظرية الأفلاخونية في النفس، فهذه النظرية تضع للنفس الإنسانية وجوداً مجرد ومستقلاً عن المادة، لا بل حتى وجوداً سابقاً عليها، على أن هذه الإشارة، لا تعني ضرورة، تاثر الإمام عبد القادر، المباشر، بآراء هذه المدرسة، إذ لم نجد في فكره، أي تقارب أو تعامل مع الفلسفة بوجه عام، هذا بالإضافة إلى أنه يمكن القول: إن اعتقاد مفكري الإسلام، بإستقلال وجود النفس أو الروح عن وجود الجسد وكذلك قولهم باسبقية هذا الوجود، هو أقرب إلى معطيات العقيدة الإسلامية منه إلى المدرسة الأفلاخونية، إذ إن لهم في أسسهم الشرعية أسانيد كثيرة تؤكد لهم ذلك.

أسماء النفس

هذه النفس، كلما إتصفت بصفة، سميت، لأجل إتصافها بها، باسم من هذه الأسماء، فإن صادفت ما وافقها من الشهوات وصارت تحت حكمها، سميت أمّارة، وإن سكنت تحت الأمر

(1) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوخة – دار صدام للمخطوخات تحت رقم – 9166 -.

التكليفي وأذعنت لإتبّاع الحقَّ ولكن بقي فيها ميل للشهوات، سميت لوّامة فان زال عنها هذا الميل، وقويت على معارضة الاهواء الشهوانية، سميت نفساً مُلهمة فاذا ماسكن أضطرابها، ولم يكن للنفس الشهوانية حكم فيها ولاسلطان أصلا، سميت عندئذٍ بالنفس المطمئنة فأن ترقَّت عن جميع ذلك، وأسقطت كل المقامات والمراتب من عينها، وفنيت عن جميع موادها، سميت نفساً راضية، فان زاد حالها هذا، وتطبعت به بحيث لم تطلب الرجوع عنه، صارت نفساً مرضية، عند الحق وعند الخلق، وأخيراً فان هذه النفس، إذا ماأُمرت بالرجوع إلى العباد، من اجل هدايتهم وارشادهم وتزكيتهم وتكميلهم، سميت نفساً كاملة(1).لان الله عز وجل، كمّلها ببلوغها أعلى المقامات والمراتب أمرجوّة، وهو مقام الخلافة العظمى(2) وهداية العباد.

إننا أذا ما أحصينا عدد هذه (الانفس) التي ذكرها الإمام عبد القادر، وجدناها سبع أنفس، وهذا(العدد) كبير نسبياً، يكاد ينفرد به دون من سبقه من الصوفية، فالغزالي مثلا، وهو(آخر) الشيوخ السابقين عليه، إكتفى، كما مرَّ بنا في بداية هذا المبحث، بخمس أنفس فقط0 ولعل عدد ألانفس عند الإمام عبد القادر، متعلق بعدد مأأحصاه فيها من صفات ومراتب ومقامات، فهو قد توسع في ذلك، وأولاه كثير عناية وأهتمام، أنسجاماً مع توجهه التربوي وألاصلاحي. وعلى العموم، فان تقسيم ألنفس الإنسانية على عدة أنفس، سواء عند الإمام عبد القادر ، أو عند غيره من شيوخ التصوف، ماهو في حقيقته، إلا تقسيم أجرائي، يخدم أغراضهم التربوية وألتعليمية، وامّا في واقع الحال، فانهم جميعاً متفقون، على أن هذه النفس، ماهي في حقيقتها إلا وحدة واحدة وكيان متماسك، له صفات متعددة، تتدرج من المستويات السيئة أو الدنيا إلى المستويات الحسنة أو العليا وعند الإمام عبد القادر، فان أدنى مستوى لهذه ألنفس، هو مستوى ألنفس الأمّارة بالسوء، ثم ياتي بعدها مستوى النفس أللوّامة ثم ألنفس أملهمة ثم النفس المطمئنة ثم النفس المرضية ثم النفس الراضية، ثم أخيراً مستوى النفس الكاملة، وهو مطمح جميع الصوفية ومبتغاهم، أما تفصيل الكلام في ذلك فهو كما ياتي:

أولا: النفس الأمّارة بالسوء

---

(1) الجيلي -سير السلوك إلى ملك الملوك-مخطوطة

(2) الخلافة في أصطلاح الصوفية تعني ألامامة،وهي على قسمين:خلافة صغرى وهي ألامامة أو الرئاسة الضاهرية،وخلافة كبرى وهي ألامامة والرئاسة الباطنية0 أنظر معجم مصطلحات ألصوفية-د عبد المنعم الحفني- ص91.

هـذه الـنفس تولـد مـع كـل إنسـان، فهـي قـدره الـذي لا يسـتطيع عنـه فكاكـاً، إلا إذا تعهـدها بالتاديـب والرياضـات، وهـي نفـس ذات حجـب ظلمانيـة، لونهـا أزرق(3) ومحلـها الصـدر، بكـون الصـدر في عـرف الصـوفية، هـو محـل الوسـاوس والهـواجس، ومنـه تنطلـق الرغبـات والأهـواء الـدوافع الحسـية كافـةً وعالمهـا الشـهادة، وهـو العـالم الحسـي المحـض الـذي لا يخالطـه غيـب، وواردهـا الشـريعة، (1) إذ لابـد لصـاحب هـذه الـنفس مـن أن يتفقـه في علـوم الـدين وحـدوده، لكـي يعـرف مالـه ومـا عليـه، ولكـي لا يقـترف المحـارم والمنـاهي عـن جهالـة. هـذه الـنفس تشـتمل علـى تمـام دائـرة صـفات الكفـر والعنـاد والإنسـان معهـا يكـون تابعـاً لهـوى نفسـه، ولـذا فهـو يحتـاج إلى الرياضـة(2) المتواصـلة وإلى تصـفية الـنفس والإشـتغال بالـذكر، وخصوصـاً منـه ذكـر (لا الله إلا الله)، فلهـذا الـذكر في إعتقـاد الإمـام عبـد القـادر، خاصـية عجيبـة تتمثـل في القـدرة علـى الـتطهير، أي تطهـير الـنفس، ولـو كانـت سـيئاتها مثـل زبـد البحـر في الكثـرة والتتـابع. ولأجـل إحكـام القبضـة علـى هـذه الـنفس، فـان الإمـام عبـد القـادر، ينصـح مريـده، صـاحب هـذه الـنفس، بـان يتـذكر أسـباب الخـوف، لأنـه، في هـذه المرحلـة، أنفـع لـه مـن الرجـاء ولكـن شـرط أن لا يوصـله هـذا الخـوف إلى حالـة القنـوط أو يلقـي بـه في ظلمـة اليـاس مـن النجـاة مـن الهلكـة. وهنـا، يؤكـد الإمـام عبـد القـادر، كمـا في مواضـع كـثيرة علـى ضـرورة الموازنـة بـين الأحاسـيس والـدوافع الدينيـة المختلفـة، كـي لا يصـل المريـد، مـن جـرّاء إفراخـه في التشـبث بحالـه، إلى حالـة الشـعور بالإحبـاط الديني الذي كثيراً ما يصاب به السالكون.

وعلـى صـاحب الـنفس الأمّـارة بالسـوء، أيضـاً، أن يعتـاد علـى التـذلل والخضـوع والتضـرع إلى الله تعـالى ، لأن في ذلـك علاجـاً لهـذه الـنفس مـن الشـعور بـالكبر والاسـتعلاء علـى الآخـرين والأنانيـة المفرخـة. ولـيكن هـمّ المريـد في هـذا (المقـام)، الخـلاص مـن ضـيق الـنفس والتوجـه إلى فضـاء الـروح وأن يكـون ديدنه المستمر ومطلبه الأوحد، هو التخلي عن الأوصاف الذميمـة والتحلي باضدادها

وإسـتبدال أخلاقـه السـيئة، بـالأخلاق الحميـدة الـتي أوصـت بهـا الشـريعة المحمديـة.(1) ولعـل الإمـام عبـد القـادر، يريـد أن يخبرنـا مـن وراء ذلـك، أنْ لا جديـد و لا إبتـداع في كـل مـا يـامر بـه الـنهج الصـوفي

---

(3) هو معنى قول الإمام عبد القادر، أن الإنسان لا يمكنه أن يتخطى حدود إنسانيته. ثم أخيراً تاتي النفس السابعة (الكاملة) وهذه ليس لها لون، لأنها تسمو على جميع المراتب والصفات وتسمو على جميع ما تدركه الحواس.

(1) الجيلي – الفيوضات الربانية – ص15

(2) الرياضة في إصلاح الصوفية تعني: تهذيب الأخلاق النفسية وتخليصها من خلطات الطبع ونزعاته. إنظر – الجرجاني – كتاب التعريفات – ص119

(1) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك - مخطوطة

الصحيح، إذ أن الذي يدعو إليه، لا يخرج قط عن مظلة الشرع الإسلامي، لا بل إنه هو الشرع بعينه، وإن كل ما عداه، هو مما يقصر عن بلوغ مراد وحقيقة الشرع.

يرى الإمام عبد القادر، أن هذه النفس الأمّارة بالسوء، كانت في الأصل نفساً صافية، ولكنها لمّا تدنست بالميل إلى الطبيعة والركون إلى الشهوات، وصادفت الدوافع الشهوانية والميول والطبائع الغريزية، انخرطت في السلوك الحيواني، وتبدلّ صفاءها كدراً ومحاسنها معائباً، وصارت لا تتميز عن الروح الحيواني إلا بالصورة، وصار الشيطان من جندها، فهي التي تامره وهي التي توجهه وهو لا يستطيع إن يفعل شيئاً من دون رغبتها أو إرادتها وفي هذه النقطة الأخيرة، يشير الإمام عبد القادر إلى مسالتين مهمتين: الأولى، اعتقاده الصريح بثنائية الإنسان، وباسبقية وجود الروح على وجود الجسد، والثانية إعطاؤه مزيداً من الدفع لحرية الإنسان ومسؤوليته عن أعماله، وذلك بتقليصه لدور قوى الشر، التي طالما يعزو البشر أسباب خطاهم إليها.

أما عن صفات هذه النفس، فان الإمام عبد القادر، لم يبقِ ولم يذر شياً من الصفات السيئة إلا وألصقها بها، فهي تتصف بالبخل والحرص الشديد والغل وسوء الخلق، والخوض فيما لا يعني من كلام وغيره، وكذلك الاستهزاء بالآخرين والبغض لهم وايذاؤهم، إنها النفس الخبيثة، وذلك لأنها واقعة تماماً في ظلمة الطبيعة، فلا فرق عندها بين الحق والباطل و لا بين الخير والشر، ولذلككان الشيطان لا يقدر على الدخول إلى الحرم الإنساني الا بواسطتها.(2) ولذلك ايضاً، كان الإنسان مع هذه النفس، أبعد ما يكون عن مرتبة الإنسانية الحقة، لأن نفسه في هذا المقام، تكون محجوبة بالحجب الظلمانية الكثيفة، أما ما عداها من النفوس التالية، فهي محجوبة بحجب نورانية بعضها أرقّ من بعض، ولذلك فان السالك لا يستحق تسمية المريد إلا إذا تجاوز حدود أرض هذه النفس.

نخلص مما سبق، إلى أن النفس الإنسانية، ما هي في الأصل إلا روح طاهرة نقية خيرّة، لا يربطها بمكامن الشر والغرائز والأهواء أي رابط، وهي لا ينالها ما ينالها إلا من جرّاء إتصالها بالجسد مكمن النقائص والشهوات، إذن، فلا داعي للياس والقنوط فالسبيل غير مغلقة أمام الإنسان

لإصلاح حاله، بل إن الخير والصلاح هما حقيقته الأصلية وأما ما عداها من الشرور، فانها أمور طارئة، يمكنه تجاوزها فيما لو عقد العزم على ذلك. الإنسان إذن خيرٌ بطبعه نقي بسريرته، ولا يحتاج منه العمل على العودة إلى الصلاح (المفقود) إلا عقد العزم والصبر على الشهوات، وليس في الأمر تغيير للطباع وإنما سيطرة عليها وإستعادة لما فُقد منها في السابق.

---

(2) الجيلي – المصدر نفسه – مخطوطة.

ثانيا: النفس اللوّامة

وهـي المرتبـة الثانيـة مـن مراتـب الـنفس الإنسـانية، لـون نورهـا أصـفر، ومحلـها القلـب، بكـون القلـب هـو موضـع اللـوم والتبكيـت والمحاسـبة والمراقبـة، وأمـا عالمها فهـو عـالم الـبرزخ(1) وواردهـا الطريقـة، بمـا يتضـمنه هـذا الـوارد مـن الأخـذ بالرياضـات والمجاهـدات والخـوض في ضـروب التجويـع والتزهـد في الـدنيا والمداومـة علـى الأذكـار، وكـل ذلـك يُعـد مـن العوامـل الـتي تعـين الـنفس علـى تـرجيح كفـة الخـير فيها.

تميـل الـنفس اللوّامـة إلى الحـلال ونفـع النـاس وحمـل الأذى عـنهم، وهـي تتحـرى كسـب الحـلال ومتابعـة الأخـلاق الحميـدة وحـبّ الإِصـلاح والإخـلاص في الأعمـال، ويحـدد الإمـام عبـد القـادر لفـظ الجلالـة (الله) ورداً لهـذه الـنفس، وذلـك لأن سـيرها لله عـز وجـل وحالهـا المحبـة، وهـذا الـورد، فيمـا لو أخلص المريد في ذكره، قلباً ولساناً وحالاً، فانه سيقترب كثيراً من رحمة الله تعالى .(2)

ولا تعـدم الـنفس اللوّامـة بعـض الصـفات السـيئة، فهـي تتسـم بكثـرة اللـوم والفكـر والعجـب وكثـرة الإعـتراض علـى الخلـق والريـاء الخفـي وحـبّ الشـهوات وخلـب الرئاسـة. ولكـن مـع كـل هـذه النقـائص الـتي تحملـها، إلا إنهـا تـرى الحـق حقـاً والباخـل بـاخلاً، وتعلـم أن هـذه الصـفات مذمومـة، لكنهـا في الوقـت نفسـه لا تقـدر عنهـا فكاكـاً. ومـن جهـة أخـرى فـان لهـذه الـنفس رغبـة في المجاهـدة وموافقـة الشـرع ولهـا أعمـال صـالحة، رغـم أن هـذه الأعمـال يخالطهـا دائمـاً العجـب والريـاء الخفـي، إذ يحـب صـاحبها أن يطلّـع النـاس علـى مـا هـو عليـه مـن الصـلاح، رغـم أنـه يخفـي ذلـك عـنهم. علـى أنـه في الوقـت نفسـه يكـره هـذه الخصلة أيضاً، ولكن لا يمكنه قلعها بالكلية عن قلبه.(3)

ممـا سـبق، يبـدو أن الإمـام عبـد القـادر، قـد أفلـح، وبشـكل ملحـوظ، في تصـوير هـذه الـنفس وهـي في حالـة إنفصـام مطلـق، فهـي مليئـة بتناقضـات متوازيـة لا نهايـة لهـا، إن صـاحب الـنفس اللوّامـة يكـون قـد شـرع تـواً في المجاهـدات الصـوفية، بينمـا باخنـه لا زال مليئـاً بالترسـبات الـتي لحقـت بـه مـن المرحلـة السـابقة، إنـه مـوزع بـين مسـتوى الطمـوح العـالي وواقـع الحـال المـتردي، ومـن هنـا سـبب قلقـه وعـدم

(1) البرزخ في اللغة هو الحاجز والفاصل وهو في إصطلاح الصوفية يعني: ستر القطب عن الأفراد الواصلين فانهم خارجون عن دائرة تصرفه، لأنه في الأصل واحد منهم متحقق بما تحققوا به في القرب والبسط، غير أنه أختير من بينهم للتصرف والتدبير. أنظر – د. عبد المنعم الحنفي – معجم المصطلحات الصوفية – ص240

(2) الجيلي – الفيوضات الربانية – ص22-23

(3) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك - مخطوطة

إستقراره وشعوره بالخطر، ولأجل ذلك، عُدت هذه المرحلة من أصعب مراحل السلوك الصوفي وأشدها وخاةً على النفس.

تُعد النفس اللوّامة، مقاماً ثانياً بالنسبة للسالكين المقربين الطالبين للفناء عن نفوسهم وللوجود بربهم وأما الأبرار، أصحاب اليمين، فهي آخر منازلهم وأعلى مقاماتهم، فهم لا يطلبون إلا ثواب الآخرة وتجنب عقابها، وهذا ما يحققه لهم هذا المقام فهو يغنيهم بالحلال عن الحرام وبالطاعات عن المعاصي. المقربون من جهتهم، وضعوا لأنفسهم هدفاً بعيداً، فهم لا يقرون أو يريحون، إلا ببلوغه، ولأجل ذلك قيل: إن حسنات الأبرار، سيئات المقربين.(1)

فاما ما يحدو هؤلاء المقربين فهو إحساسهم بالخطر العظيم والتعب المقيم الذي يرون إنه محيط بهذا المقام، فهو يرتكز على أعلى درجات الإخلاص ، والحقيقة تقول: إن المخلصين على خطر، ولا منجاة من هذا الخطر إلا بالفناء عن شهود الإخلاص ، بشهود إن المحرك والفاعل على الحقيقة، هو الله تعالى شهود ذوق وحال، لا شهود عقل وقال: هذا الشهود متوقف على سلوك طريق المقربين، الذي لا تشم له الأبرار رائحة ولا ترى منه قبساً، لأن المقربين هم وحدهم فقط، الذين نظروا ببصائرهم إلى ربهم ولم ينظروا إلى أعمالهم وعباداتهم، موقنين إن المنّة له تعالى عليهم، إذ فتح لهم أبواب الطاعات ومكنهم من الدخول في زمرة عباده وأهلهم للقبول منه، ومن كانت هذه أحواله، فهو ضرورةً لا يحتاج إلى تحري الإخلاص لأن ذلك لا يخطر بباله أبداً، لأنه مخلص بسجيته، وهو لا يرى لنفسه فعلاً حتى يخلص فيه، و لا يرى لغير الله تعالى قدرةً حتى يتجنب التضرر منها، وهو ما يعد تجاوزا لعمل الأبرار الذين لم يصلوا إلى هذا الحال ولم يبلغوا هذا الشهود، فطولبوا بالإخلاص لأنهم لم يشهدوا شهود قلب، بان الله تعالى هو خالق الأفعال كلها، إذ لا يقين إلا بهذا الشهود ولأجل ذلك فقد تضرروا من بعض أفعالهم ووقعوا بسببها، في التعب والعناء، ((وصار أحدهم لو دخل في حجر ضبّ، لقيض الله تعالى له من يؤذيه، وذلك لما فيه من البشرية المقتضية للعجب

والتكبر والحقد والحسد وسوء الخلق والعداوة والبغض والانهماك في طلب الرزق وما شابه ذلك)).(1)

إذن فيكفي عوام الناس من أهل الإحسان التوقف عند هذا المقام، حيث تبكيت الضمير ولوم النفس وحثها على الاستزادة من فعل الخيرات وتجنب اقتراف الشرور، فاما السالكون من ذوي

---

(1) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك - مخطوطة.

(1) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك - مخطوطة

الطموح الروحي، ممن لا يرضون بغير القرب مغنماً، فهؤلاء يعملون جاهدين على التخلص من (ربقة) هذا المقام الذي يحكمه التذبب والتارجح بين صوبي الخير والشر وناحيتي الفجور والتقوى، فاما الإخلاص الذي هو تاج الابرار فانه عند هؤلاء، يعد مصيدة قد تذهب باعمال العبد، اذ هي توكله إلى نفسه وتجعله يشعر بالمنة .

يعزو الإمام عبد القادر، السبب الذي يقف وراء قلق واضطراب، صاحب هذه النفس رغم تحريه الإخلاص في أعماله، بالدرجة الأولى، إلى أن مرآة قلبه، تكون في جهة منها، متوجهة صوب الخلق، فينتقش فيها لأجل ذلك، صور الخلق وأفعالهم ومحاسنهم وقبائحهم وحركاتهم وسكناتهم، وهو يكره ذلك من نفسه ويحاول أن يدفعه فلا يقدر إلا إذا أجتهد في الإعراض عن جميع الخلق، بحيث لا يرى لهم صورة ولا يسمع لهم كلاماً وأن يعزف عن جميع اللذات، فلا يرى لهل خعماً و لا فائدة، وينصح الإمام عبد القادر، مريده، ممن بلغ هذه النفس أو توقف عندها، إلى أن يسعى سعياً حثيثاً من أجل تكميل نفسه وتزكيتها، وتصفية قلبه وجلي مرآته – أي مرآة قلبه – ليصير قلباً حقيقياً ويصير به صاحبه إنساناً حقيقياً(2) ، والقلب لا يكون قلباً حقيقياً، إلا إذا تخلص من ميله إلى الشهوات، ومن تلفت مرآته، صوب الخلق والدنيا، إذ انه بخلاصة من كل ذلك ، يكون قد تصّفى وأصبح خالصاً لربهِ، فلا يرى غيره ولا يتوجه إلى سواه ، وهذا هو معنى وجوده الحقيقي أو حقيقته الاصليه، وكل ما سوى ذلك وهم وخداع. فاما إذا ما تحقق القلب ، فان حامله سيكون إنسانا حقيقيا لا تنازعه الأوهام ولا تتجاذبه الهواجس.

إضافة إلى ما سبق ، ينصح الإمام عبد القادر ، صاحب النفس اللّوامة بالخلوة والاعتزال وتجنب مخالطة الناس ، وسنرى فيما بعد ، أي في المراحل المتقدمة للنفس انه يعود فيؤكد ضرورة العودة إلى معاشرة الناس والاختلاط بهم، لأجل منفعتهم الأخروية، وأما السبب في التفاوت بين هذين

الموقفين، فيمكن أن يُعزى، أولاً، إلى ضعف حال المريد وهو في مراحله الأولى، وعجزه عن تحمل أذى الخلق، بينما في المراحل المتاخرة، فانه سيكون قوي الحال وقادراً على إحتمال ذلك منهم، وثانياً، لأن المريد المبتدئ، هو ضرورةً، قليل الخبرة في خرق التعامل مع نفوس الآخرين وعلاجها، وإن نفسه تكون أحوج إليه من غيرها، فاما بعد أن يقوى حاله ويصلب عوده، فانه سيصبح خبيراً في علاج أمراض النفوس، لأنه عاناها جميعاً وخبرها.

ثالثا: النفس الملهمة:

(2) الجيلي – المصدر نفسه - مخطوطة

هـذه الـنفس لونهـا أحمـر، ومحلـها الـروح لأن الـروح هـي مـوطن الألهـام، وحالهـا العشـق الـذي يـاتي بعـد الحـب وقبـل الفنـاء في المرتبـة، وعاملهـا الهيـاج، إذ يعتريهـا باسـتمرار، ومـن جـرّاء تلـذذها بحالـة الصـفاء، الشـوق العـارم للأنعتـاق مـن قيـود الجسـد والتـوق للتخفـف مـن أثقالـه وعلائقـه، وأمـا وارد هـذه الـنفس، فهـو المعرفـة، الـتي هـي مـن إختصـاص القلـوب والأرواح، والمعرفـة عنـد الصـوفية أرفـع منزلـة من العلم لأتصالها بالحقائق الإلهية والأسرار الربانية.

هــذه الــنفس، هــي كســابقتيها، أيضــا، تحتــاج إلى أن تعامــل بالرياضــات والمجاهــدات والأذكــار، وتحتــاج إلى دوام المراقبـة والمراجعـة والتـذكير، والـورد الـذي يصـفه الإمـام عبـد القـادر، لصـاحب هـذه الـنفس هـو أسمـه تعـالى (يـاهو)، وهـو أسـم يـدلّ علـى الـذات العليـا ويشـير إلى الهويـة، بحيـث لا ينظـر الـذاكر معـه، إلى أيـة صـفة أو فعـل، مـن صـفاته وأفعالـه تعـالى ، فـاذا مـا داوم المريـد علـى ذكـر هـذا الأسـم، فـني عـن ذاتـه وتجـرد عـن صـفاته وإرادتـه، وأسـتعد بعـد ذلـك لتلقـي الهبـات والعطايـا الإلهيـة المتمثلة بالوجود الجديد الذي يعقب حالة الفناء.

إن المريـد في نطـاق هـذه الـدائرة، أي دائـرة الـنفس الملهمـة، يتحـرى تتمّـة نقصـان عقلـه ودينـه وتصـحيح معتقـده، ومتابعـة الحـق والشـرع والـتخلص مـن الريـاء، (1) فتخـوم هـذه الـدائرة، تعـد أولى مراتـب الكمـال والتتمـيم وآخـر مهـاوي الـتردي والـنقص علـى أن الغلبـة فيهـا تكـون لكفـة الكمـال، إذ يطغـى علـى هـذه الـنفس الأفعـال الحسـنة والصـفات الحميـدة، فهـي تتصـف بالسـخاء والقناعـة والعلـم والتواضـع، وهـي لأجـل ذلـك صـار يتعاقـب عليهـا حـالا القـبض والبسـط، (1) فامـا حـال القـبض، فانـه يـاتي أولا كـي يُـذهب الفـرح الزائـف والأقبـال علـى الـدنيا، وامـا البسـط فانـه يـاتي بعـد ذلـك، كـي يزحـزح المريـد عـن حالـة اليـاس، وكـي يفعـم قلبـه بمزيـد مـن الحـب لمـولاه، وكـي يدفعـه أيضـا نحـو مزيـد مـن الرقي الروحي، طمعا في مزيد من القرب.

سميـت هـذه الـنفس بــ (الملهمـة) لأن الحـق عـز وجـل ألهمهـا سـبيلي الصـلاح والطـلاح وهـو معنـى قولـه تعـالى : (ونفـسٍ ومـا سـواها . فالهمهـا فجورهـا وتقواهـا قـد أفلـح مـن زكاهـا . وقـد خـاب مـن دسّـاها).(2) وكـون هـذه الـنفس ملهمـة، فهـذا يعـني أنهـا أصـبحت تسـمع، بغـير آلـة، أي بالألهـام

[1] الجيلي – الفيوضات الربانية – ص24.

(1) القبض والبسط: هما حالتان تغشيان العبد بعد ترقيه عن حالة الخوف والرجاء، والقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستانف والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستانف والقبض والبسط متعلقان باللحظة الآتية أما الخوف والرجاء فمتعلقان بالآجل من الزمان – للتفصيل حول ذلك – أنظر – الرسالة القشيرية – ص55.

(2) سورة الشمس – الآيات – 7،8،9،10.

المباشر، نداء الرحمة ووسوسة الشيطان، بعد أن كانت وهي في المقام الذي قبله، لا تسمع شيئا، لأقترابها من مستوى طباع الحيوانات، وهنا يتجلى، وبوضوح تام، أعتقاد الإمام عبد القادر، بان النفس الإنسانية، واحدة بحقيقتها، وإنما الذي يتغير منها، فقط، هو طباعها وأهوائها وميولها.

هذه النفس، لأجل أنها تسمع ((لمة الملَك ولمّة الشيطان))(3) صار المريد معها، أيضا، في مقام خطر وصعب، فهو يحتاج هنا كذلك، إلى من ياخذ بيده - والأشارة هنا صريحة إلى ضرورة السلوك على يدي الإمام المرشد العارف – ليخرجه من ظلمة الشبهات إلى نور الحقائق اليقينية لأنه، وهو في هذا المقام، لايزال ضعيف الحال، لا يفرّق بين الجلال والجمال، ولا بين الوساوس والألهامات لعدم خلوصه تماما من الطبائع الرديئة، إضافة إلى إنه يُخشى عليه، فيما لو ترك من غير دليل، أن يغفل عن نفسه، أو يعجز عن المحافظة عليها، فيعود القهقري، إلى المقام الأول وتعود له نفسه الأمّارة بالسوء، فيكون عندها من الخاسرين، ولا يصح له بعدها سلوك، ولا تنفع معه خريقة.

إذن فالمجاهدات تستمر مع هذه النفس، وكذلك ملازمة السهر والجوع والأعتزال عن الخلق والأقلال من الكلام، مع التمسك باذيال الإمام العارف وأطلاعه على جميع هواجس القلب وخطراته، حسنة كانت أم قبيحة، على أن يكون ذلك مصحوبا بالثقة التامة والطاعة العمياء للشيخ والمريد كلما زادت ثقته بشيخه وقوي أعتقاده به، قوي أنجذابه نحو عالم القدس، وضعفت قوة البشرية لديه، لأنه بهذه الطاعة، سيستقي من أنوار شيخه القدسية المصدر، ولأنه كلما أزداد أنجذابه نحو شيخه، سيحقق له بذلك نوعا من التوحد القلبي الذي ينيله بعض أحوال شيخه. أن تاكيد الإمام عبد القادر، على ربط سلوك المريد بارادة الإمام العارف، أنما هو يؤسس لسيادة نهج الطرق الصوفية، على بقية أنواع السلوك الصوفي الفردي التي كانت سائدة قبل ذلك، والتي أدت إلى ظهور الكثير من المروقات والشطحات وأنواع الخروقات الشرعية، مما عمل على تنفير الناس من السلوك الصوفي برمّته.

إن الطريقة عند الإمام عبد القادر، تسعى إلى تحري الأنضباط في سلوك المريدين، وتسعى أيضا إلى تحقيق المراقبة الشديدة والمباشرة من لدن شيخ الطريقة، على جميع حركاتهم وحتى خطراتهم.

---

(3) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوطة.

وكون المريد (ذا) النفس الملهمة، جامعا في باطنه، لنزعتي الخير والشر، لا يمنع من وجود علامات أكيدة، تدّله على غلبة أحدى هذه النزعات على الأخرى فاما علامات غلبة نزعة الخير لديه، فتتمثل في أن يرى باطنه معمورا بالحقيقة الأيمانية، وظاهره بالشريعة الإسلامية، وأن يكون وجدانه محققا، بان جميع مافي الوجود، جارٍ على وفق إرادته تعالى ، مقدورٌ بقدرته، وان تكون جميع جوارحه متلبسة بالطاعات ومنخلعة عن جميع كبائر الذنوب وأكثر صغائرها. وأما علامة غلبة نزعة الشر لديه، فتتمثل في أن يرى في نفسه القدرة على شهود الحقيقة الأيمانية، مع بقاء شئ من علائق بشريته الدنيوية، وأن لايكون ظاهره معمورا بالشريعة، فيترك الطاعات ويرتكب بعض المعاصي، ويحدث له ذلك خاصةً، عندما يقوى عود بصيرته، مع بقاء علائقه السابقة، على شهود الحقيقة الأيمانية، ويرى أن أفعاله هو، جارية على وفق إرادة الله تعالى ، فتحجب بصيرته بانوار الحقيقة عن النظر إلى أسرار الشريعة، ((فيطرد عن أبواب الحضرة الجامعة للضدين – أي الظاهر والباطن – وعن شهود الواحد الحقيقي أثنين – متكثرا بالشريعة وواحدا بالحقيقة – فيقف حينها عند البوارق التي وافقت طبعه))(1) وهي بوارق وحدة الشهود وفناء الإرادات، التي إذا ما خالطها شئ من علائق الطبع، فانها ستؤدي حتما إلى هجر الشريعة وأسقاط التكاليف. ولا يخفى على المطّلع هنا، أن الإمام عبد القادر، كان دقيقا جدا في ربطه بين جانبي الشريعة والحقيقة بحيث إن المريد السالك، حتى وهو متماه مع حالة شهوده، لا يمكنه من أن يخلع عنه رداء الظاهر، وإلا فسيخرج عن نعمتي الظاهر والباطن معا، والسالك الذي تبعده البوارق والمطالع عن متابعة الشرع، فان ذلك يدل على ثقل طبعه وعدم صفاء نفسه، لأن مجانبة حدود الشرع، فيه دلالة أكيدة على الميل إلى الكسل والدعة والتذرع بالواهي من الذرائع، وهي من أهواء النفس التي أُمر أصلاً بالتجرد عنها.

صاحب النفس الملهمة، هو أيضا على خطر، لأنه في تلفت مستمر صوب مقاميه السابقين، فاذا كان من شيمة الطبع أن لا يني عن التغالب مع التطبع، فان من طبع النفس الإنسانية أن تترقب غفلة من صاحبها، فمتى ماغفل عن سوقها وزجرها، عادت مرة آخرى إلى ما ألفته وأعتادته، فاما ما يصفه الإمام عبد القادر، من علاج لهذه النفس في هذه المرحلة، فهو: أن يجتهد المريد في أن يلهب نفسه بالعشق والهيمان والشوق للوصال وإلى الأجتماع مع الأحبة والتطلع إلى النظر إلى وجه المعشوق، فان هذه الدوافع تشدّ من عزيمة السالك، وتقويه على السير في طريقه، وخاصة إذا

---

(1) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوطة.

لمس من نفسه الميل إلى الأنتكاس والتقهقر. إذن فليس الخوف من العقاب أو تذكر (هادم اللذات) هو الحافز المثالي للمريد في هذه المرحلة، فالنفس في مقام الألهام تبدو وكان البواعث أمامها قد تعادلت، والأحتمالات قد توازنت، فهي تبدو وكانها مشدودة إلى جميع أوتارها الداخلية المتقابلة فهي والحالة تلك، في حاجة إلى وازع جديد وجذب خارجي مختلف يحرك ركودها ويدفع بها نحو كسر الحياد والأندفاع نحو مزيد من الرقي الروحي، ولا أنفع لها في ذلك ولا أنجح من العشق والأشتياق الذي أكتفى به (أرسطو) دافعا لتحريك سكون الأفلاك والأكوان.

رابعا: النفس المطمئنة

هذه النفس لون نورها أبيض، وهو لون الصفاء والنقاء، والاستعداد للنقش الجديد، كما أنه يدل على الفناء الذي يسبق الوجود الفائق، وأما عالمها، فهو الحقيقة الجامعة لكل الحقائق، ما ظهر منها وما بطن وما كان منها متعلقا بالدنيا أم بالآخرة، وأما محلها فهو السر، الذي يدل على الكمال والوصول، وأما واردها فهو الحقيقة، لإكمال تحققها بالشريعة، فاصبحت لا تاتي حركة أو فعلا ظاهرا كان أم باطنا، إلا وهو مطابق في مقصودة لمطلوب الشريعة.

الحال الغالب على هذه النفس هو: الطمانينة الصادقة، وهذا ما يميزها من حال الطمانينة الكاذبة التي مرت علينا في النفس الملهمة، والتي كانت تغري صاحبها بالأكتفاء بانوار الحقيقة دون الشريعة، وقد علمنا أن هذا هو مكمن عدم الطمانينة والخطر فيها.

تتصف هذه النفس بالجود والحلم وحسن التوكل وكثرة العبادة والصدق في شكر وطاعة الله تعالى وكذلك الأستقامة وطهارة القلب وصفاء النفس.(1) الورد الذي يضعه الإمام عبد القادر لصاحب هذه النفس هو أسمه تعالى (الحي)(2) والذي يدل على أكتساب الحياة الجديدة الطيبة والأبدية المفعمة بالمعارف الربانية والعلوم اللدنية والمتطلعة إلى الأرتشاف من الحضرات الشهودية. إذن فلا يمكننا من أن نحصي في هذه النفس إلا صفات الخير والصلاح، لأن المريد في هذه المرحلة يكون قد خطا خطواته الأولى في بر الأمان وذلك بعد تخلصه من كثير من أثقال خبائعه وأوزار أهوائه.

يرى الإمام عبد القادر، أن النفس المطمئنة تمثل الطور الأول من أطوار النفس الكاملة إذ يبلغ المريد معها أولى درجات الكمال الروحي، وذلك بعد أن تكون قد هبت عليه نسمات القرب والوصال، التي تنقله من حال التلوين – وهو حال التذبذب والتقلب – إلى حال التمكين – وهو حال الأستقرار والثبات -، وأن من علامات بلوغ وصحة هذا المقام، هو: أن يغلب خير المريد شرّه وان يكون باطنه

(1) الجيلي – الفيوضات الربانية – ص25.

(2) الجيلي – المصدر نفسه – ص17.

معمورا بالحقيقة الإيمانية وظاهره منورا بالشريعة الإسلامية، أي ((متلبسا بالطاعات متجنبا عن جميع الكبائر وأكثر الصغائر، سواء أكان بين الناس أو كان في خلوة)).(3) وأن كل هذا الأفعال تصدر عن صاحب هذه النفس بيسر وبصورة طبيعية وتلقائية، أي من غير كلفة أو مشقة، وذلك لاطمئنان النفس، بعد تحققها وتيقنها بان جميع ما في الوجود، جارٍ على وفق إرادته تعالى ، مقدورا بقدرته. وأما المقامات التي يحوز عليها صاحب النفس المطمئنة، فهي مقام التوكل والصبر الشكر والرضا، فلا يمكن أن نتخيل نفسا مطمئنة إلا وهي متوكلة على ربها صابرة على بلائه، شاكرة لنعمه، راضية بعطائه.

سميت هذه النفس بالمطمئنة، لأن صاحبها لا يفارق حدود الأمر التكليفي ولو قليلا، ولا يلتذ إلا بالتخلق باخلاق المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ولا يطمئن إلا باتباع أقواله وأفعاله وأحواله لأنه (صلى الله عليه وسلم) هو وحده

على الحقيقة، صاحب مقام التمكين وعين اليقين والأيمان الكامل، ولأن حقيقته (صلى الله عليه وسلم) هي الحقيقة العظمى الجامعة لكل الحقائق، ولأنه (صلى الله عليه وسلم) أصل الوجود وعين الشاهد والمشهود، ولأنه (صلى الله عليه وسلم) أول الأوائل وأدل الدلائل ومنتهى العروج الكمالي والمثل الأعلى الألهي.

ويظهر على صاحب هذه النفس بعد اطمئنانها، مزايا وصفات، لم تكن لتظهر على من لم يلتحق بهذا المقام، فترى الخلق، مثلا، ينجذبون إليه، وتلتذ به أعين الناظرين وأسماع السامعين، حتى لو تكلّم طول الدهر، فلا يمل كلامه، لأن لسانه سيصبح ترجمانا لما يلقيه الله تعالى في قلبه من حقائق الوجود وأسرار الشرائح، فهو لا يتكلم بكلمة إلا وتجئ مطابقة لما قاله تعالى أو قاله رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم)، من غير مطالعة في كتاب أو سماع من غير.(1) إنه يسمع في داخله نداء: ((أنا سرك أيها الحبيب وأنت سري))(2) فيطمئن ما كان يعتمل فيه من الاضطراب ، ويغرق في بحر الحياة الروحية والخلق المحمدي وتلازمه الخشية والهيبة، وتخلع عليه خلع الوقار

(3) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوطة.

(1) يشير الإمام عبد القادر، من خلال هذه العبارة إلى أمرين: الأول هو أن المعارف الصوفية هي معارف لدنية ربانية تنال بالمجاهدات والرياضات وليس من خلال القيل والقال، والثاني هو أن العبد إذا صفت نفسه واطمأنت جاءت أفعاله موافقة لما أمر به الشرع.

(2) الجيلي -سير السلوك إلى ملك الملوك - مخطوطة

والقبول، وتظهر له حقيقة عالم الكون والفساد، فيرى رؤية بصيرة، حقيقة قوله تعالى : (وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والأكرام).(3)

إذن فهذه الميزات التي حصل عليها المريد، سواء في هذا المقام أو في سواه، ما هي إلا حاصل جهد مضنٍ وعمل شاق مع حرص شديد على الموازنة بين شقي الشريعة والحقيقة، من غير إفراط في أحدهما أو تفريط في الآخر. وهذا هو خلاصة ما كان يرمي الإمام عبد القادر لأن يوصله إلى سامعيه. أخيرا، ينصح الإمام عبد القادر، المريد، صاحب النفس المطمئنة، رغم تنعمه بالأمان بان يتحرى الحذر في علاقته مع الآخرين، فهو إن كان عليه أن يجتمع معهم ليرشدهم ويدلهم، وليفيض عليهم مما أنعم الله تعالى عليه، ولكي يترجم لهم عمّا في قلبه من درر الحكم، فان عليه، من جهة أخرى، أن يترك لنفسه، أوقاتا مخصوصة يختلي بها مع خالقه، ويسعى من خلالها إلى زيادة في الصفاء والقرب، لأنه، وهو في هذا المقام ما يزال في أدنى درجات الكمال الروحي، فلا يناسبه، مع هذه الحالة، مخالطة الخلق في جميع الأوقات، كي لا يحرم نفسه الترقي إلى المرتبة التي تليها.(1)

خامسا: النفس الراضية

يضع الإمام عبد القادر، لهذه النفس اللون الأخضر، وهو أسعد الألوان وأقربها من الرحمة الإلهية والعطاء الرباني، وأما عالمها فهو اللاهوت، إذ لا مجال في هذه المرتبة لعالم الناسوت، بشقيه الذات والآخرين ولا عالم الخلق بشقيه، الدنيا والآخرة، إذ أن توجه الهمة يكون خالصا لبارئها. وارد هذه النفس، هو المعرفة أيضا، ، ومحلها هو سر السر، وهو آخر المراتب الوجودية للنفس إذ لا يكون بعدها إلا المحق، وأما سيرها فهو في الله، الذي هو أرفع منزلة من السير إلى الله تعالى إذ أن السير في الله يدل على ذوبان الإرادة الإنسانية في الإرادة الإلهية. وأما حالها فهو الفناء وهذا ما ينسجم وجميع الخصائص التي ذكرت لهذه النفس، وأما دلالتها، فانها تدل على كمال العقل وتمامه وحب التقرب إلى الله عز وجل.(2) ونلاحظ هنا أن الإمام عبد القادر، قد منح لهذه النفس الكمال العقلي، فاما كمال الروح، فان أوانه لم يحن بعد، لأن حال الروح هنا هو الفناء، وهو ليس آخر المقامات ولا أعلاها، إذ يتبعه البقاء الجديد الذي ما بعده فناء.

(3) سورة الرحمن – آية / 26.

[1] الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوطة.

(2) الجيلي – الفيوضات الربانية – ص17.

في هـذه المرتبـة، تـزول جميـع الطبـاع السـيئة والأهـواء الرديئـة عـن الـنفس، حتـى لا يبقـى لهـا أثـر يـذكر، فيكـون السـالك معهـا فانيـا بـالله عـز وجـل لا باقيـا بنفسـه، كمـا كـان قبـل ذلـك، ولا باقيـا بـالله عـز وجـل، كمـا سيـكون عليـه الحـال في المحطـة الأخـيرة، وهـذه الحالـة – يقـول الإمـام عبـد القـادر – لا تدرك إلا ذوقا، وهو بذلك يقطع السـبيل أمام المعترضين، ممن هم من غير المشتغلين في الحقل

الصـوفي، فكـون المـرء جاهلا بـامر مـا فـان ذلـك لا يلغـي وجـود هـذا الأمـر ولا يـدل علـى خطئـه، ثـم إن الحقـائق لا تستحصـل كلـها عـن طريـق الأسـتدلال والأسـتنباط والقيـاس، أو النظـر العقلـي بوجـه عـام بـل إن هنـاك حقـائق، يـرى الصـوفية إنهـا لا تنـال إلا بالتجربـة والـذوق والمشـاهدة القلبيـة، وهـذا هـو موضـع الخلاف الأصلي بين الصوفية وغيرهم من المشتغلين بحقول المعرفة المختلفة.

يغلـب علـى الـنفس الراضـية، صـفات الزهـد فيمـا سـوى الله عـز وجـل، وهـي إشـارة إلى الزهـد في الـدنيا والآخـرة علـى حـد السـواء، ويغلـب عليهـا الأدب معـه تعـالى ، والإخـلاص والـورع والنسـيان، أي نسـيان الأذى وسـيئات الآخـرين، وكـذلك نسـيان حظـوظ الـنفس والـدنيا، وكـذلك الرضـا بكـل مـا يقـع في الوجـود مـن غـير أخـتلاج ولا أعـتراض ولا قصـد أو توجـه لرفـع المكـروه منـه، لأن المريـد مـع نفسـه الراضـية يكـون متفرقـا، غارقـا في شـهود الجمـال المطلـق، وقلبـه مشـغول بعـالم اللاهـوت وسـر السـر.(1) وأمـا نفسـه فغريقـة في بحـر الأدب مـع الله تعـالى . ومـن العلامـات الدالـة علـى صـاحب الـنفس الراضـية هـي كونـه عزيـزا عنـد الخلـق بصـورة منقطعـة الـنظير، لأنـه قـد نـودي عليـه مـن حضـرة القـرب (أنـك اليـوم لـدينا مكـين أمـين)(2) فصـار تعظـيم الخلـق لـه قهريـا، فـلا يعلمـون لمـاذا يعظمونـه أو يجلونـه، وهـو كلمـا أعـرض عـنهم وإشـتغل بربـه، زاد شـوقهم إليـه. ومـن جهـة آخـرى فـان المريـد مـع هـذه المرتبـة، يكـون قـد أشـرف علـى سـلطنة البـاطن، الـتي تكـون الظـواهر، خاضـعة لسـلطتها الواقعـة تحـت قهرهـا.(3) فهـو مـع هـذه الحالـة، لا يكـون لـه ركـون أو أعتمـاد، علـى أي مخلـوق، بـل يكـون ركونـه إلى الله تعـالى وحـده. الـورد الـذي يصـفه الإمـام عبـد القـادر، للمريـد في هـذه المرتبـة، هـو أسمـه تعـالى (الواحـد) بلفظـة (يـا واحـد)، إذ إن الأكثـار مـن ذكـر هـذا الأسـم، يعجـل في زوال حـال الفنـاء عـن الـنفس الراضـية، كـي يحـل

(1) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوطة.

(2) سورة يوسف – آية / 54.

(3) يشير الإمام عبد القادر هنا، إلى أنه في هذه المرحلة يبدأ ظهور الكرامات وخوارق العادات على يدي الصوفي وهي تتمثل في طاعة الأشياء له وخضوعها لأمره، حتى لو كان في هذا الخضوع تغييرا لطبائع الأشياء وقلب لقوانينها الداخلية، كما حدث مع نار إبراهيم (عليه السلام) مثلا.

محله حال البقاء بالله تعالى .(4) كما أنه يدل على الوحدانية المطلقة المؤيدة بشهود قرب أنسه والدالة على وجوده في ذاته وألوهيته المتعالية.(5)

وأخيرا فانه يمكننا أن نلمس هنا بوضوح، نبرة التصعيد الروحي المتناغم، الذي يمثل فحوى النهج الصوفي عند الإمام عبد القادر، والذي يبدأ من النفس الأمّارة بالسوء الموجودة بنفسها والملتصقة بالجسد والشهوات والأهواء والمتعلقة بالمخلوقات دون الخالق والمفرّخة بالشريعة والحقيقة معا، ثم يصل تدريجيا إلى النفس الراضية التي لا تامر إلا بالخير والتي ليس لها وجود إلا بربها والتي لا تربطها أية علاقة بالشهوات والأهواء والتي تجمع في داخلها، حقيقتي الشريعة والطريقة، على السواء.

سادسا: النفس المرضية

هذه النفس لونها أسود، وهو اللون الجامع لكل الألوان أي أنه يدل على أحتواء جميع المراتب والكمالات والأحوال والمقامات، وجامع أيضا لنوري الشريعة والحقيقة، ولحبي الخالق والخلق وأما عالمها، فهو عالم الشهادة لأنها قد أتمت رحلتها في عالم الغيب، ولم يبق أمامها إلا العودة إلى موضعها السابق، وأما محلها فهو الخفاء، ودائرتها الفناء والنور، تمييزا لها عن دائرة الفناء المحض الذي تلفعه الحجب الظلمانية، وسيرها عن الله عز وجل، وهو يختلف عن السير في الله تعالى كاختلاف الصبر في الله تعالى ، عن الصبر عن الله تعالى ، والسير عن الله تعالى فيه دلالة على بداية ظهور علامات الخلافة العظمى التي ستتحقق في المرتبة اللاحقة. وأما حالها فهو الحيرة المتولدة عن مطالعة الغيب ومتابعة الشهادة، وأما واردها فهو الشريعة، لأن صاحب النفس المرضية يحتاج إلى الشريعة للحكم بين الناس، ولكي يكون لهم قدوة في ذلك.

تتصف هذه النفس بحسن الخلق وترك كل ما سوى الله عز وجل، واللطف بالخلق - وهو مقام الإمام المرشد – وحملهم على الصلاح، والصفح عن ذنوبهم وحبهم والميل أليهم من أجل آخراجهم من ظلمات طباعهم وأهواء أنفسهم، إلى أنوار أرواحهم، ولكن ليس ميله إلى الخلق، هو

---

(4) الجيلي – المصدر نفسه – مخطوطة.

(5) الجيلي – الفيوضات الربانية – ص17.

كالميل الذي في النفس الأمّارة بالسوء، فان هذا الأخير هو ميل شرك وحاجة وخضوع.(1) ومما يتصف به صاحب النفس المرضية، أنه يجمع بين حبي الخالق والخلق، ويرى الإمام عبد القادر، إن ذلك أمر عجيب لا يشير إلا إلى أصحاب هذا المقام، ولذا كان صاحب هذه النفس، لا يتميز من عوام الناس من حيث ظاهره، وأما من حيث باطنه، فانه يعد معدن الأسرار وقدوة الأخيار، وليس في شهوده شئ من الأغيار من حيث هي أغيار، بل من حيث هي خلق وعباد لله عز وجل، ويتصف صاحب هذه النفس بالوفاء بالوعود والعهود، ووضع كل شئ في موضعه الصحيح، فتراه مثلا ينفق الكثير من المال إذا صادف محله، فاذا لم يصادف له محلا، فانه يحجم عن ذلك، وهو يتصف أيضا، بانه لا يغادر حالة الموازنة أو الحالة الوسطى التي هي بين الأفراط والتفريط. وهذه الحالة لا يقدر عليها إلا من كان في هذا المقام، فهي خفيفة على اللسان ثقيلة عند الأمتحان، وأن كل شخص يحب هذه الخصلة ويحب من يتصف بها، إلا أنها صعبة المنال.(1) لأن الإنسان مجبول بطبعه على الميل إلى ما يحب ويشتهي بحيث لا يمكنه أن يعتاد على الأتزان المحايد إلا بعد مجاهدات شاقة يتجاوز من خلالها الكثير من الأهواء والميول النفسية.

ينضوي صاحب النفس المرضية، ضمن دائرة العلم الألهي (الحالي)(2) لا علم الرسوم المقالي وهنا يكمن مصدر طاعة الناس له وتقبلهم منه، إذ أن من ميزة العلم الألهي إنه يلج إلى القلوب والأرواح قبل أن يطرق الأسماع والعقول، والمريد، منذ البواكير الأولى لبلوغه مرتبة النفس المرضية، فانه تلوح عليه بشائر الخلافة الكبرى، وأما في نهاية المطاف، فانه تخلع عليه خلعتها وهي خلعة: كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها.(3) ويلاحظ هنا الإمام عبد القادر، يسترسل كثيرا في توضيح حال هذه النفس، وهو يستعين في ذلك باقوال مستمدة من الشرع، وهو يفعل ذلك خشية اللبس في فهم الآخرين لمقاصده فتراه يقول

---

[1] الجيلي – الفيوضات الربانية – ص18.

(1) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوطة.

(2) العلم الألهي الحالي، أي نسبة إلى الحال الصوفي، والحال هو ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار، وإن من صفته عدم الدوام، وقد قيل أن الحال هو الذكر الخفي – أنظر - الطوسي – كتاب اللمع في التصوف الإسلامي – ص40.

(3) يستند الإمام عبد القادر هنا إلى الحديث القدسي الشريف: لا يزال عبدي المؤمن يتقرب ألي بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته، كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يعقل وبي يبطش. أنتهى. وهو حديث متفق عليه رواه البخاري عن أبي هريرة. أنظر – المغني عن حمل الأسفار ج / 1 – ص77 – وكذلك نيل الأوطار – ج / 2 – ص62.

مـثلا: إن هـذا التـاثير الخـارق للعبـد، لا يكـون إلا بالأسـتعانة بقـوة الحـق عـز وجـل، ولا يمكـن أن يـرى السالك أنه هو الحق جلّ أسمه، كما فهم ذلك بعض الملاحدة عن أكابر الصوفية.(4)

أمـا كيفيـة بلـوغ وتحقيـق هـذا الحـال فهـو مـا يـاتي: أن السـالك إذا وصـل إلى مقـام الفنـاء، وهـو المقـام الـذي تبلغـه الـنفس في مرتبتهـا السـابقة، أي مرتبـة الـنفس الراضـية، فسـتنمحق صـفاته الذميمـة وأخلاقـه البشـرية الرديئـة الـتي هـي محـل الأنفعـال والشـقاوة، وهـذا يـتم بسـبب تقربـه إلى مـولاه عـز وجـل بالنوافـل الـتي تشـتمل علـى أنـواع العبـادات، بمـا فيهـا الرياضـات الروحيـة ومجاهـدة الـنفس والـذكر المسـتمر، فيهبـه الله تعـالى ، كرمـا منـه ومنّـة، صـفات بديلـة عـن صـفاته السـابقة بحيـث سـيبدو أمـام النـاس وكانـه قُـدَّ مـن معـدن جديـد لا مثيـل لـه بـين البشـر، وإن هـذه الصـفات الجديـدة الـتي تلحـق بـه، تكـون مـؤثرة في جميـع المخلوقـات مـن بشـر وغيرهـم وبـاذن ربهـا، وأمـا علومـه ومعارفـه فـان منبعهـا يكون من (حق اليقين)(1) الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

سميـت هـذه الـنفس بالمرضـية، لأن الحـق تعـالى رضـي عنهـا وسـيرها عنـده، فاخـذت مـا تحتـاج أليـه مـن العلـوم، مـن حضـرة الحـي القيـوم، ورجعـت مـن عـالم الغيـب إلى عـالم الشـهادة، بـاذن الله تعـالى ، لتنفـع الخلـق ممـا أنعـم الله تعـالى بـه عليهـا. وهـذا هـو دورهـا الـذي خُلقـت لأجلـه، وهـذا هـو في الوقـت نفسه الدور الإيجابي الذي يميز التصوف الإسلامي من سواه في الأديان الآخرى.

سابعا: النفس الكاملة:

مـع هـذه الـنفس يكـون المريـد قـد بلـغ آخـر مرتبـة مـن مراتـب الكمـال وأرقاهـا، وهـي لا تكـون إلا لخاصـة الخاصـة مـن البشـر، ممـن أدركـتهم سـابق العنايـة الإلهيـة. لـيس لهـذه الـنفس نـور، ولـيس في ذلـك دلالـة علـى عتمتهـا، وإنمـا هـو يـدل علـى درجـة فنائهـا الفائقـة في الـذات الإلهيـة، ويـدل أيضـا علـى شـدة فقرهـا وذلهـا وخضـوعها لربهـا، بحيـث لا تمثـل أمامـه بـاي سمـة تميزهـا. وأمـا عالمهـا فهـو الحـيرة، وذلـك لأقترابهـا مـن حضـرة الجـلال والعظمـة الإلهيـة الـتي تُعجـز العقـول وتحـير الألبـاب، وأمـا حالهـا، فهـو البقـاء الـذي يلـي الفنـاء ولـيس البقـاء الـذي هـو قبلـه، ومحلـها الأخفـى الـذي نسـبته إلى الخفـيّ، كنسـبة الـروح إلى الجسـد ونسـبة القلـب إلى بقيـة الأعضـاء. وارد الـنفس الكاملـة، هـو جميـع الأسمـاء الحسـنى وصـفاتها

---

(4) يؤكد الإمام عبد القادر هنا موافقته على مقوله الحلاّج (أنا الحق)، وهو يلقي باللائمة على سوء فهم بعض (الملاحدة) لمثل هذه الأحوال.

(1) حق اليقين: هو عبارة عن فناء العبد في الحق والبقاء به علما وشهودا وحالا، لا علما فقط – أنظر – الجرجاني – كتاب التعريفات – ص95. وحق اليقين يطلق أيضا على ما كان بنعت العيان، فعلم اليقين لأرباب العقول وعين اليقين لأصحاب العلوم وحق اليقين لأصحاب المعارف – أنظر – الرسالة القشيرية ص74.

هي جميع ما ذكر من الصفات الحسنة. وهي تنضوي تحت دائرة الرحمة والإخلاص بمعرفته تعالى والتصديق بشرائعه.(2)

مع هذه النفس، يكون الصوفي قد بلغ أعلى مراتب الكمال الروحي التي يمكن أن يبلغها مخلوق لأنه قد كملت فيه سلطنة الباطن، وتمت به المكابدات وجميع أنواع المجاهدات ومع النفس الكاملة يكون الإنسان قد أستعاد الصورة الآدمية الأولى التي كانت قبلةً للملائكة ومصدرا لعلومهم، والتي كانت حقيقتها هي (الحقيقة المحمدية) وهي سر الله الأعظم واللطيفة الإلهية التي لا ثاني لها. ومع كل هذه الصفات، يكون الصوفي قد بلغ أقصى درجات القرب المتاحة من الحضرة الإلهية، فإذا ما بلغها، تحقق بالعبودية المحضة والعجز والذل، فعرف نفسه بهذا الوصف وعرف ربه بنقيضه.(1) إذن فالنهج الصوفي عند الإمام عبد القادر، يهدف إلى أستعادة الإنسان سيرته الأولى، وهي سيرة أبيه آدم (عليه السلام) من حيث درجة قربه من ربه تعالى ، وإتصاله به من دون واسطة أو وسيط، وكذلك درجة صفائه النفسي وعدم خضوعه للحاجات والأشياء المادية، وسيادته المطلقة على جميع المخلوقات بما فيها الملائكة.

ليس لصاحب النفس الكاملة مطلوب، سوى رضوان ربه تعالى ، فهو، رغم علوّ مقامه، لا يفتر عن الذكر والشكر والعبادة بكله، أي بقلبه ولسانه وجميع جوارحه، ولذلك ترى أن حركاته حسنات وأنفاسه قدرة وحكمة وعبادة، وهو إن رآه الناس ذكروا ربهم. على أنه لا يرى إلا في حبور ظاهر مادام الناس متوجهين إلى ربهم تعالى ، ولكنه يحزن أشد الحزن ويغضب لإدبارهم عن ربهم. وليس في قلبه كراهية لمخلوق، وهو يامر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يفتر عن ذلك أو يملّ، وإنه ليضع كل شئ في موضعه الصحيح، وهو متى ما وجّه همته إلى كون من الأكوان، أوجده الله تعالى على وفق مراده، لأن مراده في مراد الحق ومن مراده، فاذا ما أراد شيئا وتوجه في طلبه من الله تعالى ، فانه لا يخيبه، وهذه الميزة تسمى الدعوة المستجابة، وهي من أخص خصائصه وأوفر كراماته.(2)

(2) الجيلي – الفيوضات الربانية – ص27.

(1) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوطة.

(2) الجيلي – نفس المصدر - وتجدر الأشارة إلى أن الإمام عبد القادر، يضع في مقابل الأنفس الست الأولى ستة خواطر للقلب، وهي: خاطر النفس وخاطر الشيطان وخاطر الروح وخاطر الملك وخاطر العقل وخاطر اليقين. الخاطر الأول والثاني مذمومان لأنهما لا يامران إلا بالتمرد وترك الطاعات وإقتراف الآثام، وهما لعموم المؤمنين، وأما خاطر الروح والملك، فهما محمودان ةلا يامران إلا بالحق وهما لخواص الناس، وأما خاطر العقل فانه يميل تارة إلى جهة الخير وأخرى الى جهة الشر، وإن في ذلك لحكمة من الله تعالى، لكي يكون فعل العبد

ومـع صـفات الـنفس الكاملـة، نكـون قـد أقترينـا كـثيرا مـن صـفات الوريـث المحمـدي أو الإنسـان الكامـل أو صـاحب الخلافـة العظمـى، الـذي سـيرد عنـه الكـلام مفصـلا في الفصـل التـالي، ويمكننـا أن نلمـس ممـا سـبق، فضـل الريـادة والسـبق، اللـذين تميـز بهمـا الإمـام عبـد القـادر، مـن خـلال توسـعه في ذكـر أنـواع الأنفـس وصـفاتها، وبهـذه الدرجـة مـن الدقـة والتفصـيل، ويمكننـا أن نلمـس أيضـا مـا أشـتمل عليـه وصـفه للـنفس الإنسـانية، مـن حـدس فـائق وإسـتبطان دقيـق، سـلطا الضـوء علـى زوايـا كـثيرة مـن هـذه النفس، كانت خافية قبل ذلك.

النفس والمنهج الاصلاحي

إن توسـع الإمـام عبـد القـادر، في بحثـه في الـنفس، يمكـن القـول، أنـه متـات أولا مـن طبيعـة منهجـه الأصـلاحي، فهـو قـد عمـل جاهـدا علـى جعـل التصـوف الإسـلامي العملـي وسـيلة فعالـة مـن وسـائل إصـلاح الأفـراد والجماعـات، وثانيـا، لأنـه أمـل في نشـر مبـادئ طريقتـه الصـوفية بـين أكـبر عـدد ممكـن مـن النـاس، كمـنهج بـديل لـترك هـؤلاء لجـوهر التعـاليم والمبـادئ الإسـلامية وتشـبثهم بالظـاهر مـن رسـومها، وكـذلك إنغماسـهم في الشـهوات ورزوحهـم تحـت نـير ظلـم بعضـهم لـبعض، وتسـلط أعـدائهم عليهم. فكـان التوسـع في الحـديث عـن الـنفس، مـع التبسـيط المقصـود، في أحصـاء مراتبهـا وأحوالهـا وأنفعالاتهـا، خـير وسـيلة لتقريـب معناهـا مـن أفهـام النـاس وثـم مسـاعدتهم علـى معرفـة نفوسهم، وهذه هي الخطوة الأولى والأهم في جماع الفعل الصوفي بوجه عام.

يبقـى هنالـك تسـاؤل مهـم لابـد مـن طرحـه قبـل الأنتهـاء مـن هـذا الموضـوع، وهـو: هـل إن تصـور الـنفس عنـد مفكـري الإسـلام، كـان مرتبكـا ومائعـا وغـير محـدد الملامـح، بحيـث أنهـم تخبطـوا كـثيرا في تحديـد ماهيـة الـنفس وفي التفريـق بينهمـا وبـين الـروح أو العقـل، وبحيـث أنهـم ظلّـوا حبيسـين للتصـورات الجاهليـة الخرافيـة عـن الـنفس وللجـذر اللغـوي القـديم الـذي ربـط بـين الـنفس والـدم وذات الإنسان، كما يذهب إلى ذلك بعض المستشرقين المعاصرين ومن تبعهم من المفكرين العرب؟(1)

مقرونا بحضور عقله وموزونا بميزانه، وهذا هو موضع التكليف. وأما طاهر اليقين، وهو منبع روح الأيمان فانه لخواص الأولياء من أصحاب اليقين. – أنظر – الجيلي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص67.

(1) حول تفصيل هذه الآراء، يراجع كتاب – يوسف شلحد – بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام – تعريب د. خليل أحمد خليل – دار الطليعة بيروت. أما عن الجذر اللغوي لكلمة (نفس) – فانظر – لسان العرب لأبن منظور – ج/8 – ص119 وما بعدها وكذلك – تاج العروس للزبيدي – ج/4 – ص260 فما بعدها.

إننا لو بحثنا في الناتج الفكري لمفكري الإسلام، وبخاصة منه ما يتعلق بموضوع النفس، لوجدنا إن هؤلاء المفكرين سواء أكانوا فلاسفة أم متكلمين أم صوفية، كانوا هم الأوفر بحثا والأكثر عمقا من مفكري الحضارات والأديان الأخرى، في بحثهم ودراستهم للنفس الإنسانية، ويتجلى ذلك بوضوح أكثر، لدى الطائفة الأخيرة، فهؤلاء لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة لها علاقة بالنفس، إلا وأحصوها لا بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فوضعوا مناهج، يمكن أن نقول عنها (علمية)، في كيفية التعامل مع النفس وكيفية علاجها والترقي بها نحو مدارج الرقي الروحي، ولنا فيما سبق من كلام الإمام عبد القادر، خير مثال على ذلك.

ثانيا : المقامات عند الإمام عبد القادر الجيلي

تقديم :

يعدّ موضوع المقامات، من الموضوعات الأساسية في الفكر الصوفي الإسلامي، فلا يمكن لأي شيخ صوفي أو دارس للتصوف الإسلامي، أن يتجاوز هذه الموضوع، بل هو لا يستطيع إلا أن يقف معه طويلا، إسهابا وتفصيلا، لأهميته من جهة، ولتغلغله في جميع مفاصل التجربة الصوفية — بوجه عام — من الجهة الآخرى.

كذلك الحال عند الإمام عبد القادر، إذ يمكن للدارس، أن يرى بوضوح، ان موضوع المقامات عنده، وبكافة مفرداته وفقراته المعهودة، كالشكر والصبر والإخلاص والتوكل والرضا والصدق، قد أخذ مساحات واسعة من مؤلفاته الصوفية، بحيث أنك لا تجد، صفحة واحدة من تلك المؤلفات خالية من أحدى هذه المفردات.

عدد المقامات وأسماؤها

قبل الدخول في صلب موضوع المقامات عند الإمام عبد القادر، لابد، إبتداءً، من تثبيت ملاحظتين مهمتين: الأولى منهما تشير إلى أن عدد المقامات وتسلسلها، غير محدد عنده بشكل قطعي وثابت كما هو الحال عند بقية الصوفية، فهي تتفاوت، زيادة ونقصانا، تقدما وتآخرا، حسب الموضوع الذي يرى (الشيخ) توضيحه في حينه، ولعل الأمر يتعلق، أساسا، برأيه الذي يربط فيه المقامات فيما بينها بعلاقات عضوية، متفاعلة ومتداخلة، بحيث انه لا غنى لصاحب مقام الخوف مثلا، عن مقامي الشكر والرجاء، وكذلك فلا غنى لصاحب مقام التوبة عن مقامي الزهد والإخلاص ، وهكذا وعليه، فان المقامات عند الإمام عبد القادر، تشكل، في مجموعها، الخيوط التي ينسج منها بساخه الصوفي، من غير عزل وتمييز لهذه اللُحمة أو ذاك السدى. وما كان تصنيف هذه المقامات وتبويبها، إلا لأسباب توضيحية، لا علاقة لها بهيكلية التجربة الصوفية عنده. أما الملاحظة الثانية فهي تشير إلى أن مؤلفات الإمام عبد القادر، قد أشتملت على تصنيفات متعددة للمقامات، غير تلك التي عهدناها في كتب التصوف الإسلامي بوجه عام، والتي لم يغفل هو أيضا، عن ذكرها. فنراه مثلا، يذكر في كتابه (الفتح الرباني): الإسلام والأيمان والأيقان والمعرفة، مقامات ودرجات للرقي الروحي وأن هذه المقامات، هي أيضا مرتبط أحدها بالآخر برباط عضوي، وأن أحدها متعلق

بصحة ما سبقه، وهكذا. وكالمعتاد أيضا فان الإمام عبد القادر، لا ينسى تذكير مريديه، بان أي صفاء روحي أو تدرج معرفي، لايتم، في هذه المقامات، إلا مع حفظ حدود الشرع وملازمة آدابه.(1) وأما في كتابه: (الغنية لطالبي الحق عز وجل)، فانه يضع ترتيبا آخر للمقامات يختلف عن سابقه، فهو يبدأ أولا بالزهد والمجاهدة، اللذين ما أن تركن النفس أليهما حتى ينقلها الله عز وجل، إلى ملك الجبروت، وبسلطان الجبروت، تقمع النفس وتقهر، فاذا ما إستجابت وخشعت، نقلت منه بعد ذلك إلى ملك السلطان، لتهذب وتذوب فيها تلك الغدد العالقة التي هي أصول الشهوات، ثم تنقل بعد ذلك إلى ملك الجلال، فتادب ثم إلى ملك الجمال فتنقى ثم إلى ملك العظمة فتطهر ثم إلى ملك البهاء فتطيب ثم إلى ملك البهجة فتوسّع ثم إلى ملك الهيبة فتربى ثم إلى ملك الرحمة فترخب وتقوى وتُشجع ثم إلى ملك الفردية حيث تُفرد وتعاد إلى موضعها الأول.(2)

أما المريد السالك، فانه في جميع هذه المقامات، من أشدها وخاة على نفسه وحتى أيسرها وأهونها عليه، يتقلب في رحمة الله عز وجل، إذ يعتقد الإمام عبد القادر، بانه لولا رحمة الله تعالى وفضله لما أستطاع الإنسان أن يغير ولو قليلا من خباع نفسه. إن اللطف الإلهي هو الذي يعذب نفس المريد – أي يزيدها عذوبة بان يزيل عنها ظلمة الكدورات – والرأفة هي التي تجمعه وتكتنفه والمحبة تقويه والشوق يدنيه والمشيئة تؤديه إليه تعالى ، والجواد العزيز يقلبه فيقربه ثم يدنيه ثم يمهله ثم يؤديه ثم يناجيه ثم يبسطه بمنه ثم يقبض عليه، فاينما صار المريد السالك، وفي كل مكان جال وفي كل حال لربه دان، فهو في قبضته عز وجل وأمين من أمنائه على أسراره وما يؤديه من ربه إلى خلقه.(3) فاذا صار إلى هذا المحل، فقد أنقطعت الصفات وأنقطع الكلام والعبارات – وهو حال الفناء – وهذا هو منتهى العقول والقلوب، وغاية ما تبلغه حالات الأولياء وتؤول أليه، وأما ما وراء ذلك، فهو مختص بالأنبياء والرسل دون غيرهم.(4)

يمكننا أن نخلص مما سبق، إلى أنه لا وجود لشئ من المغايرة و(الأبتداع) في تصنيفات الإمام عبد القادر، لتلك للمقامات، وإنما هو أختلاف في الصياغة وأختصار في التعبير، بينما مراحل

(1) الجيلي – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص147.

(2) الجيلي – الغنية لطالبي خريق الحق عز وجل – ج/3 – ص1275.

(3) يلاحظ هنا، إن كافة مراتب النفس الإنسانية، والغاية من المقامات الصوفية باصنافها كافة تؤدي عند الإمام عبد القادر، إلى نتيجة واحدة، وهي بلوغ مرتبة الخلافة العظمى، ومن ثم هداية الخلق وأرشادهم.

(4) الجيلي – المصدر نفسه – ج/3 – ص1276.

السلوك عنده، واحدة لا تتغير، فمثلا، المريد الذي يجتاز المراحل أو المقامات الصوفية، إبتداءً من الزهد

وحتى الفناء، فانه حتما سيمر بمراحل: الإسلام والأيمان والإيقان والمعرفة، وهو أيضا، سيتقلب حتما بين ملك الجبروت وملك السلطان وملك الهيبة وملك الجلال... الخ. إذن فلا وجود، عنده، إلا لتصنيف واحد للمقامات، وهو ما سنذكره بالتفصيل فيما بعد.

الفوائد الروحية للمقامات

إن بلوغ المقامات الروحية، عبر السلوك الصوفي، لا يعد في نظر الإمام عبد القادر، هدفا أو غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة، يراد من خلالها، تجاوز عقبة نفسية أو أزالة ظلمة من ظلمات هذه النفس المليئة بالحجب الكثيفة المانعة لها من التمكن من مقام العبودية الحقّة، وأن أعظم غنيمة يمكن للإنسان أن يجنيها من وراء بلوغه هذا المقام، هو إكرامه نفسه، التي كرّمها الله عز وجل إبتداءً وإن أعظم ما يُكرم به السالك في سلوكه، أو من خلال مجاهداته وعباداته، هو: أن تبدّل أوصافه الذميمة، باوصاف هي حميدة عند مولاه تعالى وهي مقبولة في الشرع والعرف وهي منجّية له من المهالك، فالمقصود من هذا السلوك هو، ((الوصال مع ملك الملوك، والوصل لا يكون إلا برفع الحجب، وأن الحجب في حقيقتها، هي عدم مناسبة بين الطالب والمطلوب، وأن تبديل الصفات تقرّب المناسبة))(1) وتجدر الأشارة، إلى أن هذه الحجب، ترجع في نظر الإمام عبد القادر، إلى العبد وحده دون المعبود، لأن الله تعالى ، لا يحجبه شئ، لأنه لو كان له حجاب، لكان له قاهر، والله تعالى :(هو القاهر فوق عباده)(2) إذن فالمحجوب على الحقيقة هو العبد، وأما المقصود من الحجب عند التحقيق، فهي الذنوب والمعاصي والغفلات، على أن تبديل العبد أصافه الذميمة، بصفات مولاه الحميدة، لا يعني سعيه لأكتساب صفات الألوهية والقدرة والعظمة، وإنما الصفات الحميدة التي وصف بها المولى تعالى نفسه، وأمر عباده بالتحلي بها، مثل الأيمان والكرم والصدق...الخ.

لقد عمل الإمام عبد القادر جاهدا، على أن يجد للمقامات الصوفية غايات عملية، تسلّط الضوء على المقصود الرباني الذي يمكن أن يتحقق من خلالها، وأولى هذه الغايات وأهمها، هي تعلم آداب الخضوع للحضرة الإلهية، ويتم ذلك إقتداءً بصاحب الخلق العظيم، محمد (صلى الله عليه

(1) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوطة.
(2) سورة الأنعام – آية / 18.

وسلم). ثم، إكتساب الشعور بالعجز عن الأدراك، أي إدراك كل ما يتعلق بالذات الإلهية أو القدرة أو العظمة، وهذا الشعور بالعجز، إذا تحقق، فانه يرتقي بالعبودية إلى المستوى الحق المرجو منها، وكذلك فان السلوك يدفع إلى التوجه للمعارف عامة، إهتداءً لعالمي الغيب والشهادة، فبغير العلوم والمعارف، لا يمكن الولوج إلى عالم الغيب ولا التعامل مع عالم الشهادة، وكذلك يعلم السلوك المريد أن يتخذ الجوع وسيلة للوصال وأستعجالا للّقاء في الدنيا قبل الآخرة، ثم يعلمه كيفية إنفصال الأرواح عند المناجاة، حالا يحاكي فيه الملائكة بتجردهم وصفائهم، ثم الوقوف مع التوحيد، وضعا ثابتا لا يمازجه خاطر من شرك خفي أو ظاهر، ثم يعلمه كيفية التواصل مع ذكره تعالى وتلاوة كلامه سرا وخفاءً، زيادة في الإخلاص . وكلما أتم العارف مقاما من هذه المقامات، فتح الله تعالى له في كل آخر مقام، بابا من أبواب مواهبه الرحمانية، فيفتح له مثلا، من تعلمه آداب الحضرة إقتداءً، باب البسط في الملك والملكوت والجبروت، فاما في الملك فيكون في العلم والجسم وأما في الجبروت فيكون في الحال والقلب وأما في الملكوت فيكون في الروح والسر، إذ تظهر له أسرار المقامات وحقائق الأحوال، فاذا ما تم للمريد ذلك، فان روحه ستجد نسيم القرب فلا تالف إلا نسبته، وهذا هو سر العرفان المتولد عن التقوى، وهو أولى حقائق العارفين في أول مشاهدتهم ومبادئ منازلتهم.(1) إذن فما يطمح المريد للوصول أليه، هو أن يكون عبدا حقيقيا لمولاه، وأن يكون ذكره خالصا لربه وان يكون صافي النفس نقي القلب أمينا على حدود الله تعالى ، ناصحا لعباده، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، وهذا هو عين ما تبغي الطريقة بلوغه وهو عين ما تامر به الشريعة.

المقام لغة واصطلاحا

وقبل الدخول في تفصيل الكلام عن المقامات عند الإمام عبد القادر، لابد أولا، من التذكير ببعض دلالات كلمة (مقام) اللغوية، والاصطلاحية، من أجل تسليط مزيد من الضوء على جوانب هذا الموضوع.

المقام في اللغة هو موضع الأقامة، واما مفرداته فهي: قام، يقوم، قوما، قياما، قومة، قامة وقام: أي ثبت ولم يبرح ومنه قولهم: أقام بالمكان، ويقال قام الماء، إذا ثبت متحيرا لا يجد منفذا أو إذا جمد والمُقامة بالضم تعني الأقامة، وقيل المقام بالفتح هو المنزلة الحسنة، وأقام الشئ: أدامه،

(1) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص46.

وقام الشئ وأستقام أي أعتدل وأستوى.(2) فالمقام في اللغة إذن، لا يخرج عن معنى الثبات والأستقرار

والدوام، وهذه هي المعاني نفسها التي ألتزم بها الصوفية في أصطلاحهم.(1)

عند الصوفية يشير المقام إلى: مقام العبد بين يدي الله تعالى ، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل(2) ويذكر القشيري أن المقام هو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب، بما يتوصل اليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف – أي أن المقام يعتمد على سلوك العبد وجهده – فمقام كل أحد، هو موضع أقامته عند ذلك، وماهو مشتغل بالرياضة له، وشرخه أن لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر، مالم يستوفي أحكام ذلك المقام، فان من لا قناعة له لا يصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم وهكذا. والمقام هو الأقامة كالمدخل بمعنى الأدخال والمخرج بمعنى الآخراج، ولا يصح لأحد منازلة مقام، ألا بشهود إقامة الله تعالى أياه بذلك المقام، ليصبح بناء أمره على قاعدة صحيحة.(3) إذن فالقشيري يرى أنه لا يجوز الأنتقال إلى مقام جديد مالم يتم التمكن من المقام الذي سبقه، وهذا مالا يؤيده الإمام عبد القادر، كما مرّ بنا سابقا.

الحـــال

ومن ذكر الشئ بالشئ، فلابد من أن نعرّج هنا على بعض ما قيل في رديف المقام الذي يذكر معه في أكثر الأحيان، وهو الحال: والحال في اللغة ماخوذ أصلا من التحول والتغير، فيقال حال الشئ حولا، وحؤولا. وأحال، بمعنى تحوّل، وحال الشخص يحول إذا تحول. والتحول يعني التنقل من موضع إلى آخر، والحال يعني أيضا الوقت الذي أنت فيه.(4) وأما في أصطلاح الصوفية،

---

(2) إبن منظور – لسان العرب – ج/12 – ص497 فما بعدها.

(1) وردت في القرآن الكريم تصريفات كثيرة لكلمة (مقام) تفيد في أغلبها معاني: المكان والثبات والأستعداد والمباشرة بالفعل.

(2) الطوسي – اللمع – ص65. ولابد من الأشارة هنا إلى أن الباحث لم يجد كتب الإمام عبد القادر أو الكتب التي نقلت عنه، تعريفا محددا للمقام أو الحال سوى قوله: إن المؤمن صاحب حال والحال يحول والعارف صاحب مقام والمقام ثابت، المؤمن خائف من أنتقال حاله وزوال أيمانه، فحزنه دائم في قلبه وبشره دائم في وجهه – أنظر الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص229. ومن هذا (التعريف) يمكن أن نفهم أن المقام عند الإمام عبد القادر، أرفع منزلة من الحال وأدوم وأثبت في القلب وهو كذلك في نظر أغلب الصوفية.

(3) القشيري – الرسالة القشيرية – ص54.

(4) أبن منظور – لسان العرب – ج/11 – ص190.

فيعني الحال: كل ما يرد على القلب – من غير تصنع ولا أجتلاب ولا أكتساب – من طرب أو حزن أو بسط أو هيبة أو شوق. والحال يزول بظهور صفات النفس، أي بزوال صفائها، فاذا مادام وصار ملكا، سمي مقاما. فالأحوال إذن مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال تاتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل الجهد، وصاحب المقام ممكن في مقامه، وصاحب الحال مترقٍ عن حاله.(1) وقال بعض العارفين أن الأحوال كاسمها، يعني أنها كما تحل في القلب تزول في الوقت وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها، وقالوا أنها إذا لم تدم ولم تتوال فهي لوائح وبواده.(2) ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال. فاذا ما دامت تلك الصفة، فعند ذلك، فقط، تسمى حالا. ويضيف القشيري بان الحال هو: منازلة العبد في الحين – أي ما يطرأ عليه في حينه – فيصفو له في الوقت حاله ووقته.(3) وخلاصة ما يمكن أن نخلص أليه، من تعريفي المقام والحال، يمكن أن نجدها في قول الإمام عمر السهردوري (ت632 هـ) وهو من أشهر تلامذة الإمام عبد القادر وذلك في معرض تفريقه بين المقام والحال، فيقول: إن اللفظ والعبارة عنهما – أي المقام والحال – مشعر بالفرق. فالحال سمي حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته وأستقراره، وقد يكون الشئ بعينه حالا ثم يصير مقاما.(4)

أما عم عدد المقامات عند الصوفية، فيمكن القول، إنها كثيرة وغير ثابتة العدد، بحيث أنها قد تكثر فتصل إلى مائة مقام كما هو الحال عند الهروي الأنصاري (ت 481هـ) في كتابه منازل السائرين، وقد تقل فتصبح سبعة مقامات، كما نجدها عند أبي يكر الطوسي (ت 378هـ) في كتابه الشهير (اللمع) أما عن الإمام عبد القادر، فقد أحصى لنا سبعة مقامات، هي على عدد الأنفس التي مر ذكرها سابقا. وهذه المقامات هي ما ياتي:

أولا:- مقام التوبة

الأصل في التوبة، قوله تعالى (وأني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم أهتدى)(5)وقوله تعالى

---

(1) الجرجاني – التعريفات – ص85.

(2) اللوائح والبواده: تعني هنا الأشارات والأرهاصات، وأما دوام الحال فيعني به التكرار وليس الثبات، لأنه لو ثبت لأصبح مقاما.

(3) القشيري – أربع رسائل في التصوف – تحقيق. د. قاسم السامرائي–مطبعة المجمع العلمي العراقي – 1969 – ص45.

(4) عمر السهردوري – عوارف المعارف – ص469.

(5) طه – آية/82.

(ومـن تـاب وعمـل صـالحا فانـه يتـوب إلى الله متابـا)(1) وقولـه تعـالى (فمـن تـاب مـن بعـد ظلمـه وأصـلح فـان الله يتـوب عليـه)(2) والتوبـة هـي أول المقامـات عنـد الإمـام عبـد القـادر، وهـي نقطـة البدايـة في سـلوك طريـق القـوم الموصـل إلى حـق الـيقين، والتوبـة تعـني التـبري مـن الـذنوب الـتي هـي ظلمـات القلـوب وحجـب الأنفـس، وهـي بـاب يظـل مفتوحـا، مـادام العبـد في الحيـاة، فـان مـات أغلـق دونـه، (3) وكمـا نلاحـظ، فـان الإمـام عبـد القـادر، يعمـل علـى أن يقـدم للتوبـة تعريفـا مقبـولا مـن لـدن الصـوفية والفقهاء على حد سواء، وهذا هو جوهر رسالته الفكرية.

التوبـة إذن، واجبـة علـى كـل أنسـان، سـواءٌ أكـان سـالكا أم غـير سـالك، لأن حقيقتهـا هـي اللجـوء إلى الله تعـالى ، فالعبـد إذا مـا تـاب إلى ربـه، فهـذا يعـني أنـه قـد لجـا أليـه، وفي اللغـة يقـال: تـاب فـلان مـن أمـر أي رجـع عنـه، فالتوبـة هـي الرجـوع عمـا كـان مـذموما في الشـرع إلى مـاهو محمـود فيـه، وهـي كـذلك تعـني النـدم علـى مـا فـات مـن الـذنوب وتعـني التوبـة أيضـا: الرجـوع إلى الله تعـالى ، بحـلّ عقـدة الأصـرار عـن القلـب، ثـم القيـام بكـل حقـوق الـرب، والتوبـة النصـوح هـي: توثيـق العـزم علـى أن لايعـود بمثلـه ولا يبقـى علـى عملـه أثـرا مـن المعصـية سـرا وجهـرا. وقيـل: التوبـة هـي الأعـتراف والنـدم والأقـلاع.(4) أمـا أذا أريـد للتوبـة أن تكـون مقامـا مـن بـين المقامـات الصـوفية، فـان للشـيخ عبـد القـادر فيهـا رأيـا آخـر، فالمريـد هنـا، لابـد مـن أن يتحقـق بالتوبـة ويـتمكن منهـا ويتلـبس بهـا، بحيـث إنهـا تسـري علـى ظـاهره وباطنـه وعلـى جميـع جوارحـه، فتبـدو وكانهـا، قلـب دولـة، أي أن يتبعهـا تغـيّـر جـذري ملحـوظ علـى المريـد التائـب بكليتـه. ويشـترط في التوبـة (الصـوفية) أن تكـون مجـردة، لا تتعلـق بشـئ ولا يتعلـق بهـا شـئ وهـي مـا تسـمى بالتوبـة النصـوحة الخالصـة لوجهـه تعـالى ، الـتي لا تعلـق لهـا بترجـي مكافـاة أو طلـب مـدح أو جـاه في الـدنيا أم في الآخـرة ويشـترط لصـحة هـذه التوبـة، أن يكـون العبـد معهـا، مسـتقيما علـى الطاعـة غـير مائـل إلى المعصـية، ((لا يـروغ كمـا يـروغ الثعلـب، ولا يحـدث نفسـه بعـود إلى معصـية ولا ذنب من الذنوب، وأن يترك الذنب لله خالصا، كما أرتكبه للهوى خالصا))(5)

مـن العبـارة السـابقة يتـبين لنـا ملامـح الأسـلوب الصـوفي في التعامـل مـع مفـردات الحيـاة، الدنويـة منهـا و الآخرويـة، إذ إن الصـوفي لا يرضـى مـن المعـاملات والعبـادات، ألا ماكـان جوهريـا في تـاثيره

(1) سورة الفرقان – آية/71.

(2) سورة المائدة – آية/39.

(3) الجيلي – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص28.

(4) الجيلي – الغنية لطالبي الحق عز وجل – ص537 – ج/3.

(5) الجيلي – المصدر نفسه – ج/2 – ص538.

في كيانه باجمعه، فهو لا تكفيه النية الخاوية ولا ترديد الكلام المحفوظ، وإنما النية المقرونة بالفعل المستمر والمقصود، والمتغلغل في جميع مفاصل الحياة، فالتوبة بهذا المعنى، تهدف إلى إجراء تغيير ملحوظ في حياة الإنسان الداخلية وفي علاقته مع ربه والآخرين، وأما ما عدا ذلك فانها ستصبح رسما من بين الرسوم التي يمارسها الناس، ولا يكلفون أنفسهم مشقة فهمها وأستنباط معانيها. أن الصوفي لا يرضى من العبادات إلا بمعانيها الحقيقية، على أنه لايفرط في الوقت نفسه بما يظهر منها من شعائر وحركات.

إن التوبة إذا ما وصلت إلى هذه النقطة من الفعل والتاثير، فانها ستقترب كثيرا من حدود الورع فيمتزج الأثنان ويتداخلان، ويكون صاحب التوبة ورعا ويكون الورع في توبة دائمة، (1) وهنا يمكننا أن نلمس التداخل الذي سبقت الأشارة أليه، بين المقامات الصوفية عند الإمام عبد القادر.

ولأهمية التوبة، سواء في السلوك الصوفي أم في الحياة الأعتيادية، فقد عدّها الإمام عبد القادر فرض عين في حق كل إنسان، إذ لا يخلو أحد من معصية، سواء في الجوارح أم في القلوب، فان خلا منها بهذين الوجهين، فانه لا يخلو من الوساوس والخواخر التي تذهله عن ذكر ربه، فان خلا من هذه أيضا، وهو نادر الوقوع، فانه لا يخلو حتما من ريبة وحيرة في عقيدته الدينية، مما له علاقة بعلم الصفات والأفعال. والإمام عبد القادر، هنا يعمل على غلق جميع المنافذ، أمام أتهام الصوفية، بادعاء العصمة والحفظ المطلق، في أي مرحلة من مراحل سلوكهم الصوفي، وهو ما يحاول ان يُلصقه بهم خصومهم، فالصوفي، اذن، مهما ارتقَ في مراحل الكمال الروحي، فانه يبقَ في حاجة ماسة لسدّ نقصه الطبيعي الذي هو وليد بشريته.

مراتب التوبة

والتوبة عند الإمام عبد القادر، ليست واحدة في حق كل الناس، وإنما هي تتفاوت وتتنوع على قدر منازلهم وأحوالهم ومقاماتهم، إذ إن لكل حال يناله الصوفي، مثلاً، خاعات وذنوباً وحدوداً وشروخاً، فحفظ الحال خاعة وتركه والغفلة عنه ذنب يحتاج إلى توبة، والتوبة هنا تعني الرجوع عن الزلة التي وجدت، إلى سنن الطريق المستقيم الذي شُرِّع له والمقام الذي أقيم فيه والمنزلة التي مُهِّدت له. فكل الناس، في نظر الإمام عبد القادر، يفتقرون للتوبة، حتى لو بلغوا ارفع درجات

(1) يعرف القشيري الورع بانه: ترك ما يريبك ونفي ما يعيبك والأخذ بالأوثق وحمل النفس على الأشق – الرسالة القشيرية – ص61.

الولايـة.(1) وإنمـا هـم يتفـاوتون في مقـادير هـذه التوبـة، فتوبـة العـوام تكـون مـن الـذنوب وتوبـة الخـواص تكـون مـن الغفـلات وإمـا توبـة خـواص الخـواص، فانهـا تُسـتوجب مـن ركـون القلـب إلى مـا سـوى الله تعالى .(2)

ممـا سـبق، يمكننـا ان نخلـص إلى أن التوبـة كمقـام، لا يمكـن للمريـد ان يتعـدّاها صـعوداً، إلى المقـام الـذي يليهـا، بـل هـي تظـل ملازمـةً لـه كظلّـه، منـذ بـاكورة سـلوكه وحتـى مراقيـه النهائيـة إنهـا سـلوك يـومي يـدرأ بـه عـن نفسـه مهـاوي الـزلاّت والغفـلات، وعليـه فـلا مجـال لأي سـالك يـدّعي الوصـول إلى بـرّ ألامـان، وثـم يتخلـى عـن الواجبـات الشـرعية، إذ انـه حتـى خـواص الخـواص مـن الأوليـاء، يحتاجون إلى للتوبة، أي بمعنى إنهم يحتاجون إلى إتيان فعل الطاعات طوال حياتهم.

لا تصـحّ التوبـة، عنـد الإمـام عبـد القـادر فتصـبح مقامـاً، إلا إذا اسـتوفت شـروطاً ثلاثـة: أولهـا النـدم(3) علـى مـا اقـترف مـن المخالفـات، وعلامـة صـحة النـدم هـي: رقـة القلـب وغـزارة الـدمع. وثانيهـا: تـرك الـزلاّت في جمـيع الأحـوال والأوقـات، وثالثهـا: عقـد العـزم علـى عـدم العـودة إلى مـا أُقـترف مـن المعاصـي والخطايـا. فـان تمـت هـذه الشـروط، نصـحت التوبـة وأصـبح المريـد بعـدها، لا يبـالي كيـف أمسـى أو كيـف أصـبح، إذا أن النـدم الـذي انتابـه، سـيورثه عزمـاً وقصـداً علـى ان لا يعـود لمـا أسـلف مـن المعاصي، لعلمه المستفاد من ذلك الذي مفاده: ان المعاصي تحول بينه وبين معبوده.

وكمـا تختلـف التوبـة بـاختلاف النـاس واخـتلاف مـراتبهم الروحيـة، فانهـا تختلـف أيضـا، بـاختلاف الأزمنـة وهـي: الحاضـر والماضـي والمسـتقبل، فامّـا مـا يتعلـق منهـا بـالزمن الحاضـر فهـو يعـني: تـرك كـل محظـور وأداء كـل فـرض، وأمـا مـا يتعلـق بالماضـي، فهـو: تـدارك مـا فـرط، وأمـا مالـه علاقـة بالمسـتقبل، فهـو: المداومـة علـى الطاعـة وتـرك المعصـية إلى المـوت.(1) علـى أن هـذه التوبـة، لا تكـون مـن العبـد تجـاه ربّـه فقـط، بـل ان لهـا وجهـاً يتعلـق بالعبـاد، ويعـالج بـاداء حقـوقهم والإحسـان إلـيهم وإرضـائهم،

(1) يذهب الإمام عبد القادر، إلى انه حتى الانبياء لا غنى لهم عن التوبة، وهويستند في ذلك إلى الحديث النبوي الشريف: انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله عز وجل في اليوم الواحد والليلة سبعين مرّةص. انتهى. ومعنى يغان أي يغشى ويغطى. وهو حديث صحيح رواه الإمام احمد ومسلم وابو داود والنسائي. وحول سند الحديث- انظر- المغني عن حمل الاسفار- ج/4-ص10. وقد ذكر الإمام عبد القادر هذا الحديث في كتابه : الغنية لطلبي طريق الحق عز وجل- ج/2-ص545.

(2) الجيلي - المصدر نفسه- ج/2-ص544-545.

(3) الندم في اصطلاح الإمام عبد القادر هو: توجع القلب عند علمه بفوات محبوبه، فتطول حسراته واحزانه وبكاؤه ونحيبه وانسكاب عبراته، فيعزم على ان لا يعود إلى مثل ذلك لما تحقق عنده من العلم بشؤم ذلك. انظر- المصدر نفسه- ج2 - ص558.

(1) الجيلي - الغنية لطلبي طريق الحق عز وجل- ج/2-ص558.

بينمـا الوجـه الأول الـذي هـو إزاء الـرب تعـالى ، فانـه يعـالج بالاسـتغفار باللسـان والنـدم بالقلـب وإضـمار النيّة على عدم العودة إلى ما تاب العبد منه.

مصدر التوبة

ولنـا أن نسـال، أخـيرا، هـل التوبـة هـي مـن سـابق عنايـة الله تعـالى لعبـاده، أم إنهـا فعـل خـالص لإرادة العبـد وقصـده ؟ علمـاً إن مـا يصـح علـى التوبـة مـن جـواب علـى هـذا السـؤال، يصـح علـى الفعـل الصـوفي برمتـه. يتميـز جـواب الإمـام عبـد القـادر عـن هـذا السـؤال، بانـه يجمـع كـل الأمـرين في مـزيج واحـد متجـانس. فالتوبـة تبـدأ مـن التوفيـق وسـابق العنايـة الإلهيـة، وان بدايـة نـزوع العبـد نحـو صـدق التوبـة، يبـدأ مـن عنـد الله عـز وجـل ((فالتوبـة لا تخـرج عـن كونهـا نظـر الحـق تعـالى إلى عنايتـه السـابقة القديمـة لعبـده، وإشـارته بتلـك العنايـة إلى قلـب عبـده، وتجريـده ايّـاه بالشـفقة، مجتـذباً إليـه قابضـاً، فـإذا كـان كـذلك، انجـذب القلـب إليـه عـن كـل همّـة فاسـده وتابعـه الـروح ووافقـه العقـل، فصـحّت التوبـة وصـار الأمـر كلـه لله تعـالى)).(2) فـإذا مـا اسـتجاب العبـد لهـذه الـدعوة، وسـعى لهـا سـعيها، طبعـت بطـابعه

وكانـت لـه فعـلاً خالصـاً وصـادراً مـن محـض إرادتـه وقصـده، وفـوق ذلـك، فانـه يسـتحق لأجلـه الثـواب. وهكـذا هـو الفعـل الصـوفي عامـة إذ انـه في الوقـت نفسـه دعـوة ربانيـة وتلبيـة بشـريته، فـإذا مـا اختلطـت هذه التلبية، بصدق العبد وإخلاصه فانه سيصل معها إلى ابعد المرامي وأعلى الرتب.

علاقة التوبة بالورع

فـإذا مـا نصـحت التوبـة، واسـتوفى العبـد شـروطها، وتشـرّب بهـا قلبـه وروحـه وعقلـه وكـل جوارحـه وصـارت لنفســه طبعـاً مسـتفاداً دائمـاً، تطـورت فاسـتحالت ورعـاً. أي إنهـا صـارت حـذراً ايجابيـاً ملازمـاً للمريـد في جميـع حركاتـه وسـكناته، أو بـالاحرى صـار الخـوف مـن اقـتراف المحضـور، والخشـية مـن مباشـرة الشـبهات، طبعـاً مـن طبـاع الـنفس، يعلـم مـن خلالـه المريـد، وبفطرتـه السـليمة الـتي اسـتعادها ((ان سـلوك طريـق الحـق، متعـذر علـى مـن هـبط إلى سـجيّن الطبيعـة وأسـفل السـافلين، وانحـبس في

(2)الشطنوفي- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار-ص122. ونلاحظ هنا، ان الأمر الالهي الذي مادته الايمان والمغيبات، يكون القلب هو محله الأول، ثم بعد ذلك تتبعه الروح، التي تقف بين الغيب والشهادة، ثم العقل اداة الشهادة، فاما اذا كان للامر تعلق بالاوامر والنواهي، فان العقل هو اول من يستجيب، لانه ما خلق الا لاجل ذلك، ثم بعد ذلك يتبعه الروح ثم القلب، وعلى أساس هذا التقسيم للواجبات، فاننا يمكن ان نضع العقل في مقام الاسلام والروح في مقام الايمان واما القلب فهو في مقام الاحسان بدلالة كونه موطن الفعل الصوفي.

قفص العادات، واصطيد بشبكة المخالفات)).(1) فإذا ما عكسنا هذا القول فان النتيجة هي: إن خريق الحق متيسر لكل من ارتقى فوق خبائعه الدنيئة وتحرر من قفص عاداته وشبكة أهوائه.

الورع اذن، هو الخطوة التالية التي تكمّل مقام التوبة، فتمنحه صفة الديمومة والثبات(2)، والورع بايسر معانيه، يعني ترك الشبهات(3) وهو بهذا المعنى، يدلّ على انه فعل شرعي محض، وما دامت التوبة تُفضي إلى الورع والورع يفضي إلى التوبة، فهذا يعني ان الحقيقة تفضي إلى الشريعةوالشريعة تفضي إلى الحقيقة، أو بالاحرى فانه لا وجود لفواصل حقيقية بينهما، وهذا هو جوهر ما يرمي الإمام عبد القادر إلى بيانه. واما الورع بمعناه الموسع فهو: اشارة إلى التوقف في كل شيء وترك الاقدام عليه الا باذن شرعي، فان وجد للشرع فيه فعلاً لتناوله فيه مساغاً، والا تركه. والورع هو ملاك الأمور كلها.(4)

مستويات الورع

يقسم الإمام عبد القادر- كعادته في تقسيم الموضوعات- الورع على ثلاثة مستويات: ورع العوام وهو ورع عن الحرام والشبهة، وورع الخواص وهو ورع عن كل ما للنفس والهوى فيه شهوة وورع خواص الخواص، وهو ورع عن كل ما للنفس فيه إرادة ورؤية، فالعام يتورع في ترك الدنيا، والخاص يتورع في ترك الجنة العليا وخاص الخاص يتورع في ترك كل ما سوى الذي خلق وبرا. وغير هذا التقسيم، فان الورع عند الإمام عبد القادر، ينقسم على قسمين، ورع ظاهر وورع باخن، فاما الظاهر فهو ان لا يتحرك العبد إلا بالله عز وجل، وأما الباخن، فهو إن لا يدخل قلبه سوى الله تعالى .(1) وكان الإمام عبد القادر، يريد ان يخبرنا، بان الورع هو اختصار لفعل الصوفي برمته، فبه تتحقق الطاعة الحقة لله تعالى ، وهو الذي يفضي إلى التوكل الصحيح، وهو الذي لا يبقي إرادة

(1) الجيلي - فتوح الغيب- هامش كتاب بهجة الأسرار ومعدن الأنوار-ص80.

(2) يعد الإمام عبد القادر ، من بين أكثر مشايخ الصوفية اهتماماً بموضوع الورع، فهو كثيراً ما يتطرق اليه وفي أغلب كتبه، ولعل مردّ ذلك يعود إلى اعتقاده بان الورع هو عماد الدين والحافظ للقلب من التردي في مهاوي الغفلات، لان الورع عنده يعني الخوف من اتيان الذنوب وتجنب الخوض في الشبهات.

(3) هكذا ورد تعريف الورع عند القشيري- انظر- الرسالة القشيرية- ص90.

(4) الجيلي - الغنية لطلبي خريق الحق عز وجل- ج/2-ص583. وكذلك ورد التعريف في بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي- ص66. وقلائد الجواهر للتادفي-ص81.

(1) الشطنوفي- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار-ص66.

للعبـد مـع إرادتـه تعـالى ، وهـو فـوق ذلـك يـؤدي إلى بلـوغ العبـد أعلـى درجـات العبودية والتوحيـد، وذلك بان يمنع أي داخل إلى قلبه سوى ذكر مولاه تعالى .

إن مـن بـين أهـم وأنبـل آداب السـلوك للمريـد، عنـد الإمـام عبـد القـادر، هـو عـدم تـرك الاحتيـاط في الـورع، في حـال ضـيق اليـد، فـلا يخـرج المريـد السـالك إلى مـا لا يحـلّ في الشـرع متـذرعاً بفقـره فيتحـول مـن العزيمـة إلى الـرخص. ان الـورع هـو مِـلاك الـدين والطمـع هلاكـه وتنـاول الشـبهات فسـاده وان مـن لم يصـحبه الـورع خـوال مسـيرته الصـوفية، أكـل الحـرام وهـو لا يـدري، فعليـه إذن أن لا يخلـد إلى التـاويلات في دينـه، في حـال فقـره، بـل يركـب الأشـق والاحـوط الـذي هـو العزيمـة. وفـوق ذلـك فـان مـن لم ينظـر في دقائق الورع، فلن يحصل على نفائس العطاء الروحي.

والـورع إذا مـا دُقـق النظـر فيـه، صـار متنوعـاً ومتفاوتـاً، فهـو يختلـف مـن موضـوع لآخـر، فـالورع في الكـلام، أشـدُّ منـه في الـذهب والفضـة، والـورع الـذي يكـون في الزهـد في خلـب الرئاسـة، هـو اشـد مـن الـورع الـذي يصـدر عـن الزهـد في المـال، لان المـال قـد يبـذل في خلـب الرئاسـة. والزهـد هـو أول الـورع، إذ إن مـن لم يعتـد علـى الزهـد في خلـب اللـذات لا يمكنـه التواصـل مـع الـورع. ويـرى الإمـام عبـد القـادر، ان الـورع يمثـل شـرخاً أساسـياً للنجـاة في الـدنيا والآخـرة، والا فـان مـن تـرك الـورع، فـان الهـلاك سـيلازمه حتمـاً، الا ان يتغمـده ربـه برحـمته.(2) أي ان العبـد، اذا مـا احـتكم إلى ميـزان العـدل الإلهـي، فـان تركـه الـورع سـيؤدي بـه حتمـاً إلى الهـلاك، لأنـه سـيقترف بهـذا الـترك، إحـدى المعاصـي لا محالـة، ومـن هنـا، جـاء الإمـام عبـد القـادر علـى ضـرورة إن يكـون الـورع مصـاحباً للسـلوك الصـوفي في مراحلـه كافـة وللإنسان الاعتيادي في أخواره المختلفة .

وللتمثيـل علـى تطبيـق قواعـد الـورع، في الحياة العمليـة، يـذكر الإمـام عبـد القـادر، الطعـام واللبـاس امثلـة يتجلـى فيهـا الاخـذ بمبـدأ الـورع، بشـكل ملحـوظ. ففـي الطعـام يكـون النـاس علـى ثلاثـة اضـرب: متـقٍ وولـي محـق، وبـدل عـارف. فحـلال المتقـي فيمـا لـيس للخلـق عليـه تبعـة ولا للشـرع عليـه مطالبـة، وهـو مـا تعـارف عليـه النـاس بالاكـل الحـلال. وخعـام الـولي المحـق الـذي هـو الزاهـد الزائـل الهـوى، ممّـا لـيس فيـه للـهوى موضـع، بـل هـو إئتمـار بـامره تعالى ، وخعـام البـدل الـذي هـو العـارف، المفعـول فيـه، زائـل الإرادة، كـرة القـدر. وهـو ممـا لم تكـن فيـه همّـة ولا إرادة، بـل فضـل كلـه مـن الله تعـالى ، يرزقـه ويحفظـه ويربيـه بمقدرتـه الشـاملة ومنّتـه العامـة ومشـيئته النافـذة، كالطفـل الرضـيع في حجـر أمّـه الشـفيقة. علـى ان مـن لم يتحقـق بالمقـام الأول لا يصـل إلى الثـاني، ومـن لم يتحقـق بالمقـام الثـاني، لا

(2) الجيلي - فتوح الغيب- هامش بهجة الأسرار ومعدن الأنوار-ص82.

يصل إلى الثالث. وعلى أساس هذه المراتب، فان طعام التقي(1) يعدّ شبهة في حق زائل الهوى وطعام زائل الهوى يعد شبهة في حق زائل الإرادة والهمة وكما قيل، فان سيئات المقربين هي حسنات الابرار، وان الحلال المطلق هو الذي لا يعصى الله تعالى به ولا بشيء فيه، وهذا لا يتحقق الا للانبياء فقط.(2)

اما في اللباس، فان الناس فيه على ثلاثة اضرب ايضاً، فلباس الاتقياء هو عينه الحلال المتقدم ذكره، سواء اكان كتّاناً ام قطناً ام صوفاً، ام غير ذلك ولباس الأولياء هو ما وقع به الامر، وهو ادنى ما تستر به العورة وتدعو اليه الضرورة ويتحقق به زوال الاهوية، واما لباس الابدال، فممّا جاء به القدر، ثميناً كان ام زهيداً، ولكن مع شرط حفظ الحدود.(3) اذن، فليس التخشن في الماكل والملبس هو المطلوب في السلوك الصوفي، بل ان المطلوب، هو تخليص كل ما يتعلق به الإنسان أو يتناولة، من الاهواء والعلائق والشبهات ، فامّا ان تمكن الخير والصلاح من نفسه ، فلاباس عليه بعد ذلك فيما تناول من الطيبات ، اذن ، فليس هذا من الرهبانية في شيء ، وانما هو دعم لأنسانية الإنسان وتوسيع لمساحة حريته ، فالشخص الذي لا تاسره الأهواء ولا تستعبده الحاجات هو حتماً اكثر انسانيةً من سواه .

شروط صحة الورع

واخيراً، فان المريد، عند الإمام عبد القادر، لا يكون ورعاً، الا بعد ان يستوفي عشر خصال فريضة على نفسه : وهي حفظ اللسان من الغيبة والاجتناب عن سوء الظن والثالثة تجنب السخرية، والرابعة غض البصر عن المحارم والخامسة صدق اللسان والسادسة ان يعرف منةّ الله تعالى عليه لكيلا يعجب بنفسه والسابعة ان ينفق ماله في الحق ولا ينفقه في الباطل والثامنة، ان لا يطلب لنفسه العلو والكبر، والتاسعة، المحافظة على الصلوات الخمسة في مواقيتها، بركوعها وسجودها،

(1) التقوى عند الإمام عبد القادر تتوزع على ثلاثة اوجه : تقوى العامة في ترك الشرك بالحق و تقوى الخاصة في ترك الهوى و المعاصي و مخالفة النفس في سائر الاحوال و تقوى خاصة الخاصة من الأولياء في ترك الأرادات في الأشياء والتخير في النوافل من العبادات والتعلق بالاسباب و الركون إلى ما سوى المولى ، بل لزوم الحال و المقام و امتثال الأمر في جميع ذلك مع أحكام الفرائض وتقوى الأنبياء (ع) أن لا يتجاوزهم غيب في شيء فهم من الله وإلى الله ، يامرهم وينهاهم ويوفقهم . ويستدل على التقوى بثلاث : بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر على ما قد فات . وان من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف و المشاهدة - بهجة الأسرار و معن الأنوار - ص65-66

(2) الجيلي - الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل - ج/2 - ص596

(3) الشطنوفي - بهجة الأسرار و معن الأنوار - ص66

والعاشـرة، الأسـتقامة علـى السـنّة والجماعـة (1) والإمـام عبـد القـادر، يـدعم جميـع هـذه الخصـال، بايـات قرانيـة، ليؤكـد الترابـط البـالغ بـين جنـاحي الايمـان : الشـريعة و الحقيقـة، علمـاً أن هـذه الخصـال الـتي لابّـد للمريـد مـن أن يتحلـى بهـا، هـي في حقيقتهـا، خصـال أساسـية، لابّـد علـى كـل مسـلم مـن أن يسعى إلى نيلها والتحلي بها، فهي من بدائه الايمان التي لا يمكن أن يختلف عليها اثنان .

ثانياً ـ مقام التوكل :ـ

التوكـل بايسـر و أوضـح معانيـه، يعـني الثقـة بمـا عنـد الله تعـالى ، واليـاس ممّـا في أيـدي النـاس. (2) والتوكـل هـو المقـام الثـاني بعـد التوبـة، علـى أن كـثيراً مـن مشـايخ الصـوفية يـرى فيـه المقـام الأول، لمـا لـه مـن تـاثير بـالغ في تقـويم السـلوك الصـوفي لـدى المريـد، فهـو بالتوكـل، يسـتطيع التقـرّب مـن مـولاه عـز و جـل، وذلـك بانسـلاخه عـن حولـه وقوتـه و عـن جميـع الخلائـق، وهـو بالتوكـل، يسـتطيع أن يتقـوى علـى ازالـة الكـثير مـن الصـفات السـيئة. الأصـل في التوكـل، هـو قولـه تعـالى : ((وعلـى الله فتوكلـوا ان كنـتم مـؤمنين)) (3) ويبـدو الـربط واضـحاً في هـذه الآيـة، بـين التوكـل و الأيمـان، و كـذلك ورد التوكـل في قولـه تعـالى : ((ومـن يتوكـل علـى الله فهـو حسـبه)).(1) وتـدل هـذه الآيـة علـى كفايـة المتـوكلين بـربهم عـن كـل مـن سـواه. وأمّـا في الحـديث الشـريف، فقـد ورد قولـه (صـلى الله عليـه وسـلم): ((لـو تـوكلتم علـى الله حـق توكلـه، لـرزقكم كمـا يـرزق الطـير، تغـدو خماصـاً وتـروح بطانـاً)). (2) وكـذلك قولـه (صـلى الله عليـه وسـلم) مـن ضـمن حـديث طويـل: ((مـن سـرّه أن يكـون أقـوى النـاس فليتوكـل علـى الله)).(3) وأمـا تعريـف التوكـل عنـد شـيوخ التصـوف، فقـد عرّفـه ذو النـون لمصري(ت245هـ) بانه: ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة.(4)

والتوكـل عنـد حمـدون القصّـار (ت-270هـ) هـو الاعتصـام بـالله عـز وجـل.(5) وعنـد سـهل بـن عبـد الله التسـتري(ت 283هـ) هـو: الاسترسـال مـع الله تعـالى علـى مـا يريـد.(6) وامـا عنـد الجنيـد

---

(1) الجيلي - الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل- ج/2-ص600.

(2) الجرجاني- التعريفات-ص74.

(3) سورة المائدة- اية/23.

(1) سورة الطلاق- اية/3.

(2) رواه احمد في مسنده- المغني عن حمل الاسفار-ج/4- ص239.

(3) حديث ابن عباس- رواه الحاكم والبيهقي- المغني عن حمل الاسفار- ج/4-ص239.

(4) الطوسي- اللمع- ص49.

(5) الجيلي - الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل-ج/3-ص1339.

(ت-297هـ) فهو: ان تقبل بالكلية على ربك وتعرض عمن دونه.(7) ويمكننا ان نلاحظ، ان ما جاء به كبار المتصوفة عن التوكل، يتفق تماماً مع ما جاء في الكتاب والسنة، والذي مفاده اجمالاً ان التوكل هو ثقة العبد بما في يد ربه وعدم ثقته بما في يديه أو في ايدي الناس، وكذلك فالتوكل هو سرّ قوة العبد المؤمن، الحقيقية، وامّا ما عداه، فوهم وخداع.

التوكل عند الإمام عبد القادر

وأما عند الإمام عبد القادر، فيمكننا ان نفهم التوكل من خلال التعريفات الأربعة التي عرّفه بها وهي: اولاً- التوكل هو ترك الأسباب والأرباب والخروج من الحول والقوة، من حيث القلب والسرّ وخلب المسبب وحده، مع خروج القلب عن التعلق بالخلائق، على ان كل ذلك، يجب ان يكون مصحوباً بالمعرفة بالله عز وجل والعلم به. وأما ثانياً، فالتوكل يعني: تفويض الأمور إلى الله عز وجل والتنقي عن ظلمات الاختيار والتدبير والترقي إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير، بحيث يقطع العبد، ان لا تبديل للقسمة، فما قسم له لا يفوته وما لم يقدّر له لا يناله، فيسكن قلبه إلى ذلك ويطمئن إلى وعد مولاه فياخذ بعدئذٍ من مولاه.(1) وفي التعريف الثالث يعني التوكل: اشتغال السرّ بالله عن غير الله، فينسى ما يتوكل عليه لأجله، ويستغني به عمن سواه، فترفع عنه حشمة الغنى في التوكل. وأخيرا، فالتوكل هو: استشراف السرّ بملاحظة عين المعرفة إلى خفيّ غيب المقدورات، واعتقاده، حقيقة اليقين، بمعاني مذاهب المعرفة، فانها محتومة لا يقدح فيها مناقص.(2) انتهى. فاذا ما تتبعنا هذه التعريفات، لوجدنا. انها تدور على أربعة محاور هي: الأيمان بحتمية تقسيم الأقوات والأرزاق والحظوظ، مع التيقن بان ما كان للعبد لا يكون لغيره، وما كان لغيره لا يكون له أبداً. ثم تفويض الأمور إلى الله تعالى مع ترك الاختيار والتجرد عن الإرادة، ثم ترك التعلق بالخلق وحصره بالخالق فقط. ثم أخيرا: تعويد السرّ على الاشتغال بالله تعالى والاستغناء به عن سواه. وهذه(المحاور) هي مما يطمح إلى الاعتقاد والعمل به، كل المؤمنين، السالكين منهم أم غير السالكين، والإمام عبد القادر، وان صاغ هذه التعريفات الأربعة، بلغة صوفية ملحوظة، الا انه في الوقت نفسه، حافظ على ثوابته المنهجية، اذ جعل من كلا المطلبين، الشرعي والصوفي، مطلباً واحداً، وهو ما يمكن ان نسميه بـ (التوحيد) أي التوحيد الحالي الذي

---

(6) الطوسي- اللمع- ص49.

(7) الجيلي - المصدر نفسه- ج/3-ص1340.

(1) الجيلي - المصدر نفسه-ج/3-ص1337.

(2) الشطنوفي- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار-ص122.

يتلبس في قلب وعقل وروح المريد بعد خول مراس نفسي ومعرفي وبعد مكابدات ورياضيات لا يصبر عليها الا الخلصّ من العباد.

درجات التوكل

وعند الإمام عبد القادر فان مقام التوكل، لا يتحقق دفعة واحدة وعلى الوتيرة ذاتها، بل هو يتوزع على ثلاث دفعات وفي وتيرة تصاعدية، تبدأ بالتوكل ثم التسليم ثم أخيرا التفويض. المتوكل يسكن إلى وعد ربه، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه تعالى بحاله وصاحب التفويض يرضى بحكمه تعالى فيه وفي غيره، وعليه فان التوكل يُعدُّ صفة للعوام وهو البداية والتسليم هو صفة الخواص وهو الوسط والتفويض هو صفة خواص الخواص وهو نهاية المطاف في هذا المقام.(3)

وتجدر الاشارة هنا، إلى ان التوكل بكونه صفةً للعوام، لا يعني انه توكلٌ على كمال الحقيقة، لانه لو كان كذلك ، فانه سيغدو تفويضاً، وهذا ليس من فعل العوام، ويضرب الإمام عبد القادرلنا مثلاً عن التوكل على كمال الحقيقة بقصة نبي الله إبراهيم(عليه السلام) مع جبريل(عليه السلام)وذلك حين ساله الأخير أثناء إلقاء إبراهيم(عليه السلام)في النار: ألك حاجة ؟ قال: أما أليك فلا. وما أجاب الخليل(عليه السلام)بهذا الجواب لأنه غابت نفسه حتى لم يبق لها اثر، فلم يرَ مع الله تعالى غيره.(1) كذلك فكون التوكل صفة للعوام فهذا لا يعني انه يقع خارج دائرة السلوك الصوفي، بل هو يعدّ المرحلة الأولى فيه، ولكن هذا التوكل ذاته يترقى فيصبح تسليماً ثم تفويضاً ، وإننا لو دققنا النظر في (مراتب) التوكل الثلاثة تلك، أي التوكل والتسليم والتفويض، لوجدنا انها جميعهاً لها علاقة بإرادة الإنسان، فالمتوكل يؤجل العمل بإرادته، وبخاصةً ما يتعلق منها بإعمال الباخن، وأما صاحب التسليم فانه يجمّد العمل بإرادته، معتمداً بدلاً من ذلك على أرادته تعالى ، وأما صاحب التفويض فانه يمحق إرادته بالكلية، بحيث لا يبقى له مع إرادته تعالى ، قصداً أو فعل أو رغبة، وهو حال الفناء الوجودي الذي سياتي الكلام عنه فيما بعد.

التوكل والتواكل

ولحرص الإمام عبد القادر، على اظهار معالم نظريته الصوفية، بصورة مقبولة من (الأخراف) كافة، فانه عمل على إزالة اللبس الحاصل في أذهان الناس، بيّن التوكل بكونه سلوكاً صوفياً ايجابياً،

(3) الجيلي - الغنية لطالبي خريق الحق عز وجل-ج/3-ص1338.

(1)الجيلي - المصدر نفسه-ج/3-ص1338.

والتوكل او(التواكل) بكونه سلوكاً اجتماعياً سلبياً مرفوضاً، ولعل مصدر هذا اللبس الاكثر خطورة، هو التعارض الظاهري القائم بين التوكل كنظرية وبينه كتطبيق، وما يلحق هذا التعارض من تقاطع مع قصد الكسب، الدنيوي والأخروي، وكذلك السعي لطلب الرزق وأداء الأعمال اليومية أو إدامة العمران بوجه عام.

يرى الإمام عبد القادر، إن الحركة بالظاهر، التي هي الكسب بالسنة، والتي عمل بها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، إذ اشتغل واكل من كسب يديه، وهو على ما كان عليه من مقامٍ رفيع ودرجة قريبة من ربه تعالى ، لا تتنافى أبدا مع توكل القلب، الذي هو تحقيق الأيمان، وهو معنى قول النبي(صلى الله عليه وسلم): (إعقلها وتوكل).(2) فالتوكل الصحيح، يعني التصديق بوعد الله تعالى ، الذي وعد به عباده بالرزق والعطاء والحفظ والثواب، وهذا التصديق، يُعدّ شرطاً أساسياً من شروط إيمان العبد، وهو مما لا يتعارض والأخذ بالكسب، لان من أنكر الكسب فقد أنكر السنة، ومن أنكر التوكل فقد أنكر الأيمان.(1) ولأنه لا وجود لأي تعارض بين حقيقة الأيمان ومفردات السنة، بل بالعكس، فالاثنان في توافق مطلق إن لم يكونا في اتحاد.

إن العبد الذي يشتغل بالدنيا، مع اتكاله على حوله وقوته، تنقطع به الأسباب حتماً، فيتعب ويسخط، وكذلك الامر عند من يشتغل بالآخرة ويجعل منها همهّ المطلق، فانها ستفوته وتعجزه، فهو في الحقيقة، لم يعطها حقّها، ولم يستوف لها شروخها، فامّا اذا ما اشتغل بالحق عز وجل، وتوجه له وحده دون سواه، فانه يكون قد استفتح باب المعاش بيد قوته تعالى والتوكل عليه، واستفتح باب الطاعات بيد هديه وتوفيقه، فاذا ما وصل المريد إلى هذا المقام، أي مقام خلبه تعالى ، فليطلب منه ما شاء أن يطلب، على أن يكون أخص مطالبه هو: الصدق في خلب قوته ومعونته، لأجل ان تثبت اقدام قلبه وسره بين يدي ربه تعالى ، مع فراغ القلب من شغل الدنيا والآخرة.(2)

على انه لا وجود للخطا، في نظر الإمام عبد القادر، فيما لو اعتقد العبد بالتوكل وفي الوقت نفسه اخذ بالأسباب، ثم تعسرَّ عليه الامر بعد ذلك، أو تقطّعت به الأسباب، لان ذلك هو من تقدير الله عز وجل، فكما ان بيده تعالى تيسير الأمور وتهيئة الأسباب، فكذلك بيده تعسيرها

---

(2) روي عن انس بن مالك(رض): انه جاء رجل على ناقة له فقال: يا رسول الله ادعها واتوكل ؟ فقال(ص): إعقلها وتوكل. رواه الترمذي. انظر المغني عن حمل الاسفار-ج/4-ص272.

(1) يلاحظ هنا، ان الإمام عبد القادر، يلّوح بعصا المروق لكلا الفريقين، للصوفي المتواكل الذي يرفض الكسب والعمل بالاسباب جملةً وتفصيلاً، وللفقيه المتشنج الذي يرفض التوكل متذرعاً باساءة فهمه.

(2) الجيلي - جلاء الخاخر من كلام الإمام عبد القادر- ص44

وتضـييقها، علـى انـه لا بـدّ مـن ان يكـون المريـد، في كـلا الحـالين، ثابـت الجنـان، رضـيّ الـنفس، لان وضـعه الصـحيح هـو في ان تكـون ظـواهره متحركـة بالسـبب بـامر الله تعـالى وباخنـه سـاكن لوعـده تعـالى . وعنـد هـذه النقطـة يكـون المريـد، قـد بلـغ درجـة التوكـل الصـحيح، الـذي هـو الثقـة بمـا في يـد الله عـز وجـل واليـاس ممّـا في ايـدي الخلـق، فيفـرغ السـرّ بعـد هـذا الاعتقـاد، ويسـكن عـن التفكّـر للتقاضـي في خلـب الـرزق.(3) ويلاحـظ هنـا، ان الـذي يفـرغ عـن التفكّـر هـو القلـب والسـرّ ولـيس الهمـة والعزيمـة. ولا بـدّ مـن التـذكير هنـا، بـان الإمـام عبـد القـادر بازالتـه الحـواجز الوهميـة الفاصـلة بـين حقلـي التوكـل علـى الله تعـالى والأخـذ بالاسـباب الدنيويـة، فانـه أزال أو حـلّ إشـكالاً مستعصـياً خاطـا تـذرع بـه خصـوم التصـوف فنعتـوا المتصـوفة، بـالمتواكلين والكسـالى والهـروبين، وبـانهم ضـد اعمـار المجتمعـات. ان الصـورة الـتي يقدمها لنا الإمام عبد القادر عن التصـوف، تؤكد على ضرورة السعي والعمل والأخذ باسباب

العـيش والحيـاة الماديـة، ولكـن شـرط ان يـتم ذلـك تحـت مظلـة التوكـل علـى الله تعـالى ، وهنـا تتاكـد امامنـا، مـرة آخـرى، حقيقـة مـنهج الإمـام عبـد القـادر، الصـوفي، الـذي يتبنـى فيـه الخـط الوسـط، متجنبـاً الافـراط والتفـريط، فـلا انغمـاس في الاسـباب والمسـببات، مـع تغافـل قـدرة البـاري تعـالى والتغافـل عـن محدوديـة القـدرة البشـرية، ولا الاغـراق في الانسـحاب مـن الحيـاة الـدنيا والتكاسـل عـن عمل اية وظيفة، تحت ذريعة التوكل على الله تعالى والتفرغ لعبادته.

الكسب والتكسب

وغـير التعـارض بـين التوكـل والتواكـل، فـان الإمـام عبـد القـادر، يضـعنا امـام تعـارض آخـر، وهـو التعـارض القـائم بـين الكسـب والتكسـب. الكسـب، هـو الفعـل الايجـابي، وهـو مـن السـنة ويسـميه الإمـام عبـد القـادر بــ (الكسـب الحـلال)، وامّـا التكسـب، فهـو سـلبي دنيـوي، لأنـه إتكـال مطلـق علـى الأسـباب الماديـة، مـن خلـق وصـنائع، وهـو مـا يعـدّه الإمـام عبـد القـادر، نوعـاً مـن انـواع الشـرك الخفـي الـذي يقطـع صاحبه عن الأكل بواسطة الكسب الحلال.

انـه شـرك، لان العامـل بـه، يظـن انـه يرجـع اليـه ويـاكـل بـه ويتوكـل عليـه، ولـذا فهـو يحتـاج إلى توبـة كـي يعـود بعـدها، فـيرى ان الله تعـالى ، هـو الـرازق وهـو المسـبب وهـو المسـهّل وهـو المقـوي علـى الكسـب والموفـق لكـل خـير. وان الـرزق بيـده كلـه، فتـارةً يواصـل بـه بطريـق بعـض خلقـه ابـتلاءً لهـم وعلـى وجـه المسـالة، أو عنـد الإلحـاف عليـه بالـدعاء، وأخـرى بطريـق الكسـب معاوضـةً، وأخـرى مـن فضـله مبـادأةً ومـن غـير نظـر إلى واسـطة أو سـبب. فـاذا مـا بلـغ المريـد إلى هـذا المقـام، فيسـكون عنـدها قـد رجـع

---

(3) الجيلي - الغنية لطالبي خريق الحق عز وجل-ج/3-ص1345.

إلى ربه ومثل بين يديه، ((فرفع الحجاب بينه وبين فضله، وباداه وغذّاه بفضله على قدر ما يوافق حاله، كفعل الطبيب الشفيق، حمايةً منه عز وجل وتنزيهاً له عن الميل إلى من هو سواه)).[1]
وعلى هذا الأساس، فانه يمكن القول: ان جميع الأعمال التي يؤدّيها الإنسان، سواءً الدنيوية منها ام الآخروية، لا بدَّ ان تقاس بمقياس علاقة العبد بربِّه، لانه حتى العمل الجسدي والكسب لاجل العيش يمكن، فيما لو فُهمت خطا، ان تودي بصاحبها إلى شرك يخفى عليه. وعليه، فان الاعتقاد الصحيح، يؤدي حتماً إلى التوحيد الحق، وان العبد الذي يستشعر قوة ربّه وقدرته وفعله وتصرفه في جميع ما يؤتيه من أفعال، هو حتماً أكثر الناس توحيداً لربه.

ان المريد، ما دام يخالط قلبه شيء من الدنيا والخلق، فهو بعيد حتماً عن الاخذ بالتوكل الصحيح لأنه سيكون خاضعاً لتاثير مدح الناس وذمّهم، وسيكون حبيس نفسه وهواه وخبعه، وسوف لا ينال مبتغاه، ولا يتشرب قلبه بالتوكل الحق، إلا إذا قطع عن قلبه كل شكل من أشكال، الارادات والشهوات وانواع المطلوبات، فلا يبقى بعدها في قلبه سوى إرادته عز وجل، وعندها فقط ((سيسوق اليه أقسامه التي لا بدّ من أخذها)).[1] إذن فالتوكل لا يعطلّ الحظوظ ولا يمنع الأقسام وإنما هو فقط يضعها في موضعها الصحيح.

التوكل والإخلاص

وكما افضى مقام التوبة، بعد أن استوفى شروخه، إلى الورع، فكذلك مقام التوكل يفضي إلى الإخلاص ، و الإمام عبد القادر يرى، ان حقيقة التوكل ليست ببعيدة أصلا عن حقيقة الإخلاص وتلك مقاربة كان الإمام عبد القادر رائداً في الفات النظر إليها، اذ لطالما عُدّ الإخلاص مقاماً مستقلاً قائماً بذاته[2] . ان حقيقة التوكل التي تتمثل بالخروج عن الحول والقوة مع السكون إلى الله تعالى ، هي نفسها حقيقة الإخلاص التي تتمثل بارتفاع الهمّة عن خلب الاعواض على الاعمال والتاكيد على اعمال القلوب وتقديمها على اعمال الجوارح، يكون العمل بغير مواخاة القلب، لا يجدي.[3] فاذا ما امتزج التوكل مع الإخلاص ، صار تسليماً، وسلم القلب من الاعتراض على مولاه عز وجل، عند

---

[1] الشطنوفي- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار-ص38.

(1) الشطنوفي- المصدر نفسه- ص38.

(2) جاء في الرسالة القشيرية، ان الأخلاص هو: إفراد الحقّ تعالى في الطاعة بالقصد، وهو ان يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى، دون شيء آخر من تصنع مخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس والأخلاص ايضاً هو: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وايضاً، الأخلاص هو التوقي عن ملاحظة الاشخاص. انظر- القشيري- ص162.

(3) الجيلي - الفتح الرباني والفيض الرحماني- ص81.

نزول البلايا والاقدار، فالاعتراض موت للدين موت للتوحيد موت للتوكل موت للاخلاص، لان الدين هو التوحيد والتوحيد هو التوكل والتوكل هو الإخلاص .

ان الغاية من سلوك الطريق الصوفي الصعب، ومن تحمل اعبائه ومكابدة مشقاته، تتمثل في خلب القرب من المولى تعالى ، وتحقيق اعلى درجات التوحيد، ونيل اعلى مراتب العبودية الحقّة، سواء في العبادات أو في الاعتقادات أو في الاعمال. ولذلك كان اتكال الإنسان على الخلق وعلى

الاسباب، بشكل مطلق، يمثل في نظر الصوفية، عاملاً أساسياً من عوامل انحجاب العبد عن خالقه ولذلك ايضاً كان التوكل الحق على الله عز وجل، وصدق الالتجاء اليه، يُعدّ بشكل من الاشكال توحيداً صحيحاً. ولطالما ذُكر عن الإمام عبد القادر، انه كانت له حالة دائمة مع الله عز وجل، تتمثل في ترك الاختيار وسلب الإرادة، وهو لطالما نصح مريديه، بان يتمسكوا بالتوكل ويخرجوا من التعلق المفرط بالاسباب، ويقطعوا عن قلوبهم كل الارباب، وان يسافروا بقلوبهم عن جميع الاشياء وان يغرقوا في بحر العلم الالهي، ((فان من وصل إلى هذا المقام، فلا تضره الاسباب لانها تكون على ظاهره، لا على باخنه، تكون لغيره لا له)).[1] وعليه، يمكن القول، ان الاصل عند الإمام عبد القادر، هو الباخن، فهو موضع العلم والاعتقاد والايمان، ومن كان باخنه موحِداً لله تعالى متوكلاً عليه، فلا باس عليه، بعد ذلك، اذا ما عمل بالظاهر من الاسباب، وعمل بما يعمل به الناس.

ثالثاً- مقام الشكر:

جاء في التعريفات، ان الشكر هو: عبارة عن معروف يقابل النعمه، سواءً اكان باللسان ام بالبدن ام بالقلب، وقيل: هو الثناء على المحسن، بذكر احسانه، فالعبد يشكر الله تعالى ، أي يثني عليه، بذكر احسانه الذي هو خاعته. والشكر اللغوي هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجنان والاركان، والشكر العرفي، هو صرف العبد جميع ما انعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما، إلى ما خلق لاجله.[2] ومما سبق، يمكننا ان نلخص، إلى ان الشكر هو الثناء على المنعم لنعمه، وهو يكون بالقلب واللسان والجوارح، وان من احسن ما يشكر به العبد مولاه، هو ان لا يستخدم نعمه فيما يغضبه.

مشروعية الشكر ومعناه

---

(1) الجيلي - الفتح الرباني والفيض الرحماني- ص41.

(2) الجرجاني- التعريفات- ص133.

وامّا الشكر عند الإمام عبد القادر، فهو، كعادته، يبدأ اولاً من الكتاب والسنّة، فامّا في الكتاب فاصل الشكر فيه، قوله تعالى : " ولئن شكرتم لازيدنكم".[1] ، واما في السنة، فحديث الرسول(صلى الله عليه وسلم)، الذي تسبقه القصة المعروفة والذي جاء فيه قوله (صلى الله عليه وسلم) " افلا اكون عبداً شكورا".[2]

اما اول معاني الشكر عنده، فهو: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ومشاهدة المنّة وحفظ الحرمة، ولا يكون ذلك باللسان فقط، وانما بالقلب والجوارح ايضاً وبالقول والفعل، وبالسرّ والعلن. وكل ذلك، لا بدّ من ان يرافقه العجز عن الشكر، وعلى هذا المعنى، وصف الله تعالى نفسه، بانه الشكور، توسعاً. الشكر اذن، على وفق هذا التعريف، هو علاقة تربط بين طرفين غير متكافئين احدهما معطٍ بشكل مطلق، والآخر متلقٍ بشكل مطلق، ولكن الطرف المتلقي، يمتاز بانه يمكنه من أن يظهر شكره أو يكتمه، ولذلك يسمى الإمام عبد القادر، الشكر اعترافاً، على أن هذا الأعتراف لابد من أن يكون مصحوباً بالخضوع، فالشكر مع التعالي و الأستغناء لا ياخذ معناه الحقيقي، بل انه قد ياخذ معنىً معاكساً تماماً، ثم مع الخضوع، لابدّ من أن تتحقق مشاهدة النعمة، أي بمعنى أن يشكر الشاكر، والنعمة ماثلة امام ناظريه، كي يكون شكره حياً وحقيقياً، ثم لابدّ ايضاً من حفظ الحرمة، أي أن لا تحمل النعمة العبد، على البطر و الأشر، بل يكون دائماً منضوياً تحت حيّز عبوديته، متذكراً لفقره إلى مولاه، ثم الشعور بالعجز عن اتيان الشكر حقه، أو تقديم الثناء الجدير بالمنعم. وبمجموع هذه الأركان، فان الشكر، رغم بساطته الظاهرة، فانه يعدّ من اصعب العبادات بحيث ان الله تعالى وحده، يمكن أن ينطبق عليه وصف الشكور على الحقيقة، واما الشاكرون من الخلق، فانهم شاكرون على وجه المجاز.[3]

ان حقيقة الشكر، أو معناه التعاملي، كما يحدده الإمام عبد القادر، هو: الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فشكر العبد لله تعالى ، يعني ثناؤه عليه، بذكر إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد، يعني ثناؤه عليه بذكر إحسانه له، غير ان إحسان العبد يختلف عن إحسان مولاه عز وجل، اذ ان إحسان العبد يتمثل في طاعته لربه، و امّا احسان الحق تعالى ، فهو انعامه على العبد. هذا مع ملاحظة: ان شكر العبد على الحقيقة انما يتمثل في نطق اللسان واقرار القلب بانعام الربّ معاً.

---

(1)سورة ابراهيم- اية/7.

(2)رواه ابن حيان- المغني عن حمل الاسفار- ج/4- ص79.

(3) في هذا المعنى، يذكر الإمام عبد القادر، دعاء نبي الله داود (ع):الهي كيف اشكرك و شكري لك نعمة من نعمك ؟فاوحى الله تعالى اليه : الان قد شكرتني ـ انظر ـ الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل ـ ج/3ص1351.

[1] أي ان الشكر عند الإمام عبد القادر، لا يتم الا ان يكون صادراً من اللسان و القلب في وقت واحد، وكونه من القلب، فهذا يعني انه صادر من سائر البدن، لان القلب في عرف الصوفية هو المهيمن والمتامر على سائر البدن.

اقسام الشكر

اذن فالشكر يقع على ثلاثة أقسام : شكر باللسان و شكر بالبدن و الأركان وشكر بالقلب، فامّا الشكر باللسان، فهو اعتراف العبد بالنعمة بنعت الأستكانة، أي الأعتراف بالنعمة على انها من عند الله عز و جل، و ترك الأضافة إلى الغير، سواء أكان هذا الغير هو ذات العبد أم حوله و قوته أم كسبه أم سائر الخلق، اذ ان كل هذه الأغيار ما هي في حقيقتها الا أدوات و الآت، و قد جرت بواسطتها النعم، وفي الحقيقة فان القاسم و المجري و الموجد و الشاغل و المسبب، هو الله تعالى فهو أحقّ بالشكر من سواه، وان ((من نظر إلى الظاهر و السبب، و لم يجاوز علمه و معرفته، فهو الجاهل الناقص، قاصر العقل، و انما سمي العاقل عاقلاً لنظره في العواقب)) [2] و نلاحظ هنا، أن الإمام عبد القادر، يعطي للعقل معنىً دينياً أخلاقياً، وهو المعنى ذاته الذي نعت لأجله العرب قبل الأسلام ب (الجاهليين)، فالعقل على وفق هذا المنظور، هو الأداة التي تصل بالإنسان، إلى معرفة ربّه و معرفة سبل الخير و الصلاح .

أما الشكر بالبدن و الأركان، فهو الأتصاف بالوقار و الخدمة، و يتم ذلك، بان يحرك العبد جوارحه، و يوظفها في طاعة الله تعالى دون غيره من الخلق، وأيضاً، أن لا يجيب أحداً من الخلق، لما فيه اعراض عن الخالق عز و جلّ، و هذا يشمل النفس و الهوى و الإرادة والأماني، و سائر ما وضع الله تعالى في البشر، ان هذا الشكر، بمستواه الثاني، يتحقق، بان يجعل العبد، طاعة ربه تعالى ، أصلاً و متبوعاً و اماماً، و أمّا ما سواها، فيجعله فرعاً و تابعاً و ماموماً. و هنا يلفت الإمام عبد القادر، النظر إلى ان الشكر على النعم المادية، لا يكون بصيغة واحدة فقط، بل هو يختلف باختلاف النعم وتنوعها، فشكر نعمة المال، مثلاً، تستوفى بالأعتراف بها للمنعم، و هو الله تعالى ، والتحدث بها لنفسه في سائر الأحوال، مع رؤية فضله و مئّته وايضاً أن لا يتملك العبد على ماله، ولا يتجاوز حده فيه، و لا يترك حدود الشرع فيه، ثم بعد ذلك، و هو الأهم، يؤدي حقوقه و يراعي واجباته. فامّا شكر نعمة العافية فيكون بالأستعانة بالجوارح على الطاعات و الكف عن أذى الخلق، واجتناب المحارم والسيئآت والمعاصي

(1)الجيلي المصدر نفسه ـ ج/3 ـ ص1349

(2) الجيلي ـ فتوح الغيب ـ هامش كتاب ـ بهجة الأسرار و معدن الأنوار ص59

والآثـــام.[1] اذن فـــالجوارح الـــتي وضـــعها الله تعـــالى في الإنســـان، وصـــوّرها في احســـن صـــورة ومنحهـــا أكفـــا القـــدرات، يمكـــن للعبـــد مـــن ان يســـتعملها فيمـــا يغضـــب مـــولاه تعـــالى ، و ذلـــك بـــان يســـرق بيـــده، و يســـعى برجلـــه إلى مـــواخن الســـوء، و ينظـــر بعينيـــه إلى محـــارم الله، ويمكنـــه مـــن باب آخر وهـو بـاب الشـكر، ان يسـتعملها فيمـا يرضـي مـولاه تعـالى ، و ذلـك بـان يحجـم عـن كـل مـا سبق ويقدم بها على أعمال الخير.

الشـكر بالقلـب، يعرّفـه الإمـام عبـد القـادر ، تعريفـاً، هـو أقـرب مـن سـابقية، إلى خصوصـية اللغـة الصـوفية و مفرداتهـا . انّـه الأعتكـاف علـى بسـاط الشـهود بادامـة حفـظ الحرمـة، ثـم الترقـي، بعـد حضـور هـذه المشـاهدة إلى الغيبـة في رؤيـة المـنعم عـن رؤيـة النعمـة . و يتـبين لنـا مـن هـذا التعريـف، أن شـكر القلـب، يختلـف عـن غـيره مـن أنـواع الشـكر، بانـه لايـتم الا مـع حـال المشـاهدة والفنـاء، فهـو إذن يـاتي، في مراحـل متـاخرة مـن مراتـب السـلوك الصـوفي. ومـن شـروط صـحّة هـذا الشـكر، أنـه لابـد مـن أن يبقـى حاضـراً في القلـب، و بشـكل مسـتمر و متصـاعد، حتـى يبلـغ إلى حـال يمكـن أن نسـميه بحـال الفنـاء في الشـكر، حيـث يغيـب الشـاكر عـن رؤيـة النعمـة و يفنـى في المـنعم، فـلا يهمه بعد ذلك، أأعطى أم منع .

و الشـكر بالقلـب، قوامـه الأعتمـاد الـدائم والعقـد الوثيـق، بـان جميـع مـا في العبـد مـن الـنعم الظـاهرة والباخنـة، هـو مـن لـدن الله تعـالى لا مـن غـيره، و في هـذه الحالـة يكـون شـكر اللسـان معـبراً عمـا في القلـب مـن حقيقـة : أن لا مـنعم سـوى الله تعـالى[2] . فـلا شـكر حقيقيـاً في القلـب الا أن يكون مقروناً باعتقاد صحيح مفاده : أن لا نافع ولا ضار ولا فاعل على الحقيقة، الأ الله تعالى .

أصناف الشكر

ويصـنّف الإمـام عبـد القـادر، الشـكر، تصـنيفاً آخـر، وفقـاً لمراتـب العبـاد اللـذين يصـدر عـنهم الشـكر. وهـو يقـع أيضـاً علـى ثلاثـة أصـناف وهـي : شـكر العـاملين و شـكر العابـدين و شـكر العـارفين . أمـا شـكر العـاملين، و هـم سـواد المـؤمنين، فيكـون مـن جملـة أقـوالهم، أي أنهـم يقصـرون شـكرهم علـى اللسـان فقـط، و هـو أولى درجـات الشـكر. وإمّـا شـكر العابـدين، فهـو نـوع مـن أفعـالهم، اذ هـم تجـاوزا مرحلـة القـول إلى الفعـل، فتراهـم يحرصـون ان يكـون شـكرهم مصـحوباً بـذكر الجـوارح والسـعيّ لأتيـان أعمـال الـبرّ و الخـير. ثـم اخـيراً شـكر العـارفين، و هـؤلاء، يـتم شـكرهم باسـتقامتهم لـربهم عـز وجـل في عمـوم أحـوالهم - أي في السـرّاء و الضـرّاء، و في السـرّ والعلـن -

(1) االجيلي - - فتوح الغيب - هامش بهجة الأسرار ومعدن الأنوار - ص113

(2)الجيلي – المصدر نفسه - ص130.

واعتقادهم بان جميع ما هم فيه من الخير والنعمة، و ما يظهر منهم من الطاعة و العبودية والذكر، هو في الحقيقة لله تعالى ، اذ هو يحصل بتوفيقه وانعامه وعونه وحوله وقوته، بينما هم معزولون عن جميع ذلك بفنائهم في الله تعالى ، مع اعترافهم بالعجز والقصور والاستكانة والفقر اليه في جميع الاحوال.[1] وكما يبدو، بوضوح، فان شكر العارفين، قد اشتمل على مراتب الفعل الصوفي برمتّه، من الاستقامة والطاعة والعبودية الحقة والذكر والعزلة والتوكل والرضا والفناء. ولعل هذه الميزة، هي من اهم الميزات التي يمكن ان نراها في المقامات الصوفية عند الإمام عبد القادر، اذ ان المقام الواحد، يشتمل على فروع جميع المقامات السابقة وبذور جميع المقامات اللاحقة.

درجات الشكر والشاكرين

يرى الإمام عبد القادر، ان الشكر على الشكر، يمثل اعلى درجات الشكر، لان العبد بهذا الشكر ((يرى ان شكره هو بتوفيقه، ويكون ذلك التوفيق من اجلَ النعم عليه، فيشكره على الشكر ثم يشكره على شكر الشكر، إلى ما لا يتناهى)).[2] واذا كان الشكر على الشكر، يمثل اعلى درجات الشكر، فان العبد الشكور، هو افضل الشاكرين، فالشاكر هو الذي يشكر على النفع بينما الشكور هو من يشكر على النفع والضر على الموجود والمفقود، على البذل والمنع لانه لا يطلب شيئاً منه ربِّه بهواه وارادته فهو فارغ القلب عن الشهوات غير راغب فيها، انه في امتثال دائم لامر ربِّه حتى في السؤال، وهذا الامتثال جعله لا يطلب ولا يشتهي ولا يتمنى الا القرب من ربه تعالى ومن كان هذا مطلبه الاوحد، فانه حتماً ستهون في عينيه جميع المطلوبات، وسيكون سيان لديه أن عمّه النفع ام مسّه الضر، فكلاهما صادرٌ من منبع واحد الذي هو مطلوبه الاوحد.

الشكر والحمـــــــــد

(1)الجيلي - الغنية لطلبي خريق الحق عز وجل-ج/3-ص1350.

(2) الجيلي - المصدر نفسه- ج/3 - ص1350.

واخيراً، فان الشكر يفضي إلى الحمد[1] والشكور يطمع لان يكون حامداً، والحامد هو الذي يشهد المنع عطاً والضر نفعاً، ثم يستوي عنده الوصفان، ورأس الحمد هو الذي يستنفذ المحامد كلها، غائباً عن ذاته، بشهود الكمال وبوصف الجمال وبنعت الجلال و بعين المعرفة وعلى بساط القرب، وصاحب هذه الدرجة من الحمد، هو الذي يحمد الله تعالى ، بمحامد لا يعلمها، الا ان يعلّمها ربه تعالى له الهاماً، وهذا مقام خاص لا يكون من بين كل البشر وفي كل الازمان الا للنبي محمد(صلى الله عليه وسلم)، وذلك حين يحمل لواء الحمد[2] يوم القيامة متقدماً أُمة الحمّادين. وعليه فان الحمد هو اعلى المراتب التي يمكن ان يبلغها الشاكر، ولا يمكن للسالك من ان ينال صفة الحمد الا بعد ان يبلغ خواتيم الطريق الصوفي، فلا حمد قبل الشهود ولا حمد قبل المعرفة ولا حمد قبل القرب.

رابعاً- مقام الصبر :-

يرى صاحب(العوارف): ان حقيقة الصبر كائنة في التوبة، كينونة المراقبة في التوبة، والصبر من اعزّ مقامات الموقنين، وهو داخل في حقيقة التوبة.[3] وجاء في (التعريفات): ان الصبر هو ترك الشكوى من الم البلوى لغير الله لا إلى الله، فالعبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضر عنه، لا يقدح ذلك في صبره، ولئلا يكون كالمقاومة مع الله تعالى .[4]

مشروعية الصبر وتعريفه

الاصل في الصبر، هو قوله تعالى :"يا ايها الذين امنوا، اصبروا و صابروا ورابطو واتقوا الله لعلّكم تفلحون".[1] وقوله تعالى : " وإصبر وما صبرك الا بالله ".[2] و قوله (صلى الله عليه وسلم):"ان الله تعالى اذا أحبّ عبداً ابتلاه و اذا ابتلاه صبّره "[3] و سئل ذو النون المصري عن

(1)الحمد: هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها، والحمد الحالي هو الذي يكون بحسب الروح والقلب، كالاتصاف بالكمالات، العلمية والعملية والتخلّق بالاخلاق الالهية والحمد العرفي، هو فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً.-الجرجاني-التعريفات- ص1351.

(2) الجيلي - الغنية لطلبي خريق الحق عز وجل-ج/3-33.ص1351.

(3)السهرودي – عوارف المعارف- ص480.

(4) الجرجاني- التعريفات- ص136.

(1) سورة ال عمران-اية/200.

(2)سورة النحل- اية/127. علماً انه وردت لفظة الصبر واحد مفرداتها في مائة وثلاث ايات من القران الكريم.

(3) روي عن علي ابن أبي خالب(ع) ـ في المغني عن حمل الأسفار ـج/4ص280.

الصبر، فقال: هو التباعد عن المخالفات، و السكون عند تجرع غصص البليه و اظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة .[4] و قال الجنيد البغدادي : السير من الدنيا إلى الآخرة سهم هيّن على المؤمن، و هجران الخلق في جنب الحق شديد، و السير من النفس إلى الله صعب شديد، و الصبر مع الله اشدّ . وسئل أيضاً عن الصبر فقال : تجرع المرارة من غير تعبيس.[5]

الصبر عند الإمام عبد القادر

الصبر في تعريف الإمام عبد القادر، هو: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، و الثبات مع الله عز وجل، و تلقي مرّ أقضيته بالرحب و السعة، و على أحكام الكتاب و السنة .[6] و هذا التعريف يفترض عدة أركان : أولها أن الصبر لا يكون الا مع حالات البلاء، فلا صبر مع رخاء أو نعمة أو عطاء، ثم، يفترض مع الصبر على البلاء، حسن الأدب، فالجزع مثلاً، يذهب بمعنى الصبر، ثم لابدّ مع الصبر، من الثبات مع الله تعالى و عدم اللجوء إلى غيره وقت الشدّة وأيضاً لابدّ من تلقي مرّ القضاء، بالرحب و السعة، لأن المرء قد يصبر على مضض، وهو ما يذهب بمعنى الصبر أيضاً. و أخيراً، لابدّ من أن يكون فعل الصبر، و ما يلحقه و ما يسبقه، يجري على أحكام الشريعة الأسلامية، أي أن لا يخرج الصبر، صاحبه، عن حدود الله تعالى .

والصبر أيضاً، يعني: اظهار الغنى مع حلول الفقر من غير تعبيس، بحيث يكون الفقر سراً بين العبد وربّه، وبحيث يكون العبد في أعسر أحواله، وهو يبدو أمام الناس في حالة غنى و رخاء وسعادة عظمى .

ولأهمية مقام الصبر، و لصعوبة التحقق به، فان الإمام عبد القادر يقول: أنه لا يظفر بما عند الله عز وجل - و ما عنده واسع و عظيم - الا بالصبر، و لهذا أكدّ سبحانه وتعالى عليه في كثير من آيات كتابه الكريم، وأن الفقر و الصبر، لا يجتمعان الا في حق المؤمن.[1] وذلك لشدة وخاة الفقر على النفس، و لصعوبة الأستمرار على الصبر، و ليس شيئاً غير الايمان يجمع بينهما، لأن الأيمان هو الذي يطمئن قلب العبد، بان كل ما يصيبه و يلقاه، هو من عنده تعالى وبامره و ارادته، و لذلك فان المؤمن يتقبله بقبول حسن .

(4) الجيلي - الغنية لطالبي خريق الحق عز وجل - ج/3ص1356.

(5) الجيلي - المصدر نفسه - ج/3 ص1355.

(6) الشطنوفي - بهجة الأسرار معدن الأنوار - ص123.

(1) الجيلي - الفتح الرباني و الفيض الرحماني - ص17.

و لرقي مقام الصبر، و صعوبة التحقق به، عده الإمام عبد القادر، من ضمن صفات الأنبياء والأولياء و الصالحين، وهو في هذا، يستند إلى قوله (صلى الله عليه وسلم) : "أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل" .[2] و ان الذي ينتظر العبد من المكآفآت من جرّاء صبره، لا يحصيه الا قوله تعالى : " انما يوفّى الصابرون أجرهم بغيرحساب "[3] و لذلك، فان على المريد ان يصبر على صبره، و يتم له ذلك، بان لا يستعجل الفرج، و ان يرضى بالقضاء وان يوطن نفسه على تجرع مرّ البلاء، فان اعتاد ذلك وتلبس به، فسيناله برد عفو ربه تعالى و لطفه وكرمه ومنّه.[4]

ان الصبر، هو عماد الدين وأصل الأيمان، و هو كما قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : "الصبر من الأيمان كالرأس من الجسد".[5] و الرأس هو الأهم و هو المقدم و غيره تبع له، وهو معنى ما يذهب اليه الإمام عبد القادر قوله: ان الصبر هو المرتقى الذي يرتقي منه المؤمن إلى حالة الرضا والموافقة والفناء في افعال الله تعالى .[6] ولعل اقتران مقام الصبر، بالمكابدات والمعاناة هو ما منحه الاهمية والتقدم على بقية المقامات، وايضاً، فانه لا يمكن تصور الصبر، الا مقروناً بالفقر والبلاء والشدائد والمصائب، فهي وسطه الأمثل الذي يترعرع فيه.

درجات الصـــــبر

ان حال مقام الصبر، هو كحال بقية المقامات عند الإمام عبد القادر، فهو ايضاً، متعدد الاضرب والاقسام والمستويات. إنه يقع أولاً على ثلاثة اضرب: صبر لله وصبر مع الله وصبر على الله تعالى .

الصبر لله عز وجل: هو الصبر الذي يتصف به كثير من المؤمنين، طلباً لتحصيل الاجر والثواب، وهذا الصبر يكون على طاعة اوامره تعالى والانتهاء عن نواهيه، فالنفس مجبولة على حبّ الشهوات ونيل اللذات، من أي مصدر صدرت، بينما تشتمل العبادات والطاعات على مخالفةٍ لهوى النفوس وميلها، وهذه المخالفات، يحتاج معها العبد، إلى كثير من الصبر، كي تصبح لنفسه طبعاً جديداً وسلوكاً مستفاداً.

(2) المغني عن حمل الأسفار ج/4ص281.

(3) سورة الزمر ـ آية/10 .

(4) الجيلي ـ فتوح الغيب ـ ص170.

(5) عن علي ابن طالب (ع) –الجامع الصغير- ج/2- ص80.

(6) التادفي- قلائد الجواهر في مناقب الإمام عبد القادر- ص72.

الضرب الثاني، هو الصبر مع الله عز وجل، وهو اشدّ على النفس وخاةً من سابقه، لتعلقه بالشدائد والبلايا التي يُمتحن بها العبد من اجل تحصيل الدرجات الروحية ونيل المراتب الآخروية. إنه الصبر تحت جريان قضائه وافعاله تعالى ، في العبد من سائر البلايا والشدائد وهذا الصبر، حقيقته التقوى التي يعرّفها الإمام عبد القادر، بانها: فعل ما أمرك الله عز وجل بفعله وترك ما أمرك بتركه، والصبر على أفعاله ومقدراته وسائر بلاياه وأفاته.[1]

الضرب الأصعب والأشد على النفس، هو صبر على الله عز وجل، والركون إلى وعده في كل

شيء.[1] وهذا اللون من الصبر يخص الأولياء المقربين دون سواهم، لأنه صبر على فُرقة المحبوب ومكابدة الشوق إليه، وهو أيضاً صبر على إحتمال وجود الولي مع الخلق وبعده عن خالقه، وهو أيضاً صبر على ما وعد الله تعالى به عباده من اللقاء وحسن المآب. إن المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمنين، ولكن هجران الخلق في جنب الحق، شديد عليهم، وأما المسير من النفس إلى الله عز وجل فهو أشدّ، لأن فيه خرقاً للمعتاد وتغيراً لطباع النفس، وأمّا الصبر مع الله تعالى فهو الأشدّ من كل ما سبق، لأنه لا منجى منه إلا إليه. فإذا ما إجتمع الفقر مع الصبر، كانا أفضل من إجتماع الغنى مع الشكر، لأن الإجتماع الأول مقرون بالمكابدة والمشقة، والفقر مع الشكر أفضل منهما، لأنه جمع بين الحسنيين، الصبر والشكر والفقير الصابر الشاكر أفضلهم جميعا، لأنه حاز الفضل كله.[2]

مراتب الصابرين

وشان الصابرين مثل شان الشاكرين، فهم أيضاً يتوزعون على ثلاث مراتب: متصبر وصابر وصبّار. المتصبر منهم هو الذي يسعى لأن يكون صابراً، مع شدة المكابدة والتالم والجهد البالغ

---

(1) الجيلي – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص240. علماً أن للشيخ عبد القادر تقسيماً آخر للصبر، يحاكي به (الضربين) الأول والثاني مع تغيير في إستخدام المسميات، فهو يقسم الصبر إلى: صبر على ما هو كسب للعبد، وهو الصبر على ما أمر الله به عز وجل والإنتهاء عما نهى عنه، وهو مما يلتحق بالضرب الأول. والقسم الثاني هو الصبر على ما ليس بكسب للعبد، وهو صبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى وقضائه، فيما له فيه مشقة وألم في القلب والجسد، وهذا الصبر يلتحق بالضرب الثاني، أي الصبر مع الله عز وجل – أنظر الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/ 3 - ص1355.

(1) وفي هذا المعنى، يذكر الإمام عبد القادر، قصة الرجل الذي وقف على الشبلي (ت – 334هـ) وساله: أي الصبر أشدّ على الصابرين؟ قال الشبلي ألصبر في الله، فقال: لا فقال: الصبر لله، قال: لا قال : الصبر مع الله، قال: لا، قال: فما هو؟ قال: الصبر على الله. فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف معها روحه. الجيلي – الفتح الرباني والفيض الرحماني - ج/3 – ص1355.

(2) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص123.

في تحمّل عبءْ الصبر، فلا يمكن للصبر أن يكون عادةً للصابر، بل هو يجاهد كي يعتاد عليه أما الصابر، فهو الذي تمكن من تحمل الألم وتجاوز الشدائد، فصار في حالة تمكن من الصبر، وهذا الأعتياد لا يقلل من أجره شيئاً، وإنما هو، فقط يُخفف من عذاباته، لأنه يتخذ من الصبر وسيلة للتقرب إلى الله تعالى . وأمّا الصبّار، فهو الذي صبر، حتى صار الصبر له طبعاً وسلوكاً، وهو أعلى مراتب الصبر، و لا يناله إلا الأولياء المقربون، ويشترط في هذا الصبر، أن يكون مقروناً بحسن الأدب ورحابة الصدر، بحيث لا يبدو منه شكوى أو تذمر. وغاية ما يبلغه الصابر في ذلك، هو عدم تفضيله أو حتى تفريقه، بين حالتي النعمة والمحنة، وأن يكون خاطره ساكناً مع كليهما. وهذا ما يميز الصبر من التصبر، الذي هو السكون مع البلاء ولكن ((مع وجدان

أثقال المحنة)).[1] الصبر إذن بهذا المستوى، يقترب كثيرا من مقام الرضا ومقام الفناء، لأن أي أمر ياتي فيه من المحبوب، سواء أكان أبتلاء أم إنعاما، فانه لا يغيّر من الأمر شئ، وكذلك هو فعل العاشقين.

إن الصبر، هو مفتاح الخلاص من آفات النفس، وهذا يكون في بداية الطريق فقط، إذ يصّبر المريد نفسه عن أتيان المحرمات والآثام، ويصبّرها كذلك على أداء أمر الله عز وجل والأنتهاء عن نهيه، ويصبّرها أيضا على الموافقة لقدره تعالى ، فهو إذن بوظيفته تلك، يعدُّ وسيلة من وسائل مجاهدة النفس ورياضتها وتحويل مجرى أهوائها، نحو أصول الخير والصلاح. أما في نهاية الطريق، فان الصبر هو الذي يبلغ بالعبد إلى درجة القرب من مولاه تعالى ، وذلك لقوله تعالى : (إن الله مع الصابرين).[2] إن القوم صبروا مع الله عز وجل، ولم يصبروا عنه، فلا صبر لهم عن الله تعالى ، لأنه هو مطلبهم الأوحد ومبتغاهم الذي لا يحيدون عنه، صبروا له وفيه، صبروا ليكونوا معه، طلبوا ليحصلوا القرب منه، وكانوا قبل ذلك قد ((خرجوا من بيوت نفوسهم وأهويتهم وطباعهم وأستصحبوا الشرع معهم، وساروا إلى ربهم عز وجل، فاستقبلتهم الآفات والأهوال والمصائب، فلم يبالوا بها، ولم يرجعوا عن سيرهم، ولا يزالون

(1) الجيلي – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/3 – ص1357.
(2) سورة البقرة – آية / 153.

كـذلك حتـى يغـير خلقهـم وحتـى يتحقـق لهـم بقـاء القلـب والقالـب)).[3] وهـذا هـو مـا يسـميه الإمـام عبد القادر، بقلب الدولة.

البلايـا والمصـائب، إذن، فيمـا لـو فهمـت مـن كـلام الإمـام عبـد القـادر، فانهـا لا تمثـل إلا معوقـات مفتعلـة، وضـعت في طريـق السـالكين، لتميـز الصـادق مـنهم مـن عدمـه، فهـي إذن في حقيقتهـا أمـر خـارئ مقصـود، لـو فهمـه المريـد فانـه سـيقوى علـى أحتمالـه، ومـن الجهـة الآخـرى، فـان هـذ العقبـات، تشـكل عوامـل مسـاعدة فعالـة علـى تجـاوز الصـفات السـيئة ونيـل أضـدادها مـن أجـل بقـاء القلب ونقاء القالب.

الصبر والشكـــــــــــر

لا فكـاك عـن الصـبر في حيـاة المريـد، فهـو يلازمـه، منـذ بـاكورة سـلوكه الصـوفي وحتـى منتهـاه، في مسـاوقة مسـتمرة مـع رديفـه الشـكر، وهمـا كلاهمـا، أي الصـبر والشـكر، يـورث المريـد، في سـجال متصـل، كـلاً مـن حـالي الخـوف والرجـاء والقـبض والبسـط والجـلال والجمـال، فـإذا مـا أقلـق الخـوف مـن النـار قلـب المريـد، وقـضَّ مضـجعه وتمكـن منـه، بحيـث صـار لـه حاجبـاً يحجبـه عـن مـولاه، انـزل الله تعـالى عليـه السـكينة مـن مـاء رحمتـه ولطفـه، فـإذا مـا سـكن وأخمـان، فـتح لـه بـاب الجـلال، فتهيـب وتقطـع قلبـه وكثـر خوفـه، فـإذا تمكـن منـه ذلـك فـتح بـاب الجمـال، فسـكن وأخمـان ((وهـي خبقـات شـئ بعـد شـئ))[1] علـى أن هـذا التعاقـب بـين الخـوف والرجـاء، لا يكـون بـلا هـدف أو نهايـة، بـل هـو يتـوإلى علـى قلـب المريـد كـي يحفـزه باسـتمرار علـى المضـي قـدماً نحـو بلـوغ مرامـه وقربه من مولاه .

خامساً – مقام الرضا :-

الرضـا: هـو سـرور القلـب بمـر القضـاء.[2] والراضـي بـالله تعـالى ، هـو الـذي لا يعـترض علـى تقـديره، ولا يرضـى العبـد عـن الحـق تعـالى ، إلا أن يرضـى عنـه الحـق عـز وجـل أولاً.[3] الأصـل في الرضـا، هـو قولـه تعـالى :((رضـي الله عـنهم ورضـوا عنـه)) .[4] وقولـه تعـالى :((يبشـرهم ربهـم برحمـة منـه

(3) الجيلي – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص107.

(1) الجيلي – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص15

(2) الجرجاني – التعريفات – ص116. علماً أن هذا التعريف ينسب لذنون المصري.

(3) القشيري – الرسالة القشيرية – ص151

(4) سورة المائدة – أية /119

ورضـوان)).[5] وفي الحـديث الشـريف، ورد قولـه(صـلى الله عليـه وسـلم):(ذاق طعـم الإيمـان مـن رضي بالله عز وجل، رباً).[6]

وحـين سـالت رابعـة العدويـة : متـى يكـون العبـد راضـياً بالقضـاء ؟ قالـت : إذا سـرّ بالمصـيبة كمـا يسـر بالنعمـة . وقـال ذو النـون المصـري: ثلاثـة مـن علامـات الرضـا: تـرك الإختيـار قبـل القضـاء وفقـدان المـرارة بعـد القضـاء، وهيجـان الحـب في حشـو الـبلاء .[1] وسـئل الجنيـد البغـدادي عـن الرضـا، فقـال : الرضـا رفع الأختيار.[2]

تعريـــف الرضا عند الإمام عبد القادر

الإمـام عبـد القـادر، مـن جهتـه، يضـع للرضـا، أربعـة تعريفـات، تشـكل في مجموعهـا، المعنـى الإجمـالي الـذي يريـد أن يوصـله لنـا عـن هـذا المقـام، وهـذه التعريفـات هـي: أولاً: الرضـا هـو ارتفـاع الـتردد والاكتفـاء بمـا سـبق في علـم الله عـز وجـل في أزلـه. والرضـا: هـو أن لا يصـرف القلـب إلى نـزول قضـاء مـن الاقضـية بعينـه، فـإذا نـزل قضـاء، فـلا يستشـرف القلـب إلى زوالـه.[3] والرضـا هـو إخـراج الكراهيـة مـن القلـب، حتـى لا يبقـى إلا فـرح وسـرور. وأخـيراً فـان الراضـي: هـو الـذي لا يعـترض علـى تقـدير الله عـز وجـل، حتـى انـه لـو جعلـت جهـنم عـن يمينـه مـا سـال أن يحولهـا إلى يسـاره.[4] إن هـذه التعريفـات الأربعـة تـدلنا علـى أن الرضـا، مثلـه في ذلـك مثـل الصـبر، لا يتخـذ معنـاه الحقيقـي، إلا عنـد نـزول البلايـا والمحـن، ويشـترط في الرضـا، ثبـات القلـب، لثقتـه بسـابق علـم الله تعـالى ، فـإذا مـا وضـع العبـد في موضـع، مهمـا بلغـت درجـة دناءتـه، فـلا يتمنـى التحـول عنـه، ومـا يتميـز بـه الرضـا عـن عمـوم الصـبر، هـو أنـه يجـب أن يكـون مقرنـاً بطمانينـة القلـب وسـروره والمعنـى النهـائي للرضا، هو انه عدم الاعتراض على الله تعالى .

أمـا تفصـيل قـول الإمـام عبـد القـادر في الرضـا، فهـو مـا يـاتي: أن المـؤمن الصـادق، حقيـق عليـه أن يرضـى بمـا قسـم الله تعـالى لـه، وان يعتقـد، مطمئنـاً، أن قضـاءه تعـالى ، خـيرلـه، حتمـاً مـن قضـائه لنفسـه، إن صـح لـه القضـاء، ولعـل قضـاءه تعـالى للإنسـان فيمـا يكـره، خـيرلـه ممـا قضـى لـه

(5) سورة التوبة – أية /21
(6) رواه أحمد ومسلم والترمذي – الحامع الصغير – ج / 2 – ص29
(1) الجيلي – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج / 3 – ص 1360
(2) الطوسي – اللمع – ص50
(3) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص124
(4) الجيلي – المصدر نفسه – ج/3 – ص1360

فيما يحبّ، وعليه فلا مناص أمام العبد إلا الرضا، لأنه لا يعلم ما فيه صلاح دينه ودنياه، ((لأن الله عز وجل، خوى عن الخلق مصالحهم وكلفهم عبوديته من أداء الأوامر والانتهاء عن المناهي والتسليم في المقدور، والرضا بالقضاء، فيما لهم وعليهم في الجملة، وإستاثر هو، بالعواقب والمصالح، فينبغي للعبد، أن يديم الطاعة لمولاه، ويرضى بما قسم له ولا يتهمه في قسمته)).[1]

وإن من الرضا في السلوك الصوفي، أن لا يطلب المريد، حالاً أو مقاماً، غير الذي هو ماثل فيه، سواء أكان أعلى منه أم أدنى، نعم هو يطمع بالترقي، ولكنه لا يترقى اختياراً، ولا يخفى ما يتضمنه هذا الفعل من راحة عظمى وسلام داخلي وفير، ولعل من نافلة القول، وهو في الوقت نفسه، ليس من قبيل الدفاع المتعصب عن النهج الصوفي، أن نشير، إلى أن تبني المريد للرضا لا يتعارض مع سعيه وخموحه، ولا يُسقط عنه الكسب والتكليف، إذ يكفي المريد خموحا، أنه أختار التصوف منهجا في الحياة، ويكفيه تمسكا بالتكليف أنه يتحرى دقائق الذنوب وخفايا الشبهات، كي يتجنبها. إن ما يفعله الرضا للمريد، هو أنه يجنبه الأشتغال بكل ما يقع خارج نطاق قدرته وفعله، من الأقسام والخطوط والأقدار، كي يتفرغ بعدها لما يهمّه حقا من العمل على تاديب نفسه وتجلية مرآة قلبه، وهذه هي وظيفته الحقيقية التي نذر نفسه لها.

الرضا راحة القلب

إن الراحة مقرونة بلواء الرضا، غير أن التعب والشقاء، مقرونان بالمنازعة وعدم الرضا، وإن تعب العبد، يكون على قدر منازعته وموافقته لهواه وترك رضاه بالقضاء، وإن كل من رضي بالقضاء، إستراح، وكل من لم يرضى به، خال شقاؤه، وهو في الوقت نفسه، لا ياخذ من دنياه إلا ما قُسم له. أن العبد ((مادام لهواه متبعا، فهو غير راضٍ بالقضاء لأن الهوى منازع للحق عز وجل، فتعبه متكاتف متزايد، وإن أستجلاب الراحة في مخالفة الهوى، لأن الرضا بالقضاء بـ(لابدَّ) وإستجلاب التعب والنصب في موافقة الهوى لأن في منازعة الحق عز وجل بـ(لابدّ)، فلا كان الهوى، وإذ كان فلاكناّ)) .[2] وهذا النص، يصف الرضا وصفاً دقيقاً، ويصف الضرر الذي يلحق بالعبد، فيما لو تخلى عنه. إن القدر، هو القدر، (لابدّ) منه، ولا يمكن لأي مخلوق أن يدفعه أو ينفكَّ عنه، وأما من يفعل ذلك، فانه يفعل فعل ناخع الصخر، إن الذي يسير مع تيار القدر، فانه اضافةً إلى رضا مولاه، يكسب القدرة على مخالفة هوى نفسه التي تميل إلى التمرد

---

[1] الجيلي – الغنية لطالبي خريق الحق عز وجل – ج/ 3 – ص1358

[2] الجيلي – المصدر نفسه – ج / 3 – ص1358

والمشاكسة وكما نلاحظ، فان أي مقام من المقامات الصوفية عند الإمام عبد القادر، يكون له دور مهم في كبح جماح النفس وترويضها، وهو معنى الوجود الحقيقي لأي إنسان، إن وجود الإنسان، مع مجاراة هوى نفسه، لا يمكن أن يكون إلا وجوداً زائفاً لا معنى حقيقياً له .

هل الرضا مقـــــام أم حال؟؟

يذكر الإمام عبد القادر، أن مقام الرضا، من بين كل المقامات، أختلف فيه أهل الطريقة، هل هو من الأحوال أم من المقامات؟ فالذين قالوا إن الرضا كسب للعبد، نسبوه إلى المقامات بينما قال من رأوا فيه موهبة خالصة من الله عز وجل، أنه من الأحوال، وصوفية أهل العراق، هم من قالوا هذا الرأي الأخير، حيث ذهبوا، إلى أن الرضا، لا يمكن عده كسباً للعبد، بل هو نازلة تحلّ بالقلب، كسائر الأحوال، ثم تحول وتزول وياتي غيرها . أما متصوفة خراسان، فقد رأوا، أن الرضا هو من جملة المقامات، وهو نهاية التوكل أي أن الرضا هو ثمرة ما يتوصل أليه العبد باكتسابه، وهنا يكمن مصدر تفاوته عند الناس. الإمام عبد القادر، من جهته، يميل إلى الجمع بين الرأيين، إذ يمكن، في رأيه أن يعدَّ الرضا كسباً للعبد في بداية سلوكه فيكون له مقاماً، ثم بعد ذلك، أي بعد أن يتمكن باخن المريد من الرضا، ويثبته الله تعالى في قلبه، ويرضى عنه يصبح من جملة الأحوال التي هي ليست كسباً للعبد، بل موهبة خالصة من الله تعالى . أي أن المريد، إذا تمسك برضاه، ولم يحد عنه فان الله تعالى سيثبته في قلبه، فلا يغادره بعد ذلك أبداً .

أقسام الرضـــــا

يتخذ مقام الرضا، عند الإمام عبد القادر، مكانة متميزة، من بين المقامات، فهو يسميه، باب الله الأعظم وجنّة الدنيا، لأنه لا أعظم من رضا الله تعالى ، سواء في الدنيا أم في الآخرة، وإن من كسب رضا ربه، فقد فتحت له أبواب عطاياه، وهي عظيمة، والرضا هو جنة الدنيا، لأنه يورث الراحة والطمانينة والسلام، وهذه من خصائص الجنة. وأن من أكرم بالرضا، فقد قرّب ووصّل، وأن رضا العبد عن ربه، يدل على رضا ربه عنه، وهذه وثيقة أمان أكيدة وفيها أستشراف لمنازل الآخرة. ويقسم الإمام عبد القادر الرضا على قسمين، رضا به ورضا عنه، فالرضا به يتعلق بكون الله عز وجل، هو المدبر للكون وأما الرضا عنه، فهو ياتي من أن الله تعالى هو الحاكم وهو الفاصل .[1] وبالتاكيد ، فان الرضا به أيسر على القلب من الرضا عنه، لأن

---

[1] الجيلي – الغنية لطالبي خريق الحق عز وجل – ج / 3 – ص1358

الأول يتعلـق بالأقـدار العامـة الـتي تخـصّ التـدبير الكـوني، وأمـا الثـاني فانـه متعلـق بالشـخص ذاتـه، وهو يشمل المحن والبلايا ، التي قد يصبر عليها الإنسان أو لا يصبر.

ينصـح الإمـام عبـد القـادر، مريديـه دائمـاً، بحفـظ الحـال والرضـا بـه، وأن يتركـوا التلفـت إلى مـا سـواه، فـلا يعـدم الشـئ أم الحـال، أن يكـون، إمـا قسـم العبـد أو قسـم غـيره، أو هـو غـير مقسـوم لأحـدّ أصـلاً، بـل وجـد فتنـة للخلـق. فـإن كـان للعبـد فيـه نصـيب، فهـو واصـل إليـه، شـاء أم أبـى.[2] فـلا ينبغـي أن يظهـر منـه سـوء الادب والشـره في طلبـه لأن ذلـك لـيس مـن العقـل ولا مـن العلـم في شـئ وأمـا إن كـان قسـم غـيره، فهـو لـن يطالـه حتمـاً مهمـا فعـل، وأمـا إن كـان الأحتمـال الثالـث، أي لا لـه ولا لغـيره، بـل هـو فتنـة، فمـا مـن عاقـل يسـتجلب الفتنـة علـى نفسـه، وعليـه، ينصـح الإمـام عبـد القـادر، مريـده فيقـول: ((لاتاخـذ بـك – أي باختيـارك وإرادتـك وهـواك – حتـى تـؤمر، ولا تعـطِ بـك حتـى تـؤمر، ولا تتحـرك بـك ولا تسـكن بـك فتبتلـى بـك، وبمـن هـو شـرٌ منـك مـن الخلـق، لأنـك بـذلك تكـون ظالمـاً)).[3] العقـل والعلـم، إذن، همـا مـع الرضـا بقضـاء الله تعـالى ، وأمـا الهـوى والجهـل فهمـا مـع المخالفـة، ويمكـن لهـذا الـنص أن يـدلنا علـى أن تـرك الإرادة والأختيـار، هـو المطلـب الـدائم الـذي يرافـق المريـد، أبتـدأ مـن مقـام التوبـة، حتـى مقـام الفنـاء الوجـودي، مـرورا بالمقامـات الآخرى كافة.

ولا يقـف الرضـا، عنـد حـد السـكوت علـى مـا فـات مـن الخير وقبـول المقسـوم منـه، بـل هـو يتعـدى ذلـك، إلى القبـول بمـر البلايـا لأن مـن رضـيَ بـالله تعـالى ربـا، صـار لزامـا عليـه، أن يرضـى بكرمـه وبلائـه علـى حـد السـواء، لا بـل أنـه يوجـد مـن إذا وقعـت عليـه الرزيـة، رآهـا نعمـة وحمـد الله تعـالى عليهـا، علـى أن عـدم تفريقـه بـين النعمـة والمحنـة، يـاتي مـن أنشـغاله بـالمنعم عـن سـواه، وأن الـذي يشـتغل قلبـه بـالمنعم دون الـنعم، يكـون حتمـا في غيبوبـة عـن الـبلاء، فـلا يشـعر بـه، ومـن كـان هـذا فعلـه، فهـو حتمـا، الموحـد الحقيقـي والمحـب الحقيقـي، والفـاني عـن هـواه، والموجـود بربـه، فهو إذن الصوفي الحقيقي.

الرضا بين الطمع والورع

إن مـن يتوجـه بكـل همتـه إلى المـنعم دون سـواه، سـيكون قلبـه خاليـا، ضـرورةً مـن الطمـع، والإمـام عبـد القـادر، يحـذر مريديـه دائمـا، وينـبههم علـى أن الطمـع هـو عـدو الرضـا وخصـمه، لابـل

(2) نود التنبيه هنا، إلى أن الإمام عبد القادر، يخص بكلامه هذا، أمور الطريقة، دون بقية الأمور الدنوية الآخرى التي تخضع لغير تلك الأحكام والتي يكون لإرادة العبد وأختياره فيها يد طويلة.

(3) الجيلي – فتوح الغيب – على هامش بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص52.

إنـه لا يوجـد أمـر أضـر علـى المريـد وطالـب الحـق، وعلـى التجربـة الصـوفية عامـةً، مـن الطمـع، ومـا صـار الطمـع بهـذه الدرجـة مـن السـوء والتـاثير السـلبي، إلا لأنـه يمثـل، في حقيقتـه، نوعـا مـن أنـواع الشـرك بـالله عـز وجـل، لأن مـن طمـع في مخلـوق مثلـه، لا يملـك لنفسـه ضـرا ولا نفعـا، يكـون كانـه قـد نقـل مُلـك الملـك إلى مملوكـه، وتلـك خيانـة باديـة، وكـذلك فـان الطمـع لا يغـادر كونـه نقـص في أحـوال المريـد، لأن الطمـع لا يخطـر علـى قلـب مريـد، إلا ((الأجـل كمـال البعـد مـن الله عـز وجـل، حيـث طمـع في مخلـوق مثلـه، وهـو يـرى أن مـولاه، مطّلـع عليـه، ثـم لم يحجـزه الخـوف مـن ذلـك))[1] والـورع، هـو ضـد الطمـع، وإن مـن أخـص معـاني الـورع هنـا، هـو : أن ينسـب العبـد الأشـياء إلى مالكهـا الحقيقـي، فيطلبهـا منـه ولـيس مـن غـيره . وعليـه فـيمكن القـول : إن مـن يتصـف بـالورع سـينال الرضـا، ومـن يرضـى عـن ربـه ، فانـه حتمـاً سيصـبر علـى بلائـه، والصـابر هـو متوكـل ضـرورةً، ولا يتوكـل علـى الله حـق توكلـه، إلا العبـد الصـالح المـؤمن التائـب عـن ذنوبـه، وهكـذا يمكننـا أن نـرى بوضـوح، الترابـط العضـوي بـين المقامـات الصـوفية عنـد الإمـام عبـد القـادر، علـى الدرجـة الـتي لا يمكن معها الحديث عن مقام واحد دون التطرق إلى بقية المقامات .

سادساً – مقام الصدق :

الصـدق لغـةً، هـو مطابقـة الحكـم للواقـع، وفي اصـطلاح أهـل الحقيقـة، هـو قـول الحـق في مـواطن الهـلاك . وقيـل: الصـدق هـو أن تصـدق في موضـع لا ينجيـك منـه إلا الكـذب، وقيـل : الصـدق هـو : أن لا يكـون في أحوالـك شـوب، ولا في إعتقـادك ريـب، ولا في اعمالـك عيـب. والصـدّيق، هـو الـذي لم يـدع شـيئاً ممـا أظهـره باللسـان، إلا حققـه بقلبـه وعملـه .[2] وهـو أيضـاً المبالغـة في الصـدق، والـذي يكون الصدق هو الغالب عليه .

وعنـد القشـيري : الصـدق هـو عمـاد الأمـر كلـه – أي التصـوف – وبـه تمامـه وفيـه نظامـه وهـو تـالي درجـة بعـد النبـوه، لقولـه تعـالى : ((فاولئـك مـع الـذين أنعـم الله علـيهم مـن النبـيين والصـديقين)) .[1]) والصـادق: هـو الأسـم الـلازم مـن الصـدق، وأقـل الصـدق، إسـتواء السـرّ والعلانيـة، والصـادق مـن صـدق في أقوالـه، والصـديق مـن صـدق في جميـع أقوالـه وأفعالـه وأحوالـه .[2] وهـذا التعريـف الأخـير للصـدق، هـو الـذي يتبنـاه الإمـام عبـد القـادر، بتمامـه، ومـن غـير إضـافة أو حـذف .علـى أن

---

(1) الجيلي – الغنية لطالبي الحق عز وجل – ج/3 – ص1364

(2) الجرجاني – التعريفات – ص138

(1) سورة النساء – أية / 69

(2) القشيري – الرسالة القشيرية – ص164

الصوفية عنده، لا بد من أن يكونوا ، إما صادقين أو صديقين ، ولا شيء غير ذلك، وإن الذي يهمه منهما، هم الصديقون وحدهم، لأن مقام الصديقين، هو الذي تتحد فيه الأقوال والأفعال والأحوال على الصفة عينها، وهي صفة الصدق.[3]

تعريف الصدق عند الإمام عبد القادر

يورد الإمام عبد القادر، في الصدق ، [4] عدة أقوال، منها : إن من أراد أن يكون الله عز وجل

معه فليزم الصدق، فان الله عز وجل مع الصادقين . والصدق : هو القول بالحق في مواطن الهلكة، والصدق : هو موافقة السر بالنطق، أي موافقة اللسان للقلب، وهي أحسن الحالات التي يمكن أن يبلغها المريد، والصدق : منع الحرام من الشدق. والصدق الوفاء لله عز وجل بالعمل والصدق : هو صحة التوحيد مع القصد . وقيل : إنك إذا خلبت الله عز وجل بالصدق، أعطاك مرآة تنظر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة .[5] ويمكننا أن نلاحظ، من خلال جميع هذه الأقوال، أن الصدق عند الإمام عبد القادر، ليس كلاماً نظرياً ينتهي عند حدود اللسان، بل هو موقف عملي، أي فعل وسلوك، يسعى الإنسان، إلى الاتصاف به، من خلال إلتزامه، قولاً وفعلاً، ومن خلال التمسك به في مواطن يعافه فيه الناس. الصدق بهذا المنظور، هو الشجاعة عينها، وهو الورع، وهو التوحيد الحق وهو حب الله عز وجل وخلب القرب منه، والصدق أيضاً، هو الجهاد الذي قد ينال به العبد الشهادة. وكل ذلك يعد توضيحاً لقول الإمام عبد القادر: إن الصدق هو عماد الأمر (الصوفي) وبه تمامه، وإنه هو السبيل الوحيد للوصول إلى الله عز وجل والتقرب اليه، وإلا فكيف يتقرب العبد إلى مولاه بغير الصدق، وكما يقول الإمام عبد القادر : ((لولا الصدق لم يتقرب بشر إلى الله تعالى)).[1]

الصدق والإخـــــلاص

---

[3] للنظر في تعريف الإمام عبد القادر، للصدق، ومقارنة هذا التعريف بما ورد في الرسالة القشيرية – أنظر – الغنية لطالبي خريق الحق عز وجل – ج/3 – ص1366

[4] يرجع الإمام عبد القادر، في تأصيله للصدق، إلى قوله تعالى:((يا أيها الذين أمنوا، أتقوا الله وكونوا مع الصادقين)). التوبة/ 119 . وأما من الحديث الشريف، فيذكر قوله (ρ) : ((لا يزال العبد يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صدّيقاً، ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)) عن المغني عن حمل الاسفار – ج/3 – ص131 .

[5] الجيلي - الغنية لطالبي خريق الحق عز وجل – ج / 3 – ص1366

[1] التادفي – قلائد الجواهر في مناقب الإمام عبد القادر – ص34.

والصدق عند الإمام عبد القادر، يفضي إلى الإخلاص ،[2] والإخلاص يفضي إلى الصدق، وفي الحقيقة، فان المعنى العرفي، يدقّ، إلى درجة الشفافية، بين مفهومي الصدق والإخلاص ، إلى حد أننا، لو أستبدلنا أسم أحدهما، مكان الآخر، فان ذلك لن يضير المعنى في شئ، ولا تبين هذه الحدود وتنفصل، إلا في المعاملات الصوفية، حيث يعطى لكل مفهوم معناه المحدد.

إن قلب المريد، يشبهه الإمام عبد القادر، بالحجر الأصم، الذي أذا ما ترك وشانه فانه لا يتحرك ولا يصدر عنه أي فعل، بينما أذا ضُرب، بعصا (موسى)[3] الإخلاص ، لتفجرت منه ينابيع العلم والحكم، ((فبجناح الإخلاص ، يطير العارف من ظلمة قفص الكون، إلى فسحة نور القدس، وينزل، بعد الطيران، في ظل روض مقعد صدق – وأن الطريق إلى الله عز وجل، لا يسافر فيه بغير زاد الصدق)).[4] ويبدو هذا النص، وكانه يضع لنا خطة عمل، لرحلة المريد، من الجسد إلى الروح ومن الأرض إلى السماء، فالإخلاص هو الذي يمنح المريد القدرة والعزيمة على مغادرة ظلمة أهوائه وخبائعه الرديئة، ويدفعه قدما نحو فسحة الأستقامة والصفاء الروحي والمعارف والحكم الإلهية المكنونة أصلا في قلبه، ثم أخيرا يملّكه زمام مقام الصدق، والإمام عبد القادر، يوقف زاد السالكين، حصرا على الصدق وحده. إذن فلا صدق من غير أخلاص، ولا أخلاص من غير صدق، ولا سلوك ولا وصول، من غير أخلاص وصدق.[1]

الصدق والتـــــوكل

ويربط الإمام عبد القادر، أيضا، بين مقامي الصدق والتوكل، والصدق عنده يعني باحد معانيه: التوكل الحق على الله عز وجل، إذ لا يخفى على ذي الدراية، ما للتوكل على الله عز

[2] الأخلاص في اللغة: ترك الرياء في الطاعات، وفي الأصطلاح: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه، والأخلاص هو أن لا تطلب لعملك شاهدا غير الله تعالى، وقيل: الأخلاص تصفية الأعمال من الكدورات، وقيل: الأخلاص ستر بين العبد وربه، لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله. والفرق بين الأخلاص والصدق، أن الصدق أصل وهو الأول والأخلاص فرع وهو تابع، وفرق آخر: الأخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل – أنظر الجرجاني – التعريفات – ص112.

[3] الأشارة هنا إلى قوله تعالى: (وأوحينا إلى موسى إذا أستسقه قومه، إن إضرب بعصاك الحجر، فانبجست منه أثنتا عشر عينا، قد علم كل أناس مشربهم) الأعراف / 160.

[4] الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص76.

[1] يروي الإمام عبد القادر، أنه في باكورة حياته، كانت خطوته الأولى في التصوف، مع الصدق وذلك في معرض أجابته على من ساله: علام بنيت أمرك؟ فقال: على الصدق، ما كذبت قط، ولا عندما كنت في المكتب، ثم يسرد بعد ذلك، قصة نجاته ونجاة القافلة التي ألتحق في ركابها من اللصوص، بصدقه الذي عاهد أمه عليه قبل أن يودعها، ثم توبة اللصوص على يديه بهذا الصدق. – حول تفصيل القصة – أنظر – الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص87.

وجل من علاقة حتمية بالصدق، وإنه لا توكل حقيقي من دون صدق كافٍ، وأن أي خلل في صدق العبد يعني أن هناك خللا في توكله، وإن من أراد أن يبلغ كمال التوكل، فان عليه، أن يتقمص الصدق كاملا، أي في قوله وفعله وحاله واعتقاده، لأن أي انسان، لا يمكنه أن يعتمد أو يثق، باي شئ من الأشياء، إلا إذا كان صادقا في احساسه تجاهه فكيف الحال مع رب الخلق الذي لا يتقبل من عباده إلا ما حسن وخلص وصدق.

إن آفات النفس البشرية، كثيرة جدا، ولا يتمكن من السيطرة أو التغلب عليها، إلا من صدق من السالكين، لأن الصدق، إذا كان يزيد العبد قربا من مولاه ويزيده ابتعادا عمن سواه، فإنه سيورثه حياءً عظيماً وحرجاً لاحد له، لمثوله بين يدي ربِّه تعالى ، وهو مليء بالنقائص والآفات والكدورات، وعليه، فانه سيزيد من المجاهدات والأذكار والعبادات، وهولصدقه، فانه سيحثّ الخطى ويعجِّل بالقدوم على مولاه، لأن ((من عامل مولاه بالصدق والنصاح، إستوحش ممن سواه)) (2)

وعليه، فإن الصدق، يمكن أن يُعدّ، من بين اكثر الوسائل التي تعين المريد على الفلاح في سلوكه الصوفي، وإذا كان الطمع فيما في أيدي الناس، يعد من بين أصعب الآفات المُحبطة في الطريق

فان الصادق، لا يسعه، إلا أن يطمع في ربه عز وجل دون سواه، وإذا كان الكسل وحب الدعة والتراخي عن مواصلة الطريق، يعدّ آفة أخرى، فان الصادق معصوم عن هذه أيضاً، بصدقه، إذ إن صدقه في خلب القرب من ربه تعالى ، لا يترك في قلبه، أي شاغل سواه، ثم أن المكافآت والهبات والكرامات الالهيه، التي يلقاها السالكون في الطريق، والتي تشغلهم، أحياناً عن مطلوبهم الحقيقي، فانها أيضاً لاتؤثر في المريد الصادق الذي لايفرح إلا بلقاء محبوبه الأوحد وكذلك الحال مع بقية أنواع الرياء والشرك الخفي وجميع الأهواء والشهوات وآفات النفس الآخرى، لأنه حقاً كما قيل:النجاة في الصدق وفي الصدق النجاة

سابعاً- مقام الفناء :-

ألفناء لغة: هو الزوال والتلاشي، وفي أصطلاح الصوفية يعني:سقوط الاوصاف المذمومة عن العبد، كما أن البقاء، يعني وجود الأوصاف المحمودة فيه، والعبد لايخلو من أحد هذين القسمين،

---

(2) الشطنوفي- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار- ص76

فهــو أن لم يكــن أحــدهما، كــان الآخــر لامحالــة، لأن مــن فــني عــن أوصــافه المذمومــة ظهــرت عليــه الصــفات المحمــودة، ومــن غلبــت عليــه الصــفات المذمومــة، إســتترت عنــه الصــفات المحمــودة0 هــذا النــوع مــن الفنــاء، يبلغــه الســالك، بكثــرة الرياضــة، أمــا النــوع الآخــر مــن الفنــاء، الــذي هــو عــدم الأحســاس بعــالم الملــك والملكــوت، فهــو يــاتي بالاســتغراق في عظمــة البــاري ومشــاهدة الحــق0 [1] ولإجــل هــذا النــوع الثــاني، عــدَّ الصــوفية، الفنــاء، شــكلا مــن أشــكال التوحيــد الــذوقي في مقابــل التوحيــد الأعتقــادي، الــذي هــو:إقــرار بوحدانيــة الله تعــالى ، والتوجــه اليــه وحــده، بــانواع العبــادات والقربــات إن التوحيــد الــذوقي، هــو:شــهود وإدراك قلــبي للمطلــق أو اللامتنــاهي، ويشــترط في هــذا الشــهود، نفــس مروضــة ذات درجــة عاليــة مــن الصــفاء وإحســاس فــائق بــالمطلق، تــذوب معــه جميــع المتعينــات الفرديــة، بمــا فيهــا إنّيــة الــذات المشــاهدة، فاســحة المجــال أمــام حــال المواجهةالشــهودية مــع تجليــات الحضــرة الإلهيــة وفي الحقيقــة، فــإن تقســيم الفنــاء الصــوفي علــى(فنــاءين)، أخلاقــي وذوقــي، فيــه فائدةنظريــة، يــراد منهــا، تقريــب ألمفــاهيم الصــوفية إلى أذهــان النــاس، بينمــا في الواقــع، فــلا وجــود، في التصــوف الاســلامي بوجــه خــاص، إلا إلى شــكل واحــد للفنــاء، وهــو الفنــاء الــذي يــتخلص مــن خلالــه المريــد مــن صــفاته الذميمه، فتزال عن نفسه الحجب الظلمانية، وتصبح مهياة لان تطالع تجليات الأنوار الإلهية.[2]

إن كــون الفنــاء مــن المقامــات الصــوفية، يعــني أنــه يستحصــل بالجهــد والرياضــات والعبــادات، الــتي مــن خلالهــا تــتخلص الــنفس مــن كــثير مــن صــفاتها وخبائعهــا الرديئــه، ولــذلك ألحــق الصــوفية الفنــاء بالبقــاء، فبعــد فنــاء الخلــق، لابــدّ مــن أن يبقــى الخــالق، وبعــد فنــاء الصــفات البشــرية لابــد مــن أن تبقــى الصــفات الإلهيــة إذن فالفنــاء في مفهــوم التصــوف الإســلامي، لــيس محقــا، وإنمــا هــو وجــود جديــد يصــيب العبــد مــن خلالــه بعــض الكمــال المرجــو. وبهــذا المعنــى يقــول القشــيري: إن العبــد، إذا واظــب علــى تزكيــة أعمالــه، ببــذل وســعه، مــنَّ الله تعــالى عليــه، بتصــفية أحوالــه، بــل بتوفيــة أحوالــه، فمــن تــرك مــذموم أفعالــه، يقــال: فــني عــن شــهواته، فــاذا فنــى عــن شــهواته، بقــي بنيتــه وأخلاصــه في عبوديتــه، ومــن زهــد في دنيــاه، بقلبــه، يقــال: فنــى عــن رغبتــه، فــاذا فــني عــن رغبتــه فيهــا – أي في الــدنيا – بصــدق أنابتــه وكــذلك الحــال لمــن يفنــى عــن تــوهم الآثــار مــن الأغيــار، فانــه يبقــى بصــفات الحــق، ومــن أســتولى عليــه ســلطان الحقيقــة، حتــى لم يشــهد مــن الأغيــار، لا أثــرا ولا رســما ولا خلــلا

---

[1] الجرجاني- التعريفات- ص176

[2] يعرِّف، د0 أبو العلا عفيفي الفناء بانه:حال تتوارى فيه آثار الإرادة والشخصية والشعور بالذات وكل ما سوى الحق،فيصبح الصوفي،وهو لايرى في الوجود غير الحق،ولايشعر بشيٍ في الوجود سوى الحق وفعله وارادته-أنظر- التصوف،الثورة الروحية في الاسلام0ص167 ويمكن القول،أن هذا التعريف ينطبق على حال وحدة الشهود،أكثر من أنطباقه على الفناء،الذي سيتبين لنا تعريفه الأكثر دقةً،من خلال مجريات البحث0

يقال: أنه فني عن الخلق وبقي بالحق. إذن ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة بعدم هذه الآفعال، وفناؤه عن نفسه وعن الخلق، بزوال إحساسه بنفسه وبهم.[1] ولعل أقرب مثال يوضح هذا القول، هو، حالة فناء المريد في شيخه، في الطرق الصوفية، فالمريد لا يمكنه من أن يتخلى عن ذاته تماما فيكون هو الإمام عينه، ولكن يمكنه أن يتمثل حاله الإمام وصفاته من أجل تقريب المناسبة، ومن أجل أن يكون قلبه مرتبطا بقلب شيخه، كي يستمد منه بعض تجليات الأنوار الإلهية.

معنى الفناء عند الإمام عبد القادر

يرد الفناء، عند الإمام عبد القادر، بعدة معان، وهو يحاول، من خلالها دائما، أن يربط، بينه وبين جميع المقامات السابقة، بكونه ذروة التغيير النفسي والأخلاقي للمريد، وأن كل المقامات ماهي في حقيقتها، إلا مراتب متسلسلة لهذا التغيير. إن حالة الفناء عنده، هي غاية أحوال الأولياء والأبدال، وإلى بلوغها يطمع السالكون، وبغير الفناء، لا تتم التجربة الصوفية ولا تنضج ثمارها. إن الفناء، بكل معانيه الممكنة، لا يخرج عن حمى الساحة الأخلاقية، التي رسمها الإمام عبد القادر، لمنهجه الصوفي، والتي لا يتجاوز معنى الفناء فيها، كونه نبذا للصفات الإنسانية السيئة، وأستبدالها بآخرى حسنة.

مستويات الفناء

يقسم الإمام عبد القادر، الفناء، على خمسة مستويات، وهي: فناء عن الخلق، وفناء عن الهوى وفناء عن النفس، وفناء عن الإرادة، وفناء عن الأماني. أما الفناء عن الخلق فان العبد، لا يبلغه إلا بعد أن يتيقن من استغناءه عن الخلق، بحيث لا يرى لهم نفعا ولا ضرا، وأنه لافاعل على الحقيقة إلا الله عز وجل وحده، وأنه حتى الأفعال التي تصدر من الخلق، ما هي في حقيقتها، إلا فعل خالص له تعالى . إن ما يرمي أليه هذا اللون من الفناء، هو تطهير عقيدة التوحيد لدى المريد، بحيث تتخلص من كثير من أشكال الشرك التي لدقتها، قد تخفى على غير الصوفية. أما الفناء عن الهوى، فان معناه يمكن أن يفهم من خلال نقيضه، أي من خلال أتباع الهوى، فاتباع الهوى يودي بصاحبه حتما إلى التهلكة، وأن من البدائه عند الصوفية، هي أن الخطوة الأولى في السلوك الصوفي عامة، تبدأ من مخالفة الهوى. وهذا الفناء أيضا لا يمكن الأعتراض عليه من جانب الشرع، لأنه يمثل في حقيقته، سلوكا أخلاقيا يرمي إلى تحسين

[1] القشيري – الرسالة القشيرية – ص62.

صفات العبد وأخلاقه باستبدال المذموم منها بالمحمود. أما الفناء عن النفس، فانه يتضمن معالجة جميع ما تشتمل النفس عليه، بين جنبيها، من خباع وميول ونوازع ودوافع، سلبية، تعرقل مسار الرقي الروحي للمريد. ويبدو، أن هذا الفناء، يقابل عمل النفس الملهمة، التي يدخل المريد معها، مرحلة التخلص من أهوائه الرديئة كافة. الفناء عن الإرادة، الذي ياتي بالمستوى الرابع، يدفع بصاحبه إلى حسن التوكل على بارئه تعالى وإلى الطاعة والتسليم وعدم الخروج عن إرادته، وهو مما يتوافق تماما وأحكام الشرع.

الفناء عن الأماني، يعني أن لا يرضى المريد بغير ربّه وخالقه، مطلبا، فلا تلهيه دنيا ولا آخرى ولا جنّة زائلة ولا جنّة خالدة، وإنما يكون مراده الأوحد، هو زيادة القرب منه تعالى ، وهذا القرب، لا يتحقق له، إلا بعد خروج كل (السوى) عن قلبه، ولكن هذا السوى، لا يزول عن القلب، إلا بزوال الهوى والإرادة، اللذين بزوالهما، يصبح العبد ماثلا في فعل الله تعالى وإرادته.[1] وهذا هو ما يمكن أن نسميه، بالتوحيد الحق، الذي يخلص به القلب لربه، فلا يعود ينظر لغيره ولا يتطلع إلى سواه، حتى ولو كان هذا السوى هو نعيم الآخرة. ويمكن القول، أننا لو جمعنا هذه (الفناءات) لوجدناها تشكل سيرة صوفية متكاملة، تبدأ من التخلص من الأهواء الرديئة وتنتهي بالأشراف على التوحيد الحق، ويبدو أن الإمام عبد القادر، لم يترك مجالا للأعتراض على (فناءه) هذا، وخاصة وأنه قد قدمه للناس بلغة هي أقرب إلى لغة الشرع منها إلى اللغة الصوفية الصرف.

الفناء بين الخلق والخالق

يذهب الإمام عبد القادر إلى أنه ما ثم في الوجود إلا خلق و خالق – وهي (إثنينية) حادة لا يمكن الجميع بين خرفيها، في أي مرحلة من مراحل القرب والوصول، ويبدو أنه يشير هنا إلى عدم تبنيه لما يلصق باصحاب نظريتي الأتحاد والحلول- فان اختار المريد الخالق، فعليه أن يخلع عن قلبه كل من عداه، فليس للرجل من قلبين في جوفه، وبحيث يتصرف وكانه لا خلق في الوجود، وأنه لا وجود إلا للخالق عز وجل، عندئذ سيوجد وجوداً آخر، هو ما يسمى بـ(البقاء) أو الوجود الجديد الذي لا يرافقه إلا صفاء النفس وكرم الأخلاق، وإن من أبرز علامات هذا (الوجود) هو الدعوة المستجابة وخاعة الناس لأوامره.

---

[1] الجيلي – فتوح الغيب – ص129.

أمـا إذا حـتّم علـى المريـد أن يكـون مـع الخلـق، مرشـداً لهـم مـثلاً، فعليـه أن يكـون، معهـم، بـلا نفـس ولا هـوى، كـي ينجـو ويسـلم مـن التبعـات، فاما إذا مـا إختلـى مـع ربـه تعـالى ، فعليـه أن يـترك الكـل علـى بـاب خلوتـه، ويـدخل وحـده، لـيرى مؤنسـه في خلوتـه بعـين سـره ويشـاهد مـا وراء العيـان، فتـزول الـنفس ويـاتي مكانهـا أمـر الله تعـالى وقربـه ((فعنـدها يكـون جهلـه علـم وبعـده قـرب وصـمته ذكـر ووحشـته أنـس))[1] أمـا علامـة فنـاء العبـد عـن الخلـق، فهـي انقطاعـه عـنهم والأيـاس ممـا في أيـديهم. وأمـا كيـف يفنـى العبـد عـن نفسـه وهـواه؟ فـان ذلـك يـتم عـن طريـق تـرك التعلـق بالأسـباب في جلـب المنـافع ودفـع الاضـرار ويـاتي ذلـك مـن يقينـه بـان هـذه الاسـباب لا تتحـرك في العبـد بـه ولا تعتمـد عليـه لـه، ولا تـذب عنـه ولا تنتصـر لـه. وإذن فـان عليـه أن يكـل ذلـك كلـه إلى مـن تـولاه، أولاً، فهـو حتمـاً سـيتولاه آخـر. إن الإمـام عبـد القـادر، لا يشـير علـى المريـد، بـالتخلص بشـكل نهـائي مـن نفسـه أو مـن بقيـة الخلـق، فتلـك أقـداره الـتي لا مهـرب لـه منهـا، وإنمـا هـو يشـير، فقـط، إلى حسـن التعامـل معهـا، ويتم ذلك عن طريق الفناء (القادري).

الفنـــــاء والبقاء

بهـذا المسـتوى مـن العلاقـة، بـين العبـد وربـه، ينـال الوجـود الجديـد، الـذي طالمـا وعـد الإمـام عبـد القـادر مريـده بـه، وسمـي هـذا الوجـود بـ(الوجـود الجديـد)، لأن طبـائع الانفـس تكـون معـه، قـد تغـيرت تغـيراً يـدفع بهـا، في الوقـت نفسـه، نحـو مزيـد مـن القـرب مـن بارئهـا تعـالى ، إن الـنفس هنـا سـتترقى وتعمـل عمـل القلـب وتـدرك مدركاتـه، والقلـب ينقلـب سـراً ويرتشـف مـن المعـارف الربانيـة، وكـل ذلـك يـتم، لأن الفنـاء نفسـه يكـون قـد انقلـب وأصـبح وجـوداً وبقـاء[1]. وإذن فـلا محـق ولا تلاشـي للوجـود الإنسـاني، في الفنـاء الصـوفي في الاسـلام، وإنمـا هـو سـعي نحـو الوجـود الحـق والحيـاة الاسـعد الـتي لا تتخطفها الأوهام ولا تتنازعها النوازع.

ان سـير المريـد حثيثـاً، نحـو التحقـق بمقـام الفنـاء، يشـير إلى صـدق وعظـم حبـه لله تعـالى لا بـل إن أصـحاب الفنـاء، هـم وحـدهم المحبـون لله تعـالى حقـاً، لأنهـم أعـدموا الخلائـق ولم يتعلقـوا بهـم، فانقلـب طـبعهم إلى طـبع الملائكـة، الـذين هـم حتمـاً أقـرب مـن البشـر إلى السـماء وأبعـد مـنهم عـن الأرض ولكـن مـع ذلـك، فاصـحاب الفنـاء لا يقفـون عنـد هـذا الحـد، بـل إنهـم يسـعون نحـو مزيـد مـن القـرب مـن مـولاهم عـز وجـل، فتراهـم يسـعون إلى التحقـق بالفنـاء الثـاني، الـذي هـو الفنـاء عـن طـبع الملائكـة، واللحـوق بالمنهـاج الأول، أو الخلـق الأول، الـذي هـو الفطـرة السـليمة الـتي فطـر عليهـا أبـو

(1) الجيلي – فتوح الغيب – ص170.

(1) الجيلي – فتوح الغيب – ص170.

البشرية، آدم (ع) فاذا وصل المريد إلى هذا المقام، صار قريباً من ربه، كقرب آدم من ربه وهو في الجنة، يسقيه ما يسقيه ويزرع فيه ما يزرع، فهو كله لربه، وليس لسواه شيء فيه. أما كيف السبيل إلى بلوغ ذلك فان الإمام عبد القادر، يضع للمريد منهجاً واضحاً، لا لبس فيه ولا غموض، فالذي يريد ذلك، أي اللحوق بالمنهاج الأول، فان عليه أولاً أن يتحلى بالإسلام[2] وذلك بإقامة شعائره والإئتمار باوامره والانتهاء عن نواهيه، ثم الاستسلام، الذي يمثل الغاية من الاسلام ومعناه الحقيقي، وهذا لا يتجسد إلا بالإيمان المطلق بقدرته تعالى . ثم العلم بالله تعالى ، وهو معرفة شرائعه وأحاكامه، ثم المعرفة به، وهي معرفة الذوق والقلب والبصيرة، بقدرته وخلقه وإرادته وإحاختة بكل شيء، ثم أخيراً الوجود له تعالى أو العبودية المطلقة التي تقابل الالوهية المطلقة وهذا الوجود هو الغاية لأنه : ((إذا كان وجودك له، كان كلك له))[3]. ولا يمكن أن نعرف الفناء عند الإمام عبد القادر باكثر من تعريف هذه العبارة له.

على أن هذا الوجود الجديد، أو المعرفة الجديدة، لا يقتصر على مدة زمنية محددة، ثم يعتزل بعدها المريد السلوك الصوفي، إنه عمل يستغرق العمر كله، إنه عمل الأبد، فاذا كان الزهد عمل ساعة والورع عمل ساعتين، فان المعرفة هي عمل الأبد[1]. لأن الاسرار الربانية لا متناهية ولا تحدها حدود، وكذلك القرب من المولى عز وجل، فانه لا تحصيه القياسات ولا تحده الأبعاد، بل إن العبد لكما زاد خضوعاً لربه تعالى ، زاد قرباً منه.

فناء الذات وفناء الصفات

إن الإمام عبد القادر، يريد أن يؤكد لنا، في أكثر من موضع من مؤلفاته، أن الفناء، هو فناء صفات، وليس فناء ذات، فناء الصفات الذميمة المغروسة في النفس، واستبدالها بالصفات الحميدة التي تقرب العبد من ربه. إن فناء الذات، هو ما يرفضه رفضاً قاخعاً، فالعبد مهما فعل ومهما تقرب، فانه لا يمكنه أن يغادر ساحة عبوديته، ولا يمكن أيضاً، لذات الإنسان، مهما ارتقت في مراقي الروح، أن تذوب في الذات الإلهية، أو تندمج بها، كما يريد أن يفهم ذلك بعض خصوم التصوف، أو بعض الدخيلين عليه، فلا بد إذن من بقاء عين العبد الفاني، ((بل إن العبد كلما تقرب إلى الله عز وجل، بالعبودية، وأظهر العجز والفناء عن جميع الصفات المناقضة للعبودية، وهبه الله تعالى ،

(2) الابتداء بالاسلام هنا، تاتي لتاكيد المنطلق الشرعي في السلوك الصوفي.

(3) الجيلي – المصدر نفسه – ص171.

(1) الجيلي – المصدر نفسه – ص172.

فضلاً منه، من صفات حميدة عوضاً عما فنى منه من الصفات الذميمة))[2]. وهذا هو المستوى الأول من الفناء، الذي يشبهه الإمام عبد القادر، بالموت ، ليس الموت المعهود، بل انه موت خاص، لا يتحقق إلا للخواص من العباد، إنه موت الاهواء والطباع، الموت الذي يحيى بعده القلب، فتورثه هذه الحياة القرب، ويورثه هذا القرب، الحياة الدائمة، ((فيحال بينه وبين ذكر الموت في باخنه))[3]. وهذه العبارة الاخيرة تشير إلى معنى البقاء عند الإمام عبد القادر، فالبقاء عنده، يعد ثمرة من ثمار السلوك الصوفي، لا بل هو الثمرة الاخيرة، إذ ليس بعد الفناء إلا البقاء، فاذا ما حلت الاوصاف الحميدة في النفس، بعد خول المجاهدات، تم الفناء، ثم حصل البلقاء، أي الوجود الحقيقي الذي يس معه فناء ولا انقطاع، ((لأن من علامة أهل البقاء، أن لا يصحبهم في وصفهم شيء فانٍ لأنهما ضدان ...))[4]. اذن ، فالفناء عند الإمام عبد القادر، لا يطلب لذاته، وإنما يطلب للعبور منه نحو المرحلة الجديدة، وهي مرحلة الوجود المحض، التي غادرها الإنسان الأول بنسيانه عهد ربه فصار لزاماً عليه، بعد ذلك، أن يعالج نفسه بالكثير من أنواع المجاهدات والرياضات والعبادات، كي يعود اليها، فلا جديد إذن في هذا الوجود (الجديد) ولا إنسلاخ فيه عن الحقيقة البشرية، ولا هروب من الواقع الإنساني الناقص والمحكوم بالموت، بمحاكاة الوجود الالهي، وإنما هو الوجود الاصلي والحقيقي للبشر، الذي خلط بالكثير من العناصر الارضية والذي حف بالكثير من الشهوات والأهواء.

الفناء عن الإرادة

الفناء بمستواه الثاني، هو فناء الإرادة، أي فناء ارادة العبد في ارادة مولاه، وذلك حين لا يكون له مراد قط ولا غرض ولا مرام، لأنه لا يريد مع ارادته سواها. الفناء عن الإرادة يتحقق، حين يفنى المريد عن الخلق لحكم ربه تعالى وعن هواه بامره تعالى وعن ارادته بفعله تعالى ، فحينئذ يصلح الإنسان، ويتهيا، لأن يكون وعاء لعلم الله تعالى ، من حيث إن العلم والإرادة لا ينفصلان، فاذا ما ذابت ارادة العبد في ارادة مولاه، فهذا يعني، في الوقت نفسه، أنه قد استعد لتلقي العلم الالهي. أما علامة فناء العبد عن إرادته، فهي أن لا يريد مع إرادته سواها، بل يجري فعله فيه وهو ساكن الجوارح مطمئن الجنان، مشروح الصدر عامر الباخن، غني عن الاشياء بخالقها، ((تقلبه يد القدرة،

(2) الجيلي – سير السلوك إلى ملك الملك – مخطوطة.
(3) الجيلي – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص361.
(4) التادفي – قلائد الجواهر – ص91.

ويدعوه لسان الأزل ويعلمه رب الملك ويكسوه من نوره حللاً وينزله منازل من سلف من ألي العلم الأول، فيكون أبداً منكسراً لا تثبت فيه إرادة غير إرادة الله عز وجل))[1] ولنا أن نسمي

هذا الفناء ما شئنا من المسميات المقبولة عقلاً وعرفاً، فهو التوكل على الله تعالى وهو تمام العبودية له وهو الرضا به وهو التقرب إليه تعالى .

أما ثمرة هذا الفناء، أي الفناء عن الإرادة، فهي أن يضاف إلى قدرات العبد، التكوين وخرق العادات، أو بلغة آخرى (الكرامات) لأن من ذابت إرادته في إرادة مولاه، فهو حتماً ستخرق له العادات، ويرى ذلك منه في ا لحكم والعلم، أي في علاقته مع الناس والاشياء وفي علاقته بالمعارف والعلوم الربانية، وهذه الحالة (الجديدة) يعدها الإمام عبد القادر، نشاة آخرى، مجردة عن كل أشكال الإرادات، وكلما وجدت إرادة كسرت وأزيلت حتى يتم اللقاء ويبلغ الكتاب أجله. إذن فحد الفناء هو: أن يبقى الله تعالى وحده، كما كان قبل أن يخلق الخلق، وحد البقاء هو: أن يموت العبد عن الخلق وعن الهوى وعن الإرادة والمنى وعندها فقط، ((يحيى حياة لا موت بعدها ويغنى غنى لا فقر بعده، ويعطى عطاء لا منع بعده، ويعلم علماً لا جهل بعده، ويامن أمناً لا خوف بعده، ويسعد فلا يشقى، ويعز فلا يذل ويقرب فلا يبعد، ويعظم فلا يحقر، ويطهر فلا يدنس))[1]. وتلك من أعظم النعم التي يمكن أن يرجوها العبد من بارئه، فهي تكاد تقترب من صفات أهل جنة الخلد، وأما ما يتعلق منها بخرق العادات، فقد أيد ذلك الإمام عبد القادر، وفصل كثيراً في شرحه، ولكنه اشترط ظهورها فيمن تمكن من نفسه، فهي تظهر عليه، بكونها علامة من علامات القبول ونهاية الطريق، وأما قبل ذلك، أي في حالة وجود الكرامات مع الهوى والنفس، فليس من الكرامة في شيء، وإنما هو استدراج ومكر إلهي.

الفناء وعلم اليقين

ان فناء الإرادة يدل على اكتمال يقين العبد بربه، واليقين، هو أعلى درجات علم العبد، فباليقين يقطع المريد جازماً، ومن دونما شك أو تلفت: أن لا فاعل على الحقيقة إلا الله عز وجل، فلا خير ولا شر ولا نفع ولا ضر ولا موت ولا حياة ولا غنى ولا فقر إلا بيده عز وجل، وهذا هو ما تعارف الصوفية أن يسموه بالتسليم، و يشبهوا صاحبه بالطفل الرضيع في يد مرضعته، أو كالميت بين يدي الغاسل، إذ لا حراك في نفسه، ((لأنه غائب عن نفسه في فعل مولاه، فلا يدري غير

(1) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص77.

(1) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص77.

مـولاه وفعلـه ولا يسـمع إلا منـه ولا يعقـل إلا منـه))[2]. علـى أن هـذه العبـارة، لا تـدل علـى دعـوة الإمـام عبـد القـادر، إلى تعطيـل الحـواس والـتخلص مـن حكـم العقـل، وإنمـا هـي تـدل علـى دعوتـه إلى حسـن اســتخدام الإنســان لحواســه وقدراتــه العقليــة عــن طريــق توجهــه صــوب مــولاه وتخلصــه مــن جميــع الشواغل والعوائق.

الفناء والخلود

هـذا الفنـاء، إذا تمكـن مـن نفـس المريـد وإرادتـه، فسـيكون وجـوده الحقيقـي، أو معنـاه، كمـا يقـول الإمـام عبـد القـادر، في الآخـرة، أمـا في هـذه الحيـاة الـدنيا، فلـيس لـه فيهـا إلا الصـورة. إنـه الخلـود بمعنـاه الحقيقـي لا المجـازي، لأن مـن فـني عـن نفسـه وعـن جميـع مراحـل الـنفس الـتي مـر بـذكرها، صـار وجـوده حتمـاً في علـم الله عـز وجـل، الأزلـي الابـدي، وفي قبضــته، ســابحاً في بحــر قدرتــه[1]. ومعنــى هــذا القـول، أن حـال الفنـاء الـذي بلغـه العبـد السـالك ألغـى فيـه كـل مناسـبة تربطـه مـع وقـائع الحيـاة الـدنيا فاصـبح لا طمـع لـه في ملـذاتها أو أشـيائها، وأصـبح ضـرورة مرتبطـاً بشـكل أوثـق، بـالآخرة، لأن باطنـه صار أكثر مجانسة لنسق الآخرة.

الفناء والشهود

الفنـاء في مسـتواه الثالـث، يمكـن أن نسـميه، بفنـاء التجلـي، أو فنـاء الشـهود، أو فنـاء المحـو. وبهـذا الفنـاء تتحقـق معرفـة العبـد لربـه عـز وجـل، فيصـير بهـذه المعرفـة حـراً عـن السـوى غريبـاً ي الـدنيا والآخـرة لعـدم مجانسـته لهمـا معـاً، والمجانسـة هـي في حقيقتهـا، وليـدة الرغبـة. إن المريـد هنـا يكـون في حالـة غيبـة عـن الكـل ومحـو عـن الكـل، وهـذه الحالـة يسـميها الإمـام عبـد القـادر بحالـة حـق الحـق، وهـي أرقـى مـن حالـة أهـل الحقيقـة. إنهـا حالـة المحـو والفنـاء، الـتي لا ينالهـا إلا العـارفون الموحـدون، أو خاصـة الخاصـة الــذين جعلــهم ربهــم تعــالى ، أمنــاء علــى خلقــه وقــد ينحصــر هــؤلاء في شــخص واحــد، هــو الوريــث المحمـدي، الـذي لا يكـون لـه مطلـب إلا رضـا ربـه عـز وجـل، لأنـه آخـرج الكـل عـن قلبـه حتـى وصـل إلى الحـق، فاصـطفاه واجتبـاه وأحبـه وحببـه إلى خلقـه، وهـو يشـاء بمشـيئة ربـه ويختـار باختيـاره ويرضـى برضـاه ويتمثـل أمـره دون غـيره لأنـه لا يـرى لغـيره عـز وجـل وجـوداً ولا فعـلاً[2]. إذن ففـي هـذه المرحلـة تلغـى حتـى المجانسـة مـع الآخـرة، ويـزول الطمـع في جوائزهـا، بحيـث لا يكـون للعبـد في هـذا الفنـاء،

(2) التونسي – رياض البساتين- ص54 – ونود أن نشير هنا، إلى أن من بعض تعريفات الفناء عند الإمام عبد القادر هو أنه: فعل القدر المحض الجاري على الولي، من غير أن يكون له حظ من إرادة- انظر- فتوح الغيب- ص135.

(1) الجيلي – جلاء الخاخر – ص66.

(2) الجيلي – فتوح الغيب – ص129.

إلا مطمع واحد، وهدف واحد، وهو قربه من مولاه تعالى ، وهذا الحال لا يناله إلا أوحد عصره وفريد دهره، وهنالك الكثير من الاشارات التي وردت على لسان الإمام عبد القادر، والتي يشير فيها إلى بلوغه هذا المقام[3] .

يرى الإمام عبد القادر، أن ابتداء هذا الفناء يكون بفضل من الله تعالى ، فهو موهبة منه دون إرادة أو قصد من العبد، أما أساس ذلك، فهو أن يطلع سر وليه بقبس خفيف من التجلي، فيتلاشى الكون في قلبه، ويفنى تحت تلك الاشارة، على أن البقاء الذي يعقب هذا الفناء، هو فناؤه تحت إشارة ربه تعالى ، فيتقلب في الحق، بين فناء وبقاء، إشارة تفنيه وتجلية تبقيه، بينما هو يكون قد باين خبائعه، واضمحلت فيه الرسوم وفنيت فيه الانانية، انه غارق بشكل دائم في حضرة القرب والتجلي بالحقائق الصمدانية، إنه في حالة شهود دائم للوحدانية، حيث لا حيث ولا أين ولا كيف[1] ولكن الإمام عبد القادر لا يترك لهذه الافكار أن تتدرج إلى نهايتها المحضورة، فيظن سامعه أنه قد تجاوز الخط الأحمر، أو أنه قد تعدى أمر الشرع ونهيه، وهو ما لا يرضى به لغيره، يرى الإمام عبد القادر، أن من وصل إلى هذه المرتبة من القرب والفضل من ربه عز وجل، فهو حتماً قد وهب الحفظ والسلامة و موافقة فعل ربه في كل ما يفعل، بحيث إنه لا يخرق أي قاعدة في الشرع، فينزلق إلى مهاوي الزندقة وإباحة المحارم[2] . إن هذا لا يكون حتماً في حق من إختصه ربه عز وجل، بالاسرار والعلوم اللدنية، والدخول في بحار الانوار، حيث لا تضره ظلمة الطبائع.

إن هذا الرأي الأخير، يؤكد إعتقاد الإمام عبد القادر، بعدم زوال الطبائع الآدمية من البشر، حتى إن نالوا، اعلى درجات القرب من بارئهم عز وجل، فالطبع باقٍ إلى أن تفارق الروح الجسد، ولوزال الطبع، لألتحق الآدمي بالملائكة ولبطلت الحكمة.

الفناء بصورته النهائية، الواضحة والبسيطة، التي -كما عودنا الإمام عبد القادر في تقديمه للمفاهيم الصوفية- لا يمكن الاعتراض عليها، مهما كانت خلفية المعترض الفكرية ومهما كان إنتماؤه المعرفي، إنه المرحلة الأخيرة في تصوف الإمام عبد القادر، وهو الاستعداد الامثل للقاء المولى تعالى ، بعد استكمال مقومات الصلاح واماتة النفوس والأهوية وتصحيح الطباع والاقبال على (الموت الخاص)، إنه الصياغة النهائية لانسانية الإنسان، ومن دون تجاوز (لارض) هذه الإنسانية، بل وانطلاقاً منها نحو آفاق الحضرة الإلهية اللامتناهية.

---

(3) حول ما افصح به عن مقامه- انظر على سبيل المثال- الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار- ص19 فما بعدها.

(1) الجيلي – الصلوات الكبرى – مخطوطة – دار صدام للمخطوطات – رقم 14855.

(2) الجيلي – المصدر نفسه – ص139.

إن الحب وحده، هو الوازع الذي دفع بالإنسان الاعتيادي، إلى سلوك طريق التصوف والحب هو نفسه الذي دفع به، إلى طلب المزيد من القرب من محبوبه، فكان الفناء وكان السعي لمحو الصفات السلبية التي تحملها النفس الإنسانية بين جنبيها، والتي عدها الصوفية من أصعب الحواجز التي تحول بين المحب وبلوغ مراده، وهذا هو ما حدا بالإمام عبد القادر، إلى أن يحث مريديه باستمرار، على طلب الفناء والسعي له، لكونه ((هو الراحة الكبرى والجنة العالية المنفردة في الدنيا، وهو باب الله الأكبر وعلة محبة الله لعبده))[3] . ولأنه أخيراً هو حقيقة الإنسان ومعناه المدفون تحت ركام الغرائز والشهوات والأهواء، فلا جديد ولا تجاوز لحدود البشرية، بل هو عود على بدء.

(3) الجيلي – فتوح الغيب – ص116.

القسم الثاني :

قطوف

من كلام الإمام عبد القادر الجلي

يا غلام .. إنما يقود الناسَ البصير

يا غلام .. عظ نفسك أولاً ثم عظ نفس غيرك ، عليك بخويصة نفسك ، لا تتعدّ إلى غيرك وقد بقيَ عندك بقية تحتاج إلى إصلاحها .

ويحك .. أنت تعرف كيف تخلص غيرك ؟! . أنت أعمى .. كيف تقود غيرك ؟! ، إنما يقود الناسَ البصيرُ ، إنما يخلصهم من البحر السابحُ المحمود ، إنما يرُدُّ الناسَ إلى الله عزَّ وجلَّ من عرفه ، أما من جهله كيف يدل عليه ؟! ..

إذا كان التوحيد بباب الدار والشرك داخل الدار فهو النفاق بعينه ، ويحك .. أنت لسانك يتقي وقلبك يفجر ، لسانك يشكر وقلبك يعترض !! .

✧ ✧ ✧

المؤمن مجاهد لا ينغمد سيفه

يا غلام .. عليك بالتقوى .. عليك بحدود الشرع ، والمخالفة للنفس ، والهوى ، والشيطان ، وأقران السوء .. المؤمن في جهاد هؤلاء لا ينكشف رأسه عن الخود ، لا ينغمد سيفه ، لا يعرو ظهر فرسه عن قربوس سرجه .

✧ ✧ ✧

عليك بورع الخلوة ومراقبة الحق

يا غلام .. تحتاج في خلوتك إلى ورع يخرجك عن المعاصي والزلات ، ومراقبةٍ تذكِّرك نظرَ الحق عزَّ وجلَّ إليك . أنت محتاج مضطر إلى أن يكون هذا معك في خلوتك ، ثم تحتاج إلى محاربة النفس والهوى والشيطان ، خراب معظم الناس مع الزلات ، وخراب الزهاد مع الشهوات .

✧ ✧ ✧

التوبة قلب دولة

يا غلام .. لا تكن مع النفس ، ولا مع الهوى ، ولا مع الدنيا .. حينئذ تجيئك الهداية من الحق عزَّ وجلَّ التي لا ضلال بعدها . تُب عن ذنوبك وهرول عنها إلى مولاك عزَّ وجلَّ إذا تبت فَلْيتبْ ظاهرك وباطنك .. التوبة قلب دولة ، اخلع ثياب المعاصي بالتوبة الخالصة والحياء من الله عزَّ وجلَّ حقيقة لا مجازاً ، وهذا من أعمال القلوب بعد طهارة الجوارح بأعمال الشرع ؛ القالب له عمل والقلب له عمل .

✧ ✧ ✧

استقبلِ الداءَ بالصبر والشفاءَ بالشكر

يا غلام .. إذا جاءك الداء فاستقبله بيد الصبر واسكن حتى يجيء الدواء ، فإذا جاء الدواء فاستقبله بيد الشكر .

✧ ✧ ✧

لا تجعل العاجلة أكبر همك

يا غلام .. لا يكن همك ما تاكل وما تشرب ، وما تلبس ، وما تنكح ، وما تسكن ، وما تجمع ، كل هذا همُّ النفس والطبع .. فليكن همّك ربك عزَّ وجلَّ وما عنده .

✧ ✧ ✧

ما خلقت للبقاء .. فاعمل صواباً خالصاً

يا غلام .. ما خُلقت للبقاء في الدنيا والتمتع فيها ، فغيِّر ما أنت فيه من مكاره الحق عزَّ وجلّ .. الإيمان قول وعمل .. إذا قلت : (لا إله إلاّ الله) فقد ادعيت . يقال : أيها القائل ألك بيِّنة ؟ ما البيِّنة ؟ ؛ امتثال الأمر ، والانتهاء عن النهي ، والصبر على الآفات ، والتسليم إلى القدر ، هذه بينة هذه الدعوى .

وإذا عملت هذه الأعمال ما تُقبل منك إلاّ بالإخلاص للحق عزَّ وجلَّ ، ولا يُقبل قول بلا عمل ، ولا عمل بلا إخلاص وإصابة السنة .

✧ ✧ ✧

واسوا الفقراء واشكروا ربكم

واسـوا الفقراء بشيء من أموالكم ، لا تردوا سـائلاً وأنتم تقدرون أن تعطوه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً ، وافقوا الحق عزَّ وجلَّ في حبه العطاء ، واشكروه كيف أهّلكم وأقدركم على العطاء .

ويحك .. إذا كان السائل هدية الله عزَّ وجلَّ وأنت قادر على إعطائه ، فكيف ترد الهدية على مهديها ؟ . عندي تستمع وتبكي ، وإذا جاء الفقير يقسو قلبك ، فدلّ على أن بكاءك وسماعك ما كان خالصاً لله عزَّ وجلّ ..

✧ ✧ ✧

زهد الظاهر ، وزهد القلب

يا غلام .. ليس الشان في خشونة ثيابك وماكولك ، الشانُ في زهد قلب .

✧ ✧ ✧

لا تاخذ الرزق بيد الرغبة!

يا غلام .. تناول الأقسام بيد الزهد لا بيد الرغبة ، ليس من ياكل ويبكي كمن ياكل ويضحك ، كُلِ الأقسامَ وقلبُك مع الحق عزَّ وجلَّ ، فإنك تسلم من شرها ، إذا أكلت من يد الطبيب كان خيراً من أن تاكل وحدك ما لا تعلم أصله .

✧ ✧ ✧

ما أقسى قلوبَكم ، ضيَّعتمُ الأمانة!

ما أقسى قلوبكم! .. الأمانة قد ذهبت من بينكم ، الرحمة قد ذهبت فيما بينكم ، أحكام الشرع أمانة عندكم وقد تركتموها وخنتم فيها! .

✧ ✧ ✧

قابلوا العسر بالصبر واليسر بالشكر

احفظوا نعمه – عزَّ وجلَّ – بالشكر ، قابلوا أمره ونهيه بالسمع والطاعة ، قابلوا العسر بالصبر واليسر بالشكر ، هكذا كان من تقدمكم من النبيين والمرسلين والصالحين ، يشكرون على النعم ويصبرون على النقم .. قوموا من موائد معاصيه ، وكلوا من موائد طاعته ، واحفظوا حدوده . إذا جاءكم اليسر فاشكروه ، وإذا جاءكم العسر فتوبوا من ذنوبكم وناقشوا أنفسكم ، فإن الحق عزَّ وجلَّ ليس بظلام للعبيد .

✧ ✧ ✧

تنبهوا ، إلى متى هذا النوم ؟

اذكروا الموت وما وراءه ، واذكروا الرب عزَّ وجلَّ وحسابه ونظرته إليكم .

تنبهوا .. إلى متى هذا النوم ؟ . إلى متى هذا الجهل والتردد في الباطل ، والقيام مع النفس والهوى والعادة؟. لِمَ لَمْ تتادبوا بعبادة الحق عزَّ وجلَّ ومتابعة شرعه ؟.

العبادة ترك العادة ، لِمَ لَمْ تتادبوا بآداب القرآن وكلام النبوة ؟! .

✧ ✧ ✧

خالط الناس بالبصيرة

يا غلام .. لا تخالط الناس مع العمى ، مع الجهل ، مع الغفلة والنوم ، خالطهم بالبصيرة ، والعلم ، واليقظة ، فإذا رأيت منهم ما تحمده فاتبعه ، وإذا رأيت منهم ما يسؤوك فاجتنبه ، وردهم عنه .

✧ ✧ ✧

ويحك .. كم تتاوّل وتترخّص ؟!

ويحك! .. كم تتاول وتترخص ؟! ، المتاول غادر ، ليتنا إذا ركبنا العزيمة وتعلّقنا بالإجماع وأخلصنا في أعمالنا تخلصنا من الحق عزَّ وجلَّ! ، فكيف إذا تاولنا وترخصنا ؟ العزيمة ذهبت وذهب أهلها .

هذا زمان الرخص لا زمان العزائم! ، هذا زمان الرياء والنفاق وأخذ الأموال بغير حق ، قد كثر من يصلي ويصوم ويحج ويزكي ، ويفعل أفعال الخير للخلق لا للخالق !!

كلكم موتى القلوب .. أحياء النفوس والأهوية ، طالبون للدنيا حياة القلب بامتثال أمر الحق عزَّ وجلَّ والانتهاء عن نهيه .

✧ ✧ ✧

كن مسلماً في الخلوة والجلوة

ويحك! .. لسانك مسلم أما قلبك فلا ، قولك مسلم أما فعلك فلا ، فَلأنْتَ في جلوتك مسلم ، أما في خلوتك فلا .

أما تعلم أنك إذا صليت وصمت وفعلت جميع أفعال الخير ، إن لم ترد بهذه الأعمال وجه الله عزَّ وجلَّ فانت منافق بعيد من الله عزَّ وجلَّ ؟!

تُب الآن إلى الله عزَّ وجلَّ من جميع أفعالك وأقوالك ومقاصدك الدنية .

✧ ✧ ✧

العلم لا ينفعك بلا عمل

يا قوم .. هذا العلم لا ينفعكم بلا عمل ، تحتاجون أن تعملوا بهذا السواد على البياض ، وهو حكم الله عزَّ وجلَّ ، تعملون به يوماً بعد يوم وسنةً بعد سنة حتى تقع في أيديكم ثمرتُه.

✧ ✧ ✧

علمك حجة لك أو عليك

يا غلام .. علمك يناديك : أنا حجة عليك إن لم تعمل بي ، وحجة لك إن عملت بي .

✧ ✧ ✧

علمك يناديك فاسمعه بقلبك

علمك يناديك ولكنك لا تسمعه لأنه لا قلب لك ، اسمعه باذن قلبك ، واقبل قوله فإنك تنتفع به ، العلم بالعمل يقربك إلى العالِم المنـزِّل للعلم .

✧ ✧ ✧

زكاة العلم

زكاة العلم نشره ودعوة الخلق إلى الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

لا تاكل بدينك وواس غيرك بمالك

كل بكسبك ولا تاكل بدينك ، اكتسب ، وكُل ، وواسِ منه غيرك .

✧ ✧ ✧

يا عابد الخلق والأسباب!

يا عابد الخلق والأسباب ناسياً للحق عزَّ وجلّ .. أسلم ثم تب ثم تعلَّم واعمل وأخلص ، وإلا فلا تُهدى .

✧ ✧ ✧

لست عدوي .. ولا أحابيك

ويحك! .. ما بيني وبينك عداوة ، غير أني أقول الحق ولا أحابيك في دين الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

دع عنك الكلام فيما لا ينفعك

يا مسكين ، دع عنك الكلام فيما لا ينفعك ، اترك التعصب في المذهب ، واشتغل بشيء ينفعك في الدنيا والآخرة .. فرِّغ قلبك من هموم الدنيا فإنك ماخوذ منها عن قريب .. قصِّر أملك وقد جاءك الزهد في الدنيا ، لأن الزهد كله قصر الأمل .

✧ ✧ ✧

اهجر قريباً طالحاً وصِل بعيداً صالحاً

اهجر أقران السوء ، واقطع المودة بينك وبينهم ، وواصلها بينك وبين الصالحين ، اهجر القريب منك إذا كان من أقران السوء ، وواصل البعيد منك إذا كان من أقران الخير . كل من وادته صار بينك وبينه قرابة ، فانظر لمن توادد .

✧ ✧ ✧

احذر بحر الدنيا فإنه عميق!

يا غلام .. احذر من بحر الدنيا فقد غرق فيه خلق كثير ، ما ينجو منه إلا آحاد الخلق ، هو بحر عميق يُغرق الكل ، غير أن الله عزَّ وجلَّ ينجي منه من يشاء من عباده .

✧ ✧ ✧

أيها المدبر .. عن قريب أنت ماخوذ!

يا مدبر! .. أراك تُرضي الخلق وتسخط الخالق ، تخرب آخرتك بعمارة دنياك ، عن قريب أنت ماخوذ ، ياخذك الذي أَخْذُه أليمٌ شديد ، أَخْذُهُ ألوان كثيرة ؛ ياخذك بالعزل عن ولايتك ، ياخذك بالمرض والذل والفقر ، ياخذك بتسليط الشدائد والغموم والهموم ، ياخذك بتسليط ألسنة الخلق وأيديهم عليك ، تنبه يا نائم .

✧ ✧ ✧

لا تاخذ الدنيا كحاطب ليل!

يا غلام .. لا تكن في أخذك الدنيا كحاطب ليل ما يدري ما يقع في يده .. إني أراك في تصرفاتك كحاطب ليل في ليلة ظلماء لا قمر فيها ولا ضوء معه ، وهو في رملة كثيرة الدغل والحشرات القاتلة فيوشك أن يقتله شيء منها ، عليك بالاحتطاب نهاراً فإن ضوء الشمس يمنعك أن تاخذ ما يضرك .

كن في تصرفاتك مع شمس التوحيد والشرع والتقوى ، فإن هذه الشمس تمنعك من الوقوع في شبكة الهوى والنفس والشيطان والشرك بالخلق ، وتمنعك عن العجلة في السير .

✧ ✧ ✧

من استعجل أخطا أو كاد

ويحك .. لا تعجل ، فإن من استعجل أخطا أو كاد ، ومن تانى أصاب أو كاد ؛ أي : قاربَ أن يصيب . العجلة من الشيطان ، والتؤدة من الرحمن ، أكثر ما يحملك على العجلة الحرص على الدنيا ، اقنع فإن القناعة كنـز لا ينفد .

✧ ✧ ✧

اغتنموا الأبواب المفتوحة

يا قوم .. انتهزوا واغتنموا باب الحياة ما دام مفتوحاً ، عن قريب يغلق عنكم . اغتنموا أفعال الخير ما دمتم قادرين عليها . اغتنموا باب التوبة وادخلوا فيه ما دام مفتوحاً لكم . اغتنموا باب الدعاء فهو مفتوح لكم .
اغتنموا باب مزاحمة إخوانكم الصالحين فهو مفتوح لكم .

✧ ✧ ✧

يا قوم .. ارجعوا من إباقكم!

يا قوم .. ابنوا ما نقضتم ، اغسلوا ما نجستم ، أصلحوا ما أفسدتم ، صَفُّوا ما كدَّرتم ، ردوا ما أخذتم ، ارجعوا إلى مولاكم من إباقكم وهربكم! .

✧ ✧ ✧

الكسلان محروم

يا غلام .. لا تكسل فإن الكسلان يكون أبداً محروماً ، والندامة في ريقه .. جَوِّدْ أعمالك .. وقد جاد الحق عزَّ وجلَّ عليك بالدنيا والآخرة .

✧ ✧ ✧

ما أحسن عشرة الخلق بآداب الشرع!

حُسْنُ العِشْرةِ مع الخلق والموافقة لهم مع حدود الشرع ورضاه حسنٌ مبارك .. وأما إذا كان ذلك مع خرق حد من حدوده وعدم رضاه فلا ولا كرامة لهم .

✧ ✧ ✧

لا تَدْعُ بلسانك وقلبُك معترض!

يا غلام .. انصب شبكة الدعاء .. وارجع إلى الرضى .. لا تَدْعُ بلسانك وقلبك معترض ..

✧ ✧ ✧

ذكر البذر وقت الحصاد لا ينفع

يوم القيامة يتذكر الإنسان ما فعل من خير وشر .. فالندامة هناك لا تنفع .. ذكر الحرث والبذر وقت حصاد الناس لا ينفع .. إذا جاءك الموت انتبهت وقت لا ينفعك الانتباه .

✧ ✧ ✧

من مفاسد صحبة الأشرار

يا غلام .. صحبتك للأشرار توقعك في سوء الظن بالأخيار .. امش تحت ظل كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد أفلحت .

✧ ✧ ✧

لا تغفلوا .. زمانكم يضيع!

يا قوم .. استحيوا من الله عزَّ وجلَّ حق الحياء ، لا تغفلوا . زمانُكم يضيع ؛ قد اشتغلتم بجمع ما لا تاكلون ، وتاملون ما لا تدركون ، وتبنون ما لا تسكنون ، كل هذا يحجبكم عن مقام ربكم عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

من شرائط حُبّ الله

ويحك .. قد ادعيت محبة الله عزَّ وجلَّ! ، أما علمت أن لها شرائط ؟ من شرائط محبته موافقته فيك وفي غيرك ، ومن شرائطها ألا تسكن إلى غيره ، وأن تستانس به ، ولا تستوحش معه .

إذا سكن حب الله قلب عبد أنس به وأبغض كل ما يشغل عنه .

تب من دعواك الكاذبة ، هذا شيء لا يجيء بالتخلي والتمني والكذب والنفاق والتصنع .. تب واثبت على توبتك ، فليس الشان في توبتك ، الشان في ثبوتك عليها .. ليس الشان في غرسك ، الشان في ثبوته وتغصينه وثمرته .

✧ ✧ ✧

الزموا الحق في جميع أحوالكم

الزموا موافقة الحق عزَّ وجلَّ في الباساء والضراء .. والفقر والغنى .. والشدة والرخاء .. في السقم والعافية .. في العطاء والمنع .

✧ ✧ ✧

تمام العبودية

يا غلام .. أنت عبد آبق من مولاك .. ارجع إليه وذلّ له ، وتواضع لأمره بالامتثال ، ولنهيه بالانتهاء ، ولقضائه بالصبر والموافقة .

إذا تمّ لك هذا تمت عبوديتك لسيدك وجاءتك منه الكفاية ، قال الله عزَّ وجلَّ : { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ .. } [القصص : 36] .

إذا صحت عبوديتك له أحبك ، وقوّى حُبَّه في قلبك وآنسك به وقرَّبك منه .. فتكون راضياً عنه في جميع أحوالك .

✧ ✧ ✧

ذهاب دينكم باربعة أشياء

لا تكونوا من الذين إذا وُعِظوا لم يتعظوا ، وإذا سمعوا لم يعملوا . ذهاب دينكم باربعة أشياء :

الأول : أنكم لا تعملون بما تعلمون .

الثاني : أنكم تعملون بما لا تعلمون .

الثالث : أنكم لا تتعلمون ما لا تعلمون .. فتبقون جهالاً .

الرابع : أنكم تمنعون الناس من تعلُّم ما لا يعلمون .

✧ ✧ ✧

مجالس الذكر للمداواة يا غافل

يا قوم .. إذا حضرتم مجالس الذكر تحضرونها للفرجة لا للمداواة! .. تعرضون عن وعظ الواعظ وتحفظون عليه الخطا والزلل .. وتستهزئون وتضحكون وتلعبون! .. توبوا من هذا ، لا تتشبهوا باعداء الله عزَّ وجلَّ وانتفعوا بما تسمعون.

✧ ✧ ✧

يا عجباً .. كانكم لا تموتون!

قد غفلتم كانكم لا تموتون! .. وكانكم يوم القيامة لا تحشرون! .. وبين يدي الحق لا تحاسبون! .. وعلى الصراط لا تجوزون! .. هذه صفاتكم وأنتم تدعون الإسلام والإيمان! .. هذا القرآن والعلم حجة عليكم إذا لم تعملوا بهما .

✧ ✧ ✧

أعقل الناس ، وأجهل الناس

يا غلام .. تَنبه قبل أن تُنبه .. تدَّينْ وخالط أهل الدين فإنهم هم الناس .. أعقل الناس من أطاع الله عزَّ وجلّ .. وأجهل الناس من عصاه .

✧ ✧ ✧

تربت يداك!

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « .. تَرِبَتْ يَدَاكَ » رواه البخاري ، يعني : افتقرت . وأترب : إذا استغنى . إذا خالطت أهل الدين وأحببتهم استغنت يداك .. وقلبك يهرب من النفاق وأهله .. المنافق المرائي لا عمل له ، اعمل وأخلص ولا تنظر إلى عملك في الجملة ، لا يقبل -سبحانه وتعالى - منك إلا ما أردت به وجهه لا وجه الخلق.

✧ ✧ ✧

قلِّلْ فرحك وكثِّرْ حزنك

ويحك! .. تعمل للخلق وتريد أن يقبله الحق عزَّ وجلَّ! هذا هوسٌ منك .. دع عنك الشره والبطر والفرح .. قلل فرحك وكثر حزنك فإنك في دار الحزن .. في دار السجن .

✧ ✧ ✧

إذا صحت خلوتك .. صفا قلبك

يا غلام .. إذا صحت خلوتك مع الله عزَّ وجلَّ .. صفا قلبك . يصير نظرك عبراً ، وقلبك فكراً .. التفكر في الدنيا عقوبة وحجاب .. والتفكر في الآخرة علم وحياة للقلب .. ما أعطي عبد التفكر إلا أعطي العلم باحوال الدنيا والآخرة .

✧ ✧ ✧

ويحك .. رزقك مقسوم!

ويحك! .. تضيع قلبك في الدنيا وقد فرغ عزَّ وجلَّ من أقسامك منها .. حرصك يفضحك عند الله عزَّ وجلَّ وعند الخلق .

✧ ✧ ✧

صحبة الأحمق صحبة غبن

يا غلام .. تصحب الجهال فيتعدى إليك من جهلهم ، صحبة الأحمق صحبة غبن ، اصحب المؤمنين الموقنين العاملين العاملين بعلمهم .. ما أحسن أحوال المؤمنين في جميع تصرفاتهم .. ما أقواهم على مجاهداتهم وقهرهم لنفوسهم وأهويتهم! .

✧ ✧ ✧

اقبل نصح أخيك

اقبل نصح أخيك المؤمن ولا تخالفه . فإنه يرى لك ما لا ترى أنت لنفسك .

المؤمن الصادق في نصحه لأخيه المؤمن يبين له أشياء تخفى عليه .. تُفرّق له بين الحسنات والسيئات .. يعرِّفه ما له وما عليه .

✧ ✧ ✧

سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق

سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق وجعله أكبر همي .. إني ناصح ولا أريد على ذلك جزاء .. ما أنا طالب دنيا .. فرحي بفلاحكم ، وغمي لهلاككم .

✧ ✧ ✧

يا قوم اعرفوا قدركم

يا قوم .. دعوا التكبر .. اعرفوا قدركم وتواضعوا في نفوسكم ، أوّلكم نطفة من ماء مهين .. وآخركم جيفة ملقاة !! .

لا تكونوا ممن يقوده الطمع ، ويصيده الهوى ويحمله إلى أبواب السلاطين في طلب شيء منهم لم يُقسم له ، ويطلب منهم ما قد قسم له بالذل والمهانة !! .

✧ ✧ ✧

يا جاهلاً بالقدر والمقدِّر

ويحك .. يا جاهلاً بالقدر والمقدر! . أتظن أن أبناء الدنيا يقدرون أن يعطوك ما لم يُقسم لك ؟! . ولكن هذه وسوسة الشيطان الذي قد تمكن من قلبك ورأسك . لست عبد الله عزَّ وجلَّ وإنما أنت عبد نفسك وهواك وشيطانك وطبعك ودرهمك ودينارك .

اجهد حتى ترى مفلحاً

اجهد حتى ترى مُفلحاً .. حتى تفلح بطريقه .. أنت ترى المفلح بعيني رأسك لا بعيني قلبك .. فلا جرم لا يكون لك بصيرة تبصر بها غيرك. قال الله تعالى : { ... فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج : 46]

✧ ✧ ✧

بائع الدين بالتين!

الطامع في أخذ الدنيا من أيدي الخلق يبيع الدين بالتين ، يبيع ما يبقى بما يفنى ، فلا جرم لا يقع بيده لا هذا ولا هذا .

✧ ✧ ✧

أصلح معيشتك .. ولا تبذل للناس دينك

ما دمت ناقص الإيمان فدونك وإصلاح معيشتك .. حتى لا تحتاج إلى الناس فتبذل لهم دينك وتاكل أموالهم به .

✧ ✧ ✧

الزم باب ربك واساله اليقين

يا غلام .. إن قدرت أن تتفرغ من هموم الدنيا فافعل .. وإلا فهرول بقلبك إلى الحق عزَّ وجلّ .. الزم بابه وسله أن يطهر قلبك ويملأه بالإيمان .. والغنى به .

سله أن يعطيك اليقين ويؤنس قلبك به ، ويشغل جوارحك بطاعته ..

اخلب الكل منه لا من غيره .. لا تذل لمخلوق مثلك.

✧ ✧ ✧

فقه اللسان .. وغفلة القلب!

يا غلام .. فقه اللسان بلا عمل القلب لا يخطيك إلى الحق خطوة .. السير سير القلب .. العمل عمل المعاني مع حفظ حدود الشرع بالجوارح .

✧ ✧ ✧

لا تفرط في إحكام الأساس!

قد سبق تفريطك في إحكامك للأساس .. ما ينفعك إحكامك للبناء الذي فوقه ؟! .

إذا تغير البناء والأساس محكم قدرت أن تجبر البناء .. أساس الأعمال التوحيد والإخلاص .. فمن لا توحيد له ولا إخلاص له لا عمل له .. أحكم أساس عملك بالتوحيد والإخلاص .. يد التوحيد هي البانية لا يد الشرك والنفاق .

✧ ✧ ✧

اصبروا .. فالدنيا آفات ومصائب

يا قوم .. اصبروا فإن الدنيا كلها آفات ومصائب .. والنادر منها غير ذلك .. ما من نعمة إلا وفي جنبها نقمة ، ما من فرحة إلا ومعها ترحة ، ما من سعة إلا ومعها ضيق .. أعطوا الدنيا حياتكم وتناولوا أقسامكم منها بيد الشرع .. فإنه هو الدواء في ما يؤخذ من الدنيا .

✧ ✧ ✧

أنكر على نفسك لتنكر على غيرك

إذا كنت منكراً على نفسك قدرت على الإنكار على غيرك .

✧ ✧ ✧

أثر الإيمان في إزالة المنكر

على قدر قوة إيمانك تزيل المنكرات .. وعلى قدر ضعفه تقعد في بيتك وتتخارس عن إزالتها .

✧ ✧ ✧

أقدام الإيمان عند اللقاء تثبت

أقدام الإيمان هي التي تثبت عند لقاء شياطين الإنس والجن .. هي التي تثبت عند نزول البلايا والآفات .

✧ ✧ ✧

ثوب المرائي نظيف وقلبه نجس

المرائي .. ثوبه نظيف ، وقلبه نجس ، يزهد في المباحات ويكسل عن الاكتساب ، ويأكل بدينه .. يخفى أمره على العوام ولا يخفى على الخواص ، كل زهده وطاعته على ظاهره ، ظاهره عامر وباطنه خراب .

✧ ✧ ✧

اخلع ثياب توانيك!

اخلع ثياب توانيك في حقوق الله عزَّ وجلَّ ، اخلع ثياب وقوفك مع الخلق وشركك بهم ، اخلع ثياب الشهوات والرعونات والعجب والنفاق ، وحبك للقبول عند الخلق ، وإقبالهم عليك ، وعطاياهم لك ، اخلع ثياب الدنيا والبس ثياب الآخرة .

✧ ✧ ✧

الطريق إلى الصلاح والنجاح

من أفنى الخلق بيد توحيده ، وأفنى الدنيا بيد زهده .. فقد استكمل الصلاح والنجاح ، وحَظِيَ بخير الدنيا والآخرة .

✧ ✧ ✧

المؤمن صابر

المؤمن يثبت عنده أن الله عزَّ وجلَّ ما يبتليه بشيء إلا لمصلحة تعقب ذلك .. إما دنيا أو آخرة .. فهو راضٍ بالبلاء صابرٌ عليه غير متهم ربه عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

كن مع الله ودع خدمة السلاطين

يا غلام .. اخدم الحق عزَّ وجلَّ ولا تشتغل عنه بخدمة هؤلاء السلاطين الذين لا يضرون ولا ينفعون . أيش يعطونك ؟! ، أيعطونك ما لم يقسم لك ؟ أو يقسمون لك شيئاً لم يقسمه الحق عزَّ وجلّ ؟! ..

أما تعلم أنه لا معطي ولا مانع ، ولا ضار ولا نافع ، ولا مقدم ولا مؤخر ، إلا الله عزَّ وجلّ ؟! .

فإن قلتَ : إني أعلم ذلك . قلت لك : كيف تعلم هذا وتقدم غيره عليه ؟! .

✧ ✧ ✧

ويحك .. كيف تفسد عملك ؟!

ويحك! .. كيف تفسد آخرتك بدنياك ؟! كيف تفسد طاعة مولاك عزَّ وجلَّ بطاعة نفسك وهواك وشيطانك والخلق ؟! كيف تفسد تقواك بشكواك إلى غيره ؟!

أما تعلم أن الله عزَّ وجلَّ حافظٌ للمتقين ، وناصرٌ لهم ، ورادٌّ عنهم ، ومعلم لهم .. وآخذ بايديهم وينجيهم من المكاره ، وناظرٌ إلى قلوبهم ، ورازقهم من حيث لا يحتسبون ؟! .

✧ ✧ ✧

عبادة التقي وعبادة المنافق

التقي لا يتكلَّف عبادة الحق عزَّ وجلَّ لأنها صارت طبعه ، فهو يعبد الله بظاهره وباطنه من غير تكلف منه .

وأما المنافق فهو في كل أحواله يتكلف ، ولا سيما في عبادة الحق عزَّ وجلَّ ، يتكلفها ظاهراً ويتركها باطناً ، لا يقدر أن يدخل مدخل المتقين ؛ لكل مكان مقال ، ولكل علم رجال ، للحرب رجال خُلقتْ .

✧ ✧ ✧

توبوا من نفاقكم!

يا منافقون .. توبوا من نفاقكم وارجعوا من إباقكم .. كيف تتركون الشيطان يضحك عليكم ؟ ويشتفي بكم ؟. إن صليتم وإن صمتم فعلتم ذلك للخلق لا للحق عزَّ وجلَّ ، وهكذا إن تصدقتم وزكيتم وحججتم ، أنتم (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) [الغاشية : 3] عن قريب تَصْلَون (.. نَارًا حَامِيَةً) [الغاشية : 4] إن لم تتداركوا وتتوبوا وتعذروا .

✧ ✧ ✧

يسعكم ما وسع سلفكم

عليكم بالاتباع من غير ابتداع ، عليكم بمذهب السلف الصالح ، امشوا في الجادة المستقيمة .. لا تشبيه ولا تعطيل .. بل اتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. من غير تكلف ولا تنطع ولا تشدد ، ولا تمشدق ولا تمعقل .. يسعكم ما وسع من كان قبلكم .

✧ ✧ ✧

لأي شيء تفعل ذلك ؟

ويحك .. تحفظ القرآن ولا تعمل به ، وتحفظ سنة رسول الله ولا تعمل بها .. فلأي شيء تفعل ذلك ؟! تامر الناس وأنت لا تفعل ، وتنهاهم وأنت لا تنتهي! ، قال الله عزَّ وجلَّ : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) [الصف : 3].

✧ ✧ ✧

الإيمان هو المقاوم للآفات

الإيمان هو المقاوم للآفات ، هو الصابر تحت ثقلنا ، هو المصارع ، هو المقاتل .

✧ ✧ ✧

باب الخالق .. وباب الخلق!

من فاته باب الحق عزَّ وجلَّ قعد على أبواب الخلق ، من ضيع طريق الحق عزَّ وجلَّ وضل عنها قعد على طريق الخلق! .

✧ ✧ ✧

كن مع الله تكن غنياً

كن مع الله عزَّ وجلَّ تكن غنياً عزيزاً أميراً مؤمَّراً دليلاً .. من استغنى بالله عزَّ وجلَّ احتاج إليه كل شيء .. وهذا شيء لا يجيء بالتحلي والتمني ، ولكن بشيءً في الصدر وصدَّقه العمل .

✧ ✧ ✧

ليكن الخرس دأبك

يا غلام .. ليكن الخرسُ دأبَك والخمول لباسك ، والهرب من الخلق كلّ مقصودك .. إلى أن يترعرع إيمانك ، ويقوى قدم إيقانك ، ويتريش جناح صدقك ، وتنفتح عينا قلبك .. فحينئذ أخلق لسانك في الكلام ، واخلع لباس الخمول ، واترك الهرب من الخلق .. فإنك دواء لهم غير مستضر في نفسك .. لا تبالي بقلتهم وكثرتهم ، وإقبالهم وإدبارهم ، وحمدهم وذمهم .

تادبوا مع ربكم

يا قوم .. اعرفوا الخالق .. وتادبوا بين يديه .. ما دامت قلوبكم بعيدة عنه فانتم سيئو الأدب .. وإذا قربت حَسُنَ أدبُها .

✧ ✧ ✧

الظاهر عنوان الباطن!

كل إناء ينضح بما فيه ، أعمالك دلائل على اعتقادك ، ظاهرك دليل على باطنك ، ولهذا قال بعضهم : الظاهر عنوان الباطن .

✧ ✧ ✧

تواضعْ .. تُرفعْ

إذا تواضعت للصالحين فقد تواضعت لله عزَّ وجلَّ ، تواضع .. فإن من تواضع رفعه الله عزَّ وجلَّ ، أحسن الأدب بين يدي من هو أكبر منك .

✧ ✧ ✧

لا تضيع عمرك بحفظ العلم

يا غلام .. قد ضيعت العمر في كتب العلم وحفظه من غير عمل! .

✧ ✧ ✧

سعة الصدر وطيب القلب

يا غلام .. إن أردت سعة الصدر وطيب القلب فلا تسمع ما يقول الخلق ، ولا تلتفت إلى حديثهم ، أما تعلم أنهم ما يرضون عن خالقهم فكيف يرضون عنك ؟ أما تعلم أن كثيراً منهم لا يعقلون ولا يبصرون ولا يؤمنون ؟ بل يكذبون ولا يصدقون .

✧ ✧ ✧

اعرف ربك ولا تكن جاهلا !

يا قوم .. اعرفوا الله ولا تجهلوه ، وأطيعوا الله ولا تعصوه ، ووافقوه ولا تخالفوه ،

وارضوا بقضائه ولا تنازعوه ، واعرفوا الحق عزَّ وجلَّ بصنعته ، هو الخالق الرزاق ، الأول والآخر ، والظاهر والباطن .. الفعال لما يريد .

{ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء : 23].

✧ ✧ ✧

لا تنسَ العهد

يا غلام .. اعمل بحكمه وعلمه -عزَّ وجلَّ- ولا تخرج عن الخطة ، لا تنسَ العهد ، جاهد نفسك وهواك وشيطانك وطبعك ودنياك ، ولا تياس من نصرة الله عزَّ وجلّ .. فإنها تاتيك مع ثباتك ، قال الله عزَّ وجلَّ : { ... إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة : 153] . وقال : { ... فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } [المائدة : 56] . وقال : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [العنكبوت : 69]

✧ ✧ ✧

يا قوم .. انصحوا القرآن

يا قوم .. انصحوا القرآن بالعمل به لا بالمجادلة فيه .. الاعتقاد كلمات يسيرة والأعمال كثيرة .. عليكم بالإيمان به .. صدقوا بقلوبكم ، واعملوا بجوارحكم .. اشتغلوا بما ينفعكم .. لا تلتفتوا إلى عقول ناقصة دنية .

✧ ✧ ✧

لا يُترك النص بالقياس

يا قوم .. المنقول لا يُستنتج بالعقل .. والنص لا يُترك بالقياس . لا تترك البينة وتقف مع مجرد الدعوى .

لسانٌ عليم وقلبٌ جاهل!

لا ينفع لسان عليم وقلب جاهل .. يا علماء يا جهال ، يا حاضرون يا غائبون .. استحيوا من الله عزَّ وجلَّ ، وانظروا بقلوبكم إليه ، ذلوا له .. واصلوا الضياء بالظلام في طاعته .

✧ ✧ ✧

وأداوي عبد الدنيا

ما أحب النظر إلا لطالبي الآخرة وطالبي الحق عزَّ وجلّ .. وأما طالب الدنيا والخلق والنفس إيش أعمل به ؟. غير أني أحب مداواته لأنه مريض .. لا يصبر على المريض إلا الطبيب .

✧ ✧ ✧

لا يعرف الإخلاص إلا المرائي!

الغالب من المخلصين كانوا منافقين ، ولهذا قال بعضهم رحمة الله عليه : « لا يعرف الإخلاص إلا المرائي » . النادر من كل نادر من يخلص من أول أمره إلى آخره .. الصبيان في أوّل أمرهم يكذبون ويلعبون بالتراب والنجاسات ، ويوقعون أنفسهم في المهالك ، ويسرقون من آبائهم وأمهاتهم ، ويمشون بالنميمة ، وكلما دبّ العقل فيهم تركوا شيئاً فشيئاً وتادبوا بالآباء والأمهات والمعلمين .

✧ ✧ ✧

متى ينفع الدواء ؟

الله عزَّ وجلَّ خلق الدواء والداء ، المعاصي داء والطاعة دواء .. الظلم داء والعدل دواء .. والخطا داء والصواب دواء .. ومخالفة الحق عزَّ وجلَّ داء والتوبة من سُكر الذنوب دواء .. إنما يتم لك الدواء إذا فارقت الخلق بقلبك ووصلته بربك عزَّ وجلَّ .

✧ ✧ ✧

لا تغتر بحلم الله عنك!

يا غلام .. لا تغتر بحلم الله عزَّ وجلَّ عنك فإن بطشه شديد . لا تغتر بهؤلاء العلماء الجهال بالله عزَّ وجلَّ ، كل علمهم عليهم لا لهم ، هم علماء بحكم الله عزَّ وجلَّ جهال بالله عزَّ وجلَّ .. يامرون الناس بامر ولا يمتثلونه ، وينهونهم عن شيء ولا ينتهون عنه .. يدعون إلى الحق عزَّ وجلَّ وهم يفرون منه!! .

✧ ✧ ✧

من أنيسك في خلوتك وجلوتك ؟!

من أنيسك في الوحدة ؟ من جليسك في الجلوة ؟ يا كذاب .. أنيسك في الوحدة نفسك وشيطانك وهواك والتفكر في دنياك ، وفي الجلوة شياطين الإنس .. الذين هم أقران السوء وأصحاب القيل والقال!.

✧ ✧ ✧

احذروا ثلاثاً

احذروا من الغيبة .. فإنها تاكل الحسنات كم تاكل النار الحطب .. ما تعودها من أفلح قط ، ومن عُرف بها قَلّت حرمتُه عند الناس .

واحذروا من النظر بشهوة .. فإنه يزرع المعصية في قلوبكم ، وعاقبته غير محمودة في الدنيا والآخرة .

واحذروا من اليمين الكاذبة .. فإنها تترك الديار بلاقع .. تُذهب بركة الأموال .

✧ ✧ ✧

دع اليمين الكاذبة!

ويحك .. تنفق مالك باليمين الكاذبة وتخسر دينك! ، لو كان لك عقل لعلمت أن هذه هي الخسارة بعينها ، تقول : واللهِ عزَّ وجلَّ ما في هذه البلدة مثل هذا المتاع ، ولا عند أحد مثله ، واللهِ إنه يسوي كذا وكذا ، وإنه عليّ بكذا وكذا .. وأنت كاذب في كل ما قلته ، ثم تشهد بالزور وتحلف بالله إنك صادق! .

✧ ✧ ✧

ستؤدبك النار

تادبوا رحمكم الله تعالى بين يدي الحق عزَّ وجلّ .. من لم يتادب بآداب الشرع أدبته النار يوم القيامة .

✧ ✧ ✧

أصخور أنتم ؟!

يا غلام .. لعل غداً ياتي وأنت مفقود من ظهر الأرض غير موجود ، أو لعل هذا يكون ساعة أخرى .. إيش هذه الغفلة ؟! ، ما أقسى قلوبكم! ، صخور أنتم ، أقول لكم وغيري يقول لكم وأنتم على حالة واحدة!! .

القرآن يتلى عليكم ، وأخبار الرسول وسِيَرُ الأولين تقرأ عليكم ، ولا تتجنبون ولا تتغير أعمالكم! .

✧ ✧ ✧

المعاصي بريد الكفر

حاسب نفسك قبل مجيء الآخرة ، ولا تغتر بحلم الله عزَّ وجلَّ عنك وكرمه عليك .. المعاصي بريد الكفر ، كما أن الحمى بريد الموت ، عليك بالتوبة قبل الموت .. قبل مجيء المَلَكِ الموكل باخذ الأرواح .

✧ ✧ ✧

يا شباب .. الكذب نقمة

يا شباب .. توبوا ؛ أما ترون الحق عزَّ وجلَّ يبتليكم بالبلاء حتى تتوبوا ، وأنتم لا تعقلون وتصرون على معاصيه ؟ .. الكذب نقمة لا نعمة ، عقوبة للذنوب لا زيادة في الدرجات والكرامات.

✧ ✧ ✧

الفرج قريب فلا تياس

يا قوم .. لا تياسوا من روح الله عزَّ وجلَّ وفرجه فإنه قريب .. لا تياسوا فإن الصانع الله { ... لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا } [الطلاق : 1] .

✧ ✧ ✧

الصبر أساس لكل خير

لا تهرب من البلاء فإن البلاء مع الصبر أساس لكل خير .. فإذا لم تصبر على البلاء فلا أساس لك .. لا بقاء لبناء إلا باساس .. أرأيت بيتاً ثابتاً على مزبلة ربوة ؟ .

✧ ✧ ✧

الجاهل .. كل همه الدنيا

يا غلام .. قَدِّمِ الآخرةَ على الدنيا تربحهما جميعاً ، وإذا قدمت الدنيا على الآخرة خسرتهما جميعاً .. عقوبة لك كيف اشتغلت بما لم تؤمر به .

إذا لم تشتغل بالدنيا أمدك الله عزَّ وجلَّ بالمعونة عليها ، ورزقك التوفيق وقت الأخذ منها ، وإذا أخذتَ منها شيئاً وُضعتْ فيه البركة .

المؤمن يعمل لدنياه وآخرته ، يعمل لدنياه بُلْغَتَه ، بقدر ما يحتاج إليه ، يقنعه منها كزاد الراكب ، لا يُحصل منها الكثير ، الجاهل كل همه الدنيا .

✧ ✧ ✧

إلى متى إقبالك على الخلق ؟

يا معرضاً عن الحق عزَّ وجلَّ وعن الصديقين من عباده .. مقبلاً على الخلق مشركاً بهم .. إلى متى إقبالك عليهم ؟! ، إيش ينفعونك ؟ ليس بايديهم ضرر ولا نفع ، ولا عطاء ولا منع . لا فرق بينهم وبين سائر الجمادات فيما يرجع إلى الضرر والنفع .. المعطي والمانع واحد ، الخالق والرازق هو الله عزَّ وجلّ .. هو خالق السموات والأرض وما فيهن وما بينهما .

✧ ✧ ✧

وأأسفا عليكم!

وأأسفا عليكم يا خلق الله ، ما تعرفون خالقكم حق معرفته ؟! .. وأما أنت

يا عالِمُ فمشتغل بالقال والقيل وجمع المال عن العمل بعلمك ، فلا جرم يقع في يدك من الصورة دون المعنى .

✧ ✧ ✧

إذا أراد الله بعبد خيراً .. علَّمه

إذا أراد الله تعالى بعبد من عبيده خيراً علَّمه ، ثم ألهمه العمل والإخلاص ، ومنه أدناه ، وإليه قرَّبه ، وعرَّفه وعلَّمه علم القلوب .

✧ ✧ ✧

اغسل نجاسة الذنب بماء التوبة

يا غلام .. لا تياس من رحمة الله عزَّ وجلَّ بمعصية ارتكبتها ، بل اغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة والثبات عليها والإخلاص فيها ، وخيِّبه وبخِّره بطيب المعرفة .

احذر من هذا المنـزل الذي أنت فيه ، فإنك كيفما التفت فالسباع حولك ، والأذايا تقصدك ، تحوَّل عنه وارجع إلى الحق عزَّ وجلَّ بقلبك ، لا تاكل بطبعك وشهوتك وهواك ، لا تاكل إلا بشاهدين عدلين وهما: الكتاب والسنة .

✧ ✧ ✧

القلب الطيّب هو الحصن

يا غلام .. الدواء في توحيد الله عزَّ وجلَّ بالقلب لا باللسان فحسب ، التوحيد والزهد لا يكونان على الجسد واللسان ؛ التوحيد في القلب ، والزهد في القلب ، والتقوى في القلب ، والمعرفة في القلب ، والعلم بالحق عزَّ وجلَّ في القلب ، ومحبة الله عزَّ وجلَّ في القلب ، والقرب منه في القلب .

كن عاقلاً لا تتهوس ولا تتصنع ولا تتكلف ، أنت في هوس وتَصَنُّعٍ وتكلُّفٍ وكذب ورياء ونفاق ، كل همك استجلاب الخلق إليك . أما تعلم أنك كلما خطوت بقلبك خطوة إلى الخلق بعدت من الحق عزَّ وجلّ ؟ تدعي أنك طالب الحق عزَّ وجلَّ وأنت طالب الخلق! ، مثلك مثل من قال : أريد أن أمضي إلى مكة . وتوجه إلى خراسان فبعد من مكة . تدعي أن قلبك قد خرج من الخلق .. وأنت تخافهم وترجوهم! ، ظاهرك الزهد وباطنك الرغبة ، ظاهرك الحق -عزَّ وجلَّ- وباطنك الخلق!! .

✧ ✧ ✧

الموحد حجة الله على الخلق

الموحدون الصالحون حجة الله على بقية الخلق ، منهم من يتعرى عن الدنيا من حيث ظاهرُه وباطنُه ، ومنهم من يتعرى عنها من حيث باطنُه فحسب ، لا يرى الحق عزَّ وجلَّ على بواطنهم منها شيئاً ، تلك القلوب الصافية .

✧ ✧ ✧

من هو الشجاع ؟

الشجاع من طهر قلبه مما سوى الله عزَّ وجلَّ ، ووقف على بابه بسيف التوحيد وصمصامة الشرع ، لا يخلي شيئاً من المخلوقات يدخل إليه ، يجمع قلبه بمقلب القلوب ، الشرع يهذب الظاهر ، والتوحيد والمعرفة يهذبان الباطن .

يا هذا بين قالوا وقلنا ما يجيء شيء ، تقول : هذا حرام ، وأنت مرتكبه ، وهذا حلال ، وأنت لا تفعله ولا تستعمله !! .

✧ ✧ ✧

يا مدعي العلم .. أين بكاؤك ؟!

مَثَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ العالِمَ الذي لا يعمل بعلمه بالحمار ، فقال : { ... كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ... } [الجمعة : 5] .

الأسفار هي كتب العلم ، هل ينتفع الحمار بكتب العلم ؟ ، ما يقع بيده منها سوى التعب والنصب ، من ازداد علمه ينبغي أن يزداد خوفه من ربه عزَّ وجلَّ وطواعيته له .

يا مدعي العلم! أين بكاؤك من خوف الله عزَّ وجلّ ؟ أين حذرك وخوفك ؟ أين اعترافك بذنوبك ؟ أين مواصلتك الضياء بالظلام في طاعة الله عزَّ وجلَّ ؟ أين تاديبك لنفسك ومجاهدتها في جانب الحق وعدواتها فيه ؟.

✧ ✧ ✧

يا نياماً لا يُنام عنهم!

يا نياماً لا يُنام عنهم ، يا معرضين لا يُعرض عنهم ، يا ناسين لا يُنسون ، يا تاركين لا يُتركون ، يا جهالاً بالله عزَّ وجلَّ ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن تقدم ومن تاخر ، أنتم كخشب ممدود نُجِّرَ لا يصلح لشيءٍ .

✧ ✧ ✧

أما يكفيك نفاقك ؟!

يا منافق! .. خِهر الله عزَّ وجلَّ الأرض منك ، ما يكفيك نفاقك حتى تغتاب العلماء والأولياء والصالحين باكل لحومهم! ، أنت وإخوانك المنافقون مثلك ، عن قريب تاكل الديدان ألسنتكم ولحومكم وتقطعكم وتمزقكم ، والأرض تضمكم فتسحقكم وتقلبكم .

لا فلاح لمن لا يحسن ظنه بالله عزَّ وجلَّ وبعباده الصالحين ويتواضع لهم .

✧ ✧ ✧

لو علمتم لتادبتم

توبوا إلى الله عزَّ وجلَّ واعتذروا إليه ، واعترفوا بذنوبكم بينكم وبينه ، وتضرعوا بين يديه . إيش بين أيديكم ؟! ، لو عرفتم لكنتم على غير ما أنتم عليه ، تادبوا بين يدي الحق عزَّ وجلَّ كما كان يتادب من سبقكم .

✧ ✧ ✧

لا تستهينوا باهل العلم

لا تستهينوا بكلمات الحكماء والعلماء ، فإن كلامهم دواء ، وكلماتهم ثمرة وحي الله عزَّ وجلَّ ، ليس بينكم نبي موجود بصورة حتى تتبعوه ، فإذا تبعتم المتبعين للنبي صلى الله عليه وسلم ، المحققين في اتباعه ، فكانما قد اتبعتموه .

✧ ✧ ✧

اصحبوا العالم العامل

اصحبوا العلماء المتقين فإن صحبتكم لهم بركة عليكم ، ولا تصحبوا العلماء الذين لا يعملون بعلمهم ، فإن صحبتكم لهم شؤم عليكم .

إذا صحبت من هو أكبر منك في التقوى والعلم ، كانت صحبتك له بركة عليك ، وإذا صحبت من هو أكبر منك في السن ولا تقوى له ، ولا علم له ، كانت صحبتك له شؤماً عليك .

✧ ✧ ✧

العمل لغير الله شرك

اعمل لله عزَّ وجلَّ ولا تعمل لغيره ، اترك له ولا تترك لغيره ؛ العمل لغيره كفر ، والترك لغيره رياء . من لا يعرف هذا ، ويعمل غير هذا ، فهو في هوس .

✧ ✧ ✧

ويحك .. صِلْ قلبك بالله

ويحك .. واصل ربك عزَّ وجلَّ وقاطع غيره من حيث قلبُك .. صفُّوا ما بينكم وبين ربكم عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

لا يفلح من فرق بين غني وفقير

يا غلام .. إن وجدت عندك تفرقة بين الغني والفقير عند إقبالهم عليك فلا فلاح لك .

✧ ✧ ✧

مواصلتك الفقراء عبادة لله

من مواصلة الحق عزَّ وجلَّ أن تواصل الفقراء بشيء من مالك ، أما علمت أن الصدقة معاملة مع الحق عزَّ وجلَّ الذي هو غني كريم ؟ ، وهل يعامل الغني الكريم من يخسر ؟ .

تنفق لوجه الله عزَّ وجلَّ ذرة يعطيك جبلاً ، تنفق قطرة يعطيك بحراً .

✧ ✧ ✧

كُنْ مع الله تَرَ اللهَ معك

يا قوم .. إذا عاملتم الحق عزَّ وجلَّ يزكو زرعكم ، وتجري أنهاركم ، ويورق ويغصن ويثمر شجركم ، مُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، وانصروا دين الله عزَّ وجلَّ وعادوا فيه الصديق .

✧ ✧ ✧

إذا صح القلب

إذا صح القلب امتلأ رحمة وشفقة على الخلق .

✧ ✧ ✧

من علامات الصِّدِّيق

الصِّدِّيق يترك الكبائر والصغائر ، ثم يدقق ورعه بترك الشهوات ثم المباح المشترك ، ويطلب الحلال المطلق.

✧ ✧ ✧

أصل البلاء وأصل الدواء

اسمع قول بعضهم رحمة الله عليه : كن في الدنيا كمن يداوي جرحه ويصبر على مرارة الدواء رجاء لزوال البلاء ؛ كلُّ البلايا والأمراض من شركك بالخلق ورؤيتهم في الضر والنفع والعطاء والمنع ، وكلُّ الدواء وزوال البلاء في الخروج عن الخلق من قِبَلِك ، وعزمك عند نزول الأقضية والأقدار ، وأن لا تطلب الرياسة على الخلق والعلوِّ عليهم ، وأن يتجرد قلبك لربك عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

المؤمن يتزود والكافر يتمتع !

المؤمن يتزود والكافر يتمتع ؛ المؤمن يتزود لأنه على طريق يقنع باليسير من ماله ويقدم الكثير إلى الآخرة ، يترك لنفسه بقدر زاد الراكب .. بقدر ما يحمله .. كل ماله في الآخرة ، كل قلبه وهمته هناك .. هو منقطع القلب

هناك من الدنيا .. يبعث جميع طاعاته إلى الآخرة لا إلى الدنيا وأهلها .. إن كان عنده طعام طيب يؤثر به الفقراء ، يعلم أنه في الآخرة يُطْعَمُ خيراً منه .

✧ ✧ ✧

ويحك .. جسدك يتحرك وقلبك ساكن!

إني أراك في قيام وقعود ، وركوع وسجود ، وسهر وتعب .. وقلبك لا يبرح من مكانه ، ولا يخرج عن بيت وجوده ، ولا يتحول عن عادته .

اصدق في طلب مولاك عزَّ وجلَّ ، وقد أغناك صدقُك عن كثير من التعب ، أُنقرْ بيضة وجودك بمنقار صدقك ، وانقض حيطان رؤيتك للخلق والتقيد بهم بمعاول الإخلاص وتوحيدك .

اكسر قفص طلبك للأشياء بيد زهدك فيها ، وطِرْ بقلبك حتى تقع على ساحل قربك من ربك عزَّ وجلّ.

✧ ✧ ✧

قلّلوا حرصكم .. قصِّروا آمالكم !

هذه الدنيا بحرٌ ، والإيمان سفينتها .. يا مصرين على المعاصي!! .. عن قريب يأتيكم العمى والصمم والزمْن والفقر ، وقساوة قلوب الخلق عليكم .. تذهب أموالكم بالخسارات والمصادرات والسرقات . كونوا عقلاء .. توبوا إلى ربكم عزَّ وجلّ .. لا تشركوا بأموالكم وتتكلوا عليها .. لا تقفوا معها .. أخرجوها من قلوبكم واجعلوها في بيوتكم وجيوبكم .. ومع غلمانكم ووكلائكم .. وارتقبوا الموت .. قللوا حرصكم وقصروا آمالكم .

✧ ✧ ✧

إذا تاب القلب تابت الجوارح

يا غلام .. ارجع بقلبك إلى الله عزَّ وجلّ .. التائب إلى الله هو الراجع إليه ، وقوله عزَّ وجلَّ : { وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ ... } [الزمر : 54]. أي : ارجعوا إلى ربكم ، يعني : ارجعوا .. سلموا الكل إليه .

✧ ✧ ✧

علمٌ بلا صدق ضلال على علم !

إيش ينفعك علم بلا صدق ؟! .. قد أضلك الله على علم .. تتعلم وتصلي وتصوم للخلق حتى يفروا إليك ، ويبذلوا لك أموالهم ، ويمدحوك في بيوتهم ومجالسهم .

قدِّر أنه يحصل لك هذا منهم .. فإذا جاءك الموت .. يحال بينك وبينهم ، ولا يغنون عنك شيئاً .. وما حصلته من أموالهم ياكله غيرك والعقوبة والحساب عليك!! .

✧ ✧ ✧

في قلبك جماعة من الآلهة !

يا غلام .. ما أنت على شيء .. الإسلام ما صح لك .. الإسلام هو الأساس الذي يبنى عليه . الشهادة ما تمت لك. تقول : لا إله إلا الله .. وتكذب!.

في قلبك جماعة من الآلهة : خوفك من سلطانك ووالي محلتك آلهة ، اعتمادك على كسبك وربحك وحولك وقوتك وسمعك وبصرك وبطشك آلهة ، رؤيتك للضر والنفع والعطاء والمنع من الخلق آلهة . كثير من الخلق متكلون على هذه الأشياء بقلوبهم ويظهرون أنهم متكلون على الحق عزَّ وجلّ . قد صار ذكرهم للحق عزَّ وجلَّ عادة بالسنتهم لا بقلوبهم .. فإذا حُوققوا في ذلك حردوا ، وقالوا : كيف يقال لنا هكذا ؟! .. ألسنا مسلمين ؟!

غداً تبين الفضائح وتظهر المخبآت!! .

✧ ✧ ✧

القلب هو المؤمن

ويحك .. القلب هو المؤمن ، هو الموحد ، هو المخلص ، هو المتقي ، هو الورع ، هو الزاهد ، هو الموقن .. هو الأميـر .. ومن سواه جنوده وأتباعه .

إذا قلت : لا إله إلا الله . فقل أولاً بقلبك ثم بلسانك ، واتكل عليه واعتمد عليه دون غيره . اشغل ظاهرك بالحكم وباطنك بالحق عزَّ وجلَّ . اترك الخير والشر على ظاهرك ، واشتغل بباطنك مع خالق الخير والشر ؛ من عرفه ذلّ له .. وتواضع له ولعباده الصالحين ، وتضاعف همه وغمه وبكاؤه ، وكثر خوفه ووجله ، وكثر حياؤه ، وكثر ندمه على ما تقدم من تفريط ، وتشدد حذره وخوفه من زوال ما عنده من المعرفة والعلم.

✧ ✧ ✧

الدنيا تطيب بعد إهانتها

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : أهينوا الدنيا ، فإنها والله لا تطيب إلا بعد إهانتها .

✧ ✧ ✧

الدنيا تُفرح الجاهل!

الجاهل يفرح في الدنيا .. والعالم يغتم فيها . الجاهل يناظر القدر وينازعه .. والعالم يوافقه ويرضى . يا مسكين ! لا تُناظرِ القدر وتُشاققْه فتهلك .

✧ ✧ ✧

ويحك .. اعرف قدر نفسك !

ويحك .. اعرف قدرك .. أنت كل همك الأكل والشرب واللبس والنكاح وجمع الدنيا والحرص عليها .. عَمّالٌ في أمور الدنيا بطّالٌ في أمور الآخرة !! .

✧ ✧ ✧

المؤمن يعمل لآخرته

المؤمن له نية صالحة في جميع تصاريفه .. لا يعمل في الدنيا للدنيا .. يبني في الدنيا للآخرة ، يعمر المساجد والقناطر والمدارس والرُّبُط ، ويهذب خرق المسلمين ، وإن بنى غير هذا فللعيال والأرامل والفقراء .. وما لا بد منه ، يفعل ذلك حتى يُبنى له في الآخرة بدله .. لا يبنى لطبعه وهواه ونفسه .

✧ ✧ ✧

الذاكر لله حيٌّ أبداً

الذاكر لله عزَّ وجلَّ أبداً حي .. ينتقل من حياة إلى حياة .. إذا تمكن الذكر في القلب دام ذكر العبد لله عزَّ وجلَّ وإن لم يذكره بلسانه .. كلما دام العبد في ذكر الله عزَّ وجلَّ دامت موافقته له ورضاه بافعاله .

✧ ✧ ✧

عطاء ربك عارية عندك

ويحك .. تعمل عمل أهل النار وترجو الجنان!! ، فانت طامع في غير موضع الطمع .. لا تغتر بالعارية وتظنها لك .. عن قريب تؤخذ منك .. الحق عزَّ وجلَّ قد أعارك الحياة حتى تطيعه فيها .. حسبتها لك وعملت فيها ما أردت!! ، وكذلك العافية عارية عندك ، وكذلك الغنى عارية عندك ، وكذلك الأمن والجاه .. وجميع ما عندك من النعم .. عارية عندك .. لا تفرط في هذه العواري فإنك تطالب بها ، وتسال عنها وعن كل شيء منها .. جميع ما عندكم من النعم من الله عزَّ وجلّ .. فاستعينوا بها على الطاعة .

✧ ✧ ✧

وافق الحق في الخلق

عن بعضهم أنه قال : وافق الحق عزَّ وجلَّ في الخلق .. ولا توافق الخلق في الحق .. انكسرَ من انكسر وانجبرَ من انجبر .. تعلموا موافقة الحق عزَّ وجلَّ من عباده الصالحين الموافقين .

✧ ✧ ✧

يا غلام .. أراك قليل المعرفة بالله عزَّ وجلَّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم .. أنت قفص بلا طائر ، بيت فارغ خراب ، شجرة قد يبست وتناثر ورقها .

عمارة قلب العبد بالإسلام ، ثم بالتحقيق في حقيقته ، وهي : الاستسلام .

✧ ✧ ✧

يا جاهل .. ما لك ولهذا ؟!

يا جاهل ما لك ولهذا ؟ ، أنت عبد نفسك ودنياك وهواك ، أنت عبد الخلق مشرك بهم ، لأنك تراهم في الضر والنفع .

✧ ✧ ✧

لا تغتر بطاعتك

يا غلام .. لا تغتر بطاعتك وتعجب بها ، اسال الحق سبحانه وتعالى قبولها ، وخف واحذر أن ينقلك إلى غيرها .. من عرف الله عزَّ وجلَّ لا يقف مع شيء ولا يغتر بشيء ، لا يامن حتى يخرج من الدنيا على سلامة دينه وحفظ ما بينه وبين الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

عليكم باعمال القلوب

يا قوم .. عليكم باعمال القلوب وإخلاصها الإخلاص الكامل مما سوى الله عزَّ وجلَّ . ومعرفة الله عزَّ وجلَّ هي الأصل ، ما أرى أكثركم إلا كذابين في الأقوال والأفعال في الخلوات والجلوات ، ما لكم ثبات! ، لكم أقوال بلا أفعال ، وأفعال بلا إخلاص ولا توحيد !! .

✧ ✧ ✧

انفوا ثم أَثبتوا

انفوا ثم أثبتوا ، انفوا عنه -تعالى - ما لا يليق به ، وأثبوا له ما يليق به ، وهو ما رضيه لنفسه ورضيه له رسوله صلى الله عليه وسلم ، إذا فعلتم هذا زال التشبيه والتعطيل من قلوبكم .

✧ ✧ ✧

هذا عاقبة حب الدنيا!

دنياكم قد أعمت قلوبكم فما تبصرون بها شيئاً ، احذروا منها فهي تمكنكم من نفسها تارة بعد أخرى حتى تستدرجكم .. وفي الأخيرة تذبحكم ، تسقيكم من شرابها وبنجها ثم تقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم . فإذا ذهب البنج وجاءت الإفاقة رأيتم ما صنعت بكم ، هذا عاقبة حبِ الدنيا ، والعَدْوِ خلفها ، والحرصِ عليها وعلى جمعها .. هذا فعلها فاحذروا منها .

✧ ✧ ✧

حظوظ القلب وحظوظ النفس

يا غلام .. حظوظ القلب باطنة ، وحظوظ النفس ظاهرة ، فحظوظ القلب لا تاتي إلا بعد منع النفس حظوظها ، فإذا امتنعت انفتحت أبواب حظوظ القلب ، حتى إذا استغنى القلب بحظوظه من الحق عزَّ وجلَّ جاءت الرحمة للنفس ..

دع مجالسة من يرغبك في الدنيا واخلب مجالسة من يزهدك فيها .. الجنس يميل إلى الجنس .. يطوف بعضهم على بعض ..

✧ ✧ ✧

التعاون ثمرة الحب في الله

المحبون لله يتحابون فيه ، فلا جرم يحبهم ويؤيدهم ويشد بعضهم ببعض .. يتعاونون على دعوة الخلق ، يدعونهم إلى الإيمان والتوحيد والإخلاص في الأعمال ، ياخذون بايديهم ويوقفونهم على طريق الحق عزَّ وجلّ .. من خَدَم خُدِم ، ومن أحسن يُحْسَن إليه ، ومن يعطي يُعطى .

✧ ✧ ✧

ما العمل بغير مواخاة القلب ؟!

أعمالكم عمالكم ، تعمل عمل أهل النار وترجو من الله عزَّ وجلَّ الجنان ، كيف تتمنى الجنة من غير عمل أصحاب الجنة ؟! . أرباب القلوب في الدنيا الذين عملوا بقلوبهم لا بجوارحهم فحسب . العمل بغير مواخاة القلب إيش يعمل ؟! . المرائي يعمل بجوارحه ، والمخلص يعمل بقلبه وجوارحه .. يعمل بقلبه قبل جوارحه .

✧ ✧ ✧

عمل المؤمن وعمل المنافق

المؤمن حي والمنافق ميت ، والمؤمن يعمل لله عزَّ وجلَّ ، والمنافق يعمل للخلق ويطلب منهم المدح والعطاء على عمله ، عمل المؤمن في ظاهره وباطنه ، في خلوته وجلوته ، في السراء والضراء ، وعمل المنافق في جلوته فحسب ، عمله عند السراء فإذا جاءت الضراء لا عمل له ، لا صحبة له لله عزَّ وجلَّ ، لا إيمان له بالله عزَّ وجلَّ وبرسله وكتبه ، لا يذكر الحشر والنشر والحساب ، إسلامه ليسلم رأسه وماله في الدنيا لا ليسلم في الآخرة من النار .. يصوم ويصلي ويقرأ العلم بحذاء الناس ، فإذا خلا عنهم رجع إلى شغله وكفره .

✧ ✧ ✧

ارفع بصرك عن عملك

يا غلام .. عليك بالإخلاص في الأعمال ، ورفع بصرك عن عملك ، وخلبِ العوض عليه من الخلق .

✧ ✧ ✧

أَكْثِرْ أنهارك اليوم

يا من يريد الجنة .. شراؤها وعمارتها اليوم لا غداً ، أَكْثِرْ أنهارك وأجرِ الماء فيها اليوم لا غدا .

✧ ✧ ✧

تذكروا { يوم يعض الظالم على يديه }

يا قوم .. يوم القيامة تنقلب القلوب والأبصار ، يومٌ تزل فيه الأقدام ، كلُّ واحد من المؤلفين يقوم على قدم إيمانه وتقواه ، ثبات الأقدام على قدر الإيمان ، في ذلك اليوم : { ... يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ... } [الفرقان : 27] كيف ظلم ، ويعض المفسد على يديه كيف أفسد ولم يصلح ، كيف أَبقَ من مولاه!! .

✧ ✧ ✧

الأعمال بخواتيمها

يا غلام .. لا تغتر بعمل فإن الأعمال بخواتيمها . عليك بسؤال الحق عزَّ وجلَّ أن يصلح خاتمتك ويقبضك على أحب الأعمال إليه .. إياك ثم إياك إذا تبت أن تنقض ثم ترجع إلى المعصية ، لا ترجع عن توبتك بقول قائل .. لا توافق نفسك وهواك وطبعك وتخالف مولاك عزَّ وجلّ .. إذا عصيت الحق عزَّ وجلَّ يخذلك ولا ينصرك .

اللهم انصرنا بطاعتك ولا تخذلنا بمعصيتك .

✧ ✧ ✧

أي الجهادين أشق ؟

قد أخبرك الله عزَّ وجلَّ بجهادين : ظاهر وباطن :

فالباطن جهاد النفس والهوى والطبع والشيطان ، والتوبة عن المعاصي والزلات والثبات عليها ، وترك الشهوات المحرمات .

والظاهر جهاد الكفار المعاندين له -عزَّ وجلَّ- ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ومقاساة سيوفهم ورماحهم وسهامهم ، يَقْتُلون ويُقْتَلون .

فالجهاد الباطن أصعب من الجهاد الظاهر ، لأنه لازم متكرر ، وكيف لا يكون أصعب من الجهاد الظاهر وهو : قطع مالوفات النفس من المحرمات وهجرانها ، وامتثال أوامر الشرع والانتهاء عن نهيه ؟! .

فمن امتثل أمر الله عزَّ وجلَّ في الجهادين حصلت له المجازاة دنيا وآخرة ، الجراحات في جسد الشهيد كالفصد في يد أحدكم لا ألم لها عنده .. والموت في حق المجاهد لنفسه التائب من ذنوبه ؛ كشرب العطشان للماء البارد .

✧ ✧ ✧

ماأكسلكم في الطاعة وأقواكم في المعصية!!

يا قوم .. آمنوا بهذا القرآن ، واعملوا به ، وأخلصوا في أعمالكم .. لا تراءوا

ولا تنافقوا في أعمالكم ، ولا تطلبوا الحمدَ من الخلق والأعواضَ عليها منهم .. آحادٌ أفرادٌ من الخلق يؤمنون بهذا القرآن يعملون به لوجه الله عزَّ وجلَّ ! .. ولهذا قلّ المخلصون وكثر المنافقون .. ما أكسلَكم في طاعة الله عزَّ وجلَّ وأقواكم في طاعة عدوه وعدوكم الشيطان الرجيم !! .

✧ ✧ ✧

كن صحيحاً تكن فصيحاً

يا غلام .. كن صحيحاً تكن فصيحاً ؛ كن صحيحاً في الحكم تكن فصيحاً في العلم .. كن صحيحاً في السر تكن فصيحاً في العلانية .. كل السلامة في طاعة الحق عزَّ وجلَّ ، وهي امتثال جميع ما أمر به ، والانتهاء عن جميع ما نهى عنه ، والصبر على جميع ما قضى به .. من استجاب لله عزَّ وجلَّ أجابه .

✧ ✧ ✧

يا قليل التدبير كن عوناً للفقير

إذا أحببت لنفسك : أطايبَ الأطعمة ، وأحسنَ الكسوة ، وأطيبَ المنازل ، وأحسنَ الوجوه ، وكثرةَ الأموال .. وأحببت لأخيك المسلم بالضد من ذلك .. فقد كذبت في دعواك كمال الإيمان .

يا قليلَ التدبيرِ! لك جار فقير ، ولك أهل فقراء ، ولك مال عليه زكاة ، ولك ربحٌ : كل يوم ربحٌ فوق ربح ، ومعك قدر يزيد على قدر حاجتك إليه .. فَمنعُك لهم عن العطاء هو الرضى بما هم فيه من الفقر .. ولكن إذا كان نفسك وهواك وشيطانك وراءك ، فلا جرم لا يسهل عليك فعل الخير .. معك قوةُ حرص ، وكثرةُ أمل ، وحب الدنيا ، وقلة تقوى وإيمان .. أنت مشرك بك وبمالك وبالخلق ، وما عندك خير .

من كثرت رغبتُه في الدنيا ، واشتد حرصُه عليها ، ونسيَ الموت ولقاءَ الحق عزَّ وجلَّ ، ولم يفرق بين الحلال والحرام .. فقد تشبه بالكفار الذين قالوا : { ... مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ... } [الجاثية : 24].

✧ ✧ ✧

تصوم نهارك وتعصي ليلك!

يا قوم .. إيش ينفعكم الجوع والعطش بالنهار والإفطار على الحرام بالليل ؟! .. تصومون بالنهار وتعصون بالليل .. يا أكلةَ الحرام أنتم تمنعون نفوسكم شرب الماء بالنهار ثم تفطرون على دماء المسلمين .. ومنكم من يصوم بالنهار ويفسق بالليل !! .

✧ ✧ ✧

لا تاكل وحدك!

يا غلام .. صُم وإذا أفطرت واسِ الفقراء بشيء من إفطارك .. لا تاكل وحدك ، فإن من أكل وحده ولم يُطعم يُخاف عليه من الفقر والكدية .

✧ ✧ ✧

أتشبعون وجيرانكم جياع ؟!

يا قوم .. تشبعون وجيرانكم جياع ، وتدَّعون أنكم مؤمنون !! .. ما صح إيمانكم . يكون بين يدي أحدكم طعام كثير يفضل عنه وعن أهله ، ويقف السائل على بابه ويُرَدُّ خائباً! . عن قريب تبصر خيرك .. عن قريب تصير مثله ، وتُرَدُّ كما رددته مع القدرة على عطائه .

✧ ✧ ✧

اجمع التواضع إلى العطاء

ويحك .. هلا قمت وأخذت ما بين يديك وأعطيته .. تجمع بين الحالين : التواضع في قيامك والعطاء من مالك .. واسِ الخلق اليوم حتى يواسيك الحق عزَّ وجلَّ غداً برحمته ، ارحم من في الأرض حتى يرحمك من في السماء .. ما دمت قائماً مع نفسك لا تصل إلى هذا المقام .. ما دمت توصل إليها حظوظها فانت في قيدها .. وفِّها حقها وامنعها حظها ؛ بإيصال الحق إليها بقاؤها ، وإيصال الحظ إليها هلاكها .. حقُّها ما لا بد من الطعام واللباس والشراب وموضع تسكن فيه .. وحظها اللذات والشهوات . خذ حقها من يد الشرع .. أطعمها المباح لا الحرام .. اقعد على باب الشرع وألزمها بخدمته وقد أفلحت .

✧ ✧ ✧

اقنعْ ولن يفوتك رزق!

اقنع باليسير ووطّن نفسك عليه ، فإن جاء الكثير من يد السابقة والعلم كنت فيه ، إذا قنعت باليسير ما تهلك نفسك ، ولا يفوتها ما قسم لها . كان الحسن البصري رحمة الله عليه يقول : « يكفي المؤمن ما يكفي العنيزة : كفٌ من حشفٍ وشربة ماء! » . المؤمن يتقوَّت والمنافق يتمتع ، المؤمن يتقوَّت لأنه في الطريق ما وصل إلى المنـزل ، والمنافق لا منـزل له لا مقصد له .

ما أكثر تفريطكم في الأيام والشهور ؟! ، تقطعون الأعمار بلا نفع! ، أراكم لا تفرحون في دنياكم وتفرحون في أديانكم ، اعكسوا تصيبوا ، الدنيا ما بقيت على أحد ، وهكذا لا تبقى عليكم .

✧ ✧ ✧

أمعكم توقيع بالحياة ؟!

يا قوم .. أمعكم توقيع من الحق عزَّ وجلَّ بالحياة ؟! . ما أقل تدبيركم! ، من يعمر دنيا غيره بخراب آخرته يجمع الدنيا لغيره بتفرق دينه ، ويوقع بينه وبين الحق عزَّ وجلَّ وسخطه عليه لرضا مخلوق مثله ، لو علم وتيقن أنه ميت عن قريب ، حاضر بين يدي الحق عزَّ وجلَّ ، وأنه محاسب عن جميع تصرفاته لأقصر عن كثير من أعماله ..

أُحذركم وأنهاكم ، ولا تحذرون ولا تنتهون ، يا غائبين عن الخير ، مشغولين بالدنيا ، عن قريب تشب عليكم الدنيا تخنقكم ولا ينفعكم ما جمعتموه من يدها ، ولا ما تلذذتم بها ، بل يكون جميع ذلك وبالاً عليكم .

✧ ✧ ✧

للكلمات أخوات .. فاحذر!

يا غلام .. عليك بالاحتمال وقطع الشر ، للكلمات إذا كلمك واحد منهم كلمة ثم أجبته عنها جاءت أخواتها ، ثم يحضر الشر بينكما! .

✧ ✧ ✧

الدعاة الهداة قليلون

آحادٌ أفرادٌ من الخلق يؤهلون لدعوة الخلق إلى باب الحق عزَّ وجلَّ ، وهم حجة عليهم إن لم يقبلوا منهم ، هم نعمة على المؤمنين نقمة على المنافقين أعداء دين الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

لا تسمنوا نفوسكم فتاكلكم

لا تسمنوا نفوسكم فإنها تاكلكم ، كمن ياخذ كلباً ضارياً فيربيه ويسمنه ، ويخلو معه ، فلا جرم ياكله. لا تطلقوا أعنة النفوس ، وتحدوا سكاكينها ، فإنها ترميكم في أودية الهلاك وتخدعكم ، اقطعوا موادها ولا تطلقوها في شهواتها .

✧ ✧ ✧

نفوسكم تدعي الإلهية

يا قوم .. نفوسكم تدعي الإلهية وما عندكم خبر ، لأنها تتجبر على الحق عزَّ وجلَّ ، وتريد غير ما يريد .. وإذا جاءت أقضيتُه لا توافق ولا تصبر ، بل تعارض وتنازع! ، ما عندها من الاستسلام خبر ، قد قنعت باسم الإسلام ، وهذا لا ينفعها .

✧ ✧ ✧

يا غلام .. لازمِ الخوف

يا غلام .. لازم الخوف ، ولا تامن حتى تلقى ربك عزَّ وجلّ .. ويوضع توقيع الأمان في يديك ، حينئذ ينبغي لك أن تامن ..

الحق عزَّ وجلَّ إذا اصطفى عبداً قربه وأدناه ، وكلما غلب عليه الخوف ألقى عليه ما يزيل ذلك ويُسَكِّنُ قلبه .

✧ ✧ ✧

ويحك يا جاهل!

ويحك يا جاهل ، تعرض عن الحق عزَّ وجلَّ ، وتخلِّيه وراء ظهرك ، وتشتغل بخدمة الخلق !! .

✧ ✧ ✧

إلى متى تشتغل بالدنيا والخلق ؟!

تواصلون الضياء بالظلام في الكد على النفوس التي هي عدوتكم ، وتُرضون أزواجكم بسخط ربكم عزَّ وجلَّ ، كثير من الخلق يقدمون رضا أزواجهم وأولادهم على رضا الحق عزَّ وجلَّ .

إنني أرى حركاتك وسكناتك وكلَّ همك لنفسك وزوجتك وولدك ، وما عندك من الحق عزَّ وجلَّ خبر !! .

في فَتِيتِكَ زجاج مُكَسّر!

ويحك! في قَتيتك زجاج مكسر وأنت تاكله ولا تعلم به ، لقوة شرهك ، وشدة حرصك! . بعد ساعة تقطع معدتك وتهلك ، كل بلائك لبعدك عن مولاك عزَّ وجلَّ واختيارك لغيره .

✧ ✧ ✧

لا تؤذ أحداً إلا أن تؤمر

يا غلام .. اجهد أنك لا تؤذي أحداً ، وأن تكون نيتك صالحة لكل أحد ، إلا من أمرك الشرع باذيته ، فاذيتك له عبادة .

✧ ✧ ✧

يا أهل هذه البلدة!

يا أهل هذه البلدة! قد كثر النفاق فيكم وقلّ الإخلاص ، وقد كثرت الأقوال بلا أعمال ، قول بلا عمل لا يسوى شيئاً ، بل هو حجة لا محجة ، القول بلا عمل كدار بلا باب ولا مرافق ، كنزٌ لا يُنفق منه ، هو مجرد دعوى بلا بينة ، صورة بلا روح ، صنمٌ لا يدانِ له ولا رجلان ولا بطش! . معظم أعمالكم كجسد بلا روح، الروح هو الإخلاص والتوحيد والثبات على كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا تغفلوا اعكسوا تصيبوا.

✧ ✧ ✧

لا تحقروا أحداً من المسلمين!

لا تحقروا أحداً من المسلمين! فإن أسرار الحق عزَّ وجلَّ مبلورة فيهم ، تواضعوا في أنفسكم ولا تتكبروا على عباد الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

ماهذا الاغترار العظيم ؟!

تنبهوا من غفلاتكم! ما أنتم إلا في غفلة عظيمة ، كانكم حوسبتم .. وعبرتم الصراط .. ورأيتم منازلكم في الجنة .. ما هذا الاغترار العظيم ؟! . كل واحد منكم قد عصى الله عزَّ وجلَّ معاصي كثيرة ، وهو لا يتفكر فيها

ولا يتوب منها ، ويظن أنها قد نُسيت! . هي مكتوبة في صحائفكم بتواريخ أوقاتها ، يحاسب ويعاقب على القليل والكثير منها .

استيقظوا يا غفل! انتبهوا يا نيام! تعرَّضوا لرحمة الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

من مفاسد الحرص

ويحك .. الرزق مقسوم لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتقدم ولا يتاخر ، أنت شاكٌ في ضمان الحق عزَّ وجلَّ ، حريصٌ على طلب ما لم يقسم لك ، حرصك قد منعك من الحضور عند العلماء ومشاهد الخير ، تخاف أن تنقص أرباحك وأن يقل زبونك !! .

✧ ✧ ✧

إلهك مَنْ خِفْتَه ورجوتَه

ويحك! من أطعمك وأنت طفل في بطن أمك ؟! . أنت معتمد عليك وعلى الخلق وعلى دنانيرك ودراهمك ، وعلى بيعك وشرائك ، وعلى سلطان بلدك! . كل من اعتمدت عليه فهو إلهك ، وكل من خفته ورجوته فهو إلهك ، كل من رأيته في الضر والنفع ولم ترَ أن الحق عزَّ وجلَّ يجري ذلك على يديه فهو إلهك .

عن قليل ترى خبرك ، ياخذ الحق عزَّ وجلَّ منك سمعك وبصرك وبطشك ومالك وجميع ما اعتمدت عليه دونه ، ويقطع بينك وبين الخلق ، ويُقسِّي قلوبهم عليك ، ويقبض أيديهم عنك ، ويعزلك عن شغلك ، ويغلق الأبواب في وجهك ، يرددك من باب إلى باب ولا يعطيك لقمة ولا ذرة ، وإذا دعوته فلا يجيبك .

كل ذلك لشركك به واعتمادك على غيرهِ ، وطلبك نِعَمَهُ من غيرهِ واستعانتِك بها على معاصيه!! .

هذا قد رأيته جرى على كثير من هذا الجنس ، وهو الأغلب في العاصين ، ومنهم من يتدارك الأمر بالتوبة ، فيقبل الحق عزَّ وجلَّ توبته ، وينظر إليه بالرحمة ، ويعامله بالكرم واللطف .

يا خلق الله توبوا! يا علماء يا فقراء يا زُهَّاد يا عُبَّاد .. ما منكم إلا من يحتاج إلى توبة .

✧ ✧ ✧

يا غلام! طهِّر قلبك

يا غلام .. احذر أن يرى الحق عزَّ وجلَّ في قلبك غيرهِ فتنتهك ، احذر أن يرى في قلبك خوفَ غيرهِ أو رجاء غيرهِ أو حبَ غيرهِ . طهروا قلوبكم من غيرهِ لا تروا الضر والنفع إلا منه .

✧ ✧ ✧

من عرف الله دلّ عليه

من كملت معرفته لله عزّ وجلّ صار دالاً عليه ، يصير شبكة يصطاد بها الخلق من بحر الدنيا ، ويعطى القوة حتى يهزم إبليس وجنده ، ياخذ الخلق من أيديهم .

✧ ✧ ✧

لا تعتزل بزهد مع جهل!

يا من اعتزل بزهده مع جهله تقدم واسمع ما أقول : يا زهادَ الأرض تقدموا ، قد قعدتم في خلواتكم من غير أصل ، ما وقعتم بشيء ، تقدموا والقطوا ثمار الحِكَمِ رحمكم الله .

✧ ✧ ✧

من نظر النعمة شكر المنعم

يا قوم .. قد غذاكم بنعمه وأنتم في بطون أمهاتكم وبعد خروجكم منها ، ثم أعطاكم العوافي والقوى والبطش ، ورزقكم طاعته وجعلكم مسلمين متبعين لنبيه صلى الله عليه وسلم ، إذا رأيتم النعم منه ، زالت محبة الخلق من قلوبكم .

✧ ✧ ✧

ويحك .. خلوتك بلا معنى!

ويحك .. تقعد في صومعتك وقلبك في بيوت الخلق منتظر لمجيئهم وهداياهم ، ضاع زمانك وجعلت لك الصورة بلا معنى .. إذا لم يكن لك باطن صحيح وقلب خال عما سوى الحق عزَّ وجلَّ وإلا فمجرد الخلوة لا ينفعك .

✧ ✧ ✧

اخرج كالشعرة من العجين!

من أراد الفلاح فليبذل نفسه وماله للحق عزَّ وجلَّ ، ويخرج بقلبه من الخلق والدنيا كخروج الشعرة من العجين واللبن .

✧ ✧ ✧

عِظِ الناسَ بحالك قبل قالك!

عن الحسن البصري τ أنه كان يقول : « عظ الناس بعلمك وكلامك ، يا واعظاً عظ الناس بصفاء سرك وتقوى قلبك ، ولا تعظهم بتحسين علانيتك مع قبح سريرتك » .

✧ ✧ ✧

ألا يسعكم ما وسع الأوائل ؟!

أما تستحون .. يصف الحق عزَّ وجلَّ نفسه بصفات يرضاها له تتاولونها وتردونها عليه ؟ ما وسعكم ما وسع من تقدمكم من الصحابة والتابعين ، ربنا عزَّ وجلَّ على العرش كما قال من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تجسيم .

اللهم ارزقنا ووقفنا وجنبنا الابتداع .

✧ ✧ ✧

كيف أُخرج الدنيا من قلبي ؟!

سال سائل : كيف أُخرج حب الدنيا من قلبي ؟ فقال : انظر إلى تقلبها باربابها وأبنائها ، كيف تحتال عليهم وتتلهى بهم ، وتُعَدِّيهم خلفها ، ثم ترقيهم من درجة إلى درجة حتى تعليهم على الخلق وتمكنهم من رقابهم ، وتظهر كنوزها وعجائبها ، فبينما هم فرحون بعلوهم وتمكنهم وخيبة عيشهم وخدمتها لهم ، إذا أخذتهم وقيدتهم وغرتهم ، ورمت بهم من ذلك العلو على رؤوسهم ، فتقطعوا وتمزقوا وأُهلكوا ، وهي واقفة تضحك بهم ، وإبليس إلى جنبها يضحك معها .

هذا فعلها بكثير من السلاخين والملوك والأغنياء ، من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة ، بذلك ترفع ثم تضع ، تقدم ثم تؤخر ، تغني ثم تفقر ، تدني ثم تذبح . والنادر منهم من يسلم منها ، ويغلبها ولا

تغلبه ، ويُعان عليها ويسلم من شرها ، وهم آحاد وأفراد . إنما يسلم من شرها من عرفها واشتد حذره منها ومن حيلها .

يا سائل .. إن نظرت بعيني قلبك إلى عيوبها قدرت على إخراجها منه ، وإن نظرت إليها بعيني رأسك اشتغلت بزينتها عن عيوبها ، ولم تقدر على إخراجها من قلبك والزهد فيها ، وتقتلك كما قتلت غيرك!! .

جاهد نفسك حتى تطمئن ، فإذا اطمأنت عرفت عيوب الدنيا وزهدت فيها .

✧ ✧ ✧

تبرأ من النفاق!

المنافق إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان . من بريء من هذه الخصال التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم فقد بريء من النفاق .

هذه الخصال هي المحك والفرق بين المؤمن والمنافق ، خذ هذا المحك وهذه المرآة وأبصر بها وجه قلبك .. انظر هل أنت مؤمن أو منافق .

✧ ✧ ✧

اجعل دنياك آخرة

كل الدنيا فتنة ومشغلة إلا ما أُخذ بنية صالحة للآخرة ، إذا صلحت النية في التصرف في الدنيا صارت آخرة .

✧ ✧ ✧

قيدوا النعم بالشكر

قيدوا نعم الحق عزَّ وجلَّ بشكره .. الشكر للحق عزَّ وجلَّ شيئان :

الأول : الاستعانة بالنعم على الطاعات والمواساة للفقراء منها .

والثاني : الاعتراف بها للمنعم بها والشكر لمنـزلها وهو الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

كل ما شغلك عن الله شؤمٌ

عن بعضهم رحمة الله عليه أنه قال : كل ما يشغلك عن الله عزَّ وجلَّ فهو عليك مشؤوم .. إذا شغلتك نِعَمُه عنه فهي عليك مشؤومة .

✧ ✧ ✧

يا من له ألف معبود!

قلبك لا يوافق لسانك ، فعلك لا يوافق قولك ، قل الله أكبر ألف مرة بقلبك ومرة بلسانك ، ما تستحي أن تقول لا إله إلا الله ولك ألف معبود غيره! . تب إلى الله عزَّ وجلَّ من جميع ما أنت فيه .

وأنت يا من يعلِّم العلم وقد قنع منه بالاسم دون العمل ، إيش ينفعك إذا قلت : أنا عالم ، فقد كذبت ، كيف ترضى لنفسك أنك تامر غيرك بما لا تعمله أنت!

✧ ✧ ✧

ويحك .. تامر بالتوحيد وتشرك!

ويحك .. تامر الناس بالصدق وأنت تكذب ، تامرهم بالتوحيد وأنت مشرك ، تامرهم بالإخلاص وأنت مراء منافق ، تامرهم بترك المعاصي وأنت ترتكبها ، قد ارتفع الحياء من عينيك ، لو كان لك إيمان لاستحييت، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ » -رواه أحمد والترمذي وقال : حسن صحيح- .

لا إيمان لك ولا إيقان لك ولا أمانة ، خنت العلم فذهبت أمانتك ، وكُتبت عند الله خواناً ، لا أعرف لك دواء إلا التوبة والثبات عليها .

✧ ✧ ✧

لا تتعود البطالة والكسل!

لا تتعود البطالة والكسل عن طاعة الحق عزَّ وجلَّ فإنه يبتليك عقوبة .. إلى متى تشتغل بنفسك وأهلك عن الحق عزَّ وجلّ ؟! .

✧ ✧ ✧

عليك بالقناعة فإنها طوق النجاة

عَلِّمْ أولادك الصنائع وتفرغ لعبادة الله عزَّ وجلَّ ، فإن الأهل والولد لا يغنون عنك من الله شيئاً ، ألزم نفسك وأهلك وولدك القناعة بما لا بد لك منه ، وتفرَّغ أنت وهم لطاعة مولاكم عزَّ وجلَّ ، فإن كان لكم في الغيب سعة الرزق فهي تاتي في وقتها المقدر عند الله ، تراها من الحق عزَّ وجلَّ ، وتتخلص من الشرك بالخلق ، وإن لم يكن لك عند القدر ذلك فعندك غنى عن جميع الأشياء بزهدك وقناعتك .

✧ ✧ ✧

من بطا به عمله لم يسرع به نسبه!

الرياء والنفاق والمعاصي سبب الفقر والذل والطرد من باب الحق عزَّ وجلَّ ، المرائي المنافق ياخذ الدنيا بدينه وتزييه بزي الصالحين من غير أهلية فيه ، يتكلم بكلامهم ويتلبس بثيابهم ولا يعمل مثل عملهم ، يدعي النسب إليهم وليس هو من نسبهم .

✧ ✧ ✧

ما البينة على دعواك ؟!

قولك : لا إله إلا الله دعوى ، وتوكلك عليه وثقتك به وإعراض قلبك عن غيره بينة .

يا كذابين اصدقوا ، يا هاربين من مولاهم ارجعوا ، اقصدوا بقلوبكم باب الحق عزَّ وجلَّ وصالحوه واعتذروا إليه .

✧ ✧ ✧

يا غلام .. ابك على نفسك!

يا غلام .. ما تستحي ؟! ابك على نفسك فإنك قد حُرمت الصواب والتوفيق ،

ما تستحي! تكون اليوم خائعاً وغداً عاصياً ، اليوم مخلصاً وغداً مشركاً .

✧ ✧ ✧

ذنوبكم مزدحمة .. والعاقبة مبهمة!

يا قوم .. أنتم عن قريب موتى .. ابكوا على أنفسكم قبل أن يُبكى عليكم ، لكم ذنوب مزدحمة على عاقبة مبهمة ، قلوبكم مرضى بحب الدنيا والحرص عليها ، داووها بالزهد والترك والإقبال على الحق عزَّ وجلَّ ، سلامة الدين رأس المال ، والأعمال الصالحة هي الأرباح ، اتركوا الطلب لما يطغيكم واقنعوا بما يكفيكم .. العاقل لا يفرح بشيء حلاله حساب وحرامه عقاب .. أكثركم قد نسوا العقاب والحساب !! .

✧ ✧ ✧

اصحب أرباب القلوب يكن لك قلب

يا غلام .. اصحب أرباب القلوب حتى يصير لك قلب .. لا بد لك من شيخ حكيم عامل بحكم الله عزَّ وجلَّ يهذبك ويعلمك وينصحك .

✧ ✧ ✧

يا من باع كل شيء!

يا من باع كل شيء بلا شيء ، واشترى لا شيء بكل شيء ، قد اشتريت الدنيا بالآخرة وبعت الآخرة بالدنيا ، أنت هوس في هوس ، عدم في عدم ، جهل في جهل ، تاكل كما تاكل الأنعام من غير تفتيش ولا احتساب ولا سؤال .. من غير نية من غير أمر من غير فعل !! .

✧ ✧ ✧

القلب يصدأ وجلاؤه الورع

القلب يصدأ .. فإن تداركه صاحبه وإلا انتقل إلى السواد ، يسْودُّ لبعده عن النور ، يسْودُّ لحبه الدنيا والتحويز عليها من غير ورع ، لأن من تمكن من قلبه حب الدنيا زال ورعه فيجمعها من حلال وحرام ، يزول تمييزه في جمعه ، يزول حياؤه من ربه عزَّ وجلَّ ومراقبته .

✧ ✧ ✧

يا قوم .. اللسان غلام القلب

يا قوم .. راقبوا ربكم عزَّ وجلَّ في خلواتكم وجلواتكم ، اجعلوه نصب أعينكم حتى كانكم ترونه فهو يراكم . من كان ذاكراً الله عزَّ وجلَّ بقلبه فهو الذاكر .. اللسان غلام القلب وتبع له .

✧ ✧ ✧

المواعظ حياة القلوب

داوم على سماع المواعظ .. فإن القلب إذا غاب عن المواعظ عمي.

✧ ✧ ✧

حقيقة التوبة .. تعظيم أمر الله

حقيقة التوبة تعظيم أمر الحق عزَّ وجلَّ ، في جميع الأحوال ، ولهذا قال بعضهم رحمة الله عليه : الخير كله في كلمتين : التعظيم لأمر الله عزَّ وجلَّ ، والشفقة على خلقه ، كل من لا يعلم أمر الله عزَّ وجلَّ ، ولا يشفق على خلق الله ، فهو بعيد من الله .

✧ ✧ ✧

ضاع عمركم في أكلوا وأكلنا .. !!

ضاع عمركم في أكلوا وأكلنا ، وشربوا وشربنا ، ولبسوا ولبسنا ، وجمعوا وجمعنا! . من أراد الفلاح فلْيصبِّر نفسه عن المحرمات والشبهات والشهوات ، ويصبر على أداء أمر الله عزَّ وجلَّ والانتهاء عن نهيه والموافقة لقدره .

✧ ✧ ✧

التوبة .. ولادة جديدة

توبوا بقلوبكم ثم بالسنتكم .. التوبة قلب دولة .. تقلب دولة نفسك وهواك وشيطانك وأقرانك السوء ، إذا تبت قلبت سمعك وبصرك ولسانك من كدر الحرام والشبهة ، وتتورع في معيشتك وبيعك وشرائك ، وتجعل كل همك مولاك عزَّ وجلَّ ، تزيل العادة وتترك مكانها العبادة ، تزيل المعصية وتترك مكانها الطاعة ، فحينئذ يكون ظاهرك محفوظاً وباطنك بربك عزَّ وجلَّ مشغولاً ، فإذا تمّ لك هذا .. فلو جاءت إليك الدنيا بحذافيرها ومكنتك منها ، وتبعك الخلق باجمعهم .. لم يضرك ذلك .

✧ ✧ ✧

من لا ينفعك لحظُه لا ينفعك وعظه

العلم جُعل للعمل لا لمجرد الحفظ وإيراده على الخلق ، تعلَّم واعمل ثم علِّم غيرك ، إذا علمت ثم عملت تكلم العلم عنك ، وإن سكتَ تكلمَ بلسان العمل أكثر مما يتكلم بلسان العلم . ولهذا قال بعضهم رحمة الله عليه : من لا ينفعك لحظه لا ينفعك وعظه .

✧ ✧ ✧

يا منافق .. عملك قشر لا لب فيه !

كل عمل لا إخلاص فيه فهو قشر لا لب فيه ؛ خشبة ممدودة ، جسد بلا روح ، صورة بلا معنى . وهذا عمل المنافقين .

✧ ✧ ✧

ويحك .. أنت مستظل بشجرة الغفلة !!

ويحك .. قد خرست!! .. استغث إلى الحق عزَّ وجلَّ ، ارجع إليه باقدام الندم والاعتذار حتى يخلصك من أيدي أعدائك ، وينجيك من لجة بحر هلاكك ، تفكر في عاقبة ما أنت فيه وقد سهل عليك تركه ، أنت مستظل بشجرة الغفلة .. اخرج من ظلها وقد رأيت ضوء الشمس وقد عرفت الطريق .. شجرة الغفلة تربى بماء الجهل ، وشجرة اليقظة والمعرفة تربى بماء الفكر ، وشجرة التوبة تربى بماء الندامة ، وشجرة المحبة تربى بماء الموافقة .

✧ ✧ ✧

جاوزت سن الأربعين .. يا نفس هلا ترعوين ؟!

يا غلام .. قد كان لك بعض العذر ، أنت صبي وشاب إلى الآن ، قد قاربت الأربعين أو قد جاوزتها وأنت تلعب بما يلعب الصغار ، احذر من مخالطة الجهال .. اصحب الشيوخ المتقين ، واهرب من الشباب الجاهلين ، قم ناحية عن القوم ، فمن جاء منهم إليك فكن به كالطبيب لهم ؛ كن للخلق كالأب الشفيق على أولاده ، أكْثرْ من طاعة الله عزَّ وجلَّ فإن طاعته ذكره .

✧ ✧ ✧

المؤمن وقَّافٌ عند حدود الله

المؤمن مطيع لربه عزَّ وجلَّ موافق له صابر معه ، يقف عند حظوظه وكلامه وأكله ولبسه وجميع تصرفاته، والمنافق لا يبالي بهذه الأشياء في جميع أحواله .

✧ ✧ ✧

اخلعوا ثياب الحرص يا أدعياء الزهد

يا مدعين الزهد باقوالكم وأفعالكم .. قد تلبستم بثياب الزهاد وبواطنكم ملأى رغبة وحسرة على الدنيا!! . لو خلعتم هذه الثياب وأظهرتم الرغبة التي في قلوبكم ، لقد كان يكون أحب إليكم وأبعد لكم من النفاق . الصادق في زهده تجيء إليه أقسامه ويتناولها .. فلبس ظاهره بها وقلبه مملوء من الزهد فيها وفي غيرها .

✧ ✧ ✧

الجاهل بالعلم مستغنٍ برأيه وهواه!

كل جاهل بالعلم مستغنٍ برأيه قابلٌ كلامَ نفسهِ وهواه وشيطانه ، فهو عبد إبليس تابع له قد جعله شيخه !!. يا جهالاً ويا منافقين ، ما أظلمَ قلوبَكم! .. وما أنتنَ روائحَكم! .. وما أكثرَ لقلقةَ ألسنتكم! . توبوا من جميع ما أنتم فيه .

✧ ✧ ✧

كُنْ عملاً بلا كلام

يا غلام .. اهجر الكلام عن الخلق ما دمت قائماً مع نفسك وهواك .. كن عملاً بلا كلام ، إخلاصاً بلا رياء ، توحيداً بلا شرك ، خمولاً بلا ذكر .

✧ ✧ ✧

حذارِ أن يقعد قلبك خلفك!

يا غلام .. ارجع إلى ربك بقلبك قبل أن يقعد خلفك ، قد قنعت من أحوال الصالحين بالكلام فيها والتمني لها .. كالقابض على الماء يفتح يده فلا يرى فيها شيئاً .

✧ ✧ ✧

التمني وادي الحُمْق

ويحك .. التمني وادي الحمق ؟! .. تعمل أعمال أهل الشر وتتمنى درجات أهل الخير ، من غلب رجاؤه خوفه تزندق ، ومن غلب خوفُه رجاءه قنط ، والسلامة في اعتدالهما .

✧ ✧ ✧

يا من يشكو إلى الخلق مصائبه ؟!

يا من يشكو إلى الخلق مصائبه! .. إيش ينفعك شكواك إلى الخلق ؟! .. لا ينفعونك ولا يضرونك ، وإذا اعتمدت عليهم وأشركت في باب الحق عزَّ وجلَّ يبعدونك ، وفي سخطه يوقعونك ، وعنه يحجبونك ، أنت يا جاهل تدعي العلم ، من جملة جهلك طلبك الدنيا من غير ربك عزَّ وجلَّ ، تطلب الخلاص من الشدائد بشكواك إلى الخلق .

✧ ✧ ✧

لا تصحب نفسك قبل أن تتعلم

ويحك .. إذا كان الكلب الشره يتعلم حفظ الصيد ويترك شرهه وطبعه ، وهذا الطائر أيضاً بالتعليم يخالف طبعه ، ويترك ما كان عليه من أكل الصيود التي تُجعل له ، فنفسك أولى بالتعليم .. علِّمها وفهِّمها حتى لا تاكل دينك وتمزقك وتخون في أمانات الحق عزَّ وجلَّ المودعة عندها ، دين المؤمن عنده لحمه ودمه .. لا تصحبها قبل تعليمك لها .. إذا تعلمتْ وفهمتْ واطمأنتْ حينئذ استصحبها أينما توجهتَ .. لا تفارقها في جميع الأحوال . إذا اطمأنت صارت حليمة عالمة راضية بما ياتيها القدر به من الأقسام .

✧ ✧ ✧

صاحبْ مولاك بادب التسليم

الحق عزَّ وجلَّ لا يُصحب مع الاعتراض والمنازعة ، وإنما يُصحب مع حسن الأدب وسكون الظاهر والباطن والموافقة الدائمة ، كل من وافق القدر دامت له الصحبة مع الحق عزَّ وجلَّ ، العارف بالله العالم به قائم معه لا مع غيره ، موافق له لا لغيره ، حي به ميت مع غيره .

✧ ✧ ✧

يا غلام .. تكلم أو اسكت بنية صالحة!

يا غلام .. إذا تكلمت فتكلم بنية صالحة ، وإذا سكت فاسكت بنية صالحة ، كل من لم يقدم النية قبل العمل فلا عمل له .

✧ ✧ ✧

من أنت يا ابن آدم ؟!

من أنت يا ابن آدم ؟! .. أنت مخلوق من ماء مهين .. تواضع لربك عزَّ وجلَّ وذل له .. إذا لم يكن تقوى فلست بكريم عند الله عزَّ وجلَّ ولا عند عباده الصالحين .

✧ ✧ ✧

يا قوم عليكم رقباء !!

يا قوم .. عليكم رقباء ، أنتم في توكيل الحق عزَّ وجلَّ وما عندكم خبر ، كونوا عقلاء ، افتحوا أعين قلوبكم ، إذا حضر أحدَكم في بيته جماعةٌ فلا يكن مبتدئاً بالكلام ، بل يكون كلامه جواباً ، ولا يسال عما لا يعنيه ، التوحيد فرض ، وطلب الحلال فرض ، وطلب ما لا بد منه من العلم فرض ، والإخلاص في العمل فرض ، وترك العوض على العمل فرض . اهرب من الفاسقين والمنافقين ، والتحق بالصالحين والصديقين .

✧ ✧ ✧

التوبة عرس الإيمان

يا قوم .. توبوا من ترككم التقوى ، التقوى دواء وتركها داء ، توبوا فإن التوبة دواء والذنوب داء .. التوبة عرس الإيمان ، والمواظبة على مجالس الذكر وطاعة الحق عزَّ وجلَّ شفاء .. ، توبوا بلسان الإيمان وقد جاءكم الفلاح .. تكلموا بلسان التوحيد والإخلاص وقد جاءكم الفلاح .

✧ ✧ ✧

كن عاقلاً ولا تكذب!

كن عاقلاً ولا تكذب .. تقول : أنا خائف من الله عزَّ وجلَّ ، وأنت تخاف من غيره .. العاقل لا يخاف لومة لائم في جانب الله عزَّ وجلَّ ، هو أصم عن كلام غير الله عزَّ وجلّ . الخلق كلهم عنده عجزة مرضى فقراء ، هذا وأمثاله هم العلماء ، الذين يُنتفع بعلمهم . العلماء بالشرع وحقائق الإسلام هم أخباء .. يا من قد انكسر دينُه تَقدَّمْ إليهم حتى يجبروا كسرك .

✧ ✧ ✧

لا يعرف الرياء إلا المخلصون

لا يعرف الرياء إلا المخلصون .. كانوا فيه وتخلصوا منه . هو عقبة في خريق القوم لا بد لهم من العبور عليها ؛ الرياء والعجب والنفاق من جملة سهام الشيطان التي يرمي بها القلوب .

اقبلوا من المشايخ وتعلموا منهم السير في الطريق الموصل إلى الحق عزَّ وجلَّ ، فإنه خريق قد سلكوه ، سلوهم عن آفات النفوس والأهوية والطباع ؛ فإنهم قد قاسوا آفاتهم ، وعرفوا غوائلهم .

✧ ✧ ✧

لا تنهزم من سهام النفس!

لا تغتر بنفخ الشيطان فيك ، ولا تنهزم من سهام النفس ، فإنها ترميك بسهامه ، فإنه لا يقدر عليك إلا بطريقها .

✧ ✧ ✧

شيطان الجن يتوسل بالنفس

شيطان الجن لا يقدر عليك إلا بشيطان الإنس ، وهي : النفس والأقران السوء . استغث بالله عزَّ وجلَّ واستعن به على هؤلاء الأعداء فإنه يغيثك .

يا غلام .. اعرض عن المنافقين

يا غلام .. أعرض عن المنافقين المتعرضين لمقت الله عزَّ وجلَّ ، كن عاقلاً ولا تقرب أهل الزمان فإنهم ذئاب عليهم ثياب ، خذ مرآة الفكر وانظر فيها ، واسالِ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يبصِّرك بك وبهم .

✧ ✧ ✧

عليك بالإيمان واليقين!

يا غلام .. تحتاج إلى إيمان يُسيِّرك في طريق الحق عزَّ وجلَّ ، وإلى إيقان يثبتك فيها .

✧ ✧ ✧

امنع نفسك الشهواتِ تُقْبَل

يا غلام .. امنعها -يقصد النفس- الشهوات واللذات وأطعمها طعاماً طاهراً لا يكون نجساً ، الطاهر الحلال ، والحرام النجس .. غذها من الحلال حتى لا تبطر وتشمخ وتسيء الأدب .

✧ ✧ ✧

ذهب لبُّ علمك وبقي قشرُه!

يا من يدعي العلم ويطلب الدنيا من أبنائها ويذل لهم ، قد أضلك الله على علم ، ذهبت بركة علمك ، ذهب لبه وبقي قشره !! .

وأنت يا من يدعي العبادة وقلبه يعبد الخلق ويخافهم ويرجوهم ، ظاهر عبادتك لله عزَّ وجلَّ وباطنها للخلق ، كل طلبك وهمك لما بايديهم من الدراهم والدينار والحطام ، ترجو حمدهم وثناءهم ، وتخاف ذمهم وإعراضهم ، تخاف منعهم وترجو عطاءهم بكثرة تماديك وتخادعك ولين كلامك على أبوابهم !! .

✧ ✧ ✧

ويلك .. يا عابد الخلق!

ويلك .. أنت مشرك منافق هراء مداخل ، ويلك على من تتبهرج ، على من { يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } [غافر : 19].

ويلك .. تقف في الصلاة وتقول : الله أكبر .. وأنت تكذب في قولك ، الخلق في قلبك أكبر من الله عزَّ وجلَّ ، تب إلى الله عزَّ وجلَّ ولا تعمل حسنة لغيره .. كن ممن يريد وجهه ، أعط الربوبية حقها ، لا تعمل للحمد والثناء ، لا للعطاء ولا للمنع .

✧ ✧ ✧

قلِّلْ حرصك .. قصِّر أملك!

ويحك .. رزقك لا يزيد ولا ينقص ، ما قد قُضي عليك من الخير والشر لا بد من مجيئه ، فلا تشتغل بشيء قد فُرِغَ منه واشتغل بطاعته ؛ قلل حرصك وقصر أملك ، واجعل الموت نصب عينيك وقد أفلحت ، عليك بموافقة الشرع في جميع أحوالك .

✧ ✧ ✧

جدد إسلامك يا هذا!

ارجع إلى الله عزَّ وجلَّ بتجديد الإسلام وحسن التوبة والإخلاص فيها ، قبل أن يجيء الموت فيغلق الباب في وجهك فلا تقدر على الدخول إلى باب التوبة ، ارجع إليه باقدام قلبك حتى لا يغلق في وجهك باب فضله ، ويكلك إلى نفسك وحولك وقوتك ومالك ، ولا يبارك لك في جميع ما أنت فيه .

✧ ✧ ✧

أما تستحي ؟!

ويحك .. ما تستحي منه عزَّ وجلَّ ، وقد جعلت دينارَك ربَّك ودرهمَكَ همَّك ، ونسيته بالكلية ؟ عن قريب ترى خبرك! .

✧ ✧ ✧

اجعل دكانك لعيالك وقلبك لربك

ويحك .. اجعل دكانك ومالك لعيالك تكسب لهم بامر الشرع ، ويكون قلبك متوكلاً على الله عزَّ وجلَّ ، اخلب رزقك ورزقهم منه لا من المال والدكان ، فيجري رزقك ورزقهم على يديك ، ويجعل فضله وقربه والأنس به لقلبك .

✧ ✧ ✧

تُبْ واندمْ وابكِ وواسِ

أغلق باب قلبك ، وأيْئِسِ الكلّ من الدخول إليه ، وأَنزلْ فيه ذكرَ الحق عزَّ وجلّ .. وتب توبة في إثر توبة من أعمالك ، وندامة في إثر ندامة من تجريك وسوءِ أدبك ، وأكثرِ البكاءَ على ما كان منك ، وواسِ الفقراءَ بشيء من مالك لا تبخل به ، فعن قريب تفارقه ، المؤمن الموقن بالخلف في الدنيا والآخرة لا يكون بخيلاً .

✧ ✧ ✧

لا تجعل الدنيا أكبر همك!

الشرعُ إنما شَرَعَ الكسبَ ليُستعان به على طاعة الحق عزَّ وجلَّ ، أما أنت إذا اكتسبت : استعنتَ به على المعصية ، وتركتَ الصلاة وفعلَ الخير ، ولم تخرج الزكاة! . فانت في معصية لا في طاعة ، يصير كسبك كقطع الطريق ، عن قريب يجيء الموت فيفرح به المؤمن ويغتم له الكافر والمنافق .

✧ ✧ ✧

أين الغاضُّ لبصر قلبهِ وقَالبهِ ؟!

أين التائب الثابت على توبته ؟ . أين المستحي من ربه عزَّ وجلَّ المراقبُ له في جميع الأحوال ؟ . أين المتعفف عن المحارم في خلوته وجلوته ؟ . أين الغاض لبصر قلبه وقالبه ؟ .

✧ ✧ ✧

اصبر على الفقر

يا فقير .. اصبر على فقرك فإن فقر الدنيا ينقطع .

✧ ✧ ✧

الطاعة تفتح عين قلبك

يا غلام .. ما دام حب الدنيا في قلبك لا ترى شيئاً من أحوال الصالحين ، ما دمت مكدياً من الخلق مشركاً بهم لا تنفتح عينا قلبك .

✧ ✧ ✧

ارجع بحوائجك إلى الله

ويلك .. الحياء من الله عزَّ وجلَّ يكون لا من الخلق ، هو الكريم وغيره لئيم ، هو الغني وغيره الفقير ، دأبه العطاء ودأب غيره المنع ، استدلّ عليه بصنعته ، حافظ على حدود شرعه ولازم تقواه ، فإنك إذا دُمت على تقواه دلَّك عليه .

ويحك .. عمرُك يذوب

ويحك .. عمرك يذوب وما عندك خبر ، إلى متى هذا الإعراض عن الآخرة والإقبال على الدنيا ؟! .

✧ ✧ ✧

يا مسكين .. إبك على نفسك!

ويحك .. رزقك لا ياكله غيرك ، موضعك من الجنة والنار لا يسكنه غيرك ، قد مَلَكَتْكَ الغفلة وأسرك الهوى ، كل همك في الأكل والشرب والنكاح والنوم وبلوغ أغراضك ، يا مسكين ابك على نفسك ، يموت ولدك تقوم القيامة عليك ، يموت دينك ولا تبالي ولا تبكي عليه ، مالك عقل! لو كان لك عقل بكيت على ذهاب دينك .

✧ ✧ ✧

مالك لا تتجر برأس مالك ؟!

معك رأس مال وأنت لا تتجر به ؛ هذا العقل والحياء هما رأس المال ، وأنت ما تحسن أن تتجر بهما ، علم لا تعمل به وعقل لا تنتفع به وحياة لا تفيد ؛ كبيت لا يُسكن ، وكنـز لا يُصرف ، وطعام لا يؤكل .

✧ ✧ ✧

انتبه من غفلة النوم!

انتبه من غفلة النوم ، واغسل وجهك بماء اليقظة ، فانظر ما أنت مسلم أو كافر ، مؤمن أو منافق ، موحد أو مشرك ، مراءٍ أو مخلص ، موافق أو مخالف ، راضٍ أو ساخط ، الحق عزَّ وجلَّ لا يبالي بك رضيت أم سخطت ، ضرر هذا ومنفعته عائدان إليك ، سبحان الكريم الحليم المتفضل ، الكل تحت لطفه وفضله ، لو لم يلطف بنا لهلكنا أجمع .

✧ ✧ ✧

يا أعداءَ نعمِ الله!

يا قوم .. الدنيا تذهب ، والأعمار تفنى ، والآخرة قريبة منكم ، وما همكم له بل همكم للدنيا وجمعها ، أنتم نعم الله عزَّ وجلَّ ، إذا كتمتم نعم الله عزَّ وجلَّ ولم تشكروه عليها سلبها منكم .

✧ ✧ ✧

ما فائدة دعواك بلا بَيِّنة ؟!

ويلك! لا تَجيءْ بمحض العلم فحسب ، كما لا تنفع دعوى بلا بينة لا ينفع علم بلا عمل .. يا تاركين العمل بالعلم! أحدكم يحذق الشِّعر بعبارته وفصاحته وبلاغته ، وليس عمل ولا إخلاص .. لو تهذَّب قلبُك لتهذبت جوارحك ، لأنه ملك الجوارح ، فإذا تهذب الملك تهذبت الرعية ؛ العلمُ قِشر والعمل لب ؛ إنما يُحفَظُ القِشرُ حتى يُحفظَ اللبُّ ، وإنما يُحفظ اللبُّ حتى يُستخرج منه الدهن ، فإذا لم يكن في القشر لبٌ ما يُصنع به ؟! . وإذا لم يكن في اللب دهنٌ فما يُصنع به ؟! العلم قد ذهب ، لأنه إذا ذهب ، لأنه إذا ذهب العمل به فقد ذهب ، إيش ينفعك حفظه ودراسته بلا عمل ؟! . يا عالم! إن أردت خير الدنيا والآخرة فاعمل بعملك وعلم الناس .

✧ ✧ ✧

يا غني .. واسِ الناس

يا غني! إن أردت خير الدنيا والآخرة فواس الناس الفقراء بشيء من مالك .

✧ ✧ ✧

ويلك! .. أنت تعبد الله بغير علم ، وتزهد بغير علم ، وتاخذ الدنيا بغير علم . ذلك حجابٌ في حجاب ، مَقَتٌ في مقت .. لا تميز الخير من الشر ، لا تفرق بين ما هو لك وما هو عليك ، ما تعرف صديقك من عدوك!! . كل ذلك لجهلك بحكم الله عزَّ وجلّ ، وتركك لخدمة الشيوخ ، شيوخُ العمل وشيوخُ العلم يدلونك على الله عزَّ وجلّ .

القول أولاً والعمل ثانياً ، وبه تصل إلى الحق عزَّ وجلَّ . وما وصل من وصل إلا بالعلم والزهد بالدنيا والإعراض عنها بالقلب والقالب . المتزهدُ يُخرِجُ الدنيا من يديه ، والزاهد المتحقق في زهده يخرجها من قلبه ؛ زهدوا في الدنيا بقلوبهم فصار الزهد طبعاً لهم .. خالط ظواهرهم وبواطنهم .. انطفت نارية طباعهم ، انكسرت أهويتُهم ، اطمأنت نفوسهُم واستحال شرُّها .

✧ ✧ ✧

اعرفْ حقيقة الدنيا!

يا غلام .. هذا الزهد ليس هو صنعة تعمله ، ليس هو شيئاً تاخذه بيدك وترميه ، بل هو خطوات أولها النظر في وجه الدنيا فتراها كما هي على صورتها عند من تقدم من الأنبياء والرسل .

✧ ✧ ✧

الزاهد لا يرجو ولا يخشى الخلق

يا غلام .. إذا صح لك الزهد في الدنيا ، فازهد في اختيارك وفي الخلق .. فلا تخافهم ولا ترجوهم ، وفي جميع ما تامرك فيه نفسك ، فلا تقبل منها إلا بعد مجيء أمر الله عزَّ وجلَّ .

✧ ✧ ✧

ذنوبكم كالأمطار!

ذنوبكم كالأمطار .. فلتكن توباتكم كل لحظة في مقابلتها!

✧ ✧ ✧

ويحك .. أنظر إلى القبور الدارسة!

ويحك .. أنت بَطِرٌ ، أنت أَشِرٌ ، أنت شَبِقٌ ، أنت هوىً ، أنت عبارةٌ .. أُنظر إلى القبور الدارسة وخاخب أهلها بلسان الإيمان فإنهم يخبرونك عن أحوالهم! .

✧ ✧ ✧

القلب راعي الجوارح

إذا أخلص القلب أخلصت الجوارح وتخلصت .. القلب راعي الجوارح ، فإذا استقام استقامت ، إذا استقام القلب والجوارح كَمُلَ أمرُ المؤمن وصار راعياً على أهله وجيرانه وأهل بلده ، يرتفع حالُهُ على قدر قوة إيمانه وقربه من مولاه .

✧ ✧ ✧

النجاة في ثلاثة

يا غلام .. حَصِّلِ العلم ، ثم العمل ، وأَخْلِصْ .

✧ ✧ ✧

الغضب محمودٌ ومذموم

الغضب إذا كان لله عزَّ وجلَّ فهو محمود ، وإذا كان لغيره فهو مذموم ، المؤمن يحتدُّ لله عزَّ وجلَّ لا لنفسه ، يحتدُّ لدينه لا نُصرةً لنفسه ، يغضب إذا خُرق حدٌّ من حدود الله عزَّ وجلَّ كما يغضب النمر إذا أخذوا صيده . فلا جرم يغضب الله عزَّ وجلَّ لغضبه ويرضى لرضاه .

✧ ✧ ✧

لا تُظْهِرِ الغضبَ لله وهو لنفسك!

لا تُظهر الغضبَ للهِ عزَّ وجلَّ وهو لنفسك ، فتكون منافقاً وما أشبه ذلك ، لأن ما كان لله عزَّ وجلَّ يتم ويبقى ويزداد ، وما كان لغيره يتغير ويزول ، فإذا فعلت فعلاً فَأَزِلْ نفسك وهواك وشيطانك منه ، ولا تفعله إلا لله عزَّ وجلَّ وامتثالاً لغيره ، لا تفعل شيئاً إلا بامرٍ حزم من الله عزَّ وجلَّ ، إما بواسطة الشرع ، أو بإلهام من الله عزَّ وجلَّ لقلبك مع موافقة الشرع .

✧ ✧ ✧

ارغبْ في الأنس بالله!

ازهد فيك وفي الخلق وفي الدنيا يُرِحْكَ من الخلق ، وارغب في الأنس بالحق عزَّ وجلَّ والراحة بقربه ، لا أنس إلا الأنس به ، ولا راحة إلا معه ، بعد الصفاء من كدُرات نفسك وهواك .

✧ ✧ ✧

لا تتعامل مع الله بباطنٍ نجس

كما لا يحل أن تدخل على الملوك مع نجاسة ظاهرك ، لِمَ تدخل على مالك الملوك الذي هو الحق عزَّ وجلَّ مع نجاسة باطنك ؟ .. في قلبك معاصي وخوفٌ من الخلق ، ورجاءٌ لهم ، وحب الدنيا وما فيها . وكلٌّ هذا من نجاسة القلوب .

زيادة الإيمان بطاعة الرحمن

إذا صحت التوبة صح الإيمان وازداد عند أهل السنة . إن الإيمان يزيد وينقص : يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

✧ ✧ ✧

تَعَلَّمْ متى تتكلم

عليك بالصمت والحلم عن جهل الجاهلين وثوران طباعهم ونفوسهم وأهويتهم ، أما إذا ارتكبوا معصية الحق عزَّ وجلَّ فلا صمت فإنه يحرم ، يصير الكلام عبادة وتركه معصية . إذا قدرت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا تقصر عنه ، فإنه باب خير قد فُتح في وجهك فبادر بالدخول فيه .

✧ ✧ ✧

شروط الطمانينة عند الذكر

يا غلام .. إن أردت الفلاح فَأخْرِج الخلق من قلبك ، لا تخفهم ولا ترجهم ، فإذا صح لك هذا فقد صحت لك الطمانينة عند ذكر الله عزَّ وجلَّ .

✧ ✧ ✧

متى تُسمى مستيقظاً ؟

أدِّ الأمرَ ، وانتهِ عن النهي ، واصبر على هذه الآفات ، وتقرَّب بالنوافل .. وقد سُميت مستيقظاً عاملاً لطلب التوفيق من ربك عزَّ وجلَّ ، سَلْهُ وتذلّل بين يديه حتى يهيء لك أسباب الطاعة .

✧ ✧ ✧

أزِل القيودَ من أقدام نفسك!

ويحك .. قد قيدت نفسك بالخوف من الخلق والرجاء لهم ، أَزِلْ هذه القيود من رجليها وقد قامت إلى خدمة ربها عزَّ وجلَّ ، وصارت مطمئنة بين يديه ، زَهِّدها في الدنيا وشهواتها .. وجميع ما فيها .

✧ ✧ ✧

الزم المحبين لله!

من رأى محباً لله عزَّ وجلَّ فقد رأى الله عزَّ وجلَّ بقلبه .. المحبون له رضوا به دون غيره ، استعانوا به ، واقتصروا عمن سواه .

✧ ✧ ✧

المربي .. يفتل الحبال الرخوة

اسمعوا واعملوا فإني أفتل في حبالكم ، أفتل حبالكم الرخوة وأصل المقطع منها ، ليس لي هم إلا همكم ، ليس لي غم إلا غمكم .

✧ ✧ ✧

كونوا نَهّابين وَهّابين!

القومُ .. شُغلهم البذلُ وإيجادُ الراحة للخلق .. نهابون وهابون ؛ ينهبون من فضل الله عزَّ وجلَّ ورحمته ، ويهبونه للفقراء والمساكين المضَّيق عليهم ، يقضون الديون عن المدينين العاجزين عن قضائه ، هم الملوك لا ملوك الدنيا ، فإنهم ينهبون ولا يهبُون .

✧ ✧ ✧

التكبُّر مصدر آثام .. فتنبَّه!

دع منك التكبر على الحق عزَّ وجلَّ وعلى الخلق ، فإنه من صفات الجبابرة الذين يكبهم الله عزَّ وجلَّ على وجوههم في نار الجحيم ، إذا أغضبتَ الله عزَّ وجلَّ فقد تكبرت عليه ، إذا أذَّن المؤذن فلم تجبه بقيامك إلى الصلاة فقد تكبرت عليه ، إذا ظلمت أحداً من خلقه فقد تكبرت عليه ، تب إليه وأخلص في توبتك قبل أن يهلكك بأضعف خلقه ، كما أهلك نمرود وغيره من الملوك لما تكبروا عليه ؛ أذلهم بعد العز ، أفقرهم بعد الغنى ، عذبهم بعد النعيم ، أماتهم بعد الحياة .

✧ ✧ ✧

تملَّكِ الدنيا ولا تحبَّها

كونوا من المتقين! .. الشرك في الظاهر والباطن ، الظاهر عبادة الأصنام ، والباطن الاتكالُ على الخلق ورؤيتُهم في الضر والنفع! . وفي الناس من تكون الدنيا بيده ولا يحبها ، يملكها ولا تملكه ، تحبه ولا يحبها ، تعدو خلفه ولا يعدو خلفها ، يستخدمها ولا تستخدمه ، يفرقها ولا تفرقه ، قد صلح قلبه لله عزَّ وجلَّ ، ولا تقدر الدنيا تفسده ، فيتصرف فيها ولا تتصرف فيه . اتركوا الدنيا في أيديكم .. لمصالح عيال الحق عزَّ وجلّ .. وأخرجوها من قلوبكم .. فلا جرم لا يضركم ، ولا يَغُرَّكم نعيمُها وزينتُها ، فعن قريب تذهبون وتذهب بعدكم! .

✧ ✧ ✧

من استغنى برأيه ضَلّ وذَلّ وزَل

يا غلام .. لا تستغن برأيك فإنك تضل ، من استغنى ضل وذل وزل ، إذا استغنيت برأيك حُرمت الهداية والحماية لأنك ما طلبتها ولا دخلت في سببها ، تقول : أنا مستغن عن علم العلماء ، وتدعي العلم ، فأين

العمل ؟! ما تاثير هذه الدعوى ؟ ما مصداقها ؟ إنما تتبين صحة دعواك للعلم بالعمل والإخلاص والصبر عند البلاء ، وأن لا تتغير ولا تجزع ولا تشكو إلى الخلق .

✧ ✧ ✧

يا مدعي الفهم .. أين فهمُك ؟!

أنت أعمى كيف تدعي البصر ، أنت سقيم الفهم كيف تدعي الفهم ؟ تُبْ من دعواك الكاذبة إلى الله عزَّ وجلَّ ، وعليك به دون غيره .

✧ ✧ ✧

ابدأ بِخُوَيْصَةِ نفسك

عليك بخويصة نفسك إلى أن تطمئن وتعرف ربها عزَّ وجلّ فحينئذ التفت إلى غيرك .

✧ ✧ ✧

إني أراكم مفاليس!

يا رجالاً ويا نساء! قد أفلح منكم من كان معه ذرة من الإخلاص ، ذرة من التقوى ، ذرة من الصبر والشكر ، إني أراكم مفاليس .

✧ ✧ ✧

المجلس الخامس والثلاثون

ويحكم .. أعمالكم تصعد إلى السماء!

ويحكم يامتكبرين .. عباداتكم لا تدخل الأرض إنما تصعد السماء قال الله عزّ وجلّ : { ... إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ... } [فاطر : 10] .

ربنا عزَّ وجلَّ على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وعلمه محيط بالأشياء مبدع ، سبع آيات في القرآن في هذا المعنى لا يمكنني محوها لأجل جهلك ورعونتك .

✧ ✧ ✧

إنما أخاف الله تعالى

فزعني بسيفك ما أفزع ، ترغبني في مالك ما أرغب ، إنما أخاف الله عزَّ وجلَّ وما أخاف غيره ، أرجوه ولا أرجو غيره ، أعبده ولا أعبد غيره ، أعمل له ولا أعمل لغيره ، رزقي عنده وبيده .

✧ ✧ ✧

الدنيا سوقٌ .. والناقد بصير

هذه الدنيا سوق .. بعد ساعة لا يبقى فيه أحد ، عند مجيء الليل يذهب أهله منه . اجتهدوا أنكم لا تبيعون ولا تشترون في هذا السوق إلا ما ينفعكم غداً في سوق الآخرة .. فإن الناقد بصير. توحيد الحق عزَّ وجلّ .. الإخلاص في العمل له .. هو النافق هناك ، وهو قليل عندكم! .

✧ ✧ ✧

لا تطلب من الخلق ما ليس لك

يا غلام .. كن عاقلاً ولا تستعجل فإنه ما يقع بيدك شيء بعجلتك ، لا تظلم الخلق وتطلب منهم ما ليس لك عندهم .

✧ ✧ ✧

إذا كنت ضعيفاً .. فلا تطلب

يا غلام .. الأولى عندي في حال ضعفك ألا تطلب من أحد شيئاً .. وإن قدرت أن تعطي ولا تاخذ فافعل ، وتخدم ولا تطلب الخدمة من غيرك فافعل .

✧ ✧ ✧

إياك أن تكون ظالماً

اهربْ من الخلق ، واجهد أن لا تكون مظلوماً ولا ظالماً ، وإن قدرت فكن مظلوماً ولا تكن ظالماً ، مقهوراً لا قاهراً ، نصرة الحق عزَّ وجلَّ للمظلوم ، ولا سيما إذا لم يجد ناصراً من الخلق .

✧ ✧ ✧

الصبر سبب للنّصرة والرفعة والمعزة .. اللهم إنا نسالك الصبر.

✧ ✧ ✧

لا تستقيم نية إلا بجهاد

اجتهد ألا تاكل لقمة ، ولا تمشي خطوة ، ولا تعمل شيئاً في الجملة إلا بنية صالحة ، تَصْلُحُ للحق عزَّ وجلَّ ، إذا صحَّ لك هذا فكل عمل تعمله يكون له لا لغيره ، تزول عنك الكلفة وتصير هذه النية خبعاً .

✧ ✧ ✧

ويحك .. خَلقٌ وخالقٌ لا يجتمعان

ويحك .. خلق وخالق لا يجتمعان ، دنيا وأخرى في القلب لا يجتمعان ، لا يُتصور ، لا يصح ، لا يجيء منه شيء ؛ إما الخلق وإما الخالق ، إما الدنيا وإما الآخرة . وقد يُتصور أن يكون الخلق في ظاهرك والخالق في باخنك ، والدنيا في يدك والآخرة في قلبك ، أما في القلب فلا يجتمعان . انظر لنفسك واختر لها ، فإن أردت الدنيا فاخرج الآخرة من قلبك ، وإن أردت الآخرة فاخرج الدنيا من قلبك .

✧ ✧ ✧

ويحك .. تسترت عن الخلق!

ويحك .. تسترت عن الخلق ، لا عن الخالق ، يا آكل السم عن قريب يتبين فعله في جسدك ، أكل الحرام سم لجسد دينك ، ترك الشكر على النعم سم لدينك ، عن قريب يعاقبك الحق عزَّ وجلَّ بالفقر والسؤال للخلق ورفع الرحمة من قلوبهم لك ، وأنت يا تارك العمل بعلمه عن قريب يُنسيكَ العلمَ ويُذْهِبُ بركتَه من قلبك ، يا جهالاً! لو عرفتموه عرفتم عقوباته ، أحسنوا الأدب معه ومع خلقه ، قللوا من الكلام فيما لا يعنيكم .

✧ ✧ ✧

النفس كَدِرَةٌ مُكَدِّرَةٌ .. فاحذرها

يا غلام .. فيما يعنيك شغلٌ عما لا يعنيك . أخرج نفسك من قلبك وقد جاءك الخير ، فإنها الكَدِرَةُ المكدرة . بعد خروجها يجيء الصفاءُ غيرَ كَدِرٍ وقد غُيِّرْتَ .

✧ ✧ ✧

الشيب نذير الموت .. فتب!

يا غافلاً عما لا بد لك منه ، قد جعلت همك الشهوات واللذات وجمع الدنيا فوق الدينار ، وأشغلت جوارحك باللعب . إنْ ذكَّرك مُذكِّرٌ الآخرةَ والموتَ ، تقول : نغَّصتَ عليَّ عيشي ، وتلوي برأسك هكذا وهكذا! . قد جاءك نذير الموت وهو الشيب في شعرك وأنت تقصمه أو تغيره بالسواد ، إذا جاء أجلك إيش تعمل ؟ إذا جاءك مَلَكُ الموت ومعه أعوانه ، باي شيء ترده ؟ إذا انقطع رزقك ، وانقضت مدتك ، باي حيلة تحتال ؟! . دع عنك هذا الهوس! الدنيا مبنية على العمل ، إذا عملت فيها أُعطيتَ الأجرةَ ، وإن لم تعمل فما تعطى . هي دار الأعمال والصبر على الآفات ، هي دار التعب والآخرة دار الراحة ، المؤمن يتعب نفسه فيها فلا جرم يستريح ، وأما أنت تعجلت بالراحة ، وتماخل بالتوبة وتُسوِّف يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة ، وقد انقضى أجلك ، عن قريب تندم ، كيف ما قبلت النصيحة! وكيف ما انتهيت! وصُدِقْتَ فما صَدَقْتَ! . ويحك .. جذع سقف حياتك قد انكسر ، أيها المغرور .. حيطان حياتك تتواقع ، هذه الدار التي أنت بها تخرب . تحول منها إلى أخرى ، اخلب دار الآخرة وانقل رجلك إليها ، ما هذه الرجل ؟ الرجل هي الأعمال الصالحة . قدم مالك إلى الآخرة حتى تجده وقت وصولك إليه .

يا مغروراً بالدنيا يا مشتغلاً بلا شيء ، يا من ترك السرية واشتغل بالخدمة .

✧ ✧ ✧

الخلق يريدونك لهم .. فاحذرهم

يا قوم! .. خلُّوا من يعمل عملاً يريد به وجه الخلق وقبولهم له ، فهو عبد آبق محجوبٌ ممقوتٌ ، الخلق يسلبون القلبَ والخيرَ والدينَ ، يجعلونك مشركاً بهم ناسياً لربك عزَّ وجلَّ ، يريدونك لهم لا لك ، والحقُّ عزَّ وجلَّ يريدك لك لا لهم ؛ فاخلب من يريدك لك واشتغل به ، فإن الاشتغال به أولى ممن يريدك له .

✧ ✧ ✧

استغِثْ بالغني ودعِ الفقراء !

إنْ كان ولا بد من الطلب ، فاطلب منه لا من خلقه ، فإن أبغض الخلق إلى الله عزَّ وجلَّ من يطلب الدنيا من خلقه . استغثْ به إليه .. هو الغني والخلق كلهم فقراء لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا نفعاً .

✧ ✧ ✧

نحِّ هذه الأيدي تُفلحْ

كيف تفلح وقد تركت يد نفسك وهواك وطبعك وشيطانك على عينيْ قلبك ؟! . نَحِّ هذه الأيدي وقد رأيت الأشياء كما هي .. نحِّ نفسَك بمجاهدتك لها ومخالفتك ، نَحِّ يدَ هواك وطبعك وشيطانك .

✧ ✧ ✧

خُلِقْتَ للعبادة فلا تلعب!

قد خلقك لعبادته فلا تلعب ، لا تحب معه في محبته أحداً ، إن أحببتَ غيره حُبَّ رأفةٍ ورحمةٍ ولطفٍ يجوز ، فاشتغل بالله عزَّ وجلَّ لا بغيره .. لا تسانس بغيره .. اجعل الخلق خارج قلبك .. ناحية منه .. فَرِّغْه له. يا بطّال يا كسلانُ يا قليلَ القَبولِ! إنْ قبلتَ مني وعملتَ بما أقول فلنفسك تعمل ، وإن لم تعمل فعلى نفسك المقتُ والحرمان .

✧ ✧ ✧

أطعمِ الأتقياء وأَعِنهُم

إذا أطعمت طعامك للمتقي وساعدته في أمر دنيا ، كنت شريكه فيما يعمل ولا ينقص من أجره شيء ، لأنك عاونته في قصده ورفعت عنه أثقاله ، وأسرعت خطاه إلى ربه عزَّ وجلَّ .

✧ ✧ ✧

أعطِ العلم كُلَّكَ تاخذ بعضَه!

يا جاهل! تعلمِ العلمَ ، فلا خير في عبادة بلا علم ، ولا خير في إيقان بلا علم ، تعلم واعمل فإنك تفلح دنيا وأخرى ، إذا لم يكن لك صبرٌ على تحصيل العلم والعمل به كيف تفلح ؟! . العلم إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه .

قيل لبعض العلماء رحمة الله عليه : بم نلت هذا العلم ؟ فقال : بباكورة الغراب ، وبصبر الجمل ، وبتملق الكب ، كنتُ أُبَكِّر على أبواب العلماء كما يبكر الغراب إلى الطيران ، وكنت أصبر على أثقالهم كصبر الجمل على الأثقال ، وكنت أتملق كتملق الكلب بباب دار صاحبه حتى يطعمه شيئاً ..

يا طالب العلم اسمع مقالة هذا العالم واعمل بها إذا أردت العلم والفلاح . العلم حياة والجهل موت ؛ العالم العامل بعلمه المخلص في عمله الصابر على تعليمه لحق ربه عزَّ وجلَّ لا موت له .

✧ ✧ ✧

المجلس الثامن والثلاثون

يا قوم أضْنوا شياطينكم بالإخلاص !

يا قوم .. أضنوا شياطينكم بالإخلاص في قول لا إله إلا الله لا بمجرد اللفظ ، التوحيد يحرق شياطين الإنس والجن ، لأنه نار للشياطين ونور للموحدين ، كيف تقول : لا إله إلا الله ، وفي قلبك كم إله ؟ كل شيء تعتمد عليه وتثق به دون الله فهو صنمك ، لا ينفعك توحيد اللسان مع شرك القلب ، لا ينفعك طهارة القالب مع نجاسة القلب ، الموحد يضني شيطانه ، والمشرك يضنيه شيطانه ، الإخلاص لب الأقوال والأفعال ، لأنها إذا خلت منه كانت قشراً بلا لب .. أن القشر لا يصلح إلا للنار .

اسمع كلامي واعمل به فإنه يخمد نار طمعك ويكسر شوكة نفسك .. لا تحضر موضعاً تثور فيه نار طبعك فيخرب بيت دينك وإيمانك ، يثور الطبع والهوى والشيطان فيذهب بدينك وإيمانك وإيقانك ، لا تسمع كلام هؤلاء المنافقين المتصنِّعين المزخرفين ، فإن الطبع يسكن إلى كلام مُزخرف مُصنَّع .

✧ ✧ ✧

خذِ العلمَ من أفواه العلماء

العلمُ يؤخذ من أفواه الرجال لا من الصحف ، من هؤلاء الرجال رجال الحق عزَّ وجلَّ ، ما هو غير التقوى هوسٌ وباطل ، الولاية للمتقين دنيا وآخرة ، الأساس والبناء لهم دنيا وآخرة ، الله عزَّ وجلَّ إنما يحب من عباده المتقين المحسنين الصابرين .

✧ ✧ ✧

علامة طلب العلم لله

يا غلام .. تعلم العلم وأخلص حتى تخلص من شبكة النفاق ، وقَيِّده ، اطلب العلم لله عزَّ وجلَّ لا لخلقه ولا لدنيا . علامةُ طلبك العلم لله عزَّ وجلَّ خوفُك ووجلُك منه عند مجيء الأمر والنهي ، تراقبه وتذِلُّ له في نفسك ، وتتواضع للخلق من غير حاجة إليهم لا طمعاً فيما في أيديهم . وتصادق في الله عزَّ وجلَّ وتعادي فيه، لأن الصداقة في غير الله عزَّ وجلَّ عداوة .. الثبات في غيره زوال ، العطاء في غيره حرمان .

✧ ✧ ✧

أمؤمنٌ .. ولا صبر ولا شكر ؟!

إذا لم تصبر على النِّقَم ، ولم تشكر على النِّعم ، فلست بمؤمن .

✧ ✧ ✧

إني أرى علماءكم جُهّالاً!

يا غلام .. بَيِّنَتُكَ ملازمة الكتاب والسنة والعمل بهما والإخلاص في العمل . إني أرى علماءكم جهالاً ، زهادكم طالبي الدنيا وراغبين فيها ، متوكلين على الخلق ناسين للحق عزَّ وجلَّ .

✧ ✧ ✧

كُنْ مع الله تَرَ اللهَ معك!

ويحك! .. إذا خرجت من الخلق صرت مع الخالق ، يعرِّفك مالك وما عليك ، تميز بين ما لَكَ وبين ما لغيرِك ، عليك بالثبات والدوام على باب الحق عزَّ وجلَّ ، وقد رأيت الخير عاجلاً وآجلاً ، هذا شيء لا يتم والخلق والرياء في قلبك ، إذا لم تصبر لا دين لك ، لا رأس لإيمانك .

✧ ✧ ✧

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها!

أنت كالحجام تُخرج الداء من غيرك وفيك داء محض ما تخرجه ، إني أراك تزداد علماً ظاهراً وجهلاً باطناً ، إذا لم يكن لك علم تعلَّم ، إذا لم يكن لك علم ولا عمل ولا إخلاص ولا أدب فكيف يجيء منك شيء ، قد جعلت همك الدنيا وحطامها ، عن قريب يحال بينك وبينها .

✧ ✧ ✧

ما قيمة عمل بلا فَهْم ؟!

افهموا ما أقول واعملوا به ، الفهم بلا عمل لا يساوي شيئاً ، العمل بلا إخلاص طمع فارغ ، الطمع كل حروفه فارغة مجوفة ليس فيها شيء .

مَنْ طلب وَجَدَّ وَجَد

من خلب وجدَّ وجدْ . اجهد في أكل الحلال فإنه ينور قلبك من ظلماته ، أنفعُ العقل ما عرَّفك نعمَ الله عزَّ وجلَّ ، وأقامك في شكرها ، وأعانك على الاعتراف بها وبمقدارها .

✧ ✧ ✧

الله يغضب إن تركت سؤاله

ويلك! .. ما تستحي ؟! . تطلب من غير الله عزَّ وجلَّ وهو أقرب إليك من غيره ، تطلب من الخلق ما لا حاجة بك إليه ، معك كنز مكنوز وأنت تزاحم الفقراء على حبة وذرة ، إذا مت افْتُضَحْتَ ، تظهرُ مخابيك ومكاتِمُك ، لو كنت عاقلاً اكتسبت ذرة من الإيمان تلقى الله عزَّ وجلَّ بها ، ولكنت تصحب الصالحين وتتادب بهم ، باقوالهم وأفعالهم ، حتى إذا ترعرع إيمانك وتمّ إيقانك استخلصك الله عزَّ وجلَّ له ، وتولى أدبك وأمرك ونهيك من حيث قلبُك .

✧ ✧ ✧

يا عابد الأصنام ! .. تُبْ

يا عابد صنم الرياء ما تشم قرب الله عزَّ وجلَّ لا دنيا ولا آخرة ، يا مشركاً بالخلق مقبلاً عليهم بقلبه ، أعرض عنهم فليس منهم ضرر ولا نفع ولا عطاء ولا منع ، لا تدعي توحيد الله عزَّ وجلَّ مع الشرك الملازم لقلبك فما يقع بيدك منه شيء .

✧ ✧ ✧

الرضى آية الإيمان

كل السلامة في الرضى بالقضاء وقصر الأمل والزهد في الدنيا ، فإذا رأيتم في أنفسكم ضعفاً فدونكم بذكر الموت وقصر الأمل .

✧ ✧ ✧

تارك العمل خامع .. والمُتّكِلُ عليه معجب

من لم يكن الشرع رفيقه في جميع أحواله فهو هالك مع الهالكين ، اعمل واجتهد ولا تتكل على العمل ، فإن التارك للعمل طامع .. والمتكل على العمل معجب مغرور .

✧ ✧ ✧

فارِقْ قبل أنْ تُفارَق!

فارق قبل أن تفارق ، ودِّع قبل أن تُوَدَّع ، اهجُر قبل أن يهجرك أهلُك وسائرُ الخلق ، ما ينفعوك إذا حصلت في القبر ؟! .

✧ ✧ ✧

الورع كسوة الدين

يا قوم .. تورعوا في جميع أحوالكم .. الورع كسوة الدين .

✧ ✧ ✧

عبادة الجاهل مردودة

لا أفكر بحمدك ولا ذمك ، بعطائك ومنعك ، بخيرك وشرِّك ، بإقبالك وإدبارك . أنت جاهل والجاهل لا يُبالى به ، إذا أفلحتَ وعبدتَ الله عزَّ وجلَّ كانت عبادتك مردودة عليك ، لأنها عبادة مقرونة بالجهل ، والجهل كله مفسدة ، لا فلاح لك حتى تتبع الكتاب والسنة .

✧ ✧ ✧

إبليسُ شيخُ من لا شيخَ له!

عن بعضهم رحمة الله عليه أنه قال : من لم يكن له شيخٌ فإبليس شيخه ، اتبع الشيوخ العلماء بالكتاب والسنة العاملين بهما ، أو حسِّن الظنَّ بهم وتعلم منهم ، وأحسن الأدب بين أيديهم والعشرة معهم وقد أفلحت ، إذا لم تتبع الكتاب والسنة ، ولا الشيوخ العارفين بهما .. فما تفلح أبداً ، ما سمعت : من استغنى برأيه ضل ، هذّب نفسك بصحبة من هو أعلم منك ، اشتغل بإصلاحها ثم انتقل إلى غيرها .

✧ ✧ ✧

الفقه طوق النجاة

الفقه في الدين سبب لمعرفة النفس ، من عرف ربه عزَّ وجلَّ عرف الأشياء كلها به ، تصح له العبودية والعتق من عبودية غيره ، لا فلاح لا نجاة لك حتى تؤثره على غيره ؛ تؤثر دينك على شهواتك ، وآخرتك على دنياك .. ، هلاكك في تقديم شهوتك على دينك ودنياك على آخرتك .. اعمل بهذا وقد كفاك ، أنت محجوب عن الحق عزَّ وجلَّ لا إجابة لك ، الإجابة إنما تكون بعد الاستجابة ، إذا أجبته بالعمل أجابك في وقت سؤالك له ، وجود الزرع إنما يكون بعد الزراعة ، ازرعْ حتى تحصد .

✧ ✧ ✧

أنت مشغول بزرع الدنيا!

أنت مشغول بزرع الدنيا لا بزرع الآخرة ، أما علمت أن طالب الدنيا لا يفلح مع الآخرة ؟ لا يرى الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

عليك بسوط مخالفة الأهواء

يا غلام .. اضرب نفسك بسوط الجوع والمنع من الشهوات واللذات والترهات ، واضرب قلبك بسوط الخوف والمراقبة ؛ اجعلِ الاستغفارَ دأب نفسك وقلبك .

✧ ✧ ✧

عليك بجوهر الجوهر

ويحك .. إيش تعمل بلقلقة اللسان بلا عمل ، أنت تكذب وعندك أنك تصدق ، تشرك وأنت موحد ، وتعتقد الصحة معك بالغش وتعتقد أنه جوهر .. العمل بالعلم تاج العلم ، العمل بالعلم نور العلم ؛ صفاء الصفاء ، جوهر الجوهر ، لب اللب ، العمل بالعلم يصحح القلب ويطهره .. فإذا صح القلب صحت الجوارح، إذا طهر القلب طهرت الجوارح ، إذا صلحت المضغة صحت البنية .

✧ ✧ ✧

التقوى كرامة .. والمعصية مهانة

من أحب الكرامة دنيا وآخرة فليتق الله عزَّ وجلَّ ، لأنه قال عزَّ وجلَّ : { ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... } [الحجرات : 14] الكرامة في تقواه والمهانة في معصيته .

✧ ✧ ✧

توكلك على المخلوق جهلٌ بالخالق

من أحب القوة في دين الله عزَّ وجلَّ فليتوكل على الله عزَّ وجلَّ ، لأن التوكل يصحح القلب ويقويه ويهذبه ويهديه ويريه العجائب ، لا تتكل على درهمك ولا دينارك وأسبابك ، فإن ذلك يُعجزُكَ ويُضعِفُكَ ، وتوكل على الله عزَّ وجلَّ ؛ فإنه يقويك ويعينك ، ويلطف بك ويفتح لك من حيث لا تحتسب ، ويقوي قلبك ، ولا تبالي بمجيء الدنيا وذهابها ، بإقبال الخلق وإدبارهم ، فحينئذ تكون أقوى الناس .

وإذا توكلت على مالك وجاهك وأهلك وأسبابك ، فقد تعرضت لمقت الله عزَّ وجلَّ ولزوال هذه الأشياء ، لأنه غيور لا يحب أن يرى في قلبك غيره .

ومن أحب الغنى في الدنيا والآخرة فليتقِ الله عزَّ وجلَّ دون غيره ، وليَقِفْ على بابه ويستحي منه أن ياتي باب غيره ، ويُغمضْ عينيه عن النظر إلى غيره ، أعني : عَيْنَيْ القلب لا عَيْنَيْ القالب .

كيف تثق بما في يديك وهو مُعَرّضٌ للزوال وتترك الثقة بالله عزَّ وجلَّ .. جهلك به يحملك على الثقة بغيره . ثِقَتُكَ به كُلُ الغنى ، ثِقَتُكَ بغيره كُل الفقر .

يا تارك التقوى! قد حُرِمْتَ الكرامةَ دنيا وآخرة ، يا متوكلاً على الخلق والأسباب! قد حرمت القوة والتعززَ بالله عزَّ وجلَّ دنيا وآخرة ، ويا واثقاً بما في يديه قد حُرِمْتَ الغنى بالله عزَّ وجلَّ دنيا وآخرة .

✧ ✧ ✧

الصبر أساس لكل خير

يا غلام .. إن أردت أن تكون متقياً متوكلاً واثقاً فعليك بالصبر فإنه أساسٌ لكل خير ، إذا صحت لك النية في الصبر فصبرت لوجه الله عزَّ وجلَّ ، كان جزاؤهُ لك أن يدخل قلبك حبه وقربه دنيا وأخرى ، الصبر موافقة الحق عزَّ وجلَّ في قضائه وقدره الذي سبق علمه ولا يقدر أحد من خلقه على محوه ، ثبت هذا عند المؤمن الموقن فصبر على ما قدر عليه ولا يقدر أحد من خلقه على محوه ، ثبت هذا عند المؤمن الموقن فصبر على ما قدر عليه اختياراً لا اضطراراً . كيف تَدَّعي الإيمان ولا صبرَ لك ، كيف تدعي المعرفة ولا رضا لك ، هذا شيء لا

يجيء بمجرد الدعوى.

✧ ✧ ✧

لسان الجاهل أَمام قلبهِ

يا قوم .. دعوا عنكم الهوسات والأماني الباخلة ، واشتغلوا بذكر الله عزَّ وجلَّ ، تكلموا بما ينفعكم واسكتوا عما يضركم ، إنْ أردتَ أن تتكلمَ ففكِّرْ فيما تريد أن تتكلم به وحصِّل فيه النية الصالحة ثم تكلَّم ، ولهذا قيل : لسان الجاهل أمام قلبه ، ولسان العاقل العامل وراء قلبه.

✧ ✧ ✧

ضيَّعك الحرصُ وخول الأمل

أنت أَشفقُ عليها -أي : النفس- من غيرك وقد ضيعتها ، فكيف يشفق عليها غيرك ويحفظها ؟! قوةُ أملك وحرصُك حملاك على تضييعها ، اجهد في : تقصير الأمل ، وتقليل الحرص ، وذكر الموت ، ومراقبة الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

صديقك من نهاك .. عدوك من أغواك

صديقك من نهاك عدوك من أغواك ؛ إني أراك عند الخلق لا عند الخالق عزَّ وجلَّ ، تشكر غيره على نعمه ، من أعطاك ما أنت فيه من النعم غيره حتى تشكره وتعبده ؟! ، إن كنت تعلم أن ما عندك من النعم من الحق عزَّ وجلَّ فاين شكره ؟ وإن كنت تعلم أنه خلقك فاين عبادته في امتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه والصبر على بلائه ؟ جاهد نفسك حتى تهتدي .

✧ ✧ ✧

صبرك يفنى وجزاء الله باقٍ

يا غلام .. اجهد أن تموت نفسَك قبل خروج روحك من بدنك ، موتها بالصبر والمخالفة ، فعن قريب تحمد عاقبة ذلك ، صبرك يفنى وجزاؤه لا يفنى ، إني صبرت ورأيت عاقبة الصبر محمودة .

✧ ✧ ✧

أنت عبد من زمامك بيده

ويحك .. تضيع زمانك في طلب العلم ولا تعمل به! فانت على قدم الجهل في هوس ، تخدم أعداء الحق عزَّ وجلَّ وتشرك بهم! . هو غني عنك وعمن أشركت به ، لا يقبل منك شريكاً ، ما علمت أنك عبد من زمامك بيده ؟! . إن أردت الفلاح فاترك زمام قلبك بيد الحق عزَّ وجلَّ ، وتوكل عليه حقيقة التوكل ، واخدمه بظاهرك وباطنك ، ولا تتهمه فإنه غير مُتَّهم ، هو أعرف منك بمصلحتك وهو يعلم وأنت لا تعلم .

✧ ✧ ✧

المجلس الرابع والأربعون

فليتك تحلو والحياة مريرة

إذا خرب ما بينك وبين الخلق وعمر ما بينك وبينه -عزَّ وجلَّ- فقد اختار لك فلا تكره خيرته ، من صبر مع الحق عزَّ وجلَّ رأى عجائب من ألطافه .. كلما ذلّ العبد له أعزّه ، كلما تواضع له رفعه ، هو المعز والمذل، الرافع والواضع ، الموفق والمسهِّل .

✧ ✧ ✧

قف مع القلب لا مع النفس

يا معجبين بأعمالهم ما أجهلكم! لولا توفيقه ما صليتم وصمتم وصبرتم ، أنتم في مقام الشكر لا في مقام العجب ، أكثر العُبَّاد معجبون بعبادتهم وأعمالهم ، طالبون للحمد والثناء من الخلق ، راغبون في إقبال الدنيا وأربابها عليهم ، وسبب ذلك وقوفهم مع نفوسهم وأهويتهم . الدنيا محبوبة النفوس والأخرى محبوبة القلوب .

✧ ✧ ✧

لقمة تُنوِّر القلب ولقمة تُظلمه

يا غلام .. أكل الحرام يميت قلبك وأكل الحلال يحييه ، لقمة تنور قلبك ولقمة تظلمه ، لقمة تشغلك بالدنيا ولقمة تشغلك بالأخرى ، الطعام الحرام يشغلك بالدنيا ويحبب المعاصي ، والطعام المباح يشغلك بالأخرى ويحبب إليك الطاعات ، والطعام الحلال يقرب قلبك من المولى .

✧ ✧ ✧

ويحك .. أنزل حوائجك بمولاك!

ويحك .. الخلق يقضون حوائجك يوماً أو اثنين أو ثلاثة أو شهراً أو سنة أو سنتين ، وفي الآخرة يضجرون منك ، عليك بصحبة الحق عزَّ وجلَّ وإنزال حوائجك به ، فإنه لا يضجر منك ولا يسام من حوائجك دنيا وآخرة .

يا واثقاً بالدينار والدرهم اللذين في يدك عن قريب يذهبان .. قد كانا في يد غيرك فسُلبا منه وسُلِّما إليك لتستعين بهما على طاعة مولاك عزَّ وجلَّ فجعلتهما صنمك! ، يا جاهل تعلم العلم لوجه الله عزَّ وجلَّ واعمل به فإنه يؤدبك .. العلم حياة والجهل موت .

✧ ✧ ✧

اخدمِ العلم يفقه قلبك

اخدم العلم والعلماء العمال واصبر على ذلك ، إذا صبرت على خدمة العلم أولاً لا بد أن يخدمك ثانياً .. إذا صبرت على خدمة العلم أعطيت فقه القلب ونور الباطن .

✧ ✧ ✧

احذر ذلّ النفاق وقيد الشرك

اللهم تب عليَّ وعليهم وخلِّصهم من ذلِّ النفاق وقيد الشرك ، اعبدوا الله عزَّ وجلَّ واستعينوا على عبادته بكسب الحلال ، إن الله عزَّ وجلَّ يحب عبداً مؤمناً مطيعاً آكلاً من حلاله ، يحب من ياكل ويعمل ، ويبغض من ياكل ولا يعمل ، يحب من ياكل بكسبه ويبغض من ياكل بنفاقه وتوكله على الخلق ، يحب الموحد له ويبغض المشرك به ، يحب المسلِّم إليه ويبغض المنازع له ، من شرط المحبة الموافقة ، ومن شرط العداوة المخالفة .

✧ ✧ ✧

يا طالب الدنيا بنفاقه .. تُب!

يا طالبَ الدنيا بنفاقه افتح يدك فما ترى فيها شيئاً ، ويلك زهدت في الكسب وقعدت تاكل أموال الناس بدينك . الكسب صنعة الأنبياء جميعهم ، ما منهم إلا من كان له صنعة ، وفي الآخرة أخذوا من الخلق بإذن الحق عزَّ وجلَّ ، يا سكران بخمر الدنيا وبشهواتها وهوساتها عن قريب تصحو في لحدك .

✧ ✧ ✧

لا تقف مع حمد الناس وذمهم!

يا من يدعي العلم! لا عبرة بعلمك من غير عمل ، ولا عبرة بعلمك من غير إخلاص ، لأنه جسد بلا روح . علامة إخلاصك أنك لا تلتفت إلى حمد الخلق ولا إلى ذمهم ، ولا تطمع فيما في أيديهم ، بل تعطي الربوبية حقها .

✧ ✧ ✧

سلِ اللهَ واستعن به وتوكل عليه!

يا قوم .. اتبعوا ولا تبتدعوا ، وافقوا ولا تخالفوا ، أطيعوا ولا تعصوا ، أخلصوا ولا تشركوا ، وحِّدوا الحق عزَّ وجلَّ وعن بابه فلا تبرحوا ، سلوه ولا تسالوا غيره ، استعينوا به ولا تستعينوا بغيره ، توكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره .

✧ ✧ ✧

اتبع الشاهديْن العادليْن

لا تبتدع وتُحدث في دين الله عزَّ وجلَّ شيئاً لم يكن ، اتبع الشاهدَيْن العادلَيْن : الكتاب والسنة ، فإنهما يوصلانك إلى ربك عزَّ وجلَّ ، وأما إن كنت مبتدعاً فشاهداك : عقلك وهواك ، فلا جرم يوصلانك إلى النار، ويلحقانك بفرعون وهامان وجنودهما ، اجعل سعيك في طلب العلم والعمل ، ولا تجعله في طلب الدنيا ، عن قريب ينقطع سعيك! فاجعل سعيك فيما ينفعك.

✧ ✧ ✧

عليك بزينة القلب!

من تزيَّن للناس بما ليس فيه مقته الله عزَّ وجلَّ ، زيِّن ظاهرك بآداب الشرع وباطنك بإخراج الخلق منه ، قد اشتغلت بزينة القالب وتركت زينة القلب ، زينة القلب بالتوحيد والإخلاص والثقة بالله عزَّ وجلَّ وبذكره ونسيان غيره .

✧ ✧ ✧

الصبر ضياء .. والاعتراضُ ظلمة

إذا صبرت خفَّفَ عنك البلاء وأحدث لك أمراً يحبه وتحبه ، وإذا جزعت واعترضت ثقل عليك البلاء وزادك منه عقوبة لاعتراضك عليه ، سبب اعتراضكم عليه عزَّ وجلَّ ومنازعتكم له ؛ وقوفكم مع نفوسكم وأهويتكم وأغراضكم ، وحبكم للدنيا وحرصكم على جمعها .

✧ ✧ ✧

يا قوم .. عليكم بالكرم والإيثار

يا قوم .. عليكم بالكرم والإيثار في طاعة الحق عزَّ وجلَّ لا في معصيته ، كل نعمة تصرف في المعصية هي معرضة للزوال .

✧ ✧ ✧

العُجبُ يهلك العمل

لا تعجبنّ بشيء من أعمالك فإن العجب يفسد العمل ويهلكه ، من رأى توفيق الله عزّ وجلّ له انتفى عنه العجب بشيء من الأعمال .

✧ ✧ ✧

لا تُبهرج .. فإن الناقد بصير

لا تبهرج فإن الناقد بصير .. إن الله عزَّ وجلَّ ينظر إلى قلبك لا إلى صورتك ، ينظر إلى ما وراء الثياب والجلود والعظام ، ينظر إلى خلوتك لا إلى جلوتك ، أما تستحي ؟! جعلت منظر الخلق مزيناً ومنظر الحق عزَّ وجلَّ منجساً ، إن أردت الفلاح فتب من جميع ذنوبك وأخلص في توبتك ، تب من شركك بالخلق لا تعمل شيئاً إلا لله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

اصحب شيخاً يُنهضك حاله

يا غلام .. اصحب من يعاونك على جهاد نفسك لا من يعاونها عليك ، إذا صحبت شيخاً جاهلاً منافقاً صاحب خبع وهوى كان معاوناً لها عليك ، الشيوخ لا يُصحبون للدنيا بل يصحبون للآخرة ، إذا كان الإمام صاحب خبع وهوى صُحِب للدنيا ، وإذا كان صاحب قلب صُحِب للآخرة .

✧ ✧ ✧

يا من تمشيخ .. لا تكن صبياً!

يا من تمشيخ وتصدَّر وزاحم الشيوخ المخلصين في أحوالهم ، ما دمت تطلب الدنيا بنفسك وهواك فانت صبي .. ذلك خبع محض .. النادر من كل نادر ؛ نفس تعرض عن الدنيا وتتركها اختياراً لا اضطراراً ، أو كون النفس تطمئن وتصير قلباً ؛ نادر من كل نادر ، بعيد من كل بعيد .

✧ ✧ ✧

لا تطلب الأمن بالمعصية

وأنت يا غافل .. تبارز الحق عزَّ وجلَّ بالمعصية والمخالفة ثم تامنه ، عن قريب ينقلب أمنك خوفاً ، سعتك ضيقاً ، عافيتك مرضاً ، عزك ذلاً ، رفعك وضعاً ، غناك فقراً .

✧ ✧ ✧

أمنك على قدر خوفك

اعلم أن أمنك يوم القيامة من عذاب الله عزَّ وجلَّ على قدر خوفك منه في الدنيا ، وخوفك في الآخرة على قدر أمنك في الدنيا ، ولكنكم غائصون في بحر الدنيا ساكنون في قعر بئر الغفلة ، الحرص على الدنيا وجمعها وطلب الأرزاق ، قد حجبكم عن طريق الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

الحرص فضَّاح

يا من قد فضحه حرصه .. لو اجتمعت أنت وأهل الأرض على أن تجلب لك شيئاً لم يقسم لك لم تقدر ، فدع عنك الحرص على طلب ما قد قسم لك وطلب ما لم يقسم لك ، كيف يحسن العاقل أن يضيع زمانه فيما قد فُرغ منه ؟! .

الطائع عاقل والعاصي مجنون

الطائعون لربهم عزَّ وجلَّ هم العلماء العُقَّل ، والعاصون لربهم عزَّ وجلَّ هم الجهال المجانين ، العاصي جهل ربه عزَّ وجلَّ فعصاه ، وتابع شيطانه ووافقه ، فلو لم يجهل لما عصى ، لو عرف نفسه وعلم أنها تامرة بالسوء لما وافقها .

✧ ✧ ✧

كم أحذرك من إبليس وأعوانه ؟!

كم أحذرك من إبليس وأعوانه وأنت تصحبه وتقبل منه ؟! أعوانه : النفس ، والدنيا ، والهوى ، والطبع ، وأقران السوء .. احذر الجميع فإنهم كلهم أعداؤك .

✧ ✧ ✧

اعدل حتى لا يُعدل بك!

لا تظلم أحداً في الدنيا فإنك تؤخذ به في الآخرة ، اعدل في الدنيا حتى لا يُعدل بك عن طريق الجنة ، الظَّلمة لما تركوا العدل عُدِلَ بهم عن طريق دار أهل العدل .

✧ ✧ ✧

من عرف الله عرف الدنيا!

اشتغل بإصلاحك وصلاحك ودع عنك القال والقيل وهوس الدنيا ، تفرغ من همومها ما استطعت.

يا جاهلاً بالدنيا لو عرفتها ما طلبتها. إن جاءت إليك أتعبتك ، وإن تولت حَسَّرتك ، لو عرفت الله عزَّ وجلَّ لعرفت به غيره .

✧ ✧ ✧

للبلاء حكمة .. فاصبر

يا قليل العقل! لا تهرب من باب الحق عزَّ وجلَّ لأجل بلية يبتليك بها ، فإنه أعرف منك بمصلحتك ، ما يبتليك إلا لفائدة وحكمة ، إذا ابتلاك فاثبت وارجع إلى ذنوبك وأكثر الاستغفار والتوبة ، واساله الصبر والثبات عليها ، وقف بين يديه وتعلق بذيل رحمته ، واساله كشف ذلك عنك وبيان وجه المصلحة فيه .

✧ ✧ ✧

اصحب دليلاً خِرِّيتاً!

إن أردت الفلاح فاصحب شيخاً عاملاً بحكم الله عزَّ وجلّ .. يعلمك ويؤدبك ويعرفك الطريق إلى الله عزَّ وجلَّ . المريد لا بد له من قائد ودليل ، لأنه في برَّية فيها عقارب وحيات وآفات وعطش وسباع مهلكة ، فيحذره من هذه الآفات ويدله على موضع الماء والأشجار المثمرة ، فإذا كان وحده من غير دليل وقع في أرض مسبعة وعرة كثيرة السباع والعقارب والحيات والآفات ..

يا مسافراً في طريق الدنيا لا تفارق القافلة والدليل والرفقاء ، وإلا ذهب منك مالك وروحك ، وأنت يا مسافراً في طريق الآخرة .. كن أبداً مع الدليل إلى أن يوصلك إلى المنـزل .

✧ ✧ ✧

يا غلام .. احذر قرناء السوء

يا غلام .. هؤلاء الذين تعاشرهم في الدنيا للدنيا ، غداً لا تراهم تقطع بينكم .. كيف لا تقطع بينك وبين أقرانك السوء الذين عاشرتهم في غير الله عزَّ وجلَّ ؟! . إن كان ولا بد لك من معاشرة الخلق .. فعاشر المتورعين المتزهدين العارفين العاملين مريدي الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

خالط الأدباء .. يحسن أدبك

أحسن أدبك بين يدي معلمك ، وليكن صمتك أكثر من نطقك فإن ذلك سبب لتعلمك وقربك إلى قلبه. حسن الأدب يقربك وسوء الأدب يبعدك ، كيف يحسن أدبك وأنت لا تخالط الأدباء ؟ كيف تتعلم وأنت لا ترضى بمعلمك ولا تحسن ظنك فيه ؟

✧ ✧ ✧

أدعوكم إلى الموت الأحمر!

يا قوم .. إني أدعوكم إلى الموت الأحمر .. وهو : مخالفة النفس والهوى والطبع والشيطان والدنيا .. والخروج عن الخلق وترك ما سوى الحق عزَّ وجلَّ في الجملة .. جاهدوا في هذه الأحوال ولا تياسوا .

✧ ✧ ✧

لا تكن حماراً يحمل أسفاراً !

من لا يعمل بعلمه فهو جاهل ، وإن كان متقناً لحفظه .. تعلمك للعلم من غير عمل يردك إلى الخلق ، وعملك بالعلم يردك إلى الحق عزَّ وجلَّ ، ويزهدك في الدنيا ويبصرك بباطنك ، يشغلك عن تزيين الظاهر ويلهمك بتزيين الباطن ، فحينئذ يتولاك الحق عزَّ وجلَّ لأنك قد صلحت له .

✧ ✧ ✧

إنما الميت ميّتُ الأحياء

الميت من مات عن ربه عزَّ وجلَّ وإن كان حيا في الدنيا .. إيش تنفعه حياته وهو يصرفها في تحصيل شهواته ولذاته وترهاته ؟! فهو ميت معنىً لا صورة .

✧ ✧ ✧

عليك بالكنـز الذي لا يفنى

الكنـز الذي لا يفنى : هو : الصدق والإخلاص ، والخوف من الله عزَّ وجلَّ ، والرجاء له ، والرجوع إليه في جميع الأحوال .

✧ ✧ ✧

رزقك آتيك .. زهدت أو رغبت!

قسمك ياتيك إن زهدت أو رغبت ، فإذا زهدت وصل إليك قسمك وأنت عزيز ، وإذا رغبت وصل إليك وأنت غير عزيز .

✧ ✧ ✧

أَنْكِرْ بالشرع لا بهواك !

أنكروا على أنفسكم وعلى غيركم بالشرع لا بالهوى والنفس والطبع ، ما سكت الشرع عنه فوافقوه في سكوته ، وما نطق به فوافقوه في نطقه .

✧ ✧ ✧

أنت تعبر على قنطرة الموت!

دع عنك الهوس وأخلص في أعمالك ، الموت على رصد منك ، لا بد لك من العبور على قنطرته ، دع عنك هذا الحرص الذي قد فضحك ، ما هو لك لا بد أن ياتيك ، وما هو لغيرك لا ياتيك .

✧ ✧ ✧

أما في القلب فلا!

ويحك .. الدنيا في اليد يجوز ، في الجيب يجوز ، ادخارها لسبب بنية صالحة يجوز ، أما في القلب فلا يجوز . وقوفها على الباب يجوز ، أما دخولها إلى ما وراء البابَ .. لا ولا كرامة لك .

✧ ✧ ✧

إلى متى هذا النفاق ؟!

هذا النفاق إلى متى يا علماء ويا زهاد ؟! كم تنافقون الملوك والسلاطين حتى تاخذوا منهم حطام الدنيا وشهواتها ولذاتها ؟! أنتم وأكثر الملوك في هذا الزمان ظلمة وخونة في مال الله عزَّ وجلَّ وفي عباده .

✧ ✧ ✧

لا يفلح على يديك أحد

يا جاهل تعلم من جهلك! .. إنك قد تركت التعلم واشتغلت بالتعليم! لا تتعب .. ما يجيء منك شيء ، ولا يفلح على يديك أحد ، لأن من لا يحسن أن يكون معلم نفسه ، فكيف يكون معلم غيره .

✧ ✧ ✧

أنظرْ إلى الخلق بعين العجز

يا غلام .. لا تنظر إلى الخلق بعين البقاء .. بل انظر إليهم بعين الفناء ، لا تنظر إليهم بعين الضر والنفع .. بل انظر إليهم بعين العجز والذل ، وحِّد الحقَ عزَّ وجلَّ وتوكل عليه ولا تهذي فيما فُرِغ منه ؛ الدنيا وجميع ما يظهر فيها قد فرغ منه ، والخلق وجميع ما يظهر ما يتقلبون فيه قد فرغ منه ، قلب المؤمن فارغ من هذا كله .

✧ ✧ ✧

يا جاهل .. لا تغضب من ناصح!

يا جاهل .. ما يكفيك أنك غيرُ مُتَّقٍ حتى إذا قيل لك : اتق الله ، تغضب! .. إذا قيل لك الحق تسمع وتتهاون ، ثم إذا أنكر عليك منكر تغتاظ عليه وتشفي غيظك منه .

✧ ✧ ✧

أما تستحي يا خادم الظَّلَمة ؟!

أما تستحي ؟! قد حملك حرصك على أنك تخدم الظلمة وتاكل الحرام! . إلى متى تاكل وتخدم ؟! الملوك الذين تخدمهم يزول ملكهم عن قريب .. كن عاقلاً واقنع باليسير من الدنيا حتى ياتيك الكثير من الآخرة .

✧ ✧ ✧

الجاهل في فساد كلي وظلمة

والجاهل لا تسوي عبادته شيئاً .. بل هو في فساد كلي وظلمة كلية ، والعلم أيضاً لا ينفع إلا بالعمل به ، والعمل لا ينفع إلا بالإخلاص فيه ، كل عمل بلا إخلاص لا ينفع ولا يقبل من عامله . إذا علمت ولم تعمل كان العلم حجة عليك .

✧ ✧ ✧

اعلمْ .. اعمل .. علِّم

تعلَم واعمل وعلِّم .. فإن ذلك مجمع لك الخير باسره . إذا سمعت كلمة من العلم وعملت بها وعلمتها غيرك كان لك ثوابان : ثواب العلم وثواب التعليم . الدنيا ظلمة والعلم نور فيها ، فمن لا علم له فهو يتخبط في هذه الظلمة ويفسد أكثر مما يُصلح .

✧ ✧ ✧

وافضيحتاه .. كيف لا أستحي منك ؟!

يا من يدعي العلم! لا تاخذ من يد نفسك وخبعك وشيطانك .. لا تاخذ من يد وجودك .. لا تاخذ من يد ريائك ونفاقك ، زهدُك ظاهر ، ورغبتُك باطن ، هذا زهد باطل ، أنت معاقب عليه .. تدلس على الحق عزَّ وجلَّ ، وهو يعلم ما في خلوتك وما في جلوتك وما في قلبك ؟! ليس عنده خلوة ولا جلوة ولا ستر ، قل : واحياءاه .. واويلاه .. وافضيحتاه! فكيف يطلع الحق عزَّ وجلَّ على جميع أفعالي في ليلي ونهاري وهو ناظر وأنا لا أستحي من نظره ؟! .

✧ ✧ ✧

لا يبغض المؤمن إلا المنافق

كل من في قلبه إيمان يحب المؤمن ، وكل من في قلبه نفاق يبغضه .

✧ ✧ ✧

كيف تعلم أنك محجوب ؟

إذا علمت ورأيت أن قلبك لا يدنو من الحق عزَّ وجلَّ ، ولا تجد حلاوة العبادة والأنس .. فاعلم أنك لست بعامل ، وأنك محجوب لأجل الخلل الذي في عملك .

ماذا الخلل ؟ الرياء والنفاق والعجب!! يا عامل عليك بالإخلاص وإلا فلا تتعب ، عليك بالمراقبة للحق عزَّ وجلَّ في الخلوة والجلوة .

✧ ✧ ✧

غض بصرك .. واشكر ربك

احذر من الحق عزَّ وجلّ .. غضَّ عينيك عن النظر إلى المحرم ، واذكر نظر من لا تبرح من نظره وعلمه ، إذا لم تناظر الحق عزَّ وجلَّ ولم تنازعه تمت عبوديتك له وصرت عبداً حقاً ، وتدخل في زمرة من قال في حقهم : { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ... } [الحجر : 42].

إذا تحق شكرك لله عزَّ وجلَّ ، ألهم قلوب الخلق وألسنتهم بالشكر لك والتودد إليك ، فحينئذ لا خريق للشيطان وأعوانه عليك .

✧ ✧ ✧

عليك بصحبة العبودية

عليك بصحبة العبودية ، وهي : امتثال الأمر والانتهاء عن النهي والصبر على الآفات . أساس هذا الأمر التوحيد ، والثبات عليه الأعمال الصالحة . الأساس ما أحكمته! على أي شيء تبني ؟! . النية ما صحت لك ، كيف تتكلم ؟! سكوتك ما تمَّ لك ، كيف تنطق هذا الكلام على الخلق نيابة عن الرسل ؟! . لأنهم هم الذين كانوا خطباء الخلق ، فلما ذهبوا أقام الحق عزَّ وجلَّ العلماء العمال بعلمهم مقامهم وجعلهم ورَّاثهم .

✧ ✧ ✧

اترك شهواتك تحت أقدامك

يا غلام .. اترك شهواتك تحت أقدامك ، وأعرض عنها بكل قلبك ، فإن كان لك شيء منها في سابقة علم الله عزَّ وجلَّ فهو يجيئك في وقته .. مهنا مكفى مطيباً ، فتاخذه بيد العز لا بيد الذل ، ومع ذلك قد حصل لك عند الله عزَّ وجلَّ ثواب الزهد فيه .. ونظر إليك بعين الكرامة .. لأنك لم تشره وتلح في طلبه .

✧ ✧ ✧

تدعي العلم وتفرح كالجهال!

ويحك .. تدَّعي العلم وتفرح فرح الجهال وتغضب كغضبهم ، فرحك بالدنيا وإقبال الخلق عليك ينسيك الحكمة ويقسى قلبك .. إن كان ولا بد من الفرح فافرح إذا كان دنيا وبذلتها في طاعة الله عزَّ وجلَّ ، تنفع بها خدام الحق عزَّ وجلَّ وتعينهم على طاعاتهم .

✧ ✧ ✧

ذكرك الموت يهوِّن المصائب

من أراد أن يحصل له الرضا بقضاء الله عزَّ وجلّ .. فليدم ذكر الموت .. فإن ذكره يهون المصائب والآفات . ولا تتهمه على نفسك وعلى مالك وولدك ، بل قل : ربي أعلم بي مني ، فإذا دمت على ذلك جاءتك لذة الرضا والموافقة ، فتذهب الآفات باصولها وفروعها ، ويجيئك بدلها النعم والطيبات ؛ لما وافقت وتلذذت بالرضا في حال البلاء ، جاءتك النعم من كل جانب ومكان .

✧ ✧ ✧

شكر النعمة .. وصبر الضيق

سعة الرزق فتنة مع عدم الشكر ، وضيق الرزق فتنة مع عدم الصبر ، الشكر يزيدك من النعم ويقربك إلى ربك عزَّ وجلَّ ، والصبر يثبت أقدام قلبك وينصره ويؤيده ويظفره ، وعاقبته محمودة دنيا وآخرة ، الاعتراض على الحق عزَّ وجلَّ حرام يُظلم به القلب والوجه .

✧ ✧ ✧

ادع الله أن يصبِّرك

ويحك يا جاهل .. بدل ما تشغل نفسك بالاعتراض اشغلها بالسؤال للحق عزَّ وجلَّ ، شاغلها به حتى تذهب أوقات البلايا وتنطفيء نيران الآفات .. إذا تحيرت قل : يا دليل المتحيرين دلني . إذا ابتليت وعجزت عن الصبر ، قل : إلهي أعني وصبرني واكشف عني .

✧ ✧ ✧

لا يغرك شبابك ومالك

لا يغرك شبابك ومالك وجميع ما أنت فيه ، عن قريب يؤخذ منك جميع ما أنت فيه ، وتذكر تفريطك وتضييعك لهذه الأيام في البطالات فتندم ، ولا ينفعك الندم .. ما دمت مع غير الله عزَّ وجلّ .. فانت في هم وغم وشرك وثقل .. أخرج من الخلق بقلبك واتصل بالحق عزَّ وجلّ .. هذا الذي أنت فيه لا يصح ولا يتم .. لأن أساسه واه ما هو محكم .. هو مزبلة وقد بنيت على ربوة ، تب إلى الحق عزَّ وجلَّ ، واساله تغيير ما أنت عليه وفيه من خلب الدنيا والإعراض عن الآخرة .

✧ ✧ ✧

من استغنى برأيه ضل

يا غلام .. أنت فارغ من الآخرة ملآن بالدنيا ، ويغمني حالك ويغمني فراقك للصالحين وترك مجالستهم واستغناؤك بالدنيا ، أما علمت أن من استغنى برأيه ضل ؟!. ما من عالم إلا ويحتاج إلى زيادة علم ، ما من عالم إلا وغيره أعلم منه.

✧ ✧ ✧

فرّغت قلبك من الحق فامتلأ بالدنيا!

يا غلام .. إني أرى تصاريفك غير تصاريف المراقبين لله عزَّ وجلَّ الخائفين منه ، تواصل أهل الشر والفساد وتفارق الأولياء والأصفياء! . قد فرَّغت قلبك من الحق عزَّ وجلَّ وملأته من الفرح بالدنيا وأهلها وحطامها .. أما علمت أن الخوف شحنةٌ في القلب ، ومنوِّر له ومبيِّن ومفسر ؟! . إن دمت على هذا فقد ودعت السلامة دنيا وآخرة .

✧ ✧ ✧

من مات قامت قيامته

لو ذكرت الموت قلّ فرحك بالدنيا وكثر زهدك فيها ؛ من أخَّره الموت كيف يفرح بشيء.

آخر الأحزان والأفراح ، والغنى والفقر ، والشدة والرخاء ، والأمراض والأوجاع .. الموت ، من مات قامت قيامته ، وقرب البعيد في حقه .

✧ ✧ ✧

كُنْ كُلَّك طاعة

اجهد أن تكون كلك طاعة ، فإذا فعلت ذلك صرت بجملتك لربك عزَّ وجلَّ ، المعصية وجود النفس والطاعة فقدانها ، تناول الشهوات وجود النفس ، والامتناع عنها فقدانها ، امتنع عن الشهوات ولا تتناولها إلا موافقة لقدر الله عزَّ وجلَّ لا باختيارك وشهواتك .

✧ ✧ ✧

تعلقْ بذيل رحمة ربك

يا غلام .. كن أنت واعظ نفسك ولا تحتج إليّ ولا إلى غيري ، وعظي على ظاهرك ، ووعظك على باطنك ، عظ نفسك بدوام ذكر الموت وقطع العلائق والأسباب .. تعلق برب الأرباب الخلاق العظيم العليم ، تعلق بذيل رحمته وتعلق برأفته . لا تشتغل بغيره عنه فإنه يحجبك عنه.

✧ ✧ ✧

اهجموا على الأعمال!

ويلكم ما تستحون ؟! طاعتكم ظاهرة ومعاصيكم باطنة ، أنتم عن قريب ماخوذون بيد الموت والسقم .. وأنتم مقصرون في الأعمال ، ما تستحون ؟! قد رضيتم بالبطالة في نهاركم وليلكم ، تريدون ما عند الله عزَّ وجلَّ مع التقصير ، اهجموا على الأعمال وقد تعودتها نفوسكم ، لكل داخل دهشة وفي الآخر تصفون وتزول الأكدار ، إذا تبتم لا بد من بداية ونهاية .

✧ ✧ ✧

خصلتان لا يفلح صاحبهما

ويحك .. قد جمعت بين حب الدنيا وبين التكبر ، وهاتان خصلتان لا يفلح صاحبهما إن لم يتب منهما ، كن عاقلاً! من أنت ؟ ومن أي شيء خلقت ؟ ولأي شيء خلقت ؟ لا تتكبر فما يتكبر إلا جاهل ، يا قليل العقل تطلب الرفعة بالتكبر .. اعكس تُصب.

✧ ✧ ✧

التواضع وحسن الأدب يقربك

التواضع وحسن الأدب يقربك ، والتكبر وسوء الأدب يبعدك ، الطاعة تصلحك وتقربك ، والمعصية تفسدك وتبعدك .

✧ ✧ ✧

لا تبع الدين بالتين

يا غلام .. لا تبع الدين بالتين ، لا تبع دينك بدين السلاطين والملوك والأغنياء وأكلة الحرام ، إذا أكلت بدينك اسود قلبك ، وكيف لا يسوّد وأنت تعبد الخلق ؟ يا مخذول لو كان في قلبك نور لفرقت بين الحرام والشبهة والمباح ، وبين ما يسود قلبك وينوره ، وبين ما يقرب قلبك ويبعده .

✧ ✧ ✧

ابنِ بنية .. واقنع بقسمك

يا من يبني القصور والدور ويذهب عمره في عمارة الدنيا! لا تبن شيئاً بغير نية صالحة ؛ فاساس البناء في الدنيا النية الصالحة ، لا يكون بناؤك بنفسك وهواك ، الجاهل يبني في الدنيا بنفسه وهواه وطبعه وعادته ، فلا جرم لا تصح له قرينة صالحة ، ولا يتهنا بما بناه ويسكنه غيره ، ويقال له يوم القيامة : لم بنيت ؟ ومن أين أنفقت ؟ ولم أنفقت ؟ يحاسب على الجميع ، اطلب الرضا والموافقة ، واقنع بقسمك ولا تطلب ما لم يقسم لك .

✧ ✧ ✧

من معاني الإسلام

ويحك .. تدعي أنك مسلم وأنت معترض على الله عزَّ وجلّ .. كذبت في دعواك ، الإسلام مشتق من الاستسلام لقضاء الله عزَّ وجلَّ مع حفظ حدود كتابه وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحينئذٍ يصح لك الإسلام .

✧ ✧ ✧

شؤم طول الأمل

شؤم طول الأمل هو الذي يوقعك في معاصي الله عزَّ وجلَّ ومخالفته ، متى ما قصرت أملك جاءك الخير ، فتمسَّكْ به إن أردت الفلاح .

✧ ✧ ✧

لا تصحب موتى القلوب

أنت ميت القلب وصحبتك أيضاً لموتى القلوب ، أنت قبر تاتي قبراً مثلك ، ميت تاتي ميتاً مثلك ، أنت زَمِنٌ يقودك زَمِنٌ مثلك ، أعمى يقودك أعمى مثلك .

اصحب المؤمنين الموقنين الصالحين ، واصبر على كلامهم واقبله واعمل به وقد أفلحت.

كم تتعلم ولا تعمل

كم تتعلم ولا تعمل! . اخوِ ديوان العلم ثم اشتغل بنشر ديوان العمل مع الإخلاص وإلا فلا فلاح لك ، تتعلم العلم فحسب ، أنت مجتر على الحق عزَّ وجلَّ بافعالك ، قد ألقيت جلباب الحياء من عينيك وقد جعلته أهون الناظرين إليك!! . أنت آخذ بهواك ومتحرك بهواك فلا جرم يهلكك هواك ، استح من الله عزَّ وجلَّ في جميع أحوالك واعمل بحكمه ، إذا عملت بظاهر الحكم أدناك العمل إلى العلم بالله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

اجعل البلية نعمة!

إذا ارتكبت الذنوب جاءت الآفات ووقعت عليك ، فإن تبت واستغفرت ربك عزَّ وجلَّ واستعنت به وقعت حواليك ، لا بد لك من بلية ، فاسال الله عزَّ وجلَّ أن ياتيك معها بالصبر والموافقة ، حتى يسلم ما بينك وبينه ، فيكون الخدش في القالب لا في القلب ، في الظاهر لا في الباطن ، في المال لا في الدين ، فحينئذٍ تكون البلية نعمة لا نقمة .

✧ ✧ ✧

الكذاب ذليلٌ في نفسه

يا منافق ..! قد قنعت من اتباعك لله عزَّ وجلَّ ولرسوله بالاسم لا بالمعنى ، ذلك كذب ظاهرك وباطنك ، فلا جرم أنت ذليل في الدنيا والآخرة ؛ العاصي ذليل في نفسه والكذاب ذليل في نفسه .

✧ ✧ ✧

لا تبعْ عزيزاً بذليل!

يا عالماً! لا تدنس علمك عند أبناء الدنيا ، لا تبع عزيزاً بذليل ، العزيز : العلم ، والذليل : هو الذي في أيديهم من الدنيا ، الخلق لا يقدرون أن يعطوك ما ليس لك مقسوم ، إنما قسمك يجري على أيديهم ، فإذا صبرت جاء قسمك على أيديهم وأنت عزيز .

✧ ✧ ✧

ذكر القلب أولاً ثم اللسان

ذكر اللسان بلا قلب لا كرامة ولا عزازة لك به ، الذكر هو ذكر القلب ثم ذكر اللسان .. اذكره حتى يذكرك ، اذكره حتى يحط الذكرُ عنك أوزاركْ.

✧ ✧ ✧

الطامع فارغٌ كالطمع

كلام الطامع لا يخلو من رجة ومداهنة ، لا يمكنه المحاقة ، يكون كلامه قشراً فارغاً لا لب فيه ، صورة بلا معنى . الطامع فارغ كالطمع ، لأن حروف الطمع كلها فارغة : الطاء والميم والعين . يا عباد الله عزَّ وجلَّ أصدقوا وقد أفلحتم ، الصادق همته عالية في السماء ، لا يضره قول قائل .

✧ ✧ ✧

لا تجعل الدنيا كبيرة في عينيك

يا غلام .. لو كان عندك ثمرة العلم وبركته لما سعيت إلى أبواب السلاطين في حظوظ نفسك وشهواتها ، العالم لا رجلين له يسعى بهما إلى أبواب الخلق ، والزاهد لا يديْن له ياخذ بهما أموال الناس ، والمحب لله عزَّ وجلَّ لا عينين له ينظر بهما إلى غيره .. لا تكبر في عيني رأسه الدنيا .

✧ ✧ ✧

أكثركم يتبعون الزاعق الناعق

كونوا عقلاء ما أنتم على شيء! الأكثر منكم يتبعون كل زاعق وناعق ، الأكثر من المتكلمين كلامهم من ألسنتهم لا من قلوبهم ، زعقات المنافق من لسانه ورأسه وزعقات الصادق من قلبه .

✧ ✧ ✧

كيف تدل على الله يا أعمى ؟!

كيف تدل عليه وأنت أعمى ؟! كيف تقود غيرك ؟ قد أعماك هواك وخبعك ومتابعتك لنفسك ومحبتك لدنياك ورياستك وشهواتك .

✧ ✧ ✧

قصِّر أملك ولا تكن حريصاً

الأحمق يعصي الله عزَّ وجلَّ والعاقل يطيعه ، الحريص على جمع الدنيا يرائي وينافق والقصير الأمل لا يفعل ذلك ، المؤمن يتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ باداء الفرائض ويتحبب إليه بالنوافل .

✧ ✧ ✧

لا تفرح بثياب غيرك!

لا تستعر كلمات الصالحين وتتكلم بها وتدعيها لنفسك ، العارية لا تخفى .. ازرع القطن بيديك ، واسقه بيديك ، وربِّه بجهدك ، ثم انسجه وخيِّطه والبسه . لا تفرح بمال غيرك وثياب غيرك ، إذا أخذت كلام غيرك وتكلمت به وادعيته مقتتك قلوب الصالحين ، إذا لم يكن لك فعل فلا قول ، كل الأمر معلق على العمل ، قال الله عزَّ وجلَّ : { ... ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [النحل : 32].

✧ ✧ ✧

اللسان ترجمان القلب

كلامك يدل على ما في قلبك ، اللسان ترجمان القلب ، فإذا كان القلب مختلطاً ، فتارة يصح الكلام وتارة يبطل ، لا تقدر تغيير الشيء عما هو وأخرى تغير ، وإذا زال تخليطه صح اللسان . إذا زال الشرك منه صح اللسان ، وإذا أشرك يقتدى بالخلق ، تغير وتبدل وتعثر وكذب .

✧ ✧ ✧

من أحب لله وأبغض لله فاز

إذا وقع حب رجل وبغض آخر ، فلا تحب هذا وتبغض هذا بنفسك وبطبعك ، بل حكِّمهما كليهما على الكتاب والسنة ، فإن وافقا الذي أحببته فدم على محبته ، وإن خالفا فارجع عن محبته ، وإن وافقا الذي أبغضته فارجع عن بغضه ، وإن لم ينفعك ذلك ولم يبن لك فارجع إلى قلوب الصديقين وسلهم عنهما .

✧ ✧ ✧

قصة لطيفة

اشترى رجل مملوكاً ، وكان ذلك المملوك من أهل الدين والصلاح ، فقال له : يا مملوك إيش تريد تاكل؟ فقال : ما تطعمني . فقال له : ما الذي تريد تلبس ؟ فقال : ما تلبسني . فقال له : ما الذي تحب أن تعمل من الأشغال ؟ فقال ما تامرني . فبكى الرجل فقال : طوبى لي لو كنت مع ربي عزَّ وجلَّ كما أنت معي . فقال المملوك : يا سيدي وهل للعبد مع سيده إرادة أو اختيار ؟! . فقال له : أنت حر لوجه الله .

✧ ✧ ✧

من أيقن بالموت استقام

اشتغالك بالدنيا يحتاج إلى نية صالحة وإلا فانت ممقوت ، اشتغل بطهارة قلبك أولاً فإنه فريضة ، ثم تعرض للمعرفة ، إذا ضيعت الأصل لا يقبل منك الاشتغال بالفرع ، لا تنفع طهارة الجوارح مع نجاسة القلب ، طهِّرْ جوارحك بالسنة وقلبك بالعمل بالقرآن ، احفظ قلبك حتى تحفظ جوارحك ، كل إناء ينضح بما فيه ، أي شيء كان في قلبك ينضح منك على جوارحك .

كن عاقلاً! ما هذا عمل من يؤمن بالموت ويوقن به ، ما هذا عمل من يرتقب لقاء الله عزَّ وجلَّ ويخاف من محاسبته ومناقشته .

✧ ✧ ✧

تواضعك دليل صدقك

القلب الصحيح ممتليء توحيداً وتوكلاً ويقيناً وتوفيقاً وحلماً وإيماناً ، ومن الله عزَّ وجلَّ قرباً ، يرى الخلق كلهم بعين العجز والذل والفقر ، ومع ذلك لا يتكبر على طفل صغير منهم ، يصير كالسبع وقت لقاء الكفار والمنافقين والعصاة .. ويتواضع ويذل للصالحين المتقين الورعين وقد وصف الله عزَّ وجلَّ القوم الذين هذه صفاتهم فقال : { ... أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... } [الفتح : 29].

✧ ✧ ✧

المجلس الحادي والستون

خواطرك من جنس همك

ساله سائل عن الخواطر ، فقال : ما يدريك ما الخواطر ؟ خواطرك من الشيطان والطبع والهوى والدنيا ، همك ما أهمك ، خواطرك من جنس همك .

إذا كان الله عزَّ وجلَّ وذكره عندك ؛ فلا جرم يمتلئ قلبك من قربه وتهرب خواطر الشيطان والهوى والدنيا من عندك ، للدنيا خاطر والآخرة خاطر ، فتحتاج أيها الصادق إلى دفع جميع الخواطر والسكون إلى خاطر الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

النظر إلى الخلق أصل البلاء

يا غلام! .. ما يقع بيدك من الحق عزَّ وجلَّ شيء بنفاقك وفصاحتك وبلاغتك وتصفير وجهك وترقيع مرقعتك وجمع أكنافك .. كل ذلك من نفسك وشيطانك وشرفك بالخلق وخلب الدنيا منهم .

✧ ✧ ✧

اخلب العلم والعلماء!

ويلك امشِ في خلب العلم والعلماء العمال حتى لا يبقى مشيٌ ، امش حتى لا تطاوعك ساقاك.

✧ ✧ ✧

ليكن كلامك جواباً!

اجتهد أن لا تبدأ بالكلام بل يكون جواباً ، إذا سالك سائل عن شيء فإن كان جوابه مصلحة لك وله وإلا فلا تجبه .

✧ ✧ ✧

اصحب تقياً تكن مثله!

من لا يرى المفلح لا يفلح ، من لا يصحب العلماء العمال فهو من نبض التراب لا دليل له لا أم له ، اصحبوا من له صحبة مع الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

فتش عن مرآة لدينك!

فتِّشْ على من يكون مرآة لوجه دينك ، كما تنظر في المرآة وتسوي وجه ظاهرك وعمامتك وشعرك ، كن عاقلاً ، إيش هذا الهوس ، تقول : ما أحتاج إلى من يعلمني !! .

✧ ✧ ✧

لا يوافقك الشرع ولا العقل

يا غلام .. أنت نفس وطبع وهوى ، تقعد مع النسوان الأجانب والصبيان ثم تقول : لا أبالي .. كذبت! لا يوافقك الشرع ولا العقل ، تضيف ناراً إلى نار ، حطباً إلى حطب ، فلا جرم يشتعل دار دينك وإيمانك! . إنكار الشرع لهذا عام لم يستثن فيه أحداً ، حصِّلِ الإيمان والمعرفة بالله عزَّ وجلَّ وقوة القرب ، ثم أصبح طبيباً للخلق نيابة عن الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

الدنيا دار الآفات

هذه الدنيا فانية ذاهبة ، هي دار الآفات والبلايا ، ما يصفو لأحد فيها عيش ، لا سيما إذا كان حكيماً . كما قيل : الدنيا لا تقر فيها عينُ حكيم .. عينُ ذاكرِ الموت . من كان السبع بحذائه فاتحاً فمه قريباً إليه كيف يستقر قراره وتنام عينه ؟! يا غافلون! القبر فاتح فمه ، سبع الموت وثعبانه فاتحان فمهما.

✧ ✧ ✧

لا تكن عبد الأَمَّارة بالسوء!

يا قوم .. أنتم تعدون خلف الدنيا حتى تعطيكم ، وهي تعدو خلف أولياء الله حتى تعطيهم ، تقف بين أيديهم ورأسها مطاطئ . اضرب نفسك بصمصامة التوحيد ، والبس لها خوذة التوفيق ، وخذ لها رمح المجاهدة وترس التقوى وسيف اليقين ، فتارة مطاعنة وأخرى مضاربة ؛ لا تزال كذلك حتى تذل لك وتصير راكباً لها ، لجامها بيدك تسافر بها براً وبحراً ، فحينئذٍ يباهي بك ربك عزَّ وجلَّ ، ثم تقدم الذين بقوا مع نفوسهم ولم يتخلصوا منها ، من عرف نفسه وغلبها صارت راحلة له ، تحمل أثقاله ولا تخالفه في أمره ، لا خير فيك حتى تعرف نفسك وتمنعها حظها وتعطيها حقها . لا ترفعوا عصا المجاهدة عن نفوسكم ، لا تغتروا بدواهيها ، لا تغتروا بتناومها ، لا تغتروا بتناوم السبع فإنه يريكم أنه نائم وهو منتظر لفريسة يفترسها . هذه النفس تظهر الطمانينة والذل والتواضع والموافقة في الخير ، وهي تبطن بخلاف ذلك !! . كن على حذر مما يتم منها بعد ذلك .

✧ ✧ ✧

الشرك بالخلق ظلمةٌ فاحذره !

يا غلام! .. متى يصفو قلبك وأنت مشرك بالخلق ؟! وكيف تفلح وأنت في كل ليلة تعين كل من تمضي إليه وتشكو إليه وتكدى منه ؟ كيف يصفو قلبك وهو فارغ من التوحيد ما فيه ذرة منه ؟! . التوحيد نور والشرك بالخلق ظلمة . كيف تفلح وقلبك فارغ من التقوى ما فيه ذرة ؟ أنت محجوب عن الخالق بالخلق ، محجوب بالأسباب عن المسبب ، محجوب بالتوكل على الخلق والثقة بهم ، أنت دعوى مجردة ، باقة بقل ، ما تُعطى بالدعوى بلا بينة ؟! .

✧ ✧ ✧

الصالح يعظ الخلق بكل فن

المحب لله عزَّ وجلَّ العارف يعظ الخلق بكل فن ؛ يعظهم تارة بقوله ، وتارة بفعله ، وتارة بهمته .

✧ ✧ ✧

عليك بخوذة الإيمان!

يا غلام .. عليك بخويصة نفسك عند ضعف إيمانك ، ما عليك من أهلك وجارك وجارتك وأهل بلدك وإقليمك ، فإذا قوي إيمانك ، فابرز إلى أهلك وولدك ثم إلى الخلق ، لا تبرز إليهم إلا بعد أن تتدرع بدرع التقوى ، وتترك على رأس قلبك خوذة الإيمان ، وبيدك سيف التوحيد ، وفي جعبتك سهام إجابة الدعاء ، وتركب حصان التوفيق ، وتتعلم الكر والفر والضرب والطعان ، ثم تحمل على أعداء الحق عزَّ وجلَّ ، فحينئذٍ تجيئك النصرة والمعونة من جهاتك الست ، وتاخذ الخلق من أيدي الشيطان ، وتحملهم إلى باب الحق عزَّ وجلَّ . تامرهم بعمل أهل الجنة وتحذرهم من عمل أهل النار .

✧ ✧ ✧

بقَةٌ تقيم عليك قيامتك!

إذا دعوت الخلق ولست على باب الحق عزَّ وجلَّ كان دعاؤك لهم وبالاً عليك ، كلما تحركت بركت ، كلما خلبت الرفعة اتضعت ، ما عندك من الصالحين خبر ، أنت لقلقة ، أنت لسان بلا جنان ، أنت ظاهر بلا باطن ، جلوة بلا خلوة ، جولة بلا صولة . سيفك من خشب ، وسهامك من كبريت ، أنت جبان لا شجاعة لك ، أدنى سهم يقتلك ، بقة تقيم عليك قيامتك !! .

✧ ✧ ✧

يا غلام .. عش حياة مودِّع

يا غلام .. قصِّر أملك وقلل حرصك ، صلّ صلاة مودع ، لا ينبغي لمؤمن أن ينام إلا ووصيته مكتوبة تحت رأسه ، فإن أيقظه الحق عزَّ وجلَّ في عافية كان مباركاً ، وإلا فيجد أهله وصيته ينتفعون بها بعد موته ويترحمون عليه . يكون أكلك أكل مودع ، ووجودك بين أهلك وجود مودع ، ولقاؤك لإخوانك لقاء مودع.

✧ ✧ ✧

علمك بالمطلوب يهوِّن المبذول

من علم ما يطلب هان عليه ما يبذل من قواه وجهده في طاعة ربه عزَّ وجلَّ ، ما يزال المؤمن في تعب حتى يلقى ربه عزَّ وجلّ .

من ترك الوحي تزندق

الزم ما جاء به الرسول ، وهو الكتاب والسنة ، فإن من تركهما تزندق ومن رقبة الإسلام مرق ، فيكون النار والعقاب موئله آجلاً والمقت له عاجلاً !! .

✧ ✧ ✧

لولا الامتحان لكثرت الدعاوى

لولا الامتحان لكثرت الدعاوى ، من ادعى الحلم نمتحنه بالإغضاب ، ومن ادعى الكرم نمتحنه بالطلب منه ، وكل من ادعى شيئاً نمتحنه بضده ، دعوا عنكم الهوس والزموا التقى في جميع أحوالكم .. اتقوا الشرك في الأصل والمعاصي في الفرع ، ثم تعلقوا بحبل الكتاب والسنة ولا تخلوهما من أيديكم . الحق عزَّ وجلَّ لا يجمع على عبد خوفين ، قد تقدم خوف القوم في الدنيا عند أكلهم وشربهم ولبسهم ونكاحهم وجميع تصرفهم ، تركوا الحرام والشبهة وكثيراً من الحلال خوفاً من حساب ربهم عزَّ وجلَّ وسوء عذابهم ، تورعوا في ماكولهم ومشروبهم وجميع أحوالهم .

✧ ✧ ✧

ويحك .. قميص إسلامك مخرق!

ويحك .. قميص إسلامك مخرق! ، ثوب إيمانك نجس ، أنت عريان ، قلبك جاهل .. صدرك بالإسلام غير مشروح ، باطنك خراب وظاهرك عامر ، صحائفك مسودة ، دنياك التي تحبها عنك راحلة ، والقبر والآخرة مقبلان إليك .

تنبه لأمرك وما تصير إليه عن قريب ، ربما كان موتك اليوم أو في هذه الساعة ، يحال بينك وبين آمالك ، ما تؤمله من الدنيا لا تجده ولا تلحقه ، وما قد أنسيته من الآخرة فهو يلحقك ، الاشتغال بغير الله هوس ، والخوف من غيره والرجاء له هوس ، أحد لا يضرنا ولا ينفعنا غير الله عزَّ وجلَّ ، هو الذي جعل لكل شيء سبباً .

✧ ✧ ✧

أساسك البدع ، وبناؤك الرياء!

يا غلام .. أمرك مبني على غير أساس فلا جرم تقع حيطانك ، أساسك البدع والضلالات ، وبناؤك الرياء والنفاق ، فكيف يثبت لك بناء ؟ ذلك هوى وخبع ، تاكل وتشرب وتنكح وتجمع بالهوى والطبع ، ليس لك نية صالحة في شيء من ذلك ، المؤمن في كل أحواله له نية حسنة في كل أعماله ، لا ياكل ولا يشرب ولا يلبس ولا ينكح إلا بامر الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

إني أراكم تلعبون!

إني أراكم تلعبون بكتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصالحين ، تلعبون بذلك بجهلكم ، لو اتبعتم الكتاب والسنة لرأيتم عجباً ، ما زالوا يصبرون معه على ما يريد حتى أعطاهم ما يريدون ، الفقر والبلاء مع عدم الصبر عقوبة ، ومع وجوده كرامة يتنعم المؤمن في بلائه بقرب ربه عزَّ وجلَّ ومناجاته له .

✧ ✧ ✧

كيف يُطلب جاه من غير الله ؟

ويحك .. كيف تطلب الجاه والمال من هذا الملك وتعتمد عليه في مهماتك ، وهو عن قريب إما معزول أو ميت ؛ يذهب ماله وملكه وجاهه ، وينقل إلى قبره الذي هو بيت الظلمة والوحشة والوحدة والغم والهم والدود ، لا تتكل على من يعزل أو يموت فيخيب رجاؤك وينقطع مددك ، المؤمن ارتفعت همته عن الأرض وعن الدنيا وأبنائها.

✧ ✧ ✧

صارت الملوك والدنيا آلهة!

قد صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة ، قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوى آلهة!! . ويحكم! جعلتم الفرع أصلاً ، المرزوق رازقاً ، المملوك مالكاً ، الفقير غنياً ، العاجز قوياً ، الميت حياً . لا كرامة لكم ، لا نتبعكم ولا نتخذ مذهبكم ، بل نكون ناحية منكم على تل السلامة ، على تل السنة وترك البدعة ، على تل التوحيد والإخلاص وترك الرياء والنفاق ، ورؤية الخلق بعين العجز والضعف والقهر . إذا عظّمتَ جبابرة الدنيا

وفراعنتها وملوكها وأغنياءها ، ونسيت الله عزَّ وجلَّ ولم تعظمه ، فحكمك حكم من عبد الأصنام ، تُصَيِّرُ من عظمت صنمك .

✧ ✧ ✧

صلاح القلب باربعة أشياء

أربعة أشياء منها صلاح القلب :

الأول : النظر في اللقمة .

الثاني : الفراغ للطاعة .

الثالث : صيانة الكرامة .

الرابع : ترك ما يشغلك عن الله .

✧ ✧ ✧

دواء الغفلة والوسواس

أنت إذا قمت إلى الصلاة ، بعت واشتريت ، وأكلت وشربت ونكحت ، بقلبك بوسوستك! .

قيل له : ما دواء ذلك ؟

قال : تصفية لقمتك من الحرام والشبهة ، والدواء الثاني مخالفة النفس فيم تامرك به من ارتكاب المناهي.

✧ ✧ ✧

مصاحبتك الجاهل دليل جهلك

يا بني! إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، ذهب أمس بما فيه شاهد لك وعليك ، وغداً لا تدري تلحقه أو لا . إنما أنت ابن يومك ..

ما أغفلك ؟! علامة غفلتك مصاحبتك الغَفَلة ، يا أحمق من لا يظهر عليه أمارة الحق لماذا تصحبه ؟! ، لِمَ تصحب من أساسه واهٍ ؟! ظاهره نفس باخنه تجلدٌ وتواقحٌ على الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

أربعة ليست من الدنيا!

ليس من الدنيا : بيت يكنك ، ولباس يسترك ، وخبز يشبعك ، وزوجة تسكن إليها .

الحياة الدنيا : الإقبال على الخلق والإدبار عن الحق .

✧ ✧ ✧

يا قوم .. الإسلام يبكي ويستغيث!

يا قوم .. الإسلام يبكي ويستغيث! يده في رأسه من هؤلاء الفجار ، من هؤلاء الفساق ، من هؤلاء الظَّلمة ، من اللابسين ثياب الزور ، من المدعين ما ليس فيهم .

✧ ✧ ✧

مل اعلمْ .. اعمل .. علِّم

تعلَم واعمل وعلِّم .. فإن ذلك مجمع لك الخير باسره . إذا سمعت كلمة من العلم وعملت بها وعلمتها غيرك كان لك ثوابان : ثواب العلم وثواب التعليم . الدنيا ظلمة والعلم نور فيها ، فمن لا علم له فهو يتخبط في هذه الظلمة ويفسد أكثر مما يُصلح .

اعلمْ .. اعمل .. علِّم

تعلَم واعمل وعلِّم .. فإن ذلك مجمع لك الخير باسره . إذا سمعت كلمة من العلم وعملت بها وعلمتها غيرك كان لك ثوابان : ثواب العلم وثواب التعليم . الدنيا ظلمة والعلم نور فيها ، فمن لا علم له فهو يتخبط في هذه الظلمة ويفسد أكثر مما يُصلح .

قائمة باهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

(أ) المخطوطات

1- الالوسي، شهاب الدين أبو الثناء (ت1270هـ/1854م) ، الطراز المذهب في شرح الباز الاشهب، مخطوط في المكتبه القادرية، رقم.1405

2-الإمام الشطنوفي، علي بن يوسف (ت713هـ/1313م)، بهجة الأسرار ، مخطوخة المكتبة القادرية تحت الرقم .1560

3- الإمـام الشـطنوفي، علـي بـن يوسـف(ت713هـ/1313م)، بهجـة الأسـرار، مخطوخـة دار المخطوخات تحت الرقم .3216

4-النـووي، يحـي بـن شـرف (ت676هـ/277م)، بسـتان العـارفين، مخطـوط في المكتبـه القادرية، رقم.932

5-الهـروي، علـي بـن سـلطان القـاري(ت1014هـ/1605م)، (مـن علمـاء الدولـة العثمانيـة)، نزهة الخاخر في ترجمة الإمام عبد القادر، مخطوخة المكتبة القادرية تحت رقم .724

6- الكيلانـي (1944-)، فـالح نصـيف الحجيـة الكيلانـي، شـرح ديـوان السـيد الإمـام عبـد القـادر الجيلي ، مخطوخة عند المؤلف .726

7-القادري (؟)، ظهير الدين ، الفتح المبين ، مخطوط محي هلال السرحان.

8- مؤلف مجهول (؟)، انساب الطالبيين ، مخطوط سالم الالوسي.

9-قطـب الـدين موسـى بـن محمـد اليـونيني (هـج726)، مناقـب الإمـام عبـد القـادر ، مكتبـة (الاسكوريال) باسبانيا المحفوظة تحت الرقم (417/2) ، مصورة الدكتور محي هلال السرحان.

10- العمري، ابو الحسن ()، المجدي في النسب ، مخطوط مكتبة الاسكندرية رقم 3742 .

11- الكيلانـي ()، عـلاء الـدين ، تحفـة الابـرار ولوامـع الابـرار ، مخطوخـة جامعـة برنسـتون ، مصورة السيد عبدالستار هاشم سعيد الكيلاني (لواء مهندس متقاعد)

12- ابـن الـوردي (ت 749هـج)، مخطـوط خريـدة العجائـب وفريـدة الغرائـب ، نسـخة سـالم الالوسي .

13- جـواد، مصـطفى (1996-)، اصـول التـاريخ والادب ، مخطوخـة في 24 مجلـد و أغلبهـا نقـولات مـن مخطوخـات نـادرة ، لـدى ولـده جـواد مصـطفى جـواد ، ومخطوخـة مختصـر الانسـاب وهـي ملـك الـدكتور حسـين علـي محفـوظ . وكتابـه ، في الـتراث العربـي ، تحقيـق : محمـد جميـل شـلش وعبـد الحميد العلوجي ، منشوراة وزارة الاعلام ، بغداد ، 1977

.14- ابـن الجـوزي (ت597 هـ/1201 م) ، درر الجـواهر مـن كـلام الإمـام عبـد القـادر ، مخطوخـة نـادرة في بضـع صـفحات عنـد العلامـة سـالم الالوسـي ، ص3، وذكـر هـذا الكتـاب ووثقـه ،

التادفي في قلائد الجواهر ، ص21ويوسف زيدان في تحقيقه للديوان ، ص41 ، ودرر العقود ، مخطوط الاسكوريال ، رقم8/582 الورقة 981 مصورة سالم الالوسي .

15- اليافعي ، ابن اسعد ت(768هـج)، خلاصة المفاخر في مناقب الإمام عبد القادر ، مخطوط جامعة برنستون ، مصورة السيدعبد الستار هاشم سعيد الكيلاني.

16- البغدادي ، عباس ()، نيل المراد في تاريخ اهل بغداد ، مخطوط فريد فرغ منه مؤلفه في شعبان سنة1333ه ، مخطوخة محي هلال السرحان .

(ب) المصادرالعربية

1- ابن الأثير، محي الدين المبارك بن محمد الجزري، (ت:630هـ /1208م) ، الكامل في التاريخ، ج9 ، دار صادر، بيروت، 1975.

2- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (ت 930هـ/1523م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار الكتب، القاهرة، 1952.

3- ابن تغرى بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

4- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (ت 768 هـ/1327 م)، الفتاوى، المكتبة السلفية، الرياض، 1960.

5- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت833هـ/1429م)، غاية النهاية ، ج1، القاهرة، 1932.

6- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597 هـ/1201 م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1، مطبعة حيدر آباد، دائرة المعارف الأسلامي، 1969.

7- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني(ت853 هـ/1449م)، الدرر الكامنة، ج3، مطبعة حيدر آباد ، الهند، 1929.

8- ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي(456هـ/1604م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1967.

9- ابن خلكان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1972.

10- ابن الدبيثي، محمد بن سعيد بن محمد(ت637هـ/1239م)، المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد ، انتقاء الذهبي، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، 1952.

11- ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي (ت795هـ/1392م) ، الذيل على طبقات الحنابلة، ج1-2 ، مطبعة الحلبي، القاهرة ، 1952.

12- ابن الصابوني، جمال الدين(ت680هـ/ 1283م)، تكملة إكمال الإكمال، تحقيق، مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، 1957.

13- ابن عربي، محي الدين(ت638هـ/1240م)، الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحي، ج6، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994.

14- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحق الحنبلي(ت1089 هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج4-5 ، مكتبة المقدسي، القاهرة ، 1929.

15- ابن الكازروني، ظهيرالدين علي بن محمد(ت697هـ/1297م)، مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، 1970.

16- ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء (774هـ/1372م)،

أ- البداية والنهاية ، ج6، مطبعة السعادة، مصر، 1968.

. ب- تفسير القرآن العظيم، ج13، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1972.

17- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك أيوب الحميدي(ت218هـ/ 820م)، السيرة النبوية، ج3، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1966.

18- أبـو شـامة، شـهاب الـدين أبـو محمـد عبـد الـرحمن (ت665هـ/1269م)، الروضـتين في أخبار الدولتين، المؤسسة المصرية للتاليف والنشر، القاهرة، 1962.

19- البغـــدادي، ابـــو الفـــرج عبـــد الـــرحمن بـــن شـــهاب الـــدين أحمـــد يـــن رجـــب الحنبلي(ت795هـ/1392م)، ذيل خبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1952.

20- البغـدادي، أبـو منصـور عبـد القـاهر بـن خـاهر(ت429هـ/1031م)، الفـرق بـين المـذاهب، دار الجيل، بيروت، 1965.

21- التـادفي، محمـد بـن عيسـى، (ت963هـ/1465م)، قلائـد الجـواهر في مناقـب عبـد القـادر، دار الباز، فلوريدا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1998.

22- التنـوخي، ابـو علـي المحسـن بـن علـي(384هـ/994م)، الفـرج بعـد الشـدة، دار صـادر، بيروت، 1978.

23- الجيلـي ، محـي الـدين أبـو محمـد عبـد القـادر بـن أبـي صـالح موسـى بـن عبـد الله(ت561هـ/1262م).

ا- فتوح الغيب، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1960.

ب-الغنية لطالبي خريق الحق، تحقيق فرج توفيق الوليد، ج3، دار الفكر، بيروت، 1995

ج- الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار الجميل، المانيا، 1997.

د-تفسير الجيلي ، باعتناء فاضل جيلاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2007.

ذ- الجيلـي ، عبـد القـادر، ديـوان عبـد القـادر الجيلـي ، تحقيـق يوسـف زيـدان، دار الجيـل، بـيروت، 1983.

24- حـاجي خليفـة، مصـطفى بـن عبـد الله(ت1067هـ/1656م)، كشـف الظنـون، مكتبـة إسماعيليان، خهران، 1947.

25- الحمـوي، يـاقوت ، شـهاب الـدين ابـو عبـد الله يـاقوت بـن عبـد الله البغـدادي، (ت626هـ/1229م)، معجم البلدان، ج5، بيروت، 1956.

26- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م).

أ- سير أعلام النبلاء، ج13، 12، دار الرسالة للطباعة، بيروت، ط4، 1986.

ب- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، وزارة الأرشاد، الكويت، 1963.

ج- المختصر المحتاج اليه، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المعارف، بغداد، 1951.

27- الزبيدي، محمد مرتضى، (ت 1205 هـ/1790م) .

أ- تاج العروس في شرح جواهر القاموس، مطبعة الكويت، الكويت ، 1980.

ب- إتحاف السعادة للمتقين في شرح إحياء علوم الدين، ج1، المطبعة الملكية، المغرب، 1936.

28- سبط ابن الجوزي، يوسف(ت654هـ/1256م)، مرآة الزمان، مطبعة حيدر آباد، الهند، 1936.

29_ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ /1369م)، طبقات الشافعية، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1965.

30- السهروردي، عمر بن محمد بن عبد الله البكري(ت632هـ /1134م) ، عوارف المعارف، دار الكتاب العربي للطباعة، بيروت ، 1966.

31- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ /1505م) .

ا- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1934.

ب- حسن المحاضرة ، ج1، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1900.

32- السمعاني، عبد الكريم بن محمد ، (506هـ/1880م)، كتاب الانساب ، تحقيق مرجليوث، مطبعة بريل، ليدن، 1912.

33- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت1250هـ/ 1834م)، البدر الطالع، ج1، دار الكتب للطباعة، القاهرة، 1946.

34- الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير، (ت310هـ/912م) .

أ-جامع البيان في تاويل آي القرآن، ج5، تحقيق محمد احمد شاكر ، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1978.

ب- تاريخ الأمم والملوك، ج5-1 ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ج4-5 دار المعارف للطباعة، القاهرة، 1978.

35- الشطنوفي، علي بن يوسف(ت713هـ/1313م)، بهجة الاسرار، تحقيق ، جمال الدين فالح الكيلاني ، مطبعة الحكومة ، الجزائر، 2011.

36- القادري، ابو الظفر ظهير الدين، (ت.م)، الفتح المبين ، المطبعة المركزية، القاهرة، 1888 .

37- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري، (ت671هـ /1272م) ، الجامع لأحكام القرءن، ج5، دار احياء التراث العربي ، بيروت، 1985.

38- القرطبي، عريب ابن سعيد، (ت369هـ/971م) ، صلة تاريخ الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار المعارف للطباعة ، القاهرة، 1971.

39 - الكتبي، محمد بن شاكر (ت764هـ/1362م).

أ- فوات الوفيات، ج2-1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية للطباعة، القاهرة، 1954.

ب- عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشد للطباعة، بغداد، 1983.

40- محمد فؤاد عبد الباقي ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان(البخاري ومسلم)، ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.

(ج) قائمة المراجع

1- إبراهيم، حبيب جميل، تاريخ متصوفة بغداد، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، 1988.

2- إقبال، محمد، ديوان إقبال، دار الصحابة للطبع، باكستان، 1996.

3- جـواد، مصـطفى ، و أحمـد سوسـة، خارطةبغـداد، مطبعـة المجمـع العلمـي العراقـي، بغـداد، 1959.

4- الجيلي ، عبدالرزاق ، الإمام عبد القادر الجيلي ، دار القلم بيروت، 1983.

5- الجيلـي ، ماجـد، هكـذا ظهـر صـلاح الـدين، المعهـد العـالي الاسـلامي، الولايـات المتحـدة الامريكية، 1996.

6- حســن، حســن إبــراهيم، تــاريخ الأســلام السياســي، ج4، مكتبــة النهضــة المصــرية، القــاهرة، 1986.

7- الخضري، الإمام محمد، الدولة العباسية، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1993.

8- رؤوف، عماد عبد السلام.

ا-الآثار الخطية في المكتبة القادرية، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1971.

ب-مدارس بغداد ، بغداد ، 1985.

ج-معالم بغداد في العصور المتاخرة، بغداد ، 2002.

9- زامبـاور، معجـم الأنسـاب والأسـر الحاكمـة في التـاريخ الإسـلامي ، ترجمـة زكـي محمـد حسـن، مطبعة فؤاد الأول، القاهرة ، 1951.

10- الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج5، مطبعة النهضة، القاهرة ، 1949.

11- السـامرائي، عبـدالله سـلوم، عبـد القـادر الجيلـي قطـب الاوليـاء، مخطـوط مصـور لـدى الإمام عفيف الدين الكيلاني.

12- السـامرائي، يـونس بـن ابـراهيم، الإمـام عبـد القـادر الجيلـي ، حياتـه و آثـاره، مكتبـة الشـرق الجديد للطباعة، بغداد، 1988.

13- الشرقاوي، حسن، معجم الفاظ الصوفية، دار مختار للنشر، القاهرة ، 1987.

14- شـعبان، محمـد عبـد الحـي محمـد، التـاريخ الإسـلامي : تفسـير جديـد ، دار الأهليـة للنشـر، بيروت، 1983.

15- شوقي، ضيف، العصر الاسلامي، الكويت، 1995.

16- عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر في عهد المماليك، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1966.

17- عطيــة الله، احمــد، القــاموس الاســلامي، ج1، 2، 3، دار مكتبــة النهضــة للطباعــة، القاهرة، 1976.

18- عفيفي، ابو العلا، التصوف والثورة الروحية في الإسلام، دار جامعيون ، مصر، 1997.

19- عنــان، محمــد عبــد الله، المعــارك الحاسمــة في التــاريخ، مكتبــة النهضــة المصــرية، القــاهرة، 1953.

20- عمر ، فاروق ، الدولة العباسية ، دار الشروق ، الاردن ، 2000.

21- اللامي ، علاء ، السرخان المقدس ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، 2004.

22- المــدرس، عبــد الكــريم، مواهــب الــرحمن في تفســير القــرآن، ج5، دار الحريــة للطباعــة، بغــداد، 1997.

23- المودودي، ابو الاعلى، تفسير سورة النور، المكتبة الاسلامية، القاهرة، 1958.

24- النجار، محمد رجب، حكايات الشطار والعيارين، عالم المعرفه، الكويت ، 1981.

25-شــابي، بروفســورة جــاكلين، (1998). عبــد القــادر الجيلــي بــين الحقيقــة التاريخيــة و الأســطورة الأدبيــة (ترجمــة الــدكتور حســن ســحلول)، مجلــة الــتراث العربــي، مجلــة فصــلية تصــدر عــن اتحــاد الكتــاب العــرب، الســنة (18) كــانون الثــاني (70)، دمشــق. نســخة الكترونيــة طبعــت بتــاريخ 14 / 9 / 2004.

26- محمــد اركــون، الفكــر الاســلامي ؛نقــد واجتهــاد ، ترجمــة هاشــم صــالح ؛دار الســاقي، بــيروت، 2009.

27- جعيط ، هشام، في السيرة النبوية، دار الطليعة ، بيروت، 1990.

28-الخيون ، رشيد ، الاديان والمذاهب في العراق ، دار الجمل ، المانيا ، 2004.

29- جــواد، الــدكتور مصــطفى، سوســة، الــدكتور احمــد (1958). دليــل خارطــة بغــداد المفصــل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، المجمع العلمي العراقي، بغداد

(د) الرسائل الجامعية

1-التـل، عمرسـليم عبـد القـادر، متصـوفة بغـداد في القـرن السـادس الهجـري، رسـالة ماجسـتير، الجامعه الاردنية، 2009.

2- سـهيل، جعفـر صـادق ، عبـد القـادر الجيلـي ومذهبـه الصـوفي، رسـالة ماجسـتير، كليـة دار العلوم، جامعة القاهرة، 1975.

3- القحطـاني، سـعيد، الإمـام عبـد القـادر الكيلانـي وآرائـه الاعتقاديـة والصـوفية، اخروحـة دكتـوراه ، كلية الدعوة، جامعة أم القرى، الرياض، 1997.

4-المهـداوي ، ايمـان كمـال مصـطفى، عبـد القـادر الجيلـي اديبـا، رسـالة مجاجسـتير، كليـة التربيـة ابـن رشد، جامعة بغداد، 1996.

5-عليـوي ، جعفـر موسـى، عبدالقـدرالجيلي والتصـوف ، اخروحـة دكتـوراة ، كليـة الاداب جامعـة بغداد2002.

6-البلاخـي ، علـي محمـود علـي ، الـدر الفـاخرفي ترجمـة الإمـام عبـد القـادر ، دراسـة وتحقيـق ، علـي محمـود علـي البلاخـي، رسـالة ماجسـتير، معهـد التـاريخ للدراسـات العليـا 1999(نسـخة البلاخـي الشخصية).

7-ماجد عرسان الكيلاني، نشاة القادرية، رسالة ماجستير، جامعة بيروت العربية، 1996.

سيرة الباحث : جمال الدين فالح الكيلاني

بقلم أ.د.إبراهيم خليل العلاف

أستاذ التاريخ الحديث –جامعة الموصل

صديق عزيز ، أتابع منذ فترة طويلة ، نشاطاته العلمية، ولي معه علاقة تبادل علمي .... هو جمال الدين بن فالح بن نصيف بن جاسم بن أحمد الحجية بن عبد الكريم بن عبد الرحيم بن خميس بن ولي الدين محمد بن عثمان بن يحيى بن حسام الدين بن نور الدين بن ولي الدين بن زين الدين الكبير بن شمس الدين بن شرف الدين بن محمد الهتاك بن عبدالعزيز بن الباز الاشهب الإمام عبدالقادر الجيلي بن ابي صالح موسى بن عبدالله الجيلي بن يحيى الزاهد بن محمد المدني بن داود امير مكة بن موسى الثاني بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن اسدالله الغالب علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم اجمعين،من الأسرة الكيلانية، ذرية الإمام عبدالقادر الجيلي....

من مواليد 1972، ومنذ طفولته أولع بحب التاريخ ،و قراءة الكتب المتنوعة ،تاثر بوالده الأستاذ فالح الحجية الكيلاني –الأديب والشاعر،وأخذ عنه حب الأدب والمعرفة وتذوق الشعر،وبحكم نشاته في الخالص وعلاقة القرابة التي تربطه بالعلامة سالم عبود الالوسي ،تعرف بالعلامة مصطفى جواد وتراثه ،واهتم منذ بواكير حياته العلمية بالتراث القادري والذي بات تخصصه الدقيق،ويعد نفسه من تلاميذ الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ومدرسته التاريخية،مارس التدريس في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي ، كما حاضر في جامعة بغداد والجامعة المستنصرية واتحاد المؤرخين العرب وجامعات القادسية والبصرة وواسط حصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من كلية التربية -ابن رشد -جامعة بغداد . كما نال شهادة (دبلوم)في اللغة الانكليزية من معهد المعلمين . لم يقف عند هذا الحد ، بل غذ السير ، وأكمل دراسته وحصل على شهادة (دكتوراه) فلسفة في التاريخ الإسلامي. ولحبه التاريخ والدراسات التاريخية انتمى إلى "معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا التابع لاتحاد المؤرخين العرب ببغداد"، وحصل على شهادة ماجستير آداب في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية. حصل على لقب "باحث علمي" من مركز دراسات التاريخ والوثائق والمخطوطات سنة ١٩٩٨

.والـدكتور الكيلانـي عضـو اتحـاد المـؤرخين العـرب 1996وعضـو الهيئـة العربيـة لكتابـة تـاريخ الانسـاب1998 وعضـو جمعيـة المـؤرخين والاثـاريين في العـراق1995 وعضـو (شـرف) لجنـة الدراسـات القادرية المغرب1997.

مشـرف مركـز دراسـات الإمـام عبـد القـادر الجيلانـي المتخصـص بـالتراث والتـاريخ والأنسـاب القادريـة 2011 . كـرم بالعديـد مـن الشـهادات التقديريـة مـن المجمـع العلمـي العراقـي1996 والهيئـة العربيـة لكتابة تاريخ الأنساب 2000 ،والهيئة العامة للاثار1997 وجامعة بغداد1999 وغيرها .

اهـتم بتـاريخ الأنسـاب وشـغل نفسـه بهـذا اللـون المهـم مـن الدراسـات الـتي تحتـاج إلى معرفـة بامور كـثيرة .وقـد أجيـز في مجـال دراسـة وتـدقيق الأنسـاب مـن ثلـة مـن الأسـاتذة العـراقيين المعـروفين أمثـال الـدكتور عمـاد عبدالسـلام رؤوف والأسـتاذ سـالم عبـود الالوسـي والأسـتاذ اللـواء احمـد خضـر العباسـي والأسـتاذ الإمـام خليـل الـدليمي والأسـتاذ جمـال الـراوي ، ويفخـر بانـه حضـر دروس للعلمـاء الأعـلام كـل مـن الإمـام العلامـة عبـد الكـريم محمـد المـدرس-مفـتي الـديار العراقيـة-والعلامـة الـدكتور حسـين علـي محفـوظ والعلامـة الـدكتور علـي الـوردي و العلامـة الـدكتور حسـين أمـين-والعلامـة صـالح احمـد العلـي والعلامـة عبد الرزاق الحسني وغيرهم

كما أن لديه العديد من البحوث والدراسات والكتب .من كتبه المنشورة

كتـاب الإمـام عبـد القـادر الجيلانـي -تفسـير جديـد مراجعـة الأسـتاذ الشـاعر فـالح الحجيـة الكيلانـي ،مكتبـة المصطفى ، القاهرة ،2009.

كتـاب الإمـام عبـد القـادر الكيلانـي رؤيـة تاريخيـة معاصـرة تقـديم الـدكتور عمـاد عبـد السـلام رؤوف ،مؤسسـة مصـر مرتضـى للكتـاب العراقـي – بغـداد 2011. وهـو بالاصـل رسـالة باشـراف الـدكتورة لقـاء الطائي والدكتور رؤوف

وكتـاب " بهجـة الأسـرار ومعـدن الأنـوار للشـطنوفي , دراسـة وتحقيـق " ،تقـديم الـدكتور حسـين أمـين شيخ المؤرخين –نشر على نفقة السيد احمد الكيلاني ،الجزائر2011 .

وكتاب " أصول التاريخ الإسلامي " ،مراجعة الدكتور حسين علي محفوظ (مخطوط) 1999.

وكتـاب " تنقيحـات دراسـة تحليليـة لنسـب الإمـام عبـدالقادر الجيلانـي" ، مراجعـة الـدكتور عبـد القـادر المعاضيدي (نشر محدود) منه نسخة محفوظة في المكتبة القادرية1996.

وكتاب" دراسات في التاريخ الأوربي" ، تقديم الدكتوركمال مظهر احمد (معد للنشر) وكتاب ،الرحلات والرحالة في العصر العباسي : دراسة تاريخية وهو بالأصل أخروحته للدكتوراة (معد للنشر) ،. وكتاب التاريخ العثماني تفسير جديد تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

وكتاب التاريخ الاسلامي رؤية معاصرة تقديم الدكتور صالح احمد العلي وكتاب الاستشراق وكتاب المدخل في تاريخ الفلسفة الاسلامية وغيرها .

ومن بحوثه ودراساته :

عرض كتاب الإمام عبد القادر الجيلاني - تفسير جديد في مجلة فكر حر 2009.

وعرض مخطوخة مهجة البهجة ومحجة اللهجة (كتاب) منشورة في جريدة الصباح 2005.ومقالة مصطفى جواد ومخطوخة نادرة عن الكيلاني جريدة الصباح 2006.

ومقالة رشيد عالي الكيلاني ابن ديالى المشورة في جريدة العراق 2002.ومقالة المقدادية أصل التسمية المنشورة في جريدة العراق 2002.

ومقالة" الشرق الأوسط واصل التسمية" المنشورة في مجلة كلية الاداب جامعة عين شمس 2009.ومقالة عن " براغماتية السيد عبد الرحمن الكيلاني النقيب "،مجلة فكر حر2009.

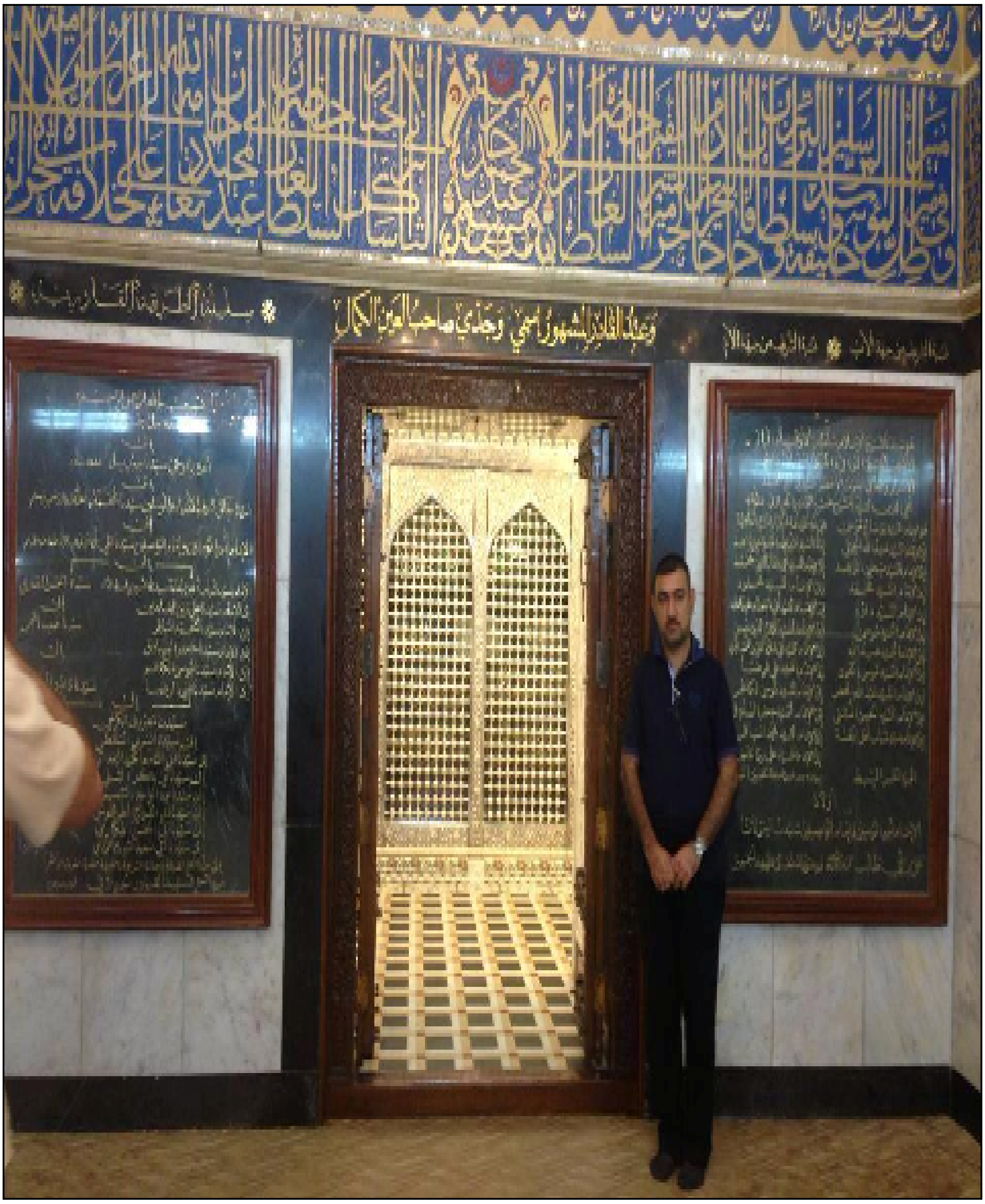
مقالة عن "الإمام عبدالقادر الكيلاني: جيلان العراق لا جيلان خبرستان،مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس 2009.وتفسير الجيلاني – دراسة في نسبة التفسير للمؤلف، مجلة رؤى 2010. و"المؤرخ هشام جعيط – دراسة في رؤيته للسيرة النبوية " ، مجلة رؤى 2010 .

هذا فضلا عن عشرات المقالات المنشورة على شبكة الانترنت وضمن مواقع كثيرة ومن الموضوعات التي كتبها موضوعات ،عن عصر الرسالة وعصور الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين والعصر الحديث والمعاصر والشخصيات العربية والإسلامية وبعض الشخصيات الغربية ،مثل مقالات تدور حول الإمام عبد القادر الجيلاني وذريته في العالم ،وأهمية ثورة الحسين في التاريخ العربي الإسلامي، و إبان بن عثمان المؤرخ المبكر،والإمام الغزالي، والإمام الرفاعي، والإمام أبو مدين ،والإمام البخاري ،والإمام ابن تيمية وقوميته، والشريف البعقوبي،الامين والمامون والميكافلية ،والطريقة القادرية المبكرة ،و معنى الباز الاشهب،و التراث الصوفي – دراسة أولية والإمام أبو إدريس البعقوبي، والمغول، وجنكيز خان، وهولاكو خان، وتيمورلنك، والدولة الفاخمية وخلفاءها، وبغداد، وسمرقند، وكابول، ودلهي، والمقدادية أصل التسمية، والناصرية العراقية، والصويرة العراقية، والعزيزية العراقية، وال بابان، وال السعدون، ومحمد الفاتح ،وسليمان القانوني ،ومراد الرابع، وعبد الحميد

الثـاني، والشـرق الأوسـط ،والمكنـا كارتـا، وعبـد القـادر الجزائـري، وجمـال الـدين الافغـاني ،وعبـد الكـريم قاسـم ،والحبـوبي الشـاعر والإمـام، والسـيد محمـد بـاقر الصـدر، والمـؤرخ الـدروبي وجهـوده في تـدوين تـاريخ الأسـرة القادريـة في العهـد العثمـاني، والرينسـانس ،ومترنـيخ، وبسـمارك، وهتلـر، وميكـافللي والميكافليـة، وونسـتون تشرشـل، وجـان جـاك روسـو ،والثـورة الفرنسـية، ولـويس الرابـع عشـر ،ولـويس السـادس عشـر، ومـاري انطوانيـت ،ونـابليون الأول ،ونـابليون الثالـث، وقـراءة في كتـاب-لينين-خطـوة إلى الإمـام خطوتـان إلى الـوراء، وتلخـيص كتـاب قصـة الفلسـفة للمـؤرخ ويـل ديورانـت، وتـاج محـل ،والأزهـر، والقـرويين، وبـدر شـاكر السـياب، و" الصـراع السياسـي والـديني في الـيمن قبـل الإسـلام -نجـران نموذجـا . "درس التـاريخ علـى أيـدي العديـد مـن أسـاتذة التـاريخ في العـراق مـنهم الأسـاتذة الـدكاترة عمـاد عبـد السـلام رؤوف وكمـال مظهـر احمـد وفـاروق عمـر ,وعبـدالرزاق الانبـاري وعبـد القـادر المعاضـيدي وخاشـع المعاضـيدي وعبـد القـادر الشـيخلي وجعفـر عبـاس حميـدي ويقظـان سـعدون العـامر وحمـدان الكبيسـي وقحطـان عبـد السـتار الحـديثي وهاشـم يحيـى المـلاح وعبـد الامـير العكـام وصـادق ياسـين الحلـو ومفيـد كاصـد الزيـدي ومحمـد احمـد الشـحاذ وعبـد الامـير دكسـن وعبـد الجبـار نـاجي وفـاروق عبـاس وهيـب وخضـير الجميلـي وخـارق نـافع الحمـداني ومحمـد جاسـم المشـهداني ومحمـد يـاقر الحسـيني ومـزاحم علي عشيش البعاج وناهض عبدالرزاق القيسي ومحي هلال السرحان .

مـن آراءه" أن التـاريخ لايعـرف اليـوم والأمـس والغـد وإنمـا هـو نهـر الحيـاة يمضـي الى الاجـل المضـروب الـذي قـدره عـلام الغيـوب، فالتـاريخ كلـه تـاريخ معاصـر ،نعـم لـه تقسـيمات علميـة، ولكنـه يعـيش معنـا ويهمنـا وعلينـا أن نسـتفاد منـه في حياتنـا كلـها ويسـتند في هـذا الـرأي علـى أن اسـتقراء التـاريخ خـير مـن التجـارب ،وان اختيـار سـنة بعينهـا أو حـدث بذاتـه لتحديـد نهايـة عصـر مـن عصـور التـاريخ أو بدايـة عصـر آخـر ،يبـدو ، امـرا بعيـدا عـن الحقيقـة والواقـع لان التطـور التـاريخي يمتـاز دائمـا بالتـدرج والاسـتمرار وتـداخل حلقاتـه بعضـها بـبعض ، وان وقـائع التـاريخ الكـبرى عائمـات جليـد خرفهـا ظـاهر فـوق المـاء ، وكتلتهـا الرئيسـية تحـت سـطحه ومـن يريـد استكشـافها عليـه أن يغـوص في الأعمـاق،والفرق بيننـا وبـين الغـرب اننـا نعـيش في التـاريخ فقـط وهـم يفهمونـه ويسـتغلونه لتحقيـق مصـالحهم،و التـاريخ هـو خريـق الإنسـانية الى الحضـارة، لأنـه ضـوء يـنير الماضـي لرؤيـة الحاضـر و المسـتقبل ، فجـذور أنظمتنـا السياسـية ،والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية ،تمتد عميقا في تربة الأجيال الماضية.".

هذا وتم تنسيق الكتاب واعادة نظمه بجانب مرقد الغوث سيدي أبي مدين شعيب دفين تلمسان المحروسة الجزائر على يد العبد الفقير الحقير مورد العجز والتقصير أبو أويس نصرالدين أجدير التلمساني حقق الله له الأماني في دار التهاني



الباحث/ جمال الدين فالح الكيلاني في حضرة جده الباز الأشهب قدس الله سره ..

دكتور جمال الدين فالح الكيلاني

ثورة الروح

قراءة معاصرة في فلسفة التصوف عند الامام عبد القادر الجيلاني



تقديم

د.عرفان عبد الحميد فتاح

د.عماد عبد السلام رؤوف

د.نصر الدين أجدير

ثورة الروح

قراءة معاصرة في فلسفة التصوف عند
الامام عبد القادر الجيلاني

الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

ثورة الروح

قراءة معاصرة في فلسفة التصوف عند الامام عبد القادر الجيلاني

تقديم

د.عرفان عبد الحميد فتاح   د.عماد عبد السلام رؤوف

د.نصر الدين أجدير

اسم الكتاب : ثورة الروح
تأليف : د/ جمال الدين فالح الكيلاني
تقديم : د/ عرفان عبدالحميد فتاح
: د/ أجدير نصرالدين _ تلمسان
الناشر : دار الزنبقة _ القاهرة
الطبعة الثانية ٢٠١٩
البريد الالكتروني: E-mail : unecriv@net.sy
الانترنيت : Internet : aru@net.sy
تصنيف الكتاب : م.م.ت.ث.ع 110-2014

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾

- سورة الكهف، الآية: ٦٦.

الإهداء

سيدي

استميحك عذراً في أن أُقَبل يديك الطاهرتين قبل كل شيء وقبل ما اشرع بكتابة هذه السطور...

"جمال الدين"

"إذا كنت مثل القشة لا مبدأ لك تميل مع كلّ نسمة فإنّك لن تعدّل قشّةً حتى ولو صرت جبلاً .. فالمرحلة المأزومة تدلّ على فرسانها من المدّعين المنافقين والمهتزّين مع كلّ ريح".

"جلال الدين الرومي"

شكر وتقدير

بعد أن أنعم الله عليَّ بهذا الجهد المتواضع ، أتقدَّم بوافر الشكر إلى الأستاذ الدكتور

عرفان عبدالحميد فتاح "رح" ، لتفضّله بكتابة تقديم الدراسة ،

والشكر موصول لاستاذي الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف لمراجعته لها ، و لجهوده في

ترصين مادة الدراسة ،فجزاه الله خير الجزاء على حسن صنيعه .

و أسجِّلُ خالص تقديري للدكتورين "محي هلال السرحان" و "سالم الألوسي"

،لنصائحهما العلمية البناءة من فيض خبرتهما .

و إلى الدكتورين بشار عواد معروف ،الذي اطَّلع على المحاولات المبكرة للدراسة وقوَّمها

و زياد حمد الصميدعي ، الذي اطلع على النسخة الاخيرة وراجعها ،

والى الدكتور ماجد عرسان الكيلاني ، لاطلاعه على مسودة الدراسة وملاحظاته

السديدة .

والى الدكتور نصر الدين أجدير على جهده المبذول في تنقيح الكتاب .

وإلى كل راغب في الوصول وبلوغ الحقيقة

الاختصارات و الرموز

ترمز الحروف والكلمات التالية إلى ما يقابلها أينما وردت في الدراسة:

ص:	صفحة
ج:	جزء
ق:	قسم
ع:	عدد
ت:	توفي
هـ:	هجري
م:	ميلادي
ط:	طبعة
د. ط:	دون طبعة
د. ت:	دون تاريخ نشر
د. م:	دون مكان نشر
د. ن:	دون ناشر

من أعظم مهارات الإلقاء والتأثير
قول الباز الأشهب الشيخ عبدالقادر الجيلي قدس الله روحه
(ت: ٥٦١هـ)

"كن (صحيحاً) في السّر
تكن (فصيحاً) في العلانية"

وكم من داعية مؤثر يقول للناس:
يا عبد... ربك ربك ربك
فيتأثرون

لأنه طول ليله يقول لوحده:
يا رب... عبدك عبدك عبدك

فسر النجاح
النجاح في السر!

كلمة الدكتور/ عماد عبدالسلام رؤوف

أخي الأعز، الاحب، الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني، زاده الله جمالاً وفلاحاً السلام وعليكم ورحمة الله وبركاته

تسلمت بيد السرور (ثورة الروح) فشرعت بقراءته قراءة تأن وتأمل، ورأيت أن الكتاب يمثل ذروة ما ابدعه يراعكم، فكرة ، وصياغة، وأسلوباً، وبصراحة شديدة، فقد فاجأني بل بهرني، فقد كنت أؤمن دائماً، واظن أني حدثتكم بهذا من قبل، أن فكر السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني لما يزل فيه متسع لكثير من الإحاطة، ومن العمق لكثير من الغوص، وأراكم اليوم قد وفقتم في الأمرين معاً، فبارك الله فيكم، وإلى مزيد من العطاء النافع إن شاء الله تعالى.

الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف
أربيل

مقدمة بقلم الاستاذ الدكتور عرفان عبدالحميد فتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث عن مفهوم التصوّف الإسلاميّ يقتضي منا الحديث عن جذره اللغويّ، وتأصيله من الناحية التاريخيّة، وتتبع مساراته، ودراسة مضمون الإنتاج المعرفيّ لهذا الاتجاه في حقل المعرفة الإسلاميّة، كما يقتضي التنقيب عن مضامينه الروحيّة والعقليّة، وتتبع مدى أصالة انتمائه إلى حقل العلوم والمعارف الشرعيّة، ومدى علميّة ما يطرحه المتصوفة من رؤى عن الله عز وجل، ثم عن الكون والحياة والإنسان، وتحليل المنهج الصوفيّ في المعرفة والتلقي، مع مراعاة أدوات المعرفة الصوفيّة وموقع العقل والبداهة منها، وقبل ذلك تعاملها مع الوحي كمصدر مركزيّ للمعرفة، ودور العقل في التعامل مع المعطيات والحقائق، واستكناه حقيقة القول بأولويّة المعرفة اللدنّية، أو الذاتيّة، والتجربة، والتذوق في الوصول إلى الحقيقة، ومدى قابليّة هذا المنهج الصوفيّ –إن صح تسميته منهجًا- للتعميم، ليكون عامًا للناس كلهم، وسبيلا موصلاً ومفضلاً على العقل والبرهان. ومن هذا الوجه، فالتصوّف من حيث هو ظاهرة سلوكيّة وعباديّة، وتطهير للنفس الإنسانيّة وتأمل وفكر في الوجود، أصيل في الإسلام. فالتربية الروحيّة في المجتمع الإنسانيّ وصياغة شخصيّة الإنسان في ظلها لكي تحفظ توازنها أمام مغريات الحياة. كانت من المهمات الواضحة للوحي (القرآن والسنة). فالقرآن الكريم قائم أساساً على الدعوة إلى الله تعالى وعبادته، وتطهير النفس الأمّارة بالسوء، وبيان سبل الاستقامة والسلوك الموزون في الحياة.

وإنّ الإيمان العقليّ المجرد بخالق الكون ثم بالقيم والفضائل التي تنبعث من هذا الإيمان لا يمكن أنْ يجعل من الإنسان يقظ الحس، رقيق الوجدان، مستقيم السلوك، رباني المشاعر، متطلعاً إلى رضوان الله بشوق وانتظار.

ونحن إذا قرأنا القرآن الكريم وجدنا آيات كثيرة تدعو الإنسان إلى الجانب الروحيّ من حياته، ضمن الإطار العام في الكيان الإنسانيّ المتكامل. فقول الله تعالى: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) [الحجر: ٩٩]، وقوله عز وجل: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا) [السجدة: ١٦]، وقوله تعالى: (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) [الشمس: ٩-١٠]، وآيات كثيرة شواهد على اهتمام الإسلام بتربية الروح وتعويد النفس على الطاعة عن طريق العبادة الشاملة في الحياة كلها. ولقد أحدثت التربية النبويّة الشريفة تغييراً كلياً في النفوس، وأيقظت الأرواح، ووجه الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته وأمته من بعده إلى تأمل كتاب الله، فأشرقت قلوب

صحابته، واقتدوا به صلى الله عليه وسلم في عدم إعطاء حياة الشهوات أكثر من حجمها، وعدم التذلّل لها، وتميّز من بينهم جمع من خالص أصحابه، كانوا -كما وُصِفوا- رهبانًا بالليل فرساناً بالنهار، استغرقوا في العبادة والصلاة وقراءة القرآن والكفاح اليومي على نهج النبوّة والاقتداء الكامل برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم ورث هؤلاء الصّحابة في مسلكهم في العبادة كبار التابعين وتابعيهم، واستمر هذا الاتجاه الذي سمّي بالزهد في المجتمع الإسلاميّ، نتيجة تطور أوضاعه.

إذ كلما استبدت المغريات المادية بالناس، وكثرت الآثام، وظهرت المفاسد، وانتشرت المظالم، علت الدعوة إلى محاربة النفس الأمّارة بالسوء.وكان الوعّاظ وأهل الزهد والإرشاد ينبهون الناس إلى الثغرات الروحيّة في الحياة وكيفيّة معالجتها، وكانوا ينطلقون من منطلقات قرآنيّة.

وبقي الاتجاه الروحي على صفائه الإسلاميّ، حتى بعد تطوره إلى فكر، واتخاذه مصطلح "التصوّف" بوضوح ابتداء من القرن الثالث الهجريّ، حيث انقلب التصوّف إلى علم قائم بذاته، سمّي بعلوم الخواطر أو الأحوال أو المكاشفات يقول ابن خلدون: "هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملّة. وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصّحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها. والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد في الخلوة للعبادة. وكان ذلك عامًّا في الصّحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفيّة والمتصوفة" وعندما بدأ الصوفيّة يتعمّقون في حقائق الدين ولا يكتفون بظاهرها فحسب ظهر الفكر الصوفيّ كأحد مظاهر الفكر الإسلاميّ، هذا التطوّر الذي عده ابن خلدون بسبب تطوّر حركة المجتمع الإسلاميّ وامتداده، ونشوء ظواهر جديدة كالترف والبذخ، والإقبال على الدنيا.

فكان التطوّر الروحيّ الذي انتهى إلى علم التصوّف كما تطوّر الاتجاه العقليّ النظريّ إلى علم الكلام والفلسفة، وتطوّر الاتجاه العمليّ إلى الفقه وأصول الفقه والمدارس الفقهيّة المعروفة.

كان في الفكر الصوفيّ في قائمًا على الكتاب والسنة، ملتزمًا بضوابط الشرع، عند أمثال معروف الكرخي (ت ٢٥٥هـ) والحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) وسير السقطي (ت ٢٥٣هـ) والجنيد البغدادي (ت ٢٩٨هـ) وغيرهم.

ذلك أنّه كان يقوم على التأمّل العميق في التوحيد والعبوديّة التّامة لله تعالى عن طريق تصفية القلب، واستقامة السلوك، ومجانبة الدواعي النفسانيّة، والتعلّق بالعلوم المستنبطة من الكتاب والسنة.

ولقد تبلور فكر صوفيّ إسلاميّ عميق في هذه المدرسة الصوفيّة، حول حقيقة العبادة والتوحيد واتباع السلوك الصحيح إلى الحقّ تبارك وتعالى، ووصف مراتب النفس وتصفيتها، وأمراض القلوب وشفاءها، وحقيقة هذه الحياة وموقع الإنسان فيها، والخلاص من الرذائل، ونبذ العبوديّة للدنيا.

أنّ ساحة الفكر الإسلاميّ الصوفيّ استمرت بظهور القشيري وعبد القادر الجيلاني "المقصود بهذه الدراسة"، والشيخ زروق وغيرهم. الذين حاربوا تيار الإشرافية، ووحدة الوجود، والإباحية، ودعَوْا إلى كتاب الله تعالى وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم. وبالرغم من أن الفكر الصوفيّ في العصر الحديث حاول أنْ يصطبغ بصبغة تجديديّة على أيدي كثير من الصوفيّة العلماء: أمثال العلاّمة محمد إقبال والشيخ عبد الحليم محمود والشيخ فريد الدين شهيدي الهندي وغيرهم، إلا أنّ ما طرحه "إقبال" مثلاً من تجديد الفكر الديني في الإسلام، وبالأساس التصوّف، مازال يواجه أسئلة بين أهل العلم، على المستوى المعياري، والمستوى المعرفي (الابستمولوجي)، والمستوى الوجودي (الأنطولوجي).

إنّ التصوّف خطًّا فكريًّا، وُلد مبكّرًا في المجتمع الإسلاميّ، ومرَّ بمراحل وتطوّرات هامّة، وأثناء تطوّره تشكّلت فيه مدارس عدة منها مدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلاني: التي يمكن اعتبارها "مدرسة تربية الرّوح، وتزكية النفس، وتطهير القلب والتي استطاعت ان تكسب قلوب الملايين في كل زمان ومكان".

وختامًا فالله أسأل أن يجزي ولدنا الباحث المجد / جمال الدين الكيلاني . خير الجزاء على هذا الجهد الطيب"الذي يدل على المعرفة والمكنة والابداع"، وعلى مايقدمه من بحوث ودراسات متخصصة في التاريخ والحضارة العربية الاسلامية.تستحق منا التشجيع المتواصل والثناء الجميل.

والله الموفق.

الدكتور / عرفان عبدالحميد فتاح

كوالالمبور

مقدمة بقلم الدكتور نصر الدين أجدير التلمساني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين الواصلين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الذاكرين وآله وصحبه البررة المتقين وعنا وعن من في هذا المدوّن الناظرين وعن والدينا ووالديكم آمين ثم أما بعد:

فإن طلب الحق هو أصل الوجود ومن أجله سيقت الشرائع وشرعت الحدود، غير أن طرائق الوصل عند أرباب السلوك محددة إما سيرا وسلوكا على يد عارف مسلّك أو جذبة إلهية يكون بها المكلف مرادا لا مريدا، ومطلوبا لا طالبا والله فضل في ذلك البعض على البعض لا يُسئل عما يفعل عز وجل في ملكوته، ولا يتقرب اليه الا بقصد ذاته كما قال شيخي وسندي سيدي محمد الصوفي التلمساني قدس الله سره : " اعبد الله لله " ، وكل ما يأتي من خرق عوائد وتهافت بركات لا تثني المريد عن عزمه ولا تشغله عن قصده.

وللتعرف على هذا الموصل ينبغي للمريد سلامة القصد وحسن الظن بالله تعالى والطلب الحثيث مع الانكسار والتذلل فإن فتح عليه ولقي صاحب السر الذي يغير باطنه ويصيّر قلبه محط استكثار الأنوار ومحرقة الاكدار والأغيار فليزم الباب ولا يبرح الباب فإن فتح عليه به فذاك عين المراد والا فالسائر في الطريق واصل باعتبار القصد.

ولا يختلف اثنان في أن واسطة عقد الولاية ومهرع أهل البداية والنهاية الباز الأشهب سيدي عبد القادر الجيلي قدس الله سره وأفاض علينا من بركاته وأنوراه وقد بشّر من الجناب الأعظم بمكرمة السبق والتصدر ومكنونات أقواله دالة على تلكم المقامات العالية وما يلقى فهم الإشارات عنه إلا من سبقت له العناية واغترف من بحر وعلمناه من لدنا علما وكلا آتينا حكما وعلما، فلوازم المنطوقات واستنطاق المفهومات بحاجة الى من أذن له في ذلك.

وقد طلب منا الأخ الحبيب والشيخ المأذون الأريب سيدي جمال الدين الكيلاني سليل البضعة النبوية وحفيد باز القادرية أن نراجع هذا الكتاب الذي يضم الدرر الثمينة والمناهج الرصينة التي جمعها تذليلا للنظار وايضاحا لبعض المسائل للكبار عن جده وسنده سيدي عبد القادر الجيلي فأجبناه امتثالا وائتمارا فأرخينا عنده زمام الرحل وتربعنا على بساط أهل النور لنستقي من خيراتهم فوجدنا هذا الكتاب جمع لنا فرائد وفوائد وبين أصول أقوال الصوفية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والصالحين بشكل يقطع دابر الشك ويرفع الخلف عن الكثير من أهل الجهالة والغواية لمن رام بلوغ الحقيقة .

فالله أسأل أن يبارك في المؤلف والناظر والسامع ويرزقنا صدق الاستماع والاتباع وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

من ضريح سيدي أبي مدين الغوث بتلمسان الجزائر المحروسة لسبع بقين من ذي القعدة ١٤٤٠هـ

مدبّجه خديم السجادة الصوفية البوتشيشية القادرية د/ نصر الدين أجدير التلمساني حقق الله له التهاني في دار الأماني.

"إن فقدت قلبك في طريق الحب، فرافقني ولا تتأخر، وأنا حصنك المنيع" مقتطفات من هنا، وقصة من هناك ،وتراث اسري عريق ، هكذا تعرّفنا على الشيخ عبدالقادر الجيلي ، من منّا لم يحس بكلماته وهي تلامس القلب؟ من منّا لم يتوقف لحظة مشدوها بكلماته؟ من منّا لم يغيّر طريقه إلى طريق الجيلي من مجرد قراءة موعظة له؟! الكلام حول الشيخ عبدالقادر الجيلي، ليس حديث مثقفين ولا فلاسفة ولا شعراء. لندع العقل يستريح قليلا بحضور الجيلي، لأنه ليس كلام منطق، ولا استدلال عقلي. ذلك أن الكلام حول تصوف الجيلي هو كلام عن تجربته الروحية التي هي فوق الزمان والمكان، ولا مكان فيه إلا للقلب ومشاهدته - المعروف بعلم الإشارة - فلا يمكن للكلمات أن تصف تلك التجارب مباشرة، إلا باستخدام اللغة الرمزية بأدواتها والتي أجادها الجيلي . فمثلا، كيف للعقل أن يُفسّرما قاله الشيخ عبدالقادر الجيلاني: خسئت يا لعين ؟! الكلام عن الجيلي؛ يعني أننا نتكلم عن أعماله، التي هي حول الله، والإنسان، والعالم، والعلاقة المتبادلة بين هذه الحقائق الثلاث، وأساسها حقيقة واحدة: ليس هناك إلا الله – تعالى - الذي ليس كمثله شيئ، لا صورة تحده ولا عقل يسعه، والعالم كله ليس إلا مظهرا لتجلياته.

"كم هي الكلمات التي يحويها العالم؟ ولكن كلها تحوي معنى واحدا. عندما تكسر الجرة الماء هو الماء" .

الرحلة معه ليس بها غير الله، نازعت الحق بالحق للحق"، وكأي صوفي عميق، يرى الجيلي أن طريق الوصول إلى السماء - الله - لا يكون إلا عن طريق تبصرات في القلب والنفس الإنسانيين..

"خذ الدر واترك المحار" الرحلة التي يأخذ مريديه إليها هي ليست فقط الوصول لمعرفة التكاليف الشرعية من إقامة الصلوات والصيام والحج وأداء بقية العبادات، بل هو يتوق للوصول بهم إلى أعلى مستويات الوعي الروحي.

. وطريق رحلته الروحية مليئ بالصور التي تسهل على مريديه الوصول للعالم الروحي بعد أن يعبر العالم التقليدي . وليس هناك عائق يمنع الوصول والسير بطريقه. فرسائله عالمية؛ لا يحدها ثقافة أو لغة، ذلك أن حياته وتنقلاته ما بين الجيل وبغداد ومكة وبعقوبة . أتاحت له الاطلاع على ثقافات متعددة، . فقرأ آثارهم الروحية من خلال قصصهم ومعتقداتهم، وكذلك استخدامه للصور والتعابيرمن الحياة اليومية للناس، بأفكارهم وأعمالهم ووجودهم، مما جعله أقرب للناس بدءا من الإنسان البسيط. لكن ما يواجهه قُرّاء الجيلي، أن كتاباته، وخاصة الفتح الرباني، ذو الأجواء الروحية

الضخمة لم تكن بطريقة منظمة وممنهجة، فهو لم يجلس ويكتب وينظم لها، وهذا أوجد ثغرة في فهمه، على الرغم من أن بعض الباحثين المستشرقين حاولوا إيجاد خيوط تربط بين كلماته وحكمه المتداخلة والمتشابكة..وكل فسر على هواه وكل يدعي وصل ليلى. لا بد لمن أراد فهمه أن يقرأه بنفسه ولا يعتمد على تعليقات شُرّاحه. وكلّ ما تعرّف عليه أكثر، شعر بعمقه أكثر.

جمال الدين فالح الكيلاني

كوالالمبور

رُوي عن الشّيخ عبد القادر الجيلي "قدس الله سره العزيز" أنّه كان يسير في بعض أزقّة بغداد القديمة ومعه تلاميذه ومريدوه، وإذا بسكّير ملقى في ساقية على قارعة الطريق، ملابسه متسخة وهو بحالة يرثى لها، فاستوقفهم ونادى على الشّيخ بقوله:

-يا عبد القادر ءألله قادرٌ أم غيرُ قادر؟

-فابتسم الشّيخ وقال له : بلى قادر.

-فناداه ثانية : يا عبد القادر ءألله قادرٌ أم غير قادر؟

-فابتسم الشّيخ وقال له : بلى قادر.

-فناداه في الثالثة : يا عبد القادر ءألله قادرٌ أم غيرُ قادر؟

-عندها بكى الشّيخ وخرّ ساجداً وهو يردّد : بلى قادرٌ قادرٌ قادر، ثمّ أمرهم أن يحملوه إلى الرّباط وأن يحسنوا معاملته.

-فسأله التلاميذ عن معنى قول السكّير؟

-فقال الشّيخ عبد القادر:

في الأولى كان يعني ءألله قادرٌ أن يتوب عليّ أم غيرُ قادر؟ فقلت له : بلى قادر.

وفي الثانية : ويجعلني في مكانك؟ فقلت : بلى قادر.

وفي الثالثة : ويجعلك مكاني؟

فلذلك بكيت من خشية الله وقلت : بلى قادرٌ قادر، قادر،

وسجدت ودعوت الله أن لا يأمنني مكره وأن يديم عليّ عافيته وستره ...

العبرة من هذه القصة هو أن لاتغتر ايها العبد بمكانتك ولا بعملك ولا بعلمك فسبحان من يغير ولا يتغير قال تعالى(فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) اللهم ادم فضلك وسترك علينا ولا تأمننا مكرك!!

مع الشيخ عبدالقادر الجيلي
"رحلة عمر"

رحلة مع الإمام عبدالقادر الجيلي.

الإمام السيد الشيخ عبدالقادر الجيلي (٤٧٠ هـ - ٥٦١ هـ) الموصفوف بـ "تاج العارفين" و"محيي الدين" و"شيخ الشيوخ"و "قطب بغداد"وسلطان الأولياء وأشهر ها" الباز الأشهب " هوأبو صالح السيد محيي الدين عبدالقادر الجيلي بن السيد موسى الثالث بن السيد عبدالله الجيلي بن السيد يحيى الزاهد بن السيد محمد المدني بن السيد داود الأمير بن السيد موسى الثاني بن السيد عبدالله أبي المكارم بن السيد موسى الجون بن السيد عبدالله المحض بن السيد الحسن المثنى بن السيد الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب زوج السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد صلى الله عليه واله وسلم، ولد الشيخ عبدالقادر الجيلاني ،في ١١ ربيع الثاني وهو الأشهر ، سنة ٤٧٠ هـ الموافق ١٠٧٧م، في قرية "جيل " العراق وهي قرية قرب المدائن جنوب بغداد ، لافي جيلان الطبرستان كما يردد اعتمادا على رواية واحدة رددتها بعض الكتب بلا تدقيق او نظر (١).

روى الحديث عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني رجال من أمثال . الحافظ عبد الغني المقدسي، و الشيخ الموفق بن قدامة المقدسي، والشيخ علي بن إدريس البعقوبي، وأحمد بن مطيع الباجسرائي، وعبد اللطيف بن محمد بن القبيط، وغيرهم من أئمة الحديث و قرأ الشيخ الجيلاني الأدب على أبي زكرياء يحيى بن على التبريزي(٢).

وفي التصوف صحب الشيخ الجيلاني الشيخ حماد بن مسلم الدباس(٣) (ت ٥٢٥ هـ) وأخذ عنه علم الطريقة و تأدب به، وأخذ الخرقة من يد أبي سعد(٤) المبارك بن علي بن الحسين المخرمي(٥)(ت ٥١٣ هـ)، وكان أبو سعد حنبلي المذهب وقد درس و أفتى وقبلت

([١]) انظر : الكيلاني ، جغرافية الباز الاشهب ، قراءة ثانية في سيرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني وتحقيق محل ولادته وفق منهج البحث العلمي ، المنظمة المغربية للعلوم ، الرباط ٢٠١١ (المصادر المبكرة كلها تلقبه بالجيلي وأما الجيلاني والكيلاني فهي تحريف متأخر).

([٢]) الشطنوفي، (مخطوطة) بهجة الأسرار، ص ٢٢٤.

([٣]) انظر ترجمته . ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢١٥. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٥، ص.

([٤]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٤. التدافي، قلائد الجواهر، ص ٧.

([٥]) أنظر ترجمته في: ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، (ت ٥٢١ هـ). طبقات الحنابلة، ٢ ج، (تحقيق محمد حامد الفقي)، دار المعرفة، بيروت، (د. ت.). ج ٢، ص ٢٥٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢١٥. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٥، ص ٣٥٩. مجهول، (مؤلف من القرن الثامن الهجري)، كتاب الحوادث، وهو الكتاب المسمى وهماً بالحوادث الجامعة و التجارب النافعة والمنسوب لابن الفوطي، ط ١، (حققه و ضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، الدكتور عماد عبد السلام رؤوف)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧. ص ١٦٧. ابن كثير، البداية و

شهادته وولي قضاء باب الأزج(٦)،حيث بنى مدرسة هناك (٧). ثم اشتهرت بالشيخ عبدالقادر تلميذه " (٨). وهكذا كان المخرمي شيخ الشيخ عبدالقادر في الفقه وفي لبس الخرقة.

أما سلسلة مشايخ خرقة التصوف التي لبسها الجيلاني من المخرمي فيذكر أن المخرمي لبسها من أبي الحسن علي بن محمد القرشي الهكاري وهو من أبي الفرج الطرسوسي، وهو من عبد الوأحد بن عبد العزيز، وهو من والده، وهو من أبي بكر الشبلي، وهو من أبي القاسم الجنيد، وهو من خاله السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو من حبيب العجمي وهو من الحسن البصري وهو من علي بن أبي طالب(٩)، إلاّ أن "المعتبر في طريق الخرقة الصحبة" (١٠). وهناك مايشير أيضًا إلى أن الجيلاني أخذ التصوف عن الشيخ أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمذاني الزاهد (١١) (ت ٥٣٥ هـ) لما قدم بغداد (١٢). وقد كان الشيخ عبدالقادر الجيلاني يكتب إسناد خرقته لمن يلبسها منه(١٣).

هذا، ويعود تاريخ صحبة الجيلاني للشيخ حماد الدباس إلى سنة ٤٩٩ هـ(١٤) ومابعدها. ويبدو أن سنوات الخلوة التي قضاها الجيلاني في سلوكه الصوفي كانت خلال فترة صحبته للشيخ حماد الدباس. وقد كانت خلوة بعد تفقه أنذاك، وفي ذلك قال الجيلاني بعد أن سلك الطريق الصوفي وصار من الواصلين: "المؤمن من يتعلم ما يجب عليه. ثم يعتزل عن الخلق و يخلو بعبادة ربه عز وجل" (١٥)، وقال أيضًا" القوم تفقهوا ثم اعتزلوا عن الخلق

النهاية، ج ١٢، ص ٢٢٩. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٦٦ و المخرم اسم رجل وهي محلة ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧١.

(٦) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٢٥٩.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢١٦. والأزج بالتحريك، محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد فيها عدة محال كل واحدة منها تشبه ان تكون مدينة، و ينسب إليها كثير من أهل العلم (باب الشيخ حاليا). ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٦٨.

(٨) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٥، ص ٣٥٩.

(٩) الجيلاني، عبدالقادر، (ت ٥٦١). فتوح الغيب، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤. ص ١٣٥. سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ج ٨،ق ١، ص ٢٦٦. الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٦٨١-٦٨٢. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٧-٨ .

(١٠) التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨.

(١١) أنظر ترجمته في قلائد الجواهر ص٢٣.

(١٢) التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨، نقلها التادفي عن إبراهيم الدّيري الشافعي مؤلف كتاب " مختصر الروض الزاهر ".

(١٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٩.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١١٤.

(١٥) الجيلاني، محي الدين أبو محمد عبدالقادر بن موسى، (ت ٥٦١ هـ). الفتح الرباني والفيض الرحماني، ط ١، دار الجمل، (المانيا)، ٢٠٠٧ ص ١٥٣.

بقلوبهم. ظواهرهم مع الخلق لإصلاحهم، وبواطنهم مع الحق عز وجل في خدمته وصحبته" (١٦). وقال أيضًا: "تعلّم ثم اعمل ثم انفرد في خلوتك عن الخلق، واشتغل بمحبة الحق عز وجل. فإذا صح لك الإنفراد والمحبة قربك إليه وأدناك منه وأفناك فيه، ثم إن شاء يُشهرك ويُظهرك للخلق، ويُردُّك إلى استيفاء الأقسام... تستوفي الأقسام وقلبك مع الحق عز وجل"(١٧).

وقد أوصى الجيلاني أحد طلبة العلم الذين رغبوا بأن ينقطعوا للعبادة فقال له: "إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ و تتأدب، و إلاّ فتنقطع و أنت فُريخ ما ريشت" (١٨).

وقد ترجمت المصادر المتقدمة(١٩) للشيخ عبدالقادر الجيلاني في حال شهرته ولم تفصل فيما جرى له في حال سلوكه وخلوته التي قضى فيها سنين طويلة.

وعلى كل حال فإن مايجده الصوفي في حال خلوته ومجاهدته هي من الأمور التي يندر أن يتكلم عنها الصوفية بالتفصيل، إلاّ أن الشطنوفي ينسب للشيخ الجيلاني ذكره تفصيل كثيراً مما كان يجده في حال خلوته من مشقة وأمور عجيبة ووصفه لها يعطي صورة نموذجية لما يواجهه الصوفية في خلواتهم، فمن ذلك قوله: "كانت الأحوال تطرقني في بدايتي في السياحة، فأقاومها فأملكها فأغيب فيها عن وجودي، وأغدوا و أنا لا أدري، فإذا سُرّي عني من ذلك وجدت نفسي بعيداً عن المكان الذي كنت فيه" (٢٠). وقال: "أقمت في صحاري العراق وخرابه خمساً وعشرين سنة مجرداً سائحاً لا أعرف الخلق ولا يعرفوني، ورافقني الخضر عليه السلام في أول دخولي إلى بغداد وما كنت عرفته قبل، وشرط علي أن لا أخالفه وقال لي أقعد هنا فجلست في المكان الذي أقعدني فيه ثلاث سنين يأتيني في كل سنة مرة ويقول مكانك حتى آتيك. وكانت الدنيا وزخارفها وشهواتها تأتيني في صور شتى عجيبة فيحميني الله تعالى من النظر إليها، وتأتيني الشياطين في صور شتى مزعجة ويقاتلونني فيقويني الله تعالى عليهم، وتبرز إليّ نفسي في صورة فتارة تتضرع إليّ فيما تريده وتارة تحاربني فينصرني الله عز وجل عليها..... وأقمت زماناً في خراب المدائن (جيل العراق) أخذ نفسي بطريق المجاهدات.... واقمت في خراب الكرخ سنين........ ويأتيني رجل في كل سنة بجبة صوف البسها، ودخلت في ألف فن حتى أستريح من دنياكم، وماكنت أعرف إلا بالتخارس والبله والجنون، وكنت أمشي حافياً في الشوك وغيره، وماهالني شيء

(١٦) الجيلاني، الفتح الرباني، ص ٢٧٩.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٧١.

(١٨) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩٧.

(١٩) مثل: ابن الجوزي في المنتظم، وابن الاثير في الكامل، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان.

(٢٠) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٣.

إلا سلكته ولا غلبتني نفسي فيما تريده قط، ولا اعجبني شيء من زينة الدنيا قط.. (٢١)، وقال أيضاً: "كنت في زمن مجاهدتي إذا اخذتني سنة اسمع قائلاً يقول: ياعبدالقادر ما خلقتك للنوم، قد أحببناك ولم تك شيئاً فلا تغفل عنا وأنت شيء" (٢٢).

ان الهدف من فترة الخلوة والانقطاع عند الصوفية هو قطع العلائق بغية الوصول إلى مايسميه الجيلاني الوجود الثاني، ويذكر الجيلاني ان العلائق التي قطعها في خلوته هي أشراك الدنيا، وأسباب الخلق المتصلة به، ثم كشف له عن باطنه فرأى قلبه مناطاً بعلائق كثيرة هي إرادته و اختياراته فقطعها وتخلص قلبه منها، ثم كشف له عن نفسه فرأى "أدواها باقية وهواها حي وشيطانها مارد، فتوجه في ذلك، فبرئت أدواء النفس ومات الهوى وأسلم الشيطان وصار الأمر كله لله"، قال: "فبقيت وحدي والوجود كله من خلفي، وماوصلت إلى مطلوبي بعد"، ثم اجتذب إلى ابواب للدخول منها إلى مطلوبه: باب التوكل، وباب الشكر، وباب التسليم، وباب القرب، وباب المشاهدة، فوجد عندها زحمة حتى إذا اجتذب إلى باب الفقر فإذا هو خال فدخل منه فرأى فيه كل ما تركه، قال: وفتح لي منه الكنز الأكبر... ومُحقت البقايا ونسخت الصفات وجاء الوجود الثاني" (٢٣)، ويفهم من معنى الوجود الثاني عند الصوفية انه حال البقاء بالله بعد الفناء فيه، وهو مغاير لحال البقاء بالنفس الذي هو حال الناس عامة.

وفي فترة سياحة الجيلاني تلك أقام سافر إلى بلدة بعقوبة قرب بغداد وهناك التقى ب (الشريف البعقوبي) (٢٤)، وقد مرّ عليه شيخه أبو سعد المخرمي ودعاه إلى باب الأزج ومضى، وإلى الجيلاني على نفسه ألاّ يسافر إلا بأمر فجاءه الخضر وأمره بالخروج إلى أبي سعيد فخرج ولبس الخرقة من أبي سعيد ولازم الاشتغال عليه(٢٥).

وقد كان أول حج للجيلاني قبل ان يشتهر في سنة ٥٠٩ هـ عندما حج وحده على ماتسميه الصوفية قدم التجريد، وفي الطريق التقى بالشيخ عدي بن مسافر وكان على قدم التجريد أيضاً فتصاحبا في الطريق(٢٦)، ثم لم يحج الجيلاني بعد أن اشتهر أمره إلاّ حجة واحدة وكانت بصحبته والدته التي التحقت به في بغداد لاحقا بعد أشتهار أمره وتوفيت ببغداد (٢٧) .

([٢١]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٠- ١٨١.

([٢٢]) المصدر نفسه، ص ٤٦.

([٢٣]) المصدر نفسه، ص ١٨٢-١٨٣.

([٢٤]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٢٧ الشريف البعقوبي الحسني ، مازال ضريحه ظاهرا ببعقوبة.

([٢٥]) المصدر نفسه، ص ١٢٧-١٢٨.

([٢٦]) المصدر نفسه، ص ١١٩.

([٢٧]) المصدر نفسه، ص ٢١٨ولا صحة للمراقد المنسوبة لهما في بعض البلدان الاسلامية.

وإذا كان الجيلاني قد تفقه ولبس الخرقة من يد الفقيه الصوفي أبي سعد المخرمي، فإنه لما صحب الشيخ الصوفي حماد الدباس – والذي لم يكن يُعدّ من الفقهاء – كان الجيلاني لايزال يدرس الفقه، فكان إذا غاب عن الدباس لطلب العلم ثم عاد إليه يقول له الدباس: "أيش جاء بك إلينا؟ أنت فقيه، مُرّ إلى الفقهاء ". وكان أصحاب الدباس يقولون للجيلاني إذا جاءهم: "أنت فقيه، أيش تعمل معنا؟" (٢٨)، وقد سعى الجيلاني لاحقاً إلى تخفيف حدة تلك العلاقة عبر قيامه بإنشاء الرباط الصوفي إلى جانب المدرسة التي تدرس علوم الشرع في بغداد، وكان ذلك التلازم بين المؤسستين استهلال غير مسبوق في علاقة التصوف بالفقه في بغداد آنذاك.

ويبدو أن صحبة الجيلاني للدباس قد أفضت به إلى أن يقصد فقيهاً صوفياً جاء إلى بغداد يقال له القطب، وكان اسمه يوسف بن أيوب الهمذاني، و قد حلّ للجيلاني جميع ما أشكل عليه من أحوال، وأمره أن يجلس للوعظ(٢٩).فكان أول جلوس للشيخ عبدالقادر على كرسي للوعظ سنة ٥٢١ هـ. وذلك بعد الفتنة التي حدثت بين الحنابلة والفقيه الصوفي الأشعري أبي الفتوح الاسفراييني(٣٠). وقد كان لظهور الجيلاني في ذلك الوقت أهمية فيما يتصل بالعلاقة بين الاشاعرة والحنابلة أشار إليها ابن الجوزي حيث قال: "وظهر عبدالقادر فجلس في الحلبة(٣١) فتشبث به أهل السنة وانتصروا بحسن اعتقاد الناس به" (٣٢). يفهم منه أن الجيلاني أنقذ التصوف من الاحتكاكات التي كانت قائمة بين الحنابلة والأشاعرة.

وقد جلس الجيلاني في المدرسة التي كانت لشيخه أبي سعد المخرمي بباب الأزج ثم فوضت إليه، " وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت" (٣٣).

وقد كان يحضر عنده الرجلان والثلاثة يسمعون كلامه ثم تسامع الناس به وازدحموا عليه، فلما ضاقت المدرسة على الناس حمل الكرسي إلى خارج البلد. فكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط(٣٤)، "ويتوب عنده في المجلس خلق كثير، فعمرت المدرسة ووسعت" (٣٥)، وبذل الأغنياء في عمارتها أموالهم، وعمل الفقراء فيها بأنفسهم وتمت

---

(٢٨) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩٥.

(٢٩) انظر ترجمة الشيخ يوسف بن ايوب الهمذاني في المنتظم ج٩ص٥٦ .

(٣٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٧. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٥٧.

(٣١) الحلبة: محلة واسعة في شرقي بغداد عند باب الأزج، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٣٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٧. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١،، ص ١٢٤. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٦، ص ١٠.

(٣٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢١٩

(٣٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢١٩. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٩٤.

(٣٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢١٩.

التوسعة سنة ٥٢٨ هـ وصارت المدرسة تنسب إليه، وتصدر بها للتدريس والفتوى وجلس بها للوعظ(٣٦).

وكان الشيخ عبدالقادر " يلبس لباس العلماء، ويتطيلس(٣٧)، ويركب البغلة، وترفع بين يديه الغاشية(٣٨)، ويتكلم على كرسي عال" (٣٩). ويذكر أن الشيخ عبدالقادر كان يفتي على مذهب أبي حنيفة و الشافعي و ابن حنبل(٤٠).

وقد وصف ابن السمعاني الشيخ عبدالقادر، وكان قد لقيه في بغداد، بأنه "إمام الحنابلة، وشيخهم في عصره"(٤١)، وتابعه في ذلك كل من الذهبي(٤٢)، والصفدي(٤٣)، وابن رجب الحنبلي(٤٤).

ومن الأمثلة على فتاوى الشيخ عبدالقادر ان رجلاً حلف بالطلاق أن يعبدالله عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت أدائها، فأفتى الجيلاني بأن يأتي الرجل مكة و يُخلى له المطاف ليطوف وحده سبعة أشواط بالبيت ليتحللّ من يمينه(٤٥).

أما الكرامات التي كانت تجري على يدي الشيخ عبدالقادر فقد أسهبت كتب المناقب في ذكرها(٤٦)، وقد كانت كراماته ظاهرة، وكان أكثرها شيوعاً في مجالسه العامة أنه " كان يتكلم على الخواطر" (٤٧)، وهو مما ساعد على اشتهاره وقبوله لدى الناس إذ كانوا ينجذبون إلى مجالسه بفعل الأخبار المتناقلة بينهم عن الكرامات التي تجري فيها(٤٨). ويذكر عن الشيخ علي بن الهيتي انه قال: "ما رأيت أحدًا من أهل زماني أكثر كرامات من الشيخ محي الدين عبدالقادر رضي الله عنه. وكان لا يشاء أحد أن يرى منه كرامة في أي

---

(٣٦) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٥.

(٣٧) يتطيلس: أي يلبس الطيلسان... .

(٣٨) الغاشية: " غاية سرج من أديم مخروز بالذهب يظنها الناظر كلها ذهباً يلقيها (الملك) على يديه يميناً وشمالاً "... "تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والاعياد ونحوها، ويحملها الركا بدار رافعاً لها على يديه يلفتها يميناً و شمالاً ". انظر ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٢٢٢ (الهامش).

(٣٩) السهروردي، عوارف المعارف، ص ٢٠٨. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٨. المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٦

(٤٠) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥٠. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٥،الكيلاني ،جمال ، جغرافية الباز الأشهب ص٥٤.

(٤١) الذهبي. تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٨٨.

(٤٢) المصدر نفسه، ج ٣٩، ص ٨٧. وانظر قوله في العبر " شيخ العصر... ومدرس الحنابلة "، ج ٣، ص ٣٦.

(٤٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٦.

(٤٤) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٠.

(٤٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥١. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٤.

(٤٦) انظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار. التادفي، قلائد الجواهر. وقد ورد في كتب التراجم التي ترجمت للشيخ عبدالقادر الجيلي بعضاً من تلك الكرامات.

(٤٧) سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ج ٨، ق ١،، ص ٢٦٤.

(٤٨) Arburry, sufism, p.85.

وقت شاء إلاّ رأها. وكانت الخارقة (الكرامات) تظهر أحياناً منه وأحياناً فيه"(٤٩). ويذكر أن الشيخ عبدالقادر كان سيد اولياء بغداد (٥٠).

وذكر عز الدين بن عبد السلام انه "ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلاّ الشيخ عبدالقادر"(٥١)، ويذكر عن الشيخ الموفق بن قدامة المقدسي قوله: ولم أسمع عن أحد يُحكى عنه من الكرامات أكثر مما يُحكى عنه، ولا رأيت أحدًا يُعظّم من أجل الدين أكثر منه"(٥٢).

و يذكر الشطنوفي (بتحقيق الباحث)أن سبب تصنيفه لكتاب "بهجة الأسرار" الذي جمعه في مناقب الشيخ عبدالقادر إنما كان لإظهار معنى قول الشيخ الجيلاني في أحد مجالسه في بغداد "قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله" (٥٣)، وهو قول اشاري فلسفي أبستمولوجي،وكان في مجلسه حينها عامة مشايخ العراق(٥٤)، وبينما يورد الشطنوفي الروايات الكثيرة التي يستشهد بها على أن هذا القول الصادر عن الجيلاني إنما أمر به أمراً إظهاراً لمقام القطب الغوث(٥٥) – وهو مقام ندر أن يعلن عنه رجل على رؤوس الأشهاد – اعتبره الشهاب السهروردي (ت ٦٣٢هـ) من قبيل الكلمات المؤذنة بالإعجاب التي تظهر من بعض كبار المشايخ بسبب انحصارهم في مضيق سكر الحال وعدم الخروج إلى فضاء الصحو في ابتداء أمرهم"، والقول إشارة إلى "تفرده في وقته"(٥٦)، ومع ذلك فقد فهم قول الجيلاني على أنه تصريح بالقطبانية التي ظهر برهانها عليه(٥٧) والقطبية من مقامات الصوفية .

---

(٤٩) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٥٦.

(٥٠) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٣٣، ١٣٤، ٣١٧. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨٠. المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٦.

(٥١) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩١-٩٢. وانظر الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٧. اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٦٨. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٢.

(٥٢) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج ٣، ص ٣٦. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٢.

(٥٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣.

(٥٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٤-١٥. و انظر اسماء الحاضرين في ذلك المجلس، ص ١٣-١٤.

(٥٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٥-٣٩. وفيها تفصيل لمعنى القطب و الغوث عند الصوفية. وانظر ايضاً في تفسير معنى القطب الغوث نفس المصدر، ص ٤١، ٤٣، ١٦٠، ٣٢٩، ٤٨٠، وغيرها. و انظر: اليافعي، أبو محمد عبدالله بن اسعد، (ت ٧٦٨ هـ). نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية اصحاب المقامات العالية الملقب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد، ط ٢، (تحقيق وتصحيح ابراهيم عطوه عوض)، شركة ومطبعة مصطفى البأبي الحلبي واولاده، القاهرة، ١٩٩٠. ص ٢٩٢.

(٥٦) السهروردي، عوارف المعارف، ص ١٤٣-١٤٤. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٥.

(٥٧) المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٧.

وقد لقب الشيخ الجيلاني بألقاب تدل على علو مكانته في التصوف، ويلاحظ في تلك المصادر التي ذكرت ذلك أنها مصادر متأخرة كتبت في فترة رواج الطرق الصوفية. ومن تلك الألقاب "ذو البيانين واللسانين، كريم الجدين والطرفين، صاحب البرهانين والسلطانين، إمام الفريقين والطريقين، ذو السراجين والمنهاجين(٥٨)، الباز الأشهب (٥٩). ويبدو أن التثنية الظاهرة في هذه الألقاب تشير إلى الجمع بين الفقه و التصوف، أو على ما تسميه الصوفية الشريعة والحقيقة.

وكان للشيخ عبدالقادر دور في نقد السلطة فقد "كان يصدع بالحق على المنبر ويُنكر على الظلمة". ولما ولي القاضي ابن المرخم(٦٠) قال الجيلاني على المنبر مخاطباً الخليفة المقتفي: "ولّيت على المسلمين أظلم الظالمين، وما جوابك غداً لرب العالمين"(٦١). فلما ولي المستنجد الخلافة قبض على ابن المرخم سنة ٥٥٥ هـ، وفي نفس السنة خلع المستنجد على الشيخ عبدالقادر وعلى عدد من شيوخ الصوفية ببغداد(٦٢) كالشيخ أبي النجيب السهروردي(٦٣) وابن شقران(٦٤) ومعهم عبدالرحمن بن الجوزي وأذن لهم في الجلوس بجامع القصر. وفي ذلك دلالة على ميول المستنجد وتوجهاته.

وقد كان للشيخ عبدالقادر موقف من الملوك وذوي السلطان كان من شأنه إعزاز الطريق الصوفي في أعين الصوفية. فقد " كان يرى الجلوس على بساط الملوك ومن يليهم من العقوبات المعجلة. وكان يأتيه الخليفة أو الوزراء أو من له الحرمة الوافرة وهو جالس فيقوم ويدخل داره. فإذا تبعه خرج الشيخ من الدار لئلا يقوم لهم. وكان يكلمهم الكلام الخشن ويبالغ لهم في الموعظة. وهم يقبلون يده و يجلسون بين يديه متواضعين متصاغرين"(٦٥). وكانت تهابه الملوك فمن دونهم(٦٦) ويعرف عن الجيلاني أنه ما ألمّ

---

(٥٨) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٥. اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٦٧. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٩. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٢.

(٥٩) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣١٩. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٦٤-١٦٥.

(٦٠) هو القاضي أبو الوفاء يحيى بن سعيد بن المظفر المعروف بابن المرخم (ت ٥٥٥ هـ)، أقضى القضاة، ولاه المقتفي قضاء بغداد سنة ٥٤٢ هـ، وكان " بئس الحاكم يأخذ الرشا و يبطل الحقوق " وقد قبض عليه الخليفة المستنجد سنة ٥٥٥ هـ واستصفيت أمواله وأعيد منها على الناس ما ادعوه عليه، انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٢٥، ج ١٠، ص ١٩٤. ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٢٣١-٢٣٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٧، ص ١٠، ج ٣٨، ص ١٨٧. ويسميه سبط ابن الجوزي " القاضي ابن المجرم الظالم "، مرآة الزمان، ج ٨،ق ١، ص ٢٦٥.

(٦١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٢٦٥.

(٦٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٩٤.

(٦٣) ابن الجوزي ج١٠، ص ١١٥.

(٦٤) هو أحمد بن يحيى بن عبد الباقي الزهري أبو الفضائل يعرف بابن شقران (ت ٥٦١ هـ)، وكان معيداً بالنظامية، كان إماماً واعظاً صوفياً. انظر ترجمته في: الذهبي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبدالله بن الدبيثي، ص ١٢٧-١٢٨ (الرقم ٤٥٠). السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ٦٨ (الرقم ٦٠٣).

(٦٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٣. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٤١-٤٢. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٨١.

بباب ذي سلطان ولا جلس على بساطه ولا أكل من طعامه وهذا دليل انه لم يعاني من فوبيا السياسة ،بل كان متحديا ،سيدا ،جريئا في الحق (٦٧) .

وللخليفة المستنجد بالله لقاءات مع الشيخ عبدالقادر حيث كان يقصده ليلاً في مدرسته وقد شهد له كرامات فيها مواعظ للخليفة(٦٨)، ومع ذلك كان الشيخ عبدالقادر إذا صلى العشاء دخل خلوته وكان لايخرج منها إلاّ عند طلوع الفجر، وقد جاءه الخليفة بالليل مراراً بقصد الاجتماع به دون ان يتمكن من ذلك إلى الفجر(٦٩).

وتذكر بعض كتب المناقب التي كتبت عن الشيخ عبدالقادر أن أحد الخلفاء العباسيين جاء إليه يستغيث به ليرد سلطان العجم الذي قصد بغداد وكان الخليفة قد عجز عن رده، فأغاثه الشيخ ورد جيش العجم عن بغداد بدعاءه(٧٠).

وللشيخ عبدالقادر واقعة مع أحد سلاطين السلاجقة الذين كانوا في بغداد مفادها أن بعض اتباع السلطان مرّ بالشيخ عبدالقادر ومعه أحمال خمر للسلطان فأمر الشيخ الدواب بالوقوف فوقفت ولم تتحرك، وتحول الخمر في الأواني إلى خل، ولما بلغ الخبر إلى السلطان حضر لزيارة الشيخ وارتدع عن فعل كثير من المحرمات(٧١).

وبغض النظر عن موقفنا ،ضد او مع صدقية تلك الحكايات والكرامات، إلاّ أن ورودها في كتب المناقب وبعض كتب التراجم هو ما يهمّ الباحث من حيث أنها حكايات كانت تشكل عنصراً من عناصر الرأي العام والميثولوجيا الشعبية آنذاك. وكان لها أثر في تشكيل المواقف والقيم التي كانت سائدة في المجتمع في تلك الفترة التاريخية.

ويذكر أن مجالس الشيخ عبدالقادر كان يحضرها كبار رجال الدولة مثل نائب الوزراة عز الدين محمد بن الوزير أبي المظفر ابن هبيرة، واستاذ الدار عبدالله بن هبة الله، و حاجب الباب مجد الدين بن الصاحب وغيرهم، وكان الشيخ عبدالقادر يخاطبهم بمكنون سرائرهم ويتكلم على خواطرهم في سياق وعظه لهم، كما كان نقيب النقباء ابن الأتقى يحضر مجالس الشيخ عبدالقادر وكان يأتيه في غير وقت المجلس و يجلس بين يديه متواضعاً(٧٢).

---

(٦٦) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٢.

(٦٧) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٣. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٤١-٤٢. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٨٠.

(٦٨) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٣٠. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٤٠. وانظر حادثة اخرى ذكرها ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٢.

(٦٩) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٠.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٣٣٧. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٦٠-١٦١. ولا يذكر هذان المصدران اسم الخليفة العباسي ولا اسم السلطان المشار إليهما في تلك الحكاية، كما لايذكران تاريخ حدوثها.

(٧١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٨٩.

(٧٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٩٢-١٩٣. وانظر ايضاً ص ٦٧-٦٩.

لقد كان للكلام على الخواطر عامل جذب للناس، عامتهم وخاصتهم، لحضور مجالس الشيخ عبدالقادر. وفي معنى الكلام على الخواطر يقول الشيخ عبدالقادر: "إنما أنطّق فأنطق وأعطى فأفرق وأومر فأفعل، والعهدة على من أمرني والدية على العاقلة.... لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم. أنتم بين يديّ كالقوارير يُرى مافي بواطنكم و ظواهركم. لولا لجام الحكم على لساني لنطق صاع يوسف بما فيه، لكن العلم مستجير بذيل العالم كي لا يُبدي مكنونه" (٧٣).

وكان الشيخ عبدالقادر "في عصره مُعظماً يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد"(٧٤)، ومن دلالات تعظيم العامة له انه كان إذا ذهب إلى الجامع يوم الجمعة" وقف الناس في الأسواق يسألون الله تعالى به حوائجهم، وكان له صيت وصوت وسمت و صمت"، وقد هال الخليفة المستنجد مدى تعلق الناس به وذلك عندما عطس الجيلاني في الجامع في يوم الجمعة فشمته الناس حتى سمعت في الجامع ضجة الناس وهم يقولون يرحمك الله و يرحم بك، وكان الخليفة المستنجد وقتها في مقصورة الجامع(٧٥).

ومن الآثار السوسيولوجية التي تذكر للشيخ الجيلي في مجتمع بغداد توبة أعداد كبيرة من الناس في مجلسه، حتى قال سبط ابن الجوزي: "وتاب على يده معظم أهل بغداد، وأسلم معظم اليهود و النصارى" (٧٦)، وقد يكون في ذلك مبالغة إذ يقول الجيلي نفسه "أراد الله مني منفعة الخلقّ. فإنه أسلم على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود و النصارى، وتاب على يدي أكثر من مائة ألف من العيارين ، وهذا خير كثير" (٧٧). على أية حال، كان التائبون على يد الشيخ عبدالقادر من فئات اجتماعية متعددة كالعيارين وقطاع الطريق والقتلة(٧٨) وكان التقليد الجاري في الاعلان عن توبة التائبين ان يأتي التائب إلى الشيخ عبدالقادر في مجلسه فيقص الشيخ شعره(٧٩)، وهذا ماعده المفكر الجزائري محمد اركون .قمة الانسنة .ومثال للاسلام الكلاسيكي .وهي ظاهرة نفسية وابستمولوجية .تستحق الدرس والتحليل .وهذا ما بفسر اليوم ان الكثير من الغربيين يعتنقون الإسلام بواسطة الصوفية.وكان للشيخ عبدالقادر طريقة في التصوف تميّزبها في زمانه، وقد وصف طريقته عدد من معاصريه بأوصاف ومصطلحات صوفية فيها قدر من الغموض: قال

---

(٧٣) جدعان ،فهمي 'اسس التقدم عند مفكري الاسلام،دار الشروق،الاردن، ١٩٩٠، ص ٥٤.

(٧٤) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٣.

(٧٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٨. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٤٠.

(٧٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٧٧) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٣. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩٦. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٣٩-٤٠، لكن التادفي يجعل عدد الذين اسلموا من اليهود و النصارى خمسة آلاف.

(٧٨) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٣. وانظر: ص ١٣٤. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٣٨.

(٧٩) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩٧. العمري، مسالك الأبصار، ج ٨، ص ١٩٤.

الشيخ علي بن الهيتي (ت ٥٦٤هـ): "كان طريقه [أي الشيخ عبدالقادر] التفويض و الموافقة مع التبرّي من الحول والقوة، و تجريد التوحيد، وتوحيد التفريد مع الحضور في موقف العبودية بسر قائم في مقام العبودية لا بشيء ولا لشيء، وكانت عبوديته صحيحة مستمدة من لحظ كمال الربوبية، فهو عبد سما عن مصاحبة التفرقة (إلى مطالعة الجمع مع لزوم أحكام الشريعة)"(٨٠). وسئل الشيخ عدي بن مسافر (ت ٥٥٧ هـ) عن طريق الشيخ عبدالقادر فقال: "الذبول تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والروح واتحاد الباطن والظاهر، وانسلاخه من صفات النفس مع الغيبة عن رؤية النفع و الضر والقرب والبعد "(٨١). وقال الشيخ بقا بن بطو (ت ٥٥٣ هـ) "طريق الشيخ محي الدين عبدالقادر اتحاد القول و الفعل، واتحاد النفس والقلب، ومعانقة الاخلاص والتسليم، وتحكيم الكتاب والسّنة في كل خطوة ولحظة ونفس ووارد وحال، والثبوت مع الله عز وجل على ما قرّ عند الأجلاء المتثبتين"(٨٢)، وقال الشيخ أبو الحسن القرشي: "كانت طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً، ووصفه: قلب فارغ وكون غائب ومشاهدة ربّ حاضر بسريرة لا تتجاذبها الشكوك، وسرٍ لا تتنازعه الأغيار وقلب لا يُفرقه التفات، فجعل الملكوت الأكبر من ورائه، والملك الأعظم تحت قدمه"(٨٣).

ويذكر الدكتور يوسف زيدان ان: للشيخ عبدالقادر كلاماً عن طريقته في التصوف يظهر فيه معنىً لم يذكره معاصروه عند حديثهم عنه، وهذا المعنى يظهر في قوله "كل رجال الحق إذا وصلوا إلى القدر أمسكوا إلا أنا وصلت إليه وفُتح لي منه روزنة فأولجت فيها، ونازعت أقدار الحق بالحق للحق، فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له"(٨٤). وتوضح هذا المعنى حادثة وقعت لأحد تجار بغداد سنة ٥٢١ هـ، مفادها أن الشيخ حماد الدباس أخبر التاجر بأنه إذا خرج في تجارته إلى الشام فسوف يقتل ويسلب ماله، ولكن الجيلاني أمر التاجر بالذهاب في تجارته على أن يذهب سالماً ويعود سالماً، ذلك أن الجيلاني سأل الله في هذا التاجر أن يجعل ما قدره عليه من القتل والسلب مناماً لا يقظة، فرأى التاجر الأمر مناماً وتمت له تجارته ورجع إلى بغداد سالماً وعُدّت هذه الحادثة من الكرامات التي شهد فيها الدباس للجيلاني بعلو المقام(٨٥).

---

(٨٠) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٧٨. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٨٠وانظر محمد اركون ،الفكر الاسلامي ،دار الساقي بيروت٢٠٠٩ص١٣٤.

(٨١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٧٩. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٨٠.

(٨٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٧٩.

(٨٣) الجيلاني،عبدالقادر، تفسير الجيلاني،اعتناء المزيدي،دارالكتب العلمية،ج١،ص٨.

(٨٤) زيدان ،يوسف ،باز الله الاشهب ،دار الجيل بيروت، ١٩٩٠ ،ص٨٧.

(٨٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٦٤-٦٥.

وطالما ان مجالس الوعظ في بغداد كانت من أبرز الملامح الاجتماعية و الدينية أنذاك فمن المناسب في هذا السياق ذكر بعض مواصفات مجلس الشيخ عبدالقادر. ففي ذلك دلالة على مكانته عند اهل زمانه ومدى تأثيره فيهم، وهو أمر كان له دور في الرفع من شأن التصوف في تلك الفترة وازدياد إقبال الناس عليه حتى صار للصوفية حُرمة لا تنكر.

كان إذا صعد الشيخ عبدالقادر الكرسي للوعظ أو الدرس لا يبصق أحد ولا يتمخط ولا يتنحنح ولا يتكلم ولا يقوم، هيبة له. وكان يُعد من كراماته أن أقصى الناس في المجلس يسمع صوته كما يسمعه ادناهم، "وكان يتكلم على خواطر أهل المجلس و يوجّههم بالكشف". وكان إذا قام فوق الكرسي يقوم الناس لجلالته(٨٦). وكان إذا رأى أحد من الحاضرين شيئاً من الكشف أمره الشيخ بالكتمان قائلاً له " أسكت فليس الخبر كالمعاينة" أو "أقعد فإن المجالس بالأمانة" (٨٧). وكان يقرأ في مجلسه مقرئان أخوان بغير ألحان ولكن قراءة مرتلة مجودة، وكان يموت في مجلسه الرجلان والثلاثة [كناية عن تأثرهم بالأحوال]. وكان يكتب مايقول في مجلسه أربعمائة محبرة عالمٍ وغيره. "وكان كثيراً ما يخطو في الهواء في مجلسه على رؤوس الناس خطوات ثم يرجع إلى الكرسي"(٨٨). وكان للشيخ نقباء يجلسون على الكرسي، على كل مرقاة منهم اثنان. وكان لايجلس كذلك إلا ولي أو صاحب حال، وكان يجلس تحت الكرسي رجال أخرون(٨٩).

وكان الجيلاني يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات: مرتان بالمدرسة بكرة الجمعة و عشية الثلاثاء، ومرة بالرباط بكرة الأحد، وقد تكلم على الناس مدة أربعين سنة من سنة ٥٢١ هـ ولغاية سنة ٥٦١ هـ. أما مدة تصدره للتدريس والفتوى فامتدت ثلاثاً وثلاثين سنة من سنة ٥٢٨ هـ ولغاية سنة ٥٦١ هـ(٩٠).

وكان الجيلاني يقبل النذر ويأكل منه، ويأمر كل ليلة بمد السّماط و يأكل مع الأضياف، وكان له حنطة يزرعها له بعض اصحابه كل سنة توخياً للمأكل الحلال، وكان له غلام يقف على باب داره وبيده الخبز وينادي على العشاء والمبيت(٩١). كما يذكر أن الشيخ عبدالقادر كان يأكل من عمل يده(٩٢).

---

(٨٦) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٨٧) المصدر نفسه، ص ١٩٨ – ١٩٩.

(٨٨) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٢.

(٨٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

(٩٠) المصدر نفسه، ص ٢٠٢. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٣٧-٣٨.

(٩١) التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٥-١٦.

(٩٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٧

وقد صنف الجيلاني كتاب الغنية لطالبي طريق الحق، وجمع تلاميذه مما دونوه من كلامه في مجالسه كتاب فتوح الغيب(٩٣)وكتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني (وهو من أروع الكتب التي تخاطب النفس البشرية) وينسب له ديوان جميل من الشعر الصوفي حققه يوسف زيدان وقام بشرحه الشاعر فالح الحجية في مجلد كبير ومما ينسب له من شعر القصيدة الغوثية نوردها لكونها أشهر تها:

القصيدة الغوثية كما وردت في الديوان:

-1سقاني الحب كاسات الوصال فقلت لخمرتي نحوي تعالى

-2سعت ومشت لنحوي في كؤوس فهمتُ بسكرتي بين الموالي

-3وقلت لسائر الأقطاب لُمُّوا بحاني وادخلوا ، أنتم رجالي

-4وهيموا واشربوا أنتم جنودي فساقي القوم بالوافي ملالي

-5شربتم فضلتي من بعد سكري ولا نلتم علُوّي واتّصالي

-6مقامكم العُلا جمعاً ولكن مقامي فوقكم مازال عالي

-7أنا في حضرة التقريب وحدي يُصرّفني وحسْبي ذو الجلال

-8أنا البازيُّ أشهب كُلّ شيخٍ ومن ذا في الملا أعطى مثالي

-9درست العلم حتى صرت قطباً ونلت السعد من مولى الموالي

-10كساني خِلْعةً بطراز عِزّ وتوجني بتيجان الكمال

-11وأطلعني على سر قديم وقلدني وأعطاني سؤالي

-12وولاني على الأقطاب جمعاً فحُكِمي نافِذُ في كل عالي

-13فلو ألقيت سري وسط نار لذابت وانطفت من سر حالي

-14ولو ألقيت سري فوق ميت لقام بقدرة المولى سعى لي

-15ولو ألقيت سري في جبال لدكت واختفت بين الرمال

-16ولو ألقيت سري في بحار لصار الكُلُّ غوراً في الزّوالِ

-17وما منها شهور أو دهور تمُرُ وتنقضي إلا أتى لي

-18وتخبرني بما يجري ويأتي وتُعْلِمُني فأُقْصِرُ عن جدالي

-19بلادُ الله مُلْكي تحت حُكْمي ووقتي قبل قبلي قد صفا لي

-20طبولي في السما والأرض دقت وشاءُسُ السعادة قد بدا لي

-21أنا الجيلاني مُحيي الدين اسمي وأعلامي على رُوس الجبال

-22أنا الحسنِيُّ والمخدع مقامي وأقدامي على عُنق الرّجال

-23رجالُ خيموا في حيّ ليلى ونالوا في الهوى أقصى منال

---

(٩٣) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٦.

-24رجالٌ في النهار ليوث غابٍ ورهبانٌ إذا جنّ الليالي
-25رجالٌ في هواجرهم صِيامٌ وصوت عويلهم في الليل عالي
-26رجالٌ ما التهوا عنه بشيء وما اختاروا قصوراً في عوالي
-27رجالٌ لا يُضام لهم نزيلٌ ولا يشقى الجليس ولا يُبالي
-28رجالٌ سائحون بكل واد وفي الغابات في طلب الوصال
-29ألا يا للرجال صِلُوا مُحبّاً لنار البعد والهجران صال
-30ألا يا للرجال قُتِلتُ ظُلماً بلحظ قد حكى رشق النبال
-31ألا يا للرجال خذوا بثأري فإنّي شيخْكُم قُطب الكمال
-32فمن في أولياء الله مِثلِي ومن في الحكم والتصريف خالي
-33ترى الدنيا جميعاً وسط كفّي كخردلةٍ على حُكْم النّوال
-34مُريدي لا تخف وشْياً فإني عزُومٌ فاتِلٌ عند القتالِ
-35مُريدي لا تخف فاللّهُ رَبّي حَبَاني رِفْعةً، نِلْتُ المعالي
-36مُريدي هِمْ وطِبْ واشْطحْ وَغَنّي وافْعل ما تشا فْالإسم عالي
-37وكُلُّ فَتَىً على قدمٍ وإنّي على قدم النبي بدْر الكمالِ
-38عليه صلاة ربّي كُلّ وقتٍ كتْعداد الرّمال مع الجبال.

توفي الجيلاني ودفن بمدرسته وقد بلغ تسعين سنة(٩٤). "ودفن ليلاً من كثرة الزحام فإنه لم يبق ببغداد أحد إلاّ وقد جاء إلى باب الأزج وامتلأت الحلبة و الأسواق والدروب فلم يتمكنوا من دفنه"(٩٥).

ومما قيل في رثاء الشيخ عبدالقادر قصيدة لنصر النميري قالها غداة دفن الشيخ عبدالقادر، فيها دلالات على مكانة الجيلاني في الفقه و التصوف(٩٦). فمنها قوله:

ذو المقام العليّ في الزهد لا ينكر قول المحب فيه الحسود

والفقيه الذي تعذر أن يلقى له في الورى جميعاً نديدُ

تترامى إليه في العلم بالله وبالحكم في الفتوى الوفود

ومنها قوله:

يخشع القلب عنده ويظل الدمع يجري وتقشعر الجلود

---

(٩٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢١٩.

(٩٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨،ق ١، ص ٢٦٦.

(٩٦) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٠٠-٣٠١.

ومنها قوله:

يلتقي النجح ملتقيه ويُعطى   عنده غاية المراد المريد

ومنها قوله:

مات من كانت الأقاليم تُسقى   الغيث أغوارها به و النجود

ومنها قوله:

سيد الأولياء في الشرق والغرب   وبحر الفضائل المورود

وقد وصفت المستشرقة شيمل الشيخ عبدالقادر بأنه " أكبر وليّ شعبي في العالم الإسلامي " (٩٧). كما اعتبرته الباحثة الفرنسية جاكلين شأبي أحد أهم من توسط في القرن السادس الهجري بين الحركة الصوفية و الفقهاء وأنه " كان ممن بفضلهم تبنّت الحركة التقليدية خلال القرنين اللاحقين منعطف الطرقية "(٩٨).

كان للشيخ عبدالقادر تسعة و أربعون ولداً، سبعةٌ و عشرون ذكراً و الباقي إناث(٩٩). ومنهم .

عبد العزيز بن الشيخ عبدالقادر (ت ٦٠٢ هـ)، تفقه على والده، وحدث ووعظ ودرّس و تخرج به غير واحد، ورحل إلى إحدى قرى سنجار و استوطنها(١٠٠) في حدود سنة ٥٨٠ هـ بعد أن غزا عسقلان وزار القدس وكانت ذريته في سنجار في منتصف القرن العاشر والرجل أحد قادة جيش صلاح الدين الايوبي ومستشاريه (١٠١).

(٩٧) شيمل، الابعاد الصوفية في الاسلام، ص ٢٧٩.

(٩٨) " عبدالقادر الجيلاني بين الحقيقة التاريخية و الأسطورة الأدبية "، بروفسورة جاكلين شابي، (ترجمة الدكتور حسن سحلول)، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد (٧٠)، السنة (١٨)، كانون الثاني، ١٩٩٨، دمشق (نسخة الكترونية).

(٩٩) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٩، ص ٩٧، نقلاً عن ابن النجار. العمري، مسالك الأبصار، ج ٨، ص ١٩٦. ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٢٨. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٨.

(١٠٠) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٢. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٥٣ (الرقم ٩٢٦).

(١٠١) الكيلاني ،جمال الدين فالح، الشيخ عبدالقادرالكيلاني، ص ٩١ ومن ذريته (المحقق).

عيسى بن الشيخ عبدالقادر (ت ٥٩٣ هـ)، تفقه على والده وسمع منه الحديث ومن غيره، ودرس وحدث ووعظ و أفتى، وصنف كتاب جواهر الأسرار و لطائف الأنوار في علوم الصوفية. وقدم مصر بعد وفاة والده وحدث بها ووعظ وتخرج به جماعة من أهلها، وتوفي فيها(١٠٢)، وقد لبس منه خرقة التصوف القادرية بعض أهل مصر (١٠٣).

عبد الوهاب بن الشيخ عبدالقادر(١٠٤) (٥٢٢ هـ - ٥٩٣ هـ)، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً، قرأ الفقه على والده حتى برع فيه، ودرّس بمدرسة والده وهو حي نيابة عنه في مستهل سنة ٥٤٣ هـ وقد تجاوز العشرين من عمره، ثم بعد وفاة والده اشتغل بالتدريس، وكان أميز اخوانه، وكان فصيح الوعظ حادّ الخاطر وله مروءة وسخاوة، وقد جعله الناصر لدين الله على المظالم فكان يوصل إليه حوائج الناس(١٠٥) وكان ذلك سنة ٥٨٣ هـ(١٠٦)، وبنى تربة الجهة الخلاطية سلجق خاتون و تولى وقفها بأمر من الخليفة الناصر لدين الله(١٠٧). وروسل من الديوان العزيز إلى الشام(١٠٨).

وكان عبد الوهاب قد رحل إلى بلاد الهند في طلب العلم، وتخرج به غير واحد(١٠٩).وقرأ عليه ابن الدبيثي بعض الأحاديث(١١٠).

وفي سنة ٥٨٨ كفت يد عبد الوهاب عن وقف الجهة الخلاطية وأخرج ابناء الشيخ عبدالقادر عن مدرستهم و سُلّمت إلى عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) وذلك بسبب

---

(١٠٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤١-٢٤٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٤١. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٩٠-٩١.

(١٠٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٥١٤ (الرقم ٧٠٤).

(١٠٤) انظر ترجمته في: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٠٨. أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي، (ت ٦٦٥ هـ). تراجم الرجال القرنين السادس و السابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط ٢، (صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عني بنشره وراجع أصله عزت العطار الحسيني)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤. ص ١٢. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤١. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٥٨ (الرقم ٩٤). تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٣٤. وانظر ج ٤١، ص ٧٧. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٠٤ (الرقم ٧٤١٢). ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٨٨ (الرقم ١٩٦). التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨٩. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥١٤.

(١٠٥) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(١٠٦) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص ٣٨٩.

(١٠٧) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٣٥، و انظر: ج ٤١، ص ٧٧.

(١٠٨) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٣٥. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٨٩.

(١٠٩) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤١.

(١١٠) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٥٨.

الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبدالقادر(١١١)، ثم رُدّت المدرسة إلى أبناء الشيخ عبدالقادر بعد أن قبض على الوزير ابن يونس (ت ٥٩٣ هـ)(١١٢).

عبدالرزاق بن الشيخ عبدالقادر(١١٣) (٥٢٨ – ٦٠٣ هـ) كان ثقة حافظاً(١١٤) زاهداً عابداً ورعاً " لم يدخل فيما دخل فيه غيره من إخوته(١١٥)" وكان فقيهاً صالحاً(١١٦)، تفقه على والده وحدث وأملى ودرّس وخرّج وأفتى، وتخرج به جماعة(١١٧)، "لكن معرفته بالحديث غطت على معرفته بالفقه(١١٨)"، وكان منقطعاً في منزله عن الناس لا يخرج إلاّ في الجمعات، "وكان خشن العيش صابراً على فقره، عزيز النفس عفيفاً على منهاج السلف"(١١٩)، وهو والد قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبدالرزاق .

ومن أحفاد الشيخ عبدالقادر الذين لهم صلة بموضوع البحث: قاضي القضاة أبو صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر الجيلي(١٢٠) (ت ٦٣٣ هـ)، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً، وكان مقدم مذهبه وشيخ وقته، درّس في مدرسة جده وغيرها، وقلد قضاء القضاة في خلافة الظاهر بأمر الله "ولم يقلد قضاء القضاة حنبلي سواه"، فسار سيرة حسنة من فتح بابه ورفع حُجابه والجلوس للناس عموماً والاذان على بابه والخروج إلى صلاة الجمعة راجلاً، ثم عزل سنة ٦٢٣هـ فرجع إلى مدرسة جده يدرس ويفتي. ولما تكامل بناء الرباط

---

(١١١) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤١، ص ٧٧.

(١١٢) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٨٩. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥١٥.

(١١٣) انظر ترجمته في: ابن نقطة، كتاب التقييد، ج ٢، ص ١٠٩ (الرقم ٤٣٧). أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٥٨. ابن الساعي، الجامع المختصر، ص ٢١٤-٢١٥. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٢-٢٤٣. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٦١ (الرقم ٩٥٨). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٢٤٨ (الرقم ٦٩٧٤). ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٣، ص ٥٦. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٠-٤١ (الرقم ٢٢١). التادفي، قلائد الجواهر، ص ٩٢-٩٣. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٨-١٩.

(١١٤) ابن نقطة، كتاب التقييد، ج ٢، ص ١٠٩.

(١١٥) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٥٨. وقال ابن كثير في البداية و النهاية " لم يدخل فيما دخلوا فيه من المناصب والولايات " ج ١٣، ص ٥٦.

(١١٦) ابن الساعي، الجامع المختصر، ص ٢١٤-٢١٥.

(١١٧) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(١١٨) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤١.

(١١٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤١. نقلاً عن ابن النجار.

(١٢٠) انظر ترجمته في: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٥. مجهول، الحوادث، ص ١١٥-١١٧. الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق بن أحمد الحنبلي، (ت ٧٢٣ هـ). تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، الجزء الرابع، ٣ م، (تحقيق الدكتور مصطفى جواد)، وزارة الثقافة و الارشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢-١٩٦٥. ج ٤، قسم ٢، ٨٧٣ (الرقم ١٢٩٥). الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٣٥٦ (الرقم ١٣٦٣). تاريخ الاسلام، ج ٤٦، ص ١٧٣. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٧، ص ٤٦ (الرقم ٣٦). ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٨٩ (الرقم ٣٠٧). ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٨١.

المستجد بدير الروم جُعل شيخاً على من به من الصوفية إلى أن توفي(١٢١). "وتخرج به في علمي الشريعة والحقيقة أناس من اهل بغداد "(١٢٢).

وله كلام حسن في إشارات الصوفية(١٢٣). وكان مقداماً من الرجال لا يهاب، وله أشعار في الزهد، وفي سنة ٦٣٠هـ انفذ رسولاً إلى الموصل واربل(١٢٤). وقد ألّف في التصوف، وبنيت له دكة بجامع القصر للمناظرة، وكان له قبول تام، وكان يحضره أناس كثيرون، ويبدو أنه كان يتمتع بمكانة كبيرة عند الناس إلى الحد الذي جعلهم يدفنونه في دكة الإمام أحمد بن حنبل، إلاّ أنه قبض على من فعل ذلك، ثم نبش القبر ليلاً بعد أيام ونقل جثمانه إلى مكان آخر(١٢٥).

ويبدو ان نصراً قد التقى بالشيخ محي الدين بن عربي وجرى بينهما مناظرة في حديث من احاديث الصفات(١٢٦). كما يذكر انه ولي النظر في جميع الوقوف العامة ووقوف المدارس الشافعية والحنفية وغيرها، فكان يولي ويعزل في جميع المدارس حتى النظامية، وكان المستنصر يعظمه ويجله ويبعث إليه أموالاً كثيرة ليفرقها(١٢٧).

يستنتج مما تقدم انه استمر احترام الناس، الخاصة منهم والعامة، لأبناء الشيخ عبدالقادر الجيلي واحفاده، وبخاصة الذين حملوا منهم رسالة الشيخ عبدالقادر، طيلة القرن السادس وحتى سقوط بغداد بيد التتار سنة ٦٥٦ هـ وقد تابع اكثرهم طريق الشيخ عبدالقادر في الفقه و التصوف فكان منهم محدثون وفقهاء ومفتون ومدرسون وقضاة. وكانوا كلهم حنابلة. وقد كان ارتحال بعض أبناء الشيخ عبدالقادر إلى خارج بغداد، واستيطانهم وتناسلهم حيث استقروا، من العوامل التي ساهمت في انتشار التصوف خارج بغداد كالجبال وبلاد الجزيرة و الشام ومصر والمغرب والاندلس ، ومهد لتطور لاحق تمثل في نشوء الطريقة القادرية. وكان تصوف ابناء الشيخ عبدالقادر وأحفاده تصوف الفقهاء وهو التيار الذي تنامى في تلك الفترة، وقد شارك بعض أولاده بالغزو ضد الفرنجة كابنه عبد العزيز. كما أسهموا أيضاً في حركة التأليف في موضوع التصوف، ومنهم من كان سفيراً للخليفة، ومنهم من ولي الأربطة الصوفية في بغداد. ومما يلفت الانتباه أنه لم يل قضاء القضاة من الحنابلة أحد سوى نصر حفيد الشيخ عبدالقادر، قال ابن رجب الحنبلي المتوفى في نهاية القرن الثامن الهجري: "ولا أعلم أحدًا من اصحابنا دُعي بقاضي

---

(١٢١) مجهول، الحوادث، ص ١١٥-١١٧. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٩١.

(١٢٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٥.

(١٢٣) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٣٥٦.

(١٢٤) الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ٤،قسم ٢، ٨٧٤.

(١٢٥) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٦، ص ١٧٤-١٧٥.

(١٢٦) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٩٠.

(١٢٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٠-١٩١.

القضاة قبله. ولا استقل منهم بولاية قاضي القضاة بمصر غيره"(١٢٨). وفي هذا دلالة على ان التصوف قد صار معترفاً به رسمياً إلى الحد الذي أصبح عنده الصوفي قاضي قضاة في حاضرة الاسلام، وهو حنبلي على غير ما جرت عليه العادة وتعتبر الاسرة الكيلانية من اكبر الاسر في العالم الإسلامي ،وبرز منهم العديد من الشخصيات من رؤساء وزارة ووزراء وقادة وثوار وادباء وشعراء وعلماء وفي كل الميادين وهم منتشرين في اغلب ارجاء المعمورة.

لقد ازدهرت حركة تصوف الفقهاء عامة و الحنابلة خاصة في بغداد على يد الشيخ عبدالقادر الجيلي وتلاميذه الأمر الذي كان من شأنه ان يلطف الخلاف بين المذاهب . فكان تصوف الجميع عامل تلطيف للخلافات المذهبية التي بلغت قبل ذلك حداً كاد يهدد استقرار المجتمع البغدادي.

أما تلاميذ الشيخ عبدالقادر فهم أكثر من أن يستوعبوا . وقد انتشروا في بغداد وغيرها من بلاد الإسلام على نحو يخرج هذا البحث عن حدوده لو أريد ذكرهم(١٢٩). ومع ذلك فإن ذكر بعض أشهر تلاميذه من شأنه ان يعطي فكرة عن استمرارية تأثير الجيلاني في حركة التصوف وانتشارها .

لقد انتمى إلى الشيخ عبدالقادر (اعداد كبيرة من العلماء و الفقهاء)(١٣٠). حيث قال ابن العماد أنه " تتلمذ له اكثر الفقهاء في زمنه. ولبس منه الخرقة المشايخ الكبار"(١٣١). وفي هذين الخبرين تأكيد للتوجه الصوفي لدى الفقهاء آنذاك، ودور الشيخ عبدالقادر في تنشيطه. ويذكر "أن جمهور شيوخ اليمن يرجعون في لبس الخرقة إليه [أي الشيخ عبدالقادر]، بعضهم لبسها من يده لما قدمت أعلام فضائله عليهم، والأكثرون من رسول أرسله إليهم"(١٣٢)، ويستدل من ذلك على انتشار التصوف وطريقة نشره إذ كان الشيخ يرسل رسلاً إلى البلاد لينشروا الطريقة ويلبسوا الخرقة القادرية أو كان الناس يقصدونه في بغداد ليلبسوا الخرقة من يده.

و يبدو أن الخرقة القادرية كان يُلبسها الآباء للأبناء خلفاً عن سلف. فيذكر عن جماعات من رجال التصوف أنهم "أخذوا له [أي للشيخ عبدالقادر] الخرقة خلفاً عن سلف"(١٣٣)، ويذكر عن بعض مشاهير المقادسة كالحافظ عبد الغني المقدسي و الموفق ابن قدامة المقدسي وغيرهما أنه "من أدركه [أي الشيخ عبدالقادر] منهم واجتمع به فقد

(١٢٨) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٩١.

(١٢٩) للاطلاع على اسماء اشهر تلاميذه في علمي الشريعة والتصوف انظر: الشطنوفي، قلائد الجواهر، ص٩-١١، ٢٢٥-٢٤١.

(١٣٠) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٥. اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٦٧.

(١٣١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٢.

(١٣٢) اليافعي، مرآة الجنان، ٣،٢٦٨. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٢.

(١٣٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٠.

أخذ عنه، ومن لم يجتمع به منهم فأخذ عمن أخذ عنه خلفاً بعد سلف"(١٣٤). إن طبيعة هذا الانتقال لخرقة التصوف القادرية كان لها أثر في صبغ كثير من العائلات و الأسر بصبغة التصوف حتى كاد ان يكون ذلك وراثياً، فلم يعد التصوف شأناً فردياً كما كان قبل ذلك، وهذا أسهم لاحقاً في التأسيس لقيام ما عرف باسم "الطرق الصوفية" بمعناها الذي راج لاحقاً في بلاد الإسلام عامة، حتى صارت عائلات و أسر بأكملها تتسمى بالقادري والرفاعي والسهروردي وغيرهم، وإنما يعني أن النسبة لم تعد مقصورة على البلد أو الذرية و إنما تعدتهما إلى النسبة إلى طريقة الشيخ المؤسس، ويعبر الشطنوفي عن هذه النسبة الأخيرة بلفظة "انتسب إليه " تمييزاً عن لفظة "انتمى إليه"، بحيث يُفهم ان الانتماء هو سير في طريقة الشيخ، اما الانتساب فهو التسمي بها(١٣٥).

وقد عرف عن بعض تلاميذ الشيخ عبدالقادر انهم نشروا التصوف القادري في بلاد بعينها، وكانوا يدعون الناس هناك للانتماء إلى الشيخ عبدالقادر ولبس خرقته، منهم الشيخ أبوالحسن علي بن إبراهيم بن الحداد اليمني الذي دعا أهل اليمن إلى الانتماء إلى الشيخ عبدالقادر(١٣٦)، والشيخ أبو عبدالله محمد البطائحي نزيل بعلبك الذي ألبس مشايخ الشام الخرقة القادرية وكان أشهر من لبس منه الشيخ أبو محمد عبدالله بن عثمان اليونيني المعروف بأسد الشام(١٣٧)، وقام الشيخ بديع الدين أبو القاسم خلف بن عياش الشارعي الشافعي بنشر التصوف القادري في مصر بعد أن درس على الشيخ عبدالقادر ببغداد، "و ألبس أعيان أهلها [أي مصر] يومئذ الخرقة القادرية". وقد كان الشارعي "من العلماء الصلحاء المحدثين" (١٣٨)، وكان شافعياً أخذ عن الجيلي وهو حنبلي مما يؤكد مرة أخرى أنه عند الصوفية تتلاشى الفوارق المذهبية الموجودة عند غيرهم أنذاك.

ونظراً لأهمية تنامي تيار تصوف الفقهاء أنذاك، وازدهار وانتشار حركة التصوف في البلاد و المجتمعات الإسلامي ة، تغدو الاشارة إلى تراجم بعض مشاهير تلاميذ الشيخ عبدالقادر الجيلي ودورهم في التصوف أمراً لا مندوحة عنه.

فممن انتمى إلى الجيلي الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق القرشي(١٣٩)

---

(١٣٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٦.

(١٣٥) قارن على سبيل المثال قول الشطنوفي " كلهم انتموا إلى الشيخ محي الدين عبدالقادر"، وقوله " تفقه عليه واخذ عنه وانتسب إليه " الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٠، ٢٣٣ على التوالي.

(١٣٦) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٢.

(١٣٧) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٣.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ١٤٧-١٤٨. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨١.

(١٣٩) انظر ترجمته في: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣٧٧-٣٨٥، ٢٢٥. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٠٦-٣١١ (الرقم ١٣٩).

(ت ٥٦٤ هـ) الفقيه العارف الزاهد نزيل الديار المصرية، وقد افتى بها على مذهب ابن حنبل ودرس وناظر وتكلم على المعارف والحقائق، وانتهت إليه تربية المريدين بمصر وانتمى إليه ناس كثيرون من الصلحاء، وحصل له قبول تام من الخاص والعام، وكان له كرامات واحوال ومقامات وكلام حسن على لسان أهل الطريقة، وكان من "أوتاد مصر"(١٤٠) التقى بالشيخ عبدالقادر الجيلي في الحج على عرفة، ولبس هو والشيخ أبو مدين(١٤١) من الشيخ عبدالقادر "خرقة بركة"، وسمعا عليه جزءاً من مروياته، وجلسا بين يديه(١٤٢). وقد كانت الناس بمصر تستنجد به إذا زاد النيل إلى حد الغرق أو نقص عن حد الري(١٤٣).وفي هذا دلالة على كراماته و مكانته عند الناس. ويذكر عن الشيخ علي بن نجا انه روى عن القرشي كرامة مفادها إنباؤه عن تملك أسد الدين شيركوه مصر في ثالث مرة يقدمها فجرى الأمر كما ذكر(١٤٤). ومن كلامه في المعارف قوله: "من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه"(١٤٥). ومن شعره الصوفي الذي كثر اقتباسه لدى الصوفية:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة ... و أيسر ما في الذكر ذكر لساني

وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهام عليّ القلب بالخفقان

فلما أراني الوجد أنك حاضري ... شهدتك موجوداً بكل مكان

فخاطبت موجوداً بغير تكلم ... ولاحظت معلوماً بغير عياني(١٤٦)

ويبدو أن الفقيه إذا كان صوفياً ذا كرامات ظاهرة وكلمات هادية يصبح قدوة في المجتمع يقتدى الناس به ويتمثلون اقواله وأشعاره، وهذا الأثر للصوفية في مجتمعاتهم كان واضحاً

---

(١٤٠) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣٧٧-٣٨٠. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(١٤١) سيأتي ذكره لاحقاً في هذا الفصل.

(١٤٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥٥. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٠٦.

(١٤٣) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٠٨.

(١٤٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٨.

(١٤٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٧.

(١٤٦) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣٨٤.

أنذاك، ولكن القرشي وضع ضوابط للاقتداء بالصالحين فقال محذراً " وإياكم و محاكاة أصحاب الاحوال قبل إحكام الطريق وتمكن الاقدام فإنها تقطع بكم"(١٤٧).

ومن تلاميذ الشيخ عبدالقادر الفقهاء الصوفية الذين كان لهم شأن عند نور الدين زنكي، حامد بن محمود بن حامد الحرّاني، تقي الدين المعروف بابن أبي الحجر(١٤٨) (ت ٥٧٠ هـ)، شيخ حرّان وخطيبها ومُفتيها ومدرسها، رحل إلى بغداد ولقي بها الشيخ عبدالقادر ولازمه" فرآه الشيخ يوماً يمشي على سجادته على بساط للشيخ فقال الشيخ عبدالقادر: كأني بك وقد دُست على بساط السلطان. فكان كما قال" (١٤٩). وبنى نور الدين محمود المدرسة في حران لأجله ودفعها إليه ودرس بها... وكان نور الدين محمود يقبل عليه، وله فيه حسن ظن" (١٥٠). ولما ولاه السلطان نور الدين قال: "بشرط ان تترك المظالم والضمانات، وتورث ذوي الارحام. فأجابه إلى ذلك " (١٥١).

ويذكر أنه طلب يوماً من نور الدين قاضياً لحران. وكان نور الدين يومئذ صاحب دمشق، فسيّر إليه أسعد بن المنجا (او المنجى) بن بركات، أبو المعالي الحنبلي القاضي (ت بعد ٥٨١ هـ)، وهو أيضاً من تلاميذ الشيخ عبدالقادر. فتولى القضاء و الخطابة بحران سنة ٥٦٧ هـ(١٥٢).

يبدو مما تقدم أن السلطان نور الدين زنكي انتفع بتلاميذ الشيخ عبدالقادر الجيلي الذين اسهموا بدور فاعل في النهضة العلمية التي نشطت على يد نور الدين ضمن مشروعه الجهادي ضد الفرنجة.

أما وارث مقام الشيخ عبدالقادر الجيلاني(١٥٣) و أجلّ اتباعه(١٥٤) والمشار إليه بعده(١٥٥) فهو أبو السعود بن الشبل العطار الحريمي، أحمد بن أبي بكر بن

---

(١٤٧) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٠٧.

(١٤٨) انظر ترجمته في: ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٣٢-٣٣٤ (الرقم ١٥٣). ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٩٢. عباس، الدكتور إحسان، (١٩٨٨). شذرات من كتب مفقودة من التاريخ. ٢ ج، (ج ١، ط ١)، (ج ٢، ط ٣). بيروت: دار الغرب الإسلامي.= =ج ١، ص ١٨٢، (ذكر في كتاب الاستسعاد بمن لقيته من صالحي العباد في البلاد لأبي الفرج ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم الانصاري المعروف بابن الحنبلي (ت ٦٣٤هـ)

(١٤٩) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٣٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٩٢. عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج ١، ص ١٨٢.

(١٥٠) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٣٣، نقلاً عن ابن الحنبلي. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٩٢. عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج ١، ص ١٨٢.

(١٥١) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٣٣.

(١٥٢) ابن أبي جرادة، كمال الدين عمر بن أحمد (ابن العديم)، (ت ٦٦٠ هـ). بغية الطلب في تاريخ حلب، ط ١، ١٠ ج، (تحقيق الدكتور سهيل زكار)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨. ج ٤، ص ١٥٨٠-١٥٨٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٦-٣٧.

(١٥٣) المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٧.

(١٥٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٤٣.

المبارك(١٥٦) (ت ٥٨٢ هـ) " كان له كرامات و إشارات وقبول تام عند الخاص و العام، وكان طريقه الفناء لا يأكل حتى يُطعم ولا يشرب حتى يُسقى ولا يلبس ثوباً حتى يحصل في عنقه، وكان بين يدي الله تعالى بمنزلة الميت بين يدي الغاسل، لا يزال مستقبل القبلة على طهارة لا يتكلم إلاّ جواباً. وكان حسن الاخلاق كريم الطباع متواضعا"(١٥٧). وقد صحب الشيخ عبدالقادر وتخرج به وسمع منه(١٥٨)،وحدث بشيء يسير، واشتغل بحاله عن الرواية(١٥٩). وكان منزله مجمع الفقراء(١٦٠). ويذكر "أن الشيخ ابا السعود كان امام وقته". وكانت طريقته أن "ما جاء من عند الله لا يرده أبداً. ولا يطلب شيئاً من أحد" (١٦١). وذكر ابن عربي "انه أعلى مقاماً من شيخه" (١٦٢).

ويبدو أنه كان لأبي السعود بن الشبل اتباع من أهل الحكم مثل استاذ الدار عضد الدين أبي الحسن علي بن بختيار البغدادي(١٦٣). ولما توفي أبو السعود " بنوا عليه قبة عالية، وقبره ظاهر يزار " (١٦٤).

ومن أولاد أمراء العرب الذين صحبوا الشيخ عبدالقادر، نصر بن منصور بن الحسن النميري الأديب الشاعر الحنبلي(١٦٥) (ت ٥٨٨ هـ). وفي هذا دلالة على أن التصوف شمل أناساً من مختلف فئات المجتمع بما فيهم الأمراء.

ومن أشهر من لبس الخرقة من الشيخ عبدالقادر، أبو مدين المغربي، شعيب بن الحسين الأندلسي(١٦٦) (ت ٥٩٠ هـ) من أعيان مشايخ المغرب وأحد أوتادها. جمع بين

---

(١٥٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٣٨٩.

(١٥٦) أنظر ترجمته في: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨،ق ١، ص ٣٨٩.
الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٧.
الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ١٢٩ (الرقم ٤٥٥).
تاريخ الاسلام، ج ٤١،ص ١٣٤، ١٥١.
الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٧٠٠ (الرقم ٥٣٠). المناوي،
الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٤٣.
ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٥٠.

(١٥٧) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨،ق ١، ص ٣٨٩.

(١٥٨) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٧.

(١٥٩) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨،ق ١، ص ٣٩٠.

(١٦٠) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ١٢٩. تاريخ الاسلام ج ٤١، ص ١٣٤.

(١٦١) الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٧٠٠-٧٠١.

(١٦٢) المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٤٣.

(١٦٣) رتبه الناصر أستاذ الدار سنة ٥٨٤ هـ و عزله سنة ٥٨٧ هـ، وانقطع في داره، وكان فيه فضل وله قبول، ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج ٤، ق ١، ص ٤٤٦ (الرقم ٦٣٦).

(١٦٤) سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص ٣٩٠.

(١٦٥) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٨٥.

(١٦٦) انظر ترجمته في: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٤٠٤-٤١٦، ص ١١٢.

علمي الشريعة والحقيقة و أفتى ببلاد المغرب على مذهب مالك وناظر وأملى وقصده طلبة العلم و أخذوا عنه، وتخرج بصحبته عدد من الأكابر. سكن بلاد المغرب وتوفي بتلمسان(١٦٧). وقد لبس خرقة التبرك من الشيخ عبدالقادر الجيلي في الحج وسمع عليه جزءاً من مروياته وجلس بين يديه(١٦٨). وكان أبو مدين يرسل بعض تلاميذه، مثل الشيخ صالح بن ويرجان الدكالي، من المغرب إلى الشيخ عبدالقادر كي يعلمهم الفقر، وقد جلس الدكالي في خلوة ببغداد مائة وعشرين يوماً بأمر الشيخ عبدالقادر ثم رجع إلى المغرب(١٦٩). قال الذهبي: "كان [أبو مدين] كبير الصوفية و العارفين في عصره "(١٧٠). وهو "شيخ أهل المغرب"(١٧١)، وأحد شيوخ محي الدين بن عربي(١٧٢)، ويسميه ابن عربي "بشيخ الشيوخ" (١٧٣). ويذكر أنه "خرج على يده ألف شيخ من الأولياء أولي الكرامات"(١٧٤).

وهناك مايشير إلى تخوّف الدولة في المغرب من كثرة اتباع أبي مدين، وهو حال تكرر في غيرها من الدول، حيث وشى بعض العلماء بالشيخ أبي مدين عند يعقوب المنصور وقال له: "إنا نخاف منه على دولتكم، فإن له شبهاً بالإمام المهدي، و أتباعه كثيرون بكل بلد"، فبعث إليه يستقدمه، ولكن ابا مدين توفي بالطريق(١٧٥) .

الذهبي، تاريخ الاسلام،ج ٤١، ص ٣٩٨ (الرقم ٤٢٤).

العبر في خبر من غبر، ج ٣، ص ١٠٣.

الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٩٥ (الرقم ٥٤٢٤).

ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٥٣٧.

الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٧٠٢ (الرقم ٥٣١).

التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٠. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢١٥-٢١٧ (الرقم ٢٧٥). التلمساني، أحمد بن محمد المقري، (ت ١٠٤١ هـ). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط (بدون)، ٨ ج، (تحقيق الدكتور إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨. ج ٧

ص ١٣٦-١٤٤. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٩٥.

(١٦٧) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٤٠٤-٤٠٥، ٤١٥.

(١٦٨) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥٥. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٠٦. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٠. التلمساني، نفح الطيب، ج ٧، ص ١٣٨.

(١٦٩) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١١٢.

(١٧٠) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤١، ص ٣٩٩.

(١٧١) الذهبي، العبر، ج ٣، ص ١٠٣. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٩٥. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٥٣٧.

(١٧٢) الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٧٠٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٩٥.

(١٧٣) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٩٥.

(١٧٤) التلمساني، نفح الطيب، ج ٧، ص ١٣٦.

(١٧٥) التلمساني، نفخ الطيب، ج ٧، ص ١٤٢.

ولأبي مدين كلام في التصوف عال، ومنه قوله: "إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره"، وقوله "الاخلاص ان يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق"(١٧٦)، وقوله "بفساد العامة تظهر ولاة الجور، وبفساد الخاصة تظهر دجاجل الدين الفتانون " (١٧٧).

يستدل من ترجمة أبي مدين أنه كان هنالك صلة واضحة بين صوفية المغرب و صوفية المشرق، وأن التفاعل بينهما كان قائماً، وأن لمتصوفة بغداد من الانتشار والتأثير في المجتمعات الإسلامية اكثر مما كان للخلافة العباسية نفسها آنذاك.

ومن مشاهير تلاميذ الشيخ عبدالقادر الجيلي، الشيخ أبو علي الحسن بن مسلم القادسي، وقيل الفارسي،(١٧٨) (ت ٥٩٤هـ) كان من الأبدال، وكانت السباع تأوي إلى زاويته، وكان الخليفة و أرباب الدولة يمشون إلى زيارته، وكان له رباط بالقادسية(١٧٩). تفقه في شبيبته، وكان أبو الفرج بن الجوزي يبالغ في تعظيمه، وتردد إليه الإمام الناصر لدين الله وكان يعتقد فيه، وكان الناس يقصدونه ويتبركون به(١٨٠). صحب الشيخ عبدالقادر واشتغل بالعبادة والانقطاع إلى الله، وكان ذا كرامات(١٨١).

إن تردد الناصر لدين الله على مثل هؤلاء الرجال له دلالة، وربما كان لمثل هذه الزيارات أثر في توجه الناصر لاحقاً نحو تنظيم الفتوة التي سيأتي ذكرها لاحقاً في البحث.

ومن مشاهير فقهاء الصوفية الذين لبسوا الخرقة من الشيخ عبدالقادر الجيلي وتفقهوا عليه وسمعوا الحديث منه، وكان لهم دور يذكر في الدولة النورية والأيوبية. الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الانصاري الدمشقي الفقيه الحنبلي الواعظ(١٨٢) (ت ٥٩٩ هـ) نزيل مصر، والمعروف بابن نجية و (ابن نجا)، بعثه نور الدين محمود بن زنكي رسولاً إلى بغداد سنة ٥٦٤ هـ. "ثم سكن مصر قبل دولة صلاح

---

(١٧٦) الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢١٦.

(١٧٧) التلمساني، نفح الطيب، ج ٧، ص ١٤٣.

(١٧٨) انظر ترجمته في: أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٣. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٨ (الرقم ١٨٣). ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٩٥-٣٩٦ (الرقم ٢٠٠). ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥١٧. قال أبو شامة إنه " من قرية بنهر عيسى يقال لها القادسية "، وقال ابن رجب: " أصله من حوراء قرية من قرى دجيل من سواد بغداد، ثم انتقل منها إلى قرية يقال لها الفارسية من نهر عيسى ".

(١٧٩) أبو شامة، الذيل، ص ١٣. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٩. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٩٦. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥١٧.

(١٨٠) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٩.

(١٨١) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٨. ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٩٥.

(١٨٢) انظر ترجمته في: البنداري، الفتح بن علي، (ت ٦٤٣ هـ). سنا البرق الشامي، وهو مختصر لكتاب البرق الشامي للعماد الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ)، ط (بدون)، (تحقيق دكتورة فتحية النبراوي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩. ص ٣١٤-٣١٥. أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٤-٣٥. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ١٥٥-١٥٦، ٢٣٠. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٧١-٧٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥٥٤-٥٥٥. عباس، الدكتور احسان، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج ١، ص ١٩٣-١٩٦ (كتاب الاستسعاد لابن الحنبلي). أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٤-٣٥.

الدين وفي أيامه وكان له منه منزلة جليلة، وهو الذي نمّ على عمارة اليمني الشاعر و أصحابه بما كانوا عزموا عليه من قلب الدولة فشنقهم صلاح الدين.... وكان صلاح الدين يكاتبه و يحضره مجلسه هو وأولاده العزيز و غيره، وكان له جاه عظيم و حرمة زائدة" (١٨٣)، وهو الذي نصب له سرير الوعظ بعد انقضاء صلاة الجمعة الأولى في القدس بعد فتحها على يد صلاح الدين يوم ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ، وذلك بعد خطبة القاضي ابن الزكي، وقد حضر صلاح الدين وعظه(١٨٤).

وفي مصر "كان يعظ بجامع القرافة مدة طويلة، وله فيها وجاهة عظيمة عند الملوك... وكان صلاح الدين... يسميه عمرو بن العاص، و يعمل برأيه، وكان أهل مصر لا يخرجون عما يراه لهم زين الدين يعني ابن نجية وكثير من أرباب الدولة " (١٨٥).

وفي بغداد اجتمع بالشيخ عبدالقادر وغيره من الأكابر ووعظ بجامع المنصور(١٨٦).

ويذكر الشطنوفي، ويتابعه التادفي، خبر لبس ابن نجا الخرقة من الشيخ عبدالقادر الجيلي وقراءته الفقه عليه وسماعه الحديث منه، ثم يذكر خبراً يؤكد فيه اتصال ابن نجا بالدولتين النورية و الأيوبية و أثره فيهما بسبب كرامة من كرامات الجيلي، حيث إن ابن نجية حج ثم أتى بغداد والتقى بالجيلي فلما سلم عليه قال له الجيلاني" أهلاً و سهلاً بواعظ الديار المصرية"، فتعجب ابن نجا وقال له: كيف وانا لا أحسن أصحح الفاتحة، فقال: أمرت أن أقول لك هذا. قال ابن نجا: "فاشتغلت عليه [أي على الشيخ عبدالقادر] بالعلم ففتح الله عليّ بالعلم في سنة ما لم يفتحه على غيري في عشرين سنة، وتكلمت ببغداد "، ولما استأذن للسفر إلى مصر أوصاه الجيلي أن يقول لجيش نور الدين المتأهب لدخول مصر أنهم لن يملكوا مصر في هذه المرة و إنما في مرة أخرى، فلما أبلغهم ابن نجية لم يقبلوا منه، ثم إن ابن نجية دخل مصر فوجد الخليفة المصري متأهباً فأخبره ان جيش نور الدين لن ينجح في مسعاه، فلما تحقق الأمر اتخذه الخليفة المصري جليساً وأطلعه على اسراره، ثم جاء جيش نور الدين في الثانية فملكوا مصر، وأكرموا ابن نجية بالكلام الذي قاله لهم بدمشق(١٨٧).

إن محور هذا الخبر هو أحدى كرامات الشيخ عبدالقادر، وكيف كانت سبباً لبداية اتصال أحد تلاميذه بأرباب السلطة، وليست الكرامات بحدّ ذاتها محور الاهتمام هنا، فهذا مما لا يتسع البحث له، وإنما ما يهم البحث هو مدى تأثر أهل ذلك العصر

---

(١٨٣) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٤-٣٥.

(١٨٤) البنداري، سنا البرق الشامي، ص ٣١٥. عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج ١، ص ١٩٥.

(١٨٥) عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج١، ص ١٩٤-١٩٥.

(١٨٦) عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ١٩٤. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥٥٤.

(١٨٧) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٥٥-١٥٦، ٢٣٠. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٧١-٧٢.

بالكرامات وموقفهم منها وإيمانهم بها على نحو أملى عليهم في بعض الأحيان مواقفهم في الأحداث التاريخية. وكما أنه يصعب تصور التصوف بدون كرامات في القرن السادس الهجري، كذلك فإن تصور مجتمع تلك الفترة يبقي تصوراً قاصراً إذا لم يؤخذ بعين الاعتبار دور الكرامات فيه وأثرها في الفعل التاريخي. وذلك بصرف النظر عن موقف المؤرخ تجاه الكرامات الصوفية، سلبياً كان أم إيجابياً. ويؤكد هذا القول حقيقةُ مفادها أنه لا يكاد مصدر من المصادر التاريخية يخلو من ذكر أصحاب الكرامات، الأمر الذي يدل على أن الكرامات كانت عنصراً ثابتاً من العناصر النفسية و الفكرية لأهل تلك الفترة، وبالتالي فإنها تدخل في الفعل التاريخي لهم.

ومن مشاهير تلاميذ الشيخ عبدالقادر، الحافظ عبد الغني بن عبد الوأحد المقدسي الجماعيلي(١٨٨) (ت ٦٠٠ هـ) قدم بغداد هو والموفق بن قدامة المقدسي فنزلا في مدرسة الشيخ عبدالقادر لما تفرس فيهما الخير والصلاح فأكرمهما وسمعا عليه، ثم توفي الشيخ عبدالقادر بعد قدومهما بخمسين ليلة. وكان ميل عبد الغني إلى الحديث و الموفق إلى الفقه(١٨٩)، قال موفق الدين بن قدامة المقدسي: "لبست انا والحافظ عبد الغني الخرقة من يد شيخ الإسلام محي الدين عبدالقادر في وقت واحد، واشتغلنا عليه بالفقه وسمعنا منه وانتفعنا بصحبته ولم ندرك من حياته سوى خمسين ليلة" (١٩٠)، وقد اشتهر عبد الغني بالرحلة في طلب الحديث. ومن مصنفاته كتاب الكمال في اسماء الرجال، وغيره، وكان زاهداً عابداً أمّاراً بالمعروف نهاءً عن المنكر(١٩١) ويذكر له ابن رجب بعض الكرامات(١٩٢).

ومن تلاميذ الشيخ الجيلي، عبدالله بن أبي الحسن بن أبي الفرج الجبائي(١٩٣) (ت ٦٠٥ هـ)، من قرية الجبة من عمل طرابلس بجبل لبنان، وكان نصرانياً وأسلم وعمره إحدى عشرة سنة ثم رحل إلى بغداد في سنة ٥٤٠ هـ، وصحب الشيخ عبدالقادر وتفقه على

---

(١٨٨) انظر ترجمته في: أبو الشامة، الذيل على الروضتين، ص ٤٦-٤٧. ابن الساعي، الجامع المختصر، ص ١٤٠. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٠، ٢٣١، وغيرها.
الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٧٣ (الرقم ١٠٠٨).
ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٣، ص ٤٦-٤٨. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٥-٣٢ (الرقم ٢١٤).

(١٨٩) الذيل على الروضتين، ص ٤٦.

(١٩٠) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣١.

(١٩١) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٧٣.

(١٩٢) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٢٧.

(١٩٣) انظر ترجمته في: الشطنوفي بهجة الأسرار، ص ٢٣١. الذهبي المختصر المحتاج إليه، ص ٢٢٧ (الرقم ٨٢٣). تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ١٧٥. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٧، ص ٦٩. ابن رجب، الذيل، ج ٢، ص ٤٤ (الرقم ٢٢٤). ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٩. عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ١٨٦.

مذهب ابن حنبل(١٩٤). وقد لازم الشيخ عبدالقادر واشتغل بالعبادة والانقطاع ولما توفي الشيخ عبدالقادر سافر إلى اصفهان واستوطنها(١٩٥) وقد حكى عن الشيخ عبدالقادر كثيراً من احواله وكراماته(١٩٦).

ويذكر الجبائي أمراً وقع له مع الشيخ عبدالقادر الجيلي فيه دلالة واضحة على دور الشيخ عبدالقادر في إحياء تيار تصوف الفقهاء آنذاك. فقد ذكر الجبائي أنه كان يسمع كتاب حلية الأولياء على شيخه أبي الفضل بن ناصر. فرقّ قلبه واشتهى أن ينقطع عن الخلق ويشتغل بالعبادة فمضى إلى الشيخ عبدالقادر الجيلي فصلى خلفه. فلما جلس نظر إليه الشيخ عبدالقادر وقال: "إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم، فحينئذ يصلح لك الانقطاع. وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه وانت فريخ ما ريشت فإن أشكل عليك شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك و تسأل الناس عن أمر دينك؟ ما يحسن بصاحب الزاوية أن يخرج من زاويته ويسأل الناس عن أمر دينه. ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يُستضاء بنوره" (١٩٧).

إن في هذه الحكاية دلالة على منهج الجيلي في ترتيب الفقه قبل الانقطاع والتصوف. وقد أسهم هذا المنهج في الارتقاء بالفقهاء و بالصوفية على حدّ سواء. وفي ردّ الفقه و التصوف ليكون أحدهما استمراراً للآخر. وربما كان دافع الجيلي في حرصه على ترتيب الفقه قبل التصوف أن لا يدعي التصوف غير فقيه نظراً للمخاطر الاجتماعية التي تترتب على انفلات التصوف من ضوابطه الشرعية.

وقد كان الجبائي كبير الحرمة ببغداد وبأصبهان. وكان إذا مشى في سوق اصبهان قام له أهل السوق(١٩٨).

ومن تلاميذ الشيخ الجيلي المعروفين، عمر بن مسعود بن أبي العز الفراش، أبو القاسم البزاز(١٩٩) (ت٦٠٨هـ). أحد أعيان أصحاب الشيخ عبدالقادر الجيلي. صحبه مدة طويلة. وتفقه عليه وسمع منه الحديث وتخلق بأخلاقه وتأدب بأدابه وسلك طريقته. وقد كان له خان يبيع فيه البز ثم ترك ذلك وانقطع إلى زاوية (رباط) له إلى جانب مسجد

---

(١٩٤) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ١٧٥.

(١٩٥) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(١٩٦) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ٤٦.

(١٩٧) ابن رجب، الذيل، ج ٢، ص ٤٦، نقلاً عن ابن النجار. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣١.

(١٩٨) ابن رجب، الذيل، ج ٢، ص ٤٦، نقلاً عن ابن الحنبلي. عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج ١، ص ١٨٧.

(١٩٩) انظر ترجمته في: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١٢٤ (الرقم ١٢٨٤).

الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٢.

الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٨٨ (الرقم ١٠٦٧).

تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٠٣.

بالجانب الغربي، والتحق به جماعة من الاتباع، فاشتهر اسمه وشاع ذكره، وقصده الناس للزيارة وكثر الفقراء [اي من الصوفية] حوله، وصار الناس يقصدونه بالنذور و الصدقات والهبات والفتوح وينفق ذلك على من عنده، وتاب على يده خلق كثير من خواصّ مماليك الخليفة الترك، ولبسوا منه خرقة التصوف وصلحت أمورهم وانتفعوا بصحبته، وصار منهم جماعة إلى مقامات الزهاد والعباد، وكان للبزاز كلام حسن على طريقة القوم. وله شعر في التصوف، ومنه قوله:

إلهي لك الحمد الذي انت اهله　　　على نعم ماكنت قط لها أهلا

إذازدت تقصيراً تزدني تفضلاً　　　كأني بالتقصيراستوجب الفضلا

وقد حضر ابن النجار – صاحب ذيل تاريخ بغداد – عنده غير مرة وسمع كلامه، وقال عنه " على وجهه انوار الطاعة " (٢٠٠).

وقال الذهبي عنه "كان من بقايا المشايخ الكبار ببغداد"(٢٠١). وقد ذكر الشطنوفي ان البزاز كان فقيهاً مفتياً(٢٠٢)

يتجلى في ترجمة الشيخ عمر البزاز نموذج سوسيولوجي الذي كان للصوفية ببغداد، فهو فقيه صوفي صاحب رباط وله أتباع كان منهم أعداد كبيرة من خواص مماليك الخليفة الترك، وهذا يلقي ضوءاً على جانب من جوانب الحياة الخاصة لخواصّ الخليفة وحاشيته، ويرجح الباحث أنه الخليفة الناصر لدين الله، ويمكن فهم توجه خواص مماليكه نحو التصوف في ظل اهتمام الناصر بتنظيم الفتوة، وهو أمر يدعم علاقة التصوف بالفتوة في أواخر القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع، ويحتمل أن يكون ميل مماليك الناصر إلى التصوف بتوجيه من الناصر نفسه.

كما يستنتج من ترجمة البزاز أن بعض تلاميذ الشيخ عبدالقادر الجيلي كانوا يبنون أربطة لأنفسهم ينشرون من خلالها طريقة الجيلي في التصوف، وهذا ما تؤكده الترجمة التالية أيضاً.

ومن مشاهير تلاميذ الشيخ عبدالقادر الجيلي، الشيخ أبو الثناء محمود بن عثمان بن مكارم النعّال الحنبلي(٢٠٣) (ت٦٠٩هـ)، كان من الصالحين الأمر ين بالمعروف و الناهين

---

(٢٠٠) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢٠١) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٠٤.

(٢٠٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٢٠٣) أنظر ترجمته في: أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢.
الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٤٨.
ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٧٧.

عن المنكر(٢٠٤)، قال ابن رجب: "وكان الشيخ محمود و أصحابه ينكرون المنكر ويريقون الخمور، ويرتكبون الأهوال في ذلك.... وكان يُسمى شحنة الحنابلة" (٢٠٥)، فقد "أنكر على جماعة من الأمر اء، وبدّد خمورهم وجرت بينه وبينهم فتن و ضرب مرات، وهو شديد في دين الله، له إقدام و جهاد " (٢٠٦).

وفي هذا الخبر ما يشير إلى جانب من الدور الاجتماعي الذي كان يقوم به فقهاء الصوفية في بغداد، وبخاصة الحنابلة منهم الذين تزايد انتشار التصوف بينهم على نحو جلي في القرن السادس الهجري.

ومما يلفت الانتباه أن الرباط الذي بناه النعال بباب الأزج اختص بإيواء أهل العلم من المقادسة، وغيرهم، حيث كان يؤثرهم وانتفع به كثيرون(٢٠٧). وهذا الموقف تجاه المقادسة مفهوم نظراً للحال التي آل إليها أهالي بيت المقدس وما حوله من تهجير إثر الغزو الفرنجي آنذاك، الأمر الذي استوجب تعاطف المسلمين معهم، فكان موقف النعال المؤثر للمقادسة برباطه بمثابة إسهام من متصوفة بغداد في المجهود ضد الغزو الفرنجي. وقد كان هذا الرباط في سنة ٥٧٢ هـ مليئاً بطلبة العلم حتى أنه لم يكن فيه بيت خال(٢٠٨)، ويبدو أن الفترة التي قضاها النعال سائحاً في بلاد الشام(٢٠٩) على عادة الصوفية في السياحة، كان لها أثر بالغ في موقفه المتعاطف على نحو مميز تجاه المقادسة إذ ليس الخبر كالمعاينة.

و يُستفاد من ذلك أيضاً أن سياحة الصوفية في البلاد كان لها أثر تعدّى الإهتمام الصوفي البحت، من حيث إن سياحتهم مكنتهم من الإطلاع على أحوال البلاد التي دخلوها فكانوا بذلك أوسع أفقاً من غيرهم و أقوى شعوراً بالإنتماء إلى أمتهم الواحدة رغم تفرقها السياسي آنذاك، ولا يبعد أنهم كانوا- بفضل سياحاتهم- بمثابة السفراء الشعبيين بين

ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٦٣ (الرقم ٢٣٣).
ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧١.
عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ٢٠٠.

(٢٠٤) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٤٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٧٧.

(٢٠٥) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٦٤.
ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧٢.
عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ٢٠٠.

(٢٠٦) عباس، شذرات، ج ١، ص ٢٠٠.

(٢٠٧) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٤٩.
ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٧٧.

(٢٠٨) عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ٢٠٠.

(٢٠٩) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٤٩.

مجتمعات المدن الإسلاميةالذين يُحافظون على اتصالها الشعبي وقوة ترابطها. وبدورها عززت الربط الصوفية المقامة في الحواضر الإسلاميةهذا الشعور عبر تواصل والتقاء أهل الربط والقادمين من مختلف بلاد الإسلام لغايات صوفية أو فقهية أو كليهما. ويتوقع أن تكون ثقافة أهل الربط الصوفية ثقافةً وحدويّة في زمن كان فيه التشرذم السياسي، وربما المذهبي، هو السائد، إذ لم يعرف عن الربط الصوفية آنذاك أنها مقصورة أو موقوفة على مذهب دون آخر على نحو ما كانت عليه أكثر المدارس. وهذه ميزة للرباط الصوفي على المدرسة الفقهية.

يقول ابن رجب عن رباط الشيخ محمود النعال: "وكان رباطه مجمعاً للفقراء و أهل الدين وللفقهاء... حتى كان الإشتغال فيه بالعلم أكثر من الاشتغال بسائر المدارس... سكنه الشيخ موفق الدين المقدسي، والحافظ عبد الغني [المقدسي] وأخوه الشيخ العماد، والحافظ عبدالقادر الرهاوي وغيرهم من أكابر الرحالين لطلب العلم". وقد كان النعال يجلس في رباطه للوعظ(٢١٠).

ومن مشاهير من لبسوا خرقة التصوف من يد الشيخ عبدالقادر الجيلي، موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الحنبلي(٢١١) (ت٦٢٠هـ)، شيخ الإسلام(٢١٢)، وقد ورد آنفاً أنه لبس خرقة التصوف من الشيخ عبدالقادر واشتغل عليه بالفقه. ولم يدرك من حياة الشيخ عبدالقادر غير خمسين يوماً(٢١٣). قال الذهبي: "وكان [موفق الدين] إماماً حجة مفتياً مصنفاً متفنناً متبحراً في العلوم، كبير القدر"(٢١٤). وله من المصنفات: المغني، والكافي، والمقنع، والعمدة، والتوابين وغيرها(٢١٥). ويذكر انه شارك مع صلاح الدين الأيوبي في الجهاد ضد الفرنجة(٢١٦)، وقد ذكر ابن رجب بعضاً من كراماته(٢١٧).

أما بقية تلاميذ الشيخ عبدالقادر الجيلي، فهم أكثر من أن يحصوا. وقد ذكر الشطنوفي أسماء كثيرين منهم معظمهم من مشاهير فقهاء وحفاظ و قضاة تلك الفترة ، ومن هنا

---

(٢١٠) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٦٤.
ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧٢.

(٢١١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٩٠، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٥١.
الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٤٨٣-٤٩١.
ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٣٣ (الرقم ٢٧٢).

(٢١٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٤٨٣.

(٢١٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣١. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٤٨٤

(٢١٤) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٤٨٥.

(٢١٥) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٤٨٧.

(٢١٦) المصدر نفسه، ج ٤٤، ص ٤٩١.

(٢١٧) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٤٢.

يتجلى لنا وبوضوح تام الدور الريادي للشيخ عبدالقادر الجيلي في عصره وأثره الكبير في العصور التي تلت .ومكانته في نفوس المسلمين شرقا وغربا (٢١٨).

معنى الباز الأشهب عند الصوفية: العلامة شهاب الدين الألوسي يقول : « معنى الباز الأشهب عند الصوفية : المتمكن في الأحوال . فلا تزحزحه الطوارق عن درجات الرجال . مع الخلق بظاهره ومع الحق بسرائره . رؤيته سنية . وهمته عليّة وهو عون للخائفين وحظ للعارفين . ولكونه [قطب بغداد عبد القادر الكيلاني] صاحب القدح المعلى من ذلك لقب بما ذكر . وكان هو أيضاً يقول :

أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها .... طرباً وفي العلياء باز أشهب. «

(٢١٨) التل،عمر ،متصوفة بغداد ،دارالمامون ،عمان،٢٠٠٩"اقتباس مطول بتصرف للفائدة"،
وانظر ايضا صادق جعفر ،عبدالقادرالجيلاني ومذهبه الصوفي ،القاهرة ،ص٤٣-ص١٢٣.

قراءات في الفكر الصوفي
عند الامام عبدالقادر الجيلي

لا يَـــرَى هَـــذَا المَعْـــنَى	غَـــيْرَ صَـــبٍّ لَا يَعْـــنَى
بِسِـــوَى مَـــا بِـــه يُعْـــنَى	مِـــن طَرِيـــقِ أَهْـــلِ الله

أبو الفتوح الصيني (1681-1766 م)

المجاهدة

يولي الشيخ عبد القادر، المجاهدة، أهمية استثنائية، بحث إنه يؤكد على الالتزام بها عبر مفاصل نظريته الصوفية كافة، ولعل السر وراء ذلك يكمن في عدّها من جانبه بكونها الفعل الصوفي الدائم الذي يرافق المريد، منذ باكورة سلوكه الصوفي وحتى بلوغه اليقين المعرفي الذي يتحقق بارتفاع الحجب الظلمانية عن النفس والقلب والسر. على أن المجاهدة لا تعني عنده أكثر من كونها عقوبة وعصى طاعة، تلقى على النفس المراوغة والمخاتلة والمحتالة والمليئة بالدواهي والمسلحة بالمكر وألوان الخداع، والتي يمكن، أمام التلويح لها بالعصا والعقوبة، أن تتناوم وتظهر الطمأنينة والذل والتواضع والموافقة في الخير، بينما هي تبطن خلاف ذلك فإذا ما إغترّ بها صاحبها وإطمأن إليها وفترت همته تجاهها، فإنها ستعود إلى سيرتها الأولى والى إظهار ما إنطوت عليه[1]. وعليه فإن الاستمرار في المجاهدة يعني الاستمرار على تطويع النفس وترويضها وتقويمها، من أجل أن تكون، بدلاً من التمرد والانفلات، عوناً للمريد ومطية سهلة تصل به إلى مبتغاه، بأمان ومن دون مخاطر. إذن فالنفس مع المجاهدة، تصير مطمئنة، ((وتصير كلها خيراً في خير))[2] وإن أصل طمأنتها ومنبع خيرها يأتي من طاعتها وتجردها وعدم تعلقها بشيء من المخلوقات، وأما قبل ذلك، فلا يمكن للمرء أن يتوقع منها إلا المخالفة والميل إلى اقتراف الشر والتطلع إلى مضارب المحرمات.

إذن ففي منهج الشيخ عبد القادر الصوفي، لا يوجد وصولاً نهائياً ولا صفاءً أبدياً ولا خلاصاً مضموناً، وإنما الأمر يحتاج إلى متابعة مستمرة ومراقبة لا تشوبها غفلة، لأنه ما دامت هنالك نفس، إذن فهنالك حاجة مستمرة إلى شد الأحزمة والتلويح بعصا العقوبة، وهذا يكون في حق كل السالكين دون استثناء لأن سلوك طريقة الحق مشروط بالمداومة على تهذيب النفس ((السيئة الأدب))[3] كي تنفتح عيناها وتزول عداوتها لربها، وهذا بالتأكيد، يحتاج إلى صبر ووقت طويل، لأنه يعني السير ضد التيار ومخالفة الطبع. فإذا ما ثبت المريد على فعل المجاهدة، فإنه سيكتسب أهم صفتين تقربانه من الله تعالى وهما: الصدق ومحبة المولى تعالى.

---

[1] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٢٨٣.

[2] الجيلاني – المصدر نفسه – ص١٠.

(٣) الجيلاني – المصدر نفسه – ص٢٠٩.

إن المجاهدة بما أنها تعني مخالفة الهوى وتحصين النفس وعصمتها عن المألوفات وحرمانها من الشهوات واللذات ، وحملها وإكراهها على تقبل خلاف ما تهوى وتريد فإن هذا يعني اشتمالها على جهد بالغ ومشقة عظيمة قد تفوق وتتجاوز طاقة البشر. وعليه فلنا أن نتساءل: من أين يستمد العبد القدرة على إتيان ذلك؟ يرى الشيخ عبد القادر ، أن المصدر الممد لهذه العزائم هو: التقوى والخوف من الله تعالى وهذان هما من أقسى السياط التي تخشى النفس التعرض لها ، لأن العبد إذا كان تقياً حاضر الخوف من ربه ، فإنه سيكون محصناً صعب الاختراق ، فالتقوى تجنبه الخوض في الشبهات والخوف يجنبه التطلع إلى المحرمات ، وعليه فلا يبقى أمامه إلاّ الضروري من سبل الحلال ، مما تقل معه حظوظ النفس وتُسد فيه مجاري الأهواء.

على أن ملاك فعل المجاهدة ، لا يكتمل بالتقوى والخوف من الله تعالى ، بل إنه يحتاج إلى عامل أخر ، وهو: المراقبة التي يعرّفها الشيخ عبد القادر بأنها: إطلاع الرب سبحانه على العبد ، واستدامة العبد لهذا العلم يتم بمراقبته لربه[(١)] على أن المراقبة عنده لا تعني أكثر من الإحسان الذي ورد ذكره في الحديث النبوي الشهير المسمى بحديث (جبريل) والذي جاء فيه: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك[(٢)].

إن المراقبة في السلوك الصوفي ، تعدّ أصلاً لكل خير دنيوي وأخروي ، على أنها بوصفها حالاً صوفياً ، لا تُنال جزافاً أو بيسر ومن دون جهد وقصد ، بل إنها لا تأتي إلاّ بعد أن يلتزم العبد بمحاسبة نفسه وإصلاح حاله والمواظبة على لزوم طريق الحق وإحسان مراعاة القلب بينه وبين الله تعالى إلى درجة يلزم معها حفظ الأنفاس وهو ما يعني المراقبة الدقيقة للخطرات والهواجس والحركات والسكنات الظاهرة منها والباطنة كافة ، أي بمعنى أخر ، أن يبذل العبد جهده ، كي لا يصدر منه أي فعل مخالف. فإذا ما علم العبد وأيقن ، بعد تمكنه من حال المراقبة ، بأن الله تعالى ، عليه رقيب ومن قلبه قريب ، وأنه عالم بجميع أحواله وحاضر في كل أوقاته وناظر إلى جميع أفعاله وسامع لكل أقواله ومحيط بكل دقائقه وأسراره ، فإنه سيكون دائماً في غاية الاستعداد والتأهب فلا ينوشه الوهن ولا يتطرق إليه التكاسل ، وسيعتريه بشدةٌ الخزف والحياء من ربه فيزداد بذلك إلتزامه بحدود الله تعالى. وهكذا دواليك ، فإن حال المراقبة الذي يورث قلب العبد الشعور بالخوف والحياء تجاه الله تعالى ، فإن هذه (المشاعر) ستعمل من جانبها على دعم حال المراقبة وإدامته ، وبذلك يكون البناء الصوفي كاملاً وتاماً ومتلازماً[(١)].

---

(١) الجيلاني – الغنية لطالبي الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٣٢٦.

(٢) حديث صحيح متفق عليه – رواه مسلم والبخاري عن أبي هريرة – الجامع الصغير – ج/١ – ص٢١٠.

(١) إلى جانب مبدأ المراقبة ، يأخذ أصحاب الطريقة القادرية ، إلى الوقت الحاضر ، بمبدأ المرابطة مع شيخ الطريقة ، والذي مفاده: أن يربط المريد الذاكر ، قلبه مع قلب شيخه وأن يستحضر روحانية شيخه في

إن المراقبة تعني أيضاً القرب من الله تعالى ، إذ إن مداومة الصوفي عليها ، يعني أنه سيكون في مقام من الله شريف ، إذ الحذر سيصحبه في جميع أفعاله وستكون جوارحه وقلبه في حفظ مولاه ، والخوف كذلك ، سوف لا يفارق قلبه ، لعلمه بسطوة مولاه وأما الحياء الذي هو من مدارج أهل الخصوص ، والذي يتولد من تعظيم منوط بود[٢] ، فهو شعور مصاحب للقرب ، لأنه ينبع من علم العبد بنظر الحق إليه ، فيدفعه ذلك إلى تحمل وطأة المجاهدة. وأما محصلة كل ذلك ، فهي أن مداومة قلب العبد على الإحساس بالمراقبة،سيورثه حتماً المزيد من الحب لمولاه ، وهذا هو غاية ما يتمناه الصوفي ويسعى إليه. المراقبة إذن ، مقام للعلماء بالله تعالى الخائفين العارفين الأتقياء الورعين[١] وهي من المقامات الرفيعة التي لا ينالها المريد إلاّ في مراحل سلوكه المتأخرة ، بحيث يكون عندها قد هيأ نفسه تماماً للسكون تحت نظر الله تعالى ، نعم إن كل العباد هم تحت نظر الله تعالى ، ولكن فرق العارفين عن غيرهم ، هو كونهم يعون هذه الحالة ويتعايشون معها في كل أوقاتهم وأحوالهم ، ومن ثم فهم أكثر إنضباطاً من غيرهم وأكثر إرضاءً لمولاهم وهذا يعني أنهم أكثر قرباً وأكثر حبّاً له.

الأهمية القصوى للمراقبة ، تأتي من كونها تمثل أحد الأركان الثلاثة التي يبنى عليها الهيكل الروحي للمريد ، وهي: الورع الذي يخرج العبد ويبعده عن المعاصي والزلات ثم المراقبة التي تذكر العبد بنظر الحق عز وجل الدائم إليه وحضوره معه وإحاطته بعالمه ، ثم أخيراً المجاهدة التي تتحدد حصراً بمحاربة النفس والهوى والشيطان. علماً أن السيرة الصوفية بمراحلها كافة ، لا يمكن تخيلها من دون أي من هذه الأركان الثلاثة إذ لا غنى للصوفي ، في طول مسيرته الروحية ، عن الورع والمراقبة والمجاهدة. ومن جانب أخر ، فإن هذه الأركان مترابطة ومتلازمة فيما بينها، بحيث يلزم أحدها عن الأخر ، فالعبد الذي ينتهج الورع بكونه سلوكاً دينياً ، يصبح بالضرورة مجاهداً لنوازعه النفسية وشاعراً بمراقبة ربه له ، وكذلك الحال مع صاحب المراقبة والمجاهد لنفسه.

فإذا ما عقد المريد العزم على المجاهدة ، فإنه لابد من أن تتوفر فيه عشر خصال ، يرى الشيخ عبد القادر ، أنه لو أقامها وأحكم العمل بها ، فإنها ستكون كفيلة وضامنة لبلوغه إلى المنازل الأخلاقية العالية والمراتب الروحية الشريفة.

فعالياته العبادية ومعاملاته الدنيوية كافة ، فإذا ما داوم على ذلك ، فإنه سيبلغ حال المراقبة ، وهذا الشعور الأخير ، سيلزمه حتماً ، بالحذر والورع والتأهب وحسن المعاملة مع الخلق ومع الشيخ ومع الله تعالى.

[٢] الهروي – منازل السائرين – ص٥٤.

[١] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٣٢٨.

أولها: أن لا يحلف العبد بالله تعالى ، صادقاً ولا كاذباً ، عامداً ولا ساهياً ، فإذا ما أحكم ذلك من نفسه ، وإعتاد لسانه عليه بحيث صار يتجنبه في كل الأحوال ، فتح الله تعالى له باباً من بركة أنواره ، فيعرف منفعة ذلك في قلبه ، ويلمس معه رفعة في درجته وقوة في عزمه ونفاذاً في بصيرته[1] إذ إن كل عمل شرعي يلتزم به العبد ظاهراً ، فأنه لابدّ أن يلمس فائدته باطناً.

إن تجنب الحلف في كل الأحوال ، يعّد من المسائل المهمة التي أكدها الشرع الإسلامي كثيراً ، لأنه يتضمن إضمار الهيبة والإجلال للذات الإلهية ، وذلك بعدم تعريضها للمعاملات الدنيوية. ولاشك في أن حرص العبد على حفظ الهيبة وإظهار الإجلال وعدم التبسط في علاقته بالذات الإلهية ، يحوي الكثير من أدب العبودية وحفظ الحرمة والتذلل والخضوع ، وهو ما يطمح إلى التحلي به الصوفية كافة وفي كل الأزمان. وفيما عدا ذلك ، فأن في الحلف مزالق جمة قد تدفع بصاحبها إلى اعتياد الكذب وفقدان الثقة بالنفس ، وهو ما يولد اختلالاً أخلاقياً ونفسياً ملحوظاً ، وهو أيضاً معنى قول أهل الخبرة بأن: تجنب الحلف يورث المرء الهيبة والاتزان والثقة بالنفس.

الثانية: أن يتجنب العبد الكذب جاداً كان أم هازلاً. وبالطبع ، فأن هذه الخصلة لا تحتاج إلى كثير جهد لبيان صحتها وإظهار فائدتها ، إذ إن الكذب مذموم في كل الشرائع والملل والأديان وحتى النظم الأخلاقية الوضعية ، وفي المقابل ، فأن الصدق ، وبشكل مطلق ، يعد محموداً في المواطن كلها ، لا بل حتى المهلك منها. إذن فاجتناب الكذب يعدّ من البدائه الأخلاقية التي يتعامل بها الناس ، حتى في حياتهم اليومية ، ولكن تأكيد الصوفية على هذه الخصلة ، فيه إشارة إلى ما يقف وراءها من فوائد روحية وفيرة لا غنى لأي مريد عن امتلاكها والتحلي بها ، وهذا هو بالضبط ما سيعمل الشيخ عبد القادر على إظهاره.

إن المريد إذا تجنب الكذب في كل الأحوال ، وأحكم ذلك في نفسه ، وإعتاد عليه لسانه شرح الله تعالى به صدره وصفّى به علمه ، حتى صار كأنه لا يعرف الكذب ، وإذا سمعه من غيره ، استهجنه وعابه عليه. إذن فالشيخ عبد القادر ، يحاول في ذكره هذه (الخصلة) ، أن يسلط الضوء إضافة إلى الجوانب الشرعية والأخلاقية ، على الجوانب الروحية والمعرفية ، إذ إن شرح الصدر وصفاء العلم ، هما من أعزّ المواهب التي يسعى المريد إلى

---

[1] الجيلاني – الغنية لطالبي الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٣٣.

تحصيلها والتنعم بثمارها. على أن هذه الفوائد لا تشكل ، في الحقيقة وازعاً إضافياً يدفع المريد إلى تجنب الكذب ورفضه ، إذ إن ذلك يعدّ من القواعد المطلقة التي لا يختلف عليها اثنان ، ولكنه فقط يشير إلى طبيعة تعامل الصوفية مع الأشياء وكونهم ينظرون إلى ما تخفيه السطور وما تحويه الخبايا من أسرار.

الخصلة الثالثة: حذر المريد من أن يعد أحداً شيئاً فيخلفه إياه ، وهو يقدر عليه ، إلاّ من عُذر بيّن فأنه أقوى لأمره وأقصد لطريقته ، لأن الخلف من الكذب ، فإذا فعل ذلك فتح له باب السخاء ومنح درجة الحياء، و أعطى مودة في الصادقين، ورفعة عند الله [1] تعالى فأمّا باب السخاء فلعطائه ونبذه للشح ، وأما درجة الحياء فلحرصه على عدم الاتصاف بالخلف والكذب ، وأما المودة في الصادقين فلتواصله معهم بالعطاء واتصافه بصفاتهم الانفة الذكر ، فإذا ما اتصف العبد بكل ما سبق، فإنه سينال عند الله تعالى رفعة وقبولاً، فهو من عباده الكرام الصادقين ، وهاتان هما من أكثر الصفات التي تقرّب العبد من مولاه.

الخصلة الرابعة: ينبغي على المريد أن يتجنب لعن شيء من الخلق ، أو يؤذي ذرة فما فوقها ، لأنه إن فعل ذلك ، فسيلحق بمرتبة الأبرار الصادقين. وهذه الخصلة، لا تقتصر الدعوة لها عند الشيخ عبد القادر ، بل إن التصوف الإسلامي برمّته يدعو المريدين إلى أن يغرسوا في قلوبهم رحمة كبيرة تتسع للمخلوقات كافة بجمادها وحيوانها ونباتها وبصغيرها وكبيرها. وهذه الدعوة التي يمكن بسهولة أن يلحقها بعضهم بالفلسفات الزهدية الهندية ، يكون من باب أولى أن تلحق بمبادئ الدين الإسلامي، بمصدريه الرئيسيين: الكتاب والسنة ، فلقد أشار القرآن الكريم إلى رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء[2]. وأمّا السنة فهي مفعمة بالكثير من الوصايا والتعاليم التي تأمر بالرأفة بجميع المخلوقات ، وبالضعيفة منها على وجه الخصوص.

إن الدور الذي رسمه الصوفية للمريد ، بكونه موضع نظر الله تعالى ، وكونه التجسيد الأمثل لرحمته تعالى والساعي بين الخلق بالخير والصلاح والجامع لقلوبهم على هدف واحد ، وهو: حب الله تعالى وطلب القرب منه ، هو الذي يدفع بالمريد إلى تحري أدق التفاصيل في سعيه للتحلي بالحميد من الصفات والحسن من الخصال ، فهو لا يرضى فقط بما

[1] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٣٣.

[2] إشارة إلى قوله تعالى: "ورحمتي وسعت كل شيء" – الأعراف/ ١٥٦.

تيسر منها وكان سهل المنال ، وإنما هو يسعى دائماً وبشكل مستمر ، وراء الأصعب والأشد والأبعد غوراً ، من الأمور كافة التي لها علاقة بمجاهدة النفس ورفعة الدرجات.

الخصلة الخامسة: يجتنب المريد ، أن يدعو على أحدٍ من الخلق وإن ظلمه ، فلا يقطعه بلسانه ولا يكافئه بفعاله بل يحتمل ذلك لله تعالى. إن دعوة الشيخ عبد القادر لمريده بتحمل الأذى من الأخرين ، مستمدة أصلاً من مبادئ التربية الروحية المستمدة من أنوار المقامات الصوفية التي بلغها المريد وشعت في نفسه وأضاءت له الطريق فالصبر هو الذي يحمل العبد على تحمل الأذى ، والرضا يحمله على أن لا يدعو على أحدٍ من ظالميه ، فإذا ما عكسنا المسألة ، فأنها تصح أيضاً ، إذ إن سكون النفس مع تحملها الأذى سيثيبها حتماً مقام الصبر ، كما أن عدم الاعتراض على أفعال الخلق سيهديها حتماً إلى مقام الرضا. ومن جانب آخر ، فأن على المريد أن يعتقد جازماً: بأن كل ما يلاقيه من سوء وأذى من الأخرين ، ما هو في حقيقته إلاّ اختبار من الله تعالى عليه اجتيازه بنجاح كي ينال بذلك الدرجات وكي يكمل تأديب نفسه وتصفيتها ، من أجل أن ينجز دوره المنوط به بوصفه مرشداً ودليلاً للآخرين ، لسلوك سبيل الرشاد.

الخصلة السادسة: أن لا يقطع الشهادة على أحدٍ من أهل القبلة بشركٍ ولا كفرٍ ولا نفاق، فأن ذلك أقرب للرحمة وأعلى للدرجة.

إن هذه الخصلة تدعو المريد إلى أن يكون متفهماً ومتسامحاً ، إزاء منطق جميع الطوائف والملل الإسلامية المعتدلة ، والتي لا تخرجها عقائدها عن حدود الشرع وأصول الدين ، إذ إن اختلاف مشارب الناس ومذاهبهم ، لا يلغي اجتماعهم أخيراً على هدف واحد وشعار واحد ، وهو: عبادة الله تعالى الواحد الأحد ، ومن جهة أخرى فإنه يكره للمريد السالك ، أن يميل مع طائفة إسلامية دون أخرى ، لأنه ينبغي عليه أن يكون قدوة لغيره في توحيد القلوب والهمم ، وهذا المقصد لا يتحقق له إلاّ إذا ترفّع عن التلفت صوب التفاصيل والفروقات غير الجوهرية ، إن المبادئ الصوفية ، هي مبادئ الحبّ الإلهي والتوحيد الحقيقي والصفاء الروحي ، وهذه المبادئ ضرورة ، لا تنمو بغير تربة السمو الفكري والانتماء الحقيقي لروح الدين. وتبدو دعوة الشيخ عبد القادر هذه ، في غاية الأهمية ، فيما لو استرجعنا تفاصيل التناقضات الفكرية والاجتماعية والدينية التي كانت تحكم علاقات وروابط المجتمع الإسلامي في زمنه ، ومن الجانب الأخر ، فإن هذه الدعوة تسلط الضوء على الدور الإصلاحي الذي اضطلع بع الصوفية بعامة والشيخ عبد القادر

بوجـه خـاص ، تجـاه مجتمعـاتهم ، وهـو الـدور الـذي يـدفع عـنهم وبشـكل قـاطع ، تهمـة الخمول واللاإنتماء.

الخصلة السابعة: يتجنب المريد ، النظر والنزوع إلى شيء من المعاصي ، في الظاهر والباطن ، وأن يكف عنها جوارحه ، فأن ذلك من أسرع الأعمال ثواباً للقلب والجوارح في عاجل الدنيا وآجل الآخرة[1].

إن مطالبة الشيخ عبد القادر المريد هنا ، لا تتعلق بترك اقتراف المحرمات ، لأن ذلك أمر مفروغ منه شرعاً ، وفعله واجب على كل مسلم ، وإنما هو يطالبه بعدم النظر أو حتى التفكير في ذلك ، لأن هذا الفعل ، يدخل في ميدان أعمال القلوب والخواطر ، وهو عين الميدان الذي يخوض فيه الصوفية منازلاتهم ويظهرون صلابة هممهم ، فالصوفي يكون في غاية الوهم والانخداع ، فيما لو طلب النزاهة الباطنية والصفاء النفسي وترك حبل خواطره الرديئة على الغارب. إن إحكام القبضة يبدأ من هنا ، أي من منافذ الوساوس والطمع والميل إلى الشهوات ، وهو ما يلقي بظلمة ظلاله على القلوب والأرواح ، فيؤخر ذلك حتماً ، زمن عروجها نحو عالم الملكوت.

الخصلة الثامنة: يعمل المريد على أن لا يطالب أحداً من الخلق إعالته ، ولا يطلب منه مؤونة ، مهما صغرت أو كبرت ، بل يرفع ذلك عن الخلق أجمعين ، حتى وإن كان ذا فقرٍ بادٍ وحاجة ملحّة ، لأن ذلك فيه تمام عز العابدين وكمال شرف المتقين ، وبه يقوى المريد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويكون الخلق أجمعين عنده ، بمنزلة واحدة ، أي في الحق سواء[2].

ولا يخفى ما لهذه الخصلة من تعلق بمجاهدة النفوس وزهد القلوب ، وبصرف أنظار الهمم عن التطلع صوب عطاء الخلق وفضلهم ، لما في هذا التطلع من أثر في شرخ صرح التوحيد وتشتيت خطى الإقبال الخالص على الله تعالى ، وثم ثلمُ عزة القلوب المستمدة من غناها بربّ العالمين ، فأما علاقة هذه (الخصلة) بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمرجعها هو اعتقاد المريد ، بأن صدق كلمته وقوتها وشدة تأثيرها في الآخرين ، يأتي من استغنائه عنهم وانقطاع أمله بهم ، واعتقاده أيضاً ، بأن دعوته لابد من أن تكون

---

[1] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٣٣٤.

[2] الجيلاني – المصدر نفسه – ج/٣ – ص١٣٣٥.

أخروية ربانية صرفة ، بحيث لا تشوبها شائبة مع طمع أو سعي وراء ثواب عاجل. ولهذه الخصلة وجه أخر له تعلق بالعملية الإصلاحية التي سعى الشيخ عبد القادر إلى إنجازها في الحقل الصوفي خاصة ، إذ إن الفصل القاطع بين دور المريد الأرشادي، وعلاقاته المادية غير المتكافئة مع الأخرين ، فيه سدًّ مقصود لكثير من ذرائع ذوي الطمع من الدخلاء اللذين ابتلى بهم التصوف الإسلامي قديماً وحديثاً بحيث صار من السهل على الناس أن يربطوا بين الصوفية الحقيقيين وهؤلاء الكسالى والمتطفلين عليهم.

الخصلة التاسعة: ينبغي على المريد أن يقطع طمعه في الآدميين وأن لا تميل نفسه إلى شيء مما في أيديهم ، فإن تحقق في ذلك ، فإن له العزّ الأكبر والغنى الخالص والملك العظيم والفخر الجليل واليقين الصادق والتوكل الشافي الصحيح وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل ، وهو أيضاً ، باب من أبواب الزهد ، وبه يُنال الورع ويكمل النسك، وهو أخيراً من علامات المنقطعين إلى الله تعالى[1]. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الخصلة ، لا علاقة لها بسابقتها ، كما يبدو عليه ظاهر الحال ، إذ إن اعتماد المريد المتزهد في معيشته على الأخرين ، لا يشبه ضرورة طمعه بما في أيديهم ، فالأول إذا كان يمثل خطأً مرحلياً يعيق المسيرة الصوفية للمريد ، فإن الثاني يمثل إنحرافاً نفسياً واخلاقياً يخرج بصاحبه عن المسار الصوفي برمته. وتتجلى الفروقات بين الحالتين أكثر ، فيما لو قارنا بين النتائج الروحية الإيجابية المترتبة على تجنبهما، فإذا كنّا قد رأينا أن تجنب الأولى يورث صاحبه الصدق والعز والشرف، فإن تجنب الثانية يورثه التوكل والورع والزهد الصحيح ، وهي خصائص روحية أساسية لا تكمل الشخصية الصوفية إلاّ بها.

الخصلة العاشرة: وهي الأخيرة ، وفيها ينصح الشيخ عبد القادر المريد بالتواضع ، فبه يُشد محل العابد ويثبت قدمه وتعلو درجته ويستكمل العزّ والرفعة عند الله تعالى وعند الخلق ، وبه يقدر على ما يريد من أمر الدنيا والآخرة[2]. إن التواضع هو أصل الطاعات كلها بفروعها وأصولها ، وبه يدرك المريد منازل الصالحين الراضين عن الله تعالى في السراء والضراء ، وهو أيضاً كمال التقوى ، ولا يرضى الشيخ عبد القادر من تواضع العبد ، بأقل من أن لا يلقى المريد أحداً من الخلق ، إلاّ ويرى له الفضل على نفسه ، ويرى أنه قد يكون عند الله تعالى ، خير منه منزلة وأرفع درجة ، وأما مجاهدة النفس ، فإن للتواضع فيها أهمية بالغة ، إذ إن تأثيره يطال جميع الفعاليات العبادية والصوفية ، ولذلك فقد سمّاه

---

[1] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٣٣٥.

[2] الجيلاني – المصدر نفسه – ج/٣ – ص١٣٣٥.

الشيخ عبد القادر بـ ((ملح العبادة وغاية شرف الزاهدين))[1] وأخيراً ، فبدون التواضع ، لا يمكن للمريد أن يتخلص من كثير من أمراض النفس الخطيرة مثل الكبر والعجب والإحساس بالتفوق على الآخرين.

وفي الخلاصة ، فأنه يمكننا أن نلاحظ ، من خلال هذه (الوصايا العشر) أن الشيخ عبد القادر ، يؤكد في أغلبها على علاقة المريد ببقية الناس ، وفي هذا ما فيه من إلفات النظر إلى أن المجال الحقيقي الذي يعمل فيه التصوف ، هو مجال أخلاقي بحت ، وإنه لا يشتمل على غاية تقف وراء التخلق بالخلق الحسن ، وإنه لا خير في سلوك صوفي لا يزيد من أدب المرء مع الخلق ومع الخالق ، وهذا هو غاية ما تسعى جميع الشرائع والأديان إلى التبشير به وإفشائه بين الناس.

إن الحاجة الملحّة للتجمل بالآداب والتحلي بالأخلاق الحسنة ، المقبولة شرعاً والمرضية عند الخلق ، تنبع من نيّة المريد في أن يكون له دورٌ إيجابيّ بين الناس وهو دور المرشد والواعظ والدليل والداعي إلى الله تعالى ، وهو ممّا يفترض حضوراً عميقاً وفعالاً في المجتمع ، كي يتحقق بذلك مبدأ التأثر والتأثير وكي تصحّ عملية الغرس والإنبات.

ويمكننا أن نلاحظ أيضاً ، أن جميع تلك الوصايا ، مستمدة من الشرع الإسلامي وهو ما يعني في الواقع ، أنها واجبة على كل مسلم عاقل بالغ ، وهو ما يعني أيضاً أنه لا توجد هناك ميزة للصوفي السالك تميزه من غيره من العباد ، سوى ما يجتهد ويسعى هو إليه، من زيادة التمسك والحرص على الالتزام الصادق بجميع الخصال الحميدة ، ما صغر منها وما كبر. على أن المريد ، لا يتمكن من الالتزام بهذا (الالتزام) إلاّ إذا تخلص أولاً من الجذب المضاد الذي تسلطه عليه نفسه قبل مجاهدتها وتأديبها وقتلها بسيف المخالفة ، وهو القتل الذي لا يعني في الحقيقة إزالتها من الوجود أو محق طباعها بالكامل ، وإنما يعني السعي إلى نزع الخصال السيئة عنها وتهيئتها لأن تحيا حياة جديدة لا تشتمل إلاّ على الصالح من الخصال. وهذا الأمر لا يتم عند الشيخ عبد القادر ، دفعة واحدة والى الأبد ، لأن ذلك ضرب من الوهم ، إذ إن النفس الإنسانية لا تركن بشكل قاطع إلى الخير أو تقيم فيه ، بل هي تتحين الفرص على صاحبها وتنتهز منه الغفلات ، كي تنازعه وتطالبه بتلبية شهواتها والسير وراء أهوائها. وليس ذلك مرضاً أو خللاً في النفس ، بل هي فطرة فطرها اله تعالى عليها ، كي يتواصل الإنسان مع عبادته وكي يدوم فقرة لربه ، وكي يحوجه دائماً إلى

---

[1] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٣٣٦.

الانتباه والى المجاهدة والمراقبة والمتابعة ، من جديد وباستمرار ، وكي يكسب من أجل ذلك ثواباً دائماً وأجراً متواصلاً ، إذ أنه بمجاهدته نفسه ، يتقرب إلى الله عزوجل ويوافقه على أمره ، ويكون في الوقت نفسه قد بلغ درجة عالية من الموالاة والعبودية والقرب منه ، وهو معنى قول الشيخ عبد القادر: أن العبادة كل العبادة في مخالفة المرء نفسه[١]. وهذا القول ، يرى أنه مستمد من قوله تعالى: "ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله"[٢] إذن فلا توجد ضلالة أكثر من اتباع الهوى ولا توجد هداية أكثر من مخالفة الهوى ، والشيخ عبد القادر يستشهد هنا بحكاية يذكر أنها مشهورة عن أبي يزيد البسطامي وهي: أنه رأى ربّ العزة في المنام ، فقال له البسطامي كيف السبيل إليك؟ فقال: أترك نفسك وتعال. فقال البسطامي ، فإنسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ، فإذا الخير كله في معاداتها في الجملة وفي كل الأحوال[٣] وهو ما يعني أن النفس إذا كانت في جهة ، فأن الوصول إلى ربّ العزة سيكون حتماً في الجهة الأخرى ، وإنه إذا كانت للنفس أحوال متباينة وأوقات مختلفة فإن الخير كله يكمن في تركها بالجملة ، بحيث لا يقبل منها عذرولا يؤخذ منها سبب.

فإذا ما سلمّنا بأهمية المجاهدة في السلوك الصوفي ، يبقى علينا أن نذكر ما هي الوسائل الناجعة أو (السياط)[٤] كما يسميها الشيخ عبد القادر – التي على المريد أن يستخدمها في مجاهدته نفسه وفي سيطرته على نوازعها وفي كبحه جماحها. إنها الجوع والعطش والإذلال والخلوة وملازمة صحبة الشيوخ ، وهي بمجموعها تمثل فنون الزهد التي لابد على كل مريد من أن يخوض تجربتها[١]. لا لأجل التجربة بحدّ ذاتها ، ولكن لأجل تحصيل نتائجها الباهرة التي قد تغيّر في بعض مركبّات نفسه ، وثمّ تصوغها صياغة جديدة ، هي ضرورة أقل خطورة وأقرب للنجاة.

---

[١] الجيلاني – رسالة في التصوف – مخطوطة.

[٢] ص/ ٢٦.

[٣] الجيلاني – فتوح الغيب – على هامش كتاب بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٢٤.

[٤] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٥٧.

[١] وورد عن الشيخ عبد القادر قوله" دخلت في ألف فن في الزهد حتى أستريح من دنياكم وماكنت أعرف إلاّ بالتخارس والبله والجنون وكنت أمشي حافياً في الشوك وغيره وما هالني شئ إلاّ سلكته ولا غلبتني نفسي فيما تريده قط ولا أعجبني شئ من زينة الدنيا قط فملت إليه – الشنطوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٨٥.

فأما الجوع والعطش ، فأنها من أبجديات المجاهدة التي لابد على كل مريد من أن يبتدئ بها خطواته الصوفية ، إن أراد لها أن تكون واثقة وثابتة. إن الجوع والعطش يعدّان أيضاً من الأعمال التي لا تطلب لذاتها ، وإنما لتأثيرها الملحوظ في قوى النفس لأنهما يمسان أقرب الشهوات إليها وألصق الحاجات بها ، وإذا ما عوقبت بهما ، فأنها سوف تضعف عن المطالبة ببعض مطامعها ، وبالعكس من ذلك ، فأنها لو شبعت وإرتوت فسيصيبها البطر والأشر وسترنو إلى المزيد الذي لا نهاية له. فإذا كان الجوع والعطش من الوسائل لا الغايات ، فإنه يمكن للمريد ، فيما لو ارتقى من التزهد إلى الزهد ، أن يأخذ ما يشاء من الطيبات ، لأنها ستكون بعيدة عن التأثير في نفسه وقلبه وهذا لا يعني إلغاء الحاجة إلى المجاهدة ، ولكنه يعني الدخول في مرحلة أكثر تقدماً منها وأكثر تعقيداً.

ولكن هناك من يعترض على جوع الصوفية وعطشهم ويرى في ذلك إقترافاً لمخالفتين شرعيتين الأولى بكون أن الطعام والشراب من الطيبات التي أحلها الله تعالى ومن ثم فلا يجوز تحريمها ، والثانية بكون إجاعة النفس وإضمائها يعني تعذيبها، وهذا منهي عنه قطعاً. والجواب على ذلك، هو أن هذه الأعمال – أي الجوع والعطش – تؤخذ على وفق نية فاعلها ، وهي عند المريد تعد من الوسائل التي يستعين بها على التقرب إلى مولاه، وهو في ذلك يرجع إلى قول النبي محمد (ﷺ): ما من عمل أحب إلى الله تعالى من الجوع والعطش[1]. وقوله (ﷺ): الشيطان يجري من بني أدم مجرى الدم فضيقوا مجاري الشيطان بالجوع والعطش[2] فالحديث الأول يبين أهمية هذه الأعمال والحديث الثاني يبين السبب الذي يقف وراء تلك الأهمية. وتجدر الإشارة إلى أن الأخذ بعامل الجوع والعطش والإجهاد ، لا يعني ترك الطعام والشراب والنوم واللباس بالمرة ، وإنما يعني أخذ الكفاف من ذلك ، مما يقم الأود ويستر العورة من دون طلب المزيد مما تشتهيه النفس وتميل إليه ، وهي سُنة من سلف من الصحابة والصالحين.

وأما إذلال النفس ، فإنه يأتي بالمرتبة الثانية ، من حيث الفعالية ، بعد الجوع والعطش ويبغي المريد من وراء معاملة نفسه بالقهر والإذلال ، أن يستأسرها ويجعلها مطيته كي يقطع بها فيافي الدنيا ويتقدم بها إلى سبل الملكوت[3]. وإن في إذلال النفس وجاءً لها من أمراض الكبر والزهد والعجب ، وتذكيراً لها بأسوأ حالاتها وبحقيقة ما يمكن أن

---

[1] سنن إبن ماجه – ج/ ١ – ص٥٦٥.

[2] سنن إبن ماجه – ج/١ –= ص٥٦٦.

[3] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص١٦٥

تكون عليه في مواجهة عقوبة الأخرة. على أن أخذ النفس بعامل الذل ، لا يعني وضعها باستمرار في مواضع الإهانة والصغار أمام الأخرين ، وإنما يعني تهوين أمرها في عين صاحبها ، كي لا تحلو له أعمالها ، فيناله منها ما يسوؤه ، وكي يعظم في عينه شأن الأخرين ، فلا يعلو عليهم ولا يتكبر ، ومن إذلال النفس عدم إراحتها ويتم ذلك بقيام الليل وكثرة العبادة ، فإذا ما أصابها الجهد والتعب فإنها سوف تضعف عن التنمر والإيذاء ، كالوحش المروض يتناسى طبيعته من أجل إرضاء سيده. وغير العقوبة ، فأن للذل معنىً آخر ، وهو تجميل المعنى الباطني للعبد على حساب صورته الظاهرة أمام الأخرين ، والمريد إذا ما صدق في نيته ، فأنه سيعلم حتماً أن الحق عز وجل لا يطلب منه حسن صورته ، وإنما يطلب تمام معناه الذي هو: ((توحيده وإخلاصه وإزالة حب الدنيا والأخرة من قلبه ، فأذا تم له هذا ، أحبه وقربه ورفعه على غيره))[١].

وبعد الجوع والعطش والإذلال، في الأهمية ، يأتي دور الخلوة ، وهي عند الشيخ عبد القادر تعني: ((أن يركن العبد إلى موضع لا أنيس فيه من الخلق))[٢]. والخلوة تعد ركناً أساسياً من أركان التصوف ، وأساسها أن يعزل العبد نفسه ويحبس بدنه عن الناس، لئلا يؤذيهم بأخلاقه الذميمة ، وهي تساعد النفس على ترك مألوفاتها وحبس حواسها الظاهرية ، وثم فتح الحواس الباطنية وتأكيد نية الإخلاص والموت بالإرادة. ويرتجى من الخلوة زيادة التفكير والمراقبة وخلوص الذكر لله تعالى.

وتعد الخلوة من أصعب وأخطر الفعاليات الصوفية ، لأن المريد فيها يكون في مواجهة مكشوفة مع نفسه ومع الشيطان ومع خواطر وهواجس ورؤى لا قبل له على إحتمالها ولذلك كان لابد في الخلوة من مباركة ورعاية مباشرة من لدن شيخ عارف مرشد حي له خبرة ودراية أكيدة.

أما الأساس الشرعي للخلوة ، فهو الاعتكاف ، وهو من السنن المؤكدة التي عمل بها النبي محمد (ﷺ) قبل البعثة وبعدها[٣] ، ولا تستغرق الخلوة عمر المريد كله. بل إنّ لها مدداً محددة لا تتجاوز عند أغلب الصوفية أربعين يوماً، وهو ما يسمى عندهم بـ (الأربعينية) ، وهي تستحب لكل الصوفية وفي مختلف مراتبهم لأن فوائدها غزيرة وغير محددة ، إذ يدخلها المبتدئون لأجل تقويم نفوسهم ولأجل خلوص قلوبهم لربهم ويدخلها العارفون طلباً

---

[١] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص١٥١.

[٢] الجيلاني – المصدر نفسه – ص٥٧.

[٣] للتفضيل حول ذلك يراجع أحمد بن دحلان – السيرة النبوية – بيروت – ١٩٨٣ – ج/١ –ص١٦٣ فما بعدها.

للسعة الروحية وارتفاع المرتبة. والخلوة لا تعني اعتزال الناس والتزام الصمت فقط ، وإنما هي فعالية ذات منهج محدد يمليه شيخ الطريقة ، وهذا المنهج يتضمن صياماً من نوع خاص وإفطارا من نوع خاص يكاد يصل أحياناً إلى التمرة الواحدة في اليوم ، وأوراداً متواصلة تشغل الليل والنهار ، مع ترك الكلام وتجنب الاختلاط وعدم الإفضاء بكل ما يطرق على قلب وبصيرة المريد ، إلاّ إلى شيخه الذي يكون ضرورة قريباً من مكان الإختلاء.

فأما الفائدة المرجوة من الخلوة ، فهي إضافة إلى الهبات الروحية التي تحسب على الأسرار الصوفية ، فأنها تمكن المريد من عبادة التفكر والتأمل وتمكنه من السيطرة على خواطره والتحكم في نوازع نفسه وأهوائها، وتمكنه أيضاً من التوجه الحقيقي لربه والخلوص في عبادته والأهم من ذلك أنها تمكنه من ذكر القلب ، فيكون المريد بعدها ذاكراً ربه في كل حالاته وأوقاته ، وهو غاية ما يطلبه ويتمناه ، وأما الزهد والتجرد والتوكل والرضا ، فيمكن القول إنها لا وجود حقيقي لها في قلب المريد وعقيدته قبل خروجه من الخلوة. وفي الخلاصة فإن في الخلوة أسراراً كثيرة يحتكر معرفتها فقط الصوفية وبعض الصادقين من العشاق.

وأما صحبة الشيوخ فلا غنى عنها أيضاً لأي مريد حتى ولو كان واسع العلم جمّ الأدب وافر المعرفة ، والصحابة الكرام ، لم تكن حتى تلاوة القرآن تغنيهم عن صحبة الرسول (ﷺ) لا بل إن هذه الصحبة ، كانت من أخص خصائصهم وأعلى مراتبهم وتأتي أهمية الصحبة في كونها تمثل الإقتداء بالأحسن والأمثل وأنها تمثل التجربة الحية والمعاشة مع الدين ، لكون الشيخ عند الصوفية يمثل الدين الحي الذي يمشي على قدمين ولكونه يمثل ظلاً وانعكاساً لوجود النبي في أمته.

إن الإنسان عاجز بمفرده عن النظر إلى عيوبه ومعرفة نقائصه وأمراضه ، ومن هنا تأتي أهمية وضرورة الصحبة ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإن صحبة الصالحين والشيوخ الكاملين ، هي أفضلها ، فهم أصدق الناس وأعرفهم بالنفوس وأقربهم إلى الله تعالى وقد ورد في الحديث الشريف أن النبي محمداً (ﷺ) سئل عن خير الجلساء فقال: "من ذكركم الله رؤيته وزاد في عملكم منطقه وذكركم في الآخرة عمله"[1] . فالصحبة تطلب للعمل والتأدب وزيادة الصلاح.

---

[1] حديث صحيح رواه أبو يعلي – مجمع الزوائد – ج/١٠ – ص٢٦٦.

إن صحبة الشيوخ تحوي جماع الأدب وحسن السلوك وإذلال النفس المتكبرة وتعويدها على الطاعة وحسن الأتباع . وقد ورد عن الشيخ عبد القادر قوله: ((أنا قد تربيت على خشونة كلام المشايخ وخشونة الغربة والفقر))[١] والصحبة مع الشيوخ . هي الطريقة عينها وهي التربية بحد ذاتها . لأن المشايخ في مواجهة نفوس مريديهم لا يداهنون ولا يجاملون . بل يضعون الأمور في مواضعها الصحيحة . وهذه هي الأمانة التي أمروا بحملها . ويرى الشيخ عبد القادر أن صحبة الشيوخ وطاعتهم . وهي الخطوة الأولى والأهم في ترك الهوى ومخالفة النفس . وهو ينصح مريديه . بأن يكونوا أرضاً تحت أقدام الشيوخ وتراباً بين أيديهم[٢]. أي بمعنى أن لا تكون لهم إرادة ولا اعتراض لجهلهم بأنفسهم أولاً وعدم درايتهم بمهاوي الطريق ثانياً. وسيأتي تفصيل الكلام في الصحبة وأنواعها وآدابها في موضع لاحق من هذا الفصل.

إذن فمجاهدة النفس ليست من التجارب السهلة التي يمكن لأي إنسان أن يخوضها ومن دون الاستعانة بما سبق من شروط. إنها تجربة روحية شاقة تحتاج إلى جهد بالغ وشجاعة فائقة . وهي مثل مجالدة الخصوم في ساحة الوغى تتطلب كثيراً من الجلادة والصبر . لا بل هي تتطلب أكثر من ذلك . لأن الأعداء فيها هم الأهوية والطباع والغرائز وأقران السوء . وهؤلاء هم أكثر مراوغة وأشد مراساً من سباقهم. ولأجل كل ذلك . فإن الذي يفلح في مجاهدته لنفسه. يكون قد نال مقاماً عالياً لا يوصف شرفه لأن فيه . فقط . يتحقق القرب من المولى تعالى. ولأن فيه فقط يتحقق الموت الإرادي أو (الموت الأحمر)[٣] كما يسميه الشيخ عبد القادر. وهذا الموت هو أقصى ما يمكن أن تناله النفس من عملية التصفية التي هي كنه التجربة الصوفية والمكافأة المرجوة من بعد تحمل أعباء المجاهدة . والتي بغيرها لا يكون هنالك قرب ولا وصول لأنه لا يصلح لمجالسة المولى . إلا الطاهر عن أجناس الذنوب والزلات و((الله عز وجل لا يقبل من عبده إلا الطيب))[٤] إذن فقرب العبد من مولاه مشروط بموت نفسه . ولا يتم ذلك له إلا إذا أصبح بمنأىً عن متابعة هواه وطباعه وعاداته . وفي منأىً عن متابعة الخلق وأسبابهم والطمع فيما في أيديهم . أي إلاّ بعد أن يجعل أعماله كلها خالصة لوجهه تعالى. وبهذا فقط يُفعم قلبه بحب مولاه وترفع عن نفسه الحجب والظلمات.

---

(١) الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الروحاني – ص٢٤.

(٢) الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٨٠.

(٣) الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٢١٢.

(٤) التونسي – رياض البساتين – ص٦٩.

على أن تجربة مجاهدة النفس ، بخطوطها العامة ومستوياتها الأولية ، ليست ضرورة حكراً على الصوفية دون سواهم ، بل هي تجربة إنسانية بناءة يمكن أن ينتفع من نتائجها كثير من الناس ، فمبادئ مثل: التخلي عن بعض الأخلاق السيئة والتحلي بالحسن منها ، والقناعة والصبر واحتمال أذى الآخرين ، تعد من الأخلاق الاجتماعية العامة التي تزيد من الرقي الروحي للناس وتزيد من تماسك الجماعات ولذلك ترى أن كثيراً من النحل والأديان غير السماوية ، تحاول أن تضع لنفسها مناهج خاصة في التربية الروحية ومجاهدة النفس ، وهذه الحالة لا تشير ضرورةً إلى مبدأ التأثر والتأثير، ولكنها من باب أولى تشير إلى الفائدة العظيمة التي يمكن لأي إنسان أن يجنيها من جراء سيطرته على نوازع نفسه وهو ما يُعد من بدائه معرفة الإنسان لنفسه.

يرى الشيخ عبد القادر، أن حقيقة ما يطمح المريد من الوصول إليه ، من وراء مجاهدته نفسه ، هو أن يعود بها إلى سيرتها الأولى ، أي سيرة آدم (عليه السلام) قبل هبوطه إلى الأرض ، وآدم هنا يمثل باكورة الوجود الأولي الذي صنعه الله تعالى بيديه فهو الطهر السماوي والصفاء الفطري المحض الذي استطاع أن يجاور الحضرة الإلهية وأن يتجاوز محدودية بشريته ، حيث الخلود وحيث لا شقاء ولا ألم ولا عري ولا جوع وحيث هو بمنزلة الملائكة ، إن لم يكن أرفع منهم منزلة باعتبار عملية السجود. ولكن لم يدم الأمر على تلك الشاكلة ، لأن ما في آدم من ظلمة الأرض وثقل الطين جذبه إلى غفلة العصيان ، وتلك هي خطيئته الأولى ، وهي أولى العلائق التي أثقلت النفس فهبطت بها إلى عالم الأرض ، ((عالم الجوع والعري والشقاء عالم البعد الهجر والجفاء))(١)وكان هذا هو الامتحان الأكبر الذي وضع فيه أبناء آدم إلى يوم القيامة بحيث صار على أحدهم ، إما أن ينجو بنفسه ، آخذاً بيدها إلى حيث الأمن والخلاص وذلك عبر السلسلة السقيمة التي تتضمنها المجاهدات والرياضات والأعمال الشاقة ، أو أن يغفل عن نفسه ، فيترك لها حبل هواها ويكون هو تبعاً لها ومطية ، فتقتاده عبر السلسلة المريحة التي تنتظمها الملذات والشهوات والشبهات ، إلى حيث الهلكة والضياع.

على أن آدم هنا ، هو رمز القدر والرهان الصعب الكامن في دواخل كل البشر ، وأما آدم النبي(عليه السلام)فيشير الشيخ عبد القادر ، إلى أنه قد تجاوز الغفلة واستدرك بما فيه من نور

---

(١) كتاب بهجة الاسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الاشهب الشيخ عبدالقادر الكيلاني. تأليف علي بن يوسف الشطنوفي المتوفي ٧١٣هـ. (نسخة جديدة تحتوي ما رجح نسبته له) دراسة وتحقيق الدكتور/جمال الدين فالح الكيلاني. المنظمة المغربية للتربية والثقافة والفنون. المغرب. فاس. ٢٠١٤. ص١٣١.

السماء فقال: ((ربنا ظلمنا أنفسنا ، بكى على فرقة محله الأول ، قال: من اين لي جَلَدٌ على فراق محبوبي ، قيل: يا أدم ، المعصية حجاب بينك وبين ربك ، حضرته طاهرة لا توطأ بأقدام ملوثة بمخالفة المحبوب))[1] فآدم(عليه السلام)هو أول المطرودين والهابطين ، وقد عمل جاهداً على التكفير عن خطيئته ، ولكن قدره قد عمّ ، فأصبح لزاماً على كل بنيه ، إلى يوم القيامة ، أن يعاودوا تجربة التكفير ذاتها ويعملوا على حث خطى العودة إلى المحل الأول والمقام العزيز ، مقام القرب والرضا والإرضاء.

إن ما يرمي إليه الصوفية من وراء مجاهدة النفس ، هو ليس تطويعها بحد ذاته لأن تلك نتيجة قلقة سريعة الزوال ، وإنما هم يرمون إلى محاولة تغيير معدن النفس وكسر بعض طبائعها ، وهو معنى قول الشيخ عبد القادر: أن المجاهدة تعني قلب دولة. إن أخطر ما يواجهه الإنسان من مزالق وعقبات تقف في طريق تحرره الروحي ، يصدر عن خصومه الداخليين ، المتمثلين بالطبائع والأهواء والسيئ من الصفات ، فلو استطاع الإنسان أن يتغلب على هؤلاء الخصوم ، فسيكون بمنأىً عن ذلك وسيكون من الخواص ذوي النجاة ، وسيتحقق له وجدوه الثاني أو وجوده الممتاز الذي يتجلى في الإنسان الكامل بحده الأقصى.

إن الشيخ عبد القادر ، لا يغفل عن التذكير ، بأن مجاهدة النفس ، هذا الفعل الشاق والخارق لا يمكن لأي إنسان أن يمضي فيه قدماً أو يخطو فيه خطوة واحدة ، من دون أن تدركه يد العناية الإلهية وسابق مشيئتها ، فإذا ما قدر الأجتباء وغلبت عساكر جذبات العناية ، ((ذلت ولاية القلوب وراضت مطامع النفوس الأمارة بلجام رياضة "وجاهدوا في الله حق جهاده"[1] وأدخلت جبابرة الأهوية في سجن التقوى وسلاسل المجاهدة))[2] نعم يمكن للإنسان أن يُجري على نفسه ألواناً متعددة من الرياضات يبغي من ورائها غايات محددة ، كتطويع الجسد أو زيادة فاعلية الحواس أو حتى إظهار القدرات الخفية الكامنة في أعماقه ، ولكن أن يجاهد نفسه جهاداً مستمراً ، لا يبغي من ورائه إلا وجه الله تعالى وطلب القرب منه ، فأن ذلك فعل مشروط بأيمانه أولاً وبهداية الله تعالى وتوفيقه ثانياً وبرعاية مباشرة من لدن شيخ حي مرشد عارف.

---

[1] الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٢٦.

[1] الحج / ٧٨.

[2] الجيلاني – خمسة عشر مكتوباً في التصوف – مخطوطة.

إن تحقيق السمو الخلقي والرقي الروحي والوجود الحقيقي غير المشوب بالأوهام ، تعد من النتائج الأساسية والمضمونة التي يحصل عليها المريد الصادق ، من جراء صبره على تحمل المجاهدة بصورها الثقيلة كافة وإذا كان ينتظر المؤمن الذي يقاتل ويقتل في سبيل الله تعالى مكافأة عظيمة جداً ، وهي نوال الرزق الدائم والحياة الأبدية ، فأن المريد الذي يواجه نفسه بالجهاد الأكبر ، سينال حتماً مكافأة تليق بعمله ، وهي تصفية نفسه ومطالعتها للأنوار الإلهية ، وتهيئة قلبه من أجل أن يكون عرشاً للرحمن. والمريد من جانبه ، كلما ازداد إصراراً على مجاهدة نفسه ومحاصرتها ، أو بالأحرى إماتتها فأنه سينال في مقابل ذلك حياة جديدة روحية صافية وخالصة ودائمة تؤهله لنوال مقام العبودية الحقة. إنها تجارة رابحة حقاً ، إذ إن موته الإرادي والمختار عن الهوى والإرادة والميل إلى الخلق ، سيفضي به إلى حياة لا موت بعدها ، وغنى لا فقر بعده وعطاءً لا منع بعده وتمنحه راحة لا شقاء بعدها ، ويُنعم عليه بنعمة لا بؤس بعدها ويعلم بعلمٍ لا جهل بعده ، ويسعد فلا يشقى ويرفع فلا يوضع ويطهر فلا يدنس. ويكون بتلك المجاهدة قد نال الشرف الأعظم ، وهو وراثة النبي محمد (ﷺ) ويكون بهذه الوراثة قد أصبح باب رحمة لأهل زمانه ، إذ تكشف به الكروب ويدفع البلاء ويستجلب الخير ويقصده القاصي والداني طلباً لبركته[٣]. إذن فقوة الإنسان وضعفه ، لهما تعلق بإرادته وبإصراره على الانتصار على داخله ، وهو الانتصار الذي تتوقف عليه الكثير من الانتصارات الأخرى.

---

[٣] الجيلاني – المصدر نفسه

الزهد

الزهد عند الشيخ عبد القادر الجيلاني

يتخذ مفهوم الزهد عند الشيخ عبد القادر، منحى فيه الكثير من النضج والوضوح، وهو ما ينسجم ومنهجه العملي ورسالته في نشر التصوف الصحيح بين الناس، فهو يرى ابتداءً أن الزهد بكونه سلوكاً حياتياً عبادياً، لا يطلب لذاته، لأنه ليس بغاية يسعى الصوفي إلى بلوغها من دون هدف أو قصد، وإنما هو يطلب لمرامٍ أخرى منها: إماتة النفوس الضعيفة الغارقة في اللذات والواقعة تحت تأثير نوازعها الرديئة وخصالها السيئة، وثم إحياؤها بحلة جديدة وقوة طالما كانت كامنة فيها. ومنها اعتياد الإنسان على التسليم الصحيح لرب العالمين والاتكال الإيجابي عليه. ومنها أيضاً: الارتقاء بعبادة القلوب كي تصل إلى التوحيد الحقيقي الذي لا تخالطه شائبة من شرك خفي أم ظاهر.

إذن فمعنى الزهد عند الشيخ عبد القادر، لا يقتصر، فقط على صيام النهار وقيام الليل، والأخذ بأسباب التخشن في المطعم والملبس، وإنما يعني، إضافة إلى ذلك مجاوزة الإنسان مراتب نفسه الدنيا والتغلب على البؤس والجهل العالق بها وأيضاً ((ترك رؤية الخلق))[1] أي ترك ترقب وانتظار صدور الخير أو الشر، العطاء أو المنع، منهم ومن دون إذن وإرادة من الله تعالى. على أن قول الشيخ عبد القادر بترك رؤية الخلق، لا يعني اعتقاده بالجبرية المطلقة في كل الأحوال، واستحالة صدور الأفعال على الأصالة إلا من الله تعالى، أو أن أفعال البشر، ما هي على الحقيقة، إلا تطبيقات حرفية لعلم سابق ومشيئة حتمية فرضت عليهم وهم لا يملكون عنها محيصاً. إن هذا الاعتقاد له علاقة بالمقام الروحي الذي بلغه المريد، وبخاصة بعد اجتيازه مرحلة الزهد، إذ يُفترض به أن يكون على علاقة مع ربه، هي أكثر التصاقاً، حتماً من علاقة بقية البشر بربهم. على أن اعتقاد هؤلاء، بأنه لا ضار ولا نافع على الحقيقة إلا الله تعالى، وإنه تعالى هو واضع الأسباب ومقدر الأقدار، وإن أي شيء في الكون لا يؤثر في أي شيء، إلا بأذن منه، لا يلغي عندهم الفعل ولا الإرادة ولا السعي ولا الكسب، ولا يسقط عنهم التكاليف وإنما هو على العكس من ذلك، إذ يزيد من ثقتهم بربهم ويزيل عنهم الكثير من الأوهام والمخاوف، لتأكدهم وإيقانهم، بأنه لا شيء يضرهم دون علم أو نظر الله تعالى. إن هذه التهمة، أي تهمة الرهبنة والتكاسل طالماً ألصقت بالصوفية من قبل خصومهم إذ عدوا قوماً متواكلين

---

[1] الجيلاني – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر –ص٧٦. وفي هذا المنحى يقول الشيخ عبد القادر: أن لفظ الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم، وإنما يستجاب لك إذا قلت الله وليس في قلبك غيرة. الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٦٨.

لا يؤمنون بالأسباب ولا بالحركة ولا بالسعي إلى الكسب أو إدامة مقومات الحياة ووسائل العيش. وهذا القول إن كان ينطبق على الدخلاء على النهج الصوفي الصحيح من اللذين اتخذوا منه ستاراً ومغنماً ، فانه لا ينطبق على ذوي الاعتقاد السليم الذين لا يحيدون عن تعاليم الإسلام ومبادئه ، والذين يرون في التصوف ، هبة ربانية يستعينون بها على تزكية نفوسهم وتصفية قلوبهم وثم التقرب إلى بارئهم.

حقيقة الزهد

إن حقيقة الزهد عند الشيخ عبد القادر ، تكمن في الاستعداد الباطني وخلوص نية العبد وثبات إرادته ، ولكن هذه الرؤية (الباطنية) لا تلغي عنده أهمية أفعال الزهد الظاهرية ، التي يقف على رأسها الجوع والعطش. إذ إن هذه الأفعال تحتل مساحة واسعة من رياضات الصوفية ومجاهداتهم ، ثم أن الشرع الإسلامي ، أكد علها كثيراً وأعطاها أهمية خاصة وجعلها من أفضل الأعمال التي يمكن أن يتقرب بها العبد المؤمن إلى ربه ، كما سبق تفصيل الكلام حول ذلك. ومن جهة أخرى ، فأنه لا يخفى على كل مجرب ذي دراية ، سواء أكان متديناً أم غير متدين ، ما لأعمال مثل الجوع والعطش والسهر ، إن مارسها الإنسان عن قصد وإرادة ذاتية ، من تأثير فائق في تصفية السرائر وإلهاب القرائح وتصعيد المكامن الرحية السامية فيه وهذا هو عين ما يؤكده الشيخ عبد القادر . إذ إنه يجعل الخير كل الخير في اتخاذ الجوع وصالاً ، أي وسيلة من وسائل الوصول والقرب من الحضرة الإلهية ، فبالجوع عنده تفتح باب القوة الملكوتية الكامنة في ورح الإنسان ، وتظهر معها الحقيقة النورانية الخافية وراء حاجز الجسد ومتطلباته ، وبالجوع تستولي الأنوار الصمدية على ذات وجود العبد ، فتحرق بأنوارها ظلم الأجسام ، وهي حالة الفناء الشهودي التي تمحى فيها الطبائع وتتلاشى الأبعاد والصفات الذاتية للشاهد ، ثم لا ترجع إليه حاسة طبعه الجسماني إلا بعد إتمامه دورة الأسماء والأوراد ، أياماً متواصلة ، من الذكر والتسبيح الدائم ، الذي سيشكل فيما لو واظب عليه المريد ، واسطة ترد من خلالها الأنوار الإلهية والفتوح الغيبية على قلبه.

إن إظهار الشيخ عبد القادر ، محاسن الجوع والعطش ، وإدراجهما ضمن فقرات منهجه الصوفي الأساسية ، لا يعني تبنيه لهما ، منهجاً دائماً وسلوكاً مستمراً في حياة الإنسان ، كما يفعل ذلك دعاة الرهبانية والتنسك ، بل هو على العكس من ذلك إذ يؤكد على مريديه أن لا يغالوا في الأخذ بأسباب الجوع والعطش ، حتى لا يمنعهم ذلك عن القيام بواجباتهم العبادية الأخرى ، أو عن تذكير الناس وإرشادهم لأن هذا هو الأهم في التجربة الصوفية ، ولأن فعل الجوع والعطش ما أخذ به العارفون إلا لتحسين أداء

قلوبهم تجاه ربهم وتجاه الناس[1]. فهو من مبادئ القوم ووسائلهم المساعدة . وأما نهايات طريقهم اوم طموحاتهم الروحية . فهي: "أن تخرق أجسادهم حجب الغيوب وتفجر أنوارهم ينابيع الحكم من خزائن القلوب ، وأن يصفو عيشهم لربهم . فلا يكون طعامهم إلا من كلامه وتعالى . الذي هو القرأن الكريم ، ولا يكون شرابهم إلا من سنة نبيه (ﷺ)"[2] إذن فالصوفي مهما حلق في عنان سماء الروح . وسعت نفسه إلى الإنعتاق واشرأبت الى الهرب بعيداً عن وطأة الجسد . فأن مصيره مربوط إلى أرض الشرع الإسلامي . وهو محرم عليه أن يلقط من غير هذا المرتع أو أن يرضع من غير تلك المراضع.

فإذا كان الزهد عند الشيخ عبد القادر . لا يعدو كونه وسيلة يتعكز عليها المريد في بدايات سلوكه في الطريق الصوفي . فأنه ضرورة لا يعني ترك الدنيا مرة واحدة والى الأبد بل إن الأمر لا يخرج عنده عن كونه فعلاً تأديبياً تربوياً . يراد من خلاله نقل المريد من حالته الدنيا إلى اعتاد التعايش معها . إلى حالة بديلة . هي رغم صعوبة تقبلها في البداية . أكثر أمناً وسلاماً للمريد . من حالة مداهنة النفس والانصياع لرغباتها إلى حالة معاداتها وكبح جماحها . من حالة متابعة الهوى ومجاراة الشهوات إلى حالة المخالفة والتطويع والترويض. فإذا ما رسخ القدم وتم الأمر وتحقق الانسجام بين النفس والقلب والعقل . صار المريد من المرادين المحققين الواصلين وأهل الولاية العارفين وأمر حينئذ بأخذ جميع أقسامه وأرزاقه وحظوظه التي فاتته أولاً . لأنها من ضمن أقداره التي قدرت له لا لغيره. إذن ففي البداية الترك وفي النهاية الأخذ . في البداية تكليف القلب بترك الدنيا وشهواتها وفي النهاية تناولها. الأول هو نهج المتقين الذين يتلمسون طريقهم القويم وسط وعورة الشبهات والثاني هو نهج الواصلين المتحققين في طاعة الله عز وجل وذكره.

إن تصوير الدنيا بطالع الشؤم وبالوجه الكالح . عند الصوفية بعامة وعند الشيخ عبد القادر بخاصة . إذ هو يذهب إلى أكثر من ذلك . فيشبهها بالجيفة القذرة التي تُسد إزاءها العيون والأنوف[1]. لا يعني إسقاطها تماماً من حسابات المريد . فمفهوم الدنيا عندهم . لا ينضوي تحته ما كان منها ضرورياً ومباحاً في الشرع وأساسياً لإقامة أود العيش وإدامة المجتمعات الإسلامية الصالحة . فليس من بطر العيش والترف الزائد مثلاً البيت الذي يُكن العبد الصالح ولا اللباس النظيف الذي يستره ويقيه الحر والقر ولا الطعام الحلال الذي يشبعه ولا حتى الزوجة التي يسكن إليها. إن مفهوم الحياة الدنيا. السلبي ينحصر

---

[1] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص.١٣٠.

[2] الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٤٧.

[1] الجيلاني – فتوح الغيب – ص١٢.

عند الشيخ عبد القادر فقط فيما يدفع بالعبد ((إلى الإقبال على الخلق والأدبار عن الحق))[٢] أي فقط الحاجات والرغبات التي مصدرها الطمع ومبعثها الشره وضعف الثقة بالله تعالى. وهذه ما عاداها الصوفية ولا حذروا منها ولا تجنبوها إلا للنتائج السيئة التي تترتب على التعاطي بها، وهي مثلها في ذلك مثل الحرام الذي ما حرم على الخلق ، إلا للضرر المؤكد الذي يلحق بمقترفه ، فالشهوات ما أردفت بالتحذير والتنفير ، في بدايات السلوك الصوفي ، إلا لأنها إن تعشقت بالقلب الضعيف الغافل والنفس الطامعة غير المروضة ، فأنها ستعمل عملها في إشغال العبد وإلهائه عن ذكر ربه وإبعاده عن محيط رضاه ، ومن كان هذا حاله ، فأنه سيكون حتماً بعيداً عن الخير وأهله قريباً من الشر وأهله ، وفي هذا إشارة إلى قوة الترابط بين الحالتين وتأكيد العلاقة الطردية القائمة بينهما ، فالعبد كلما كان قريباً من ربه خائضاً في بحر ذكره كان أدنى إلى فعل الخير وأقرب من أهله ، والعكس يصح أيضاً ، فالعبد كلما كان بعيداً عن ربه متغافلاً عن ذكره كان أدنى إلى اقتراف الشر وأقرب من أهله. وتجدر الإشارة إلى أن مسألة التحليل والتحريم والخير والشر ، تعد من مسائل الخلاف العقلية القائمة بين القائلين بالاختيار وهم أهل العدل والتوحيد والقائلين بالجبر ، فأما الفريق الأول فأنهم يأخذون بالأسباب ويقولون أن الحرام ما حرم إلا للضرر الذي يلحقه بالأفراد والمجتمعات ، كفعل السرقة وقول الزور وإنتهاك الحرمات ، وإن الإنسان قادر بقدراته العقلية أن يميز ذلك ويجتنبه ، وأما الفريق الثاني ، فأنهم يرون أن الحرام ما حرم إلا لأن الله تعالى ، أراد له أن يكون كذلك وكذلك الحلال وكذلك الخير والشر[١].

إن إقبال الإنسان ، في إصلاحه نفسه وفي تقربه من مولاه ، على نهج الزهد ، يأتي من موقعه الوجودي الحرج الذي وضعه تكوينه فيه ، فهو يتوسط ، كما يرى الشيخ عبد القادر ، في صفاته ، بين صفات الحيوانات وصفات الملائكة ، بين ثقل الجسد وحاجاته وتطلعات الروح وآفاقها. غير أن هذا التوسط القلق ، لا يُعد أمراً مفروغاً منه بحيث يستحيل التزحزح عنه أو الانفلات منه ، بل إن حقيقة الإنسان تتجسد في صعوده وهبوطه المتواصل ، نحو هذا الطرف أو ذاك ، وإن هذه المكوكية مقرونة بعمله الذي يصدر عنه ، فأن تردى وابتعد عن موقفه الديني تجاه ربه وموقفه الأخلاقي تجاه الأخرين وتجاه ذاته ، وأهمل تربية نفسه وأغرقها في الشهوات ، فسيكون عندئذ إلى صفات الحيوان أقرب ، أو كما يسميه الشيخ عبد القادر: (إنساناً حيوانياً)[٢]. وهذا الإنسان سيكون من الصعب

---

[٢] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٣٤٤.

[١] محمد عمارة – المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية – ط/٢ – بغداد – ١٩٨٤- ص١٣٧.

[٢] الجيلاني – سير السلوك الملك الملوك – مخطوطة.

عليه ، فيما لو هبط إلى هذا المستوى ، واضعاً نفسه في قفص العادات والمخالفات أن ينقذ نفسه أو يطلق سراحها ، لأنه في هذه الحالة ، سيكون سجيناً في ظلمة طبعه ، محروماً من قبس النور الذي غرسه الله تعالى في عباده حين خلقهم وأخذ عليهم العهد في عالم الذر[٣]. وهذا النور الذي لا يمكن لأي إنسان أن يسمو أو يترقى روحياً دونه ، وضع الله تعالى مصيره ، بيد الإنسان ذاته ،فأما إلى ضياع وتلاشي وأما إلى نماء وزيادة سطوع ، وهذا الاحتمال الثاني هو الذي تبناه الإنسان الصوفي الذي تعهد نفسه بالتربية والزهد وأنواع الرياضات والمجاهدات ، وهو بذلك سيكون إلى صفات الملائكة أقرب ، أي يكون إنساناً ملائكياً[٤]. لا بل إنه قد يصل بأمانته المحفوظة ونوره المكنون ، إلى مستوى من الرفعة والصفاء ، بحيث يتجاوز مقام كثير من الملائكة ، وغير مجهولة قصة سجود الملائكة لأبي البشر وإقرارهم بأعلميته وتفوقه عليهم[١].

وكعادته في التعامل مع الأمور الصوفية العملية التي تنطوي على جهد ومشقة، فقد عمد الشيخ عبد القادر ، على توزيع تجربة الزهد على سلم تصاعدي ، كي يخفف بذلك من الأثقال التي ينوء بحملها المريد فيما لو تعاطاها دفعة واحدة. وهذا (التدريج) عنده موزعاً حسب المنزلة الروحية التي يبلغها كل مريد على حدة. فالزهد بمعنى الترك يُسن أولاً للسالكين المتزهدين وهو لا يعني الترك المطلق أو التجرد ، وإنما يعني ترك المحرمات ، فالمتزهد لكونه حديث عهد بالسلوك ، ولانطواء سريرته على علائق كثيرة تجذبه إلى الدنيا وزينتها ، ولاستحالة انفصاله التام عن ذلك ، فقد صار قصارى الزهد عنده ، يتجسد في تجنب الحرام وتوخي ما أحل له من الطيبات. فإذا ما اطمأن قلبه بهذا (الترك) واعتاد من نفسه الميل إلى الحلال دون سواه ، جاءه الأمر من شيخه بالتزام النوع الثاني من الزهد الذي يتمثل في اجتناب الشبهات من أجل ان يكون حلاله خالصاً غير مشوب بما يعتم مرآة القلب ويكدر صفو النفس. إن المريد ، لشدة إقباله على الحلال في المرحلة الأولى من زهد ، فأنه حتماً سيخوض في كثير من الشبهات التي اعتاد الناس الأخذ بها ، وهذه الشبهات ، إن قدرت معدة نفسه على هضمها في مرحلة الزهد الأولى ، فأنها ستعجز عن ذلك في المرحلة التالية ، إذ إن مفعول الشبهة على القلب هنا ، سيكون كمفعول الحرام في المرحلة الأولى. ثم بعد ذلك يؤمر المريد بترك المباحات ، وهي التي تقع في درجة أدنى من الحلال ، ثم أخيراً

---

[٣] لقوله تعالى: "وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين". الأعراف/١٧٢.

[٤] الجيلاني – المصدر نفسه.

[١] لقوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" البقرة /٣١.

يؤمر بترك الحلال المطلق في جميع الأحوال ((حتى لا يبقى متروك في الجملة))[٢] وتلك حالة رغم كونها مؤقتة ، إلا أنه لا يقدر على احتمالها ، إلا من بلغ حالة الفناء الوجودي والصفاء التام وأصبح من خواص خواص القوم اللذين ماتوا عن الإرادة وعن الاختيار وعن جميع الخلق، فاستحقوا بذلك نوال الحياة الأبدية ونوال درجة القرب من الله تعالى ، لصبرهم بكل أنواع الصبر ولأن "الله مع الصابرين"[١] وقد ورد على لسان الشيخ عبد القادر قوله: ((ضاقت بي الحال يوماً ، فتحركت نفسي تحت حملها وطلبت الراحة والفرح فقيل لي – بلسان الحال – ماذا تريد ، فقلت: أريد موتاً لا حياة فيه وحياة لا موت فيها))[٢]. وهذا هو الخلود الروحي الذي يرنو كل سالك صوفي إلى بلوغه ، علماً أن الشيخ عبد القادر وفي موضع أخر يقول: ((إن الموت الذي لا حياة فيه ، هو موت الإنسان عن جنسه من الخلق))[٣] أي تخلصه من كثير من الصفات السيئة العالقة بنفوسهم والطباع الرديئة المغروسة فيها.

وإضافة إلى الأسرار الخفية التي لا يعرفها إلا من جربها ، والفوائد الأخلاقية والنفسية الكثيرة التي حف بها الزهد ، فأن له عند الشيخ عبد القادر ، فائدة يمكن أن نسميها (شرعية) وهي الفائدة الأهم من بين تلك الفوائد ، وهي تتمثل في منع دخول ما خالط حراماً أو شبهة إلى بدن الإنسان. وفي علم الصوفية ، فإن للشبهة والحرام أثراً فعالاً في غلق كثير من نوافذ القلب وتضييق ما اتسع من فضاءات الروح. ويزخر التراث الصوفي الإسلامي بكثير من القصص التي تدعم هذا الرأي وتؤيده. فأما الوقاية من ذلك ، فتكون عن طريق التمسك بالورع والتقوى ، اللذين أعطاهما المريد حقهما في سلوكه واتخذهما منهجاً ثابتاً في جميع معاملاته وعباداته ، فأنه سينجو من كثير من مصائد الدنيا وافخاخ الشيطان وسيكون من القوم اللذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكما يقول الشيخ عبد القادر: ((فليأكل ولا يبالي))[٤] ولا يكون ذلك عن إفراط أو تفريط ولكن لأنه سوف يأكل بغير حظوظ النفس ، ومن أكل بغير حظوظ نفسه ، فأنه سوف لا يأكل إلا من أقسامه التي قسمها الله تعالى له وهذه بالتأكيد لا تخالطها الشبهات.

---

[٢] الجيلاني – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص٣٧.

[١] البقرة/ ٢٤٩.

[٢] الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٨٨.

[٣] الجيلاني – فتوح الغيب – ص١٣٩.

[٤] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٣٧٠.

ويمكن للزهد أن يكون رديفاً للحب الإلهي . فالزهد الذي يعني حصراً . الفقر والتجرد التام والانسلاخ عن كل ما هو مناقض ومزاحم لحب العبد مولاه . إذا تشرب كل ما بقلب المريد . فأنه سيزيل عنه محبة كلما خلق الله تعالى من زينة ومتاع سواء ما كان له تعلق بهذه الحياة الدنيا . أو ما كان يرتجى حصوله في الاخرة . وفي عرف الصوفية . فأن حب الدنيا وحب الاخرة وحب الله تعالى . تعد كلها مرادات للعباد . كل حسب مرتبته ومقامه على أن أصناف الحب الثلاثة تلك . لها تعلق أحدها بالآخر ولكنه تعلق هيمنة ومحق . إذ لا يمكن أن يتعايش إثنان منها في قلب واحد وفي وقت واحد فمن أحب الاخرة وعمل لها عملها . فأن عليه أن يزهد في الدنيا . كي يزيحها عن قلبه ويخليه لضرتها . فأما من سعى إلى مرضاة ربه واجتهد لبلوغ مقام محبته . فأن عليه ان يزهد في الاخرة أيضاً . أي بمعنى أن يترك العبد دنياه لأخرته وأخرته لربه . لأنه ما دام في قلبه ميل لرغبة من رغبات الدنيا أم الاخرة فهذا يعني أنه لا زال ليس بزاهد حقاً وإنما متزهد.

فأما إذا ما تم الأمر في حقه . وأصبح حاله في الزهد مؤكداً . فهذا يعني أنه قد نال النعيم الدائم و ((زالت الغموم والأحزان عن قلبه . وجاءته الراحة والطيب والأنس بالله))[1] وهو معنى قول النبي محمد (ﷺ): "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"[2] على أن هذا الحال يأتيه تباعاً وبالتدريج . فهو يبدأ من غربة المريد في الدنيا وطمعه في أن يعوض عنها خيراً في الاخرة . فإذا ما اجتهد في زهده . طامعاً في مزيد من القرب من رب العالمين . فأنه سيكون من العارفين ذوي الغربة في الدنيا والأخرة . ممن أدركتهم يد الغيرة الإلهية ومنعت عنهم شواغل الدنيا والأخرة وأزالت عن قلوبهم جميع العلائق وعلمتهم أنها حجاب تحول بينهم وبين ما يطمعون إليه من القرب . وحينئذ فقط – أي بتدخل القدرة والعناية الإلهية – يتركون الاشتغال بالخلق[3].

وتجدر الإشارة هنا . إلى أن كثرة تأكيد الشيخ عبد القادر . ودعوته إلى الزهد وترك الدنيا والخلق وإماتة الجسد والإرادة والتخلص من كثير من الطبائع والشهوات لا يمكن أن يفهم بالمعنى الظاهري للكلام. وإلا لبطلت أسباب العيش وتعطلت الحياة بجميع مفاصلها . بما في ذلك كلام الشيخ عبد القادر نفسه ووعظه الناس وإرشادهم. إن مطالعة بسيطة للحياة الاجتماعية للشيخ عبد القادر ولتلاميذه ومريديه تؤكد أنهم مارسوا حياتهم بصورها الطبيعية كافة . وإنهم لم يهملوا أي جزء منها. ويذكر التاريخ أنه قد تسلم

---

[1] الجيلاني – فتوح الغيب – ص١١٩.

[2] رواه مسلم – النووي – رياض الصالحين – ص١٦٨.

[3] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٢٢٢.

كثير منهم وظائف مرموقة واشتغل أخرون بالزراعة والتجارة ، وأن الشيخ عبد القادر كان يبعث بأولاده إلى أصقاع بعيدة لأجل تحصيل العلوم والمعارف ، ومما يذكر أيضاً ، وبصورة مؤكدة ، الدور المهم لمريدي الشيخ عبد القادر في الدفاع عن حياض المسلمين ضد الغزو الصليبي[١]. إذن فما يقصد بالزهد والترك والتجرد التام ، عند الشيخ عبد القادر ، هو أنه تجربة نفسية أخلاقية تخص معاملات الباطن ، أولاً وقبل كل شيء ، لأن التصوف الحقيقي ، متوجه برمته إلى أعمال القلوب والخواطر ، ولعه من البدائه الأولية في علم الصوفية ، هو اعتقادهم بأنه لا خير في كثير من المجاهدات الشاقة التي لا تتجاوز مساحة الجسد ، ولا خير في كثير من الأذكار والأوراد التي لا تتعدى الألسن والشفاه ، لأنها بالتأكيد ستكون مشوبة بالرياء وعارية عن الإخلاص لله تعالى ، ولأنها سوف لا تورث صاحبها إلا الجهد والعناء. نعم إن المريد الزاهد يصوم ويظمأ كثيراً ، ويعتزل الخلق ويعالج نفسه بألوان الحرمان وبالكثير من أنواع الرياضات الشاقة ، ويتخلى أحياناً عن جميع ما يملك ويحب ، ولكنه يفعل ذلك لا بكونه غاية في حد ذاته ، بل لأجل تربية نفسه وترويض هواها ، فأما إن أثمرت تجربته ونجح في إخراج الدنيا من قلبه ، بحيث تساوت عنده الأمور وعطلت رغبته بين المنع والعطاء ، ثم جاءته الدنيا بعد ذلك ، فتناولها بيده دون قلبه ، فأنه لا ضير في ذلك ولا تثريب عليه.

إن سعي الصوفي الدائب ، إلى إزالة الطباع الفاسدة والأهواء الهائجة والجهل عن نفسه ، هو ما يحمله على الصبر على احتمال جميع أنواع المشاق وألوان الصعاب التي منها الصيام والقيام والتخشن في الملبس والمطعم. على أنه لا فائدة من تلك الأعمال مع وجود هذه النقائص النفسية ، لأنها ستكون كالنفخ في القربة المثقوبة وكما يقول الشيخ عبد القادر: إن هذا الأمر – أي التصوف – لا يجيء بأعمال الجسد وإنما يجيء بأعمال القلوب ، ثم أعمال الجسد[١]. وهو يستشهد هنا بحديث النبي محمد (ﷺ): "الزهد ههنا التقوى ههنا الإخلاص ههنا. ويشير إلى صدره"[٢] إن القلب هو الذي تجليه الرياضات لا الجسد وهو الذي ترفع عنه الحجب ، وهو الذي يزهد في الدنيا وزينتها ، حتى يستوي عنده الحجر والمدر. فهو إذن الزاهد الحقيقي، والمريد الذي لا يمكنه أن يأخذ بيد قلبه إلى ترك حب الدنيا ويغرس فيه بدلاً من ذلك حب الخالق ، فلا ينتظر من سلوكه أية نتيجة أو ثمرة ولا ينتظر أن يرى شيئا من أحوال الصالحين العجيبة أن التي قالوا هم عنها: "إن الملوك لو

---

[١] للمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع – راجع د. ماجد عرسان – هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس – السعودية – ط/١ – ١٩٨٥.

[١] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٢٣.

[٢] سنن أبن ماجة – ج/٢ – ص١٣٧٣.

علمت ما نحن فيه من اللذات لجالدونا عليها بالسيوف"[٣] إذن فكل ما يأتي قبل تحقق القلب وزهده ، فهو من قبيل الشرك والرياء ، وكل عبادة أو ذكر لا يصدران عن قلب زاهد ، فهما عاريان عن الإخلاص. على أنه لا يقف وراء تأكيد الشيخ عبد القادر هذا ، أي تأكيده على أهمية أعمال القلوب إلا النية في تطهير التجربة الصوفية وإصلاح نهجها ، وجعل السلوك فيها من اختصاص الصادقين حصراً ، لعجز غيرهم عن التشبه بهم ولاستحالة تلوين السرائر وتزيين النيات.

ومما يمتاز به الزهد عند الشيخ عبد القادر ، ارتباطه الوثيق بالمعرفة ، فهو عنده ليس بسلوك ارتجالي أو عشوائي يقوم فقط على الطاعة العمياء لأوامر شيخ الطريقة ، وإنما هو يرتكز أساساً على المعرفة ، معرفة الإنسان بالدنيا ومعرفته بالنفس ومعرفته بالخلق. ولذلك فأنه يفرق بين زهد الزاهد وزهد العارف ويفضل الثاني على الأول[١]. فأما معرفة الدنيا ، فأنها الأساس الصحيح للزهد فيها والأنفة من الخوض في أوحالها ، وأما معرفة النفس فهي أساس مخالفتها والتمكن من السيطرة على نوازعها وتوجيه أهوائها ، وأما معرفة الخلق ، فهي أساس التجرد عنهم وعدم إشراكهم في عطاء الله تعالى ومنعه[٢]. إذن فالمعرفة المصاحبة للزهد هي خير وسيلة للوقاية من الشر الكامن في جهل الإنسان بهذا (الثالوث) ، إذ كيف يزهد المرء في الدنيا ، وهي الحلوة الخضرة الناعمة ، من دون أن يعرف حقيقتها ومصيرها وكونها سريعة الزوال سريعة التغير والتقلب ، ومن دون أن يعرف أن الذي يجتهد في طلبها ويسعى إلى امتلاكها سيدخل في رهان خاسر ، لأنها تأخذ منه أكثر مما تعطيه ، ولأنها تستعبد عاشقها وتذل طالبها ، على أن أهم حقيقة يُلزم المريد بمعرفتها عن الدنيا وبوضعها ضمن عقائده الراسخة ، هي: أنها - أي الدنيا – لا تملك زمام أمرها بيدها ، وإنما هي مأمورة مسخرة من قبل خالقها ، فهو الذي يعطها لمن يشاء وينزعها عمن يشاء ، وأنه لا يمكن لأي مخلوق أن يقفز فوق هذه المشيئة أو يتجاوز تلك الحقيقة. هذه هي المعرفة الصحيحة المتعلقة بالدنيا ، فإذا ما توسم فيها الإنسان غير ذلك وظن أن بإمكانه أن ينال منها أكثر مما قسمه الله تعالى له ، فهو حتماً ، وأهم مخدوع وممكور به.

فأما المعرفة المتعلقة بالنفس الإنسانية ، فأنها تعد أمراً ضرورياً وواجباً لضمان النجاح والتوفيق في السلوك الصوفي برمته ، لن هذه المعرفة ، تعني فيما تعنيه معرفة نوازع النفس وميولها وأهوائها وجهالاتها ورعوناتها ، ومعرفة أنها خليط معقد من الدوافع

---

[٣] ينسب هذا القول إلى الجنيد البغدادي (ت ٢٩٨هـ)- الرسالة القشيرية – ص٣١.

[١] الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٥٦.

[٢] الجيلاني – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص٨٥.

المتناقضة ، وإنها قد تفتك بصاحبها ، فيما لو تركت من غير مراقبة أو تحجيم. إن معرفة النفس والاستدلال إلى نقاط الضعف ومكامن الشر فيها ، هو من الأهمية إلى درجة أن كثيراً من الفلسفات والنحل والأديان اتخذته شعارً لها[١].

تبقى أخيراً المعرفة المتعلقة بالخلق ، وهذه لا تقل في الأهمية عن سابقاتها ، فالإنسان اجتماعي بطبعه ، وهو مجبول على العيش مع الاخرين والاحتكاك بهم وإعطائهم والأخذ منهم ، وفي الحقيقة فأن أغلب الخصال الرديئة التي تكدر صفو النفس وتعثر خطوات عروجها نحو بارئها عز وجل ، مثل الحسد والتباغض والبخل والتنافس وطلب المكاثرة والمباهاة... الخ ما هي إلا نتائج حتمية تنجم عن عيش الإنسان وسط بني جنسه. إن معرفة الاخرين تعني بالدرجة الأولى معرفة حقيقة ضعفهم وعجزهم عن النفع والضر ، وهذه المعرفة تتوافق واعتقاد المريد الراسخ بأنه لا نافع ولا ضار إلا الله تعالى. وتعني أيضاً: أن طلب رضا الناس ما هو إلا وهم وسراب. وإن الخلق هم من أكثف الحجب التي تحول بين القلب والتنعم بالأنوار الإلهية ، وما يرفع تلك الحجب إلا التعري عن مطامعهم والتجرد عن علائقهم[٢]. ولعل من نافلة القول أن نؤكد هنا ، أن الشيخ عبد القادر ، بدعوته إلى معرفة الخلق من أجل اجتنابهم وقطع العلائق معهم فأنه يدعو إلى إزالة أو تحجيم تأثيرهم السلبي على قلب المريد ، أي أنه لا يعني مقاطعتهم والاعتزال عنهم بشكل نهائي ، وإنما يكون ذلك إلى حين ، أي إلى أن يتحقق المريد بالزهد ويبلغ مقام الإخلاص والتقوى والورع ، وأن ينال المزيد من المعرفة بربه والمحبة له. عندئذ يأتيه الثبات واتساع أفق القلب وتأتيه القوة من الله تعالى على تحمل أعباء الناس وأذاهم من دون كلفة ولا نصب، فيقترب منهم ويطلبهم ، وينحصر جل همه في إرشادهم وهدايتهم وتقريبهم إلى بارئهم وقضاء حوائجهم. ومع ذلك فهو لا ينشغل بهم عن ربه طرفة عين ، لا بل إن عمله معهم ، ما هو إلا جزء من ذكره ربه.

إن المتزهد المبتدئ في زهده ، هو فقط الذي عليه أن يعتزل الناس ويتجنب معاشرتهم وذلك ((لضعف حاله وقلة خبرته))[٣] فأما إذا تقدم في خطواته وتيقن من انقطاع همه من الخلق ، في سائر الوجوه والأسباب ، بحيث أصبح الخلق عنده ((كالباب يُرد ويفتح بفعل فاعل وتدبير مدبر))[١] وهو الله تعالى. فإذا صح للمريد هذا الاعتقاد ، وأتم هذا

---

[١] وهو شعار: "إعرف نفسك" الذي كان مكتوباً على باب معبد دلفي والذي تبناه سقراط بكونه أهم مبدأ من مبادئ فلسفية التهكمية. ناجي التكريتي – الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام – ص٢٤.

[٢] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٢٦.

[٣] الجيلاني – المصدر نفسه – ص٩٥.

[١] الجيلاني – رسالة في التصوف – مخطوطة.

السلوك ، كان موحداً صحيح التوحيد لله تعالى. على أن اعتقاد المريد، بهيمنة الله تعالى وجبروته ، لابد من أن يرافقه اعتقادان آخران ، يتمم أحدهما الآخر ، كي لا يقع في شراك التطرف ، ويكون إما جبرياً أو قدرياً. الأول: أن لا ينسى أفعال الخلق وكسبهم ودورهم في الحياة وفي رسم أقدارهم وتحمل أوزارهم ، وثم مواجهة حسابهم ، وهو الشق الذي يتحقق فيه ، وبشكل مطلق ، العدل الإلهي وتتبين من خلاله حدود حرية الإنسان. والثاني: أن جميع أفعال العباد لا تتم بهم دون الله تعالى ، أي دون مشيئته أو قدرته أو أمره أو تفويضه ، وهذا الاعتقاد يجنب المريد الاشتغال بالخلق دون الخالق ويبين له حدود الحمى التي يحرم عليه تعديها ، وهو معنى قول الشيخ عبد القادر: ((لا تقل فعلهم دون الله عز وجل فتكفر وتكون قدرياً ، ولكن قل: هي لله خلق وللعباد كسب)).[٢] وهذه أشعرية صرفة يعلنها (الشيخ) بكل صراحة ، لأنها تلائم منهجه التوفيقي الذي يحاول فيه أن يجمع ويجانس ويربط بين كثير من المعتقدات الإسلامية التي تجد لها في الدين الإسلامي أساساً وسنداً ، ولكنها في ظاهر الأمر تختلف وتتنافر وقد تصل الحال بين معتنقيها إلى حد التناحر.

وكما يربط الشيخ عبد القادر بين الزهد والمعرفة ،فانه يربط أيضاً بين الزهد والتوحيد ي علاقة تكافلية . فالتوحيد من جهة هو: ((سلم الزهد))[٣] ومن جهة أخرى فأن التوحيد لا يصح إلا إذا سبقه زهد صحيح. فالعلاقة إذن ، بين الزهد والتوحيد هي علاقة ترابط ولزوم ، ولعل السبب وراء ذلك يكمن في تشابه الوظائف والمعاني بينهما . فإذا كان الزهد يعني عنده: قطع الأسباب ومفارقة القلب للإخوان والأقسام[١]. وهو فعل لا يمكن أن يفضي إلا إلى التوحيد الفعلي المبني على علم اليقين فإن التوحيد عنده يعني: محول كل متلوح من المحدثات بعين السر.[٢] وهو ما لا يتم بغير التجرد والزهد الكامل. إذن فكلا الحالين ، يتفق في المعنى والمضمون ، بحيث يمكننا أن نعرف الزهد / التوحيد في تعريف واحد فنقول: إنه ترك الدنيا وترك الآخرة وترك الشهوات وترك الوجود وترك الحالات والدرجات والمقامات وكل شيء سوى الله سبحانه وتعالى[٣]. ويمكننا أن نلاحظ هنا أن التوحيد الذي تحقق به العبد بعد الزهد في الدنيا ، يكاد يقترب في معناه من حال وحدة

---

[٢] الجيلاني – المصدر نفسه.

[٣] الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٥٢.

[١] الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٥٣.

[٢] الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٥٢.

[٣] الجيلاني – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص٢٤.

الشهود ، وهو كما مر بنا سابقاً ، أعلى درجات التوحيد التي يمكن أن يبلغها السالك العارف والتي لا يرى بعين سره فيها، غير أنوار وتجليات أسماء وأفعال الذات الإلهية.

إن جل ما يسعى الصوفي إلى نواله ، هو: تحقيق الصلة الحية مع ربه ، وهو يعلم أن ذلك لا يتم له إلا إذا امتلك قلباً ونفساً وعقلاً ، أي باطناً ذا مواصفات خاصة تلائم الهدف الصعب الذي نذر حياته له ، على أن هذه المواصفات الخاصة لا تأتيه من خارج كيانه أو تلقى عليه أو تغرس فيه ، وإنما هي كامنة في أصل خلقته ، وإنما تظهر إلى الوجود بفعل عامل مساعد واحد ، وهو: الزهد المنهجي ، الذي يبدأ من ترك الدنيا وشهواتها ، ثم الفناء عن النفس وأهوائها ، ثم السعي إلى تصفية القلوب من وارداتها السيئة ومن خواطرها الرديئة ، من أجل تهيئتها لمطالعة الأنوار الإلهية ومراقبة الحق بعين الباطن ، كما تراقب الأشياء عين الظاهر. الزهد إذن في فحواه ، ما هو إلا عملية تهذيب لباطن الإنسان ، كي تمحى عنه جميع الشهوات الزائلة ، وكي لا تبقى فيه إلا شهوة واحدة وهي: ((طلب الله عز وجل والقرب منه ومحبته فحسب))[٤] وهذا هو ملاك التوحيد وجماع معناه وملاك التصوف وجماع معناه وملاك حقيقة الوجود وجماع معناها.

ولكن كيف للإنسان الطالب للزهد ، أن يعيش وسط تلك التناقضات الحادة ، فهو من جهة مجبول على الميل إلى كل مطلوباته من الدنيا ، وفي الوقت نفسه يطمع في الفوز بنعيم الآخرة ، وهو من جهة أخرى مجبول على العيش مع الخلق والتعاطي معهم وهو في الوقت نفسه يتطلع إلى الخلوص إلى ربه وحسن التوجه إليه؟ يرى الشيخ عبد القادر أنه لا وجود لهذه التناقضات على أرض الواقع وإنما هي توجد فقط في قلب المريد الذي يستحيل أن يجتمع فيه خلق وخالق ولا دنيا وآخرة. وأما خارج مملكة القلب فأنه يزول التنافر وتتلاشى التناقضات ويصير من الممكن أن يكون للخلق حضوراً في ظاهر العبد في الوقت الذي يكون فيه للخالق حضوراً في باطنه ، وأن تكون الدنيا في يد العبد والآخرة في قلبه[١] على أن الشيخ عبد القادر ، مع دعوته إلى تناول الدنيا بيد الظاهر دون الباطن ، فأنه لا يترك هذا التناول دون قيد أو شرط ، بل إن هذا الفعل عنده يحتاج إلى متابعة وتأديب وتقويم ، ويتم ذلك عن طريق تزيين العبد لظاهرة ، بآداب الشرع كما يسعى إلى تزيين باطنه بالزهد والتجرد ((ورد أبواب الخلق وإفنائهم من القلب حتى كأنهم لم يخلقوا والعمل على أن لا يرى على أيديهم ضراً ولا نفعاً))[٢]. الأخذ إذن مباح ولكنه أخذ مشروط

[٤] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص١٥٨.

[١] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص١٤٩.

[٢] الجيلاني – المصدر نفسه – ص١٩٣.

، والترك على العبد واجب ، ولكنه لا يصح ويثمر إلا في أرض القلب ، والجمع بين الأخذ والترك ، هو السنة الصحيحة وهو المعنى الحقيقي للدين.

وعند الشيخ عبد القادر ، يرتبط الزهد أيضاً بالتسليم[٣]. فالتسليم الذي يعني عنده: ترك الاختيار وسلب الإرادة والامتثال لأمر الله تعالى مع ((خلع ثياب الدنيا ولبس ثياب الاخرة والانخلاع من الحول والقوة والوجود ، والاستطراح بين يدي الحق عزوجل ، بلا حول ولا قوة ولا وقوف مع سبب ولا شرك بشيء من المخلوقات))[٤] يكاد أن يكون هو المعنى عينه الذي يسعى الزهد إلى امتلاكه والتلبس به ، من أجل أن تصح للمريد عبادته وثم سلوكه الصوفي. إن يقين العبد بعبوديته من جهة ، وألوهية ربه من جهة أخرى ، واعتقاده بأنه محاط بعلم الله تعالى وقدرته وإنه تعالى هو وحده مالك الملك ومقسم الأرزاق وهو المثبت للأقدار وهو الماحي لها وهو النافع وهو الضار وهو المعطي وهو المانع وهو الحافظ الذي يحرص على عبده ويحبه أكثر من حرص عبده وحبه لنفسه ، كل ذلك يدفع به إلى الانخلاع عن حوله وقوته والى الثقة بربه والى حسن التوكل عليه ، والى عدم إشغال القلب بغيره ، لا خوفاً منهم ولا طمعاً فيهم ن وهذه كلها إن كانت تعد من خصائص حسن التسليم لله تعالى ، فأنها في الوقت نفسه تعد من النتائج اللازمة عن الزهد في الدنيا وعرضها.

إن الزاهد يمضي في زهده ، و يحتمل ما يحتمله من جراء ذلك ، من أجل أن يزيل عن نفسه الكثير من الأدران والشوائب التي تعكر صفو علاقته بربه ، وتعيق خطوات سيره إليه ، والعبد كلما اجتهد أكثر في عملية تطهيره الباطني ، فأن علاقته بربه ستزداد صفاءً وسطوعاً ، وإن أكثر ما يعجل بإنشاء هذه العلاقة وإنجاحها ، هو حسن تسليم العبد لمولاه وعدم اعتراضه على مر قضائه ، وتجدر الإشارة ، إلى أن تسليم العبد لا يمكن النظر إليه بكونه قراراً يتخذ أو نية تعقد مجردة عن الفعل ، وإنما هو عزم وسلوك وسعي ومعاناة ، وهذه جميعها لا يتمكن الإنسان من إتيانها دون زهد ومجاهدة وصبر. وهنا تتوضح أمامنا بصورة أدق ، العلاقة العضوية التي تجمع الزهد بالتسليم ، فمن جهة نرى أن الزهد لا يصح إلا بصدق التسليم لله تعالى ومن جهة أخرى فأن التسليم لا تينع ثماره ويؤتي أكله إلا بصحة زهد وكثرة مكابدة.

---

[٣] يعطي الشيخ عبد القادر (لمقام) التسليم ، أهمية كبيرة ي نظريته الصوفية ، لأنه يرى فيه عماد التصوف وأساسه ، ويمكن أن نلمس هذا الاهتمام خاصة في كتابه الأهم (فتوح الغيب) إذ لا يخلو فصل منه من دعوة إلى التسليم لله تعالى والى ترك المطالبة والكف عن مطاولة الأقدار.

[٤] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٤٤.

الزهد إذن ، هو الأرض الخصبة التي إذا تعهدها المريد بالصدق والإخلاص فأنها ستنبت له كل ما يسعى إلى تحصيله من المسرات القلبية والثمرات الروحية . فالزهد الذي يعلم المريد كيف ينفرد عن وجوده النفسي ، وكيف يتنصل من غمد أهوائه وطباعه ، سيفضي به حتماً إلى التفريد . والزهد الذي يصل بالزاهد إلى الفناء عن شهود الأغيار والأكوان ، والانتباه فقط إلى الموجود الحقيقي الأوحد . فأنه سيصل به حتماً إلى مقام التجريد . والزهد الذي بجوهر الوجود الباطني للزاهد ، خالصاً لرب العالمين ، سيصل به إلى التوحيد الحقيقي الذي هو شهود التوحيد. ونحن إذا كنا قد علمنا بأن مقامات التفريد والتوحيد والتجريد ، هي من الأركان الأساسية والمتقدمة في التجربة الصوفية ، بحيث إنه لا ينالها إلا الخلص والخواص من الرجال ، فسيتبين لنا مدى أهمية تجربة الزهد في الفعالية الصوفية برمتها ، بحيث أن درجة نقاء فعل الإنسان وصدقه وصفائه في زهده ، تمتد لتشمل كافة مراحل سيرته الصوفية اللاحقة.

إذن فالزهد يُعد من المحطات الصوفية الأساسية التي يمر بها السالك باستمرار بحيث لا يمكنه أن يغادرها دون رجعة. وفي الوقت نفسه ، فأن الزهد ، مع كثرة فوائده ، فأنه يحتاج من المريد ، إلى جهد بالغ وعمل جبار ، لأن فيه قلباً تاماً وتغييراً جذرياً للآلية التي ركبت على أساسها طبائع البشر. إذ إن في الزهد الكثير من المخالفة الصريحة للأهواء والميول والخصال والعادات المتجذرة والمتأصلة في جبلة البشر. إن الزهد بدوران عجلاته المعاكس ، هو الذي يجعل من هذه الطبائع ، ولأجل غاية أسمى ، تبدو في نظر الصوفية عقبة كأداء ينبغي تجاوزها أو التخلص منها ، ولو إلى حين. وبهذا الفعل ، يمكننا أن نعد الزهد تجربة أخلاقية فائقة ، تعمل على إلحاق كثير من البشر العاديين في زمرة الأولياء والروحانيين الذين ((سلكوا جادة النبيين والصديقين والصالحين))[1]. والذين اتخذوا من الورع والقناعة منهجاً في الحياة وفي العيش مع الناس ، والذين جعلوا بذلك من أنفسهم منارات تنير للآخرين طريقهم وتثبت لهم قدرة الإنسان الأكيدة على تجاوز حدوده الضيقة وعلى الانطلاق نحو أفاق الروح الرحبة ولكن دون إفراط أو تفريط وبموازنة دقيقة وحذرة بين طموحات الروح وواقعية حاجات الجسد.

ويمكن القول ، وفق هذا المنظار ، إنه لا يمكننا أن نرى في الزهد (الإيجابي) كما وجدناه عند الشيخ عبد القادر ، رهبنة جافة أو نزعة هروبية أو قطعية أبدية مع الآخرين ، أو ان نعده من الدعوات الهدامة والسلبية التي تتعارض وبناء المجتمعات وازدهار الحضارات. إن

---

[1] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٩٨.

رجال الصدر الأول من الإسلام ، ما صاروا أبطالاً وقدوات ونماذج تحتذى ، وما دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه ، بعد أن كانوا من النكرات المنسيين ، إلا لأنهم ، بعد الإيمان بالله ورسوله ، اتخذوا من الزهد في الحياة سنة وشعاراً ، وعلى العكس منهم ، فما تردى من جاءوا وأبعدهم وانكمشوا على أنفسهم وصار يتخطفهم الناس ، إلا لنهم أقبلوا على الحياة الدنيا بنزق وباندفاع هائج ، أنساهم البعد الآخر الكامن فيهم والهدف السامي الذي وجدوا لأجله.

إن الزهد البناء والمعقول ، والمقرون بأهداف إصلاحية ، سواء على مستوى الفرد أو الجماعات ، يعني الحياة الحقيقية التي يجب أن يحياها البشر. ويعني بُعد النظر واحترام الإنسان نفسه وذلك بتميزه عن باقي الكائنات ، ويعني أيضاً: خلاص المجتمعات البشرية من كثير من الأمراض النفسية والاجتماعية التي تقف وراء أغلب الشرور التي يكابدها بني البشر ، والتي يفرزها الشره والحسد والبغضاء وحب السيادة والظهور وهذه كلها تعد من النقائص التي يعالجها الزهد ويعمل على اجتثاثها.

الزهد إذن ، هو الحقل الأخصب الذي يثمر الصلاح والمعرفة والتوحيد والتسليم وكل الخصال الحميدة التي تعين المريد السالك على الوصول إلى مبتغاه. والزهد هو الحلقة الأولى والوسطى والأخيرة ، في سلسلة التجربة الصوفية الطويلة والمتشعبة. والزهد فيما لو فهمناه بالمعنى الذي أراد أن يوصله لنا الشيخ عبد القادر ، فأنه يبدأ بالتخلي والترك والتجرد عن كل الحظوظ والأقسام ، ولكنه بعد ذلك ، يعود متجاوزاً دور التشنج والمكابدة – أي دور التزهد – إلى دور الصفاء والتمكين والعودة إلى الحظوظ والأقسام بقلب خال إلا من ذكر ربه ، ونفس راضية مطمئنة غير متلفته إلى مطلب حرام أو مكسب شبهة ، أو إلى شره أو بطر. وهذا هو دور الزهد القلبي الذي يورث صاحبه الراحة والأمن.

الذكر

الذكر عند الشيخ عبد القادر

أسْما ما سَما بِالإنسان، ونأى به عنْ ركبِ الحيوان، وأوقعَ لهُ الملائكةَ سُجّدًا، روحٌ من روحِ اللهِ تأهل بِها أنْ يكونَ خليفتَهُ فِي الأرض، مُحمّلًا بِرسالاتِه، داعيًا فِي بريّاتِه، صِيغَ على أجملِ هيئة، وخُلِقَ فِي أحسنِ تقويم، حُمِلَ فِي البرّ، وحُمِلَ فِي البحر، ذُلّلتْ لأجلِه الأنْعام، وسُخّرتْ لهُ النّعم.

أنْ تكونَ صُوفيّاً معناهُ أنْ تصيرَ إنساناً يَسْعَى فِي حياتِه بين الذّكر والفِكر، امتلأَ قلبُهُ حُبًا، وفاضَ رحمةً وجمالًا. شَهِدَتْ تِلكَ الأرواحُ أعظمَ إشهاد، وأوثقَ مِيثاق، حِين خُوطِبتْ مِن قِبلِ النّور الأقدس بِخطاب " أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" في عالمِ الذّرّ، حيثُ كُنّا أو كانتْ أرواحُنا. "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا أنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ". التّصوف، اتّسعتْ رُؤيتُهُ فضاقتْ عِبارتُه، وتعدّدتْ تعريفاتُه بِتَعدّد أربابِ السّلوك، فكأنّما خَطّ كُلُّ سالِكٍ تعريفَهُ الذي استقاهُ من تجربتِه، حتّى أوصَلها بعضُهم إلى ألفِ تعريف، فأتيتُ المائدةَ مُتطفّلًا، وأضفتُ واحدًا بعد الألف، وهمُ القومُ لا يشْقى بِهم جليس.ج

وعليه فيحق لنا أن نقول: إن التجربة الصوفية عند الشيخ عبد القادر، بجميع أبعادها وبمراتبها كافة ترتكز أساساً على فعالية الذكر، وليس في ذلك أدنى مبالغة ، لأن جميع الصوفية في الإسلام ، هم ذاكرون بالضرورة ، ولا يمكن لأي إنسان أن يتزيا بزي الصوفية أو حتى يتشبه بهم وهو تارك للذكر. فبالذكر تنجلي القلوب بعد صدئها وتتنور بعد عتمتها[1] وتفتح مغاليقها ، وبالذكر تصح النفوس وتتجاوز هفواتها وتسمو على نقائصها ، والذكر وحده هو الذي يكرس العبد لمحبة مولاه ، لأن الحب بأدق دلالاته يعني الذكر، ولا يمكن لأي إنسان أن يتخيل محباً غافلاً عن محبوبه أو عاشقاً ساهياً عن معشوقه ، والذكر أيضاً لا تصح فروضه ، إلا إذا توجه الذاكر بقلبه وعقله ولسانه حصراً نحو الله تعالى ، فهو إذن يأتي بمعنى الصلاة ، والذاكر الصادق في ذكره هو في صلاة حية ومتواصلة مع ربه ، لأنه إذا كان المغزى من الصلاة هو إنشاء معادلة صلة ، طرفاها العبد والرب إذ يواصل العبد ربه بالتضرع والخشوع والدعاء ويواصل الرب عبده بالرحمة

---

[1] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص١٠٦ . والشيخ عبد القادر يستشهد هنا بالحديث النبوي الشريف: إن هذه القلوب لتصدأ وإن جاءها قراءة القرآن وذكر الموت وحضور مجالس الذكر.

والقبول والاستجابة ، فأن الذكر ما هو في حقيقته إلا محاولة لتحقيق هذه المعادلة على أتم وجه ومن أقرب الطرق[١] وهذا هو موطن الأهمية في الذكر عند الصوفية.

واستناداً إلى نظرية الترابط العضوي بين أجزاء البناء الصوفي عند الشيخ عبد القادر ، فأن الذكر يأتي عنده أيضاً بمعنى التوحيد ، فالعبد الذي لا يخلص في ذكره ربه ، فأنه بالضرورة سيشتغل بذكر غيره ويتعلق به ويرجوه ، ومن كان هذا فعله فهو مشرك حتماً ، لأن القلب في عرف المحبين ، لا يتقبل مذكورين اثنين ، فأما خالق وإما خلق ، ولا مجال هنا حتى للوسط (الذهبي) ، لأن السالك الذي يسعى إلى مزيد من القرب والحب لمولاه ، سيعمل جاهداً على قطع جميع العلائق التي تربط قلبه بالأشياء والآخرين ، ويكون ذلك ، خاصة ، في بداية سلوكه الصوفي ، أي حينما يكون متزهداً غير مالك زمام نفسه وأهوائه ، فأما بعد ذلك ، أي بعد بلوغ حال التمكين وبعد أن يتشرب قلبه بمحبة مولاه ، فأنه ستزول عن هذا القلب الكثير من الرغبات الزائدة التي كانت تضعه في حالة استلاب وعبودية تجاه الأشياء. فأما بعد ذلك ، فأن محبة الله تعالى هي ذاتها ستعظم وتمتد لتشمل جميع ما خلق وبرأ وأمر.

إن اشتغال قلب العبد بذكر المرغوبات والمطلوبات يعد في عرف الصوفية شركاً صريحاً ووثنية ظاهرة ، مما يحتاج معه إلى فأس إبراهيم الخليل (عليه السلام)[١] وإصراره وإخلاصه كي تزال ويتطهر منها معبد القلب فيتأهل من جديد ليكون عرشاً للرحمن. وهذا الفأس لا يعني في الحقيقة ، إلا المداومة على ذكر الله تعالى ، فهذا الفعل هو وحده الكفيل بتحطيم تلك الأصنام التي هي كل ما سوى الله عز وجل ، كما يقول الشيخ عبد القادر فأن: ((القلب لا يصلح للتوحيد ولا يفلح في المحبة ، حتى يترك كل محبوب ويقطع كل موصول ويزهد في كل مخلوق))[٢]. أي حتى يخلص في ذكره لمذكور واحد وهو الله تعالى ، ومن غرس هذا الذكر ، يثمر التفريد والتمجيد والتعظيم وتثمر المحبة ويثمر القرب ، وهذه هي مقاصد القوم ومطامحهم.

---

[١] التادفي – قلائد الجواهر – ص١٧. ويتشهد الشيخ عبد القادر هنا بالحديث الشريف الذي يسأل فيه الامام علي (عليه السلام) النبي محمد (ﷺ) عن أقرب الطرق إلى الله تعالى وأفضلها عنده وأسهلها على عباده؟ فاقل (ﷺ): يا علي عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات.

[١] الجيلاني – فتوح الغيب – ص٩٣.

[٢] الجيلاني – جلاء الخاطر – ص٤٥.

غير التوحيد ، فان الذكر يمكن أن يعد عاملاً أساسياً ومهماً في التعجيل في وصول السالك إلى حال الشهود والفناء في الله تعالى. لأن الذكر الذي يعني انشغال العبد بكليته بالله تعالى ، وانشغاله المطلق عن الأغيار ، بما في ذلك النفس والهوى والإرادة وكل الخلائق ، يدفع به إلى تغييب تلك الأغيار ومحوها ، وثم الخلوص لرب العالمين والاستعداد للدخول في حال الفناء الشهودي ، الذي تكون فيه مرآة القلب مجلوة ومهيأة لتلقي الأنواء الإلهية ، وهي حالة الصفاء التام التي تؤهل المريد للدخول في مرحلة التصوف الحقيقي واكتساب لقب الصوفي. ولكن الصوفية بما امتازوا به من جرأة في طرح أفكارهم ونظرياتهم ، يرون أن الذكر ، رغم أهميته الشرعية والعبادية يصبح دون معنى عند عبور المريد بوابة الشهود ، فأين يكون محل الذكر عند تحقق اللقاء والذكر بطبيعته يفترض غيبة المحبوب؟ الذكر إذن يعد عاملاً مساعداً على دخول المريد في حال الشهود ، فأما إذا تم الأمر وتحققت الغاية، فإنه يصبح بلا معنى.

والذكر أيضاً يعني صدق المريد في محبته لربه لأنه يدل على التضحية والإيثار ، تضحيته بكل ما يرغب ويشتهي من حظوظ النفس وأهوائها ، وإيثاره لإرادة محبوبه على كل ما سواها من الإرادات. وإن من صدق المحبة أن لا يفتر العبد عن ذكر ربه لحظة . لأن من فتر عن ذكر ربه فأنه ((ما عرف قدر جلاله ، ولا لحظ أزلية وحدانيته من التفت بعين سره إلى غيره))[1] إذن فأصل المحبة متعلق أولاً بإرادة المحب وتوجه قصد مرامه لطلب المحبوب ، وهذا ما يجسده الذكر الذي إن داوم عليه العبد فأن الله تعالى سيحمله بجناح لطفه إلى مقعد صدق عنده وهذا (المقعد) هو الذي يفضي به إلى المحبة. فأما إذا تمت المحبة ، وملأ المحبوب فضاء قلب المحب كله وملكه عندئذ تسقط الإرادة عن المحب وتكون بواعثه مستمدة من إرادة محبوبه . وهذه كما يسميها الشيخ عبد القادر ((حالة المحبة الخالصة))[2] وهي للمحبين الذين لا يفترون عن ذكر محبوبهم خاصة فإذا ما سمع هؤلاء المحبون ذكر محبوبهم لهم ، فسيعتريهم حبور عظيم ، لدخولهم في حال جديد وارتقائهم إلى مرتبة أعلى ، وهي مرتبة المحبوبين المرادين الذين خففت عنهم الأحمال وشملتهم يد العناية الإلهية ، استحقاقاً منهم وفضلاً ومنة من الله تعالى والمحبوبون يكونون بهذه المرتبة قد انتقلوا من حالة الشوق التي تنتفي عند تحقق اللقاء ، إلى حالة الاشتياق التي لا ينفذ لها معين والتي لا يزيدها اللقاء إلا حدة واضطراماً. ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى تأكيد الشيخ

---

(1) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٢٥.

(2) المصدر السابق – الصفحة نفسها.

عبد القادر على الربط العضوي بين أجزاء نظريته الصوفية . وكما هو واضح . فالذكر يفضي إلى كل من الزهد والتوحيد والصدق والمحبة في الوقت نفسه . على أن هذه النظرية لا تختل ولا تهتز أركانها فيما لو استبدلنا الذكر بأي فعالية أخرى من الفعاليات الصوفية لأن النتيجة ستكون واحدة في كل الأحوال.

ولا يفوت الشيخ عبد القادر أن يذكرنا أن شوق الإنسان إلى ذكر ربه . مثله في ذلك مثل كل الأحوال الصوفية الأخرى . لا يعد فعلاً إنسانياً خالصاً – أي يصدر فقط عن إرادة الإنسان وقصده – وإنما مصدره الأول هو الرحمة الإلهية التي إن هب نسيمها على أرواح الذاكرين . اهتزت تلك الأرواح طرباً لذلك وسعت إلى الانطلاق من أقفاص أشباحها . متوهجة بذلك الشوق . ومن توهجها هذا تستضيء العقول والقلوب وهذا هو معنى الجلاء والتألق الذي يسعى الصوفية . عن طريق الذكر إلى بلوغه. وكما نلاحظ . فأن عملية التوهج قد بدأت من الأرواح أولاً . التي هي الأنفس بعد صفائها والتوهج ما هو إلا عملية تنوير معنوية . أي معرفية . يفيض معينها من داخل النفس الإنسانية . بعد استكمالها شروط الجلي المطلوبة والتي مررنا بها سابقاً عبر محطات الزهد والمجاهدة وأنواع الرياضات الروحية . والتي جاء عامل الذكر أخيراً . كي يمنحها القدح المطلوب لكل هذا التوهج. على أن هذه المعرفة وإن كانت ذاتية المصدر إلا أنها لدنية الأصل . لأن مصدرها الحقيقي هو المعرفة الإلهية المغروسة في أصل الفطرة الآدمية والتي لا تخرج إلى حيز الوجود إلا بعد أن تتواصل مع منبعها الإلهي عبر قنوات النور التي ينشئها الذكر. ولعل من نافلة القول أن نشير إلى أن كون الشوق الإنساني إلى الذكر يبدأ من خارج ذاته . فأن ذلك لا يلغي دور الإنسان في التواصل وهذا هو بالضبط ما يميز الذكر من الحب الإلهي عند الشيخ عبد القادر . فالذكر هو مقام طلب وقصد . وهو مما يشير إلى الافتقار إلى إرادة العبد . بينما الحب الإلهي وهو التحفة الربانية الخالصة . فأنه من محض الاصطفاء وليس للعبد فيه كسب ولا اختيار. ولذلك نجد أن الله تعالى قد قدم ذكرنا على ذكره كما في قوله تعالى: "إذكروني إذكركم"[1]. بينما قدم محبته على محبتنا وذلك في قوله تعالى الذي يصف فيه المؤمنين "يحبهم ويحبونه"[2] وفي الخلاصة فإن الذكر يمكن أن يعد من بين الفعاليات الصوفية المزدوجة المصدر . فهو فتح من الله تعالى من جهة وقصد من العبد من الجهة الأخرى.

---

[1] البقرة /١٥٢.

[2] المائدة / ٥٤.

لقد وضع الشيخ عبد القادر لمريديه ، مجموعة من الأذكار أو (الأوراد) كما تعارف على تسميتها أتباعه ، وهي عدد معلوم ومحدد من أسماء الله الحسنى ، مرتبة ترتيباً يتوخى التدرج في نوال الفوائد الروحية وفي تخليص النفس الإنسانية ، قدر الإمكان من أدرانها ونقائصها[١]. أول هذه الأوراد هو ورد: (لا إله إلاّ الله) وهو الأهم من بينها ، إذ يُلقن للمريد ، بعد أخذه العهد مباشرة ، سواء على يد شيخه الحي أو على يد من ينوب عنه ، والشيخ عبد القادر يعول كثيراً على هذا الورد ، إذ يرى فيه إضافة إلى كونه شعاراً للتوحيد ، خير وسيلة لتخليص الإنسان من شراك نفسه الأمارة بالسوء وللتعجيل في بلوغه مقام الإخلاص ، هذا إضافة إلى أن مداومة المريد على ترديده قلباً ولساناً ، هي التي تؤهله لإكساب صفة الذاكر التي تعد من بين الصفات الأهم عند الصوفية. ويرى الشيخ عبد القادر ، أن لهذا الورد أفعالاً عجيبة يجريها الله تعالى بواسطته ، على قلب الذاكر إذا ما داوم على تلاوته واستكثر من ترديده ، إذ ببركته يتوقد في باطن المريد مصباح ملكوتي ينير له ما خفي واستتر من مكامن التقصي في نفسه ، فيسهل عليه بعد ذلك تجاوزها والتخلص منها ، وهذا (المصباح) يعده الصوفية أول الجذبات القدسية التي تسم المريد ، بميسمها ، فتجعله من الروحانيين ، والمريد كلما استزاد من تلاوة هذا الورد ، ازداد توهج مصدر النور فيه ، مما يعني زيادة قوة هذه الجذبة التي يمكن أن تدفعه ، بمصاحبة المجاهدة وبمساعدة المراقبة والمرابطة ، إلى أعلى درجات الكمال المتاحة ، فيقوى معها على حمل الأمانة الكبرى ، التي هي هداية الخلق وإرشادهم إضافة إلى زيادة استعداده لتلقي الأنوار القدسية والتجليات الإلهية[٢].

ويضاف إلى ذلك أيضاً ، فائدة خفية أخرى لا يدركها إلا من سلك السبيل ، وهي أن الذي اعتاد ، بعد أن أصبح من الذاكرين ، على حياة الطهر والمعرفة والنقاء الروحي سيأنف حتماً من الرجوع إلى حياته السالفة المشوبة بالنقائص والآثام ، وعليه فالطريق المصاحب للذكر هو طريق ذو اتجاه واحد ، يشير إلى علو دون سفل.

على أن بقية الأوراد لا تخلو من الفوائد الروحية والجوائز الإلهية ، بل إن كل واحد منها يحمل فائدته الخاصة به والتي لا غنى عنها لكل مريد ، وبصورة عامة ، فإن الشيخ عبد القادر ، يرى أن الأذكار ، دون سواها من القربات ، تشتمل على مجامع الخيرات ومصادر السعادات الدنيوية والأخروية ، إضافة إلى كونها دافعة لكل أنواع الضر الجسدي منه

---

[١] حول هذه الأوراد ، يراجع كتاب الجيلاني (الفيوضات الربانية) فهو يشتمل عليها مرتبة على وفق مقامات النفس ومراتبها مع ملحق بذكر الفائدة الروحية المرجوة من كل ورد.

[٢] الجيلاني – سير السلوك – مخطوطة.

والنفسي ، وإن التمسك بتلاوتها والصبر على إتمامها ، يعني المواظبة على السلوك والبقاء على العهد الذي كان نقطة الانطلاق في بداية الطريق على أن أهم فائدة يمكن أن يجنيها المريد من جراء إدمانه على ذكر ربه ، هي أنه يعتاد على أن لا يشغله عن الله تعالى أي شاغل ، حتى لو كان (مطلوباً ومحبوباً)[١] من النفس ، على أن هذا لا يعني التخلي التام والاعتكاف الدائم عن الدنيا والخلق ، وإنما يعني أن لا يشتغل العبد إلا بما هو لازم شرعاً ، وأما غير اللازم فأنه يلهي عن محبة الله تعالى ويودي إلى الغفلة التي بدورها تورث الفشل والمقت والهلكة. إن المريد الذي يغالي في الأخذ بأسباب الجوع والعطش والسهر وأتعاب الجسد ، فأنه قد يحصل على نتيجة معاكسة ، إذ يعجز ، لإفراطه ، عن القيام بواجباته الشرعية[٢] التي هي المادة الأساسية للتصوف الصحيح.

إن الأوراد ما سميت أوراداً إلا لأنها تروي قلوب الذاكرين وعقول العارفين بعد ظمأها كما يرتوي الظمآن من الماء البارد ، لا بل أن الشيخ عبد القادر يرى أن ذكر الله تعالى أعذب من كل الموارد ، لأن منه ترتوي العقول والقلوب والألباب ، فهو عين التوحيد ومرتع الأنس بالله تعالى وإن فيه جلاء لرمد عيون العقول التي طالما غشيتها غواشي الغفلة والنسيان ، فحجبت عنها أنوار جلال ربها وجماله. والذكر ما اكتسب تلك الأهمية إلا لإحتوائه على مجامع الحمد كلها. ففيه تتجلى درر حمده تعالى ولآلي الثناء عليه ومسك شكره ، وهو محمود بكل أشكاله وصيغه ، سواء أكان ذكراً لأسمائه باللسان أم ذكراً لأسراره بالباطن أم ذكراً لتجلياته بالقلب أم ذكر لحقائقه بالسر. وأما ذكر اللسان وهو أول مراتب الذكر، فإن من بين فوائده العديدة، أن العبد لو استرسل فيه فستفتح له بذلك أقفال من قلبه فيرتقي بذلك إلى مرتبة ذكر القلب ، وهو بهذه المرتبة وهذا الذكر سينال درجة القرب من جناب الرحمة الإلهية ، وأما ذكره بلسان لطائف أسرار أمره فأنه سيكون ذاكراً على الحقيقة ، فأن ذكره أخيراً بسره ، فأن ربه سيدنيه من مواطن القدس[١]. لأنه سيكون من المحبوبين المرادين اللذين لا يفترون بكل كيانهم قط عن ذكر ربهم.

يحصي الشيخ عبدالقادر للذكر فائدتين مهمتين يرى أنهما ضروريتان لتربية المريد وبنائه روحياً. أولاهما: الرضا بالله تعالى وموافقته في جميع الحالات ، والثانية: مجاوزة حاجز الموت الطبيعي بالخلود الروحي. إن المريد بمداومته على ذكر ربه وتعويد لسانه وقلبه وسره

---

[١] التونسي – رياض البساتين – ص٥٣.

[٢] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص.١٣٠٠.

[١] الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٢٥.

على ذلك ، فأنه سيكتسب بالتدريج محبة مذكوره والشوق للقائه وملازمة بابه وعدم التطلع صوب غيره . ومن كان هذا ديدنه ، فأنه سيرضى حتماً بكل ما يواصله به محبوبه ، سواء أكان عطاءً أم ابتلاءً ، فأن كان عطاءً فهو عين الكرم والوصال . وإن كان ابتلاءً فهو تطهير وامتحان وترقية روحية . والعبد الذاكر راضٍ بكل ما يأتيه من ربه ، لأنه لسعة رجائه وشدة شوقه وصفاء توحيده وصدق إخلاصه لربه ، لا يرجو عطاءً غيره ولا يأمل دفعاً لضرٍ من سواه.

أما الخلود ، فأنه متعلق بالقلوب التي جليت بالأذكار والأرواح التي صفت وصقلت بالمجاهدات ، فصارت لا ينالها العطب أو الفناء بموت الجسد ، لأنها تخلصت بفضل الذكر ، من كل ما هو قابل للفناء من الأهواء والعادات السيئة والطباع الرديئة وأصبحت لا تشتمل إلا على الحسن منها مما لا يبلى أو يزول ، لأنه من جنس الخالدات الباقيات ولأنه من جنس الصفات الأخروية والمحسان الربانية ، وبهذه الامتيازات فإنه سيكون لروح الإنسان قوامٌ نورانيٌ ملائكيٌ لا تعطبه النوائب ولا يطفئه. الموت ، بل تنتقل هذه الروح بالموت من حياة إلى حياة أخرى ومن عالم إلى عالم مغاير ، بحيث لا يشكل الموت عندها سوى لحظة تحول أو مجرد نقلة. إن الموت لا يقدر إلا على القلوب الغافلة والنفوس الكدرة . فأما تلك التي اعتركتها المجاهدات وشفها الذكر وتلبس بها الحبّ الإلهي . فأنها ستداوم عليه حتى لو لم يصاحب ذلك حركة عضلة اللسان[1]. ولكن قول الشيخ عبدالقادر ببقاء نفوس الذاكرين بعد الموت ، لا يعني حصر الخلود فيهم دون سواهم من بني البشر ، لأنه يؤمن حتماً ببعث ونشور كل الناس ويؤمن بخلود الأرواح الشريرة في العذاب وخلود الخيرة منها في النعيم كما صرح بذلك في مواضع كثيرة من كتبه[2]. إن ما يشير إليه حتماً ، هو أنه يمكن للنفس الإنسانية ، عن طريق الذكر ، أن تعود إلى طبيعتها الأولى التي فطرت عليها ، والى الصفاء القديم الذي وجد عليه أبو البشر قبل هبوطه إلى أرض الشقاء ، وإنها قد استعادت بالذكر ، درجة قربها من ربها وقرب ربها منها ، بحيث إن الموت لو حضرها فأنه لن يزلزلها عن مكانتها تلك ، فهي سابحة في ملكوت الله تعالى حامدة آلائه ذاكرة عظمته ، وهي باقية على حالها تلك حتى تلاقي حسابها يوم القيامة.

ان الشيخ عبد القادر، رغم كونه لا يقلل من أهمية ذكر اللسان وفائدته، إلا أنه يعول كثيراً وبالدرجة الأساس على ذكر القلب، لأن القلب هو السيد الامر والناهي وأما اللسان

---

[1] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٧٧.

[2] على سبيل ا لمثال يراجع كتاب الغنية – ج/٢ – ص٢٩٩ فما بعدها.

فهو تبع له وغلام.[٣] ولأن صاحب الذكر لا يستحق لقب الذاكر ولا ينال درجته إلا إذا ذكر، إضافة إلى لسانه، بالقلب. ولابد من التذكير بأن القلب الذي يعنيه الشيخ عبد القادر هنا، هو غير تلك العضلة المادية التي تفنى بفناء الجسد، وإنما هو المكمن الروحي الذي تغرس فيه المعرفة والعلم والتوحيد والتوكل والزهد والإخلاص وكل الأفعال الخيرة الأخرى وهذا القلب، هو الذي ان صح وصلح ، صار الذكر وظيفة دائمة له، وصارت من صفاته أنه لا يغفل أو يسكن ان نامت عيون صاحبه، لأن الذكر عنده يعني الحياة الدائمة، ولأن مثله قبل الذكر مثل الأرض الميتة[٤]، فإذا ما مسها وابل غيث الذكر، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. على ان الصوفية، من ما يزالون حتى الآن، ورغم التقدم العلمي الذي حصر كل الفعاليات المعنوية وغير المعنوية في فص الدماغ، يرون أن القلب هو الأساس والمصدر لكل الأحاسيس والمشاعر والعواطف، وهم يؤكدون، أنه يمكنهم إثبات ذلك عن طريق رياضات وخلوات خاصة،يمكن للمرء من خلالها، ان يرى، رؤية عيان، ما يشتمل عليه القلب من فعاليات وإمكانيات لا يمكن الشك في حقيقتها أو وجودها.

ان تأكيد الصوفية، بوجه عام، على ذكر القلب، لا يعني قولهم أنه يتحرك بالذكر كتحرك عضلة اللسان، وإنما هم يقصدون من ذلك أن يستجمع الذاكر كل حواسه وعقله وجماع تركيزه، مع مصاحبة الشعور اليقيني بالمراقبة والتمسك بالمرابطة فالذي يذكر بقلبه، لابد له من أن يعي ما يقول، والوعي هو أول مراتب الشهود ثم ان يحس به ثم أن يتمثله. على ان هذه (الشروط) كلها ، يمكن ان لا تتوفر في ذكر اللسان، لأن الذاكر فيه قد يسهو عما يقول أو يتوجه إلى غير تلك الوجهة التي يعلن عنها، ومن هنا تأتي أولى درجات التفضيل عند الشيخ عبد القادر الذي أكده في أكثر من موضع في كتبه، ان الذكر الحقيقي هو ذكر القلب، لا بل ذكر السر[١] الذي يتعاطاه الواصلون الذين إذا ذكروا الله تعالى، وهم لا ينفكون عن ذلك ، فأنهم يشاهدون، ببصائرهم، بدائع ملكوته وآيات عظمته. وبلوغ ذكر السر يدل على صحة ذكر القلب، وصحة ذكر القلب يدل على صحة ذكر اللسان، واجتماع الأذكار الثلاثة يدل على القرب والوصول.

وعلى اساس أنواع الذكر الانفة، يقسم الشيخ عبد القادر الذاكرين إلى ثلاثة أصناف وهم: الذاكرون باللسان والذاكرون بالقلب والذاكرون بالسر، فأما الذي يذكر بلسانه فهو العبد الذي أحب أن يتوب من ذنوبه فأرتأى أن يذكر الله تعالى بالتسبيح والتهليل والتكبير،

---

[٣] الجيلاني – المصدر نفسه – ص١٠٦.

[٤] الجيلاني – جلاء الخاطر – ص٤٤.

[١] الجيلاني – جلاء الخاطر – ص٢٥٠.

كي يذكره ربه بالرحمة والمغفرة وقبول التوبة، على أن الاستمرار على هذه الاذكار، هو الذي يدفع بالعبد إلى تحري سبل المجاهدات والرياضيات ونيل الدرجات الروحية العالية، أي بمعنى الانخراط الفعلي في السلوك الصوفي وهو ما يؤدي إلى رفعة إلى مستوى ذوي المرتبة الثانية، فاذا ما طمح في المزيد من المعرفة والصفاء، فأنه سيذكر ربه بسره وسيصير من العارفين الواصلين والروحانيين الربانيين، وهم كما يسميهم الشيخ عبد القادر: ((رجال الله الذين يقيمون بين الناس بأبدانهم فأما أرواحهم فهي عند مليك مقتدر))[١] وهؤلاء الرجال يكون وجودهم بين الناس مهما وضرورياً لأنهم أعلام هداية يقتدي بهم الخلائق ويقتفون آثارهم بما وهبهم ربهم من الحكمة والمعرفة ومن علم القلوب وطب الأرواح والنفوس، ولولا هذا (الواجب) لكان غيابهم أولى من حضورهم بين الخلق، وهذا الواجب هو الذي يكسب تصوف الشيخ عبد القادر صفة (التصوف الإيجابي) الذي يرفض الاعتزال التام وهجر المجتمعات ويؤمن بضرورة الاندماج مع الناس والأخذ بأيديهم ومساعدتهم من أجل بناء مجتمعات صحيحة الأفراد سليمة المعتقدات متينة الروابط.

على أن هؤلاء الذاكرين ينقسمون إلى ذاكرين محبين وذاكرين محبوبين. فأما الذاكرون المحبون فهم أولئك الذين انتهجوا ذكر ربهم شغلاً يشغلهم عن سواه وعبادة يتقربون بها إليه. وأما الذاكرون المحبوبون فهم الخواص من الرجال من الذين زالت عنهم الحجب الظلمانية والنفسية ومن الذين ماتوا عن حياة الناس وصاروا يقتدون بالأحوال وليس بالأقوال[٢]، أي بعلم القلوب والألهامات الربانية المبنية اساساً على صحة تمسكهم بعلوم الشرائع وآدابها.

الذكر من جانبه يقع أيضا على قسمين: ذكر جهري وذكر خفي، الأول يتقدم في الزمان والثاني يتقدم في الرتبة، الأول يتعلق بإرادة العبد وعزمه والثاني يعد من قبيل الأحوال التي تغدقها المنة الإلهية على المحبوبين، الأول يأتي على عدة مراتب والثاني لا تكون له إلا مرتبة واحدة لأنه آخر العطايا وأوفى المنن. فأما مراتب الذكر الجهري فإن الشيخ عبد القادر يوزعها على عدد مراتب النفس الإنسانية وأولها هي مرتبة ذكر اللسان، وهي الخطوة الأولى والأساس في الذكر كله، لأن التمسك بها وتجاوزها بنجاح يعني الاستمرار في السلوك ويعني اكتساب صفة الصبر، وهو ما يعول عليه الصوفية كثيراً في كل مراحلهم اللاحقة. ولهذا الذكر في بداية الطريق فوائد روحية جمة، إذ أن اعتياد المريد على ترديد تلك الاسماء،

---

[١] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٣٦٢.

[٢] التادفي – قلائد الجواهر – ص٩٣.

سيعينه كثيراً على التخلص من كثير من ظلال الاثام والذنوب التي كانت تكدر صفو نفسه وقلبه، ويورثه الحياء من صاحب تلك الأسماء فيمنعه ذلك من كثير من الزلات.

ثم بعد ذلك يلج المريد إلى محطة الذكر الثانية، وهي مرتبة: ذكر القلب التي تعني مداومة القلب على مراقبة ما ينعكس في ضميره من أنوار الجلال والجمال. فأما الجلال فيورثه الهيبة والقبض والانحسار، وأما الجمال فيورثه الفرح والبسط والانشراح، أي أنه سيكسب من وراء هذا الذكر، حالي الخوف والرجاء وهما عماداً الإيمان ومن دونهما لا يكون قرب ولا يتحقق وصول. ثم تأتي بعد ذلك مرتبة ذكر السر، والتي فيها يراقب العبد بسره مكاشفات الأسرار الإلهية التي تعكس عظمة الله تعالى ومنزلة العبد ودرجة قربه وعلمه. علماً ان السر لا يتميز من القلب في المكان أو الوظيفة وانما هو مجرد تطور معرفي يكتسب من خلاله العبد زيادة في التجريد والانسلاخ عن الأشياء والحاجات، ثم زيادة في اسباب القرب من الله تعالى. وهكذا هي بقية المراتب التالية.

المرتبة الرابعة هي مرتبة ذكر الخفي التي فيها تتحقق المعاينة الحقيقية لأنوار جمال الذات الأحادية، وهذه المعاينة لا تشبه في شيء المراقبة التي تحققت في المرتبة الثانية هي مراقبة نعم. ولكنها تتم من خلال كل الجوارح والحواس، بحيث لا يبقى منفذ لغير الحدث المنظور، وهو ما يمكن ان نسميه بالفناء الشهودي الذي تنمحي معه كل الموجودات وتنمحق كل المشهودات مخلية مساحة الشهود أمام حقيقة الحقائق والوجود الأوحد المتجلي بالأسماء والصفات والحقائق الفردانية. ثم يأتي ذكر اخفى الخفي في المرتبة الخامسة وفيها يتم النظر إلى حقيقة اليقين، وهو ما لا يتم إلا باذن من الله تعالى ولأفراد قلائل. وهذه المرتبة ذكرها الله تعالى بقوله: (انه يعلم الجهر وأخفى)[1] وهي ابلغ من كل العلوم والمعارف وهي منتهى المقاصد وفيها يقترب العبد كثيراً من درجة الكمال في العبودية، لأن العبد يواجه فيها بفقره المطلق الغنى المطلق والقدرة المطلقة لله تعالى.

المرتبة السادسة من مراتب الذكر تعود إلى نقطة البداية ولكن في التسمية فقط، لانها من حيث النوع تختلف اختلافاً جذرياً. انها ذكر اللسان من جديد، ولكنه ذكر يمتاز بعمقه الروحي الذي يشمل كل مساحة القلب والسر والخفي وانتهاءً بأعمق اعماق اخفى الخفي. وهذه المرتبة هي الأخيرة من بين مراتب الذكر الجهري لأن الذي يأتي بعدها ينتمي إلى الذكر الخفي وهو يقع في مرتبة واحدة فقط وهي مرتبة ذكر النفس. وهنا لا يكون الذكر

---

[1] الاعلى / ٧.

مسموعاً بالحروف والاصوات، ولكنه يدرك بالحس وبحركة الباطن، وهو لا يتقيد بزمان أو مكان ولا بصحوة أو نوم وليس له تعلق بقبض او بسط أو حال أو مقام، لأنه متواصل ومستمر في كل الاحوال، ومع هذا الذكر يدرك العبد الصلاة الباطنية التي توصله إلى ربه وتقربه إليه[1]. وهو عند الشيخ عبد القادر اعلى درجات الذكر، لأنه لا يقدح فيه نسيان ولا تكدره غفلة ولا يعيقه سكوت او سكون أو حركة[2]. وأخيراً فهو منتهى قصد العباد وغاية مطالب الصوفية.

ومثل الذكر عند الشيخ عبد القادر مثل باقي العبادات ، اذ أن له شروطاً وآداباً لابد من الأخذ بها، والا فأنه سيقع في حلقه اللامشرعية أو في أقل تقدير اللاجدوى وأول هذه الشروط وأهمها هو : أن يعمل الذاكر جاهداً على أن يتأدب بأدب النبي محمد (ﷺ) ويقتدي قدر الأمكان بسنته، ويتم ذلك بمتابعة سيرته (ﷺ) واقتفاء اثاره في خلوته وفي جلوته وفي عبادته وفي معاملاته. علماً أن الصوفية بعامة وأصحاب الطريقة القادرية بخاصة، يعولون كثيراً على تلك (المتابعة) ويرون فيها تجسيداً لافضل وأضمن وأقصر الطرق للتلبس بحب المصطفى (ﷺ) ، وهذا الحب هو خير المغانم عندهم وهو كنز العلوم والمعارف واساس العبادات، لأنه هو الذي يهدي إلى المحبة الالهية الخالدة وهم في ذلك يستندون إلى القانون الإلهي الذي يجسده قوله تعالى: (قل ان كنتم تحبون الله فأتبعوني يحببكم الله))[3] ويشترط في الذاكر أن يعتاد الخشوع التام، أي خشوع الظاهر والباطن، او خشوع الجوارح والقلب. ويعد الخشوع من خيرة آداب العبد مع ربه، لأنه يدل على سعة في المعرفة وزيادة في الإحساس بعظمة وجلال الذات الالهية. ويشترط من الناحية الشرعية، أن يؤكد الذاكر على طهارة بدنه وثيابه ومكانه، وأن يتحرى الحلال في مأكله ومشربه. وتعد هذه الأعمال بالغة الأهمية عند الصوفية، لانهم يرون أنها تشتمل على معانٍ وأسرار وفوائد روحية لها الأثر البالغ في تعجيل وإنجاح عمليات التطهير النفسي والتسامي الأخلاقي، اذ ان المريد الذي يشوب اعماله الطاهرة ظل من رجس أو حرام، سيعجز حتماً عن التواصل والاتحاد مع أنوار ذكره وأسرار مشاهداته.

على ان اعتياد الذاكر مقاضاة ذاته على وفق أحكام ظاهر الشرع، سيفضي به ذلك حتماً، إلى أن يكون خبيراً بفقه الباطن الذي قوامه الورع واجتناب الشبهات والتقليل حتى من المباحات.

---

[1] الجيلاني – سر الاسرار – مخطوطة.

[2] الشطنوفي – بهجة الاسرار ومعدن الانوار – ص١٢٢.

[3] آل عمران – ٣١.

ويشترط في الذاكر أيضاً، اقامة المرابطة والمحافظة على حضور القلب، ويتحقق ذلك عبر استحضار معاني الأسرار الإلهية المذكورة، واستجماع الهمة في التأمل والتفكر في بدائع قدرته تعالى ووافر آلائه، اضافة إلى تذكر الآخرة والموت والحساب. ومما يستعين به الذاكرون لأجل التواصل مع أسباب المرابطة، هو إتيانهم بحركات متوالية ومتناسقة للراس مع البدن، يتوخى من خلالها التأكيد على جهة القلب، كي يستحلبوا بذلك أنواع الذكر الكامنة، وكي يصير قلبهم بهذه الانوار حياً حياةً أبدية أخروية[1]. ثم أن لهذه الحركات فائدة مهمة أخرى، وهي أنها تساعدهم على تحقيق التوحيد والربط بين ذكري اللسان والقلب، ولهذا الربط الفضل في ازالة الكثير من وساوس النفس وفي غلق كثير من منافذ الحواس التي قد تربك وتقوض فعالية الذكر برمتها. وتجدر الاشارة إلى أن أصحاب الطريقة القادرية يتعمدون في مرابطتهم على استحضار همة شيخ الطريقة في وقته، وهم يرون أن هذه الوسيلة فعالة جداً لانجاز الذكر على وجهه الصحيح، لأن الاحساس بحضور الشيخ، مالك أزمة القلوب، سينقلهم تماماً إلى ساحة المراقبة التي تمتنع فيها الوساوس وتنتهي الشواغل وتنمحق الاهواء. وحري بالذكر أن نشير هنا إلى ان الطريقة القادرية لا زالت مشتملة إلى الوقت الحاضر، على أنواع مختلفة من الأذكار، منها الذكر الفردي والذكر الجماعي والذكر الخفي والذكر الجهري ومنها أذكار خاصة بأوقات معلومة من الليل أو النهار. ومنها أذكار خاصة بكل مريد لوحده، بحيث تعتمد على سعيه ودرجة مثابرته والتزامه. ثم أن هنالك أذكاراً جماعية تمارس مصحوبة بايقاعات محددة خاصة بالطريقة نفسها، وكذلك هناك أذكار مهمة يحرص شيخ الطريقة على حضورها بنفسه، ويتم فيها التأكيد على رفع الصوت وتوحيده مع الجماعة وعلى حضور القلب وإغماض العينين وغلق منافذ الحواس وطرد الخواطر والهواجس الرديئة التي تحرم المريد من بركة أذكاره.

إن أهمية الذكر البادية، وكثرة التأكيد عليه، إلى الدرجة التي أصبح معها يشكل علامة بارزة من علامات الطرق الصوفية والسلوك الصوفي بعامة، تأتي من كونه يعد عند (القوم) من خيرة الوسائل المتاحة للعبد، لغرض تحقيق الصلة الحية بينه وبين معبوده. ولعل من نافلة القول أن نؤكد هنا، أن الذكر، فيما لو عمل به لوحده، وهو في ذلك مثله مثل كل الوحدات الصوفية الأخرى، فأنه لا يثمر ولا يؤتي أكله، لأن المريد سيحتاج إضافة إليه، إلى أن يجتاز كل مراحل السلوك المرسومة سلفاً، أو بالاقل أن يسير معها حثيثاً، لأن من البديهي عند أهل الطريق، أن القلب الذي لم يكابد من وطأة الزهد ولم تعتصره المجاهدات و تروضه الرياضيات، لا يمكنه بأي حال من الأحوال، أن يكون قلباً ذاكراً على الحقيقة، أي ذاكراً مع استحضار وشهود المذكور.

---

[1] الجيلاني – سر الأسرار – ص٤٢.

ثم أن الذكر الذي يأتي قبل اتمام المجاهدات وألوان الرياضيات، سيختلف حتماً عن الذكر الذي يأتي بعد ذلك، إذ ان معانيه ستتغير مع تغير أحوال الصوفية ومقاماتهم فالذكر الذي يأتي في بداية الطريق لرتق شروخ الغفلات، سيأتي في المقام الأخير بحلة مغايرة تماماً، هي أقرب إلى الفناء الشهودي منها إلى أي مفهوم آخر، والذكر الذي يؤديه صاحب مقام الرجاء، سيختلف عن ذكر صاحب مقام الخوف وهكذا.

إن ذكر العبد ربه وأعني بذلك الذكر الحي الذي يملك من الذاكر كل كيانه الروحي والجسدي، ليس قراراً يتخذ أو فعالية إرادية بسيطة يمكن أن يمارسها الانسان وقتما يشاء، إذ هو يشكل، مع باقي المفردات الصوفية، سلسلة طويلة من الحلقات المترابطة التي يستدعي بعضها بعضاً والتي يكون مبتدؤها من التوبة ومنتهاها في الفناء الشهودي وان كل هذه المراحل أو الخطوات، لابد من أن تكون مصحوبة بفعالية الذكر فهي تستند عليه وتسانده، تستند عليه كي تكتسب مشروعيتها، وتسانده كي تصل به إلى أفضل نتائجه الممكنة. ويمكن القول أخيراً إن جميع الفعاليات الصوفية، يمكن أن تعد، بوجه من الوجوه، عملية اعداد وتهيئته لقلب السالك كي يتجنب الغفلة ويرتقي إلى مرحلة الذكر الدائم، لأن بذلك وحده ينال الصوفية درجات الولاية ويبلغون المراتب الروحية العالية ويقتربون من ربهم ولأنه ليس للغافلين من زهدهم ومجاهداتهم إلا التعب. ولأن جميع الهبات الالهية هي خالصة للذاكرين دون سواهم .

التصوف بريء كل البراءة مما
يحاول إلصاقه به بعض الذين
يدّعون أنه خمول وتواكل
وسلبية، وترك للعمل...، إن
التصوف هو وضع للدنيا في
موضعها الصحيح!

الصحبة

تدل الصحبة على الملازمة والمرافقة، وهي تقتضي وجود الجنسية- أي المماثلة- بين الطرفين، وقد يدعو إليها أعم الاوصاف كميل جنس البشر بعضهم إلى بعض، وقد يدعو إليها أخص الأوصاف، كميل أهل كل ملة بعضهم إلى بعض ثم أخص من ذلك كميل أهل الطاعة بعضهم إلى بعض[١]. وتأتي الصحبة على ثلاثة أقسام: صحبة مع من هو فوقك في الرتبة أو المنزلة، وهي في الحقيقة خدمة. وصحبة مع من هو دونك، وهذه تقتضي على المتبوع التعامل بالشفقة والرحمة وعلى التابع حفظ الوقار والحرمة. ثم صحبة الأكفاء والنظراء وهي مبنية على الأيثار والفتوة[٢]. والصوفية يعملون بكل هذه الأقسام فالقسم الأول يعني صحبة المريد للشيخ والثاني صحبة الشيخ لمريده والثالث صحبة المريد لباقي الأخوان. على أن لكل واحد من هذه الأقسام شروطه وآدابه التي إذا انتفت فستنتفى معها تسمية الصحبة.

إن الصوفية بعامة، يعولون كثيراً على الصحبة، بكونها وسيلة حية وفعالة من وسائل الانماء الروحي والأخلاقي والمعرفي، وكان مثلهم الأعلى في ذلك دائماً، هو الصحبة التي كانت على عهد رسول الله (ﷺ) والتي كانت كفيلة بتزكية نفوس الصحابة واذكاء جذوة الايمان في قلوبهم. وعليه فاذا كانت الصحبة تعد عند الناس من السنن النادرة التطبيق، فهي في سلوك القوم تعد من الفرائض، ((لأن الوحدة هلاك للمريد ولأنه لاآفة للمريد مثل الوحدة))[٤]. ولأنه لولا الصحبة لما كان هنالك سلوك ولا حال ولا مقام والصحبة التي ينحصر معناها هنا بالذات بصحبة الشيوخ، هي التي تشحذ الهمم وتحفز الأرواح وتمني القلوب باسرار المحبة وتراخيص القرب وجوائز اللقاء. وتتعدد معاني الصحبة بتعدد حقولها وفوائدها، فالصحبة في المعرفة تعني الاستعانة بالمعلم العارف وهي في السلوك تعني مصاحبة الدليل الخبير والمتمرس الذي خبر الطريق وكشف خفاياه وأسراره، وأما في التربية وفي معاملة النفوس فانها تعني الاستعانة بالطبيب الذي حنكته التجارب والأيام فعرفته بخواطر القلوب ونوازع النفوس وثم ذللت له نواصيها وملكته أزمتها.

منذ بداية تكتل الصوفية على شكل جماعات، وهو ما يعرف تاريخياً بظهور الطرق الصوفية، وصحبة الشيوخ هي المحور الأساس الذي تدور حوله كل عبادات القوم

---

[١] السهروردي – عوارف المعارف- ص٤٢٣.

[٢] القشيري – الرسالة – ص٢٢٨.

[٤] الهجويري – كشف المحجوب – ص٥٨٤.

ومجاهداتهم ورياضاتهم ومناهجهم التربوية والصوفية طالما افتخروا على غيرهم من (علماء الظاهر) بكونهم يأخذون علومهم حياً عن حي وبصورة مباشرة، أي من أفواه الرجال وليس من الكتب والأمالي، أي أن علومهم تلك تؤخذ عن طريق الحال والألهام وليس عن طريق القيل والقال، أي أنها علوم روحية ربانية تنبع من القلوب بعد جلائها ومن النفوس بعد صفائها، فهي لا تأتي من الحفظ والتلقين وقراءة السطور. انها تؤخذ من الكاملين الذين فنوا عن أنفسهم وعن الخلق وثم اكتسبوا الوجود الحقيقي الذي هو البقاء بالحق وذلك على عكس بقية العلوم التي تؤخذ بالنقل والقرطاس ميتاً عن ميت.

وبناءاً على ما سبق، فأنه يمكن القول: إن المريد السالك لا يمكنه من أن ينجو من مخاطر الطريق أو ينجح في سلوكه، إلا إذا سلك على يدي شيخ حي عارف كامل، فيصحبه ويطيعه طاعة كاملة ويستقي منه المعارف والآداب، ولكن مع الاشارة إلى أن الصحبة عند القوم لا تقتصر فقط على علاقة المريد بشيخه، بل انها تمتد لتشمل علاقته بأقرانه من المريدين وعلاقته ببقية الناس، ومن هنا تأتي أهمية الصحبة وتأكيد شيوخ الصوفية عليها، على أن هذا التوسع في حقول الصحبة، ولا يقلل من أهمية صحبة الشيوخ، لأنها تبقى الأصل والمنبع لكل ما سواها، ولأنها تبقى نقطة المنطلق لكل ما يأتي بعدها من سلوك.

ولكن تلك الأهمية الفائقة لا تعني الصحبة على علاتها ومن دون تحقيق أو تمحيص بل هي بالعكس، إذ ينبغي أن تدفع المريد كي يتحرى الدقة والحذر في عملية انتقائه (لصاحبه)، وكما اشرنا سابقا، فأن الصحبة مع الشيوخ، تعني التسليم والطاعة والموافقة التامة، وهذه ينبغي أن لا تكون إلا في حق من كمل في أدبه وأخلاقه وتربيته الروحية أو كما وصفه الشيخ عبد القادر ((شيخ متورع زاهد عالم بحكم الله عز وجل))[1]. كي يختصر الطريق للمريد ويمحضه النصيحة ويوصله سالماً إلى يدي العناية الربانية وعلى وفق هذه الوظيفة فأنه يمكن تعريف التصوف بأنه: طلب التأدب والتهذيب النفسي على يدي شيخ متورع زاهد عالم بأحكام الله عز وجل. وهذا هو أقصى ما تطمح الطرق الصوفية أن تحققه للمريد، وهو في الوقت نفسه، الفائدة المرجوة من صحبة الشيوخ التي جعلت منها ضرورة ملحة لأجل اتمام الفعل الصوفي برمته.

---

[1] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٢٨٩.

إن المريد بسكونه طائعاً تحت وصاية شيخه الروحية، وبأحتماله صابراً ، وطأة أوامره ونواهيه، التي هي في اغلب الأحيان مخالفة لرغباته النفسية، ستنمو لديه القابلية المرهفة على الاقتداء والتعلم، إذ سيكون مهيأً تماماً للأخذ عن شيخه، انسجاماً مع الرابطة القلبية المتينة التي تشده إليه، وهذا ما لا غنىً عنه لأي مريد ، وفي أية مرحلة من مراحل الطريق كان والى أية مرتبة من مراتب الكمال بلغ، فلا بد له دائماً من منبه يبدد عنه غشاوة الغفلات ومعلم يمحق عنه ظلمة الجهل، والغفلة والجهل نسبيان يختلفان من مقام إلى آخر، فما كان ميزة في هذه المرحلة فهو مثلبة في المرحلة التي تليها وهكذا والحكمة الصوفية تقول أن لا حدود للمعرفة الربانية ولا ساحل للعلم الإلهي وأن الانسان مهما إرتقى في مراقي العلم والمعرفة، فأن عليه، إن كان صادقاً، أن يوقن بأن هنالك من هو أعلم منه وأكثر معرفة ، وهذا ما ينسجم مع حديث النبي محمد (ﷺ): ((استعينوا على كل صنعة بصالحي أهلها))[١]. والتصوف عند الشيخ عبد القادر صنعة وصالحوا أهلها هم الصالحون في الأعمال الزاهدون في الدنيا المودعون للخلق عن معرفة بربهم[٢].

إذن فلابد من واسطة لدخول أرض الحكمة – أي المعرفة اللدنية – التي يعسر دخولها على كثير من الإفهام والعقول، ولابد أيضا من وسيلة تقرب المسافة بين العبد وربه وتذلل ما عسر من أسبابها . وهذا من جهة المعارف، فأما من جهة النفوس وكيفية التعامل معها، فأن الشيخ عبد القادر يرى: أن على العباد السالكين، أن يطلبوا من ربهم أن يهديهم إلى طبيب يطبب أمراض قلوبهم ومداوٍ يداوي علل نفوسهم ودليل يدلهم ويأخذ بأيديهم، وعليهم أيضاً أن يتقربوا من مقربيه وموحديه وحجاب قربه وبوابي وصاله، كي لا يرضوا، بدلاً عن ذلك بخدمة نفوسهم ومتابعة أهوائهم وطبائعهم[١].

إذن فلا غنى عن صحبة الشيخ، سواء من حيث الحاجة المعرفية التي ليس لها حد تقف عنده أم من حيث التربية الروحية ذات التصعيد المتواصل. ولعل هذه الضرورة تسلط لنا الضوء على أسباب طاعة المريد التي يصفها بعضهم بـ(العمياء) لشيخه، فالتعمية فيها، إن جاز لنا التعبير، مبنية على وفق استراتيجية نفسية تهدف إلى تجاوز نقاط الضعف والخلل في الهيكلية النفسية والأخلاقية والدينية للمريد.

---

[١] سنن أبن ماجة – ج/٢ – ص١٣٧٤.

[٢] الجيلاني – جلاء الخاطر – ص١٦.

[١] الجيلاني – جلاء الخاطر – ص١٦.

إن الصحبة بوصفها علاقة أنسانية، يمكن أن نلمسها، بعامة، في كل مفاصل الحياة العلمية والأدبية والإنسانية، ولكنها هنا في مجال التصوف، تختلف نوعاً وتفصيلاً، إذ هي لا تقتصر فقط على الملازمة المكانية والزمانية، أو المرافقة المقرونة بالدرس والتحصيل العلمي والتي تنفضّ بانتهاء هذا الاقتران ، وإنما هي علاقة أكثر حميمة وأشد توليفاً، لأنها تربط بين المريد وشيخه برابطة هي أقرب ما تكون إلى الأبوة الروحية وبوشائج قوامها الحب والفناء والطاعة والموافقة، وإنه بغير هذه الرابطة وبغير تلك الوشائج، لاتصح صحبة ولا يفلح سلوك ولا تثمر تربية ولا يجنى وصول، والمريد الذي يفشل في تحقيق هذه الرابطة والذي لا يتمكن من إذابة ارادته في إرادة شيخه ولا يتحد معه روحياً، فأنه لا ينال من التصوف (شمة). وبالترجيع العكسي يمكننا القول: إن المريد الذي يبغي الفلاح في سلوكه، فعليه أن يكون بالغ الطاعة لشيخه، إلى الدرجة التي يكون معها ((أرضاً تحت أقدام شيخه))[٢] وبالتداعي يمكننا أن نقول أيضا: أنه لا يقدر على هذه الطاعة إلا بعد أ يخالف نفسه، وهو لا يقدر على هذه ايضاً، إلا بعد أن يكون تاركاً للدنيا والخلق مودعاً لهما وداع مفارق غير راجع. وهكذا فالبناء الصوفي بناء مترابط متماسك، ترتكز دعائمه الواحدة على الاخرى، على أن صحبة الشيخ تشكل المرتكز الاساس لهذا البناء، لأنها تمثل الإرادة الالهية وسنة الله في خلقه ((فلقد شاء الله تعالى، وأجرى العادة ، بأن يكون في الأرض شيخ ومريد، صاحب ومصحوب تابع ومتبوع من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة))[٣] إذن فوجود المشيخة الحقيقية يعد إرادة الهية وأمر نافذ يسري على كل العصور والأماكن ، كي تستمر الهداية ويتجدد الدين أما كيف ينفذ الخلق هذه المشيئة، فأن ذلك يتم عن طريق البحث الدؤوب عن الصحبة الربانية وثم العمل على إدامتها لكسب مرضاة الله تعالى.

تستند الصحبة إلى دعامتين اثنتين وهما: المريد نفسه والشيخ، فأما المريد فهو صاحب القرار في إدامة هذه الصحبة أو قطعها، فأما الإدامة فأن الشيخ عبد القادر يضع لها شروطاً، لابد من أن يجدها المريد في نفسه قبل أن يسعى إلى الصحبة وقبل أن يعطي العهد على نفسه. والشروط هي: أن يكون المريد صحيح الاعتقاد كي يحصل له علم الحقيقة، لأن السلوك مع الاعتقاد الخاطئ أو المغالي، وسواء أكان ذلك في الدين بعامة أو في شخص الشيخ بخاصة، لا يفضي حتماً إلى النتيجة المرجوة. وأن يكون صادق العزم والاجتهاد تجاه دينه وتجاه نفسه كي يتفق له سلوك الشريعة والحقيقة وهما جناحا

---

(٢) الجيلاني – المصدر نفسه – ص٨.

(٣) الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٨١.

الطريقة، وأن يكون خالص النية في قصده تجاه ربه، فلا يميل أو يتلفت إلى جهة تسلبه من قصده. وعليه أن يتمسك بالكتاب والسنة وأن يعمل بهما أمراً ونهياً كي يعصمه ذلك من زلات الشطط والضلالة. وأن يكون مخلصاً في سعيه لبلوغ درجة القرب من ربه بحيث إنه لو حصلت له موهبة أو كرامة وهو في منتصف الطريق فعليه أن لا يتوقف عندها أو يرضى بها بدلاً عن مراده، لأنها ستكون على قلبه حجاباً وظلمة وقد تودي به إلى المقت والأبعاد بدلاً من المحبة والإلهية. على أن كل تلك المخاوف يمكن أن تتلاشى بعد اتمام السلوك ، فالمريد إذ بلغ مراده وأنهى رحلته، فأنه سيصير عارفاً بمخاطر الطريق خبيراً بخفايا النفس ملماً بحبائل الشيطان، وعندئذ فقط، فأنه لا يضير مع قصده شيء من كرامة أو جاه[1]، بل يمكنه أن يرشد غيره على الطريق ويعينه على الوصول.

ويشترط لأجل إنجاح الصحبة، أن يبتعد المريد عن مواطن التقصير، وأن يتجنب مخالطة المقصرين الذين يقولون ما لا يفعلون لفساد نياتهم وخراب هممهم، وفي المقابل فأن عليه أن يتحرى مخالطة الصالحين ولكن شريطة أن يسبق هذا الاختلاط، اجتهاد المريد في تهذيب أخلاقه السيئة والتخلص من طباعه الرديئة لأنه ما دام حبيس تلك النقائص، فأنه سيكون سهل الانجراف مع مغريات الحياة وملذاتها، فقد تفتر عزيمته وتضعف همته أمام لقمة أو مال أو جاه. وهو معنى إشارة الشيخ عبد القادر إلى أنه لا يمكن لفساد الأخلاق أن يتعايش مع الصحبة لأنه إن بقي فسيغلب على الصلاح في الأغلب[1]. ويمكننا أن نلمس هنا ميل الشيخ عبد القادر إلى الاعتقاد بفاعلية الصفات المكتسبة وإمكانية تغلبها على التوجه المعتاد لشخصية الإنسان، حيث يمكن للمرء، وفق هذا الرأي، أن يقوّم ما اعوج من طباعه، وأن يعيش بين الناس بشخصية جديدة فيكون كريماً شجاعاً أميناً بعد أن لم يكن. وهذه (النظرية) يمكن القول عنها إنها بادية التفاؤل وإنها تشكل الدافع الأكبر لكل المساعي الإصلاحية للتصوف، فلولا إيمان الصوفية بقابلية الإنسان للتغير نحو الأحسن، لكان كل مسعاهم بلا جدوى.

ويشترط في طالب الصحبة أن يكون كريم النفس سخي اليد، وأن لا يخاف بعد البذل من فاقة أو مسغبة، لأنه إن اتصف بخلاف ذلك، أي كان بخيلاً شحيح النفس، فذلك يشير منه إلى خلل في الاعتقاد وعدم ثقة بالله تعالى. والمريد مع كرمه وكثرة عباداته وشدة مجاهدته لنفسه، ولكونه لا يرجو إلا مرضاة ربه، فأن عليه أن لا يتذمر من عدم اعتداد

---

[1] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٧٨.

[1] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٣٦٢.

الناس وإلتفاتهم إليه وخمول ذكره بينهم وأن لا يعترض على شيخ الطريقة، فيما لو قدم أقرانه عليه وأكرم بعضهم وقربهم دونه، لأن ذلك قد يكون من باب تأديب النفس وامتحان قوة الصبر والإرادة فيها، والمريد ان لم يرض من شيخه بذلك ويوطن نفسه عليه، فإنه لا يفلح أبداً[٢]. لأنه عاهد على الموافقة لشيخه في كل الأحوال، لإيمانه بأنه أعلم منه بخفايا نفسه وأكثر دراية بعللها وأدوائها. هذا أولاً، وأما ثانياً فأن المريد إن طالب باحترام الناس وتبجيلهم له وطمع في تقديم الشيخ له في الظاهر، فأن ذلك سينقص حتماً من حظه الأخروي الذي هو أمر باطني بحت، وسيطعن في إخلاصه لربه سواء في الحب أو في العبادة.

وينبغي على المريد ايضاً، أن لا يترقب من ربه نوال مكافأة أو تعويض دنيوي جزاء ما يأتيه من أعمال شاقة دون بقية الناس وإنما عليه فقط، أن يطلب المغفرة لما أسلف من ذنوب وأن يطلب الحفظ والعصمة لما يأتي من أفعال وأن يدعو بالتوفيق لما يسعى إليه من طاعات، وأن يسعى بالتودد والتقرب إلى أولياء الله تعالى العارفين وأن يجتهد في خدمتهم وطاعتهم وأن يسعى بحضرتهم إلى التجرد والترك، لأنه ليس من حسن الاتباع والمصاحبة أن يتملك المريد ويرغب ويريد وهو بمعية شيخه وواقع تحت وصايته. إنه يأكل من طبق شيخه أو ما يأمره فقط بأكله، وكل ذلك لأجل أن يصل إلى حالة الانخلاع التام عن إرادته. فهو ينتظر الأمر من شيخه. لعلمه أن أمره من أمر الله تعالى. وأن مصلحته لا تتحقق إلا على يدي شيخه، وإنه يجب أن يثق بشيخه تمام الثقة وأن لا يتهمه في أي فعل أو أمر يصدر عنه، لأن مع التهمة لا تصح صحبة ولا سلوك ولأن المريد مع إتهامه شيخه يكون كالمريض الذي لا يثق بطبيبه، فهو لا يمكنه من أن يفيد من نصحه ودوائه[١].

ويمكننا أن نلاحظ مما سبق، أن الشروط التي وضعها الشيخ عبد القادر لطالب الصحبة تشكل في الوقت نفسه الشروط اللازمة لإنجاح مجمل تجربة السلوك ، مما يدل على أن صحبة الشيخ تمثل الخلاصة الفعلية للسلوك الصوفي، وهي ما كانت كذلك إلا لأنها شكلت المنهل الحي والمباشر لكل ما يشتمل عليه الإرث الروحي للتصوف من معرفة وتربية وأدب، وعليه فأن المريد الذي يعجز عن إدامة صحبته مع شيخه فأنه لن يفلح أبداً في إتمام باقي مسيرته الصوفية، ولكي يجنبهم هذه النتيجة فأن الشيخ عبد القادر ينصح مريديه بأن لا يخوضوا في أي مجال من مجالات التصوف إلا بعد أن ينضج استعدادهم (للمواجهة) ((لأن الطريق لا ينال بطول الأمل وإنما بالجد والاجتهاد))[٢] وهذه المواجهة لا

---

(٢) الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٧٩.

(١) الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٢٩٠.

(٢) الجيلاني – فتوح الغيب – ص٦٨.

تستحكم من نفس المريد إلا إذا استعان بشيخ عارف، فالمريد الذي فيه بقية من هوى في دنيا فأنه أحوج ما يكون إلى نصح الشيخ وإرشاده.

إن ما سبق من شروط وآداب، هي مما كان يفترض توفرها في شخص المريد وسلوكه قبل انخراطه في إحداثيات صحبة الشيخ، فأما بعد أن تكون هذه الصحبة قد دخلت حيز التطبيق، فأنه يترتب عليه غيرها وهي مما يمكن أن نصفه بالآداب العامة أو حسن السلوك، ولهذه (الآداب) أثر بالغ في انضاج الرابطة الروحية المتوخاة بين المريد وشيخه والتي لا يحتاج معها المريد كثيراً إلى وسائل الاتصال الظاهرية المعتادة، كي يتحدث إلى شيخه أو يفضي إليه. إن على المريد أن يصحب شيخه بالطاعة والاحترام وحسن الأدب بين يديه[١] . وحسن العشرة معه وحسن الظن به، وأن يصبر على أوامره ونواهيه ويقبلها ويعمل بها من أجل أن يفلح في مسعاه ومن أجل أن لا يستغني برأيه في أمور يجهلها فيضل، وأن يعتقد موقناً أن كل ما يفعله شيخه تجاهه، مما يرضيه أو لا يرضيه، إنما هو يفعله لأجل تهذيب نفسه وإصلاحها[٢]. وعلى المريد أن يترك مخالفة شيخه في الظاهر ويتجنب الاعتراض عليه في الباطن، بل أكثر من ذلك، إذ عليه، ان سولت له نفسه أمراً، أن يكون خصماً لها أمام شيخه.

على ان هذه الطاعة (العمياء) وهذا الولاء المطلق، تنتهي حدوده عند موافقة الشرع وعند عجز إدراك المريد عن فهم الكثير من أمور الروح والغيب وأسرار الطريق، فأما خارج ذلك، فأن للشيخ عبد القادر رأياً آخر ينصح به المريد، بحيث لا يتجاوز معه سلم الطاعة ولا يدخل في حرب العصيان. فمثلاً إذا ما لمس المريد من شيخه، وضمن حدود معرفته الشرعية، ما يكره في الشرع، فأن عليه أن يشير إليه أمام شيخه إشارة ولا يصرح به تصريحاً، لأن هذا مع ما يتضمنه من إظهار الحق، فأنه أحفظ للحرمة وأقوى للأمانة وأدوم للصحبة. فأن رأى المريد في شيخه عيباً من العيوب المستقبحة عرفاً أو سلوكاً، ستره وعاد بالتهمة على نفسه، فأن لم يجد له عذراً في الظاهرة، استغفر له ودعا له بالحفظ والعصمة ولكن شرط أن يكتم ذلك عن الآخرين، وأن يعتقد أن هذا العيب ما هو إلا حالة طارئة ستزول لا محالة أو انه قد يكون لها عذر في الشرع لا يدركه المريد. اذن فلا مجال في صحبة الشيخ للموافقة المطلقة في كل الأحوال أو المجاراة على الأخطاء أو تأويل

(١) وقد ورد على لسان الشيخ عبد القادر قوله: ((كان لي شيخ كلما أشكل علي أمر أو خطر بقلبي خاطر، يحدثني به ولا يحوجني إلى الكلام، وكان ذلك لاحترامي وحسن أدبي معه)). – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٢٤٨.

(٢) الجيلاني – المصدر نفسه – ص١٦٢.

الأوامر والنواهي البينة والظاهرة أو كما يعتقد بعضهم إسقاط التكاليف. إن الصحبة إنما تعني زيادة في اليقظة تجاه الأخطاء وزيادة في الحساسية تجاه الذنوب. لأن حقيقة المؤمن هي أنه يمثل مرآة لأخيه المؤمن، يرى فيها عيوبه ويستعين بها على إصلاح شأنه .

فأما إذا ما لمس المريد في شيخه نوعاً من الأعراض والنفور عنه أو عدم الترحيب به فأن عليه أن لا يتغير لذلك، بحيث تفتر همته ويتعثر سيره إلى الله تعالى، بل عليه أن يزيد من اقباله على شيخه وفي مقابل ذلك أن يفتش في نفسه عن سوء أدب قد يكون بدر منه، أو تقصير أو خطأ لعله اقترفه في غفلة من نفسه، أو تفريط في عبادة أو عمل. وعليه مع هذا الاعراض البادي أن يتودد إلى شيخه بالاستزادة من العبادات والاذكار، لأن هذا هو مراد شيخه الحقيقي منه، وأن يمعن في ترك مخالفته. وفي الوقت نفسه أن يمعن في موافقته ومرافقته مما يعد وسيلته الوحيدة للتقرب إلى الله تعالى وبلوغ رحمته، ولا يرضى الشيخ عبد القادر للشيخ الصوفي الحقيقي بأقل من هذا الدور. فهو عنده كحاجب الملك الذي يتقرب إليه الناس من أجل أن يدخلهم على الملك وفي الوقت نفسه من أجل أن يعلمهم كيفية التأدب مع الملك ويعلمهم ويبصرهم بسياسته[١].

وهذا الدور هو الذي يحتم على المريد أن يطوف الشرق والغرب وأن يهجر الأهل والأوطان طلباً لمصاحبة شيخ عارف بالله تعالى وبسبل محبته ورضاه. وتلك هي مسؤولية المريد تجاه نفسه وتجاه دينه، تجاه نفسه لأنه ملزم بأن ينجيها من الهلكة وتجاه دينه لأنه ملزم بالبحث عن حقيقته وغايته. إن الشيوخ العارفين هم حقاً أطباء القلوب وإن صحبتهم هي الدواء الناجع لكل علل الدين[٢]. وما المريد الذي يستغني عن صحبة الشيخ، قابعاً في بيته أو صومعته، إلا فريسة سهلة لطبعة وهواه وقلة علمه، وخصوصاً في بداية السلوك.

إن الظاهر من أراء الشيخ عبد القادر، في تأسيسه العلاقة المبتغاة بين الشيخ ومريده هو أنه يرمي إلى رسم علاقة سلبية تمحق فيها شخصية المريد بالكامل، وتلغى إرادته إلى الدرجة التي يستغني فيها عن عقله وسمعه وبصره وكل حواسه الأخرى، وبحيث إنه يعطل كل خواطره وأفكاره وكل ما يمكن أن يحمله على مخالفة شيخه والاعتراض عليه. وإذا كان جميع هذا (الظاهر) يمكن أن يكون صحيحاً أو في الأقل وارداً في التراث الصوفي، فأننا قد نجد للمسألة تفسيراً أخر ورأيا يخالف ما هو شائع خارج الوسط الصوفي، إذ يمكن القول

---

[١] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٨١.

[٢] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص.١٦٠.

أولاً: ان كل المصادرات التي يمارسها شيخ الطريقة في حق نفس المريد وارادته وعقله، إنما هي مصادرات مرحلية (تكتيكية) لها تعلق بأطوار التربية النفسية التي وضع أصولها كبار شيوخ التصوف، فالمريد متى ما تمكن من أهواء نفسه وقدر على كبح جمحها، فأنه سيستغني حتماً عمن يعينه على الإمساك بزمامها. وثانياً: فأن كل ما يؤمر المريد بفعله تجاه شيخه، لا يقصد لذاته، وإنما للنتائج الروحية التي يمكن أن تترب عليه، والتي تعد تقوية الإرادة من أهمها، وذلك عن طريق توجيها الوجهة الصحيحة وتعويدها على مخالفة الطبائع والعادات. كما وأن في طاعة المريد وحسن إئتماره لشيخه، تجاوزاً لكثير من الأمراض النفسية المعتادة عند البشر مثل الكبر والحسد وحب الظهور، وفيها أيضاً إعانة على إنجاح دور المريد بكونه مرشداً صوفياً، عن طريق تعوده على إحتمال أذى الأخرين وجهلهم.

وتبقى ملاحظة أخيرة تخص طرف الصحبة الأخر وهي: أن مفهوم (الشيخ) متى ما ورد في سياق كلام الشيخ عبد القادر، فأن المقصود به هو الصوفي الذي تجاوز كل عقبات الطريق وبلغ أخر المراتب في السلوك . وهو ما يعرف في التراث الصوفي بـ(الشيخ العارف الكامل). وإن من كانت تلك خصاله، فانه لا يخشى من ميله أو تعديه، لأنه وهو في غناه الروحي وعلمه بالله تعالى، يكون في وقاية من كل تلك الظنون. فهو يفعل ما يفعل لأجل صلاح المريد وخلاصه وثم لأجل صلاح المجتمع والدين.

ومن الأداب العامة التي ينصح المريد بالتحلي بها، هي: ألا يتكلم في حضرة شيخه إلا حين يطلب منه ذلك أو عند الضرورة، فأذا تكلم فعليه بخفض الصوت والاقتضاب في الحديث. وأن لا يمدح نفسه أمام الشيخ ولا يبسط سجادته بين يديه، والسجادة في عرف الصوفية ترمز إلى الاستقلال الديني والعلمي، وهو ما يطعن في تواضع المريد وثم في أدبه. وأن يكون المريد مترقباً لخدمة شيخه في كل الأوقات، والخدمة هنا لا تطلب لذاتها وإنما لما يترتب عليها من تكريس للطاعة والوفاء وحفظ الجميل وامتداداً لحسن الصحبة مع الشيخ، فأن على المريد أن يحفظ الأدب مع كل من هو فوقه في الرتبة وأن لا يتبسط معه في التعامل، وأن يجتهد أيضاً في خدمته وطاعته علماً أن الرتبة عند الصوفية لا تشير إلى قيمة أو منصب أو جاه اجتماعي، وإنما هي تشير إلى تفاوت في المنازل الروحية والمعرفية أو المقامات الصوفية. وإذا ما جرت مسألة بين يدي الشيخ وكان المريد ملماً بها، فعليه أن يسكت وإن كان في ظنه أنه يملك فضل جواب على سواه، وعليه في المقابل أن يغتنم ما

يفتح الله تعالى على لسان شيخه فيقبله ويعمل به. وأما في حال السماع[١] فان على المريد اذا ما دب دبيب الوجد في أوصاله، أن يتحرك بين يدي الشيخ إلا باشارة منه، وأن لا ينجرف مع ما يطرأ عليه من الأحوال، إلا أن يغلب عليه ذلك فهو معذور، فأن سكنت فورة حاله، فليعد إلى سكونه وأدبه ووقاره وكتمان أمره[٢] ولكن تجدر الاشارة إلى أن المريد لا يقدر على حيازة جميع هذه الاداب ويصبر على تحمل تبعاتها، إلا إذا كان له في شيخه عظيم اعتقاد وإيمان وتصديق، والا إذا تيقن بأن شيخه هو الأفضل بين الشيوخ، وإنه بخدمته وبملازمته له، فأنه ذو أفضلية على سواه، لأنه إن أفرغ قلبه من الخلق ومن كل الشواغل، وإن صحح صحبته لشيخه واجتهد في طاعته فأنه حتماً ((سيلقمه ويرزقه مما في قلبه من طعام المعرفة وشرابها))[٣] وعلى المريد أن يتجنب مخالفة شيخه في كل ما يأمره به ((لأن مخالفة الشيخ سم قاتل فيه مضرة عامة))[٤] أي أن ضررها يعم دين المريد واعتقاده وأدبه. وعليه أن لا يكتم شيخه شيئاً من أحواله وأسرار باطنه، وفي المقابل، أن لا يطلع أحداً سواه بذلك وبما يأمره به شيخه. وينبغي عليه، وهو في مجاهداته ورياضاته، أن لا يطلب الرخص أو يعود إلى طبع تركه، لأن ذلك يثبط عزيمته ويؤخر في وصوله وعليه الانقياد لما يأمره به شيخه من التأديب، فأن وقع منه تقصير، فالواجب عليه اخبار شيخه به، كي يعجل له المعالجة ويسعفه بالدعاء.

إن سعي المريد إلى تهذيب أخلاقه وتشذيب طباعه وأهوائه وتطويع إرادته كي تتجه حصراً نحو دروب الخير والصلاح، هو ما يحمله على الاستعانة بالمربي الروحي العارف بالله تعالى وذي الدراية بخفايا النفس وإنحرافاتها وذي المعرفة اللدنية التي تفتقد عند سواه. وعلى أساس نية المريد تلك ، فأن عدم متابعته هذا المربي وعدم تحليه بأنواع الأدب معه،

---

[١] السماع في اللغة هو: الغناء. وقيل: الذكر المسموع الحسن الجميل. وكل ما إلتذذته الاذن من صوت حسن. إبن منظور – لسان العرب – ج/٨ – ص١٦٥. وقد عرف ذو النون المصري السماع بأنه: وارد حق يزعج القلوب إلى الحق. فمن أصغى اليه بحق تحقق ومن أصغى اليه بنفس تزندق . الطوسي – اللمع – ص٣٤٢. وأما القشري فيعرفه بأنه: سماع الاشعار بالألحان الطيبة والأنغام المستلذة. إذا لم يعتقده المجتمع محظوراً أو يذمه الشرع. واذا لم ينجر المريد في زمامه مع هواه أو ينخرط في سلك لهوه. وهذا هو المباح. الرسالة القشيرية – ص٢٦٠. وأما الشيخ عبد القادر. فأن السماع عنده هو: الوقوف مع القوال والابيات والاشعار التي تثير الطباع وتهيج ثائرة العشاق بالطباع لا بالقلوب والأرواح. لأن عمل القلوب والأرواح يختص فقط بالسماع الحقيقي الذي هوالحديث□□والكلام الرباني الذي هو سنة الله عز وجل مع العلماء به والخواص من الأولياء والابدال ممن خلت بواطنهم من سواه – الغنية ج/٣ – ص١٣١٨.

[٢] الجيلاني – المصدر نفسه – ج/٣ – ص١٢٨٧.

[٣] الجيلاني – جلاء الخاطر – ص٩.

[٤] الجيلاني – الغنية لطالب طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٨٨.

يعني (الانفصام) بعينه ويعني النفاق بلغة الشرع، ويعني الاصرار على التمسك بالإرادة الذاتية على علاتها ويعني مجاراة النفس بكل تبعاتها وحبائلها وهذا هو الفشل بعينه وهو ضد المطلوب على أن كل هذه الهالات القدسية التي تحاط بها صحبة الشيخ، والتي تجعل منها في السلوك الصوفي، أمراً لا غنى لاي سالك، لا تغير من حقيقتها في شيء وهي كونها مدة رضاعة وحضانة لابد من أن يأتي بعدها الفطام، ويشبه الشيخ عبد القادر، الشيخ المرشد بـ((الداية والظئر، لا يبقى مع المريد إلى الأبد، بل هما حولين))[١] والحولان هما مدة بلوغ الطفل الرضيع مرحلة الفطام ويقابلهما –بالمعنى وليس بالعدد- في السلوك الصوفي، مدة الصحبة بما تتضمنه من رعاية وتوجيه وتعليم وهذه المدة تطول أو تقصر، حسب درجة إجهاد المريد وسعة همته، وليس لذلك علاقة بالشيخ، لأنه مستعد للبذل في كل الأحوال.

وبعد الفطام ينتقل المريد مباشرة إلى مرحلة النضج، فيكون مهيأً لرعاية الأخرين وأحتضانهم والعناية بهم وإرشادهم إلى سواء السبيل، ولكن تجدر الاشارة إلى أن تجاوز المريد لمرحلة الصحبة مع شيخه، لا يعني انقطاعه واستغنائه التام عنه حتى وإن بلغ أعلى المراتب والمقامات، فأنه يبقى في حاجة روحية دائمة لشيخه كي يستمد من همته ويقبس من أنواره وينهل من معارفه[٢].

وأما الركن الاخر للصحبة، الذي هو الشيخ، فأن الشيخ عبد القادر لا يعدم أن يجد له شروطاً وآداباً، لابد من أن تتوافر فيه كي تصح مصاحبته وتجب طاعته فالشيخ المرشد حصراً[١] لابد من أن يكون ذا أدب عال مع ربه، لأن الادب في حق الشيخ هو كالتوبة في حق العاصي من الخلق، والتوبة هي الاساس والاصل لكل ما يليها من أفعال وهي إن نصحت فقد نصح كل ما سواها وإن خالطها دخن فقد خالط كل ما سواها. إن الأدب مع الله تعالى يشتمل على كل المعاني المطلوبة واللازمة للوصول اليه تعالى، فهو يحوي الطاعة والخشوع والرضا بقضائه، ويحوي الحياء منه والخوف والرجاء وملازمة العبادة والمداومة

---

[١] الجيلاني – فتوح الغيب – ص٤٠.

[٢] ورد في سيرة الشيخ عبد القادر أن كثيراً ممن عاصره من شيوخ التصوف، ممن كان بمعيتهم آلاف المريدين، كانوا حريصين أشد الحرص على زيارته وحضور مجالس علمه ووعظه و كانوا يتحينون الفرص لخدمته وإظهار الطاعة له. راجع مقدمتي (بهجة الاسرار ومعدن الأنوار) للشطنوفي و (قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر) للتادفي.

[١] يعرف الشيخ عبد القادر الشيخ المرشد بأنه: العارف بكمالات القلوب والنفوس وأفاتها وأمراضها وأدوائها وكيفية حفظ صحتها واعتدالها. وهو القادر على الارشاد والمراقبة -أي المراقبة الباطنية التي يطلع بها على بواطن مريديه- عن طريق بصيرته ورؤيته بنور ربه. الجيلاني – سير السلوك إلى ملك الملوك. مخطوطة.

على الأذكار. وباختصار فأن الادب مع الله تعالى يعني مباشرة كل ما يرضيه ومجانبة كل ما يسخطه، أي يعني إتمام كل الواجبات الصوفية. ومن جهة أخرى فأن الشيخ المرشد يفترض به أن يكون قريباً من ربه، كي يكتسب مشروعية سلطانه على القلوب والارواح، والقرب من الله تعالى هو كمجالسة الملوك، إذ إن من جالس الملوك مع جهله وقلة أدبه، فلربما كان ذلك سبباً في هلاكه.

ثم أن اعتقاد الناس بقرب شيخهم من الله تعالى ، سيجعله موضع نظر الأخرين وسيحمله مسؤولية مضاعفة، إذ سيلزمه ذلك أن يكون قدوة للناس في هذا الأمر، كي يصير تأدبه مع ربه سبباً لتأدب الاخرين.

والشيخ وهو في أدبه العالي مع ربه، ليس في غنى عن حفظ الأدب مع الناس، لأن ((الأدب مطلوب مع الخلق والخالق))[٢]. لا بل إنه أحوج ما يكون إلى حفظ الأدب معهم، لتعلق هذا الأمر بمقصده الأول، وهو أدبه مع ربه فالمكاسب الروحية للصوفي هي ليست بمعزل عن سيرته الحسنة بين الناس هذا أولاً، وثانياً لدعم مصداقيته وأمانته في عظة وإرشاده العباد، إذ إن أدب المرء يعد علامة مهمة من علامات صدقه وصحة اعتقاده.

ويفترض في الشيخ أن يتحلى بالتقوى، كي تثمر مصاحبته. فالمريد إذا ما صاحب من يفوقه في التقوى والعلم والورع، حصلت له البركة وتمت الفائدة. فأما ان حصل العكس، أي صحب من يكبره في السن ولكن ينقصه العلم والتقوى، فأن هذا سيورثه الشؤم ويودي به إلى الهلكة[١]. وعليه، (فالمشيخة) عند الشيخ عبد القادر، لا تستمد من المناصب الاجتماعية أو الألقاب المتوارثة، وإنما هي استعداد وكسب و مجاهدة، كما أنها ليست مغنماً سهلاً، بل هي في الحقيقة، عبء ثقيل يحتمل منه الشيخ التقي ما لا يقدر عليه غيره.

ولعل من الأمور البديهية أن يتخذ الشيخ من الزهد نهجاً دائماً في الحياة، وأن ينوء بقلبه عن ملذات الدنيا وشهواتها، على أنه لا ينبغي لذلك أن يمنعه عن مباشرة حلالها ولو بالكفاف. إن الزهد في العيش يورث الصدق في التعامل مع الخلق ومع الخالق، فالشيخ إذا كان عالماً، فأنه مع زهده سيكون عالماً يعمل بعلمه وهذه ميزة له على سواه من العلماء.

---

[٢] الجيلاني – جلاء الخاطر – ص٩.

[١] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٦٨.

فأذى ما أفضى الزهد بالشيخ إلى الصدق، فأنه يكون قد اكتسب ميزة أخرى تسوغ للآخرين السعي إلى مصاحبته والاقتداء به، لأن قوله وفعله سيكونان متطابقين، وهذا من الموجبات الاساسية للاتباع، إذ يكون الشيخ المتبع سبّاقاً إلى فعل ما يأمر به مريديه أن يفعلوه، وهذا السبق يجعل كلامه مؤثراً في قلوب الناس وأوامره مطاعة عندهم وينيله في الوقت نفسه ((مرتبة الشيوخ العاملين المخلصين الصادقين، الذين هم أبواب الحق عز وجل والدعاة اليه وطرقه إلى قربه، والذين هم ورثة الانبياء والمرسلين ونوّابهم والذين هم مفردو الحق عز وجل والسَفَرَةْ بينه وبين الخلق، والذين هم أطباء الدين ومعلمو الخلق))[٢] وليس بعد هذا الوصف وصف، فهو جامع لكل ما يعتقده الصوفية في شيخهم المرشد، على أنه لا ينبغي لهذا الاعتقاد أن يحملنا على القول بإيمان الصوفية بوجود الوسطاء الروحيين الذين يقفون بين العبد وربه، إنهم ورغم كل هذه الإمكانات والوظائف الخارقة، مجرد أدلاء ودعاة ومرشدين، ولكن للمسألة تعلقاً بمفهوم الإنسان الكامل الذي سبق الكلام فيه.

إن الصدق هو تاج الدعوة إلى الخير والحق والصلاح، وهو تاج لكل دعوة خيرة، وهو في الدين أصل النجاة في الدارين وفي السلوك منبع الحكمة والمعرفة، ولعل من نافل القول أن نذكر بأنه لابد من أن يكون مدعوماً بالعمل والإخلاص، لأنه إن لم يكن كذلك وألصقت به تسمية الصدق، فأنه سيكون كلاماً خالياً من المعنى أو محض إدعاء وكلام من هذا النوع، سيكون تأثيره في الاخرين، حتماً عكس المطلوب.

إن المريد السالك، مثله مثل المسافر في قفرة وعرة، لاتخلو من أفات وسباع وجوع وعطش، فهو يحتاج إلى دليل خبير يأخذ بيده ويرشده إلى مواطن الأمن والسلامة ويعلمه كيفية ملاقاة أعدائه ((النفس والشيطان))[١] على أن ذلك لا يلغي عنده الحاجة إلى الزاد والراحلة والسلاح والرفاق، فأما الزاد فهو التقوى والورع وأما الراحلة فهي الهمة والرفاق هم الأخوان السالكون والسلاح هو العبادة والذكر على أن، كل اسباب النجاة تلك لا تخرج عن حيز إرادة المريد واختياره، بما في ذلك صحبته الشيخ المرشد فهو لا ينجرف وراء كل من ادعى القرب والكرامة، بل يلازم فقط من تيقن من صدقه وعلامات الصدق في الطريق، بينة لا تخفى على طالبها، ويلازم من وجد عنده دواءه ويلازم من يدله على ما ضاع من عمر في غير سبل الصواب، وهؤلاء الشيوخ، يقول الشيخ عبد القادر، هم من الندرة

---

[٢] الجيلاني – جلاء الخاطر – ص٩٨.

[١] الجيلاني – سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوطة.

بحيث يُعذر الناس إذا لم يهتدوا إليهم ويعرفونهم لأنهم في كل وقت ((آحاد أفراد))[٢]وغير الاداب، فأنه يستحب في الشيخ المرشد أن يعمل جاهداً كي يتحلى بأكبر قدر ممكن من الخصال الحسنة المأمور بها شرعاً والممدوحة عرفاً. إذ يرتجى منه الاتصاف بالكرم والشجاعة والأمانة والشفقة، وكثرة الذكر والعبادة المقرونة بقيام الليل. وأيضاً محبة الناس وإيوائهم وإطعامهم وستر عيوبهم وإرشادهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه الخصال، وغيرها، لو اجتمعت في الشيخ المرشد فأنه سيستحق معها مرتبة الخلافة العظمى، أي خلافة النبي محمد (ﷺ) في أمته، لأنه (ﷺ) كان قد تحلى بها جميعا وعامل بها أمته وصحبه، وتلك مرتبة رفيعة صعبة المنال لا يبلغها إلا وحيدو دهرهم وفريدو عصرهم علماً ان شيوخ التصوف يتفاوتون في الرتب على وفق تفاوتهم في حيازة هذه الخصال.

فأما إذا استكمل الشيخ شروط المشيخة وحقق صحبته، فأنه تترتب عليه أيضاً واجبات تجاه المريد، هي مما يدخل في حيز المروءة. إذ عليه إبتداءً أن يقبل المريد لله تعالى لا لنفسه، أي لا يقبله طمعاً في ماله أو جاهه أو طلباً للسيادة والسيطرة عليه. وعليه أن يعاشره بمقتضى النصيحة وأن يرأف به ويأخذه بالعطف والشفقة والملاينة، وبخاصة فيما لو كان حديث عهد بالسلوك. لأنه سيكون عاجزاً عن احتمال الرياضات والمجاهدات الثقيلة، ولأنه سيكون أحوج للشيخ فيما لو عامله معاملة ((الوالدة لولدها))[١] فيأخذه بالتدريج ولا يحمله مالا يطيق، ويبدأ معه بالأيسر ثم الأشد، بالرخص ثم بالعزائم ولا يرفع عنه خصلة اعتاد عليها إلا ويثبت مكانها خصلة افضل منها ويبقى معه على تلك الحال حتى يلمس فيه الثبات على السلوك فحينئذ يأخذه بالأشد ثم الأشد من الرياضات التي يعلم أنه يطيقها. وكل ما يخالف ذلك فأنه يعد عند الشيخ عبد القادر خيانة للأمانة وسوء تقبل للهدية[٢] لأن المريد الذي يطرق باب الشيخ ويطلب صحبته فأنه في حقيقة الأمر هدية من الله تعالى للشيخ، لأنه بهداية هذا المريد وتهذيبه وتقويمه سيزداد أجرا وثواباً ومرتبةً، فعليه إذن أن يرتفق به ويرحمه وذلك بأن لا يرضى بغير تأديبه، فأن افلح في تأديبه فأنه سيكون راضياً بعطاء ربه شاكراً لهديته.

ويتجلى لنا بوضوح من خلال ما سبق، دراية الشيخ عبد القادر الواسعة في مجال التربية وفي كيفية التعامل مع النفس الإنسانية، فالتدرج في الضغط النفسي والتوالي في

---

(٢) الجيلاني – جلاء الخاطر – ص١٠.

(١) الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج؟٣ – ص١٢٨٩.

(٢) الجيلاني – المصدر نفسه – ج/٣ – ص١٢٩٠.

التصعيد في نهجي الزهد والتجرد. وأيضاً التعامل مع كل إنسان على قدر طاقته وسعة احتماله. مما يمكن عدها قوانين تعامليه ثابتة تصلح لكل عصر وكل مجتمع وفرد. لا بل إنها تصلح لكل الحالات الإنسانية المعتادة. فالمريض مثلاً الذي يحتاج إلى قطرة من دواء ما. يمكن أن تقتله قطرتان منه. والكي لا يعد من أنجع وسائل العلاج ولكنه أخر ما يرجى به الشفاء. وعليه فلا بأس عند الشيخ عبد القادر من الملاينة والمداراة ومجاراة ضعف الإنسان وغض النظر عن بعض ما تعوّد عليه. لأن ذلك في مجال التربية النفسية. يعد مساعدة له وتطميناً مؤقتاً لنفسه. ولأن أخذه بالشدة إبتداءً وربما سيودي به إلى النفرة. ربما وعدم المتابعة ، لا بل حتى الانقطاع وهنا يصح قول القائل: إن القليل المتصل خير من الكثير المنقطع.

ويتوجب على الشيخ المرشد أن لا يترك المجال لأرادته واختياره. كي يقبل مريداً ويرفض أخر. لأن في ذلك مخالفة للإرادة الإلهية. إذ إن اجتماع المريدين عليه وإقبالهم نحوه. هو من محض تقدير واختيار الله تعالى. إذ لا يمكن لغير تلك القدرة وهذا الاختيار أن تجمع شتات القلوب على حب قلب واحد. وأيضاً. فلا يمكن أن تجتمع القلوب على حب شخص ما. إلا أن يكون هذا الشخص صاحب رسالة سماوية –أي نبياً- أو صاحب دعوة حق تسير على نهج رسالة – أي ولياً- إذن ففعل الشيخ مع مريديه لابد من أن يكون خالياً من الإرادة الذاتية والميل الشخصي أي أن يتوحد مراده مع مراده تعالى. أي أن يكون عمله متجرداً عن أي مردود شخصي أو أية فائدة دنيوية أي يكون عملاً خالصاً لوجه الله تعالى.

فأما كيفية تعامل الشيخ المرشد مع جميع المريدين. وطريقة حفاظه عليهم على كثرتهم وأختلاف مشاربهم وأهوائهم وأمزجتهم. فأن ذلك يتم بمساعدة موهبة ربانية وحدس خاص يتميز بهما الشيخ دون بقية الناس وقد عرفنا من خلال ما سبق أن من بين صفات الشيخ الكامل ، كونه ذا همة وسر مع ربه. فهو بهذه الهمة يربي مريديه وبهذا السر يطلع على قلوبهم وخفايا نفوسهم. فأن وجد في بعض تلك النفوس اعوجاجاً أو ضعفاً. ساعدها على التقويم وأعانها على التجاوز. وإذا ما وقع المريد في ضيق أو شدة. فأن الشيخ يعينه على حمل بعض أحماله. كي يخفف عن كاهله. وكل ذلك يتم بشرط حفظه أسرار مريديه. بحيث لا يطلع سواه عليها. لأن ذلك من باب حفظ الأمانة ولأن هذا الحفظ سيزيد من ثقة مريديه واطمئنانهم إلى صحبته. فيجعله ذلك ((مستراحاً لهم وخزانة لهمهم وحرزاً لأسرارهم وملجأ لهم وكهفاً ومشجعاً ومقوياً لهم ومثبتاً لهم في الطريق. فلا ينفرهم عن

الطريق وعن مصاحبته، وكل ذلك يكون مصحوباً بالقصد إلى الله عز وجل))[1] أي بقصد التقرب إليه ونصرة دينه وخدمة عباده، ولولا هذا القصد لبطلت الأعمال و زالت الهمم ورفعت الأسرار، أي لبطل التصوف برمته، لأن أحد أهم أركانه قد سقط، وهو صدق الشيخ وأمانته.

ويستحب في الشيخ المرشد أن يكون حصيفاً لبقاً في تعامله مع نقائص مريديه، بحيث إنه إذا لمس من مريده أمراً ما ينكره، سواء كان خللاً شرعياً أم أخلاقياً أم نفسياً، أم انحرافاً عن نهج السلوك أم تكاسلاً عن أداء العبادات والأذكار أم إصراراً على عدم خلع الصفات الرديئة المعيقة للسلوك كالعجب والأنانية والكبر[1] فأن عليه أن ينصحه ويعظه ويؤد به في السرّ دون العلن وفي الخفاء دون الجهر وأن لا يفضحه أمام صحبه، فإذا ما أراد الشيخ أن يعمم الفائدة على الآخرين، فعله أن يكلمهم جميعاً بصورة غير مباشرة ومن دون تعيين أو تحديد، لما في ذلك من تنفير وإحراج وكشف للأسرار، ويستحب للشيخ أن يستعين على هذا الأمر بسرد القصص وضرب الأمثال والتحدث عن نفسه أو عن أشخاص من زمن غابر واجهوا الحالة ذاتها، ويحرص على تضمين كلامه ألواناً من الترهيب والترغيب، وأن يدعمه بكلام الله تعالى وحديث نبيه(ﷺ).

وإننا لو دققنا في أسلوب التعامل الذي ينصح به الشيخ عبد القادر، لوجدا أنه أسلوب علمي يعتمد على توخي أفضل السبل في التعاطي مع النقص البشري الذي لا يعدو كونه طبيعة وفطرة واعتيادياً حياتياً، ومرة تلو أخرى تتجلى أمامنا خبرة الشيخ عبد القادر الفائقة في طبيعة النفس البشرية، فالإنسان بطبعه لا يميل إلى أن يواجه بعيوبه بصورة مباشرة، ولا يحب أن يعرى أمام الغير، وفي المقابل فأنه يحب أن يرى وصورته معكوسة في تجارب الآخرين، وأخيراً فأنه يذعن أكثر فيما لو كان الكلام الذي يسمعه مدعوماً بتأييد سماوي.

وأما في الحالة التي يتطلع فيها الشخص إلى التصدر للمشيخة والإرشاد، في الوقت الذي لا يتوفر في نفسه الاستعداد لذلك، حيث لا يحصى فيه أي شرط من الشروط الآنفة الذكر، ولا تشتمل نفسه على أي نوع من أنواع الآداب والكمالات الروحية والأخلاقية بل

---

[1] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٩١.

[1] يرى الشيخ عبد القادر، أن هذه الصفات السلبية، وبالأخص منها (العجب)، تعد من أخطر الأمراض النفسية المحبطة لأعمال العباد، لأنها إن أهملت وتشعبت في النفس، قد تسقط العبد من عين الله عز وجل، لأنها تدخله في مرحلة استحالة التغيير – الجيلاني – المصدر نفسه – ج/٣ – ص١٢٩١.

على العكس من ذلك، إذ يلمس فيه ضيق الصدر أمام إقبال المريدين وإلحاحهم وكثرة احتياجهم اليه، وأنه يفشي الأسرار ولا يحفظ العهود والأمانات ويجهل أبسط مناهج السلوك ومبادئ الطريق. الشيخ عبد القادر من جانبه ينصح هذا الإنسان أن يعزل نفسه عن هذا المنصب، لأنه لا يصلح للتأديب، بل هو أحوج من غيره إلى شخص يؤدبه ويعنيه على مجاهدة نفسه وترويضها. فأما إن كابر وأصر على التمسك بطموحه، فليعلم أنه من قطاع الطريق الذين يحجبون العباد عن معبودهم، لأنه لجهله يوجههم إلى عكس قصدهم ومرادهم.

إذن فالشيخ عبد القادر، لا يعد المشيخة الصوفية وإرشاد الناس، مطمحاً دنيوياً أو مكسباً اجتماعياً، أو انها لقب يمكن أن يتنافس عليه المتنافسون بالقيل والقال والإدعاء الكاذب. أنها في حقيقة الأمر أمانة ثقيلة ومسؤولية جسيمة لا يحتملها أو يتمكن من إعطائها حقها، إلا من توفر فيه الاستعداد لذلك، أولاً وقبل كل شيء، عن طريق تأديب نفسه وإعدادها وتربيتها على وفق مناهج الطريق كي تكون قدوة ومناراً يهتدي بواسطته طلاب الوصول، وكي يكون أمره نافذاً في القلوب وقوله نافذاً في العقول، وثانياً: عن طريق عبادته وتقواه وزهده في الدنيا وفيما في أيدي الناس، وثالثاً: وهو الأهم، عن طريق تسلحه بعلمي الشريعة والطريقة وتمكنه منهما بحيث لا يترك مجالاً للغفلة والشك والخطأ ان يتسربا إلى أعماله.

ولنا أن نسأل قبل أن ننتهي من موضوع صحبة الشيخ: من أين يستقي الشيخ المرشد معارفه ويكتسب خبراته؟ يجيب الشيخ عبد القادر: أنه يستقيها أولاً من العلوم الشرعية بمعاملاتها وعباداتها وحلالها وحرامها، وأنه لا منفذ ولا مستقى له غير ذلك، فأما من إدعى شرباً من غير هذا المصدر، فهو كاذب أفّاق. وأما طب النفوس والقلوب والمعرفة بالمراتب والمقامات والأحوال، فتلك معارف لدنيه[1]، تسير جنباً إلى جنب مع العلوم الشرعية ولا تحيد عنا قيد شعرة، وكونها لدنية فهذا يعني أنها تعتمد على حدس الصوفي وعلى ما يفتح الله تعالى به على قلبه من الفتوح الربانية، وكونها لدنية أيضاً فأن ذلك لا يلغي دور العبد في تحصيلها والإفادة منها، إذ إنها تعتمد بالدرجة الاولى على تقوى العبد وورعه وإخلاصه في عبادته. ويمكننا أن نلمس هنا حرص الشيخ عبد القادر على تكريس منهجه الصوفي من خلال كل المفردات الصوفية المتاحة، إذ إن جميع تلك الثمار بما في ذلك المعارف اللدنية.

[1] الشطنوني – قلائد الجواهر – ص١٧.

لا تعدو كونها غرساً للعبد وكلاءة للرب أولاً ورعاية من العبد ومباركة من الرب ثانية، على أن كل هذه المناوبات لا تخرج أبداً عن مظلة سباق العناية الإلهية.

وبعد صحبة الشيخ في الأهمية، تأتي صحبة الأخوان، وهي العلاقة التي تربط بين المريدين المتحلقين حول الشيخ ذاته. وإبتداءً فأن صحبة من هذا النوع، لابد من أن تحتوي على الشروط الكفيلة بديمومتها، كالحرص على وحدة الجماعة وتجنيب عوامل الفرقة والشقاق، وإذابة أسباب الأنانية وحب الظهور وتكريس نكران الذات مع تعظيم شأن أخلاق النبالة كالتواضع والعطف والكرم والنجدة ..الخ وفي التفصيل، فأن صحبة الأخوان تفرض على المريد أن يتحلى بالإيثار والفتوة[1] وأن يعتاد على التجاوز عن أخطاء الأخرين وأن يعمل على خدمتهم في كل الأوقات وأن لا يرى لنفسه حقاً على أحد منهم ولا يطالبهم بأي حق، بل بالعكس من ذلك أي ان يرى لكل واحد منهم حقاً عليه بوصفه جزءاً من الجماعة، وكل ذلك ينبغي أن يكون مصحوباً بالحرص على عدم التقصير في كل الحالات.

ومن آداب الصحبة مع الأخوان، إظهار الموافقة لهم في كل ما يقولون ويفعلون ويعد هذا من العوامل الأساسية في اجتماع القلوب وتآلفها، لأن فيه تجنباً لكثير من عوامل الشتات الوهمية. على أنه ليس في هذا العامل نفاق إجتماعي على حساب مبادئ الطريقة أو مجاملة على حساب مبادئ الشرع، إذ إن عصبة يجمعها ذكر الله تعالى وحبه ستجتمع حتماً على أفعال الخير والصلاح، ولكن قد يختلف أفرادها في التفاصيل العملية التي تشكل خللاً في الدين أو في الاعتقاد. فأما إن وجد مثل هذا الخلل، فأن أمره متروك لشيخ الطريقة وحده فهو الذي يفتي فيه ويعالجه[2]. وهذا التفرد في المرجعية يعين أيضاً على تثبيت وحدة الجماعة.

وأما إذا ما وجد المريد في نفسه إلحاحاً على الاعتراض على بعض ما يصدر من إخوانه فعليه في هذه الحالة أن يكافح كي يكون معهم وفي صفهم ضد نفسه، وفي الوقت نفسه أن يفتش لهم عن الأعذار ويكون شعاره دائماً هو: ترك مخالفتهم ومنافرتهم ومجادلتهم ومماراتهم ومشاددتهم وفي الخلاصة التعامي عن عيوبهم ما أمكنه ذلك[1]. فأما إن خالفه

---

[1] يعرف الشيخ عبد القادر الفتوة بأنها: حفظ السر مع الله عز وجل والتخلق مع الناس بخلق حسن – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٣١.

[2] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٣٠٥.

[1] الجيلاني –الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٩٢.

أحد الأخوان في أمر من الأمور وهو يعجز أن يوافقه عليه. فيمكنه عندئذ أن يسلم له على أمره في الظاهر، في الوقت الذي يضمر فيه خلاف ذلك. وهذه الامور وإن كان يشق على المرء إتيانها في كل الأوقات، إلا أن وطأتها تخف حين يضحى بها على المحراب الأقدس وهو: وحدة القلوب وتماسك الجماعة لأنه بغير ذلك يفشل الشيخ ويفشل المريد وتفشل الطريقة.

ومن فروض صحبة الأخوان أيضاً: توخي حسن المعاشرة معهم ويتم ذلك بإظهار البشر في وجوههم بكل الأوقات، وفي المقابل، عدم إضمار الغش والمكر وسوء الطوية. فأما ستر العيوب وعيادة المرضى والعفو عمن أظهر من الأخوان بعض الظلم لغيره، وأيضاً رجوع المريد بالملائمة على نفسه في مقابل إساءة الأخوان إليه، واعتقاده جازماً بأنهم مأمورون وأن قلوبهم بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء، وإن إسائتهم تلك ما هي إلا تحذير رباني وعاجل عقوبة جراء ذنب أقترفه، كل ذلك ينفع بلا شك في توطيد عرى الصحبة بين المريدين.

ومما يصب في ديمومة الصحبة مع الأخوان، أن لا يرى المريد ملكه ممنوعاً على أحد من إخوانه وفي الوقت نفسه أن لا يتحكم في ملكهم بغير إذن سبقت منهم، ولا يخفى ما لهذا الفعل من فوائد روحية جمة يجنيها المريد، فهو اضافة إلى تعجيله في استمالة قلوب الإخوان. فأنه يعمل أيضاً على تعجيل اكتساب المريد لحالتي الزهد والتجرد والتخلص من عبودية الحاجات، لأن الإنسان إذا ادعى ملكية شيء، فأن ذلك الشيء في الحقيقة هو الذي يتملكه، إذ (إن المرء عبد لمن زمامه بيده)[٢] ولكن بما أن ميل الإنسان إلى التملك يعد ميلاً طبيعياً فيه. فأن أفضل وسيلة له كي يتخلص من ذلك هي: أن يرى أن جميع الأشياء التي في يديه، هي في حقيقة الأمر ملك لله تعالى، وما كان ملكاً لله تعالى، فأن كل العباد متساوون فيه. فأما ما كان في يد الغير، فأن ما يقيد المريد تجاهه هو أحكام الشرع والزهد والورع[١]. وهذه الكوابح لا تعمل إلا إذا طبقها المريد على نفسه ولم يطالب الأخرين بالامتثال لها.

ان سر قوة التعاليم الصوفية تنبع من كونها تركز أساساً على اصلاح الأفراد أنفسهم فهي تستمد مصداقيتها وقوة تأثيرها في الاخرين من خلال إيمان المريدين بها، ولذا فأن تأكيد الشيخ عبد القادر على حث المريد على النظر إلى عيوب نفسه أولاً لا يعني إعفاء الأخرين من ذلك، وإنما يعني أن يباشر كل فرد بمعالجة نفسه ومن غير أن يطالب الأخرين

---

(٢) الجيلاني – المصدر نفسه – ج/٣ – ص١٣٠٦.

(١) الجيلاني – الغنية لطالبي الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٣٠٦.

بذلك، لأن هذه المطالبة ستشغله عن مسعاه الحقيقي فاذا ما توجه كل مريد إلى إصلاح نفسه، فأن مجموع هؤلاء سيشكل ضرورة جماعة صالحة.

ومما يلتحق بآداب صحبة الأخوان أيضاً: حفظ القلب معهم، أي أن لا يستثير المريد حفيظتهم أو غيظهم، ويتم ذلك بأن يتجنب فعل ما يكرهونه حتى لو علم فيه صلاحهم وأن لا يجبرهم على تقبل أمر منه حتى لو علم أنه الصواب بعينه. ويجتهد على أن لا يضمر لأحد منهم حقداً أو غلاً، وإن لمس مقابلته بذلك من بعضهم، بل عليه أن يظهر لهؤلاء العطف ولين الجانب وان يبادئهم بالسلام عله يعينهم على أنفسهم ويزيل ما في قلبهم تجاهه، فأن عدم الاستجابة فعليه أن يستمر على رفقه بهم ويزيد من فعل الخير والإحسان، حتى يبلغ منهم مراده لا لسلام نفسه هو، بل لشفاء نفوسهم مما ابتلوا به فأما إن حدث العكس ولمس المريد في نفسه استيحاشاً ونفوراً من أحد الأخوان، من جراء أذى أو سوء بدر منه، فعليه أن لا يظهر له ذلك و يجتهد كي يزيل هذه الحالة عن نفسه، فان عجز فعليه أن يلازم خدمته ومساعدته حتى يدركه الشفاء التام[٢]وغير تلك الآداب فأن الشيخ عبد القادر يذكر أداباً متعددة لأنواع أخرى من الصحبة كآداب المريد مع الأهل والولد وآدابه في السفر وآدابه في السماع وآدابه عند الأكل وغير ذلك مما يشمل كل فعاليات المريد ويسم جميع مرافق حياته بميسم الأدب الصوفي[٣].

فأذا ما عدنا إلى موضوع صحبة الأخوان عند الشيخ عبد القادر، فاننا لا نجدها تأتي على حال واحدة، بل هو يقسمها على قسمين: صحبة المريد مع الأغنياء و صحبته مع الفقراء، وبين هذه وتلك تقوم فروقات كبيرة تصل إلى حد التعاكس، إذ إن الصحبة مع الأغنياء تستند أساساً إلى التعزز عليهم وترك الطمع فيهم وقطع الأمل بعطائهم وإخراجهم بالكامل من القلب، لأن الفقير الصوفي إما أن يكون قد اختار الفقر بإرادته عن طريق التخلي وطلب الزهد، كي يعينه ذلك على الفلاح في السلوك لكون غنى المال هو إحدى أصعب العقبات التي تعيق تقدم المريد في معراجه الروحي لما يورثه المال في القلب من الاشتغال به والخوف عليه والحرص على إنمائه، وهذه كلها من محبطات الأعمال والعبادات والاذكار. وإما أن يكون هو فقير الحال أصلاً، ولكن في الوقت نفسه لا رغبه له في ملك الدنيا ومتاعها، لأنه اختار طريق التجرد والتخفف، كي يصل بيسر إلى الثراء الروحي والملك الذي لا يزول. وأما الحالة الثالثة التي يكون الفقير فيها مجبراً على تقبل وضعه

---

[٢] الجيلاني – المصدر نفسه- الصفحة نفسها.

[٣] الجيلاني – المصدر نفسه – ج/٣ – ص١٣٠٧.

لعسر حاله وقلة حيلته، بحيث إنه يتحين الفرص كي يفلت من مصيره و يلتحق بركب الأغنياء، فأن هذه هي حال أغلب العوام وهي لا تندرج ضمن الحالات الصوفية. وعليه ففي كلتا الحالتين الأولى والثانية، فأنه يعد خللاً كبيراً في السلوك وفي الاعتقاد وفي التوكل وفي الرضا بالله تعالى، إذا ما تقرب المريد الفقير إلى أقرانه الأغنياء طلباً لعطائهم واستعداداً لعطفهم لأن هذا التقرب يشكل آفة جامحة تلقف كل الثمار الروحية والأدبية والأخلاقية للمريد[1]. فأما إن لمس المريد من نفسه العجز عن تجنب مثل هذا الميل، فالأولى به إن كان صادقاً في عزمه على السلوك، أن يقبل أكثر على رياضاته ومجاهداته وأذكاره، كي يخالف بذلك هواء نفسه ويعجل بتطويعها وكبح جماحها.

فأما إذا ما أبتلى المريد بصحبة الأغنياء، وكان مجبوراً على ذلك، كأن تكون صحبتهم وجبت في سفر أو مسجد أو رباط أو أي عمل مشترك، ففي هذه الحالة ينصح الشيخ عبد القادر أن تكون مصاحبتهم مقرونة بحسن الخلق، وهذا الحكم وإن كان عاماً في التعامل مع الاخرين، إذ إنه يشمل الأغنياء والفقراء على حد السواء، إلا أنه من حيث التخصيص يعني: أن لا يرى المريد لنفسه فضيلة على الأغنياء باكتسابه صفة الفقر وخلاصه من بلاء الغنى، بل يرى للغني فضلاً عليه لأنه مع طيب عيشه اختار المجاهدة منهجاً له ومع علوّ شأنه اختار مصاحبة الفقراء ولأنه قد يفوق العابدين منزلة و جاهاً عند ربه بسخائه وكرمه و كثرة إنفاقه على الفقراء، وكل ذلك يعتقد به المريد الفقير كي لا يرى لنفسه قدراً أو وزناً ((لأن من جعل لنفسه قدراً فلا قدر له ومن جعل لها وزناً فلا وزن له))[1]وأما أفضل ما ينبغي على المريد أن يفعله في تلك الحالة كي يحصن نفسه ويسد عليها كل منافذ الإرباك والكدر، فهو أن يخرج الدنيا من قلبه بالكامل ويقبل على مولاه بكله، فيعود مع حالته تلك لا يضره إن أقبلت عليه الدنيا أم أدبرت أو إن عاشر غنيها أم فقيرها.

فأما إن كان المريد هو نفسه من أهل الغنى، فأن عليه أن يتأدب مع الفقير ويحسن إليه بالتواضع والتقرب وبذل المال، لا عن عطف و مداراة ولكن عن اعتقاده بأن للفقير حقاً في ماله أعطاه الله تعالى له، وفي هذا ما فيه للغني من التحلي بصفات الكرم والشجاعة والإيثار وحب الأخرين وطلب المساواة معهم، وهي مما لا غنى للصوفي عن التحلي بها وحيازتها. وأفضل ما على الغني أن يفعله هو: إلا يعتقد لنفسه الفضل على الفقراء بل

---

[1] لدعم هذا الرأي فأن الشيخ عبد القادر يستشهد بحديث النبي محمد (ﷺ): ((من تضعضع لغني لأجل ما في يديه ذهب ثلثا دينه)) الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٩٣ – والحديث رواه إبن مسعود – أنظر اللألي المصنوعة – ج/٢ – ص١٧٠.

[1] الجيلاني –– الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٩٤.

عليه أن يرى في الفقر فضيلة حجبت عنه، فيعمل على تعويض ذلك ببذل ماله وإشراك الفقراء فيه والأهم من ذلك إخراجه من قلبه[٢]

فأما الصحبة مع الفقير فهي أهون على النفس وأيسر على الطبع، لأن من الطبيعي على المريد الفقير أن يؤثر صحبة الفقراء وأن يقدمهم على نفسه في المأكل والمشرب وغير ذلك، وإن من الطبيعي عليه أيضاً أن لا يجد في نفسه عليهم علواً ولا كبراً ولا فضلاً وأن يخدمهم وهو راضٍ وشاكر لربه أن جعله أهلاً لخدمة أحبابه ومواضع نظره فالفقراء هم ((أهل الله وخاصته))[١] ومع كل هذا العطاء، فأن على المريد أن لا يشعر بالمنة تجاه إخوانه الفقراء، لأن المنة في التصوف تكون لمن يقبل منك العطاء لا لك، لأن الكل غني بربه عن الخلق.

ويستحب في المريد أن لا يحوج الفقراء إلى مسألته، بل يعجل لهم بالإجابة إن قدر عليها، وأما إن كان له حق في ذمة أحد منهم، فعليه أن يبرئه في سره ثم يخبره بذلك بعد حين كي لا ينقص من شأنه أو يشعره بالعجز عن الوفاء، وعليه أن لا يبادىء الفقير بالعطاء على وجه الصلة والتقرب كي لا يتحشم منه ويشعر بالمنة والإذلال.

ومن أداب الصحبة مع الفقراء، أن يراعي المريد قلب الفقير ومشاعره، بأن يعجل له بتحقيق مراده ولا ينغص عليه الوقت بطول الانتظار، ((لأن إبن أدم إبن يومه وليس له وقت لانتظار المستقبل))[٢] وإذا كان الفقير ذا عيال، فلا يفرد بالارفاق دون من يشتغل به قلبه. وللحديث مع الفقير أدابه أيضاً، إذ عل المصاحب أن يصبر على ما يذكره الفقير من حاله، وأن يلاقيه بوجه طلق ومستبشر، ولا يخاطبه بالكلام النزر، وإذا ما طالبه الفقير بما لا يملك أو لا يحضر عنده في الوقت، فليصرفه بإحسان إلى وقت الإمكان ولا يوحشه بيأس الرد عليه كي لا تزول حشمته فيشعر بالندم على افشاء سره وربما يغلب عليه طبعه الأدمي وتستولي عليه نوازع نفسه، فيظهر عليه السخط والاعتراض على ربه فيما قسم له من الفاقة والحاجة إلى الخلق والتبذل لهم، فيؤثر عليه هذا الاعتقاد ويطفيء نور إيمانه، وكل ذلك يكون بسبب من اساء صحبته وترك الأدب في رده. وربما يعميه غضبه فيحجب عنه الحكمة الالهية الكامنة في فقره وفي سؤاله الخلق والتي كانت تفترض منه الصبر والرضا بما قسم له، وتلك من ضروريات السلوك، كي يحصل له بعد ذلك غنى اليد والقلب وتدركه يد المنة والرعاية الالهية ويتحقق له غنى عن الاشياء بخالقها، وتصير تاتيه

---

[٢] الجيلاني- المصدر نفسه – الصفحة نفسها.

[١] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٩٥.

[٢] الجيلاني – المصدر نفسه – ج/٣ – ص١٢٩٦.

الدنيا وهو لا يأتيها، لأنه صبر على الافلاس في الدنيا، ورد التصرف في الانفس والاموال والأولاد إلى الله عز وجل وسلم الكل اليه. إلا الأوامر والنواهي فهي مجال الكسب والثواب والعقاب ولأنها محل التكليف، ولأنها في الوقت نفسه هي التي تمسك المريد عن الانزلاق في مهاوي الكسل والتواكل ورفع التكليف وترك الرسوم والتمني على الله تعالى بالأماني التي لا تقوم على الأعمال.إذن فالمريد الذي ابتلاه ربه بعسر الحال، وكان ذلك هو قدره المحتوم، فأنه يمكنه من أن يتجاوز حالته تلك، بأن يسعى إلى التحلي بغنى النفس والقلب، فأما إذا ما أعوزته الحاجة إلى سؤال الخلق، فليعلم أنه بذلك يمتثل لأمر مولاه تعالى، وليعلم أيضاً كي يعين نفسه بذلك ويهون عليه الصبر، أن حالة الفقر لا تدوم، إذ لابد من أن يتناول بعدها الفقير، ما قسم له من الغنى الحقيقي والعز الدائم بقرب مولاه وعطائه. وعلى العكس من ذلك، فأن غني اليد فقير القلب قد تتغير به الحال، فيصير فقير اليد والقلب و يكون بذلك أبداً فقيراً إلى الاشياء طالباً لها وهي غير مقسومة له، ومن هنا يأتي عذابه ويصدر ذنبه أو أن يتغمده الله عز وجل برحمته فيتوب عن ذلك ويصلح حاله[١].

وكما نلاحظ، فأن الشيخ عبد القادر بتقنينه للعلاقات بين المريدين من مختلف فئاتهم و طبقاتهم، وإنما هو يؤسس لعلاقات اجتماعية سليمة تستمد معانيها من تعاليم الاسلام ذاته. وهو ما ينسجم وأهداف مشروعه الاصلاحي الذي تم تفصيل الكلام فيه سابقاً. إن الواقع الاجتماعي لأي مجتمع وفي أي عصر كان، يفترض وجود تفاوتات كثيرة بين أفراده، سواء على المستوى المادي أو المعرفي أو أي مستوى آخر، وقد لا تشكل هذه التفاوتات خللاً ظاهراً في التوازن الاجتماعي، لأن الخلل الحقيقي يكمن في كيفية تعامل الناس فيما بينهم فالمسألة إذن لها تعلق بالجانب الأخلاقي والتربوي أكثر منه السياسي وهو مما يعطي مجالاً أكبر للمداخلة الصوفية.

وبعد صحبة الأخوان في الأهمية تأتي صحبة (الأجانب) وهم كل من كان خارج جماعة السالكين، وهؤلاء ينظر اليهم بعين الشفقة والرحمة لكونهم حرموا من المتع الروحية وأما احوالهم فتسلم اليهم، لأنها ضرورةً من قبيل أحوال الدنيا، وهذه هم أعلم بها من غيرهم، ولأن هذه الأحوال لو تدخل بها المريد فأنها ستشغله عن قصده الذي تخلى عن أحواله الخاصة لأجله، وأن تستر عنهم أحكام الطريقة وتحفظ عنهم أسرارها!، و لنا أن نسأل هنا: كيف يدعو الشيخ عبد القادر إلى حجب أحكام الطريقة عن (العوام) وقد علمنا أن الطريقة عنده هي بأحد وجوهها: دعوة إصلاحية عامة تهدف إلى إعادة بناء الإنسان والى

[١] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٩٩.

إعادة تأهيل المجتمعات؟. وللإجابة عن هذا السؤال لابد من التمييز ابتداءً بين تعاليم الطريقة وأحكامها. فتعاليم الطريقة تدعو إلى الإخاء والمساواة وحب الآخرين ومساعدتهم والتجرد قدر الامكان عن ملاهي الدنيا والتطهير قدر المستطاع من أدران النفس والتقرب إلى الله تعالى بأشكال العبادات وأنواع القربات. وهي كلها تعاليم أخلاقية عامة يمكن أن يفيد منها كل الناس سواء أكانوا سالكين أم غير سالكين. وأما أحكام الطريقة وما تحتويه من جهود مضنية ورياضات شاقة وتجرد تام عن الأملاك والأعراض وخلع للإرادة والاختيار يصل إلى حد الفناء وغير ذلك مما يهول الامور على الناس وينفرّهم من السلوك الصوفي ومن ثم يعرقل عملية الاصلاح.

وعل المريد أن يصبر على جهل الناس بأحواله وأذاهم له. وأن يتجنب التداخل معهم في أمور البيع والشراء والأخذ والعطاء وفي الخلاصة يتجنب معاشرتهم ما أمكنه ذلك حتى يتخلص من شراك الرياء والعجب الذي قد يصيبه من جراء إعجاب الناس بعبادته وتبركهم به. لأن هذا هو ديدن العامة دائماً. ومع كل هذا فعليه أن لا يرى لنفسه فضلاً على الناس إذ جعلهم ربهم من (أهل السلامة)[1] لأن الله تعالى قد يتجاوز للجاهل ما لا يتجاوز بمثله للعالم، ولأن العالم هو مع ربه على خطر دائم. لأنه يحاسب على قدر علمه.

وعلى المريد وهو بصحبة (الأجانب) أن يوثق علاقته أكثر بفقره وبنفسه لأنه بتلك الصحبة قد يتراخى عن محاسبة نفسه وأخذها بأسباب ا لزهد. والشيخ عبد القادر ينصحه بأن يشفق على فقرة كشفقة الغني على غناه. وأن لا يسأل الله تعالى زوال ذلك عنه. أو يسعى هو إلى ذلك بالتكسب والتعلق بالأسباب. وينصح المريد أيضاً أن يقف مع كفايته. وهي: القوت من الطعام والشراب والكسوة والقدر الذي تقوم به البنية فلا تضعف عن اداء الأوامر واجتناب النواهي ومباشرة العبادات))[2] ولا يأخذ فوقها بحال فأما ما تحت ذلك. أي دون الكفاية. فهو حرام لأنه من قبيل قتل النفس. لا بل إن على المريد أن يفرح بفقره أكثر من فرح الغني بغناه. لعلمه بما يهبه إليه فقره من غنائم روحية وأخلاقية عظيمة. ولعلمه بأن صفاء حاله مع الفقر يعد خير تعويض له عن خلو يده من المال وعلمه أيضاً بأن الفقر هو أفضل قربة إلى ربه. لأن الله تعالى يبتلي عبده بالفقر ليرده إليه بالسؤال والسؤال هو ما يميز العبد من الرب والفقير الحقيقي من الغني الحقيقي،

---

[1] المقصود بأهل السلامة هنا: هم العوام الذين يفضلون صفو العيش ويسر الحال وراحة البال على الاشتغال بالتفكر ومجاهدة النفس. ولا يعني هذا أنهم غير متدينين بل يعني أنهم يأخذون بالحد الأدنى من ظاهر الدين.

[2] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص. ١٣٠.

والفقر أخيراً هو الذي يخرج العبد من حال الكبر والأنفة والتعاظم إلى حال التواضع الذي هو اساس العباد[١].

وتعزيزاً لحال الفقر، فأن على المريد أن يؤثر ذله مع الله تعالى وخمول ذكره بين الناس وعدم قبوله عندهم، على اشتهار أمره وقصد الناس اليه، لأن في ذلك سلامته وخلاصه من كثير من الأمراض النفسية التي تنجم عن مخالطة الناس وإعجابهم وإقبالهم على المريد. ومن مقتربات الفقر: أن لا يطلب المريد لنفسه حالاً أو مقاماً أو رتبة يجدها عند غيره من المريدين ويجد أنه أهل لها، لأنه بسؤاله هذا يخالف سنة السلوك، لأن المريد يكون أقرب إلى التوكل والرضا بربه فيما لو دخل في أي أمر باذن مولاه وإرادته فذلك أليق بعبوديته وأقرب له من مقام التسليم. ومن تلك المقتربات أيضاً، أن لا يجعل المريد في قلبه هم المستقبل وما تأتي به الأيام، بل يفترض به أن يكون بحكم وقته دائماً بحيث لا يتطلع إلى غيره كي لا يشتغل عن مطلوبه الحقيقي، فأن وجد في نفسه اشتغالاً بغير هذا المطلوب، فعليه أن يشغلها بالاستعداد لورود الموت الذي له فعل عجيب في تقصير الأمل وكسر النفس وإزالة وهج شهوات الدنيا عنها[٢]. على أننا لو دققنا النظر في كل هذه (الوصايا) لوجدنا أنها مستوحاة من المبادئ العامة لكل سلوك صوفي، فتمسك المريد بخمول ذكره وتجنبه مخالطة الناس، يعني طلبه العزلة التي رأينا سابقاً أنها من لوازم بدايات الطرق. وأما عدم مطالبة المريد بالرتب والمقامات، فأن فيه تأكيد على اخلاصه وتمسكه بمقصده الاساس وهو القرب من الله تعالى، وأما ترك الاشتغال بالمستقبل، فتلك مسألة تحتاج إلى توضيح، لأن من الواجب على المريد أن يهتم بعاقبته ويخاف مما يمكن أن تؤول إليه الامور فيما لو قصر في واجباته وعباداته، فالمقصود اذن هو عدم خوفه مما تخبئه له الايام من التقلبات وأنواع النائبات، لأن هذه في عقيدة المؤمن هي بيد الله تعالى، وما كان كذلك فالمريد أولى بالتسليم له والرضا بنزوله.

ومما سبق يتبين لنا بوضوح، الأهمية البالغة التي أولاها الشيخ عبد القادر لموضوع الصحبة، فلقد شغلت من كتبه حيزاً أكبر من بقية الموضوعات الصوفية، ومن بين مفردات الصحبة هذه، كانت صحبة الشيخ العارف أكثرها أهمية، لكون المريد لا غنى له عنها في مراحل سلوكه كافة، ولكونها آمن الوسائل وأسلمها في تقريب العباد إلى بارئهم وتذكيرهم به، وبكون الشيخ العارف اقرب الخلق إلى بارئه وانه في كل ساعة في زيادة من هذا القرب، كما أن وجود الشيخ العارف في تشكيلة البناء الهيكلي لجماعة المريدين يعد

---

[١] الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٣٠١.

[٢] الجيلاني – المصدر نفسه – ج/٣ – ص١٣٠٢.

مرتكزاً أساسياً لا تقوم لهذه الجماعة قائمة إلا به. فالشيخ هو المسؤول الأول والأخير عن سلامة مريديه الروحية والفكرية وهو الملزم بإطعامهم وإيوائهم والإفتاء بينهم وتوجيههم في كل وقت وحين، كما انه صاحب الامر والنهي في كل ما يتعلق بأمور الطريقة بعامة وأمور كل مريد على حدة بخاصة. ولكن مع تأكيد ملح على أنه شيخ لابد من أن تتوفر فيه شروط المعرفة الربانية.

على أن هذه الصحبة لا تتم عبر الدرس وحلقاته وأسئلته وأجوبته، بل قد يكون حضور الشيخ في قلب مريديه، هو وحده كافياً لتربيتهم وتزكيتهم. ويتم ذلك من خلال الرابطة الروحية الحية التي يقيمها المريد مع شيخه العارف والتي يستمدها من معين تجليات الأنوار الالهية. الشيخ اذن هو طبيب القلوب وخبير علل النفوس، والمريد هو ((مريض الباطن الذي لا يكون دواؤه إلا عند الصالحين من عباد الله عز وجل، فهو يأخذه منهم ويستعمله كي تحل فيه العافية الدائمة لمعناه ولقلبه ولسره ولخلوته مع ربه عز وجل، وكي تنفتح عينا قلبه فينظر إلى ربه ويصير من المحبين الواقفين على بابه الذين لا ينظرون إلى سواه))[1] فلا سبيل له غير هذه السبيل ولا باب يدخل منها إلى بيت الرحمة غير هذا الباب. والمريد بسعيه الدؤوب هذا، انما هو يسعى إلى خلاص روحه عبر حصر فعالياتها على العبودية المطلقة لرب العالمين. فاذا ما تم له ذلك، فأنه يتوجب عليه أن يكون أداة تسعى لخلاص الأخرين. على أن الخلاص في المفهوم الصوفي الإسلامي يعني تخليص النفس من العلائق المادية الزائدة وغير الضرورية التي لا تزيد الإنسان إلا تبعية لحاجاته وثم زيادة عبوديته للأشياء وابتعاده عن ربه. وهذا المعنى هو التجسيد الأمثل لمفهوم حرية الإنسان عند متصوفة الإسلام.

إن الطريقة الصوفية عند الشيخ عبد القادر، لكونها فعالية فردية وجماعية في الوقت نفسه، يمكن النظر إليها، إضافة إلى كونها منهجاً روحياً ودينياً، على أنها نهج واقعي في التربية العامة والسلوك العملي، يهدف إلى الارتقاء بالمستوى الإنساني للأفراد والجماعات، عن طريق عملية تطهير باطني واسعة النطاق تبدأ بأفراد قلائل، ثم تنتقل عن طريق الإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غيرهم وغيرهم حتى تعم المجتمع بأكمله. إن الدين بعامة، ومن خلال أدواته الفقهية والوعظية، يعمل وعن طريق التذكير بالموت والأخرة والثواب والعقاب، على حث الناس على التمسك بالعبادات وتجنب الافعال المحرمة والاستزادة من أعمال الخير، وهو ما يشكل أساس الدين، ثم يأتي بعد ذلك دور

---

[1] الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص١٩١.

التصوف لمن أراد المزيد. فيساعد الإنسان عبر وسائله المعهودة وبشرط توافر نية المريد وقصده، على معرفة نفسه بنوازعها وميولها وغرائزها وثم نقدها وتهذيبها وتغيير مسارها نحو مسالك الخير والصلاح، كي يتقمص الإنسان تماماً دوره المتميز الذي أنيط به من ربه. إن التصوف كما وجدناه عند الشيخ عبد القادر ينأى بنفسه تماماً عن تهمة خصوم التصوف التقليديين الذين لا يرون فيه إلا طور انتكاس وهروب سلبي وتقوقع على الذات. أننا يمكن أن نرى في طريقة الشيخ عبد القادر. أكبر مشروع واقعي للإصلاح الاجتماعي ظهر في الفكر الإسلامي بعامة بعد قرونه الثلاثة الأولى. والذي يزيد من واقعية هذا المشروع وأهميته هو أنه ظل مشتملاً على مقومات بقائه منذ ذلك التاريخ حتى الوقت الحاضر وفي بقاع واسعة من الأرض.

يعتبر تجديد الفكر الصوفي من مشمولات التجديد الديني ، سيما وأن التصوف ليس نحلة يرتضيها العارف على سبيل المخالفة ، بقدر ما أنه من صميم الدين.

شكّل حب العبد ربه، وطلب التقرب منه، الوازع الأكبر الذي دفع بكثير من عبّاد المسلمين وزهادهم، إلى تحري الوسائل والسبل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف ونيل هذا المراد، وكان من بين نتائج هذا (التحري) والتعمق في خطرات القلب وفي لطائف أسراره، أن ظهر الفكر الصوفي الإسلامي، الذي ظلّ، هاجس الحب الإلهي، ملازما له، طوال مراحله وأطواره المتعددة، ولكن، بالتأكيد، مع نضج ملحوظ، ودقة متميزة في التعامل مع لواعجه وهمومه ونوازله، وكانت هذه الملازمة، بين الحب الإلهي والتصوف الإسلامي، وهي نتيجة لازمة، لأعتقاد أغلب الصوفية، بأن سلوك الطريق الصوفي، وهو الذي سيهدي قلوبهم، حتما إلى مزيد من الحب لمولاهم، وثم إلى مزيد من طلب العزلة، والتفكر فيه والأختلاء معه، وهذه الأمور كلها، تعد في نظر المحبين شروطا تدل على صحة المحبة وصدق الأشتياق.(١) وهو معنى قول أبي طالب المكي (ت ٣٥٨هـ): (أن من علم المحبة، سهر الليل بمناجاة الجليل والحنين إلى الغروب، شوقا إلى الخلوة بالمحبوب، ومناجاة سرائر الوجد، ومطالعة الغيوب).(٢) وكما نلاحظ، فأن الحب، أنّى توجه، نحو السماء أم نحو الأرض، فأنه سيستوجب الأشراط ذاتها، من سهر وحنين وإشتياق إلى المحبوب، حتى وأن كان هذا المحبوب، هو الله تعالى ذاته.

إن كل سعادة، ترتجى، من جرّاء التعلق بأي محبوب، سوى الله تعالى، يرى الصوفية، أنها صورة وهمية للسعادة الحقيقية التي لا تخضع للتغير أو الزوال، وهي السعادة المصاحبة لمطالعة الجمال المطلق، جمال تجليات الحضرة الإلهية ولقد وجد الإنسان المُحب، أن هاجسه الملّح، إلى أمتلاك الحقيقة المطلقة، وبلوغ السعادة المطلقة، والبقاء المطلق، لا يمكن تحقيقه، إلا من خلال السلوك الصوفي، الذي أساسه المحبة الإلهية، والتي تنبثق بدورها من عمق معرفة العبد بربه، ولأجل ذلك، سمّي الصوفية بالعارفين، لأنهم أكثر الناس معرفة بربهم، فلقد خلصوا له وأختصوا به وتفكروا في خلقه وقدرته وعظمته، وأن معرفتهم تلك، هي التي أفضت بهم إلى الحب الإلهي، وليس العكس، إذ لا حب قبل المعرفة.

---

(١) يفرق الصوفية بين حالي: الشوق والأشتياق فالشوق الذي هو: إهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، تنطفئ جذوته عند اللقاء، بل هو في زيادة مستمرة، ولذا فقد عدّ من أحوال الخواص، إذ لا طاقة لغيرهم على أحتماله. والذي يحل به الأشتياق، فأنه يهيم على وجهه حتى لايرى له أثر ولا قرار – القشيري – الرسالة – ص٢٥٥.

(٢) قوت القلوب – ج/٢ – ص٦٠.

المحبة هي أصل جميع المقامات والأحوال، فهي أصل التوكل والشكر والصبر والرضا، وكذلك فهي أصل الشوق والخوف والرجاء، على أن التمكن من المحبة الإلهية، على الحقيقة، لم يختص به سوى سيد الخلق أجمعين، محمد (ﷺ) فهو حبيب الله تعالى بلا منازع، وهو صاحب مقام الحب أصالة، وكل من أخذوا بأسباب الحب بعده، فهم عيال عليه، وهو قدوتهم فيه، ولقد أعطي من أسرار هذا المقام، ما لم يعط غيره من الأنبياء (عليهم السلام) ولتحققه به، فقد قال تعالى في حقه:(قل إن كنتم تحبون الله فأتبعوني يحببكم الله)(٣) وقوله تعالى:(من يطع الرسول فقد أطاع الله)(٤)

إذن، فقد جعل ألله تعالى، محبته في محبة نبيه، وطاعته من طاعة نبيه، وما ذلك إلا لأنه وفَرَ نصيبه من نوره الذي أفاضه على العالم، بواسطته، ولذلك سماه: نوراً وسراجاً منيراً وجعله رحمةً للعالمين، وبذلك النور، كان (ص) يدعو الخلق إلى ربه تعالى، ليوصلهم بالنور إلى النور .(١) وهكذا هي دائماً، نظرة الصوفية للأمور، فعندهم، ليس بالعقل ولا بالحجج والبراهين، ولا بحفظ الأقوال والأكثار من الرسوم والحركات، يصل الإنسان أو يتقرب من ربه، وإنما هو يصل بنور البصيرة، والحب الذي هو أداة القلب الوحيدة في التقرب إلى الله تعالى.

كبار المستشرقين الذين درسوا التصوف الاسلامى لم يستطيعوا الخروج من دوامته السحيقة لينتهى بهم الحال وقد اغدق عليهم التصوف ستاره المهيب،
-لويس ماسينيون
-هنرى كوربان
-آن ماري شيميل.
دخلوا عالم التصوف كباحثين وانتهى بهم الحال فى زمرة المريدين!!

(٣) آل عمران/آية /٣١.
(٤) النساء / آية / ٨٠.
(١) عبد الرحمن الأنصاري – مشارق انوار القلوب ومفاتح اسرار الغيوب –بيروت- ١٩٥٩ – ص١٩.

الحب الإلهي يعني: تعلق القلب بين الهمّة(٢) والأنس(٣) في البذل والمنح، على الأفراد. وهو أول أودية الفناء، لأن العبد إذا لم يفعم قلبه بحب مولاه، فسوف لا يتمكن من خلع صفاته ونسيان ذاته في مقابل صفات وذات حبيبه. وحب الله تعالى، هو العقبة التي ينحدر منها المريد على منازل المحو، وكونه عقبة، فأن هذا يعني أنه صعب المنال، إذ إن على محرابه تُذبح الكثير من الصفات والأهواء والطبائع غير الملائمة. وهذا مما يعسر على النفس الإنسانية تقبله. والحب الإلهي، هو: آخر منزل تلتقي فيه مقدمة العامة مع أولى خطوات الخاصة، إذ إن كل الناس يتقربون إلى الله تعالى بأنواع القربات، وأما الحب، فقليل من عانة الناس من يتعاطاه، وأما الخاصة منهم فهو أول منازلهم، وكما أنه في الوقت نفسه آخرها، والحب الإلهي هو سمة الطائفة – أي الصوفية – فهم أهل الحب الإلهي، وهو عندهم عنوان الطريقة، لأن طريقة هي طريقة وصول وتقرّب إلى المولى تعالى، ولا وصول ولا تقرب بغير وازع الحب، والحب الإلهي هو معقد النسبة، أي أنه عامل تقريب المناسبة بين العبد وربه إذ لا وسيلة مثله، ترقق النفوس وتجلي القلوب وتحسن الطبائع.(٤)

أما القشيري، فهو في معرض تعريفه للحب الإلهي، يردّ أولا على العلماء – أي أصحاب النظر العقلي من المتكلمين والفلاسفة – الذين يرون أن المحبة هي الإرادة، وهذا هو غير مُراد الصوفية، إذ إن الإرادة لا تتعلق بالقديم، اللهم إلا أن يُحمل المعنى على إرادة التقرب إليه تعالى والتعظيم له. يرى القشيري: إن المحبة لا توصف بوصف ولا تحد بحد أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبة نفسها. وهنا أشارة لطيفة من القشيري إلى أن المحبة، عموما، لرقتها وشفافية الإحساس بها، وتعلق القلوب الصافية بها، مثلما لا تتعلق بشئ آخر سواها، فأنه يصعب وجود مثيل لها، تُعّرف به أو من خلاله، ولذلك كان أشبه شئ بها، هو المحبة ذاتها، ولعل في هذه الإشارة جانبا معرفيا، فكون المحبة إحساسا ذوقيا وتجربة معاشة، فأنه يعسر وصفها إلا لمن ذاقها وأحس حرّ لواعجها، ويحاول القشيري أن يدلنا على مقاربة وصفية لمعنى الحب الإلهي من خلال العودة إلى الأصول اللغوية لكلمة الحب، والتي تعني أولا: صفاء المودة فالعرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حَبَب الأسنان، وقيل الحُباب هو: ما يعلو الماء عند المطر الشديد وقيل أيضا أن الحب مشتق

(٢) الهمّة: هي الأنبعاث للمقصود صرفا، فلا يتمالك صاحبها منعها ولا يلتفت عنها – الهروي – منازل السائرين – ص٨٦.

(٣) الأنس: كما عرفه الجنيد يعني: أرتفاع الحشمة مع وجود الهيبة – الطوسي – اللمع – ص٦٠.

(٤) الهروي – منازل السائرين – بغداد – ١٩٩٠ – ص٨٩.

من حباب الماء، بفتح الحاء وهو معظمه، فسمي بذلك لأن المحبة هي غاية معظم ما في القلب من المهمات، وقيل أن أشتقاقه مأخوذ من اللزوم والثبات، إذ يقال: أحبّ البعير، أي أنه برك فلا يقوم، فكان المحب ل يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه، وأخيرا فأن المحبة في التعريف بها تعني: غليان القلب وثورانه عند العطش والأهتياج إلى لقاء المحبوب.(١) ولعل القشيري، بعودته إلى الجذور اللغوية لكلمة الحب، أراد أن يدلنا على ما أشتملت عليه هذه (الجذور) من المعاني التي كان يطمح الصوفية في أن يعبّروا عنها من خلال حبهم الإلهي، ولعله أراد أن يخبرنا بأنهم – أي الصوفية – لم يبتدعوا شيئا جديدا، ولم يقفزوا على واقعهم البشري، بل هم أحبوا ربهم، وعبّروا عن حبهم، مثلما يفعل كل المحبين من البشر، مع أختلاف موضوعاتهم وتفاوت غاياتهم.

يحصي لنا القشيري، عدة تعريفات للحب الإلهي، فلقد عُرّف بأنه الميل الدائم بالقلب الهائم.(٢) وهذا التعريف يميل إلى عد الحب من المقامات وليس من الأحوال، فالحب يعتمد على أستمرارية ميل القلب إلى الحبيب، وأن الذي يدفعه إلى الأستمرار في هذا الميل، هو الهيام الذي يخالطه، فإذا ما عرفنا أن الهيام يعني ذهاب التماسك تعجبا وحيرة،(٣) لعلمنا أنه ناتج من فعل مطالعة العبد في عظمة الملكوت.

وعرّف الحب بأنه: أيثار المحبوب على جميع المصحوب، وهو مقام التفرد والفناء عن كل السوى بما فيه النفس، لأنها أيضا من المصحوبات. ويعني الحب أيضا: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب، وهذا التعريف يقترب كثيرا من حدود مقام المراقبة، وهو مقام المحبين المحققين، وهو يعني، علم القلب بدوام شهود المحبوب له، فهو – أي المحب – دائم الأطراق مستجمع الهمّ، شديد الفكر في المحبوب، معرض عما سواه.(١) ويعرّف الحب أيضا بأنه: مواطأة القلب لمرادات الرب، وهذا الحب يشير إلى مقام الفناء عن الإرادة والى التسليم والطاعة والأخلاص وحسن التوكل. ثم يورد لنا القشيري رأي أبي يزيد البسطامي (ت ٢٦١هـ) والذي يعرّف الحب بأنه: أستقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك. وهو هنا يقرّب بين مفهوم الحب وبين مفهومي الفتوة(٢) والإيثار(٣)، على أن هذا

---

[١] الرسالة القشيرية – ص٢٤٨.

[٢] بهذا المعنى، عرّفت رابعة العدوية المحب الصادق بأنه: من لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه. أنظر – السهروردي – عوارف المعارف – ص٥٠٧.

[٣] الهروي – منازل السائرين – ص٩٦.

[١] عبد الرحمن الأنصاري – مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب – ص٧٨.

[٢] الفتوة: أنك لا تشهد لك فضلا ولا ترى لك حقا، وهي في مستواها الأخير تعني: أن لا يتعلق المريد في مسيره بدليل وأن لا يشوب إجابته طلب العوض وأن لا يقف في شهود على رسم – السهروردي – منازل السائرين – ص٦١.

التعريف، بوضوحه وبساطته، يعكس لنا مستوى الثقافة الصوفية في القرن الثالث الهجري. وأما سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣هـ) فقد عرّف الحب الإلهي بأنه: معانقة الطاعة ومباينة المخالفة، والمحبة عنده تعني: أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبق لك منك شئ. ولا داعي لأن نشير إلى مدلولات هذا التعريف، فهو واضح الأرتباط بمدارج السلوك الصوفي بوجه عام. ثم أخيرا يأتي دور أبي بكر الشبلي (ت ٣٣٤هـ) الذي يرى أن المحبة مأخوذة من المحو، إلا أنها تمحو من القلب كل ما سوى المحبوب.(٤) ولعل هذه الوظيفة الأخيرة للحب هي أخص معانيه ودلالاته الصوفية، إذ لا يمكن للمريد أن يكون محبا لله تعالى، إلا بعد أن يتجرد تماما من جميع العلائق والأغيار والمطلوبات الدنيوية منها والأخروية.

على أننا كلما تقدمنا خطوات في الزمان (الصوفي)، كلما وضعت أمامنا صورة الحب الإلهي وأتخذ معناه مستوى أكثر عمقا، فالشيخ عمر السهروردي (ت ٦٣٢هـ) وهو من تلاميذ الشيخ عبد القادر، ومن الأخذين بمنهجه الصوفي، يصنف الحب الإلهي من بين الأحوال، لا بل هو عنده

أصل لكل الأحوال الأخرى، مثلما التوبة في المقامات.(١) يسمي السهروردي المحبة الإلهية بـ (المحبة الخالصة)، تميزا لها عن غيرها من صنوف المحبة، وهذه المحبة لا تكون خالصة، إلا أن يحب العبد ربه بكليته، لأن العبد قد يكون في حال ما، وهو قائم بشروط حاله بحكم العلم، ولكن جبلته تتقاضاه بضد العلم. وعليه، فهو يشير هنا، إلى ضرورة المجاهدة الصوفية من أجل مطابقة فعل الجبلة لحكم العلم. وهذه النقطة تستحق أن نتوقف معها قليلا، إذ أن فيها إشارة إلى تفضيل التصوف العملي، الذي يتدرج المريد معه صعودا، في المقامات والأحوال، حتى يصل إلى مرحلة الفناء عن نفسه والبقاء بالله، على التصوف العقلي أو الأشراقي، الذي يعتمد على العقل والحكمة، وسيلة لأستشفاف فيض النور العلوي الذي صدرت عنه كل الأنوار الأخرى.(٢) على أن الشيخ عمر السهروردي لا يطعن في مشروعية هذا السبيل الأخير، ولكنه يرى فيه وسيلة خطرة وهشة قد تنهار أمام ثورة الغرائز ويقظة الطباع.

---

(٣) الأيثار: تخصيص وأختيار، هو يعني أيثار رضا الله تعالى على رضا غيره – السهروردي – نفس المصدر – ص٥٧.

(٤) الرسالة القشيرية - ص ٢٤٩.

(١) عوارف المعارف – ص٥٠٥.

(٢) سامي الكيالي – السهروردي – سلسلة نوابغ الفكر العربي – مصر – ١٩٦٦ – ص٤٢.

والحب الإلهي ينقسم عند الشيخ عمر السهروردي على قسمين، حب عام وحب خاص، الأول يتحقق بالأمتثال للأوامر الإلهية، وهو قد ينبع من العلم بالآلاء والنعم الإلهية، ويمتاز هذا الحب بأنه: يُخرج العبد من صفاته الذميمة ويدفعه نحو التحلي ببدائلها. إذن فللعبد في هذا الصنف من الحب والأرادة، فهو إذن من المقامات.(٣) وأما الحب الخاص، فهو حب الذات من دون النظر إلى شئ سواها، حتى لو كان هذا السوى هو نفس المحب، فهو إذن فناء وتماهٍ، وشرط هذا الحب أن تلحقه السكرات، إذ إنه لا يكون حبا حقيقيا. إن لم يكن فيه ذلك، والسكرات هي حالات الشطح والغيبة التي تعتري الصوفية في بعض أحوالهم. هذا الحب ليس لإرادة العبد فيه يد، بل هو أصطناع من الرب وإصطفاء محض، فهو إذن من الأحوال. وأما نسبة هذا الحب إلى النوع الأول، أي الحب العام، فهي كنسبة الروح إلى الجسد، ولك أن تقرر الفرق بين (الحبين).

إذن ففي موضوع الحب، لم تختلط الأمور عند الصوفية، كما يرى ذلك البعض، بل هم يميزون بين حب الناس بعضهم لبعض، وهو عندهم حب وهمي، يدل على عدم أدراك الإرادة الحقيقية للروح البشرية، وحب العبّاد لمولاهم، وهو الحب الحقيقي المغروس في لأصل فطرتهم، وهذا الأخير يقع على درجات، حسب مراتب العباد ومجاهداتهم الروحية.(١) على أن حب العبد ربه، لا يشتمل شكل من الأشكال التجاوز على الذات الإلهية، لأنه لا ينبع من الأشتهاء والنيل التماثلي كما أن حب الرب عبده، يعد حقيقة واقعة، غير مختلفة، تدعمها الكثير من الأسانيد الشرعية التي سيأتي بيانها في حينها، وهو في الوقت نفسه لا يدل على الأشتياق النفسي لسدّ النقائص، وإنما هو يعني الواصلة باللطف والمنة والكرامة.

وهكذا فالشيخ عمر السهروردي يحدّ الحب الخاص بأنه: الخروج من الكلية، إذ إن حقيقة المحبة هي : (أن تهب لمن أحببت كلك، ولا يبق لك منك شئ).(٢) وهذا يعني بلغة أخرى، أن الحب الخاص يعني التحقق بمقام الفناء الوجودي، وهو المقام الذي ما بلغه العبد، فستنتفي عنه جميع المساعي لبلوغ المقامات الصوفية الأخرى. إن الحب الخاص يعمل على تصفية النفس وتزيينها بالمعرفة والنور الإلهي، وهذا هو عين المقامات على

---

[٣] عوارف المعارف – ص٥٠٤.

[١] عوارف المعارف – ص٥٠٤.

[٢] المصدر نفسه – ص٥٠٧.

النفس. وعليه فالحب الإلهي الخاص، هو خير وسيلة للتقرب من الله تعالى(٣) إذ إنه مع نزاهة النفس وصفائها، فأن العبد يكون أقرب ما يكون من مولاه على أن (السهروردي) لا ينسى أن يذكرنا، بأن الحب في حقيقته، لا يتوقف على جهد العبد وتزكيته لنفسه، بل هو موهبة ربانية غير مرتبطة بعلة أو سبب، نعم أن تزكية النفس تقرّب الوسيلة، لا تحتمها. وأخيرا، لابد من ذكر ملاحظة مهمة، لعل السهروردي أهتم بها أو آثارها، لكونه قد تتلمذ على يد الشيخ عبد القادر، وهي: إن حب الله تعالى، بكل أشكاله ومستوياته، لا يمكن أن يلغي الورع أو يسقط عن العبد التكاليف والفرائض، وأن من أدعى محبته تعالى من غير تورع عن محارمه وأقبال على أواوامره، فهو مدّع كذاب.(٤)

يعد كتاب بين سير وطير: التنظير. حياة الجماعة. وبنى المؤسسة في تصوف أبي حفص عمر السهروردي . "للأخت" الدكتورة عرين شوكت سلامة قدسي : من أدق ما كتب حول "السهروردي ". وتميز كتابها المذكور بالدقة المتناهية والتأني في التحليل ونظرة تاريخية معاصرة للقضايا المطروحة، حيث اعتمدت على مصادر ومراجع رصينة وعلمية ومن ضمنها مخطوطات نادرة ودراسات لم تتوفر لغيرها، مما جعل دراستها هذه تتبوأ مكانة سامية في هذا المجال.

---

(٣) يستشهد السهروردي هنا بقول سمنون: ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة، لأن النبي(ﷺ) قال: (المرء مع من أحب) فهم مع الله تعالى – المصدر نفسه – ص٥٠٧.

(٤) المصدر نفسه – ص٥٠٧.

ولشدة أهتمام مفكري الإسلام بموضوع الحب، فقد تبناه بعضهم مبدأً عاما من مبادئ الوجود الكوني وليس البشري فقط، بحيث أن الحب أصبح هنا، كالنسغ الذي يسري في مفاصل الذوات كافة، حيّها وجمادها. ويأخذ بهذا الرأي المفكر المغربي، أبو زيد عبد الرحمن الأنصاري المعروف بأبن الدبّاغ (ت ٦٩٦هـ) صاحب الرسالة المشهورة: (مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب).(١) والتي يقول فيها: أن النور الذي ظهرت به الأشياء، عان في الموجودات كلها، من أعلى العليين ومنحدرا إلى أسفل السافلين. وأن بالمحبة تمت الكائنات وعنها وجدت على أختلاف الحركات، فهي كامنة في كل جوهر، وما من وجود في العالم إلا وله نصيب منها، وبحسب المحبة يكون صعود الصاعد إلى العوالم الروحانية.(٢) وقبل الأسترسال مع (أبن الدباغ) في آرائه في الحب، لابد من الأشارة إلى أن أراءه تلك لا تخلو من تأثيرات أشراقية وثنوية ويونانية قديمة، وبخاصة من هذه الأخيرة، فيلسوفها (أنباذوقليس) الذي عاش وأشتهر أمره في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد، والذي جعل من المحبة مبدأ اساسيا من مبادئ الوجود، تتكون وتتجمع فيه الأشياء.(٣) إذن فقد بلغ أبن الدباغ بعامل الحب الإلهي ذروة تأثيره في الكون، بحيث أنه جعل منه سببا في وجود ماهو موجود، وميزة تدرج الكائنات في المراتب، وفقا لدرجة أخذها منها.

إن أكثر ما يلفت النظر في أراء أبن الدباغ، هو تعريفه الفريد للحب، فهو عنده: إبتهاج يحصل للنفس عن تصور حضرة ما.(٤) ولنا أن نتصور فرط الشعور بالبهجة العظيمة الناجمة عن تصور الحضرة الإلهية. إذ إن مجرد التفكر في عظمة الخالق وكبريائه وعزه وجلاله، يورث النفس ألوانا من الأضطراب والأغماء والخزوج عن عالم الحس، وأمور جسيمة أخرى ربما خرجت معها روح المريد فرقا وخوفا من الله تعالى، وربما بدرت منه أمور وأفعال غير مستساغة في العقل.(٥) ولعل أبن الدباغ، في هذه العبارة يحاول أن يسوغ ما يعتري الصوفية في بعض أحوالهم من فقدان الحس المؤقت والهياج والأرتجاف، وغير ذلك مما ينكره عليهم خصوصهم.

---

(١) حُققت هذه الرسالة على يد المستشرق – هـ. ريتر – وطبعت في بيروت عام ١٩٥٩م.

(٢) أبن الدباغ – مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيب – ص٢٦.

(٣) د. ناجي التكريتي – الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام – ص١٢.

(٤) أبن الدباغ – المصدر نفسه – ص٢٢.

(٥) أبن الدباغ – المصدر نفسه – ص٢٢.

إذن فالتفكر زالتأمل في بدائع الجمال والكمال الإلهيين، هما من أقوى وأهم العوامل التي تفعم النفس بمحبة خالقها والشوق أليه. ويبدو جليا من هذه العبارة، مدى تأثير أبن الدباغ بالفلسفات الأشراقية التي كانت سائدة بين أوساط المفكرين في عصره، فهو من جانبه، يرجح الأعتماد على العمليات الذهنية لأكتساب مزيد من الحب الإلهي ومن ثم مزيد من القرب من الله تعالى.

الحب عند أبن الدباغ، يقع أيضا، على قسمين: حب عرضي وحب ذاتي. الحب العرضي له تعلق بغير ذات المحبوب، مثل محبة أحسانه وطلب منافعه ودفع مضاره، وأما الحب الذاتي، فهو متعلق بذات المحبوب، وهو أيضا يقع على قسمين: ما يعقل سببه ومالا يعقل له سبب. الأول هو محبة جمال المحبوب وكماله الذاتيان، والثاني هو محبة المحبوب بحسب ذاته، وهذا الأخير ينقسم على عشرة أقسام، بحسب المبادئ والغايات. خمسة منها هي مقامات للمحبين السالكين وهي: الألفة والهوى والخلّة والشغف والوجد.(١) وخمسة هي مقامات للعشاق السالكين وهي: الغرام والأفتتان والوله والدهش والفناء.(٢) علما أن المحب عنده، هو المريد، بينما العاشق هو المراد، وقد مر بنا سابقا الفرق بين المريد والمراد عند الشيخ عبد القادر.

ويشترط أبن الدباغ، كسابقيه، في المحب، أن لا يتوقف عن الترقي في مقامه، لأنه إذا ما شاهد من محبوبه صفة، فتوقف معها، كان ذلك عين حظه منها، وحجب بها عن الزيادة،

---

[١] جاء في تعريفات أبن الدباغ لهذه المصطلحات أن الألفة هي: إيثار جانب المحبوب على كل مطلوب ومصحوب ويستدعيها الإنسان بأستقراء محاسن المحبوب وأدامة الفكرة في لطافة شمائله وماهو عليه من بديع الصفة وغريب الحكمة الإلهية. وأما الهوى فهو: ميل القلب بالكلية إلى جهة المحبوب، والأعراض عما سواه، وتجريد القصد له في كل حين وصرف الهمة أليه، وفيه تستحكم المحبة وتشتد صورتها وينبسط سلطانها، ويستولي لاعج الشوق فيها. وأما الخلة فتعني: تخلل شمائل المحبوب في روحانية المحب، حتى تتكيف بها النفس والروح وسائر الجملة الإنسانية. وأما الشغف فهو: الكلف والولوع بالمحبوب، ويعني بلوغ الحب إلى شغاف القلب، أي أصله فيستولي عليه ويحجبه عن غيره، وجاء في قوله تعالى: (قد شغفها حبا) يوسف/٣٠. أي حجب حبّه قلبها حتى لاتعقل سواه. فالشغف أستسلاء المحبة على القلب باطنا وظاهرا مع أحتجاب المحب عن أي أمر آخر غير المحبوب. وأما الوجد فهو: وجود ذات المحبوب وسائر صفاته الحقيقية، منطبعة في ذات المحب، أنطباعا ثابتا، بحيث لا يمكن زواله ولا يتصور أنفصاله، وأذا بلغ المحب إلى هذا الحد، فقد زال عنه الأختيار وأستوى في حقه الأعلان والأسرار وظهرت عليه آثار الشهود، فيشهد محبوبه في سائر الذوات وصفاته مع سائر الصفات، فلا يرى في الوجود سواها ولا يراها سواه. – مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب – ص٣٢-٣٦.

[٢] يعرّف أبن الدباغ هذه المفاهيم بما ياتي: الغرام: وهو الأنتشاء من خمر المحبة، ويأتي من ملازمة الغريم للغريم وعدم مفارقته له. والأفتتان: وهو خلع العذار وعدم المبالاة بالخلق، ثم الوله: وهو حالة الحيرة، ثم الدهش: وهو الذهول أو البهتة التي تأخذ العبد إذا فاجأه مايغلب عقله أو صبره أو علمه، ثم الفناء: وهو الفناء عن رؤية النفس، وهو أن يكون العاشق لايسمع ألا بمحبوبه ولايبصر إلا به، ولا يدرك ألا به وله، ومنه فناء به عن نفسه وعن الأشياء. – مشارق أنوار القلوب ومفاتح الغيوب – ص٣

بينما المطلوب منه أن يتواصل مع مقامه، حتى يبلغ حالة الدهش، التي تذهل معها النفس عن عالم الحس، بل عن عالمها الخاص بها، وهو مقام الحرية. ومعنى الحرّ عند الصوفية، هو الذي لا يسترقه شئ من الأكوان والأعراض، بل لا يسترقه شئ غير محبوبه، فهو بالأضافة إلى الأكوان حر وبالأضافة إلى المحبوب عبد، إذ المحب مطلقا، هو الفقير مطلقا، والمحبوب مطلقا، هو الغني مطلقا. وعند هذه النقطة فقط، يتحقق للعبد مقام العبودية الحقة التي لم يبلغها إلا النبي محمد (ﷺ) وعند هذه المرحلة بالذات يزول الشوق عن المحب، لأنه بلغ الوصول، وتنتفي الحاجة إلى المقامات والأحوال لأنه أصبح من الكاملين.(١) على أنه في كل الأحوال، فأن المحب لا يعدم في نفسه أحدى الحالتين فأما أن يكون في حالة جمع، أو في حالة تفرقة، الأولى يكون فيها فانيا عن نفسه موجودا بوجود محبوبه، لأنه أن فني عن نفسه، فقد فني عن سائر العالم، إذ إن نفسه هي أقرب الأشياء أليه وفي هذه الحالة، يرى المحب محبوبه في كل شئ ويسمع كلامه من كل شئ، ولا يختص أدراكه له بشئ دون شئ، لا يبقى فيه جزء وهو خال عن حبيبه، والأشارة هنا إلى وحدة الوجود. أما الثانية، أي حالة التفرقة، فيكون فيها المحب ناظرا إلى نفسه، أي يكون خارج حدود ساحة الفناء، وهو حالة الوجود الجديد الذي مر ذكره عند الشيخ عبد القادر.(٢) ومنكل ما سبق يمكننا أن نخلص، إلى أن مفكري الأسلام، من بقاع الأرض المختلفة، ومن مختلف المشارب والمذاهب والأتجاهات، قد خاضوا في موضوع الحب، سواء منه الحب الإنساني أم الحب الإلهي، ولم يتحرجوا منه ولم يعدوه خروجا عن الملة ولا مروقا على الدين، وأن هذا المفهوم – أي مفهوم الحب – أزداد البحث فيه، نموا ودقة وتفصيلا، مع تعاقب القرون على الحضارة الإسلامية، بحيث أننا نجد أن مفكرا كأبن الدباغ وهو من القرن السابع الهجري، يفصّل

يفصّل الكلام كثيرا في هذا الموضوع، إلى درجة إنه يذكر له مرادفات ومشتقات كثيرة جدا، ويذكر لكل واحد منها تعريفا دقيقا أو شرحا مفصلا، لا نجد له مثيلا في (القرون الأولى) من عمر الحضارة.

---

(١) أبن الدباغ – المصدر نفسه – ص٨٤.

(٢) أبن الدباغ – المصدر نفسه – ص٨٩.

إذن، فلا يمكننا أن نعد الحب الإلهي، أمرا طارئا على الفكر الإسلامي، كما حاول أن يذهب إلى ذلك بعض المستشرقين ومن تبعهم بأحسان من الدارسين العرب، إذ نسبوه تارة إلى الأفلاطونية المحدثة، وأخرى إلى الدين المسيحي أو إلى الحضارة الهندية، أو الحضارة الفارسية، أو إلى غير ذلك من المصادر التي نسب ألها أروع نتاجات الحضارة الإسلامية، وكأن الإنسان العربي، على وفق هذه النظرة، كان عاجزا عن أن يحب ربه، إلا أن يرى غيره يفعل ذلك.

إن ذكر الحب كعلاقة تربط بين العبد وربه أو بين الرب وعباده، وردت كثيرا، وبشكل صريح، في مواضع متعددة من مرتكزي الدين الإسلامي، أي الكتاب والسنة، ففي القرآن الكريم، ورد قوله تعالى: (يحبهم ويحبونه)(١) وهذه الاية، تشتمل على إشارتين هامتين إعتمد عليهما الصوفية كثيرا في تأصيلهم لنظرية الحب الإلهي، الأولى أن الله تعالى يحب عبده مثلما العبد يحب إلهه، والثانية هي: إن حب الله عبده سابق على حب العبد مولاه، فالعبد لا يمكنه أن يحب ربه، إلا بعد أن يأذن له ربه بذلك، بأن يحبه أولا. وكذلك ورد قوله تعالى: (والذين أمنوا أشد حبا لله)(٢) وهذه الاية تتضمن الأشارة إلى وجود مراتب للمحبين، وأن فيهم من هو أكثر حبا لله تعالى من غيره، وكذلك فهي، تؤكد المجاهدات الروحية والسلوك الصوفي بوجه عام. وأما قوله تعالى: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين).(٣) فأن فيه تأكيد على أن التوبة والتطهير، هما من شروط المحبة الإلهية، وهما أيضا من دلائل المجاهدات والترقي في مقامات الروح.

وأما في السنة، فقد ورد قوله (ﷺ): (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب أليه من سواهما).(٤) وهذا الحديث أيضا يضع حب الله ورسوله (ﷺ)، شرطا للأيمان. وكذلك قول الرسول (ﷺ): (من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن لم يحب لقاء الله، لم يحب الله لقاءه).(١) وهو حديث يتضمن التصريح بأعلى درجات القرب، وهو تحقق اللقاء، أما كيفية هذا اللقاء، وهل هو لقاء معنوي، يشير إلى التمسك بالطاعات وترك المعاصي، أم

---

(١) المائدة / ٥٤.

(٢) البقرة / ١٦٠.

(٣) البقرة/٢٢٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الأيمان.

(١) صحيح مسلم – كتاب الذكر – باب من أحب لقاء الله.

هو لقاء حقيقي، ينعم به الله تعالى على المقربين من عباده؟ فهذا ما أختلف عليه المفسرون، كل حسب مرجعياته الفكرية والمنهجية. وأخيرا نذكر قوله (ﷺ) في الحديث القدسي: (لا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل، حتى أحبه، فأذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها).(٢) وهذا الحديث يؤكد، عليه أغلب الصوفية، ويذكرونه كثيرا في أستشهاداتهم، لأنهم يرون فيه صراحة العبارة، في تأكيد كرامات الأولياء وكذلك تأكيد قولهم بالوجود الجديد الذي يؤول أليه العبد بعد تمكنه من درجة القرب من مولاه، وفيه أيضا إشارة إلى مرتبة الخلافة العظمى.(٣)

في تاريخ الفكر الإسلامي، بعامة، كانت مواقف المسلمين من موضوع الحب الإلهي قد تباينت تباينا ملحوظا، إذ أنكره بعضهم متذرعا بأستحالة حصول المناسبة بين الخالق والنخلوق، لإان هذه المناسبة، تعد شرطا لازما لأثبات صحة المحبة، ويرى أصحاب هذا الرأي، أن ما ورد من نصوص، في الأسانيد الشرعية، مما يشير إلى موضوع الحب الإلهي، لا يعدو كونه، في حقيقته ضربا من ضروب المجاز البلاغي والتمثيل اللغوي، وإن الله عز وجل، وعلى خلاف الظاهر من هذه النصوص، لا يحب ولا يُحب، لأن المحبة، وبكل أشكالها وصورها، لها من اللوازم والتبعات، مما لا يليق بالذات الإلهية، مثل الشوق والأنس والألتذاذ، ونحو ذلك من الصفات والنوازع مما يجدها المخلوقون، ومما يجب أن تتنزه عنه الذات الإلهية، بحكم صفة الألوهية التي تستوجب الغنى والعزة والصمدانية.(١)

طائفة أخرى من مفكري الإسلام، أقرّت صحة الحب الإلهي، وأخذت به، ولكنها أولته تأويلات هي أقرب إلى الفهم الأخلاقي الظاهري منه إلى الفهم الصوفي الذي يصل بالدلالات إلى أقصى مدياتها الظاهرية والباطنية – فأن المراد من الحب الإلهي، على وفق رأي هذه (الطائفة)، هو الطاعة والعبادة والشكر من العبد تجاه الرب، والكلاءة والرحمة والحفظ من الرب تجاه العبد، ويضيف أصحاب هذا الرأي، أن أقصى ما يمكن أن نفهمه من المحبة هو: أنها أحدى الصفات التي وصف بها الباري تعالى نفسه، وعليه فلابد من

---

(٢) عن أبي هريرة – كما في صحيح البخاري – كتاب الرقاق – باب التواضع.

(٣) يستند الجنيد البغدادي في تعريفه للحب إلى هذا الحديث، فالحب عنده هو: دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب. أنظر – عوارف المعارف – ص٥٠٨.

(١) الصمد: هو السيد المصمود أليه في الحوائج والمستغني بذاته وكل ما عداه محتاج أليه في جميع جهاته، فلا صمد في الوجود سوى الله تعالى. – إسماعيل البروسوي – تنوير الأذهان من تفسير روح البيان – الدار الوطنية - بغداد – ١٩٩٠ – ج/٤ – ص٦١١. ويضيف أبن عربي، أنه لمّا كان كل ما سواه موجودا بوجوده، أي هو ليس بشئ في نفسه، لأن الأمكان اللازم للماهية لا يقتضي الوجود، فلا يجانسه ولا يماثله شئ في الوجود. – تفسير القرآن الكريم – بيروت – ١٩٨١ – ط/٢ – ج/٢ – ص٨٧٠.

الأعتقاد بها، ولكن من دون النظر في ماهيتها أو كيفيتها.(٢) وهذا الرأي يشتمل على موازنة (أشعرية) قد لا يرضى بها الكثير من المأولين والباحثين عمّا وراء الكلمات والسطور.

المتصوفة من جهتهم، لم ينكروا شيئا من معاني الحب الإلهي ومدلولاته، بل هم يعدونه حقيقة واقعة، يمكن أن تعاش، وقد أختصوا بها وجربوها وعرفوها من خلال خلواتهم ومناجاتهم، ومن خلال مواجيدهم وأحوالهم. وفوق ذلك، فهم يرون أن هذه المحبة، هي علاقة متبادلة بين الله تعالى وعباده، فالله تعالى، من جهته، يشتاق للعبد المخلص، ويطلب قربه، كما أن العبد يشتاق أليه ويطلب القرب منه، والله تعالى يناجي العبد ويغار عليه في أن لا يخالج قلبه شيئا سواه، كما يناجي العبد ربه ويغار عليه، طمعا في مزيد من القرب والنور والرضوان، والى غير ذلك من صفات المحبة ولوازمها.(٣) والصوفية لا يستغربون من منكري المحبة عليهم، بل هم يعذروهم لأعتقادهم، بأن المحبة، مثلها مثل سائر أحوالهم، لا يمكن شرحها وتفسيرها ولا التعبير عنها لغير من ذاقها وأحسّها، إذ إن فاقد الشئ لا يعطيه.

وقبل الدخول في موضوع الحب الإلهي عند الشيخ عبد القادر، لابد من تسليط الضوء على بعض الجوانب التاريخية المتعلقة بهذا الموضوع إذ يمكن القول: إن الحب الإلهي بوصفه عنصرا أساسيا

من عناصر التصوف الإسلامي، قد برز بشكل مبكر جدا من تاريخ هذا الفكر، وظل ملازما له مع تعاقب خطواته ومراحله وأطواره، ولعل في هذه الحقيقة، دلالة واضحة على أهمية الحب في الفعالية الصوفية برمّتها. لقد رفع روّاد حركة الزهد، الحب الإلهي شعارا لهم، فهذا خُليد العصري.(١) كان ينادي في أهل زمانه وبأعلى صوته فيقول: يا أخوتاه، هل فيكم من أحد لا يحب أن يلقى حبيبه؟ لا فأحبوا ربكم وسيروا أليه سيرا كريما. وهو نداء، فيه دعوة إلى أفشاء الحب الإلهي بين الناس، وجعله وسيلة مثلى للتقرب إلى الله تعالى. وكذلك الحال مع كهمس القيسي (ت ١٤٩هـ) الذي أشتهر بصيحته التي طالما كان يطلقها في جوف الليل: أتراك معذبي وأنت قرة عيني يا حبيب قلباه؟ وهو قول، رغم طروحاته البسيطة إلا أنه يدل على أعتياد عبّاد ذلك العصر على تعاطي مثل هذه المفاهيم. ثم نذكر عتبة الغلام (ت ١٦٤هـ) الذي يعد من الدعاة الأوائل، الذي يستوس

(٢) الرسالة القشيرية – ص٢٤٧.

(٣) عفيفي – التصوف الثورة الروحية في الإسلام – ص١٩٥.

(١) لم نعثر في ترجماته على تاريخ وفاته، ولكن من المؤكد أنه توفي في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة.

معه، البذل والمنع والرحمة والعذاب ويتبين ذلك من قوله: إن تعذبني، فأني لك محب، وإن ترحمني فأني لك محب. وهي عبارة، تفوق سابقتها، جرأة ودراية بهيمنة سلطان الحب. ولا يسعنا، في هذه الرحلة العاجلة، 'لا أن نعرّج على ذكر العاشقة الإلهية الشهيرة، رابعة العدوية(٢) التي كان لها كلام عجيب وأشعار رائدة في الحب الإلهي، أشهر من أن تذكر، ثم نأتي أخيرا على ذكر زعيم الحركة الزهدية الثاني بعد شيخه الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) وهو حبيب العجمي (ت ٢٠٠هـ) والذي كان مفرط الصراحة في حبه لربه إذ يقول: وعزتك، إنك لتعلم أني أحبك.(٣) فهذا إذن، مسح أولي سريع، لمدة من عمر حركة الزهد في الإسلام، تناهز الخمسين عاما، تبين لنا من خلالها إن عدوى الحب التي أصابت أول القوم، لم تلازم نظرائهمن بعده فحسب، بل أنها نمت وتفرعت حتى أثمرت ما أثمرته من نظريات الفناء ووحدة الشهود ووحدة الوجود وغيرها فيما بعد.

كل الأخلاق التي يشترطها الشيخ في المتصوف سواء في علاقته بالله أو بالنفس بالغير نجدها حاضرة في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، فهي بذلك ليست من اجتهاد أحد، إنما هي أخلاق الوحي.

[٢] رشيد سالم الجراح – رابعة العدوية شهيرة الحب الإلهي – بغداد – ١٩٨٨ – ص٧٣ فما بعدها.

[٣] د. كامل مصطفى الشيبي – صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي – بيروت – ١٩٧٧ – ص٦٤-٦٥.

أحساس متلبس بالقلب، يشعر به كل من جربه وذاقه، فهي أذن ليست قولا نظريا ولا تأويلا كلاميا أنها معاناة حقيقية، وتشويش تلمسه القلوب من جانب المحبوب، فتصير الدنيا على المحب كحلقة خاتم لضيقها.

فهذه إذن، أول مغازي الشيخ عبد القادر، لقلاع الحب، وهو فيها، لم يأخذ من الحب صنفا ويترك الأخر، بل عرّفه تعريفا ينطبق على كل أشكاله التي عرفها بنو البشر، ويرضى به كل العاشقين في الأرض وبمختلف أصنافهم. إن أبلغ مصداقية للحب، عنده، تتجسد في كونه معاناة وجدانية يتقلب فيها المحبون، ولكن هذه المعاناة، تتفاوت في الصدق، تبعا للجهة التي تحن أليها القلوب، ولا شك في أن محبة الله تعالى، هي أشرف تلك الجهات وأوفرها حظا من الحقبقة واليقين.

والحب عند الشيخ عبد القادر، لا يقاس بالعقل، ولا بحكمه وأدواته، لأنه سكر لا يشوبه صحو أي بمعنى أنه ينمو على أرض تغيب عنها سلطة العقل وحكمه، ولا يعني هذا الكلام. أتهام المحبين بالجنون. ولكنه يشير إلى طبيعة الحب المغايرة لمنطق العقل والتي قوامها العاطفة المحضة، ولعل الشيخ عبد القادر، في رأيه ذاك يتخذ موقفا مناقضا تماما، لموقف مناهج التصوف الأشراقي، التي هي بالتأكيد تؤمن بخلاف ذلك.

ويمتاز الحب أيضا، عند الشيخ عبد القادر، بأنه عطاء مطلق وتوجه كلي إلى المحبوب، بالروح والقلب وكل الحواس والجوارح، وفي السر والعلن، وأيثار المحبوب على الذات وكل شئ آخر سواه، بأختيار تلقائي وبإرادة فطرية وليس بإرادة متكلفة والحب هو العمى عن غير المحبوب غيرةً عليه والمعمى عن المحبوب هيبة له، (فهو عمى كله، والمحبون سكارى، لا يصحون أبدا إلا بمشاهدة محبوبهم، مرضى لا يشفون إلا بملاحظة مطلوبهم، حيارى لا يأنسون بغير مولاهم ولا يلهجون إلا بذكره ولا يجيبون غير داعيه).(١) لقد جمع الشيخ عبد القادر، في هذا التعريف المركب، كل مظاهر الحب وأشكاله، وهو أبتداء يميل إلى تصنيفه بكونه حالا من الأحوال الصوفية وليس بكونه مقاما، لأن المقام يفترض الإرادة والسعي والقصد والدراية، وهذا الحال لا يصيب القلب إلا في مرحلة متأخرة من مراحل

(١) التادفي – قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر – ص٨٨.

السلوك، لأنه يتطلب التوجه بالكلية نحو المجبوب، وهو ما يفترض الأخلاص والفناء الشهودي والفناء الوجودي، وهي كلها مقامات تخص الواصلين من أهل السلوك.

ولكي يستمر الشيخ عبد القادر، على مواظبته على ربط مفاهيمه الصوفية بعجلة الشرع الإسلامي فأنه يؤكد على أن أساس محبة الله تعالى والقرب منه، هو طاعته وأتباع أوامره، وما البعد عنه، في حقيقته، إلا بمخالفته وعصيانه، وهذا ما يتجلى عنده بوضوح، في تفسيره خطيئة أدم (عليه السلام)

كانت هي أول الحجب التي حجبت أدم عن ربه،(فحضرة الله تعالى طاهرة، لا توطأ بأقدام لوثتها مخالفة المحبوب، وأن من أوكد أسباب الهجر هو: أنك لا تطيق أن تقيم في دار عصيت فيها صاحبها).(١) إذن فالمحبة الإلهية تحتاج إلى سعي وجهد من العبد أولا.(٢) ويتم ذلك بجلو البصائر إبتداءً، والبصيرة، هي غير البصر، لأنها مدفونة في أعماق مكامن النفس، وأن إخراجها من الأمكان إلى الوجود، يحتاج إلى صبر ومشقة بحيث تكشف عنها الكثير من براقع الغفلة وكذلك الحال مع القلوب الصدئة، حيث لابد أن تصقل مراياها، كي تلتقط جواهر المعاني الربانية، وان تنقى الأرواح، حتى تستوحش في مساكن هذه الأشباح، وان تخرج العقول من ديار هياكل الطين وتنقل إلى أطوار مراتب القدس، وأما الهمم فيجب أن لا تسعى إلا إلى جنات جلال الوحدانية الحقة.(٣) وفي الخلاصة فأن قلب المؤمن إذا كان هو عرش الرحمن، وأن الرحمن يحل في عرشه متى وأين شاء، فأن هذا لا يمنع العبد من أن يطهر هذا العرش ويزينه أستعدادا لقدم مليكه.

فمتى ينبع الحب في قلب المريد، والى أين يتجه؟ أنه ينبع من مشاهدة بعض جمال المحبوب، ويتجه شوقا إلى لقائه، أما سبب هذا الحب، فهو صورة الجمال أي جمال المحبوب، الكامنة في مرايا الأرواح، والتائقة إلى ملاحقة تجليات الجمال الحقيقي، وهي أشارة إلى حياة الأرواح السابقة والتي تطلعت فيها إلى صور الجمال، ثم حُرمت بعد ذلك بأتصالها بهياكل الصلصال، وتتجسد هذ الأشارة في مواضع متعددة من أقوال الشيخ عبد القادر، فمثلا في ذكره قصة إبراهيم (عليه السلام) يقول: كان طفل إبراهيم (عليه السلام) مربى في مهد عهد لطف القدم تحت ظل شجرة الكرم، بروح مرّوح الفضل، بنسيم ولقد أتينا إبراهيم

---

(١) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٢٦.

(٢) على أن هذه العبارة لا تتنافى مع قول الشيخ عبد القادر أن المحبة من الأحوال، إذ إن جميع الأحوال، وعلى الرغم من كونها مواهب رحمانية، تستوجب إستعداد العبد بتصفية نفسه بالطرق المعهودة في التصوف.

(٣) الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٣٢.

رشده من قبل حين جمع القدر ذرات الذوات وأرواح النسمات ... حتى آن أوان ظهوره في سرادق الزمان ... فنهض ينشق محيا ذاك النسيم في براري الوله يهيم طالبا للتفرد ..(٤) وكذلك قوله: (إن المشاهدة هي سلاف راح يطوف بها سقاة الأزل على ندماء الأرواح في أقداح الخطاب، في مجلس الوصل، عند سدرة منتهى الأمل، فوق غاية منى العارفين تحت ظلال جلال القدم...)(١) وكذلك قوله: (خرجت بعض طيور الأرواح من أنقاض الصدور، تتلمح أثرا من مطارها القديم، تستنشق نسمة من مهب التكليم تتذكر عيشها في ظل أثل الوصل، تشكو جواها بعد بعاد الأحباب).(٢) ثم قوله الذي يفصح عن هذه المسألة أكثر من سواه: (طافت سقاة القدم، على أرواح بني أدم، بكؤسي شراب ألست بربكم، في خلوة مجلس وإذ أخذ ربك، أسكرهم الساقي لا الشراب، سكنت تلك النشوات في ذرات تلك الذوات، حتى أنفلق صبح شرع أحمد.(٣)

ولنا أن نتساءل بعد ذلك، هل الشيخ عبد القادر، وكثير غيره من متصوفة الإسلام، ممن قالوا بهذه الطريقة (الخطيرة)، أي وجود الأرواح السابق على الحياة الأرضية، قد تأثروا بشكل مباشر بنظرية الهبوط الأفلاطونية، أم كان لهم في شرعهم الإسلامي ما يكفي من الأسانيد التي تسوغ نظريتهم تلك؟ ولعل أقرب الأجوبة إلى الصدق، هو الجواب الذي يجمع بين الأثرين. إذ يمكن القول: إن نظرية الهبوط الأفلاطونية قد أنتشرت بشكل سريع بين أوساط المفكرين المسلمين وأصبحت جزءا من ثقافتهم السائدة، ولكن لم يكن لهذه الفكرة (الغريبة) أن تسود، لو لم لها المسلمون في شرعهم، ما يدعمها ويسوغ الأخذ بها، فلقد ورد في القرآن الكريم، الكثير من الآيات التي تشير إلى المعنى ذاته، كقوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنّا عن هذا غافلين).(٤) وهذه الآية تشير صراحة إلى إقرار أرواح جميع بني أدم بوحدانية الله تعالى، قبل أتصالها بالأبدان. كذلك قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنّه قال أقررتم واخذتم على ذلكم إصري، قالوا أقررنا قال فأشهدوا وأنا معكم من الشاهدين).(٥) وهذه الآية تؤكد أيضا المعنى ذاته، ثم أن مجرد ذكر القرآن الكريم قصة أدم (عليه السلام)، وكونه قد سكن الجنّة قبل هبوطه أو بالأحرى إبعاده

---

(٤) الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٣٣.

(١) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٣٩.

(٢) الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٤٢.

(٣) الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٧٠.

(٤) الأعراف / ١٧٢.

(٥) آل عمران / ٨١.

عنها، وكون الجنّة تعني في أخص ما تعنيه القرب من الله تعالى، فأن ذلك سيترك الباب مفتوحا أمام أي راغب في تبني تلك (النظرية).

وقد يسهل الحكم على هذا الرأي بتهمة التوفيقية، ولكن قبل ذلك، ينبغي أن تحضر في أذهاننا حقيقتان: الأولى: أن مفكري الإسلام، بمختلف إختصاصاتهم الفكرية، سواء منهم المتكلمون أم الفلاسفة أم الصوفية، كانوا حريصين أشد الحرص، على التوافق مع عقيدتهم الإسلامية، ولم يكن من السهل عليهم التفريط بها، كما توحي بذلك أغلب الدراسات الأستشراقية. والثانية: هي أنه ليس من قبيل الولاء للتراث الإسلامي أو الأعتداد بالذات، أن أن نظن أن مفكري الإسلام كانوا بمعزل عن التأثيرات الفكرية والأجتماعية الوافدة عليهم أو المحيطة بهم، لأن هذا ضرب من المستحيل إذ إن أي حضارة، لا يمكن أن تنمو أو تزدهر مالم تتفاعل مع غيرها من الحضارات أخذا وعطاءً.

إن ما كنا نود أن نصل أليه، من وراء هذا الأسترسال، هو أنه ليس من الواجب علينا أن نقف من مفكرينا المسلمين، من ذوي الأبداع المشهود، موقف رجال الكنيسة في القرون الوسطى من السحرة، فنتهمهم بالهرطقة والمروق من الدين، في مقابل أية فكرة تصدر عنهم ونلمس فيها بعض الغرابة أو نشعر حيالها ببعض الأستيحاش. بينما الأجدى والأجدر، أن نبحث لهذه الأفكار، عن مسوغاتها الأجتماعية والسياسية والأعتقادية، التي أستوجبت ظهورها في حينها، ولعل هذا (الطموح) الأخير، هو الذي سيمكننا مرة أخرى من أنتاج أفكارنا الجديدة الخاصة بنا والملائمة لعصرنا إضافة إلى أنه سيمكننا من أن نقرأ مفردات تراثنا الفكري الإسلامي قراءة علمية عميقة وثرية وبعيدة عن كل أشكال التعصبات الضيقة.

ثم نعود مرة أخرى إلى موضوع الحب الإلهي عند الشيخ عبد القادر، فهو عنده لا يهبط على قلب المريد دفعة واحدة وبصورة ثابتة لا تتغير، بل أن معانيه ودرجاته تتغير تبعا لدرجة أيمان المريد وأشتياقه وصدق الطريقة وإمتزاجها في باطنه. أن محبة الله تعالى تعني في بداية سلوك المريد، طاعته تعالى، بالأمتثال لأوامره والأنتهاء عن نواهيه، ثم بعد ذلك تعني القناعة بعطائه والرضا بقضائه ثم تعني: طلب نعمة الأفتقار إلى نواله وعطاياه، ثم أخيرا يبلغ العبد في حبه لربه مرتبة لا يطلب معها عوضا ولا ينتظر أجرا، إذ يكون شوقه خالصا للقاء محبوبه والتقرب أليه، وهو ما يمكن أن نسميه بالحب الخالص، وهو حب خاصة الخاصة ، وأما قبله فهو حب العامة الذين يطلبون الأعواض ويشكرون على النعم، فهو حب المحبوب لعطائه وليس لذاته.

وهكذا فأن المنهج الذي أختطه الشيخ عبد القادر لنفسه، لا يزال يعد (ساري المفعول) حتى مع الموضوعات التي يمكن أن نظنها بعيدة أصلا، عن ساحة الشرع وأحكامه. فالحب عنده، وكما رأينا سابقا، أساسه التمسك بشريعة النبي محمد (ﷺ)، أي التمسك بالتكاليف، وليس كما يرى أ و يدعي بعضهم، بأنه مدعاة إلى ترك التكاليف والتنصل عن أحكام الدين. إن وصول القلب إلى مقام الحب لا يتم عند الشيخ عبد القادر، إلا بأداء الفرائض والصبر عن المحرمات والشبهات، ثم ترك تناول المباح في الشرع ولكن المقرون بالهوى والشهوة ووجود القلب. ولا تتوقف الشروط عند هذا الحد، بل إنها تزداد مع تعمق المريد أكثر في بحار الحب، إذ يأتي بعد ذلك دور الورع الشافي في المعاملات البدنية والقلبية، وهو شافٍ لأنه يشفي النفس من أشكال الذنوب والكدورات كافة بكونه شرطا ضروريا لبلوغ محطة الصدق في الحب الإلهي، ثم بعد الورع يأتي الزهد الكامل – أي الزهد في الدنيا والأخرة – شرطا ضروريا أخر لبلوغ المحب ذروة الحب الإلهي الخالص، الذي ليس له تعلق بشئ أخر سوى ذات المحبوب، والزهد الكامل كما يعرّفه الشيخ عبد القادر، هو: ترك ما سوى الله تعالى ومخالفة هوى النفس والشيطان، ثم طهارة القلب من الخلق في الجملة إلى الدرجة التي يستوي عندها المدح والذم والحجر والمدر.(١) وإذن، فهل يعني الحب الإلهي عند الشيخ عبد القادر، شيئا أخر سوى خلاصة السلوك الصوفي الذي يعني بدوره، الألتزام بالفرائض والنوافل والتمسك بالطاعات والخذ بأسباب الزهد والورع.

مما سبق يمكننا أن نلاحظ بوضوح، تمسك الشيخ عبد القادر، بأظهار الترابط العضوي القائم بين فقرات نظريته الصوفية، إذ لا وجود عنده، لمقام ولا حال ولا حب ولا رقي روحي، ليس له علا قة ببقية أجزاء تلك (النظرية) بل أن الكل مترابط، بعضه مع بعضه الأخر، أولا، ثم كل هذه الأجزاء مع الشريعة المحمدية ثانيا، والتي تشكل بدورها، القاعدة الصلبة التي لا يمكن الأنطلاق نحو أفاق الروح والملكوت إلا من ساحتها، وعليه، فيمكننا القول: أنه لا يمكن أن يقال عن أي شيخ ذو منهج صوفي وطروحات نظرية معروفة، أنه قد أصاب في هذه المسألة الفكرية وأستقام فيها مع ظاهر الشرع، وأخطأ في الأخرى، وأنحرف فيها عن (الصراط المستقيم)، لأن البناء الصوفي برمّته، وعند أي شيخ صوفي، ومثله في ذلك مثل أي بناء فلسفي، لابد أن يرتكز على مقدمات

(١) الجيلاني – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص١٨.

وثوابت فكرية أو أعتقادية معينة، بحيث لا يخرج عنها أي جزء آخر من أجزاء ذلك البناء، وان هذا القول هو ردّ على ما جاء في كتاب (الشيخ عبد القادر الجيلاني وأراؤه الأعتقادية والصوفية).(١) والذي جاء فيه: أن الشيخ عبد القادر، قد أكثر من دعوى الألتزام بالكتاب والسنة ونهج السلف الصالح، بينما أقواله جاءت مليئة بالمفارقات وعدم الألتزام بهذه الدعوى عند التطبيق، والغريب في الأمر، إن مؤلف الكتاب، قد تبنى وبشكل منقطع النظير، أراء من أطلق عليه لقب (شيخ الإسلام)،(٢) دون ان يكلف نفسه عناء دراسة المرجعيات الفكرية التي كان يحتكم أليها شيخ الإسلام، أو في الأقل، دراسة العوامل السياسية والأجتماعية التي أملت عليه الأخذ بتلك الاراء المتشددة.(٣) ولعل من اللطيف أن نذكر، أن مؤلف الكتاب، قد تغاضى عن تمسكه بأراء شيخ الإسلام، في فقرة واحدة فقط، وهي حين عمد هذا الأخير، في معرض ذكره هفوات أهل التصوف على أن يبعد ساحة الشيخ عبد القادر عن كل هذه الهفوات، لا بل إنه عدّه من خيرة شيوخ التصوف الذين مثّلوا التيار الصوفي النزيه، وهو سبق أن أوردناه في بداية هذا البحث.

غير شروط المحبة الإلهية، يضع الشيخ عبد القادر، شروطا أخلاقية صعبة يجب توفرها في المريد السالك كي يستحق، عن جدارة، منزلة المحب، وكي يكون قلبه مفعما فقط، بحب الله عز وجل، ودون هذه الشروط، لا يكون العبد إلا دعيا مرائيا. أول هذه الشروط هو: أن لا يكون للمريد عينان ينظر بهما إلى غير محبوبه، ويتم له ذلك بأن يزيل من أمام عينيه كل ما سوى محبوبه، فالحب الحقيقي والخالص، إذا تمكن من قلب ما، فأنه يخرج منه حب غيره، بحيث يصير هذا الحب، يتشرب في جميع الأعضاء، ويشتغل به الظاهر والباطن على حد سواء، وبحيث يصير هو صورة العبد ومعناه، ويتمكن منه ويغمره حتى يهيئه لتقبل الصورة الجديدة والمعنى الجديد المغاير لمعناه الأول، فيخرجه عن العادة، وعن التمسك بالظاهر فقط من العبادات والرسوم، ويضعه في قلب التدين النابض بالأخلاص والحب والطاعة الحقيقية لله تعالى.

فأذا ما تم هذا للمريد، أحبه الله عز وجل، فأصبح مرادا بعد أن كان مريدا، وألقيت عنه أحمال طالما تُثقل كاهله، وفُتّحت أمامه أبواب طالما منعت دونه.(١)

---

(١) لمؤلفه: د. سعيد القحطاني – الرياض – ١٩٩٧م. وهو في الأصل رسالة دكتوراه صادرة عن جامعة أم القرى.

(٢) ويعني به أبن تيمية .

(٣) سعيد القحطاني – المصدر نفسه – ص٥٠٧ فما بعدها.

(١) الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٢٥٠.

فهذا الشرط الأول، يعني إذا: التحقيق بالأخلاص في العبادات والمعاملات وأنواع الطاعات ما ظهر منها وما بطن. والأخلاص الذي رأيناه فيما سبق، أنه يعد العامل الأساسي الذي ترتكز عليه بقية المقامات الصوفية، يعد هنا الشرط الأول الذي يستوجب قبل إدعاء الحب الإلهي الخالص.

الشرط الثاني، يدور حول ضمان صحة الحب الإلهي وهو: أن لا يقبل المحب بقلبه إلى غير محبوبه، فأن القلب إذا صدق في محبة الله تعالى، فأنه سيحجم عن الميل إلى كل ما يمكن أن يشترك مع ذلك الحب، والشيخ عبد القادر، يشبّه القلب في هده الحالة بالنبي موسى (عليه السلام) حين كان طفلا رضيعا فحُرّمت عليه كل المراضع إلا ما كان قد خصص له.(٢)

إن العبد لا يمكن أن يكون له أكثر من قلب واحد في جوفه، فأذا ما امتلأ هذا القلب بشاغل معين، فأنه لا يقبل معه أي شاغل آخر، فالقلب الذي أحب الخالق – والمعنى هنا موقوف حصرا على الحب الخالص – لا يمكنه بعد ذلك من أن يحب الخلق، ولا يمكن لقلب أفعم بهذا الحب أن تجتمع فيه الدنيا والآخرة، بل الأحرى بصاحب هذا القلب وهذا الحب، أن يبيع نفسه وكل ما يملكه من أجل نظرة من محبوبه أو نوال قربة منه، ولأجل هذه الغاية، يرى الشيخ عبد القادر، إن الذين يصدقون في عزائمهم، يسارعون بقطع المنازل النفسية، التي هي حجب ظلمانية، ويسرعون بطيّ مراحل الطريق من غير تلفت و(بعزم مجرد من جواذب الإرادات شوقا إلى رؤية المحبوب وولها بنيل المطلوب).(٣) ويمكننا أن نلمس في هذا الشرط، أنه يرتكز، إضافة إلى الأخلاص، على الصدق في التوجه إلى الله تعالى، فالصدق وحده هو الذي يحرم على القلب المحب التطلع إلى غير محبوبه، حتى ولو وجد عند هذا (الغير) ما يحب ويشتهي، في الوقت الذي لا يجد عند محبوبه، إلا المنع والجفاء.

إن هذا الشرط، يؤكد مرة أخرى، على أن الحب عند الشيخ عبد القادر، هو أول وأهم وآخر الدوافع التي تدفع العبد إلى تحمل مشقات السلوك الصوفي، وهو وحده الذي يمكن أن يبلغ بالمريد، إلى مرحلة الصفاء التام والقرب الأبدي، إذ إن من أحب الله تعالى، فهو حتما سوف لا ينظر إلى سواه، ومن ملك الطريق الله تعالى، وصل أليه، ومن وصل إلى الله

---

[٢] الجيلاني – جلاء الخاطر في كلام الشيخ عبد القادر – ص١٧. وهو هنا يشير إلى قوله تعالى: (وحرمنا عليه المراضع من قبل) القصص / ١٢.

[٣] الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن النوار – ص٢٨.

تعالى عاش في كنفه. ومن أشتاق إلى الله تعالى أنس به وترك الأغيار. فصفا وقته مع محبوبه.(١) وهكذا فبالحب وبالتحديد، الأخلاص والصدق في الحب. يسلك الطريق ويتحقق الوصول والفناء والبقاء بالله تعالى.

شرط المحبة الإلهية الثالث هو: مجافاة النوم. فقد كذب من أدعى محبته تعالى. ثم إذا جنّ عليه الليل، نام عنه. على أن هذا الأمر المجهد، لا يكون ألا في حق المحب، الذي يتدنى في الرتبة عن المحبوب، كتدني المريد في الرتبة عن المراد. إن المحب فقط هو المتعوب، وأما المحبوب فمستريح. المحب طالب والمحبوب مطلوب. غير أن المحب والمحبوب عند الشيخ عبد القادر، قد يتبادلان الأدوار، لأنهما ليسا في مقامات ثابتة، إذ يمكن للمحب أن يكون محبوبا، فيما لو طهّر قلبه من جميع أصناف السوى، بحيث أصبح لا بديل له عن مطلوبه ولا رجوع له عن حاله. أما مقتربان هذا الوصول فتبدأ من أدمان قلب العبد وجوارحه، ذكر الله تعالى، إبتداءً من قول (لا أله إلا الله) مع مرافقة الأخلاص والصدق، ثم أنتهاءً، بعد سلسلة طويلة من المجاهدات والرياضات، إلى فقد كل الأشياء وجميع الأغيار، قيمتها عنده، لأن من صحّ حبه لله تعالى، أستوى عنده الحجر والمدر والمدح والذم، والعافية والسقم والغنى والفقر، وإقبال الدنيا وأدبارها، فمن بلغ هذه الحالة، ماتت نفسه وسكن هواه، وأنخمدت نيران طبعه وذل شيطانه. وكان أقباله على الله تعالى تاما، وصار بقلبه دربا يجوز به في وسط الخلق، إلى الخالق.(٢) وكما نلاحظ، فأن الشيخ عبد القادر، لا ينثني يذكّر مريديه، حتى وهم في غمرة الحب، بالمجاهدات والأذكار وأنواع العبادات، وكأنه يريد أن يخبرهم بأنه لا مناص لهم عن ذلك، وأنه يُعد من الواهمين من ظنّ غير ذلك.

الشرط الرابع: هو أن لا يرضى المحب بغير لقاء محبوبه، لأن المحبين لا راحة لقلوبهم، ولو دخلوا ألف ألف جنّة، حتى يروا محبوبهم. هؤلاء المحبون، لا يريدون أي مخلوق، وإنما يريدون، فقط خالقهم، وهم لا يطلبون النعم، مع أفتقارهم أليها، وإنما يطلبون المنعم، يبغون الأصل لا الفرع. أنهم المحبون حقا، وهم كما يسميهم الشيخ عبد القادر، نزّاع العشائر، أي المنبوذون من الخلق والذين لا أنتماء لهم لقبيلة أو جماعة، والذين ضاقت بهم الأرض بما رحبت على غيرهم. إنهم في شغل جسيم يشغلهم عن الخلق وعن الدنيا الخلق، وعن جنتهم أرضا، إذ إن كل ذلك عندهم القيود والسجون، والدنيا بما فيها تعني لهم الهم والعذاب والحجب الظلمانية، وهم يفرون منها فرارهم من السباع الضارية.

---

(١) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٦٩.

(٢) الجيلاني – جلاء الخاطر في كلام الشيخ عبد القادر – ص١٨.

إن هذا الشرط، لا يعدو كونه دعوة إلى الأخذ بالزهد الكامل، الذي يعني في حقيقته، عدم الرضا بغير المطلوب الحقيقي، وعند كل الصوفية، فأن من رضي بالنعمة دون المنعم، فقد أحدث شرخا في صدق توجهه، ولابد من الأشارة هنا إلى أن الصوفية، إذ يزهدون في شهوات الدنيا ونعم الاخرة، فأن ذلك لا يعني أستغناءهم عن ذلك، ولكن يعني أنهم قد وضعوا نصب أعينهم، هدفا محددا لا يحيدون عنه، إلا وهو التقرب إلى المولى تعالى، وإلا فهم لا يسكنون إلى أي ملاذ قبل بلوغهم هذا الهدف، فأذا ما بلغوا مرادهم، فعندها سيتقبلون كل ما يأتيهم من الأقسام، ولكن تقبلهم هنا، سوف لا يكون مصحوبا بالأستلاب وغفلات القلوب.

الشرط الخامس: وهذا يمكن أن نسميه بشرط فناء الإرادات، فأن من أحب الحب الخالص أو حب الخواص، فسوف لا تبقى له إرادة، لأن قانون الحب الثابت ينص على أنه لا إرادة لمحب مع إرادة المحبوب،(١) وهذا (القانون) يعده الشيخ عبد القادر، من البدائة التي يسلم بها كل محب ذاق طعم المحبة، وهو هنا في موضوع الإرادة، يربط بين الحب والفناء، إذ لا يمكن في رأيه، أن نتخيل المحب إلا فانيا في محبوبه، كالعبد بين يدي سيده، العبد المطيع طبعا الذي لا يخالف سيده ولا يعارضه في شئ، أما من لم يبلغ هذه المرحلة ولم يشرب من هذا الكأس، فليسهو محب ولا محبوب، ولا ذاق طعم المحبة ولا ذاق طعم المحبوبية.(٢)

إن هذا الشرط، يفترض إضافة إلى ذوبان إرادة المحب في إرادة الحبيب، التحقق بمقام الرضا، ولنا أن ندرك أهمية الحب في الرقي الروحي، فيما لو علمنا بأن الرضا يفترض الصبر والشكر والتوكل، على أننا لو دققنا النظر في مضمون هذا الشرط، لوجدنا أن الشيخ عبد القادر، يعود فيه، مرة أخرى، إلى ربط الحب الإلهي بمعاني الطاعة والخضوع والتحقق بالعبودية المطلقة، ولكن هذه المعاني، هي غير تلك التي وجدناها في المستوى الأول من مستويات الحب، لأن الطاعة والخضوع والعبودية هنا، جاءت بعد طول مجاهدات ورياضات، فهي أصبحت إذن جزءا من السمات الروحية للمريد وليست مقصورة فقط على الطاعات والأوامر والنواهي.

---

(١) يقول الشيخ عبد القادر: أن معنى تلاشي إرادة المحب مع حضور إرادة الحبيب يعني أن لا يشتغل المحب عن محبوبه بدنيا ولا آخرة ولا خلق – أنظر – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٩٠.

(٢) الشيخ عبد القادر – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص١٩.

الشرط السادس: هو شرط عدم التملك، فالمحب لا مال له ولا ملكية وهو في معية محبوبه، وهذا الشرط يعد مكملا للشرط الذي سبقه، إذ إن من محيت إرادته، لا يقول حتما: هذا لي وهذا مالي وملكي، إن المحب لا مال له ولا عَرَض ولا خزانة ولا دار أضافةً إلى محبوبه. إن الكل عنده منذور لمراده ومحبوبه، وليس هو إلا مملوك وعبد بين يدي محبوبه، وإن شرع العبودية ينص على أن العبد وما ملك لمولاه.(١) وعلى أساس ذلك وصف الشيخ عبد القادر، المحب بالذليل، لأنه لا تطال يداه أي شكل من أشكال الغرة، والتي أولها حرية الإرادة والملكية. غير أن هذا الحب وما أرتبط به من أحمال الفقر والأذلال، هو في حقيقته حال، وليس من صفات الحال والدوام والثبات. فذلة أغلال الحب، ما هي إلا أمر مؤقت، وما تلبث أن تتحول إلى حرية وسيادة، ولا يتم ذلك إلا بعد أن يصح للمحب تسليمه للمحبوب، فيعود المحبوب بعد ذلك فيسلم له ما تسلمه منه وفوضه أليه. عند هذا الحد، تنقلب جميع الأمور، فيصير العبد حرا والذليل عزيزا والبعيد قريبا والمحب محبوبا، على أن هذا التحول والأنقلاب، لا يتم بيسر من غير مشقة، بل هو يحتاج، كغيره من أحوال الصوفية ومقاماتهم، إلى كثير من كاسات الصبر ومقادير الصدق، صبر على محبة الله عز وجل، وصدق في طلبه، فيلازم بابه ولا يغادر هربا من سهام آفاته أو يأسا من القرب والنوال. وتلك حال، يصفها الشيخ عبد القادر، بأنها حال خاصة جدا، لا يعرفها إلا من ذاقها وأحتسى كأسها وأكتوى بنارها. وهي حال (لا تجئ بالصفة – أي لا يمكن وصفها بدقة – لأنها من وراء معقول الخلق وفهمهم).(٢)

أن تأكيد هذا الشرط على عدم التملك، هو في حقيقته تأكيد على أزالة جميع علائق النفس بالأغيار، ومن ثم إزالة عوامل الأنانية والأثرة فيها، وهو ما تعارف الصوفية على تسميته بالتجرد الذي يعني التخلص من الصفات الرديئة. أن الصوفي يعلم بسريرته، أو من خلال مجاهداته، أن كل ما يلتحق بنفسه من هذه الصفات، أنما يحدث من جرّاء ألتصاقها بالدنيا وحاجاتها وشهواتها، وإن خير وسيلة للتنصل عن ذلك، تتمثل في إزالة هذه العلائق عنها، فالنفس في أصل فطرتها، تعد صافية نقية عالمة محبة لربها، ولكن ما يلتحق بها من جراء أرتباطها مع متطلبات الجسد وحاجاته، وذلك هو أصل النقص وفصله، وبناء على ما سبق، يمكننا أن نفهم من صوفية الإسلام، أن الزهد في الدنيا عندهم، يعد أمرا تكتيكيا أو مرحليا يجتاز به الصوفي عقبة ويقطع به طريق، ليحوز بعد ذلك على ما كان يريد وينتظر، فأذا ما تحقق له ذلك، فقد صار سيان لديه، أزهد أو لم يزهد.

---

(١) الشيخ عبد القادر – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص١٩.

(٢) الشيخ عبد القادر – المصدر نفسه – ص١٩.

الشرط السابع: ومع هذا الشرط، يعود الشيخ عبد القادر، مرة أخرى إلى تأكيد التمسك بالطاعات، لأن من كان محبا، فقد لزمت عليه الطاعة لمن أحب، وأنه لا يصدق من أدعى محبة الله تعالى إلا إذا أطاعه. أن محبة الله عز وجل لا يمكن أن تتمكن من قلب العبد، مالم يمتثل أولا إلى لأوامره تعالى، وينتهي عن نواهيه ويقنع بعطائه ويرضى بقضائه، ويذكره ذكرا صادقا متواصلا بالقلب واللسان وكل الجوارح وبالجهر والسر، ويرى السيخ عبد القادر، أن هذا الذكر الأخير، أي الذكر بالسر، هو الذي يصل بالمريد إلى حالة الفناء في ذكر محبوبه. فأذا ما وصل إلى هذه المنزلة من الحب والذكر، (باهى الله عز وجل به خلقه، وميزه عنهم بأحوال وأقوال عجيبة، لأنه حينئذٍ سيكون حق في حق، تفنى ذاته ولا يبقى في قلبه إلا الأول والأخر والظاهر والباطن).(١)

أن الذكر يوضع، عند الشيخ عبد القادر، جنبا إلى جنب، مع الطاعات والتمسك بالأوامر والنواهي، وهو تأكيد من جانبه على أن الطريق الصوفي إذا كان لا يمكن قطعه بغير واسطة الشرع، فأن طاعة الله تعالى، حق طاعته، لا يمكن أن تتحقق بغير ذكره وحبه، والذكر والحب هما من حيثيات التصوف، وعليه فلا وصول إلى الله تعالى بشريعة لا تتزيا بزي الطريقة.

الشرط الثامن: يتعلق بالتوحيد وعدم الشرك في المحبة إذ إن المحبوب في غرف المحبين لا يمكن أن يكون إلا واحدا والمحبة أحادية لا تقبل شريكا، ويكون دعيا من تظاهر بالحب، وإنشغل عن ضيفه المحبوب، أو أشرك غيره معه في قلبه، حتى وأن كان هذا الشريك مالا أو ولدا أو هوى أو رغبة، ولذلك تجد أن الذين صدقوا في محبتهم لله تعالى، رضوا به دون غيره وأستعانوا به وحده وأقتصروا عليه وأحجموا عن سواه، حتى صار الفقر عندهم في صحبته غنى، لا بل أن غناهم صار في فقرهم تجاهه، ونعيمهم صار في سقم أجسامهم وأنسهم في وحشتهم عن الخلائق، وقربهم في بعدهم عن غيره وراحتهم في تعبهم من الدنيا ويأسهم من صفوها ودوام نعيمها.(٢) إن ما يشير أليه هذا الشرط يعد مطمحا يسعى كل مريد سالك إلى بلوغه، إنه التوحيد الخالص، الذي لا يشوبه أي شكل من أشكال الشرك، مهما خفي أو دق، وأننا لو تمعّنا في معنى الحب الإلهي عند الصوفية بوجه عام، لوجدنا أنه لا يعني عندهم شيئا أخر سوى كونه توحيدا من نوع خاص، لا يتمكن منه إلا الخاصة من عباد الله تعالى، وهو توحيد يشمل القلب واللسان والخواطر والعقول وكل الجوارح في

(١) الجيلاني – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص٢٠.

(٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص١٤٣.

أن واحد، ولذلك نرى الشيخ عبد القادر قد ألحقه مع آخر شروط الحب، ليؤكد للآخرين، أن الحب الإلهي والتصوف بوجه عام، لا يعني شيئا أكثر من توحيد الله تعالى حق توحيده.

والشيخ عبد القادر، يلحق بالحب صفة لازمة من صفاته، وهي الغيرة.(١) والله تعالى وصف نفسه بأنه (الغيور) أي بمعنى أنه خلق العبد له، فلا ينبغي إذن أن تكون لغيره، فيما لو صدق في حبه، أنه إن لم يكن كذلك، وأحب شيئا من حظوظ الدنيا أو الاخرة، تشعبت محبته وأنتقصت وتجزأت وصارت موزعة بين الله تعالى وغيره، والله تعالى لايقبل الشريك، وهو الغيور القاهر فوق كل شئ الماحي لكل شئ، لذلك فأن على القلب المحب، أن يتطهر من جميع الشركاء من جميع الشركاء والأنداد واللذات والشهوات، وطلب الرئاسات والكرامات، بحيث لا يبقى له إرادة ولا مطلوب ولا أمنية (كالأناء المنثلم الذي لا يُضبط فيه مائع)(٢) فهو لا تتبلور في نفسه إرادة شئ من الأشياء، لأنه أنكسر بفعل محبة الله عز وجل وبحيث صار، كلما نجمت فيه إرادة ما، كسرتها محبة الله تعالى وغيرته، وهو ما يمكن أن نسميه بالحفظ الإلهي الذي هو وليد صدق العبد مع ربه وحبه له وتوكله عليه. فأذا ما بلغ العبد هذه المرحلة حقّه الله تعالى بأنوار العظمة والهيبة(٣) والجبروت، وضرب حوله، لأجل الحفظ، خنادق الكبرياء والسطوة، بحيث صار لا يمكن أن تخلص إلى قلبه إرادة شئ من الأشياء وحينئذ فقط، يمكن أن يطمئن القلب ويأمن ضرر الأسباب عليه، من الولد والأهل والأصحاب والأموال والكرامات، لا بل حتى الحكمة والعبادات، (لأن جميع ذلك يكون خارج القلب، فلا يغار الله عز وجل عليه، بل يكون جميع ذلك كرامة من الله تعالى لعبده ولطفا به ونعمة ورزقا ومنفعة للواردين أليه).(٤)

وهكذا يصل بنا الحب الإلهي إلى النتيجة نفسها التي وصل أليها المريد السالك عبر أجتيازه للمقامات الصوفية كلها، أن المحب لله تعالى، يصبح بهذا الحب عبدا حقيقيا لمولاه تعالى، ويدرك به فقره المطلق تجاه وحدانية وفردانية وألوهية وغنى الله عز وجل، ويدرك أيضا، أن كل الطرق مسدودة في وجه القاصدين للقرب من مولاهم، إلا طريق الإسلام والأيمان والأحسان، وهو الثلاثي الذي يشكل جماع القصد الديني، والذي ينحصر

---

(١) يعرّف الجرجاني الغيرة بأنها: كراهة شركة الغير في حقه. التعريفات – ص١٧٠ وأما الهروي فتعني عنده: سقوط الأحتمال ظنا والضيق عن الصبر نفاسةً. منازل السائرين – ص٩٠ – وأما الأنصاري فيعدها من لوازم المحبة، ويوصف بها المحب والمحبوب كل واحد منهما على نفسه وعلى حبيبه – مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب – ص٨٠.

(٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني – فتوح الغيب – ص٧٦.

(٣) الهيبة: وجود تعظيم في القلب يمنع من النظر إلى غير المحبوب وهذا المقام ذاتي للمحب لا يفارقه إلا أنه يشتد عند صفات الجلال. أنظر الأنصاري – المصدر نفسه – ص٧٩.

(٤) الشيخ عبد القادر – المصدر نفسه – ص٧٦.

قصد السلوك الصوفي في جزئه الأخير. القلب إذن، إذا أخلص وصدق في حبه لله تعالى، فسوف لا تضره بعد ذلك ألوان قطوف الحلال من شهوات الدنيا ولذاتها. لأنها بعد ذلك لا تمس قلبه بأي ظلمة أو حجاب، وهو من جهة أخرى، سيكون منارا يهتدي به بقية الخلق – الطالبين مطلبه – من ظلمة الطريق، إذ إن أكثر الناس حبا لله تعالى، هو بالتأكيد أكثرهم قربا منه وعلما به وبأحكامه وحدوده وشرائعه.

لقد تحمل مفهوم الحب الإلهي عند الصوفية، مفردات وعبارات وأشعارا كثيرة تشير إلى معاني: الوصال واللقاء ولبقرب والمعانقة، وكذلك الهجر والصد والجفوة والمنع، وهي معانٍ طالما أثارت حفيظة خصومهم من جهة، وحملت كلامهم، في هذا الشأن، غير ما يحتمله من الأشارات والدلالات التي أرادوها من الجهة الأخرى. والشيخ عبد القادر، من جهته، لم يتردد في الخوض في بحر هذه المعاني، لا بل أنه تميز عن معاصريه من الصوفية، برقة وعذوبة العبارات التي تناولت موضوع الحب، إلى درجة أنها شكلت لوحات بلاغية رائعة، يمكن أن تصلح للتداول بين العشاق في كل عصر.(١) ولكنه من الجانب الآخر، وتمشيا مع منهجه الصوفي، لم يغفل عن تذكير مريديه وتنبيههم على أن كل ما يرد في كلامه، مما سبقت الإشارة أليه من المعاني، غنما له تعلق بالقلوب دون الأبدان، وغنما القرب هو قرب القرب والوصول هو وصول القلوب. ولا يمكن لأي أمرءٍ ان يتصور غير ذلك مما قد تشير اليه مثل تلك العبارات .(١) على أن هذا التنبيه لا يقلل من شأن الحب الإلهي أو يشير إلى كونه وهما أو ضربا من الخيال أو أرهاصات شاعر، أنه فقط ينفي القرب الجسدي والمشاهدة العيانية، وأما ما عدى ذلك فالشيخ عبد القادر لا يطعن في وجوده الحقيقي المحسوس بالقدر الذي يمكن الطعن فيه بوجود الأشياء المحسوسة في العالم الأرضي. إن المحبة الإلهية ماهي في حقيقتها 'لا أمر واقعي ويقين ملموس، وهي ليست من قبيل الأقوال الشعرية المنمقة أو من قبيل المجاز أو الأدعاء المحض.

---

(١) أنهضوا إلى هذا الوصال فكلّ ملذذ بسماع نعمة منشد هذه النغمة، أو مضطرب من طيب ألحان مضطرب بشجو حنين مكتئب على الفور بسعادة هذا المنقلب، أو متبلبل بالهيام من الطرب بأصوات حادي إلى نادي هذا العز البادي، فأنما ذلك محرك بهذا القدر، يذكر روحه حلاوة النظر في مجلس وإذ أخذ ربك، أو يثير دفين سره إلى لذة سماع مابقي من مسموعه في حضرة ألست بربكم، عند تجريد الأرواح عن صورة الأشباح ويفردها بنعت توحدها في العالم النوري. فأن وجدت مشام روحك□□روح الأنس، يهب عليها من رياض ربيع الكرم عند ذكر الحبيب الأعظم، فذلك وارد من جناب الأبد، يذكرك إلتزام شرط بيعة المحب بحركات شمائل محاسن العهد القديم، فأضطرمت في سويداء القلب نار أسف المهجور لوحشة الأنقطاع، وتوقدت في صميم السر، جمرة حرقة المحبوب بفرقة الأحباب ، عبدالقادر الجيلاني– أنظر – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٤٤.

(١) الجيلاني – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص٢١

إن المحبة الإلهية حقيقة، ولها علامات دامغة لا يمكن أن تخطئها عين خبير، فهي في قلب المحب، كنار في بيت بلا باب ولا مفتاح ويخرج لهيبها من فوقه قهرا وأضطرارا (إن المحب يغلق باب محبته ويكتمها حتى تظهر عليه)(٢) فهو إذن لا يتظاهر بها أو يفتعلها، أنها تجربة روحية خارقة وقاهرة لا يخوضها المحب طائعا ولا يخرج منها مالكا لأمره أو إرادته، بل لا يخرج منها أصلا.

أنها تجربة روحية ينقلب فيها كيان الإنسان وتتغير معها طباعه وتتهذب صفاته وترق خصاله وسجاياه، والمحبة نحو أي موضوع توجهت، فأنها تبقى تجربة سامية ترتقي بالمستوى النفسي والخلقي والوجداني للمحب، بما لم يكن ليخطر له على بال، فأما إن كان موضوعها هو الذات الإلهية، فأنها لايمكن أن تحد أو تستوعب أو توصف إلا إذا أمكن أن تحد وتوصف التجربة الصوفية برمّتها، إذ لا فرق في النهاية بين الحب الإلهي و التجربة الصوفية العسيرة على الوصف.

إن المحبة الإلهية، هي عند الشيخ عبد القادر، موهبة ربانية وفضل إلهي، وبذرة تلقى في قلب العبد، وهو لا فضل له ولا لإرادته في غرسها أو أستجلابها، لا بل (ليس للعبد فيها كسب، ولا يصح وجودها في قلبه إلا بعد بروزها من جانب الغيب، على يد المشيئة، والعبد هنا ساقط الكسب ممحو السبب).(١) ومعنى هذا القول هو أن أي أمرئ إذا لم يجد في قلبه من لواعج الحب وزفراته شيئا، فليس عليه أن ينكرها عند غيره أو يستهجنها أو يكفّر القائل بها، أنها من مواهب الرحمن التي يختص بها من يشاء من عباده، وهذه العبارة الأخيرة تؤكد دون أدنى شك، أن الشيخ عبد القادر، يميل إلى وضع الحب الإلهي في خانة الأحوال الصوفية وليس في خانة المقامات، إنها ناتج تفرزه حركة المقامات التصاعدية، ولكن مع التأكيد أن هذه المقامات تهئ له ولا تحتم ظهوره، فالعبد مهما فعل فأنه لا يمكنه أن يتصف بصفة الحب، ولكنه من جهة أخرى، لا ينال مرتبة الحب، إلا إذا أعد له عُدّته، وهكذا هو ديدن الأحوال بوجه عام.

يصف الشيخ عبد القادر، المحبين لله تعالى، بخواص الناس ومختاريهم، إذ إنه تعالى إصطفاهم وميزهم وفضلهم بالمحبة على غيرهم، ثم نقلهم، بعد ما بث في قلوبهم محبته، من حال إلى حال، ومن غير سابق أشارة أو أنذار، حتى صاروا كأنهم في خلق جديد، لقد كانوا قبل أن يسري في عروقهم نسغ الحب الإلهي، نياما في مراقد العدم، رقودا في مهد

(٢) الجيلاني – المصدر نفسه – ص٢١.

(١) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٢٣.

الغيب، فتية في كهف الكرم، حتى أستخرج سابق القدر من أجزاء الطين ذرات ذواتهم، وأذهب غشها بنار الأصطفاء ونقش عليها صائغ الذهب في دار ضرب الأزل سطور (يحبهم) وقال عنهم وهم في طي العدم (ويحبونه).(٢) فهو، يعني إذن تعيين قديم وقدر نافذ، لا يملك الإنسان معه دفعا أو أستجلابا، وهو أمر الهي مسطور في اللوح المحفوظ منذ الأزل، ومثله في ذلك مثل النبوة والولاية، فكما أن الإنسان مهما تعبّد وأجتهد، لايمكنه من أن ينال درجة النبوة أو الولاية، فكذلك الحال هنا، فالعبد مهما فعل فأنه لا يبلغ درجة المحبين المحبوبين مالم يكن مثبتا أسمه في ديوانهم (القديم)، وما كان لم تكن روحه مفتونة بالجمال الإلهي في سابق عهدها، وقبل أت تسكن قصور الصور ويختلط صفاؤها بكدرها ويمتزج نورها بالظلمة العنصرية. لقد حلّت أرواح المحبين (محل الغريب في البلد النازح فأشتاقت إلى ما أشرقت به جناب القدم، وحنّت إلى ما أنست به في مواطن القدس، وطال عليها في الفوق والتحت، فأصبحت ذرات ذواتهم هباءً طائرا في فضاء الغرام، فلما خرجوا إلى سعة ميدان القرب، ألبست يد العناية كلا منهم ما قدّر له من مقدور القدر من خلع الحب وعقد لخواصهم في خلوة مجلس الأنس ألوية يحبونه ونصب لقدومهم أسرّة العز على ساحل بحر – وسارعوا – وأمر كاتب ديوان الأزل أن يسجل لهم السعادة الكبرى، وجعل ختم كتابه – والله يدعو إلى دار السلام – وعنوان خطابه – فأتبعوني يحببكم الله).(١)

فهل يبقى بعد هذا الكلام البالغ الوضوح، شك في تبني الشيخ عبد القادر، لعقيدة حياة الأرواح السابقة والقديمة والتي كانت فيها قريبة من تجليات أنوار الحضرة الإلهية، والتي كانت تتمتع فيها بدرجة عالية جدا من الصفاء والمعرفة ونفاذ البصيرة والتي تم فيها تقدير الأقدار وتقسيم الأقسام وتثبيت المنازل، ثم من بعد هذه الحياة (الهنيئة)، أُجبرت الأرواح على (الهبوط) وعلى أرتداء ثياب الطين وعلى التطبع بطبائعه من أشتهاء وجوع ورغبات هي ليست من تطلعاتها الأصيلة، فلحقها ما لحقها من عتمات الصدأ والتكدرات، فخفت نورها ونسيت حقيقتها، ثم أنها عند أول بادرة نور، أستعادت عشقها القديم وأشتاقت إلى لقاء يعيدها صفوها، فكان الحب وكان السلوك وكانت المقامات والأحوال، ولم يكن من وراء ذلك كله إلا أبتغاء وجه الله تعالى طلب مرضاته وتمني القرب منه.

---

(٢) الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٣٢.

(١) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٣٢.

على أن كون المحبة منّة ولطفا ألهيا وكون المحب (لا يطير إلى محبوبه إلا بنجاح الأصطفاء وأنه لا يتميز ولا يصطفى ولا يكرم، إلا من أختاره الله عز وجل).(٢) فأن هذا لا يلغي في نظر الشيخ عبد القادر، قصد المحبين وإرادتهم في تهيئة أنفسهم وأستصلاحها لجعلها مستعدة لأستقبال بذور المحبة الإلهية، وهو يستشهد هنا بسيرة النبي موسى (عليه السلام)، حين لاح له النور وهو في معرض النار – كناية عن تحقق اللقاء – فهو ما وصل إلى هذه الدرجة من القرب، إلا بعد أن جعل الغرام غريم سرّه والوجد نديم روحه والشوق سمير قلبه والتوق جليس فؤاده والهوى حشو صدره.(٣) ويمكن أن يتم ذلك للعبد، إذا ما لازم الأطراق، الذي يعني المواظبة على الذكر والمرابطة والتفكر في عظمة الخالق ومطالعة نعمه وعطاياه وفضله، وفي هذا أشارة إلى أسبقية المعرفة على الحب، وكون الحب ناتج عن المعرفة وليس العكس. ويتم أيضا بالأجتهاد بالتحقق بالعبودية التي تنبثق من مواصلة الترقي بالمجاهدات والمقامات والأحوال. ويتم أيضا عن طريق النظر إلى النفس بعين

النقص والتقصير، لأن من نظر إلى نقصانه كان له الكمال ومن نظر إلى كماله كان له النقصان، (أعكسوا تصيبوا)(١) والنقصان بكونه شعورا إذا ما تكرّس في النفس، فأنه سيزيد من إحساسها بالذل والأفتقار تجاه خالقها أولا، لأن ذلك هو أول وأهم أشراط الحب الصادق، وتجاه ذاتها ثانيا، لأن هذا الشعور، سيزيد من أقدامها على الرياضات والمجاهدات، ومن ثم يعجّل من بلوغها الغاية من الطريق.

إن إرادة وقصد العبد في سعيه إلى أكتساب درجة المحبة، تتجسد أمامنا بوضوح، في سلوك المحبين أنفسهم، فهم طالما عالجوا أنفسهم وروضوها بأن جعلوها تختار الله تعالى على خلقه، وبأن جعلوها ترى النعم التي عندها، منه تعالى لا من غيره، وبأن أجتهدوا في أن يتركوا الحرام والشبهة، لا بل أنهم إقتصروا من الحلال فقط، على الكفاف وعلى ما يقيم الأود، ثم هجروا النوم وأستغنوا عن الراحة، وساروا إلى الله تعالى بأقدام القلوب وأقدام الأسرار أقدام الإرادات وأقدام الهمم. وكل ذلك ينبع عندهم من منبعي الأخلاص وحسن الأدب مع الله تعالى والذي يعني عند الشيخ عبد القادر، أن لا يرى العبد من مصدر للنفع والضر أو الخير والشر إلا منه تعالى، وأن يغيب ويفنى عن كل ما سوله من الخلائق والأموال والنفس وهواها وإرادتها ومناها. ويعني حسن الأدب عنده، أن ينظر العبد إلى من ينظر أليه ربه – أي من يكون موضع نظر الله تعالى وهو القطب – ويقبل على من يقبل

---

(٢) الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٣٥.

(٣) الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٢٨.

(١) الجيلاني – جلاء الخاطر – ص٢١.

عليه، وأن يحب من يحبه ويستجيب لمن يدعوه ، وأن يوالي من يخرجه من ظلمات جهله وينجيه من هلكته ويغسله من أنجاسه وأوساخه وأوهامه الرديئة ومن نفسه الأمارة بالسوء وأقران الجهل وأخلاء الأوهام، الذين يقطعون عليه الطريق الحق ويحولون بينه وبين كل نفس وثمين وعزيز.(٢)

وهكذا فيمكننا أن نرى، أن حسن الأدب عند الشيخ عبد القادر، لا يعني أكثر من كونه الأنخراط في السلوك الصوفي، ولكن ليس أي سلوك، بل فقط ما كان منه مدعّما بأحكام الشريعة، وما كان مأخوذا من يد شيخ مرشد عارف مشهود له بالتقوى والصلاح والولاية. ويمكننا أن نرى، من خلال ما سبق، أن الشيخ عبد القادر، قد ظلّ متمسكا بحرصه على توخي الموازنة بين ما هو للقدر وبين ما هو من حصة القدرة الإنسانية، بين الأمر المحتوم وبين حرية الأختيار، فالعبد كما رأينا حتى وهو يجتهد في التحقق بالمحبة الإلهية ويسعى إلى نيل درجاتها، فأنه يعجز عن ذلك، لولا أن يدركه فضل من الله تعالى، وهذا الفضل بدوره، لا يؤتي أُكله ويثمر في قلب العبد، إلا بعهد أن يكون هذا العبد قد هيأ قلبه وأصلحه، بضروب العبادات والطاعات وبخلقي الأخلاص وحسن الأدب، على أن تكون كل هذه الأعمال مصبوغة بصبغة الصدق التي تميز أولياء الله تعالى من سواهم.

التصوف بريء كل البراءة مما يحاول إلصاقه به بعض الذين يدّعون أنه خمول وتواكل وسلبية، وترك للعمل...، إن التصوف هو وضع للدنيا في موضعها الصحيح!

(٢) الجيلاني – فتوح الغيب – ص١٤٤.

قبل الخوض في تفاصيل موضوع وحدة الشهود عند الشيخ عبد القادر، لابد من الأشارة أولا، إلى ضرورة التفريق بين مفهومي: وحدة الوجود ووحدة الشهود في الفكر الصوفي الإسلامي، فكثيرا ما يتم الخلط بينهما في أذهان الناس.

إن (وحدة الوجود) هي: نظرية صوفية ظهرت متأخرة نسبيا في تاريخ التصوف الإسلامي، وقد تجسدت بشكلها الواضح والمحرر عند إبن عربي (ت ٦٣٨هـ) ومن جاء بعده، وبناء هذه النظرية يقوم على أساس أن: لا موجود على الحقيقة إلا الله تعالى، فهو الموجود الأوحد في هذا الكون، وكل ما عداه، لا يمثل في حقيقته إلا أعيانا ممكنة موجودة بحكم التبعية، على أن كون الله تعالى، على وفق هذه النظرية، الوجود الأوحد، فأن ذلك لا يعني أنه قوة هائلة أو إرادة مسيطرة على الكون، كما هو الحال في الديانات القديمة، ولا يعني أنه معشوق الموجودات الأوحد، مثلما هو في فلسفة أرسطو، ولا يعني نور الأنوار مثلما تذهب إلى ذلك الديانات الثنوية والفلسفات الأشراقية. إن الذي يعنيه بالتحديد هو: أنه الحقيقة الوجودية المطلقة والواحدة والتي تظهر في صور متعددة، وهي كما يسميها إبن عربي (أعيان الممكنات) التي هي الموجودات المستمرة، أي لا تتناهى في الظهور. وعلى وفق هذه النظرية أيضا، فأن الوجود متضمن شيئين: الله تعالى أو الحق من جهة وهو ما يمثل الوجود الحقيقي، وما سوى الله تعالى أو الخلق من الجهة الأخرى وهو ما يمثل الوجود الممكن.(١) ولكن ذلك لا يعني القول بثنائية الحقيقة، بل العكس من ذلك، إذ إن من أخص خصائص هذه النظرية هو أيمانها بالحقيقة الوجودية الواحدة، وأما هذه الكثرة البادية للعيان فما هي إلا مظاهر وتعينات في تلك الحقيقة الواحدة، أي بمعنى أخر، أن الخلق الظاهر هو الحق الباطن وإن الذات الإلهية بما هي ذات لا يمكن معرفتها إلأ من خلال الأسماء والصفات، فالوجود المحض، أو الوجود بالذات، ليس له أسم ولا وصف من حيث هو كذلك، فأن ما خرج عن أطلاقه قليلا قليلا، وظهر في عالو الظواهر، ظهرت الأسماء والصفات منتشقة فيه، ومجموع هذه الصفات هو العالم الظاهر، وهو ظاهر، لأن به يظهر الحق في صورة خارجية.(١)

ويلزم عن القول بوحدة الوجود: أن كل وجود مهما كانت حقيقته وكل فكر وكل عمل، أنما هو في الحقيقة، لله تعالى، فالشر والقبح وكل النقائص والأشياء الدنيئة تنضوي تحت

---

(١) كامل مصطفى الشيبي – صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي – بيروت – ط/١ – ١٩٩٧ – ص١٦٧.

(١) نيكلسون – في التصوف الإسلامي وتاريخه – القاهرة – ١٩٤٧ – ص٨٦-٨٨.

هذه المقولة، وهذا ما تسبب في لأحراج مواقف القائلين بهذه النظرية. والحديث في هذا الموضوع يطول بما لا مجال له في هذا المبحث.

وهنالك أيضا ملاحظة أخيرة وهي إن كون هذه النظرية، هي نظرية في الوجود، أو رؤية وجودية، لا يلغي كونها ثمرة من ثمار السلوك الصوفي. فالصوفي السالك، بعد أن يتحقق بالتوحيد الخالص، وبع أن يتلبس قلبه بالمحبة الإلهية وبعد أن تتفتح بصيرته، يطلِّع على الحقيقة الكونية التي تتجسد في (وحدة الوجود). نعم إن هذه النظرية تستحصل عبر الإدراك، ولكنه إدراك قلبي ومعنوي وليس إدراكاً عيانياً أو عقلياً.

وحدة الشهود: تعني رؤية الحق بالحق. وبمعنى أخر تعني: رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وقد تطلق تسمية وحدة الشهود بإزاء رؤية الحق في الأشياء، وتطلق كذلك بإزاء حقيقة اليقين من غير شك.(٢)إذن فنحن مع وحدة الشهود أو حال المشاهدة، نبتعد عن التنظيرات والبناءات الفكرية، وندخل في الحيّز العملي والمعرفة الذوقية، وبالتحديد فنحن هنا نتحرك ضمن مساحة الأحوال الصوفية.

يرى القشيري، إن المشاهدة تعني الحضور. فالشاهد الحاضر. وإن كل ما هو حاضر في قلبك فهو شاهدك، وإن من حصل له مع مخلوق تعلق بالقلب، يقال أنه شاهده، يعني أنه حاضر في قلبه فأن المحبة توجب دوام ذكر المحبوب وإستيلائه عليه. وبعضهم تكلف في مراعاة هذا الاشتقاق فقال إنما سمي الشاهد من الشهادة، فكأنه إذا طالع شخصاً بوصف الجمال، فإن كانت بشريته ساقطة عنه ولم يشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من الحال ولا أثرت فيه صحبته بوجه فهو شاهد له على فناء نفسه، ومن أثر فيه ذلك فهو شاهد عليه في بقاء نفسه وقيامه بأحكام بشريته إما شاهد له أو شاهد عليه.(١) فالشهود هنا هو ناتج عن الفناء الذي ينتج عن المحبة، وهو حال اللازم عن كثرة ذكر المحبوب ودوام حضوره في القلب فالشهود هنا إذن، هو التتويج النهائي لثمرة السلوك الصوفي.

عند الطوسي، تعني المشاهدة أيضاً، المحاضرة، أو المداناة وزيادة القرب، وتعني أيضاً: القرب المقرون بعلم اليقين وحقائقه، وبالتأكيد، فإن علم اليقين وجقائق اليقين، لا تُستحصل إلا عن طريق المشاهدة، التي هي من أوصاف أوثق مصادر المعرفة.

---

(٢) الجرجاني – التعريفات –ص٢٩١.

(١) القشيري – الرسالة القشيرية – ص٢٩١.

والمشاهدة إذا وقعت بين الله تعالى وبين العبد، فأنها تفترض أن لا يبقى في سرّ العيد ولا في همه غير الله تعالى . أي أن تتم مشاهدة الله تعالى بكل شيء، ومشاهدة كل الكائنات به، ويكون المشاهد في هذه الحالة، غائباً شاهداً ، غائباً عن نفسه شاهداً لتجليات أنوار ربَّه .

ويرى الطوسي في النهاية، أن المشاهدة، هي حال رفيع، وهي من لوائح زيادات حقائق اليقين، وهي تقتضي حال اليقين.(٢) فأما كونها حالا رفيعا فذلك لأنها لا تنال إلا في خواتيم الطريق الصوفي وهي بالتأكيد لا تسطع إلا في القلب تيقن في كل آثار وتجليات وقدرات ربه، فوهبه ربه لأجل ذلك، حال اليقين.

أما الهجويري (ت ٤٦٥هـ) فيرى: أن مراد هذه الطائفة – أي الصوفية – من المشاهدة هو: الرؤية بالقلب، لأن المشاهد يرى الحق تعالى بالقلب في الخلا والملا وحقيقة المشاهدة عنده تنقسم على نوعين: نوع يأتي من صحة اليقين، والأخر من غلبة المحبة، لأنه حين يصل المحب في حال المحبة إلى درجة تصير معها كليته كلها حديث الحبيب، فأنه لا يرى سواه.(١) الصنف الأول يتجسد في قول بعضهم (ما رأيت شيئا قط إلا ورأيت الله فيه) أي بصحة اليقين. أنه يرى الفعل الإلهي وهو في رؤيته للفعل يرى الفاعل بعين السر ويرى الفعل بعين الرأس. فطريقه إذن أستدلالي يجعل من أثبات الدلائل سندا في رؤية الحقائق. الصنف الثاني يجسده قول الأخرين: (ما رأيت شيئا قط إلا الله). يعني بغلبة المحبة وغليان المشاهدة، حيث تسلبه المحبة من الكل، فيرى الكل فاعلا فطريقه إذن هو طريق جذبي أستلابي، لأن من عرف شيئا لأيهاب غيره، ومن أحب شيئا لا يطالع غيره، فالأحبة تركوا المنازعة مع الله تعالى والأعتراض عليه في أحكامه وأفعاله.(٢)

الهجويري إذن كسابقيه، يحصر المشاهدة في مجال فعاليات القلوب، وهي عنده لا تعني أبدا الرؤية العيانية، فأن هذه لا تتحقق إلا في الأخرة، على أن الملفت للنظر عنده هو تقسيمه المشاهدة على قسمين، قسم نظري أستدلالي، وهو ما يستند اليه أصحاب التصوف الأشراقي وقسم جذبي عملي، وهو ينجم عن الحب والأستغراق في ذكر المحبوب ولا يخفي الهجويري ميله إلى الشق الثاني منهما.

---

(٢) القشيري – المصدر نفسه – ص٧٤.

(١) الهجويري – كشف المحجوب – ترجمة د. إسعاد عبد الهادي قنديل – بيروت – ١٩٨٠ – ص٥٧٥.

(٢) الهجويري – كشف المحجوب – ص٥٧٦.

أما السهروردي صاحب كتاب (عوارف المعارف) فأنه لا يؤمن بحصول المشاهدة، إلا تلك التي تحصل بالسلوك العملي والتي تفترض التسليم المطلق والفناء الوجودي والحب الخالص. إن المشاهدة تعني عنده: أن لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه. وهذه المشاهدة، إن شئت سميتها إخلاصا أو توكلا أو فناءً، فكل هذه المعاني تنطبق عليها، أو تنضوي تحتها، فالمخلص والمتوكل والفني، من دون بقية العباد، من يشتمل باطنه على أنوار اليقين والمشاهدة، وهو وحده الذي يغيب في شهوده عن وجوده، وهذا ما يعده السهروردي ضربا من تجلي الذات لخواص المقربين الواصلين الذين لا يحجبهم عن الحق شئ، وبعد المشاهدة تأتي مرتبة الشهود وهي تعني: سريان النور المشاهدة في كلية العبد، حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه وحتى قالبه، وهو من أعلى رتب الوصول.(٣) إذ أنه لا يقتصر بحظى القلب وحده، بل يسري منه إلى كل كيان العبد المادي منه والروحي.

ومما سبق يمكننا أن نخلص إلى ما يأتي: أن وحدة الشهود أو حال المشاهدة، هي حالة شعورية يبلغها المريد في خواتيم مجاهداته ورياضاته الروحية، فهي ليست نظرية ولا عقيدة ولا دعوى فلسفية يمكن البرهنة عليها وأقناع الغير بها. أنها حال صوفي أو تجربة روحية، يعانيها السالك ويعيشها ويحسها، ثم بعد ذلك يحاول أن يشير أليها رمزا من أجل ألفات النظر الأخرين، أنها بمعنى أخر: وجدان صوفي تطوى فيه الحجب ما هو ألهي عن عين النفس، ثم تشرق فيه النفس ينور ربها، فيرى العبد من خلال ذلك: أن كل شئ في الوجود هو في الله تعالى، وأن الله تعالى يُشاهد في كل شئ، على أن هذا الحال لا يلغي الحدود الفاصلة بين ماهو ألهي وبين ماهو من عالم الخلق، فالله تعالى يبقى فوق كل شئ ويبقى مخالفا كلّ مخلوق. إذن فصاحب الشهود لا يقول إن الكل هو الله، كما يمكن أن يُفهم ذلك من صاحب (وحدة الوجود) بل إنه يقول: (إن لا مشهود على الحقيقة إلا الله عز وجل، وإنه – أي صاحب المشاهدة – لا يرى شيئا إلا ويرى الله تعالى معه).(١)

أن العبد لا يبلغ حال المشاهدة، إلا بعد أن يكون قد فنى عن كل شئ سوى الله تعالى وأصبح لا يشاهد في الوجود غيره، فيغيب عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات، ويغيب عن إرادته وحوله وقوته، ويتحقق بأن الإرادة الحقيقية هي إرادة الله تعالى فلا يشعر بعد ذلك إلا بفاعليته تعالى. وفي حال الشهود، يشهد العبد مالا يمكن التعبير عنه لجلاله والعجز عن حصره، ولأنه لا مقابل في لغة الكلام، على أن ذلك لا يقلل من حقيقة أن

(٣) السهروردي – عوارف المغارف – ص٥١٦-٥١٧.

(١) نيكلسون – في التصوف الإسلامي وتاريخه – ص١٣١.

الشهود هو اليقين عينه، لأنه يستحصل بمعاينة عيون القلوب وما كان مصدره المعاينة، فهو مما لا يتطرق اليك شك.

أن ما يراه الصوفي بعين قلبه في حال الشهود، يدل على أنه ادراك ذوقي ينبع من إحساسه بما يتجلى في قلبه من معاني الوحدة الإلهية، وكل ذلك يتم من خلال حال خاص يجلّ عن الوصف ويستعصي عن العبارة، على أننا وأستنادا إلى ما سبق، يمكن أن نشير إلى ملاحظتين مهمتين الأولى منها هي: إن أعتقاد الصوفية بوحدة الشهود، يعدّ بعيدا تماما عن أعتقاد غيرهم بعقيدة الحلول أو الأتحاد أو التجسيم أو حتى التعطيل، لأن كل هذه العقائد تنطلق من مقدمات فكرية، هي بالتأكيد غير معتقلات أصحاب وحدة الشهود، ولا يعني هذا القول أن هؤلاء الأخيرين موقفا مبيتا سواء في السلب أو في الأيجاب، من هذه الأعتقادات، ولكن يعني أن حالهم هذا، وبما أنه حال ذوقي تجريبي، فهذا أنه لايتقاطع أبدا وتلك المعتقدات. وأما الثانية فهي: أن الصوفي الذي يبلغ حال المشاهدة وينفذ إلى صميم الحقيقة المطلقة، فانيا عن نفسه وعن كل ما يحيط به من عوالم، فأن ذلك لا يلغي أنيته أو يضعه محو سلبية، كما قد يسبق إلى الأوهام، بل أن حضوره في هذا الحال، سيمنحه وجودا أستثنائيا وفائقا، وأن بقاءه بالله تعالى، سيشعره بنوع من الفاعلية، لا عهد له بها من قبل، فسيرى نفسه وكأنه منفّذ للإرادة الإلهية ومدبّر لكل ما يجري في الوجود، وسيرى نفسه – لقربه من الله تعالى وفناء إرادته في إرادته – وكأنه القطب الذي يدور حوله كل شئ.(١)

أن أهمية موضوع وحدة الشهود، في التصوف الإسلامي، وتأكيد متصوفة الإسلام عليه، بلا أستثناء تقريبا، يأتي من كونه يعد عندهم، تجسيدا مثاليا للهدف الصعب الذي يسعى كل مريد إلى بلوغه، وأعني به الوصول إلى أقصى درجات القرب من المولى تعالى، وأحساسا بهذا القرب إلى درجة التي يبتعد فيها الصوفي أبتعادا مطلقا، عن بقية الأشياء الأخرى، والتي تحسب ذاته من بينها، وأن هذا القرب الذي يمكن أن نسميه بـ (حقيقة التوحيد أو التوحيد الحق أو الألوهية المطلقة أو وحدة الشهود) لا ينال بطول تأمل أو تفكر أو بعد دراسة نظرية متعمقة، وإنما يتأتى الأحساس به، بعد أستعداد المريد له، بطول المجاهدات والرياضات والمكابدات التي يصارع فيها الصوفي أهواء نفسه ونوازعها الرديئة، والتي كانت تضرب حول قلبه وبصيرته، حجبا ظلمانية، تحول بينه وبين إدراك حقيقة الوجود المطلقة، أو بالأحرى الأحساس بها. إذن فوحدة الشهود بهذا المعنى، تعد أقرب (شئ) إلى

(١) أبو العلا عفيفي – التصوف الثورة الروحية في الإسلام – ص٦٤.

حال الفناء الوجودي الذي سبق الحديث عنه. وقد علمنا أن حال الفناء الوجودي عند الصوفية، لا يتم أو ينال، إلا بعد قطع جميع المراتب والمراحل والمقامات الصوفية، أي لا يتحقق إلا بعد زوال العلائق كافة التي تحول بين الإنسان وأدراك مبتغاه. فالفناء، على وفق هذه الآلية، يعد توحيدا حقيقيا أو فناءً شهوديا أو وحدة شهود.

من جانبه، أولى الشيخ عبد القادر، كثير عناية وأهتمام، بموضوع وحدة الشهود فقد قدّمه لطلابه ومريديه، بصيغة واضحة وقريبة من الأفهام. وفي القت نفسه وتمشيا مع منهجه المعتاد، منسجمة مع ظاهر الشرع الإسلامي، إلى الدرجة التي ربما لا يستطع معها أن يستهجنها العوام من غير أهل التصوف.

إنه يرى، أن المريد الذي يسعى لأن يكون صوفيا، أي يكون صافيا، من جميع أشكال الكدورات والشوائب، بحيث يصير كأنه (إناء مملوء ماءً صافيا تتبين فيه الأشياء).(١) فأن عليه أن يفنى عن نفسه وعن حظه، وأن لا يوجد إلا لمولاه وأمر مولاه، والصوفي وهو بهذه الحالة، لا يرى حتما غير ربه وأنوار ربه، وهذا هو الوصول الحق، وهو ثمرة المجاهدات وتحمل ألوان المشقات وترك الفضول والتمسك بالطاعات وأنواع العبادات. وحال الشهود هذا، يُعدّ من أرفع وأرقى الأحوال التي تطرق قلوب السالكين. وهو لذلك حال صعب وثقيل الوطأة، بحيث لا يحتمله إلا من أعد له عدّته التي يعرفها أهل الطريق، ولذلك فأنه، أي حال الشهود، لا يقذف في قلب المريد دفعة واحدة، بل يتم ذلك بشكل وعبر مراحل متصاعدة تبدأ أولا بالأرتقاء إلى مرتبة الأنس، الذي هو إنبساط المحب إلى المحبوب وإستيحاشه من الأكوان كلها، على أن حال الأنس هذا لابد من أن يصاحبه الأحساس بالهيبة والتعظيم من تجاه الحضرة الإلهية، وإلا فأنه قد يفضي إلى رفع الكلفة والتخلي عن الطاعات، وهو ما يقع فيه الكثير من قصيري النظر ممن لا يحتكمون إلى شيخ مرشد يدلهم على هفوات الطريق. ثم بعد ذلك تأتي مرتبة التوحيد، وليس أي توحيد، بل توحيد الخواص الذي يكون فيه العبد بسره ووجده وقلبه، كأنه قائم بين يدي الله عز وجل، تجري عليه تصاريف تدبيره، وتجري عليه أحكام قدرته في بحار توحيده، بالفناء عن نفسه وذهاب حسه بقيام الحق في مراده منه، فيكون كما كان قبل أن يكون،

---

(١) الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٧٢. وفي هذا المعنى ورد في أحدى مخطوطات الشيخ عبد القادر قوله الذي يتداخل فيه تفسير القرآن الكريم مع توارد الأفكار الصوفية، وهو أسلوب طالما أستخدمه في كتاباته، إذا لاحت لوامع أسرار الله، نور السماوات والأرض، على مشكواة الضمائر، فستتنور من تأثيرها زجاجة القلب. نور المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري، وتلمع بوارق كشوف يوقد من شجرة مباركة، من سرادقات غمام لا شرقية ولا غربية وتسرج قناديل فكرة يكاد زيتها يضئ. أنظر – الشيخ عبد القادر – خمسة عشر مكتوبا – مترجمة عن اللغة الفارسية – مخطوطة – تحت رقم – (٤٦٨٩).

يعني في جريان أحكام الله عليه وإنفاذ مشيئته فيه. فهذا التوحيد، هو وحده الذي يضمن تخليص قلب العبد وتصفيته من جميع أشكال الشرك الخفي والظاهر. فأذا ماتحقق العبد بهذه المرتبة، رُفعت عنه الحجب ورُفع إلى مرتبة الفردانية. فأذا كانت مرتبة التوحيد تنفي القلب من جميع الأغيار فأن مرتبة التفريد تعني تجرد العبد عن الأغراض فيما يفعله، بحيث لا يأتي بما يأتي به نظرا إلى الأغراض في الدنيا والآخرة، بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده، عبودية وأنقيادا ومن غير تلفت إلى نفس أو كسب. فأذا تم ذلك للعبد كشف لقلبه عن نوري الجلال والعظمة، فأذا ما طغت هذه الأنوار على القلب، وهي أنوار قاهرة لا تبقي ولا تذر شيئا على ساحة القلب، بقي العبد عندها، بلا هوية، فانيا عن نفسه وصفاته وعن حوله، وقوته وحركته وإرادته ومناه ودنياه وأخراه، لا يطلب أي شئ حتى ولو كان هذا الطلب هو الخلوة مع الله تعالى، لأن الخلوة للموجود، وهو غير موجود.

حينئذ فقط، يسمي المريد: صوفيا، (على معنى أنه يُصفى من التكدر بالخليقة والبريات).(١) وإذا كان قد مر بنا سابقا، أن المريد لا يسمى صوفيا إلا بعد أن يجتاز المراتب والمقامات كافة ثم يتحقق أخيرا بمقام البقاء في الله تعالى وهو الذي سماه الشيخ عبد القادر (الوجود الجديد) فأنه هنا أيضا، لا يكون صوفيا إلا بعد أن يتمكن منه حال المشاهدة، الذي هو نهاية المطاف في الأحوال الصوفية، ولعل بأستطاعتنا أن نلمس في هذا التدرج الروحي الصاعد، جانبا معرفيا، إذ عن طريق المشاهدة فقط، يمكن للمريد من أن يكتسب العلو اليقيني، الذي لا يتطرق أليه الشك، لأنه مستحصل عيانا وتجربة لا ظنا أو أستدلالا، ومن هذا العلم فقط، يمكن أن ينبثق الأيمان الراسخ الذي يخشى عليه من التقلب، الذي هو إيمان أولياء الله تعالى النابع من عين اليقين.

يعني الشهود، في أخص ما يعنيه، عند الشيخ عبد القادر، رؤية الحق بالحق.. أي رؤيته تعالى بقدرته ومشيئته هو، لا بأستطاعة العبد وإرادته إذ إن حقيقة الحق، لاتحد بأي حدود ولا تدرك بالأبصار، وعليه فأن المشاهدة هي منّة وفضل من الله تعالى، وهي لا يمكن تفسيرها أو الحديث عنها، أنها بكونها حالا صوفيا، تعد من قبيل الكرامات الإلهية التي يغدقها المولى تعالى على قلوب محبيه، وأن من أخص خصائص الكرامات هي: أن لا تطالها تفسيرات العقول ولا تهضمها الأن الأفهام. وهذه الرؤية قلبية لا رؤية مادية عيانية – لأن هذه لا تحقق إلا في الآخرة – رؤية بصيرة لا روية بصر، وهذه الرؤية تتم في الدنيا قبل

(١) الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٧٢.

الأخرة، لأنها في الأخرة تحصل لكل المؤمنين، وأما في الحياة الدنيا فأنها تعد ثمرة من ثمار المجاهدات والرياضات والأوراد الصوفية، وهذه الثمرة صعبة المنال، بحيث لا ينالها إلا النادر من الرجال، ممن تساقطت الحجب عن نفوسهم وقلوبهم وبصائرهم، وممن محيت مباينهم ولم تبق إلا معانيهم وممن تقطعت فيهم الأوصال وإنخلعت عنهم الأرباب، فلم يبق لهم سوى الحق عز وجل، وممن صاموا عن الكلام وعن الحركة وعن الفرح بأي مطلوب من مطلوبات الدنيا والأخرة، وعاهدوا ربهم على أن لا يفطروا إلا أذا صحت لهم هذه الحال – أي حال المشاهدة – لأنهم يعلمون يقينا أنها أن صحت لهم وتم الأمر في حقهم، فعندها فقط سينتضلون من رقّ الدنيا والعبودية للشهوات، ومن كل ما سوى الحق عز وجل في الجملة.(١) إذن فلا يمكن أن يطمع في بلوغ حال المشاهدة إلا من زهد في الدنيا وفي كل ما سوى ربه تعالى بحيث لم يبق أمامه إلا مطلب واحد، وهو: حب مولاه وطلب القرب منه، وأما ماعدى ذلك فهو أدعاء ورياء لا يطلب إلا للأستزادة من أراض الدنيا والطمع بما في أيدي الناس.

ويعني الشهود عنده أيضا: العماء عن الكونين، أي كون الدنيا وكون الأخرة، بعين الفؤاد، لأنها أهم من عين الرأس، إذ إن الإنسان يمكنه أن يأخذ ويعطي من أمور الدنيا الشئ الكثير، ومن دون ان يمس ذلك شغاف قلبه، وبالعكس من ذلك، يمكن للأنسان أن يمنع يديه ويغمض عينيه ويصوم عن كل شهوات الدنيا، ولكن من جانب أخر، ترى أن هذه الشهوات تعتمل في قلبه وتطلبها نفسه، وهو لا يمتلك حيال ذلك أية قدرة على السيطرة أو إرادة للتجرد، وهو حال أكثر عوام المؤمنين من غير أهل التصوف، فعماء عين الفؤاد، يعني أن لا يكون لها تلفت إلى أي أمر يق خارج خط سير العبد الحثيث إلى مولاه. ويعني الشهود أيضاً مطالعة الغيب وما يتضمنه من الأنوار بعين المعرفة التي هي اليقين، لأن أية مطالعة بغير المعرفة ستقتصر درجتها عن بلوغ اليقين، على أن هذه المطالعة، يجب أن لا يخالطها توهم إستدراك الشهود بالكلية، أي توهم الإحاطة بالحقيقة، وه توهم يطعن في عبودية الشاهد، و لايخالطها كذلك طمع في تصور الحقيقة أو تكييفها، لأن التصور والتكييف يفترض تحديد الذات الإلهية وتشبيهها وهو مما يتنافى والإعتقاد الصحيح. وأخيراً فإن مطالعة القلوب هذه التي تتم بصفاء اليقين، لا تتجاوز حدود ما أخبر الحق به تعالى من الغيوب، أي ما يتيحه الله تعالى للعبد ويعينه عليه، وهو معنى قول الشيخ عبد القادر، رؤية الحق بالحق.(٢)

---

(١) الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٢٢٣.

(٢) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٢٤

هذه الرؤية ما إكتسبت درجة علم اليقين، في الصدق والتحقق، إلا لإنها جمعت بين المعرفة والنظر. أي أنها إعتقاد مؤيد بأوكد سبل اليقين وهو النظر. أو أن هذه الرؤية، هي علم قبله القلب المؤمن، بيقين، فأكتسب المعرفة، ثم كشف له عن النظر فصار علماً يقيناً، وهو ما يجسده قول الشيخ عبد القادر: إذ أظهرت تباشير صبح نور التوحيد – أي توحيد الخواص الذي تتقطع معه جميع العلائق وتسقط جميع صور الأغبار – على القلوب من أفق مشارق: ((والصبح إذا تنفس)).(١) – أي بلوغ حال المشاهدة – وإستوت شموس عين اليقين على برج أفلاك: ((والشمس تجري لمستقر لها))(٢) – أي إكتساب المشاهدة درجة علم اليقين، أي المعرفة المصحوبة بالنظر – توارت ظلمات وجود البشرية في ضوء لمعان ((نورهم يسعى بين أيديهم))(٣) – وهو بلوغ مقام الفناء الوجودي - وظهر سر ((يولج الليل في النهار))(٤) – أي تحقق الوجود الجدي الذي تنبثق فيه الصفات الرّبانية الجديدة، من وسط ركام ظلمة الصفات البشرية القديمة -(٥) وهذه هي السيرة الصوفية الخاصة التي تبدأ من تباشير المشاهد، وتنتهي ببلوغ الحقيقة العظمى والوجود الفائق.

إذن، فلا صفاء و لاتصوف على الحقيقة إلا بعد حصول حال المشاهدة، فأمّا قبل ذلك فأنه مجرد إستعداد وتهيؤ ومقارعة لجذبات النفس والدنيا. أي أن سيرة السالكين قبل المشاهدة هي سيرة المريدين، وأمّا بعدها فهي سيرة المرادين المرفوع عنهم الجهد والعناء والمخففة عنهم أحمال وهولاء ما حص لهم هذا اللطف إلا لأنهم، بعد بلوغهم حال المشاهدة، وصلوا إلى مرحلة علم اليقين.

إن كل ما يتجلى وينكشف لقلب المريد، في المشاهدة، من أنوار الغيوب، ينقسم عند الشيخ عبد القادر، على أربعة أقسام: تجلي ذات و تجلي أسماء وتجلي صفات وتجلي أفعال، على أن هذه التجليات عنده، هي سبب إبتداء الخلق وهي سبب الحركة والإختلاف والتنوع الحاصل في الكون، وإن كل جزء في هذا الوجود، له نصيب من هذا التجلي وله سهم من أسرار أنواره، وعلى قدر هذا النصيب وهذا السهم، يقترب الكائن من حقيقة الوجود العظمى أو يبتعد، وإن كل معراج روحي، فإلى باب إسمه العالي إنتهاؤه، وكل سلم

(١) التكوير / ١٨

(٢) يس/٣٨

(٣) التحريم/٨

(٤) فاطر / ١٣

(٥) الجيلاني – خمسة عشر مكتوباً - مخطوطة

للصعود، فبأسمه عز وجل إبتداؤه، تجلى في أسمائه، وهو أول مراتب التجليات، فظهر التجلي في أفعاله، فكان الوجود، وأشرق في كل مكون بأشراق ذلك التجلي، وفصلته شواهد التفصيل في الوجودين- الوجود الظاهر والوجود الباطن – وظهر تباين حكم العدل في العالمين- عالم الغيب وعالم الشهادة، وإن لكل واحد من هذه العوالم، حكمه من العدل الخاص به - فبرزت الأسماء وتفرقت الصفات وإختلفت اللغات وتقابلت الأفعال وتنوعت الأنواع وتجانست الأجناس. ثم بعد ذلك يأتي دور الحفظ والهيمنة، إذ إن كل موجود هو بقهر العدل معتدل، وكل يوحده بما ظهر فيه من التجلي ويشير إليه بما أبطن فيه من أسرار أسمائه ويعرّفه بما تألف فيه من علمه في أزله من إيجاده به.(١) وقد لا نبالغ كثيراً إذا قلنا أن هذا القول يمثل إرهاصاً فكرياً لنظرية وحدة الوجود التي ظهرت بشكلها الواضح بعد الشيخ عبد القادر بمائة عام تقريباً، فهو يتضمن جميع الأسس الفكرية لتلك النظرية، ولعل في هذا التقارب إلفات نظر إلى أنه لا جديد في كل التجارب الصوفية، فهي متشابه في جميع خطواتها، وإنما الذي يختلف فيها فقط، هو تسليط الصوفي السالك للضوء على هذه الناحية من تجربته دون الأخرى، وبالتأكيد فأن هذا (التسليط) بدوره يحتكم للظروف السياسية والسلطوية السائدة في عصر صاحب التجربة.

إن التجلي، إذا كان مبتدؤه الذات، من غير إعتماد صفة من الصفات، سمي بتجلي الذات(٢) وأما إن كان مبتدؤه صفة من الصفات، من حيث تعينها وامتيازها من الذات، كان تجلي صفات، فأما إن كان المبتدأ فعلاً من الأفعال – أي من أفعاله تعالى – فإن الذي سينكشف لقلب السالك هو تجلي الأفعال، وأخيراً فإن تجلي الأسماء يقترب كثيراً من تجلي الصفات، لأن الأسم لا يتجلى إلا من خلال الصفة القريبة منه. على أن هذا التجلي الأخير، أي تجلي الأسماء، هو أخر ما يطرق قلب السالك من التجليات، حيث يقابل هذا السالك بنور أسمائه، مقابلة تملأ عليه كيانه ظاهراً وباطناً، فتُمحى عن ناظريه خطوط الأشكال كلها (٣) . فأذا ما ما بلغ السالك هذه الدرجة من المحو، يُكشف له عن بصره الداخلي فينظر الى نفسه وإلى ما سواه بنور إسمه تعالى المتجلي على قلبه، فيرى الكمال المطلق

---

(١) زين الدين السائح – الدّر الفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر – ص ١٤٢

(٢) يذكر الشيخ عبد القادر في هذا الصدد، أن أكثر العلماء ينكرون هذا النوع من التجلي ويقولون عنه لا يحصل إلا بواسطة صفة من الصفات، لكون الذات (بذاتها) لا يمكن أن تتمثل لبصيرة العبد دون الارتكاز على إسم أو صفة ما. والشيخ عبد القادر حين يذكر هذا التجلي من بين بقية التجليات، فأنه ضرورةً لايأخذ بهذا الاعتراض. – حول هذه المداخلة – أنظر زين الدين السائح – الدر الفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر – ص١٤٣.

(٣) السائح- الدر الفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر- ص١٤٣

ويصير يمشي بين الناس، بما أشهده ربه في أفاق الملكوت، فيصبح الي عند الناس ظناً عنده يقيناً وهذه أولى إمارات الشهود.

ويضرب لنا الشيخ عبد القادر مثلاً أخر لتجلي الأفعال فيقول: إذا تجلى الحق تعالى على قلب السالك، بفعل من أفعاله، ، نكشف لهذا القلب، جريان قدرته تعالى في الأشياء، فيرى انه هو تعالى على الحقيقة، المحرك والمسكن والماحي والمثبت، شهوداً حالياً لا يعرفه الا من أضاقه ذاقه وجربه. على أن يكون هذا الشهود (حالي) يدل على أنه، كباقي الاحوال، غير مستمر أو دائم الورود على قلب السلك من جهة، ولا قدرة للعبد على التحكم فيه، دفعاً أو إستجلاباً من جهة اخرى، إنه فيض من المواهب الألهية يغدقها على قلوب محبيه، وقت ما شاء وكيف ما شاء وعلى ما شاء . على أن هذا النوع من الشهود لا يخلو من بعض المخاطر التي يخشى على العبد فيها من مزلة الأقدام حيث يخشى عليه، فيما لو أطلع على حقيقة قدرته وارادته وفعله في الأشياء، أن ينفي الفعل عن العباد بالكلية.(١) وهذا الخطر، لا ينفع معه الحذر ولا الأستعداد، لانه نتعلق اصلاً بطريقة نظر الشاهد للأشياء، وإنه لا ينجي منه إلا الله تعالى ذاته، فهو وحده القادر على تثبيت الاقدام والقلوب، ولكن ليس جميعها، بل فقط منها ما ثبت على قدم الصدق ولأخلاص .

يضع الشيخ عبد القادر، للتجليات الالهية مراتب متتالية في الظهور، تبدأ أولاً بتجلي الأفعال ثم يليه تجلي الصفات ثم تجلي الأسماء (٣)، وهو يضع هذا الترتيب على وفق درجة التجريد المعرفي أولا ودرجة الرقي الروحي للسالك ثانياً، فالأفعال، هي اقرب الشواهد الألهية إلى النفس الأنسانية، أنها متغلغلة في كل مظاهر الأبداع والخلق، فلا يخلو امرُ، بما فيه النفس ذاتها، من اظهار فعل من افعاله تعالى، واما تجلي الصفات فانه يحتاج الى درجة اعلى من الاستعداد النفسي للشاهد، إذ إن الصفة تحتاج الى من يبحث عنها ويستدل عليها، ثم بعد ذلك ياتي تجلي الاسماء الذي يمكن أن يدق عن كثير من البصائر .

فاذا ما تناولنا النقطة التي بقيت معلقة فيما سبق، وهي التي تتناول شهود الذات وما يلتحق بها من إشكال عقلي أو ما يواجهها من إعتراض عقائدي . ولأجل أن يوضح الشيخ عبد القادر حقيقة هذه الشهود، فانه سيعمد الى توضيح بقية الانواع، كي يصل بالضرورة

---

(١) السائح- المصدر نفسه - ص١٤٣

(٢) الجيلاني- سير السلوك الى ملك الملوك – مخطوطة

المنطقية الى مبتغاه، فهو يذهب إبتدءً الى ان الذي يرى من العبد في حالة شهوده هو سره، والسر هو أخر المراتب التي يمكن للنفس ألانسانية أن ترتقي ألها، بعد أن تكون قد قطعت مراحل الرقي الروحي والمعرفي كافة وبعد أن تكون قد وصلت الى تخوم التوحيد الحق المتمثل بإخراج الدنيا والشهوات والخلق وجميع الأغيار من القلب، ثم الانسلاخ عن الطباع الرديئة والتحلي باضدادها، ثم التسليم لرب العزة والرضا به دون سواه، فاذا ما تلبس السر جميع ذلك، ثم بلغ مرحلة الشهود، ثم شهد ما يقوم بغيره ويحتجب الا بموصفها الذي هو الذات، والتي لا بد في شهودها من تواري طرف من أطرافها، لفقد شهود الذات مع ذلك الوصف الجاذب الى وجوب وجود غيره، أي الذات .ويحتجب بخلافه ، أي ما يخالفه من بقية الصفات ، ويستدل الشيخ عبد القادر على ذلك، بالشاهد الذي يشهد صفة الجمال فانه لا يقوى على الثبوت امام تجلي صفة الجلال ، فحال الجلال اشد طرقاً على النفس من حال الجمال ، إذ إن هذا الاخير يطرأ على النفس مصحوباً بالحبور ، أو ما يعرف عند الصوفية بحال البسط، بينما شهود الجلال يرافقه دائماً القبض(١) والهيبة، وكذلك الحال مع من أنس بحالي الكمال والبهاء، فأنه لا يثبت لبدوَّ شهودي العظمة والكبرياء، وفي هذه النقطة ينبه الشيخ عبد القادر على أنه: إذا ظهر وصف ما للشاهد، دون غبره من الاوصاف، فان هذه الاوصاف، في حقيقتها لا تنمحي عند ظهور غيرها، وانما فقط، تحتجب عن شهود الشاهد، لقهر الوصف البادي قوة شهود الوصف الخافي الذي يستتر في معناه، ((لأن معنى كل وصف قائم بوصفه، فاذا بدت قوى افعال معانيها اللازمةلموصوفها في عين الازل لأن معنى كل وصف قائم بوصفه، فاذا بدت قوى افعال معانيها اللازمةلموصوفها في عين الازل ستترت إستترت أثار بواديها في افعال معانيها، لتعالي الوحدة عن مجاورة التعدد، فهنالك التفت أطرافها المتفرقة في وصفٍ فردٍ ومعنى وترٍ يبدو مع وجود سواه، لأن السرّ قد شهد الصفات مع بقاء رسوم البشرية ، وإقتحم بحرها في سفينة من لحظ كونه ولمحة وجوده وجواذب منازعاته.(٢) أي أ، الشاهد، لو كان خالصاً في تجرده، صافي النفس.وغير متعلق بالاغيار ولا متلفت صوب انيته، فأنه سيثبت امام شهود الكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة،ومن دون ان يصدمه ذلك او يحيره، لأن هذا التعدد، هو حقيقة (حق اليقين) ومن اراد ان يبلغ هذه الحقيقة ، فأن عليه ان يفنى عن ذاته، كي تتفتح بصيرته وتصفو مراة قلبه، وإذن فلا وجود للمفارقة والاختلاف في عين الحقيقة ذاتها، وانما هذا يحصل في ذات الشاهد فقط، ولعل في هذا

---

(١) القبض والبسط: هما حالتان يبلغهما العبد بعد ترقيه على حالة الخوف والرجاء، والقبض العارف بمنزلة الخوف للمستانف والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستانف، والرجاء والخوف متعلقان بالمستقبل واما تعلق القبض والبسط ففي الوقت والحين الحاضر-القشيري- الرسالة القشيرية – ص٥٥

(٢) الشطنوفي – بهجة الاسرار ومعدن الانوار – ص١٢٠

النص الاخير تفسيراً لمشروعية الفناء وضرورته المعرفية عند الصوفية بوجه عام فأذا تحققت إستحالة حصول الشهود مع وجود الذات وعلائقها والنفس ومتطالبته. وإذا كان الطريق لا يقطع إلا بالشهود، لزم عن ذلك ضرورة سعي السالك للتخلص من تلك العلائق عن طريق الفناء .إذن فاتوقف عند شهود الصفات دون الذات، له علاقة بالمستوى الروحي الذي بلغه الشاهد، فهو إن لم يتجرد من علائقه على وجه التمام، فأن شهوده سيكزن محصوراً بشهود الصفات. ويخلص الشيخ عبد القادر من هذا القول إلى النتيجة الاتيه : أن الشهود بما أنه متعلق بالشاهد فأن ألله عزوجل لا يتجلى للعبد في صفتين – وذلك لارتباط العبد في لحظة الشهود يتلاءم، في وقته، مع صفة معينة دون بقية الصفات – ولا في صفة لعبدين – لا إستحالة تساوي عبدين في العلائق نفسها – ما دام الوقت (١) موجوداً . أما الشهود المطلق ، فأنه لا يكون الا عند تجريد الشهود من شهوده – أي الفناء عن الذات- وإنخلاعه إستتارات المركّبات ومتواريات المؤتلفات- أي الفناء عن جميع العلائق والاغيار ، أي التجرد – لفأنه بين كل مركبين مخالفة توجب التباساً وفي كل مؤتلفين تغايراً يورث إشتباها.(٣) وعليه فان الشيخ عبد القادر ، يبيح للسالك شهود الذات، فهذا الشهود، رغم صعوبة حصوله وندرته ممكن الحدوث.

ولشهود الصفات عند الشيخ عبد القادر، ثلاث علامات لازمة. لا يصح الشهود إلا بتوافرها وهي: أولاً: شهود البصيرة بقوة كانت لها قبل هذا الشهود، وهو ما يمكن أن نسميه بتهيئة الذات وجلي البصيرة عن طريق المجاهدات الصوفية. وهو ما يندرج تحت باب المقامات التي هي من كسب العبد وحاصل جهده.

ثانياً: الإستدلال بتعقل المشهود على كنهه بعد فقد شهوده، تميزاً له من خيلات النفس وأوهامها التي لا تطالها أفهام العقل ولا يعلق منها شيء يستدل به على يقينية الشهود وحقيقة المشهود. وهذا باب في غاية الأهمية بالنسبة إلى مشروعية حال المشاهدة، أو مشروعية الأحوال الصوفية بوجه عام لأنه يؤكد عدم فقد العبد عقله، ويؤكد حضور

---

(١) الوقت :إسم لطريق سالك يسير بين تمكن وتلون، لكنه إلى التمكن أميل، والوقت يطلق على من يسلك الحال ويلتفت الى العلم ، فالعلم يشغله في حين والحال يحمله في حين ، فبلاؤه بينهما يذيقه شهوداً طوراً ويريه غبرة تفرَّق طوراً – الهروي- منازل السائرين- ص١٠١ .

(٢) الشطنوفي – بهجة الاسرار ومعدن الانوار – ص٨٢ – وقد ورد في بعض ادعية الشيخ عبد القادر مما يصيب في هذا المعنى قوله: اللهم طهرنا من قاذورات البشرية وصنعنا بصفاء المحبة الصديقية ، من صداَّالغفلة ووهم الجهل، حتى تضمحل رسومنا بفناء الانانية ومباينة الطبيعية الانسانية في حضرة الجمع والتخلية والتحلي بالوهبة الاحدية والتجلي بالحقائق الصمدانية في شهود الوحدانية، حيث لا حيث ولا أين ولا كيف ويبقى الكل لله وبالله ومن الله والى الله ومع الله – الجيلاني- الصلوات الكبرى – مخطوطة.

إدراكه في حال شهوده، وفي هذا ردّ على من يرى في الشهود حالة فقدان للوعي وتغيب للعقل، وفي أحايين أخرى، حالات رؤى مرضية(هلوسات).

ثالثاً: شهود مشهودين مختلفين بشهود واحد في وصف واحد، للدلالة على أن المصدر لجميع الشهود واحد، وهو الذات الالهية المتعددة الصفات والمختلف المشاهد، على أن هذا الاختلاف يعود إلى ذات الشاهد وليس إلى حقيقة المشهود الذي يلتحق به الوصف الواحد.

فإذا ما إنتفت تلك العلامات التي ترافق الشهود الصحيح الذي هو شهود الصفات، ثم وقع الشهود، وشاهد السرّ موجوداً قائماً بنفسه بوجود مطلق، ليس له تعلق بصفة أو دلالة أو كيفية أو جهة، فذلك هو شهود الذات الذي لا بدَّ فيه من سقوط كل المشهودين لعدم التهيؤ في هذا الحال إلا لمشهود واحد وهو الذات الإلهية المخصوصة بالوحدانية والتفرد، والذي لا بدّ فيه من نفي تعلق اللحظ – أي عين السر وهي البصيرة – بالحين والوقت والأين(١) ، فهذه كلها حدود لا تطال الذات الإلهية المطلقة التي لا تحددها كيفية محددة والذي لا بدّ فيه من محو ثبوت الفرق(٢) والجمع والقرب(٣)والبين لرمق العين، لأنه تعالى ليس كمثله شيء و لايحدّه زمان ولا مكان، ويعني هذا الشرط، إضافةً إلى ضرورة إنسلاخ ذات الشاهد عن كل أسباب الاختلاف والتباين، عدم ثبوت شهود الذات بالبصيرة، لعدم مطابقة (الصورة) للكيفيات المعهودة في عالم الشهادة ومن هنا يأتي سرّ الغموض والترميز الذي يكتنف لغة أهل التصوف بوجه عام. ثم لا بدّ أيضاً من محق الشهود – أي محق شهود ذات الشاهد(لذاتها) تحقيقاً للشهود المحض – وزهق الوجود – الذي هو عالم الخلق والفناء ومجمع الأغيار التي تشوب التوحيد الحق – وإنفراد الشهود بوصف المشهود – أي توجهه لمطلق الذات دون سواها من المشهودات – وبروزه – أي الشاهد – في عين الأزل – قدراً واصطفاءً وتعيناً – لمقابلة الأزل بقوة من لم يزل – إذ لا حول ولا قوة على الشهود إلا به تعالى – عند سلب أوصاف الحدوث منه وخلوّه من معانيه وصفاً وحكماً وعيناً وحالاً – وهو معنى التفرد والتجرد وإستعداد الظاهر والباطن – وذلك لفناء وجود الشاهد والمشهود، ((فهنالك رجع أول كل كون إلى أخره، لمحق

---

(١) الأين : هو حالة تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان – الجرجاني – التعريفات – ص٢٢

(٢) الفرق : هو إشارة إلى خلق بلا حق وقيل مشاهدة معبودية. والفرق أيضاً هو ما نسب إليك والجمع هو ما سلب عنك. والفرق كسب للعبد من إقامة وظائف العبودية والجمع هو ما يأتي من قبل الحق من إبداء معاني وإبداء لطف. الجرجاني – التعريفات – ص٨٠

(٣) القرب – هو قرب العبد من الله تعالى بكل ما يعطيه السعادة، لا قرب الحق من العبد، لأنه قرب عام سواء أكان العبد سعيداً أم شقياً. الجرجاني – التعريفات – ص١٨٣

وصف القبلية في العدم ومحو نعت البعدية في الأبد، وأختفى كل بادٍ (من الأكوان) في ركن عدميته لهيبة سرمديته، فأنه تعالى لا يبقى إلا وجه بعد أن يهلك كل شيء))(١)

أما شروط صحة هذا الشهود فهي: أولاً : إنه وصف غير مستصحب من قبل وجوده – أي إنه يأتي مجرداً عن كل الدلائل والإشارات – فلا ترافقه علامات ولا تسبقه لوائح.(٢) ثانياً : غير باقٍ حكمه بعد تواري عينه، لعدم مجانسته مادة الخيال وملكة التصور فلا يمكن تشبيهه بشبيه ولا تمثيله بمثل. ثالثاً: غير منعقد به كنه ما شوهد به ولا مستدل به على حقيقته بعد إتصال الشاهد بطوره وإنفصاله عن هذا الوصف، لأن كنه المشاهدة كان قد تمَّ بالذوق الذي صاحب فناء أوصاف الشاهد، فإذا ما زال عنه الفناء، زال عنه الذوق وإنمحق الشهود.(٣) وبما أنه لا دوام لحال الفناء الوجودي عند الشاهد، لشدّ الواعز الطبيعي والخضوع لحكم الجبلة والخلقة، فإذن لا إستمرار لتوهج ملكة الذوق الشهوي، ومن ثم فلا دوام لحال الشهود. فيما عدا شهود الذات، فإن بقية أنواع الشهود عند الشيخ عبد القادر، أو ما ينكشف لبصائر الأولياء، مما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم، يقع على قسمين لا ثالث لهما وهما : شهود جلال وشهود جمال: فأما شهود الجلال الذي هو مما يلتحق بالعظمة الإلهية، فإنه يورث الخوف المطلق والوجل المزعج والمعلّة العظيمة على القلب مما يظهر أثره بوضوح في بقية الجوارح بحيث يبدو الشاهد أما الناس، في حالة فرق وإضطراب وترقب وعد إستقرار. وأمّا شهود الجمال، فهو التجلي لقلوب الشاهدين بالأنوار والسرور والألطاف والكلام اللذيذ والحديث الأنيس والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية والقرب منه تعالى(١)، وهذا الشهود، أي شهود الجمال،

(١) الشطنوفي – بهجت الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٢٠ والشيخ عبد القادر يستند بهذه العبارة إلى قوله تعالى: ((كل من عليها فانٍ، ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام)) الرحمن/ ٢٦-٢٧. وهو يمثِّل لهذا الشهود لحال نبي الله موسى (عليه السلام). فلقد غلب على قلبه هيمان العشق، وخرقت لذة التكليم منافذ سمعه حتى وصلت إلى بصره، فطلب البصر نصيبه من النظر ووافقه توق القلب، فقال: ((رب أرني أنظر إليك)). الأعراف/٧. قيل يا موسى أنظر أولاً إلى مرآة الجبل، فالتفت بعين سرّه إلى الطور فخرَّ صعقاً، قيل : يا موسى معدة طبعك ضعيفة عن تناول شراب التجلي وأنيق عينيك ضيق عن مقابلة أنوار سبحات : ((أرني أنظر إليك)) فإن عين الحدث لا تنفتح في شعاع شمس القدم. – الشطنوفي – بهجت الأسرار ومعدن الأنوار – ص٢٨. وتجدر الإشارة إلى أن الصوفية يرون في طلب نبي الله موسى (عليه السلام) (للرؤية) وعدم قدرته على إحتمالها، من الخصائص التي يفضله فيها النبي محمد (ﷺ) الذي قال تعالى في حقِّه: ((ولقد رآه نزلةً أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى)).النجم/ ١٣-١٧، وهو من ما يؤكد حدوث حالة (الرؤية) مع قدرته (ﷺ) على إحتمالها لرفعت مقامه وعلو منزلته عند ربه.

(٢) اللوائح : هي ما يلوح من الأسرار الظاهرة عند الارتقاء من حال إلى حال. الجرجاني – التعريفات – ص٢٩١.

(٣) الشطنوفي – بهجت الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٢٠.

(١) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٥٧.

هو من قبيل اللطف الإلهي والمنّة الربّانية. فهو يحصل تطميناً لقلوب المحبين المشتاقين، خشية أن يفتك بهم فرط المحبة وشدة الشوق إليه عز وجل.

والشهود بصورة كافةً،يعتمد عند الشيخ عبد القادر على ثلاثة أركان وهي:التوحيد الذي يعني تجريد الذات الألهية عن كل مايتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان. والتفريد الذي يعني أن لايرى العبد نفسه فيما يأتي به،بل يرى منة الله تعالى عليه،ثم التجريد الذي يعني تجرد العبد عن الأغراض فيما يفعله، بحيث لا يأتي بما يأتي به نظراً إلى الأغراض في الدنيا والآخرة،بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وإنقياداً. وهذه الأركان جميعها تصبّ في معنى واحد وهدف واحد وهو:تطويع السّر على عدم النظر الى غير المنعم،وهذا(الهدف) يصنفه الشيخ عبد القادر، بكونه نوعاً من أنواع شكر القلوب الذي يستحصل عن طريق الاعتكاف على بساط الشهود- أي دوام التطلع إلى مشاهدة تجليات الأنوار الإلهية مع التفكر فيها والغموض في معانيها وأسرارها- بإدامة حفظ الحرمة. وهذا شرط لازم على كل مريد سالك كي لا يخرجه القرب والأنس والتقلب في خلع الشهود، إلى فسحة إسقاط التكاليف والتنصل عن أداب العبودية وهيبت الربوبية، ثم بعد ذلك، الترقي بعد حضور هذه المشاهدة إلى الغيبة في رؤية المنعم عن رؤية النعمة التكاليف والتنصل عن أداب العبودية وهيبت الربوبية. ثم بعد ذلك، الترقي بعد حضور.

هذه المشاهدة إلى الغيبة في رؤية المنعم عن رؤية النعمة التكاليف والتنصل عن أداب العبودية وهيبت الربوبية. ثم بعد ذلك، الترقي بعد حضور هذه المشاهدة إلى الغيبة في رؤية المنعم عن رؤية النعمة(١) . وهو فحوى التوحيد الحق والتقرب الخالص الذي لا يتعلق بجلب نفع أو دفع ضر. وإنما يتعلق فقط بدوام التطلع إلى النظر إلى المحبوب ذاته والسعي إلى القرب منه.

إن الذي يعنيه الشيخ عبد القادر هو توحيد الخواص أو التوحيد الخاص الذي هو أمر داخلي ينبع من قلب المريد الصابر الذي يصبر على مجاهدة نفسه وذلك بالتزام الصمت حيال نوازعها وأهوائها، أي إنه لا خلاص من هذه النوازع وتلك الأهواء، لأنها مغروسة في أصل الطبيعة البشرية، وإنما الإشارة هنا فقط، إلى إخفاء سرّ المريد – والسر لا يسطع نوره ويبين سلطانه إلا في المراحل المتأخرة من السلوك الصوفي – لفحوى السرائر، بما

---

(١)الشطنوفي – بهجت الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٢٣

تشتمل عليه تلك السرائر من خواطر ونوازع وميول، على إن ذلك لا يحدث في كل الأوقات، إذ إن للحياة الطبيعية حصتها من طاقة المريد وفعله، وإنما يحدث فقط، عند ورود الحضرة، ومجاوزة القلب منتهى مقامات الأفكار أي إلى المستوى الذي تعجز فيه هذه الأفكار، عن الإحاطة بالموضوع المفكر فيه، ويتم ذلك حين يرتقي سرّ الشاهد فوق أعلى درجات الوصال ومنازل أسرار التعظيم، و لا أعلى من أعلى درجات الوصال، ولا أرفع من أرفع منازل أسرار التعظيم إلا الفناء الوجودي الذي يفضي إلى شهوة الذات والذي يثمر تحقق وحدة الشهود

فإذا ما بلغ السرّ هذه المنزلة ، فليس عليه التوقف، بل لابدّ له (ﷺ) أن يتخطى ذلك بإعتياد التقرب بأقدام التجريد، أي التخلص من جميع اشكال العلائق الحاجبة عن مطالعة أنوار الشهود ورقيه إلى التداني بسعي التفريد، أي بعدم النظر إلى غيره بما في ذلك النظر إلى شهود الشهود، وكل ذلك يكون مصحوباً، في قلب المريد، بتلاشي الكونين، أي الدنيا والأخرة، وتعطل الملكين، أي ملك الظاهر وملك الباطن، وخلع النعلين، أي التخلص من سلطان غرائز النفس وأهوائها، وإقتباس النورين إي نور الحقيقة ونور الشريعة، وفناء العالمين، وهما عالما الغيب والشهادة، وكل ذلك يتم تحت لمعان بروق الكشف الذي لايبقي نوره ولا يذر، إلا ما كان حقيقياً وصادقاً وخالصاً لله تعالى. والبروق هنا يدلّ على أن الشهود هو من قبيل الاحوال التي لا تنال بالمكاسب بل تستحصل بالمواهب، ولا تؤخذ بالوسائل بل تعطى بالسوابق، أي بما سبق من رحمة الله ومنته وفضله. فالمشاهدة التي هي عبارة عن الرؤية ببصائر الأسرار، ((تخرج تواقيع مقاماتها من ديوان يختص برحمته من يشاء، فيا أيها المريد الصادق الشوّاق التوّاق، فأستقم على جادة الصدق حتى يأتيك اليقين، وتّنقل إن شاء الله تعالى إلى دار الصادقين، فتنظر إلى مطلوبك وتأخذ نصيبك من رؤية محبوبك)).(١)

ولكن لا بدّ من الإشارة هنا إلى أن تأكيد الشيخ عبد القادر على أن الشهود كله هو من قبيل الهبة الربانية المحضة، وإنه لا يأتي بإرادة بشرية سابقة على حصوله، ويشمل العطاء فقط و لا يشمل إستعداد العبد لتلقي هذا العطاء، فأن هذا الفعل الأخير يُعدّ كسباً ذاتياً خالصاً للمريد، الذي لا بدّ من أن يستعد ويتهيأ من خلاله، ثم بعد ذلك ينتظر فضل ربه تعالى، والمريد هنا مثله مثل العبد الذي يريد أن يجعل من قلبه عرشاً للرحمن، فهو يهئ هذا العرش بالإذكار والعبادات والطاعات والتفكر في ملكوت الله تعالى ومطالعة

(١) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٢٨

عظمته وقدرته، وهذه كلها من فعله الخالص الذي هو كسب له، أو ما يلي ذلك من فضله تعالى على عبده، إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل.

وتمييزاً لتوحيد الشهود من غيره من أنواع التوحيد الأخرى، يضرب لنا الشيخ عبد القادر مثلاً هو من صميم الفعل الصوفي، إذ إنه يتعلق بأذكار المريدين وأورادهم. يقول الشيخ عبد القادر: إن أغلب المريدين يؤدّون أذكارهم باللسان فقط، ومن دون أن يرافق ذلك ذكر القلب، الذي يعني في أخصّ ما يعنيه حضور القلب الكلي في حضرة الذكر والتمعّن في مشارق أنواره. إن أغلب المريدين المبتدئين، يذكرون ورد التوحيد: (لا إله إلا الله)(٢) من غير أن يلتذّوا بمعناه، لأن توحيدهم في هذه المرحلة يعدّ توحيد أفعال، أي أنهم يرون فعله تعالى ظاهراً في خلقه وفي عظيم صنعته، أما توحيد الشهود، الذي يتم من خلاله إدراك المعنى العميق لذكر (لا إله إلا الله) فأنه لا يُنال إلا بعد أن تنجلي عن قلب المريد الحجب الظلمانية الحاصلة من تراكم الذنوب الماضية، وهذه الحجب لا تنقشع إلا بالمواظبة على هذه الإذكار وهكذا، أما بعد أن تشرق الأنوار وتُزال تلك الظلمات عن أعين البصائروالأسرار، فسيشاهد المريد بعين اليقين: ((أن لا محرك ولا مسكّن و لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع إلا الله عز وجل شهود ذوق وحال، لا شهود إعتقاد وقال)).(٣) أي شهود معرفة يقينية لا شهود علم ظنيّ. على أنه لا يذوق هذا الحال إلا من له ذائقة قلبية، و لا يمتلك هذه الذائقة إلا من استعدَّ لها وسعى لهلا سعيها، بأن ((هجر الفرحة – أي الفرحة المتعلقة بعطايا الدنيا وملذاتها – وحمل الأحمال على كاهله، وعلم يقيناً : أن لا قرار لعيونه ولا سلوة لمصابه، حتى يلاقي ربّه عز وجل في الدنيا قبل الأخرة، وعندها يجيئه الهناء والفرح، أمّا قبل هذا فمصيبته دائمة)).(١) وهنا يعود الشيخ عبد القادر ليؤكد لنا من جديد: أن الغاية الحقيقية من كل فعّاليات التجربة الصوفية هي ملاقاة العبد ربَّه تعالى، وهي الملاقاة التي علمنا أنها لا تتم إلا بعد التحلي بأخلاق الإستقامة والصلاح، ولا تدوم مصيبة المريد ويتواصل عليه العناء إلا بعد فهمه لتلك المعادلة.

وبعد التوحيد، يتم التحقق بحال التفريد، وهو إشارة من المفرد – وهو الله تعالى – إلى الفرد – وهو الشاهد أي أنه أمر خارجي يُلقى في قلب الشاهد، عن تفرده – أي الشاهد – عن الكونين وتعرّيه عن الملكين وإنخلاعه عن وصف وجوده وحكم ذاته، وكل ذلك تهيؤ

---

(٢) ذكر (لا إله إلا الله) هو الورد الأول من بين الأوراد التي وضعها الشيخ عبد القادر لمريديه، وهو لا يزال معمولاً به وعلى نفس هذا الترتيب حتى الوقت الحاضر.

(٣) الجيلاني – سير السلوك إلى ملك الملوك - مخطوطة

(١) الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص١٢٧

وإستعداد، لمطالعة ما يرد على سرِّه من الخواطر من لد الحق تعالى، تحرياً لتصحيح التفريد وطلباً لصدقه في وصفه حال الشهود، وذلك أن صفة الفردية، التي لها تعلق بالذات الإلهية، تقتضي إشارة منفردة، غير متعلقة بجهة أو كيفية، فيصعد السالك، معتصماً بتلك الإشارة، إلى نفسه التي يُفترض أنها قد إستعدت لهذا الحال وصفت مرآتها لعكس أنوار صورته.

فأمّا إذا ما قدح في هذا المعنى غيب سبب، له تعلق بأحكام الحظوظ والأقسام والأقدار أو علة كدر، لها تعلق بالطبائع والأهواء والعلائق، إنفصل العبد عن معتصمه، أي حال التفريد عن متمسكه الذي هو إشارة الفردية، ورجعت الإشارة القهقري إلى البشر، أي غادرت حال التفريد وعادت إلى الطبيعة ذات العلائق المتعددة، ((وإحتجبت عن مطالعة الحق وقت هيجان شوق الأرواح، عند تلميع برق الشفقة عن حجب طور البشرية، وصفة الفردانية عليه من وصول إشارات التمويه ونيل معاني الأرواح ووصف أعداد الأفراد)).(٢) أي أنه لا يمنع العبد عن التحقق بحال التفريد إلا سببان: أحدهما رباني له علاقة بالأقسام والاخر بشري له علاقة بدرجة صفاء أو كدر النفس، الأول يلتحق بالأحوال والثاني يلتحق بالمقامات.

أما التجريد، فهو يعني: تجريد السرّ عن التدبر بثبات السكون عن طلب المحبوب، لأن الثبات على هذا السكون يعني عدم الصدق في طلب المحبوب والشوق إليه، ثم تعرّي السرّ عن التزمل بلباس الطمأنينة على مفارقة المحدود والرجوع من الخلق إلى الخالق منيباً(١) ، أي أن التجريد يفترض عدم الإطمئنان للوصول، ودوام المراقبة للنفس، وأما الإنابة فأنها تفترض الرجوع إلى الأصل، إذ إن اللجوء إلى الخالق، هو حقيقة الإنسان وهدف حياته. التجريد إذن، يعني إضافةً إلى تخليص النفس من علائقها وأفاتها وثم تهيئتها لحالة الشهود، إدامة هذا التخليص والاستزادة منه، وعدم الركون إلى ما تحقق منه.

وتطبيقاً لما أورده الشيخ عبد القادر من أراء تخص وحدة الشهود، فأنه يستشهد بحال شهود الشيخين: أبي يزيد البسطامي (ت – ٢٦١هـ) والحسين بن منصور الحلاّج (ت – ٣٠٩هـ). على أننا لو إستحضرنا الحيثيات السياسية والإجتماعية والفكرية للعصر الذي عاش في كنفه الشيخ عبد القادر، وهو العصر الذي كان الموقف الصوفي فيه لا يخلو من

---

(٢) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٢١

(١) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٢١

حساسية وحرج ملحوظ. لأستطعنا أن نقدِّر مدى جرأة وشجاعة الشيخ عبد القادر، في الأقل، في تبنّيه آراءَ هذين الشيخين اللذين طالما عرضا على معارض المروق والإتهام.

لقد وضع الشيخ عبد القادر، آراء هذين (الشيخين) على محك بنائه النظري الذي علمنا فيما سبق، أنه يجمع بين نوري الشريعة والحقيقة. فتقبل منهما الكثير من الآراء والشطحات، بعد أن أزال عنها الكثير من الغموض واللبس، ولكنه في الوقت نفسه، أخذهما بقصور الحال عن بلوغ درجات الحب والقرب، وكذلك الجهر بالسرّ الذي لا ينمّ إلا عن عدم الدراية الكافية.

يقول الشيخ عبد القادر عن أبي يزيد البسطامي: أنه قد دلّ بتصريحه على محبته ولا أنبأ عن عشق، مقام المحبة يقصر مقام العشق، ومع العشق لا يجد العاشق مجالاً للإفصاح عن مشاهداته. لقد وقع على البسطامي غبار تعب الطريق وذلك بعد تحكمه في غايات درجات النهايات، أي درجات القرب، فقال: سبحاني شكراً للوصول وبلسان التوحيد، وأما بنعمة ربّك فحدِّث))(١) وذلك بعد أن طاب منزله، أي المنزلة التي بلغها في قربه من الحضرة الإلهية، وإخضرَّ مرتعه، وقد ضربت نوبته في القرب، بيد القدرة التي سبقت بها العناية. في ذلك الفناء (الشهودي) ونصبت سرادقات المشاهدة بسابق العناية. في ذلك الحمى المحرم على غير أهله، فصار له لسانان ينطقان ونوران يشرقان، لسان ينطق بطرب التمجيد ولسان ينطق بحقائق التوحيد، الأول يخصّ الشاهد وهو غارق في بحر فنائه، والثاني له تعلق بالشهود وحقائق المشهود، فترنمَّ لسان طرب تمجيده فقال: ما نظرت إلى شيء، إلا رأيت الله قبله، فأجاب لسان حقائق توحيده: سبحاني. فصاح نور الوجدان، أي لسان سرّ الشاهد: أن القرب أفناني ثم أحياني، ونادى نور الوصل، الذي هو حقيقة الشهود: أنا الحق، أبقاني، وهو البقاء الجديد الذي يعقب الفناء، ثم رقّاني، من ثقل البشرية إلى مصافي القرب والوصول، فسبحاني لديّاني ورحماني.(٢) وهذه العبارة الأخيرة تنمّ عن أعلى درجات الوصول، فهي تشير إلى توحد اللسانين لسان الشاهد ولسان حقائق الشهود، بحيث إن العبارة ذاتها تنبيء عن التوحيد والتمجيد في الوقت نفسه.

لقد أزال الشيخ عبد القادر الكثير من اللبس والغموض بتسليطه الضوء على لسانيْ حال البسطامي، وكشفه في داخل عبارته التي جهر بها عن منطقين مختلفين ولسانين متغايرين، أولهما: لسان حال الشاهد الذي طرب فرحاً بالقرب والوصول، والثاني: لسان

---

(١) الضحى /١١

(٢) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٢١

التوحيد الذي نطق عن حقيقة الشهود، وكونه متعلقاً بالذات الإلهية (موضع الشهود) مع فناء الشاهد وغيبته، وذلك لشدة حبِّه وقربه، عن مشهد عبوديته. وهذا ما لم يفهمه المحجوبون.

وأما الحلاّج، فأن مصيبته أعظم، وأمره قد بلغ إلى درجةٍ من الخطورة، أنه أودى بحياته وأهدر حرمته،فلقد أعدم أمام أعين الناس بسهام الشريعة وتحت مظلّة الدين، وبصبرٍ بيّن وتقبّل ملحوظ من قبله. وكل ذلك حصل، في نظر الشيخ عبد القادر لسببين، الأول غفلته عن حكم البشرية وإستغراقه التام في بحر الشهود. والثاني جهره بالسر الكنون وإفصاحه عن غير المباح الإفصاح عنه.

يقول الشيخ عبد القادر عن الحلاّج: أنه بعد أن قطع طريق العشق، وهذا يعني أنه في هذه النقطة قد تفوق على صاحبه، وأخذ من جوهرة سرّ المحبة، ألتي قُدَّت من معدن الإتحاد الشهودي وأودعها في أخفى مكامن خزانة قلبه وهو سرّ السرّ وعين البصيرة، مشيراً لحاله بالغيبة والاستغراب فلما قابل بصر بصيرته شعاع نور جمالها أي جمال جوهرة سرّ المحبة عمي عن النظر إلى الموجودات، وهذا هو موضع ذنبه الأول فظنَّ خلو المكان من الأعيان. إشارة إلى تمكن حال الشهود منه وليس تمكنه هو من هذا الحال. فأعترف بالأخذ وهذا هو موضع ذنبه الثاني فأستحق قطع اليد والقتل، فأما قطع اليد، فهو لإدعاءه ما لا يعطيه إياه ظاهر الشرع وحكم العقل وإما القتل فلإفشائه موضع السرّ.

وفي كل المواضع الذي ذكر فيها الشيخ عبد القادر الحلاّج فأنه لم يذكر قاتليه بسوء ولم يعدّ قتله إلا أمراً محتوماً إستوجبته ضرورات الطريق إذ إن من ملك تلك الجوهرة أي حقيقة الشهود وطالع أنوار الغيب، فإنه لا يقنع إلا بأوفى درجات المحبة، وهي درجة الفناء في المحبوب، أو الفناء الوجودي الذي إن تحقق في الظاهر، فإنه يعني الموت. ولذا فإن الحلاّج لما وصل إلى باب القرب وطرقه نودي: يا حلاّج لا يدخل هذا الباب إلا من تجرد عن الصفات البشرية وفنى عن السمات الأدمية، فمات حباً وذاب عشقاً، وسلم روحه لدى الباب وجاد بنفسه عند الحجاب، فوقف في مقام الدهشة على أقدام الحيرة، فلما أخرسه الفناء بعد إزالته لسلطان العقل، أنطقه السكر، وهو لسان الوجدان، طرباً فقال: أنا الحق، فأجابه حاجب الهيبة: اليوم قطع وقتل، وغداً قرب ووصل.(١) إذن فقتل الحلاّج كان قدراً محتوماً ومرحلةً ضرورية من مراحل تمام الأمر وكمال الخطة وقطع الطريق

---

(١) الشطنوفي – بهجت الأسرار ومعدن الأنوار – ص ١٢١

والفوز بالقرب الحقيقي وأما ما قاله وصرح به قبل تنفيذ الحكم فهو من قبيل لسان الحال الذي لا يمكن قياسه بإحكام ظاهر الشرع، لأن النفس فيه قد تهلك عن وجودها وغرقت في بحر المشاهدة والسكر والفناء، ولتكريس هذا المعنى، فقد شبه الشيخ عبد القادر حال الحلاّج بالعارف الذي طار طائر عقله من وكر شجرة صورته الجامعة لأقطار العلائق والأغيار، وعلا إلى السماء تنصلاً من غمد البشرية خارقاً صفوف الملائكة، تفوقاً وتمكنناً من تلابيب الحب والإشتياق. كان بازياً من بزات الملك، فهو شديد المراس، ولكنه كان مخيّط العينين بخيط: ((وخلق الإنسان ضعيفا))(٢) لكونه محكوماً بحكم الوجود، فلم يجد في السماء ما يحاول من الصيد لعد إكتمال إدواته التي لا تكتمل إلا في الحياة الأخرى، فلما لاحت له فريسة (رأيت ربي)(١) برقت في سمائه بارقة أمل، ولكن خيرته إزدادت في قول مطلوبه: ((إينما تولوا فثم وجه الله))(٢) فهل يطالبه في الأرض أم في السماء، في جهة معينة أم في كل الجهات، فعاد هابطاً إلى حضيرة خطة الأرض، أي عاد إلى حال صحوه، وطلب في هذا الحال ما هو أعزّ من وجود النار في قعور البحار، ثم تلفت بعين عقله فما شاهد سوى الأثار، ثم فكر بعقل وجوده، فلم يجد في الدارين مطلوباً سوى محبوبه، فعلم يقيناً أنه قد عاد إلى نقطة البداية ولكن بعد تخلصه من جميع العلائق والأغيار، فطرب لهذا الحال وقال بلسان سكر قلبه، وهو أعلى درجات السكر الذي هو الفناء.: (أنا الحق) إحساساً بالاتحاد وفقداناً للحدود. ولكنه من شدة فرحه ترنم بلحن غير معهود من البشر، وصفر في روضة الوجود صفيراً لا يليق ببني أدم، ولحن بصوته لحناً عرضه لحتفه.(٣) إذن فليس في الحلاّج ذنب سوى إنه قد إستبدّ به الشوق فأخرجه عن طور أدبيته.

لقد أراد الشيخ عبد القادر، من وراء تبنيه تلك الآراء التي يعسر تقبلها من عامة الناس وفي كل الأزمان، أن يدلّ الأفهام على سلامة الموقف الديني لكبار رجال التصوف لكونه من أولياء الله تعالى الذين لايصدر عنه إلا ما هو خير وصلاح، وإن الارتباك كله الذي حصل، يكمن في تعدد إلسنة أحوالهم ومواجيدهم، وتعدد الوان مراجعهم المعرفية التي إقتصر الناس على لون واحد منها، وهذه الأسباب وغيرها كثيرة، هي التي أشكلت عليهم المواقف وعاكست بين تصاريحهم وما يفهمه الغير من ظاهر حكم الشرع.

---

(٢) النساء / ٢٨

(١) حديث : رأيت ربي جل إسمه مشافه لا شك فيه – حديث صحيح – رواه الطبراني عن جابر – مجمع الزوائد – ج/١ ص٧٨

(٢) البقرة / ١١٥

(٣) الشطنوفي – بهجت الأسرار ومعدن الأنوار – ص٥٢

من كل ما سبق، يمكننا أن نستدل على أن حال وحدة الشهود يعد مرتبة متقدمة من مراتب الطريق الصوفي، بل أخر المراتب التي يطمح جميع الرجال إلى بلوغها، ولكن هيهات إذ لا يبلغها إلا النادر والعزيز منهم. إن من أخص خصائص المشاهدة، هو أنها تبلغ بأيمان الشاهد إلى مرحلة اليقين، إذ إنها تلقي على الغيب أنوار المشاهدة وتجمع بين ظن العقل ويقين النظر. إذن فلا يقين قبل الشهود وبما إن اليقين هو مطمح معرفي لكل مؤمن، إذن فلا مناص من التعلق بأسباب المشاهدة، لأنها من صلب الفعالية الدينية، وبالتحديد، من صلب عقيدة التوحيد التي جاء الإسلام كي يبثها بين الناس.

إن بلوغ السالك مرتبة الفناء الشهودي، لا يمكن أن يعدَّ، بأي حال من الأحوال فعلاً كمالياً زائداً عن حاجة العبد الإيمانية والروحية، بل هو في حقيقته، يمثل توحيد صحيح ونقياً وغير مشوه بأي شكل من أشكال الشرك، ما خفيَ منه وما ظهر، ومن جهة أخرى، فإن السعي الدائب إلى بلوغ حال الفناء الشهودي، يدفع بالسالك إلى أن يهئ باطنه لذلك الحال، فيصير حريصاً على أن لا يكون في قلبه غير توحيد الله تعالى، ولا في ظاهره غير طاعته وعبادته والأخذ بما أمر به ونهى لأنه ((ليس له إلا مسؤل واحد ومعطٍ واحد ومرجو واحد ومخوف واحد وموجود واحد وهمةٌ واحدة)) (١) ويكون هذا دأبه وشعاره دائماً، حتى يبلغ مرامه من محبوبه الواحد الذي يحب الوحدانية في المحبة والتي يجسدها عدم حب غيره أو الأعتقاد به أو الأفتقار أليه، ويحب الواحد في محبته ، وهو المتفرد الذي قطع العلائق بكل الأكوان الأغيار.

أن مداومة الصوفي على ذكر محبوبه في جميع الأوقات، وبقلبه ولسانه وكل جوارحه، مع إغماضه عينيه وسده جميع منافذ حواسه، ومع عدم مغادرته مساحة ظل المراقبة القلبية التي تعني: إستدامة القلب، أي علم العبد، بأطّلاع الرب عليه في جميع أحواله.(٢) ولهذه المراقبة إضافةً إلى فوائدها الروحية الكثيرة، فائدتان عظيمتان، الأولى: إكتساب صفة الحياء الناجمة عن دوام المثول بين يدي الحضرة الإلهية، وهو ما يجنب العبد الإقدام على الكثير من المساوئ والأثام، لا بل يجنبه حتى مجرد التفكير فيها، والثانية: زيادة وهج جذوة الحب في قلب العبد تجاه ربه، وهو ما ينجم عن كثرة المراقبة والمصاحبة. فإذا ما داوم العبد على هذا الذكر وهذه المراقبة، بحيث يصير الوجود أمام ناظريه وكأنه

---

(١) الجيلاني – فتوح الغيب – ص٤٨

(٢) الجيلاني –سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوطة

ليس فيه إلا صفاته وأفعاله تعالى، فإنه سيؤلف هذا الشهود ويداوم عليه بحيث يكون له حالاً ملازماً لا ينفك عنه، عندها، ستطلع شموس المعارف الإلهية، من مطالع سموات السرائر، لأنها مغروزة أصلاً في تربتها، فتنور أراضي القلوب، من نور: ((فأشرقت الأرض بنور ربها))(٣) وترتفع أغطية ظلام الجهالة المخيِّم على النفوس قبل الشهود، عن بصائر العقول بكحل: ((فكشفنا عنك غطاءك))(١) فتتحير عيون بواطن الأفهام، يضيق كأسها، من مشاهدة لوامع أنوار القدس، وتتعجب خواطر الأفكار من مكاشفة عجائب أسرار عالم الملكوت.(٢)

إن العبد، إذا ما بلغ حال الشهود، فإنه سيصل إلى بر الأمان وهو علم عين اليقين الذي لا يتطرق إليه شك و لايحجب صاحبه بالخلق عن الحق لأنه سيكون قد حاز على مرتبة التفريد، و لا بالكثرة عن الوحدة، لأنه سيكون قد حاز على مرتبة التوحيد، وسوف لا يرضى بالخير دون المعاينة، لأنه وصل إلى ربّه و إطّلع على ملكه، وعرف أن ليس في السماء ولا في الأرض غيره، فصار يراه بعين قلبه وسرّه، وصارت الدنيا وملكها لا تساوي عنده شيء في مقابل ذلك الشهود، زهداً فيها من جهة وحباً بالله عز و جل من الجهة الأخرى، إذ أن ((من أحبّ الله، لا يرى غير الله، وإن من سلك طريق الله وصل إلى الله ومن وصل إلى الل عاش في كنف الله ومن إشتاق إلى الله أنس بالله وإن من ترك الأغيار، صفا وقته مع الله)).(٣) وهذا يدلّ على أن العلاقة متلازمة وحتمية بين الحب والإخلاص والتوحيد والوصول، فكل واحدة من هذه المراتب والأحوال تفضي إلى الأخرى ضرورةً وإن مجموعها يساوي السيرة الصوفية للسالك الواصل.

ويؤكد الشيخ عبد القادر ايضاً، على إن حال وحدة الشهود أو الفناء الشهودي، هو غير (التوحيد المقالي)(٤) أي بمعنى :إن هذا التوحيد، هو غير نظريات التوحيد الكلامية أو الفلسفية، أو حتى ما تسمى بنظريات التوحيد الإشراقي التي تتناول التوحيد بكونه أفكاراً عقلية تدرك بالحدس والتأمل الباطني، واصحاب هذا الاتجاه يرون أن كل من عرف هذه النظريات يمكنه أن يبلغ أرقى درجات الكمال الروحي والعقلي ويكون موحداً على الحقيقة، ويكون أيضاً من الواصلين، وهذا ما يرفضه أصحاب التصوف العملي ويرون خلافه،

---

(٣) الزمر/٦٩

(١) ق / ٢٢

(٢) الجيلاني – خمسة عشر مكتوباً - مخطوطة

(٣) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٦٩

(٤) الجيلاني – سير السلوك إلى ملك الملوك - مخطوطة

فعندهم إن معرفة هذه النظريات لا تفيد صاحبها فائدة روحية يعتدُّ بها، بل إنها قد تورثه لبساً وخلقاً في معتقده، وإنها قد تشكل حجاباً ظلمانياً يحجب قلبه عن إدراك حقيقة التوحيد وعليه فيرى الشيخ عبد القادر، إن الذي ينفع السالك ويوصله إلى الحقيقة هو: شهود الوحدة ومعايشتها ذوقاً(*) ، بحيث إنه يصل إلى هذا الشهود، بعد أن يكون قد هيأ نفسه مسبقاً وأزال عنها الحجب الظلمانية، وصار يُكشف لها من أفعال الله عز وجل ما يُبهر العقول ويخرق الرسوم والعادات، وهذا الكشف سوف لا يقتصر على حال الشهود، بل هو سيتجلى في كل الموجودات، لأنه تعالى ((قد أشرقت أنواره في كل موجود، إشراقاً أظهر سرَّ وجوده لشهوده فأعترف به له إعتراف عبودية وقهر))(١) إن هذا التوحيد الذي يصفه الشيخ عبد القادر، هو ضرورة يقع خارج ساحة العقل ونظرياته، إنه نور يلقى في القلوب ومعرفة تقدح في الصدور ويقين يحصل في الأسرار، بحيث لا يحيط به جدل ولا تستوعبه أفهام، ولا يعني هذا الكلام إنه علم غير معقول، وإنما يعني إنه لا يصدر عن العقول، وإنما يستحصل عن طريق البصائر والأسرار ثم يستقر أخيراً في العقول.

لقد ظل الشيخ عبد القادر، يعمل جاهداً على تقديم آرائه الصوفية إلى مريديه وأهل عصره بشكل مبسط وعملي ومنسجم مع ظاهر الشرع، مع تأكيده لهم : إن أعظم الأفكار الصوفية وأكثرها إثارةً للإعجاب، لا يمكن أن تنفع ناقلها أو تنجيه، لا بل إنها قد تؤدي به إلى الضر والتهلكة، فيما لو أساء فهمها أو نقلها، فالإنسان لا يمنك إن ينتفع إلا بالرداء الذي يرتديه، وأما ما يتظاهر به فإنه يدل على النقص أكثر من دلالته على الكمال.

إن الأفكار والنظريات الصوفية، ليس بناءات طوبائية مستخلصة من مادة الخيال، بل هي في الواقع، مشاريع عمل أخلاقية ومناهج سلوك روحيه وضعها شيوخ التصوف كي يستفيد منها الناس، ويسعوا ويشتهدوا إلى التحقق بها والترقي من خلالها، لأنها في حقيقتها تشكل المعنى المطلوب والصحيح والجوهري للدين، وما الخلاف الحاصل بين رجال الدين حول مشروعيتها، إلا نتيجة لقصور فهم بعضهم من جهة وسوء إستخدامها من بعضهم الأخر من جهة أخرى، وإن الحقيقة والغاية واحدة عند الجميع – هذا مع افتراض حسن النية – وإن اختلفت وجوهها وتباينت صورها.

---

* مع الإخذ بنظر الاعتبار: إن الشهود عند الشيخ عبد القادر، لا يعدو كونه حالة إضطرارية حاصلة من المجاهدة والمكابدة والرياضة المتعبة والذل والإفتقار والمسكنة مع ملازمة الشريعة. – انظر – سير السلوك إلى ملك الملوك - مخطوطة

(١) السائح – الدرّ الفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر – ص١٤٣

إن الغاية من كل ما يأتيه الصوفي من أفعال وأحوال وأقوال، هي الوصول إلى مرحلة العبودية الحقة، وهذه هي غاية كل الأديان السماوية، لا بل إنها مطلب طبيعي بكل فطرة سليمة فإذا ما وصل العبد إلى هذه المرحلة، فإنه سيبلغ أعلى درجات التوحيد والإيمان بألوهية الخالق ووحدانيته وهو ما تعارف الصوفية على تسميته بـ (حق اليقين) الذي هو عبارة عن فناء العبد في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً لا علماً فقط(١).

وتعدُو فكرة الإنسان الكامل،(١) من بين أكثر الأفكار خصوبة في التراث الصوفي الإسلامي، ولسنا هنا بصدد مناقشة أو إستعراض الدراسات والآراء، وخصوصاً الإستشراقية منها، التي حاولت جاهدةً، وكما فعلت مع غيرها من مفردات الفكر العرب الإسلامي، أن تفكك بناء هذه النظرية وأن تجردها من طابعها المحلي، وثمَّ أن ترجعها إلى أصول غير إسلامية، لا بل غير عربية أصلاً(٢) وإنما يعنينا هنا، فقط، أن نسلط الضوء على مدى إرتباط هذه (النظرية) بالفكر الإسلامي عموماً والفكر الصوفي الإسلامي على وجه الخصوص، وأن نبين إنها نتاج طبيعي لهذا الفكر وثمرة شرعية من ثماره الكثيرة والمتنوعة.

إن سعي الصوفي إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الكمال الخلقي والروحي والديني، وتطلعه إلى إتّباع النبي محمد (ﷺ)، بكونه التجسيد الأمثل لهذا الكمال، هما ما دفعاه وبشكل تلقائي، إلى أن يمعن النظر كثيراً ويفصِّل الكلام في بيان سمات هذه الشخصية – شخصية الإنسان الكامل – وإظهار فضائلها وإمتيازاتها الروحية، بكونها أعلى مقامات التمكين وأخر مراتب الكمال التي يمكن أن يبلغهل الصوفي السالك، فيما لو ثبت على سلوكه ومجاهداته وأوراده من جهة، وأدركته يدّ الرحمة والعناية الربانية من الجهة الأخرى، فإذا ما وصل الصوفي (المراد) إلى تلك الغاية وتكمن منها وفني عن إرادته وبقي بإرادة الله تعالى، وصارت نفسه نفساً كاملة، وصارت يدُ الله تعالى هي يده التي يبطش ونور الله تعالى هو عينه الذي يبصر بها وصار هو المنبع الذي يفيض منه على العارفين معرفة بربهم، على نحو ما يعرف هو ربَّه، وصارت تصل إليهم من العطايا والمنح الإلهية وصار هو الحقيقة الإلهية السارية في الوجود بأسره، وهو خليفة الله تعالى الذي ظهر في هذا العالم كي يظهر فيه جلال من أوجد، وهذا الإنسان لولاه ولولا خلافته الباطنة لخرب العالم

---

(١) الجرجاني – التعريفات – ص٩٥

(١) الإنسان الكامل: هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية، الكلية والجزئية، وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية، فمن حيث روحه وعقله فهو كتاب عقلي يسمى بأمّ الكتاب ومن حيث قلبه فهو اللوح المحفوظ ومن حيث نفسه فهو كتاب المحو والإثبات وهو الصحف المكرّمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهَّرون من الحجب الظلمانية. – الجرجاني – التعريفات – ص٣٩.

(٢) للمزيد من التفصيل حول هذه الآراء – أنظر – د. عبد الرحمن بدوي – الإنسان الكامل – الكويت – ط/٢ – ١٩٧٦.

وعَّمته الفوضى، لأنه مكمَّل سلسلة النور الذي يجب أن لا ينطفئ، وهو النور الذي ظلَّ متوالياً بعد إنتقال النبي (ﷺ) إلى مولاه. والإنسان الكامل هو الذي يظهر إلى حَّيز الوجود والتحقيق كل تجليات القدرة الإلهية التي أودعها الله تعالى في بحر الإمكان البشري، وعليه فهو يجمع بين طرفي الوجود، أي الحق والخلق وهو الواسطة بينهما. لقد الله تعالى الإنسان الكامل على صورته وجعله إنموذجاً ظاهراً للذات الإلهية، فهو علة وجود العالم والحافظ له وهو القطب الذي تدور حوله أفلاك العالم.

فمن صحَّت له هذه الرتبة وتلك الصفات، صحَّت له الوراثة والخلافة العظمى، وتلك رتبة، كما يقول إبن عربي (ت-٦٨٣هـ)، لا يستحقها إلا من خلق لها، أي أنه يكون قد خلق على الصورتين: الإلهية والكونية فجمع في ذاته حقائق الحق ومظاهر العالم، فهو قادر على التعامل مع الحق من جانب ومع العالم من جانب أخر، وبتوازن تام ومن دون خلل أو إرتباك، لأنه مخلوق على صورة الكمال، ولأنه الخليفة، كما إبن عربي، فلا بدَّ من أن يظهر فيما أستُخلف عليه بصورة مستخلفة، وإلا فهو ليس بخليفة له فيهم.(١) أي بمعنى أنه لابدّ من أن يظهر بين الناس – لكونه خليفة الله تعالى – بتفويض إلهي مطلق وقدرة ربانية ليس لها حدود.

إذن فالاحساس المفرط: الوازع الأخلاقي، هو الذي حدا بالمتصوفة إلى تبني نظرية الإنسان الكامل والعمل الحثيث على تحقيقها في حيزَّ الواقع. لقد أدرك هؤلاء المتصوفة، بحدسهم الفائق، ما تشتمل عليه تلك (النظرية) من جانب أخلاقي كبير(٢) إذ إن شخصية الإنسان الكامل، مستوحاة أصلاً من السيرة الروحية والأخلاقية للنبي محمد (ﷺ) الذي قال الحق تعالى في حقِه: ((إنك لعلى خلق عظيم))(٣) والذي أدّبه ربُه فأحسن تأديبه والذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق. فإذا ما تتبعنا بعض خصائص الإنسان الكامل وتبين لنا إنه هو منبع الفيوضات الرحمانية وإن بنظرته النورانية تتوزع الدرجات الروحية وتتغير رتب الرجال وتتم الولايات، وعلى يده تسير الأمور الظاهرية وتنتظم الأمور الباطنية، وإنه لا يخفى عليه شيء من مجريات الأحداث، ما دقَّ منها وما عظم، لأنه قطب الأرض وموضع نظر الربّ وخلفية الرسول (ﷺ) والإنسان الكامل، يُعد عند الصوفية، النموذج الأمثل الذي يمكن لأي إنسان على وجه الأرض أن يبلغه،والصوفي،حتى وأن كان لايطمح إلى بلوغ مقام الأنسان الكامل،إلا أنه يضعه نصب عينيه إبّان سعيه الحثيث إلى الترقي

---

(١) إبن عربي – الفتوحات المكية – ج/ ١ – ص٢٦٣.

(٢) ناجي التكريتي – الفلسفة الأخلاقية عند مفكري الإسلام – ص٤٦٧.

(٣) القلم / ٤

والوصول،فما دام هذا المثال شاخصا أمامه،فهو لايرضى بأي منزلةٍ يصل أليها دونه،بل يسعى دائماً للاستزادة من زاد الأرواح،حتى يبلغ به ذلك السعي إلى مقام اليقين.

الجيلاني ومدارس الوحدة:

قبل تولّي صلاح الدين الايوبي السلطة قام الشيخ عبد القادر الجيلاني بحركة تجديدية في مدرسته ببغداد. وخرج فيها ٤٠٠ عالم فتحوا مدارس بعددهم في أغلب البلدان الإسلامية. وكان هدف هذه المدارس كلها هو تأهيل جيل تحرير بيت المقدس. مما هيأ الأمة نفسياً لمعركة الفتح . وفي هذا التنظيم أصبح الشيخ عبد القادر الجيلاني هو القطب الغوث "قائد ركب المحبين الصادقين" واليه تنتهي "رئاسة علوم المعارف" ولم تكن هذه الهيئة أكثر من تنظيم قيادي يحتل فيها "القطب الغوث" وظيفة الرئيس الذي تنتهي اليه حل القضايا والمشكلات وكانت مهمة هذه هذه القيادات الموحدة القيام بالتنسيق السياسي والعسكري والثقافي والاجتماعي والاعداد للمواجهة مع الصليبيين. كما أورد أستاذنا الدكتور ماجد عرسان الكيلاني "رحمه الله" في كتابه «هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس» . وهذا الطرح لا يتعارض مع الطرح الفلسفي . بل أنني أزعم أنه متمم ومكمل له ووجهان لعملة واحدة.

إن الأفكار الخاصة بالقطبية والغوثية والبدلية ومقامات التمكين والولاية والشفاعة ـ الخ .نراها مرافقة للفكر الصوفي الاسلامي منذ بداياته الاولى التي طغى عليها الطابع الزهدي . ولنها ظهرت بشكل أكثر نضجا واشد وضوحا مع تبلور النظريات الصوفية الكبرى . كما هو الحال في مع ابي يزيد البسطامي (ت- ٢٦١ هـ) الذي يمكن أن يعدّ رائدا لفكرة الكمال في التصوف الاسلامي . وهو أول من حاول ادراك معنى هذا . يرى البسطامي أن العبد يمكنه أن يصل الى درجة عالية من الكمال الروحي والأخلاقي بحيث يعكس معها عظمة الكمال الإلهي وهو ما يتجلى لنا من خلال مخاطبته لربه بقوله: ((زيّني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وأرفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك و لا أكون أنا هنا)).(٢) ثم يأتي بعده الحسين بن منصور الحلاّج (ت – ٣٠٩هـ) الذي سما بالجزء الناسوتي من الوجود البشري إلى مراقٍ بعيدة أحرجت مواقف الصوفية في زمانه وألحقت به تلك الفاجعة المشهورة التي أودت بحياته. لقد رأى الحلاّج: أن الأنسان هو صورة الله تعالى ومظهر تجليه، ولكن هذه الصورة، تتباين في الوضوح من شخص إلى أخر، كما أنها لا يمكن أن تظهر وتتجلى في الإنسان، ما لم يعمل على تصفية روحه وتجلية مرآة قلبه إستعداداً لها. وفي كتابه((الطواسين)) يشير الحلاّج إلى نفسه بكونه أكمل التجليات الإلهية، وهو ما يتبين لنا من قوله: ((إن لم تعرفوا الله فأعرفوا آثاره، وأنا ذلك الأثر وأنا الحق، لأني ما زلت بالحق حقاً)).(٣) ثم يأتي من بعدهما الحكيم الترمذي وهو محمد بن علي الحسين الترمذي (ت –٣٢٠هـ) صاحب أول كتاب متخصص في هذا الموضوع، وهو كتاب ((ختم الولاية)) الذي حاول أن يصوغ فيه فكرة (الولي الكامل) الذي يصل عن طريق الصدق.

وآخر درجات المعرفة، إلى النور الإلهي، فيمّر في أطوار الكمال ودرجات المعرفة، حتى يصل إلى كمال المعرفة الذي يكشف له فيها الغطاء عن العلوم الإلهية، ويُفتح له في الغيب الأعلى حتى يلاحظ ملك الملك، وكل ذلك يتم له بعد أن تكتنفه يد العناية الإلهية، فيقوّم ويُهذِّب ويؤدب ويُنقّي ويُطهر ويطيب ويوسع ثم يعوِّذ، وعندها فقط، تتم له الولاية لله تعالى، وهي الولاية العظمى(١) ثم بعد الترمذي، يمكننا أن نختصر الزمان، فنصل إلى

---

(٢) الطوسي – اللمع – ص٣٢٦.

(٣) الحلاّج – كتاب الطواسين – بغداد –١٩٩١ – ص٤٩.

(١) الترمذي – ختم الأولياء – بيروت –١٩٦٥ – ص٣٢٧.

القرن السابع الهجري، وبالتحديد مع إبن عربي(ت – ٦٣٨ هـ)، الذي يُعدُّ أول مبدع لنظرية الإنسان الكامل بشكلها الناضج والمتكامل.

يرى إبن عربي: أن الإنسان الكامل هو وحده الذي تتمثل فيه الكلمة الجامعة وعلم الله تعالى بذاته، يصل إلى ذروته فيه، وفيه إيضاً، يتحقق الغرض من الخلق وهو التحقق بالمعرفة الإلهية، فالله تعالى أحبّ أن يعرف، فخلق الخلق، فكان أول ما خلق هي الدرة البيضاء التي تشرق بتجلي أول الأنوار الإلهية فيها.

والإنسان الكامل عن إبن عربي، هو الإنسان الجامع لكل الصفات والتجليات فهو الحادث الأزلي والنشيء الدائم الأبدي والكلمة الفاصلة الجامعة، لأن قيام العالم يكون بوجوده،فهو من العالم كفصّ الخاتم من الخاتم، وهو محل النقش والعلامة التي يختم بها الملك على خزائنه، وقد سمّاه تعالى خليفته من أجل هذا، لأنه تعالى الحافظ به خلقه كما يحفظ الختم الخزائن .... فلا يزال العالم محفوظاً، ما دام فيه هذا الإنسان الكامل.(٢)

إذن فالإنسان عند إبن عربي، هو حلقة الوصل بين الحق والخلق، وهو الجامع لكل الأسرار الوجود والمختصر لتجليات الأنوار الإلهية، وهو الفرد الأوحد في كل وقت، وإنما كانت حكمته – أي الإنسان الكامل – فردية، لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني، ولهذا بديء به الأمر وختم، فكان نبياً وأدم بين الماء والطين وأمّا النبي محمد(ﷺ) فأنه أوضح دليل على ربّه في هذا الوجود، لأنه قد إشتمل على خلاصة الحكمة الإلهية، ولأنه قد عكس في ذاته معاني الوجود، قبل وجود الوجود.(٣)

والإنسان الكامل، هو أكمل مجلى خَلقي ظهر فيه الحق تعالى، لأنه أكمل المخلوقات ولأنه قد تجلت فيه حسن الصنعة وتَمام الحكمة الإلهية، فهو الخلقة الكامل بأخصّ معانيه، وهو مبدأ خلق العالم والنور الذي ظهر فيه لنفسه، في حالة الأحدية المطلقة.(١) وعليه، فالإنسان الكامل مهما ظهرت عليه من قدرات ومهما تجلت فيه من كمالات، فأن ذلك لا يخرج به عن حيِّز الخلق و لا يبلغ به إلى مصافي الإلوهية، كما يمكن أن توهم بذلك أوصافه ونعوته، إنه الموجود الحائز على أقصى درجات الكمال التي يمكن أن يبلغها

---

(٢) إبن عربي – فصوص الحكم – تحقيق – د. أبو العلا عفيفي – بيروت – ط/٢ – ١٩٨٩ – ص٥٠

(٣) إبن عربي – المصدر نفسه – ص٢١٤.

(١) إبن عربي – فصوص الحكم – تحقيق – د. أبو العلا عفيفي – بيروت – ط/٢ – ١٩٨٩ – ص٣١٩

مخلوق.وفي (الفتوحات المكية) يذكر أبن عربي أن الأنسان الكامل، هو وحده الأنسان الحقيقي، لأنه الكلمة الجامعة لكل معاني الوجود ونسخة العالم، وإن كل ما في العالم هو جزء منه، ولكن إذا كان هذا الأنسان قد حمع في اصل خلقته على كل أسرار الوجود وعلى مجلى الحكمة الالهية،فلم انفصل عنه الوجود بكل تفصيلاته ومظاهره، يرى إبن عربي، وأن السبب وراء هذا الفصل ووراء أيجاد هذا المنفصل الأول، يكمن في طلب الأنس بالمُشكل في الجنس الذي هو النوع الاخص، وليكون في عالم الأجسام، بهذا الالتحام الطبيعي الأنساني الكامل بالصورة التي اراده الله تعالى عليها مما يشبه القلم الاعلى واللوح المحفوظ الذي يعبَّر عنه بالعقل الأول والنفس الكلية، وكونه يوصف بالقلم الاعلى، فان في هذا إشارة تتضمن الكاتب وقصد الكتابه، وهو معنى قول الشارع: إن الله تعالى خلق ادم على صورته.(٢) أي أن له من خلال إستمداده من هذه الصورة: الفاعلية والقصد والقدرة على التاثير الموجودات، لا بل إن له القدرة على تقدير أقدارها وتصيير مصائرها.

وأما من حيث الجانب الروحي والمعرفي، فأن الأنسان الكامل هو الروح المحمدي والممدّ لجميع الأنبياء والرسل وكذلك الأقطاب، من حين النشيء الأنساني الأول وإلى يوم القيامة، ولهذا الروح المحمدي مظاهر في العالم الأنساني، وإن أكمل مظهر له يتجلى في قطب الزمان وفي الأفراد وفي ختم الولاية المحمدية.(٣)

وبعد محي الدين بن عربي يأتي عبد الكريم الجيلي (ت – ٨١٣ هـ) الذي تصل نظرية الأنسان الكامل على يديه، إلى انضج صورها، فلقد وضع فيها كتاباً مفصلاً سماه بـ((الأنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل))، وفيه يخبرنا بأن الأنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه افلاك الوجود من أوله إلى أخره، وهو واحد منذ كان الوجود وإلى أبد الأبدين، وإن له تنوّعاً في مظاهر شتى، ولكن أسمه الأصلي هو (محمد).(١) وهذا الأنسان الكامل يقابل جميع الحقائق الوجدية بنفسه، إذ يقابل الحقائق العلوية بلطافته ويقابل الحقائق السفلية بكثافته، ويذهب الجيلي إلى أكثر من ذلك فيقول إن الأنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الألهية، إستحقاق الأصالة والملك، بحكم المقتضى الذاتي، إذ ليس لها مستند في الوجود إلا الأنسان الكامل، فمثاله للحق مثال

---

(٢) أبن عربي – الفتوحات المكية –ج / ٢ – ص.٣٠٠

(٣) أبن العربي – المصدر نفسه – ج/٢ – ص٣٦٣ وللمزيد من التفصيل حول نظرية الأنسان الكامل عند أبن عربي، يمكن مراجعة كتاب فلفسة التاويل – دراسة في تأويل القران عند محي الدين بن عربي – نصر حامد ابو زيد –ط/١- ١٩٨٣ – بيروت.

(١) عبد الكريم الجيلي – الأنسان الكامل في معرفة الاواخر والاوائل – ط/١- بيروت – ٢٠٠٠ – ص٢٠٦

المرأة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها.(٢) إذن فقد بلغ الجيلي بفكرة الأنسان الكامل إلى درجة أنها صارت تعكس صورة مطابقة تماماً للحقيقة الألهية وليست أنه حقيقة، ولكنها الحقيقة الذاتية . وما بين فكرة الكمال عند البسطامي ونظرية الانسان الكامل عند الجيلي سنرى أين يمكننا أن نضع أفكار الشيخ عبد القادر حول الغوث أو الشيخ الكامل .

بقي علينا، بعد هذا التقديم، وقبل الدخول في تفصيل أراء الشيخ عبد القادر في الإنسان الكامل، أن نبين بعض أهم سمات أو الخصائص العامة التي أتفق عليها أغلب متصوفة الإسلام، والتي يجب أن تتوفر في العارف، كي يستحق معها درجة الكمال، أو تسمية ((الإنسان الكامل))علماً أن كل ما يتصف به الإنسان الكامل من صفات الكمال هو هبة من الله تعالى ونور يقذفه في قلب العبد، أي أنه لا يُستحصل بالإعمال والمجاهدات .

يتصف الإنسان الكامل، بأن له التصرف على نفسه وعلى غيره، وأنه أحيل أليه خلق كثير وجمّ غفير، وإنه لقربه من ربِّه صار أنساناً مطلقاً وصار تصرفه مطلقاً، وإن كل من وصل أليه وعرفه أو إتصل به، فأنه ستظهر بركة تصرفه عليه،فهو غياث الخلق بقوله وفعله وحاله ودعائه وسكوته ونظره وهمته ونومه ويقظته .

وهذا الإنسان لكماله فأنه قد وصل إلى مرحلة من التجرد والعزوف والتخلص من جميع العلائق سواء بنفسه أم بالعالم حوله، بحيث أنه لم يبق له تصرف طبع ولا إرادة نفس ولا إختيار شهوة، بل جميع تصرفاته بالله تعالى، لأنه يشاهده في جميع الأفعال والتصرفات والحركات والسكنات، وإن الله تعالى هو المتصرف في جميع أفعاله بواسطته، وإنه هو المتصرف في الأشياء بواسطة الله تعالى.(١) والإنسان الكامل في قومه، كالنبي في أمته، لأن الله تعالى قد جعل في باطنه وقلبه تبصرةً ونوراً، وبالنور جعل له الهّمة جاسوساً يتجسس في القلوب، فهي للقلوب بمثابة المساعي للملوك عن خطرات قلوب المريدين ولها مقام الحراسة والحفظ، فألى من وجهها وبمن وكلها وعلى أي أمر سلطها، أظهرت قوتها وأتمت فعلها وأتقنت حفظها وحراستها، لأنها الهمة الفعالة، خصّها الله تعالى لقلوب الأنباء والأولياء لأجل الأمتثال والخدمة والسمع والطاعة، فهي في تصرف القلب كالملوك في تصرف المالك.(٢) ويتصف الإنسان الكامل، بانه محفوظ من الله تعالى، وأن

---

[٢] عبد الكريم الجيلي – المصدر نفسه – ص٢٠٨

[١] الترمذي – ختم الأولياء - ص٤٧٠

[٢] الترمذي – المصدر نفسه – ص٤٧١

يده كيد الله تعالى وأنه مؤيد بالله وبنصره ومكرم بالكرامات التي تتايد بها ولايته وتعرف بها منزلته بين الناس، وأنه يمتاز بالشفاعة عند الله تعالى في الخلق يوم القيامة .وفوق ذلك، فأنه يأخذ الدرجة النهائية من كل مراتب الكمال، وهي التكوين والتوحيد وعين اليقين والحرية والغيب والتولي.(٣) ويتصف الإنسان الكامل بأنه: مرأة الحق، وهو خليفة الله تعالى ونائبه الذي ينوب عنه في التصرف والولاية والحفظ والرعاية وهو يتصرف في الخلق، كي يظهر في نفسه جلال من أوجده. وقد إقتضت إرادة الله تعالى أن يجعل لهذا الأنسان وجهاً في القدم يستمد به من الحق تعالى ووجهاً في الحدث يمد به الخلق، فجعله على صورته خليفةً يخلف عنه في التصرف، وخلع عليه جميع اسمائه وصفاته، ومكنه في مسند الخلافة [القاء مقاليد الأمور اليه وإحالة حكم الجمهور عليه وتنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه وملكوته وتسخير الخلائق لحكمه وجبروته وسماه أنساناً لأمكان ومقوع الأنس بينه وبين الخلق، وجعل له بحكم أسمية الظاهر والباطن، حقيقة باطنه وصورة ظاهره ليتمكن بهما من التصرف في الملك والملكوت.(٤)

وقبل المباشرة في ذكر آراء الشيخ عبد القادر في الإنسان الكامل، لا بدّ من الإشارة إلى ملاحظة هامة وهي: أن أغلب المتصوفة الذين تناولوا موضوع الإنسان الكامل، أجمعوا على أن هذا الإنسان، ليس هو على الحقيقة إلا إنعكاساً للحقيقة المحمدية. وإن كل من جاء بعد النبي محمد (صلى) وتحلى ببعض صفاته، فأنه لا يعدو كونه ((وريثاً محمدياً)) أو صاحب ولاية أو خلافة محمدية.

إن من أهم العقائد التي يؤمن بها الصوفية بوجه عام، والتي لا يمكن فهم وإستيعاب أي بناء نظري في التصوف إلا من خلالها، هي عقيدة (الحقيقة المحمدية) التي تجسد صورة الحق والتي لا يشكل العالم إلا إنعكاساً لصورتها، وأما الإنسان الكامل، فأنه واحد من بين تجلياتها التي لا تُعدّ و لاتحصى. والحقيقة المحمدية هي أصل الحياة الروحية في الوجود الذي ظهر في صورة الأنبياء والأولياء، من لدن أدم حتى النبي محمد (صلى) نفسه، إنها النور الذي أضاء ظلمة العماء، وهذا النور هو أول التجليات الإلهية، والذي تجسد أولاً في النور المحمدي. إنه العقل المطلق والعلم الإلهي وإنه اللوح والقلم وقد سمي نوراً

---

(٣) الترمذي – ختم الأولياء – ص٤٧٣

(٤) الترمذي – المصدر نفسه – ص٤٧١

لكونه صافياً عن الظلمات الجلالية التي تفترض بعد المسافة وعدم المشاكلة، إنه خلاصة الأكوان وأول الكائنات وأصلها.(١)

على أن كون النبي محمد (ﷺ) هو أحد تجليات الروح الأعظم أو الحقيقة المحمدية العظمى، فأن ذلك لا ينال من علوّ مكانه أو من عظم قدره، وهذا ما يؤكده كثيراً الشيخ عبد القادر وفي مواضع متعددة من كتبه، فالنبي محمد (ﷺ) لا يصل أحدٌ، ولو من الأنبياء، إلى علو مقامه، ولا يقدر أن يشاركه في بعض خصائصه، غير الأبدال والأولياء من أمته، يردون على بقايا طعامه وشرابه ويعطون قطرة من بحار مقاماته وذرة من جبال كراماته، لأنهم ورثته، المتمسكون بدينه الناصرون له الدالوّن عليه.(٢)

إن درجة عمق التجربة الصوفية في الأسلام، تعتمد أساساً على درجة فهم الصوفي لحقيقة النبي محمد (ﷺ)، وعلى درجة إرتباطه الروحي به، وإن عقيدته تلك تختلف حتماً عن عقيدة غيره من المسلمين الذين يرى أكثرهم تشدداً، أن النبي محمد هو رجل من بين الرجال أدى دوره بكونه نبياً أثناء حياته الدنيوية، وإن تأثيره الروحي قد إنعدم بإنتهاء تلك الحياة. إن النبي محمد (ﷺ) عند الصوفية، يُعدّ الطاقة الروحية اللامتناهية التي يستمد منها كل السالكين والعارفين أنوارهم وعلومهم ومعارفهم، ولا يضير الصوفي ضمن هذا الإعتقاد، كونه بعيد زماناً عن صحبة النبي محمد (صلى)، لأنه يؤمن بدوام تأثيره الروحي في العالم بأجمعه، وأكثر من ذلك، بأنه الأصل الذي ترتكز عليه كل أركان الوجود وأنه الغاية الإلهية التي خلق هذا العالم لأجلها، وهذا الإعتقاد لا يُعدّ عند الصوفية من ضمن الإدعاءات الكلامية التي لا يمكن البرهنة عليها، فالدين لا يقتصر فقط على أدلة النقل والعقل، كما يذهب إلى ذلك علماء الظاهر، وإنما هو يشتمل على ((أدلة الرؤية والبصيرة، وهي ما يختص بها الأولياء والمختارين عند الله تعالى)).(١)

إذن فالنبي محمد (ﷺ) في إعتقاد الصوفية، هو صاحب المقام الذي لرفعته وقربه من الله تعالى فإنه تزل أقدام العقول في سره، لعد قدرتها على الإحاطة به وفهمه، وتضل أفهام الأفكار في جلاله، وتخضع رقاب الألباب لهيبته وتدهش أبصار البصائر لأشعة أنواره. وإنه ليس فوق هذا المقام، إلا عرش الرحمن، وإن كل مقام لواصل أو حال المجذوب أو سرّ لمحبوب أو علم لعارف أو تصريف لولي أو تمكين لمقرب، فبدؤه ومآله وجملته وتفصيله

---

(١) الجيلاني – سر الأسرار ومظهر الأنوار – ص٦.

(٢) الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص١٨٤.

(١) الترمذي – ختم الأولياء – ص٤٦٣.

وكله وبعضه وأوله وأخره، فيه إستقر زمنه نشأ وعنه صدر وبه كمل.(٢) ومحمد (صلى) هو سلطان الحقيقة وإنسان عين الوجود الذي على عتبة باب معرفته تخضع أعناق العارفين وفي حمى جلالته توضع جباه الخلائق أجمعين، وهو الأوحد الذي لا ثاني له في هذا المقام، لأن حسب الواحد الذي هو الله تعالى، إفراد الواحد الذي هو حبيبه وأقرب خلقه إليه.(٣)

ولكل هذه الصفات ولعلو هذا المقام، فقد فوّض الله تعالى نبيه محمداً (ﷺ) في الحكم بين الأرواح وفي تربية المريدين وفي إمارة الصالحين على الأصالة، وقد جعله كذلك، قسّام الأحوال والمقامات بين العباد(٤)، فلا يمكن والحالة تلك، أن يصل أي سالك أو ينال حالاً أو يبلغ مقاماً، إلا إذا إستوعب الحقيقة المحمدية إستيعاب تجربة وذوق لا إستيعاب ف هم وعقل، وإلا غاص في أغوارها، وإستخرج من مكنوناتها درر الحقائق ومعادن الأسرار، وأما الأولياء من أمة محمد(ﷺ)، فإنهم يعدّون متصرفين بالنيابة، إذ الفاعل على الحقيقة هو محمد (ﷺ) وحده، الذي هو وأما الأولياء فأنهم مظاهر لصدق هؤلاء الأنبياء.(١)

ويمكننا أن نلحق بهذه الإشارة، ملاحظة مهمة، وهي: أن أغلب الصوفية الذين كتبوا في موضوع الحقيقة المحمدية، قد أشار كل واحد منهم إلى نفسه بكونه الوريث المحمدي أو صاحب الخلافة العظمى في الزمن الذي عاش فيه، ويمكن أن يُعدّ الشيخ عبد القادر، من أبرز من أشار إلى ذلك فلقد تضمنت كتبه والكتب التي أرخَّت لسيرته، الكثير من تلك الإشارات، كجوابه مثلاً، للقوم الذين سألوه: أنهم يصّلون كما يصلي هو ويصومون كما يصوم ويجتهدون مثلما يجتهد، ولكنهم لا يرون من أحواله شيئاً؟ فأجابهم بقوله: ((زاحمتموني في الأعمال أتزاحموني في المواهب، والله ما أكلت حتى قيل لي بحقّي عليك كل و لا شربت حتى قيل لي بحقي عليك إشرب وما فعلت شيئاً حتى أُمرت بفعله))(٢) وكذلك قوله وينطق بلسان الحال: ((أنا نار الله الموقدة، أنا سلاّب الأحوال، أنا بحر بلا ساحل، أنا دليل الوقت، أنا المتكلم في غيري أنا المحفوظ أنا الملحوظ))(٣) وكذلك قولته الشهيرة التي دلّت على علوّ مقامه ورفعة منزلته الروحية وسيادته المطلقة على جميع أولياء زمانه وهي:

---

(٢) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٣٨.

(٣) الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٥٢.

(٤) الجيلاني – الفتح الربّاني والفيض الرحماني – ص١٧٩.

(١) يذكر الشيخ عبد القادر: أن كرامة الولي، ما هي إلا إستقامة فعل على قانون قول النبي والكرامة هي أثر إنعكاس نور الحق على قلب الولي، على أنها لا تظهر على الولي إلا مع اختياره. – الشطنوفي – المصدر نفسه –ص٣٩.

(٢) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار - ٨

(٣) التونسي – رياض البساتين في أخبار الشيخ عبد القادر الجيلي – ص١١٩.

((قدمي هذه على رقبة كل ولي لله)).(٤) إذن فهذا المقام هو تعين رباني لا يحتمل المزاحمة ولا المنافسة، وهو أختصاص تفريد لا يغادر ساحة المشيئة الألهية، وإن ما يترتب على هذه المكانة هو طاعة الناس لصاحبها، وليست أية طاعة، وإنما طاعة روحية تختفي معها إرادتهم ويزول أختيارهم، وهي طاعة تطال حتى مصائرهم وميولهم وأهوائهم، وهم إنما يفعلون ذلك لعلمهم بولايته عليهم وسلطته المطلقة المستمدة من سلطته تعالى عليهم . إن الولي الذي يخلف رسول الله (ﷺ) في أمته، هو ضرورةً أدرى بمصالحهم وأحرص على سلامة أرواحهم ونجاتها في الدنيا والاخرة .

يعدد الشيخ عبد القادر، للغوث أو القطب أو الإنسان الكامل، صفات وخصائص كثيرة، تدل على مدى نضج هذه الفكرة ووضوحها لديه، فمن هذه الصفات : أن أحوال الشيخ الكامل تعد ميزة إلهية لا تخضع لمقاييس العقول والأفهام، بحيث يمكن القول، غنه لا يمكن قياس حاله على أحوال غيره من البشر، لأن حقيقته لا يعلمها إلا الله تعالى.(١)

وهذا ما يتضمنه قول الشيخ عبد القادر، لأولاده في مرضه الذي توفي فيه : بيني وبينكم وبين الخلق كلهم، بعد ما بين السماء والارض، فلا تقيسوني بأحد ولا تقيسوا عليَّ أحداً.(٢) وكذلك قوله: أنا من وراء أمور الخلق، أنا من وراء عقولكم، كل الحق إذا وصلوا إلى القدر ، أمسكوا إلا أنا وصلت اليه وفتح لي فيه . فأدلجت فيها ونازعت أقدار الحق بالحق للحق .فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له . (٣) وبما أن هذه الصفة ، هي لشيخ خطا نحو الكمال ، وإن له مريدين ضرورةً ، فأنه يترتب على هؤلاء أن يطيعوه طاعة ما بعدها عصيان أو مروق ، ولا حتى بالفكرة أو الخاطرة ، بل إن عليهم أن يدخلوا تحت

---

(٤) يذكر الشطنوفي: أن تحية المشايخ بعد أن قال الشيخ عبد القادر: ((قدمي هذه على رقبة كل ولي لله)) حين يحضرون عنده : السلام عليك يا ملك الزمان ويا أمام المكان، يا قائماً بامر الله ويا وارث كتاب الله ويا نائب كتاب رسول الله، يا من السماء والارض مائدته وأهل وقته كلهم عائلته،يا من ينزل القطر بدعوته ويدر الضرع ببركته .. بهجة أسرار ومعدن الأنوار - ص١٨ ويقول الشيخ حياة بن قيس الحراني (ت- ٥٨١ هـ) وهو أيضاً من معاصري الشيخ عبد القادر : قد عشنا زماناً مديداً في ظل الشيخ عبد القادر، وشربنل كؤوساً هنيئة من مناهل عرفانه، ولقد كان النفس الصادق يصدر عنه، فيستطير شعاع نوره في الأفاق، إستطارة النار، فتقتبس منه أسرار أحوال الأصحاب على قدر مراتبهم ، وأنه لما أتاه الأمر بأن يقول، قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، زاد الله تعالى جميع الأولياء نوراً في قلوبهم وبركة في علومهم وعلواً في أحوالهم، ببركة وضعهم رؤوسهم ، وقد مضى إلى الله تعالى في حلبة السابقين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . – المصدر نفسه . – ص١٢

(١) الجيلاني – سير السلوك إلى ملك الملوك – مخطوطة

(٢) الشطنوفي- بهجة أسرار ومعدن الانوار – ص٢٣

(٣) عبد الرحمن السائح – مناقب عبد القادر الجيلي – مخطوطة

كنفه ويؤمنوا أن خلاصهم لايتم إلا على يديه ويتحملوا ما يلقونه من الأذى من جرّاء ذلك وأن يكون أحدهم بين يدي شيخه كالميّت بين يديّ الغاسل . أو كالطفل الرضيع بين يدي مرضعته . وهنا يسلط ـ الشيخ عبد القادر ، الضوء على الدافع الذي يقف وراء إتفاق معظم شيوخ التصوف ، على ضرورة ووجوب طاعة المريد القامه ، أي طاعة الظاهر والباطن لشيخه الكرشد ، لأنه في الحقيقة يمثل أداة تحقيق المشيئة الألهية التي لاتامر إلا بالخير والمعروف ، ولأن له من المعارف والعلوم الألهية ما يعجز معها عقل المريد عن استيعابها ولذلك كانت الطاعة أولى به من إعمال الفكر .

ألصفة الثانية التي يتصف بها الشيخ الكامل هي : أنه يتصرف في قومه كتصرف النبي في أمته لأنه غلام النبي ونائبه وخليفته في أمته. وهو المعنى الذي تضمنته مناجاة الشيخ عبد القادر لربه إذ يقول إلهي أسألك العفو والعافية في هذه النيابة. أعنّي على الأمر الذي أنا فيه . قد أخذت الأنبياء والرسل اليك وقد أوقفتني في الصف الأول. أُقاسي خلقك. فأسألك العفو والعافية . إكفني شرّ شياطين الأنس والجن وشر جميع المخلقات . (١) إنه خليفة الرسول (ﷺ) وهذا يعني بالأستنتاج البسيط. أنه خليفة الله تعالى في أرضه ((لأن من وصل إلى درجة القرب وكشف الحجب ، فهو نائب الحق عز وجل في الأرض وخليفته فيها . وهو باب الاسرار وعنده مفاتيح خزائن القلوب التي هي خزائن الحق عز وجل . وإن هذا شيء من وراء معقول الخلق ، وإن ما يظهر منه فهو ذرة من جبله وقطرة من بحره ومصباح من شمسه)) أي من الشيخ الكامل -. (٢) وهو أيضاً إمام لجميع المسلمين في الباطن ، وإن كان لهؤلاء إمام متقدم عليهم في الظاهر .

وممّا سبق يمكننا أن نتصور ما هو تصرف الرسول في أمته. لنقيس عليه تصرف القطب في قومه ، فالرسول (ﷺ) كان هو الهادي لأمته وهو الشهيد عليهم وهو الذي جعله الله أولى بهم من أنفسهم /وهو المسؤول عنهم يوم القيامة ،وهو الشفيع لهم يوم الحشر وهو البشير وهو النذير . وأنه (ﷺ) كان يريد بأرادة الله تعالى ويأمر وينهى عن نهيه. وغيرها الكثير من المهام التي إضطلع المصطفى (ﷺ) بحملها.

---

(١) الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص ٢٣٩

(٢) الجيلاني – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص ١٠٦

ولا تقف متابعة القطب للرسول (ﷺ) على هذه المهمات فقط .(٣) وغنما تتعداها إلى متابعته في أقواله وأفعاله وأحواله. لا بل حتى في تلقيه للأمر الإلهي. يوحي الى قلوبهم باطناً. ((لأنهم وُرّاثه وأتباعه في جميع ما أمرهم به)).(٤) ولكن قد يسبق إلى الظن. إن الشيخ عبد القادر قد أتى في مقولته تلك شططاً وإدعى لنفسه مقام النبوة ووحيها. بينما العكس هو الصحيح. إذ إن ما يريد قوله هو : أن القطب أو الشيخ الكامل. متى ما تمكن من نوازع نفسه وقطع مفاوز الطريق. وصار خبيراً بفقه القلوب. فأنه سيكون سائراً على خطى النبي (ﷺ) وسيكون قلبه مستوحياً إلهاماته من وحي النبوة وبلا واسطة. وهو ما يمكن أن نسميه بالحفظ. وهذا فيه تمسك بالشريعة الإسلامية أكثر مما فيها مروق عنها. وكأن الشيخ عبد القادر. قد أدرك هذا التوهم والخلط من الآخرين. فأستعدَّ لدرئه بقوله: ((إن آثار النبوة لا تُنال جميعها. فأن فيها أقداماً للنبوة لا ينالها إلا نبي))(١) وكذلك قوله: ((كل وليٍّ لله على قدم نبي، وأنا على قدم جدي (ﷺ)، وما رفع المصطفى قدماً إلا وقد وضعت قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه، إلا أن يكون قدماً من أقدام النبوة. فأنه لا سبيل إلى أن يناله غير نبي))(٢).

ويضيف الشيخ عبد القادر توضيحاً آخر فيقول: إن الأقطاب والمشايخ الكاملين لا يكونون خلفاء وورثة للنبي، إلا بعد جهد ولأي وسعي ومكابدة. إذ يسعون من خلال ذلك. إلى أن ينهضوا ومن مراقد أكوانهم الدنيوية، ومن ثقل أبدانهم. بإشراق أفكارهم وصفاء أسرارهم. ويسعون إلى أن يخرجوا من معاقل وجودهم. بطهارة أشباحهم وأنوار أرواحهم. وأن يقيموا مرايا سرائرهم الصقيلة وعيون بصائرهم الصحيحة بإزاء عوالم الملكوت ومظاهر أسرار الجبروت. ويجتهد لأن يقفوا تحت مناظر الأنبياء – كناية عن ملازمة أحكام الشريعة – ومطالع إسراقات شموس الأصفياء لكي يقع إنعكاس ضوء شمس الأصل ، على صفاء مرآة الفرع فينطبع فيها أثر نور الغيب. أي أن الكمال الإنساني ليس توهماً وإداءً، وليس هو من محض الخيال، وإنما هو عمل شرعي ممكن التحقيق، فيما لو توفرت له الشروط اللازمة والتي أهمها: مجاهدة النفس وتصفيتها وتهيأتها لتلقي الأنوار الإلهية. ثم متابعة سنة النبي محمد(ﷺ) والمرابطة على باب شرعه.

---

(٣) روي عن لسان الشيخ عبد القادر قوله : إن السعداء والأشقياء ليعرضون علي، وإن بؤبؤ عيني في اللوح المحفوظ، وأنا غائص في بحار علم الله عزوجل ومشاهدته . أنا حجة الله عليكم، أنا نائب محمد رسول الله (ﷺ) ووارثه في الأرض .-عبد الرحمن السائح – مناقب عبد القادر الجيلاني – مخطوطة

(٤) الجيلاني - المصدر نفسه – ص٢١٤

(١) عبد الرحمن السائح – مناقب عبد القادر الجيلي .

(٢) عبد الرحمن السائح – المصدر نفسه.

الصفة الأخرى التي يتصف بها الشيخ الكامل هي:- تمكنه من السيطرة على نوازعه وأهواءه وطبائعه الرديئة، إذ إنه لم يبلغ ما بلغه من المقامات الروحية العالية، إلا بعد تحققه في ذلك، وبع تغلب الطابع الروحي على الطابع النفسي لديه، وبذلك فقط، كان إنساناً كاملاً، ومحلاً للأمانة، وكان الخليفة المشار إليه بقوله تعالى: ((وإذ قال ربك للملائكة، إني جاعل في الأرض خليفة))(٣) وبذلك فقط أصبح معصوماً، ولكن لا كعصمة الملائكة الذين أمنوا من زلّة الإرادة، أي إرادة ما يخالف إرادة الله تعالى ويغضبه، ولا كعصمة الأنبياء الذين عصموا عن الهوى، فهم لا يميلون معه حيث مال ولا هم كباقي الخلق من الإنس والجن المكلفين الذين لم يعصموا، لا من الإرادة ولا من الهوى. إن عصمة الشيوخ الكاملين تأتي على معنى خاص بهم، إذ يجوز في حقهم الميل مع الإرادة ومع الهوى في بعض الأحيان، ولكن الله عز وجل يتداركهم بالتذكير والتنبيه من لدن رحمته.(١) ولكن لا بدّ من التنبيه هنا، على أن ميل الشيخ الكامل مع إرادته، لا يأتي من نقص في تربيته الروحية أو خلل في إستعداده للكمال النفسي، وإنما يأتي في بعض الأحيان، من إشراك إرادة الحق بإرادته على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة، فيدركه الله تعالى برحمته بالتذكرة واليقظة، إن الشيخ الكامل، لا تطلّع لنفسه و لاميل لهواه، لأنهما ذابا في سبل المجاهدات والرياضات وتلاشت معهما إرادة نفسه وأمانيه، فهو في صفاء تام ونور مبين، ولأجل ذلك إكتسب الولاية التي تعني عند الشيخ عبد القادر: ((مطالعة روح الكشف وملاحظة مطالع البيان، بصفاء يذهب كدورة البشرية وطهارة تنقي دنس الأسرار)).(٢) أي مباشرة الأسرار والعلوم الإلهية، بإستعداد نفسي وتهيؤ قلبي ومداومة على نهج الصفاء.

يتصف الشيخ الكامل أيضاً، بأنه ذو كرامات ظاهرة يدركها جميع الناس، المصدّقين له والمنكرين عليه، وكراماته غير معدودة وغير محدودة، فهو يفعل ما يطلب منه أو ما لا يخطر ببال بشر كإحياء الزرع الميت ومخاطبة الأمطار والأنهار، وكذلك إقامة المقعدين والتنبؤ بالحوادث المستقبلية ومطالعة أقدار الناس قبل مثولهم بين يديه وطلبهم لذلك، وكذلك إخبار الناس بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم وفوق ذلك، فهو يمتلك القدرة، إن جَدَّ جدها، على إشفاء الأكمه والأبرص والأصم وإحياء الموتى بإذن الله تعالى.(٣) ولا ندري هل من قبيل الصدفة أن تتطابق كرامات الإنسان الكامل عند الشيخ عبد القادر مع معجزات

---

(٣) البقرة / ٣٠.

(١) الجيلاني – فتوح الغيب – ص١٦.

(٢) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٣٩.

(٣) للتفصيل حول هذه الكرامات وغيرها – أنظر الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص٦٣ فما بعدها.

نبي الله عيسى(عليه السلام)، أم هي مستمدة من كون عيسى (عليه السلام) هو آخر الرسل قبل بعثه النبي محمد من الذين بشروا به وصهّدوا لظهوره، أم هو بالأحرى يعتمد على الرواية المثيرة للجدل، والتي ترى أن عيسى (عليه السلام) هو خاتم الأولياء في أمة محمد (ﷺ)، بكونه من أشراط الساعة وأنه سيظهر في آخر الزمان هابطاً من السماء على جناحي ملكين على القبّة البيضاء في الشام، وأن زمنه هو زمن القيامة الصغرى التي تكثر فيها الملاحم وتتكالب الفتن.(٤)

يتصف الغوث أو الشيخ الكامل أيضاً، بأنه ذو نظر ثاقب، لا تصمد أمامه أسرار السرائر الكنونة وأن الناس بين يديه يصبحون مكشوفي الباطن كالقوارير، بحيث يرى ما في ظواهرهم كما يرى في بواطنهم. والشيخ الكامل، لولا لجام الشريعة على لسانه، لأخبر الناس بما لا يطيقون ولا يعقلون.(١) وإن له لمن القدرة والهمة ما يستطيع معها أن يغيث الناس متى ما ندبوه واستمدوا منه حتى وإن كان هذا الندب قد جاء من مسافة بعيدة جداً، لأنهم بحكم الغوث تلغى المسافات والأزمان وتتطوع القوانين الطبيعية وتذل الصعاب، وكذلك الأقدار التي تحدد مصائر البشر، فإنها بدعاء الغوث تتبدل، بحيث إن الأمور التي كتب لها أن تكون سيئة وضارة، تصبح جيدة ومفيدة. وغير ذلك كثير من الروايات والحوادث التي حفلت بها الكتب التي ترجمت (للغوث) عبد القادر الجيلاني، والتي إتفقت جميعها على إن كراماته كثيرة جداً وبينة وأكيدة، وهي دون غيرها من كرامات الشيوخ، قد ثبت بالتواتر وتناقلتها الأمة عن الأمة من عصر إلى عصر. على إن مجموع هذه الكرامات وغيرها، تدل على إن الشيخ الكامل قد تحرر مما يتقيد به بنو البشر عادةً، فهو غير خاضع لحكم الجسد ولا لثقل المادة ولا لقوانين الطبيعة بوجه عام، وهذا التحرر هو عين معنى قول الصوفية: إن الحرية الحقيقية تنبع من صلب العبودية، والعبودية بدورها تنبع من سعة الحرية وإن العبد كلما إزداد عبودية لربه، إزدادت حريته، أي قل خضوعه لحكم الأشياء، فكلما إزدادت حريته، رسخت عبوديته أكثر لرب العالمين.(٢)

وإضافةً إلى ما سبق، فإن الشيخ الكامل يمكنه التصرف في أحوال جميع أولياء زمانه، سلباً أو عطاءً، فبنظرة منه يهب الأحوال أو يسلبها ويتصرف في بواطن العارفين كما

---

(٤) الترمذي – ختم الأولياء – ص٣٣٦.

(١) يذكر الشيخ عبد القادر قوله: لولا لجام الحكم على لساني، لنطق صاع يوسف بما فيه، لكن العلم مستجير بذيل العالم، لا يبدي مكنونه – عبد الرحمن السائح، مناقب عبد القادر الجيلي – مخطوطة.

(٢) عرفان عبدالحميد فتاح، التصوف، ص١٢٢. كتاب الشيخ عبدالادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، د/جمال الدين فالح الكيلاني، ص٢٣.

يشاء.(٣) وهؤلاء – أي العارفون – لا مجال لهم لتجاوز حكم القطب عليهم، أو عدم طاعته أو الشك في صدقه، لأن في ذلك سمّاً لأديانهم وعقائدهم، وسبباً لذهاب دنياهم وأخراهم، ويصب في هذا المعنى جواب الشيخ بن الهيتي (ت – ٥٦٤هـ) وهو من معاصري الشيخ عبد القادر والملازمين لصحبته، حين سئل : لم كان أول من صعد إلى منبر الشيخ عبد القادر وأخذ قدمه وجعلها على عنقه ودخل تحت ذيله ؟ فقال : لأن الشيخ عبد القادر، أُمر أن يقولها وأُذن له في عزل من أنكرها عليه من الأولياء فأردت أن أكون أول من سارع إلى الإنقياد له، وكذلك الشيخ رغيب الرجي* فقد ذكر عن الشيخ عبد القادر: إنه قد سلِّمت له أزمة معالم الحقائق، فكان سيد البُزاة الشهب من العارفين وقائد ركب المحبين الصادقين من الواصلين، وكان سَمْته يحلل القلوب هيبةً ووقارً وصمته يكسو القلوب إجلالاً وأنواراً، ونطقه يحصِّل ما في الصدور وإنفاسه تبعثر ما في القلوب وأنواره تضيء بها أركان الطريقة والحقيقة بالشريعة. ولقد رحم الله تعالى به محبه ومتبعه ورفيقه.(١) والشيخ عبد القادر نفسه، تحدث يوماً لأصحابه، بعد طول إطراق وصمت، وهو بلسان الحال، فقال: ((أنا سيفي مشهود وقوسي موتور ونبالي مفوقة وسهامي صائبة ورمحي مصوب وفرسي مسرج. أنا نار الله الموقودة، أنا سلاب الأهوال، أنا بحر بلا ساحل، أنا دليل الوقت، أنا المحفوظ، أنا الملحوظ، أنا المحظوظ. يا صوّام يا قوّام، يا أهل الجبال دكت جبالكم. يا أهل الصوامع هدمت صوامعكم. أقبلوا إلى أمر من أمر الله. أنا أمرٌ من أمر الله.(٣) وتجدر الإشارة هنا، إلى أن هذه الأقوال وتلك التصريحات، لها تعلق أكيد بأحوال الصوفية وتجلياتهم وذلك بدلالة ممارستهم الحياة الاعتيادية وهم بين الناس، وعليه فأنه لا يمكن التعامل أو فهمها إلا من خلال (قوانين) التجارب الروحية نفسها فأمّا إن سميناها شطحاً أو قلقاً دينياً واجتماعياً، وحاولنا أن نرجعها إلى أسباب مادية ضيقة، فلعلنا بذلك نقلل من قيمتها المعرفية، كونها حقائق صوفية وروحية ثرية، ويكفي لدعم هذا الرأي، أن نذكِّر أن أغلب شيوخ التصوف في التأريخ، كانوا في أوقاتهم على درجة كبيرة من الشهرة والتميز والصدق، بحيث لا نملك مع ذلك، إلا أن نحمل كلامهم على محمل الجدّ، في الأقل إلى أن نمتلك الأدوات المعرفية الكفيلة بفهم مراميهم.

---

(٣) حفل كتاب (بهجت الأسرار ومعدن الأنوار) أكثر من غيره من الكتب التي أرخَّت لسيرة الشيخ عبد القادر الروحية، بالكثير من القصص التي تذكر معاقبة الشيخ عبد القادر للمخالفين له أو المنكرين عليه بعض أحواله أو الخارجين عن حكم الشرع، لسلب أحوالهم ومحق الأنوار القدسية من بواطنهم – أنظر ص٨٣ من الكتاب وكذلك ص٣٠ التي تضمنت قصة الشيوخ الثلاثة الذين أذن لهم الشيخ عبد القادر بإن يطلب كل منهم أمنيته الروحية كي يحققها لهم.

* لم نعثر له في كتب التراجم على تأريخ ولادة أو وفاة.

(١) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٥.

(٢) عبد الرحمن السائح – مناقب الشيخ عبد القادر الجيلي – مخطوطة.

إضافة إلى التحكم في أحوال وسرائر الرجال، فأن للشيخ الكامل أيضاً، التصرف في الأنواء والبحار والانهار وكل ظواهر طبيعية، لا بل تطيعه حتى الدواب وخواص الأشياء الجامدة.(١)وغلى ذلك أشار محي الدين بن عربي، في حديثه عن صاحب الخلافة العظمى إذ قال ((فإذا أعطي التحكم في العالم، فهي الخلافة، فأن شاء تحكم وظهر كعبد القادر الجيلي، وإن شاء سلم وترك التصرف لربه في عباده، مع التمكن من ذلك)).(٢) ولا يعد هذا الوصف من قبيل المبالغات التمجيدية التي حيكت حول شخصية الشيخ عبد القادر بعد وفاته، وإنما يصدر منه.(٣) ومن الصوفية المعاصرين له من أمثال الشيخ عمر السهروردي (ت-٦٣٥ هـ) الذي كان يصفه بكونه سلطان الطريق والمتصرف في الوجود على التحقيق، وأنه كان له اليد المبسوطة من الله تعالى والتصرف النافذ والفعل الخارق الدائم، وأنه قد انتهت إليه رئاسة هذا الأمر – أي أمر الطريقة – وإليه يلقى أمر الكون.(٤)

الصفة الأخرى للشيخ الكامل هي: سيادته المطلقة على كل أهل زمانه من الإنس والجان، لأنه إذا كان للإنس مشايخ، فأن سيكون حتماً للجن مشايخ، لأنهم مكلفون أيضاً، والقطب هو شيخ الكل. وأما سلطته المطلقة على الجميع، تلك فإنها، متأنية من خوفه الحقيقي من الله تعالى، فبهذا الخوف، خافه كل شيء، فبهذا الخوف صار لا يبالي أين كان ولا أين حلّ، إذ هو على اليقين من ربّه بأنه (أين سقط لقط) وبأنه إذا خدم الله تعالى، فسيخدمه الحكم والعلم والقدر والإنس والجان وحتى الملائكة ((لأن من خاف الله عز وجل، خاف منه كل شيء، ومن لم يخف منه، أخافه من كل شيء، ومن خدم الله عز وجل، أخدم له

---

(١) يذكر أن الشيخ عبد القادر، قد تعرض لحرس السلطان الذين كانوا يحملون على دوابهم خمرً الى القصر، وحين لم يعيروه إنتباهاً، أمر دوابهم بألتوقف فأطاعته وحول خمرهم خلاً – أنظر الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٤١ . وكذلك قصته مع الخليفة المستنجد بالله وجلبه التفاح له في غير أوانه وإستخراجه الدم من مال الحرام – المصدر نفسه – ص٦١ . وكذلك قصة أمره للمطر الذي فرق مجلسه، بالكف عن الهطول وأمره دجلة بالتوقف عن إغراق بغداد – المصدر نفسه – ص٧٥ وقد ورد عنه قوله : ما تطلع الشمس إلا وتسلم عليَّ – المصدر نفسه – ص٢٢ . وقد حفلت قصائده بالكثير الكثير من هذه الخصائص والقدرات، وبخاصةٍ منها قصيدته المشهودة المسماة بـ(الوسيلة) التي يقول فيها : وكل بلاد الله ملكي حقيقةً وأقطابها من تحت حكمي وطاعتي. أنظر ديوان الشيخ عبد القادر الجيلاني – مخطوطة – دار صدام للمخطوطات – تحت رقم (٩٩٩) . ولسنا هنا بصدد التحري عن مدى صحة هذه الروايات ، وإنما الذي يهمنا فقط ، هو تسليط الضوء على ما يعتقده أهل التصوف في (الغوث) وفي شيخ الصوفية وفيما يشتمل عليه من صفات خارقة للعادة.

(٢) محي الدين بن عربي – الفتوحات المكية – ج / ٢ – ص٣٠٨

(٣) يذكر عبد الرحمن السائح، أن الشيخ عبد القادر قد قال يوماً لأصحابه : أنه قد سلم إلي العراق ثم بعد مدة قال : الأن سلمت إلي الأرض شرقها وغربها وقفرها وعمرانها وبرها وبحرها وسهلها وجبالها، ولم يبق أحد من الأولياء، إلا أتاه وسلم عليه – أنظر – مناقب الشيخ عبد القادر الجيلي – مخطوطة .

(٤) الشيخ محمد أمين التونسي – رياض البساتين في أخبار الشيخ عبد القادر – ص٢٩٠.

كل شيء، لأنه لا يضِّيع من أحدٍ من عباده، ذرة)).(١) ويتبين لنا بوضوح، مما سبق، تأكيد الشيخ عبد القادر، المعهود، على الربط المحكم بين قدرات الشيخ الكامل (الخارقة) وإلتزامه وتمسكه بشريعة الدين، وإن الغرض من كل هذه الامكانات والسلطات، ليس هو امتلاكها بحد ذاتها، وإنما لأجل خدمة دين الله وعباده. والشيخ الكامل، بعد أن يبلغ درجته تلك، وبعد أن تصفو مرآة روحه، فستفتح على قلبه من العلوم اللدنية، ما لا أذن سمعت، و لا خطر على بال بشر.(٢) ويكشف له من أسرار الله عز وجل وأفعاله، ما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم، فإذا ما أفعم قلبه بهذه العلوم وتلك الأسرار، فسيكون مهياً للتوجه لكلا العالمين: العالم العلوي والعالم السفلي وفي الوقت نفسه ومن غير أن يذهل عن أحدهما. على أن ذلك لا يحصلُ إلا بعد إكمال سلوك طريق المقربين وإتمام فرض الجهاد الأكبر. المهم هنا، هو أن الشيخ الكامل، إذا ما بلغ هذا المبلغ من العلم، فلا يسعه السكوت، و لا يسعه إلا التحدث لأهل زمانه بما أنعم الله تعالى به عليه. علماً، إن القطب المتحدث هو الأكمل في مقام القطبية، لأنه لسان التبشير والتنذير ولسان المعرفة ولسان الشفاعة ولأنه على بصيرة من ربه، ولأنه أيضاً صاحب مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مقام الإرشاد، ولذلك فإن الشيخ عبد القادر كان طالما يحدث أصحابه بأنهم لو سافروا ألف عام، من أجل أن يسمعوا منه كلمة واحدة، لما خرجوا من صفه.(٣) أي بمعنى أن نجاته في الدنيا والآخرة، وكمال دينه سيكون على يده لأنه خليفة الرسول (ﷺ) والحافظ لإرثه. وهذه النقطة بالذات، هي ما يؤكدها الصوفية بإستمرار ويعدونها من أهم القضايا في الدين الإسلامي، فالدين عند الصوفية يعد رسالة حية وتجربة روحية معاشة، يتوارث أسرار العارفون حياً عن حي، أي بمعنى إنها ليست أقوالاً مكتوبة يتناولها العلماء عن الأموات، بحيث إنها تدخل الأسماع وقد لا تدخل القلوب.

وقبل أن ننتهي من ذكر صفات الشيخ الكامل، لا بدّ من أن نعرج على وصف الشيخ عبد القادر مقاماً هذا القطب ودوره في الحياة والهدف من وجوده بين الناس، وسنلاحظ من خلال ذلك، إن الشيخ عبد القادر ظلَّ وفياً لمنهجه الأساس في الربط العضوي بين الحقيقة والشريعة، وذلك على الرغم من إن موضوع الإنسان الكامل، كان يبدو للكثيرين، ممن هم خارج الحقل التجريبي والصوفي، وكأنه إنفلات سافر وتمرد معنى على قواعد

---

(١) الجيلاني – الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص٢٤١. وقد ذكرت الكتب التي أرخت لسيرة الشيخ عبد القادر، قصة الرجل الذي خطف الجن إبنته، والذي إستجار بالشيخ عبد القادر فأمر الجن فأعادها إليه.

(٢) ورد عن الشيخ عبد القادر قوله، بعد سهوة طويلة وفي جمع من أصحابه : وقد فتح لقلبي الآن سبعون باباً من أبواب العلم اللدني، سعة كل باب منها كسعة ما بين السماء والأرض ولا محيط بما في المحيط من الدر. – عبد الرحمن السائح – مناقب عبد القادر الجيلي – مخطوطة.

(٣) عبد الرحمن السائح – المصدر نفسه.

الشرع وأصول الدين، وهذا بالضبط هو ما حاول أن يكرسه د. عبد الرحمن البدوي في كتابه ((الإنسان الكامل في الإسلام))(١) من خلال تصويره هذه الفكرة يشكل طوبائي حالم وبشكل إنعكاس نفسي فجّ لواقع مؤلم وحياة محبطة للأمال وعَده بكونه ليست إلا محاولة غير معلنة من قبل الإنسان المتمرد، للانعتاق من أسر عبوديته الوجدية ومحاولة الإلتحاق بدائرة الوجود الإلهي المطلق. ولعل (د. بدوي) في هذا التفسير، كان وفياً أكثر مما اللازم للفلسفة الوجدية، بحيث أنه لم يلتفت كثيراً للواقع الديني والاجتماعي للفكر الصوفي الإسلامي. الشيخ الكامل أو القطب، عند الشيخ عبد القادر، هو موضع نظر الله عز وجل أي إنه بيت الرحمة والنور والمعرفة ومصدر العناية الإلهية. وهو المركز المشع الذي تتطلع كل المخلوقات، إلى الإقتباس من أنواره اللامتناهية. وهو المربي الروحي الذي اضطلع بواجب تربية النفوس، وهو منبع العلم والحكم والمعرفة، وهو ملاذ الأمن والرجاء، وإليه يلجأ الأولياء والعارفون، لأنه كهفهم الذي يأوون إليه وموئلهم ومرجعهم ومتنفسهم ومستراحهم، وإن في صحبتهم له، مسرة عظيمة، ولا تدانيها مسرة أخرى، لأنهم يدركون ببصائرهم رفعة منزلته عند بارئه فهو ((عين القلادة ودرة التاج))(٢). إذن فمقام الشيخ الكامل، يعدّ عند الشيخ عبد القادر ضرورة دينية ومعرفية ملحة، فدونه لا تكون درجات و لا مقامات ولا وصول، ودونه تتقطع السبل بين السماء والأرض، والأهم من كل ذلك فإن وجود الشيخ الكامل يعد ضمانة وأمانة لإتمام جواز الطريق الصوفي. فهو الخبير وهو العارف وهو الدليل.

وتجدر الإشارة، إلى أن بيان وظيفة الشيخ الكامل والكشف عن مقامه ومنزلته، لا يعني الأحاطة بسرَّه وصفته إحاطة تامة، لأن من ذلك يكاد أن يكون ضرباً من المستحيل، فلا يمكن للواصف في نظر الشيخ عبد القادر، أن يبلغ وصف القطب، لأنه متشعب الصفات متعدد الوجوه، كثير الخصال جم المواهب، وإن الثراء في سجاياه، متأت ثراء معارفه في علومه وأحواله، إذ لا يوجد مسلك من مسالك الحقيقة، بكل أشكالها وتجلياتها، إلا وله فيه موطئ قدم ثابت، ولامقاماً عالياً وخطيراً، يقف على نهاية الطريق الصوفي، إلا وله فيه قدم راسخ، ولا منزلة في المشاهدة غلا وله فيها مشرب هنئ ولا معراج روحي إلا وله فيه مسرىً، ولا أمر في كوني الملك والملكوت، إلا وله فيه كشف خارق، ولا سر في عالمي الغيب والشهادة، إلا وله فيه مطالعة، ولا نور الهي إلا ومنه إقتبس ولا معرفة إلا وله فيها نفس، ولا مكرمة إلا وهو لها مخطوب ولا مرتبة إلا ولها مجذوب ولا نَفَس إلا وهو فيه محبوب. وهو مع كل هذه الأوصاف، لا تجده إلا متصدراً على أهل وقته، فهو قائدهم من غيابات

---

(١) التفصيل – أنظر - ص٥٠ فما بعدها من المصدر أعلاه.

(٢) الجيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل – ج/٣ – ص١٢٧١.

الظلمات إلى أفاق النور، وكل الناس له تبع، وهو يتقدمهم حاملٌ لواء العزّ ومنتضي سيف القدرة، وهو حاكم الوقت وسلطان جيوش الحبّ وولي عهد التولية والعزل، وهو لا يشقى به جليسه ولا يغيب عنه شهوده ولا يتوارى عنه حاله، وإنه لا مرمى فوق مرماه ولا وجود أتم من وجوده و لاشهود أظهر من شهوده. على أن كل هذه السجايا الخارقة والفائقة، قد جمعت داخل حيزٍّ ناسوته فهو في الوقت نفسه، أرضي وسمائي قدسي غيبي، له حدّ ينتهي إليه ووصف ينحصر فيه.((وولولا لأن عالم الملك والحكمة لا يظهر فيه شيء من عالم الغيب والقدرة، إلا في قشرة الحجاب وإشارة الرمز وقيد الحصر، لشاهد أهل الكون من هذا الأمر عجباً)).(١)

إذن فهو إنسان كليّ القدرة كامل الصفات كثير المواهب، لا يخضع لما يخضع له البشر العاديون ويخضع له كل شيء، على أن كل هذه المزايا لا تخرجه من عالم البشر وأحكامهم و لا من سلطة الشريعة وأحكام الفرائض، فهو رغم كماله يبقى إنساناً يعيش بين الناس، ولكن الله تعالى كرّمه به كي يتمكن من حمل ما أنيط به حمله، وهي الأمانة التي كلّت عن حملها الجبال. فأما ما سبق من ذكر (بعض) قدراته وأوصافه غير المعقولة، فأنها من لإمكانات الروح التي تخرج عن نطاق فهم العقول وإستيعابها. ومن جهة أخرى، فأن علينا أن نكون متأكدين من أن أي ذكر لصفات من هذا القبيل، فأن المعني بها على وجه الخصوص، هو الشيخ عبد القادر ذاته، بتورية أحياناً وبمكاشفة أحياناً أخرى، وسواء أصدر هذا الوصف منه شخصياً أم من أصحابه المعاصرين له كالشيخ رسلان الدمشقي(٢) مثلاً، الذي قال في وصف منزلة الشيخ عبد الروحية: لله دّره، فلقد شرب من بحار القدس وجلس على بساط المعرفة والأنس وشاهد سره بعظيم الربوبية وإجلال الأحدية، فتلاشي وصفه في شهود الكبرياء، وفني وجوده عند معاينة مقام القرار وهبّ على روحه نسمات روح الأزل، بلا خجل ولا وجل، فنطق بالحكم من معادن الأنوار وإمتزج بسويداء سره مكنون الأسرار، فهو في الحضور صاحي وفي الصحو ما حي،واقفاً بالحيا منبسطاً بالإذن والصفا، متكلماً بالتواضع مذللاً بالإفتقار ومقرباً بالتخصيص بالإكرام.(١)

ويمكننا أن نلاحظ، مما سبق، أن وصف (الدمشقي)مقام الشيخ عبد القادر، قد إشتمل على أغلب النظريات الصوفية التي تضمنَّها الصوفي الإسلامي، فهو قد تضمَّن القول بوحدة الشهود والفناء الشهودي وكذلك الفناء الوجودي والصحو قد والمحو

---

(١) محمد أمين التونسي – رياض البساتين في أخبار الشيخ عبد القادر الجيلي محيي الدين – ص٢٩٠.

(٢) لم نعثر له على تأريخ ولادة أو وفاة.

(١) الشطنوفي – بهجة الأسرار ومعدن الأنوار – ص١٥.

والبسط والقبض والفقر والوقرب والوصول ...الخ وهذا إن دلّ على شيء، فأنه يدلّ على عمق العبعد الفكري الذي إشتمل عليه المنهج الصوفي للطريقة القادرية، بكونها طريقة أُسست لتكون طريقة عمل وسلوكٍ صوفي في الحياة العامة، قبل كل شيء.

ثم نأتي أخيراً، إلى أقصى درجات الجهر والإفصاح والكشف عن الأسرار، وأعني به كلام الشيخ عبد القادر الذي أبان فيه عن نفسه، وجهر بمستوى رتبته الروحية، إذ يقول: قلبي في مكنون علم الله، في زاوية عن الخلق، ملك على باب الحق سبحانه أظهره قبلةً لكل وارد من أهل زماني، فهو يطلّع على أسرار الخليقة، ناظرا إلى وجوه القلوب، قد صنّفاه الحق عن رؤية سواه، حتى صار لوحاً ينقل إليه ما في اللوح المحفوظ، وسلّم إليه أزمَّة أمور أهل زمانه وصرَّفه في عطائهم ومنعهم، وقال له بلسان الغيب: إنك اليوم لدينا مكين أمين، وأقعده مع أرواح أهل اليقين على دكة بين الدنيا والآخرة، بين الخلق والخالق بين الظاهر والباطن وجعل له أربعة وجوه، وجه ينظر به إلى الدنيا ووجه ينظر به إلى الآخرة ووجه ينظر به إلى الخلق ووجه ينظر به إلى الخالق، وصَيّرَه خليفةً في أرضه وعوالمه، فإذا أراد به أمراً قلبه من صورة إلى صورة ومن هيئة إلى هيئة فأطلعه على خزائن الأسرار، لأنه مفرد الملك ونائب أنبيائه وأمين مملكته في وقته.(٢) وهذا نص يفصح عن نفسه أكثر من أي شرح وهو يتضمن تمام البيان عن منزلة القطب أو الغوث أو الشيخ الكامل في قومه.

ومن خلال ما سبق، يتبين لنا، أن الشيخ الكامل، هو المتوحد والمتجرد، الذي أفزع قلبه من كل ما هو سوى مولاه تعالى، سواء أكان هذا السوى دنيا أم آخرة، والذي صفّاه الله تعالى وإستخلصه لنفسه وجعل منه باب رحمة بينه وبين خلقه ومكنَّه منهم بأن جعل أزمّة قلوبهم في يديه، ثم أعانه على حمل تلك الأمانة بأن جعل له قوىً وهيئات متعددة. على أن ما يهّمنا من هذا تأكيد على ذكر صفات الشيخ الكامل، هو سعينا إلى بيان أن فكرة الإنسان الكامل عند الشيخ عبد القادر، كانت واضحة وضوحاً تاماً.(١)

إن فكرة الكمال بشكل عام، أو الحلم الأزلي لبلوغ الكمال الروحي والجسمي والعقلي، أو نيل الخلود أو إمتلاك القدرات الخارقة، يعد أمراً مألوفاً في تأريخ الحضارات البشرية طرقه الإنسان منذ قديم الزمان وفي حضارات متنوعة وأماكن مختلفة من العالم،

---

(٢) الشطنوفي – المصدر نفسه – ص٢٤.

(١) للتفضل حول رؤية الطريقة القادرية في الوقت الحاضر لمفهوم الإنسان الكامل أنظر كتاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني، ص١٧٤ ومابعدها.

وبإستنساخ بسيط، يمكن القول: إن هذا (الحلم) يمكن أن يعدَّ إنعكاساً يوتوبياً(٢) لواقع ناقص يعتوره الظلم والفقر والإضطهاد من جهة، والشعور بالعجز والضآلة أما الموت وأمام الظواهر الطبيعية والكونية القاهرة من جهة أخرى. وهنا يحق للسائل أن يتسأل عن مدى إرتباط هذا (الحلم)، بفكرة الإنسان الكامل عند متصوفة الإسلام، وهل هذا الأخير يمكن أن يندرج ضمن نفس المرجعيات الفكرية والنفسية والاجتماعية للأول؟. وقبل الإجابة عن هذا السؤال، لا بدّ من أن نسأل أولاً عن ماهية التصوف بشكل عام، من أجل أن ننطلق من أرض صلبة في إجابتنا عن السؤال الأساس.

إن السؤال عن ماهية التصوف، يعني إبتداءً، البحث عن حقيقته، أو بالأحرى البحث عن مسوغ ظهوره على الساحة الفكرية وهل إنه ظهر كرد فعل تجاه شعور الإنسان بالعجز عن إيجاد حل لمشكلاته المستعصية؟ أم إنه ظهر بكونه ناتج طبيعي لصراع مستمر بين أعراق وحضارات مختلفة، كما يذهب إلى ذلك أغلب رواد الإستشراق من الذين تناولوه هذا الموضوع؟ أم إنه ليس إلا تكتلاً اجتماعياً يهدف إلى توفير أكبر قدر من الحرية والحماية لأفراده تجاه الإضطهاد الاجتماعي والسياسي؟.(٣)

وبإختصار فهل يمكننا أن نفسر النزوع الطبيعي للتصوف لدى الإنسان تفسيراً اقتصادياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو نفسياً، فقط، ومن ثم نبوبه ونقننه كأي سلوك إنساني طبيعي له إرتباط معلوم بمرجعيات معرفية أو فكرية أو اجتماعية محددة؟

ومن أجل مزيد من توضيح القصد، فأنه يمكن توسيع دائرة الإستفهام، وذلك من خلال توجيه سهامها كافة صوب الدين بوجه عام. حيث نسأل: ما هو أصل النزوع إلى التدين لدى البشر؟ وهل يمكننا أن نكتفي بإرجاعه إلى تفسيرات مادية بحتة؟. لقد تعرض الدين فعلاً، ومنذ بدايات القرن التاسع عشر، إلى كثير من هذه المحاولات (العلمية) في التفسير، لكن يحق لنا أن نسأل ونحن داخل أسوار القرن الواحد والعشرين، هل تمت السيطرة فعلاً على (ظاهرة) الدين؟ وهل تمَّ تفسيرها تفسيراً علمياً محدداً؟ وهل تم الاستغناء عن الدين بعد أن ظن الإنسان أنه قد عرف آلياته التي يعمل على أساسها؟ ومن غير استرسال مع هذه الأسئلة، فإنه يمكن الجواب عن جميعها بالنفي، لأن جميع التفسيرات المادية، كانت قد أغفلت ماهية الدين الحقيقية، أو جانبه الروحي أو الغيبي

---

(٢) اليوتوبيا في المعنى الحرفي تعني المكان الذي لا وجود له، وفي الإصطلاح تعني المكان الذي يتخليه الإنسان خالياً من جميع أنواع النقص والشر. الموسوعة الفلسفية – وضع علماء السوفيت – بيروت – ص٥٠٨.

(٣) يذهب إلى هذا الرأي – د. عبد الله العروي في كتابه – مفهوم الحرية – الدار البيضاء – ط٣- ١٩٨٤.

وكونه فطرة مغروسة في أصل النفس البشرية، وبناءً فوق وجهة النظر العلمانية، وليس تجاوزاً أو نكراناً لها، فإنه يمكن القول: إن كون الدين غيباً لا يعني الانتقاص منه أو المساس بمشروعية وجوده، فلقد أصبح ثابتاً الأن، وأكثر من أي وقت مضى وعلى وفق المعطيات العلمية ذاتها، إنه يوجد إلى جانب حياتنا المعتادة والزاخرة بالحاجات المادية والتفسيرات والنظريات والقوانين العلمية، جانب روحيٌ خصب، لا يمكن تخطيه دون إحداث شرخ هائل في التوازن المفترض في حياة البشر، أفراداً ومجتمعات، وإن التوجه الثقافي العام يشهد في الوقت الحالي محاولات جادة ومتعددة، تبغي إلى إحياء جوانب في حياة البشر، تعارف الغرب على تسميتها ب (اللامعقول) وهي تلك الجوانب التي لا يمكن أن تنضوي تحت حكم نظريات العقل وقوانينه وأحكامه.

ومن صلب الدين تنبثق التجربة الصوفية، وهذه التجربة، مثلها في ذلك مثل أي فعالية إنسانية توجد على أرض الواقع، تتأثر بكل العوامل المادية والاجتماعية، ولكن في الوقت نفسه، تبقى لها حقيقتها الخاصة بها وألياتها الذاتية، وكونها حاجة فطرية إنسانية، وهذه التجربة، فيما لو توفرت لها الشروط اللازمة، فإنها ستدفع بالإنسان دفعاً قوياً، إلى أن يلهب الجوانب الروحية في داخله، من أجل مزيد من الرقي الروحي والسمو الأخلاقي، ومن أجل أن ينتصر على كثير من العوائق والحجب التي تحول بينه وبين مبتغاه الحقيقي، وهو التقرب من الله تعالى تقرباً حياً مفعماً بالعاطفة الصادقة وغير مقتصر على ما ظهر من الرسوم والحركات والأقوال.

ومن صلب التجربة الصوفية في الإسلام، تنبثق نظرية الإنسان الكامل بسعيها الدائب نحو بلوغ الكمال الممكن، الذي يعتقد الإنسان الصوفي إن الله تعالى قد غرسه فيه، ولكن في الوقت نفسه حفّه بالكثير من الحجب الظلمانية، كالغرائز والشهوات. إن الصوفي في سعيه الحثيث للانتصار على ذاته، لا يضع الطبيعة وأحكامها خصماً أمام ناظريه، ولا الجوانب الاجتماعية أو السياسية، وإنما هو يهدف أولاً وقبل كل شيء إلى طلب المزيد من القرب والحب لمولاه، عن طريق زيادة نسبة المشاكلة بين طرفي المعادلة، وذلك من خلال التحلي بالمزيد من محامد الأداب ومكارم الأخلاق، ولكن مع ضرورة التأكيد: أن هذه الرؤية لحقيقة التصوف لا تعني إلغاء التأثيرات المادية والاجتماعية والنفسية على صيرورة وحركة ونمو الغرس الصوفي خصوصاً ونحن نرى أن التصوف المولود مع ولادة الإسلام، كان قد إزدهر وترعرع وبشكل ملحوظ مع بدايات الانتكاس الحضاري في التأريخ الإسلامي، ولكن من جانب أخر فإن هذا الربط، يمكن أن يسلط المزيد من الضوء على التفسيرات الروحية للتجربة الصوفية، إذ يمكن القول: إن إحساس الإنسان ببداية الانهيار الاجتماعي

والسياسي يحدو به إلى أن يضاعف من مسؤولياته الأخلاقية تجاه نفسه وتجاه المجتمع من أجل أن يثبت الأخرين: أن الإنسان يمكنه أن يكون في حال أفضل مما هو عليه وأيضاً لكي يذكرهم بالهدف الحقيقي من وجودهم وهو تحقيق الصلة الصحيحة التي تربط العبد بخالقه وإن هذه الصلة كفيلة بأن تعيد الإنسان خلقاً أخر بحيث يصبح بإمكانه أن يسمو على كثير من الظروف والعوائق التي يخضع لها البشر.

((يمضي الكثير من الناس في عالمنا عمره يعتقد بمعتقدات لم يسائلها. ويدافع عن أفكار لم يفكر فيها. ويحرس مفاهيم لم يناقشها. وربما يموت من أجلها!

ما أجمل محمد أركون وهو يطرب لقول الإمام عبد القادر الجيلاني: "نازعت الحق بالحق للحق.!"

بوسائل الحق!

في سبيل الحق!

-يقظة المجتمع المسلم تتوقف على ألا تكون لديه سلطة للفهم تعلو على سلطة العقل "المنضبط بالشرع" .. تغييب العقل يفضى إلى تضخم المخيلة الخرافية. والغرق في هذيانات يمكن أن تقول كل شيء لكنها لا تقول شيئاً ذا معنى.. تفتك هذه الهذيانات بوعي الجمهور وتستلب عقله حين تتلفع بالمقدس. وكأن مهمة المقدس اطفاء جذوة العقل..!))

الخاتمة

في دراسة التصوف على الباحث في نصوصه أن ينتبه إلى أن تراث المتصوّفة لا يمكن استئنافه كما هو في عالمنا اليوم ، لأنه كأي تراث آخر صنعه البشر ينتمي للأفق التاريخي الذي ولد فيه ، وهو مرآة العصر الذي تكون فيه ، إذ ترتسم في هذا التراث أحوال ذلك العصر ومختلف ملابساته ، فعلينا الولوج إليه برفق مع مراعاة روح العصر والتقدم العلمي والوسطية والفهم السليم والإبتعاد عن الأساطير الشعبية التي ألصقت فيه.

لم تكن عظمة الإمام الجيلاني تكمن في مبادئ مثالية مطلقة ، كان يدعو إليها فحسب وإنما في فهمه العميق لمجتمعه ، وللمجتمع الإنساني بوجه عام ، وإدراكه جوهر المشاكل الأساسية الذي يعاني منها ذلك المجتمع ، فهو على رغم زهده وقناعته الكاملة ، لم يقف موقف الضد من الحياة ، بما تستوجبه من سعي في سبيل الرزق وسيطرة على أسباب الدنيا ، بل أكد على ضرورة العمل ، من أجل أن يضع الإنان (الدنيا بين يديه) ولكن مع ملاحظة أن لا تنتقل إلى قلبه فتفسد ذلك القلب ، وتقطع أسباب إتصاله بالله سبحانه وتعالى ، وهذا لعمري فهم للإسلام سليم وإدراك عميق لجوهره ومعانيه!

قبل علوّ مد الهوس المعاصِر بالقضايا الاجتماعية والسياسية، كانت الجديلة المعرفية التي تُلقَّب عادةً بالتصوف تلعب دورًا رئيسًا، إن لم يكُن مُهيمنًا؛ في كافة المجتمعات المسلمة. ويتميَّز التصوّف عن سائر مقاربات التقليد الإسلامي بحقيقة كونه يعتبِرُ من تزكية الروح غايةً للحياة الإنسانية، بينما ينظُر للعقائد والشعائر والشرائع بوصفها وسائل لبلوغ تلك الغاية، وليست غايات في ذاتها.

قائمة بأهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

(أ) المخطوطات.

١- الألوسي،شهاب الدين أبو الثناء (ت١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) ،الطراز المذهب في شرح الباز الأشهب ،مخطوط في المكتبه القادرية،رقم١٤٠٥.

٢-الإمام الشطنوفي،علي بن يوسف (ت٧١٣هـ/١٣١٣م)، بهجة الأسرار ، مخطوطة المكتبة القادرية تحت الرقم ١٥٦٠.

٣- الإمام الشطنوفي، علي بن يوسف(ت٧١٣هـ/١٣١٣م)، بهجة الأسرار ، مخطوطة دار المخطوطات تحت الرقم ٣٢١٦.

٤-النووي، يحي بن شرف (ت٦٧٦هـ/٢٧٧م)، بستان العارفين،مخطوط في المكتبه القادرية،رقم٩٣٢.

٥-الهروي، علي بن سلطان القاري(ت١٠١٤هـ/١٦٠٥م)،(من علماء الدولة العثمانية)، نزهة الخاطر في ترجمة الشيخ عبدالقادر. مخطوطة المكتبة القادرية تحت رقم ٧٢٤.

٦- الكيلاني (١٩٤٤-)،فالح نصيف الحجية الكيلاني، شرح ديوان السيد الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، مخطوطة عند المؤلف .٧٢٦

٧-القادري (؟)،ظهير الدين ، الفتح المبين ، مخطوط محي هلال السرحان.

٨- مؤلف مجهول (؟)، أنساب الطالبيين ،مخطوط سالم الالوسي.

٩-قطب الدين موسى بن محمد اليونيني(هج٧٢٦)، مناقب الشيخ عبدالقادر ،مكتبة (الأسكوريال) بأسبانيا المحفوظة تحت الرقم (٤١٧/٢) ، مصورة الدكتور محي هلال السرحان.

١٠- العمري،أبو الحسن ()،المجدي في النسب ، مخطوط مكتبة الأسكندرية رقم ٣٧٤٢ .

١١- الكيلاني ()، علاء الدين ،تحفة الأبرار ولوامع الأبرار ،مخطوطة جامعة برنستون ،مصورة السيد عبدالستار هاشم سعيد الكيلاني (لواء مهندس متقاعد)

١٢- ابن الوردي (ت ٧٤٩هج)،مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب ،نسخة سالم الألوسي .

١٣- جواد، مصطفى (١٩٩٦-)،أصول التاريخ والأدب ،مخطوطة في ٢٤ مجلد و أغلبها نقولات من مخطوطات نادرة ، لدى ولده جواد مصطفى جواد ،ومخطوطة مختصر

الأنساب وهي ملك الدكتور حسين علي محفوظ . وكتابه ، في التراث العربي ،تحقيق : محمد جميل شلش وعبدالحميد العلوجي ، منشوراة وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٧

١٤- ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ/١٢٠١ م) ،درر الجواهر من كلام الشيخ عبدالقادر ،مخطوطة نادرة في بضع صفحات عند العلامة سالم الألوسي ،ص٣،وذكر هذا الكتاب ووثقه ، التادفي في قلائد الجواهر ،ص٢١ويوسف زيدان في تحقيقه للديوان ،ص٤١ ،ودرر العقود ،مخطوط الاسكوريال ، رقم٥٨٢/٨ الورقة ٩٨١ مصورة سالم الألوسي .

١٥- اليافعي ،ابن اسعد ت(٧٦٨هج)، خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبدالقادر ، مخطوط جامعة برنستون ، مصورة السيد عبدالستار هاشم سعيد الكيلاني.

١٦- البغدادي ،عباس ()، نيل المراد في تاريخ أهل بغداد ،مخطوط فريد فرغ منه مؤلفه في شعبان سنة١٣٣٣هـ ،مخطوطة محي هلال السرحان.

(ب) المصادرالعربية.

١- ابن الأثير، محي الدين المبارك بن محمد الجزري، (ت:٦٣٠هـ /١٢٠٨م) ، الكامل في التاريخ، ج٩ ،دار صادر، بيروت، ١٩٧٥.

٢- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٢.

٣- ابن تغرى بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٤- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم، (ت ٧٦٨ هـ/١٣٢٧ م)، الفتاوى، المكتبة السلفية، الرياض، ١٩٦٠.

٥- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م)، غاية النهاية ،ج١، القاهرة،١٩٣٢.

٦- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧ هـ/١٢٠١ م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، مطبعة حيدر أباد، دائرة المعارف الإسلامي ، ١٩٦٩.

٧- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني(ت٨٥٣ هـ/١٤٤٩م)، الدرر الكامنة، ج٣، مطبعة حيدر أباد ،الهند، ١٩٢٩.

٨- ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي(٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧.

٩- ابن خلكان،أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢.

١٠- ابن الدبيثي، محمد بن سعيد بن محمد(ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد ، انتقاء الذهبي، تحقيق مصطفى جواد،مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ،١٩٥٢.

١١- ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين الحنبلي (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م) ،الذيل على طبقات الحنابلة،ج١-٢ ، مطبعة الحلبي،القاهرة ، ١٩٥٢.

١٢- ابن الصابوني، جمال الدين(ت٦٨٠هـ/ ١٢٨٣م)، تكملة إكمال الإكمال، تحقيق، مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٥٧.

١٣- ابن عربي، محي الدين(ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحي،ج٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤.

١٤- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحق الحنبلي(ت١٠٨٩ هـ/١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤-٥ ، مكتبة المقدسي، القاهرة ، ١٩٢٩.

١٥- ابن الكازروني، ظهيرالدين علي بن محمد(ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠.

١٦- ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء (٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

أ- البداية والنهاية ، ج٦،مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٨.

. ب- تفسير القرآن العظيم،ج١٣ ،مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٢.

١٧- ابن هشام، أبو محمد عبدالملك أيوب الحميدي(ت٢١٨هـ/ ٨٢٠م)، السيرة النبوية،ج٣، تحقيق محمد محي الدين عبدالمجيد، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٦٦.

١٨- أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن (ت٦٦٥هـ/١٢٦٩م)، الروضتين في أخبار الدولتين، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٢.

١٩- البغدادي، أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد ين رجب الحنبلي(ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، ذيل طبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمدية،القاهرة، ١٩٥٢.

٢٠- البغدادي، أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر(ت٤٢٩هـ/١٠٣١م)، الفرق بين المذاهب، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٥.

٢١- التادفي، محمد بن عيسى،(ت٩٦٣هـ/١٤٦٥م)، قلائد الجواهر في مناقب عبدالقادر،دار الباز، فلوريدا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٨.

٢٢- التنوخي،أبو علي المحسن بن علي(٣٨٤هـ/٩٩٤م)، الفرج بعد الشدة،دار صادر،بيروت،١٩٧٨.

٢٣- الجيلاني، محي الدين أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله(ت٥٦١هـ/ ١٢٦٢م).
ا- فتوح الغيب، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠.
ب-الغنية لطالبي طريق الحق، تحقيق فرج توفيق الوليد،ج٣، دار الفكر، بيروت،١٩٩٥
ج- الفتح الرباني والفيض الرحماني،دار الجميل،ألمانيا،١٩٩٧.
د-تفسير الجيلاني ،باعتناء فاضل جيلاني ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،٢٠٠٧.
ذ- الجيلاني،عبدالقادر،ديوان عبدالقادر الجيلاني،تحقيق يوسف زيدان،دار الجيل،بيروت،١٩٨٣.
٢٤- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله(ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون،مكتبة إسماعيليان، طهران، ١٩٤٧.
٢٥- الحموي، ياقوت ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله البغدادي،(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ج٥، بيروت، ١٩٥٦.
٢٦- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
أ- سير أعلام النبلاء،ج12،13، دار الرسالة للطباعة، بيروت، ط٤، ١٩٨٦.
ب- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، وزارة الإرشاد، الكويت، ١٩٦٣.
ج- المختصر المحتاج إليه. تحقيق مصطفى جواد. مطبعة المعارف،بغداد،١٩٥١.
٢٧- الزبيدي، محمد مرتضى،(ت ١٢٠٥ هـ/١٧٩٠م) .
أ- تاج العروس في شرح جواهر القاموس، مطبعة الكويت، الكويت ،١٩٨٠.
ب- إتحاف السعادة للمتقين في شرح إحياء علوم الدين، ج١،المطبعة الملكية،المغرب،١٩٣٦.
٢٨- سبط ابن الجوزي، يوسف(ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان، مطبعة حيدر آباد، الهند،١٩٣٦.
٢٩_ السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥.
٣٠- السهروردي، عمر بن محمد بن عبدالله البكري(ت٦٣٢هـ /١١٣٤م) ، عوارف المعارف، دار الكتاب العربي للطباعة، بيروت ، ١٩٦٦.
٣١- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ /١٥٠٥م) .
ا- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٣٤.
ب- حسن المحاضرة ،ج١ ،مطبعة الحلبي،القاهرة، ١٩٠٠.

٣٢- السمعاني، عبد الكريم بن محمد ،(٥٠٦هـ/١٨٨٠م).كتاب الأنساب ، تحقيق مرجليوث، مطبعة بريل، ليدن،١٩١٢.

٣٣- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)، البدر الطالع، ج١، دار الكتب للطباعة، القاهرة، ١٩٤٦.

٣٤- الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ/٩١٢م) .

أ-جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج٥، تحقيق محمد أحمد شاكر ، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٧٨.

ب- تاريخ الأمم والملوك،ج٥-١ ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ج٤-٥ دار المعارف للطباعة، القاهرة، ١٩٧٨.

٣٥- الشطنوفي،علي بن يوسف(ت٧١٣هـ/١٣١٣م)، بهجة الأسرار، تحقيق ، جمال الدين فالح الكيلاني ،مطبعة الحكومة ، الجزائر، ٢٠١١.

٣٦- القادري،أبو الظفر ظهير الدين،(ت.م)، الفتح المبين ، المطبعة المركزية، القاهرة، ١٨٨٨ .

٣٧- القرطبي،أبو عبدالله محمد بن أحمد الانصاري،(ت٦٧١هـ /١٢٧٢م) ، الجامع لأحكام القرىن،ج٥، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٩٨٥.

٣٨- القرطبي،عريب ابن سعيد،(ت٣٦٩هـ/٩٧١م) ، صلة تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف للطباعة ، القاهرة،١٩٧١.

٣٩ - الكتبي،محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

أ- فوات الوفيات، ج٢-١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية للطباعة، القاهرة، ١٩٥٤.

ب- عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشد للطباعة، بغداد، ١٩٨٣.

٤٠- محمد فؤاد عبدالباقي ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان(البخاري ومسلم)، ، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٢.

(ج) قائمة المراجع.

١- إبراهيم،حبيب جميل،تاريخ متصوفة بغداد،مكتبة الشرق الجديد،بغداد،١٩٨٨.

٢- إقبال،محمد،ديوان إقبال،دار الصحابة للطبع،باكستان،١٩٩٦.

٣- جواد،مصطفى ، و أحمد سوسة،خارطةبغداد،مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد،١٩٥٩.

٤- الجيلاني، عبدالرزاق ،الشيخ عبدالقادرالجيلاني،دار القلم بيروت،١٩٨٣.
٥- الجيلاني، ماجد، هكذا ظهر صلاح الدين، المعهد العالي الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية،١٩٩٦.
٦- حسن،حسن إبراهيم،تاريخ الإسلام السياسي،ج٤،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،١٩٨٦.
٧- الخضري،الشيخ محمد،الدولة العباسية،دار الكتب العلمية، بيروت ،١٩٩٣.
٨- رؤوف،عماد عبد السلام.
ا-الأثار الخطية في المكتبة القادرية،مطبعة الإرشاد،بغداد،١٩٧١.
ب-مدارس بغداد ، بغداد ، ١٩٨٥.
ج-معالم بغداد في العصور المتأخرة، بغداد ،٢٠٠٢.
٩- زامباور،معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي ،ترجمة زكي محمد حسن،مطبعة فؤاد الأول،القاهرة ،١٩٥١.
١٠- الزركلي،خير الدين،الأعلام،ج٥،مطبعة النهضة،القاهرة ،١٩٤٩.
١١- السامرائي، عبدالله سلوم، عبدالقادر الجيلاني قطب الأولياء، مخطوط مصور لدى الشيخ عفيف الدين الكيلاني.
١٢- السامرائي،يونس بن ابراهيم،الشيخ عبدالقادر الجيلاني، حياته و أثاره،مكتبة الشرق الجديد للطباعة،بغداد،١٩٨٨.
١٣- الشرقاوي،حسن،معجم الفاظ الصوفية،دار مختار للنشر، القاهرة ،١٩٨٧.
١٤- شعبان،محمد عبد الحي محمد،التاريخ الإسلامي : تفسير جديد ،دار الأهلية للنشر،بيروت،١٩٨٣.
١٥- شوقي، ضيف، العصر الإسلامي ، الكويت،١٩٩٥.
١٦- عاشور،سعيد عبدالفتاح،مصر في عهد المماليك،دار الكتب المصرية،القاهرة،١٩٦٦.
١٧- عطية الله، أحمد، القاموس الإسلامي ، ج١،٢،٣، دار مكتبة النهضة للطباعة، القاهرة، ١٩٧٦.
١٨- عفيفي،أبو العلا،التصوف والثورة الروحية في الإسلام،دار جامعيون ،مصر،١٩٩٧.
١٩- عنان،محمد عبد الله،المعارك الحاسمة في التاريخ،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،١٩٥٣.
٢٠- عمر ، فاروق ، الدولة العباسية ،دار الشروق ،الاردن ،٢٠٠٠.
٢١- اللامي ، علاء ، السرطان المقدس ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، ٢٠٠٤.

٢٢- المدرس،عبد الكريم،مواهب الرحمن في تفسير القرآن،ج٥،دار الحرية للطباعة،بغداد،١٩٩٧.

٢٣- المودودي،أبو الاعلى، تفسير سورة النور، المكتبة الإسلامي ة، القاهرة،١٩٥٨.

٢٤- النجار، محمد رجب، حكايات الشطار والعيارين، عالم المعرفه، الكويت ،١٩٨١.

٢٥-شابي، بروفسورة جاكلين، (١٩٩٨). عبدالقادر الجيلاني بين الحقيقة التاريخية و الأسطورة الأدبية (ترجمة الدكتور حسن سحلول)، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، السنة (١٨) كانون الثاني (٧٠)، دمشق. نسخة الكترونية طبعت بتاريخ ١٤ / ٩ / ٢٠٠٤.

٢٦- محمد اركون،الفكر الإسلامي :نقد واجتهاد ،ترجمة هاشم صالح :دار الساقي، بيروت،٢٠٠٩.

٢٧- جعيط ،هشام، في السيرة النبوية، دار الطليعة ،بيروت، ١٩٩٠.

٢٨-الخيون ، رشيد ، الأديان والمذاهب في العراق ، دار الجمل ، المانيا ، ٢٠٠٤.

٢٩- جواد، الدكتور مصطفى، سوسة، الدكتور أحمد (١٩٥٨). دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، المجمع العلمي العراقي، بغداد.

(د) الرسائل الجامعية.

١-التل، عمرسليم عبدالقادر، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري،رسالة ماجستير ،الجامعه الاردنية،٢٠٠٩.

٢- سهيل، جعفر صادق ، عبدالقادر الجيلاني ومذهبه الصوفي، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،١٩٧٥.

٣- القحطاني، سعيد، الشيخ عبدالقادر الكيلاني وأراؤه الإعتقادية والصوفية، أطروحة دكتوراه ، كلية الدعوة، جامعة أم القرى، ،١٩٩٧.

٤-المهداوي ،إيمان كمال مصطفى،عبدالقادرالجيلاني أديبًا،رسالة مجاجستير،كلية التربية ابن رشد،جامعة بغداد،١٩٩٦.

٥-عليوي ،جعفر موسى،عبدالقدرالجيلاني والتصوف ،أطروحة دكتوراة ،كلية الأدآب جامعة بغداد٢٠٠٢.

٦-البلاطي ،علي محمود علي ،الدر الفاخرفي ترجمة الشيخ عبدالقادر ،دراسة وتحقيق ،علي محمود علي البلاطي،رسالة ماجستير، معهد التاريخ للدراسات العليا ١٩٩٩(نسخة البلاطي الشخصية).

٧-ماجد عرسان الكيلاني، نشأة القادرية،رسالة ماجستير،جامعة بيروت العربية،١٩٩٦.

سيرة الباحث :

جمال الدين فالح الكيلاني

بقلم

أ.د.إبراهيم خليل العلاف

أستاذ التاريخ الحديث –جامعة الموصل

صديق عزيز ، أتابع منذ فترة طويلة ، نشاطاته العلمية، ولي معه علاقة تبادل علمي .... هو جمال الدين بن فالح بن نصيف بن جاسم بن أحمد الحجية بن عبد الكريم بن عبد الرحيم بن خميس بن ولي الدين محمد بن عثمان بن يحيى بن حسام الدين بن نور الدين بن ولي الدين بن زين الدين الكبير بن شمس الدين بن شرف الدين بن محمد الهتاك بن عبدالعزيز بن الباز الأشهب الشيخ عبدالقادر الجيلي بن أبي صالح موسى بن عبدالله الجيلي بن يحيى الزاهد بن محمد المدني بن داود أمير مكة بن موسى الثاني بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن اسدالله الغالب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم اجمعين،من الأسرة الكيلانية، ذرية الشيخ عبدالقادر الجيلي).

من مواليد ١٩٧٢، ومنذ طفولته أولع بحب التاريخ .و قراءة الكتب المتنوعة .تأثر بوالده الأستاذ فالح الحجية الكيلاني –الأديب والشاعر.وأخذ عنه حب الأدب والمعرفة وتذوق الشعر.وبحكم نشأته في الخالص وعلاقة القرابة التي تربطه بالعلامة سالم عبود الألوسي .تعرف بالعلامة مصطفى جواد وتراثه .واهتم منذ بواكير حياته العلمية بالتراث القادري والذي بات تخصصه الدقيق.ويعد نفسه من تلاميذ الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ومدرسته التاريخية،مارس التدريس في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي ، كما حاضر في جامعة بغداد والجامعة المستنصرية واتحاد المؤرخين العرب وجامعات القادسية والبصرة وواسط

حصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من كلية التربية -ابن رشد -جامعة بغداد .

كما نال شهادة (دبلوم)في اللغة الانكليزية من معهد المعلمين.

لم يقف عند هذا الحد ، بل غذ السير ، وأكمل دراسته وحصل على شهادة (دكتوراه) فلسفة في التاريخ الإسلامي . ولحبه التاريخ والدراسات التاريخية انتمى إلى" معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا التابع لاتحاد المؤرخين العرب ببغداد " ، وحصل على شهادة ماجستير أداب في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية. حصل على لقب "باحث علمي" من مركز دراسات التاريخ والوثائق والمخطوطات سنة١٩٩٨.

والدكتور الكيلاني عضو اتحاد المؤرخين العرب ١٩٩٦وعضو الهيئة العربية لكتابة

تاريخ الأنساب ١٩٩٨ وعضو جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق١٩٩٥ وعضو (شرف) لجنة الدراسات القادرية المغرب١٩٩٧. مشرف مركز دراسات الإمام عبدالقادر الجيلاني المتخصص بالتراث والتاريخ والأنساب القادرية ٢٠١١.

كرم بالعديد من الشهادات التقديرية من المجمع العلمي العراقي١٩٩٦ والهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب ٢٠٠٠ .والهيئة العامة للاثار١٩٩٧ وجامعة بغداد١٩٩٩ وغيرها. اهتم بتاريخ الأنساب وشغل نفسه بهذا اللون المهم من الدراسات التي تحتاج إلى معرفة بأمور كثيرة .وقد أجيز في مجال دراسة وتدقيق الأنساب من ثلة من الأساتذة العراقيين المعروفين أمثال الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف والأستاذ سالم عبود الألوسي والأستاذ اللواء أحمد خضر العباسي والأستاذ الشيخ خليل الدليمي والأستاذ جمال الراوي ، ويفخر بأنه حضر دروس للعلماء الأعلام كل من الشيخ العلامة عبد الكريم محمد المدرس- مفتي الديار العراقية-والعلامة الدكتور حسين علي محفوظ والعلامة الدكتور علي الوردي و العلامة الدكتور حسين أمين-والعلامة صالح أحمد العلي والعلامة عبدالرزاق الحسني وغيرهم كما أن لديه العديد من البحوث والدراسات والكتب .من كتبه المنشورة :كتاب الإمام عبدالقادر الجيلاني -تفسير جديد مراجعة الأستاذ الشاعر فالح الحجية الكيلاني .مكتبة المصطفى . القاهرة .٢٠٠٩.وكتاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ،مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي – بغداد ٢٠١١. وهو بالأصل رسالة باشراف الدكتورة لقاء الطائي والدكتور رؤوف وكتاب " بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي ، دراسة وتحقيق " ،تقديم الدكتور حسين أمين شيخ المؤرخين –نشر على نفقة السيد أحمد الكيلاني ،الجزائر٢٠١١ .وكتاب " أصول التاريخ الإسلامي " ،مراجعة الدكتور حسين علي محفوظ (مخطوط) ١٩٩٩.وكتاب " تنقيحات دراسة تحليلية لنسب الإمام عبدالقادر الجيلاني" . مراجعة الدكتور عبدالقادر المعاضيدي (نشر محدود) منه نسخة محفوظة في المكتبة القادرية١٩٩٦. وكتاب" دراسات في التاريخ الأوربي" ، تقديم الدكتوركمال مظهر أحمد (معد للنشر) وكتاب ،الرحلات والرحالة في العصر العباسي : دراسة تاريخية وهو بالأصل أطروحته للدكتوراة (معد للنشر) ، .وكتاب التاريخ العثماني تفسير جديد تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف وكتاب التاريخ الإسلامي رؤية معاصرة تقديم الدكتور صالح أحمد العلي وكتاب الاستشراق وكتاب المدخل في تاريخ الفلسفة الإسلاميةوغيرها.

ومن بحوثه ودراساته :عرض كتاب الإمام عبدالقادر الجيلاني - تفسير جديد في مجلة فكر حر ٢٠٠٩.وعرض مخطوطة مهجة البهجة ومحجة اللهجة (كتاب) منشورة في جريدة الصباح ٢٠٠٥.ومقالة مصطفى جواد ومخطوطة نادرة عن الكيلاني جريدة الصباح

٢٠٠٦. ومقالة رشيد عالي الكيلاني ابن ديإلى المشورة في جريدة العراق ٢٠٠٢.ومقالة المقدادية أصل التسمية المنشورة في جريدة العراق ٢٠٠٢.ومقالة" الشرق الأوسط وأصل التسمية" المنشورة في مجلة كلية الأدآب جامعة عين شمس ٢٠٠٩.ومقالة عن " براغماتية السيد عبدالرحمن الكيلاني النقيب "،مجلة فكر حر٢٠٠٩.ومقالة عن "الشيخ عبدالقادر الكيلاني: جيلان العراق لا جيلان طبرستان.مجلة كلية الأدآب جامعة عين شمس ٢٠٠٩.وتفسير الجيلاني – دراسة في نسبة التفسير للمؤلف. مجلة رؤى ٢٠١٠. و"المؤرخ هشام جعيط – دراسة في رؤيته للسيرة النبوية " . مجلة رؤى ٢٠١٠.

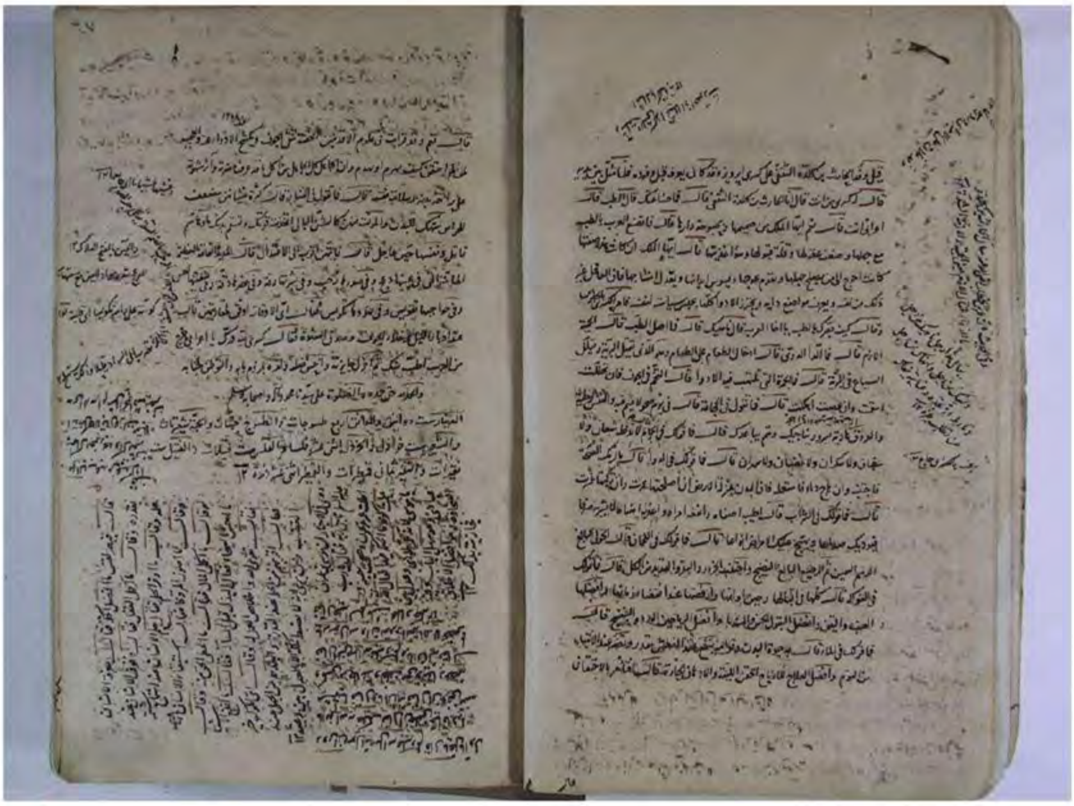
هذا فضلا عن عشرات المقالات المنشورة على شبكة الإنترنت وضمن مواقع كثيرة ومن الموضوعات التي كتبها موضوعات ،عن عصر الرسالة وعصور الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين والعصر الحديث والمعاصر والشخصيات العربية والإسلاميةوبعض الشخصيات الغربية ،مثل مقالات تدور حول الشيخ عبدالقادر الجيلاني وذريته في العالم ،وأهمية ثورة الحسين في التاريخ العربي الإسلامي . و إبان بن عثمان المؤرخ المبكر،والإمام الغزالي، والإمام الرفاعي، والإمام أبو مدين ،والإمام البخاري ،والشيخ ابن تيمية وقوميته، والشريف البعقوبي،الامين والمأمون والميكافلية ،والطريقة القادرية المبكرة ،و معنى الباز الأشهب ،و التراث الصوفي – دراسة أولية والإمام أبو إدريس البعقوبي، والمغول، وجنكيز خان، وهولاكو خان، وتيمورلنك، والدولة الفاطمية وخلفاءها، وبغداد، وسمرقند، وكابول، ودلهي، والمقدادية أصل التسمية، والناصرية العراقية، والصويرة العراقية، والعزيزية العراقية، وال بابان، وال السعدون، ومحمد الفاتح ،وسليمان القانوني ،ومراد الرابع، وعبد الحميد الثاني، والشرق الأوسط ،والمكنا كارتا، وعبدالقادر الجزائري، وجمال الدين الأفغاني ،وعبد الكريم قاسم ،والحبوبي الشاعر والإمام، والسيد محمد باقر الصدر، والمؤرخ الدروبي وجهوده في تدوين تاريخ الأسرة القادرية في العهد العثماني، والرينسانس ،ومترنيخ، وبسمارك، وهتلر، وميكافللي والميكافلية، وونستون تشرشل، وجان جاك روسو ،والثورة الفرنسية، ولويس الرابع عشر ،ولويس السادس عشر، وماري أنطوانيت ،ونابليون الأول ،ونابليون الثالث، وقراءة في كتاب-لينين-خطوة إلى الإمام خطوتان إلى الوراء، وتلخيص كتاب قصة الفلسفة للمؤرخ ويل ديورانت، وتاج محل ،والأزهر، والقرويين، وبدر شاكر السياب، و" الصراع السياسي والديني في اليمن قبل الإسلام -نجران نموذجًا. "

درس التاريخ على أيدي العديد من أساتذة التاريخ في العراق منهم الأساتذة الدكاترة عماد عبد السلام رؤوف وكمال مظهر أحمد وفاروق عمر ،وعبدالرزاق الأنباري وعبدالقادر المعاضيدي وخاشع المعاضيدي وعبدالقادر الشيخلي وجعفر عباس حميدي ويقظان

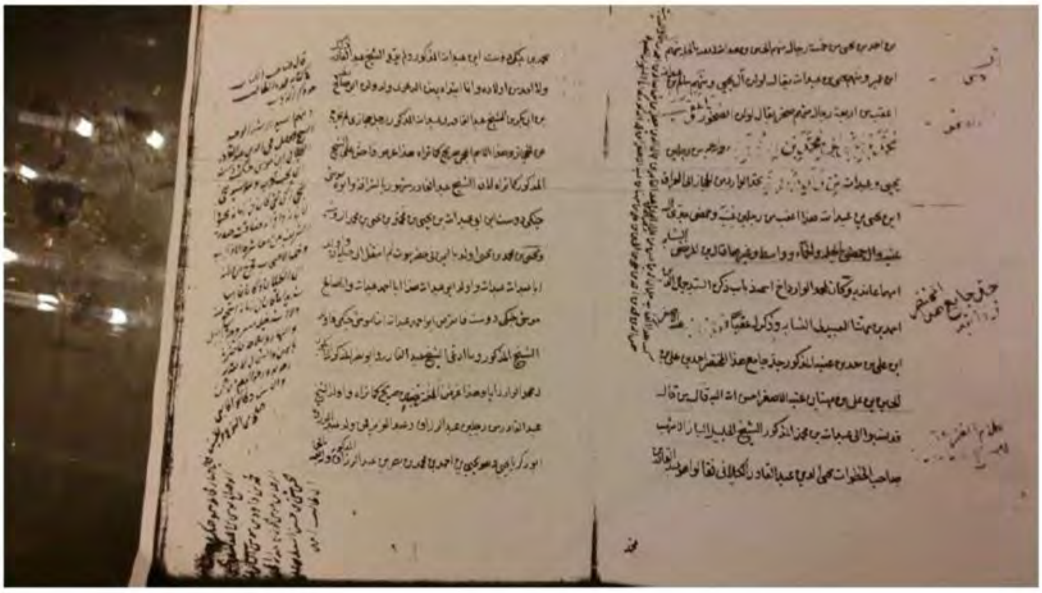
سعدون العامر وحمدان الكبيسي وقحطان عبد الستار الحديثي وهاشم يحيى الملاح وعبد الأمير العكام وصادق ياسين الحلو ومفيد كاصد الزيدي ومحمد أحمد الشحاذ وعبد الأمير دكسن وعبد الجبار ناجي وفاروق عباس وهيب وخضير الجميلي وطارق نافع الحمداني ومحمد جاسم المشهداني ومحمد ياقر الحسيني ومزاحم علي عشيش البعاج وناهض عبدالرزاق القيسي ومحي هلال السرحان.

من أراءه" أن التاريخ لايعرف اليوم والأمس والغد وإنما هو نهر الحياة يمضي إلى الأجل المضروب الذي قدره علام الغيوب، فالتاريخ كله تاريخ معاصر ،نعم له تقسيمات علمية، ولكنه يعيش معنا ويهمنا وعلينا أن نستفاد منه في حياتنا كلها ويستند في هذا الرأي على أن استقراء التاريخ خير من التجارب ،وان اختيار سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر ،يبدو ، امرا بعيدا عن الحقيقة والواقع لان التطور التاريخي يمتاز دائما بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها ببعض ، وان وقائع التاريخ الكبرى عائمات جليد طرفها ظاهر فوق الماء ، وكتلتها الرئيسية تحت سطحه ومن يريد استكشافها عليه أن يغوص في الأعماق.والفرق بيننا وبين الغرب اننا نعيش في التاريخ فقط وهم يفهمونه ويستغلونه لتحقيق مصالحهم.و التاريخ هو طريق الإنسانية إلى الحضارة، لأنه ضوء ينير الماضي لرؤية الحاضر و المستقبل ، فجذور أنظمتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية .تمتد عميقا في تربة الأجيال الماضية.."

مرفقــات







Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Of Baghdad
Center of Revival of Arabian
Science Heritage

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مركز أحياء التراث العلمي العربي

No :
Date : / / 201

العدد : ٩٥٨
التاريخ : ١٧/ ٧/ ٢٠١٦

إلى / الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

م / شكر و تقدير

تحية طيبة...

لجهودكم العلمية المتميزة في تحقيق المخطوطات العربية وإزاء تلك الجهود لا يسعنا إلا ان نتقدم لكم بالشكر والتقدير والعرفان أملين المزيد من العطاء والتميز خدمة لتراث امتنا العربية والإسلامية ولبلدنا العراق العزيز .

مع التقدير...

أ.م.د. عبدالله حميد العتابي
مدير المركز

نسخة منه الى///

- وحدة الإدارة / مع الأوليات.
- الحفظ العام.

Baghdad- Al-Jadiriyah P.O.3 (47051)
Tel:7783621
jامعة بغداد- الجادرية- ص.ب (47051)
رقم الهاتف 7783621



كلمة الباحث في معهد الدراسات التاريخية العربية والافريقية بجامعة بكين- الصين /أسس الفلسفة الصوفية عند الشيخ عبدالقادر الكيلاني ودور مدرسته الفكرية في أنتشار الإسلام في الشرق الأقصى.



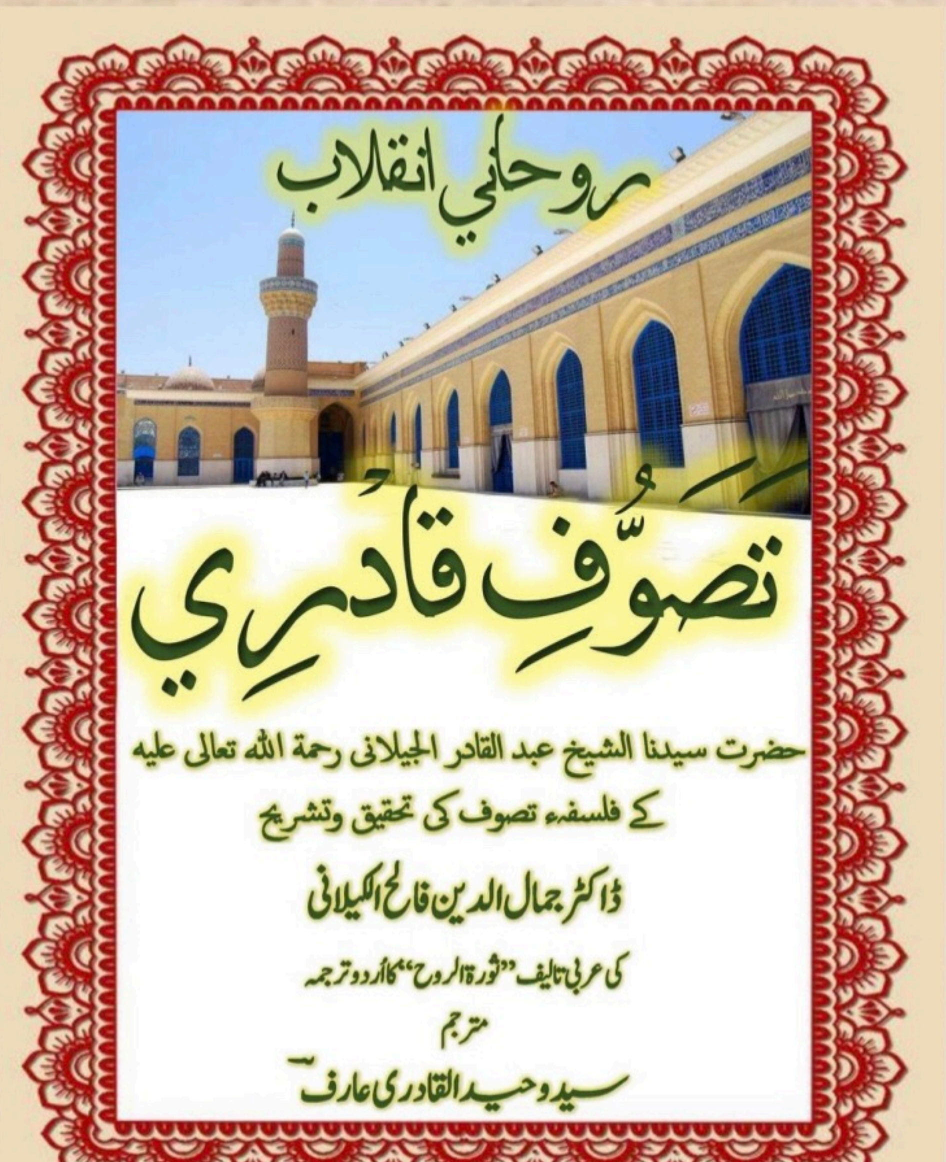
كلمتي في المؤتمر العلمي لجامعة بروناي دار السلام بمدينة بندر سري بيغوان عاصمة سلطنة بروناي "وكانت كلمتي بعنوان " تاريخ التصوف القادري في أرخبيل الملايو ودور التجار البغداديين في التّعريف بالإسلام " .

الفهرس

تقديم الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف ٨
تقديم بقلم الدكتور عرفان عبدالحميد فتاح ٩
تقديم بقلم الدكتور نصر الدين أجدير التلمساني ١١
تأملات ١٤
مع الشيخ عبدالقادر الجيلي "رحلة عمر" ١٦
قراءات في الفكر الصوفي عند الإمام عبدالقادر الجيلي ٤٨
المجاهدة ٤٩
الزهد ٦٦
الذكر ٨١
الصحبة ٩٤
عين العشق ١٢١
ما هو الحب الصوفي ١٢٣
الحب أصل الوجود ١٢٨
العشق الإلهي ١٣١
الحب عند الشيخ عبدالقادر الجيلي ١٣٥
أسس الوجود ١٥٢
تطور فكرة الإنسان الكامل عند متصوفة الإسلام ١٨٠
الخاتمة ٢٠١
قائمة بأهم المصادر والمراجع ٢٠٢
سيرة الباحث ٢٠٩
مرفقات ٢١٣

لطالما أُسرجت خيل الهمة لسنين خلت، أعدوا بها نحو سهوب الباز الاشهب التي لا تحد، ولطالما وجفت خيلي وكبت، ووقفت وقفة المتهيب عن مغامرة كهذه، وكنت كلما أفردت أشرعتي لأخوض غمار بحره، رأيتها تنطوي من جديد، تشكو العجز والتقصير، وأي جرأة الإحاطة بقامة تجاوزت المألوف واقتربت من الأسطورة، غير أن الرغبة الجامحة، بدل أن تخبو شعلتها تحولت مع الأيام إلى هاجس ملحاح

د.جمال الدين فالح الكيلاني



هكذا تكلم
الشيخ عبدالقادر الكيلاني

الدكتور/جمال الدين فالح الكيلاني

مركز الاعلام العالمى
داكا - بنغلاديش

هكذا تكلم
الشيخ عبدالقادر الكيلاني

دكتور/جمال الدين فالح الكيلاني

دار الكتب العالمية

داكا – بنغلاديش

الطبعة الأولي

رمضان 1435هـ ، يوليو 2014م

إصدار

دار الكتب العالمية

داكا – بنغلاديش

:01715398728

Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

سعر النسخة : 89 تاكا

بسم الله الرحمان الرحيم

(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

(سورة النحل : آية 125)

" أعمل الخير لمن يستحق ولمن لا يستحق والاجر على الله. "

الامام عبد القادر الجيلي

الاهداء

الى الشيخ العلامة

عبدالكريم محمد بيارة المدرس

"رحمه الله تعالى"

فإلى روحه الزكية في أعلى علّيين

أقدم هذا العمل المتواضع

تحية ذكرى ووفاء

"جمال الدين"

شكر وعرفان

أول من ينبغي علينا حمده وشكره هو الله على ما أنعم به علينا من نِعَمٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ، فأشكره على عونه لإتمام كتابي هذا ، ثم أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الأستاذ الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف الذي أسدى لي نصحه ووجهني بعلمه وأثراني بملاحظاته القيمة وإرشاداته الدقيقة التي أثرت في هذا الكتاب كثيراً، وقوت من مادته ، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر والامتنان إلى الاستاذ الدكتور محي هلال السرحان الذين بذل جهداً كبيراً في توجيهي وإرشادي.

كما أتقدم بالشكر والامتنان الى الدكتورين الاستاذ الدكتور بشار عواد معروف والاستاذ الدكتور ماجد عرسان الكيلاني ، لأطلاعهما على الكتاب وابداء ملاحظاتهما السديدة عليه مما أفاد الكتاب وجعله يظهر بهذا الشكل القشيب.

وأتقدم بالشكر لكل من قدم لي العون والمساعدة فجزاهم الله عني خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين

مقدمة

الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

بسم الله الرحمن الرحيم

ليست مهمة الكتابة في سيرة فذة متعددة الجوانب كسيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني –قدس الله روحه _ ميسورة,ممهدة,مهما اوتي المتصدي لها من اسباب القدرة والمكنة,فهذا الانسان الكبيراستطاع_بخلق وعزم نادرين_ان يتحدى عصرا بكامله,يموج بانواع من التناقضات الاجتماعية,وضروب من الاضطرابات النفسية والسياسية والاقتصادية,فقدم لمريديه وتلامذته البديل الافضل لمتناقضات ذلك العصر ومشاكله العديدة,ودل ابناء عصره,والعصور التالية,على طريق السلامة والنجاة من ادران الواقع واشواكه الخطرة.

ولم تكن عظمة الشيخ تكمن في مبادىء مثالية مطلقة كان يدعو اليها فحسب,وانما في فهمه العميق لمجتمعه,وللمجتمع الانساني بوجه عام,وادراكه جوهر المشاكل الاساسية الذي يعاني منها ذالك المجتمع, فهو على رغم زهده وقناعته الكاملة,لم يقف موقف الضد من الحياة, بما تستوجبه من سعي في سبيل الرزق,وسيطرة على اسباب الدنيا,بل انه اكد على ضرورة العمل من اجل ان يضع الانسان (الدنيا بين يديه)ولكن مع ملاحظة الا تنتقل الى قلبه فتفسد ذالك القلب,وتقطع اسباب اتصاله بالله سبحانه وتعالى,وهذا_لعمري_فهم للاسلام سليم,وادراك عميق لجوهره ومعانيه.

لقد توضح لدى الناس,منذ ان غادرهم الشيخ ملتحقا بالرفيق الاعلى,ضرورة تسجيل معالم سيرته الطيبة,لتكون نبراسا فتفيد منها الاجيال,وقدوة يتاسى بها السالكون في طرق الحياة,فأنبرى عدد غير قليل من المؤلفين والمصنفين الى جمع اخباره, والتقاط شوارد مواقفه واحواله,ليؤلف

صنيعهم كتبا ورسائل مهمة تناقلها الناس وكانت موضع احترامهم وتقديرهم,بل وجدنا في كل عصر من ينبري الى اعادة كتابة سيرته وجعلها موضوعا يفيد منه اهل ذلك العصر.
وفي العقود الاخيرة من السنين اصبحت سيرة الشيخ محورا لعدد من الرسائل الجامعية تناولها اصحابها فيها حياته الثرة,بماتضمه حياته الثرة,بماتضمه من دين وفكر وتعليم وادب.
والكتاب الذي بين ايدينا يقف شاهدا اخر على اعجاب الجيل من ابنائنا بهذه السيرة الوضاءة,واحساسهم بأهمية تعاليم صاحبها في هذا العصر ايضا.

والسيد جمال الدين فالح الكيلاني,وهو الذي ينتسب الى الشيخ عبد القادر دما,فضلا عن انتمائه اليه فكرا وعملا, عبر عن قوة هذا الاعجاب وتدفق ذالك الاحساس,بتأليفه كتابه هذا ,وهو يرجو,كمال ارجو,ان ينال به رضا ربه ,وثوابه,فجزاه الله خير الجزاء.

الاستاذ الدكتور

عمادعبدالسلام رؤوف

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

كثير من شبابنا في الوقت الحاضر لا يعرفون سيرة الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الجيلاني ، بل كثير منهم يسيئ الظن به بسبب الدعاية الكاذبة التي يقوم بها بعض الأدعياء الجفاة الجاهلون بحقيقة دين الله العظيم.

ومن جانب آخر نجد مسلمين يغلون في تعظيمه ويعتقدون فيه أشياء افتريت عليها ، لذا وجدت نفسي في حاجة إلي بيان سيرته الحقيقة رحمه الله ، والعمل على أعادة طرح تراثه بأسلوب جديد والذي يعد ثورة روحية حقيقية وبلسم شافي للنفس البشرية ، ومن هنا جاءت فكره هذا الكتاب والذي يستمد جل مادته من كتب "الفتح الرباني" و "فتوح الغيب" و "جلاء الخاطر" ليكون منارا هاديا للشباب المسلم.

في زمن الوهن والفتن قل من يوجد من أهل العلم يختار طريق الوسطية والاعتدال ، وبكوني ولله الحمد من دعاة الوسطية والاعتدال والتراحم والتضامن في المجتمع الإسلامي أصبح من أعمالي المفضلة نشر سيرة العلماء والأكابر الربانيين المعتدلين. وهذا العمل الصغير من قبيل ذلك العمل المفضل.

أرجو من الله ربي الثواب علي هذا العمل والنفع به طلاب علم النبوة علي صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

جمال الدين فالح الكيلاني

بغداد

السيرة القادرية الصحيحة

"وفق منهج البحث التاريخي"

مدخل

هو عبد القادر الجيلي (470 هـ561 – هـ)، إمام صوفي وفقيه حنبلي، لقبه المسلمون بـ "باز الله الاشهب" و "تاج العارفين" و"محيي الدين" و"شيخ الشيوخ" و"قطب الأقطاب". وإليه تنتسب الطريقة القادرية. وقد تأثر به القائد صلاح الدين الأيوبي، والشيخ معين الدين الجشتي ، والشيخ شهاب الدين عمر السهروردي رحمهم الله.

مولده ونشأته

هناك خلاف في محل ولادته[1] وتوجد روايات متعددة ،أهمها أنه ولد في جيلان (تقرأ بالجيم العربية كما تقرأ بالجيم المصرية فيقال لها جيلان أو كيلان) سنة 470 هـ الموافق1077 م[2]، وهي تقع في شمال إيران حالياً على ضفاف بحر قزوين ويقال أنه ولد في جيلان العراقية وهي قرية تاريخية قرب المدائن 40 كيلو متر جنوب بغداد، وهو ما ترجحه الدراسات التاريخية الحديثة وتعتمده الاسرة الكيلانية ببغداد،[3][4] وقد نشأ عبد القادر في أسرة وصفتها المصادر بالصالحة، فقد كان والده أبو صالح موسى معروفا بالزهد وكان شعاره مجاهدة النفس وتزكيتها بالأعمال الصالحة ولذا كان لقبه "محب الجهاد"[5].

أسرته

- هو: أبو صالح عبد القادر بن موسى الثالث بن عبد الله الجيلي بن يحيى الزاهد بن محمد المدني بن داود الامير بن موسى الثاني بن عبد الله الصالح بن موسى الجون بن عبد الله الخالص بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[6].

أنجب عبد القادر رحمه الله عدداً كبيراً من الأولاد، وقد عنى بتربيتهم وتهذيبهم على يديه واشتهر منهم عشرة:

- عبد الوهاب: وكان في طليعة أولاده، والذي درس بمدرسة والده في حياته نيابة عنه، وبعد والده وعظ وأفتى ودرس، وكان حسن الكلام في مسائل الخلاف فصيحاً ذا دعابة وكياسة، ومروءة وسخاء، وقد جعله الإمام الناصر لدين الله على المظالم فكان يوصل حوائج الناس اليه، وقد توفي سنة 573هـ ودفن في رباط والده في الحلبة.
- عيسى: الذي وعظ وأفتى وصنف مصنفات منها كتاب "جواهر الأسرار ولطائف الأنوار" في علم الصوفية، قدم مصر وحدث فيها ووعظ وتخرج به من أهلها غير قليل من الفقهاء، وتوفي فيها سنة 573 هـ.
- عبد العزيز: وكان عالماً متواضعاً، وعظ ودرّس، وخرج على يديه كثير من العلماء، وكان قد غزا الصليبين في عسقلان وزار مدينة القدس ورحل جبال الحيال وتوفي فيها سنة 602 هـ، وقبره في مدينة "عقرة" من أقضية لواء الموصل في العراق.
- عبد الجبار: تفقه على والده وسمع منه وكان ذا كتابة حسنة، سلك سبيل الصوفية، ودفن برباط والده في الحلبة.

- الشيخ عبد الرزاق: وكان حافظا متقنا حسن المعرفة بالحديث فقيها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ورعا منقطعاً في منزله عن الناس، لايخرج إلا في الجمعات، توفي سنة 603هـ، ودفن بباب الحرب في بغداد.
- إبراهيم: تفقه على والده وسمع منه ورحل إلى واسط في العراق، وتوفي بها سنة 592هـ.
- يحيى: وكان فقيها محدثا انتفع الناس به، ورحل إلى مصر ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة 600 هـ، ودفن برباط والده في الحلبة.
- موسى: تفقه على والده وسمع منه ورحل إلى دمشق وحدّث فيها واستوطنها، ثم رحل إلى مصر وعاد إلى دمشق وتوفي فيها وهو آخر من مات من أولاده.
- صالح : وبه يكنى في أغلب البلدان وذكرته أغلب المصادر المتخصصة في سيرته وهو مدفون قرب والده في بغداد.

سفره إلى بغداد

كان عبد القادر الجيلاني رحمه الله قد نال قسطاً من علوم الشريعة في حداثة سنه على أيدي أفراد من أسرته، ولمتابعة طلبه للعلم رحل إلى بغداد ودخلها سنة 488 هـ الموافق1095 م وعمره ثمانية عشر عاماً[7] في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله .وبعد أن استقر في بغداد انتسب إلى مدرسة الشيخ أبو سعيد المخرمي التي كانت تقع في حارة باب الأزج، في أقصى الشرق من جانب الرصافة، وتسمى الآن محلة باب الشيخ.

وكان العهد الذي قدم فيه الشيخ الجيلاني إلى بغداد تسوده الفوضى التي عمت كافة أنحاء الدولة العباسية، حيث كان الصليبيون يهاجمون ثغور الشام، وقد تمكنوا من الاستيلاء على أنطاكية وبيت المقدس وقتلوا فيهما خلقا كثيرا من المسلمين ونهبوا أموالاً كثيرة. وكان السلطان التركي "بركياروق" قد زحف بجيش كبير يقصد بغداد ليرغم الخليفة على عزل وزيره "ابن جهير" فاستنجد الخليفة بالسلطان السلجوقي "محمد بن ملكشاه" ودارت بين السلطانين التركي والسلجوقي معارك عديدة كانت الحرب فيها سجالا، وكلما انتصر احدهما على الآخر كانت خطبة يوم الجمعة تعقد باسمه بعد اسم الخليفة.

وكانت فرقة الباطنية قد نشطت في مؤامراتها السرية واستطاعت أن تقضي على عدد كبير من أمراء المسلمين وقادتهم فجهز السلطان السلجوقي جيشاً كبيراً سار به إلى إيران فحاصر قلعة "أصفهان" التي كانت مقراً لفرقة الباطنية وبعد حصار شديد استسلم أهل القلعة فاستولى عليها السلطان وقتل من فيها من المتمردين، وكان "صدقة بن مزيد" من أمراء بني مزيد من قبيلة بني أسد قد خرج بجيش من العرب والأكراد يريد الاستيلاء على بغداد فتصدى له السلطان السلجوقي بجيش كبير من السلاجقة فتغلب عليه. وكان المجرمون وغيرهم من العاطلين والأشقياء ينتهزون فرصة انشغال السلاطين بالقتال فيعبثون بالأمن في المدن يقتلون الناس ويسلبون أموالهم فإذا عاد السلاطين من القتال انشغلوا بتأديب المجرمين.

وفي غمرة هذه الفوضى كان الشيخ عبد القادر يطلب العلم في بغداد، وتفقه على مجموعة من شيوخ الحنابلة ومن بينهم الشيخ أبوسعيد المُخَرِمي، فبرع في المذهب والخلاف والأصول وقرأ الأدب وسمع الحديث على كبار المحدثين. وقد أمضى ثلاثين عاما يدرس فيها علوم الشريعة أصولها وفروعها.

جلوسه للوعظ والتدريس

عقد الشيخ أبو سعيد المُخَرِمي لتلميذه عبد القادر مجالس الوعظ في مدرسته بباب الأزج في بداية 521 هـ، فصار يعظ فيها ثلاثة أيام من كل أسبوع، بكرة الأحد وبكرة الجمعة وعشية الثلاثاء. واستطاع الشيخ عبد القادر بالموعظة الحسنة أن يرد كثيراً من الحكام الظالمين عن ظلمهم وأن يرد كثيراً من الضالين عن ضلالتهم، حيث كان الوزراء والأمراء والأعيان يحضرون مجالسه، وكانت عامة الناس أشد تأثراً بوعظه، فقد تاب على يديه أكثر من مائة ألف من قطاع الطرق وأهل الشقاوة، وأسلم على يديه ما يزيد على خمسة الآف من اليهود والمسيحيين . وبحسب بعض المؤرخين، فإن الجيلاني قد تأثر بفكر الغزالي حتى أنه ألف كتابه "الغنية" على نمط كتاب "إحياء علوم الدين"[8] .وكان الشيخ عبد القادر يسيطر على قلوب المستمعين إلى وعظه حتى أنه استغرق مرة في كلامه وهو على كرسي الوعظ فانحلت طية من عمامته وهو لا يدري فألقى الحاضرون عمائهم وطواقيهم تقليداً له وهم لايشعرون.

وبعد أن توفي أبو سعيد المبارك المخزومي فوضت مدرسته إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني فجلس فيها للتدريس والفتوى، وجعل طلاب العلم يقبلون على مدرسته إقبالا عظيما حتى ضاقت

بهم فأضيف إليها من ما جاورها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثلها وبذل الأغنياء أموالهم في عمارتهم وعمل الفقراء فيها بأنفسهم حتى تم بناؤها سنة 528 هـ الموافق1133 م .وصارت منسوبة إليه.

وكان الشيخ عبد القادر عالما متبصرا يتكلم في ثلاثة عشر علماً من علوم اللغة والشريعة، حيث كان الطلاب يقرأون عليه في مدرسته دروسا من التفسير والحديث والمذهب والخلاف والاصول واللغة، وكان يقرأ القرآن بالقراءات وكان يفتي على مذهب الامام الشافعي والامام أحمد بن حنبل.

مؤلفاته

صنف عبد القادر الجيلاني مصنفات كثيرة في الأصول والفروع وفي أهل الأحوال والحقائق والتصوف، منها ما هو مطبوع ومنها مخطوط ومنها مصوّر، منها:

- إغاثة العارفين وغاية منى الواصلين.
- أوراد الجيلاني.
- آداب السلوك والتوصل إلى منازل السلوك.
- تحفة المتقين وسبيل العارفين.
- جلاء الخاطر في الباطن والظاهر.
- حزب الرجاء والانتهاء.
- الحزب الكبير.
- دعاء البسملة.
- الرسالة الغوثية: موجود منها نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد.
- رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله.
- الغُنية لطالبي طريق الحق :وهو من أشهر كتبه في الأخلاق والآداب الإسلامية وهو جزءان.
- الفتح الرباني والفيض الرحماني :وهو من كتبه المشهورة وهو عبارة عن مجالس للشيوخ في الوعظ والإرشاد.
- فتوح الغيب: وهو عبارة عن مقالات للشيخ في العقائدوالإرشاد ويتألف من 78 مقالة.

- الفيوضات الربانية: وهكذا الكتاب ليس له ولكنة يحتوي الكثير من أوراده وأدعيته وأحزابه.
- معراج لطيف المعاني.
- يواقيت الحكم.
- سر الأسرار في التصوف: وهو كتاب معروف وتوجد نسخة منه في المكتبة القادرية ببغداد وفي مكتبة جامعة إسطنبول.
- الطريق إلى الله: كتاب عن الخلوة والبيعة والأسماء السبعة.
- رسائل الشيخ عبد القادر: **15** رسالة بالفارسية يوجد نسخة في مكتبة جامعة إسطنبول.
- المواهب الرحمانية: ذكره صاحب روضات الجنات.
- حزب عبد القادر الجيلاني: مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة الأوقاف ببغداد.
- تنبيه الغبي إلى رؤية النبي: نسخة مخطوطة بمكتبة الفاتيكان بروما.
- وصايا الشيخ عبد القادر: موجود في مكتبة فيض الله مراد تحت رقم **251**.
- بهجة الأسرار: مواعظ للشيخ جمعها نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف اللخمي الشطنوفي."حققه الباحث"
- تفسير القران الكريم: في مكتبة رشيد كرامي في طرابلس الشام
- الدلائل القادرية.
- الحديقة المصطفوية: مطبوعة بالفارسية والأردية.
- الحجة البيضاء.
- عمدة الصالحين في ترجمة غنية الصالحين.
- بشائر الخيرات.
- ورد الشيخ عبد القادر الجيلاني.
- كيمياء السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة.
- المختصر في علم الدين.
- مجموعة خطب.

قال العلماء عنه

- قال الإمام النووي : ما علمنا فيما بلغنا من التفات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلاني، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وانتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق وتتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة، وانعقد علية إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والإعظام، والرجوع إلى قولة والمصير إلى حكمه، وأُهرع إليه أهل السلوك –التصوف– من كل فج عميق. وكان جميل الصفات شريف الأخلاق كامل الأدب والمروءة كثير التواضع دائم البشر وافر العلم والعقل شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه معظما لأهل العلم مُكرِّماً لأرباب الدين والسنة، مبغضاً لأهل البدع والأهواء محبا لمريدي الحق مع دوام المجاهد ولزوم المراقبة إلى الموت. وكان له كلام عال في علوم المعارف شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى سخي الكف كريم النفس على أجمل طريقة. وبالجملة لم يكن في زمنه مثله.[9]
- قال العلامة ابن تيمية: والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشائخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع، والأمر والنهي، وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشائخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية.
- قال الإمام العز بن عبد السلام : إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر فإن كراماته نقلت بالتواتر[10].
- قال الإمام الذهبي: الشيخ عبد القادر الشيخ الامام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الاسلام، علم الأولياء، محيي الدين، أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد[11].
- قال الإمام أبو أسعد عبد الكريم السمعاني: هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره فقيه صالح، كثير الذكر دائم الفكر، وهو شديد الخشية، مجاب الدعوة، أقرب الناس للحق، ولا يرد سائلا ولو بأحد ثوبيه.

- قال الإمام ابن حجر العسقلاني الكناني : كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة ومزج ذلك بمخالطة الشاغل عنها غالبا كالأزواج والأولاد، ومن كان هذا سبيله كان أكمل من غيره لأنها صفة صاحب الشريعة صلى الله علية وسلم[12].

- قال الإمام ابن قدامة المقدسي: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة فإذا الشيخ عبد القادر بها انتهت إليه بها علما وعملا وحالا واستفتاء، وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر. كان ملئ العين وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله ولم أسمع عن أحد يحكي من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت احداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه[13].

- قال الإمام ابن رجب الحنبلي: عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي، الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة، محي الدين ظهر للناس، وحصل له القبول التام، وانتصر أهل السنة الشريفة بظهوره، وانخذل أهل البدع والأهواء، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وجاءته الفتاوى من سائر الأقطار، وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم[14]. وقال رحمه الله : كان الشيخ عبد القادر رحمه الله في عصره معظماً، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وله مناقب وكرامات كثيرة، ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشطنوفي المصري في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات، وكَتَبَ فيها الطم والرم، وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع. وقد رأيتُ بعض هذا الكتاب، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه فأنقل منه إلا ما كان مشهوراً معروفاً من غير هذا الكتاب، وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه الشطح، والطامات، والدعاوى، والكلام الباطل، ما لا يحصى، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبدالقادر رحمه الله، ثم وجدت الكمال جعفر الأدفوني قد ذكر أن الشطنوفي نفسه كان متهماً فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه.

- قال الإمام اليافعي: قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلين والإسلام ركن الشريعة وعلم الطريقة، شيخ الشيوخ، قدوة الأولياء العارفين الأكابر أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي قدس سره ونور ضريحه، تحلى بحلي العلوم الشرعية وتجمل بتيجان الفنون الدينية، وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق، قام بنص الكتاب والسنة خطيبا على الأشهاد، ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد، وأبرز جواهر التوحيد

من بحار علوم تلاطمت أمواجها، وأبرأ النفوس من أسقامها وشفى الخواطر من أوهامها وكم رد إلى الله عاصياً، تتلمذ له خلق كثير من الفقهاء[16].

- قال الإمام الشعراني : طريقته التوحيد وصفاً وحكما وحالا وتحقيقه الشرع ظاهرا وباطناً[17].
- قال الإمام أحمد الرفاعي : الشيخ عبد القادر من يستطيع وصف مناقبه، ومن يبلغ مبلغة، ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره من أيهما شاء اقترف، لا ثاني له في وقتنا هذا[18].
- قال الشيخ بقا بن بطو : كانت قوة الشيخ عبد القادر الجيلاني في طريقته إلى ربة كقوى جميع أهل الطريق شدة ولزوما وكانت طريقته التوحيد وصفا وحكما وحالاً[19].
- قال الإمام ابن السمعاني عنه: إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، ديِّن خيِّر، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة.
- قال عنه الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي :وبلغني أن عبد القادر الجيلي كان عدلاً قطب وقته.

وفاته

توفي الإمام الجيلاني ليلة السبت 10 ربيع الثاني سنة 561 هـ،جهزه وصلي عليه ولده عبد الوهاب في جماعة من حضر من أولاده وأصحابه، ثم دفن في رواق مدرسته، ولم يفتح باب المدرسة حتى علا النهار وهرع الناس للصلاة على قبره وزيارته، وبلغ تسعين سنة من عمره. ذكر العلامة سالم الالوسي، ان الرئيس أحمد حسن البكر في بداية حكمه، طالب إيران باسترجاع رفات الخليفة هارون الرشيد، كونه رمز لبغداد في عصرها الذهبي، وذلك بدعوة وحث من المرحوم عبد الجبار حامد الجومرد وزير الخارجية العراقي السابق في عهد عبد الكريم قاسم، ولكن إيران امتنعت ، وبالمقابل طلبت استرجاع رفات الشيخ عبد القادر الكيلاني ،كونه من مواليد كيلان في إيران ،وعندها طلب الرئيس من العلامة مصطفى جواد ،بيان الامر ،فاجاب مصطفى جواد : ان المصادر التي تذكر ان الشيخ عبد القادر مواليد كيلان في إيران ،مصادر تعتمد رواية واحدة وتناقلتها بدون دراسة وتحقيق ،اما الاصوب فهو من مواليد قرية تسمى (جيل) قرب المدائن، ولاصحة كونه من إيران أو ان جده اسمه جيلان، وهو ما اكده العلامة حسين علي محفوظ في مهرجان جلولاء الذي اقامه اتحاد المؤرخين العرب وكان الالوسي حاضرا أيضا سنة 1996، وفعلا اخبرت مملكة إيران بذلك ولكن بتدخل من دولة عربية اغلق الموضوع[20].

مصادر ومراجع :

1. ^ كتاب المختصر في تاريخ شيخ الإسلام عبد القادر، إبراهيم الدروبي، باكستان1959،ص52
2. ^ المنتظم، تأليف :ابن الجوزي، ج10، ص219.
3. ^* كتاب:جغرافية الباز الاشهب، تحقيق مكان ولادة الشيخ عبد القادر الكيلاني، د/جمال الدين فالح الكيلاني، مكتبة الجليس –بيروت،2012،ص14
4. ^ كتاب من بعض أنساب العرب ، د/خاشع المعاضيدي ، دار الرشيد ، بغداد ، 1997 ،ج2 ص 77.
5. ^ سير أعلام النبلاء – الذهبي– مؤسسة الرسالة – الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م – ج 20 – الصفحة 439
6. ^ التاريخ الكبير، تأليف :الحافظ الذهبي.
7. ^ الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، ج1، ص290
8. ^ هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، تأليف: ماجد الكيلاني، ص184.
9. ^ قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص 137. نقلا عن بستان العرافين، تأليف: النووي.
10. ^ سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي ج20 ص443.
11. ^ سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي. ج20 ص439
12. ^ قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص 23.

13. ^ قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص6.
14. ^ الطبقات، تأليف: ابن رجب الحنبلي.
15. ^ البداية والنهاية، تأليف: ابن كثير
16. ^ قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص 136.
17. ^ الطبقات الكبرى، تأليف: الشعراني، 129/1.
18. ^ قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص66.
19. ^ الطبقات الكبرى، تأليف: الشعراني، 127/1.
20. ^ كتاب الشيخ عبدالقادرالكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، د/جمال الدين فالح الكيلاني، ص24

المدرسة التربوية القادرية

هي أشهر الطرق الصوفية السليمة ، تنتسب إلى شيخ الاسلام الشيخ عبد القادر الجيلاني (**471** هـ – **561** هـ)، وينتشر أتباعها في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

قواعد الطريقة القادرية الصحيحة

يذكر الشيخ عبدالقادر الجيلاني أهم قواعد وأسس الطريقة القادرية:

- الالتزام بالكتاب والسنة :يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: (طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة فمن خالفهما فليس منا). ويقول: (اجعل الكتاب والسنة جناحيك طر بهما إلى الله).
- الجَدُّ والكَدُّ ولزوم الحَدِ حتى تنقد :ومعنى (جد) الجدية في سلوك الطريق إلى الله، ومعنى (كد) بذل الجهد والجوارح والنفس والروح في السير إلى الله بدون هوادة ولا تراخي، ومعنى(لزوم الحد) الالتزام بالشريعة وتحليل الحلال وتحريم الحرام والوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها، ومعنى (حتى تنقد) حتى تجف النفس عن المعاصي والذنوب والشهوات والملذات والأخلاق السيئة ولا يبقى فيها إلا الله جل في علاه.
- الاجتماعُ والاستماعُ والإتباعُ حتى يحصل الانتفاع: ومعنى هذا الاجتماع بالصالحين والعلماء والمرشدين والأخوة في الله والاستماع لهم بأدب وإتباع ما يقولون وما يأمرون من الهدي النبوي وبذلك يحصل لدينا الانتفاع والوصول لما وصلوا إليه.
- الاعتقاد بشيخ الطريقة العقيدة الصحيحة: ومعنى هذا أن يحبوه ويحترموه ويقدروه ولا يهملوه ولا يعظمونه فوق الحد المطلوب ولا يغلوا في حبه ولا يعتقدوا فيه العصمة فإنه بشر يخطئ ويصيب لكنه محفوظ بعناية الله إن أخطأ سرعان ما يرجع إلى الله ويتوب إليه، يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه الغنية: (يا بني إياك أن تنظر إلى شيخك أنه

معصوم إنما هو بشر يخطئ ويصيب فإن رأيت منه مخالفة فابحث له عن عذر شرعي فإن لم تجد له عذر فاستغفر له الله فإنه بشر يخطئ ويصيب).

- حب الشيخ :لكن حب الله والرسول صلي الله عليه وسلم مقدم عليه وهو المراد الحقيقي من السير والسلوك على يد الشيخ المرشد فهو دليلنا إلى حب الله ورسوله صلي الله عليه وسلم.
- الدعوة إلى الله
- كثرة الذكر لله تعالى: فالذكر هو المعراج في السير إلى الله في الطريقة القادرية، فمن أهم أعمال المريد كثرة الأذكار والمداومة عليها وعلى الاستغفار والصلاة على الرسول بالليل والنهار وبذلك يرتقي المريد في مقامات المحبة لله ولرسوله والذكر هو الوسيلة العظمى لتزكية النفس وتربيتها وتحليتها بالأخلاق المحمدية.
- محبة آل البيت : وحبهم مقدم على كل من سواهم من الناس لأنهم بضعة النبي ووصيته لأمته، مع الحب والتقدير والإكبار والإجلال للصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.
- حب كل الأولياء والصالحين: وحب مشايخ ومرشدين الطرق الأخرى، ولا يفرقون ولا يميزون بين طريقة وأخرى، ولا يتعصبون لطريقتهم ولا يطعنون بالطرق الأخرى التي تنهج منهج الكتاب والسنة، وذلك كله مع المحبة والتعظيم والتقدير لطريقتهم ولمشايخهم كما ينبغي أن يكون.

شروط الشيخ المرشد عند الإمام الجيلاني

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني في القصيدة العينية:

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا إلى شيخٍ في الحقيقة بارِع
فقم في رضاه واتبع مراده ودع كل ما من قبل كنت تسارِع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره عليه فإن الاعتراض تنازع
في قصة الخضر الكريم كفاية بقتل غلام والكليم يدافع
فلما أضاء الصبح عن ليل سره وسل حساماً للغياهب قاطع
أقام له العذر الكليم وإنه كذلك علم القوم فيه بدائع

لقد أسس الإمام الجيلاني طريقته وفق الكتاب والسنة ووضع لها ضوابط شرعية حتى لا يكثر الشطط والنقصان والتغيير والابتداع ويدعي المشيخة من يقدر ومن لا يقدر ومن يعلم ومن لا يعلم. فوضع الشيخ ضوابط وشروط ينبغي أن تتوفر بالشيخ المرشد الذي يتصدر للإرشاد وهذه الشروط هي[2]:

إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد وإلا فدجالٌ يقود إلى جهل
عليم بأحكام الشريعة ظاهراً ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظهر للورَّادِ بالبشر والقرى ويخضع للمسكين بالقول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره عليم بأحكام الحرام من الحل
يهذب طلاب الطريق ونفسه مهذبة من قبل ذو كرم كلي

لقد بين الشيخ في هذه الأبيات بعض شروط الشيخ المربي وهي خمس. فإن لم تتوفر فيه فليس لديه الأهلية للإرشاد وهذه الشروط هي:

- أن يكون عالماً بأحكام الشريعة والدين عالم بالحلال والحرام عالم بحدود الشرع وعالم بالسنة النبوية وعالم بما علم من الدين بالضرورة وهذا معنى قول الشيخ (عليم بأحكام الشريعة ظاهراً).
- أن يكون عالماً بعلم الحقيقة والطريقة وعالم بأحوال القلوب والنفوس وطرق تزكيتها وخبير بأحوال السالكين وتدرجهم في الطريق إلى الله ويكون قد أخذ هذا العلم من شيخ مرشد كامل عبر سند متصل إلى رسول الله وهذا معنى قول الشيخ (ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل).
- أن يكون كريماً سخياً مع ضيوفه والسخاء من صفات رب العالمين ومن خلق الرسول الكريم والصالحين فلا يليق بالمرشد أن يكون بخيلاً كما جاء في الحديث ما جبل ولي الله إلا على السخاء وحسن الخلق فيكرم ضيوفه ورواد زاويته دون التقصير بحق ضيافتهم وأن تدوم البسمة على وجهه وان يكون رحب الصدر وهذا معنى قول الشيخ(ويظهر للورَّادِ بالبشر والقرى).
- أن يكون متواضعاً للمؤمنين يخضع لهم بالقول والفعل وهذه الخصلة هي من خصال النبي حيث أمره الله فقال له (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)[3]. وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني معروفاً بتواضعه للفقراء وكان يجلس معهم ويطاعمهم ويتجنب مجالسة الأغنياء والكبراء والأمراء والوزراء إلا إذا أراد نصح لهم وهذا معنى قول الشيخ (ويخضع للمسكين بالقول والفعل).
- أن يكون قد ناجحاً في تربية المريدين وتزكية نفوسهم ولن يكون له هذا إلا إذا كان قد زكى نفسه قبل ذلك على يد شيخ خبير بارع وأن يكون قد أذن له بالإرشاد والمشيخة من قبل شيخه وفق سند متصل وهذا معنى قول الشيخ (يهذب طلاب الطريق ونفسه مهذبة من قبل ذو كرم كلي).

1. أماكن الانتشار

ينتشر أتباع الطريقة القادرية في كثير من البلاد أشهرها سوريا وتركيا والعراق والمغرب والجزائر وفلسطين ولبنان وموزمبيق والكاميرون ونيجيريا والصين والاتحاد السوفيتي وغانا وإيران والجزائر والسودان والنيجر ومالي وغينيا وتشاد وأفغانستان والهند وباكستان وبنغلاديش والصومال وأندونيسيا ويوغسلافيا ومصر وتونس وماليزيا وارتيريا.

تفرعات الطريقة القادرية

تفرعت عن الطريقة القادرية عدة طرق ، منها:

- الطريقة القادرية الجيلانية بالمغرب.
- الطريقة القادرية البودشيشية.
- الطريقة القادرية العركية.
- الطريقة النقشبندية القادرية.
- الطريقة البريفكانية القادرية.
- الطريقة العلية القادرية الكسنزانية.
- الطريقة القادرية (دائرة الشيخ حسن القره جيواري).
- الطريقة الزعبية القادرية العلية.
- الطريقة القادرية النورية.
- الطريقة الرضوية البركاتية بالهند.
- الطريقة الكنزية القادرية لشيخها السيد أبو الليث حمزة الأسد يوسف آل السيد القادري الشافعي.
- الطريقة القادرية الجعلية السودان.
- الطريقة القادرية الرضوية العطارية.

مصادر

1. ^ جاء في كتاب السير والمساعي ص208 هذه الأبيات المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني.
2. ^ سورة الحجر، آية 88.

هكذا تكلم
الامام عبدالقادر الجيلي

فيما لا بدّ لكل مؤمن

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا بد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء : أمر يمتثله، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي له أن يلزم همها قلبه، وليحدث بها نفسه، ويؤاخذ الجوارح بها في سائر أحواله.

في التواصي بالخير

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : اتبعوا ولا تبتدعوا, وأطيعوا ولا تمرقوا، ووحدوا ولا تشركوا, ونزهوا الحق ولا تتهموا، وصدقوا ولا تشكوا، واصبروا ولا تجزعوا، واثبتوا ولا تنفروا, واسألوا ولا تسأموا, وانتظروا وترقبوا ولا تيأسوا, وتواخوا ولا تعادوا، واجتمعوا على الطاعة ولا تتفرقوا، وتحابوا ولا تباغضوا, وتطهروا عن الذنوب وبها لا تدنسوا ولا تتلطخوا, وبطاعة ربكم فتزينوا, وعن باب مولاكم فلا تبرحوا، وعن الإقبال عليه فلا تتولوا، وبالتوبة فلا تسوفوا، وعن الاعتذار إلى خالقكم في آناء الليل وأطراف النهار فلا تملوا، فلعلكم ترحمون وتسعدون، وعن النار تبعدون، وفي الجنة تحبرون، وإلى الله توصلون، وبالنعيم وافتضاض الأبكار في دار السلام تشتغلون، وعلى ذلك تخلدون، وعلى النجائب تركبون, وبحور العين وأنواع الطيب وصوت القيان مع ذلك النعيم تحبرون، ومع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ترفعون.

في الابتلاء

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا ابتلي العبد ببلية تحرك أولاً في نفسه بنفسه, فإن لم يتخلص منها استعان بالخلق كالسلاطين وأرباب المناصب وأرباب الدنيا وأصحاب الأحوال وأهل الطب في الأمراض والأوجاع، فإن لم يجد في ذلك خلاصاً رجع إلى ربّه بالدعاء والتضرع والثناء. ما دام يجد بنفسه نصرة لم يرجع إلى الخلق، وما دام يجد به نصرة عند الخلق لم يرجع إلى الخالق, ثم إذا لم يجد عند الخلق نصرة استطرح بين يديه مديماًً للسؤال والدعاء والتضرع والثناء والافتقار مع الخوف والرجاء, ثم يعجزه الخالق عزَّ وجلَّ عن الدعاء, ولم يجبه حتى ينقطع عن جميع الأسباب، فحينئذ ينفذ فيه القدر ويفعل فيه الفعل، فيفنى العبد عن جميع الأسباب والحركات، فيبقى روحاً فقط, فلا يرى إلا فعل الحق فيصير موقناً موحداً ضرورة يقطع أن لا فاعل في الحقيقة إلا الله لا محرك ولا مسكن إلا الله ولا خير ولا ضر ولا نفع ولا عطاء ولا منع, ولا فتح ولا غلق، ولا موت ولا حياة، ولا عزّ ولا ذل إلا بيد الله فيصير في القدر كالطفل الرضيع في يد الظئر والميت الغسيل في يد الغاسل والكرة في صولجان الفارس، يقلب ويغير ويبدل, ويكون ولا حراك به في نفسه ولا في غيره فهو غائب عن نفسه في فعل مولاه , فلا يرى غير مولاه وفعله, ولا يسمع ولا يعقل من غيره إن بصر وإن سمع وعلم, فلكلامه سمع، ولعلمه علم، وبنعمته تنعم، وبقربه تسعد، وبتقريبه تزين وتشرف, وبوعده طاب وسكن, به اطمأن, وبحديثه أنس, وعن غيره استوحش ونفر, وإلى ذكره التجأ وركن, وبه عزَّ وجلَّ وثق وعليه توكل، وبنور معرفته اهتدى وتقمص وتسربل, وعلى غرائب علومه اطلع، وعلى أسرار قدرته أشرف، ومنه سمع ووعي, ثم على ذلك حمد وأثنى وشكر ودعا.

في الموت المعنوي

قال رضي الله تعالى عنـه و أرضـاه : إذا مت عن الخلق قيل لك رحمك الله وأماتك عن الهوى، وإذا مت عن هواك قيل رحمك الله وأماتك عن إرادتك ومناك، وإذا مت عن الإرادة قيل رحمك الله وأحياك حياة لا موت بعدها، وتغنى غنى لا فقر بعده، وتعطى عطاء لا منع بعده, وتراح براحة لا شقاء بعدها، وتنعم بنعمة لا بؤس بعدها، وتعلم علماً لا جهل بعده، وتؤمن أمناً لا خوف بعده، وتسعد فلا تشقى, وتعز فلا تذل, وتقرب فلا تبعد, وترفع فلا توضع, وتعظم فلا تحقر, وتطهر فلا تدنس, لتحقق فيك الأماني, وتصدق فيك الأقاويل, فتكون كبريتاً أحمر فلا تكاد ترى, وعزيزاً فلا تماثل, وفريداً فلا تشارك, ووحيداً فلا تجانس, فرداً بفرد ووتراً بوتر, وغيب الغيب, وسر السر, فحينئذ تكون وارث كل نبي وصديق ورسول. بك تختم الولاية وإليك تصير الأبدال وبك تنكشف الكروب, وبك تسقى الغيوث, وبك تنبت الزروع, وبك يدفع البلاء والمحن عن الخاص والعام وأهل الثغور والراعي والرعايا, والأئمة والأمة وسائر البرايا, فتكون شحنة البلاد والعباد, فتنطلق إليك الرجل بالسعي, والرجال والأيدي بالبذل والعطاء والخدمة بإذن خالق الأشياء في سائر الأحوال, والألسن بالذكر الطيب والحمد والثناء وجمع المجال, ولا يختلف فيك اثنان من أهل الإيمان, يا خير من سكن البراري وجال بها {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.الحديد21.

في بيان الدنيا و الحث على عدم الالتفات إليها

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا رأيت الدنيا في يدي أربابها بزينتها وأباطيلها وخداعها ومصائدها وسمومها القتالة, مع لين مس ظاهرها, وضراوة باطنها وسرعة إهلاكها, وقتلها لمن مسها واغتر بها وغفل عن وليها وعيرها بأهلها ونقض عهدها، فكن كمن رأى انساناً على الغائط بالبراز بادية سوأته وفائحة رائحته, فإنك تغض بصرك عن سوأته، وتسد أنفك من رائحته ونتنه, فهكذا كن في الدنيا, إذا رأيتها غض بصرك عن زينتها، وسد أنفك عما يفوح من روائح شهواتها ولذاتها, فتنجو منها ومن آفاتها, ويصل إليك قسمك منها وأنت مهنأ, قال الله تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.طه131.

في الفناء عن الخلق

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : افن عن الخلق بإذن الله تعالى, عن هواك بأمر الله تعالى {وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.المائدة23. وعن إرادتك بفعل الله تعالى. وحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى, فعلامة فنائك عن خلق الله تعالى انقطاعك عنهم وعن التردد إليهم واليأس مما في أيديهم، وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسب والتعلق بالسبب في جلب النفع والضرر, فلا تحرك ولا تعتمد عليك ولا لك ولا تذب عنك ولا تنتصر لنفسك، تكل ذلك كله إلى الله تعالى لأنه تولاه اولاً فيتولاه آخراً, كما كان موكولاً إليه في حال كونك مغيباً في الرحم، وكونك رضيعاً طفلاً في مهدك, وعلامة فنائك عن إرادتك بفعل الله أنك لا تريد مراداً قط , ولا يكون لك غرض, ولا يبقى لك حاجة ولا مرام, فإنك لا تريد مع إرادة الله سواها, بل يجري فعل الله فيك, فتكون أنت عند إرادة الله وفعله ساكن الجوارح مطمئن الجنان منشرح الصدر منور الوجه عامر البطن غنياً عن الأشياء بخالقها, تقلبك يد القدرة, ويدعوك لسان الأزل, ويعلمك ربُّ الْمِلَلْ, ويكسوك أنواراً منه والحلل, وينزلك من أولي العلم الأول, فتكون منكسراً

أبداً, فلا يثبت فيك شهوة وإرادة كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع وكدر, فتنقى عن أخلاق البشرية, فلن يقبل باطنك شيئاً غير إرادة الله عزَّ وجلَّ, فحينئذ يضاف إليك التكوين وخرق العادات, فيرى ذلك منك في ظاهر الفعل والحكم, وهو فعل الله وإرادته حقاً في العالم, فتدخل حينئذ في زمرة المنكسرة قلوبهم الذين كسرت إرادتهم البشرية وأزيلت شهواتهم الطبيعية فاستؤنفت لهم إرادة ربانية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (حبب إليّ من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء , وجعلت قرة عيني في الصلاة) فأضيف ذلك بعد أن خرج منه وزال عنه تحقيقاً بما أشرنا, وتقدم. قال الله تعالى في حديثه القدسي : "أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي" فإن الله تعالى لا يكون عندك حتى تنكسر جملة هواك وإرادتك, فإذا انكسرت ولم يثبت فيك شيء ولم يصلح فيك شيء, أنشأك الله فجعل فيك إرادة, فتريد بتلك الإرادة, فإذا صرت في الإرادة المنشأة فيك، كسرها الربّ تعالى بوجودك فيها, فتكون منكسر القلب أبداً, فهو لا يزال يجدد فيك إرادة ثم يزيلها عند وجودك فيها هكذا إلى أن يبلغ الكتاب أجله, فيحصل اللقاء, فهذا هو معنى "عند المنكسرة قلوبهم من أجلي" ومعنى قولنا عند وجودك فيها هو ركونك وطمأنينتك إليها. قال الله تعالى في حديثه القدسي , الذي يرويه صلى الله عليه وسلم : (لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه , فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها) وفي لفظ آخر "فبي يسمع ، وبي يبطش وبي يعقل". وهذا إنما يكون في حالة الفناء لا غير, فإذا فنيت عنك وعن الخلق, والخلق إنما هو خير وشر, فلم ترج خيرهم ولا تخاف شرهم بقي الله وحده كما كان, ففي قدر الله خير وشر, فيؤمنك من شر القدر ويغرقك في بحار خيره, فتكون وعاء كل خير, ومنبعاً لكل نعمة وسرور وحبور وضياء أمن وسكون، فالفناء والمنى والمبتغى والمنتهى حد ومرد ينتهي إليه مسير الأولياء, وهو الاستقامة التي طلبها من تقدم من الأولياء والأبدال أن يفنوا عن إرادتهم وتبدل بإرادة الحق عزَّ وجلَّ, فيريدون بإرادة الحق أبداً إلى الوفاة، فلهذا سموا أبدالاً رضي الله عنهم, فذنوب هؤلاء السادة أن يشركوا إرادة الحق بإرادتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة, فيدركهم الله تعالى برحمته بالتذكرة واليقظة, فيرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربهم, إذ لا معصوم عن الإرادة إلا الملائكة, عصموا عن الإرادة، والأنبياء عصموا عن الهوى, وبقية الخلق من الإنس والجن المكلفين لم يعصموا منها غير أن الأولياء بعضهم يحفظون عن الهوى, والأبدال عن الإرادة, ولا

يعصمون منهما على معنى يجوز في حقهم الميل إليهما في الأحيان, ثم يتداركهم الله عزَّ وجلَّ باليقظة برحمته.

في إذهاب غمم القلب

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أخرج من نفسك وتنح عنها, وانعزل عن ملكك وسلم الكل إلى الله, فكن بوابه على باب قلبك، وامتثل أمره في إدخال من يأمرك بإدخاله، وانته بنهيه في صد من يأمرك بصده، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن خرج منه، فإخراج الهوى من القلب بمخالفته، وترك متابعته في الأحوال كلها، وإدخاله في القلب بمتابعته وموافقته، فلا ترد إرادة غير إرادته, وغير ذلك منك تمن وهو وادي الحمقى, وفيه حتفك وهلاكك وسقوطك من عينه وحجابه عنك, أحفظ أبداً أمره, وانته أبداً بنهيه، وسلم لمقدوره, ولا تشركه بشيء من خلقه, فإرادتك وهواك وشهواتك كلها خلقه, فلا ترد ولا تهوى ولا تشته كيلا تكون مشركاً. قال الله تعالى : {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}.الكهف110.

ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب, بل هو متابعتك هواك، وأن تختار مع ربك شيئاً سواه من الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها, فما سواه عزَّ وجلَّ غيره، فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به عزَّ وجلَّ غيره, فاحذر ولا تركن, وخف ولا تأمن, وفتش فلا تغفل فتطمئن, ولا تضف إلى نفسك حالاً ومقاماً, ولا تدع شيئاً من ذلك, فإن أعطيت حالاً أو أقمت في مقام فلا تختر شيئاً واحداً من ذلك, فإن الله {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}.الرحمن29. في تغيير وتبديل, وإنه يحول بين المرء وقلبه, فيزيلك عما أخبرت به, ويغيرك عما تخيلت ثباته وبقاءه, فتخجل عند من أخبرته بذلك، بل أحفظ ذلك فيك ولا تعده إلى غيرك فإنه كلي الثبات والبقاء, فتعلم أنه موهبة وتسأل التوفيق للشكر واستر رؤيته وإن كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب. قال الله عزَّ وجلَّ : {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.البقرة106. فلا تعجز الله في قدرته، ولا تتهمه في تقديره ولا تدبيره، ولا تشك في وعده, فليكن لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة, نسخت الآيات والسور النازلة عليه المعمولة بها المقروءة في المحاريب المكتوبة في المصاحف, ورفعت وبدلت وأثبت غيرها

مكانها, ونقل صلى الله عليه وسلم إلى غيرها, هذا في ظاهر الشرع، وأما في الباطن والعلم والحال فيما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ فكان يقول : (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة) ويروى (مائة مرة) وكان صلى الله عليه وسلم ينقل من حالة إلى أخرى ويسير به في منازل القرب وميادين الغيب، ويغير عليه خلع الأنوار، فتبين الحالة الأولى عند ثانيها ظلمة ونقصاناً وتقصيراً في حفظ الحدود، فيلقن الاستغفار لأنه أحسن حال العبد، والتوبة في سائر الأحوال لأن فيها اعترافه بذنبه وقصوره، وهما صفتا العبد في سائر الأحوال، فهما وراثة من أبي البشر آدم عليه السلام إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اعترت صفاء حاله ظلمة النسيان للعهد والميثاق، وإرادة الخلود في دار السلام, ومجاورة الحبيب الرحمن المنان، ودخول الملائكة الكرام عليه بالتحية والسلام, فوجد هناك مشاركة إرادته لإرادة الحق, فانكسرت لذلك تلك الإرادة, وزالت تلك الحالة, وانعزلت تلك الولاية, فانهبطت تلك المنزلة وأظلمت تلك الأنوار وتكدر ذلك الصفاء, ثم تنبه وذكر صفي الرحمن، فعرف الاعتراف بالذنب والنسيان, ولقن الإقرار فقال : {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.الأعراف23. فجاءت أنوار الهداية وعلوم التوبة ومعارفها، والمصالح المدفونة فيها ما كان غائباً من قبل, فلم تظهر إلا بها، فبدلت تلك الإرادة بغيرها والحالة الأولى بأخرى, وجاءته الولاية الكبرى والسكون في الدنيا ثم في العقبى, فصارت الدنيا له ولذريته منزلاً, والعقبى لهم موئلاً ومرجعاً وخلداً, فلك برسول الله وحبيبه المصطفى وأبيه آدم صفي الله عليهم الصلاة والسلام عنصر الأحباب والأخلاء أسوة في الاعتراف بالقصور والاستغفار في الأحوال كلها.

في التقـرب إلى الله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا كنت في حالة لا تختر غيرها أعلى منها ولا أدنى، فإذا كنت على باب الملك لا تختر الدخول إلى الدار حتى تدخل إليها جبراً لا اختياراً, وأعني بالجبر أمراً عنيفاً متأكداً متكرراً, ولا تكف بمجرد إذن بمجرد الدخول, لجواز أن يكون ذلك منكراً وخديعة من الملك, لكن اصبر حتى تجبر على الدخول فتدخل الدار جبراً محضاً وفضلاً من الملك, فحينئذ لا يعاقب الملك على فعله, إنما تتعرض العقوبة لك لشؤم تخيرك وشرهك، وقلة صبرك وسوء أدبك, وترك الرضي بحالتك التي أقمت فيها, فإذا حصلت فكن مطرقاً غاضاً لبصرك متأدباً, محافظاً لما تؤمر به من الشغل والخدمة فيها غير طالب للترقي إلى الذروة العليا. قال الله عزَّ وجلَّ : {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.طه131. فهذا تأديب منه عزَّ وجلَّ لنبيه المختار صلى الله عليه وسلم في حفظ الحال والرضا بالعطاء بقوله : {وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.طه131. أي ما أعطيتك من الخبر والنبوة والعلم والقناعة والصبر وولاية الدين, والعروة فيه أولى مما أعطيت وأحرى, فالخير كله في حفظ الحال والرضا بها وترك الالتفات إلى ما سواها, لأنه لا يخلو إما أن يكون قسمك أو قسم غيرك, أو أنه لا قسم لأحد بل أوجده الله فتنة, فإن كان قسمك وصل إليك شئت أم أبيت فلا ينبغي أن يظهر منك سوء الأدب والشره في طلبه, فإن ذلك غير محمود في قضية العلم والعقل, وإن كان قسم غيرك فلا تتعب فيما لم تناوله ولا يصل إليك أبداً, وإن كان ليس بقسم لأحد بل هو فتنة فكيف يرضى للعاقل ويستحسن أن يطلب لنفسه فتنة ويستجلبها لها, فقد ثبت أن الخير كله والسلامة في حفظ الحال, فإذا رقيت إلى الغرفة ثم إلى السطح فكن كما ذكرنا من الحفظ والإطراق والأدب, بل يتضاعف ذلك منك, لأنك أقرب إلى الملك وأدنى بالخطر, فلا تتمن الانتقال منها إلى أعلى منها ولا إلى أدنى, وثباتها وبقائها, ولا تغير وصفها وأنت فيها, ولا يكون لك اختيار ألبته, فإن ذلك كفر في نعمة الحال والكفر يحل بصاحبه الهوان في الدنيا والآخرة فاعمل على ما ذكرناه أبداً حتى ترقى إلى حالة تصير لك مقاماً تقام فيه فلا

تزال عنه، فتعلم حينئذ أنه موهبة ظهر بيانها فتمسكه ولا تزل، فالأحوال للأولياء والمقامات للأبدال والله يتولى هداك.

في الكشف و المشاهدة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : يكشف للأولياء والأبدال من أفعال الله ما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم فهي على قسمين : جلال وجمال, فالجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج, والغلبة العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح, كما روي عن أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل في الصلاة من شدة الخوف " لما يرى من جلال الله عزَّ وجلَّ وينكشف له من عظمته، ونقل مثل ذلك عن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وعمر الفاروق رضي الله عنه.

أما مشاهدة الجمال : فهو التجلي للقلوب بالأنوار والسرور والألطاف, والكلام اللذيذ والحديث الأنيس, والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية, والقرب منه عزَّ وجلَّ مما سيئول أمرهم إلى الله عزَّ وجلَّ, وجف به القلم من أقسامهم في سابق الدهور فضلاً منه ورحمة, وإثباتاً منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل وهو الوقت المقدور, لئلا تفرط بهم المحبة من شدة الشوق إلى الله تعالى فتنفطر مرائرهم, فيهلكون ويضعفون عن القيام بالعبودية إلى أن يأتيهم اليقين الذي هو الموت، فيفعل ذلك بهم لطفاً منه ورحمة ومداراة لها {إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}.الأنعام139.الحجر25. لطيف بهم {رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}.التوبة117+128.النور20.الحشر10. ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول لبلال المؤذن رضي الله عنه (أرحنا بها يا بلال) أي بالإقامة لندخل في الصلاة لمشاهدة ما ذكرناه من الحال, ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (وجعلت قرة عيني في الصلاة).

في النفس و أحوالها

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إنما هو الله ونفسك وأنت المخاطب، والنفس ضد الله وعدوه, والأشياء كلها تابعة لله, والنفس له خلقاً ومُلكاً, وللنفس ادعاء وتمن وشهوت ولذة بملابستها, فإذا وافقت الحق عزَّ وجلَّ في مخالفة النفس وعدوانها فكنت لله خصماً على نفسك كما قال الله عزَّ وجلَّ لداود عليه السلام : "يا داود أنا بدك اللازم فألزم بدك، العبودية أن تكون خصماً على نفسك" فتحققت حينئذٍ موالاتك وعبوديتك لله عزَّ وجلَّ, وأتتك الأقسام هنيئاً مريئاً مطيباً وأنت عزيز ومكرم, وخدمتك الأشياء وعظمتك وفخمتك, لأنها بأجمعها تابعة لربّها موافقة له إذ هو خالقها ومنشئها, وهي مقرة له بالعبودية. قال الله تعالى : {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}.الإسراء44. {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}.فصلت11. فالعبادة كل العبادة في مخالفة نفسك. قال الله تعالى : {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}.ص26. وقال لداود عليه السلام : "أهجر هواك فإنه منازع".

والحكاية المشهورة عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله لما رأى ربّ العزة في المنام فقال له : كيف الطريق إليك ؟، قال : اترك نفسك وتعال, فقال : فانسلخت كما تنسلخ الحية من جلدها, فإذا الخير كله في معادتها في الجملة في الأحوال كلها, فإن كنت في حال التقوى فخالف النفس, بأن تخرج من حرام الخلق وشبهتهم ومنتهم والاتكال عليهم والثقة بهم والخوف منهم, والرجاء لهم والطمع فيما عندهم من أحكام الدنيا, فلا ترج عطاياهم على طريق الهدية والزكاة والصدقة أو النذر, فاقطع همّك منهم من سائر الوجوه والأسباب حتى إن كان لك نسب ذو مال لا تتمن موته لترث ماله, فاخرج من الخلق جاداً وجعلهم كالباب يرد ويفتح، وشجرة توجد فيها ثمر تارة وتختل أخرى وكل ذلك بفعل فاعل وتدبير مدبر وهو الله جلَّ وعلا, لتكون موحداً للربّ، ولا تنس مع ذلك كسبهم لتخلص من مذهب الجبرية, واعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله لا تعبدهم وتنسى الله. ولا تقل فعلهم دون فعل الله فتكفر فتكون قدرياً, لكن قل

هي لله خلقاً وللعباد كسباً كما جاءت به الآثار, لبيان موضع الجزاء من الثواب والعقاب, وامتثل أمر الله فيهم, وخلص قسم منهم بأمره ولا تجاوزه فحكم الله قائم بحكمه عليك وعليهم, فلا تكن أنت الحاكم, وكونك معهم قدر والقدر ظلمة فادخل بالظلمة في المصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, لا تخرج عنهما فإن خطر خاطر أو وجد إلهام فاعرضه على الكتاب والسنة, فإن وجدت فيها تحريم ذلك مثل أن تلهم بالزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفجور وغير ذلك من المعاصي, فادفعه عنك واهجره ولا تقبله ولا تعمل به, واقطع بأنه من الشيطان اللعين نعوذ بالله منه. وإن وجدت فيها إباحة كالشهوات المباحة من الأكل أو الشرب أو اللبس أو النكاح فاهجره أيضاً ولا تقبله, واعلم أنه من إلهام النفس وشهواتها وقد أمرت بمخالفتها وعداوتها. وإن لم تجد في الكتاب والسنة تحريمه وإباحته, بل هو أمر لا تعقله مثل السائق لك ائت موضع كذا وكذا, الق فلاناً صالحاً, ولا حاجة لك هناك ولا في الصالح لاستغنائك عنه بما أولاك الله من نعمته من العلم والمعرفة، فتوقف في ذلك ولا تبادر إليه فتقول هذا إلهام من الحق جلَّ وعلا فأعمل به بل انتظر الخير كله في ذلك وفعل الحق عزَّ وجلَّ بأن يتكرر ذلك الإلهام وتؤمر بالسعي, أو علامة تظهر لأهل العلم بالله عزَّ وجلَّ يعقلها العقلاء من الأولياء والمؤيدون من الأبدال, وإنما لم يتبادر إلى ذلك لأنك لا تعلم عاقبته وما يؤول الأمر إليه, وما كان فيه فتنة وهلاك ومكر من الله وامتحان فاصبر حتى يكون هو عزَّ وجلَّ الفاعل فيك, فإذا تجرد الفعل وحملت إلى هناك واستقبلتك فتنة كنت محمولاً محفوظاً فيها, لأن الله تعالى لا يعاقبك على فعله وإنما تتطرق العقوبة نحوك لكونك في الشيء, وإن كنت في حالة الحقيقة وهي حالة الولاية فخالف هواك واتبع الأمر في جملة.

واتباع الأمر على قسمين :

أحدهما أن تأخذ من الدنيا القوت الذي هو حق النفس وتترك الحظ , وتؤدي الفرض وتشتغل بترك الذنوب ما ظهر منها وما بطن.

والقسم الثاني ما كان بأمر باطن, وهو أمر الحق عزَّ وجلَّ, يأمر عبده وينهاه, وإنما يتحقق بهذا الأمر في المباح الذي ليس له حكم في الشرع على معنى ليس من قبيل النهي ولا من قبيل

الأمر الواجب, بل هو مهمل ترك العبد يتصرف فيه باختياره فسمي مباحاً فلا يحدث للعبد فيه شيئاً من عنده بل ينتظر الأمر فيه, فإذا أمر امتثل فتصير حركاته وسكناته بالله عزَّ وجلَّ, ما في الشرع حكمه فبالشرع، وما ليس له حكم في الشرع فبالأمر الباطن فحينئذ يصير محقاً من أهل الحقيقة, وما ليس فيه أمر باطن فهو مجرد الفعل حاله التسليم, وإن كنت في حالة حق الحق وهي حالة المحو والفناء وهي حالة الأبدال المنكسري القلوب لأجله الموحدين العارفين أرباب العلوم والعقل السادة الأمراء الشحن خفراء الخلق خلفاء الرحمن وأخلائه وأعيانه وأحبائه عليهم السلام, فإتباع الأمر فيها بمخالفتك إياك بالتبري من الحول والقوة, وأن لا يكون لك إرادة وهمة في شيء البتة دنيا وعقبى, فتكون عبد المَلك لا عبد الْمُلْك وعبد الأمر لا عبد الهوى كالطفل مع الظئر, والميت الغسيل مع الغسل, والمريض المقلوب على جنبيه بين يدي الطبيب فيما سوى الأمر والنهي والله أعلم.

في الشــهوة

قــال رضــي الله تعــالى عنــه و أرضــاه : إذا ألقيـت عليـك شـهوة النكـاح في حالـة الفقـر وعجزت عـن مؤنتـه فصـبرت عنـه منتظـر الفـرج مـن البـاري عزَّ وجلَّ, إما بزوالهـا وإقلاعهـا عنـك بقدرتـه التي ألقاهـا عليك وأوجدها فيـك فيعينـك أو يصونك وحياتـك عـن حمـل مؤنتهـا أيضـاً أو بإيصالها إليك موهبة مهنئاً مكفياً من غير ثقل في الدنيا ولا تعب في العقبى, وسماك الله عزَّ وجلَّ صـابراً شـاكراً لصـبرك عنهـا راضـياً بقسـمته فـزادك عصـمة وقـوة. فـإن كـان قسـماً لـك سـاقها إليـك مكفياً مهنئاً فينقلب الصبر شكراً, وهو عزَّ وجلَّ وعد الشاكرين بالزيادة في العطاء قال الله عزَّ وجلَّ : {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}.إبراهيم7.

وإن لـم تكـن قسـماً لـك فـالغنى عنهـا بقلعهـا مـن القلـب إن شـاءت النفـس أو أبـت, فـلازم الصبر وخالف الهوى وعانق الأمر وارض بالقضاء, وارج بذلك الفضل والعطاء, وقد قال الله تعالى : {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}.الزمر10.

في النهي عن حب المال

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا أعطاك الله عزَّ وجلَّ مالاً فاشتغلت به عن طاعته حجبك به عنه دنيا وأخرى, وربما سلبك إياه وغيرك وأفقرك لاشتغالك بالنعمة عن المنعم, وإن اشتغلت بطاعته عن المال جعله موهبة ولم ينقص منه حبة واحدة وكان المال خادمك وأنت خادم المولى, فتعيش في الدنيا مدللاً وفي العقبى مكرماً مطيباً في جنة المأوى مع الصديقين والشهداء والصالحين.

في التسليم لأمر الله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تختر جلب النعماء ولا دفع البلوى، فالنعماء واصلة إليك إن كانت قسمك استجلبتها أو كرهتها, والبلوى حالَّةٌ بك إن كانت قسمك مقضية عليك سواء كرهتها أو رفعتها بالدعاء أو صبرت وتجلدت لرضى المولى, بل سلم في الكل, فيفعل الفعل فيك، فإن كانت النعماء فاشتغل بالشكر, وإن كانت البلوى فاشتغل بالتصبر والصبر, أو الموافقة والتنعم بها أو العدم أو الفناء فيها على قدر ما تعطى من الحالات وتنتقل فيها, وما تسير في المنازل في طريق المولى الذي أمرت بطاعته والموالاة, لتصل إلى الرفيق الأعلى, فتقام حينئذ مقام من تقدم ومضى من الصديقين والشهداء والصالحين, لتعاين من سبقك إلى المليك ومنه دنا, ووجد عنده كل طريفة وسروراً وأمناً, وكرامة ونعما.

دع البلية تزورك, خل من سبيلها, ولا تقف ولا تجزع من مجيئها وقربها, فليس نارها أعظم من نار جهنم ولظى, فقد ثبت في الخبر المروي عن خير البرية, وخير من حملته الأرض وأظلته السماء محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن نار جهنم تقول للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي) فهل كان نور المؤمن الذي أطفأ لهب النار في لظى إلا الذي صحبه في الدنيا الذي لن يمر من أطاعها وعصى, فليطفئ هذا النور لهب البلوى, ولتجد برد صبرك وموافقتك للمولى وهيج ما حل بك من ذلك ومنك دنا، فالبلية لم تأتك لتهلكك, لكنها تأتيك

لتجربك وتحقق صحة إيمانك وتوثيق عروة يقينك ويبشرك باطنها من مولاك بمباهاته بك, قال الله تعالى : {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}.محمد31. فإذا ثبت مع الحق إيمانك ووافقته في فعله بيقينك كل ذلك بتوفيق منه ومنة, فكن حينئذ أبداً صابراً موافقاً مُسَلِّمَاً لا تحدث فيك ولا في غيرك حادثة ما خرج عن الأمر والنهي, فإذا كان أمره عزَّ وجلَّ فتسامع وتسارع وتحرك ولا تسكن ولا تسلم للقدر والفعل, بل ابذل طوقك وجهودك لتؤدي الأمر, فإن عجزت فدونك الالتجاء إلى مولاك عزَّ وجلَّ, فالتجئ إليه وتضرع واعتذر, وفتش عن سبب عجزك عن أداء أمره وصدك عن التشوق لطاعته لعل ذلك لشؤم دعائك وسوء أدبك في طاعته, ورعونتك واتكالك على حولك وقوتك, وإعجابك بعلمك وشركك إياك بنفسك وخلقه, فصدك عن بابه, وعزلك عن طاعته وخدمته, وقطع عنك مدد توفيقه, وولى عنك وجهه الكريم, ومقتك وقلاك, وشغلك ببلائك دنياك وهواك، وإرادتك ومناك.

أما تعلم أن كل ذلك مشغول عن ذلك, وقاطعك عن عين الذي خلقك ورباك، وخوّلك وأعطاك وأحياك.

احذر لا يلهيك عن مولاك غير مولاك, وكل من سوى مولاك غيره, فلا تؤثر عليه غيره فإنه خلقك له, فلا تظلم نفسك فتشغل بغيره عن أمره فيدخلك النار التي وقودها الناس والحجارة فتندم, فلا ينفعك الندم, وتعتذر فلا تعذر, وتستعتب فلا تعتب, وتسترجع إلى الدنيا لتستدرك وتصلح فلا ترجع.

ارحم نفسك وأشفق عليها, واستعمل الآلات والأدوات التي أعطيتها في طاعة مولاك من الفعل والإيمان والمعرفة والعلم.

استضيء بنورهما في ظلمات الأقدار, وتمسك بالأمر والنهي, وسيرهما في طريق مولاك وسلم ما سواهما إلى الذي خلقك وأنشأك, فلا تكفر بالذي خلقك من تراب ورباك, ثم من نطفة ثم رجلاً سواك، ولا ترد غير أمره, ولا تكره غير نهيه.

اقنع من الدنيا والأخرى بهذا المراد واكره فيهما هذا المكروه, فكل ما يراد تبع لهذا المراد, وكل مكروه تبع لهذا المكروه.

إذا كنت مع أمره كانت الأكوان في أمرك, وإذا كرهت نهيه فرت منك المكاره أين كنت وحللت.

قال الله عزَّ وجلَّ في بعض كتبه : (يا ابن آدم أنا الله لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون ، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون) وقال عزَّ وجلَّ : (يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فأتعبيه) فإذا جاء نهيه عزَّ وجلَّ فكن كأنك مسترخي المفاصل, مسكن الحواس, مضيق الذرع، متماوت الجسد، زائل الهوى, منطمس الوسوم، منمحي الرسوم، منسي الأثر, مظلم القنا, متهدم البناء، خاوي البيت, ساقط العرش, لا حس ولا أثر, فليكن سمعك كأنه أصم وعلى ذلك مخلوق، وبصرك كأنه معصب أو مرمود أو مطموس, وشفتاك كأن بهما قرحة وبثوراً, ولسانك كأنه به خرساً وكلولاً، وأسنانك كأن بهما ضرياناً وألماً ونشورا, ويداك كأن بهما شللاً وعن البطش قصورا, ورجلاك كأن بهما رعدة وارتعاشاً وجروحاً, وفرجك كأن به عنة وبغير ذلك الشأن مشغولا, وبطنك كأن به امتلاء وارتواء وعن الطعام غنى, وعقلك كأنك مجنون ومخبول, وجسدك كأنك ميت وإلى القبر محمول, فالتسامع والتسارع في الأمر, والتعاقد والتجاعد والتقاصر في النهي, والتماوت والتعادم والتفاني في القدر, فاشرب هذه الشربة, وتداو بهذا الدواء, وتغذ بهذا الغذاء، تنجح وتشفى, وتعافى من أمراض الذنوب وعلل الأهواء, بإذن الله تعالى إن شاء الله.

في إتباع أحوال القوم

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تدع حالة القوم يا صاحب الهوى أنت تعبد الهوى وهم عبيد المولى, أنت رغبتك في الدنيا ورغبة القوم في العقبى, أنت ترى الدنيا وهم يرون ربّ الأرض والسماء, وأنت أنسك بالخلق وأنس القوم بالحق، أنت قلبك متعلق بمن في الأرض وقلوب القوم بربّ العرش, أنت يصطادك من ترى وهم لا يرون من ترى بل يرون خالق الأشياء وما يرى, فاز القوم به وحصلت لهم النجاة, وبقيت أنت مرتهناً بما تشتهي من الدنيا وتهوى، فنوا عن الخلق والهوى والإرادة والمنى فوصلوا إلى الملك الأعلى, فأوقفهم على غاية ما رام منهم من الطاعة والجد والثناء {ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.المائدة54. فلازموا ذلك وواظبوا بتوفيق منه وتيسير بلا عناء, فصارت الطاعة لهم روحاً وغذاء, وصارت الدنيا إذ ذاك في حقهم نقمة وخزياً، فكأنها لهم جنة المأوى إذ ما يرون شيئاً من الأشياء حتى يروا قبله فعل الذي خلق وأنشأ فيهم ثبات الأرض والسماء, وقرار الموت والإحياء إذ جعلهم مليكهم أوتاداً للأرض الذي دحى, فكل كالجبل الذي رسى, فتنح عن طريقهم ولا تزاحم من لم يفده عن قصده الآباء والأبناء، فهم خير من خلق ربي وبث في الأرض وذرأ, فعليهم سلام الله وتحياته ما دامت الأرض والسماء.

في الخوف و الرجاء

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : رأيت في المنام كأني في موضع شبه مسجد وفيه قوم منقطعون, فقلت : لو كان لهؤلاء فلان يؤدبهم ويرشدهم, فأشرت إلى رجل من الصالحين فاجتمع القوم حولي فقال واحد منهم : فأنت لأي شيء لا تتكلم ؟ فقلت : إن رضيتموني ذلك, ثم قلت : إذا انقطعتم من الخلق إلى الحق فلا تسألوا الناس شيئاً بألسنتكم, فإذا تركتم ذلك فلا تسألوهم بقلوبكم, فإن السؤال بالقلب كالسؤال باللسان.

ثم اعلموا أن الله {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}.الرحمن29. في تغيير وتبديل ورفع وخفض, فقوم يرفعهم إلى عليين, وقوم يحطهم إلى أسفل سافلين, فخوف الذين رفعهم إلى عليين أن يحطهم إلى أسفل سافلين, ورجاؤهم أن يبقيهم ويحفظهم على ما هم عليه من الرفع, وخوف الذين حطهم إلى أسفل سافلين, أن يبقهم ويخلدهم على ما هم فيه من الحط, ورجاؤهم أن يرفعهم إلى عليين, ثم انتبهت.

في التوكل و مقاماته

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما حجبت عن فضل الله ونعمه إلا لاتكالك على الخلق والأسباب, والصنائع والاكتساب, فالخلق حجابك عن الأكل بالسنة وهو المكسب, فما دمت قائماً مع الخلق راجياً لعطاياهم وفضلهم سائلاً لهم متردداً إلى أبوابهم فأنت مشرك بالله خلقه, فيعاقبك بحرمان الأكل بالسنة الذي هو الكسب من حلال الدنيا, ثم إذا تبت عن القيام مع الخلق وشركك بربّك عزَّ وجلَّ إياهم ورجعت إلى الكسب فتأكل بالكسب وتتوكل على الكسب وتطمئن إليه وتنسى فضل الرب عزَّ وجلَّ, فأنت مشرك أيضاً، إلا أنه شرك خفي أخفى من الأول, فيعاقبك الله عزَّ وجلَّ ويحجبك عن فضله والبداءة به, فإذا تبت عن ذلك وأزلت الشرك عن الوسط, ورفعت اتكالك عن الكسب والحول والقوة, ورأيت الله عزَّ وجلَّ هو الرزاق, وهو المسبب والمسهل والمقوي على الكسب, والموفق لكل خير والرزق بيده, تارة يواصلك به

بطريق الخلق على وجه المسألة لهم في حالة الابتلاء أو الرياضة أو عند سؤالك له عزَّ وجلَّ, وأخرى بطريق الكسب معاوضة وأخرى من فضله مبادأة من غير أن ترى الواسطة والسبب, فرجعت إليه واستطرحت بين يديه, ورفع الحجاب بينك وبين فضله, وباداك وغذاك بفضله, عند كل حاجة على قدر ما يوافق حالك, كفعل الطبيب الشفيق الرقيق الحبيب للمريض حماية منه عزَّ وجلَّ, وتنزيهاً لك عن الميل إلى من سواه, يرضيك بفضله, فإذاً ينقطع عن قلبك كل إرادة وكل شهوة ولذة ومطلوب ومحبوب, فلا يبقى في قلبك سوى إرادته عزَّ وجلَّ, فإذا أراد أن يسوق إليك قسمك الذي لابدّ من تناوله وليس هو رزقاً لأحد من خلقه سواك, أوجد عندك شهوة ذلك القسم وساقه إليك, فيواصلك به عند الحاجة, ثم يوفقك ويعرفك أنه منه وهو سائقه إليك ورازقه لك, فتشكره حينئذٍ وتعرف وتعلم, فيزيدك خروجاً من الخلق وبعداً من الأنام, وأخليت الباطن عما سواه عزَّ وجلَّ, ثم إذا قوي علمك ويقينك, وشرح صدرك ونور قلبك, وزاد قربك من مولاك ومكانتك لديه عنده، وأهليتك لحفظ الأسرار علمت متى يأتيك قسمك كرامة لك وإجلالاً لحرمتك فضلاً منه ومنة وهداية, قال الله تعالى : {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}.السجدة24. وقال الله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}.العنكبوت69. وقال تعالى : {وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ}.البقرة282. ثم يرد عليك التكوين فتكون بالإذن الصريح الذي هو لا غبار عليه والدلالات اللائحة كالشمس المنيرة, وبكلامه اللذيذ الذي هو ألذ من كل لذيذ, وإلهام صدق من غير تلبس مصفى من هواجس النفس ووساوس الشيطان الرجيم.

قال الله تعال في بعض كتبه : (يا ابن آدم أنا الله الذي لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون, أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون), وقد فعل ذلك بكثير من أنبيائه وأوليائه وخواصه من بني آدم.

في كيفية الوصول إلى الله بواسطة المرشد

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا وصلت إلى الله قربت بتقريبه وتوفيقه، ومعنى الوصول إلى الله عزَّ وجلَّ خروجك عن الخلق والهوى والإرادة والمنى, والثبوت مع فعله ومن غير أن يكون منك حركة فيك ولا في خلقه بك، بل بحكمه وأمره وفعله, فهي حالة الفناء يعبر عنها بالوصول، فالوصول إلى الله عزَّ وجلَّ ليس كالوصول إلى أحد من خلقه المعقول المعهود {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.الشورى11. جلَّ الخالق أن يشبه بمخلوقاته أو يقاس على مصنوعاته, فالواصل إليه عزَّ وجلَّ معروف عند أهل الوصول بتعريفه عزَّ وجلَّ لهم كل واحد على حدة لا يشاركه فيه غيره, وله عزَّ وجلَّ مع كل واحد من رسله وأنبيائه وأوليائه سر من حيث هو لا يطلع على ذلك أحد غيره, حتى أنه قد يكون للمريد سر لا يطلع عليه شيخه, وللشيخ سر لا يطلع عليه مريده الذي قد دنا سيره إلى عتبة باب حالة شيخه, فإذا بلغ المريد حالة شيخه أفرد عن الشيخ وقطع عنه، فيتولاه الحق عزَّ وجلَّ فيفطمه عن الخلق جملة, فيكون الشيخ كالضئر والداية, لا رضاع بعد الحولين, ولا خلق بعد زوال الهوى والإرادة. الشيخ يحتاج إليه ما دام ثم هوى وإرادة لكسرهما, وأما بعد زوالهما فلا, لأنه لا كدورة ولا نقصان, فإذا وصلت إلى الحق عزَّ وجلَّ على ما بينا فكن آمناً أبداً من سواه عزَّ وجلَّ فلا ترى لغيره وجوداً البتة, لا في الضر ولا في النفع, ولا في العطاء ولا في المنع, ولا في الخوف ولا في الرجاء, هو عزَّ وجلَّ {أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ}.المدثر56. فكن أبداً ناظراً إلى فعله مترقباً لأمره. مشتغلاً بطاعته, مبايناً عن جميع خلقه دنيا وأخرى.

لا تعلق قلبك بشيء منهم واجعل الخليقة أجمع كرجل كَتَّفَهُ سلطان عظيم ملكه شديد أمره, مهولة صولته وسطوته, ثم جعل الغل في رقبته ورجليه, ثم صلبه على شجرة الأرزة، على شاطىء نهر عظيم موجه, فسيح عرضه, عميق غوره, شديد جريه, ثم جلس السلطان على كرسيه, عظيم قدره, عال سماؤه, بعيد مرامه ووصوله, وترك إلى جنبه أحمالاً من السهام والرماح والنبل وأنواع السلاح والقسى ومما لا يبلغ قدرها غيره, فجعل يرمي إلى المصلوب بما شاء من ذلك السلاح, فهل يحسن لمن يرى ذلك أن يترك النظر إلى السلطان والخوف منه والرجاء له وينظر

إلى المصلوب ويخاف منه ويرجوه, أليس من فعل ذلك يسمى في قضية العقل عديم العقل والحس مجنونا. بهيمة غير إنسان؟؟ نعوذ بالله من العمى بعد البصيرة, ومن القطيعة بعد الوصول, ومن الصدود بعد الدنو والقرب, ومن الضلالة بعد الهداية, ومن الكفر بعد الإيمان, فالدنيا كالنهر العظيم الجاري الذي ذكرناه كل يوم في زيادة ماء وهي شهوات بني آدم ولذاتهم فيها, والدواهي التي تصيبهم منها, وأما السهام وأنواع السلاح فالبلايا التي يجري بها القدر إليهم, فالغالب على بني آدم في الدنيا البلايا والآلام والمحن, وما يجدون من النعم واللذات فيها فمشوبة بالآفات إذا اعتبرها كل عاقل لا حياة له ولا عيش ولا راحة إلا في الآخرة إن كان مؤمناً, لأن ذلك خصوصاً في حق المؤمن. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا عيش إلا عيش الآخرة) وقال عليه الصلاة والسلام : (لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه) ذلك في حق المؤمنين . وقال صلى الله عليه وسلم : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) . وقال عليه الصلاة والسلام : (التقي ملجم) فمع هذه الأخبار والعيان كيف يدعي طيب العيش في الدنيا. فالراحة كل الراحة في الانقطاع إلى الله عزَّ وجلَّ وموافقته, والاستطراح بين يديه, فيكون العبد بذلك خارجاً عن الدنيا، فحينئذ يكون الدلال رأفة ورحمة ولطفاً وفضلاً, والله أعلم.

في النهي عن الشكوى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الوصية لا تشكون إلى أحد ما نزل بك من خير كائناً من كان صديقاً أو عدواً ولا تتهمن الرب عزَّ وجلَّ فيما فعل فيك وأنزل بك من البلاء, بل أظهر الخير والشكر, فكذبك باظهارك للشكر من غير نعمة عندك خير من صدقك في إخبارك جلية الحال بالشكوى, من الذي خلا من نعمة الله عزَّ وجلَّ؟؟ قال الله تعالى : {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا}.النحل18. فكم من نعمة عندك وأنت لا تعرفها؟؟ لا تسكن إلى أحد من الخلق, ولا تستأنس به, ولا تطلع أحداً على ما أنت فيه, بل يكون أنسك بالله عزَّ وجلَّ، وسكونك إليه وشكواك منه وإليه لا ترى ثانياً, فإنه ليس لأحد ضر ونفع, ولا جلب ولا دفع, ولا عزَّ ولا ذل, ولا رفع ولا خفض, ولا فقر ولا غنى, ولا تحريك ولا تسكين, الأشياء كلها خلق الله عزَّ وجلَّ وبيد الله عزَّ وجلَّ، بأمره وإذنه جريناها, وكل يجري لأجل مسمى, وكل شيء عنده بمقدار, لا مقدم لما أخر, ولا مؤخر لما قدم, قال الله عزَّ وجلَّ : {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ

هُــوَ وَإِن يُــرِدْكَ بِخَيْــرٍ فَــلاَ رَآدَّ لِفَضْــلِهِ يُصَــيبُ بِــهِ مَــن يَشَــاءُ مِــنْ عِبَــادِهِ وَهُــوَ الْغَفُــورُ الرَّحِيمُ}.يونس107. فإن شكوت منه عزَّ وجلَّ وأنت معافى وعندك نعمة طالباً الزيادة وتعامياً عن ماله عندك من النعمة والعافية استهزاءً بها, غضب عليك وأزالهما عنك, وحقق شكواك, وضاعف بلواك، وشدد عقوبتك ومقتك وقلاك, وأسقطك من عينه : احذر الشكوى جداً ولو قطعت وقرض لحمك بالمقاريض.

إيَّاك إيَّاك ثم إيَّاك, الله الله ثم الله, النجاة النجاة, الحذر الحذر, فإن أكثر ما ينزل بابن آدم من أنواع البلاء بشكواه من ربّه عزَّ وجلَّ. كيف يشتكى منه عزَّ وجلَّ وهو أرحم الراحمين, وخير الحاكمين, حكيم خبير, رؤوف رحيم, لطيف بعباده, وليس بظلام للعبيد, كطبيب حكيم حبيب شفيق لطيف قريب هل تتهم الوالدة الرحيمة, قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الله أرحم بعبده من الوالدة بولدها). أحسن الأدب يا مسكين, تصبّر عند البلاء إن ضعفت على الصبر, ثم اصبر إن ضعفت عن الرضا والموافقة, ثم أرض ووافق إن وجدت, ثن أفن إذا فقدت, أيها الكبريت الأحمر أين أنت أين توجد وترى؟؟ أما تسمع إلى قوله عزَّ وجلَّ : {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.البقرة216. طوى عنك علم حقيقة الأشياء وحجبك عنه, فلا تسيء الأدب فتكره بك أو تحب بك, بل اتبع الشرع في جميع ما ينزل بك إن كنت في حالة التقوى التي هي القدم الأولى, واتبع الأمر في حالة الولاية وخمود وجود الهوى ولا تجاوزه وهي القدم الثانية, وأرض بالفعل ووافق, وافن في حالة البدلية والغوثية والقطبية والصديقية, وهي المنتهى, تنح عن طريق القدر, خل عن سبيله, رد نفسك وهواك, كف لسانك عن الشكوى, فإذا فعلت ذلك, إن كان خيراً زادك المولى طيبة وسروراً ولذة, وإن كان شراً حفظك في طاعته فيه, وأزال عنك الملامة, وأفقدك فيه حتى يتجاوز عنك, ويرحل عند انقضاء أجله, كما ينقضي الليل فيسفر عن النهار, والبرد في الشتاء فيسفر عن الصيف, ذلك أنموذج عندك, فاعتبر بهم, ثم ذنوب وآثام وإجرام وتلويثات بأنواع المعاصي والخطيئات ولا يصلح لمجالسة الكريم إلا الطاهر عن أنجاس الذنوب والزلات, ولا يقبل على سدته إلا طيباً من درن الدعاوى والوهوسات، كما لا يصلح لمجالسة الملوك إلا الطاهر من الأنجاس وأنواع النتن والأوساخ، فالبلايا مكفرات مطهرات قال النبي صلى الله عليه وسلم : (حمى يوم كفارة سنة) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في الأمر بوفاء العهد و النهي عن خلفه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا كنت ضعيف الإيمان واليقين ووعدت بوعد وفِّ بوعدك, ولا تخلف كيلا يزول إيمانك ويذهب يقينك.

وإذا قوي ذلك في قلبك وتمكنت خوطبت بقوله : {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ}.يوسف54. وتكرر هذا الخطاب لك حالاً بعد حال فكنت من الخواص بل من خواص الخواص ولم يبق لك إرادة ولا مطلب, ولا عمل تعجب به ولا قربة تراها, ولا منزلة تلمحها, فتسمو همتك إليها, فصرت كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع, فلا يثبت فيك إرادة ولا خلق ولا همة إلى شيء من الأشياء دنيا وأخرى, وطهرت مما سوى الله تعالى, وأعطيت رضاك عن الله عزَّ وجلَّ, ووعدت برضوانه عزَّ وجلَّ عنك, ولذذت ونعمت بأفعال الله عزَّ وجلَّ أجمع, فحينئذ توعد بوعد, فإذا اطمأننت إليه ووجدت فيه إمارة إرادة ما نقلت عن ذلك الوعد إلى ما هو أعلى منه, وصرفت إلى أشرف منه, وعوضت عن الأول بالغنى عنه, وفتحت لك أبواب المعارف والعلوم وأطلعت على غوامض الأمور وحقائق الحكمة والمصالح المدفونة في الانتقال من الأول إلى ما يليه ويزاد حينئذ في مكانتك في حفظ الحال ثم المقال, وفي أمانتك في حفظ الأسرار وشرح الصدور وتنوير القلب وفصاحة اللسان والحكمة البالغة في إلقاء المحبة عليك, فجعلت محبوب الخليقة أجمع الثقلين وما سواهما دنيا وأخرى. إذا صرت محبوب الحق عزَّ وجلَّ, والخلق تابع للحق جلَّ وعلا, ومحبتهم مندرجة في محبته, كما أن بغضهم يندرج في بغضه عزَّ وجلَّ. فإذا بلغت المقام الذي ليس فيه إرادة شيء البتة جعلت لك إرادة شيء من الأشياء, فإذا تحققت إرادتك لذلك الشيء أزيل الشيء وأعدم, وصرفت عنه فلم تعطه في الدنيا, وعوضت عنه الأخرى بما يزيدك قربة وزلفى إلى العلي الأعلى, وما تقر به عيناك في الفردوس الأعلى وجنة المأوى, وإن كنت لم تطلب ذلك وتأمله وترجوه وأنت في دار الدنيا التي هي دار الفناء والتكاليف والعناء, بل رجاؤك وأنت فيها وجه الذي خلق وبرأ ومنع وأعطى, وبسط الأرض ورفع السماء إذ ذاك هو المراد والمطلوب والمنى, وربما عوضت عن ذلك بما هو أدنى منه أو مثله في الدنيا بعد انكسار قلبك وبصرك, حينئذ يصدك عن ذلك المطلوب والمراد, وتحقيق العوض في الأخرى على ما ذكرنا وبينا, والله سبحانه أعلم.

في قوله صلى الله عليه و سلم :
((دع ما يُريبك إلى ما لا يريبك))

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : دع ما يريبك إذا اجتمع مع مالا يريبك, فخذ بالعزيمة الذي لا يشوبها ريب ولا شك, ودع ما يريبك, فأما إذا تجرد المريب المشوب الذي لم يصف عن حز القلب وحكه فتوقف فيه وانظر الأمر فيه, فإن أمرت بتناوله تناوله فدونك وإن أمرت بالكف عنه ومنعت فكف, فليكن ذلك عندك كأنه لم يكن ولم يوجد, ارجع إلى الباب وابتغ عند ربّك الرزق, وإن ضعفت عن الصبر أو الموافقة أو الرضا أو الفنا فهو عزَّ وجلَّ لا يحتاج أن يذكر فليس بغافل عنك وعن غيرك, وهو عزَّ وجلَّ يطعم الكفار والمنافقين والمدبرين عنه فكيف ينساك؟؟ أيها المؤمن الموحد المقبل على طاعته والقائم بأمره في آناء الليل وأطراف النهار.

(وجه آخر) دع ما في أيدي الخلق فلا تطلبه ولا تعلق قلبك به, ولا ترجو الخلق ولا تخافهم, وخذ من فضل الله عزَّ وجلَّ وهو ما لا يريبك, وليكن لك مسؤول واحد ومرجو واحد ومخوف واحد وموجود واحد وهمة واحدة وهو ربك عزَّ وجلَّ الذي نواصي الملوك بيده وقلوب الخلق بيده التي هي أمراء الأجساد, وأموال الخلق له عزَّ وجلَّ, وهم وكلاؤه وأمناؤه, وحركة أيديهم بالعطاء لك بإذنه عزَّ وجلَّ وأمره وتحريكه, وكفها عن عطائك ذلك, قال الله عز وجل : {وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ}.النساء32. وقال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.العنكبوت17. وقال سبحانه : {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}.البقرة186. وقال تعالى : {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}.غافر60. وقال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}.الذاريات58. وقال تعالى : {إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.آل عمران37.

في مكالمة إبليس نعوذ بالله منه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : رأيت إبليس اللعين في المنام وأنا في جمع كثير فهمّمت بقتله, فقال لي لعنه الله لم تقتلني وما ذنبي؟؟ إن جرى القدر بالشر فلا أقدر أغيره إلى خير وأنقله إليه, وإن جرى بالخير فلا أقدر أغيره إلى شر وأنقله إليه, فأي شيء بيدي؟؟ وكانت صورته على صورة الخناثي لين الكلام مشوه الوجه طاقات شعر في ذقنه حقير الصورة دميم الخلقة, ثم تبسم في وجهي تبسم خجل ووجل وذلك في ليلة الأحد ثاني عشر من ذي الحجة من سنة ستة عشر وخمسمائة, والله الهادي لكل خير.

في ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا يزال الله يبتلى عبده المؤمن على قدر إيمانه، فمن عظم إيمانه وكثر وتزايد عظم بلاؤه، الرسول بلاؤه أعظم من بلاء النبي، لأن إيمانه أعظم، والنبي بلاؤه أعظم من بلاء البدل وبلاء البدل أعظم من بلاء الولي، كل واحد على قدر إيمانه ويقينه. وأصل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إنا معشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) فيديم الله تعالى البلاء لهؤلاء السادات الكرام حتى يكونوا أبداً في الحضرة ولا يغفلوا عن اليقظة، لأنه يحبهم، فهم أهل المحبة يحبون الحق، والمحب أبداً لا يختار بعد محبوبه، فالبلاء خطاف لقلوبهم وقيد لنفوسهم، يمنعهم عن الميل إلى غير مطلوبهم والسكون والركون إلى غير خالقهم، فإذا دام ذلك في حقهم ذابت أهويتهم وانكسرت نفوسهم وتميز الحق من الباطل فتنزوي الشهوات والإرادات، والميل إلى اللذات والراحات دنيا وأخرى بأجمعها إلى ما يلي النفس ويصير السكون إلى وعد الحق عزَّ وجلَّ، والرضا بقضائه، والقناعة بعطائه، والصبر على بلائه، والأمن من شر خلقه إلى ما يلي القلب، فتقوى شوكة القلب، فتصير الولاية على الجوارح إليه، لأن البلاء يقوى القلب واليقين، ويحقق الإيمان والصبر، ويضعف النفس والهوى، لأنه كلما وصل الألم ووجد من المؤمن الصبر والرضا والتسليم لفعل الرب عزَّ وجلَّ، رضي الرب تعالى عنه

وشكره، فجاءه المدد والزيادة والتوفيق. قال الله تعالى : {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}.إبراهيم7. وإذا تركت النفس بطلب شهوة من شهواتها ولذة من لذاتها من القلب فأجابها القلب إلى مطلوبها ذلك من غير أمر من الله تعالى وإذن منه حصلت بذلك غفلة عن الحق تعالى وشرك ومعصية، فعمهما الله تعالى بالخذلان والبلايا وتسليط الخلق،والأوجاع والأمراض والإيذاء والتشويش، فينال كل واحد من القلب والنفس حظ وإن لم يجب القلب والنفس إلى مطلوبها حتى يأتيه الإذن من قبل الحق عزَّ وجلَّ بإلهام في حق الأولياء، ووحي صريح في حق المرسلين والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فعمل ذلك عطاء ومنعاً، وعمهما الله بالرحمة والبركة، والعافية والرضا، والنور والمعرفة، والقرب والغنى والسلامة من الآفات، والنصر على الأعداء فاعلم ذلك وأحفظه وأحذر البلاء جداً في المسارعة إلى إجابة النفس والهوى، بل توقف وترقب في ذلك إذن المولى جلَّ جلاله، فتسلم في الدنيا والعقبى إن شاء الله تعالى.

في الرضا بما قسم الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أرض بالدون وألزمه جداً حتى يبلغ الكتاب أجله فتنقل إلى الأعلى والأنفس، وبها تهنأ وفيه تبقى وتحفظ بلا عناء دنيا وأخرى ولا تبعة ولا عدوى، ثم تترقى من ذلك إلى ما هو أقر عيناً منه وأهنأ.

وأعلم أن القسم لا يفوتك بترك الطلب، وما ليس بقسم لا تناله بحرصك في الطلب والجد والاجتهاد، فاصبر وألزم الحال وأرض به، لا تأخذ بك حتى تؤمر، ولا تعطى بك حتى تؤمر، ولا تتحرك بك ولا تسكن بك، فتبتلى بك وبمن هو شر منك من الخلق لأنك بذلك تظلم والظالم لا يغفل عنه قال الله عزَّ وجلَّ : {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً}.الأنعام129. لأنك في دار ملك عظيم أمره شديدة شوكته، كثير جنده نافذة مشيئته قاهر حكمه باق ملكه دائم سلطانه دقيق علمه بالغة حكمته عدل قضاؤه {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}.سبأ 3. لا يجاوزه ظلم ظالم فأنت أعظمهم ظلماً وأكبرهم جريمة، لأنك أشركت بتصرفك فيك وفى خلقه عزَّ وجلَّ بهواك. قال الله تعالى : {لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.لقمان13. وقال تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}.النساء48_116. أتق الشرك جداً ولا تقربه، واجتنبه في حركاتك وسكناتك وليلك ونهارك، في خلوتك وجلوتك. وأحذر المعصية

في الجملة في الجوارح والقلب واترك الإثم ما ظهر منه وما بطن. لا تهرب منه عزَّ وجلَّ فيدركك، ولا تنازعه في قضائه فيقصمك، وتتهمه في حكمه فيخذلك، ولا تغفل عنه فينبهك ويبتليك، ولا تحدث في داره حادثة فيهلكك، ولا تقل في دينه بهواك فيرديك ويظلم قلبك، ويسلب إيمانك ومعرفتك، ويسلط عليك شيطانك ونفسك وهواك وشهواتك وأهلك وجيرانك وأصحابك وأخلاءك وجميع خلقه حتى عقارب دارك وحياتها وجنها وبقية هوامها فينغص عيشك في الدنيا ويطيل عذابك في العقبى.

في الحث على ملازمة باب الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أحذر معصية الله عزَّ وجلَّ جداً، وألزم بابه حقاً وأبذل طوقك وجهدك في طاعته معتذراً متضرعاً مفتقراً خاضعاً، متخشعاً مطرقاً، غير ناظر إلى خلقه ولا تابع لهواك، ولا طالب للأعواض دنيا وأخرى، ولا ارتقاء إلى المنازل العالية والمقامات الشريفة، واقطع بأنك عبده والعبد وما ملك لمولاه، لا يستحق عليه شيئاً من الأشياء، أحسن الأدب ولا تتهم مولاك، فكل شئ عنده بمقدار، لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم، يأتيك ما قدر لك عند وقته وأجله إن شئت أو أبيت، لا تشره على ما سيكون لك، ولا تطلب وتلهف على ما هو لغيرك، فما ليس هو عندك لا يخلو إما أن يكون لك أو لغيرك، فإن كان لك فهو إليك صائر وأنت إليه مقاد ومسير، فاللقاء عن قريب حاصل، وما ليس لك فأنت عنه مصروف وهو عنك مول فأنى لكما التلاق فاشغل بإحسان الأدب فيما أنت بصدده من طاعة مولاك عزَّ وجلَّ في وقتك الحاضر، ولا ترفع رأسك ولا تمل عنقك إلى ما سواه. قال الله تعالى : {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.طه131. فقد نهاك الله عزَّ وجلَّ عن الالتفات إلى غير ما أقامك فيه ورزقك من طاعته وأعطاك من قسمه ورزقه وفضله، ونبهك أن ما سوى ذلك فتنة افتتنهم به، ورضاك قسمك خير لك وأبقى وأبرك وأحرى وأولى، فليكن هذا دأبك ومتقلبك ومثواك، وشعارك ودثارك ومرادك ومرامك، وشهوتك ومناك، تنل به كل المرام، وتصل به إلى كل مقام وترقى به إلى كل خير ونعيم وطريف وسرور ونفيس. قال الله تعالى : {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.السجدة17. ولا عمل بعد العبادات الخمس وترك الذنوب، ولا أجمع ولا أعظم ولا أشرف ولا أحب إلى الله عزَّ وجلَّ، ولا أرضى عنده مما ذكرنا لك، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى بمنه.

في شجرة الإيمان

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تقولن يا فقير اليد، يا مولى عنه الدنيا وأبناؤها، يا خامل الذكر بين ملوك الدنيا وأربابها، يا جائع يا نايع يا عريان الجسد يا ظمآن الكبد يا مشتتاً في كل زاوية من الأرض من مسجد وبقاع خراب، ومردوداً من كل باب، ومدفوعاً عن كل مراد، ومنكسراً ومزدحماً في قلبه كل حاجة مرام. إن الله تعالى أفقرني وذوى عنى الدنيا وغرني، وتركني وقلاني وفرقني ولم يجمعني، وأهانني ولم يعطني من الدنيا كفاية، وأخملني ولم يرفع ذكرى بين الخليقة وإخواني، وأسبل على غيري نعمة منه سابغة يتقلب فيها في ليله ونهاره، وفضله عليّ وعلى أهل دياري وكلانا مسلمان مؤمنان ويجمعنا أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، أما أنت فقد فعل الله ذلك بك، لأن طينتك حرة وندى رحمة الله متدارك عليك من الصبر والرضا واليقين والموافقة والعلم وأنوار الإيمان والتوحيد متراكم لديك، فشجرة إيمانك وغرسها وبذرها ثابتة مكينة مورقة مثمرة متزايدة متشعبة غضة مظللة متفرعة، فهي كل يوم في زيادة ونمو، فلا حاجة بها إلى سباطة وعلف لتنمى بها وتربى، وقد فرغ الله عزَّ وجلَّ من أمرك على ذلك، وأعطاك في الآخرة دار البقاء وخولك فيها، وأجزل عطاءك في العقبى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال الله تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.السجدة17. أي ما عملوا في الدنيا من أداء الأوامر، والصبر على ترك المناهى، والتسليم والتفويض إليه في المقدور، والموافقة له في جميع الأمور. وأما الغير الذي أعطاه الله عزَّ وجلَّ الدنيا وخوله ونعمه بها وأسبغ عليه فضله فعل به ذلك، لأن محل إيمانه أرض سبخة وصخر لا يكاد يثبت فيها الماء وتنبت فيها الأشجار، ويتربى فيها الزرع والثمار فصب عليها أنواع سباطه وغيرها مما يربى به النبات والأشجار، وهى الدنيا وحطامها ليحفظ بها ما أنبت فيها من شجرة الإيمان وغرس الأعمال، فلو قطع ذلك عنها لجف النبات والأشجار، وانقطعت الثمار، فخربت الديار، وهو عزَّ وجلَّ مريد عمارتها، فجشرة إيمان الغنى ضعيفة المنبت وخال عما هو مشحون به منبت شجرة إيمانك يا فقير، فقوتها وبقاؤها بما ترى عنده من الدنيا وأنواع النعيم، فلو قطع ذلك عنه مع ضعف الشجرة جفت، فكان كفراً وجحوداً وإلحاقاً بالمنافقين والمرتدين والكفار، اللهمَّ إلا أن يبعث الله عزَّ وجلَّ إلى الغنى عساكر الصبر والرضا واليقين والتوفيق والعلم وأنواع المعارف فيقوى الإيمان بها فحينئذ لا يبالى بانقطاع الغنى والنعيم، والله الهادي الموفق.

في النهي عن كشف البرقع عن الوجه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تكشف البرقع والقناع عن وجهك حتى تخرج من الخلق وتوليهم ظهر قلبك في جميع الأحوال ويزول هواك، ثم تزول إرادتك ومناك، فتفنى عن الأكوان دنيا وأخرى، فتصير كإناء منثلم لا يبقى فيك غير إرادة ربك عزَّ وجلَّ فتمتلئ به عزَّ وجلَّ وبحكمه، إذا خرج الزور دخل النور، فلا يكون لغير ربك في قلبك مكان ولا مدخل وجعلت بواب قلبك، وأعطيت سيف التوحيد والعظمة والجبروت، فكل من رأيته دنا من ساحة صدرك إلى باب قلبك ندرت رأسه من كاهله فلا يكون لنفسك وهواك وإرادتك ومناك في دنياك وأخراك عندك رأس امتثال ولا كلمة مسموعة، لا أرى متبع إلا إتباع أمر الرب عزَّ وجلَّ، والوقوف معه والرضا بقضائه وقدره، بل الفناء في قضائه وقدره، فتكون عبد الرب عزَّ وجلَّ وأمره لا عبد الخلق وآرائهم، فإذا استمر الأمر فيك كذلك ضربت حول قلبك سرادقات الغيرة وخنادق العظمة وسلطان الجبروت، وحف بجنود الحقيقة والتوحيد، ويقام دون ذلك حراس من الحق عزَّ وجلَّ، كيلا يخلص الخلق إلى تطلب القلب من الشيطان والنفس والهوى، والإرادات والأماني الباطلة، والدعاوى الكاذبة الناشئة من الطباع والنفس الآمرة بالسوء، والضلالات الناشئة من الهوى، فحينئذ إن كان في القدر مجئ الخلق وتواترهم إليك وتتابعهم وتطابقهم عليك، ليصيبوا من الأنوار اللائحة والعلامات المنيرة والحكم البالغة، ويروا من الكرامات الظاهرة وخوارق العادة المستمرة، ويزدادوا بذلك من القربات والطاعات والمجاهدات والمكايدات في عبادة ربهم عزَّ وجلَّ، حفظت عنهم أجمعين وعن ميل النفس إلى هواها، وعجبها ومباهاتها، وتعاظمها بالتكبر بهم وبقبولهم لك وإقبال وجوههم إليك، وكذلك إن قدر مجئ زوجة حسناء جميلة بكفايتها وسائر مؤنتها حفظت من شرها وحمل أثقالها وأتباعها وأهلها، وصارت عندك موهبة مكفاة مهناة منقاة مصفاة من الغش والخبث والغل والحقد والغضب والخيانة في الغيب، فتكون لك مسخرة، وهى وأهلها محمولة عنك مؤنتها، مدفوعة عنك أذيتها، وإن قدر منها ولد كان صالحاً ذرية طيبة قرة عين. قال الله تعالى : {وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}.الأنبياء**90**. وقال تعالى: {هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}.الفرقان**74**. وقال تعالى: {وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً}.مريم**6**. فتكون هذه الدعوات التي في هذه الآيات معمولاً بها مستجابة في حقك إن دعوت بها أو لم

تدع، إذ هي في محلها وأهلها، وأولى من يعامل بهذه النعمة ويقابل بها من كان أهلاً لهذه المنزلة، وأقيم في هذا المقام وقدر له من الفضل والقرب هذا المقدار، وكذلك إن قدر مجئ شئ من الدنيا وإقبالها لا يضر إذ ذاك، فما هو قسمك منها فلابدّ من تناوله وتصفيته لك بفعل الله عزَّ وجلّ، وورود الأمر يتناوله وأنت ممتثل للأمر مثاب على تناوله، كما تثاب على فعل صلوات الفرض وصيام الفرض، وتؤمر فيما ليس بقسمك منها بصرفه إلى أربابه من الأصحاب والجيران والإخوان المستحقين الفقراء منهم وأصحاب الأقسام على ما يقتضى الحال، فالأحوال تكشفها وتميزها، ليس الخبر كالمعاينة. فحينئذ تكون من أمرك على بيضاء نقية لا غبار عليها ولا تلبيس ولا تخليط ولا شك ولا ارتياب، فالصبر الصبر، الرضا الرضا، حفظ الحال حفظ الحال، الخمول الخمول، الخمود الخمود، السكوت السكوت، الصموت الصموت، الحذر الحذر، النجا النجا، الوحا الوحا، الله الله ثم الله، الإطراق الإطراق الإغماض الإغماض الحياء الحياء إن يبلغ الكتاب أجله، فيؤخذ بيدك فتقدم وينزع عنك ما عليك ثم تغوص في بحار الفضائل والمنن والرحمة ثم تخرج منها فتخلع عليك الأنوار والأسرار والعلوم والغرائب المدنية، ثم تقرب وتحدث فيه بإعلام وإلهام وتكلم وتعطى وتغنى وتشجع وترفع، وتخاطب بـ {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ}.يوسف54. فحينئذ أعتبر حالة يوسف الصديق عليه السلام حين خوطب بهذا الخطاب على لسان ملك مصر وعظيمها وفرعونها، كان لسان الملك قائلاً معبراً بهذا الخطاب والمخاطب هو الله عزَّ وجلَّ على لسان المعرفة، سلم إليه المالك الظاهر وهو ملك مصر، وملك النفس وملك المعرفة والعلم والقربة والخصوصية وعلو المنزلة عنده عزَّ وجلَّ. قال تعالى في ملك الملك : {وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ}.يوسف56. أي في أرض مصر {يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}.يوسف56. قال تعالى في ملك النفس: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}.يوسف24. وقال تعالى في ملك المعرفة والعلم: {ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ}.يوسف37. فإذا خوطبت بهذا الخطاب يا أيها الصديق الأكبر، أعطيت الحظ الأوفر، من العلم الأعظم، ومنحت وهنيت بالتوفيق والمنن والقدرة والولاية العامة، والأمر النافذ على النفس وغيرها من الأشياء والتكوين، بإذن إله الأشياء في الدنيا قبل الآخرة. وأما في الأخرى في دار السلام والجنة العليا، فالنظر إلى وجه المولى الكريم زيادة ومنة، وهو المنى الذي لا غاية له ولا منتهى، والله الموفق لحقائق ذلك، إنه رؤوف رحيم.

في أن الخير و الشرّ ثمرتان

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أجعل الخير والشر ثمرتين من غصنين من شجرة واحدة، أحد الغصنين يثمر حلوا والآخر مراً، فاترك البلاد والأقاليم ونواحي الأرض التي يحمل إليها هذه الثمار المأخوذة من هذه الشجرة، وابعد منها ومن أهلها واقترب من الشجرة وكن سائسها وخادمها القائم عندها، وأعرف الغصنين والثمرتين والجانبين، فكن إلى جانب الغصن المثمر حلواً، فحينئذ يكون غذاؤك وقوتك منها، واجتنب أن تقدم إلى جانب الغصن الآخر فتأكل من ثمرته فتهلك من مرارتها، فإذا دمت على هذا كنت في دعة وأمن وراحة وسلامة من الآفات كلها، إذ الآفات وأنواع البلايا تتولد من تلك الثمرة المرة، وإذا غبت عن تلك الشجرة وهمت في الآفاق وقدم بين يديك من تلك الثمرتين وهى مخلطة غير متميزة الحلوة من المرة هنا فتناولت منها، فربما وقعت يدك على المرة فأدنيتها من فيك فأكلت منها جزءاً ومضغته، فسرت المرة إلى أعماق لهواتك وباطن حلقك وخياشيمك، فعملت فيك وسرت في عروقك وأجزاء جسدك فهلكت بها، ولفظك الباقي من فيك وغسل أثره لا ينفع لا ويدفع عنك ما قد سرى في جسدك ولا ينفعك، وإن أكلت ابتداء من الثمرة الحلوة وسرت حلاوتها في أجزاء جسدك وانتفعت بها وسررت فلا يكفيك ذلك، فلابد تتناول غيرها ثانياً، فلا تأمن أن تكون الثانية من المرة فيحل بك ما ذكرته لك، فلا خير في البعد عن الشجرة والجهل بثمرتها والسلامة في قربها والقيام معها، فالخير والشر بفعل الله عزَّ وجلَّ، والله هو فاعلهما ومجريهما. قال الله عزَّ وجلَّ : {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}.الصافات96. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الله خلق الجازر وجزوره) وأعمال العباد خلق الله عزَّ وجلَّ وكسبهم. قال تعالى : {ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.النحل32. سبحانه ما أكرمه وأرحمه أضاف العمل إليهم وأنهم استحقوا الدخول إلى الجنة بعملهم، وهو بتوفيقه ورحمته لهم في الدنيا والآخرة.

قال صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل الجنة أحد بعمله، فقيل له ولا أنت يا رسول الله؟ فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، ووضع يده على رأسه) مروي ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها، فإذا كنت طائعاً لله عزَّ وجلَّ ممتثلاً لأمره منتهياً لنهيه مسلماً له في قدره، حماك عن شره وتفضل عليك بخيره وحماك عن الأسواء جميعها ديناً ودنيا. أما دنيا فقوله تعالى:

{كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}.يوسف24. وأما ديناً فقوله عزَّ وجلَّ : {مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً}. النساء 147. مؤمن شاكر ما يفعل البلاء عنده وهو إلى العافية أقرب من البلاء، لأنه في حمل المزيد أيضاً لأنه شاكر. قال الله عزَّ وجلَّ : {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}.إبراهيم7.فإيمانك يطفئ لهب النار في الآخرة التي هي عقوبة كل عاص، فكيف لا يطفئ نار البلايا في الدنيا؟؟ اللهمَّ إلا أن يكون العبد من المجذوبين المختارين للولاية والاصطفاء والاجتباء، فلابد من البلاء ليصفى به من خبث الهوى والميل إلى الطباع، والركون إلى شهوات النفس ولذاتها، والطمأنينة إلى الخلق والرضا بقربهم، والسكون إليهم والثبوت معهم والفرح بهم، فيبتلى حتى يذوب جميع ذلك، ويتنظف القلب بخروج الكل، ويبقى توحيد الرب عزَّ وجلَّ ومعرفته وموارد الغيب من أنواع الأسرار والعلوم وأنوار القرب، لأنه بيت لا يسعه اثنان، قال الله عزَّ وجلَّ : {مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}.الأحزاب4. وقال تعالى: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً}.النمل34. فأخرجوا الأعزة عن طيب المنازل ونعيم العيش، وكانت الولاية على القلب للشيطان والهوى والنفس والجوارح متحركة بأمرهم من أنواع المعاصي والأباطيل والترهات فزالت تلك الولاية فسكنت الجوارح وفرغت دار الملك التي هي القلب وتنظفت الساحة التي هي الصدر. فأما القلب فصار مسكناً للتوحيد والمعرفة والعلم. وأما الساحة فمهبط الموارد والعجائب من الغيب، كل ذلك نتيجة البلايا وثمراتها، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) وقال صلى الله عليه وسلم : (أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفاً) فكل من قرب من الملك اشتد خطره وحذره، لأنه في مرأى من الملك لا يخفى عليه تصاريفه وحركاته. فإن قلت: فالخليقة عند الله عزَّ وجلَّ بأجمعهم كشخص واحد لا يخفى عليه منهم شئ، فأي فائدة لهذا الكلام؟

فنقول لك : لما علت منزلته وشرفت رتبته عظم خطره، لأنه وجب عليه شكر ما أولاه من جسيم نعمه وفضله فأدنى الآلتفات عن خدمته تقصير في شكره وذلك نقصان في طاعته. قال الله عزَّ وجلَّ : {يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ}.الأحزاب30. قال ذلك لهن لتمام نعمه عزَّ وجلَّ عليهن باتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم فكيف من كان مواصلاً بالله عزَّ وجلَّ وقربه، تعالى الله علواً كبيراً عن التشبيه بخلقه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.الشورى11. والله الهادي.

في تفصيل أحوال المريد

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أتريد الراحة والسرور والدعة والحبور، والأمن والسكون والنعيم والدلال وأنت بعد في كير السبك والتذويب وتمويت النفس ومجانبة الهوى وإزالة المرادات والأعواض دنيا وأخرى وقد بقيت فيك بقية من ذلك ظاهرة لائحة؟؟ على رسلك يا مستعجل مهلاً مهلا، يا مترقب الباب مسدود إلى ذلك، وقد بقيت عليك منه وفيك ذرة ومنه المكاتب عبد ما بقى عليه درهم، أنت مصدود عن ذلك ما بقى عليك من الدنيا مقدار مص نواة، والدنيا هواك ومرادك، ورؤيتك بشئ من الأشياء أو طلبك بشئ من الأشياء وتشوق نفسك إلى شئ من الأعواض دنيا وأخرى، فما دام فيك شئ من ذلك فأنت في باب الإفناء، فاسكن حتى يحصل الفناء على التمام والكمال، فتخرج من الكير وتكمل صياغتك وتجلى وتكسى وتطيب وتبخر، ثم ترفع إلى الملك الأكبر فتخاطب : {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ}.يوسف54. فتؤانس وتلاطف، وتطعم من الفضل ومنه وتسقى وتقرب وتدنى وتطلع على الأسرار وهى عنك لا تخفى فتغتني بما نعطي من ذلك عن جميع الأشياء. ألا ترى إلى قراضة الذهب متفرقة مبتذلة متداولة غادية رائحة في أيدي العطارين والبقالين والقصابين والدباغين والنقاطين والكناسين والكفافين أصحاب الصنائع النفيسة والرذيلة الدنية الخبيثة، ثم تجمع فتجعل في كير الصائغ فتذوب هناك بإشعال النار عليها، ثم تخرج منه فتطرق وترقق وتطلع وتصاك فتجعل حلياً، ثم تجلى وتطيب فتترك في خير المواضع والأمكنة من وراء الأغلاق في الخزائن والصناديق والأحقاق وتحلى بها العروس وتزين وتكرم، وقد تكون العروس للملك الأعظم فتنقل القراضة من هذه إلى قرب الملك ومجلسه بعد السبك والدق، هكذا أنت يا مؤمن إذا صبرت على مجاري الأقدار فيك ورضيت بالقضاء في جميع الأحوال قربت إلى مولاك عزَّ وجلَّ في الدنيا، فتنعم بالمعرفة والعلوم والأسرار، وتسكن في الآخرة دار السلام مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في جوار الله وداره وقربه عزَّ وجلَّ، فاصبر ولا تستعجل، وأرض بالقضاء ولا تتهم، فسينالك برد عفو الله ولطفه وكرمه بمنه تعالى.

في قوله صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : يؤمن العبد بالله ويسلم الأمور كلها إليه عزَّ وجلَّ، ويعتقد تسهيل الرزق منه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصبه، ويؤمن بقوله عزَّ وجلَّ {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.الطلاق2–3. ويقول ذلك ويؤمن به وهو في حال العافية والغنى ثم يبتليه الله عزَّ وجلَّ بالبلاء والفقر فيأخذ في السؤال والتضرع فلا يكشفهما عنه فحينئذ يتحقق قوله صلى الله عليه وسلم : (كاد الفقر أن يكون كفراً) فمن تلطف الله به كشف عنه ما به فأدركه بالعافية والغنى ويوفقه للشكر والحمد والثناء ويديم له ذلك إلى اللقاء . ومن يرد الله فتنته يديم بلاءه وفتنته وفقره فيقطع عنه مدد إيمانه فيكفر بالاعتراض والتهمة له عزَّ وجلَّ والشك في وعده فيموت كافرا بالله عزَّ وجلَّ جاحداً لآياته ومسخطاً على ربه، وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل جمع الله له بين فقر الدنيا وعذاب الآخرة) نعوذ بالله من ذلك وهو الفقر المنسي الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم * والرجل الثاني هو الذي أراد الله عزَّ وجلَّ اصطفاءه واجتباءه وجعله من خواصه وأحبائه وأخلائه ووارث أنبيائه وسيد أوليائه ومن عظماء عباده وعلمائهم وحكمائهم وشفعائهم وشيخهم ومتبوعهم ومعلمهم وهاديهم إلى مولاهم ومرشدهم إلى سبل الهدى واجتناب سبل الردى فأرسل إليه جبال الصبر وبحار الرضا والموافقة والغنى في قضائه وفعله ثم يدركه بجزيل العطاء ويدلله في آناء الليل وأطراف النهار في الجلوة والخلوة في الظاهر مرة والباطن أخرى بأنواع اللطف وفنون الجذبات فيتصل له ذلك إلى حين اللقا والله الهادي.

في النهي عن قول الرجل أي شيء أعمل و ما الحيلة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما أكثر ما نقول : أي شئ أعمل؟؟ وما الحيلة؟؟ فيقال لك : قف مكانك ولا تجاوز حدك حتى يأتيك الفرج ممن أمرك بالقيام فيما أنت فيه. قال الله عزَّ وجلَّ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.آل عمران200. أمرك بالصبر يا مؤمن ثم بالمصابرة والمرابطة والمحافظة والملازمة له ثم حذرك تركه فقال : {واتقوا الله} في ترك ذلك، أي لا تتركوا الصبر فإن الخير والسلامة فيه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد). وقيل : كل شئ ثوابه بمقدار إلا ثواب الصبر فإنه جزاف غير مقدر لقوله تعالى : {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}.الزمر10. فإذا اتقيت الله عزَّ وجلَّ حفظك للصبر ومحافظة الحدود وأنجز لك ما وعدك في كتابه وهو قوله عزَّ وجلَّ : {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}.الطلاق2–3. وكنت بصبرك حتى يأتيك الفرج من المتوكلين وقد وعدك الله عزَّ وجلَّ بالكفاية فقال : {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.الطلاق3. وكنت مع صبرك وتوكلك من المحسنين وقد وعدك بالجزاء فقال عزَّ وجلَّ : {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}.القصص14. ويحبك الله مع ذلك لأنه قال : {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.البقرة195. فالصبر رأس كل خير وسلامة دنيا وأخرى، ومنه يترقى المؤمن إلى حالة الرضى والموافقة ثم الفناء في أفعال الله عزَّ وجلَّ حالة البدلية والغيبة، فاحذر أن تتركه فيخذلك في الدنيا والآخرة ويفوتك خيرهما نعوذ بالله من ذلك.

في البغض في الله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبه فأعرض أعماله على الكتاب والسنة, فإن كانت فيهما مبغوضة و أنت تبغضه فأبشر بموافقتك الله عزَّ وجلَّ ورسوله، وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى، تبغضه بهواك ظالماً له ببغضك إياه، وعاصٍ لله عزَّ وجلَّ ولرسوله تخالف لهما فتب إلى الله عزَّ وجلَّ من بغضك واسأله عزَّ وجلَّ محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده، لتكون موافقاً له عزَّ وجلَّ. وكذلك أفعل فيمن تحبه يعني أعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت محبوبة فيهما فأحبه. وإن كانت مبغوضة فابغضه. كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك قال عزَّ وجلَّ : {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}.ص26.

في عدم المشاركة في محبة الحق

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما أكثر ما تقول كل من أحبه لا تدوم محبتي إياه فيحال بيننا إما بالغيبة أو بالموت أو بالعداوة وأنواع المال بالتلف والفوات من اليد، فيقال لك : أما تعلم يا محبوب الحق المعنى المنظور إليه المغار عليه، ألم تعلم أن الله عزَّ وجلَّ غيور خلقك وتروم أن تكون لغيره، أما سمعت قوله عزَّ وجلَّ : {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}.المائدة54. وقوله تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.الذاريات56. أما سمعت قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر افتناه. قيل يا رسول الله و ما افتناه. قال لم يذر له مالا ولا ولدا). وذلك لأنه إذا كان له مال وولد أحبهما فتنقص وتجزي فتصير مشتركة بين الله عزَّ وجلَّ وبين غيره والله تعالى لا يقبل الشريك وهو غيور قاهر فوق كل شئ غالب لكل شئ فيهلك شريكه ويعدمه ليخلص قلب عبده له من غير شريك فيتحقق حينئذ قوله عزَّ وجلَّ : {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}.المائدة54. حتى إذا تنظف القلب من الشركاء والأنداد من الأهل والمال والولد واللذات والشهوات وطلب الولايات والرياسات والكرامات والحالات والمنازل والمقامات

والجنات والدرجات والقربات والزلفات فلا يبقى في القلب إرادة ولا أمنية يصير كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع لأنه أنكسر لفعل الله عزَّ وجلَّ كلما تجمعت فيه إرادة كسرها فعل الله وغيرته فضربت حوله سرادقات العظمة والجبروت والهيبة وأحضرت من دونها خنادق الكبرياء والسطوة فلم يخلص إلى القلب إرادة شئ من الأشياء والكرامات والحكم والعلم والعبادات فإن جميع ذلك يكون خارج القلب فلا يغار الله عزَّ وجلَّ بل يكون جميع ذلك كرامة من الله لعبده ولطفا به ونعمة ورزقا ومنفعة للواردين عليه فيكرمون به ويرحمون ويحفظون لكرامته على الله عزَّ وجلَّ فيكون خفيراً لهم وكنفا وحرزا وشفيعا دنيا وأخرى.

في تقسيم الرجال إلى أربعة أقسام

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الناس أربعة رجال :

الرجل الأول: لا لسان له ولا قلب وهو العاصي الغر الغبي لا يعبأ الله به، لا خير فيه، وهو وأمثاله حثالة لا وزن لهم إلا أن يعمهم الله عزَّ وجلَّ برحمته، فيهدي قلوبهم للإيمان به ويحرك جوارحهم بالطاعة له عزَّ وجلَّ. فأحذر أن تكون منهم، ولا تكترث بهم ولا تقم فيهم فإنهم أهل العذاب والغضب والسخط سكان النار وأهلها نعوذ بالله عزَّ وجلَّ منهم، إلا أن تكون من العلماء بالله عزَّ وجلَّ ومن معلمي الخير وهداة الدين وقواده ودعاته، فدونك فأتهم وادعهم إلى طاعة الله عزَّ وجلَّ، وحذرهم معصيته، فتكتب عند الله حينئذ جهبذا، فتعطى ثواب الرسل والأنبياء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (لأن يهدى الله بهداك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس).

الرجل الثاني : رجل له لسان بلا قلب فينطق بالحكمة ولا يعمل بها، يدعو الناس إلى الله وهو يفر منه عزَّ وجلَّ، يستقبح عيب غيره ويدوم هو على مثله في نفسه، يظهر للناس تنسكا ويبارز الله عزَّ وجلَّ بالعظائم من المعاصي، إذا خلا كأنه ذئب عليه ثياب، وهو الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (أخوف ما أخاف على أمتي من منافق عليم اللسان). وفي

حديث آخر : (أخوف ما أخاف على أمتي من علماء السوء). نعوذ بالله من هذا، فابعد منه وهرول، لئلا يختطفك بلذيذ لسانه فتحرقك نار معاصيه، ويقتلك نتن باطنه وقلبه.

والرجل الثالث : قلب بلا لسان، وهو مؤمن ستره الله عزَّ وجلَّ عن خلقه، وأسبل عليه كنفه، وبصره بعيوب نفسه، ونور قلبه، وعرفه غوائل مخالطة الناس وشؤم الكلام والنطق، وتيقن أن السلامة في الصمت والانزواء والانفراد، وتسَمَّعَ قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من صمت نجا). وسَمِعَ قول بعض العلماء : العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت فهذا رجل ولي الله عزَّ وجلَّ، في ستر الله محفوظا ذو سلامة وعقل وافر، جليس الرحمن منعم عليه، فالخير كل الخير عنده، فدونكه ومصاحبته ومخالطته وخدمته والتحبب إليه بقضاء حوائج تسنح له ومرافق يرتفق بها، فيحبك الله ويصفيك، ويدخلك في زمرة أحبائه وعباده الصالحين ببركته إن شاء الله تعالى.

والرجل الرابع : المدعو في الملكوت بالعظيم كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (من تعلم ، وعلم ، وعمل ، دعي في الملكوت عظيماً). وهو العالم بالله عزَّ وجلَّ وآياته، استودع الله عزَّ وجلَّ قلبه غرائب علمه، وأطلعه على أسرار طواها عن غيره، واصطفاه واجتباه وجذبه إليه ورقاه، وإلى باب قربه هداه، وشرح صدره لقبول تلك الأسرار والعلوم، وجعله جهبذا وداعياً للعباد ونذيرا لهم وحجة فيهم، هادياً مهدياً شافعاً مشفعاً صادقاً صديقاً، بدلاً لرسله وأنبيائه عليهم صلواته وسلامه وتحياته وبركاته. فهذه هي الغاية القصوى في بني آدم، لا منزلة فوق منزلته إلا النبوّة، فعليك به وأحذر أن تخالفه وتنافره وتجانبه وتعاديه وتترك القبول منه والرجوع إلى نصيحته وقوله، فإن السلامة فيما يقول عنده، والهلاك والضلال عند غيره إلا من يوفقه الله عزَّ وجلَّ ويمده بالسداد والرحمة.

فقد قسمت لك الناس، فانظر لنفسك إن كنت ناظراً، واحترز لها إن كنت محترزاً لها شفيقاً عليها، هدانا الله وإياك لما يحبه ويرضاه.

في النهى عن السخط على الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما أعظم تسخطك على ربّك و تهمتك له عزَّ وجلَّ، و اعتراضك عليه و انتسابك له عزَّ وجلَّ بالظلم، واستبطائك في الرزق والغنى وكشف الكروب والبلوى، أما تعلم أن لكل أجل كتاب، ولكل زيادة بلية وكربة غاية منتهى ونفاد، لا يتقدم ذلك ولا يتأخر، أوقات البلايا لا تقلب فتصير عوافى ووقت البؤس لا ينقلب نعيما، وحالة الفقر لا تستحيل غنى.

أحسن الأدب وألزم الصمت والصبر والرضا والموافقة لربك عزَّ وجلَّ، وتب عن تسخطك عليه وتهمتك له في فعله، فليس هناك استيفاء وانتقام من غير ذنب، ولا عرض على الطبع كما هو في حق العبيد بعضهم في بعض، هو عزَّ وجلَّ منفرد بالأزل وسبق الأشياء، خلقها وخلق مصالحها ومفاسدها وعلم ابتداءها وانتهاءها وانقضاءها، وهو عزَّ وجلَّ حكيم في فعله متقن في صنعه لا تناقض في فعله، لا يفعل عبثاً ولا يخلق باطلاً لعباً، ولا تجوز عليه النقائص ولا اللوم في أفعاله، فانتظر الفرج حتى إن عجزت عن موافقته وعن الرضا والغنى في فعله حتى يبلغ الكتاب أجله، فتسفر الحالة عن ضدها بمرور الزمان وانقضاء الآجال، كما ينقضي الشتاء فيسفر عن الصيف، وينقضي الليل فيسفر عن النهار، فإذ طلبت نور ضوء النهار ونوره بين العشاءين لم تعطه، بل يزداد في ظلمة الليل حتى إذا بلغت الظلمة غايتها وطلع الفجر وجاء النهار بضوئه طلبت ذلك وأردته وسكت عنه وكرهته، فإن طلبت إعادة الليل حينئذ لم تجب دعوتك ولم تعطه لأنك طلبت الشئ في غير حينه ووقته فتبقى حسيراً منقطعاً متسخطاً خجلاً، فأرخ هذا كله وألزم الموافقة وحسن الظن بربك عزَّ وجلَّ والصبر الجميل، فما كان لك لا تسلبه، وما ليس لك لا تعطاه. لعمري إنك تدعو وتبتهل إلى ربك عزَّ وجلَّ بالدعاء والتضرع وهما عبادة وطاعة امتثالاً لأمره عزَّ وجلَّ في قوله تعالى : {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}.غافر60. وقوله تعالى : {وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ}.النساء32. وغير ذلك من الآيات والأخبار، أنت تدعو وهو يستجيب لك عند حينه وأجله إذا أراد وكان لك في ذلك مصلحة في دنياك وأخراك ويوافق في ذلك قضاءه وانتهاء أجله، لا تتهمه في تأخير الإجابة ولا تسأم من دعائه، فإنك إن لم تربح لم تخسر، وإن لم يجبك عاجلاً أثابك آجلاً، فقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم : (والعبد يرى في

صحائفه حسنات يوم القيامة لا يعرفها فيقال له إنها بدل سؤالك في الدنيا الذي لم يقدر قضاؤه فيها) أو كما ورد. ثم أقل أحوالك أنك تكون ذاكراً لربك عزَّ وجلَّ موحداً له حيث تسأله ولا تسأل أحداً غيره، ولا تترك حاجتك لغيره تعالى، فأنت بين الحالتين في زمانك كله ليلك ونهارك وصحتك وسقمك وبؤسك ونعمائك وشدتك ورخائك، وإما أن تمسك عن السؤال، وترضى بالقضاء وتوافق وتسترسل لفعله عزَّ وجلَّ، كالميت بين يدي الغاسل، والطفل الرضيع في يدي الظئر، والكرة بين يدي الفارس يقلبها بصولجانه، فيقلبك القدر كيف يشاء، إن كان النعماء فمنك الشكر والثناء ومنه عزَّ وجلَّ المزيد في العطاء، كما قال تعالى : {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}.إبراهيم7. وإن كان البأساء فالصبر والموافقة منك بتوفيقه والتثبت والنصرة والصلاة والرحمة منه عزَّ وجلَّ بفضله وكرمه، كما قال عزَّ من قائل: {إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.البقرة153.الأنفال46. بنصره وتثبيته، وهو لعبده ناصر له على نفسه وهواه وشيطانه. وقال تعالى: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}.محمد7. إذا نصرت الله في مخالفة نفسك وهواك بترك الاعتراض عليه والسخط بفعله فيك وكنت خصماً لله على نفسك سيافاً عليها كلما تحركت بكفرها وشركها حززت رأسها بصبرك وموافقتك لربّك والطمأنينة إلى فعله ووعده والرضا بهما كان عزَّ وجلَّ لك معينا. وأما الصلاة والرحمة، فقوله عزَّ وجلَّ : {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}.البقرة155–157. والحالة الأخرى أنك تبتهل إلى ربك عزَّ وجلَّ بالدعاء والتضرع إعظاماً له وامتثالاً لأمره، وفيه وضع الشئ في موضعه، لأنه ندبك إلى سؤاله والرجوع إليه، وجعل ذلك مستراحاً ورسولاً منك إليه وموصلة ووسيلة لديه بشرط ترك التهمة والسخط عليه عند تأخير الإجابة إلى حينها، اعتبر ما بين الحالتين ولا تكن ممن تجاوز عن حديهما، فإنه ليس هناك حالة أخرى، فاحذر أن تكون من الظالمين المعتدين فيهلكك عزَّ وجلَّ ولا يبالى كما أهلك من مضى من الأمم السالفة في الدنيا بتشديد بلائه وفى الآخرة بأليم عذابه.

في الورع

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : عليك بالورع وإلا فالهلاك في زيقك ملازم لك لا تنجو منه أبدا إلا أن يتغمدك الله تعالى برحمته، فقد ثبت في الحديث المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن ملاك الدين الورع، وهلاكه الطمع، وإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، كالراتع إلى جنب الزرع يوشك أن يمد فاه إليه لا يكاد أن يسلم الزرع منه) وعن أبى بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : كنا نترك سبعين باباً من المباح مخافة أن نقع في الجناح. وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام، فعلوا ذلك تورعاً في مقاربة الحرام أخذاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لكل ملك حمى) وإن حمى الله محارمه، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فمن دخل حصن الملك فجاز الباب الأول ثم الثاني والثالث حتى قرب من سدته خير ممن وقف على الباب الأول الذي يلي البر، فإنه إن أغلق عنه غلق الباب الثالث لم يضره وهو من وراء بابين من أبواب القصر ومن دونه حراس الملك وجنده، وأما إذا كان على الباب الأول فأغلقوا عنه بقى في البر وحده فأخذته الذئاب والأعداء وكان من الهالكين، فهكذا من سلك العزيمة ولازمها. إن سلب عنه مدد التوفيق والرعاية وانقطعت عنه حصل في الرخص ولم يخرج عن الشرع. فإذا أدركته المنية كان على العبادة والطاعة ويشهد له بخير العمل، ومن وقف على الرخص ولم يتقدم إلى العزيمة إن سلب عنه التوفيق فقطعت عنه أمداده فغلب الهوى عليه وشهوات النفس، فتناول الحرام خرج من الشرع، فصار في زمرة الشياطين أعداء الله عزَّ وجلَّ الضالين عن سبل الهدى، فإن أدركته المنية قبل التوبة كان من الهالكين إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته وفضله، فالخطر في القيام مع الرخص، والسلامة كل السلامة مع العزيمة، والله الهادي إلى سواء الطريق.

في بيان الدنيا و الآخرة و ما ينبغي أن يعمل فيهما

قـال رضـي الله تعـالى عنـه و أرضـاه : أجعـل آخرتـك رأس مالـك ودنيـاك ربحـه، وأصـرف زمانك أولاً في تحصيل آخرتك. ثم إن فضل من زمانك شئ اصرفه في دنياك وفى طلب معاشك، ولا تجعل دنياك رأس مالك وآخرتك ربحه. ثـم إن فضـل مـن الزمـان فضـلة صرفتها في آخرتـك تقتضى فيها الصلوات تسبكها سبيكة واحدة ساقطة الأركان، مختلفة الواجبات من غير ركوع وسجود وطمأنينة بين الأركان، أو يلحقك التعب والإعياء فتنام عن القضاء جملة، جيفة في الليل بطالاً في النهار تابعاً لنفسك وهواك وشيطانك، وبائعاً آخرتك بدنياك عند النفس ومطيتها، أمرت بركوبها وتهذيبها ورياضتها والسلوك بها في سبيل السلامة وهى طرق الآخرة وطاعة مولاها عزَّ وجلَّ فظلمتها بقوبلك منها وسلمت زمامها إليها وتبعتها في شهواتها ولذاتها وموافقتها وشيطانها وهواها ففاتك خير الدنيا والآخرة وخسرتهما فدخلت القيامة أفلس الناس وأخسرهم ديناً ودنيا، وما وصلت بمتابعتها إلى أكثر من قسمك من دنياك، ولو سلكت بها طريق الآخرة وجعلتها رأس مالك ربحت الدنيا والآخرة ووصل إليك قسمك من الدنيا هنيئاً مرئياً وأنت مصون مكرم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله يعطى الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا) وكيف لا يكون كذلك ونية الآخرة هي طاعة الله لأن النية روح العبادات وذاتها.

وإذا أطعت الله بزهدك في الدنيا أو طلبك دار الآخرة كنت من خواص الله عزَّ وجلَّ وأهل طاعته ومحبته، وحصلت لك الآخرة وهى الجنة وجوار الله عزَّ وجلَّ وخدمتك الدنيا فيأتيك قسمك الذي قدر لك منها، إذ الكل تبع لخالقها ومولاها وهو الله عزَّ وجلَّ، وإن اشتغلت بالدنيا وأعرضت عن الآخرة غضب الرب عليك ففاتتك الآخرة وتعاصت الدنيا عليك وتعسرت وأتعبتك في إيصال قسمك إليك لغضب الله عزَّ وجلَّ عليك لأنها مملوكته، تهين من عصاه وتكرم من أطاعه فيتحقق حينئذ قوله صلى الله عليه وسلم : (الدنيا والآخرة ضرتان، إن أرضيت إحداهما أسخطت عليك الأخرى). قال تعالى : {مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ}.آل عمران152. يعنى به أبناء الآخرة، فانظر من أبناء أيهما أنت؟؟ ومن أي القبيلتين تحب أن تكون وأنت في الدنيا؟؟ ثم إذا صرت إلى الآخرة فالخلق فريقان فريق في طلب الدنيا وفريق في طلب الآخرة، وهم أيضاً يوم القيامة فريقان {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}.الشورى7. فريق في الموقف قيام في طول الحساب {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}.المعارج4. مما تعدون

كما قال تعالى، وفريق في ظل العرش كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم : (إنكم تكونون يوم القيامة في ظل العرش عاكفون على الموائد، عليها أطايب الطعام والفواكه والشهد أبيض من الثلج). كما جاء في الحديث : (وينظرون منازلهم في الجنة حتى إذا فرغ من حساب الخلق دخلوا الجنة، يهتدون إلى منازلهم كما يهتدي أحد الناس في الدنيا إلى منزله). فهل وصلوا إلى هذه إلا بتركهم الدنيا واشتغالهم بطلب الآخرة والمولى. وهل وقعوا أولئك في الحساب وأنواع الشدائد والذل إلا لاشتغالهم بالدنيا ورغبتهم فيها وزهدهم في الآخرة وقلة المبالاة بأمرها ونسيان يوم القيامة وما سيصيرون إليه غداً مما ذكر في الكتاب والسنة.

فانظر لنفسك نظر رحمة وشفقة، واختر لها خير القبيلتين وأفردها عن أقران السوء من شياطين الإنس والجن، وأجعل الكتاب والسنة أمامك وأنظر فيهما وأعمل بهما، ولا تغتر بالقال والقيل والهوس. قال الله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ}.الحشر7. ولا تخالفوه فتتركوا العمل بما جاء به وتخترعوا لأنفسكم عملاً وعبادة كما قال عزَّ وجلَّ في حق قوم ضلوا سواء السبيل {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ}.الحديد27 .، ثم إنه زكى هو عزَّ وجلَّ نبيه صلى الله عليه وسلم ونزهه عن الباطل والزور فقال عزَّ وجلَّ : {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}.النجم3–4. أي ما آتاكم به فهو من عندي لا من هواه ونفسه فاتبعوه، ثم قال تعالى : {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ}.آل عمران31. فبين أن طريق المحبة إتباعه قولاً وفعلاً، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال : (الاكتساب سنتي، والتوكل حالتي) أو كما قال، فأنت بين سنته وحالته وإن ضعف إيمانك فالتكسب الذي هو سنته وإن قوى إيمانك فحالته التي هي التوكل قال الله تعالى : {وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.المائدة23. وقال تعالى : {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.الطلاق3. وقال تعالى : {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}.آل عمران159. فقد أمرك بالتوكل ونبهك عليه كما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله : {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}.النساء81.الأنفال61.الأحزاب3+48. فاتبع أوامر الله عزَّ وجلَّ في سؤاله في أعمالك فهي مردودة عليك قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) هذا يعلم طلب الرزق والأعمال والأقوال، ليس لنا نبي غيره فنتبعه ولا كتاب غير القرآن فنعمل به، فيضلك هواك والشيطان. قال الله تعالى : {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}.ص26.

فالسلامة مع الكتاب والسنة، والهلاك مع غيرهما، وبهما يترقى العبد إلى حالة الولاية والبدلية والغوثية،والله أعلم.

في ذم الحسـد و الأمر بتركه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : مالي أراك يا مؤمن حاسداً لجارك في مطعمه ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه وتقلبه في غناه ونعم مولاه عزَّ وجلَّ وقسمه الذي قسم له؟؟ أما تعلم أن هذا مما يضعف إيمانك ويسقطك من عين مولاك عزَّ وجلَّ ويبغضك إليه؟؟ أما سمعت الحديث المروى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (قال الله تعالى في بعض ما تكلم به: الحسود عدو نعمتي) وما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) ثم على أي شئ تحسده يا مسكين؟؟ أعلى قسمه أم على قسمك؟؟ فإن حسدته على قسمه الذي قسمه الله له في قوله تعالى : {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.الزخرف32. فقد ظلمته، رجل يتقلب في نعمة مولاه التي تفضل بها عليه وقدرها له ولم يجعل لأحد فيها حظاً ولا نصيباً، فمن يكون أظلم وأبخل وأرعن وأنقص عقلاً منك؟؟ وإن حسدته على قسمك فقد جهلت غاية الجهل، فإن قسمك لا يعطى غيرك ولا ينتقل منك إليه، حاش لله. قال الله عزَّ وجلَّ : {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}.ق29. إن الله عزَّ وجلَّ لا يظلمك فيأخذ ما قسم وقدر لك فيعطى غيرك، فهذا جهل منك وظلم لأخيك، ثم حسدك للأرض التي هي معدن الكنوز والذخائر من أنواع الذهب والفضة والجواهر مما جمعته الملوك المتقدمة من عاد وثمود وكسرى وقيصر أولى من حسدك لجارك المؤمن أو الفاجر، فإن ما في بيته لا يكون جزءاً من أجزاء ألف ألف جزء مما هناك، فما حسدك لجارك إلا كمثل رجل رأى ملكاً مع سلطانه وجنوده وحشمه وملكه وعلى أراضى واجباته خراجها وارتفاعها لديه وتنعمه بأنواع النعم واللذات والشهوات فلم يحسده على ذلك ثم رأى كلباً برياً يخدم كلباً من كلاب ذلك الملك يقوم ويقعد ويصيح فيعطى من مطبخ الملك بقايا الطعام ورداءته فيتقوت به فأخذ يحسده ويعاديه ويتمنى موته وهلاكه وكونه مكانه وأن يخلفه في ذلك خسة ودناءة لا زهداً وديناً وقناعة، فهل يكون في الزمان رجل أحمق منه وأرعن وأجهل؟

ثم لو علمت يا مسكين ما سيلقى جارك غداً من طول الحساب يوم القيامة إن لم يكن أطاع الله فيما حوله وأدى حقه فيها، وامتثال أمره وانتهاء نهيه فيها، واستعان بها على عبادته وطاعته ما يتمنى انه لم يعط من ذلك ذرة ولا رأى نعيماً يوماً قط،أما سمعت ما قد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ليتمنين أقوام يوم القيامة أن تقرض لحومهم بالمقاريض مما يرون لأصحاب البلاء من الثواب) فيتمنى جارك غداً مكانك في الدنيا لما يرى من طول حسابه ومناقشته وقيامه خمسين ألف سنة في حر الشمس في القيامة، لأجل ما يمتنع به من النعيم في الدنيا وأنت في معزل عن ذلك في ظل العرش آكلاً شارباً متنعما فرحاً مسروراً مستريحاً، لصبرك على شدائد الدنيا وضيقها وآفاتها وبؤسها وفقرها، ورضاك وموافقتك لربك عزَّ وجلَّ فيما دبر وقضى من فقرك وغناء غيرك، وسقمك وعافية غيرك، وشدتك ورخاء غيرك، وذلك وعز غيرك، جعلنا الله وإياك ممن صبر عند البلاء، وشكر على النعماء، وفوض الأمور إلى رب السماء.

في الصدق و النصيحة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : من عامل مولاه بالصدق والنصاح، استوحش مما سواه في المساء والصباح.

يا قوم لا تدعوا ما ليس لكم، ووحدوا، ولا تشركوا، والله إن سهام القدر تصيبكم خدشاً لا قتالاً، من كان في الله تلفه فعلى الله خلفهفي تفسير الشقاق و الوفاق و النفاق

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عناد وشقاق، الأخذ مع عدم الهوى وفاق واتفاق وتركه رياء ونفاق.

في متى يصح للسالك أن يكون في زمرة الروحانيين

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تطمع أن تدخل في زمرة الروحانيين حتى تعادى جملتك، وتباين جميع الجوارح والأعضاء، وتنفرد عن وجودك وحركاتك وسكناتك وسمعك وبصرك وكلامك وبطشك وسعيك وعملك وعقلك، وجميع ما كان منك قبل وجود الروح فيك وما أوجد فيك بعد نفخ الروح، لأن جميع ذلك حجابك عن ربك عزَّ وجلَّ، فإذا صرت روحاً

منفردة، سر السر،غيب الغيب، مبايناً للأشياء في سرك، متخذاً للكل عدواً وحجاباً وظلمة كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}.الشعراء77. قال ذلك للأصنام، فجعل أنت جملتك وأجزاءك أصناماً مع سائر الخلق، فلا تطع شيئاً من ذلك ولا تتبعه جملة، فحينئذ تؤمن على الأسرار والعلوم أللدنية وغرائبها، ويرد إليك التكوين وخرق العادات التي هي من قبيل القدرة التي تكون للمؤمنين في الجنة، فتكون في هذه الحالة كأنك أحييت بعد الموت في الآخرة، فتكون كليتك قدرة، تسمع بالله، وتنطق بالله، وتبصر بالله، وتبطش بالله وتسعى بالله، وتقل بالله، وتطمئن وتسكن بالله، فتعمى عن سواه وتصم عنه فلا ترى لغيره وجوداً مع حفظ الحدود والأوامر والنواهي، فإن أنخرم فيك شيء من الحدود فاعلم أنك مفتون متلاعبة بك الشياطين، وأرجع إلى حكم الشرع ودع عنك رأى الهوى، لأن كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهي زندقة، والله أعلم.

مثل في الفناء و كيفيته

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : نضرب لك مثلاً في الفناء فنقول: ألا ترى أن الملك يولى رجلاً من العوام ولاية على بلدة من البلاد، ويخلع عليه ويعقد له ألوية ورايات، ويعطيه الكؤوس والطبل والجند فيكون على برهة من الزمان، حتى إذا اطمأن واعتقد بقاءه وثباته، وعجب به ونسي حالته الأولى ونقصانه وذله وفقره وخموله، وداخلته النخوة والكبرياء جاءه العزل من الملك في أشر ما كان من أمره، ثم طالبه الملك بجرائم صنعها وتعدى أمره ونهيه فيها، فحبسه في أضيق الحبوس وأشدها، وطال حبسه ودام ضره له وذله وفقره، وذابت نخوته وكبرياؤه، وانكسرت نفسه وخمدت نار هواه، وكل ذلك في عين الملك ثم تعطف الملك عليه فنظره بعين الرأفة والرحمة، فأمر بإخراجه من الحبس والإحسان إليه، والخلعة عليه وردَّ الولاية إليه ومثلها معها وجعلها له موهبة، فدامت له وبقيت مصفاة مكفاة مهنأة وكذلك المؤمن إذا قربه الله إليه واجتباه فتح قبالة عين قلبه باب الرحمة والمنة والإنعام، فيرى بقلبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من مطالعة الغيوب من ملكوت السموات والأرض وتقريب وكلام لذيذ لطيف ووعد جميل، ووفاء به، وإجابة دعاء وكلمات حكمة وتصديق وعد، فإنها ترمى إليه قلبه قذفاً من مكان بعيد فتظهر على لسانه، ومع ذلك يسبغ عليه نعمة ظاهرة على جسده

وجوارحه، في المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح الحلال والمباح وحفظ الحدود والعبادات الظاهرة، فيديم الله عزّ وجلّ ذلك لعبده المؤمن المجذوب برهة من الزمان، حتى اطمأن العبد إلى ذلك واغتر به واعتقد دوامه فتح عليه أبواب البلايا وأنواع المحن في النفس والمال والأهل والولد والقلب فينقطع عنه جميع ما كان أنعم الله عليه من قبل، فيبقى متحيراً حسيراً منكسراً مقطوعاً به.

إن نظر إلى ظاهره رأى ما يسوؤه، وإن نظر إلى قلبه وباطنه رأى ما يحزنه، وإن سأل الله تعالى كشف ما به من الضر لم ير إجابته، وإن طلب وعداً جميلاً لم يجده سريعاً وإن وعد بشئ لم يعثر على الوفاء به، وإن رأى رؤيا لم يظفر بتعبيرها وتصديقها، وإن رام الرجوع إلى الخلق لم يجد إلى ذلك سبيلاً، وإن ظهرت له في ذلك رخصة فعمل بها تسارعت العقوبات نحوه وتسلطت أيدي الخلق على جسمه وأسنتهم على عرضه، وإن طلب الإقالة مما قد أدخل فيه من الحالة الأولى قبل الاجتباء لم يقل، وإن طلب الرضا أو الطيبة والتنعم بما به من البلاء لم يعط فحينئذ يأخذ النفس في الذوبان والهوى في الزوال والإرادة والأماني في الرحيل والأكوان في التلاشي، فيدام له ذلك بل يزداد تشديداً وعصراً وتأكيداً، حتى إذا فني العبد من الأخلاق الإنسانية والصفات البشرية وبقى روحاً فقط يسمع نداء في باطنه {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}.ص42. كما قيل لسيدنا أيوب عليه السلام، فيمطر الله عزّ وجلّ في قلبه بحار رحمته ورأفته ولطفه ومنته، ويحييه بروحه ويطيبه بمعرفته ودقائق علومه، ويفتح عليه أبواب رحمته ونعمته ودلاله، وأطلق إليه الأيدي بالبذل والعطاء والخدمة في سائر الأحوال والألسن بالحمد والثناء، والذكر الطيب في جميع المحال، والأرجل بالترحال، وذلك له وسخر له الملوك والأرباب، وأسبغ عليه نعمة ظاهرة وباطنة، تربيته ظاهرة بخلقه ونعمه، ويستأثره تربيته باطنة بلطفه وكرمه، وأدام له ذلك إلى اللقاء، ثم يدخله فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال جلّ وعلا : {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.السجدة17.

في بيان حالتي النفس

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : النفس لها حالتان لا ثالث لهما: حالة عافية، وحالة بلاء، فإذا كانت في بلاء فالجزع والشكوى والسخط والاعتراض والتهمة للحق جل وعلا لا صبر ولا رضى ولا موافقة، بل سوء الأدب والشرك بالحق والأسباب والكفر، وإذا كانت في عافية فالشره والبطر وإتباع الشهوات واللذات، كلما نالت شهوة طلبت أخرى، واستحقرت ما عندها من النعم من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب، فتخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوباً ونقصاً، وتطلب أعلى منها وأسنى مما لم يقسم لها، وتعرض عما قسم لها، فتوقع الإنسان في تعب طويل، ولا ترضى بما في يديها وما قسم لها، فيرتكب الغمرات ويخوض المهالك في تعب طويل لا غاية له ولا منتهى في الدنيا، ثم في العقبى، كما قيل: إن من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم. وإذا كانت في بلاء لا تتمنى سوى انكشافها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة ولا تطلب شيئاً منها، فإذا عوفيت منها رجعت إلى رعونتها وشرها وبطرها وإعراضها عن طاعة ربها وانهماكها في معاصيه، وتنسى ما كانت فيه من أنواع البلاء والضر وما حل بها من الويل، فترد إلى أشد ما كانت عليه من أنواع البلاء والضر، لما اجترحت وركبت من العظائم فطماً لها وكفاً عن المعاصي في المستقبل، إذ لا تصلح لها العافية والنعمة بل حفظها في البلاء والبؤس، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف البلية ولازمت الطاعة والشكر والرضى بالمقسوم لكان خيراً لها دنيا وأخرى، وكانت تجد زيادة في النعيم والعافية والرضى من الله عز وجل والطيبة والتوفيق، فمن أراد السلامة في الدنيا والأخرى فعليه بالصبر والرضا، وترك الشكوى إلى الخلق وإنزال حوائجه بربه عز وجل ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه و الانقطاع إليه عز وجل، إذ هو خير من غيره ومن جميع خلقه، حرمانه عطاء، عقوبته نعماء، بلاؤه دواء، وعده نفذ، قوله فعل مشيئة حاله {إِنَّمَا} وقوله وأمره أَمْرُهُ {إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.يس82. كل أفعاله حسنة وحكمة ومصلحة، غير أنه طوى على المصالح من عباده وتفرد به، فالأولى واللائق بحاله والرضى والتسليم، واشتغاله بالعبودية من أداء الأوامر وانتهاء النواهي والتسليم في القدر، وترك الاشتغال في الربوبية التي هي علة الأقدار ومحاربتها، والسكوت عن لم وكيف ومتى؟ والتهمة للحق عز وجل في جميع حركاته وسكناته، وتستند هذه الجملة إلى حديث بن عباس رضي الله عنهما، وهو

ما روى عن عطاء بن عباس رضي الله عنهما قال: بينما أنا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال لي : يا غلام "أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده أمامك، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن" فلو جهد العباد أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه فإن استطعت أن تعامل الناس بالصدق واليقين فاعمل، وإن لم تستطع فإن الصبر على ما تكره خيراً كثيراً. وأعلم أن النصرة بالصبر والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً، فينبغي لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة لقلبه وشعاره ودثاره وحديثه، فيعمل به في جميع حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا والآخرة ويجد العزة فيهما، برحمة الله عزَّ وجلَّ.

في ذم السؤال من غير الله تعالى

قال قدَّس الله سرّه : ما سأل الناس من سأل إلا لجهله بالله عزَّ وجلَّ وضعف إيمانه ومعرفته ويقينه وقلة صبره، وما تعفف من تعفف عن ذلك إلا لوفور علمه بالله عزَّ وجلَّ وقوة إيمانه ويقينه وتزايد معرفته بربه عزَّ وجلَّ في كل يوم ولحظة وحياته منه عزَّ وجلَّ.

في سبب عدم استجابة دعاء العارف بالله تعالى

قال قدَّس الله سرّه : إنما لم يستجب للعارف كلما يسأل ربه عز وجل ويوفى له بكل وعد لئلا يغلب عليه الرجاء فيهلك، لأن ما من حالة ومقام إلا ولذاك خوف ورجاء هما جناحي طائر لا يتم الإيمان إلا بهما وكذلك الحال والمقام، غير أن خوف كل حالة ورجاءها بما يليق بها، فالعارف مقرب وحالته ومقامه أن لا يريد شيئاً سوى مولاه عز وجل ولا يركن ولا يطمئن إلى غيره عز وجل، ولا يستأنس بغيره، فطلبه لإجابة سؤاله والوفاء بعهده غير ما هو بصدده ولائق بحاله ففي ذلك أمران اثنان : أحدهما لئلا يغلب عليه الرجاء والغرة بمكر ربه عز وجل فيغفل عن القيام بالأدب فيهلك، والآخر شركه بربه عز وجل يشئ سواه، إذ لا معصوم في العالم في الظاهر بعد الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فلا يجيبه ولا يوفى له كيلا، يسأل عادة ويريده طبعاً لا امتثال للأمر، لما في ذلك من الشرك والشرك كبيرة في الأحوال كلها والأقدام جميعها والمقامات بأسرها.

وأما إذا كان السؤال بأمر فذلك مما يزيده قرباً كالصلاة والصيام وغيرهما من الفرائض والنوافل، لأنه يكون في ذلك ممتثلاً للأمر.

في النعمة و الابتلاء

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إن الناس رجلان: منعم عليه، ومبتلى بما قضى ربه عز وجل ، فالمنعم لا يخلو من المعصية والتكدر فيما أنعم عليه، فهو في أنعم ما يكون من ذلك إذ جاء القدر بما يكدره عليه من أنواع البلايا من الأمراض والأوجاع والمصائب في النفس والمال والأهل والأولاد فيتعظ بذلك، فكأنه لم ينعم عليه قط وينسى ذلك النعيم وحلاوته وإن كان الغنى قائماً بالمال والجاه والعبيد والإماء والأمن من الأعداء فهو في حال النعماء كأن لا بلاء في الوجود، كل ذلك لجهله بمولاه عزَّ وجلَّ {فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ}.هود107.البروج16. يبدل، ويحلى ويمر، ويغنى ويفقر، ويرفع ويخفض، ويعز ويذل ويحيي ويميت، ويقدم ويؤخر. لما اطمأن إلى ما به من النعيم، ولما اغتر به، ولما أيس من الفرج في حالة البلاء، وبجهله أيضاً بالدنيا اطمأن إليها وطلب بها صفاء لا يشوبه كدر، ونسى إنها دار بلاء وتنغيص، وتكاليف وتكدير وأن أصلها بلاء وطارفها نعماء فهي كشجرة الصبر أول ثمرتها مر وآخرها شهد حلو، لا يصل المرء إلى حلاوتها حتى يتجرع مرارتها، فلن يبلغ إلى الشهد إلا بالصبر على المر، فمن صبر على بلائها حلى له نعيمها، إنما يعطى الأجير أجره بعد عروق جبينه وتعب جسده وكرب روحه وضيق صدره وذهاب قوته وإذلال نفسه وكسر هواه في خدمة مخلوق مثله، فلما تجرع هذه المرائر كلها أعقبت له طيب طعام وإدام وفاكهة ولباس وراحة وسرور ولو أقل قليل، فالدنيا أولها مرة كالصحفة العليا من عسل في ظرف مشوبة بمرارة، فلا يصل الآكل إلى قرار الظرف ويتناول الخالص منه إلا بعد تناول الصحفة العليا، فإذا صبر العبد على أداء أوامر الرب عز وجل وانتهاء نواهيه والتسليم والتفويض فيما يجرى به القدر، وتجرع مرائر ذلك كله وتحمل أثقاله، وخالف هواه وترك مراده. أعقبه الله عز وجل بذلك طيب العيش في آخر عمره والدلال والراحة والعزة، ويتولاه ويغذيه كما يغذى الطفل الرضيع من غير تكلف منه وتحمل مؤنة وتبعة في الدنيا والأخرى كما يتلذذ آكل المر من الصحفة العليا من العسل يأكله من قرار الظرف، فينبغي للعبد المنعم عليه أن لا يأمن مكر الله عز وجل فيغتر بالنعمة ويقطع بدوامها، ويغفل عن شكرها ويرخى قيدها بتركه لشكرها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (النعمة وحشية فقيدوها بالشكر) فشكر نعمة المال الاعتراف بها للمنعم المتفضل وهو الله عز وجل والتحدث بها لنفسه في سائر الأحوال ورؤية فضله ومنته عز وجل وأن لا يتملك عليه ولا يتجاوز حده فيه، ولا يترك أمره فيه، ثم بأداء حقوقه من الزكاة والكفارة والنذر والصدقة، وإغاثة الملهوف، وافتقاد أرباب الحاجات وأهلها في الشدائد عند تقلب الأحوال وتبدل الحسنات بالسيئات، أعنى ساعات النعيم والرخاء بالبأساء والضراء. وشكر نعمة العافية في الجوارح والأعضاء في الاستعانة بها على الطاعات والكف عن المحارم والسيئات والمعاصي والآثام فذلك قيد النعم عن الرحلة والذهاب، وسقى شجرتها وتنمية أغصانها وأوراقها، وتحسين ثمرتها، وحلاوة طعمها وسلامة عاقبتها، ولذة مضغها، وسهولة بلها، وتعقب عافيتها وريعها في الجسد، ثم ظهور بركتها على الجوارح من أنواع الطاعات والقربات والأذكار، ثم دخول العبد بعد ذلك في الآخرة في رحمة الله عز وجل. والخلود في الجنان مع – النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً – فإن لم يفعل ذلك واغتر بما ظهر من زينة الدنيا وبما ذاق من لذتها، واطمأن إلى بريق سرابها وما لاح من بريقها وما هب من نسيم أول نهار قيظها، ونعومة جلود حياتها وعقاربها، وغفل وعمى عن سمومها القاتلة المودعة في أعماقها، ومكامنها ومصايدها المنصوبة لأخذه وحبسه وهلاكه، فليهنأ للردى وليستبش بالعطف والفقر العاجل،مع الذل والهوان في الدنيا والعذاب الآجل في النار ولظى.

وأما المبتلى. فتارة يبتلى عقوبة ومقابلة لجريمة ارتكبها ومعصية اقترفها وأخرى يبتلى تكفيراً وتحميصاً، وأخرى يبتلى لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ليلحق بأولى العالم من أهل الحالات والمقامات، مما سبقت لهم عناية من رب الخليقة والبريات، وسيرهم مولاهم ميادين البليات على مطايا الرفق والألطاف، وروحهم بنسيم النظرات واللحظات في الحركات والسكنات، إذ لم يكن ابتلاهم للإهلاك والإهواء في الدركات، ولكن اخبرهم بها للاصطفاء والاجتباء واستخراج بها منهم حقيقة الإيمان وصفاها وميزها من الشرك والدعاوى والنفاق،ونحلهم بها أنواع العلوم والأسرار والأنوار، فجعلهم من اخلص الخواص، ائتمنهم على أسراره، وارتضاهم لمجالسته. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الفقراء الصبر جلساء الرحمن يوم القيامة) دنيا وأخرى، في الدنيا بقلوبهم وفى الآخرة بأجسادهم، فكانت البلايا مطهرة لقلوبهم من دون الشرك، والتعلق بالخلق والأسباب والأماني والإرادات، وذوابة لها وسباكة من الدعاوى

والهوسات، وطلب الأعواض بالطاعات من الدرجات والمنازل العاليات في الآخرة في الفردوس والجنات.

فعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات، عدم الصبر عن وجودها والجزع والشكوى إلى الخليقة والبريات.

وعلامة الابتلاء تكفيراً وتمحيصاً للخطيات وجود الصبر الجميل من غير شكوى وإظهار الجزع إلى الأصدقاء والجيران والتضجر بأداء الأوامر والطاعات.

وعلامة الابتلاء ارتفاع وجود الرضا والموافق، وطمأنينة النفس والسكون بفعل إله الأرض والسموات، والفناء فيها إلى حين الانكشاف بمرور الأيام والساعات.

في قوله عز و جل في الحديث القدسي
(من شغله ذكرى...) إلى آخره

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : في قوله النبي صلى الله عليه وسلم عن ربى عز وجل : (من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) وذلك أن المؤمن إذا أراد الله عز وجل اصطفاءه واجتباءه، سلك به الأحوال وامتحنه بأنواع المحن والبلايا فيفقره بعد الغنى ويضطره إلى مسألة الخلق في الرزق عند سد جهاته عليه، ثم يصونه عن مسألتهم ويضطره إلى الكسب ويسهله وييسره له فيأكل بالكسب الذي هو السنة، ثم يعسره عليه ويلهمه السؤال للخلق، ويأمره به بأمر باطن يعلمه ويعرفه ويجعل عبادته فيه ومعصيته في تركه، ليزول بذلك هواه وتنكسي نفسه وهى حالة الرياضة فيكون سؤاله على وجه الإجبار لا على وجه الشرك بالجبار، ثم يصونه عن ذلك ويأمره بالفرض منهم أمراً جزماً لا يمكنه تركه كالسؤال من قبل ثم ينقله من ذلك ويقطعه عن الخلق ومعاملتهم، فيجعل رزقه في السؤال له عز وجل فيسأله جميع ما يحتاج إليه فيعطيه عز وجل ولا يقطعه إن سكت وأعرض عن السؤال، ثم ينقله من السؤال باللسان إلى السؤال القلب فيسأله بقلبه جميع ما يحتاج فيعطيه حتى أنه لو سأله جملة ظاهراً وباطناً، فيناديه بجميع ما يصلحه ويقوم به أوده من المأكول والمشروب والملبوس وجميع مصالح البشر من غير أن يكون هو فيها أو تخطر بباله. فيتولاه عز وجل وهو قوله عز وجل {إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}.الأعراف196. فيتحقق حينئذ قوله عز وجل (من شغله ذكرى

عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) وهى حالة الفناء التي هي غاية أحوال الأولياء والأبدال ثم قد يرد إلى التكوين فيكون جميع ما يحتاج إليه بإذن الله وهو قوله جل وعلا في بعض كتب "يا ابن آدم أنا الله الذي لا غليه إلا أنا أقول للشئ كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشئ كن فيكون".

في التقرب إلى الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : سألني رجل شيخ في المنام فقال : أي شئ يقرب العبد إلى الله عزَّ وجلَّ ؟؟ فقلت : لذلك ابتداء وانتهاء فابتداؤه الورع وانتهاؤه الرضى والتسليم والتوكل.

في ما ينبغي للمؤمن أن يشتغل به

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ينبغي للمؤمن أن يشتغل أولاً بالفرائض، فإذا فرغ منها اشتغل بالسنن، ثم يشتغل بالنوافل والفضائل، فما لم يفرغ من الفرائض فالاشتغال بالسنن حمق ورعونة، فإن اشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض لم يقبل منه وأهين، فمثله مثل رجل يدعوه الملك إلى خدمته فلا يأتي إليه ويقف في خدمة الأمير الذي هو غلام الملك وخادمه وتحت يده وولايته.

عن أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن مثل مصلى النوافل قبل الفرائض مثل حبلى حملت فلما دنا نفاسها أسقطت فلا هي ذات حمل ولا هي ذات ولادة) كذلك المصلى لا يقبل الله له نافلة حتى يؤدى الفريضة. ومثل المصلى كمثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى يأخذ رأس ماله، وكذلك المصلى بالنوافل لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة، وكذلك من ترك السنة واشتغل بنافلة لم ترتب مع الفرائض ولم ينص عليها ويؤكد أمرها فمن الفرائض ترك الحرام والشرك بالله عز وجل في خلقه، والاعتراض عليه في قدره وقضائه وإجابة الخلق وطاعتهم، والإعراض عن أمر الله عز وجل وطاعته، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا طاعة لملخوق في معصية خالق).

في ذم النـوم

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : من اختار النوم على الذي هو سبب اليقظة فقد اختار الأنقص والأدنى واللحوق بالموت والغفلة عن جميع المصالح، لأن النوم أخو الموت ولهذا لا يجوز النوم على الله لما انتفى عز وجل عن النقائض أجمع، وكذلك الملائكة لما قربوا منه عز وجل نفى النوم عنهم، وكذلك أهل الجنة لما كانوا في أرفع المواضع وأطهرها وأنفسها وأكرمها نفى النوم عنهم لكونه نقصاً في حالتهم، فالخير كل الخير في اليقظة، والشر كل الشر في النوم والغفلة، فمن أكل بهواه أكل كثيراً فشرب كثيراً فنام كثيرا فندم كثيراً طويلاً وفاته خير كثير، ومن أكل قليلاً من الحرام كان كمن أكل كثيراً من المباح بهواه، لأن الحرام يغطى الإيمان فلا صلاة ولا عبادة ولا إخلاص، ومن أكل من الحلال كثيراً بالأمر كان كمن أكل منه قليلاً في النشاط في العبادة والقوة، فالحلال نور في نور، والحرام ظلمة في ظلمة، لا خير فيه . أكل الحلال بهواه بغير الأمر، وأكل الحرام مستجلبان للنوم، فلا خير فيه.

في علاج دفع البعد عن الله تعالى و بيان كيفية التقرب منه تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا يخلو أمرك من قسمين:

إما أن تكون غائباً عن القرب من الله أو قريباً منه واصلاً إليه، فإن كنت غائباً عنه فما قعودك وتوانيك عن الحظ الأوفر والنعيم والعز الدائم والكفاية الكبرى والسلامة والغنى والدلال في الدنيا والأخرى؟ فقم وأسرع في الطيران إليه عز وجل بجناحين: أحداهما: ترك اللذات والشهوات الحرام منها والمباح والراحات أجمع.

والآخر احتمال الأذى والمكاره وركوب العزيمة والأشد، والخروج من الخلق والهوى والإرادات والمنى دنيا وأخرى حتى تظفر بالوصول والقرب، فتجد عند ذلك جميع ما تتمنى،

وتحصل لك الكرامة العظمى والعزة الكبرى فإن كنت من المقربين الواصلين إليه عز وجل ممن أدركتهم العناية وشملتهم الرعاية وجذبتهم المحبة ونالتهم الرحمة والرأفة، فأحسن الأدب ولا تغتر بما أنت فيه، فتقصر في الخدمة، ولا تخلد إلى الرعونة الأصلية من الظلم والجهل والعجل في قوله تعالى : {وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}.الأحزاب72. وقوله تعالى : {وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً}.الإسراء11. وأحفظ قلبك من الالتفات إلى ما تركته من الخلق والهوى والإرادة والتخير وترك الصبر والموافقة والرضا عند نزول البلاء، واستطرح بين يدي الله عز وجل كالكرة بين يدي الفارس يقلبها بصولجانه، والميت بين يدي الغاسل، والطفل الرضيع في حجر أمه وظئره، تعامى عمن سواه عز وجل فلا ترى لغيره وجوداً ولا ضراً ولا نفعاً ولا عطاء ولا منعاً، أجعل الخليقة والأسباب عند الأذية والبلية كسوطه عز وجل يضربك به، وعند النعمة والعطية كيده يلقمك بها.

في الزهـد

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الزاهد يثاب بسبب الأقسام مرتين يثاب في تركها أولاً، فلا يأخذها بهواه و موافقة النفس، بل يأخذها بمجرد الأمر، فإذا تحققت عداوته لنفسه و مخالفته لهواه عُد من المحقين و أهل الولاية و أدخل في زمرة الأبدال و العارفين أمر حنيئذ بتناولها و التلبس بها، إذ هي قسمة لابد له منها لم تخلق لغيره، جف بها القلم و سبق بها العلم، فإذا امتثل الأمر فتناول أو أطلع بالعلم فتلبس بها بجريان القدر و الفعل فيه من غيري أن يكون هو فيه، لا هوى و لا إرادة و لا همة أثيب بذلك ثانياً، هو ممتثل للأمر بذلك أو موافق لفعل الحق عز و جل فيه.

فإن قال قائل : كيف أطلقت القول بالثواب لمن هو في المقام الأخير الذي ذكرته من أنه أدخل في زمرة الإبدال و العارفين المفعول فيهم، الفانين عن الخلق و الأنفس و الأهوية و الإرادات و الحظوظ و الأماني و الأعواض على العمال الذين يرون جميع طاعاتهم و عباداتهم فضلاً من الله عز و جل و نعمة و رحمة و توفيقا و تيسيراً منه عز و جل ويعتقدون أنهم عبيد الله عز و جل ، و العبد لا يستحق على مولاه حقاً، إذ هو برمته مع حركاته و سكناته و أكسابه ملك لمولاه، فكيف يقال في حقه يثاب و هو لا يطلب ثواباً و لا عوضاً على فعله و لا يرى له عملاً، بل يرى نفسه من البطالين و أفلس المفلسين من الأعمال.

فتقول : صدقت، غير أن الله عز و جل يواصله بفضله و يدلله بنعمه و يربيه بلطفه و رأفته و بره و رحمته و كرمه، إذ كف يده عن مصالح نفسه و طلب الحظوظ لها و جلب النفع إليها و دفع الضر عنها، فهو كالطفل الرضيع الذي لا حراك له في مصالح نفسه و هو مدلل بفضل الله عز و جل و رزقه الدار على يدي والديه الوكيلين الكفيلين، فلما سلب عنه مصالح نفسه عطف قلوب الخلق عليه و أوجد رحمة و شفقة له في القلوب حتى كل واحد يرحمه و يتعطف عليه و يبره، فهكذا الكل فانٍ عن سوى الله الذي لا يحركه غيره أمره أو فعله مواصل بفضل الله عز و جل دنيا و أخرى مدلل فيهما مدفوع عنه الأذى متولي، قال تعالى : {إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}.الأعراف196.

في سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إنما يبتلى الله طائفة من المؤمنين الأحباب من أهل الولاية ليردهم بالبلاء إلى السؤال فيحب سؤالهم، فإذا سألوا يحب إجابتهم فيعطى الكرم والجود حقهما لأنهما يطالبان لأنه عز و جل عند سؤال المؤمنين من الإجابة، وقد تحصل الإجابة ولا يحصل النقد والنقاد لتعويق القدر لا على وجه عدم الإجابة والحرمان، فليتأدب العبد عند نزول البلاء، وليفتش عن ذنوبه في ترك الأوامر وارتكاب المناهى ما ظهر منا وما بطن. والمنازعة في القدر إذا تعاقب عليه، إنما يبتلى بذلك مقابلة، فان انكشف البلاء، وإلا، فليتخذ إلى الدعاء والتضرع والاعتذار فيديم بالسؤال لجواز أن يكون ابتلاه ليسأله، ولا يتهمه لتأخير الإجابة لما بيناه، والله أعلم.

في الأمر بطلب الرضا من الله و الفناء به تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أطلبوا من الله عزَّ و جلَّ الرضا أو الفناء، لأنه هو الراحة الكبرى والجنة العالية المنفرة في الدنيا، وهو باب الله الأكبر وعلة محبة الله لعبده المؤمن، فمن أحبه الله لم يعذبه في الدنيا والآخرة فيه اللحوق بالله عزَّ و جلَّ والوصول إليه، ولا تشتغلوا بطلب الحظوظ وأقسام لم تقسم أو قسمت، فإن كانت لم تقسم فالاشتغال بطلبها حمق ورعونة وجهالة، وهو أشد العقوبات، كما قيل: من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم وإن كانت مقسومة فالاشتغال بها شره وحرص وشرك من باب العبودية والمحبة والحقيقية، لأن الاشتغال بغير الله عزَّ و جلَّ شرك، وطالب الحظ ليس بصادق في محبته وولايته فمن احتال مع الله غيره فهو كذاب وطالب العوض على عمله غير مخلص، وإنما المخلص من عبد الله ليعطى الربوبية حقها للمالكية والحقيقة، لأن الحق عزَّ و جلَّ يملكه ويستحق عليه العمل والطاعة له بحركاته وسكناته وسائر أكسابه، والعبد وما في يده ملك لمولاه كيف وقد بينا في غير موضع أن العبادات بأسرها نعمة من الله وفضل منه على عبده إذ وفقه لها وأقدره عليها، فالاشتغال بالشكر لربه خير وأولى من طلبه من الأعواض أو الجزاء عليها، ثم كيف تشتغل بطلب الحظوظ، وقد ترى خلقاً كثيراً كلما كثرت الحظوظ عندهم وتواترت وتتابعت اللذات والنعم والأقسام إليهم زاد سخطهم على ربهم وتضجرهم وكفرهم بالنعمة وكثرة هموهم وغمومهم وفقرهم إلى أقسام لم تقسم غير ما عندهم وحقرت وصغرت وقبحت أقسامهم عندهم وعظمت وكبرت وحسنت أقسام غيرهم وأنحلت قواهم، وكبرت سنهم وشتت أحوالهم وتعبت أجسادهم وعرقت جباههم وسودت صحائفهم بكثرة آثامهم وارتكاب عظائم الذنوب في طلبها وترك أوامر ربهم فلم ينالوها وخرجوا من الدنيا مفاليس لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لا شكروا ربهم فيما قسم لهم من اقسامهم فاستعانوا بها على طاعته. وما نالوا ما طلبوا من أقسام غيرهم، بل ضيعوا دنياهم وآخرتهم، فهم أشر الخليقة وأجهلهم وأحمقهم وأخسهم عقولاً وبصيرة، فلو أنهم رضوا بالقضاء وقنعوا بالعطاء وأحسنوا طاعة المولى لأتتهم أقسامهم من الدنيا من غير تعب ولا عناء، ثم نقلوا إلى جوار العلي

الأعلى فوجدوا عنده كل مراد ومنى، جعلنا الله وإياكم ممن رضي بالقضاء، وجعل سؤاله ذلك والفناء وحفظ الحال والتوفيق بما يحبه ويرضى.

في من أراد الوصول إلى الله تعالى
و بيان كيفية الوصول إليه تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا، و من أراد الله فعليه بالزهد في الآخرة، فيترك دنياه لآخرته و آخرته لربه، فما دام في قلبه شهوة من شهوات الدنيا و لذة من لذاتها و طلب راحة من راحتها من سائر الأشياء من مأكول و مشروب و ملبوس و منكوح و مسكون و مركوب، و ولاية، و رياسة و طبقة في علم من فنون العلم من الفقه فوق العبادات الخمس، و رواية الحديث و قراءة القرآن بروايته، و النحو و اللغة و الفصاحة و البلاغة، و زوال الفقر و وجود الغنى و ذهاب البلية و مجيء العافية، و في الجملة انكشاف الضر و نجئ النفع فليس بزاهد حقاً لأن كل واحد من هذه الأشياء فيه لذة النفس و موافقة الهوى و راحة الطبع و حب له، و كل ذلك من الدنيا و مما يحبب البقاء فيها و يحصل السكون و الطمأنينة إليها، فينبغي أن يجاهد في إخراج جميع ذلك عن القلب، و يأخذ نفسه بإزالة ذلك و قلعه و الرضا بالعدم و الإفلاس و الفقر الدائم، فلا يبقى من ذلك مقدار مص نواة ليخلص زهده في الدنيا، فإذا تم له ذلك زالت الغموم و الأحزان من القلب و الكرب عن الحشا، و جاءت الراحات و الطيب و الأنس بالله كما قال عز و جل: (الزهد في الدنيا يريح القلب و الجسد) فما دام في قلبه شئ من ذلك فالهموم و الخوف و الوجل قائم في القلب و الخذلان لازم له، و الحجاب عن الله عز و جل وعن قربه متكاثف متراكم فلا ينكشف جميع ذلك إلا بزوال حب الدنيا على الكمال و قطع العلائق بأثرها، ثم يزهد في الآخرة، فلا يطلب الدرجات و المنازل العاليات و الحور و الولدان و الدور و القصور و البساتين و المراكب و الخيل و الحلي و المآكل و المشارب و غير ذلك مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين، فلا يطلب على عمله جزاء أو أجراً من الله عز و جل البتة دنيا و لا أخرى، فحنيئذ يجد الله عز و جل فيؤتيه حسابه تفضلاً منه و رحمة، فيقربه منه و يدنيه و يلطف به و يتعرف إليه بأنواع ألطافه و بره كما هو دأبه عز و جل مع رسله و أنبيائه و أوليائه و خواصه و أحبابه أولى العلم به عز و جل فيكون العبد كل

يوم في مزيد أمره مدة حياته. ثم ينتقل إلى دار الآخرة إلى ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، مما تضيق عنه الأفهام و تعجز عن و صفه العبارات، و الله أعلم.

في ترك الحظوظ

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ترك الحظوظ ثلاث مرات: الأولى يكون العبد ماراً في عشواه متخبطاً فيه متصرفاً بطبعه في جميع أحواله من غير تعبد لربه و لازم في الشرع يرده و لا جده من جدود ينتهي إليه عن حكمه، فبينما هو على ذلك ينظر الله إليه يعنى يرحمه، فيبعث الله إليه واعظاً من خلقه من عباده الصالحين فينبهه، و يثنيه بواعظ من نفسه، فيتضافر الواعظان على نفسه و طبعه، فتعمل الموعظة عملها، فتبين عندها عيب ما هي فيه من ركوب مطية الطبع و المخافة فتميل إلى الشرع في جميع تصرفاتها فيصير العبد مسلماً قائماً مع الشرع فانياً عن الطبع، فيترك حرام الدنيا و شبهاتها و منن الخلق، فيأخذ مباح الحق عز و جل و حلال الشرع في مأكله و مشربه و ملبسه و منكحه و جميع ما لابد منه، لتحتفظ البنية و يتقوى على طاعة الرب عز و جل، و ليستوفى قسمه المقسوم له الذي لا يتجاوزه و لا سبيل إلى الخروج من الدنيا قبل تناوله و التلبس به و استيفائه فيسير على مطية المباح و الحلال في الشرع في جميع أحواله تنتهي به هذه المطية إلى عتبة الولاية و الدخول في زمرة المحققين و الخواص أهل العزيمة مريدي الحق، فيأكل بالأمر، فحينئذ يسمع نداء من قبل الحق عز و جل من باطنه: أترك نفسك و تعال، أترك الحظوظ و الخلق إن أردت الخالق، و أخلع نعليك، و دنياك و آخرتك، و تجرد عن الأكوان و الموجودات و ما سيوجد و الأماني بأسرها، و تعر عن الجميع وافن عن الكل و تطيب بالتوحيد و أترك الشرك و صدق الإرادة. ثم وطء البساط بالأدب مطرقاً، لا تنظر يميناً إلى الآخرة و لا شمالاً إلى الدنيا و لا إلى الخلق و لا إلى الحظوظ، فإذا دخل في هذا المقام، و تحقق الوصول جاءت الخلعة من قبل الحق عز و جل، و غشيته أنواع المعارف و العلوم و أنواع الفضل، فيقال له: تلبس بالنعم و الفضل و لا تسئ الأدب بالرد وترك التلبس، لأن رد نعم الملك افتئاتا على الملك و استخفافاً بحضرته و حينئذ يتلبس بالفضل و القسمة بالله من غير أن يكون هو فيه و من قبل كأن يتلبس بهواه و نفسه فله أربع حالات في تناول الحظوظ و الأقسام:

الأولى بالطبع هو الحرام. و الثانية بالشرع و هو المباح و الحلال. و الثالثة بالأمر و هي حالة الولاية و ترك الهوى. و الرابعة بالفضل و هي حالة زوال الإرادة و حصول البدلية و كونه مراداً قائماً مع القدر الذي هو فعل الحق و هي حالة العلم و الاتصاف بالصلاح، فلا يسمى صالحاً على الحقيقة إلا وصل إلى هذا المقام، و هو قوله تعالى: {إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّـهُ الَّـذِي نَـزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}.الأعراف196. فهو العبد الذي كفت يده عن جلب مصالحه و منافعه و عن رد مضاره و مفاسده، كالرضيع مع الظئر، و الميت الغسيل مع الغاسل، فتتولى يد القدر تربيته من غير أن يكون له اختيار و تدبير، فان عن جميع ذلك لا حالاً و لا مقاماً و لا إرادة، بل القيام مع القدرة، تارة يبسط و تارة يغنى و تارة يفقر، و يختار و لا يتمنى زوال ذلك و تغيره، بل الرضى الدائم و الموافقة الأبدية، فهو آخر ما تنتهي أحوال الأولياء قدست أسرارهم.

في فناء العبد عن الخلق و الهوى
و النفس و الإرادة و الأماني

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا فني العبد عن الخلق و الهوى و النفس و الإرادة و الأماني دنيا و أخرى و لم يرد إلا الله عز و جل و خرج الكل عن قلبه وصل إلى الحق، و اصطفاه و اجتباه، و أحبه و حببه إلى خلقه، و جعله يحبه و يحب قربه، و يتنعم بفضله و يتقلب في نعمه و فتح عليه أبواب رحمته، و وعده أن لا يغلقها عنه أبداً، فيختار العبد حينئذ الله، و يدبر بتدبيره و يشاء بمشيئته، و يرضى برضاه يمتثل أمره دون غيره، و لا يرى لغيره عز و جل وجوداً و لا فعلاً، فحينئذ يجوز أن يعده الله بوعد ثم لا يظهر للعبد وفاء بذلك، و لا يغير ما قد توهمه من ذلك، لأن الغيرية قد زالت بزوال الهوى و الإرادة فصار في فعل الله عز و جل و إرادته فيصير الوعد حينئذ في حقه مع الله عز و جل كرجل عزم على فعل شئ في نفسه و نواه ثم صرفه إلى غيره كالناسخ و المنسوخ فيما أوحى الله عز و جل إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز و جل : {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.البقرة106. لما كان النبي صلى الله عليه وسلم منزوع الهوى و الإرادة سوى المواضع التي ذكرها الله عز و جل في القرآن من الأسر يوم بدر {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِـرَةَ وَاللّـهُ عَزِيـزٌ حَكِـيمٌ * لَّـوْلاَ كِتَـابٌ مِّـنَ اللّـهِ سَبَقَ لَمَسَّـكُمْ فِيمَـا أَخَـذْتُمْ عَـذَابٌ

عَظِيمٌ}.الأنفال67–68. كذا قالوا، و غيره و هو مراد الحق عز و جل لم يترك على حالة واحدة بل نقله إلى القدر إليه فصرفه في القدر و قلبه منها، نبهه بقوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.البقرة106. يعنى أنك في بحر القدر تقلبك أمواجه تارة كذا و تارة كذا، فمنتهى أمر الولي ابتداء أمر النبي ما بعد الولاية و البدلية إلا النبوة، و الله أعلم.

في عدم المنازعة في القدر و الأمر بحفظ الرضا به

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الأحوال قبض كلها، لأنه يؤمر الولي بحفظها وكل ما يؤمر بحظفه فهو قبض، والقيام مع القدر بسط كله، لأنه ليس هناك شئ يؤمر بحفظه سوى كونه موجوداً في القدر، فعليه أن لا ينازع في القدر بل يوافق ولا ينازع في جميع ما يجرى عليه مما يحلو ويمر. الأحوال معدودة فأمر بحفظ حدوده، والفضل الذي هو القدر غير محدود فيحفظ.

وعلامة أن العبد دخل في مقام القدر والفعل والبسط أنه يؤمر بالسؤال في الحظوظ بعد أن أمر بتركها والزهد فيها، لأنه لما خلا باطنه من الحظوظ ولم يبق غير الرب عزَّ و جلَّ بوسط فأمر بالسؤال والتشهي وطلب الأشياء التي هي قسمه، ولابد من تناولها والتوصل إليه بسؤاله، ليتحقق كرامته عند الله عزَّ و جلَّ ومنزلته، وامتنان الحق عزَّ و جلَّ عليه بإجابته إلى ذلك، والإطلاق بالسؤال في عطاء الحظوظ من أكثر علامات البسط بعد القبض، والإخراج من الأحوال والمقامات والتكليف في حفظ الحدود.

فإن قيل : هذا يدل على زوال التكلف والقول بالزندقة والخروج من الإسلام، ورد قوله عزَّ و جلَّ : {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}.الحجر99. قيل لا يدل على ذلك ولا يؤدى إليه بل الله أكرم و وليه أعز عليه من أن يدخله في مقام النقص والقبيح في شرعه ودينه، بل يعصمه من جميع ما ذكر ويصرفه عنه ويحفظه وينبهه ويسدده لحفظ الحدود، فتحصل العصمة وتتحفظ الحدود من تكليف منه ومشقة، وهو عن ذلك في غيبة في القرب قال عزَّ و جلَّ : {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}.يوسف24. وقال عزَّ و جلَّ : {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}.الحجر42.الإسراء65. وقال تعالى: {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}.الصافات40+74+128+160. يا مسكين هو محمول الرب وهو مراده، وهو يربيه في حجر قربه ولطفه، أنى يصل الشيطان غليه وتتطرق القبائح والمكاره في الشرع نحوه؟

أبعدت النجعة وأعظمت الفرية وقلت قولاً فظيعاً، تباً لهذه الهمم الخسيسة الدنية والعقول الناقصة البعيدة و الآراء الفاسدة المتخلخلة، أعاذنا الله والإخوان من الضلالة المختلفة بقدرته الشاملة ورحمته الواسعة، وسترنا بأستاره التامة المانعة الحامية، وربانا بنعمه السابغة وفضائله الدائمة بمنه وكرمه تعالى شأنه.

في صرف النظر عن كل الجهات و طلب جهة فضل الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : تقام عن الجهات كلها ولا تبصبص على شئ منها، فما دمت تنظر إلى واحدة منها لايفتح لك جهة فضل الله عز وجل وقربه، فسد الجهات جميعا بتوحيده وإمحاء نفسك ثم فنائك ومحوك وعلمك، فحينئذ يفتح عين قلبك جهة فضل الله العظيم، فتراها بعيني رأسك إذا ذاك شعاع نور قلبك وإيمانك ويقينك فيظهر عند ذلك النور من باطنك على ظاهرك كنور الشمعة التي في البيت المظلم في الليلة الظلماء، يظهر من كوى البيت ومنافذه فيشرق ظاهر البيت بنور باطنه، فتسكن النفس و الجوارح إلى وعد الله وعطائه عن عطاء غيره و وعد غيره عز و جل. و ارحم نفسك ولا تظلمها ولا تلقها في ظلمات جهلك ورعونتك، فتنظر إلى الجهات وإلى الخلق والحول والقوة والكسب والأسباب فتوكل إليها، فتسد عنك الجهات ولم تفتح لك جهة فضل الله عز وجل عقوبة ومقابلة لشركك بالنظر إلى غيره عز وجل، فإذا وجدته ونظرت إلى فضله ورجوته دون غيره وتعاميت عما سواه، قربك وأدناك، ورحمك ورباك وأطعمك وسقاك، وداواك وعفاك، وأعطاك وأغناك، فلا ترى بعد ذلك لا فقرك ولا غناك.

في الرضا على البلية و الشكر على النعمة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تخلو حالتك إما أن تكون بلية أونعمة. فإن كانت بلية فتطالب فيها بالصبر، وهو الأدنى، والصبر وهو أعلى منه. ثم الرضا والموافقة، ثم الفناء، وهو للإبدال، وإن كانت نعمة فتطالب فيها بالشكر عليها. والشكر باللسان والقلب والجوارح.

أما باللسان فالاعتراف بالنعمة أنها من الله عز وجل : وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أديهم، لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها، وإن قاسمها ومجريها وموجدها والشاغل فيها والمسبب لها هو الله عز وجل والقاسم هو الله، والمجرى هو والموجد هو، فهو أحق بالشكر من غيره.

لا نظر إلى الغلام الحمال للهدية إنما النظر إلى الأستاذ المنفذ المنعم بها قال الله تعالى في حق من عدم هذا المنظر : {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}.الروم7. فمن نظر إلى الظاهر والسبب ولم يجاوز علمه ومعرفته فهو الجاهل الناقص قاصر العقل، إنما سمى العاقل عاقلاً لنظره في العواقب.

وأما الشكر بالقلب، فبالاعتقاد الدائم. والعقد الوثيق الشديد المتبرم. إن جميع ما بك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عز وجل لا من غيره، ويكون شكرك بلسانك معبراً عما في قلبك. وقد قال عز وجل : {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ}.النحل53. وقال تعالى : {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً }.لقمان20. وقال تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا}.النحل18. فمع هذا لا يبقى لمؤمن منعم سوى الله تعالى.

وأم الشكر بالجوارح فبأن تحركها وتستعملها في طاعة الله عز وجل دون غيره من الخلق، فلا تجيب أحداً من الخلق، فيما فيه إعراض عن الله تعالى، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأماني وسائر الخليقة، كجعل طاعة الله أصلاً ومتبوعاً وإماماً وما سواها فرعاً وتابعاً ومأموماً، فإن فعلت غير ذلك كنت جائراً ظالماً حاكماً بغير حكم الله عز وجل الموضوع لعباده المؤمنين، وسالكاً غير سبيل الصالحين. قال الله عز وجل : {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}.المائدة44. وفى آية أخرى : {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.المائدة45. وفى أخرى : {هُمُ الْفَاسِقُونَ}.المائدة47. فيكون انهاؤك إلى التي وقودها الناس والحجارة، وأنت لا تصبر على حمى ساعة في الدنيا وأقل بسطة وشرارة من النار فيها، فكيف صبرك على الخلود في الهاوية مع أهلها النجا النجا، الوحا الوحا، الله الله، أحفظ الحالتين وشروطهما، فإنك لا تخلو في جميع عمرك من أحديهما إما البلية وإما النعمة فأعط كل حالة حظها وحقها من الصبر والشكر على ما بينت لك، فلا تشكون في حالة البلية إلى أحد من خلق الله، ولا تظهرن الضجر لأحد ولا تتهمن ربك في باطنك. ولا تشكن في حكمته واختر الأصلح لك في دنياك، وآخرتك، فلا تذهبن بهمتك إلى أحد من خلقه في معافاتك فذاك إشراك منك به عز وجل، لا يملك معه عز وجل في ملكه أحد شيئاً لا ضار ولا نافع ولا دافع، ولا جالب ولا مسقم، ولا مبلي، ولا معاف ولا مبرئ غيره عز وجل، فلا تشتغل بالخلق لا في الظاهر ولا في الباطن، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، بل ألزم الصبر والرضا والموافقة والفناء في فعله عز وجل، فإن حرمت ذلك كله فعليك بالاستغاثة إليه عز وجل، والتضرع من شؤم النفس، ونزاهة الحق عز وجل والاعتراف له بالتوحيد بالنعيم، والتبرى من الشرك، وطلب الصبر والرضا والموافقة، إلى حين يبلغ الكتاب أجله، فتزول البلية وتنكشف الكربة، وتأتى النعمة والسعة والفرحة والسرور، كما كان في حق نبي الله أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأشرف السلام، كما يذهب سواد الليل ويأتي بياض النهار، ويذهب برد الشتاء ويأتي نسيم الصيف وطيبه لأنه لكل شئ ضداً وخلافاً وغاية وبدءاً ومنتهى، فالصبر مفتاحه وابتداؤه وانتهاؤه وجماله كما جاء في الخبر (الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد) وفى لفظ (الصبر الإيمان كله) وقد يكون الشكر هو التلبس بالنعم وهى أقسامه المقسومة لك، فشكر التلبس بها في حال فنائك، وزوال الهوى والحمية والحفظ، وهذه حالة الأبدال وهى المنتهى، اعتبر ما ذكرت لك ترشد إن شاء الله تعالى.

في البداية و النهاية

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : البداية : هي الخروج من المعهود إلى المشروع ثم المقدور، ثم الرجوع للمعهود. ويشترط حفظ الحدود، فتخرج من معهودك من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمسكون والطبع والعادة إلى أمر الشرع ونهيه، فتتبع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه و سلم كما قال الله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}.الحشر7. وقال تعالى : {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ}.آل عمران31. فتفنى عن هواك ونفسك ورعونتها في ظاهرك وباطنك فلا يكون في باطنك غير توحيدك له وفي ظاهرك غير طاعة الله وعبادته مما أمر ونهى، فيكون هذا دأبك وشعارك ودثارك في حركتك وسكونك، في ليلك ونهارك، وسفرك وحضرتك، وشدتك ورخائك، وصحتك وسقمك، وأحوالك كلها، ثم تحمل إلى وادي القدر فيتصرف فيك القدر، فتفنى عن جدك واجتهادك وحولك وقوتك، فتساق إليك الأقسام التي جف بها القلم وسبق بها العلم، فتلبس بها وتعطى منها الحفظ والسلامة فتحفظ فيها الحدود ويحصل فيها الموافقة لفعل المولى، ولا تتخرق قاعدة الشرع على الزندقة وإباحة المحرم قال تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.الحجر9. وقال تعالى : {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}.يوسف24. فتصحب الحفظ والحمية وإنما هي أقساماً معدة لك، فحبسها عنك في حال سيرك وطريقك وسلوكك فيافي الطبع ومفاوز الهوى المعهود، لأنها أثقال أحمال ما زيحت عنك، لئلا يثقلك فتضعفك إلى حين الوصول إلى عتبة الفناء، وهو الوصول إلى قرب الحق عز وجل والمعرفة به، والاختصاص بالأسرار والعلوم الدينية، والدخول في بحار الأنوار، حيث لا تضر ظلمة الطبائع والأنوار، فالطبع باق إلى أن تفارق الروح الجسد لاستيفاء الأقسام، إذ لو زال الطبع من الآدمي لالتحق بالملائكة وبطلت الحكمة، فبقى الطبع يستوفى الأقسام والحظوظ، فيكون ذلك وظائفاً لا أصلياً كما قال النبي صلى الله عليه و سلم: (حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة) فلما فني النبي صلى الله عليه و سلم عن الدنيا وما فيها ردت إليه أقسامه المحبوسة عنه في حال سيره إلى ربه عز وجل ، فاستوفاها موافقة لربه تعالى والرضا بفعله ممتثلاً لأمره،

قدست أسمائه وعمت رحمته، شمل فضله لأوليائه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فهكذا الولي في هذا الباب ترد إليه أقسامه وحظوظه مع حفظ الحدود، فهو الرجوع من النهاية إلى البداية، والله أعلم.

في التوقف عند كل شئ حتى يتبين له إباحة فعله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : كل مؤمن مكلف بالتوقف و التفتيش عند حضور الأقسام عن التناول و الأخذ، حتى يشهد له الحكم بالإجابة، و العلم بالقسمة، و المؤمن فتاش و المنافق لقاف. و قال صلى الله عليه و سلم (المؤمن وقاف) و قال صلى الله عليه و سلم : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) فالمؤمن يقف عند كل قسم من مأكول و مشروب و ملبوس و منكوح و سائر الأشياء التي تفتح له فلا يأخذ حتى يحكم له بجواز الأخذ و التناول كحكمه إذا كان في حالة التقوى. أو حتى يحكم له بذلك الأمر إذا كان في حالة الولاية. أو حتى يحكم العلم في حالة البدلية و الغوثية، و الفعل الذي هو القدر المحض و هي حالة الفناء، ثم تأتيه حالة أخرى تتناول كل ما يأتيه و يفتح له ما لم يعترض عليه الحكم والأمر والعلم، فإذا اعترض أحد هذه الأشياء امتنع من التناول، فهي ضد الأولى.

ففي الأولى الغالب عليه التوقف و التثبت. و في الثانية الغالب عليه التناول و الأخذ و التلبس بالفتوح. ثم تأتي الحالة الثالثة.

فالتناول المحض و التلبس بما يفتح من النعم من غير اعتراض أحد الأشياء الثلاثة و هي حقيقة الفناء، فيكون المؤمن فيها محفوظاً من الآفات وخرق حدود الشرع مصاناً مصروفاً عنه الأسواء، كما قال الله تعالى : {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}.يوسف24. فيصير العبد مع الحفظ عن خرق الحدود كالمقرض إليه المأذون له و المطلق له في الإباحات الميسر له الخير، ما يأتيه قسمه المصفى له من الآفات و التبعات في الدنيا و الآخرة، و الموافق لإرادة الحق و رضاه و فعله و لا حالة فوقها و هي الغاية، و هي السادة الأولياء الكبار الخلص أصحاب الأسرار، الذين أشرفوا على عتبة أحوال الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

في المحبة و المحبوب و ما يجب في حقهما

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما أكثر ما يقول المؤمن قرب فلان و بعدت، وأعطى فلان و حرمت، وأغنى فلان و أفقرت و وفى فلان و أسقمت، و عظم فلان و حقرت، و حمد فلان و ذممت، و صدق فلان و كذبت. أما يعلم أنه الواحد. وأن الواحد يحب الوحدانية في المحبة، و يحب الواحد في محبته.

إذا قربك بطريق غيره نقصت محبتك له عز و جل و شعبت فربما دخلك الميل إلى من ظهرت المواصلة و النعمة على يديه، فتنقص محبة الله في قلبك، و هو عز و جل غيور لا يحب شريكه فكف أيدي الغير عنك بالمواصلة و لسانه عن حمدك و ثنائك و رجليه عن السعي إليك كيلا تشتغل به عنه، أما سمعت قول النبي صلى الله عليه و سلم : (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها) فهو عز و جل يكف الخلق عن الإحسان إليك من كل وجه و سبب حتى توحده و تحبه، و تصير له من كل وجه بظاهرك و باطنك في حركاتك و سكناتك، فلا ترى الخير إلا منه و لا الشر إلا منه عز و جل ، و تفنى عن الخلق و عن النفس، و عن الهوى و الإرادة و المنى، و عن جميع ما سوى المولى، ثم يطلق الأيدي إليك بالبسط و البذل و العطاء، و الألسن بالحمد و الثناء فيدلك ابداً في الدنيا ثم في العقبى، فلا تسئ الأدب، انظر إلى من ينظر إليك، و اقبل على من أقبل إليك، و أحب من يحبك و استجب من يدعوك و أعط يدك من يثبتك من سقطك و يخرجك من ظلمات جهلك، و ينجيك من هلكك و يغسلك من نجاسك، و ينظفك من أوسخاك، و يخلصك من جيفك و نتنك، و من أوهامك الردية، و من نفسك الأمارة بالسوء و أقرانك الضلال المضلين شياطنيك، و أخلائك الجهال قطاع طريق الحق الحائلين بينك و بين كل نفيس و ثمين و عزيز.

إلى متى المعاد، إلى متى الحق، إلى متى الهوى، إلى متى الرعونة، إلى متى الدنيا، إلى متى الآخرة، إلى متى سوى المولى؟ أين أنت من خالقك و الأشياء، و المكون الأول الآخر الظاهر الباطن، و المرجع و المصدر إليه، و له القلوب و طمأنينة الأرواح و محط الأثقال و العطاء و الامتنان، عز شأنه.

في نوع من المعرفة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : رأيت في المنام كأني أقول يا مشرك بربه في باطنه بنفسه و في ظاهره بخلقه و في عمله بإرادته، فقال رجل إلى جنبي ما هذا الكلام، فقلت هذا نوع من أنواع المعرفة.

في الموت الذي لا حياة فيه و الحياة التي لا موت فيها

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ضاق أبى الأمر يوماً فتحرك في النفس، فقيل لي : ماذا تريد؟؟ فقلت: أريد موتاً لا حياة فيه و حياة لا موت فيها؟؟ فقيل لي: ما الموت الذي لا حياة فيه و ما الحياة التي لا موت فيها؟؟ قلت:

الموت الذي لا حياة فيه موتى عن جنسي من الخلق فلا أراهم في الضر و النفع، و موتى عن نفسي و هوائي و إرادتي و منائى في الدنيا و الأخرى فلا أحس في جميع ذلك و لا أجد.

و أما الحياة التي لا موت فيها: فحياتي بفعل ربى عزّ و جلّ بلا وجودي فيه، و الموت في ذلك وجودي معه عزّ و جلّ، فكانت هذه الإرادة أنفس إرادة أردتها منذ عقلت.

في النهي عن التسخط على الله في تأخير إجابة الدعاء

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما هذا التسخط على ربك عزَّ و جلّ من تأخير إجابة الدعاء؟؟ تقول حرم على السؤال للخلق و أوجب على السؤال و أنا أدعوه و هو لا يجيبنى فيقال لك أحر أنت أم عبد فإن قلت أنا حر فأنت كافر وغن قلت أنا عبد لله، فيقال لك أمتهم أنت لوليك في تأخير إجابة دعائك و شاك في حكمته و رحمته بك و بجميع خلقه وعلمه بأحوالهم أو غير متهم له عزَّ و جلّ ؟؟ فإن كنت غير متهم له و مقر بحكمته و إرادته و مصلحته لك و تأخير ذلك فعليك بالشكر له عزَّ و جلّ، لأنه اختار لك الأصلح و النعمة و دفع الفساد، و إن كنت متهماً له في ذلك فأنت كافر بتهمتك له، لأنك بذلك نسبت له الظلم و هو ليس بظلام للعبيد، لا يقبل الظلم و يستحيل عليه أن يظلم إذ هو مالكك و مالك كل شئ فلا يطلق

عليه اسم الظالم، و إنما الظالم من يتصرف في ملك غيره بغير إذنه فانسد عليك سبيل التسخط عليه في فعله فيك بما يخالف طبعك و شهوة نفسك و إن كان في الظاهر مفسدة لك.

فعليك بالشكر و الصبر و الموافقة، و ترك السخط و التهمة و القيام مع رعونة النفس و هواها الذي يضل عن سبيل الله.

وعليك بدوام الدعاء و صدق الالتجاء، و حسن الظن بربك عزَّ و جلّ، و انتظار الفرج منه، و التصديق بوعده، و الحياء منه، و الموافقة لأمره، و حفظ توحيده و المسارعة إلى أداء أوامره، و التماوت عن نزول قدره بك و بفعله فيك، و إن كان لابد أن تتهم و تسئ الظن فنفسك الأمارة بالسوء العاصية لربها عزَّ و جلَّ أولى بهما، و نسبتك الظلم إليها أحرى من مولاك. فاحذر موافقتها و موالاتها، و الرضى بفعلها و كلامها في الأحوال كلها، لأنها عدوة الله و عدوتك، و موالية لعدو الله و عدوك الشيطان الرجيم، هي خليلته و جاسوسته و مصافيته، الله الله ثم الله، الحذر الحذر النجا النجا، أتهمها و أنسب الظلم إليها و اقرأ عليها قوله عزَّ و جلّ : {مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ}.النساء147. وقوله عزَّ و جلّ : {إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.يونس44. و غيرها من الآيات و الأخبار.

كن مخاصماً لله على نفسك مجادلاً لها عنه عزَّ و جلّ، و محارباً و سيافاً و صاحب جنده و عسكره، فإنها أعدى عدو الله عزَّ و جلّ، قال الله تعالى : " يا داود أهجر هواك فإنه لا منازع ينازعني في ملكي غير الهوى ".

في الأمر بالدعاء و النهى عن تركه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تقل لا أدعو الله، فإن كان ما أسأله مقسوماً فسيأتي إن سألته أو لم أسأله، و إن كان غير مقسوم فلا يعطيني بسؤال، بل اسأله عزَّ و جلَّ جميع ما تريد و تحتاج إليه من خير الدنيا و الآخرة ما لم يكن فيه محرم و مفسدة لأن الله تعالى أمر بالسؤال له و حث عليه. قال تعالى : {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}.غافر60. و قال عزَّ و جلَّ : {وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}{ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ}.النساء32. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اسألوا الله و أنتم موقنون بالإجابة) و قال صلى الله عليه وسلم : (اسألوا الله ببطون أكفكم) و غير ذلك من الأخبار. و لا تقل إني أسأله فلا يعطيني فإذا لا أسأله، بل دم

على دعائه، فإن كان ذلك مقسوماً ساقه إليك بعد أن تسأله، فيزيد ذلك إيماناً و يقيناً و توحيداً و ترك سؤال الخلق و الرجوع إليه في جميع أحوالك و إنزال حوائجك به عزَّ و جلَّ ، و إن لم يكن مقسوماً لك أعطاك الغناء عنه و الرضا عنه عزَّ و جلَّ بالقصص. فإن كان فقراً أو مرضاً أرضاك بهما و إن كان ديناً قلب الدائن من سوء المطالبة إلى الرفق و التأخير و التسهيل إلى حين ميسرتك أو إسقاطه عنك أو نقصه، فإن لم يسقط و لم يترك منه في الدنيا أعطاك عزَّ و جلَّ ثواباً جزيلاً ما لم يعطك بسؤالك في الدنيا، لأنه كريم غنى رحيم، فلا يخيب سائله في الدنيا و الآخرة فلابد من فائدة، و نائلة إما عاجلاً و إما آجلاً فقد جاء في الحديث: (المؤمن يرى في صحيفته يوم القيامة حسنات لم يعملها و لم يدر بها فيقال له أتعرفها ؟ فيقول ما أعرفها من أين لي هذه ؟ فيقال له إنها بدل مسألتك التي سألتها في دار الدنيا) و ذلك أنه بسؤال الله عزَّ و جلَّ يكون ذاكراً الله و موحداً و واضع الشئ في موضعه، و معطي الحق أهله، و متبرئاً من حوله و قوته، و تاركاً للتكبر و التعظيم و الأنفة، و جميع ذلك أعمال صالحة ثوابها عند الله عزَّ و جلَّ.

في جهاد النفس و تفصيل كيفيته

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : كلما جاهدت نفسك و غلبتها و قتلتها بسيف المخالفة أحياها الله، و نازعتك و طلبت منك الشهوات و اللذات الجناح منها و المباح، لتعود إلى المجاهدة ليكتب لك ثواباً دائماً، و هو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) أراد مجاهدة النفس لدوامها و استمرارها على الشهوات و اللذات، و إنهماكها في المعاصي، و هو معنى قوله عزَّ و جلَّ : {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}.الحجر99. أمر الله عزَّ و جلَّ لنبيه صلى الله عليه وسلم بالعبادة و هي مخالفة النفس، لأن العبادة كلها تأباها النفس و تريد ضدها إلى أن يأتيه اليقين يعنى الموت.

فإن قيل : كيف تأبى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم العبادة و هو عليه والصلاة و السلام لا هوى له {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}.النجم3–4. فيقال أنه عزَّ و جلَّ خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ليتقرر به الشرع فيكون عاماً بين أمته إلى أن تقوم الساعة. ثم إن الله عزَّ و جلَّ أعطى نبيه عليه الصلاة و السلام القوة على النفس و الهوى، كيلا يضراه و يحوجاه إلى المجاهدة، بخلاف أمته، فإذا دام المؤمن على هذه المجاهدة إلى أن يأتيه الموت و

يلحق بربه عزَّ و جلَّ بسيف مسلول ملطخ بدم النفس و الهوى أعطاه ما ضمن له من الجنة، لقوله عزَّ و جلَّ : {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}.النتزعات40–41. فإذا أدخله الجنة و جعلها داره و مقره و مصيره، أمن من التحويل عنها و الانتقال إلى غيرها و العودة إلى دار الدنيا جدد له كل يوم و كل ساعة من أنواع النعيم و تغير عليه أنواع الحال و الحلى إلى ما لا نهاية و لا غاية و لا نفاد، كما جدد في الدنيا كل يوم و كل ساعة و لحظة مجاهدة النفس و الهوى.

و أما الكافر و المنافق و العاصي لما تركوا مجاهدة النفس و الهوى في الدنيا و تابعوها، و وافقوا الشيطان تمرجوا في أنواع المعاصي من الكفر و الشرك و ما دونهما حتى أتاهم الموت من غير الإسلام و التوبة، أدخلهم الله النار التي أعدت للكافرين في قوله عزَّ و جلَّ : {وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}.آل عمران131. فإذا أدخلهم فيها و جعلها مقرهم و صيرهم، فأحرقت جلودهم و لحومهم جدد لهم عزَّ و جلَّ جلوداً و لحوماً كما قال عزَّ و جلَّ : {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا}.النساء56. يفعل عزَّ و جلَّ بهم ذلك كما وافقوا أنفسهم و أهواءهم في الدنيا في معاصيه عزَّ و جلَّ ، فأهل النار تجدد لهم كل وقت جلود و لحوم لإيصال العذاب و الآلام إليهم. و سبب ذلك مجاهدة النفس و عدم موافقتها في دار الدنيا و هذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الدنيا مزرعة الآخرة).

في قوله تعالى : (كل يوم هو في شأن)

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا أجاب الله عبداً ما سأله و أعطاه ما طلبه لم تنخرم إرادته و لا ما جف به القلم و سبق به العلم، لكنه يوافق سؤاله مراد ربه عزَّ و جلَّ في وقته، فتحصل الإجابة و قضاء الحاجة في الوقت المقدر الذي قدره له في السابقة لبلوغ القدر وقته كما قال أهل العلم قوله عزَّ و جلّ : {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}.الرحمن29. أي يسوق المقادير إلى المواقيت، يعطى الله أحداً شيئاً في الدنيا بمجرد دعائه، و كذلك لا يصرف عنه شيئاً بدعائه المجرد، و الذي ورد في الحديث (و لا يرد القضاء إلا الدعاء) قيل إن المراد به لا يرد القضاء إلا الدعاء الذي قضى أن يرد لقضائه، و كذلك لا يدخل أحد الجنة في الآخرة بعمله، بل برحمة الله عزَّ و جلَّ، لكنه يعطى العباد في الجنة الدرجات على قدر أعمالهم.

و قد ورد في حديث عائشة رضي الله عنها (أنها سألت النبي صلى الله عليه و سلم هل يدخل أحد الجنة بعمله؟ فقال لا برحمة الله، فقالت و لا أنت؟ فقال و لا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته و وضع يده على هامته) و ذلك لأن الله عزَّ و جلَّ لا يجب عليه لأحد حق و لا يلزمه الوفاء بالعهد، بل يفعل ما يريد يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء، و يرحم من يشاء، فعال لما يريد و لا يسال عما يفعل و هم يسئلون، يرزق من يشاء بغير حساب بفضل رحمته و منته، و يمنع من شاء بعدله، و كيف لا يكون كذلك و الخلق من لدن العرش إلى الثرى التي هي الأرض السابعة السفلى ملكه و صنعه، لا مالك لهم غيره و لا صانع لهم غيره، قال عزَّ و جلَّ : {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ}.فاطر3. و قال تعالى : {أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ}.النمل60–61–62–63–64. و قال تعالى : {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً}.مريم65. و قال تعالى : {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}.آل عمران26–27.

في الأمر بطلب المغفرة و العصمة
و التوفيق و الرضا و الصبر من الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تطلبنّ من الله شيئاً سوى المغفرة للذنوب السابقة و العصمة منها في الأيام الآتية اللاحقة، و التوفيق لحُسن الطاعة، و امتثال الأمر و الرضا بمر القضاء، و الصبر على شدائد البلاء، و الشكر على جزيل النعماء و العطاء، ثم الوفاة بخاتمة الخير، و اللحوق بالأنبياء و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً و لا تطلب منه الدنيا و لا كشف الفقر و البلاء إلى الغناء و العافية، بل الرضا بما قسم و دبر، و اسأله الحفظ الدائم على ما أقامك فيه و أحلك و ابتلاك، إلى أن ينقلك منه إلى غيره و ضده، لأنك لا تعلم الخير في أيهما، في الفقر أو في الغناء، في البلاء أو في العافية، طوى عنك علم الأشياء و تفرد هو عزّ و جلّ بمصالحها و مفاسدها.

فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا أبالى على أي حال أصبح، على ما أكره أو على ما أحب، لأني لا أدرى الخير في أيهما. قال ذلك لحسن رضاه بتدبير الله عزّ و جلّ، و الطمأنينة على اختياره و قضائه. قال الله تعالى : {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.البقرة216.

كن على هذا الحال إلى أن يزول هواك و تنكسر نفسك فتكون ذليلة مغلوبة تابعة ثم تزول إرادتك و أمانيك، و تخرج الأكوان من قلبك و لا يبقى في قلبك شئ سوى الله تعالى، فيمتلئ قلبك بحب الله تعالى، و تصدق إرادتك في طلبه عزّ و جلّ فيرد إليك الإرادة بأمره بطلب حظ من الحظوظ دنيوية و أخروية، فحينئذ تسأله عزّ و جلّ بذلك و تطلبه ممتثلاً لأمره، إن أعطاك شكرته و تلبست به، و إن منعك لم تتسخط عليه و لم تتغير عليه في باطنك و لا تتهمه في ذلك ببخل، لأنك لم تكن طلبته بهواك و إرادتك، لأنك فارغ القلب عن ذلك غير مريد له، بل ممتثلاً لأمره بالسؤال و السلام.

في الشكر و الاعتراف بالتقصير

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : كيف يحسن منك العجب في أعمالك و رؤية نفسك فيها و طلب الأعواض عليها، و جميع ذلك بتوفيق الله تعالى و عونه و قوته و إرادته و فضله، و إن كان ترك معصيته فبعصمته و حفظه و حميته.

أين أنت من الشكر على ذلك و الاعتراف بهذه النعم التي أولاكها، ما هذه الرعونة و الجهل، تعجب بشجاعة غيرك و سخائه و بذل ماله إذا لم تكن قاتلاً بعودك إلا بعد معاونة شجاع ضرب في عدوك ثم تمنيت قتله، لولاه كنت مصروعاً مكانه و بدله، و لا باذلاً لبعض مالك إلا بعد ضمان صادق كريم أمين ضمن لك عوضه و خلفه، لولا قوله و طمعك فيما وعد لك و ضمن لك ما بذلت حبة منه، كيف تعجبك بمجرد فعلك.

أحسن حالك الشكر و الثناء على المعين و الحمد لله الدائم و إضافة ذلك إليه في الأحوال كلها إلا الشر و المعاصي و اللوم، فإنك تضيفها إلى نفسك و تنسبها إلى الظلم و سوء

الأدب و تتهمها به، فهي أحق بذلك لأنها مأوى لكل شر و أمارة بكل سوء و داهية وإن كان هو عزّ و جلّ خالقك و خالق أفعالك مع كسبك، أنت الكاسب و هو الخالق كما قال بعض العلماء بالله عزّ و جلّ : تجئ و لا بد منك، و قوله صلى الله عليه و سلم : (اعملوا و قاربوا و سددوا فكل ميسر لما خلق له).

في المريد والمراد

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا يخلو إما أن تكون مريداً أو مراداً.

فإن كنت مريداً فأنت محمل و حمال يحمل كل شديد و ثقيل، لأنك طالب و الطالب مشقوق عليه حتى يصل إلى مطلوبه و يظفر بمحبوبه و يدرك مرامه، و لا ينبغي لك أن تنفر من بلاء ينزل بك في النفس و المال و الأهل و الولد، إلى أن يحط عنك الأعمال، و يزال عنك الأثقال، و يرفع عنك الآلام و يزال عنك الأذى و الإذلال، فتصان عن جميع الرذائل و الأدران و الأوساخ و المهانات و الافتقار إلى الخليقة و البريات، فتدخل في زمرة المحبوبين المدللين المرادين.

و إن كنت مراداً فلا تتهمن الحق عزّ و جلّ في إنزال البلية بك أيضاً، و لا تشكن في منزلتك و قدرك عنده عزّ و جلّ، لأنه قد يبتليك ليبلغك مبلغ الرجل، و يرفع منزلتك إلى منازل الأولياء.

أتحب ما يحط منزلتك عن منازلهم و درجاتك عن درجاتهم و أن تكون خلعتك و أنوارك و نعيمك دون ما لهم، فإن رضيت أنت بالدون فالحق عزّ و جلّ لا يرضى لك بذلك . قال تعالى : {وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.البقرة216+232.آل عمران66.النور19. يختار لك الأعلى و الأسنى و الأرفع و الأصلح و أنت تأبى.فإن قلت: كيف يصلح ابتلاء المراد مع هذا النعيم و البيان مع أن الابتلاء إنما هو للمحب، و المدلل إنما هو المحبوب.

يقال لك ذكرنا الأغلب أولاً و سمرنا بالنادر الممكن ثانياً.

لا خلاف أن النبي صلى الله عليه و سلم كان سيد المحبوبين أشد الناس بلاء، و قد قال صلى الله عليه و سلم (لقد خفت في الله ما لا يخافه أحد، و لقد أوذيت في الله لم يؤذه أحد، و لقد

أتى علي ثلاثون يوماً و ليلة و ما لنا طعام إلا شيء يواريه إبط بلال) و قد قال صلى الله عليه و سلم (إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) و قد قال صلى الله عليه و سلم (أنا أعرفكم بالله و أشدكم منه خوفاً) فكيف يبتلى المحبوب و يخوف المدلل المراد و لم يكن ذلك إلا بما أشرنا إليه من بلوغ المنازل العالية في الجنة لأن المنازل في الجنة لا تشيد و لا ترفع بالأعمال في الدنيا.

الدنيا مزرعة الآخرة، و أعمال الأنبياء و الأولياء بعد أداء الأوامر و انتهاء النواهي و الصبر و الرضا و الموافقة في حالة البلاء يكشف عنهم البلاء و يواصلون بالنعيم و الفضل و الدلال و اللقاء أبد الآباد، و الله أعلم.

في من إذا دخل الأسواق و مال إلى ما فيها
و من إذا دخلها و صبر

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الذين يدخلون الأسواق من أهل الدين و النسك في خروجهم إلى أداء ما أمر الله تعالى من صلاة الجمعة و الجماعة و قضاء حوائج تسنح لهم على أضرب :

منهم من إذا دخل السوق و رأى فيه من أنواع الشهوات و اللذات تقيد بهما و علقت بقلبه فتن، و كان ذلك سبب هلاكه و تركه دينه و نسكه و رجوعه إلى موافقة طبعه و إتباع هواه إلا أن يتداركه عزّ و جلّ برحمته و عصمته و إصباره إياه عنها فتسلم.

و منهم من إذا رأى ذلك كاد أن يهلك بها رجع إلى عقله و دينه و تصبر و تجرع مرارة تركها، فهو كالمجاهد ينصره الله تعالى على نفسه و طبعه و هواه، و يكتب له الثواب الجزيل في الآخرة. كما جاء في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : (يكتب للمؤمنين بترك شهوة عند العجز عنها أو عند المقدرة سبعون حسنة) أو كما قال.

و منهم من يتناولها و يتلبس بها و يحصلها بفضل نعمة الله عزّ و جلّ التي عنده من سعة الدنيا و المال، و يشكر الله عزّ و جلّ عليها.

و منهم من لا يراها و لا يشعر بها، فهو أعمى عن ما سوى الله عزّ و جلّ، فلا يرى غيره، و أصم عما سواه فلا يسمع من غيره، عنده شغل عن النظر إلى غير محبوبه و اشتهائه، فهو في معزل عما العالم فيه فإذا رايته و قد دخل السوق فسألته عما رأى في السوق يقول ما رأيت شيئاً. نعم قد رأى الأشياء لكن قدر رآها ببصر رأسه لا ببصر قلبه، و نظرة فجاءت لا نظرة شهوة، نظر صورة لا نظر معنى، نظر الظاهر لا نظر الباطن، فبظاهره ينظر إلى ما في السوق و بقلبه ينظر إلى ربه عزّ و جلّ، إلى جلاله تارة و إلى جماله تارة أخرى.

و منهم من إذا دخل السوق امتلأ قلبه بالله عزّ و جلّ رحمة لهم، فتشغله الرحمة لهم عن النظر إلى ما لهم و بين أيديهم فهو في حين دخوله إلى حين خروجه في الدعاء و الاستغفار و الشفاعة لأهله و الشفقة و الرحمة عليهم و لهم، و عينه مغرورقة و لسانه في ثناء و حمد لله عزّ و جلّ بما أولى الكافة من نعمه و فضله فهذا يسمى شحنة البلاد و العباد، و إن شئت سميته عارفاً و بدلاً و زاهداً و عالماً غيباً و بدلاً محبوباً مراداً و نائباً في الأرض على عباده، و سفيراً و جهبذاً و نفاذا و هادياً و مهدياً و دالاً و مرشداً فهذا هو الكبريت الأحمر و بيضة العقعق، رضوان الله عليه و على كل مؤمن مريد لله وصل إلى انتهاء المقام، و الله الهادي.

في قسم من الأولياء قد يطلعه الله على عيوب غيرهم

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : قد يُطلع الله تعالى وليه على عيوب غيره و كذبه و دعوته و شركه في أفعاله و أقواله و إضماره و نيته، فيغار ولى الله لربه و لرسوله و دينه فيشتد غضب باطنه ثم ظاهره حاضراً و غائباً، كيف يدعى السلامة مع العلل و الأوجاع الباطنة والظاهرة؟؟ و كيف يدعى التوحيد مع الشرك، و الشرك كفر و بعد عن قرب الله و هو صفة العدو و الشيطان اللعين، و المنافقين المقطوع لهم بالدرك الأسفل من النار و الخلود فيها فيجرى على لسان الولي ذكر عيوبه و أفعاله الخبيثة و وقاحته بعريض دعاويه أحوال الصديقين و مزاحمته للفانين في قدر الله و فعله،و المراد من على وجه الغيرة لله عزّ و جلّ، مرة على وجه الإنكار له و الموعظة له أخرى، و على وجه الغلبة بفعل الله عزّ و جلّ و إرادته و شدة غضبه على الكذب أخرى فيضاف إلى الله عزّ و جلّ غيبة، فيقال أيغتاب الولي و هو يمنع منها أو يذكر الغائب و الحاضر بما يظهر عند الخواص و العوام؟؟ فيصير ذلك الإنكار في حقهم كما قال الله عزّ و جلّ

: {وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}.البقرة219. في الظاهر إنكار المنكر و في الباطن إسخاط الربّ و الاعتراض عليه فيصير حاله الخيرة، فيكون فرضه فيها السكوت و التسليم و طلب المساعي لذلك في الشرع، و الجواز لا الاعتراض على الربّ و الولي يطعنان لافترائه و كذبه، و قد يكون ذلك سبباً لإقلاعه و توبته و رجوعه عن جهله و حيرته، فيكون كرهاً للولي نفعاً للمغرور الهالك بغروره و رعونته. {وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}.البقرة213.النور46.

فيما ينبغي للعاقل أن يستدل به على وحدانية الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أول ما ينظر العاقل في صفة نفسه و تركيبه ثم في جميع المخلوقات و المبدعات فيستدل بذلك على خالقها و بمدعها، لأن فيه دلالة على الصانع و في القدرة المحكمة آية على الحكيم، فإن الأشياء كلها موجودة به.

و في معناه ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى : {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ}.الجاثية13. فقال في كل شئ اسم من أسمائه و اسم كل شئ من اسمه، فإنما أنت بين أسمائه و صفاته و أفعاله، باطن بقدرته و ظاهر بحكمته، ظهر بصفاته و بطن بذاته حجب الذات بالصفات و حجب الصفات بالأفعال، و كشف العلم بالإرادة و أظهر الإرادة بالحركات، و أخفى الصنع و الصنيعة و أظهر الصنعة بالإرادة، فهو باطن في غيبه و ظاهر في حكمته و قدرته {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.الشورى11.

و لقد أظهر في هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح، أمره برفع يد العصمة اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل، أنالنا الله تعالى بركاتهم و حشرنا في زمرتهم و حرمتهم آمين.

في التصوف و على أي شئ مبناه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أوصيك بتقوى الله و طاعته، و لزوم ظاهر الشرع و سلامة الصدر، و سخاء النفس، و بشاشة الوجه، و بدل الندى، و كف الأذى، و تحمل الأذى و الفقر، و حفظ حرمات المشايخ و العشرة مع الإخوان، و النصيحة للأصاغر و الأكابر، و ترك الخصومة، و الإرفاق، و ملازمة الإيثار و مجانبة الادخار، و ترك صحبة من ليس من طبقتهم، و المعاونة في أمر الدين و الدنيا.

و حقيقة الفقر أن لا تفتقر على من هو مثلك و حقيقة الغنى أن تستغني عمن هو مثلك.

و التصوف ليس أخذ عن القيل و القال و لكن أخذ عن الجوع و قطع المألوفات و المستحسنات، و لا تبدءا الفقير بالعلم و إبدائه بالرفق، فإن العلم يوحشه و الرفق يؤنسه.

و التصوف مبني على ثمان خصال :

السخاء لسيدنا لإبراهيم عليه السلام

الرضا لسيدنا لإسحاق عليه السلام

الصبر لسيدنا لأيوب عليه السلام

الإشارة لسيدنا لزكريا عليه السلام

الغربة لسيدنا ليحيى عليه السلام

التصوف لسيدنا لموسى عليه السلام

السياحة لسيدنا لعيسى عليه السلام

الفقر لسيدنا لسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم

و على إخوانه من النبيين و المرسلين و آل كل و صحب كل و سلم أجمعين

في الوصيـة

قـال رضـي الله تعالـى عنـه و أرضـاه : أوصيـك أن تصـحب الأغنيـاء بـالتعزز، و الفقـراء بالتذلل، و عليك بالتذلل و الإخلاص، و هو دوام رؤية الخالق، و لا تتهم الله في الأسباب و استكن إليه في جميع الأحوال، و لا تضع حق أخيك اتكالاً على ما بينك و بينه من المودة.

و عليـك بصحبـة الفقـراء بالتواضـع و حُسـن الأدب و السـخاء، و أمـت نفسـك حتـى تحيى، و أقرب الخلق من الله تعالى أوسعهم خلقاً، و أفضل الأعمال : رعاية السر عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى.

و الصولة بالحق و الصبر، و حسبك من الدنيا شيئان : صحبة فقير و خدمة ولي، و الفقير هو الذي لا يستغنى بشئ دون الله تعالى.

و الصولة على من هو دونك ضعف، و على من هو فوقك فخر، و على من هو مثلك سوء خلق.

و الفقر و التصوف جدان فلا تخلطهما بشئ من الهزل، وفقنا الله و إياكم و المسلمين آمين.

يا ولي عليك بذكر الله في كل حال فإنه للخير جامع. و عليك بالاعتصام بحبل الله فإنه للمضار دافع. و عليك بالتأهب لتلقى موارد القضاء فإنه واقع.

و أعلم أنك مسئول عن حركاتك و سكناتك، فاشتغل بما هو أولى في الوقت و إياك و فضول تصرفات الجوارح.

و عليك بطاعة الله و رسوله و من والاه و أد إليه حقه و لا تطالبه بما يجب عليه، و ادع في كل حال.

و عليك بحسن الظن في المسلمين و إصلاح النية لهم، و تسعى بينهم في كل خير، و أن لا تبيت و لأحد في قلبك شر و لا شحناء و لا بغض، و أن تدعو لمن ظلمك، و راقب الله عزَّ و جلَّ.

و عليك بأكل الحلال، و السؤال لأهل العلم بالله فيما لا تعلم، و عليك بالحياء من الله سبحانه و تعالى.

و أجعل صحبتك مع من الله معه و أصحب من سوى الله بصحبته، و تصدق في كل صباح بقرصك و إذا أمسيت فصل صلاة الجنازة على كل من مات من المسلمين في ذلك اليوم و إذا صليت المغرب فصلاة الاستخارة و تقول بكرة و عشياً سبع مرات (اللهمَّ أجرنا من النار) و حافظ على قول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}.الحشر22. إلى آخر سورة الحشر، و الله الموفق و المعين، إذ لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

في الوقوف مع الله و الفناء عن الخلق

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : كن مع الله عزّ وجلّ كأن لا خلق، ومع الخلق كأن لا نفس، فإذا كنت مع الله عزّ وجلّ بلا خلق وجدت، وعن الكل فنيت. وإذا كنت مع الخلق بلا نفس عدلت وبقيت ومن التبعات سلمت، وأترك الكل على باب خلوتك، وأدخل وحدك تر مؤنسك في خلوتك بعين سرّك، وتشاهد ما وراء العيان، وتزول النفس ويأتي مكانها أمر الله وقربه، فإذن جهلك علم، وبعدك قرب، وصمتك ذكر، ووحشتك أنس.

يا هذا : ما ثم إلا خلق وخالق، فإذا اخترت الخالق فقل لهم : {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}.الشعراء77.

ثم قال رضي الله عنه و أرضاه : من ذاق عرف، فقيل له : من غلبت عليه مرارة صفرته كيف يجد حلاوة الذوق؟؟ فقال : يتعمل في الشهوات من قبله بقصد وتكلف.

يا هذا : المؤمن إذا عمل صالحاً انقلبت نفسه قلباً وأدرك مدركات القلب، ثم انقلب قلبه سراً ثم انقلب الفناء فصار وجوداً وبقاء.

ثم قال رضي الله عنه و أرضاه : الأحباب يسعهم كل باب.

يا هذا : الفناء إعدام الخلائق، وانقلاب طبعك عن طبع الملائكة، ثم الفناء عن طبع الملائكة، ثم لحوقك بالمنهاج الأول، وحينئذ يسقيك ربّك ما يسقيك، ويزرع فيك ما يزرع.

إن أردت هذا فعليك بالإسلام ثم الاستسلام، ثم العلم بالله ثم المعرفة ثم الوجود. وإذا كان وجودك له كان كلك له.

الزهد عمل ساعة ، و الورع عمل ساعتين ، و المعرفة عمل الأبد.

في أهل المجاهدة و المحاسبة و أولي العزم
و بيان خصالهم

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لأهل المجاهدة و المحاسبة و أولى العزم عشر خصال جربوها، فإذا أقاموها و أحكموها بإذن الله تعال وصلوا إلى المنازل الشريفة :

(الأولى) أن لا يحلف بالله عزّ و جلّ صادقاً و لا كاذباً عامداً و لا ساهياً، لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه و عود لسانه رفعه ذلك إلى ترك الحلف ساهياً و عامداً، فإذا اعتاد ذلك فتح الله له باب من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه، و رفعه في درجة و قوة في عزمه و في صبره و الثناء عند الإخوان، و الكرامة عند الجيران حتى يهتم به من يعرفه و يهابه من يراه.

(الثانية) يجتنب الكذب لا هازلاً و لا جاداً، لأنه إذا فعل ذلك و أحكمه من نفسه و اعتاده لسانه شرح الله تعالى به صدره و صفا به علمه، كأنه لا يعرف الكذب، و إذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه و عيره به في نفسه، و إن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب.

(الثالثة) أن يحذر أن يعد أحداً شيئاً فيخلفه، و يقطع العدة البتة فإنه أقوى لأمره و أقصد بطريقه، لأن الخلف من الكذب فإذا فعل ذلك فتح له باب السخاء و درجة الحياء و أعطى مودة في الصادقين و رفعة عند الله جل ثناؤه.

(الرابعة) أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق، أو يؤذى ذرة فما فوقها، لأنها من أخلاق الأبرار و الصديقين، و له عاقبة حسنة في حفظ الله تعالى في الدنيا مع ما يدخر له من الدرجات، و يستنقذ من مصارع الهلاك، و يسلمه من الخلق، و يرزقه رحمة العباد، و يقربه منه عزّ و جلّ.

(الخامسة) أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق و إن ظلمه فلا يقطعه بلسانه، و لا يكافئه بقول و لا فعل، فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى. و إذا تأدب بها ينال منزلة شريفة في الدنيا و الآخرة، و المحبة و المودة في قلوب الخلق أجمعين من قريب و بعيد، و إجابة الدعوة و الغلوة في الخلق، و عز في الدنيا في قلوب المؤمنين.

(السادسة) أن لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك و لا كفر و لا نفاق، فإنه أقرب للرحمة، و أعلى في الدرجة و هي تمام السنة، و أبعد عن الدخول في علم الله، و أبعد من مقت الله و أقرب إلى رضاء الله تعالى و رحمته، فإنه باب شريف كريم على الله تعالى يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين.

(السابعة) أن يجتنب النظر إلى المعاصي و يكف عنها جوارحه، فإن ذلك من أسرع الأعمال ثواباً في القلب و الجوارح في عاجل الدنيا، مع ما يدخره الله له من خير الآخرة. نسأل الله أن يمن علينا أجمعين و يعلمنا بهذه الخصال، و أن يخرج شهواتنا عن قلوبنا.

(الثامنة) يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة و لا كبيرة، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما أحتاج إليه و استغنى عنه، فإن ذلك تمام عزة العابدين و شرف المتقين، و به يقوى على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و يكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة، فإذا كان كذلك نقله الله إلى الغناء و اليقين و الثقة به عزّ و جلّ، و لا يرفع أحداً سواه، و تكون الخلق عنده في الحق سواء، و يقطع بأن هذه الأسباب عز المؤمنين و شرف المتقين، و هو أقرب باب الإخلاص.

(التاسعة) ينبغي له أن يقطع طعمه من الآدميين، و لا يطمع نفسه فيما في أديهم، فإنه العز الأكبر، و الغنى الخاص، و الملك العظيم، و الفخر الجليل، و اليقين الصافي، و التوكل الشافي الصريح و هو باب من أبواب الثقة بالله عزّ و جلّ، و هو باب من أبواب الزهد، و به ينال الورع و يكمل نسكه، و هو من علامات المنقطعين إلى الله عزّ و جلّ.

(العاشـرة) التواضـع لأنـه بـه يشـيد محل العابـد و تعلو منزلتـه، و يستكمل العز و الرفعة عند الله سبحانه و عند الخلق، و يقدر على ما يريد من أمر الدنيا و الآخرة و هذه الخصلة أصل الخصال و كلها و فرعها و كمالها، و بها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين من الله تعالى في السراء و الضراء و هي كمال التقوى.

و التواضـع : هو أن لا يلقى العبد أحداً من الناس إلا رأى له الفضل عليه، و يقول عسى أن يكون عند الله خيراً مني و أرفع درجة، فإن كان صغيراً قال هذا لم يعص الله تعالى و أنا قد عصيت فلا شك أنه خير مني، و إن كان كبيراً قال هذا عبد الله قبلي، و إن كان عالماً هذا أعطي ما لم أبلغ، و نال ما لم أنل، و علم ما جهلت، و هو يعمل بعلمه و إن كان جاهلاً قال هذا عصى الله بجهل و أنا عصيته بعلم، و لا أدرى بما يختم لي و بما يختم له، و إن كان كافراً قال لا أدرى عسى أن يسلم فيختم له بخير العمل، و عسى أن أكفر فيختم لي بسوء العمل، و هذا باب الشفقة و الوجل، و أولى ما يصحب و آخر ما يبقى على العباد، فإذا كان العبد كذلك سلمه الله تعالى من الغوائل، و بلغ به منازل النصيحة لله عزّ و جلّ و كان من أصفياء الرحمن و أحبائه، و كان من أعداء إبليس عدو الله لعنه الله و هو باب الرحمة ومع ذلك يكون قطع باب الكبر و جبال العجب، و رفض درجة العلو في نفسه في الدين و الدنيا و الآخرة، و هو مخ العبادة، و غاية شرف الزاهدين، و سيما الناسكين، فلا شئ منه فضل، و مع ذلك يقطع لسانه عن ذكر العالمين و ما لا يعنى، فلا يتم له عمل إلا به، و يخرج الغل و الكبر و البغي من قلبه في جميع أحواله، و كان لسانه في السر و العلانية واحداً، و مشيئته في السر و العلانية واحدة، و كلامه كذلك، و الخلق عنده في النصيحة واحد، و لا يكون من الناصحين، و هو يذكر أحداً من خلق الله بسوء أو يعيره بفعل، أو يحب أن يذكره عنده واحدا بسوء. و هذه آفة العابدين، و عطب النسـاك، و هـلاك الزاهـدين إلا مـن أعانـه الله تعـالى و حفـظ لسـانه و قلبـه برحمتـه و فضـله و إحسانه.

يا غلام .. إنما يقود الناسَ البصير

يا غلام .. عظ نفسك أولاً ثم عظ نفس غيرك ، عليك بخويصة نفسك ، لا تتعدّ إلى غيرك وقد بقيَ عندك بقية تحتاج إلى إصلاحها .

ويحك .. أنت تعرف كيف تخلص غيرك ؟! . أنت أعمى .. كيف تقود غيرك ؟! ، إنما يقود الناسَ البصيرُ ، إنما يخلصهم من البحر السابحُ المحمود ، إنما يرُدُّ الناسَ إلى الله عزَّ وجلَّ من عرفه ، أما من جهله كيف يدل عليه ؟! ..

إذا كان التوحيد بباب الدار والشرك داخل الدار فهو النفاق بعينه ، ويحك .. أنت لسانك يتقي وقلبك يفجر ، لسانك يشكر وقلبك يعترض !! .

✧ ✧ ✧

المؤمن مجاهد لا ينغمد سيفه

يا غلام .. عليك بالتقوى .. عليك بحدود الشرع ، والمخالفة للنفس ، والهوى ، والشيطان ، وأقران السوء .. المؤمن في جهاد هؤلاء لا ينكشف رأسه عن الخود ، لا ينغمد سيفه ، لا يعرو ظهر فرسه عن قربوس سرجه .

✧ ✧ ✧

عليك بورع الخلوة ومراقبة الحق

يا غلام .. تحتاج في خلوتك إلى ورعٍ يخرجك عن المعاصي والزلات ، ومراقبةٍ تذكِّرك نظرَ الحق عزَّ وجلَّ إليك . أنت محتاج مضطر إلى أن يكون هذا معك في خلوتك ، ثم تحتاج إلى محاربة النفس والهوى والشيطان ، خراب معظم الناس مع الزلات ، وخراب الزهاد مع الشهوات .

✧ ✧ ✧

التوبة قلب دولة

يا غلام .. لا تكن مع النفس ، ولا مع الهوى ، ولا مع الدنيا .. حينئذ تجيئك الهداية من الحق عزَّ وجلَّ التي لا ضلال بعدها . تُب عن ذنوبك وهرول عنها إلى مولاك عزَّ وجلَّ إذا تبت فَلْيتبْ ظاهرك وباطنك .. التوبة قلب دولة ، اخلع ثياب المعاصي بالتوبة الخالصة والحياء من الله عزَّ وجلَّ حقيقة لا مجازاً ، وهذا من أعمال القلوب بعد طهارة الجوارح بأعمال الشرع ؛ القالب له عمل والقلب له عمل .

✧ ✧ ✧

استقبلِ الداءَ بالصبر والشفاءَ بالشكر

يا غلام .. إذا جاءك الداء فاستقبله بيد الصبر واسكن حتى يجيء الدواء ، فإذا جاء الدواء فاستقبله بيد الشكر .

✧ ✧ ✧

لا تجعل العاجلة أكبر همك

يا غلام .. لا يكن همك ما تأكل وما تشرب ، وما تلبس ، وما تنكح ، وما تسكن ، وما تجمع ، كل هذا همُّ النفس والطبع .. فليكن همّك ربك عزَّ وجلَّ وما عنده .

✧ ✧ ✧

ما خلقت للبقاء .. فاعمل صواباً خالصاً

يا غلام .. ما خُلقت للبقاء في الدنيا والتمتع فيها ، فغيِّر ما أنت فيه من مكاره الحق عزَّ وجلّ .. الإيمان قول وعمل .. إذا قلت : (لا إله إلاّ الله) فقد ادعيت . يقال : أيها القائل ألك بيِّنة ؟ ما البيِّنة ؟ ؛ امتثال الأمر ، والانتهاء عن النهي ، والصبر على الآفات ، والتسليم إلى القدر ، هذه بينة هذه الدعوى .

وإذا عملت هذه الأعمال ما تُقبل منك إلاّ بالإخلاص للحق عزَّ وجلَّ ، ولا يُقبل قول بلا عمل ، ولا عمل بلا إخلاص وإصابة السنة .

واسوا الفقراء واشكروا ربكم

واسوا الفقراء بشيء من أموالكم ، لا تردوا سائلاً وأنتم تقدرون أن تعطوه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً ، وافقوا الحق عزَّ وجلَّ في حبه العطاء ، واشكروه كيف أهّلكم وأقدركم على العطاء .

ويحك .. إذا كان السائل هدية الله عزَّ وجلَّ وأنت قادر على إعطائه ، فكيف ترد الهدية على مهديها ؟ . عندي تستمع وتبكي ، وإذا جاء الفقير يقسو قلبك ، فدلّ على أن بكاءك وسماعك ما كان خالصاً لله عزَّ وجلّ ..

✧ ✧ ✧

زهد الظاهر ، وزهد القلب

يا غلام .. ليس الشأن في خشونة ثيابك ومأكولك ، الشأنُ في زهد قلب .

✧ ✧ ✧

لا تأخذ الرزق بيد الرغبة!

يا غلام .. تناول الأقسام بيد الزهد لا بيد الرغبة ، ليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويضحك ، كُلِ الأقسامَ وقلبُك مع الحق عزَّ وجلَّ ، فإنك تسلم من شرها ، إذا أكلت من يد الطبيب كان خيراً من أن تأكل وحدك ما لا تعلم أصله .

✧ ✧ ✧

ما أقسى قلوبَكم ، ضيَّعتمُ الأمانة!

ما أقسى قلوبكم! .. الأمانة قد ذهبت من بينكم ، الرحمة قد ذهبت فيما بينكم ، أحكام الشرع أمانة عندكم وقد تركتموها وخنتم فيها! .

✧ ✧ ✧

قابلوا العسر بالصبر واليسر بالشكر

احفظوا نعمه – عزَّ وجلَّ – بالشكر ، قابلوا أمره ونهيه بالسمع والطاعة ، قابلوا العسر بالصبر واليسر بالشكر ، هكذا كان من تقدمكم من النبيين والمرسلين والصالحين ؛ يشكرون على النعم ويصبرون على النقم .. قوموا من موائد معاصيه ، وكلوا من موائد طاعته ، واحفظوا حدوده . إذا جاءكم اليسر فاشكروه ، وإذا جاءكم العسر فتوبوا من ذنوبكم وناقشوا أنفسكم ، فإن الحق عزَّ وجلَّ ليس بظلام للعبيد .

✧ ✧ ✧

تنبهوا ، إلى متى هذا النوم ؟

اذكروا الموت وما وراءه ، واذكروا الرب عزَّ وجلَّ وحسابه ونظرته إليكم .

تنبهوا .. إلى متى هذا النوم ؟ . إلى متى هذا الجهل والتردد في الباطل ، والقيام مع النفس والهوى والعادة؟. لِمَ لَمْ تتأدبوا بعبادة الحق عزَّ وجلَّ ومتابعة شرعه ؟.

العبادة ترك العادة ، لِمَ لَمْ تتأدبوا بآداب القرآن وكلام النبوة ؟! .

✧ ✧ ✧

خالط الناس بالبصيرة

يا غلام .. لا تخالط الناس مع العمى ، مع الجهل ، مع الغفلة والنوم ، خالطهم بالبصيرة ، والعلم ، واليقظة ، فإذا رأيت منهم ما تحمده فاتبعه ، وإذا رأيت منهم ما يسؤوك فاجتنبه ، وردهم عنه .

✧ ✧ ✧

ويحك .. كم تتأوّل وتترخّص ؟!

ويحك! .. كم تتأول وتترخص ؟! ، المتأول غادر ، ليتنا إذا ركبنا العزيمة وتعلّقنا بالإجماع وأخلصنا في أعمالنا تخلصنا من الحق عزَّ وجلَّ! ، فكيف إذا تأولنا وترخصنا ؟ العزيمة ذهبت وذهب أهلها .

هذا زمان الرخص لا زمان العزائم! ، هذا زمان الرياء والنفاق وأخذ الأموال بغير حق ، قد كثر من يصلي ويصوم ويحج ويزكي ، ويفعل أفعال الخير للخلق لا للخالق !!

كلكم موتى القلوب .. أحياء النفوس والأهوية ، طالبون للدنيا حياة القلب بامتثال أمر الحق عزَّ وجلَّ والانتهاء عن نهيه .

✧ ✧ ✧

كن مسلماً في الخلوة والجلوة

ويحك! .. لسانك مسلم أما قلبك فلا ، قولك مسلم أما فعلك فلا ، فَلأنْتَ في جلوتك مسلم ، أما في خلوتك فلا .

أما تعلم أنك إذا صليت وصمت وفعلت جميع أفعال الخير ، إن لم ترد بهذه الأعمال وجه الله عزَّ وجلَّ فأنت منافق بعيد من الله عزَّ وجلَّ ؟!

تُب الآن إلى الله عزَّ وجلَّ من جميع أفعالك وأقوالك ومقاصدك الدنية .

✧ ✧ ✧

العلم لا ينفعك بلا عمل

يا قوم .. هذا العلم لا ينفعكم بلا عمل ، تحتاجون أن تعملوا بهذا السواد على البياض ، وهو حكم الله عزَّ وجلَّ ؛ تعملون به يوماً بعد يوم وسنةً بعد سنة حتى تقع في أيديكم ثمرتُه.

علمك حجة لك أو عليك

يا غلام .. علمك يناديك : أنا حجة عليك إن لم تعمل بي ، وحجة لك إن عملت بي .

✧ ✧ ✧

علمك يناديك فاسمعه بقلبك

علمك يناديك ولكنك لا تسمعه لأنه لا قلب لك ، اسمعه بأذن قلبك ، واقبل قوله فإنك تنتفع به ، العلم بالعمل يقربك إلى العالِم المنزِّل للعلم .

✧ ✧ ✧

زكاة العلم

زكاة العلم نشره ودعوة الخلق إلى الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

لا تأكل بدينك وواس غيرك بمالك

كل بكسبك ولا تأكل بدينك ، اكتسب ، وكُل ، وواسِ منه غيرك .

✧ ✧ ✧

يا عابد الخلق والأسباب!

يا عابد الخلق والأسباب ناسياً للحق عزَّ وجلّ .. أسلم ثم تب ثم تعلَّم واعمل وأخلص ، وإلا فلا تُهدى .

✧ ✧ ✧

لست عدوي .. ولا أحابيك

ويحك! .. ما بيني وبينك عداوة ، غير أني أقول الحق ولا أحابيك في دين الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

دع عنك الكلام فيما لا ينفعك

يا مسكين ، دع عنك الكلام فيما لا ينفعك ، اترك التعصب في المذهب ، واشتغل بشيء ينفعك في الدنيا والآخرة .. فرِّغ قلبك من هموم الدنيا فإنك مأخوذ منها عن قريب .. قصِّر أملك وقد جاءك الزهد في الدنيا ، لأن الزهد كله قصر الأمل .

✧ ✧ ✧

اهجر قريباً طالحاً وصِل بعيداً صالحاً

اهجر أقران السوء ، واقطع المودة بينك وبينهم ، وواصلها بينك وبين الصالحين ، اهجر القريب منك إذا كان من أقران السوء ، وواصل البعيد منك إذا كان من أقران الخير . كل من واددته صار بينك وبينه قرابة ، فانظر لمن توادد .

✧ ✧ ✧

احذر بحر الدنيا فإنه عميق!

يا غلام .. احذر من بحر الدنيا فقد غرق فيه خلق كثير ، ما ينجو منه إلا آحاد الخلق ، هو بحر عميق يُغرق الكل ، غير أن الله عزَّ وجلَّ ينجي منه من يشاء من عباده .

✧ ✧ ✧

أيها المدبر .. عن قريب أنت مأخوذ!

يا مدبر! .. أراك تُرضي الخلق وتسخط الخالق ، تخرب آخرتك بعمارة دنياك ، عن قريب أنت مأخوذ ، يأخذك الذي أَخْذُه أليمٌ شديد ، أخْذُهُ ألوان كثيرة ؛ يأخذك بالعزل عن ولايتك ، يأخذك بالمرض والذل والفقر ، يأخذك بتسليط الشدائد والغموم والهموم ، يأخذك بتسليط ألسنة الخلق وأيديهم عليك ، تنبه يا نائم .

✧ ✧ ✧

لا تأخذ الدنيا كحاطب ليل!

يا غلام .. لا تكن في أخذك الدنيا كحاطب ليل ما يدري ما يقع في يده .. إني أراك في تصرفاتك كحاطب ليل في ليلة ظلماء لا قمر فيها ولا ضوء معه ، وهو في رملة كثيرة الدغل والحشرات القاتلة فيوشك أن يقتله شيء منها ، عليك بالاحتطاب نهاراً فإن ضوء الشمس يمنعك أن تأخذ ما يضرك .

كن في تصرفاتك مع شمس التوحيد والشرع والتقوى ، فإن هذه الشمس تمنعك من الوقوع في شبكة الهوى والنفس والشيطان والشرك بالخلق ، وتمنعك عن العجلة في السير .

من استعجل أخطأ أو كاد

ويحك .. لا تعجل ، فإن من استعجل أخطأ أو كاد ، ومن تأنى أصاب أو كاد ؛ أي : قاربَ أن يصيب . العجلة من الشيطان ، والتؤدة من الرحمن ، أكثر ما يحملك على العجلة الحرص على الدنيا ، اقنع فإن القناعة كنز لا ينفد .

✧ ✧ ✧

اغتنموا الأبواب المفتوحة

يا قوم .. انتهزوا واغتنموا باب الحياة ما دام مفتوحاً ، عن قريب يغلق عنكم . اغتنموا أفعال الخير ما دمتم قادرين عليها . اغتنموا باب التوبة وادخلوا فيه ما دام مفتوحاً لكم . اغتنموا باب الدعاء فهو مفتوح لكم . اغتنموا باب مزاحمة إخوانكم الصالحين فهو مفتوح لكم .

✧ ✧ ✧

يا قوم .. ارجعوا من إباقكم!

يا قوم .. ابنوا ما نقضتم ، اغسلوا ما نجستم ، أصلحوا ما أفسدتم ، صَفُّوا ما كدَّرتم ، ردوا ما أخذتم ، ارجعوا إلى مولاكم من إباقكم وهربكم! .

✧ ✧ ✧

الكسلان محروم

يا غلام .. لا تكسل فإن الكسلان يكون أبداً محروماً ، والندامة في ريقه .. جَوِّدْ أعمالك .. وقد جاد الحق عزَّ وجلَّ عليك بالدنيا والآخرة .

✧ ✧ ✧

ما أحسن عشرة الخلق بآداب الشرع

حُسْنُ العِشْرةِ مع الخلق والموافقة لهم مع حدود الشرع ورضاه حسنٌ مبارك .. وأما إذا كان ذلك مع خرق حد من حدوده وعدم رضاه فلا ولا كرامة لهم . لا تَدْعُ بلسانك وقلبُك معترض!

يا غلام .. انصب شبكة الدعاء .. وارجع إلى الرضى .. لا تَدْعُ بلسانك وقلبك معترض ..

✧ ✧ ✧

ذكر البذر وقت الحصاد لا ينفع

يوم القيامة يتذكر الإنسان ما فعل من خير وشر .. فالندامة هناك لا تنفع .. ذكر الحرث والبذر وقت حصاد الناس لا ينفع .. إذا جاءك الموت انتبهت وقت لا ينفعك الانتباه .

✧ ✧ ✧

من مفاسد صحبة الأشرار

يا غلام .. صحبتك للأشرار توقعك في سوء الظن بالأخيار .. امش تحت ظل كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة رسوله ρ وقد أفلحت .

✧ ✧ ✧

لا تغفلوا .. زمانكم يضيع!

يا قوم .. استحيوا من الله عزَّ وجلَّ حق الحياء ، لا تغفلوا . زمانُكم يضيع ؛ قد اشتغلتم بجمع ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وتبنون ما لا تسكنون ، كل هذا يحجبكم عن مقام ربكم عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

من شرائط حُبّ الله

ويحك .. قد ادعيت محبة الله عزَّ وجلَّ! ، أما علمت أن لها شرائط ؟ من شرائط محبته موافقته فيك وفي غيرك ، ومن شرائطها ألا تسكن إلى غيره ، وأن تستأنس به ، ولا تستوحش معه.

إذا سكن حب الله قلب عبد أنس به وأبغض كل ما يشغل عنه .

تب من دعواك الكاذبة ، هذا شيء لا يجيء بالتخلي والتمني والكذب والنفاق والتصنع .. تب واثبت على توبتك ، فليس الشأن في توبتك ، الشأن في ثبوتك عليها .. ليس الشأن في غرسك ، الشأن في ثبوته وتغصينه وثمرته .

✧ ✧ ✧

الزموا الحق في جميع أحوالكم

الزموا موافقة الحق عزَّ وجلَّ في البأساء والضراء .. والفقر والغنى .. والشدة والرخاء .. في السقم والعافية .. في العطاء والمنع .

✧ ✧ ✧

تمام العبودية

يا غلام .. أنت عبد آبق من مولاك .. ارجع إليه وذلّ له ، وتواضع لأمره بالامتثال ، ولنهيه بالانتهاء ، ولقضائه بالصبر والموافقة .

إذا تمّ لك هذا تمت عبوديتك لسيدك وجاءتك منه الكفاية ، قال الله عزَّ وجلَّ : { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ .. } [القصص : 36] .

إذا صحت عبوديتك له أحبك ، وقوّى حُبَّه في قلبك وآنسك به وقرَّبك منه .. فتكون راضياً عنه في جميع أحوالك .

✧ ✧ ✧

ذهاب دينكم بأربعة أشياء

لا تكونوا من الذين إذا وُعِظوا لم يتعظوا ، وإذا سمعوا لم يعملوا . ذهاب دينكم بأربعة أشياء :

الأول : أنكم لا تعملون بما تعلمون .

الثاني : أنكم تعملون بما لا تعلمون .

الثالث : أنكم لا تتعلمون ما لا تعلمون .. فتبقون جهالاً .

الرابع : أنكم تمنعون الناس من تعلُّم ما لا يعلمون .

✧ ✧ ✧

مجالس الذكر للمداواة يا غافل

يا قوم .. إذا حضرتم مجالس الذكر تحضرونها للفرجة لا للمداواة! .. تعرضون عن وعظ الواعظ وتحفظون عليه الخطأ والزلل .. وتستهزئون وتضحكون وتلعبون! .. توبوا من هذا ، لا تتشبهوا بأعداء الله عزَّ وجلَّ وانتفعوا بما تسمعون.

✧ ✧ ✧

يا عجباً .. كأنكم لا تموتون!

قد غفلتم كأنكم لا تموتون! .. وكأنكم يوم القيامة لا تحشرون! .. وبين يدي الحق لا تحاسبون! .. وعلى الصراط لا تجوزون! .. هذه صفاتكم وأنتم تدعون الإسلام والإيمان! .. هذا القرآن والعلم حجة عليكم إذا لم تعملوا بهما .

✧ ✧ ✧

أعقل الناس ، وأجهل الناس

يا غلام .. تَنبه قبل أن تُنبه .. تدَّينْ وخالط أهل الدين فإنهم هم الناس .. أعقل الناس من أطاع الله عزَّ وجلّ .. وأجهل الناس من عصاه .

✧ ✧ ✧

تربت يداك!

قال النبي ρ : « .. تَرِبَتْ يَدَاكَ » رواه البخاري ، يعني : افتقرت . وأترب : إذا استغنى . إذا خالطت أهل الدين وأحببتهم استغنت يداك .. وقلبك يهرب من النفاق وأهله .. المنافق المرائي لا عمل له ، اعمل وأخلص ولا تنظر إلى عملك في الجملة ، لا يقبل –سبحانه وتعالى– منك إلا ما أردت به وجهه لا وجه الخلق.

✧ ✧ ✧

قلِّلْ فرحك وكثِّرْ حزنك

ويحك! .. تعمل للخلق وتريد أن يقبله الحق عزَّ وجلَّ! هذا هوسٌ منك .. دع عنك الشره والبطر والفرح .. قلل فرحك وكثر حزنك فإنك في دار الحزن .. في دار السجن .

✧ ✧ ✧

إذا صحت خلوتك .. صفا قلبك

يا غلام .. إذا صحت خلوتك مع الله عزَّ وجلَّ .. صفا قلبك . يصير نظرك عبراً ، وقلبك فكراً .. التفكر في الدنيا عقوبة وحجاب .. والتفكر في الآخرة علم وحياة للقلب .. ما أعطي عبد التفكر إلا أعطي العلم بأحوال الدنيا والآخرة .

✧ ✧ ✧

ويحك .. رزقك مقسوم!

ويحك! .. تضيع قلبك في الدنيا وقد فرغ عزَّ وجلَّ من أقسامك منها .. حرصك يفضحك عند الله عزَّ وجلَّ وعند الخلق .

✧ ✧ ✧

صحبة الأحمق صحبة غبن

يا غلام .. تصحب الجهال فيتعدى إليك من جهلهم ، صحبة الأحمق صحبة غبن ، اصحب المؤمنين الموقنين العالمين العاملين بعلمهم .. ما أحسن أحوال المؤمنين في جميع تصرفاتهم .. ما أقواهم على مجاهداتهم وقهرهم لنفوسهم وأهويتهم! .

✧ ✧ ✧

اقبل نصح أخيك

اقبل نصح أخيك المؤمن ولا تخالفه . فإنه يرى لك ما لا ترى أنت لنفسك .

المؤمن الصادق في نصحه لأخيه المؤمن يبين له أشياء تخفى عليه .. تُفرّق له بين الحسنات والسيئات .. يعرِّفه ما له وما عليه .

✧ ✧ ✧

سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق

سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق وجعله أكبر همي .. إني ناصح ولا أريد على ذلك جزاء .. ما أنا طالب دنيا .. فرحي بفلاحكم ، وغمي لهلاككم .

✧ ✧ ✧

يا قوم اعرفوا قدركم

يا قوم .. دعوا التكبر .. اعرفوا قدركم وتواضعوا في نفوسكم ؛ أوّلكم نطفة من ماء مهين .. وآخركم جيفة ملقاة !! .

لا تكونوا ممن يقوده الطمع ، ويصيده الهوى ويحمله إلى أبواب السلاطين في طلب شيء منهم لم يُقسم له ، ويطلب منهم ما قد قسم له بالذل والمهانة !! .

✧ ✧ ✧

يا جاهلاً بالقدر والمقدِّر

ويحك .. يا جاهلاً بالقدر والمقدر! . أتظن أن أبناء الدنيا يقدرون أن يعطوك ما لم يُقسم لك ؟! . ولكن هذه وسوسة الشيطان الذي قد تمكن من قلبك ورأسك . لست عبد الله عزَّ وجلَّ وإنما أنت عبد نفسك وهواك وشيطانك وطبعك ودرهمك ودينارك .

اجهد حتى ترى مفلحاً

اجهد حتى ترى مُفلحاً .. حتى تفلح بطريقه .. أنت ترى المفلح بعيني رأسك لا بعيني قلبك .. فلا جرم لا يكون لك بصيرة تبصر بها غيرك. قال الله تعالى : { ... فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج : 46]

✧ ✧ ✧

بائع الدين بالتين!

الطامع في أخذ الدنيا من أيدي الخلق يبيع الدين بالتين ، يبيع ما يبقى بما يفنى ، فلا جرم لا يقع بيده لا هذا ولا هذا .

✧ ✧ ✧

أصلح معيشتك .. ولا تبذل للناس دينك

ما دمت ناقص الإيمان فدونك وإصلاح معيشتك .. حتى لا تحتاج إلى الناس فتبذل لهم دينك وتأكل أموالهم به .

✧ ✧ ✧

الزم باب ربك واسأله اليقين

يا غلام .. إن قدرت أن تتفرغ من هموم الدنيا فافعل .. وإلا فهرول بقلبك إلى الحق عزَّ وجلّ .. الزم بابه وسله أن يطهر قلبك ويملأه بالإيمان .. والغنى به .

سله أن يعطيك اليقين ويؤنس قلبك به ، ويشغل جوارحك بطاعته ..

اطلب الكل منه لا من غيره .. لا تذل لمخلوق مثلك.

✧ ✧ ✧

فقه اللسان .. وغفلة القلب!

يا غلام .. فقه اللسان بلا عمل القلب لا يخطيك إلى الحق خطوة .. السير سير القلب .. العمل عمل المعاني مع حفظ حدود الشرع بالجوارح .

لا تفرط في إحكام الأساس!

قد سبق تفريطك في إحكامك للأساس .. ما ينفعك إحكامك للبناء الذي فوقه ؟! .

إذا تغير البناء والأساس محكم قدرت أن تجبر البناء .. أساس الأعمال التوحيد والإخلاص .. فمن لا توحيد له ولا إخلاص له لا عمل له .. أحكم أساس عملك بالتوحيد والإخلاص .. يد التوحيد هي البانية لا يد الشرك والنفاق .

✧ ✧ ✧

اصبروا .. فالدنيا آفات ومصائب

يا قوم .. اصبروا فإن الدنيا كلها آفات ومصائب .. والنادر منها غير ذلك .. ما من نعمة إلا وفي جنبها نقمة ، ما من فرحة إلا ومعها ترحة ، ما من سعة إلا ومعها ضيق .. أعطوا الدنيا حياتكم وتناولوا أقسامكم منها بيد الشرع .. فإنه هو الدواء في ما يؤخذ من الدنيا .

✧ ✧ ✧

أنكر على نفسك لتنكر على غيرك

إذا كنت منكراً على نفسك قدرت على الإنكار على غيرك .

✧ ✧ ✧

أثر الإيمان في إزالة المنكر

على قدر قوة إيمانك تزيل المنكرات .. وعلى قدر ضعفه تقعد في بيتك وتتخارس عن إزالتها .

✧ ✧ ✧

أقدام الإيمان عند اللقاء تثبت

أقدام الإيمان هي التي تثبت عند لقاء شياطين الإنس والجن .. هي التي تثبت عند نزول البلايا والآفات .

✧ ✧ ✧

ثوب المرائي نظيف وقلبه نجس

المرائي .. ثوبه نظيف ، وقلبه نجس ، يزهد في المباحات ويكسل عن الاكتساب ، ويأكل بدينه .. يخفى أمره على العوام ولا يخفى على الخواص ، كل زهده وطاعته على ظاهره ، ظاهره عامر وباطنه خراب .

✧ ✧ ✧

اخلع ثياب توانيك!

اخلع ثياب توانيك في حقوق الله عزَّ وجلَّ ، اخلع ثياب وقوفك مع الخلق وشركك بهم ، اخلع ثياب الشهوات والرعونات والعجب والنفاق ، وحبك للقبول عند الخلق ، وإقبالهم عليك ، وعطاياهم لك ، اخلع ثياب الدنيا والبس ثياب الآخرة .

✧ ✧ ✧

الطريق إلى الصلاح والنجاح

من أفنى الخلق بيد توحيده ، وأفنى الدنيا بيد زهده .. فقد استكمل الصلاح والنجاح ، وحَظِيَ بخير الدنيا والآخرة .

✧ ✧ ✧

المؤمن صابر

المؤمن يثبت عنده أن الله عزَّ وجلَّ ما يبتليه بشيء إلا لمصلحة تعقب ذلك .. إما دنيا أو آخرة .. فهو راضٍ بالبلاء صابرٌ عليه غير متهم ربه عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

كن مع الله ودع خدمة السلاطين

يا غلام .. اخدم الحق عزَّ وجلَّ ولا تشتغل عنه بخدمة هؤلاء السلاطين الذين لا يضرون ولا ينفعون . أيش يعطونك ؟! ، أيعطونك ما لم يقسم لك ؟ أو يقسمون لك شيئاً لم يقسمه الحق عزَّ وجلّ ؟! ..

أما تعلم أنه لا معطي ولا مانع ، ولا ضار ولا نافع ، ولا مقدم ولا مؤخر ، إلا الله عزَّ وجلّ ؟! .

فإن قلتَ : إني أعلم ذلك . قلت لك : كيف تعلم هذا وتقدم غيره عليه ؟! .

✧ ✧ ✧

ويحك .. كيف تفسد عملك ؟!

ويحك! .. كيف تفسد آخرتك بدنياك ؟! كيف تفسد طاعة مولاك عزَّ وجلَّ بطاعة نفسك وهواك وشيطانك والخلق ؟! كيف تفسد تقواك بشكواك إلى غيره ؟!

أما تعلم أن الله عزَّ وجلَّ حافظٌ للمتقين ، وناصرٌ لهم ، ورادٌّ عنهم ، ومعلم لهم .. وآخذ بأيديهم وينجيهم من المكاره ، وناظرٌ إلى قلوبهم ، ورازقهم من حيث لا يحتسبون ؟! .

✧ ✧ ✧

عبادة التقي وعبادة المنافق

التقي لا يتكلَّف عبادة الحق عزَّ وجلَّ لأنها صارت طبعه ، فهو يعبد الله بظاهره وباطنه من غير تكلف منه .

وأما المنافق فهو في كل أحواله يتكلف ، ولا سيما في عبادة الحق عزَّ وجلَّ ، يتكلفها ظاهراً ويتركها باطناً ، لا يقدر أن يدخل مدخل المتقين ؛ لكل مكان مقال ، ولكل علم رجال ، للحرب رجال خُلقتْ .

✧ ✧ ✧

توبوا من نفاقكم!

يا منافقون .. توبوا من نفاقكم وارجعوا من إباقكم .. كيف تتركون الشيطان يضحك عليكم ؟ ويشتفي بكم ؟. إن صليتم وإن صمتم فعلتم ذلك للخلق لا للحق عزَّ وجلَّ ، وهكذا إن تصدقتم وزكيتم وحججتم ، أنتم (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) [الغاشية : 3] عن قريب تَصْلَون (.. نَارًا حَامِيَةً) [الغاشية : 4] إن لم تتداركوا وتتوبوا وتعذروا .

✧ ✧ ✧

يسعكم ما وسع سلفكم

عليكم بالاتباع من غير ابتداع ، عليكم بمذهب السلف الصالح ، امشوا في الجادة المستقيمة .. لا تشبيه ولا تعطيل .. بل اتباعاً لسنة رسول الله ρ .. من غير تكلف ولا تنطع ولا تشدد ، ولا تمشدق ولا تمعقل .. يسعكم ما وسع من كان قبلكم .

✧ ✧ ✧

لأي شيء تفعل ذلك ؟

ويحك .. تحفظ القرآن ولا تعمل به ، وتحفظ سنة رسول الله ولا تعمل بها .. فلأي شيء تفعل ذلك ؟! تأمر الناس وأنت لا تفعل ، وتنهاهم وأنت لا تنتهي! ، قال الله عزَّ وجلَّ : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) [الصف : 3].

✧ ✧ ✧

الإيمان هو المقاوم للآفات

الإيمان هو المقاوم للآفات ، هو الصابر تحت ثقلنا ، هو المصارع ، هو المقاتل .

✧ ✧ ✧

باب الخالق .. وباب الخلق!

من فاته باب الحق عزَّ وجلَّ قعد على أبواب الخلق ، من ضيع طريق الحق عزَّ وجلَّ وضل عنها قعد على طريق الخلق! .

✧ ✧ ✧

كن مع الله تكن غنياً

كن مع الله عزَّ وجلَّ تكن غنياً عزيزاً أميراً مؤمَّراً دليلاً .. من استغنى بالله عزَّ وجلَّ احتاج إليه كل شيء .. وهذا شيء لا يجيء بالتحلي والتمني ، ولكن بشيء في الصدر وصدَّقه العمل .

✧ ✧ ✧

ليكن الخرس دأبك

يا غلام .. ليكن الخرسُ دأبَك والخمول لباسك ، والهرب من الخلق كلّ مقصودك .. إلى أن يترعرع إيمانك ، ويقوى قدم إيقانك ، ويتريش جناح صدقك ، وتنفتح عينا قلبك .. فحينئذ أطلق

لسانك في الكلام ، واخلع لباس الخمول ، واترك الهرب من الخلق .. فإنك دواء لهم غير مستضر في نفسك .. لا تبالي بقلتهم وكثرتهم ، وإقبالهم وإدبارهم ، وحمدهم وذمهم .

تأدبوا مع ربكم

يا قوم .. اعرفوا الخالق .. وتأدبوا بين يديه .. ما دامت قلوبكم بعيدة عنه فأنتم سيئو الأدب .. وإذا قربت حَسُنَ أدبُها .

✧ ✧ ✧

الظاهر عنوان الباطن!

كل إناء ينضح بما فيه ، أعمالك دلائل على اعتقادك ، ظاهرك دليل على باطنك ، ولهذا قال بعضهم : الظاهر عنوان الباطن .

✧ ✧ ✧

تواضعْ .. تُرفعْ

إذا تواضعت للصالحين فقد تواضعت لله عزَّ وجلَّ ، تواضع .. فإن من تواضع رفعه الله عزَّ وجلَّ ، أحسن الأدب بين يدي من هو أكبر منك .

✧ ✧ ✧

لا تضيع عمرك بحفظ العلم

يا غلام .. قد ضيعت العمر في كتب العلم وحفظه من غير عمل! .

✧ ✧ ✧

سعة الصدر وطيب القلب

يا غلام .. إن أردت سعة الصدر وطيب القلب فلا تسمع ما يقول الخلق ، ولا تلتفت إلى حديثهم ، أما تعلم أنهم ما يرضون عن خالقهم فكيف يرضون عنك ؟ أما تعلم أن كثيراً منهم لا يعقلون ولا يبصرون ولا يؤمنون ؟ بل يكذبون ولا يصدقون .

✧ ✧ ✧

اعرف ربك ولا تكن جاهلا !

يا قوم .. اعرفوا الله ولا تجهلوه ، وأطيعوا الله ولا تعصوه ، ووافقوه ولا تخالفوه ، وارضوا بقضائه ولا تنازعوه ، واعرفوا الحق عزَّ وجلَّ بصنعته ؛ هو الخالق الرزاق ، الأول والآخر ، والظاهر والباطن .. الفعال لما يريد .

{ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء : 23].

✧ ✧ ✧

لا تنسَ العهد

يا غلام .. اعمل بحكمه وعلمه –عزَّ وجلَّ– ولا تخرج عن الخطة ، لا تنسَ العهد ، جاهد نفسك وهواك وشيطانك وطبعك ودنياك ، ولا تيأس من نصرة الله عزَّ وجلّ .. فإنها تأتيك مع ثباتك ، قال الله عزَّ وجلَّ : { ... إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة : 153] . وقال : { ... فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } [المائدة : 56] . وقال : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [العنكبوت : 69]

✧ ✧ ✧

يا قوم .. انصحوا القرآن

يا قوم .. انصحوا القرآن بالعمل به لا بالمجادلة فيه .. الاعتقاد كلمات يسيرة والأعمال كثيرة .. عليكم بالإيمان به .. صدقوا بقلوبكم ، واعملوا بجوارحكم .. اشتغلوا بما ينفعكم .. لا تلتفتوا إلى عقول ناقصة دنية .

✧ ✧ ✧

لا يُترك النص بالقياس

يا قوم .. المنقول لا يُستنتج بالعقل .. والنص لا يُترك بالقياس . لا تترك البينة وتقف مع مجرد الدعوى .

لسانٌ عليم وقلبٌ جاهل!

لا ينفع لسان عليم وقلب جاهل .. يا علماء يا جهال ، يا حاضرون يا غائبون .. استحيوا من الله عزَّ وجلَّ ، وانظروا بقلوبكم إليه ، ذلوا له .. واصلوا الضياء بالظلام في طاعته .

✧ ✧ ✧

وأداوي عبد الدنيا

ما أحب النظر إلا لطالبي الآخرة وطالبي الحق عزَّ وجلّ .. وأما طالب الدنيا والخلق والنفس إيش أعمل به ؟. غير أني أحب مداواته لأنه مريض .. لا يصبر على المريض إلا الطبيب .

✧ ✧ ✧

لا يعرف الإخلاص إلا المرائي!

الغالب من المخلصين كانوا منافقين ، ولهذا قال بعضهم رحمة الله عليه : « لا يعرف الإخلاص إلا المرائي » . النادر من كل نادر من يخلص من أول أمره إلى آخره .. الصبيان في أوّل أمرهم يكذبون ويلعبون بالتراب والنجاسات ، ويوقعون أنفسهم في المهالك ، ويسرقون من آبائهم وأمهاتهم ، ويمشون بالنميمة ، وكلما دبّ العقل فيهم تركوا شيئاً فشيئاً وتأدبوا بالآباء والأمهات والمعلمين .

✧ ✧ ✧

متى ينفع الدواء ؟

الله عزَّ وجلَّ خلق الدواء والداء ؛ المعاصي داء والطاعة دواء .. الظلم داء والعدل دواء .. والخطأ داء والصواب دواء .. ومخالفة الحق عزَّ وجلَّ داء والتوبة من سُكر الذنوب دواء .. إنما يتم لك الدواء إذا فارقت الخلق بقلبك ووصلته بربك عزَّ وجلَّ .

✧ ✧ ✧

لا تغتر بحلم الله عنك! يا غلام .. لا تغتر بحلم الله عزَّ وجلَّ عنك فإن بطشه شديد . لا تغتر بهؤلاء العلماء الجهال بالله عزَّ وجلَّ ، كل علمهم عليهم لا لهم ، هم علماء بحكم الله عزَّ وجلَّ

جهال بالله عزَّ وجلَّ .. يأمرون الناس بأمر ولا يمتثلونه ، وينهونهم عن شيء ولا ينتهون عنه .. يدعون إلى الحق عزَّ وجلَّ وهم يفرون منه!! .

✧ ✧ ✧

من أنيسك في خلوتك وجلوتك ؟!

من أنيسك في الوحدة ؟ من جليسك في الجلوة ؟ يا كذاب .. أنيسك في الوحدة نفسك وشيطانك وهواك والتفكر في دنياك ، وفي الجلوة شياطين الإنس .. الذين هم أقران السوء وأصحاب القيل والقال!.

✧ ✧ ✧

احذروا ثلاثاً

احذروا من الغيبة .. فإنها تأكل الحسنات كم تأكل النار الحطب .. ما تعودها من أفلح قط ، ومن عُرف بها قَلّت حرمتُه عند الناس .

واحذروا من النظر بشهوة .. فإنه يزرع المعصية في قلوبكم ، وعاقبته غير محمودة في الدنيا والآخرة .

واحذروا من اليمين الكاذبة .. فإنها تترك الديار بلاقع .. تُذهب بركة الأموال .

✧ ✧ ✧

دع اليمين الكاذبة!

ويحك .. تنفق مالك باليمين الكاذبة وتخسر دينك! ، لو كان لك عقل لعلمت أن هذه هي الخسارة بعينها ، تقول : واللهِ عزَّ وجلَّ ما في هذه البلدة مثل هذا المتاع ، ولا عند أحد مثله ، واللهِ إنه يسوي كذا وكذا ، وإنه عليّ بكذا وكذا .. وأنت كاذب في كل ما قلته ، ثم تشهد بالزور وتحلف بالله إنك صادق! .

✧ ✧ ✧

ستؤدبك النار

تأدبوا رحمكم الله تعالى بين يدي الحق عزَّ وجلّ .. من لم يتأدب بآداب الشرع أدبته النار يوم القيامة .

✧ ✧ ✧

أصخور أنتم ؟!

يا غلام .. لعل غداً يأتي وأنت مفقود من ظهر الأرض غير موجود ، أو لعل هذا يكون ساعة أخرى .. إيش هذه الغفلة ؟! ، ما أقسى قلوبكم! ، صخور أنتم ، أقول لكم وغيري يقول لكم وأنتم على حالة واحدة!! .

القرآن يتلى عليكم ، وأخبار الرسول وسِيَرُ الأولين تقرأ عليكم ، ولا تتجنبون ولا تتغير أعمالكم! .

✧ ✧ ✧

المعاصي بريد الكفر

حاسب نفسك قبل مجيء الآخرة ، ولا تغتر بحلم الله عزَّ وجلَّ عنك وكرمه عليك .. المعاصي بريد الكفر ، كما أن الحمى بريد الموت ، عليك بالتوبة قبل الموت .. قبل مجيء المَلَكِ الموكل بأخذ الأرواح .

✧ ✧ ✧

يا شباب .. الكذب نقمة

يا شباب .. توبوا ؛ أما ترون الحق عزَّ وجلَّ يبتليكم بالبلاء حتى تتوبوا ، وأنتم لا تعقلون وتصرون على معاصيه ؟ .. الكذب نقمة لا نعمة ، عقوبة للذنوب لا زيادة في الدرجات والكرامات.

✧ ✧ ✧

الفرج قريب فلا تيأس

يا قوم .. لا تيأسوا من روح الله عزَّ وجلَّ وفرجه فإنه قريب .. لا تيأسوا فإن الصانع الله { ... لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا } [الطلاق : 1] .

✧ ✧ ✧

الصبر أساس لكل خير

لا تهرب من البلاء فإن البلاء مع الصبر أساس لكل خير .. فإذا لم تصبر على البلاء فلا أساس لك .. لا بقاء لبناء إلا بأساس .. أرأيت بيتاً ثابتاً على مزبلة ربوة ؟ .

✧ ✧ ✧

الجاهل .. كل همه الدنيا

يا غلام .. قَدِّمِ الآخرةَ على الدنيا تربحهما جميعاً ، وإذا قدمت الدنيا على الآخرة خسرتهما جميعاً .. عقوبة لك كيف اشتغلت بما لم تؤمر به .إذا لم تشتغل بالدنيا أمدك الله عزَّ وجلَّ بالمعونة عليها ، ورزقك التوفيق وقت الأخذ منها ، وإذا أخذتَ منها شيئاً وُضعتْ فيه البركة .المؤمن يعمل لدنياه وآخرته ، يعمل لدنياه بُلْغَتَه ، بقدر ما يحتاج إليه ، يقنعه منها كزاد الراكب ، لا يُحصل منها الكثير ، الجاهل كل همه الدنيا .

إلى متى إقبالك على الخلق ؟

يا معرضاً عن الحق عزَّ وجلَّ وعن الصديقين من عباده .. مقبلاً على الخلق مشركاً بهم .. إلى متى إقبالك عليهم ؟! ، إيش ينفعونك ؟ ليس بأيديهم ضرر ولا نفع ، ولا عطاء ولا منع . لا فرق بينهم وبين سائر الجمادات فيما يرجع إلى الضرر والنفع .. المعطي والمانع واحد ، الخالق والرازق هو الله عزَّ وجلّ .. هو خالق السموات والأرض وما فيهن وما بينهما .

✧ ✧ ✧

واأسفا عليكم!

واأسفا عليكم يا خلق الله ، ما تعرفون خالقكم حق معرفته ؟! .. وأما أنت يا عالِمُ فمشتغل بالقال والقيل وجمع المال عن العمل بعلمك ، فلا جرم يقع في يدك من الصورة دون المعنى .

✧ ✧ ✧

إذا أراد الله بعبد خيراً .. علَّمه

إذا أراد الله تعالى بعبد من عبيده خيراً علَّمه ، ثم ألهمه العمل والإخلاص ، ومنه أدناه ، وإليه قرَّبه ، وعرَّفه وعلَّمه علم القلوب .

✧ ✧ ✧

اغسل نجاسة الذنب بماء التوبة

يا غلام .. لا تيأس من رحمة الله عزَّ وجلَّ بمعصية ارتكبتها ، بل اغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة والثبات عليها والإخلاص فيها ، وطيِّبه وبخِّره بطيب المعرفة .

احذر من هذا المنزل الذي أنت فيه ، فإنك كيفما التفت فالسباع حولك ، والأذايا تقصدك ، تحوَّل عنه وارجع إلى الحق عزَّ وجلَّ بقلبك ، لا تأكل بطبعك وشهوتك وهواك ، لا تأكل إلا بشاهدين عدلين وهما: الكتاب والسنة .

✧ ✧ ✧

القلب الطيّب هو الحصن

يا غلام .. الدواء في توحيد الله عزَّ وجلَّ بالقلب لا باللسان فحسب ، التوحيد والزهد لا يكونان على الجسد واللسان ؛ التوحيد في القلب ، والزهد في القلب ، والتقوى في القلب ، والمعرفة في القلب ، والعلم بالحق عزَّ وجلَّ في القلب ، ومحبة الله عزَّ وجلَّ في القلب ، والقرب منه في القلب .

كن عاقلاً لا تتهوس ولا تتصنع ولا تتكلف ، أنت في هوس وتَصَنُّعٍ وتكلُّفٍ وكذب ورياء ونفاق ، كل همك استجلاب الخلق إليك . أما تعلم أنك كلما خطوت بقلبك خطوة إلى الخلق بعدت من الحق عزَّ وجلّ ؟ تدعي أنك طالب الحق عزَّ وجلَّ وأنت طالب الخلق! ، مثلك مثل من قال : أريد أن أمضي إلى مكة . وتوجه إلى خراسان فبعد من مكة . تدعي أن قلبك قد خرج من الخلق .. وأنت تخافهم وترجوهم! ، ظاهرك الزهد وباطنك الرغبة ، ظاهرك الحق –عزَّ وجلَّ– وباطنك الخلق!! .

✧ ✧ ✧

الموحد حجة الله على الخلق

الموحدون الصالحون حجة الله على بقية الخلق ، منهم من يتعرى عن الدنيا من حيث ظاهرُه وباطنُه ، ومنهم من يتعرى عنها من حيث باطنُه فحسب ، لا يرى الحق عزَّ وجلَّ على بواطنهم منها شيئاً ، تلك القلوب الصافية .

✧ ✧ ✧

من هو الشجاع ؟

الشجاع من طهر قلبه مما سوى الله عزَّ وجلَّ ، ووقف على بابه بسيف التوحيد وصمصامة الشرع ، لا يخلي شيئاً من المخلوقات يدخل إليه ، يجمع قلبه بمقلب القلوب ، الشرع يهذب الظاهر ، والتوحيد والمعرفة يهذبان الباطن .

يا هذا بين قالوا وقلنا ما يجيء شيء ، تقول : هذا حرام ، وأنت مرتكبه ، وهذا حلال ، وأنت لا تفعله ولا تستعمله !! .

✧ ✧ ✧

يا مدعي العلم .. أين بكاؤك ؟!

مَثّلَ اللهُ عزَّ وجلَّ العالِمَ الذي لا يعمل بعلمه بالحمار ، فقال : { ... كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ... } [الجمعة : 5] .

الأسفار هي كتب العلم ، هل ينتفع الحمار بكتب العلم ؟ ، ما يقع بيده منها سوى التعب والنصب ، من ازداد علمه ينبغي أن يزداد خوفه من ربه عزَّ وجلَّ وطواعيته له .

يا مدعي العلم! أين بكاؤك من خوف الله عزَّ وجلّ ؟ أين حذرك وخوفك ؟ أين اعترافك بذنوبك ؟ أين مواصلتك الضياء بالظلام في طاعة الله عزَّ وجلَّ ؟ أين تأديبك لنفسك ومجاهدتها في جانب الحق وعدواتها فيه ؟.

✧ ✧ ✧

يا نياماً لا يُنام عنهم!

يا نياماً لا يُنام عنهم ، يا معرضين لا يُعرض عنهم ، يا ناسين لا يُنسون ، يا تاركين لا يُتركون ، يا جهالاً بالله عزَّ وجلَّ ورسوله ρ ومن تقدم ومن تأخر ، أنتم كخشب ممدود نُجِّرَ لا يصلح لشيء .

✧ ✧ ✧

أما يكفيك نفاقك ؟!

يا منافق! .. طهر الله عزَّ وجلَّ الأرض منك ، ما يكفيك نفاقك حتى تغتاب العلماء والأولياء والصالحين بأكل لحومهم! ، أنت وإخوانك المنافقون مثلك ، عن قريب تأكل الديدان ألسنتكم ولحومكم وتقطعكم وتمزقكم ، والأرض تضمكم فتسحقكم وتقلبكم .

لا فلاح لمن لا يحسن ظنه بالله عزَّ وجلَّ وبعباده الصالحين ويتواضع لهم .

✧ ✧ ✧

لو علمتم لتأدبتم

توبوا إلى الله عزَّ وجلَّ واعتذروا إليه ، واعترفوا بذنوبكم بينكم وبينه ، وتضرعوا بين يديه . إيش بين أيديكم ؟! ، لو عرفتم لكنتم على غير ما أنتم عليه ، تأدبوا بين يدي الحق عزَّ وجلَّ كما كان يتأدب من سبقكم .

✧ ✧ ✧

لا تستهينوا بأهل العلم

لا تستهينوا بكلمات الحكماء والعلماء ، فإن كلامهم دواء ، وكلماتهم ثمرة وحي الله عزَّ وجلَّ ، ليس بينكم نبي موجود بصورة حتى تتبعوه ، فإذا تبعتم المتبعين للنبي ρ ، المحققين في اتباعه ، فكأنما قد اتبعتموه .

✧ ✧ ✧

اصحبوا العالم العامل

اصحبوا العلماء المتقين فإن صحبتكم لهم بركة عليكم ، ولا تصحبوا العلماء الذين لا يعملون بعلمهم ، فإن صحبتكم لهم شؤم عليكم .

إذا صحبت من هو أكبر منك في التقوى والعلم ، كانت صحبتك له بركة عليك ، وإذا صحبت من هو أكبر منك في السن ولا تقوى له ، ولا علم له ، كانت صحبتك له شؤماً عليك .

✧ ✧ ✧

العمل لغير الله شرك

اعمل لله عزَّ وجلَّ ولا تعمل لغيره ، اترك له ولا تترك لغيره ؛ العمل لغيره كفر ، والترك لغيره رياء . من لا يعرف هذا ، ويعمل غير هذا ، فهو في هوس .

✧ ✧ ✧

ويحك .. صِلْ قلبك بالله

ويحك .. واصل ربك عزَّ وجلَّ وقاطع غيره من حيث قلبُك .. صفُّوا ما بينكم وبين ربكم عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

لا يفلح من فرق بين غني وفقير

يا غلام .. إن وجدت عندك تفرقة بين الغني والفقير عند إقبالهم عليك فلا فلاح لك .

✧ ✧ ✧

مواصلتك الفقراء عبادة لله

من مواصلة الحق عزَّ وجلَّ أن تواصل الفقراء بشيء من مالك ، أما علمت أن الصدقة معاملة مع الحق عزَّ وجلَّ الذي هو غني كريم ؟ ، وهل يعامل الغني الكريم من يخسر ؟ .

تنفق لوجه الله عزَّ وجلَّ ذرة يعطيك جبلاً ، تنفق قطرة يعطيك بحراً .

✧ ✧ ✧

كُنْ مع الله تَرَ اللهَ معك

يا قوم .. إذا عاملتم الحق عزَّ وجلَّ يزكو زرعكم ، وتجري أنهاركم ، ويورق ويغصن ويثمر شجركم ، مُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، وانصروا دين الله عزَّ وجلَّ وعادوا فيه الصديق .

✧ ✧ ✧

إذا صح القلب

إذا صح القلب امتلأ رحمة وشفقة على الخلق .

✧ ✧ ✧

من علامات الصِّدِّيق

الصِّدِّيق يترك الكبائر والصغائر ، ثم يدقق ورعه بترك الشهوات ثم المباح المشترك ، ويطلب الحلال المطلق.

✧ ✧ ✧

أصل البلاء وأصل الدواء

اسمع قول بعضهم رحمة الله عليه : كن في الدنيا كمن يداوي جرحه ويصبر على مرارة الدواء رجاء لزوال البلاء ؛ كلُّ البلايا والأمراض من شركك بالخلق ورؤيتهم في الضر والنفع والعطاء والمنع ، وكلُّ الدواء وزوال البلاء في الخروج عن الخلق من قِبَلِك ، وعزمك عند نزول الأقضية والأقدار ، وأن لا تطلب الرياسة على الخلق والعلوِّ عليهم ، وأن يتجرد قلبك لربك عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

المؤمن يتزود والكافر يتمتع !

المؤمن يتزود والكافر يتمتع ؛ المؤمن يتزود لأنه على طريق يقنع باليسير من ماله ويقدم الكثير إلى الآخرة ، يترك لنفسه بقدر زاد الراكب .. بقدر ما يحمله .. كل ماله في الآخرة ، كل قلبه وهمته هناك .. هو منقطع القلب هناك من الدنيا .. يبعث جميع طاعاته إلى الآخرة لا إلى الدنيا وأهلها .. إن كان عنده طعام طيب يؤثر به الفقراء ، يعلم أنه في الآخرة يُطْعَمُ خيراً منه .

✧ ✧ ✧

ويحك .. جسدك يتحرك وقلبك ساكن!

إني أراك في قيام وقعود ، وركوع وسجود ، وسهر وتعب .. وقلبك لا يبرح من مكانه ، ولا يخرج عن بيت وجوده ، ولا يتحول عن عادته .

اصدق في طلب مولاك عزَّ وجلَّ ، وقد أغناك صدقُك عن كثير من التعب ، أُنقرْ بيضة وجودك بمنقار صدقك ، وانقض حيطان رؤيتك للخلق والتقيد بهم بمعاول الإخلاص وتوحيدك .

اكسر قفص طلبك للأشياء بيد زهدك فيها ، وطِرْ بقلبك حتى تقع على ساحل قربك من ربك عزَّ وجلّ.

✧ ✧ ✧

قلِّلوا حرصكم .. قصِّروا آمالكم !

هذه الدنيا بحرٌ ، والإيمان سفينتها .. يا مصرين على المعاصي!! .. عن قريب يأتيكم العمى والصمم والزمْن والفقر ، وقساوة قلوب الخلق عليكم .. تذهب أموالكم بالخسارات والمصادرات والسرقات . كونوا عقلاء .. توبوا إلى ربكم عزَّ وجلّ .. لا تشركوا بأموالكم وتتكلوا عليها .. لا تقفوا معها .. أخرجوها من قلوبكم واجعلوها في بيوتكم وجيوبكم .. ومع غلمانكم ووكلائكم .. وارتقبوا الموت .. قللوا حرصكم وقصروا آمالكم .

✧ ✧ ✧

إذا تاب القلب تابت الجوارح

يا غلام .. ارجع بقلبك إلى الله عزَّ وجلّ .. التائب إلى الله هو الراجع إليه ، وقوله عزَّ وجلَّ : { وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ ... } [الزمر : 54]. أي : ارجعوا إلى ربكم ، يعني : ارجعوا .. سلموا الكل إليه .

✧ ✧ ✧

علمٌ بلا صدق ضلال على علم !

إيش ينفعك علم بلا صدق ؟! .. قد أضلك الله على علم .. تتعلم وتصلي وتصوم للخلق حتى يفروا إليك ، ويبذلوا لك أموالهم ، ويمدحوك في بيوتهم ومجالسهم .

قدِّر أنه يحصل لك هذا منهم .. فإذا جاءك الموت .. يحال بينك وبينهم ، ولا يغنون عنك شيئاً .. وما حصلته من أموالهم يأكله غيرك والعقوبة والحساب عليك!! .

✧ ✧ ✧

في قلبك جماعة من الآلهة !

يا غلام .. ما أنت على شيء .. الإسلام ما صح لك .. الإسلام هو الأساس الذي يبنى عليه . الشهادة ما تمت لك. تقول : لا إله إلا الله .. وتكذب!.

في قلبك جماعة من الآلهة : خوفك من سلطانك ووالي محلتك آلهة ، اعتمادك على كسبك وربحك وحولك وقوتك وسمعك وبصرك وبطشك آلهة ، رؤيتك للضر والنفع والعطاء والمنع من الخلق آلهة . كثير من الخلق متكلون على هذه الأشياء بقلوبهم ويظهرون أنهم متكلون على الحق عزَّ وجلّ . قد صار ذكرهم للحق عزَّ وجلَّ عادة بألسنتهم لا بقلوبهم .. فإذا حُوققوا في ذلك حردوا ، وقالوا : كيف يقال لنا هكذا ؟! .. ألسنا مسلمين ؟!

غداً تبين الفضائح وتظهر المخبآت!! .

✧ ✧ ✧

القلب هو المؤمن

ويحك .. القلب هو المؤمن ، هو الموحد ، هو المخلص ، هو المتقي ، هو الورع ، هو الزاهد ، هو الموقن .. هو الأمير .. ومن سواه جنوده وأتباعه .

إذا قلت : لا إله إلا الله . فقل أولاً بقلبك ثم بلسانك ، واتكل عليه واعتمد عليه دون غيره . اشغل ظاهرك بالحكم وباطنك بالحق عزَّ وجلَّ . اترك الخير والشر على ظاهرك ، واشتغل بباطنك مع خالق الخير والشر ؛ من عرفه ذلّ له .. وتواضع له ولعباده الصالحين ، وتضاعف همه وغمه وبكاؤه ، وكثر خوفه ووجله ، وكثر حياؤه ، وكثر ندمه على ما تقدم من تفريط ، وتشدد حذره وخوفه من زوال ما عنده من المعرفة والعلم.

✧ ✧ ✧

الدنيا تطيب بعد إهانتها

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : أهينوا الدنيا ، فإنها والله لا تطيب إلا بعد إهانتها .

✧ ✧ ✧

الدنيا تُفرح الجاهل!

الجاهل يفرح في الدنيا .. والعالم يغتم فيها . الجاهل يناظر القدر وينازعه .. والعالم يوافقه ويرضى . يا مسكين ! لا تُناظرِ القدر وتُشاققْه فتهلك .

✧ ✧ ✧

ويحك .. اعرف قدر نفسك !

ويحك .. اعرف قدرك .. أنت كل همك الأكل والشرب واللبس والنكاح وجمع الدنيا والحرص عليها .. عَمّالٌ في أمور الدنيا بطّالٌ في أمور الآخرة !! .

✧ ✧ ✧

المؤمن يعمل لآخرته

المؤمن له نية صالحة في جميع تصاريفه .. لا يعمل في الدنيا للدنيا .. يبني في الدنيا للآخرة ؛ يعمر المساجد والقناطر والمدارس والرُّبُط ، ويهذب طرق المسلمين ، وإن بنى غير هذا فللعيال والأرامل والفقراء .. وما لا بد منه ، يفعل ذلك حتى يُبنى له في الآخرة بدله .. لا يبنى لطبعه وهواه ونفسه .

✧ ✧ ✧

الذاكر لله حيٌّ أبداً

الذاكر لله عزَّ وجلَّ أبداً حي .. ينتقل من حياة إلى حياة .. إذا تمكن الذكر في القلب دام ذكر العبد لله عزَّ وجلَّ وإن لم يذكره بلسانه .. كلما دام العبد في ذكر الله عزَّ وجلَّ دامت موافقته له ورضاه بأفعاله .

✧ ✧ ✧

عطاء ربك عارية عندك

ويحك .. تعمل عمل أهل النار وترجو الجنان!! ، فأنت طامع في غير موضع الطمع .. لا تغتر بالعارية وتظنها لك .. عن قريب تؤخذ منك .. الحق عزَّ وجلَّ قد أعارك الحياة حتى تطيعه فيها .. حسبتها لك وعملت فيها ما أردت!! ، وكذلك العافية عارية عندك ، وكذلك الغنى عارية عندك ، وكذلك الأمن والجاه .. وجميع ما عندك من النعم .. عارية عندك .. لا تفرط في هذه العواري فإنك تطالب بها ، وتسأل عنها وعن كل شيء منها .. جميع ما عندكم من النعم من الله عزَّ وجلّ .. فاستعينوا بها على الطاعة .

✧ ✧ ✧

وافق الحق في الخلق

عن بعضهم أنه قال : وافق الحق عزَّ وجلَّ في الخلق .. ولا توافق الخلق في الحق .. انكسرَ من انكسر وانجبرَ من انجبر .. تعلموا موافقة الحق عزَّ وجلَّ من عباده الصالحين الموافقين .

✧ ✧ ✧

أنت قفص بلا طائر

يا غلام .. أراك قليل المعرفة بالله عزَّ وجلَّ وبرسوله ρ .. أنت قفص بلا طائر ، بيت فارغ خراب ، شجرة قد يبست وتناثر ورقها .

عمارة قلب العبد بالإسلام ، ثم بالتحقيق في حقيقته ، وهي : الاستسلام .

✧ ✧ ✧

يا جاهل .. ما لك ولهذا ؟!

يا جاهل ما لك ولهذا ؟ ، أنت عبد نفسك ودنياك وهواك ، أنت عبد الخلق مشرك بهم ، لأنك تراهم في الضر والنفع .

✧ ✧ ✧

لا تغتر بطاعتك

يا غلام .. لا تغتر بطاعتك وتعجب بها ، اسأل الحق سبحانه وتعالى قبولها ، وخف واحذر أن ينقلك إلى غيرها .. من عرف الله عزَّ وجلَّ لا يقف مع شيء ولا يغتر بشيء ، لا يأمن حتى يخرج من الدنيا على سلامة دينه وحفظ ما بينه وبين الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

عليكم بأعمال القلوب

يا قوم .. عليكم بأعمال القلوب وإخلاصها الإخلاص الكامل مما سوى الله عزَّ وجلَّ . ومعرفة الله عزَّ وجلَّ هي الأصل ، ما أرى أكثركم إلا كذابين في الأقوال والأفعال في الخلوات والجلوات ، ما لكم ثبات! ، لكم أقوال بلا أفعال ، وأفعال بلا إخلاص ولا توحيد !! .

✧ ✧ ✧

انفوا ثم أَثْبِتوا

انفوا ثم أثبتوا ؛ انفوا عنه –تعالى– ما لا يليق به ؛ وأثبوا له ما يليق به ، وهو ما رضيه لنفسه ورضيه له رسوله ρ ، إذا فعلتم هذا زال التشبيه والتعطيل من قلوبكم .

✧ ✧ ✧

هذا عاقبة حب الدنيا!

دنياكم قد أعمت قلوبكم فما تبصرون بها شيئاً ، احذروا منها فهي تمكنكم من نفسها تارة بعد أخرى حتى تستدرجكم .. وفي الأخيرة تذبحكم ، تسقيكم من شرابها وبنجها ثم تقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم . فإذا ذهب البنج وجاءت الإفاقة رأيتم ما صنعت بكم ، هذا عاقبة حبِ الدنيا ، والعَدْوِ خلفها ، والحرصِ عليها وعلى جمعها .. هذا فعلها فاحذروا منها .

✧ ✧ ✧

حظوظ القلب وحظوظ النفس

يا غلام .. حظوظ القلب باطنة ، وحظوظ النفس ظاهرة ، فحظوظ القلب لا تأتي إلا بعد منع النفس حظوظها ، فإذا امتنعت انفتحت أبواب حظوظ القلب ، حتى إذا استغنى القلب بحظوظه من الحق عزَّ وجلَّ جاءت الرحمة للنفس ..

دع مجالسة من يرغبك في الدنيا واطلب مجالسة من يزهدك فيها .. الجنس يميل إلى الجنس .. يطوف بعضهم على بعض ..

✧ ✧ ✧

التعاون ثمرة الحب في الله

المحبون لله يتحابون فيه ، فلا جرم يحبهم ويؤيدهم ويشد بعضهم ببعض .. يتعاونون على دعوة الخلق ، يدعونهم إلى الإيمان والتوحيد والإخلاص في الأعمال ، يأخذون بأيديهم ويوقفونهم على طريق الحق عزَّ وجلّ .. من خَدَم خُدِم ، ومن أحسن يُحْسن إليه ، ومن يعطي يُعطى .

✧ ✧ ✧

ما العمل بغير مواطأة القلب ؟!

أعمالكم عمالكم ، تعمل عمل أهل النار وترجو من الله عزَّ وجلَّ الجنان ، كيف تتمنى الجنة من غير عمل أصحاب الجنة ؟! . أرباب القلوب في الدنيا الذين عملوا بقلوبهم لا بجوارحهم فحسب . العمل بغير مواطأة القلب إيش يعمل ؟! . المرائي يعمل بجوارحه ، والمخلص يعمل بقلبه وجوارحه .. يعمل بقلبه قبل جوارحه .

✧ ✧ ✧

عمل المؤمن وعمل المنافق

المؤمن حي والمنافق ميت ؛ والمؤمن يعمل لله عزَّ وجلَّ ، والمنافق يعمل للخلق ويطلب منهم المدح والعطاء على عمله ، عمل المؤمن في ظاهره وباطنه ، في خلوته وجلوته ، في السراء والضراء ، وعمل المنافق في جلوته فحسب ، عمله عند السراء فإذا جاءت الضراء لا عمل له ، لا صحبة له لله عزَّ وجلَّ ، لا إيمان له بالله عزَّ وجلَّ وبرسله وكتبه ، لا يذكر الحشر والنشر والحساب ، إسلامه ليسلم رأسه وماله في الدنيا لا ليسلم في الآخرة من النار .. يصوم ويصلي ويقرأ العلم بحذاء الناس ، فإذا خلا عنهم رجع إلى شغله وكفره .

✧ ✧ ✧

ارفع بصرك عن عملك

يا غلام .. عليك بالإخلاص في الأعمال ، ورفع بصرك عن عملك ، وطلبِ العوض عليه من الخلق .

✧ ✧ ✧

أَكْثِرْ أنهارك اليوم

يا من يريد الجنة .. شراؤها وعمارتها اليوم لا غداً ، أكْثِرْ أنهارك وأجرِ الماء فيها اليوم لا غدا .

✧ ✧ ✧

تذكروا { يوم يعض الظالم على يديه }

يا قوم .. يوم القيامة تنقلب القلوب والأبصار ، يومٌ تزل فيه الأقدام ، كلُّ واحد من المؤلفين يقوم على قدم إيمانه وتقواه ، ثبات الأقدام على قدر الإيمان ، في ذلك اليوم : { ... يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ... } [الفرقان : 27] كيف ظلم ، ويعض المفسد على يديه كيف أفسد ولم يصلح ، كيف أَبِقَ من مولاه!! .

✧ ✧ ✧

الأعمال بخواتيمها

يا غلام .. لا تغتر بعمل فإن الأعمال بخواتيمها . عليك بسؤال الحق عزَّ وجلَّ أن يصلح خاتمتك ويقبضك على أحب الأعمال إليه .. إياك ثم إياك إذا تبت أن تنقض ثم ترجع إلى المعصية ، لا ترجع عن توبتك بقول قائل .. لا توافق نفسك وهواك وطبعك وتخالف مولاك عزَّ وجلّ .. إذا عصيت الحق عزَّ وجلَّ يخذلك ولا ينصرك .

اللهم انصرنا بطاعتك ولا تخذلنا بمعصيتك .

أي الجهادين أشق ؟

قد أخبرك الله عزَّ وجلَّ بجهادين : ظاهر وباطن :

فالباطن جهاد النفس والهوى والطبع والشيطان ، والتوبة عن المعاصي والزلات والثبات عليها ، وترك الشهوات المحرمات .

والظاهر جهاد الكفار المعاندين له –عزَّ وجلَّ– ولرسوله ρ ، ومقاساة سيوفهم ورماحهم وسهامهم ، يَقْتُلون ويُقْتَلون .

فالجهاد الباطن أصعب من الجهاد الظاهر ، لأنه لازم متكرر ، وكيف لا يكون أصعب من الجهاد الظاهر وهو : قطع مألوفات النفس من المحرمات وهجرانها ، وامتثال أوامر الشرع والانتهاء عن نهيه ؟! .

فمن امتثل أمر الله عزَّ وجلَّ في الجهادين حصلت له المجازاة دنيا وآخرة ، الجراحات في جسد الشهيد كالفصد في يد أحدكم لا ألم لها عنده .. والموت في حق المجاهد لنفسه التائب من ذنوبه ؛ كشرب العطشان للماء البارد .

✧ ✧ ✧

ماأكسلكم في الطاعة وأقواكم في المعصية!!

يا قوم .. آمنوا بهذا القرآن ، واعملوا به ، وأخلصوا في أعمالكم .. لا تراءوا

ولا تنافقوا في أعمالكم ، ولا تطلبوا الحمدَ من الخلق والأعواضَ عليها منهم .. آحادٌ أفرادٌ من الخلق يؤمنون بهذا القرآن يعملون به لوجه الله عزَّ وجلَّ ! .. ولهذا قلّ المخلصون وكثر المنافقون .. ما أكسلَكم في طاعة الله عزَّ وجلَّ وأقواكم في طاعة عدوه وعدوكم الشيطان الرجيم !! .

✧ ✧ ✧

كن صحيحاً تكن فصيحاً

يا غلام .. كن صحيحاً تكن فصيحاً ؛ كن صحيحاً في الحكم تكن فصيحاً في العلم .. كن صحيحاً في السر تكن فصيحاً في العلانية .. كل السلامة في طاعة الحق عزَّ وجلَّ ، وهي امتثال جميع ما أمر به ، والانتهاء عن جميع ما نهى عنه ، والصبر على جميع ما قضى به .. من استجاب لله عزَّ وجلَّ أجابه .

✧ ✧ ✧

يا قليل التدبير كن عوناً للفقير

إذا أحببت لنفسك : أطايبَ الأطعمة ، وأحسنَ الكسوة ، وأطيبَ المنازل ، وأحسنَ الوجوه ، وكثرةَ الأموال .. وأحببت لأخيك المسلم بالضد من ذلك .. فقد كذبت في دعواك كمال الإيمان .

يا قليلَ التدبير! لك جار فقير ، ولك أهل فقراء ، ولك مال عليه زكاة ، ولك ربحٌ : كل يوم ربحٌ فوق ربح ، ومعك قدر يزيد على قدر حاجتك إليه .. فَمنعُك لهم عن العطاء هو الرضى بما هم فيه من الفقر .. ولكن إذا كان نفسك وهواك وشيطانك وراءك ، فلا جرم لا يسهل عليك فعل الخير .. معك قوةُ حرص ، وكثرةُ أمل ، وحبُ الدنيا ، وقلة تقوى وإيمان .. أنت مشرك بك وبمالك وبالخلق ، وما عندك خير .

من كثرت رغبتُه في الدنيا ، واشتد حرصُه عليها ، ونسيَ الموت ولقاءَ الحق عزَّ وجلَّ ، ولم يفرق بين الحلال والحرام .. فقد تشبه بالكفار الذين قالوا : { ... مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ... } [الجاثية : 24] .

✧ ✧ ✧

تصوم نهارك وتعصي ليلك!

يا قوم .. إيش ينفعكم الجوع والعطش بالنهار والإفطار على الحرام بالليل ؟! .. تصومون بالنهار وتعصون بالليل .. يا أكلةَ الحرام أنتم تمنعون نفوسكم شرب الماء بالنهار ثم تفطرون على دماء المسلمين .. ومنكم من يصوم بالنهار ويفسق بالليل !! .

✧ ✧ ✧

لا تأكل وحدك!

يا غلام .. صُم وإذا أفطرت واسِ الفقراء بشيء من إفطارك .. لا تأكل وحدك ، فإن من أكل وحده ولم يُطعم يُخاف عليه من الفقر والكدية .

✧ ✧ ✧

أتشبعون وجيرانكم جياع ؟!

يا قوم .. تشبعون وجيرانكم جياع ، وتدَّعون أنكم مؤمنون !! .. ما صح إيمانكم . يكون بين يدي أحدكم طعام كثير يفضل عنه وعن أهله ، ويقف السائل على بابه ويُرَدُّ خائباً! . عن قريب تبصر خيرك .. عن قريب تصير مثله ، وتُرَدُّ كما رددته مع القدرة على عطائه .

✧ ✧ ✧

اجمع التواضع إلى العطاء

ويحك .. هلا قمت وأخذت ما بين يديك وأعطيته .. تجمع بين الحالين : التواضع في قيامك والعطاء من مالك .. واسِ الخلق اليوم حتى يواسيك الحق عزَّ وجلَّ غداً برحمته ، ارحم من في الأرض حتى يرحمك من في السماء .. ما دمت قائماً مع نفسك لا تصل إلى هذا المقام .. ما دمت توصل إليها حظوظها فأنت في قيدها .. وفِّها حقها وامنعها حظها ؛ بإيصال الحق إليها بقاؤها ، وإيصال الحظ إليها هلاكها .. حقُّها ما لا بد من الطعام واللباس والشراب وموضع

تسكن فيه .. وحظها اللذات والشهوات . خذ حقها من يد الشرع .. أطعمها المباح لا الحرام .. اقعد على باب الشرع وألزمها بخدمته وقد أفلحت .

✧ ✧ ✧

اقنعْ ولن يفوتك رزق!

اقنع باليسير ووطّن نفسك عليه ، فإن جاء الكثير من يد السابقة والعلم كنت فيه ، إذا قنعت باليسير ما تهلك نفسك ، ولا يفوتها ما قسم لها . كان الحسن البصري رحمة الله عليه يقول : « يكفي المؤمن ما يكفي العنيزة : كفٌ من حشفٍ وشربة ماء! » . المؤمن يتقوَّت والمنافق يتمتع ، المؤمن يتقوَّت لأنه في الطريق ما وصل إلى المنزل ، والمنافق لا منزل له لا مقصد له .

ما أكثر تفريطكم في الأيام والشهور ؟! ، تقطعون الأعمار بلا نفع! ، أراكم لا تفرطون في دنياكم وتفرطون في أديانكم ، اعكسوا تصيبوا ، الدنيا ما بقيت على أحد ، وهكذا لا تبقى عليكم .

✧ ✧ ✧

أمعكم توقيع بالحياة ؟!

يا قوم .. أمعكم توقيع من الحق عزَّ وجلَّ بالحياة ؟! . ما أقل تدبيركم! ، من يعمر دنيا غيره بخراب آخرته يجمع الدنيا لغيره بتفرق دينه ، ويوقع بينه وبين الحق عزَّ وجلَّ وسخطه عليه لرضا مخلوق مثله ، لو علم وتيقن أنه ميت عن قريب ، حاضر بين يدي الحق عزَّ وجلَّ ، وأنه محاسب عن جميع تصرفاته لأقصر عن كثير من أعماله ..

أُحذركم وأنهاكم ، ولا تحذرون ولا تنتهون ، يا غائبين عن الخير ، مشغولين بالدنيا ، عن قريب تشب عليكم الدنيا تخنقكم ولا ينفعكم ما جمعتموه من يدها ، ولا ما تلذذتم بها ، بل يكون جميع ذلك وبالاً عليكم .

✧ ✧ ✧

للكلمات أخوات .. فاحذر!

يا غلام .. عليك بالاحتمال وقطع الشر ، للكلمات إذا كلمك واحد منهم كلمة ثم أجبته عنها جاءت أخواتها ، ثم يحضر الشر بينكما! .

✧ ✧ ✧

الدعاة الهداة قليلون

آحادٌ أفرادٌ من الخلق يؤهلون لدعوة الخلق إلى باب الحق عزَّ وجلَّ ، وهم حجة عليهم إن لم يقبلوا منهم ، هم نعمة على المؤمنين نقمة على المنافقين أعداء دين الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

لا تسمنوا نفوسكم فتأكلكم

لا تسمنوا نفوسكم فإنها تأكلكم ؛ كمن يأخذ كلباً ضارياً فيربيه ويسمنه ، ويخلو معه ، فلا جرم يأكله. لا تطلقوا أعنة النفوس ، وتحدوا سكاكينها ، فإنها ترميكم في أودية الهلاك وتخدعكم ، اقطعوا موادها ولا تطلقوها في شهواتها .

✧ ✧ ✧

نفوسكم تدعي الإلهية

يا قوم .. نفوسكم تدعي الإلهية وما عندكم خبر ، لأنها تتجبر على الحق عزَّ وجلَّ ، وتريد غير ما يريد .. وإذا جاءت أقضيتُه لا توافق ولا تصبر ، بل تعارض وتنازع! ، ما عندها من الاستسلام خبر ، قد قنعت باسم الإسلام ، وهذا لا ينفعها .

✧ ✧ ✧

يا غلام .. لازِم الخوف

يا غلام .. لازم الخوف ، ولا تأمن حتى تلقى ربك عزَّ وجلّ .. ويوضع توقيع الأمان في يديك ، حينئذ ينبغي لك أن تأمن ..

الحق عزَّ وجلَّ إذا اصطفى عبداً قربه وأدناه ، وكلما غلب عليه الخوف ألقى عليه ما يزيل ذلك ويُسَكِّنُ قلبه .

✧ ✧ ✧

ويحك يا جاهل!

ويحك يا جاهل ، تعرض عن الحق عزَّ وجلَّ ، وتخلِّيه وراء ظهرك ، وتشتغل بخدمة الخلق !! .

✧ ✧ ✧

إلى متى تشتغل بالدنيا والخلق ؟!

تواصلون الضياء بالظلام في الكد على النفوس التي هي عدوتكم ، وتُرضون أزواجكم بسخط ربكم عزَّ وجلَّ ، كثير من الخلق يقدمون رضا أزواجهم وأولادهم على رضا الحق عزَّ وجلَّ .

إنني أرى حركاتك وسكناتك وكلَّ همك لنفسك وزوجتك وولدك ، وما عندك من الحق عزَّ وجلَّ خبر !! .

في فَتِيتِكَ زجاجٍ مُكَسَّر!

ويحك! في فَتيتك زجاج مكسر وأنت تأكله ولا تعلم به ؛ لقوة شرهك ، وشدة حرصك! . بعد ساعة تقطع معدتك وتهلك ، كل بلائك لبعدك عن مولاك عزَّ وجلَّ واختيارك لغيره .

✧ ✧ ✧

لا تؤذ أحداً إلا أن تؤمر

يا غلام .. اجهد أنك لا تؤذي أحداً ، وأن تكون نيتك صالحة لكل أحد ، إلا من أمرك الشرع بأذيته ، فأذيتك له عبادة .

✧ ✧ ✧

يا أهل هذه البلدة!

يا أهل هذه البلدة! قد كثر النفاق فيكم وقلّ الإخلاص ، وقد كثرت الأقوال بلا أعمال ، قول بلا عمل لا يسوى شيئاً ، بل هو حجة لا محجة ، القول بلا عمل كدار بلا باب ولا مرافق ، كنزٌ لا يُنفق منه ، هو مجرد دعوى بلا بينة ، صورة بلا روحٍ ، صنمٌ لا يدانِ له ولا رجلان ولا بطش! . معظم أعمالكم كجسد بلا روح؛ الروح هو الإخلاص والتوحيد والثبات على كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة رسوله ρ ، لا تغفلوا اعكسوا تصيبوا.

✧ ✧ ✧

لا تحقروا أحداً من المسلمين!

لا تحقروا أحداً من المسلمين! فإن أسرار الحق عزَّ وجلَّ مبلورة فيهم ، تواضعوا في أنفسكم ولا تتكبروا على عباد الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

ماهذا الاغترار العظيم ؟!

تنبهوا من غفلاتكم! ما أنتم إلا في غفلة عظيمة ؛ كأنكم حوسبتم .. وعبرتم الصراط .. ورأيتم منازلكم في الجنة .. ما هذا الاغترار العظيم ؟! . كل واحد منكم قد عصى الله عزَّ وجلَّ معاصي كثيرة ، وهو لا يتفكر فيها ولا يتوب منها ، ويظن أنها قد نُسيت! . هي مكتوبة في صحائفكم بتواريخ أوقاتها ، يحاسب ويعاقب على القليل والكثير منها .

استيقظوا يا غفل! انتبهوا يا نيام! تعرَّضوا لرحمة الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

من مفاسد الحرص

ويحك .. الرزق مقسوم لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتقدم ولا يتأخر ، أنت شاكٌ في ضمان الحق عزَّ وجلَّ ، حريصٌ على طلب ما لم يقسم لك ، حرصك قد منعك من الحضور عند العلماء ومشاهد الخير ، تخاف أن تنقص أرباحك وأن يقل زبونك !! .

✧ ✧ ✧

إلهك مَنْ خِفْتَه ورجوتَه

ويحك! من أطعمك وأنت طفل في بطن أمك ؟! . أنت معتمد عليك وعلى الخلق وعلى دنانيرك ودراهمك ، وعلى بيعك وشرائك ، وعلى سلطان بلدك! . كل من اعتمدت عليه فهو إلهك ، وكل من خفته ورجوته فهو إلهك ، كل من رأيته في الضر والنفع ولم ترَ أن الحق عزَّ وجلَّ يجري ذلك على يديه فهو إلهك .

عن قليل ترى خبرك ، يأخذ الحق عزَّ وجلَّ منك سمعك وبصرك وبطشك ومالك وجميع ما اعتمدت عليه دونه ، ويقطع بينك وبين الخلق ، ويُقسِّي قلوبهم عليك ، ويقبض أيديهم عنك ، ويعزلك عن شغلك ، ويغلق الأبواب في وجهك ، يرددك من باب إلى باب ولا يعطيك لقمة ولا ذرة ، وإذا دعوته فلا يجيبك .

كل ذلك لشركك به واعتمادك على غيره ، وطلبك نِعَمَهُ من غيره واستعانتِك بها على معاصيه!! .

هذا قد رأيته جرى على كثير من هذا الجنس ، وهو الأغلب في العاصين ، ومنهم من يتدارك الأمر بالتوبة ، فيقبل الحق عزَّ وجلَّ توبته ، وينظر إليه بالرحمة ، ويعامله بالكرم واللطف .

يا خلق الله توبوا! يا علماء يا فقراء يا زُهَّاد يا عُبَّاد .. ما منكم إلا من يحتاج إلى توبة .

✧ ✧ ✧

يا غلام! طهِّر قلبك

يا غلام .. احذر أن يرى الحق عزَّ وجلَّ في قلبك غيره فتنتهك ، احذر أن يرى في قلبك خوفَ غيره أو رجاء غيره أو حبَ غيره . طهروا قلوبكم من غيره لا تروا الضر والنفع إلا منه .

✧ ✧ ✧

من عرف الله دلَّ عليه

من كملت معرفته لله عزَّ وجلَّ صار دالاً عليه ، يصير شبكة يصطاد بها الخلق من بحر الدنيا ، ويعطى القوة حتى يهزم إبليس وجنده ، يأخذ الخلق من أيديهم .

✧ ✧ ✧

لا تعتزل بزهد مع جهل!

يا من اعتزل بزهده مع جهله تقدم واسمع ما أقول : يا زهادَ الأرض تقدموا ، قد قعدتم في خلواتكم من غير أصل ، ما وقعتم بشيء ، تقدموا والقطوا ثمار الحِكَمِ رحمكم الله .

✧ ✧ ✧

من نظر النعمة شكر المنعم

يا قوم .. قد غذاكم بنعمه وأنتم في بطون أمهاتكم وبعد خروجكم منها ، ثم أعطاكم العوافي والقوى والبطش ، ورزقكم طاعته وجعلكم مسلمين متبعين لنبيه ρ ، إذا رأيتم النعم منه ، زالت محبة الخلق من قلوبكم .

✧ ✧ ✧

ويحك .. خلوتك بلا معنى!

ويحك .. تقعد في صومعتك وقلبك في بيوت الخلق منتظر لمجيئهم وهداياهم ، ضاع زمانك وجعلت لك الصورة بلا معنى .. إذا لم يكن لك باطن صحيح وقلب خال عما سوى الحق عزَّ وجلَّ وإلا فمجرد الخلوة لا ينفعك .

✧ ✧ ✧

اخرج كالشعرة من العجين!

من أراد الفلاح فليبذل نفسه وماله للحق عزَّ وجلَّ ، ويخرج بقلبه من الخلق والدنيا كخروج الشعرة من العجين واللبن .

✧ ✧ ✧

عِظِ الناسَ بحالك قبل قالك!

عن الحسن البصري τ أنه كان يقول : « عظ الناس بعلمك وكلامك ، يا واعظاً عظ الناس بصفاء سرك وتقوى قلبك ، ولا تعظهم بتحسين علانيتك مع قبح سريرتك » .

✧ ✧ ✧

ألا يسعكم ما وسع الأوائل ؟!

أما تستحون .. يصف الحق عزَّ وجلَّ نفسه بصفات يرضاها له تتأولونها وتردونها عليه ؟ ما وسعكم ما وسع من تقدمكم من الصحابة والتابعين ، ربنا عزَّ وجلَّ على العرش كما قال من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تجسيم .

اللهم ارزقنا ووفقنا وجنبنا الابتداع .

✧ ✧ ✧

كيف أُخرج الدنيا من قلبي ؟!

سأل سائل : كيف أُخرج حب الدنيا من قلبي ؟ فقال : انظر إلى تقلبها بأربابها وأبنائها ، كيف تحتال عليهم وتتلهى بهم ، وتُعَدِّيهم خلفها ، ثم ترقيهم من درجة إلى درجة حتى تعليهم على الخلق وتمكنهم من رقابهم ، وتظهر كنوزها وعجائبها ، فبينما هم فرحون بعلوهم وتمكنهم وطيبة عيشهم وخدمتها لهم ، إذا أخذتهم وقيدتهم وغرتهم ، ورمت بهم من ذلك العلو على رؤوسهم ، فتقطعوا وتمزقوا وأُهلكوا ، وهي واقفة تضحك بهم ، وإبليس إلى جنبها يضحك معها .

هذا فعلها بكثير من السلاطين والملوك والأغنياء ، من لدن آدم υ إلى يوم القيامة ، بذلك ترفع ثم تضع ، تقدم ثم تؤخر ، تغني ثم تفقر ، تدني ثم تذبح . والنادر منهم من يسلم منها ، ويغلبها ولا تغلبه ، ويُعان عليها ويسلم من شرها ، وهم آحاد وأفراد . إنما يسلم من شرها من عرفها واشتد حذره منها ومن حيلها .

يا سائل .. إن نظرت بعيني قلبك إلى عيوبها قدرت على إخراجها منه ، وإن نظرت إليها بعيني رأسك اشتغلت بزينتها عن عيوبها ، ولم تقدر على إخراجها من قلبك والزهد فيها ، وتقتلك كما قتلت غيرك!! . جاهد نفسك حتى تطمئن ، فإذا اطمأنت عرفت عيوب الدنيا وزهدت فيها .

✧ ✧ ✧

تبرأ من النفاق!

المنافق إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان . من بريء من هذه الخصال التي ذكرها النبي ρ فقد بريء من النفاق .

هذه الخصال هي المحك والفرق بين المؤمن والمنافق ، خذ هذا المحك وهذه المرآة وأبصر بها وجه قلبك .. انظر هل أنت مؤمن أو منافق .

✧ ✧ ✧

اجعل دنياك آخرة

كل الدنيا فتنة ومشغلة إلا ما أُخذ بنية صالحة للآخرة ، إذا صلحت النية في التصرف في الدنيا صارت آخرة .

✧ ✧ ✧

قيدوا النعم بالشكر

قيدوا نعم الحق عزَّ وجلَّ بشكره .. الشكر للحق عزَّ وجلَّ شيئان :

الأول : الاستعانة بالنعم على الطاعات والمواساة للفقراء منها .

والثاني : الاعتراف بها للمنعم بها والشكر لمنزلها وهو الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

كل ما شغلك عن الله شؤمٌ

عن بعضهم رحمة الله عليه أنه قال : كل ما يشغلك عن الله عزَّ وجلَّ فهو عليك مشؤوم .. إذا شغلتك نِعَمُه عنه فهي عليك مشؤومة .

✧ ✧ ✧

يا من له ألف معبود!

قلبك لا يوافق لسانك ، فعلك لا يوافق قولك ، قل الله أكبر ألف مرة بقلبك ومرة بلسانك ، ما تستحي أن تقول لا إله إلا الله ولك ألف معبود غيره! . تب إلى الله عزَّ وجلَّ من جميع ما أنت فيه .

وأنت يا من يعلِّم العلم وقد قنع منه بالاسم دون العمل ، إيش ينفعك إذا قلت : أنا عالم ، فقد كذبت ، كيف ترضى لنفسك أنك تأمر غيرك بما لا تعمله أنت!

✧ ✧ ✧

ويحك .. تأمر بالتوحيد وتشرك!

ويحك .. تأمر الناس بالصدق وأنت تكذب ، تأمرهم بالتوحيد وأنت مشرك ، تأمرهم بالإخلاص وأنت مراء منافق ، تأمرهم بترك المعاصي وأنت ترتكبها ، قد ارتفع الحياء من عينيك ، لو كان لك إيمان لاستحييت، قال النبي ρ : « الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ » –رواه أحمد والترمذي وقال : حسن صحيح– .

لا إيمان لك ولا إيقان لك ولا أمانة ، خنت العلم فذهبت أمانتك ، وكُتبت عند الله خواناً ، لا أعرف لك دواء إلا التوبة والثبات عليها .

✧ ✧ ✧

لا تتعود البطالة والكسل!

لا تتعود البطالة والكسل عن طاعة الحق عزَّ وجلَّ فإنه يبتليك عقوبة .. إلى متى تشتغل بنفسك وأهلك عن الحق عزَّ وجلّ ؟! .

✧ ✧ ✧

عليك بالقناعة فإنها طوق النجاة

عَلّمْ أولادك الصنائع وتفرغ لعبادة الله عزَّ وجلَّ ، فإن الأهل والولد لا يغنون عنك من الله شيئاً ، ألزم نفسك وأهلك وولدك القناعة بما لا بد لك منه ، وتفرَّغ أنت وهم لطاعة مولاكم عزَّ وجلَّ ، فإن كان لكم في الغيب سعة الرزق فهي تأتي في وقتها المقدر عند الله ، تراها من الحق عزَّ وجلَّ ، وتتخلص من الشرك بالخلق ، وإن لم يكن لك عند القدر ذلك فعندك غنى عن جميع الأشياء بزهدك وقناعتك .

✧ ✧ ✧

من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه!

الرياء والنفاق والمعاصي سبب الفقر والذل والطرد من باب الحق عزَّ وجلَّ ، المرائي المنافق يأخذ الدنيا بدينه وتزييه بزي الصالحين من غير أهلية فيه ، يتكلم بكلامهم ويتلبس بثيابهم ولا يعمل مثل عملهم ، يدعي النسب إليهم وليس هو من نسبهم .

✧ ✧ ✧

ما البينة على دعواك ؟!

قولك : لا إله إلا الله دعوى ، وتوكلك عليه وثقتك به وإعراض قلبك عن غيره بينة .

يا كذابين اصدقوا ، يا هاربين من مولاهم ارجعوا ، اقصدوا بقلوبكم باب الحق عزَّ وجلَّ وصالحوه واعتذروا إليه .

✧ ✧ ✧

يا غلام .. ابك على نفسك!

يا غلام .. ما تستحي ؟! ابك على نفسك فإنك قد حُرمت الصواب والتوفيق ،

ما تستحي! تكون اليوم طائعاً وغداً عاصياً ، اليوم مخلصاً وغداً مشركاً .

✧ ✧ ✧

ذنوبكم مزدحمة .. والعاقبة مبهمة!

يا قوم .. أنتم عن قريب موتى .. ابكوا على أنفسكم قبل أن يُبكى عليكم ، لكم ذنوب مزدحمة على عاقبة مبهمة ، قلوبكم مرضى بحب الدنيا والحرص عليها ، داووها بالزهد والترك والإقبال على الحق عزَّ وجلَّ ، سلامة الدين رأس المال ، والأعمال الصالحة هي الأرباح ، اتركوا الطلب لما يطغيكم واقنعوا بما يكفيكم .. العاقل لا يفرح بشيء حلاله حساب وحرامه عقاب .. أكثركم قد نسوا العقاب والحساب !! .

✧ ✧ ✧

اصحب أرباب القلوب يكن لك قلب

يا غلام .. اصحب أرباب القلوب حتى يصير لك قلب .. لا بد لك من شيخ حكيم عامل بحكم الله عزَّ وجلَّ يهذبك ويعلمك وينصحك .

✧ ✧ ✧

يا من باع كل شيء!

يا من باع كل شيء بلا شيء ، واشترى لا شيء بكل شيء ، قد اشتريت الدنيا بالآخرة وبعت الآخرة بالدنيا ، أنت هوس في هوس ، عدم في عدم ، جهل في جهل ، تأكل كما تأكل الأنعام من غير تفتيش ولا احتساب ولا سؤال .. من غير نية من غير أمر من غير فعل !! .

القلب يصدأ وجلاؤه الورع

القلب يصدأ .. فإن تداركه صاحبه وإلا انتقل إلى السواد ؛ يسْودُّ لبعده عن النور ، يسْودُّ لحبه الدنيا والتحويز عليها من غير ورع ، لأن من تمكن من قلبه حب الدنيا زال ورعه فيجمعها من حلال وحرام ، يزول تمييزه في جمعه ، يزول حياؤه من ربه عزَّ وجلَّ ومراقبته .

✧ ✧ ✧

يا قوم .. اللسان غلام القلب

يا قوم .. راقبوا ربكم عزَّ وجلَّ في خلواتكم وجلواتكم ، اجعلوه نصب أعينكم حتى كأنكم ترونه فهو يراكم . من كان ذاكراً الله عزَّ وجلَّ بقلبه فهو الذاكر .. اللسان غلام القلب وتبع له .

✧ ✧ ✧

المواعظ حياة القلوب

داوم على سماع المواعظ .. فإن القلب إذا غاب عن المواعظ عمي.

✧ ✧ ✧

حقيقة التوبة .. تعظيم أمر الله

حقيقة التوبة تعظيم أمر الحق عزَّ وجلَّ ، في جميع الأحوال ، ولهذا قال بعضهم رحمة الله عليه : الخير كله في كلمتين : التعظيم لأمر الله عزَّ وجلَّ ، والشفقة على خلقه ، كل من لا يعلم أمر الله عزَّ وجلَّ ، ولا يشفق على خلق الله ؛ فهو بعيد من الله .

✧ ✧ ✧

ضاع عمركم في أكلوا وأكلنا .. !!

ضاع عمركم في أكلوا وأكلنا ، وشربوا وشربنا ، ولبسوا ولبسنا ، وجمعوا وجمعنا! . من أراد الفلاح فلْيصبِّر نفسه عن المحرمات والشبهات والشهوات ، ويصبر على أداء أمر الله عزَّ وجلَّ والانتهاء عن نهيه والموافقة لقدره .

✧ ✧ ✧

التوبة .. ولادة جديدة

توبوا بقلوبكم ثم بألسنتكم .. التوبة قلب دولة .. تقلب دولة نفسك وهواك وشيطانك وأقرانك السوء ، إذا تبت قلبت سمعك وبصرك ولسانك من كدر الحرام والشبهة ، وتتورع في معيشتك وبيعك وشرائك ، وتجعل كل همك مولاك عزَّ وجلَّ ، تزيل العادة وتترك مكانها العبادة ، تزيل المعصية وتترك مكانها الطاعة ، فحينئذ يكون ظاهرك محفوظاً وباطنك بربك عزَّ وجلَّ مشغولاً ، فإذا تمّ لك هذا .. فلو جاءت إليك الدنيا بحذافيرها ومكنتك منها ، وتبعك الخلق بأجمعهم .. لم يضرك ذلك .

✧ ✧ ✧

من لا ينفعك لحظُه لا ينفعك وعظه

العلم جُعل للعمل لا لمجرد الحفظ وإيراده على الخلق ، تعلَّم واعمل ثم علِّم غيرك ، إذا علمت ثم عملت تكلم العلم عنك ، وإن سكتَ تكلمَ بلسان العمل أكثر مما يتكلم بلسان العلم . ولهذا قال بعضهم رحمة الله عليه : من لا ينفعك لحظه لا ينفعك وعظه .

✧ ✧ ✧

يا منافق .. عملك قشر لا لب فيه !

كل عمل لا إخلاص فيه فهو قشر لا لب فيه ؛ خشبة ممدودة ، جسد بلا روح ، صورة بلا معنى . وهذا عمل المنافقين .

ويحك .. أنت مستظل بشجرة الغفلة !!

ويحك .. قد خرست!! .. استغث إلى الحق عزَّ وجلَّ ، ارجع إليه بأقدام الندم والاعتذار حتى يخلصك من أيدي أعدائك ، وينجيك من لجة بحر هلاكك ، تفكر في عاقبة ما أنت فيه وقد سهل عليك تركه ، أنت مستظل بشجرة الغفلة .. اخرج من ظلها وقد رأيت ضوء الشمس وقد عرفت الطريق .. شجرة الغفلة تربى بماء الجهل ، وشجرة اليقظة والمعرفة تربى بماء الفكر ، وشجرة التوبة تربى بماء الندامة ، وشجرة المحبة تربى بماء الموافقة .

✧ ✧ ✧

جاوزت سن الأربعين .. يا نفس هلا ترعوين ؟!

يا غلام .. قد كان لك بعض العذر ، أنت صبي وشاب إلى الآن ، قد قاربت الأربعين أو قد جاوزتها وأنت تلعب بما يلعب الصغار ، احذر من مخالطة الجهال .. اصحب الشيوخ المتقين ، واهرب من الشباب الجاهلين ، قم ناحية عن القوم ، فمن جاء منهم إليك فكن به كالطبيب لهم ؛ كن للخلق كالأب الشفيق على أولاده ، أكثرْ من طاعة الله عزَّ وجلَّ فإن طاعته ذكره .

✧ ✧ ✧

المؤمن وقَّافٌ عند حدود الله

المؤمن مطيع لربه عزَّ وجلَّ موافق له صابر معه ، يقف عند حظوظه وكلامه وأكله ولبسه وجميع تصرفاته، والمنافق لا يبالي بهذه الأشياء في جميع أحواله .

✧ ✧ ✧

اخلعوا ثياب الحرص يا أدعياء الزهد

يا مدعين الزهد بأقوالكم وأفعالكم .. قد تلبستم بثياب الزهاد وبواطنكم ملأى رغبة وحسرة على الدنيا!! . لو خلعتم هذه الثياب وأظهرتم الرغبة التي في قلوبكم ، لقد كان يكون أحب

إليكم وأبعد لكم من النفاق . الصادق في زهده تجيء إليه أقسامه ويتناولها .. فلبس ظاهره بها وقلبه مملوء من الزهد فيها وفي غيرها .

✧ ✧ ✧

الجاهل بالعلم مستغنٍ برأيه وهواه!

كل جاهل بالعلم مستغنٍ برأيه قابلٌ كلامَ نفسِه وهواه وشيطانه ، فهو عبد إبليس تابع له قد جعله شيخه !!. يا جهالاً ويا منافقين ؛ ما أظلمَ قلوبَكم! .. وما أنتنَ روائحَكم! .. وما أكثرَ لقلقةَ ألسنتكم! . توبوا من جميع ما أنتم فيه .

✧ ✧ ✧

كُنْ عملاً بلا كلام

يا غلام .. اهجر الكلام عن الخلق ما دمت قائماً مع نفسك وهواك .. كن عملاً بلا كلام ، إخلاصاً بلا رياء ، توحيداً بلا شرك ، خمولاً بلا ذكر .

✧ ✧ ✧

حذارِ أن يقعد قلبك خلفك!

يا غلام .. ارجع إلى ربك بقلبك قبل أن يقعد خلفك ، قد قنعت من أحوال الصالحين بالكلام فيها والتمني لها .. كالقابض على الماء يفتح يده فلا يرى فيها شيئاً .

✧ ✧ ✧

التمني وادي الحُمْق

ويحك .. التمني وادي الحمق ؟! .. تعمل أعمال أهل الشر وتتمنى درجات أهل الخير ؛ من غلب رجاؤه خوفه تزندق ، ومن غلب خوفُه رجاءه قنط ، والسلامة في اعتدالهما .

✧ ✧ ✧

يا من يشكو إلى الخلق مصائبه ؟!

يا من يشكو إلى الخلق مصائبه! .. إيش ينفعك شكواك إلى الخلق ؟! .. لا ينفعونك ولا يضرونك ، وإذا اعتمدت عليهم وأشركت في باب الحق عزَّ وجلَّ يبعدونك ، وفي سخطه يوقعونك ، وعنه يحجبونك ، أنت يا جاهل تدعي العلم ، من جملة جهلك طلبك الدنيا من غير ربك عزَّ وجلَّ ، تطلب الخلاص من الشدائد بشكواك إلى الخلق .

✧ ✧ ✧

لا تصحب نفسك قبل أن تتعلم

ويحك .. إذا كان الكلب الشره يتعلم حفظ الصيد ويترك شرهه وطبعه ، وهذا الطائر أيضاً بالتعليم يخالف طبعه ، ويترك ما كان عليه من أكل الصيود التي تُجعل له ، فنفسك أولى بالتعليم .. علِّمها وفهِّمها حتى لا تأكل دينك وتمزقك وتخون في أمانات الحق عزَّ وجلَّ المودعة عندها ، دين المؤمن عنده لحمه ودمه .. لا تصحبها قبل تعليمك لها .. إذا تعلمتْ وفهمتْ واطمأنتْ حينئذ استصحبها أينما توجهتَ .. لا تفارقها في جميع الأحوال . إذا اطمأنت صارت حليمة عالمة راضية بما يأتيها القدر به من الأقسام .

صاحبْ مولاك بأدب التسليم

الحق عزَّ وجلَّ لا يُصحب مع الاعتراض والمنازعة ، وإنما يُصحب مع حسن الأدب وسكون الظاهر والباطن والموافقة الدائمة ، كل من وافق القدر دامت له الصحبة مع الحق عزَّ وجلَّ ، العارف بالله العالم به قائم معه لا مع غيره ، موافق له لا لغيره ، حي به ميت مع غيره .

✧ ✧ ✧

يا غلام .. تكلم أو اسكت بنية صالحة!

يا غلام .. إذا تكلمت فتكلم بنية صالحة ، وإذا سكت فاسكت بنية صالحة ، كل من لم يقدم النية قبل العمل فلا عمل له .

✧ ✧ ✧

من أنت يا ابن آدم ؟!

من أنت يا ابن آدم ؟! .. أنت مخلوق من ماء مهين .. تواضع لربك عزَّ وجلَّ وذل له .. إذا لم يكن تقوى فلست بكريم عند الله عزَّ وجلَّ ولا عند عباده الصالحين .

✧ ✧ ✧

يا قوم عليكم رقباء !!

يا قوم .. عليكم رقباء ، أنتم في توكيل الحق عزَّ وجلَّ وما عندكم خبر ، كونوا عقلاء ، افتحوا أعين قلوبكم ، إذا حضر أحدكم في بيته جماعةٌ فلا يكن مبتدئاً بالكلام ، بل يكون كلامه جواباً ، ولا يسأل عما لا يعنيه ، التوحيد فرض ، وطلب الحلال فرض ، وطلب ما لا بد منه من العلم فرض ، والإخلاص في العمل فرض ، وترك العوض على العمل فرض . اهرب من الفاسقين والمنافقين ، والتحق بالصالحين والصديقين .

✧ ✧ ✧

التوبة عرس الإيمان

يا قوم .. توبوا من ترككم التقوى ، التقوى دواء وتركها داء ، توبوا فإن التوبة دواء والذنوب داء .. التوبة عرس الإيمان ، والمواظبة على مجالس الذكر وطاعة الحق عزَّ وجلَّ شفاء .. ، توبوا بلسان الإيمان وقد جاءكم الفلاح .. تكلموا بلسان التوحيد والإخلاص وقد جاءكم الفلاح .

✧ ✧ ✧

كن عاقلاً ولا تكذب!

كن عاقلاً ولا تكذب .. تقول : أنا خائف من الله عزَّ وجلَّ ، وأنت تخاف من غيره .. العاقل لا يخاف لومة لائم في جانب الله عزَّ وجلَّ ، هو أصم عن كلام غير الله عزَّ وجلّ . الخلق كلهم عنده عجزة مرضى فقراء ، هذا وأمثاله هم العلماء ، الذين يُنتفع بعلمهم . العلماء بالشرع وحقائق الإسلام هم أطباء .. يا من قد انكسر دينُه تَقدَّمْ إليهم حتى يجبروا كسرك .

لا يعرف الرياء إلا المخلصون

لا يعرف الرياء إلا المخلصون .. كانوا فيه وتخلصوا منه . هو عقبة في طريق القوم لا بد لهم من العبور عليها ؛ الرياء والعجب والنفاق من جملة سهام الشيطان التي يرمي بها القلوب .

اقبلوا من المشايخ وتعلموا منهم السير في الطريق الموصل إلى الحق عزَّ وجلَّ ، فإنه طريق قد سلكوه ، سلوهم عن آفات النفوس والأهوية والطباع ؛ فإنهم قد قاسوا آفاتهم ، وعرفوا غوائلهم .

✧ ✧ ✧

لا تنهزم من سهام النفس!

لا تغتر بنفخ الشيطان فيك ، ولا تنهزم من سهام النفس ، فإنها ترميك بسهامه ، فإنه لا يقدر عليك إلا بطريقها .

✧ ✧ ✧

شيطان الجن يتوسل بالنفس

شيطان الجن لا يقدر عليك إلا بشيطان الإنس ، وهي : النفس والأقران السوء . استغث بالله عزَّ وجلَّ واستعن به على هؤلاء الأعداء فإنه يغيثك .

يا غلام .. اعرض عن المنافقين

يا غلام .. أعرض عن المنافقين المتعرضين لمقت الله عزَّ وجلَّ ، كن عاقلاً ولا تقرب أهل الزمان فإنهم ذئاب عليهم ثياب ، خذ مرآة الفكر وانظر فيها ، واسألِ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يبصِّرك بك وبهم .

✧ ✧ ✧

عليك بالإيمان واليقين!

يا غلام .. تحتاج إلى إيمان يُسيِّرك في طريق الحق عزَّ وجلَّ ، وإلى إيقان يثبتك فيها .

✧ ✧ ✧

امنع نفسك الشهواتِ تُقْبَل

يا غلام .. امنعها –يقصد النفس– الشهوات واللذات وأطعمها طعاماً طاهراً لا يكون نجساً ، الطاهر الحلال ، والحرام النجس .. غذها من الحلال حتى لا تبطر وتشمخ وتسيء الأدب .

✧ ✧ ✧

ذهب لبُّ علمك وبقي قشرُه!

يا من يدعي العلم ويطلب الدنيا من أبنائها ويذل لهم ، قد أضلك الله على علم ، ذهبت بركة علمك ، ذهب لبه وبقي قشره !! .

وأنت يا من يدعي العبادة وقلبه يعبد الخلق ويخافهم ويرجوهم ، ظاهر عبادتك لله عزَّ وجلَّ وباطنها للخلق ، كل طلبك وهمك لما بأيديهم من الدراهم والدينار والحطام ، ترجو حمدهم وثناءهم ، وتخاف ذمهم وإعراضهم ، تخاف منعهم وترجو عطاءهم بكثرة تماديك وتخادعك ولين كلامك على أبوابهم !! .

✧ ✧ ✧

ويلك .. يا عابد الخلق!

ويلك .. أنت مشرك منافق هراء مداخل ، ويلك على من تتبهرج ، على من { يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } [غافر : 19].

ويلك .. تقف في الصلاة وتقول : الله أكبر .. وأنت تكذب في قولك ، الخلق في قلبك أكبر من الله عزَّ وجلَّ ، تب إلى الله عزَّ وجلَّ ولا تعمل حسنة لغيره .. كن ممن يريد وجهه ، أعط الربوبية حقها ، لا تعمل للحمد والثناء ، لا للعطاء ولا للمنع .

✧ ✧ ✧

قلِّلْ حرصك .. قصِّر أملك!

ويحك .. رزقك لا يزيد ولا ينقص ، ما قد قُضي عليك من الخير والشر لا بد من مجيئه ، فلا تشتغل بشيء قد فُرِغَ منه واشتغل بطاعته ؛ قلل حرصك وقصر أملك ، واجعل الموت نصب عينيك وقد أفلحت ، عليك بموافقة الشرع في جميع أحوالك .

✧ ✧ ✧

جدد إسلامك يا هذا!

ارجع إلى الله عزَّ وجلَّ بتجديد الإسلام وحسن التوبة والإخلاص فيها ، قبل أن يجيء الموت فيغلق الباب في وجهك فلا تقدر على الدخول إلى باب التوبة ، ارجع إليه بأقدام قلبك حتى لا يغلق في وجهك باب فضله ، ويكلك إلى نفسك وحولك وقوتك ومالك ، ولا يبارك لك في جميع ما أنت فيه .

✧ ✧ ✧

أما تستحي ؟!

ويحك .. ما تستحي منه عزَّ وجلَّ ، وقد جعلت دينارَك ربَّك ودرهمَكَ همَّك ، ونسيته بالكلية ؟ عن قريب ترى خبرك! .

✧ ✧ ✧

اجعل دكانك لعيالك وقلبك لربك

ويحك .. اجعل دكانك ومالك لعيالك تكسب لهم بأمر الشرع ، ويكون قلبك متوكلاً على الله عزَّ وجلَّ ، اطلب رزقك ورزقهم منه لا من المال والدكان ، فيجري رزقك ورزقهم على يديك ، ويجعل فضله وقربه والأنس به لقلبك .

✧ ✧ ✧

تُبْ واندمْ وابكِ وواسِ

أغلق باب قلبك ، وأيْئِسِ الكلّ من الدخول إليه ، وأَنزلْ فيه ذكرَ الحق عزَّ وجلّ .. وتب توبة في إثر توبة من أعمالك ، وندامة في إثر ندامة من تجريك وسوء أدبك ، وأكثرِ البكاءَ على ما كان منك ، وواسِ الفقراءَ بشيء من مالك لا تبخل به ، فعن قريب تفارقه ، المؤمن الموقن بالخلف في الدنيا والآخرة لا يكون بخيلاً .

✧ ✧ ✧

لا تجعل الدنيا أكبر همك!

الشرعُ إنما شَرَعَ الكسبَ ليُستعان به على طاعة الحق عزَّ وجلَّ ، أما أنت إذا اكتسبت : استعنتَ به على المعصية ، وتركتَ الصلاة وفعلَ الخير ، ولم تخرج الزكاة! . فأنت في معصية لا في طاعة ، يصير كسبك كقطع الطريق ، عن قريب يجيء الموت فيفرح به المؤمن ويغتم له الكافر والمنافق .

✧ ✧ ✧

أين الغاضُّ لبصر قلبهِ وقَالبهِ ؟!

أين التائب الثابت على توبته ؟ . أين المستحي من ربه عزَّ وجلَّ المراقبُ له في جميع الأحوال ؟ . أين المتعفف عن المحارم في خلوته وجلوته ؟ . أين الغاض لبصر قلبه وقالبه ؟ .

✧ ✧ ✧

اصبر على الفقر

يا فقير .. اصبر على فقرك فإن فقر الدنيا ينقطع .

✧ ✧ ✧

الطاعة تفتح عين قلبك

يا غلام .. ما دام حب الدنيا في قلبك لا ترى شيئاً من أحوال الصالحين ، ما دمت مكدياً من الخلق مشركاً بهم لا تنفتح عينا قلبك .

✧ ✧ ✧

ارجع بحوائجك إلى الله

ويلك .. الحياء من الله عزَّ وجلَّ يكون لا من الخلق ، هو الكريم وغيره لئيم ، هو الغني وغيره الفقير ، دأبه العطاء ودأب غيره المنع ، استدلّ عليه بصنعته ، حافظ على حدود شرعه ولازم تقواه ، فإنك إذا دُمت على تقواه دلَّك عليه .

ويحك .. عمرُك يذوب

ويحك .. عمرك يذوب وما عندك خبر ، إلى متى هذا الإعراض عن الآخرة والإقبال على الدنيا ؟! .

✧ ✧ ✧

يا مسكين .. إبك على نفسك!

ويحك .. رزقك لا يأكله غيرك ، موضعك من الجنة والنار لا يسكنه غيرك ، قد مَلَكَتْكَ الغفلة وأسرك الهوى ، كل همك في الأكل والشرب والنكاح والنوم وبلوغ أغراضك ، يا مسكين ابك على نفسك ، يموت ولدك تقوم القيامة عليك ، يموت دينك ولا تبالي ولا تبكي عليه ، مالك عقل! لو كان لك عقل بكيت على ذهاب دينك .

✧ ✧ ✧

مالك لا تتجر برأس مالك ؟!

معك رأس مال وأنت لا تتجر به ؛ هذا العقل والحياء هما رأس المال ، وأنت ما تحسن أن تتجر بهما ، علم لا تعمل به وعقل لا تنتفع به وحياة لا تفيد ؛ كبيت لا يُسكن ، وكنز لا يُصرف ، وطعام لا يؤكل .

✧ ✧ ✧

انتبه من غفلة النوم!

انتبه من غفلة النوم ، واغسل وجهك بماء اليقظة ، فانظر ما أنت مسلم أو كافر ، مؤمن أو منافق ، موحد أو مشرك ، مراءٍ أو مخلص ، موافق أو مخالف ، راضٍ أو ساخط ، الحق عزَّ وجلَّ لا يبالي بك رضيت أم سخطت ، ضرر هذا ومنفعته عائدان إليك ، سبحان الكريم الحليم المتفضل ، الكل تحت لطفه وفضله ، لو لم يلطف بنا لهلكنا أجمع .

✧ ✧ ✧

يا أعداءَ نعمِ الله!

يا قوم .. الدنيا تذهب ، والأعمار تفنى ، والآخرة قريبة منكم ، وما همكم له بل همكم للدنيا وجمعها ، أنتم نعم الله عزَّ وجلَّ ، إذا كتمتم نعم الله عزَّ وجلَّ ولم تشكروه عليها سلبها منكم .

✧ ✧ ✧

ما فائدة دعواك بلا بَيِّنة ؟!

ويلك! لا تَجيْء بمحض العلم فحسب ، كما لا تنفع دعوى بلا بينة لا ينفع علم بلا عمل .. يا تاركين العمل بالعلم! أحدكم يحذق الشِّعر بعبارته وفصاحته وبلاغته ، وليس عمل ولا إخلاص .. لو تهذَّب قلبُك لتهذبت جوارحك ، لأنه ملك الجوارح ، فإذا تهذب الملك تهذبت الرعية ؛ العلمُ قِشر والعمل لب ؛ إنما يُحفَظُ القِشرُ حتى يُحفظَ اللبُّ ، وإنما يُحفظ اللبُّ حتى يُستخرج منه الدهن ، فإذا لم يكن في القشر لبٌ ما يُصنع به ؟! . وإذا لم يكن في اللب دهنٌ فما يُصنع به ؟! العلم قد ذهب ، لأنه إذا ذهب ، لأنه إذا ذهب العمل به فقد ذهب ، إيش ينفعك حفظه ودراسته بلا عمل ؟! . يا عالم! إن أردت خير الدنيا والآخرة فاعمل بعملك وعلم الناس .

✧ ✧ ✧

يا غني .. واسِ الناس

يا غني! إن أردت خير الدنيا والآخرة فواس الناس الفقراء بشيء من مالك .

✧ ✧ ✧

ويلك! .. لا تعبدِ الله بجهل

ويلك! .. أنت تعبد الله بغير علم ، وتزهد بغير علم ، وتأخذ الدنيا بغير علم . ذلك حجابٌ في حجاب ، مَقَتٌ في مقت .. لا تميز الخير من الشر ، لا تفرق بين ما هو لك وما هو عليك ، ما تعرف صديقك من عدوك!! . كل ذلك لجهلك بحكم الله عزَّ وجلَّ ، وتركك لخدمة الشيوخ ؛ شيوخُ العمل وشيوخُ العلم يدلونك على الله عزَّ وجلّ .القول أولاً والعمل ثانياً ، وبه تصل إلى الحق عزَّ وجلَّ . وما وصل من وصل إلا بالعلم والزهد بالدنيا والإعراض عنها بالقلب والقالب . المتزهدُ يُخرِجُ الدنيا من يديه ، والزاهد المتحقق في زهده يخرجها من قلبه : زهدوا في الدنيا بقلوبهم فصار الزهد طبعاً لهم .. خالط ظواهرهم وبواطنهم .. انطفت ناريةُ طباعهم ، انكسرت أهويتُهم ، اطمأنت نفوسهُم واستحال شرُّها .

✧ ✧ ✧

اعرفْ حقيقة الدنيا!

يا غلام .. هذا الزهد ليس هو صنعة تعمله ، ليس هو شيئاً تأخذه بيدك وترميه ، بل هو خطوات أولها النظر في وجه الدنيا فتراها كما هي على صورتها عند من تقدم من الأنبياء والرسل .

✧ ✧ ✧

الزاهد لا يرجو ولا يخشى الخلق

يا غلام .. إذا صح لك الزهد في الدنيا ، فازهد في اختيارك وفي الخلق .. فلا تخافهم ولا ترجوهم ، وفي جميع ما تأمرك فيه نفسك ، فلا تقبل منها إلا بعد مجيء أمر الله عزَّ وجلَّ .

✧ ✧ ✧

ذنوبكم كالأمطار!

ذنوبكم كالأمطار .. فلتكن توباتكم كل لحظة في مقابلتها!

✧ ✧ ✧

ويحك .. أنظر إلى القبور الدارسة!

ويحك .. أنت بَطِرٌ ، أنت أَشِرٌ ، أنت شَبِقٌ ، أنت هوىً ، أنت عبارةٌ .. أُنظر إلى القبور الدارسة وخاطب أهلها بلسان الإيمان فإنهم يخبرونك عن أحوالهم! .

✧ ✧ ✧

القلب راعي الجوارح

إذا أخلص القلب أخلصت الجوارح وتخلصت .. القلب راعي الجوارح ، فإذا استقام استقامت ، إذا استقام القلب والجوارح كَمُلَ أمرُ المؤمن وصار راعياً على أهله وجيرانه وأهل بلده ، يرتفع حالُهُ على قدر قوة إيمانه وقربه من مولاه .

✧ ✧ ✧

النجاة في ثلاثة

يا غلام .. حَصِّلِ العلم ، ثم العمل ، وأَخْلِصْ .

✧ ✧ ✧

الغضب محمودٌ ومذموم

الغضب إذا كان لله عزَّ وجلَّ فهو محمود ، وإذا كان لغيره فهو مذموم ، المؤمن يحتدُّ لله عزَّ وجلَّ لا لنفسه ، يحتدُّ لدينه لا نُصرةً لنفسه ، يغضب إذا خُرق حدٌّ من حدود الله عزَّ وجلَّ كما يغضب النمر إذا أخذوا صيده . فلا جرم يغضب الله عزَّ وجلَّ لغضبه ويرضى لرضاه .

✧ ✧ ✧

لا تُظْهِرِ الغضبَ لله وهو لنفسك!

لا تُظهر الغضبَ للهِ عزَّ وجلَّ وهو لنفسك ، فتكون منافقاً وما أشبه ذلك ، لأن ما كان لله عزَّ وجلَّ يتم ويبقى ويزداد ، وما كان لغيره يتغير ويزول ، فإذا فعلت فعلاً فأَزِلْ نفسك وهواك وشيطانك منه ، ولا تفعله إلا لله عزَّ وجلَّ وامتثالاً لغيره ، لا تفعل شيئاً إلا بأمرٍ حزم من الله عزَّ وجلَّ ؛ إما بواسطة الشرع ، أو بإلهام من الله عزَّ وجلَّ لقلبك مع موافقة الشرع .

✧ ✧ ✧

ارغبْ في الأنس بالله!

ازهد فيك وفي الخلق وفي الدنيا يُرِحْكَ من الخلق ، وارغب في الأنس بالحق عزَّ وجلَّ والراحة بقربه ، لا أنس إلا الأنس به ، ولا راحة إلا معه ، بعد الصفاء من كدُرات نفسك وهواك .

✧ ✧ ✧

لا تتعامل مع الله بباطنٍ نجس

كما لا يحل أن تدخل على الملوك مع نجاسة ظاهرك ، لِمَ تدخل على مالك الملوك الذي هو الحق عزَّ وجلَّ مع نجاسة باطنك ؟ .. في قلبك معاصي وخوفٌ من الخلق ، ورجاءٌ لهم ، وحب الدنيا وما فيها . وكلٌّ هذا من نجاسة القلوب .

زيادة الإيمان بطاعة الرحمن

إذا صحت التوبة صح الإيمان وازداد عند أهل السنة . إن الإيمان يزيد وينقص : يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

✧ ✧ ✧

تَعَلَّمْ متى تتكلم

عليك بالصمت والحلم عن جهل الجاهلين وثوران طباعهم ونفوسهم وأهويتهم ، أما إذا ارتكبوا معصية الحق عزَّ وجلَّ فلا صمت فإنه يحرم ، يصير الكلام عبادة وتركه معصية . إذا قدرت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا تقصر عنه ، فإنه باب خير قد فُتح في وجهك فبادر بالدخول فيه .

✧ ✧ ✧

شروط الطمأنينة عند الذكر

يا غلام .. إن أردت الفلاح فأَخْرِج الخلق من قلبك ، لا تخفهم ولا ترجهم ، فإذا صح لك هذا فقد صحت لك الطمأنينة عند ذكر الله عزَّ وجلَّ .

✧ ✧ ✧

متى تُسمى مستيقظاً ؟

أدِّ الأمرَ ، وانتهِ عن النهي ، واصبر على هذه الآفات ، وتقرَّب بالنوافل .. وقد سُميت مستيقظاً عاملاً لطلب التوفيق من ربك عزَّ وجلَّ ، سَلْهُ وتذلّل بين يديه حتى يهيء لك أسباب الطاعة .

✧ ✧ ✧

أَزِل القيودَ من أقدام نفسك!

ويحك .. قد قيدت نفسك بالخوف من الخلق والرجاء لهم ، أَزِلْ هذه القيود من رجليها وقد قامت إلى خدمة ربها عزَّ وجلَّ ، وصارت مطمئنة بين يديه ، زَهِّدها في الدنيا وشهواتها .. وجميع ما فيها .

✧ ✧ ✧

الزم المحبين لله!

من رأى محباً لله عزَّ وجلَّ فقد رأى الله عزَّ وجلَّ بقلبه .. المحبون له رضوا به دون غيره ، استعانوا به ، واقتصروا عمن سواه .

✧ ✧ ✧

المربي .. يفتل الحبال الرخوة

اسمعوا واعملوا فإني أفتل في حبالكم ، أفتل حبالكم الرخوة وأصل المقطع منها ، ليس لي هم إلا همكم ، ليس لي غم إلا غمكم .

✧ ✧ ✧

كونوا نَهَّابين وَهَّابين!

القومُ .. شُغلهم البذلُ وإيجادُ الراحة للخلق .. نهابون وهابون ؛ ينهبون من فضل الله عزَّ وجلَّ ورحمته ، ويهبونه للفقراء والمساكين المضَّيق عليهم ، يقضون الديون عن المدينين العاجزين عن قضائه ، هم الملوك لا ملوك الدنيا ، فإنهم ينهبون ولا يهبُون .

✧ ✧ ✧

التكبُّر مصدر آثام .. فتنبَّه!

دع منك التكبر على الحق عزَّ وجلَّ وعلى الخلق ، فإنه من صفات الجبابرة الذين يكبهم الله عزَّ وجلَّ على وجوههم في نار الجحيم ، إذا أغضبتَ الله عزَّ وجلَّ فقد تكبرت عليه ، إذا أذَّن المؤذن فلم تجبه بقيامك إلى الصلاة فقد تكبرت عليه ، إذا ظلمت أحداً من خلقه فقد تكبرت عليه ، تب إليه وأخلص في توبتك قبل أن يهلكك بأضعف خلقه ، كما أهلك نمرود وغيره من الملوك لما تكبروا عليه ؛ أذلهم بعد العز ، أفقرهم بعد الغنى ، عذبهم بعد النعيم ، أماتهم بعد الحياة .

✧ ✧ ✧

تملَّكِ الدنيا ولا تحبَّها

كونوا من المتقين! .. الشرك في الظاهر والباطن ، الظاهر عبادة الأصنام ، والباطن الاتكالُ على الخلق ورؤيتُهم في الضر والنفع! . وفي الناس من تكون الدنيا بيده ولا يحبها ، يملكها ولا تملكه ، تحبه ولا يحبها ، تعدو خلفه ولا يعدو خلفها ، يستخدمها ولا تستخدمه ، يفرقها ولا تفرقه ، قد صلح قلبه لله عزَّ وجلَّ ، ولا تقدر الدنيا تفسده ، فيتصرف فيها ولا تتصرف فيه . اتركوا الدنيا في أيديكم .. لمصالح عيال الحق عزَّ وجلّ .. وأخرجوها من قلوبكم .. فلا جرم لا يضركم ، ولا يَغُرَّكم نعيمُها وزينتُها ، فعن قريب تذهبون وتذهب بعدكم! .

✧ ✧ ✧

من استغنى برأيه ضَلَّ وذَلَّ وزَل

يا غلام .. لا تستغن برأيك فإنك تضل ، من استغنى ضل وذل وزل ، إذا استغنيت برأيك حُرمت الهداية والحماية لأنك ما طلبتها ولا دخلت في سببها ، تقول : أنا مستغن عن علم العلماء ، وتدعي العلم ، فأين العمل ؟! ما تأثير هذه الدعوى ؟ ما مصداقها ؟ إنما تتبين صحة دعواك للعلم بالعمل والإخلاص والصبر عند البلاء ، وأن لا تتغير ولا تجزع ولا تشكو إلى الخلق .

✧ ✧ ✧

يا مدعي الفهم .. أين فهمُك ؟!

أنت أعمى كيف تدعي البصر ، أنت سقيم الفهم كيف تدعي الفهم ؟ تُبْ من دعواك الكاذبة إلى الله عزَّ وجلَّ ، وعليك به دون غيره .

✧ ✧ ✧

ابدأ بِخُوَيْصَةِ نفسك

عليك بخويصة نفسك إلى أن تطمئن وتعرف ربها عزَّ وجلَّ فحينئذ التفت إلى غيرك .

✧ ✧ ✧

إني أراكم مفاليس!

يا رجالاً ويا نساء! قد أفلح منكم من كان معه ذرة من الإخلاص ، ذرة من التقوى ، ذرة من الصبر والشكر ، إني أراكم مفاليس .

✧ ✧ ✧

ويحكم .. أعمالكم تصعد إلى السماء!

ويحكم يامتكبرين .. عباداتكم لا تدخل الأرض إنما تصعد السماء قال الله عزَّ وجلَّ : { ... إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ... } [فاطر : 10] .

ربنا عزَّ وجلَّ على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وعلمه محيط بالأشياء مبدع ، سبع آيات في القرآن في هذا المعنى لا يمكنني محوها لأجل جهلك ورعونتك .

✧ ✧ ✧

إنما أخاف الله تعالى

فزعني بسيفك ما أفزع ، ترغبني في مالك ما أرغب ، إنما أخاف الله عزَّ وجلَّ وما أخاف غيره ، أرجوه ولا أرجو غيره ، أعبده ولا أعبد غيره ، أعمل له ولا أعمل لغيره ، رزقي عنده وبيده .

✧ ✧ ✧

الدنيا سوقٌ .. والناقد بصير

هذه الدنيا سوق .. بعد ساعة لا يبقى فيه أحد ، عند مجيء الليل يذهب أهله منه . اجتهدوا أنكم لا تبيعون ولا تشترون في هذا السوق إلا ما ينفعكم غداً في سوق الآخرة .. فإن الناقد بصير . توحيد الحق عزَّ وجلّ .. الإخلاص في العمل له .. هو النافق هناك ، وهو قليل عندكم! .

✧ ✧ ✧

لا تطلب من الخلق ما ليس لك

يا غلام .. كن عاقلاً ولا تستعجل فإنه ما يقع بيدك شيء بعجلتك ، لا تظلم الخلق وتطلب منهم ما ليس لك عندهم .

✧ ✧ ✧

إذا كنت ضعيفاً .. فلا تطلب

يا غلام .. الأولى عندي في حال ضعفك ألا تطلب من أحد شيئاً .. وإن قدرت أن تعطي ولا تأخذ فافعل ، وتخدم ولا تطلب الخدمة من غيرك فافعل .

✧ ✧ ✧

إياك أن تكون ظالماً

اهربْ من الخلق ، واجهد أن لا تكون مظلوماً ولا ظالماً ، وإن قدرت فكن مظلوماً ولا تكن ظالماً ، مقهوراً لا قاهراً ، نصرة الحق عزَّ وجلَّ للمظلوم ، ولا سيما إذا لم يجد ناصراً من الخلق .

✧ ✧ ✧

الصبر ضياء

الصبر سبب للنّصرة والرفعة والمعزة .. اللهم إنا نسألك الصبر .

✧ ✧ ✧

لا تستقيم نية إلا بجهاد

اجتهد ألا تأكل لقمة ، ولا تمشي خطوة ، ولا تعمل شيئاً في الجملة إلا بنية صالحة ، تَصْلُحُ للحق عزَّ وجلَّ ، إذا صحَّ لك هذا فكل عمل تعمله يكون له لا لغيره ، تزول عنك الكلفة وتصير هذه النية طبعاً .

✧ ✧ ✧

ويحك .. خَلقٌ وخالقٌ لا يجتمعان

ويحك .. خلق وخالق لا يجتمعان ، دنيا وأخرى في القلب لا يجتمعان ، لا يُتصور ، لا يصح ، لا يجيء منه شيء ؛ إما الخلق وإما الخالق ، إما الدنيا وإما الآخرة . وقد يُتصور أن يكون الخلق في ظاهرك والخالق في باطنك ، والدنيا في يدك والآخرة في قلبك ، أما في القلب فلا يجتمعان . انظر لنفسك واختر لها ، فإن أردت الدنيا فأخرج الآخرة من قلبك ، وإن أردت الآخرة فأخرج الدنيا من قلبك .

✧ ✧ ✧

ويحك .. تسترت عن الخلق!

ويحك .. تسترت عن الخلق ، لا عن الخالق ، يا آكل السم عن قريب يتبين فعله في جسدك ، أكل الحرام سم لجسد دينك ، ترك الشكر على النعم سم لدينك ، عن قريب يعاقبك الحق عزَّ وجلَّ بالفقر والسؤال للخلق ورفع الرحمة من قلوبهم لك ، وأنت يا تارك العمل بعلمه عن قريب يُنسيكَ العلمَ ويُذْهِبُ بركتَه من قلبك ، يا جهالاً! لو عرفتموه عرفتم عقوباته ، أحسنوا الأدب معه ومع خلقه ، قللوا من الكلام فيما لا يعنيكم .

✧ ✧ ✧

النفس كَدِرَةٌ مُكَدِّرَةٌ .. فاحذرها

يا غلام .. فيما يعنيك شغلٌ عما لا يعنيك . أخرج نفسك من قلبك وقد جاءك الخير ، فإنها الكَدِرَةُ المكدرة . بعد خروجها يجيء الصفاءُ غيرَ كَدِرٍ وقد غُيِّرْتَ .

✧ ✧ ✧

الشيب نذير الموت .. فتب!

يا غافلاً عما لا بد لك منه ، قد جعلت همك الشهوات واللذات وجمع الدنيا فوق الدينار ، وأشغلت جوارحك باللعب . إنْ ذكَّرك مُذكِّرٌ الآخرةَ والموتَ ، تقول : نغَّصتَ عليَّ عيشي ، وتلوي برأسك هكذا وهكذا! . قد جاءك نذير الموت وهو الشيب في شعرك وأنت تقصمه أو

تغيره بالسواد ، إذا جاء أجلك إيش تعمل ؟ إذا جاءك مَلَكُ الموت ومعه أعوانه ، بأي شيء ترده ؟ إذا انقطع رزقك ، وانقضت مدتك ، بأي حيلة تحتال ؟! . دع عنك هذا الهوس! الدنيا مبنية على العمل ، إذا عملت فيها أُعطيتَ الأجرةَ ، وإن لم تعمل فما تعطى . هي دار الأعمال والصبر على الآفات ، هي دار التعب والآخرة دار الراحة ، المؤمن يتعب نفسه فيها فلا جرم يستريح ، وأما أنت تعجلت بالراحة ، وتماطل بالتوبة وتُسوِّف يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة ، وقد انقضى أجلك ، عن قريب تندم ، كيف ما قبلت النصيحة! وكيف ما انتهيت! وصُدِقْتَ فما صَدَقْتَ! . ويحك .. جذع سقف حياتك قد انكسر ، أيها المغرور .. حيطان حياتك تتواقع ، هذه الدار التي أنت بها تخرب . تحول منها إلى أخرى ، اطلب دار الآخرة وانقل رجلك إليها ، ما هذه الرجل ؟ الرجل هي الأعمال الصالحة . قدم مالك إلى الآخرة حتى تجده وقت وصولك إليه .

يا مغروراً بالدنيا يا مشتغلاً بلا شيء ، يا من ترك السرية واشتغل بالخدمة .

✧ ✧ ✧

الخلق يريدونك لهم .. فاحذرهم

يا قوم! .. خلُّوا من يعمل عملاً يريد به وجه الخلق وقبولهم له ، فهو عبد آبق محجوبٌ ممقوتٌ ، الخلق يسلبون القلبَ والخيرَ والدينَ ، يجعلونك مشركاً بهم ناسياً لربك عزَّ وجلَّ ، يريدونك لهم لا لك ، والحقُّ عزَّ وجلَّ يريدك لك لا لهم ؛ فاطلب من يريدك لك واشتغل به ، فإن الاشتغال به أولى ممن يريدك له .

✧ ✧ ✧

استغِثْ بالغني ودعِ الفقراء !

إنْ كان ولا بد من الطلب ، فاطلب منه لا من خلقه ، فإن أبغض الخلق إلى الله عزَّ وجلَّ من يطلب الدنيا من خلقه . استغثْ به إليه .. هو الغني والخلق كلهم فقراء لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا نفعاً .

✧ ✧ ✧

نحِّ هذه الأيدي تُفلحْ

كيف تفلح وقد تركت يد نفسك وهواك وطبعك وشيطانك على عينيْ قلبك ؟! . نَحِّ هذه الأيدي وقد رأيت الأشياء كما هي .. نحِّ نفسَك بمجاهدتك لها ومخالفتك ، نَحِّ يدَ هواك وطبعك وشيطانك .

✧ ✧ ✧

خُلِقْتَ للعبادة فلا تلعب!

قد خلقك لعبادته فلا تلعب ، لا تحب معه في محبته أحداً ، إن أحببتَ غيره حُبَّ رأفةٍ ورحمةٍ ولطفٍ يجوز ، فاشتغل بالله عزَّ وجلَّ لا بغيره .. لا تسأنس بغيره .. اجعل الخلق خارج قلبك .. ناحية منه .. فَرِّغْه له. يا بطّال يا كسلانُ يا قليلَ القَبولِ! إنْ قبلتَ مني وعملتَ بما أقول فلنفسك تعمل ، وإن لم تعمل فعلى نفسك المقتُ والحرمان .

✧ ✧ ✧

أطعمِ الأتقياء وأَعِنهُم

إذا أطعمت طعامك للمتقي وساعدته في أمر دنيا ، كنت شريكه فيما يعمل ولا ينقص من أجره شيء ، لأنك عاونته في قصده ورفعت عنه أثقاله ، وأسرعت خطاه إلى ربه عزَّ وجلَّ .

✧ ✧ ✧

أعطِ العلم كُلَّكَ تأخذ بعضَه!

يا جاهل! تعلمِ العلمَ ، فلا خير في عبادة بلا علم ، ولا خير في إيقان بلا علم ، تعلم واعمل فإنك تفلح دنيا وأخرى ، إذا لم يكن لك صبرٌ على تحصيل العلم والعمل به كيف تفلح ؟! . العلم إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه .

قيل لبعض العلماء رحمة الله عليه : بم نلت هذا العلم ؟ فقال : بباكورة الغراب ، وبصبر الجمل ، وبتملق الكب ، كنتُ أُبَكِّر على أبواب العلماء كما يبكر الغراب إلى الطيران ، وكنت

أصبر على أثقالهم كصبر الجمل على الأثقال ، وكنت أتملق كتملق الكلب بباب دار صاحبه حتى يطعمه شيئاً ..

يا طالب العلم اسمع مقالة هذا العالم واعمل بها إذا أردت العلم والفلاح . العلم حياة والجهل موت ؛ العالم العامل بعلمه المخلص في عمله الصابر على تعليمه لحق ربه عزَّ وجلَّ لا موت له .

✧ ✧ ✧

يا قوم أضْنوا شياطينكم بالإخلاص!

يا قوم .. أضنوا شياطينكم بالإخلاص في قول لا إله إلا الله لا بمجرد اللفظ ، التوحيد يحرق شياطين الإنس والجن ، لأنه نار للشياطين ونور للموحدين ، كيف تقول : لا إله إلا الله ، وفي قلبك كم إله ؟ كل شيء تعتمد عليه وتثق به دون الله فهو صنمك ، لا ينفعك توحيد اللسان مع شرك القلب ، لا ينفعك طهارة القالب مع نجاسة القلب ، الموحد يضني شيطانه ، والمشرك يضنيه شيطانه ، الإخلاص لب الأقوال والأفعال ، لأنها إذا خلت منه كانت قشراً بلا لب .. أن القشر لا يصلح إلا للنار .

اسمع كلامي واعمل به فإنه يخمد نار طمعك ويكسر شوكة نفسك .. لا تحضر موضعاً تثور فيه نار طبعك فيخرب بيت دينك وإيمانك ، يثور الطبع والهوى والشيطان فيذهب بدينك وإيمانك وإيقانك ، لا تسمع كلام هؤلاء المنافقين المتصنِّعين المزخرفين ، فإن الطبع يسكن إلى كلام مُزخرف مُصنَّع .

✧ ✧ ✧

خذِ العلمَ من أفواه العلماء

العلمُ يؤخذ من أفواه الرجال لا من الصحف ، من هؤلاء الرجال رجال الحق عزَّ وجلَّ ، ما هو غير التقوى هوسٌ وباطل ، الولاية للمتقين دنيا وآخرة ، الأساس والبناء لهم دنيا وآخرة ، الله عزَّ وجلَّ إنما يحب من عباده المتقين المحسنين الصابرين .

✧ ✧ ✧

علامة طلب العلم لله

يا غلام .. تعلم العلم وأخلص حتى تخلص من شبكة النفاق ، وقَيِّده ، اطلب العلم لله عزَّ وجلَّ لا لخلقه ولا لدنيا . علامةُ طلبك العلم لله عزَّ وجلَّ خوفُك ووجلُك منه عند مجيء الأمر والنهي ؛ تراقبه وتذِلُّ له في نفسك ، وتتواضع للخلق من غير حاجة إليهم لا طمعاً فيما في أيديهم . وتصادق في الله عزَّ وجلَّ وتعادي فيه، لأن الصداقة في غير الله عزَّ وجلَّ عداوة .. الثبات في غيره زوال ، العطاء في غيره حرمان .

✧ ✧ ✧

أمؤمنٌ .. ولا صبر ولا شكر ؟!

إذا لم تصبر على النِّقَم ، ولم تشكر على النِّعم ، فلست بمؤمن .

✧ ✧ ✧

إني أرى علماءكم جُهَّالاً!

يا غلام .. بَيِّنَتُكَ ملازمة الكتاب والسنة والعمل بهما والإخلاص في العمل . إني أرى علماءكم جهالاً ، زهادكم طالبي الدنيا وراغبين فيها ، متوكلين على الخلق ناسين للحق عزَّ وجلَّ .

✧ ✧ ✧

كُنْ مع الله تَرَ اللهَ معك!

ويحك! .. إذا خرجت من الخلق صرت مع الخالق ، يعرِّفك مالك وما عليك ، تميز بين ما لَكَ وبين ما لغيرِك ، عليك بالثبات والدوام على باب الحق عزَّ وجلَّ ، وقد رأيت الخير عاجلاً وآجلاً ، هذا شيء لا يتم والخلق والرياء في قلبك ، إذا لم تصبر لا دين لك ، لا رأس لإيمانك .

✧ ✧ ✧

ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها!

أنت كالحجام تُخرج الداء من غيرك وفيك داء محض ما تخرجه ، إني أراك تزداد علماً ظاهراً وجهلاً باطناً ، إذا لم يكن لك علم تعلَّم ، إذا لم يكن لك علم ولا عمل ولا إخلاص ولا أدب فكيف يجيء منك شيء ، قد جعلت همك الدنيا وحطامها ، عن قريب يحال بينك وبينها .

✧ ✧ ✧

ما قيمة عمل بلا فَهْم ؟!

افهموا ما أقول واعملوا به ، الفهم بلا عمل لا يساوي شيئاً ، العمل بلا إخلاص طمع فارغ ، الطمع كل حروفه فارغة مجوفة ليس فيها شيء .

مَنْ طلب وَجَدَّ وَجَد

من طلب وجدَّ وجدْ . اجهد في أكل الحلال فإنه ينور قلبك من ظلماته ، أنفعُ العقل ما عرَّفك نعمَ الله عزَّ وجلَّ ، وأقامك في شكرها ، وأعانك على الاعتراف بها وبمقدارها .

✧ ✧ ✧

الله يغضب إن تركت سؤاله

ويلك! .. ما تستحي ؟! . تطلب من غير الله عزَّ وجلَّ وهو أقرب إليك من غيره ، تطلب من الخلق ما لا حاجة بك إليه ، معك كنز مكنوز وأنت تزاحم الفقراء على حبة وذرة ، إذا مت افْتُضَحْتَ ، تظهرُ مخابيك ومكاتِمُك ، لو كنت عاقلاً اكتسبت ذرة من الإيمان تلقى الله عزَّ وجلَّ

بها ، ولكنت تصحب الصالحين وتتأدب بهم ؛ بأقوالهم وأفعالهم ، حتى إذا ترعرع إيمانك وتمّ إيقانك استخلصك الله عزَّ وجلَّ له ، وتولى أدبك وأمرك ونهيك من حيث قلبُك .

✧ ✧ ✧

يا عابد الأصنام ! .. تُبْ

يا عابد صنم الرياء ما تشم قرب الله عزَّ وجلَّ لا دنيا ولا آخرة ، يا مشركاً بالخلق مقبلاً عليهم بقلبه ، أعرض عنهم فليس منهم ضرر ولا نفع ولا عطاء ولا منع ، لا تدعي توحيد الله عزَّ وجلَّ مع الشرك الملازم لقلبك فما يقع بيدك منه شيء .

✧ ✧ ✧

الرضى آية الإيمان

كل السلامة في الرضى بالقضاء وقصر الأمل والزهد في الدنيا ، فإذا رأيتم في أنفسكم ضعفاً فدونكم بذكر الموت وقصر الأمل .

✧ ✧ ✧

تارك العمل طامع .. والمُتَكِلُ عليه معجب

من لم يكن الشرع رفيقه في جميع أحواله فهو هالك مع الهالكين ، اعمل واجتهد ولا تتكل على العمل ، فإن التارك للعمل طامع .. والمتكل على العمل معجب مغرور .

✧ ✧ ✧

فارِقْ قبل أنْ تُفارَق!

فارق قبل أن تفارق ، ودِّع قبل أن تُوَدَّع ، اهجُر قبل أن يهجرك أهلُك وسائرُ الخلق ، ما ينفعوك إذا حصلت في القبر ؟! .

✧ ✧ ✧

الورع كسوة الدين

يا قوم .. تورعوا في جميع أحوالكم .. الورع كسوة الدين .

✧ ✧ ✧

عبادة الجاهل مردودة

لا أفكر بحمدك ولا ذمك ، بعطائك ومنعك ، بخيرك وشرِّك ، بإقبالك وإدبارك . أنت جاهل والجاهل لا يُبالى به ، إذا أفلحتَ وعبدتَ الله عزَّ وجلَّ كانت عبادتك مردودة عليك ، لأنها عبادة مقرونة بالجهل ، والجهل كله مفسدة ، لا فلاح لك حتى تتبع الكتاب والسنة .

✧ ✧ ✧

إبليسُ شيخُ من لا شيخَ له!

عن بعضهم رحمة الله عليه أنه قال : من لم يكن له شيخٌ فإبليس شيخه ، اتبع الشيوخ العلماء بالكتاب والسنة العاملين بهما ، أو حسِّن الظنَّ بهم وتعلم منهم ، وأحسن الأدب بين أيديهم والعشرة معهم وقد أفلحت ، إذا لم تتبع الكتاب والسنة ، ولا الشيوخ العارفين بهما .. فما تفلح أبداً ، ما سمعت : من استغني برأيه ضل ، هذّب نفسك بصحبة من هو أعلم منك ، اشتغل بإصلاحها ثم انتقل إلى غيرها .

✧ ✧ ✧

الفقه طوق النجاة

الفقه في الدين سبب لمعرفة النفس ، من عرف ربه عزَّ وجلَّ عرف الأشياء كلها به ، تصح له العبودية والعتق من عبودية غيره ، لا فلاح لا نجاة لك حتى تؤثره على غيره ؛ تؤثر دينك على شهواتك ، وآخرتك على دنياك .. ، هلاكك في تقديم شهوتك على دينك ودنياك على آخرتك .. اعمل بهذا وقد كفاك ، أنت محجوب عن الحق عزَّ وجلَّ لا إجابة لك ، الإجابة إنما تكون بعد الاستجابة ، إذا أجبته بالعمل أجابك في وقت سؤالك له ، وجود الزرع إنما يكون بعد الزراعة ، ازرعْ حتى تحصد .

✧ ✧ ✧

أنت مشغول بزرع الدنيا!

أنت مشغول بزرعِ الدنيا لا بزرعِ الآخرة ، أما علمت أن طالب الدنيا لا يفلح مع الآخرة ؟ لا يرى الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

عليك بسوط مخالفة الأهواء

يا غلام .. اضرب نفسك بسوط الجوعِ والمنع من الشهوات واللذات والترهات ، واضرب قلبك بسوط الخوف والمراقبة ؛ اجعلِ الاستغفارَ دأب نفسك وقلبك .

✧ ✧ ✧

عليك بجوهر الجوهر

ويحك .. إيش تعمل بلقلقة اللسان بلا عمل ، أنت تكذب وعندك أنك تصدق ، تشرك وأنت موحد ، وتعتقد الصحة معك بالغش وتعتقد أنه جوهر .. العمل بالعلم تاج العلم ، العمل بالعلم نور العلم ؛ صفاء الصفاء ، جوهر الجوهر ، لب اللب ، العمل بالعلم يصحح القلب ويطهره .. فإذا صح القلب صحت الجوارح، إذا طهر القلب طهرت الجوارح ، إذا صلحت المضغة صحت البنية .

✧ ✧ ✧

التقوى كرامة .. والمعصية مهانة

من أحب الكرامة دنيا وآخرة فليتق الله عزَّ وجلَّ ، لأنه قال عزَّ وجلَّ : { ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... } [الحجرات : 14] الكرامة في تقواه والمهانة في معصيته

✧ ✧ ✧

توكلك على المخلوق جهلٌ بالخالق

من أحب القوة في دين الله عزَّ وجلَّ فليتوكل على الله عزَّ وجلَّ ، لأن التوكل يصحح القلب ويقويه ويهذبه ويهديه ويريه العجائب ، لا تتكل على درهمك ولا دينارك وأسبابك ، فإن ذلك يُعجِزُكَ ويُضعِفُك ، وتوكل على الله عزَّ وجلَّ ؛ فإنه يقويك ويعينك ، ويلطف بك ويفتح لك من حيث لا تحتسب ، ويقوي قلبك ، ولا تبالي بمجيء الدنيا وذهابها ، بإقبال الخلق وإدبارهم ، فحينئذ تكون أقوى الناس .وإذا توكلت على مالك وجاهك وأهلك وأسبابك ، فقد تعرضت لمقت الله عزَّ وجلَّ ولزوال هذه الأشياء ، لأنه غيور لا يحب أن يرى في قلبك غيره .ومن أحب الغنى في الدنيا والآخرة فليتقِ الله عزَّ وجلَّ دون غيره ، وليَقِفْ على بابه ويستحي منه أن يأتي باب غيره ، ويُغمضْ عينيه عن النظر إلى غيره ، أعني : عَيْنَيْ القلب لا عَيْنَيْ القالب .

كيف تثق بما في يديك وهو مُعَرّضٌ للزوال وتترك الثقة بالله عزَّ وجلَّ .. جهلك به يحملك على الثقة بغيره . ثِقَتُكَ به كُلُ الغنى ، ثِقَتُكَ بغيره كُل الفقر .

يا تارك التقوى! قد حُرِمْتَ الكرامةَ دنيا وآخرة ، يا متوكلاً على الخلق والأسباب! قد حرمت القوة والتعززَ بالله عزَّ وجلَّ دنيا وآخرة ، ويا واثقاً بما في يديه قد حُرِمْتَ الغنى بالله عزَّ وجلَّ دنيا وآخرة .

✧ ✧ ✧

الصبر أساس لكل خير

يا غلام .. إن أردت أن تكون متقياً متوكلاً واثقاً فعليك بالصبر فإنه أساسٌ لكل خير ، إذا صحت لك النية في الصبر فصبرت لوجه الله عزَّ وجلَّ ، كان جزاؤهُ لك أن يدخل قلبك حبه وقربه دنيا وأخرى ، الصبر موافقة الحق عزَّ وجلَّ في قضائه وقدره الذي سبق علمه ولا يقدر أحد من خلقه على محوه ، ثبت هذا عند المؤمن الموقن فصبر على ما قدر عليه ولا يقدر أحد من خلقه على محوه ، ثبت هذا عند المؤمن الموقن فصبر على ما قدر عليه اختياراً لا اضطراراً . كيف تَدَّعي الإيمان ولا صبرَ لك ، كيف تدعي المعرفة ولا رضا لك ، هذا شيء لا يجيء بمجرد الدعوى.

✧ ✧ ✧

لسان الجاهل أَمام قلبهِ

يا قوم .. دعوا عنكم الهوسات والأماني الباطلة ، واشتغلوا بذكر الله عزَّ وجلَّ ، تكلموا بما ينفعكم واسكتوا عما يضركم ، إنْ أردتَ أن تتكلمَ ففكِّرْ فيما تريد أن تتكلم به وحصِّل فيه النية الصالحة ثم تكلَّم ، ولهذا قيل : لسان الجاهل أمام قلبه ، ولسان العاقل العامل وراء قلبه.

✧ ✧ ✧

ضيَّعك الحرصُ وطول الأمل

أنت أَشفقُ عليها –أي : النفس– من غيرك وقد ضيعتها ، فكيف يشفق عليها غيرك ويحفظها ؟! قوةُ أملك وحرصُك حملاك على تضييعها ، اجهد في : تقصير الأمل ، وتقليل الحرص ، وذكر الموت ، ومراقبة الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

صديقك من نهاك .. عدوك من أغواك

صديقك من نهاك عدوك من أغواك ؛ إني أراك عند الخلق لا عند الخالق عزَّ وجلَّ ، تشكر غيره على نعمه ، من أعطاك ما أنت فيه من النعم غيره حتى تشكره وتعبده ؟! ، إن كنت تعلم أن ما عندك من النعم من الحق عزَّ وجلَّ فأين شكره ؟ وإن كنت تعلم أنه خلقك فأين عبادته في امتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه والصبر على بلائه ؟ جاهد نفسك حتى تهتدي .

✧ ✧ ✧

صبرك يفنى وجزاء الله باقٍ

يا غلام .. اجهد أن تموت نفسَك قبل خروجِ روحك من بدنك ، موتها بالصبر والمخالفة ، فعن قريب تحمد عاقبة ذلك ، صبرك يفنى وجزاؤه لا يفنى ، إني صبرت ورأيت عاقبة الصبر محمودة .

✧ ✧ ✧

أنت عبد من زمامك بيده

ويحك .. تضيع زمانك في طلب العلم ولا تعمل به! فأنت على قدم الجهل في هوس ، تخدم أعداء الحق عزَّ وجلَّ وتشرك بهم! . هو غني عنك وعمن أشركت به ، لا يقبل منك شريكاً ، ما علمت أنك عبد من زمامك بيده ؟! . إن أردت الفلاح فاترك زمام قلبك بيد الحق عزَّ وجلَّ

، وتوكل عليه حقيقة التوكل ، واخدمه بظاهرك وباطنك ، ولا تتهمه فإنه غير مُتَّهم ، هو أعرف منك بمصلحتك وهو يعلم وأنت لا تعلم .

✧ ✧ ✧

فليتك تحلو والحياة مريرة

إذا خرب ما بينك وبين الخلق وعمر ما بينك وبينه –عزَّ وجلَّ– فقد اختار لك فلا تكره خيرته ، من صبر مع الحق عزَّ وجلَّ رأى عجائب من ألطافه .. كلما ذلّ العبد له أعزّه ، كلما تواضع له رفعه ، هو المعز والمذل، الرافع والواضع ، الموفق والمسهِّل .

✧ ✧ ✧

قف مع القلب لا مع النفس

يا معجبين بأعمالهم ما أجهلكم! لولا توفيقه ما صليتم وصمتم وصبرتم ، أنتم في مقام الشكر لا في مقام العجب ، أكثر العُبَّاد معجبون بعبادتهم وأعمالهم ، طالبون للحمد والثناء من الخلق ، راغبون في إقبال الدنيا وأربابها عليهم ، وسبب ذلك وقوفهم مع نفوسهم وأهويتهم . الدنيا محبوبة النفوس والأخرى محبوبة القلوب .

✧ ✧ ✧

لقمة تُنوِّر القلب ولقمة تُظلمه

يا غلام .. أكل الحرام يميت قلبك وأكل الحلال يحييه ، لقمة تنور قلبك ولقمة تظلمه ، لقمة تشغلك بالدنيا ولقمة تشغلك بالأخرى ، الطعام الحرام يشغلك بالدنيا ويحبب المعاصي ، والطعام المباح يشغلك بالأخرى ويحبب إليك الطاعات ، والطعام الحلال يقرب قلبك من المولى .

✧ ✧ ✧

ويحك .. أنزل حوائجك بمولاك!

ويحك .. الخلق يقضون حوائجك يوماً أو اثنين أو ثلاثة أو شهراً أو سنة أو سنتين ، وفي الآخرة يضجرون منك ، عليك بصحبة الحق عزَّ وجلَّ وإنزال حوائجك به ، فإنه لا يضجر منك ولا يسأم من حوائجك دنيا وآخرة .

يا واثقاً بالدينار والدرهم اللذين في يدك عن قريب يذهبان .. قد كانا في يد غيرك فسُلبا منه وسُلِّما إليك لتستعين بهما على طاعة مولاك عزَّ وجلَّ فجعلتهما صنمك! ، يا جاهل تعلم العلم لوجه الله عزَّ وجلَّ واعمل به فإنه يؤدبك .. العلم حياة والجهل موت .

✧ ✧ ✧

اخدمِ العلم يفقه قلبك

اخدم العلم والعلماء العمال واصبر على ذلك ، إذا صبرت على خدمة العلم أولاً لا بد أن يخدمك ثانياً .. إذا صبرت على خدمة العلم أعطيت فقه القلب ونور الباطن .

✧ ✧ ✧

احذر ذلَّ النفاق وقيد الشرك

اللهم تب عليَّ وعليهم وخلِّصهم من ذلِّ النفاق وقيد الشرك ، اعبدوا الله عزَّ وجلَّ واستعينوا على عبادته بكسب الحلال ، إن الله عزَّ وجلَّ يحب عبداً مؤمناً مطيعاً آكلاً من حلاله ، يحب من يأكل ويعمل ، ويبغض من يأكل ولا يعمل ، يحب من يأكل بكسبه ويبغض من يأكل بنفاقه وتوكله على الخلق ، يحب الموحد له ويبغض المشرك به ، يحب المسلِّم إليه ويبغض المنازع له ، من شرط المحبة الموافقة ، ومن شرط العداوة المخالفة .

✧ ✧ ✧

يا طالب الدنيا بنفاقه .. تُب!

يا طالبَ الدنيا بنفاقه افتح يدك فما ترى فيها شيئاً ، ويلك زهدت في الكسب وقعدت تأكل أموال الناس بدينك . الكسب صنعة الأنبياء جميعهم ، ما منهم إلا من كان له صنعة ، وفي الآخرة أخذوا من الخلق بإذن الحق عزَّ وجلَّ ، يا سكران بخمر الدنيا وبشهواتها وهوساتها عن قريب تصحو في لحدك .

✧ ✧ ✧

لا تقف مع حمد الناس وذمهم!

يا من يدعي العلم! لا عبرة بعلمك من غير عمل ، ولا عبرة بعلمك من غير إخلاص ، لأنه جسد بلا روح . علامة إخلاصك أنك لا تلتفت إلى حمد الخلق ولا إلى ذمهم ، ولا تطمع فيما في أيديهم ، بل تعطي الربوبية حقها .

✧ ✧ ✧

سلِ اللهَ واستعن به وتوكل عليه!

يا قوم .. اتبعوا ولا تبتدعوا ، وافقوا ولا تخالفوا ، أطيعوا ولا تعصوا ، أخلصوا ولا تشركوا ، وحِّدوا الحق عزَّ وجلَّ وعن بابه فلا تبرحوا ، سلوه ولا تسألوا غيره ، استعينوا به ولا تستعينوا بغيره ، توكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره .

✧ ✧ ✧

اتبع الشاهديْن العادليْن

لا تبتدع وتُحدث في دين الله عزَّ وجلَّ شيئاً لم يكن ، اتبع الشاهدَيْن العادلَيْن : الكتاب والسنة ، فإنهما يوصلانك إلى ربك عزَّ وجلَّ ، وأما إن كنت مبتدعاً فشاهداك : عقلك وهواك ، فلا جرم يوصلانك إلى النار، ويلحقانك بفرعون وهامان وجنودهما ، اجعل سعيك في طلب العلم والعمل ، ولا تجعله في طلب الدنيا ، عن قريب ينقطع سعيك! فاجعل سعيك فيما ينفعك.

✧ ✧ ✧

عليك بزينة القلب!

من تزيَّن للناس بما ليس فيه مقته الله عزَّ وجلَّ ، زيِّن ظاهرك بآداب الشرع وباطنك بإخراج الخلق منه ، قد اشتغلت بزينة القالب وتركت زينة القلب ، زينة القلب بالتوحيد والإخلاص والثقة بالله عزَّ وجلَّ وبذكره ونسيان غيره .

✧ ✧ ✧

الصبر ضياء .. والاعتراضُ ظلمة

إذا صبرت خفَّفَ عنك البلاء وأحدث لك أمراً يحبه وتحبه ، وإذا جزعت واعترضت ثقل عليك البلاء وزادك منه عقوبة لاعتراضك عليه ، سبب اعتراضكم عليه عزَّ وجلَّ ومنازعتكم له ؛ وقوفكم مع نفوسكم وأهويتكم وأغراضكم ، وحبكم للدنيا وحرصكم على جمعها .

✧ ✧ ✧

يا قوم .. عليكم بالكرم والإيثار

يا قوم .. عليكم بالكرم والإيثار في طاعة الحق عزَّ وجلَّ لا في معصيته ، كل نعمة تصرف في المعصية هي معرضة للزوال .

✧ ✧ ✧

العُجبُ يهلك العمل

لا تعجبنّ بشيء من أعمالك فإن العجب يفسد العمل ويهلكه ، من رأى توفيق الله عزَّ وجلَّ له انتفى عنه العجب بشيء من الأعمال .

✧ ✧ ✧

لا تُبهرج .. فإن الناقد بصير

لا تبهرج فإن الناقد بصير .. إن الله عزَّ وجلَّ ينظر إلى قلبك لا إلى صورتك ، ينظر إلى ما وراء الثياب والجلود والعظام ، ينظر إلى خلوتك لا إلى جلوتك ، أما تستحي ؟! جعلت منظر الخلق مزيناً ومنظر الحق عزَّ وجلَّ منجساً ، إن أردت الفلاح فتب من جميع ذنوبك وأخلص في توبتك ، تب من شركك بالخلق لا تعمل شيئاً إلا لله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

اصحب شيخاً يُنهضك حاله

يا غلام .. اصحب من يعاونك على جهاد نفسك لا من يعاونها عليك ، إذا صحبت شيخاً جاهلاً منافقاً صاحب طبع وهوى كان معاوناً لها عليك ، الشيوخ لا يُصحبون للدنيا بل يصحبون للآخرة ، إذا كان الشيخ صاحب طبع وهوى صُحِب للدنيا ، وإذا كان صاحب قلب صُحِب للآخرة .

✧ ✧ ✧

يا من تمشيخ .. لا تكن صبياً!

يا من تمشيخ وتصدَّر وزاحم الشيوخ المخلصين في أحوالهم ، ما دمت تطلب الدنيا بنفسك وهواك فأنت صبي .. ذلك طبع محض .. النادر من كل نادر ؛ نفس تعرض عن الدنيا وتتركها اختياراً لا اضطراراً ، أو كون النفس تطمئن وتصير قلباً ؛ نادر من كل نادر ، بعيد من كل بعيد .

✧ ✧ ✧

لا تطلب الأمن بالمعصية

وأنت يا غافل .. تبارز الحق عزَّ وجلَّ بالمعصية والمخالفة ثم تأمنه ، عن قريب ينقلب أمنك خوفاً ، سعتك ضيقاً ، عافيتك مرضاً ، عزك ذلاً ، رفعك وضعاً ، غناك فقراً .

✧ ✧ ✧

أمنك على قدر خوفك

اعلم أن أمنك يوم القيامة من عذاب الله عزَّ وجلَّ على قدر خوفك منه في الدنيا ، وخوفك في الآخرة على قدر أمنك في الدنيا ، ولكنكم غائصون في بحر الدنيا ساكنون في قعر بئر الغفلة ، الحرص على الدنيا وجمعها وطلب الأرزاق ، قد حجبكم عن طريق الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

الحرص فضّاح

يا من قد فضحه حرصه .. لو اجتمعت أنت وأهل الأرض على أن تجلب لك شيئاً لم يقسم لك لم تقدر ، فدع عنك الحرص على طلب ما قد قسم لك وطلب ما لم يقسم لك ، كيف يحسن العاقل أن يضيع زمانه فيما قد فُرغ منه ؟! .

الطائع عاقل والعاصي مجنون

الطائعون لربهم عزَّ وجلَّ هم العلماء العُقَّل ، والعاصون لربهم عزَّ وجلَّ هم الجهال المجانين ، العاصي جهل ربه عزَّ وجلَّ فعصاه ، وتابع شيطانه ووافقه ، فلو لم يجهل لما عصى ، لو عرف نفسه وعلم أنها تأمره بالسوء لما وافقها .

✧ ✧ ✧

كم أحذرك من إبليس وأعوانه ؟!

كم أحذرك من إبليس وأعوانه وأنت تصحبه وتقبل منه ؟! أعوانه : النفس ، والدنيا ، والهوى ، والطبع ، وأقران السوء .. احذر الجميع فإنهم كلهم أعداؤك .

✧ ✧ ✧

اعدل حتى لا يُعدل بك!

لا تظلم أحداً في الدنيا فإنك تؤخذ به في الآخرة ، اعدل في الدنيا حتى لا يُعدل بك عن طريق الجنة ، الظَّلمة لما تركوا العدل عُدِلَ بهم عن طريق دار أهل العدل .

✧ ✧ ✧

من عرف الله عرف الدنيا!

اشتغل بإصلاحك وصلاحك ودع عنك القال والقيل وهوس الدنيا ، تفرغ من همومها ما استطعت.

يا جاهلاً بالدنيا لو عرفتها ما طلبتها. إن جاءت إليك أتعبتك ، وإن تولت حَسَّرتك ، لو عرفت الله عزَّ وجلَّ لعرفت به غيره .

✧ ✧ ✧

للبلاء حكمة .. فاصبر

يا قليل العقل! لا تهرب من باب الحق عزَّ وجلَّ لأجل بلية يبتليك بها ، فإنه أعرف منك بمصلحتك ، ما يبتليك إلا لفائدة وحكمة ، إذا ابتلاك فاثبت وارجع إلى ذنوبك وأكثر الاستغفار والتوبة ، واسأله الصبر والثبات عليها ، وقف بين يديه وتعلق بذيل رحمته ، واسأله كشف ذلك عنك وبيان وجه المصلحة فيه .

✧ ✧ ✧

اصحب دليلاً خِرِّيتاً!

إن أردت الفلاح فاصحب شيخاً عالماً بحكم الله عزَّ وجلّ .. يعلمك ويؤدبك ويعرفك الطريق إلى الله عزَّ وجلَّ . المريد لا بد له من قائد ودليل ، لأنه في برَّية فيها عقارب وحيات وآفات وعطش وسباع مهلكة ، فيحذره من هذه الآفات ويدله على موضع الماء والأشجار المثمرة ، فإذا كان وحده من غير دليل وقع في أرض مسبعة وعرة كثيرة السباع والعقارب والحيات والآفات ..

يا مسافراً في طريق الدنيا لا تفارق القافلة والدليل والرفقاء ، وإلا ذهب منك مالك وروحك ، وأنت يا مسافراً في طريق الآخرة .. كن أبداً مع الدليل إلى أن يوصلك إلى المنزل .

✧ ✧ ✧

يا غلام .. احذر قرناء السوء

يا غلام .. هؤلاء الذين تعاشرهم في الدنيا للدنيا ، غداً لا تراهم تقطع بينكم .. كيف لا تقطع بينك وبين أقرانك السوء الذين عاشرتهم في غير الله عزَّ وجلَّ ؟! . إن كان ولا بد لك من معاشرة الخلق .. فعاشر المتورعين المتزهدين العارفين العاملين مريدي الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

خالط الأدباء .. يحسن أدبك

أحسن أدبك بين يدي معلمك ، وليكن صمتك أكثر من نطقك فإن ذلك سبب لتعلمك وقربك إلى قلبه. حسن الأدب يقربك وسوء الأدب يبعدك ، كيف يحسن أدبك وأنت لا تخالط الأدباء ؟ كيف تتعلم وأنت لا ترضى بمعلمك ولا تحسن ظنك فيه ؟

✧ ✧ ✧

أدعوكم إلى الموت الأحمر!

يا قوم .. إني أدعوكم إلى الموت الأحمر .. وهو : مخالفة النفس والهوى والطبع والشيطان والدنيا .. والخروج عن الخلق وترك ما سوى الحق عزَّ وجلَّ في الجملة .. جاهدوا في هذه الأحوال ولا تيأسوا .

✧ ✧ ✧

لا تكن حماراً يحمل أسفاراً !

من لا يعمل بعلمه فهو جاهل ، وإن كان متقناً لحفظه .. تعلمك للعلم من غير عمل يردك إلى الخلق ، وعملك بالعلم يردك إلى الحق عزَّ وجلَّ ، ويزهدك في الدنيا ويبصرك بباطنك ، يشغلك عن تزيين الظاهر ويلهمك بتزيين الباطن ، فحينئذ يتولاك الحق عزَّ وجلَّ لأنك قد صلحت له .

✧ ✧ ✧

إنما الميت ميِّتُ الأحياء

الميت من مات عن ربه عزَّ وجلَّ وإن كان حيا في الدنيا .. إيش تنفعه حياته وهو يصرفها في تحصيل شهواته ولذاته وترهاته ؟! فهو ميت معنىً لا صورة .

✧ ✧ ✧

عليك بالكنز الذي لا يفنى

الكنز الذي لا يفنى : هو : الصدق والإخلاص ، والخوف من الله عزَّ وجلَّ ، والرجاء له ، والرجوع إليه في جميع الأحوال .

✧ ✧ ✧

رزقك آتيك .. زهدت أو رغبت!

قسمك يأتيك إن زهدت أو رغبت ؛ فإذا زهدت وصل إليك قسمك وأنت عزيز ، وإذا رغبت وصل إليك وأنت غير عزيز .

✧ ✧ ✧

أَنْكِرْ بالشرع لا بهواك !

أنكروا على أنفسكم وعلى غيركم بالشرع لا بالهوى والنفس والطبع ، ما سكت الشرع عنه فوافقوه في سكوته ، وما نطق به فوافقوه في نطقه .

✧ ✧ ✧

أنت تعبر على قنطرة الموت!

دع عنك الهوس وأخلص في أعمالك ، الموت على رصد منك ، لا بد لك من العبور على قنطرته ، دع عنك هذا الحرص الذي قد فضحك ، ما هو لك لا بد أن يأتيك ، وما هو لغيرك لا يأتيك .

✧ ✧ ✧

أما في القلب فلا!

ويحك .. الدنيا في اليد يجوز ، في الجيب يجوز ، ادخارها لسبب بنية صالحة يجوز ، أما في القلب فلا يجوز . وقوفها على الباب يجوز ، أما دخولها إلى ما وراء البابَ .. لا ولا كرامة لك .

✧ ✧ ✧

إلى متى هذا النفاق ؟!

هذا النفاق إلى متى يا علماء ويا زهاد ؟! كم تنافقون الملوك والسلاطين حتى تأخذوا منهم حطام الدنيا وشهواتها ولذاتها ؟! أنتم وأكثر الملوك في هذا الزمان ظلمة وخونة في مال الله عزَّ وجلَّ وفي عباده .

✧ ✧ ✧

لا يفلح على يديك أحد

يا جاهل تعلم من جهلك! .. إنك قد تركت التعلم واشتغلت بالتعليم! لا تتعب .. ما يجيء منك شيء ، ولا يفلح على يديك أحد ، لأن من لا يحسن أن يكون معلم نفسه ، فكيف يكون معلم غيره .

✧ ✧ ✧

أنظرْ إلى الخلق بعين العجز

يا غلام .. لا تنظر إلى الخلق بعين البقاء .. بل انظر إليهم بعين الفناء ، لا تنظر إليهم بعين الضر والنفع .. بل انظر إليهم بعين العجز والذل ، وحِّد الحقَ عزَّ وجلَّ وتوكل عليه ولا تهذي فيما فُرِغَ منه ؛ الدنيا وجميع ما يظهر فيها قد فرغ منه ، والخلق وجميع ما يظهر ما يتقلبون فيه قد فرغ منه ، قلب المؤمن فارغ من هذا كله .

✧ ✧ ✧

يا جاهل .. لا تغضب من ناصح!

يا جاهل .. ما يكفيك أنك غيرُ مُتَّقٍ حتى إذا قيل لك : اتق الله ، تغضب! .. إذا قيل لك الحق تسمع وتتهاون ، ثم إذا أنكر عليك منكر تغتاظ عليه وتشفي غيظك منه .

✧ ✧ ✧

أما تستحي يا خادم الظَّلَمة ؟!

أما تستحي ؟! قد حملك حرصك على أنك تخدم الظلمة وتأكل الحرام! . إلى متى تأكل وتخدم ؟! الملوك الذين تخدمهم يزول ملكهم عن قريب .. كن عاقلاً واقنع باليسير من الدنيا حتى يأتيك الكثير من الآخرة .

✧ ✧ ✧

الجاهل في فساد كلي وظلمة

والجاهل لا تسوي عبادته شيئاً .. بل هو في فساد كلي وظلمة كلية ، والعلم أيضاً لا ينفع إلا بالعمل به ، والعمل لا ينفع إلا بالإخلاص فيه ، كل عمل بلا إخلاص لا ينفع ولا يقبل من عامله . إذا علمت ولم تعمل كان العلم حجة عليك .

✧ ✧ ✧

اعلمْ .. اعمل .. علِّم

تعلَم واعمل وعلِّم .. فإن ذلك مجمع لك الخير بأسره . إذا سمعت كلمة من العلم وعملت بها وعلمتها غيرك كان لك ثوابان : ثواب العلم وثواب التعليم . الدنيا ظلمة والعلم نور فيها ، فمن لا علم له فهو يتخبط في هذه الظلمة ويفسد أكثر مما يُصلح .

✧ ✧ ✧

وافضيحتاه .. كيف لا أستحي منك ؟!

يا من يدعي العلم! لا تأخذ من يد نفسك وطبعك وشيطانك .. لا تأخذ من يد وجودك .. لا تأخذ من يد ريائك ونفاقك ، زهدُك ظاهر ، ورغبتُك باطن ، هذا زهد باطل ، أنت معاقب عليه .. تدلس على الحق عزَّ وجلَّ ، وهو يعلم ما في خلوتك وما في جلوتك وما في قلبك ؟! ليس عنده خلوة ولا جلوة ولا ستر ، قل : واحياءاه .. واويلاه .. وافضيحتاه! فكيف يطلع الحق عزَّ وجلَّ على جميع أفعالي في ليلي ونهاري وهو ناظر وأنا لا أستحي من نظره ؟! .

✧ ✧ ✧

لا يبغض المؤمن إلا المنافق

كل من في قلبه إيمان يحب المؤمن ، وكل من في قلبه نفاق يبغضه .

✧ ✧ ✧

كيف تعلم أنك محجوب ؟

إذا علمت ورأيت أن قلبك لا يدنو من الحق عزَّ وجلَّ ، ولا تجد حلاوة العبادة والأنس .. فاعلم أنك لست بعامل ، وأنك محجوب لأجل الخلل الذي في عملك .

ماذا الخلل ؟ الرياء والنفاق والعجب!! يا عامل عليك بالإخلاص وإلا فلا تتعب ، عليك بالمراقبة للحق عزَّ وجلَّ في الخلوة والجلوة .

✧ ✧ ✧

غض بصرك .. واشكر ربك

احذر من الحق عزَّ وجلّ .. غضَّ عينيك عن النظر إلى المحرم ، واذكر نظر من لا تبرح من نظره وعلمه ، إذا لم تناظر الحق عزَّ وجلَّ ولم تنازعه تمت عبوديتك له وصرت عبداً حقاً ، وتدخل في زمرة من قال في حقهم : { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ... } [الحجر : 42].

إذا تحق شكرك لله عزَّ وجلَّ ، ألهم قلوب الخلق وألسنتهم بالشكر لك والتودد إليك ، فحينئذ لا طريق للشيطان وأعوانه عليك .

✧ ✧ ✧

عليك بصحبة العبودية

عليك بصحبة العبودية ، وهي : امتثال الأمر والانتهاء عن النهي والصبر على الآفات . أساس هذا الأمر التوحيد ، والثبات عليه الأعمال الصالحة . الأساس ما أحكمته! على أي شيء تبني ؟! . النية ما صحت لك ، كيف تتكلم ؟! سكوتك ما تمَّ لك ، كيف تنطق هذا الكلام على الخلق نيابة عن الرسل ؟! . لأنهم هم الذين كانوا خطباء الخلق ، فلما ذهبوا أقام الحق عزَّ وجلَّ العلماء العمال بعلمهم مقامهم وجعلهم ورَّاثهم .

✧ ✧ ✧

اترك شهواتك تحت أقدامك

يا غلام .. اترك شهواتك تحت أقدامك ، وأعرض عنها بكل قلبك ، فإن كان لك شيء منها في سابقة علم الله عزَّ وجلَّ فهو يجيئك في وقته .. مهنأ مكفى مطيباً ، فتأخذه بيد العز لا بيد الذل ، ومع ذلك قد حصل لك عند الله عزَّ وجلَّ ثواب الزهد فيه .. ونظر إليك بعين الكرامة .. لأنك لم تشره وتلح في طلبه .

✧ ✧ ✧

تدعي العلم وتفرح كالجهال!

ويحك .. تدَّعي العلم وتفرح فرح الجهال وتغضب كغضبهم ، فرحك بالدنيا وإقبال الخلق عليك ينسيك الحكمة ويقسى قلبك .. إن كان ولا بد من الفرح فافرح إذا كان دنيا وبذلتها في طاعة الله عزَّ وجلَّ ، تنفع بها خدام الحق عزَّ وجلَّ وتعينهم على طاعاتهم .

✧ ✧ ✧

ذكرك الموت يهوّن المصائب

من أراد أن يحصل له الرضا بقضاء الله عزَّ وجلّ .. فليدم ذكر الموت .. فإن ذكره يهون المصائب والآفات . ولا تتهمه على نفسك وعلى مالك وولدك ، بل قل : ربي أعلم بي مني ، فإذا دمت على ذلك جاءتك لذة الرضا والموافقة ، فتذهب الآفات بأصولها وفروعها ، ويجيئك بدلها النعم والطيبات ؛ لما وافقت وتلذذت بالرضا في حال البلاء ، جاءتك النعم من كل جانب ومكان .

✧ ✧ ✧

شكر النعمة .. وصبر الضيق

سعة الرزق فتنة مع عدم الشكر ، وضيق الرزق فتنة مع عدم الصبر ، الشكر يزيدك من النعم ويقربك إلى ربك عزَّ وجلَّ ، والصبر يثبت أقدام قلبك وينصره ويؤيده ويظفره ، وعاقبته محمودة دنيا وآخرة ، الاعتراض على الحق عزَّ وجلَّ حرام يُظلم به القلب والوجه .

✧ ✧ ✧

ادع الله أن يصبِّرك

ويحك يا جاهل .. بدل ما تشغل نفسك بالاعتراض اشغلها بالسؤال للحق عزَّ وجلَّ ، شاغلها به حتى تذهب أوقات البلايا وتنطفيء نيران الآفات .. إذا تحيرت قل : يا دليل المتحيرين دلني . إذا ابتليت وعجزت عن الصبر ، قل : إلهي أعني وصبرني واكشف عني .

✧ ✧ ✧

لا يغرك شبابك ومالك

لا يغرك شبابك ومالك وجميع ما أنت فيه ، عن قريب يؤخذ منك جميع ما أنت فيه ، وتذكر تفريطك وتضييعك لهذه الأيام في البطالات فتندم ، ولا ينفعك الندم .. ما دمت مع غير الله عزَّ وجلّ .. فأنت في هم وغم وشرك وثقل .. أخرج من الخلق بقلبك واتصل بالحق عزَّ وجلّ .. هذا

الذي أنت فيه لا يصح ولا يتم .. لأن أساسه واه ما هو محكم .. هو مزبلة وقد بنيت على ربوة ، تب إلى الحق عزَّ وجلَّ ، واسأله تغيير ما أنت عليه وفيه من طلب الدنيا والإعراض عن الآخرة .

✧ ✧ ✧

من استغنى برأيه ضل

يا غلام .. أنت فارغ من الآخرة ملآن بالدنيا ، ويغمني حالك ويغمني فراقك للصالحين وترك مجالستهم واستغناؤك بالدنيا ، أما علمت أن من استغنى برأيه ضل ؟!. ما من عالم إلا ويحتاج إلى زيادة علم ، ما من عالم إلا وغيره أعلم منه.

✧ ✧ ✧

فرّغت قلبك من الحق فامتلأ بالدنيا!

يا غلام .. إني أرى تصاريفك غير تصاريف المراقبين لله عزَّ وجلَّ الخائفين منه ، تواصل أهل الشر والفساد وتفارق الأولياء والأصفياء! . قد فرَّغت قلبك من الحق عزَّ وجلَّ وملأته من الفرح بالدنيا وأهلها وحطامها .. أما علمت أن الخوف شحنةٌ في القلب ، ومنوِّر له ومبيِّن ومفسر ؟! . إن دمت على هذا فقد ودعت السلامة دنيا وآخرة .

✧ ✧ ✧

من مات قامت قيامته

لو ذكرت الموت قلّ فرحك بالدنيا وكثر زهدك فيها : من أخَّره الموت كيف يفرح بشيء.

آخر الأحزان والأفراح ، والغنى والفقر ، والشدة والرخاء ، والأمراض والأوجاع .. الموت ، من مات قامت قيامته ، وقرب البعيد في حقه .

✧ ✧ ✧

كُنْ كُلَّك طاعة

اجهد أن تكون كلك طاعة ، فإذا فعلت ذلك صرت بجملتك لربك عزَّ وجلَّ ، المعصية وجود النفس والطاعة فقدانها ، تناول الشهوات وجود النفس ، والامتناع عنها فقدانها ، امتنع عن الشهوات ولا تتناولها إلا موافقة لقدر الله عزَّ وجلَّ لا باختيارك وشهواتك .

✧ ✧ ✧

تعلقْ بذيل رحمة ربك

يا غلام .. كن أنت واعظ نفسك ولا تحتج إليّ ولا إلى غيري ، وعظي على ظاهرك ، ووعظك على باطنك ، عظ نفسك بدوام ذكر الموت وقطع العلائق والأسباب .. تعلق برب الأرباب الخلاق العظيم العليم ، تعلق بذيل رحمته وتعلق برأفته . لا تشتغل بغيره عنه فإنه يحجبك عنه.

✧ ✧ ✧

اهجموا على الأعمال!

ويلكم ما تستحون ؟! طاعتكم ظاهرة ومعاصيكم باطنة ، أنتم عن قريب مأخوذون بيد الموت والسقم .. وأنتم مقصرون في الأعمال ، ما تستحون ؟! قد رضيتم بالبطالة في نهاركم وليلكم ، تريدون ما عند الله عزَّ وجلَّ مع التقصير ، اهجموا على الأعمال وقد تعودتها نفوسكم ، لكل داخل دهشة وفي الآخر تصفون وتزول الأكدار ، إذا تبتم لا بد من بداية ونهاية .

✧ ✧ ✧

خصلتان لا يفلح صاحبهما

ويحك .. قد جمعت بين حب الدنيا وبين التكبر ، وهاتان خصلتان لا يفلح صاحبهما إن لم يتب منهما ، كن عاقلاً! من أنت ؟ ومن أي شيء خلقت ؟ ولأي شيء خلقت ؟ لا تتكبر فما يتكبر إلا جاهل ، يا قليل العقل تطلب الرفعة بالتكبر .. اعكس تُصب.

✧ ✧ ✧

التواضع وحسن الأدب يقربك

التواضع وحسن الأدب يقربك ، والتكبر وسوء الأدب يبعدك ، الطاعة تصلحك وتقربك ، والمعصية تفسدك وتبعدك .

✧ ✧ ✧

لا تبع الدين بالتين

يا غلام .. لا تبع الدين بالتين ، لا تبع دينك بدين السلاطين والملوك والأغنياء وأكلة الحرام ، إذا أكلت بدينك اسود قلبك ، وكيف لا يسوّد وأنت تعبد الخلق ؟ يا مخذول لو كان في قلبك نور لفرقت بين الحرام والشبهة والمباح ، وبين ما يسود قلبك وينوره ، وبين ما يقرب قلبك ويبعده .

✧ ✧ ✧

ابنِ بنية .. واقنع بقسمك

يا من يبني القصور والدور ويذهب عمره في عمارة الدنيا! لا تبن شيئاً بغير نية صالحة ؛ فأساس البناء في الدنيا النية الصالحة ، لا يكون بناؤك بنفسك وهواك ، الجاهل يبني في الدنيا بنفسه وهواه وطبعه وعادته ، فلا جرم لا تصح له قرينة صالحة ، ولا يتهنأ بما بناه ويسكنه غيره ، ويقال له يوم القيامة : لم بنيت ؟ ومن أين أنفقت ؟ ولم أنفقت ؟ يحاسب على الجميع ، اطلب الرضا والموافقة ، واقنع بقسمك ولا تطلب ما لم يقسم لك .

✧ ✧ ✧

من معاني الإسلام

ويحك .. تدعي أنك مسلم وأنت معترض على الله عزَّ وجلّ .. كذبت في دعواك ، الإسلام مشتق من الاستسلام لقضاء الله عزَّ وجلَّ مع حفظ حدود كتابه وسنة رسول الله ρ ، فحينئذٍ يصح لك الإسلام .

✧ ✧ ✧

شؤم طول الأمل

شؤم طول الأمل هو الذي يوقعك في معاصي الله عزَّ وجلَّ ومخالفته ، متى ما قصرت أملك جاءك الخير ، فتمسَّكْ به إن أردت الفلاح .

✧ ✧ ✧

لا تصحب موتى القلوب

أنت ميت القلب وصحبتك أيضاً لموتى القلوب ، أنت قبر تأتي قبراً مثلك ، ميت تأتي ميتاً مثلك ، أنت زَمِنٌ يقودك زَمِنٌ مثلك ، أعمى يقودك أعمى مثلك .

اصحب المؤمنين الموقنين الصالحين ، واصبر على كلامهم واقبله واعمل به وقد أفلحت.

كم تتعلم ولا تعمل

كم تتعلم ولا تعمل! . اطوِ ديوان العلم ثم اشتغل بنشر ديوان العمل مع الإخلاص وإلا فلا فلاح لك ، تتعلم العلم فحسب ، أنت مجتر على الحق عزَّ وجلَّ بأفعالك ، قد ألقيت جلباب الحياء من عينيك وقد جعلته أهون الناظرين إليك!! . أنت آخذ بهواك ومتحرك بهواك فلا جرم يهلكك هواك ، استح من الله عزَّ وجلَّ في جميع أحوالك واعمل بحكمه ، إذا عملت بظاهر الحكم أدناك العمل إلى العلم بالله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

اجعل البلية نعمة!

إذا ارتكبت الذنوب جاءت الآفات ووقعت عليك ، فإن تبت واستغفرت ربك عزَّ وجلَّ واستعنت به وقعت حواليك ، لا بد لك من بلية ، فاسأل الله عزَّ وجلَّ أن يأتيك معها بالصبر والموافقة ، حتى يسلم ما بينك وبينه ، فيكون الخدش في القالب لا في القلب ، في الظاهر لا في الباطن ، في المال لا في الدين ، فحينئذٍ تكون البلية نعمة لا نقمة .

✧ ✧ ✧

الكذاب ذليلٌ في نفسه

يا منافق ..! قد قنعت من اتباعك لله عزَّ وجلَّ ولرسوله بالاسم لا بالمعنى ، ذلك كذب ظاهرك وباطنك ، فلا جرم أنت ذليل في الدنيا والآخرة ؛ العاصي ذليل في نفسه والكذاب ذليل في نفسه .

✧ ✧ ✧

لا تبعْ عزيزاً بذليل!

يا عالماً! لا تدنس علمك عند أبناء الدنيا ، لا تبع عزيزاً بذليل ، العزيز : العلم ، والذليل : هو الذي في أيديهم من الدنيا ، الخلق لا يقدرون أن يعطوك ما ليس لك مقسوم ، إنما قسمك يجري على أيديهم ، فإذا صبرت جاء قسمك على أيديهم وأنت عزيز .

✧ ✧ ✧

ذكر القلب أولاً ثم اللسان

ذكر اللسان بلا قلب لا كرامة ولا عزازة لك به ، الذكر هو ذكر القلب ثم ذكر اللسان .. اذكره حتى يذكرك ، اذكره حتى يحط الذكرُ عنك أوزاركْ.

✧ ✧ ✧

الطامع فارغٌ كالطمع

كلام الطامع لا يخلو من رجة ومداهنة ، لا يمكنه المحاقة ، يكون كلامه قشراً فارغاً لا لب فيه ، صورة بلا معنى . الطامع فارغ كالطمع ، لأن حروف الطمع كلها فارغة : الطاء والميم والعين . يا عباد الله عزَّ وجلَّ أصدقوا وقد أفلحتم ، الصادق همته عالية في السماء ، لا يضره قول قائل .

✧ ✧ ✧

لا تجعل الدنيا كبيرة في عينيك

يا غلام .. لو كان عندك ثمرة العلم وبركته لما سعيت إلى أبواب السلاطين في حظوظ نفسك وشهواتها ، العالم لا رجلين له يسعى بهما إلى أبواب الخلق ، والزاهد لا يديْن له يأخذ بهما أموال الناس ، والمحب لله عزَّ وجلَّ لا عينين له ينظر بهما إلى غيره .. لا تكبر في عيني رأسه الدنيا .

✧ ✧ ✧

أكثركم يتبعون الزاعق الناعق

كونوا عقلاء ما أنتم على شيء! الأكثر منكم يتبعون كل زاعق وناعق ، الأكثر من المتكلمين كلامهم من ألسنتهم لا من قلوبهم ، زعقات المنافق من لسانه ورأسه وزعقات الصادق من قلبه .

✧ ✧ ✧

كيف تدل على الله يا أعمى ؟!

كيف تدل عليه وأنت أعمى ؟! كيف تقود غيرك ؟ قد أعماك هواك وطبعك ومتابعتك لنفسك ومحبتك لدنياك ورياستك وشهواتك .

✧ ✧ ✧

قصِّر أملك ولا تكن حريصاً

الأحمق يعصي الله عزَّ وجلَّ والعاقل يطيعه ، الحريص على جمع الدنيا يرائي وينافق والقصير الأمل لا يفعل ذلك ، المؤمن يتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ بأداء الفرائض ويتحبب إليه بالنوافل .

✧ ✧ ✧

لا تفرح بثياب غيرك!

لا تستعر كلمات الصالحين وتتكلم بها وتدعيها لنفسك ، العارية لا تخفى .. ازرع القطن بيديك ، واسقه بيديك ، وربِّه بجهدك ، ثم انسجه وخيِّطه والبسه . لا تفرح بمال غيرك وثياب غيرك ، إذا أخذت كلام غيرك وتكلمت به وادعيته مقتتك قلوب الصالحين ، إذا لم يكن لك فعل فلا قول ، كل الأمر معلق على العمل ، قال الله عزَّ وجلَّ : { ... ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [النحل : 32].

✧ ✧ ✧

اللسان ترجمان القلب

كلامك يدل على ما في قلبك ، اللسان ترجمان القلب ؛ فإذا كان القلب مختلطاً ، فتارة يصح الكلام وتارة يبطل ، لا تقدر تغيير الشيء عما هو وأخرى تغير ، وإذا زال تخليطه صح اللسان . إذا زال الشرك منه صح اللسان ، وإذا أشرك يقتدى بالخلق ، تغير وتبدل وتعثر وكذب .

✧ ✧ ✧

من أحب لله وأبغض لله فاز

إذا وقع حب رجل وبغض آخر ، فلا تحب هذا وتبغض هذا بنفسك وبطبعك ، بل حكِّمهما كليهما على الكتاب والسنة ؛ فإن وافقا الذي أحببته فدم على محبته ، وإن خالفا فارجع عن محبته ، وإن وافقا الذي أبغضته فارجع عن بغضه ، وإن لم ينفعك ذلك ولم يبن لك فارجع إلى قلوب الصديقين وسلهم عنهما .

✧ ✧ ✧

قصة لطيفة

اشترى رجل مملوكاً ، وكان ذلك المملوك من أهل الدين والصلاح ، فقال له : يا مملوك إيش تريد تأكل؟ فقال : ما تطعمني . فقال له : ما الذي تريد تلبس ؟ فقال : ما تلبسني . فقال له : ما الذي تحب أن تعمل من الأشغال ؟ فقال ما تأمرني . فبكى الرجل فقال : طوبى لي لو كنت مع ربي عزَّ وجلَّ كما أنت معي . فقال المملوك : يا سيدي وهل للعبد مع سيده إرادة أو اختيار ؟! . فقال له : أنت حر لوجه الله .

✧ ✧ ✧

من أيقن بالموت استقام

اشتغالك بالدنيا يحتاج إلى نية صالحة وإلا فأنت ممقوت ، اشتغل بطهارة قلبك أولاً فإنه فريضة ، ثم تعرض للمعرفة ، إذا ضيعت الأصل لا يقبل منك الاشتغال بالفرع ، لا تنفع طهارة الجوارح مع نجاسة القلب ، طهِّرْ جوارحك بالسنة وقلبك بالعمل بالقرآن ، احفظ قلبك حتى تحفظ جوارحك ، كل إناء ينضح بما فيه ، أي شيء كان في قلبك ينضح منك على جوارحك .

كن عاقلاً! ما هذا عمل من يؤمن بالموت ويوقن به ، ما هذا عمل من يرتقب لقاء الله عزَّ وجلَّ ويخاف من محاسبته ومناقشته .

✧ ✧ ✧

تواضعك دليل صدقك

القلب الصحيح ممتلىء توحيداً وتوكلاً ويقيناً وتوفيقاً وحلماً وإيماناً ، ومن الله عزَّ وجلَّ قرباً ، يرى الخلق كلهم بعين العجز والذل والفقر ، ومع ذلك لا يتكبر على طفل صغير منهم ، يصير كالسبع وقت لقاء الكفار والمنافقين والعصاة .. ويتواضع ويذل للصالحين المتقين الورعين وقد وصف الله عزَّ وجلَّ القوم الذين هذه صفاتهم فقال : { ... أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... } [الفتح : 29].

✧ ✧ ✧

خواطرك من جنس همك

سأله سائل عن الخواطر ، فقال : ما يدريك ما الخواطر ؟ خواطرك من الشيطان والطبع والهوى والدنيا ، همك ما أهمك ، خواطرك من جنس همك .

إذا كان الله عزَّ وجلَّ وذكره عندك ؛ فلا جرم يمتلئ قلبك من قربه وتهرب خواطر الشيطان والهوى والدنيا من عندك ، للدنيا خاطر والآخرة خاطر ، فتحتاج أيها الصادق إلى دفع جميع الخواطر والسكون إلى خاطر الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

النظر إلى الخلق أصل البلاء

يا غلام! .. ما يقع بيدك من الحق عزَّ وجلَّ شيء بنفاقك وفصاحتك وبلاغتك وتصفير وجهك وترقيع مرقعتك وجمع أكنافك .. كل ذلك من نفسك وشيطانك وشرفك بالخلق وطلب الدنيا منهم .

✧ ✧ ✧

اطلب العلم والعلماء!

ويلك امشِ في طلب العلم والعلماء العمال حتى لا يبقى مشيٌ ، امش حتى لا تطاوعك ساقاك.

✧ ✧ ✧

ليكن كلامك جواباً!

اجتهد أن لا تبدأ بالكلام بل يكون جواباً ، إذا سألك سائل عن شيء فإن كان جوابه مصلحة لك وله وإلا فلا تجبه .

✧ ✧ ✧

اصحب تقياً تكن مثله!

من لا يرى المفلح لا يفلح ، من لا يصحب العلماء العمال فهو من نبض التراب لا دليل له لا أم له ، اصحبوا من له صحبة مع الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

فتش عن مرآة لدينك!

فتِّشْ على من يكون مرآة لوجه دينك ، كما تنظر في المرآة وتسوي وجه ظاهرك وعمامتك وشعرك ، كن عاقلاً ، إيش هذا الهوس ، تقول : ما أحتاج إلى من يعلمني !! .

✧ ✧ ✧

لا يوافقك الشرع ولا العقل

يا غلام .. أنت نفس وطبع وهوى ، تقعد مع النسوان الأجانب والصبيان ثم تقول : لا أبالي .. كذبت! لا يوافقك الشرع ولا العقل ، تضيف ناراً إلى نار ، حطباً إلى حطب ، فلا جرم يشتعل دار دينك وإيمانك! . إنكار الشرع لهذا عام لم يستثن فيه أحداً ، حصِّلِ الإيمان والمعرفة بالله عزَّ وجلَّ وقوة القرب ، ثم أصبح طبيباً للخلق نيابة عن الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

الدنيا دار الآفات

هذه الدنيا فانية ذاهبة ، هي دار الآفات والبلايا ، ما يصفو لأحد فيها عيش ، لا سيما إذا كان حكيماً . كما قيل : الدنيا لا تقر فيها عينُ حكيم .. عينُ ذاكرِ الموت . من كان السبع بحذائه فاتحاً فمه قريباً إليه كيف يستقر قراره وتنام عينه ؟! يا غافلون! القبر فاتح فمه ، سبع الموت وثعبانه فاتحان فمهما.

✧ ✧ ✧

لا تكن عبد الأمَّارة بالسوء!

يا قوم .. أنتم تعدون خلف الدنيا حتى تعطيكم ، وهي تعدو خلف أولياء الله حتى تعطيهم ، تقف بين أيديهم ورأسها مطأطئ . اضرب نفسك بصمصامة التوحيد ، والبس لها خوذة التوفيق ، وخذ لها رمح المجاهدة وترس التقوى وسيف اليقين ، فتارة مطاعنة وأخرى مضاربة : لا تزال كذلك حتى تذل لك وتصير راكباً لها ، لجامها بيدك تسافر بها براً وبحراً ، فحينئذٍ يباهي بك ربك عزَّ وجلَّ ، ثم تقدم الذين بقوا مع نفوسهم ولم يتخلصوا منها ، من عرف نفسه وغلبها صارت راحلة له ، تحمل أثقاله ولا تخالفه في أمره ، لا خير فيك حتى تعرف نفسك وتمنعها حظها وتعطيها حقها . لا ترفعوا عصا المجاهدة عن نفوسكم ، لا تغتروا بدواهيها ، لا تغتروا بتناومها ، لا تغتروا بتناوم السبع فإنه يريكم أنه نائم وهو منتظر لفريسة يفترسها . هذه النفس تظهر الطمأنينة والذل والتواضع والموافقة في الخير ، وهي تبطن بخلاف ذلك !! . كن على حذر مما يتم منها بعد ذلك .

✧ ✧ ✧

الشرك بالخلق ظلمةٌ فاحذره !

يا غلام! .. متى يصفو قلبك وأنت مشرك بالخلق ؟! وكيف تفلح وأنت في كل ليلة تعين كل من تمضي إليه وتشكو إليه وتكدى منه ؟ كيف يصفو قلبك وهو فارغ من التوحيد ما فيه ذرة منه ؟! . التوحيد نور والشرك بالخلق ظلمة . كيف تفلح وقلبك فارغ من التقوى ما فيه ذرة ؟ أنت محجوب عن الخالق بالخلق ، محجوب بالأسباب عن المسبب ، محجوب بالتوكل على الخلق والثقة بهم ، أنت دعوى مجردة ، باقة بقل ، ما تُعطى بالدعوى بلا بينة ؟! .

✧ ✧ ✧

الصالح يعظ الخلق بكل فن

المحب لله عزَّ وجلَّ العارف يعظ الخلق بكل فن ؛ يعظهم تارة بقوله ، وتارة بفعله ، وتارة بهمته .

✧ ✧ ✧

عليك بخوذة الإيمان!

يا غلام .. عليك بخويصة نفسك عند ضعف إيمانك ، ما عليك من أهلك وجارك وجارتك وأهل بلدك وإقليمك ، فإذا قوي إيمانك ، فابرز إلى أهلك وولدك ثم إلى الخلق ، لا تبرز إليهم إلا بعد أن تتدرع بدرع التقوى ، وتترك على رأس قلبك خوذة الإيمان ، وبيدك سيف التوحيد ، وفي جعبتك سهام إجابة الدعاء ، وتركب حصان التوفيق ، وتتعلم الكر والفر والضرب والطعان ، ثم تحمل على أعداء الحق عزَّ وجلَّ ، فحينئذٍ تجيئك النصرة والمعونة من جهاتك الست ، وتأخذ الخلق من أيدي الشيطان ، وتحملهم إلى باب الحق عزَّ وجلَّ . تأمرهم بعمل أهل الجنة وتحذرهم من عمل أهل النار .

✧ ✧ ✧

بقَّةٌ تقيم عليك قيامتك!

إذا دعوت الخلق ولست على باب الحق عزَّ وجلَّ كان دعاؤك لهم وبالاً عليك ، كلما تحركت بركت ، كلما طلبت الرفعة اتضعت ، ما عندك من الصالحين خبر ، أنت لقلقة ، أنت لسان بلا جنان ، أنت ظاهر بلا باطن ، جلوة بلا خلوة ، جولة بلا صولة . سيفك من خشب ، وسهامك من كبريت ، أنت جبان لا شجاعة لك ، أدنى سهم يقتلك ، بقة تقيم عليك قيامتك !! .

✧ ✧ ✧

يا غلام .. عش حياة مودِّع

يا غلام .. قصِّر أملك وقلل حرصك ، صلّ صلاة مودع ، لا ينبغي لمؤمن أن ينام إلا ووصيته مكتوبة تحت رأسه ، فإن أيقظه الحق عزَّ وجلَّ في عافية كان مباركاً ، وإلا فيجد أهله وصيته ينتفعون بها بعد موته ويترحمون عليه . يكون أكلك أكل مودع ، ووجودك بين أهلك وجود مودع ، ولقاؤك لإخوانك لقاء مودع.

✧ ✧ ✧

علمك بالمطلوب يهوِّن المبذول

من علم ما يطلب هان عليه ما يبذل من قواه وجهده في طاعة ربه عزَّ وجلَّ ، ما يزال المؤمن في تعب حتى يلقى ربه عزَّ وجلّ .

من ترك الوحي تزندق

الزم ما جاء به الرسول ، وهو الكتاب والسنة ، فإن من تركهما تزندق ومن رقبة الإسلام مرق ، فيكون النار والعقاب موئله آجلاً والمقت له عاجلاً !! .

✧ ✧ ✧

لولا الامتحان لكثرت الدعاوى

لولا الامتحان لكثرت الدعاوى ؛ من ادعى الحلم نمتحنه بالإغضاب ، ومن ادعى الكرم نمتحنه بالطلب منه ، وكل من ادعى شيئاً نمتحنه بضده ، دعوا عنكم الهوس والزموا التقى في جميع أحوالكم .. اتقوا الشرك في الأصل والمعاصي في الفرع ، ثم تعلقوا بحبل الكتاب والسنة ولا تخلوهما من أيديكم . الحق عزَّ وجلَّ لا يجمع على عبد خوفين ، قد تقدم خوف القوم في الدنيا عند أكلهم وشربهم ولبسهم ونكاحهم وجميع تصرفهم ، تركوا الحرام والشبهة وكثيراً من الحلال خوفاً من حساب ربهم عزَّ وجلَّ وسوء عذابهم ، تورعوا في مأكولهم ومشروبهم وجميع أحوالهم .

✧ ✧ ✧

ويحك .. قميص إسلامك مخرق!

ويحك .. قميص إسلامك مخرق! ، ثوب إيمانك نجس ، أنت عريان ، قلبك جاهل .. صدرك بالإسلام غير مشروح ، باطنك خراب وظاهرك عامر ، صحائفك مسودة ، دنياك التي تحبها عنك راحلة ، والقبر والآخرة مقبلان إليك .

تنبه لأمرك وما تصير إليه عن قريب ، ربما كان موتك اليوم أو في هذه الساعة ، يحال بينك وبين آمالك ، ما تؤمله من الدنيا لا تجده ولا تلحقه ، وما قد أنسيته من الآخرة فهو يلحقك ، الاشتغال بغير الله هوس ، والخوف من غيره والرجاء له هوس ، أحد لا يضرنا ولا ينفعنا غير الله عزَّ وجلَّ ؛ هو الذي جعل لكل شيء سبباً .

✧ ✧ ✧

أساسك البدع ، وبناؤك الرياء!

يا غلام .. أمرك مبني على غير أساس فلا جرم تقع حيطانك ، أساسك البدع والضلالات ، وبناؤك الرياء والنفاق ، فكيف يثبت لك بناء ؟ ذلك هوى وطبع ، تأكل وتشرب وتنكح وتجمع بالهوى والطبع ، ليس لك نية صالحة في شيء من ذلك ، المؤمن في كل أحواله له نية حسنة في كل أعماله ، لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس ولا ينكح إلا بأمر الله عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

إني أراكم تلعبون!

إني أراكم تلعبون بكتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة رسول الله ρ وكلام الصالحين ، تلعبون بذلك بجهلكم ، لو اتبعتم الكتاب والسنة لرأيتم عجباً ، ما زالوا يصبرون معه على ما يريد حتى أعطاهم ما يريدون ، الفقر والبلاء مع عدم الصبر عقوبة ، ومع وجوده كرامة يتنعم المؤمن في بلائه بقرب ربه عزَّ وجلَّ ومناجاته له .

✧ ✧ ✧

كيف يُطلب جاه من غير الله ؟

ويحك .. كيف تطلب الجاه والمال من هذا الملك وتعتمد عليه في مهماتك ، وهو عن قريب إما معزول أو ميت ؛ يذهب ماله وملكه وجاهه ، وينقل إلى قبره الذي هو بيت الظلمة والوحشة والوحدة والغم والهم والدود ، لا تتكل على من يعزل أو يموت فيخيب رجاؤك وينقطع مددك ، المؤمن ارتفعت همته عن الأرض وعن الدنيا وأبنائها.

✧ ✧ ✧

صارت الملوك والدنيا آلهة!

قد صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة ، قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوى آلهة!! . ويحكم! جعلتم الفرع أصلاً ، المرزوق رازقاً ، المملوك مالكاً ، الفقير غنياً ، العاجز قوياً

، الميت حياً . لا كرامة لكم ، لا نتبعكم ولا نتخذ مذهبكم ، بل نكون ناحية منكم على تل السلامة ، على تل السنة وترك البدعة ، على تل التوحيد والإخلاص وترك الرياء والنفاق ، ورؤية الخلق بعين العجز والضعف والقهر . إذا عظّمتَ جبابرة الدنيا وفراعنتها وملوكها وأغنياءها ، ونسيت الله عزَّ وجلَّ ولم تعظمه ، فحكمك حكم من عبد الأصنام ، تُصَيِّرُ من عظمت صنمك .

✧ ✧ ✧

صلاح القلب بأربعة أشياء

أربعة أشياء منها صلاح القلب :

الأول : النظر في اللقمة .

الثاني : الفراغ للطاعة .

الثالث : صيانة الكرامة .

الرابع : ترك ما يشغلك عن الله .

✧ ✧ ✧

دواء الغفلة والوسواس

أنت إذا قمت إلى الصلاة ؛ بعت واشتريت ، وأكلت وشربت ونكحت ، بقلبك بوسوستك!.

قيل له : ما دواء ذلك ؟

قال : تصفية لقمتك من الحرام والشبهة ، والدواء الثاني مخالفة النفس فيم تأمرك به من ارتكاب المناهي.

✧ ✧ ✧

مصاحبتك الجاهل دليل جهلك

يا بني! إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، ذهب أمس بما فيه شاهد لك وعليك ، وغداً لا تدري تلحقه أو لا . إنما أنت ابن يومك ..

ما أغفلك ؟! علامة غفلتك مصاحبتك الغَفَلة ، يا أحمق من لا يظهر عليه أمارة الحق لماذا تصحبه ؟! ، لِمَ تصحب من أساسه واهٍ ؟! ظاهره نفس باطنه تجلدٌ وتواقحٌ على الحق عزَّ وجلّ .

✧ ✧ ✧

أربعة ليست من الدنيا!

ليس من الدنيا : بيت يكنك ، ولباس يسترك ، وخبز يشبعك ، وزوجة تسكن إليها .

الحياة الدنيا : الإقبال على الخلق والإدبار عن الحق .

✧ ✧ ✧

يا قوم .. الإسلام يبكي ويستغيث!

يا قوم .. الإسلام يبكي ويستغيث! يده في رأسه من هؤلاء الفجار ، من هؤلاء الفساق ، من هؤلاء الظَّلمة ، من اللابسين ثياب الزور ، من المدعين ما ليس فيهم .

✧ ✧ ✧

مل اعلمْ .. اعمل .. علِّم

تعلَم واعمل وعلِّم .. فإن ذلك مجمع لك الخير بأسره . إذا سمعت كلمة من العلم وعملت بها وعلمتها غيرك كان لك ثوابان : ثواب العلم وثواب التعليم . الدنيا ظلمة والعلم نور فيها ، فمن لا علم له فهو يتخبط في هذه الظلمة ويفسد أكثر مما يُصلح .

اعلمْ .. اعمل .. علِّم

تعلَم واعمل وعلِّم .. فإن ذلك مجمع لك الخير بأسره . إذا سمعت كلمة من العلم وعملت بها وعلمتها غيرك كان لك ثوابان : ثواب العلم وثواب التعليم . الدنيا ظلمة والعلم نور فيها ، فمن لا علم له فهو يتخبط في هذه الظلمة ويفسد أكثر مما يُصلح .

تــم

سيرة الباحث : جمال الدين فالح الكيلاني

بقلم

أ.د.إبراهيم خليل العلاف

أستاذ التاريخ الحديث –جامعة الموصل

صديق عزيز ، أتابع منذ فترة طويلة ، نشاطاته العلمية، ولي معه علاقة تبادل علمي .... هو جمال الدين بن فالح بن نصيف بن جاسم بن أحمد الحجية بن عبد الكريم بن عبد الرحيم بن خميس بن ولي الدين محمد بن عثمان بن يحيى بن حسام الدين بن نور الدين بن ولي الدين بن زين الدين الكبير بن شمس الدين بن شرف الدين بن محمد الهتاك بن عبدالعزيز بن الباز الأشهب الشيخ عبدالقادر الجيلي بن أبي صالح موسى بن عبدالله الجيلي بن يحيى الزاهد بن محمد المدني بن داود أمير مكة بن موسى الثاني بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن اسدالله الغالب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم اجمعين،من الأسرة الكيلانية، ذرية الشيخ عبدالقادر الجيلي).

من مواليد 1972، ومنذ طفولته أولع بحب التاريخ ،و قراءة الكتب المتنوعة ،تأثر بوالده الأستاذ فالح الحجية الكيلاني –الأديب والشاعر،وأخذ عنه حب الأدب والمعرفة وتذوق الشعر،وبحكم نشأته في الخالص وعلاقة القرابة التي تربطه بالعلامة سالم عبود الألوسي ،تعرف بالعلامة مصطفى جواد وتراثه ،واهتم منذ بواكير حياته العلمية بالتراث القادري والذي بات تخصصه الدقيق،ويعد نفسه من تلاميذ الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ومدرسته

التاريخية،مارس التدريس في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي ، كما حاضر في جامعة بغداد والجامعة المستنصرية واتحاد المؤرخين العرب وجامعات القادسية والبصرة وواسط

حصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من كلية التربية –ابن رشد –جامعة بغداد . كما نال .شهادة)دبلوم (في اللغة الانكليزية من معهد المعلمين

لم يقف عند هذا الحد ، بل غذ السير ، وأكمل دراسته وحصل على شهادة (دكتوراه) فلسفة في التاريخ الإسلامي. ولحبه التاريخ والدراسات التاريخية انتمى إلى" معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا التابع لاتحاد المؤرخين العرب ببغداد " ، وحصل على شهادة ماجستير آداب في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية. حصل على لقب . "باحث علمي" من مركز دراسات التاريخ والوثائق والمخطوطات سنة1998

والدكتور الكيلاني عضو اتحاد المؤرخين العرب 1996وعضو الهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب 1998 وعضو جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق1995 وعضو (شرف) لجنة الدراسات القادرية المغرب1997. مشرف مركز دراسات الإمام عبدالقادر الجيلاني المتخصص . بالتراث والتاريخ والأنساب القادرية 2011

كرم بالعديد من الشهادات التقديرية من المجمع العلمي العراقي1996 والهيئة العربية لكتابة .تاريخ الأنساب2000 ،والهيئة العامة للاثار1997 وجامعة بغداد1999 وغيرها اهتم بتاريخ الأنساب وشغل نفسه بهذا اللون المهم من الدراسات التي تحتاج إلى معرفة بأمور كثيرة .و قد أجيز في مجال دراسة وتدقيق الأنساب من ثلة من الأساتذة العراقيين المعروفين أمثال الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف والأستاذ سالم عبود الألوسي والأستاذ اللواء أحمد خضر العباسي والأستاذ الشيخ خليل الدليمي والأستاذ جمال الراوي ، ويفخر بأنه حضر دروس للعلماء الأعلام كل من الشيخ العلامة عبد الكريم محمد المدرس–مفتي الديار العراقية– والعلامة الدكتور حسين علي محفوظ والعلامة الدكتور علي الوردي و العلامة الدكتور حسين والعلامة صالح أحمد العلي والعلامة عبدالرزاق الحسني وغيرهم كما أن لديه العديد من –أمين البحوث والدراسات والكتب .من كتبه المنشورة :كتاب الإمام عبدالقادر الجيلاني –تفسير جديد مراجعة الأستاذ الشاعر فالح الحجية الكيلاني ،مكتبة المصطفى ، القاهرة ،2009.وكتاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة تقديم الدكتور عماد عبد السلام

رؤوف ،مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي – بغداد 2011. وهو بالأصل رسالة باشراف الدكتورة لقاء الطائي والدكتور رؤوف وكتاب " بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي , دراسة وتحقيق " ،تقديم الدكتور حسين أمين شيخ المؤرخين –نشر على نفقة السيد أحمد الكيلاني ،الجزائر2011 .وكتاب " أصول التاريخ الإسلامي " ،مراجعة الدكتور حسين علي محفوظ (مخطوط) 1999.وكتاب " تنقيحات دراسة تحليلية لنسب الإمام عبدالقادر الجيلاني" ، مراجعة الدكتور عبدالقادر المعاضيدي (نشر محدود) منه نسخة محفوظة في المكتبة القادرية1996. وكتاب" دراسات في التاريخ الأوربي" ، تقديم الدكتوركمال مظهر أحمد (معد للنشر) وكتاب ،الرحلات والرحالة في العصر العباسي : دراسة تاريخية وهو بالأصل أطروحته وكتاب التاريخ العثماني تفسير جديد تقديم الدكتور عماد عبد السلام .للدكتوراة (معد للنشر) ، رؤوف وكتاب التاريخ الإسلامي رؤية معاصرة تقديم الدكتور صالح أحمد العلي وكتاب الاستشراق وكتاب المدخل في تاريخ الفلسفة الإسلاميةوغيرها.

ومن بحوثه ودراساته :عرض كتاب الإمام عبدالقادر الجيلاني – تفسير جديد في مجلة فكر حر 2009.وعرض مخطوطة مهجة البهجة ومحجة اللهجة (كتاب) منشورة في جريدة الصباح 2005.ومقالة مصطفى جواد ومخطوطة نادرة عن الكيلاني جريدة الصباح 2006. ومقالة رشيد عالي الكيلاني ابن ديالى المشورة في جريدة العراق 2002.ومقالة المقدادية أصل التسمية المنشورة في جريدة العراق 2002.ومقالة" الشرق الأوسط وأصل التسمية" المنشورة في مجلة كلية الأدآب جامعة عين شمس 2009.ومقالة عن " براغماتية السيد عبدالرحمن الكيلاني النقيب ",مجلة فكر حر2009.ومقالة عن "الشيخ عبدالقادر الكيلاني: جيلان العراق لا جيلان طبرستان،مجلة كلية الأدآب جامعة عين شمس 2009.وتفسير الجيلاني – دراسة في نسبة التفسير للمؤلف، مجلة رؤى 2010. و"المؤرخ هشام جعيط – دراسة في رؤيته للسيرة النبوية " ،. مجلة رؤى 2010

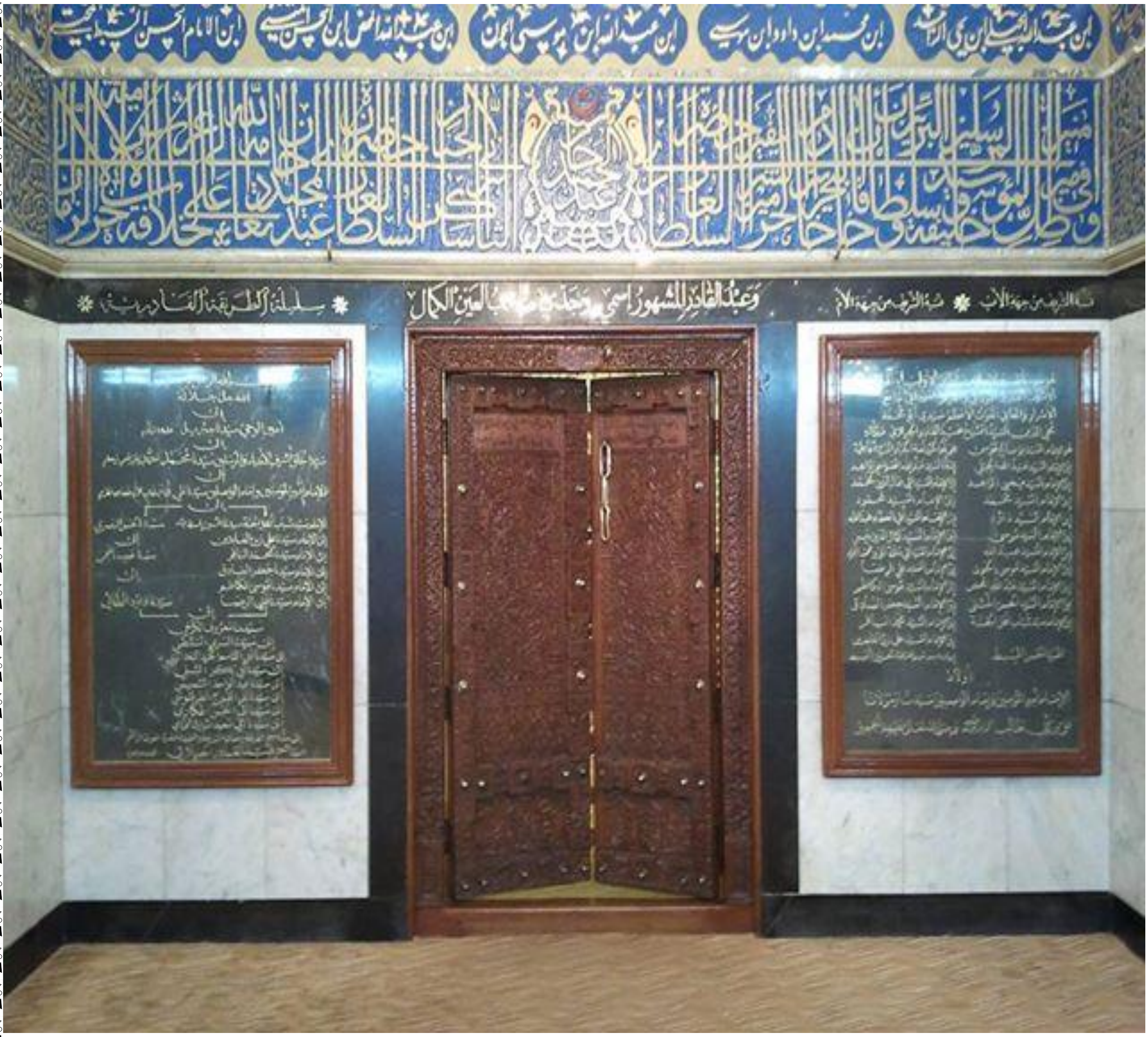
هذا فضلا عن عشرات المقالات المنشورة على شبكة الإنترنت وضمن مواقع كثيرة ومن الموضوعات التي كتبها موضوعات ،عن عصر الرسالة وعصور الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين والعصر الحديث والمعاصر والشخصيات العربية والإسلاميةوبعض الشخصيات الغربية ،مثل مقالات تدور حول الشيخ عبدالقادر الجيلاني وذريته في العالم ،وأهمية ثورة الحسين في

التاريخ العربي الإسلامي ، و إبان بن عثمان المؤرخ المبكر،والإمام الغزالي، والإمام الرفاعي، والإمام أبو مدين ،والإمام البخاري ،والشيخ ابن تيمية وقوميته، والشريف البعقوبي،الامين والمأمون والميكافلية ،والطريقة القادرية المبكرة ،و معنى الباز الأشهب ،و التراث الصوفي – دراسة أولية والإمام أبو إدريس البعقوبي، والمغول، وجنكيز خان، وهولاكو خان، وتيمورلنك، والدولة الفاطمية وخلفاءها، وبغداد، وسمرقند، وكابول، ودلهي، والمقدادية أصل التسمية، والناصرية العراقية، والصويرة العراقية، والعزيزية العراقية، وال بابان، وال السعدون، ومحمد الفاتح ،وسليمان القانوني ،ومراد الرابع، وعبد الحميد الثاني، والشرق الأوسط ،والمكنا كارتا، وعبدالقادر الجزائري، وجمال الدين الأفغاني ،وعبد الكريم قاسم ،والحبوبي الشاعر والإمام، والسيد محمد باقر الصدر، والمؤرخ الدروبي وجهوده في تدوين تاريخ الأسرة القادرية في العهد العثماني، والرينسانس ،ومترنيخ، وبسمارك، وهتلر، وميكافللي والميكافلية، وونستون تشرشل، وجان جاك روسو ،والثورة الفرنسية، ولويس الرابع عشر ،ولويس السادس عشر، وماري أنطوانيت ،ونابليون الأول ،ونابليون الثالث، وقراءة في كتاب–لينين–خطوة إلى الإمام خطوتان إلى الوراء، وتلخيص كتاب قصة الفلسفة للمؤرخ ويل ديورانت، وتاج محل ،والأزهر، والقرويين، وبدر شاكر السياب، و" الصراع السياسي والديني في اليمن قبل الإسلام –نجران نموذجًا . "

درس التاريخ على أيدي العديد من أساتذة التاريخ في العراق منهم الأساتذة الدكاترة عماد عبد السلام رؤوف وكمال مظهر أحمد وفاروق عمر ,وعبدالرزاق الأنباري وعبدالقادر المعاضيدي وخاشع المعاضيدي وعبدالقادر الشيخلي وجعفر عباس حميدي ويقظان سعدون العامر وحمدان الكبيسي وقحطان عبد الستار الحديثي وهاشم يحيى الملاح وعبد الأمير العكام وصادق ياسين الحلو ومفيد كاصد الزيدي ومحمد أحمد الشحاذ وعبد الأمير دكسن وعبد الجبار ناجي وفاروق عباس وهيب وخضير الجميلي وطارق نافع الحمداني ومحمد جاسم المشهداني ومحمد ياقر الحسيني ومزاحم علي عشيش البعاج وناهض عبدالرزاق القيسي ومحي هلال السرحان.

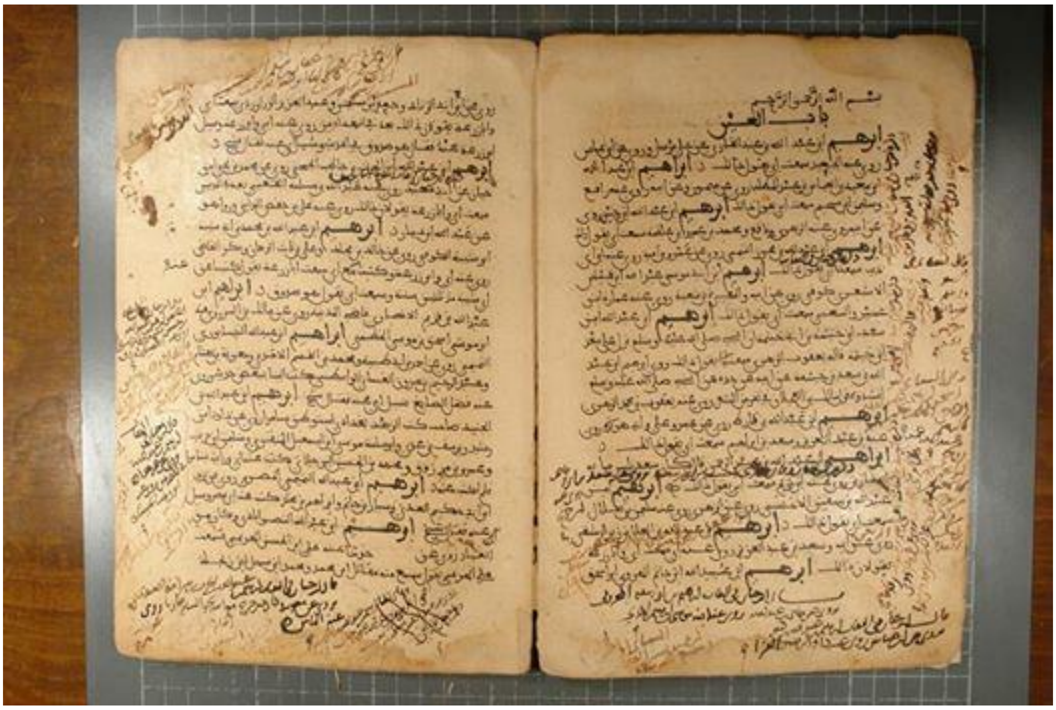
من آراءه" أن التاريخ لايعرف اليوم والأمس والغد وإنما هو نهر الحياة يمضي إلى الأجل المضروب الذي قدره علام الغيوب، فالتاريخ كله تاريخ معاصر ،نعم له تقسيمات علمية، ولكنه يعيش معنا ويهمنا وعلينا أن نستفاد منه في حياتنا كلها ويستند في هذا الرأي على أن استقراء التاريخ خير من التجارب ،وان اختيار سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر ،يبدو ، امرا بعيدا عن الحقيقة والواقع لان التطور التاريخي يمتاز

دائما بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها ببعض ، وان وقائع التاريخ الكبرى عائمات جليد طرفها ظاهر فوق الماء ، وكتلتها الرئيسية تحت سطحه ومن يريد استكشافها عليه أن يغوص في الأعماق،والفرق بيننا وبين الغرب اننا نعيش في التاريخ فقط وهم يفهمونه ويستغلونه لتحقيق مصالحهم،و التاريخ هو طريق الإنسانية إلى الحضارة، لأنه ضوء ينير الماضي لرؤية الحاضر و المستقبل ، فجذور أنظمتنا السياسية ،والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية ،تمتد عميقا في تربة الأجيال الماضية.."


سلسلة الطريقة القادرية
نسبة الشريف من جهة الأب
نسبة الشريف من جهة الأم




الحضرة القادرية الشريفة



Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Of Baghdad
Center of Revival of Arabian
Science Heritage

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مركز أحياء التراث العلمي العربي

No :
Date : / / 201

العدد : ٩٥٨
التاريخ : ١٧/ ٧/ ٢٠١٢

إلى / الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

م / شكر و تقدير

تحية طيبة...

لجهودكم العلمية المتميزة في تحقيق المخطوطات العربية وإزاء تلك الجهود لا يسعنا إلا ان نتقدم لكم بالشكر والتقدير والعرفان أملين المزيد من العطاء والتميز خدمة لتراث امتنا العربية والإسلامية ولبلدنا العراق العزيز .

مع التقدير...

أ.م.د. عبدالله حميد العتابي
مدير المركز

نسخة منه الى///
- وحدة الإدارة / مع الأوليات.
- الحفظ العام.

Baghdad- Al-Jadiriyah P.O.3 (47051)
Tel:7733621
rasic@rasic.uobaghdad.edu.iq
http://www.rasic.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد- الجادرية- ص.ب (47051)
رقم الهاتف 7783621 مباشر

فتوح الغيب

للباز الاشهب الشيخ عبد القادر الجيلي
"قدس الله روحه"

بعناية دكتور /جمال الدين فالح الكيلاني

مركز الاعلام العالمي
دكا - بنغلاديش

فتوح الغيب

للباز الأشهب الشيخ عبدالقادر الجيلي

"قدس الله روحه"

بعناية

دكتور/جمال الدين فالح الكيلاني

الطبعة الأولي

رمضان 1435هـ ، يوليو 2014م

إصدار

مركز الإعلام العالمي داكا – بنغلاديش

:01715398775

سعر النسخة : 80 تاكا

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

كثير من طلاب العلم لا يعرفون سيرة الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الجيلاني ، بل كثير منهم يسيئ الظن به بسبب الدعاية الكاذبة التي يقوم بها بعض الأدعياء الجفاة الجاهلون بحقيقة دين الله العظيم.

ومن جانب آخر نجد مسلمين يغلون في تعظيمه ويعتقدون فيه أشياء افتريت عليها ، لذا وجدت نفسي في حاجة إلي بيان سيرته الحقيقة رحمه الله ، والعمل على أعادة نشر بعض كتبه صحيحه النسبه اليه ومنها كتاب "فتوح الغيب" – من نفائس الكتب التى تنير الطريق, وتأخذ بيد السالك إلى أعلى مراتب أهل التحقيق, لما يجده فيه من فؤائد سلوكية ومعارف ذوقية, وتربية علمية عملية للنفوس وتزكيتها, وطهارة للقلوب وتنقيتها, من غرس للفضائل وإنتزاع للرذائل, وقمع للشهوات, وتدريب على الصبر والرضا والطاعات.. ومن أجل هذا إهتم به العلماء على إختلاف مشاربهم ومذاهبهم, فتناولوه بالشرح, والتعليق, والإقتباس من أنواره وأثاره فى مؤلفاتهم. ولما كان هذا الكتاب بهذه الأهمية رأيت إعادة نشره لعموم نفعه, فقمت بترجمة المؤلف والتعريف به, وضبط ما أشكل من ألفاظه والتعليق عليه حسب ما يقتضيه المقام. وقد إعتمدت على النسخة المطبوعة بمطبعة الحلبي سنة 1392 هـ .

في زمن الوهن والفتن قل من يوجد من أهل العلم يختار طريق الوسطية والاعتدال ، وبكوني ولله الحمد من دعاة الوسطية والاعتدال والتراحم والتضامن في المجتمع الإسلامي أصبح من أعمالي المفضلة نشر سيرة العلماء والأكابر الربانيين المعتدلين. وهذا العمل من قبيل ذلك العمل المفضل .

هنا لابد ان اشكر الناشر البنغالي ،على تكليفي بأعداد هذه النشرة الخاصة، وهذه ثقة أعتز بها.

أرجو من الله ربي الثواب علي هذا العمل والنفع به طلاب علم النبوة علي صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

جمال الدين فالح الكيلاني

بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

هو عبد القادر الجيلاني (470 هـ561 – هـ)، إمام صوفي وفقيه حنبلي، لقبه المسلمون بـ "باز الله الاشهب" و "تاج العارفين" و"محيي الدين" و"شيخ الشيوخ" و"قطب الأقطاب". وإليه تنتسب الطريقة القادرية. وقد تأثر به القائد صلاح الدين الأيوبي، والشيخ معين الدين الجشتي ، والشيخ شهاب الدين عمر السهروردي رحمهم الله.

مولده ونشأته

هناك خلاف في محل ولادته[1] وتوجد روايات متعددة ،أهمها أنه ولد في جيلان (تقرأ بالجيم العربية كما تقرأ بالجيم المصرية فيقال لها جيلان أو كيلان) سنة 470 هـ الموافق1077 م[2]، وهي تقع في شمال إيران حالياً على ضفاف بحر قزوين ويقال أنه ولد في جيلان العراقية وهي قرية تاريخية قرب المدائن 40 كيلو متر جنوب بغداد، وهو ما ترجحه الدراسات التاريخية الحديثة وتعتمده الاسرة الكيلانية ببغداد،[3][4] وقد نشأ عبد القادر في أسرة وصفتها المصادر بالصالحة، فقد كان والده أبو صالح موسى معروفا بالزهد وكان شعاره مجاهدة النفس وتزكيتها بالأعمال الصالحة ولذا كان لقبه "محب الجهاد ."[5].

أسرته

- **هو: أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[6].**

أنجب عبد القادر رحمه الله عدداً كبيراً من الأولاد، وقد عنى بتربيتهم وتهذيبهم على يديه واشتهر منهم عشرة:

- عبد الوهاب: وكان في طليعة أولاده، والذي درس بمدرسة والده في حياته نيابة عنه، وبعد والده وعظ وأفتى ودرس، وكان حسن الكلام في مسائل الخلاف فصيحاً ذا دعابة وكياسة، ومروءة وسخاء، وقد جعله الإمام الناصر لدين الله على المظالم فكان يوصل حوائج الناس اليه، وقد توفي سنة 573هـ ودفن في رباط والده في الحلبة.
- عيسى: الذي وعظ وأفتى وصنف مصنفات منها كتاب "جواهر الأسرار ولطائف الأنوار" في علم الصوفية، قدم مصر وحدث فيها ووعظ وتخرج به من أهلها غير قليل من الفقهاء، وتوفي فيها سنة 573 هـ.
- عبد العزيز: وكان عالماً متواضعاً، وعظ ودرّس، وخرج على يديه كثير من العلماء، وكان قد غزا الصليبين في عسقلان وزار مدينة القدس ورحل جبال الحيال وتوفي فيها سنة 602 هـ، وقبره في مدينة "عقرة" من أقضية لواء الموصل في العراق.
- عبد الجبار: تفقه على والده وسمع منه وكان ذا كتابة حسنة، سلك سبيل الصوفية، ودفن برباط والده في الحلبة.
- الشيخ عبد الرزاق: وكان حافظا متقنا حسن المعرفة بالحديث فقيها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ورعا منقطعاً في منزله عن الناس، لايخرج إلا في الجمعات، توفي سنة 603هـ، ودفن بباب الحرب في بغداد.
- إبراهيم: تفقه على والده وسمع منه ورحل إلى واسط في العراق، وتوفي بها سنة 592هـ.
- يحيى: وكان فقيها محدثا انتفع الناس به، ورحل إلى مصر ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة 600 هـ، ودفن برباط والده في الحلبة.
- موسى: تفقه على والده وسمع منه ورحل إلى دمشق وحدّث فيها واستوطنها، ثم رحل إلى مصر وعاد إلى دمشق وتوفي فيها وهو آخر من مات من أولاده.
- صالح : وبه يكنى في أغلب البلدان وذكرته أغلب المصادر المتخصصة في سيرته وهو مدفون قرب والده في بغداد.

سفره إلى بغداد

كان عبد القادر الجيلاني رحمه الله قد نال قسطاً من علوم الشريعة في حداثة سنه على أيدي أفراد من أسرته، ولمتابعة طلبه للعلم رحل إلى بغداد ودخلها سنة 488 هـ الموافق1095 م وعمره ثمانية عشر عاماً[7] في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله .وبعد أن استقر في بغداد انتسب إلى مدرسة الشيخ أبو سعيد المخرمي التي كانت تقع في حارة باب الأزج، في أقصى الشرق من جانب الرصافة، وتسمى الآن محلة باب الشيخ.

وكان العهد الذي قدم فيه الشيخ الجيلاني إلى بغداد تسوده الفوضى التي عمت كافة أنحاء الدولة العباسية، حيث كان الصليبيون يهاجمون ثغور الشام، وقد تمكنوا من الاستيلاء على أنطاكية وبيت المقدس وقتلوا فيهما خلقا كثيرا من المسلمين ونهبوا أموالاً كثيرة. وكان السلطان التركي "بركياروق" قد زحف بجيش كبير يقصد بغداد ليرغم الخليفة على عزل وزيره "ابن جهير" فاستنجد الخليفة بالسلطان السلجوقي "محمد بن ملكشاه" ودارت بين السلطانين التركي والسلجوقي معارك عديدة كانت الحرب فيها سجالا، وكلما انتصر احدهما على الآخر كانت خطبة يوم الجمعة تعقد باسمه بعد اسم الخليفة.

وكانت فرقة الباطنية قد نشطت في مؤامراتها السرية واستطاعت أن تقضي على عدد كبير من أمراء المسلمين وقادتهم فجهز السلطان السلجوقي جيشاً كبيراً سار به إلى إيران فحاصر قلعة "أصفهان" التي كانت مقراً لفرقة الباطنية وبعد حصار شديد استسلم أهل القلعة فاستولى عليها السلطان وقتل من فيها من المتمردين، وكان "صدقة بن مزيد" من أمراء بني مزيد من قبيلة بني أسد قد خرج بجيش من العرب والأكراد يريد الاستيلاء على بغداد فتصدى له السلطان السلجوقي بجيش كبير من السلاجقة فتغلب عليه. وكان المجرمون وغيرهم من العاطلين والأشقياء ينتهزون فرصة انشغال السلاطين بالقتال فيعبثون بالأمن في المدن يقتلون الناس ويسلبون أموالهم فإذا عاد السلاطين من القتال انشغلوا بتأديب المجرمين.

وفي غمرة هذه الفوضى كان الشيخ عبد القادر يطلب العلم في بغداد، وتفقه على مجموعة من شيوخ الحنابلة ومن بينهم الشيخ أبوسعيد المُخَرِمي، فبرع في المذهب والخلاف والأصول وقرأ الأدب وسمع الحديث على كبار المحدثين. وقد أمضى ثلاثين عاما يدرس فيها علوم الشريعة أصولها وفروعها.

جلوسه للوعظ والتدريس

عقد الشيخ أبو سعيد المُخَرِمي لتلميذه عبد القادر مجالس الوعظ في مدرسته بباب الأزج في بداية 521 هـ، فصار يعظ فيها ثلاثة أيام من كل أسبوع، بكرة الأحد وبكرة الجمعة وعشية الثلاثاء. واستطاع الشيخ عبد القادر بالموعظة الحسنة أن يرد كثيراً من الحكام الظالمين عن ظلمهم وأن يرد كثيراً من الضالين عن ضلالتهم، حيث كان الوزراء والأمراء والأعيان يحضرون مجالسه، وكانت عامة الناس أشد تأثراً بوعظه، فقد تاب على يديه أكثر من مائة ألف من قطاع الطرق وأهل الشقاوة، وأسلم على يديه ما يزيد على خمسة الآف من اليهود والمسيحيين . وبحسب بعض المؤرخين، فإن الجيلاني قد تأثر بفكر الغزالي حتى أنه ألف كتابه "الغنية" على نمط كتاب "إحياء علوم الدين"[8] .وكان الشيخ عبد القادر يسيطر على قلوب المستمعين إلى وعظه حتى أنه استغرق مرة في كلامه وهو على كرسي الوعظ فانحلت طية من عمامته وهو لا يدري فألقى الحاضرون عمائهم وطواقيهم تقليداً له وهم لايشعرون.

وبعد أن توفي أبو سعيد المبارك المخزومي فوضت مدرسته إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني فجلس فيها للتدريس والفتوى، وجعل طلاب العلم يقبلون على مدرسته إقبالا عظيما حتى ضاقت بهم فأضيف إليها من ما جاورها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثلها وبذل الأغنياء أموالهم في عمارتهم وعمل الفقراء فيها بأنفسهم حتى تم بناؤها سنة 528 هـ الموافق1133 م .وصارت منسوبة إليه.

وكان الشيخ عبد القادر عالما متبصرا يتكلم في ثلاثة عشر علماً من علوم اللغة والشريعة، حيث كان الطلاب يقرأون عليه في مدرسته دروسا من التفسير والحديث والمذهب والخلاف والاصول واللغة، وكان يقرأ القرآن بالقراءات وكان يفتي على مذهب الامام الشافعي والامام أحمد بن حنبل.

مؤلفاته

صنف عبد القادر الجيلاني مصنفات كثيرة في الأصول والفروع وفي أهل الأحوال والحقائق والتصوف، منها ما هو مطبوع ومنها مخطوط ومنها مصوّر، منها:

- إغاثة العارفين وغاية منى الواصلين.
- أوراد الجيلاني.

- آداب السلوك والتوصل إلى منازل السلوك.
- تحفة المتقين وسبيل العارفين.
- جلاء الخاطر في الباطن والظاهر.
- حزب الرجاء والانتهاء.
- الحزب الكبير.
- دعاء البسملة.
- الرسالة الغوثية: موجود منها نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد.
- رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله.
- الغُنية لطالبي طريق الحق :وهو من أشهر كتبه في الأخلاق والآداب الإسلامية وهو جزءان.
- الفتح الرباني والفيض الرحماني :وهو من كتبه المشهورة وهو عبارة عن مجالس للشيوخ في الوعظ والإرشاد.
- فتوح الغيب: وهو عبارة عن مقالات للشيخ في العقائدوالإرشاد ويتألف من 78 مقالة.
- الفيوضات الربانية: وهكذا الكتاب ليس له ولكنة يحتوي الكثير من أوراده وأدعيته وأحزابه.
- معراج لطيف المعاني.
- يواقيت الحكم.
- سر الأسرار في التصوف: وهو كتاب معروف وتوجد نسخة منه في المكتبة القادرية ببغداد وفي مكتبة جامعة إسطنبول.
- الطريق إلى الله: كتاب عن الخلوة والبيعة والأسماء السبعة.
- رسائل الشيخ عبد القادر: 15 رسالة بالفارسية يوجد نسخة في مكتبة جامعة إسطنبول.
- المواهب الرحمانية: ذكره صاحب روضات الجنات.
- حزب عبد القادر الجيلاني: مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة الأوقاف ببغداد.
- تنبيه الغبي إلى رؤية النبي: نسخة مخطوطة بمكتبة الفاتيكان بروما.
- الرد على الرافضة: منسوب له وهو لمحمد بن وهب نسخة مخطوطة في المكتبة القادرية ببغداد.

- وصايا الشيخ عبد القادر: موجود في مكتبة فيض الله مراد تحت رقم **251**.
- بهجة الأسرار: مواعظ للشيخ جمعها نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف اللخمي الشطنوفي.
- تفسير القران الكريم: في مكتبة رشيد كرامي في طرابلس الشام ويقول عفيف الدين الجيلاني أنه مطبوع في تركيا.
- الدلائل القادرية.
- الحديقة المصطفوية: مطبوعة بالفارسية والأردية.
- الحجة البيضاء.
- عمدة الصالحين في ترجمة غنية الصالحين.
- بشائر الخيرات.
- ورد الشيخ عبد القادر الجيلاني.
- كيمياء السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة.
- المختصر في علم الدين.
- مجموعة خطب.

قال العلماء عنه

- قال الإمام النووي : ما علمنا فيما بلغنا من التفات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلاني، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وانتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق وتتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة، وانعقد علية إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والإعظام، والرجوع إلى قولة والمصير إلى حكمه، وأُهرع إليه أهل السلوك –التصوف– من كل فج عميق. وكان جميل الصفات شريف الأخلاق كامل الأدب والمروءة كثير التواضع دائم البشر وافر العلم والعقل شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه معظما لأهل العلم مُكرِّماً لأرباب الدين والسنة، مبغضاً لأهل البدع والأهواء محبا لمريدي الحق مع دوام المجاهد ولزوم المراقبة إلى الموت. وكان له كلام عال في علوم المعارف شديد

الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى سخي الكف كريم النفس على أجمل طريقة. وبالجملة لم يكن في زمنه مثله.[9]

- قال العلامة ابن تيمية: والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشائخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع، والأمر والنهي، وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشائخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية.
- قال الإمام العز بن عبد السلام : إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر فإن كراماته نقلت بالتواتر[10].
- قال الإمام الذهبي: الشيخ عبد القادر الشيخ الامام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الاسلام، علم الأولياء، محيي الدين، أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد[11].
- قال الإمام أبو أسعد عبد الكريم السمعاني: هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره فقيه صالح، كثير الذكر دائم الفكر، وهو شديد الخشية، مجاب الدعوة، أقرب الناس للحق، ولا يرد سائلا ولو بأحد ثوبيه.
- قال الإمام ابن حجر العسقلاني الكناني : كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة ومزج ذلك بمخالطة الشاغل عنها غالبا كالأزواج والأولاد، ومن كان هذا سبيله كان أكمل من غيره لأنها صفة صاحب الشريعة صلى الله علية وسلم[12].
- قال الإمام ابن قدامة المقدسي: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة فإذا الشيخ عبد القادر بها انتهت إليه بها علما وعملا وحالا واستفتاء، وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر. كان ملئ العين وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله ولم أسمع عن أحد يحكي من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت احداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه[13].
- قال الإمام ابن رجب الحنبلي: عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي، الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة، محي الدين ظهر للناس، وحصل له القبول التام، وانتصر أهل السنة الشريفة بظهوره، وانخذل أهل البدع والأهواء، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وجاءته الفتاوى من سائر الأقطار، وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم[14]. وقال رحمه الله : كان الشيخ عبد القادر

رحمه الله في عصره معظماً، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وله مناقب وكرامات كثيرة، ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشطنوفي المصري في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات، وكَتَبَ فيها الطم والرم، وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع. وقد رأيتُ بعض هذا الكتاب، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه فأنقل منه إلا ما كان مشهوراً معروفاً من غير هذا الكتاب، وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه الشطح، والطامات، والدعاوى، والكلام الباطل، ما لا يحصى، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبدالقادر رحمه الله، ثم وجدت الكمال جعفر الأدفوني قد ذكر أن الشطنوفي نفسه كان متهماً فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه.

- قال الإمام اليافعي: قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلين والإسلام ركن الشريعة وعلم الطريقة، شيخ الشيوخ، قدوة الأولياء العارفين الأكابر أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي قدس سره ونور ضريحه، تحلى بحلي العلوم الشرعية وتجمل بتيجان الفنون الدينية، وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق، قام بنص الكتاب والسنة خطيبا على الأشهاد، ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد، وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمت أمواجها، وأبرأ النفوس من أسقامها وشفى الخواطر من أوهامها وكم رد إلى الله عاصياً، تتلمذ له خلق كثير من الفقهاء[16].
- قال الإمام الشعراني : طريقته التوحيد وصفاً وحكما وحالا وتحقيقه الشرع ظاهرا وباطناً[17].
- قال الإمام أحمد الرفاعي : الشيخ عبد القادر من يستطيع وصف مناقبه، ومن يبلغ مبلغة، ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره من أيهما شاء اقترف، لا ثاني له في وقتنا هذا[18].
- قال الشيخ بقا بن بطو : كانت قوة الشيخ عبد القادر الجيلاني في طريقته إلى ربة كقوى جميع أهل الطريق شدة ولزوما وكانت طريقته التوحيد وصفا وحكما وحالاً[19].
- قال الإمام ابن السمعاني عنه: إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، ديِّن خيِّر، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة.
- قال عنه الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي :وبلغني أن عبد القادر الجيلي كان عدلاً قطب وقته.

وفاته

توفي الإمام الجيلاني ليلة السبت 10 ربيع الثاني سنة 561 هـ،جهزه وصلي عليه ولده عبد الوهاب في جماعة من حضر من أولاده وأصحابه، ثم دفن في رواق مدرسته، ولم يفتح باب المدرسة حتى علا النهار وهرع الناس للصلاة على قبره وزيارته، وبلغ تسعين سنة من عمره. ذكر العلامة سالم الالوسي، ان الرئيس أحمد حسن البكر في بداية حكمه، طالب إيران باسترجاع رفات الخليفة هارون الرشيد، كونه رمز لبغداد في عصرها الذهبي، وذلك بدعوة وحث من المرحوم عبد الجبار حامد الجومرد وزير الخارجية العراقي السابق في عهد عبد الكريم قاسم، ولكن إيران امتنعت ، وبالمقابل طلبت استرجاع رفات الشيخ عبد القادر الكيلاني ،كونه من مواليد كيلان في إيران ،وعندها طلب الرئيس من العلامة مصطفى جواد ،بيان الامر ،فاجاب مصطفى جواد : ان المصادر التي تذكر ان الشيخ عبد القادر مواليد كيلان في إيران ،مصادر تعتمد رواية واحدة وتناقلتها بدون دراسة وتحقيق ،اما الاصوب فهو من مواليد قرية تسمى (جيل) قرب المدائن، ولاصحة كونه من إيران أو ان جده اسمه جيلان، وهو ما اكده العلامة حسين علي محفوظ في مهرجان جلولاء الذي اقامه اتحاد المؤرخين العرب وكان الالوسي حاضرا أيضا سنة 1996، وفعلا اخبرت مملكة إيران بذلك ولكن بتدخل من دولة عربية اغلق الموضوع[20].

مصادر ومراجع :

1. ^ كتاب المختصر في تاريخ شيخ الإسلام عبد القادر، إبراهيم الدروبي، باكستان1959،ص52
2. ^ المنتظم، تأليف :ابن الجوزي، ج10، ص219.
3. ^* كتاب:جغرافية الباز الاشهب، تحقيق مكان ولادة الشيخ عبد القادر الكيلاني، د/جمال الدين فالح الكيلاني، مكتبة الجليس –بيروت،2012،ص14
4. ^ كتاب من بعض أنساب العرب ، د/خاشع المعاضيدي ، دار الرشيد ، بغداد ، 1997 ،ج2 ص 77.
5. ^ سير أعلام النبلاء – الذهبي– مؤسسة الرسالة – الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م – ج 20 – الصفحة 439
6. ^ التاريخ الكبير، تأليف :الحافظ الذهبي.
7. ^ الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، ج1، ص290
8. ^ هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، تأليف: ماجد الكيلاني، ص184.
9. ^ قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص 137. نقلا عن بستان العرافين، تأليف: النووي.
10. ^ سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي ج20 ص443.
11. ^ سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي. ج20 ص439
12. ^ قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص 23.
13. ^ قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص6.
14. ^ الطبقات، تأليف: ابن رجب الحنبلي.
15. ^ البداية والنهاية، تأليف: ابن كثير
16. ^ قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص 136.
17. ^ الطبقات الكبرى، تأليف: الشعراني، 129/1.
18. ^ قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص66.

19. ^ الطبقات الكبرى، تأليف: الشعراني، 127/1.

20. ^ كتاب الشيخ عبدالقادرالكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، د/جمال الدين فالح الكيلاني، ص24

المدرسة التربوية القادرية

هي أشهر الطرق الصوفية السليمة، تنتسب إلى القطب الشيخ عبد القادر الجيلاني (471 هـ – 561 هـ)، وينتشر أتباعها في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

قواعد الطريقة القادرية

يذكر الشيخ عبدالقادر الجيلاني أهم قواعد وأسس الطريقة القادرية:

- **الالتزام بالكتاب والسنة :يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: (طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة فمن خالفهما فليس منا). ويقول: (اجعل الكتاب والسنة جناحيك طر بهما إلى الله).**
- **الجَدُّ والكَدُّ ولزوم الحَدِ حتى تنقد :ومعنى (جد) الجدية في سلوك الطريق إلى الله، ومعنى (كد) بذل الجهد والجوارح والنفس والروح في السير إلى الله بدون هوادة ولا تراخي، ومعنى(لزوم الحد) الالتزام بالشريعة وتحليل الحلال وتحريم الحرام والوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها، ومعنى (حتى تنقد) حتى تجف النفس عن المعاصي والذنوب والشهوات والملذات والأخلاق السيئة ولا يبقى فيها إلا الله جل في علاه.**
- **الاجتماعُ والاستماعُ والإتباعُ حتى يحصل الانتفاع: ومعنى هذا الاجتماع بالصالحين والعلماء والمرشدين والأخوة في الله والاستماع لهم بأدب وإتباع ما يقولون وما يأمرون من الهدي النبوي وبذلك يحصل لدينا الانتفاع والوصول لما وصلوا إليه.**
- **الاعتقاد بشيخ الطريقة العقيدة الصحيحة: ومعنى هذا أن يحبوه ويحترموه ويقدروه ولا يهملوه ولا يعظمونه فوق الحد المطلوب ولا يغلوا في حبه ولا يعتقدوا فيه العصمة فإنه بشر يخطئ ويصيب لكنه محفوظ بعناية الله إن أخطأ سرعان ما يرجع إلى الله ويتوب إليه، يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه الغنية: (يا بني إياك أن تنظر إلى شيخك أنه**

معصوم إنما هو بشر يخطئ ويصيب فإن رأيت منه مخالفة فابحث له عن عذر شرعي فإن لم تجد له عذر فاستغفر له الله فإنه بشر يخطئ ويصيب).

- حب الشيخ :لكن حب الله والرسول صلي الله عليه وسلم مقدم عليه وهو المراد الحقيقي من السير والسلوك على يد الشيخ المرشد فهو دليلنا إلى حب الله ورسوله صلي الله عليه وسلم.
- الدعوة إلى الله
- كثرة الذكر لله تعالى: فالذكر هو المعراج في السير إلى الله في الطريقة القادرية، فمن أهم أعمال المريد كثرة الأذكار والمداومة عليها وعلى الاستغفار والصلاة على الرسول بالليل والنهار وبذلك يرتقي المريد في مقامات المحبة لله ولرسوله والذكر هو الوسيلة العظمى لتزكية النفس وتربيتها وتحليتها بالأخلاق المحمدية.
- محبة آل البيت : وحبهم مقدم على كل من سواهم من الناس لأنهم بضعة النبي ووصيته لأمته، مع الحب والتقدير والإكبار والإجلال للصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.
- حب كل الأولياء والصالحين: وحب مشايخ ومرشدين الطرق الأخرى، ولا يفرقون ولا يميزون بين طريقة وأخرى، ولا يتعصبون لطريقتهم ولا يطعنون بالطرق الأخرى التي تنهج منهج الكتاب والسنة، وذلك كله مع المحبة والتعظيم والتقدير لطريقتهم ولمشايخهم كما ينبغي أن يكون.

شروط الشيخ المرشد عند الإمام الجيلاني

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني في القصيدة العينية:

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا	إلى شيخٍ في الحقيقة بارع
فقم في رضاه واتبع مراده	ودع كل ما من قبل كنت تسارع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره	عليه فإن الاعتراض تنازع
في قصة الخضر الكريم كفاية	بقتل غلام والكليم يدافع
فلما أضاء الصبح عن ليل سره	وسل حساماً للغياهب قاطع

أقام له العذر الكليم وإنه كذلك علم القوم فيه بدائع

لقد أسس الإمام الجيلاني طريقته وفق الكتاب والسنة ووضع لها ضوابط شرعية حتى لا يكثر الشطط والنقصان والتغيير والابتداع ويدعي المشيخة من يقدر ومن لا يقدر ومن يعلم ومن لا يعلم. فوضع الشيخ ضوابط وشروط ينبغي أن تتوفر بالشيخ المرشد الذي يتصدر للإرشاد وهذه الشروط هي[2]:

إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد وإلا فدجالٌ يقود إلى جهل
عليم بأحكام الشريعة ظاهراً ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظهر للورَّادِ بالبشر والقرى ويخضع للمسكين بالقول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره عليم بأحكام الحرام من الحل
يهذب طلاب الطريق ونفسه مهذبة من قبل ذو كرم كلي

لقد بين الشيخ في هذه الأبيات بعض شروط الشيخ المربي وهي خمس. فإن لم تتوفر فيه فليس لديه الأهلية للإرشاد وهذه الشروط هي:

- أن يكون عالماً بأحكام الشريعة والدين عالم بالحلال والحرام عالم بحدود الشرع وعالم بالسنة النبوية وعالم بما علم من الدين بالضرورة وهذا معنى قول الشيخ (عليم بأحكام الشريعة ظاهراً).
- أن يكون عالماً بعلم الحقيقة والطريقة وعالم بأحوال القلوب والنفوس وطرق تزكيتها وخبير بأحوال السالكين وتدرجهم في الطريق إلى الله ويكون قد أخذ هذا العلم من شيخ مرشد كامل عبر سند متصل إلى رسول الله وهذا معنى قول الشيخ (ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل).
- أن يكون كريماً سخياً مع ضيوفه والسخاء من صفات رب العالمين ومن خلق الرسول الكريم والصالحين فلا يليق بالمرشد أن يكون بخيلاً كما جاء في الحديث ما جبل ولي الله إلا على السخاء وحسن الخلق فيكرم ضيوفه ورواد زاويته دون التقصير بحق ضيافتهم وأن تدوم البسمة على وجهه وان يكون رحب الصدر وهذا معنى قول الشيخ(ويظهر للورَّادِ بالبشر والقرى).

- أن يكون متواضعاً للمؤمنين يخضع لهم بالقول والفعل وهذه الخصلة هي من خصال النبي حيث أمره الله فقال له (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)[3]. وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني معروفاً بتواضعه للفقراء وكان يجلس معهم ويطاعمهم ويتجنب مجالسة الأغنياء والكبراء والأمراء والوزراء إلا إذا أراد نصح لهم وهذا معنى قول الشيخ (ويخضع للمسكين بالقول والفعل).
- أن يكون قد ناجحاً في تربية المريدين وتزكية نفوسهم ولن يكون له هذا إلا إذا كان قد زكى نفسه قبل ذلك على يد شيخ خبير بارِع وأن يكون قد أذن له بالإرشاد والمشيخة من قبل شيخه وفق سند متصل وهذا معنى قول الشيخ (يهذب طلاب الطريق ونفسه مهذبة من قبل ذو كرم كلي).

أماكن الانتشار

ينتشر أتباع الطريقة القادرية في كثير من البلاد أشهرها سوريا وتركيا والعراق والمغرب والجزائر وفلسطين ولبنان وموزمبيق والكاميرون ونيجيريا والصين والاتحاد السوفيتي وغانا وإيران والجزائر والسودان والنيجر ومالي وغينيا وتشاد وأفغانستان والهند وباكستان وبنغلاديش والصومال وأندونيسيا ويوغسلافيا ومصر وتونس وماليزيا وارتيريا.

تفرعات الطريقة القادرية

تفرعت عن الطريقة القادرية عدة طرق ، منها:

- الطريقة القادرية الجيلانية بالمغرب.
- الطريقة القادرية البودشيشية.
- الطريقة القادرية العركية.
- الطريقة النقشبندية القادرية.
- الطريقة البريفكانية القادرية.
- الطريقة العلية القادرية الكسنزانية.
- الطريقة القادرية (دائرة الشيخ حسن القره جيواري).
- الطريقة الزعبية القادرية العلية.
- الطريقة القادرية النورية.

- **الطريقة الرضوية البركاتية بالهند.**
- **الطريقة الكنزية القادرية لشيخها السيد أبو الليث حمزة الأسد يوسف آل السيد القادري الشافعي.**
- **الطريقة القادرية الجعلية السودان.**
- **الطريقة القادرية الرضوية العطارية.**

مصادر

1. **^ جاء في كتاب السير والمساعي ص208 هذه الأبيات المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني.**
2. **^ سورة الحجر، آية 88.**

النص الكامل للكتاب

مقدمة المؤلف

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، قال الشيخ عبد الرزاق ولد المؤلف : قال والدي رضي الله تعالى عنه مؤيد الأئمة سيد الطوائف أبو محمد محي الدين عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني الصديقي، ابن أبي صالح موسى ابن الإمام عبد الله ابن الإمام يحيى الزاهد ابن الإمام محمد ابن الإمام داود ابن الإمام موسى ابن الإمام عبد الله ابن الإمام موسى الجون ابن الإمام عبد الله المحض ابن الإمام الحسن المثنى ابن الإمام أمير المؤمنين سيدنا الحسن السبط ابن الإمام الهمام أسد الله الغالب، فخر بني غالب، أمير المؤمنين سيدنا علي ابن أبي طالب، كرم الله وجهه، ورضي عنه وعنهم أجمعين آمين :

الحمد لله ربِّ العالمين أولاً وأخرا وظاهراً وباطناً، عدد خلقه ومداد كلماته، وزنة عرشه، ورضاء نفسه، وعدد كل شفع ووتر، ورطب ويابس في كتاب مبين، وجميع ما خلق ربنا وذرأ وبرأ، خالق بلا مثال أبداً سرمداً طيباً مباركاً، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأمات وأحيى، وأضحك وأبكى، وقرب وأدنى، وأرحم وأخزى، وأطعم وأسقى، وأسعد وأشقى، ومنع وأعطى، الذي بكلمته قامت السبع الشداد، وبها رست الرواسي والأوتاد واستقرت الأرض المهاد، فلا مقنوطاً من رحمته، ولا مأموناً من مكره وغيرته وإنفاذ أقضيته وفعله وأمره، ولا مستنكفاً عن عبادته، ولا مخلواً من نعمته، فهو المحمود بما أعطى، والمشكور بما زوى، ثم الصلاة على نبيه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، الذي من اتبع ما جاء به اهتدى ومن صدف عنه ضل وارتدى، النبي الصادق المصدوق، الزاهد في الدنيا، الطالب الراغب في الرفيق الأعلى، المجتبى من خلقه، المنتخب من بريته، الذي جاء بالحق بمحبته، زهق الباطل بظهوره، وأشرقت الأرض بنوره.

ثـم الصـلوات الوافيـات، والبركـات الطيبـات، الزاكيـات المباركـات عليـه ثانيـاً وعلـى آلـه الطيبين، وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، الأحسنين لربهم فعلا، الأقومين له قيلا، والأصوبين إليه طريقاً وسبيلاً، ثم تضرعنا ودعاؤنا ورجوعنا إلى ربنا، ومنشئنا وخالقنا ورازقنا، ومطعمنا ومسقينا، ونافعنا وحافظنا، وكالئنا ومحيينا، والذابّ والدافع عنا جميع ما يؤذينا ويسوءنا، كل ذلك برحمته وتحننه وفضله ومتنه بالحفظ الدائم في الأقوال والأفعال في السر والإعلان، والإظهار والكتمان والشدة والرخاء والنعمة والبأساء والضراء، إنه فعال لما يريد، والحاكم بما يشاء، العالم بما يخفى، المطلع على الشؤون والأحوال، من الزلات والطاعات والقربات، السامع للأصوات، المجيب للدعوات، لمن يشاء من غير تنازع وتردد.

أما بعد : فإن نعم الله علي كثيرة متواترة، في آناء الليل وأطراف النهار والساعات واللحظات والخطرات وجميع الحالات، كما قال عزَّ وجلَّ : {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا}.إبراهيم34. وقوله تعالى : {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ}.النحل53. فلا يدان لي ولا جنان ولا لسان في إحصائها وأعدادها، فلا يدركها التعداد ولا تضبطها العقول والأذهان، ولا يحصيها الجنان ولا يعبرها اللسان. فمن جملة ما مكن عن تعبيرها اللسان، وأظهرها الكلام وكتبها البنان، وفسرها البيان، كلمات برزت وظهرت لي من فتوح الغيب فحلت في الجنان، فأشغلت المكان فأنتجها وأبرزها صدق الحال، فتولى إبرازها لطف المنان، ورحمة ربّ الأنام في قالب صواب المقال، لمريدي الحق والطلاب.

المقالة الأولى

فيما لا بدّ لكل مؤمن

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا بد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء : أمر يمتثله، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي له أن يلزم همها قلبه، وليحدث بها نفسه، ويؤاخذ الجوارح بها في سائر أحواله.

المقالة الثانية

في التواصي بالخير

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : اتبعوا ولا تبتدعوا, وأطيعوا ولا تمرقوا، ووحدوا ولا تشركوا, ونزهوا الحق ولا تتهموا، وصدقوا ولا تشكوا، واصبروا ولا تجزعوا، واثبتوا ولا تنفروا, واسألوا ولا تسأموا, وانتظروا وترقبوا ولا تيأسوا, وتواخوا ولا تعادوا، واجتمعوا على الطاعة ولا تتفرقوا، وتحابوا ولا تباغضوا, وتطهروا عن الذنوب وبها لا تدنسوا ولا تتلطخوا, وبطاعة ربكم فتزينوا, وعن باب مولاكم فلا تبرحوا، وعن الإقبال عليه فلا تتولوا، وبالتوبة فلا تسوفوا، وعن الاعتذار إلى خالقكم في آناء الليل وأطراف النهار فلا تملوا، فلعلكم ترحمون وتسعدون، وعن النار تبعدون، وفي الجنة تحبرون، وإلى الله توصلون، وبالنعيم وافتضاض الأبكار في دار السلام تشتغلون، وعلى ذلك تخلدون، وعلى النجائب تركبون, وبحور العين وأنواع الطيب وصوت القيان مع ذلك النعيم تحبرون، ومع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ترفعون.

المقالة الثالثة

في الابتلاء

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا ابتلي العبد ببلية تحرك أولاً في نفسه بنفسه, فإن لم يتخلص منها استعان بالخلق كالسلاطين وأرباب المناصب وأرباب الدنيا وأصحاب الأحوال وأهل الطب في الأمراض والأوجاع، فإن لم يجد في ذلك خلاصاً رجع إلى ربّه بالدعاء والتضرع والثناء. ما دام يجد بنفسه نصرة لم يرجع إلى الخلق، وما دام يجد به نصرة عند الخلق لم يرجع إلى الخالق, ثم إذا لم يجد عند الخلق نصرة استطرح بين يديه مديماً للسؤال والدعاء والتضرع والثناء والافتقار مع الخوف والرجاء, ثم يعجزه الخالق عزَّ وجلَّ عن الدعاء, ولم يجبه حتى ينقطع عن جميع الأسباب، فحينئذ ينفذ فيه القدر ويفعل فيه الفعل، فيفنى العبد عن جميع الأسباب والحركات، فيبقى روحاً فقط, فلا يرى إلا فعل الحق فيصير موقناً موحداً ضرورة يقطع أن لا فاعل في الحقيقة إلا الله لا محرك ولا مسكن إلا الله ولا خير ولا ضر ولا نفع ولا عطاء ولا منع, ولا فتح ولا غلق، ولا موت ولا حياة، ولا عزّ ولا ذل إلا بيد الله فيصير في القدر كالطفل الرضيع في يد الظئر والميت الغسيل في يد الغاسل والكرة في صولجان الفارس، يقلب ويغير ويبدل, ويكون ولا حراك به في نفسه ولا في غيره فهو غائب عن نفسه في فعل مولاه , فلا يرى غير مولاه وفعله, ولا يسمع ولا يعقل من غيره إن بصر وإن سمع وعلم, فلكلامه سمع، ولعلمه علم، وبنعمته تنعم، وبقربه تسعد، وبتقريبه تزين وتشرف, وبوعده طاب وسكن, به اطمأن, وبحديثه أنس, وعن غيره استوحش ونفر, وإلى ذكره التجأ وركن, وبه عزَّ وجلَّ وثق وعليه توكل، وبنور معرفته اهتدى وتقمص وتسربل, وعلى غرائب علومه اطلع, وعلى أسرار قدرته أشرف، ومنه سمع ووعي, ثم على ذلك حمد وأثنى وشكر ودعا.

المقالة الرابعة

في الموت المعنوي

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا مت عن الخلق قيل لك رحمك الله وأماتك عن الهوى، وإذا مت عن هواك قيل رحمك الله وأماتك عن إرادتك ومناك، وإذا مت عن الإرادة قيل رحمك الله وأحياك حياة لا موت بعدها، وتغنى غنى لا فقر بعده، وتعطى عطاء لا منع بعده, وتراح براحة لا شقاء بعدها، وتنعم بنعمة لا بؤس بعدها، وتعلم علماً لا جهل بعده، وتؤمن أمناً لا خوف بعده، وتسعد فلا تشقى, وتعز فلا تذل, وتقرب فلا تبعد, وترفع فلا توضع, وتعظم فلا تحقر, وتطهر فلا تدنس, لتحقق فيك الأماني, وتصدق فيك الأقاويل, فتكون كبريتاً أحمر فلا تكاد ترى, وعزيزاً فلا تماثل, وفريداً فلا تشارك, ووحيداً فلا تجانس, فرداً بفرد ووتراً بوتر, وغيب الغيب, وسر السر, فحينئذ تكون وارث كل نبي وصديق ورسول. بك تختم الولاية وإليك تصير الأبدال وبك تنكشف الكروب, وبك تسقى الغيوث, وبك تنبت الزروع, وبك يدفع البلاء والمحن عن الخاص والعام وأهل الثغور والراعي والرعايا, والأئمة والأمة وسائر البرايا, فتكون شحنة البلاد والعباد, فتنطلق إليك الرجل بالسعي, والرجال والأيدي بالبذل والعطاء والخدمة بإذن خالق الأشياء في سائر الأحوال, والألسن بالذكر الطيب والحمد والثناء وجمع المجال, ولا يختلف فيك اثنان من أهل الإيمان, يا خير من سكن البراري وجال بها {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.الحديد21.

المقالة الخامسة

في بيان الدنيا و الحث على عدم الالتفات إليها

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا رأيت الدنيا في يدي أربابها بزينتها وأباطيلها وخداعها ومصائدها وسمومها القتالة, مع لين مس ظاهرها, وضراوة باطنها وسرعة إهلاكها, وقتلها لمن مسها واغتر بها وغفل عن وليها وعيرها بأهلها ونقض عهدها، فكن كمن رأى انساناً على الغائط بالبراز بادية سوأته وفائحة رائحته, فإنك تغض بصرك عن سوأته، وتسد أنفك من رائحته ونتنه, فهكذا كن في الدنيا, إذا رأيتها غض بصرك عن زينتها، وسد أنفك عما يفوح من روائح شهواتها ولذاتها, فتنجو منها ومن آفاتها, ويصل إليك قسمك منها وأنت مهنأ, قال الله تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.طه131.

المقالة السادسة

في الفناء عن الخلق

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : افن عن الخلق بإذن الله تعالى, عن هواك بأمر الله تعالى {وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.المائدة23. وعن إرادتك بفعل الله تعالى. وحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى, فعلامة فنائك عن خلق الله تعالى انقطاعك عنهم وعن التردد إليهم واليأس مما في أيديهم، وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسب والتعلق بالسبب في جلب النفع والضرر, فلا تحرك ولا تعتمد عليك ولا لك ولا تذب عنك ولا تنتصر لنفسك، تكل ذلك كله إلى الله تعالى لأنه تولاه اولاً فيتولاه آخراً, كما كان موكولاً إليه في حال كونك مغيباً في الرحم، وكونك رضيعاً طفلاً في مهدك, وعلامة فنائك عن إرادتك بفعل الله أنك لا تريد مراداً قط , ولا يكون لك غرض, ولا يبقى لك حاجة ولا مرام, فإنك لا تريد مع إرادة الله سواها, بل يجري فعل الله فيك, فتكون أنت عند إرادة الله وفعله ساكن الجوارح مطمئن الجنان منشرح الصدر منور الوجه عامر البطن غنياً عن الأشياء بخالقها, تقلبك يد القدرة, ويدعوك لسان الأزل, ويعلمك ربُّ الْمِلَلْ, ويكسوك أنواراً منه والحلل, وينزلك من أولي العلم الأول, فتكون منكسراً أبداً, فلا يثبت فيك شهوة وإرادة كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع وكدر, فتنقى عن أخلاق البشرية, فلن يقبل باطنك شيئاً غير إرادة الله عزَّ وجلَّ, فحينئذ يضاف إليك التكوين وخرق العادات, فيرى ذلك منك في ظاهر الفعل والحكم, وهو فعل الله وإرادته حقاً في العالم, فتدخل حينئذ في زمرة المنكسرة قلوبهم الذين كسرت إرادتهم البشرية وأزيلت شهواتهم الطبيعية فاستؤنفت لهم إرادة ربانية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (حبب إليّ من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء , وجعلت قرة عيني في الصلاة) فأضيف ذلك بعد أن خرج منه وزال عنه

تحقيقاً بما أشرنا, وتقدم. قال الله تعالى في حديثه القدسي : "أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي" فإن الله تعالى لا يكون عندك حتى تنكسر جملة هواك وإرادتك, فإذا انكسرت ولم يثبت فيك شيء ولم يصلح فيك شيء, أنشأك الله فجعل فيك إرادة, فتريد بتلك الإرادة, فإذا صرت في الإرادة المنشأة فيك، كسرها الربّ تعالى بوجودك فيها, فتكون منكسر القلب أبداً, فهو لا يزال يجدد فيك إرادة ثم يزيلها عند وجودك فيها هكذا إلى أن يبلغ الكتاب أجله, فيحصل اللقاء, فهذا هو معنى "عند المنكسرة قلوبهم من أجلي" ومعنى قولنا عند وجودك فيها هو ركونك وطمأنينتك إليها. قال الله تعالى في حديثه القدسي , الذي يرويه صلى الله عليه وسلم : (لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه , فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها) وفي لفظ آخر "فبي يسمع ، وبي يبطش وبي يعقل". وهذا إنما يكون في حالة الفناء لا غير, فإذا فنيت عنك وعن الخلق, والخلق إنما هو خير وشر, فلم ترج خيرهم ولا تخاف شرهم بقي الله وحده كما كان, ففي قدر الله خير وشر, فيؤمنك من شر القدر ويغرقك في بحار خيره, فتكون وعاء كل خير, ومنبعاً لكل نعمة وسرور وحبور وضياء أمن وسكون، فالفناء والمنى والمبتغى والمنتهى حد ومرد ينتهي إليه مسير الأولياء, وهو الاستقامة التي طلبها من تقدم من الأولياء والأبدال أن يفنوا عن إرادتهم وتبدل بإرادة الحق عزَّ وجلَّ, فيريدون بإرادة الحق أبداً إلى الوفاة، فلهذا سموا أبدالاً رضي الله عنهم, فذنوب هؤلاء السادة أن يشركوا إرادة الحق بإرادتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة, فيدركهم الله تعالى برحمته بالتذكرة واليقظة, فيرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربهم, إذ لا معصوم عن الإرادة إلا الملائكة, عصموا عن الإرادة، والأنبياء عصموا عن الهوى, وبقية الخلق من الإنس والجن المكلفين لم يعصموا منها غير أن الأولياء بعضهم يحفظون عن الهوى, والأبدال عن الإرادة, ولا يعصمون منهما على معنى يجوز في حقهم الميل إليهما في الأحيان, ثم يتداركهم الله عزَّ وجلَّ باليقظة برحمته.

المقالة السابعة

في إذهاب غمم القلب

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أخرج من نفسك وتنح عنها, وانعزل عن ملكك وسلم الكل إلى الله, فكن بوابه على باب قلبك، وامتثل أمره في إدخال من يأمرك بإدخاله، وانته بنهيه في صد من يأمرك بصده، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن خرج منه، فإخراج الهوى من القلب بمخالفته، وترك متابعته في الأحوال كلها، وإدخاله في القلب بمتابعته وموافقته، فلا ترد إرادة غير إرادته, وغير ذلك منك تمن وهو وادي الحمقى, وفيه حتفك وهلاكك وسقوطك من عينه وحجابه عنك, أحفظ أبداً أمره, وانته أبداً بنهيه، وسلم لمقدوره, ولا تشركه بشيء من خلقه, فإرادتك وهواك وشهواتك كلها خلقه, فلا ترد ولا تهوى ولا تشته كيلا تكون مشركاً. قال الله تعالى : {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}.الكهف110.

ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب, بل هو متابعتك هواك، وأن تختار مع ربك شيئاً سواه من الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها, فما سواه عزَّ وجلَّ غيره، فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به عزَّ وجلَّ غيره, فاحذر ولا تركن, وخف ولا تأمن, وفتش فلا تغفل فتطمئن, ولا تضف إلى نفسك حالاً ومقاماً, ولا تدع شيئاً من ذلك, فإن أعطيت حالاً أو أقمت في مقام فلا تختر شيئاً واحداً من ذلك, فإن الله {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}.الرحمن29. في تغيير وتبديل, وإنه يحول بين المرء وقلبه, فيزيلك عما أخبرت به, ويغيرك عما تخيلت ثباته وبقاءه, فتخجل عند من أخبرته بذلك، بل أحفظ ذلك فيك ولا تعده إلى غيرك فإنه كلي الثبات والبقاء, فتعلم أنه موهبة وتسأل التوفيق للشكر واستر رؤيته وإن كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب. قال الله عزَّ وجلَّ : {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.البقرة106. فلا تعجز الله في قدرته، ولا تتهمه في تقديره ولا تدبيره، ولا تشك في وعده, فليكن لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة, نسخت الآيات والسور النازلة عليه المعمولة بها المقروءة في المحاريب المكتوبة في المصاحف, ورفعت وبدلت وأثبت غيرها

مكانها, ونقل صلى الله عليه وسلم إلى غيرها, هذا في ظاهر الشرع، وأما في الباطن والعلم والحال فيما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ فكان يقول : (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة) ويروى (مائة مرة) وكان صلى الله عليه وسلم ينقل من حالة إلى أخرى ويسير به في منازل القرب وميادين الغيب، ويغير عليه خلع الأنوار، فتبين الحالة الأولى عند ثانيها ظلمة ونقصاناً وتقصيراً في حفظ الحدود، فيلقن الاستغفار لأنه أحسن حال العبد، والتوبة في سائر الأحوال لأن فيها اعترافه بذنبه وقصوره، وهما صفتا العبد في سائر الأحوال، فهما وراثة من أبي البشر آدم عليه السلام إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اعترت صفاء حاله ظلمة النسيان للعهد والميثاق، وإرادة الخلود في دار السلام, ومجاورة الحبيب الرحمن المنان، ودخول الملائكة الكرام عليه بالتحية والسلام, فوجد هناك مشاركة إرادته لإرادة الحق, فانكسرت لذلك تلك الإرادة, وزالت تلك الحالة, وانعزلت تلك الولاية, فانهبطت تلك المنزلة وأظلمت تلك الأنوار وتكدر ذلك الصفاء, ثم تنبه وذكر صفي الرحمن، فعرف الاعتراف بالذنب والنسيان, ولقن الإقرار فقال : {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.الأعراف23. فجاءت أنوار الهداية وعلوم التوبة ومعارفها، والمصالح المدفونة فيها ما كان غائباً من قبل, فلم تظهر إلا بها، فبدلت تلك الإرادة بغيرها والحالة الأولى بأخرى, وجاءته الولاية الكبرى والسكون في الدنيا ثم في العقبى, فصارت الدنيا له ولذريته منزلاً, والعقبى لهم موئلاً ومرجعاً وخلداً, فلك برسول الله وحبيبه المصطفى وأبيه آدم صفي الله عليهم الصلاة والسلام عنصر الأحباب والأخلاء أسوة في الاعتراف بالقصور والاستغفار في الأحوال كلها.

المقالة الثامنة

في التقرب إلى الله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا كنت في حالة لا تختر غيرها أعلى منها ولا أدنى، فإذا كنت على باب الملك لا تختر الدخول إلى الدار حتى تدخل إليها جبراً لا اختياراً, وأعني بالجبر أمراً عنيفاً متأكداً متكرراً, ولا تكف بمجرد إذن بمجرد الدخول, لجواز أن يكون ذلك منكراً وخديعة من الملك, لكن اصبر حتى تجبر على الدخول فتدخل الدار جبراً محضاً وفضلاً من الملك, فحينئذ لا يعاقب الملك على فعله, إنما تتعرض العقوبة لك لشؤم تخيرك وشرهك، وقلة صبرك وسوء أدبك, وترك الرضي بحالتك التي أقمت فيها, فإذا حصلت فكن مطرقاً غاضاً لبصرك متأدباً, محافظاً لما تؤمر به من الشغل والخدمة فيها غير طالب للترقي إلى الذروة العليا. قال الله عزَّ وجلَّ : {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.طه131. فهذا تأديب منه عزَّ وجلَّ لنبيه المختار صلى الله عليه وسلم في حفظ الحال والرضا بالعطاء بقوله : {وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.طه131. أي ما أعطيتك من الخبر والنبوة والعلم والقناعة والصبر وولاية الدين, والعروة فيه أولى مما أعطيت وأحرى, فالخير كله في حفظ الحال والرضا بها وترك الالتفات إلى ما سواها, لأنه لا يخلو إما أن يكون قسمك أو قسم غيرك, أو أنه لا قسم لأحد بل أوجده الله فتنة, فإن كان قسمك وصل إليك شئت أم أبيت فلا ينبغي أن يظهر منك سوء الأدب والشره في طلبه, فإن ذلك غير محمود في قضية العلم والعقل, وإن كان قسم غيرك فلا تتعب فيما لم تناوله ولا يصل إليك أبداً, وإن كان ليس بقسم لأحد بل هو فتنة فكيف يرضى للعاقل ويستحسن أن يطلب لنفسه فتنة ويستجلبها لها, فقد ثبت أن الخير كله والسلامة في حفظ الحال, فإذا رقيت إلى الغرفة ثم إلى السطح فكن كما ذكرنا من الحفظ والإطراق والأدب, بل يتضاعف ذلك منك, لأنك أقرب إلى الملك وأدنى بالخطر, فلا تتمن الانتقال منها إلى أعلى منها ولا إلى أدنى, وثباتها وبقائها, ولا تغير وصفها وأنت فيها, ولا يكون لك اختيار ألبته, فإن ذلك كفر في نعمة الحال والكفر يحل بصاحبه الهوان

في الدنيا والآخرة فاعمل على ما ذكرناه أبداً حتى ترقى إلى حالة تصير لك مقاماً تقام فيه فلا تزال عنه، فتعلم حينئذ أنه موهبة ظهر بيانها فتمسكه ولا تزل، فالأحوال للأولياء والمقامات للأبدال والله يتولى هداك.

المقالة التاسعة

في الكشف و المشاهدة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : يكشف للأولياء والأبدال من أفعال الله ما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم فهي على قسمين : جلال وجمال, فالجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج, والغلبة العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح, كما روي عن أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل في الصلاة من شدة الخوف " لما يرى من جلال الله عزَّ وجلَّ وينكشف له من عظمته، ونقل مثل ذلك عن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وعمر الفاروق رضي الله عنه.

أما مشاهدة الجمال : فهو التجلي للقلوب بالأنوار والسرور والألطاف, والكلام اللذيذ والحديث الأنيس, والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية, والقرب منه عزَّ وجلَّ مما سيئول أمرهم إلى الله عزَّ وجلَّ, وجف به القلم من أقسامهم في سابق الدهور فضلاً منه ورحمة, وإثباتاً منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل وهو الوقت المقدور, لئلا تفرط بهم المحبة من شدة الشوق إلى الله تعالى فتنفطر مرائرهم, فيهلكون ويضعفون عن القيام بالعبودية إلى أن يأتيهم اليقين الذي هو الموت، فيفعل ذلك بهم لطفاً منه ورحمة ومداراة لها {إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}.الأنعام139.الحجر25. لطيف بهم {رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}.التوبة117+128.النور20.الحشر10. ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول لبلال المؤذن رضي الله عنه (أرحنا بها يا بلال) أي بالإقامة لندخل في الصلاة لمشاهدة ما ذكرناه من الحال, ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (وجعلت قرة عيني في الصلاة).

المقالة العاشرة

في النفس و أحوالها

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إنما هو الله ونفسك وأنت المخاطب، والنفس ضد الله وعدوه, والأشياء كلها تابعة لله, والنفس له خلقاً ومُلكاً, وللنفس ادعاء وتمن وشهوت ولذة بملابستها, فإذا وافقت الحق عزَّ وجلَّ في مخالفة النفس وعدوانها فكنت لله خصماً على نفسك كما قال الله عزَّ وجلَّ لداود عليه السلام : "يا داود أنا بدك اللازم فألزم بدك، العبودية أن تكون خصماً على نفسك" فتحققت حينئذٍ موالاتك وعبوديتك لله عزَّ وجلَّ, وأتتك الأقسام هنيئاً مريئاً مطيباً وأنت عزيز ومكرم, وخدمتك الأشياء وعظمتك وفخمتك, لأنها بأجمعها تابعة لربّها موافقة له إذ هو خالقها ومنشئها, وهي مقرة له بالعبودية. قال الله تعالى : {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}.الإسراء44. {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}.فصلت11. فالعبادة كل العبادة في مخالفة نفسك. قال الله تعالى : {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}.ص26. وقال لداود عليه السلام : "أهجر هواك فإنه منازع".

والحكاية المشهورة عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله لما رأى ربّ العزة في المنام فقال له : كيف الطريق إليك ؟، قال : اترك نفسك وتعال, فقال : فانسلخت كما تنسلخ الحية من جلدها, فإذا الخير كله في معادتها في الجملة في الأحوال كلها, فإن كنت في حال التقوى فخالف النفس, بأن تخرج من حرام الخلق وشبهتهم ومنتهم والاتكال عليهم والثقة بهم والخوف منهم, والرجاء لهم والطمع فيما عندهم من أحكام الدنيا, فلا ترج عطاياهم على طريق الهدية والزكاة والصدقة أو النذر, فاقطع همّك منهم من سائر الوجوه والأسباب حتى إن كان لك نسب

ذو مال لا تتمن موته لترث ماله, فاخرج من الخلق جاداً وجعلهم كالباب يرد ويفتح، وشجرة توجد فيها ثمر تارة وتختل أخرى وكل ذلك بفعل فاعل وتدبير مدبر وهو الله جلّ وعلا, لتكون موحداً للربّ، ولا تنس مع ذلك كسبهم لتخلص من مذهب الجبرية, واعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله لا تعبدهم وتنسى الله. ولا تقل فعلهم دون فعل الله فتكفر فتكون قدرياً, لكن قل هي لله خلقاً وللعباد كسباً كما جاءت به الآثار, لبيان موضع الجزاء من الثواب والعقاب, وامتثل أمر الله فيهم, وخلص قسم منهم بأمره ولا تجاوزه فحكم الله قائم بحكمه عليك وعليهم, فلا تكن أنت الحاكم, وكونك معهم قدر والقدر ظلمة فادخل بالظلمة في المصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, لا تخرج عنهما فإن خطر خاطر أو وجد إلهام فاعرضه على الكتاب والسنة, فإن وجدت فيها تحريم ذلك مثل أن تلهم بالزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفجور وغير ذلك من المعاصي, فادفعه عنك واهجره ولا تقبله ولا تعمل به, واقطع بأنه من الشيطان اللعين نعوذ بالله منه. وإن وجدت فيها إباحة كالشهوات المباحة من الأكل أو الشرب أو اللبس أو النكاح فاهجره أيضاً ولا تقبله, واعلم أنه من إلهام النفس وشهواتها وقد أمرت بمخالفتها وعداوتها. وإن لم تجد في الكتاب والسنة تحريمه وإباحته, بل هو أمر لا تعقله مثل السائق لك ائت موضع كذا وكذا, الق فلاناً صالحاً, ولا حاجة لك هناك ولا في الصالح لاستغنائك عنه بما أولاك الله من نعمته من العلم والمعرفة، فتوقف في ذلك ولا تبادر إليه فتقول هذا إلهام من الحق جلّ وعلا فأعمل به بل انتظر الخير كله في ذلك وفعل الحق عزَّ وجلَّ بأن يتكرر ذلك الإلهام وتؤمر بالسعي, أو علامة تظهر لأهل العلم بالله عزَّ وجلَّ يعقلها العقلاء من الأولياء والمؤيدون من الأبدال, وإنما لم يتبادر إلى ذلك لأنك لا تعلم عاقبته وما يؤول الأمر إليه, وما كان فيه فتنة وهلاك ومكر من الله وامتحان فاصبر حتى يكون هو عزَّ وجلَّ الفاعل فيك, فإذا تجرد الفعل وحملت إلى هناك واستقبلتك فتنة كنت محمولاً محفوظاً فيها, لأن الله تعالى لا يعاقبك على فعله وإنما تتطرق العقوبة نحوك لكونك في الشيء, وإن كنت في حالة الحقيقة وهي حالة الولاية فخالف هواك واتبع الأمر في جملة.

واتباع الأمر على قسمين :

أحدهما أن تأخذ من الدنيا القوت الذي هو حق النفس وتترك الحظ , وتؤدي الفرض وتشتغل بترك الذنوب ما ظهر منها وما بطن.

والقسم الثاني ما كان بأمر باطن, وهو أمر الحق عزَّ وجلَّ, يأمر عبده وينهاه, وإنما يتحقق بهذا الأمر في المباح الذي ليس له حكم في الشرع على معنى ليس من قبيل النهي ولا من قبيل الأمر الواجب, بل هو مهمل ترك العبد يتصرف فيه باختياره فسمي مباحاً فلا يحدث للعبد فيه شيئاً من عنده بل ينتظر الأمر فيه, فإذا أمر امتثل فتصير حركاته وسكناته بالله عزَّ وجلَّ, ما في الشرع حكمه فبالشرع، وما ليس له حكم في الشرع فبالأمر الباطن فحينئذ يصير محقاً من أهل الحقيقة, وما ليس فيه أمر باطن فهو مجرد الفعل حاله التسليم, وإن كنت في حالة حق الحق وهي حالة المحو والفناء وهي حالة الأبدال المنكسري القلوب لأجله الموحدين العارفين أرباب العلوم والعقل السادة الأمراء الشحن خفراء الخلق خلفاء الرحمن وأخلائه وأعيانه وأحبائه عليهم السلام, فإتباع الأمر فيها بمخالفتك إياك بالتبري من الحول والقوة, وأن لا يكون لك إرادة وهمة في شيء البتة دنيا وعقبى, فتكون عبد المَلك لا عبد الْمُلْك وعبد الأمر لا عبد الهوى كالطفل مع الظئر, والميت الغسيل مع الغسل, والمريض المقلوب على جنبيه بين يدي الطبيب فيما سوى الأمر والنهي والله أعلم.

المقالة الحادية عشرة

في الشـهوة

قـال رضـي الله تعـالى عنـه و أرضـاه : إذا ألقيـت عليـك شـهوة النكـاح فـي حالـة الفقـر وعجزت عـن مؤنته فصبرت عنه منتظر الفرج من البـاري عزَّ وجلَّ, إما بزوالها وإقلاعها عنك بقدرته التي ألقاها عليك وأوجدها فيك فيعينك أو يصونك وحياتك عن حمل مؤنتها أيضاً أو بإيصالها إليك موهبة مهنئاً مكفياً من غير ثقل في الدنيا ولا تعب في العقبى, وسماك الله عزَّ وجلَّ صابراً شاكراً لصبرك عنها راضياً بقسمته فزادك عصمة وقوة. فإن كان قسماً لك ساقها إليك مكفياً مهنئاً فينقلب الصبر شكراً, وهو عزَّ وجلَّ وعد الشاكرين بالزيادة في العطاء قال الله عزَّ وجلَّ : {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}.إبراهيم7.

وإن لـم تكـن قسـماً لـك فـالغنى عنها بقلعها مـن القلب إن شـاءت الـنفس أو أبـت, فـلازم الصبر وخالف الهوى وعانق الأمر وارض بالقضاء, وارجِ بذلك الفضل والعطاء, وقد قال الله تعالى : {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}.الزمر10.

المقالة الثانية عشرة

في النهي عن حب المال

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا أعطاك الله عزَّ وجلَّ مالاً فاشتغلت به عن طاعته حجبك به عنه دنيا وأخرى, وربما سلبك إياه وغيرك وأفقرك لاشتغالك بالنعمة عن المنعم, وإن اشتغلت بطاعته عن المال جعله موهبة ولم ينقص منه حبة واحدة وكان المال خادمك وأنت خادم المولى, فتعيش في الدنيا مدللاً وفي العقبى مكرماً مطيباً في جنة المأوى مع الصديقين والشهداء والصالحين.

المقالة الثالثة عشرة

في التسليم لأمر الله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تختر جلب النعماء ولا دفع البلوى، فالنعماء واصلة إليك إن كانت قسمك استجلبتها أو كرهتها, والبلوى حالَّةٌ بك إن كانت قسمك مقضية عليك سواء كرهتها أو رفعتها بالدعاء أو صبرت وتجلدت لرضى المولى, بل سلم في الكل, فيفعل الفعل فيك، فإن كانت النعماء فاشتغل بالشكر, وإن كانت البلوى فاشتغل بالتصبر والصبر, أو الموافقة والتنعم بها أو العدم أو الفناء فيها على قدر ما تعطى من الحالات وتنتقل فيها, وما تسير في المنازل في طريق المولى الذي أمرت بطاعته والموالاة, لتصل إلى الرفيق

الأعلى, فتقام حينئذ مقام من تقدم ومضى من الصديقين والشهداء والصالحين, لتعاين من سبقك إلى المليك ومنه دنا, ووجد عنده كل طريفة وسروراً وأمناً, وكرامة ونعما.

دع البلية تزورك, خل من سبيلها, ولا تقف ولا تجزع من مجيئها وقربها, فليس نارها أعظم من نار جهنم ولظى, فقد ثبت في الخبر المروي عن خير البرية, وخير من حملته الأرض وأظلته السماء محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن نار جهنم تقول للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي) فهل كان نور المؤمن الذي أطفأ لهب النار في لظى إلا الذي صحبه في الدنيا الذي لن يمر من أطاعها وعصى, فليطفئ هذا النور لهب البلوى, ولتجد برد صبرك وموافقتك للمولى وهيج ما حل بك من ذلك ومنك دنا، فالبلية لم تأتك لتهلكك, لكنها تأتيك لتجربك وتحقق صحة إيمانك وتوثيق عروة يقينك ويبشرك باطنها من مولاك بمباهاته بك, قال الله تعالى : {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}.محمد31. فإذا ثبت مع الحق إيمانك ووافقته في فعله بيقينك كل ذلك بتوفيق منه ومنة, فكن حينئذ أبداً صابراً موافقاً مُسَلِّمَاً لا تحدث فيك ولا في غيرك حادثة ما خرج عن الأمر والنهي, فإذا كان أمره عزَّ وجلَّ فتسامع وتسارع وتحرك ولا تسكن ولا تسلم للقدر والفعل, بل ابذل طوقك وجهودك لتؤدي الأمر, فإن عجزت فدونك الالتجاء إلى مولاك عزَّ وجلَّ, فالتجئ إليه وتضرع واعتذر, وفتش عن سبب عجزك عن أداء أمره وصدك عن التشوق لطاعته لعل ذلك لشؤم دعائك وسوء أدبك في طاعته, ورعونتك واتكالك على حولك وقوتك, وإعجابك بعلمك وشركك إياك بنفسك وخلقه, فصدك عن بابه, وعزلك عن طاعته وخدمته, وقطع عنك مدد توفيقه, وولى عنك وجهه الكريم, ومقتك وقلاك, وشغلك ببلائك دنياك وهواك، وإرادتك ومناك.

أما تعلم أن كل ذلك مشغول عن ذلك, وقاطعك عن عين الذي خلقك ورباك، وخوّلك وأعطاك وأحياك.

احذر لا يلهيك عن مولاك غير مولاك, وكل من سوى مولاك غيره, فلا تؤثر عليه غيره فإنه خلقك له, فلا تظلم نفسك فتشغل بغيره عن أمره فيدخلك النار التي وقودها الناس والحجارة

فتندم, فلا ينفعك الندم, وتعتذر فلا تعذر, وتستعتب فلا تعتب, وتسترجع إلى الدنيا لتستدرك وتصلح فلا ترجع.

ارحم نفسك وأشفق عليها, واستعمل الآلات والأدوات التي أعطيتها في طاعة مولاك من الفعل والإيمان والمعرفة والعلم.

استضيء بنورهما في ظلمات الأقدار, وتمسك بالأمر والنهي, وسيرهما في طريق مولاك وسلم ما سواهما إلى الذي خلقك وأنشأك, فلا تكفر بالذي خلقك من تراب ورباك, ثم من نطفة ثم رجلاً سواك، ولا ترد غير أمره, ولا تكره غير نهيه.

اقنع من الدنيا والأخرى بهذا المراد واكره فيهما هذا المكروه, فكل ما يراد تبع لهذا المراد, وكل مكروه تبع لهذا المكروه.

إذا كنت مع أمره كانت الأكوان في أمرك, وإذا كرهت نهيه فرت منك المكاره أين كنت وحللت.

قال الله عزَّ وجلَّ في بعض كتبه : (يا ابن آدم أنا الله لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون ، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون) وقال عزَّ وجلَّ : (يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فأتعبيه) فإذا جاء نهيه عزَّ وجلَّ فكن كأنك مسترخي المفاصل, مسكن الحواس, مضيق الذرع، متماوت الجسد، زائل الهوى, منطمس الوسوم، منمحي الرسوم، منسي الأثر, مظلم القنا, متهدم البناء، خاوي البيت, ساقط العرش, لا حس ولا أثر, فليكن سمعك كأنه أصم وعلى ذلك مخلوق، وبصرك كأنه معصب أو مرمود أو مطموس, وشفتاك كأن بهما قرحة وبثوراً, ولسانك كأنه به خرساً وكلولاً، وأسنانك كأن بهما ضرياناً وألماً ونشورا, ويداك كأن بهما شللاً وعن البطش قصورا, ورجلاك كأن بهما رعدة وارتعاشاً وجروحاً, وفرجك كأن به عنة وبغير ذلك الشأن مشغولا, وبطنك كأن به امتلاء وارتواء وعن الطعام غنى, وعقلك كأنك مجنون ومخبول, وجسدك كأنك ميت وإلى القبر محمول, فالتسامع والتسارع في الأمر, والتعاقد والتجاعد والتقاصر في النهي,

والتماوت والتعادم والتفاني في القدر, فاشرب هذه الشربة, وتداو بهذا الدواء, وتغذ بهذا الغذاء، تنجح وتشفى, وتعافى من أمراض الذنوب وعلل الأهواء, بإذن الله تعالى إن شاء الله.

المقالة الرابعة عشرة

في إتباع أحوال القوم

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تدع حالة القوم يا صاحب الهوى أنت تعبد الهوى وهم عبيد المولى, أنت رغبتك في الدنيا ورغبة القوم في العقبى, أنت ترى الدنيا وهم يرون ربّ الأرض والسماء, وأنت أنسك بالخلق وأنس القوم بالحق، أنت قلبك متعلق بمن في الأرض وقلوب القوم بربّ العرش, أنت يصطادك من ترى وهم لا يرون من ترى بل يرون خالق الأشياء وما يرى, فاز القوم به وحصلت لهم النجاة, وبقيت أنت مرتهناً بما تشتهي من الدنيا وتهوى، فنوا عن الخلق والهوى والإرادة والمنى فوصلوا إلى الملك الأعلى, فأوقفهم على غاية ما رام منهم من الطاعة والجد والثناء {ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.المائدة54. فلازموا ذلك وواظبوا بتوفيق منه وتيسير بلا عناء, فصارت الطاعة لهم روحاً وغذاء, وصارت الدنيا إذ ذاك في حقهم نقمة وخزياً، فكأنها لهم جنة المأوى إذ ما يرون شيئاً من الأشياء حتى يروا قبله فعل الذي خلق وأنشأ فيهم ثبات الأرض والسماء, وقرار الموت والإحياء إذ جعلهم مليكهم أوتاداً للأرض الذي دحى, فكل كالجبل الذي رسى, فتنح عن طريقهم ولا تزاحم من لم يفده عن قصده الآباء والأبناء، فهم خير من خلق ربي وبث في الأرض وذرأ, فعليهم سلام الله وتحياته ما دامت الأرض والسماء.

المقالة الخامسة عشرة

في الخوف و الرجاء

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : رأيت في المنام كأني في موضع شبه مسجد وفيه قوم منقطعون, فقلت : لو كان لهؤلاء فلان يؤدبهم ويرشدهم, فأشرت إلى رجل من الصالحين فاجتمع القوم حولي فقال واحد منهم : فأنت لأي شيء لا تتكلم ؟ فقلت : إن رضيتموني ذلك, ثم قلت : إذا انقطعتم من الخلق إلى الحق فلا تسألوا الناس شيئاً بألسنتكم, فإذا تركتم ذلك فلا تسألوهم بقلوبكم, فإن السؤال بالقلب كالسؤال باللسان.

ثم اعلموا أن الله {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}.الرحمن29. في تغيير وتبديل ورفع وخفض, فقوم يرفعهم إلى عليين, وقوم يحطهم إلى أسفل سافلين, فخوف الذين رفعهم إلى عليين أن يحطهم إلى أسفل سافلين, ورجاؤهم أن يبقيهم ويحفظهم على ما هم عليه من الرفع, وخوف الذين حطهم إلى أسفل سافلين, أن يبقهم ويخلدهم على ما هم فيه من الحط, ورجاؤهم أن يرفعهم إلى عليين, ثم انتبهت.

المقالة السادسة عشرة

في التوكل و مقاماته

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما حجبت عن فضل الله ونعمه إلا لاتكالك على الخلق والأسباب, والصنائع والاكتساب, فالخلق حجابك عن الأكل بالسنة وهو المكسب, فما دمت قائماً مع الخلق راجياً لعطاياهم وفضلهم سائلاً لهم متردداً إلى أبوابهم فأنت مشرك بالله خلقه, فيعاقبك بحرمان الأكل بالسنة الذي هو الكسب من حلال الدنيا, ثم إذا تبت عن القيام مع الخلق وشركك بربّك عزَّ وجلَّ إياهم ورجعت إلى الكسب فتأكل بالكسب وتتوكل على الكسب وتطمئن إليه وتنسى فضل الرب عزَّ وجلَّ, فأنت مشرك أيضاً، إلا أنه شرك خفي أخفى من الأول, فيعاقبك الله عزَّ وجلَّ ويحجبك عن فضله والبداءة به, فإذا تبت عن ذلك وأزلت الشرك عن الوسط, ورفعت اتكالك عن الكسب والحول والقوة, ورأيت الله عزَّ وجلَّ هو الرزاق, وهو المسبب والمسهل والمقوي على الكسب, والموفق لكل خير والرزق بيده, تارة يواصلك به بطريق الخلق على وجه المسألة لهم في حالة الابتلاء أو الرياضة أو عند سؤالك له عزَّ وجلَّ, وأخرى بطريق الكسب معاوضة وأخرى من فضله مبادأة من غير أن ترى الواسطة والسبب, فرجعت إليه واستطرحت بين يديه, ورفع الحجاب بينك وبين فضله, وباداك وغذاك بفضله, عند كل حاجة على قدر ما يوافق حالك, كفعل الطبيب الشفيق الرفيق الحبيب للمريض حماية منه عزَّ وجلَّ, وتنزيهاً لك عن الميل إلى من سواه, يرضيك بفضله, فإذاً ينقطع عن قلبك كل إرادة وكل شهوة ولذة ومطلوب ومحبوب, فلا يبقى في قلبك سوى إرادته عزَّ وجلَّ, فإذا أراد أن يسوق إليك قسمك الذي لابدّ من تناوله وليس هو رزقاً لأحد من خلقه سواك, أوجد عندك شهوة ذلك القسم وساقه إليك, فيواصلك به عند الحاجة, ثم يوفقك ويعرفك أنه منه وهو سائقه إليك ورازقه لك, فتشكره حينئذٍ وتعرف وتعلم, فيزيدك خروجاً من الخلق وبعداً من الأنام, وأخليت الباطن عما سواه عزَّ وجلَّ, ثم إذا قوي علمك ويقينك, وشرح صدرك ونور قلبك, وزاد قربك من مولاك ومكانتك لديه عنده، وأهليتك لحفظ الأسرار علمت متى يأتيك قسمك كرامة لك وإجلالاً

لحرمتك فضلاً منه ومنة وهداية, قال الله تعالى : {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}.السجدة24. وقال الله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}.العنكبوت69. وقال تعالى : {وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ}.البقرة282. ثم يرد عليك التكوين فتكون بالإذن الصريح الذي هو لا غبار عليه والدلالات اللائحة كالشمس المنيرة, وبكلامه اللذيذ الذي هو ألذ من كل لذيذ, وإلهام صدق من غير تلبس مصفى من هواجس النفس ووساوس الشيطان الرجيم.

قال الله تعال في بعض كتبه : (يا ابن آدم أنا الله الذي لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون, أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون), وقد فعل ذلك بكثير من أنبيائه وأوليائه وخواصه من بني آدم.

المقالة السابعة عشرة

في كيفية الوصول إلى الله بواسطة المرشد

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا وصلت إلى الله قربت بتقريبه وتوفيقه، ومعنى الوصول إلى الله عزَّ وجلَّ خروجك عن الخلق والهوى والإرادة والمنى, والثبوت مع فعله ومن غير أن يكون منك حركة فيك ولا في خلقه بك، بل بحكمه وأمره وفعله, فهي حالة الفناء يعبر عنها بالوصول، فالوصول إلى الله عزَّ وجلَّ ليس كالوصول إلى أحد من خلقه المعقول المعهود {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.الشورى11. جلَّ الخالق أن يشبه بمخلوقاته أو يقاس على مصنوعاته, فالواصل إليه عزَّ وجلَّ معروف عند أهل الوصول بتعريفه عزَّ وجلَّ لهم كل واحد على حدة لا يشاركه فيه غيره, وله عزَّ وجلَّ مع كل واحد من رسله وأنبيائه وأوليائه سر من حيث هو لا

يطلع على ذلك أحد غيره, حتى أنه قد يكون للمريد سر لا يطلع عليه شيخه, وللشيخ سر لا يطلع عليه مريده الذي قد دنا سيره إلى عتبة باب حالة شيخه, فإذا بلغ المريد حالة شيخه أفرد عن الشيخ وقطع عنه، فيتولاه الحق عزَّ وجلَّ فيفطمه عن الخلق جملة, فيكون الشيخ كالظئر والداية, لا رضاع بعد الحولين, ولا خلق بعد زوال الهوى والإرادة. الشيخ يحتاج إليه ما دام ثم هوى وإرادة لكسرهما, وأما بعد زوالهما فلا, لأنه لا كدورة ولا نقصان, فإذا وصلت إلى الحق عزَّ وجلَّ على ما بينا فكن آمناً أبداً من سواه عزَّ وجلَّ فلا ترى لغيره وجوداً البتة, لا في الضر ولا في النفع, ولا في العطاء ولا في المنع, ولا في الخوف ولا في الرجاء, هو عزَّ وجلَّ {أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ}.المدثر56. فكن أبداً ناظراً إلى فعله مترقباً لأمره. مشتغلاً بطاعته, مبايناً عن جميع خلقه دنيا وأخرى.

لا تعلق قلبك بشيء منهم واجعل الخليقة أجمع كرجل كَتَّفَهُ سلطان عظيم ملكه شديد أمره, مهولة صولته وسطوته, ثم جعل الغل في رقبته ورجليه, ثم صلبه على شجرة الأرزة، على شاطىء نهر عظيم موجه, فسيح عرضه, عميق غوره, شديد جريه, ثم جلس السلطان على كرسيه, عظيم قدره, عال سماؤه, بعيد مرامه ووصوله, وترك إلى جنبه أحمالاً من السهام والرماح والنبل وأنواع السلاح والقسى ومما لا يبلغ قدرها غيره, فجعل يرمي إلى المصلوب بما شاء من ذلك السلاح, فهل يحسن لمن يرى ذلك أن يترك النظر إلى السلطان والخوف منه والرجاء له وينظر إلى المصلوب ويخاف منه ويرجوه, أليس من فعل ذلك يسمى في قضية العقل عديم العقل والحس مجنونا. بهيمة غير إنسان؟؟ نعوذ بالله من العمى بعد البصيرة, ومن القطيعة بعد الوصول, ومن الصدود بعد الدنو والقرب, ومن الضلالة بعد الهداية, ومن الكفر بعد الإيمان, فالدنيا كالنهر العظيم الجاري الذي ذكرناه كل يوم في زيادة ماء وهي شهوات بني آدم ولذاتهم فيها, والدواهي التي تصيبهم منها, وأما السهام وأنواع السلاح فالبلايا التي يجري بها القدر إليهم, فالغالب على بني آدم في الدنيا البلايا والآلام والمحن, وما يجدون من النعم واللذات فيها فمشوبة بالآفات إذا اعتبرها كل عاقل لا حياة له ولا عيش ولا راحة إلا في الآخرة إن كان مؤمناً, لأن ذلك خصوصاً في حق المؤمن. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا عيش إلا عيش الآخرة) وقال عليه الصلاة والسلام : (لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه) ذلك في حق المؤمنين . وقال صلى الله عليه وسلم : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) . وقال عليه الصلاة والسلام : (التقي ملجم) فمع

هذه الأخبار والعيان كيف يدعي طيب العيش في الدنيا. فالراحة كل الراحة في الانقطاع إلى الله عزَّ وجلَّ وموافقته, والاستطراح بين يديه, فيكون العبد بذلك خارجاً عن الدنيا، فحينئذ يكون الدلال رأفة ورحمة ولطفاً وفضلاً, والله أعلم.

المقالة الثامنة عشرة

في النهي عن الشكوى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الوصية لا تشكون إلى أحد ما نزل بك من خير كائناً من كان صديقاً أو عدواً ولا تتهمن الرب عزَّ وجلَّ فيما فعل فيك وأنزل بك من البلاء, بل أظهر الخير والشكر, فكذبك باظهارك للشكر من غير نعمة عندك خير من صدقك في إخبارك جلية الحال بالشكوى, من الذي خلا من نعمة الله عزَّ وجلَّ؟؟ قال الله تعالى : {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا}.النحل18. فكم من نعمة عندك وأنت لا تعرفها؟؟ لا تسكن إلى أحد من الخلق, ولا تستأنس به, ولا تطلع أحداً على ما أنت فيه, بل يكون أنسك بالله عزَّ وجلَّ، وسكونك إليه وشكواك منه وإليه لا ترى ثانياً, فإنه ليس لأحد ضر ونفع, ولا جلب ولا دفع, ولا عزَّ ولا ذل, ولا رفع ولا خفض, ولا فقر ولا غنى, ولا تحريك ولا تسكين, الأشياء كلها خلق الله عزَّ وجلَّ وبيد الله عزَّ وجلَّ، بأمره وإذنه جريناها, وكل يجري لأجل مسمى, وكل شيء عنده بمقدار, لا مقدم لما أخر, ولا مؤخر لما قدم, قال الله عزَّ وجلَّ : {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.يونس107. فإن شكوت منه عزَّ وجلَّ وأنت معافى وعندك نعمة طالباً الزيادة وتعامياً عن ماله عندك من النعمة والعافية استهزاءً بها, غضب عليك وأزالهما عنك, وحقق شكواك, وضاعف بلواك، وشدد عقوبتك ومقتك وقلاك, وأسقطك من عينه : احذر الشكوى جداً ولو قطعت وقرض لحمك بالمقاريض.

إيَّاك إيَّاك ثم إيَّاك, الله الله ثم الله, النجاة النجاة, الحذر الحذر, فإن أكثر ما ينزل بابن آدم من أنواع البلاء بشكواه من ربِّه عزَّ وجلَّ. كيف يشتكى منه عزَّ وجلَّ وهو أرحم الراحمين, وخير الحاكمين, حكيم خبير, رؤوف رحيم, لطيف بعباده, وليس بظلام للعبيد, كطبيب حكيم حبيب

شفيق لطيف قريب هل تتهم الوالدة الرحيمة, قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الله أرحم بعبده من الوالدة بولدها). أحسن الأدب يا مسكين, تصبّر عند البلاء إن ضعفت على الصبر, ثم اصبر إن ضعفت عن الرضا والموافقة, ثم أرض ووافق إن وجدت, ثن أفن إذا فقدت, أيها الكبريت الأحمر أين أنت أين توجد وترى؟؟ أما تسمع إلى قوله عزَّ وجلَّ : {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.البقرة216. طوى عنك علم حقيقة الأشياء وحجبك عنه, فلا تسيء الأدب فتكره بك أو تحب بك, بل اتبع الشرع في جميع ما ينزل بك إن كنت في حالة التقوى التي هي القدم الأولى, واتبع الأمر في حالة الولاية وخمود وجود الهوى ولا تجاوزه وهي القدم الثانية, وأرض بالفعل ووافق, وافن في حالة البدلية والغوثية والقطبية والصديقية, وهي المنتهى, تنح عن طريق القدر, خل عن سبيله, رد نفسك وهواك, كف لسانك عن الشكوى, فإذا فعلت ذلك, إن كان خيراً زادك المولى طيبة وسروراً ولذة, وإن كان شراً حفظك في طاعته فيه, وأزال عنك الملامة, وأفقدك فيه حتى يتجاوز عنك, ويرحل عند انقضاء أجله, كما ينقضي الليل فيسفر عن النهار, والبرد في الشتاء فيسفر عن الصيف, ذلك أنموذج عندك, فاعتبر بهم, ثم ذنوب وآثام وإجرام وتلويثات بأنواع المعاصي والخطيئات ولا يصلح لمجالسة الكريم إلا الطاهر عن أنجاس الذنوب والزلات, ولا يقبل على سدته إلا طيباً من درن الدعاوى والوهوسات، كما لا يصلح لمجالسة الملوك إلا الطاهر من الأنجاس وأنواع النتن والأوساخ، فالبلايا مكفرات مطهرات قال النبي صلى الله عليه وسلم : (حمى يوم كفارة سنة) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المقالة التاسعة عشرة

في الأمر بوفاء العهد و النهي عن خلفه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا كنت ضعيف الإيمان واليقين ووعدت بوعد وفِّ بوعدك, ولا تخلف كيلا يزول إيمانك ويذهب يقينك.

وإذا قوي ذلك في قلبك وتمكنت خوطبت بقوله : {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ}.يوسف54. وتكرر هذا الخطاب لك حالاً بعد حال فكنت من الخواص بل من خواص الخواص ولم يبق لك إرادة ولا مطلب, ولا عمل تعجب به ولا قربة تراها, ولا منزلة تلمحها, فتسمو همتك إليها, فصرت كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع, فلا يثبت فيك إرادة ولا خلق ولا همة إلى شيء من الأشياء دنيا وأخرى, وطهرت مما سوى الله تعالى, وأعطيت رضاك عن الله عزَّ وجلَّ, ووعدت برضوانه عزَّ وجلَّ عنك, ولذذت ونعمت بأفعال الله عزَّ وجلَّ أجمع, فحينئذ توعد بوعد, فإذا اطمأننت إليه ووجدت فيه إمارة إرادة ما نقلت عن ذلك الوعد إلى ما هو أعلى منه, وصرفت إلى أشرف منه, وعوضت عن الأول بالغنى عنه, وفتحت لك أبواب المعارف والعلوم وأطلعت على غوامض الأمور وحقائق الحكمة والمصالح المدفونة في الانتقال من الأول إلى ما يليه ويزاد حينئذ في مكانتك في حفظ الحال ثم المقال, وفي أمانتك في حفظ الأسرار وشرح الصدور وتنوير القلب وفصاحة اللسان والحكمة البالغة في إلقاء المحبة عليك, فجعلت محبوب الخليقة أجمع الثقلين وما سواهما دنيا وأخرى. إذا صرت محبوب الحق عزَّ وجلَّ, والخلق تابع للحق جلَّ وعلا, ومحبتهم مندرجة في محبته, كما أن بغضهم يندرج في بغضه عزَّ وجلَّ. فإذا بلغت المقام الذي ليس فيه إرادة شيء البتة جعلت لك إرادة شيء من الأشياء, فإذا تحققت إرادتك لذلك الشيء أزيل الشيء وأعدم, وصرفت عنه فلم تعطه في الدنيا, وعوضت عنه الأخرى بما يزيدك قربة وزلفى إلى العلي الأعلى, وما تقر به عيناك في الفردوس الأعلى وجنة

المأوى, وإن كنت لم تطلب ذلك وتأمله وترجوه وأنت في دار الدنيا التي هي دار الفناء والتكاليف والعناء, بل رجاؤك وأنت فيها وجه الذي خلق وبرأ ومنع وأعطى, وبسط الأرض ورفع السماء إذ ذاك هو المراد والمطلوب والمنى, وربما عوضت عن ذلك بما هو أدنى منه أو مثله في الدنيا بعد انكسار قلبك وبصرك, حينئذ يصدك عن ذلك المطلوب والمراد, وتحقيق العوض في الأخرى على ما ذكرنا وبينا, والله سبحانه أعلم.

المقالة العشرون

في قوله صلى الله عليه و سلم :
((دع ما يُريبك إلى ما لا يريبك))

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : دع ما يريبك إذا اجتمع مع مالا يريبك, فخذ بالعزيمة الذي لا يشوبها ريب ولا شك, ودع ما يريبك, فأما إذا تجرد المريب المشوب الذي لم يصف عن حز القلب وحكه فتوقف فيه وانظر الأمر فيه, فإن أمرت بتناوله تناوله فدونك وإن أمرت بالكف عنه ومنعت فكف, فليكن ذلك عندك كأنه لم يكن ولم يوجد, ارجع إلى الباب وابتغ عند ربّك الرزق, وإن ضعفت عن الصبر أو الموافقة أو الرضا أو الفنا فهو عزَّ وجلَّ لا يحتاج أن يذكر فليس بغافل عنك وعن غيرك, وهو عزَّ وجلَّ يطعم الكفار والمنافقين والمدبرين عنه فكيف ينساك؟؟ أيها المؤمن الموحد المقبل على طاعته والقائم بأمره في آناء الليل وأطراف النهار.

(وجه آخر) دع ما في أيدي الخلق فلا تطلبه ولا تعلق قلبك به, ولا ترجو الخلق ولا تخافهم, وخذ من فضل الله عزَّ وجلَّ وهو ما لا يريبك, وليكن لك مسؤول واحد ومرجو واحد ومخوف واحد وموجود واحد وهمة واحدة وهو ربك عزَّ وجلَّ الذي نواصي الملوك بيده وقلوب الخلق بيده التي هي أمراء الأجساد, وأموال الخلق له عزَّ وجلَّ, وهم وكلاؤه وأمناؤه, وحركة أيديهم بالعطاء لك بإذنه عزَّ وجلَّ وأمره وتحريكه, وكفها عن عطائك ذلك, قال الله عز وجل : {وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ}.النساء32. وقال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.العنكبوت17. وقال سبحانه : {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}.البقرة186. وقال تعالى : {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}.غافر60. وقال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}.الذاريات58. وقال تعالى : {إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.آل عمران37.

المقالة الحادية والعشرون

في مكالمة إبليس نعوذ بالله منه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : رأيت إبليس اللعين في المنام وأنا في جمع كثير فهمّمت بقتله, فقال لي لعنه الله لم تقتلني وما ذنبي؟؟ إن جرى القدر بالشر فلا أقدر أغيره إلى خير وأنقله إليه, وإن جرى بالخير فلا أقدر أغيره إلى شر وأنقله إليه, فأي شيء بيدي؟؟ وكانت صورته على صورة الخناثي لين الكلام مشوه الوجه طاقات شعر في ذقنه حقير الصورة دميم الخلقة, ثم تبسم في وجهي تبسم خجل ووجل وذلك في ليلة الأحد ثاني عشر من ذي الحجة من سنة ستة عشر وخمسمائة, والله الهادي لكل خير.

المقالة الثانية والعشرون

في ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا يزال الله يبتلى عبده المؤمن على قدر إيمانه، فمن عظم إيمانه وكثر وتزايد عظم بلاؤه، الرسول بلاؤه أعظم من بلاء النبي، لأن إيمانه أعظم، والنبي

بلاؤه أعظم من بلاء البدل وبلاء البدل أعظم من بلاء الولي، كل واحد على قدر إيمانه ويقينه. وأصل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إنا معشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) فيديم الله تعالى البلاء لهؤلاء السادات الكرام حتى يكونوا أبداً في الحضرة ولا يغفلوا عن اليقظة، لأنه يحبهم، فهم أهل المحبة يحبون الحق، والمحب أبداً لا يختار بعد محبوبه، فالبلاء خطاف لقلوبهم وقيد لنفوسهم، يمنعهم عن الميل إلى غير مطلوبهم والسكون والركون إلى غير خالقهم، فإذا دام ذلك في حقهم ذابت أهويتهم وانكسرت نفوسهم وتميز الحق من الباطل فتنزوي الشهوات والإرادات، والميل إلى اللذات والراحات دنيا وأخرى بأجمعها إلى ما يلي النفس ويصير السكون إلى وعد الحق عزَّ وجلَّ، والرضا بقضائه، والقناعة بعطائه، والصبر على بلائه، والأمن من شر خلقه إلى ما يلي القلب، فتقوى شوكة القلب، فتصير الولاية على الجوارح إليه، لأن البلاء يقوى القلب واليقين، ويحقق الإيمان والصبر، ويضعف النفس والهوى، لأنه كلما وصل الألم ووجد من المؤمن الصبر والرضا والتسليم لفعل الرب عزَّ وجلَّ، رضي الرب تعالى عنه وشكره، فجاءه المدد والزيادة والتوفيق. قال الله تعالى : {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}.إبراهيم7. وإذا تركت النفس بطلب شهوة من شهواتها ولذة من لذاتها من القلب فأجابها القلب إلى مطلوبها ذلك من غير أمر من الله تعالى وإذن منه حصلت بذلك غفلة عن الحق تعالى وشرك ومعصية، فعمهما الله تعالى بالخذلان والبلايا وتسليط الخلق،والأوجاع والأمراض والإيذاء والتشويش، فينال كل واحد من القلب والنفس حظ وإن لم يجب القلب والنفس إلى مطلوبها حتى يأتيه الإذن من قبل الحق عزَّ وجلَّ بإلهام في حق الأولياء، ووحي صريح في حق المرسلين والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فعمل ذلك عطاء ومنعاً، وعمهما الله بالرحمة والبركة، والعافية والرضا، والنور والمعرفة، والقرب والغنى والسلامة من الآفات، والنصر على الأعداء فاعلم ذلك وأحفظه وأحذر البلاء جداً في المسارعة إلى إجابة النفس والهوى، بل توقف وترقب في ذلك إذن المولى جلَّ جلاله، فتسلم في الدنيا والعقبى إن شاء الله تعالى.

المقالة الثالثة والعشرون

في الرضا بما قسم الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أرض بالدون وألزمه جداً حتى يبلغ الكتاب أجله فتنقل إلى الأعلى والأنفس، وبها تهنأ وفيه تبقى وتحفظ بلا عناء دنيا وأخرى ولا تبعة ولا عدوى، ثم تترقى من ذلك إلى ما هو أقر عيناً منه وأهنأ.

وأعلم أن القسم لا يفوتك بترك الطلب، وما ليس بقسم لا تناله بحرصك في الطلب والجد والاجتهاد، فاصبر وألزم الحال وأرض به، لا تأخذ بك حتى تؤمر، ولا تعطى بك حتى تؤمر، ولا تتحرك بك ولا تسكن بك، فتبتلى بك وبمن هو شر منك من الخلق لأنك بذلك تظلم والظالم لا يغفل عنه قال الله عزَّ وجلَّ : {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً}.الأنعام129. لأنك في دار ملك عظيم أمره شديدة شوكته، كثير جنده نافذة مشيئته قاهر حكمه باق ملكه دائم سلطانه دقيق علمه بالغة حكمته عدل قضاؤه {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}.سبأ 3. لا يجاوزه ظلم ظالم فأنت أعظمهم ظلماً وأكبرهم جريمة، لأنك أشركت بتصرفك فيك وفي خلقه عزَّ وجلَّ بهواك. قال الله تعالى : {لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.لقمان13. وقال تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}.النساء48_116. أتق الشرك جداً ولا تقربه، واجتنبه في حركاتك وسكناتك وليلك ونهارك، في خلوتك وجلوتك. وأحذر المعصية في الجملة في الجوارح والقلب واترك الإثم ما ظهر منه وما بطن. لا تهرب منه عزَّ وجلَّ فيدركك، ولا تنازعه في قضائه فيقصمك، وتتهمه في حكمه فيخذلك، ولا تغفل عنه فينبهك ويبتليك، ولا تحدث في داره حادثة فيهلكك، ولا تقل في دينه بهواك فيرديك ويظلم قلبك، ويسلب إيمانك ومعرفتك، ويسلط عليك شيطانك ونفسك وهواك وشهواتك وأهلك وجيرانك وأصحابك وأخلاءك وجميع خلقه حتى عقارب دارك وحياتها وجنها وبقية هوامها فينغص عيشك في الدنيا ويطيل عذابك في العقبى.

المقالة الرابعة والعشرون

في الحث على ملازمة باب الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أحذر معصية الله عزَّ وجلَّ جداً، وألزم بابه حقاً وأبذل طوقك وجهدك في طاعته معتذراً متضرعاً مفتقراً خاضعاً، متخشعاً مطرقاً، غير ناظر إلى خلقه ولا تابع لهواك، ولا طالب للأعواض دنيا وأخرى، ولا ارتقاء إلى المنازل العالية والمقامات الشريفة، واقطع بأنك عبده والعبد وما ملك لمولاه، لا يستحق عليه شيئاً من الأشياء، أحسن الأدب ولا تتهم مولاك، فكل شئ عنده بمقدار، لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم، يأتيك ما قدر لك عند وقته وأجله إن شئت أو أبيت، لا تشره على ما سيكون لك، ولا تطلب وتلهف على ما هو لغيرك، فما ليس هو عندك لا يخلو إما أن يكون لك أو لغيرك، فإن كان لك فهو إليك صائر وأنت إليه مقاد ومسير، فاللقاء عن قريب حاصل، وما ليس لك فأنت عنه مصروف وهو عنك مول فأنى لكما التلاق فاشغل بإحسان الأدب فيما أنت بصدده من طاعة مولاك عزَّ وجلَّ في وقتك الحاضر، ولا ترفع رأسك ولا تمل عنقك إلى ما سواه. قال الله تعالى : {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.طه131. فقد نهاك الله عزَّ وجلَّ عن الالتفات إلى غير ما أقامك فيه ورزقك من طاعته وأعطاك من قسمه ورزقه وفضله، ونبهك أن ما سوى ذلك فتنة افتتنهم به، ورضاك قسمك خير لك وأبقى وأبرك وأحرى وأولى، فليكن هذا دأبك ومتقلبك ومثواك، وشعارك ودثارك ومرادك ومرامك، وشهوتك ومناك، تنل به كل المرام، وتصل به إلى كل مقام وترقى به إلى كل خير ونعيم وطريف وسرور ونفيس. قال الله تعالى : {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.السجدة17. ولا

عمل بعد العبادات الخمس وترك الذنوب، ولا أجمع ولا أعظم ولا أشرف ولا أحب إلى الله عزَّ وجلَّ، ولا أرضى عنده مما ذكرنا لك، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى بمنه.

المقالة الخامسة والعشرون

في شجرة الإيمان

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تقولن يا فقير اليد، يا مولى عنه الدنيا وأبناؤها، يا خامل الذكر بين ملوك الدنيا وأربابها، يا جائع يا نايع يا عريان الجسد يا ظمآن الكبد يا مشتتاً في كل زاوية من الأرض من مسجد وبقاع خراب، ومردوداً من كل باب، ومدفوعاً عن كل مراد، ومنكسراً ومزدحماً في قلبه كل حاجة مرام. إن الله تعالى أفقرني وذوى عنى الدنيا وغرني، وتركني وقلاني وفرقني ولم يجمعني، وأهانني ولم يعطني من الدنيا كفاية، وأخملني ولم يرفع ذكرى بين الخليقة وإخواني، وأسبل على غيري نعمة منه سابغة يتقلب فيها في ليله ونهاره، وفضله عليّ وعلى أهل دياري وكلانا مسلمان مؤمنان ويجمعنا أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، أما أنت فقد فعل الله ذلك بك، لأن طينتك حرة وندى رحمة الله متدارك عليك من الصبر والرضا واليقين والموافقة والعلم وأنوار الإيمان والتوحيد متراكم لديك، فشجرة إيمانك وغرسها وبذرها ثابتة مكينة مورقة مثمرة متزايدة متشعبة غضة مظللة متفرعة، فهي كل يوم في زيادة ونمو، فلا حاجة بها إلى سباطة وعلف لتنمى بها وتربى، وقد فرغ الله عزَّ وجلَّ من أمرك على ذلك، وأعطاك في الآخرة دار البقاء وخولك فيها، وأجزل عطاءك في العقبى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال الله تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ}.السجدة17. أي ما عملوا في الدنيا من أداء الأوامر، والصبر على ترك المناهى، والتسليم والتفويض إليه في المقدور، والموافقة له في جميع الأمور. وأما الغير الذي أعطاه الله عزَّ وجلَّ الدنيا وخوله ونعمه بها وأسبغ عليه فضله فعل به ذلك، لأن محل إيمانه أرض سبخة وصخر لا يكاد يثبت فيها الماء وتنبت فيها الأشجار، ويتربى فيها الزرع والثمار فصب عليها أنواع سباطه وغيرها مما يربى به النبات والأشجار، وهى الدنيا وحطامها ليحفظ بها ما أنبت فيها من شجرة الإيمان وغرس الأعمال، فلو قطع ذلك عنها لجف النبات والأشجار، وانقطعت الثمار، فخربت الديار، وهو عزَّ وجلَّ مريد عمارتها، فجشرة إيمان الغنى ضعيفة المنبت وخال عما هو مشحون به منبت شجرة إيمانك يا فقير، فقوتها وبقاؤها بما ترى عنده من الدنيا وأنواع النعيم، فلو قطع ذلك عنه مع ضعف الشجرة جفت، فكان كفراً وجحوداً وإلحاقاً بالمنافقين والمرتدين والكفار، اللهمَّ إلا أن يبعث الله عزَّ وجلَّ إلى الغنى عساكر الصبر والرضا واليقين والتوفيق والعلم وأنواع المعارف فيقوى الإيمان بها فحينئذ لا يبالى بانقطاع الغنى والنعيم، والله الهادي الموفق.

المقالة السادسة والعشرون

في النهي عن كشف البرقع عن الوجه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تكشف البرقع والقناع عن وجهك حتى تخرج من الخلق وتوليهم ظهر قلبك في جميع الأحوال ويزول هواك، ثم تزول إرادتك ومناك، فتفنى عن الأكوان دنيا وأخرى، فتصير كإناء منثلم لا يبقى فيك غير إرادة ربك عزَّ وجلَّ فتمتلئ به عزَّ وجلَّ وبحكمه، إذا خرج الزور دخل النور، فلا يكون لغير ربك في قلبك مكان ولا مدخل وجعلت بواب قلبك، وأعطيت سيف التوحيد والعظمة والجبروت، فكل من رأيته دنا من ساحة صدرك إلى باب قلبك ندرت رأسه من كاهله فلا يكون لنفسك وهواك وإرادتك ومناك في دنياك وأخراك عندك رأس امتثال ولا كلمة مسموعة، لا أرى متبع إلا إتباع أمر الرب عزَّ وجلَّ، والوقوف معه والرضا بقضائه وقدره، بل الفناء في قضائه وقدره، فتكون عبد الرب عزَّ وجلَّ وأمره لا عبد الخلق وآرائهم، فإذا استمر الأمر فيك كذلك ضربت حول قلبك سرادقات الغيرة وخنادق العظمة وسلطان الجبروت، وحف بجنود الحقيقة والتوحيد، ويقام دون ذلك حراس من الحق عزَّ وجلَّ، كيلا يخلص الخلق إلى تطلب القلب من الشيطان والنفس والهوى، والإرادات والأماني الباطلة، والدعاوى الكاذبة الناشئة من الطباع والنفس الآمرة بالسوء، والضلالات الناشئة من الهوى، فحينئذ إن كان في القدر مجئ الخلق وتواترهم إليك وتتابعهم وتطابقهم عليك، ليصيبوا من الأنوار اللائحة والعلامات المنيرة والحكم البالغة، ويروا من الكرامات الظاهرة وخوارق العادة المستمرة، ويزدادوا بذلك من القربات والطاعات والمجاهدات والمكايدات في عبادة ربهم عزَّ وجلَّ، حفظت عنهم أجمعين وعن ميل النفس إلى هواها، وعجبها ومباهاتها، وتعاظمها بالتكبر بهم وبقبولهم لك وإقبال وجوههم إليك، وكذلك إن قدر مجئ زوجة حسناء جميلة بكفايتها وسائر مؤنتها حفظت من شرها وحمل أثقالها وأتباعها وأهلها، وصارت عندك موهبة مكفاة مهناة منقاة مصفاة من الغش والخبث والغل والحقد والغضب والخيانة في الغيب، فتكون لك مسخرة، وهي وأهلها محمولة عنك مؤنتها، مدفوعة عنك أذيتها، وإن قدر منها ولد كان صالحاً ذرية طيبة

قرة عين. قال الله تعالى : {وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}.الأنبياء90. وقال تعالى: {هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}.الفرقان74. وقال تعالى: {وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً}.مريم6. فتكون هذه الدعوات التي في هذه الآيات معمولاً بها مستجابة في حقك إن دعوت بها أو لم تدع، إذ هي في محلها وأهلها، وأولى من يعامل بهذه النعمة ويقابل بها من كان أهلاً لهذه المنزلة، وأقيم في هذا المقام وقدر له من الفضل والقرب هذا المقدار، وكذلك إن قدر مجئ شئ من الدنيا وإقبالها لا يضر إذ ذاك، فما هو قسمك منها فلابدّ من تناوله وتصفيته لك بفعل الله عزَّ وجلّ، وورود الأمر يتناوله وأنت ممتثل للأمر مثاب على تناوله، كما تثاب على فعل صلوات الفرض وصيام الفرض، وتؤمر فيما ليس بقسمك منها بصرفه إلى أربابه من الأصحاب والجيران والإخوان المستحقين الفقراء منهم وأصحاب الأقسام على ما يقتضى الحال، فالأحوال تكشفها وتميزها، ليس الخبر كالمعاينة. فحينئذ تكون من أمرك على بيضاء نقية لا غبار عليها ولا تلبيس ولا تخليط ولا شك ولا ارتياب، فالصبر الصبر، الرضا الرضا، حفظ الحال حفظ الحال، الخمول الخمول، الخمود الخمود، السكوت السكوت، الصموت الصموت، الحذر الحذر، النجا النجا، الوحا الوحا، الله الله ثم الله، الإطراق الإطراق الإغماض الإغماض الحياء الحياء إن يبلغ الكتاب أجله، فيؤخذ بيدك فتقدم وينزع عنك ما عليك ثم تغوص في بحار الفضائل والمنن والرحمة ثم تخرج منها فتخلع عليك الأنوار والأسرار والعلوم والغرائب المدنية، ثم تقرب وتحدث فيه بإعلام وإلهام وتكلم وتعطى وتغنى وتشجع وترفع، وتخاطب بـ {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ}.يوسف54. فحينئذ أعتبر حالة يوسف الصديق عليه السلام حين خوطب بهذا الخطاب على لسان ملك مصر وعظيمها وفرعونها، كان لسان الملك قائلاً معبراً بهذا الخطاب والمخاطب هو الله عزَّ وجلَّ على لسان المعرفة، سلم إليه المالك الظاهر وهو ملك مصر، وملك النفس وملك المعرفة والعلم والقربة والخصوصية وعلو المنزلة عنده عزَّ وجلَّ. قال تعالى في ملك الملك : {وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ}.يوسف56. أي في أرض مصر {يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}.يوسف56. قال تعالى في ملك النفس: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}.يوسف24. وقال تعالى في ملك المعرفة والعلم: {ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ}.يوسف37. فإذا خوطبت بهذا الخطاب يا أيها الصديق الأكبر، أعطيت الحظ الأوفر، من العلم الأعظم، ومنحت وهنيت بالتوفيق والمنن والقدرة والولاية العامة، والأمر النافذ على النفس وغيرها من

الأشياء والتكوين، بإذن إله الأشياء في الدنيا قبل الآخرة. وأما في الأخرى في دار السلام والجنة العليا، فالنظر إلى وجه المولى الكريم زيادة ومنة، وهو المنى الذي لا غاية له ولا منتهى، والله الموفق لحقائق ذلك، إنه رؤوف رحيم.

المقالة السابعة والعشرون

في أن الخير و الشّر ثمرتان

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أجعل الخير والشر ثمرتين من غصنين من شجرة واحدة، أحد الغصنين يثمر حلوا والآخر مراً، فاترك البلاد والأقاليم ونواحي الأرض التي يحمل إليها هذه الثمار المأخوذة من هذه الشجرة، وابعد منها ومن أهلها واقترب من الشجرة وكن سائسها وخادمها القائم عندها، وأعرف الغصنين والثمرتين والجانبين، فكن إلى جانب الغصن المثمر حلواً، فحينئذ يكون غذاؤك وقوتك منها، واجتنب أن تقدم إلى جانب الغصن الآخر فتأكل من ثمرته فتهلك من مرارتها، فإذا دمت على هذا كنت في دعة وأمن وراحة وسلامة من الآفات كلها، إذ الآفات وأنواع البلايا تتولد من تلك الثمرة المرة، وإذا غبت عن تلك الشجرة وهمت في الآفاق وقدم بين يديك من تلك الثمرتين وهى مخلطة غير متميزة الحلوة من المرة هنا فتناولت منها، فربما وقعت يدك على المرة فأدنيتها من فيك فأكلت منها جزءاً ومضغته، فسرت المرة إلى أعماق لهواتك وباطن حلقك وخياشيمك، فعملت فيك وسرت في عروقك وأجزاء جسدك فهلكت بها، ولفظك الباقي من فيك وغسل أثره لا ينفع لا ويدفع عنك ما قد سرى في جسدك ولا ينفعك، وإن أكلت ابتداء من الثمرة الحلوة وسرت حلاوتها في أجزاء جسدك وانتفعت بها وسررت فلا يكفيك ذلك، فلابد تتناول غيرها ثانياً، فلا تأمن أن تكون الثانية من المرة فيحل بك ما ذكرته لك، فلا خير في البعد عن الشجرة والجهل بثمرتها والسلامة في قربها

والقيام معها، فالخير والشر بفعل الله عزَّ وجلَّ، والله هو فاعلهما ومجريهما. قال الله عزَّ وجلَّ : {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}.الصافات96. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الله خلق الجازر وجزوره) وأعمال العباد خلق الله عزَّ وجلَّ وكسبهم. قال تعالى : {ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.النحل32. سبحانه ما أكرمه وأرحمه أضاف العمل إليهم وأنهم استحقوا الدخول إلى الجنة بعملهم، وهو بتوفيقه ورحمته لهم في الدنيا والآخرة.

قال صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل الجنة أحد بعمله، فقيل له ولا أنت يا رسول الله؟ فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، ووضع يده على رأسه) مروي ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها، فإذا كنت طائعاً لله عزَّ وجلَّ ممتثلاً لأمره منتهياً لنهيه مسلماً له في قدره، حماك عن شره وتفضل عليك بخيره وحماك عن الأسواء جميعها ديناً ودنيا. أما دنيا فقوله تعالى: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}.يوسف24. وأما ديناً فقوله عزَّ وجلَّ : {مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً}. النساء 147. مؤمن شاكر ما يفعل البلاء عنده وهو إلى العافية أقرب من البلاء، لأنه في حمل المزيد أيضاً لأنه شاكر. قال الله عزَّ وجلَّ : {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}.إبراهيم7.فإيمانك يطفئ لهب النار في الآخرة التي هي عقوبة كل عاص، فكيف لا يطفئ نار البلايا في الدنيا؟؟ اللهمَّ إلا أن يكون العبد من المجذوبين المختارين للولاية والاصطفاء والاجتباء، فلابد من البلاء ليصفى به من خبث الهوى والميل إلى الطباع، والركون إلى شهوات النفس ولذاتها، والطمأنينة إلى الخلق والرضا بقربهم، والسكون إليهم والثبوت معهم والفرح بهم، فيبتلى حتى يذوب جميع ذلك، ويتنظف القلب بخروج الكل، ويبقى توحيد الرب عزَّ وجلَّ ومعرفته وموارد الغيب من أنواع الأسرار والعلوم وأنوار القرب، لأنه بيت لا يسعه اثنان، قال الله عزَّ وجلَّ : {مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}.الأحزاب4. وقال تعالى: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً}.النمل34. فأخرجوا الأعزة عن طيب المنازل ونعيم العيش، وكانت الولاية على القلب للشيطان والهوى والنفس والجوارح متحركة بأمرهم من أنواع المعاصي والأباطيل والترهات فزالت تلك الولاية فسكنت الجوارح وفرغت دار الملك التي هي القلب وتنظفت الساحة التي هي الصدر. فأما القلب فصار مسكناً للتوحيد والمعرفة والعلم. وأما الساحة فمهبط الموارد والعجائب من الغيب، كل ذلك نتيجة البلايا وثمراتها، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنا

معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) وقال صلى الله عليه وسلم : (أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفاً) فكل من قرب من الملك اشتد خطره وحذره، لأنه في مرأى من الملك لا يخفى عليه تصاريفه وحركاته. فإن قلت: فالخليقة عند الله عزَّ وجلَّ بأجمعهم كشخص واحد لا يخفى عليه منهم شئ، فأي فائدة لهذا الكلام؟

فنقول لك : لما علت منزلته وشرفت رتبته عظم خطره، لأنه وجب عليه شكر ما أولاه من جسيم نعمه وفضله فأدنى الآلتفات عن خدمته تقصير في شكره وذلك نقصان في طاعته. قال الله عزَّ وجلَّ : {يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ}.الأحزاب30. قال ذلك لهن لتمام نعمه عزَّ وجلَّ عليهن باتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم فكيف من كان مواصلاً بالله عزَّ وجلَّ وقربه، تعالى الله علواً كبيراً عن التشبيه بخلقه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.الشورى11. والله الهادي.

المقالة الثامنة والعشرون

في تفصيل أحوال المريد

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أتريد الراحة والسرور والدعة والحبور، والأمن والسكون والنعيم والدلال وأنت بعد في كير السبك والتذويب وتمويت النفس ومجانبة الهوى وإزالة المرادات والأعواض دنيا وأخرى وقد بقيت فيك بقية من ذلك ظاهرة لائحة؟؟ على رسلك يا مستعجل مهلاً مهلا، يا مترقب الباب مسدود إلى ذلك، وقد بقيت عليك منه وفيك ذرة ومنه المكاتب عبد ما بقى عليه درهم، أنت مصدود عن ذلك ما بقى عليك من الدنيا مقدار مص نواة، والدنيا هواك ومرادك، ورؤيتك بشئ من الأشياء أو طلبك بشئ من الأشياء وتشوق نفسك إلى شئ من الأعواض دنيا وأخرى، فما دام فيك شئ من ذلك فأنت في باب الإفناء، فاسكن حتى يحصل الفناء على التمام والكمال، فتخرج من الكير وتكمل صياغتك وتجلى وتكسى وتطيب وتبخر، ثم ترفع إلى الملك الأكبر فتخاطب : {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ}.يوسف54. فتؤانس وتلاطف، وتطعم من الفضل ومنه وتسقى وتقرب وتدنى وتطلع على الأسرار وهى عنك لا تخفى فتغتني بما نعطي من ذلك عن جميع الأشياء. ألا ترى إلى قراضة الذهب متفرقة مبتذلة متداولة غادية رائحة في أيدي العطارين والبقالين والقصابين والدباغين والنقاطين والكناسين والكفافين

أصحاب الصنائع النفيسة والرذيلة الدنية الخبيثة، ثم تجمع فتجعل في كير الصائغ فتذوب هناك بإشعال النار عليها، ثم تخرج منه فتطرق وترقق وتطلع وتصاك فتجعل حلياً، ثم تجلى وتطيب فتترك في خير المواضع والأمكنة من وراء الأغلاق في الخزائن والصناديق والأحقاق وتحلى بها العروس وتزين وتكرم، وقد تكون العروس للملك الأعظم فتنقل القراضة من هذه إلى قرب الملك ومجلسه بعد السبك والدق، هكذا أنت يا مؤمن إذا صبرت على مجاري الأقدار فيك ورضيت بالقضاء في جميع الأحوال قربت إلى مولاك عزَّ وجلَّ في الدنيا، فتنعم بالمعرفة والعلوم والأسرار، وتسكن في الآخرة دار السلام مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في جوار الله وداره وقربه عزَّ وجلَّ، فاصبر ولا تستعجل، وأرض بالقضاء ولا تتهم، فسينالك برد عفو الله ولطفه وكرمه بمنه تعالى.

المقالة التاسعة والعشرون

في قوله صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : يؤمن العبد بالله ويسلم الأمور كلها إليه عزَّ وجلَّ، ويعتقد تسهيل الرزق منه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصبه، ويؤمن بقوله عزَّ وجلَّ {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.الطلاق2–3. ويقول ذلك ويؤمن به وهو في حال العافية والغنى ثم يبتليه الله عزَّ وجلَّ بالبلاء والفقر فيأخذ في السؤال والتضرع فلا يكشفهما عنه فحينئذ يتحقق قوله صلى الله عليه وسلم : (كاد الفقر أن يكون كفراً) فمن تلطف الله به كشف عنه ما به فأدركه بالعافية والغنى ويوفقه للشكر والحمد والثناء ويديم له ذلك إلى اللقاء . ومن يرد الله فتنته يديم بلاءه وفتنته وفقره فيقطع عنه مدد إيمانه فيكفر بالاعتراض والتهمة له عزَّ وجلَّ والشك في وعده فيموت كافرا بالله عزَّ وجلَّ جاحداً لآياته ومسخطاً على ربه، وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل جمع الله له بين فقر الدنيا وعذاب الآخرة) نعوذ بالله من

ذلك وهو الفقر المنسي الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم * والرجل الثاني هو الذي أراد الله عزَّ وجلَّ اصطفاءه واجتباءه وجعله من خواصه وأحبائه وأخلائه ووارث أنبيائه وسيد أوليائه ومن عظماء عباده وعلمائهم وحكمائهم وشفعائهم وشيخهم ومتبوعهم ومعلمهم وهاديهم إلى مولاهم ومرشدهم إلى سبل الهدى واجتناب سبل الردى فأرسل إليه جبال الصبر وبحار الرضا والموافقة والغنى في قضائه وفعله ثم يدركه بجزيل العطاء ويدلله في آناء الليل وأطراف النهار في الجلوة والخلوة في الظاهر مرة والباطن أخرى بأنواع اللطف وفنون الجذبات فيتصل له ذلك إلى حين اللقا والله الهادي.

المقالة الثلاثون

في النهي عن قول الرجل أي شيء أعمل و ما الحيلة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما أكثر ما نقول : أي شئ أعمل؟؟ وما الحيلة؟؟ فيقال لك : قف مكانك ولا تجاوز حدك حتى يأتيك الفرج ممن أمرك بالقيام فيما أنت فيه. قال الله عزَّ وجلَّ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.آل عمران200. أمرك بالصبر يا مؤمن ثم بالمصابرة والمرابطة والمحافظة والملازمة له ثم حذرك تركه فقال : {واتقوا الله} في ترك ذلك، أي لا تتركوا الصبر فإن الخير والسلامة فيه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد). وقيل : كل شئ ثوابه بمقدار إلا ثواب الصبر فإنه جزاف غير مقدر لقوله تعالى : {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}.الزمر10. فإذا اتقيت الله عزَّ وجلَّ حفظك للصبر ومحافظة الحدود وأنجز لك ما وعدك في كتابه وهو قوله عزَّ وجلَّ : {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}.الطلاق2–3. وكنت بصبرك حتى يأتيك الفرج من المتوكلين وقد وعدك الله عزَّ وجلَّ بالكفاية فقال : {وَمَن يَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.الطلاق3. وكنت مع صبرك وتوكلك من المحسنين وقد وعدك بالجزاء فقال عزَّ وجلَّ : {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}.القصص14. ويحبك الله مع ذلك لأنه قال : {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.البقرة195. فالصبر رأس كل خير وسلامة دنيا وأخرى، ومنه يترقى المؤمن إلى حالة الرضى والموافقة ثم الفناء في أفعال الله عزَّ وجلَّ حالة البدلية والغيبة، فاحذر أن تتركه فيخذلك في الدنيا والآخرة ويفوتك خيرهما نعوذ بالله من ذلك.

المقالة الحادية والثلاثون

في البغض في الله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبه فأعرض أعماله على الكتاب والسنة, فإن كانت فيهما مبغوضة و أنت تبغضه فأبشر بموافقتك الله عزَّ وجلَّ ورسوله، وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى، تبغضه بهواك ظالماً له ببغضك إياه، وعاصٍ لله عزَّ وجلَّ ولرسوله تخالف لهما فتب إلى الله عزَّ وجلَّ من بغضك واسأله عزَّ وجلَّ محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده، لتكون موافقاً له عزَّ وجلَّ. وكذلك أفعل فيمن تحبه يعني أعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت محبوبة فيهما فأحبه. وإن كانت مبغوضة فابغضه. كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك قال عزَّ وجلَّ : {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}.ص26.

المقالة الثانية والثلاثون

في عدم المشاركة في محبة الحق

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما أكثر ما تقول كل من أحبه لا تدوم محبتي إياه فيحال بيننا إما بالغيبة أو بالموت أو بالعداوة وأنواع المال بالتلف والفوات من اليد، فيقال لك : أما تعلم يا محبوب الحق المعنى المنظور إليه المغار عليه، ألم تعلم أن الله عزَّ وجلَّ غيور خلقك وتروم أن تكون لغيره، أما سمعت قوله عزَّ وجلَّ : {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}.المائدة54. وقوله تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.الذاريات56. أما سمعت قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر افتناه. قيل يا رسول الله و ما افتناه. قال لم يذر له مالا ولا ولدا). وذلك لأنه إذا كان له مال وولد أحبهما فتنقص وتجزي فتصير مشتركة بين الله عزَّ وجلَّ وبين غيره والله تعالى لا يقبل الشريك وهو غيور قاهر فوق كل شئ غالب لكل شئ فيهلك شريكه ويعدمه ليخلص قلب عبده له من غير شريك فيتحقق حينئذ قوله عزَّ وجلَّ : {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}.المائدة54. حتى إذا تنظف القلب من الشركاء والأنداد من الأهل والمال والولد واللذات والشهوات وطلب الولايات والرياسات والكرامات والحالات والمنازل والمقامات والجنات والدرجات والقربات والزلفات فلا يبقى في القلب إرادة ولا أمنية يصير كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع لأنه أنكسر لفعل الله عزَّ وجلَّ كلما تجمعت فيه إرادة كسرها فعل الله وغيرته فضربت حوله سرادقات العظمة والجبروت والهيبة وأحضرت من دونها خنادق الكبرياء والسطوة فلم يخلص إلى القلب إرادة شئ من الأشياء والكرامات والحكم والعلم والعبادات فإن

جميع ذلك يكون خارج القلب فلا يغار الله عزَّ وجلَّ بل يكون جميع ذلك كرامة من الله لعبده ولطفا به ونعمة ورزقا ومنفعة للواردين عليه فيكرمون به ويرحمون ويحفظون لكرامته على الله عزَّ وجلَّ فيكون خفيراً لهم وكنفا وحرزا وشفيعا دنيا وأخرى.

المقالة الثالثة والثلاثون

في تقسيم الرجال إلى أربعة أقسام

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الناس أربعة رجال :

رجل : لا لسان له ولا قلب وهو العاصي الغر الغبي لا يعبأ الله به، لا خير فيه، وهو وأمثاله حثالة لا وزن لهم إلا أن يعمهم الله عزَّ وجلَّ برحمته، فيهدي قلوبهم للإيمان به ويحرك جوارحهم بالطاعة له عزَّ وجلَّ. فأحذر أن تكون منهم، ولا تكترث بهم ولا تقم فيهم فإنهم أهل العذاب والغضب والسخط سكان النار وأهلها نعوذ بالله عزَّ وجلَّ منهم، إلا أن تكون من العلماء بالله عزَّ وجلَّ ومن معلمي الخير وهداة الدين وقواده ودعاته، فدونك فأتهم وادعهم إلى طاعة الله عزَّ وجلَّ، وحذرهم معصيته، فتكتب عند الله حينئذ جهبذا، فتعطى ثواب الرسل والأنبياء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (لأن يهدى الله بهداك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس).

الرجل الثاني : رجل له لسان بلا قلب فينطق بالحكمة ولا يعمل بها، يدعو الناس إلى الله وهو يفر منه عزَّ وجلَّ، يستقبح عيب غيره ويدوم هو على مثله في نفسه، يظهر للناس تنسكا ويبارز الله عزَّ وجلَّ بالعظائم من المعاصي، إذا خلا كأنه ذئب عليه ثياب، وهو الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (أخوف ما أخاف على أمتي من منافق عليم اللسان). وفي

حديث آخر : (أخوف ما أخاف على أمتي من علماء السوء). نعوذ بالله من هذا، فابعد منه وهرول، لئلا يختطفك بلذيذ لسانه فتحرقك نار معاصيه، ويقتلك نتن باطنه وقلبه.

والرجل الثالث : قلب بلا لسان، وهو مؤمن ستره الله عزَّ وجلَّ عن خلقه، وأسبل عليه كنفه، وبصره بعيوب نفسه، ونور قلبه، وعرفه غوائل مخالطة الناس وشؤم الكلام والنطق، وتيقن أن السلامة في الصمت والانزواء والانفراد، وتسَمَّعَ قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من صمت نجا). وسَمِعَ قول بعض العلماء : العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت فهذا رجل ولي الله عزَّ وجلَّ، في ستر الله محفوظا ذو سلامة وعقل وافر، جليس الرحمن منعم عليه، فالخير كل الخير عنده، فدونكه ومصاحبته ومخالطته وخدمته والتحبب إليه بقضاء حوائج تسنح له ومرافق يرتفق بها، فيحبك الله ويصفيك، ويدخلك في زمرة أحبائه وعباده الصالحين ببركته إن شاء الله تعالى.

والرجل الرابع : المدعو في الملكوت بالعظيم كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (من تعلم ، وعلم ، وعمل ، دعي في الملكوت عظيماً). وهو العالم بالله عزَّ وجلَّ وآياته، استودع الله عزَّ وجلَّ قلبه غرائب علمه، وأطلعه على أسرار طواها عن غيره، واصطفاه واجتباه وجذبه إليه ورقاه، وإلى باب قربه هداه، وشرح صدره لقبول تلك الأسرار والعلوم، وجعله جهبذا وداعياً للعباد ونذيرا لهم وحجة فيهم، هادياً مهدياً شافعاً مشفعاً صادقاً صديقاً، بدلاً لرسله وأنبيائه عليهم صلواته وسلامه وتحياته وبركاته. فهذه هي الغاية القصوى في بني آدم، لا منزلة فوق منزلته إلا النبوّة، فعليك به وأحذر أن تخالفه وتنافره وتجانبه وتعاديه وتترك القبول منه والرجوع إلى نصيحته وقوله، فإن السلامة فيما يقول عنده، والهلاك والضلال عند غيره إلا من يوفقه الله عزَّ وجلَّ ويمده بالسداد والرحمة.

فقد قسمت لك الناس، فانظر لنفسك إن كنت ناظراً، واحترز لها إن كنت محترزاً لها شفيقاً عليها، هدانا الله وإياك لما يحبه ويرضاه.

المقالة الرابعة والثلاثون

في النهى عن السخط على الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما أعظم تسخطك على ربّك و تهمتك له عزَّ وجلَّ، و اعتراضك عليه و انتسابك له عزَّ وجلَّ بالظلم، واستبطائك في الرزق والغنى وكشف الكروب والبلوى، أما تعلم أن لكل أجل كتاب، ولكل زيادة بلية وكربة غاية منتهى ونفاد، لا يتقدم ذلك ولا يتأخر، أوقات البلايا لا تقلب فتصير عوافي ووقت البؤس لا ينقلب نعيما، وحالة الفقر لا تستحيل غنى.

أحسن الأدب وألزم الصمت والصبر والرضا والموافقة لربك عزَّ وجلَّ، وتب عن تسخطك عليه وتهمتك له في فعله، فليس هناك استيفاء وانتقام من غير ذنب، ولا عرض على الطبع كما هو في حق العبيد بعضهم في بعض، هو عزَّ وجلَّ منفرد بالأزل وسبق الأشياء، خلقها وخلق مصالحها ومفاسدها وعلم ابتداءها وانتهاءها وانقضاءها، وهو عزَّ وجلَّ حكيم في فعله متقن في صنعه لا تناقض في فعله، لا يفعل عبثاً ولا يخلق باطلاً لعباً، ولا تجوز عليه النقائص ولا اللوم في أفعاله، فانتظر الفرج حتى إن عجزت عن موافقته وعن الرضا والغنى في فعله حتى يبلغ الكتاب أجله، فتسفر الحالة عن ضدها بمرور الزمان وانقضاء الآجال، كما ينقضي الشتاء فيسفر عن

الصيف، وينقضي الليل فيسفر عن النهار، فإذ طلبت نور ضوء النهار ونوره بين العشاءين لم تعطه، بل يزداد في ظلمة الليل حتى إذا بلغت الظلمة غايتها وطلع الفجر وجاء النهار بضوئه طلبت ذلك وأردته وسكت عنه وكرهته، فإن طلبت إعادة الليل حينئذ لم تجب دعوتك ولم تعطه لأنك طلبت الشئ في غير حينه ووقته فتبقى حسيراً منقطعاً متسخطاً خجلاً، فأرخ هذا كله وألزم الموافقة وحسن الظن بربك عزَّ وجلَّ والصبر الجميل، فما كان لك لا تسلبه، وما ليس لك لا تعطاه. لعمري إنك تدعو وتبتهل إلى ربك عزَّ وجلَّ بالدعاء والتضرع وهما عبادة وطاعة امتثالاً لأمره عزَّ وجلَّ في قوله تعالى : {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}.غافر60. وقوله تعالى : {وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ}.النساء32. وغير ذلك من الآيات والأخبار، أنت تدعو وهو يستجيب لك عند حينه وأجله إذا أراد وكان لك في ذلك مصلحة في دنياك وأخراك ويوافق في ذلك قضاءه وانتهاء أجله، لا تتهمه في تأخير الإجابة ولا تسأم من دعائه، فإنك إن لم تربح لم تخسر، وإن لم يجبك عاجلاً أثابك آجلاً، فقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم : (والعبد يرى في صحائفه حسنات يوم القيامة لا يعرفها فيقال له إنها بدل سؤالك في الدنيا الذي لم يقدر قضاؤه فيها) أو كما ورد. ثم أقل أحوالك أنك تكون ذاكراً لربك عزَّ وجلَّ موحداً له حيث تسأله ولا تسأل أحداً غيره، ولا تترك حاجتك لغيره تعالى، فأنت بين الحالتين في زمانك كله ليلك ونهارك وصحتك وسقمك وبؤسك ونعمائك وشدتك ورخائك، وإما أن تمسك عن السؤال، وترضى بالقضاء وتوافق وتسترسل لفعله عزَّ وجلَّ، كالميت بين يدي الغاسل، والطفل الرضيع في يدي الظئر، والكرة بين يدي الفارس يقلبها بصولجانه، فيقلبك القدر كيف يشاء، إن كان النعماء فمنك الشكر والثناء ومنه عزَّ وجلَّ المزيد في العطاء، كما قال تعالى : {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}.إبراهيم7. وإن كان البأساء فالصبر والموافقة منك بتوفيقه والتثبت والنصرة والصلاة والرحمة منه عزَّ وجلَّ بفضله وكرمه، كما قال عزَّ من قائل: {إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.البقرة153.الأنفال46. بنصره وتثبيته، وهو لعبده ناصر له على نفسه وهواه وشيطانه. وقال تعالى: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}.محمد7. إذا نصرت الله في مخالفة نفسك وهواك بترك الاعتراض عليه والسخط بفعله فيك وكنت خصماً لله على نفسك سيافاً عليها كلما تحركت بكفرها وشركها حززت رأسها بصبرك وموافقتك لربّك والطمأنينة إلى فعله ووعده والرضا بهما كان عزَّ وجلَّ لك معينا. وأما الصلاة والرحمة، فقوله عزَّ وجلَّ : {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}.البقرة155–157. والحالة الأخرى أنك تبتهل إلى ربك عزَّ وجلَّ بالدعاء والتضرع إعظاماً له وامتثالاً لأمره، وفيه وضع الشئ في موضعه، لأنه ندبك إلى سؤاله والرجوع إليه، وجعل ذلك مستراحاً ورسولاً منك إليه وموصلة ووسيلة لديه بشرط ترك التهمة والسخط عليه عند تأخير الإجابة إلى حينها، اعتبر ما بين الحالتين ولا تكن ممن تجاوز عن حديهما، فإنه ليس هناك حالة أخرى، فاحذر أن تكون من الظالمين المعتدين فيهلكك عزَّ وجلَّ ولا يبالى كما أهلك من مضى من الأمم السالفة في الدنيا بتشديد بلائه وفى الآخرة بأليم عذابه.

المقالة الخامسة والثلاثون

في الـورع

قـال رضـي الله تعـالى عنـه و أرضـاه : عليـك بـالورع وإلا فـالهلاك في زيقـك مـلازم لـك لا تنجو منه أبدا إلا أن يتغمدك الله تعالى برحمته، فقد ثبت في الحديث المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن ملاك الدين الورع، وهلاكه الطمع، وإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، كالراتع إلى جنب الزرع يوشك أن يمد فاه إليه لا يكاد أن يسلم الزرع منه) وعن أبى بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : كنا نترك سبعين باباً من المباح مخافة أن نقع في الجناح. وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام، فعلوا ذلك تورعاً في مقاربة الحرام أخذاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لكل ملك حمى) وإن حمى الله محارمه، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فمن دخل حصن الملك فجاز الباب الأول ثم الثاني والثالث حتى قرب من سدته خير ممن وقف على الباب الأول الذي يلي البر، فإنه إن أغلق عنه غلق الباب الثالث لم يضره وهو من وراء بابين من أبواب القصر ومن دونه حراس الملك وجنده، وأما إذا كان على الباب الأول فأغلقوا عنه بقى في البر وحده فأخذته الذئاب والأعداء وكان من الهالكين، فهكذا من سلك العزيمة ولازمها. إن سلب عنه مدد التوفيق والرعاية وانقطعت عنه حصل في الرخص ولم يخرج عن الشرع. فإذا أدركته

المنية كان على العبادة والطاعة ويشهد له بخير العمل، ومن وقف على الرخص ولم يتقدم إلى العزيمة إن سلب عنه التوفيق فقطعت عنه أمداده فغلب الهوى عليه وشهوات النفس، فتناول الحرام خرج من الشرع، فصار في زمرة الشياطين أعداء الله عزَّ وجلَّ الضالين عن سبل الهدى، فإن أدركته المنية قبل التوبة كان من الهالكين إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته وفضله، فالخطر في القيام مع الرخص، والسلامة كل السلامة مع العزيمة، والله الهادي إلى سواء الطريق.

المقالة السادسة والثلاثون

في بيان الدنيا و الآخرة و ما ينبغي أن يعمل فيهما

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أجعل آخرتك رأس مالك ودنياك ربحه، وأصرف زمانك أولاً في تحصيل آخرتك. ثم إن فضل من زمانك شئ اصرفه في دنياك وفى طلب معاشك، ولا تجعل دنياك رأس مالك وآخرتك ربحه. ثم إن فضل من الزمان فضلة صرفتها في آخرتك تقتضى فيها الصلوات تسبكها سبيكة واحدة ساقطة الأركان، مختلفة الواجبات من غير ركوع وسجود وطمأنينة بين الأركان، أو يلحقك التعب والإعياء فتنام عن القضاء جملة، جيفة في الليل بطالاً في النهار تابعاً لنفسك وهواك وشيطانك، وبائعاً آخرتك بدنياك عند النفس ومطيتها، أمرت بركوبها وتهذيبها ورياضتها والسلوك بها في سبيل السلامة وهى طرق الآخرة وطاعة مولاها عزَّ وجلَّ فظلمتها بقوبلك منها وسلمت زمامها إليها وتبعتها في شهواتها ولذاتها وموافقتها وشيطانها وهواها ففاتك خير الدنيا والآخرة وخسرتهما فدخلت القيامة أفلس الناس وأخسرهم ديناً ودنيا، وما وصلت بمتابعتها إلى أكثر من قسمك من دنياك، ولو سلكت بها طريق الآخرة وجعلتها رأس مالك ربحت الدنيا والآخرة ووصل إليك قسمك من الدنيا هنيئاً مرئياً وأنت مصون مكرم، كما

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله يعطى الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا) وكيف لا يكون كذلك ونية الآخرة هي طاعة الله لأن النية روح العبادات وذاتها.

وإذا أطعت الله بزهدك في الدنيا أو طلبك دار الآخرة كنت من خواص الله عزَّ وجلَّ وأهل طاعته ومحبته، وحصلت لك الآخرة وهى الجنة وجوار الله عزَّ وجلَّ وخدمتك الدنيا فيأتيك قسمك الذي قدر لك منها، إذ الكل تبع لخالقها ومولاها وهو الله عزَّ وجلَّ، وإن اشتغلت بالدنيا وأعرضت عن الآخرة غضب الرب عليك ففاتتك الآخرة وتعاصت الدنيا عليك وتعسرت وأتعبتك في إيصال قسمك إليك لغضب الله عزَّ وجلَّ عليك لأنها مملوكته، تهين من عصاه وتكرم من أطاعه فيتحقق حينئذ قوله صلى الله عليه وسلم : (الدنيا والآخرة ضرتان، إن أرضيت إحداهما أسخطت عليك الأخرى). قال تعالى : {مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ}.آل عمران152. يعنى به أبناء الآخرة، فانظر من أبناء أيهما أنت؟؟ ومن أي القبيلتين تحب أن تكون وأنت في الدنيا؟؟ ثم إذا صرت إلى الآخرة فالخلق فريقان فريق في طلب الدنيا وفريق في طلب الآخرة، وهم أيضاً يوم القيامة فريقان {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}.الشورى7. فريق في الموقف قيام في طول الحساب {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}.المعارج4. مما تعدون كما قال تعالى، وفريق في ظل العرش كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم : (إنكم تكونون يوم القيامة في ظل العرش عاكفون على الموائد، عليها أطايب الطعام والفواكه والشهد أبيض من الثلج). كما جاء في الحديث : (وينظرون منازلهم في الجنة حتى إذا فرغ من حساب الخلق دخلوا الجنة، يهتدون إلى منازلهم كما يهتدي أحد الناس في الدنيا إلى منزله). فهل وصلوا إلى هذه إلا بتركهم الدنيا واشتغالهم بطلب الآخرة والمولى. وهل وقعوا أولئك في الحساب وأنواع الشدائد والذل إلا لاشتغالهم بالدنيا ورغبتهم فيها وزهدهم في الآخرة وقلة المبالاة بأمرها ونسيان يوم القيامة وما سيصيرون إليه غداً مما ذكر في الكتاب والسنة.

فانظر لنفسك نظر رحمة وشفقة، واختر لها خير القبيلتين وأفردها عن أقران السوء من شياطين الإنس والجن، وأجعل الكتاب والسنة أمامك وأنظر فيهما وأعمل بهما، ولا تغتر بالقال والقيل والهوس. قال الله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ}.الحشر7. ولا تخالفوه فتتركوا العمل بما جاء به وتخترعوا لأنفسكم عملاً وعبادة كما قال

عزَّ وجلَّ في حق قوم ضلوا سواء السبيل {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ}.الحديد27 .، ثم إنه زكى هو عزَّ وجلَّ نبيه صلى الله عليه وسلم ونزهه عن الباطل والزور فقال عزَّ وجلَّ : {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}.النجم3–4. أي ما آتاكم به فهو من عندي لا من هواه ونفسه فاتبعوه، ثم قال تعالى : {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ}.آل عمران31. فبين أن طريق المحبة إتباعه قولاً وفعلاً، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال : (الاكتساب سنتي، والتوكل حالتي) أو كما قال، فأنت بين سنته وحالته وإن ضعف إيمانك فالتكسب الذي هو سنته وإن قوى إيمانك فحالته التي هي التوكل قال الله تعالى : {وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.المائدة23. وقال تعالى : {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.الطلاق3. وقال تعالى : {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}.آل عمران159. فقد أمرك بالتوكل ونبهك عليه كما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله : {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}.النساء81.الأنفال61.الأحزاب3+48. فاتبع أوامر الله عزَّ وجلَّ في سؤاله في أعمالك فهي مردودة عليك قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) هذا يعلم طلب الرزق والأعمال والأقوال، ليس لنا نبي غيره فنتبعه ولا كتاب غير القرآن فنعمل به، فيضلك هواك والشيطان. قال الله تعالى : {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}.ص26. فالسلامة مع الكتاب والسنة، والهلاك مع غيرهما، وبهما يترقى العبد إلى حالة الولاية والبدلية والغوثية،والله أعلم.

المقالة السابعة والثلاثون

في ذم الحسـد و الأمر بتركه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : مالي أراك يا مؤمن حاسداً لجارك في مطعمه ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه وتقلبه في غناه ونعم مولاه عزَّ وجلَّ وقسمه الذي قسم له؟؟ أما تعلم أن هذا مما يضعف إيمانك ويسقطك من عين مولاك عزَّ وجلَّ ويبغضك إليه؟؟ أما سمعت الحديث المروى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (قال الله تعالى في بعض ما تكلم به: الحسود عدو نعمتي) وما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) ثم على أي شئ تحسده يا مسكين؟؟ أعلى قسمه أم على قسمك؟؟ فإن حسدته على قسمه الذي قسمه الله له في قوله تعالى : {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.الزخرف32. فقد ظلمته، رجل يتقلب في نعمة مولاه التي تفضل بها عليه وقدرها له ولم يجعل لأحد فيها حظاً ولا نصيباً، فمن يكون أظلم وأبخل وأرعن وأنقص عقلاً منك؟؟ وإن حسدته على قسمك فقد جهلت غاية الجهل، فإن قسمك لا يعطى غيرك ولا ينتقل منك إليه، حاش لله. قال الله عزَّ وجلَّ : {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}.ق29. إن الله عزَّ وجلَّ لا يظلمك فيأخذ ما قسم وقدر لك فيعطى غيرك، فهذا جهل منك وظلم لأخيك، ثم حسدك للأرض التي هي معدن الكنوز والذخائر من أنواع الذهب والفضة والجواهر مما جمعته الملوك المتقدمة من عاد وثمود وكسرى وقيصر أولى من حسدك لجارك المؤمن أو الفاجر، فإن ما في بيته لا يكون جزءاً من أجزاء ألف ألف جزء مما هناك، فما حسدك لجارك إلا كمثل رجل رأى ملكاً مع سلطانه وجنوده وحشمه وملكه وعلى أراضى واجباته خراجها وارتفاعها لديه وتنعمه بأنواع النعم واللذات والشهوات فلم يحسده على ذلك ثم رأى كلباً برياً يخدم كلباً من كلاب ذلك الملك يقوم ويقعد

ويصيح فيعطى من مطبخ الملك بقايا الطعام ورداءته فيتقوت به فأخذ يحسده ويعاديه ويتمنى موته وهلاكه وكونه مكانه وأن يخلفه في ذلك خسة ودناءة لا زهداً وديناً وقناعة، فهل يكون في الزمان رجل أحمق منه وأرعن وأجهل؟

ثم لو علمت يا مسكين ما سيلقى جارك غداً من طول الحساب يوم القيامة إن لم يكن أطاع الله فيما حوله وأدى حقه فيها، وامتثال أمره وانتهاء نهيه فيها، واستعان بها على عبادته وطاعته ما يتمنى انه لم يعط من ذلك ذرة ولا رأى نعيماً يوماً قط،أما سمعت ما قد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ليتمنين أقوام يوم القيامة أن تقرض لحومهم بالمقاريض مما يرون لأصحاب البلاء من الثواب) فيتمنى جارك غداً مكانك في الدنيا لما يرى من طول حسابه ومناقشته وقيامه خمسين ألف سنة في حر الشمس في القيامة، لأجل ما يمتنع به من النعيم في الدنيا وأنت في معزل عن ذلك في ظل العرش آكلاً شارباً متنعما فرحاً مسروراً مستريحاً، لصبرك على شدائد الدنيا وضيقها وآفاتها وبؤسها وفقرها، ورضاك وموافقتك لربك عزَّ وجلَّ فيما دبر وقضى من فقرك وغناء غيرك، وسقمك وعافية غيرك، وشدتك ورخاء غيرك، وذلك وعز غيرك، جعلنا الله وإياك ممن صبر عند البلاء، وشكر على النعماء، وفوض الأمور إلى رب السماء.

المقالة الثامنة والثلاثون

في الصـدق و النصيحة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : من عامل مولاه بالصدق والنصاح، استوحش مما سواه في المساء والصباح.

يا قوم لا تدعوا ما ليس لكم، ووحدوا، ولا تشركوا، والله إن سهام القدر تصيبكم خدشاً لا قتالاً، من كان في الله تلفه فعلى الله خلفه.

المقالة التاسعة والثلاثون

في تفسير الشـقاق و الوفاق و النفاق

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عناد وشقاق، الأخذ مع عدم الهوى وفاق واتفاق وتركه رياء ونفاق.

المقالة الأربعون

في متى يصح للسالك أن يكون في زمرة الروحانيين

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تطمع أن تدخل في زمرة الروحانيين حتى تعادى جملتك، وتباين جميع الجوارح والأعضاء، وتنفرد عن وجودك وحركاتك وسكناتك وسمعك وبصرك وكلامك وبطشك وسعيك وعملك وعقلك، وجميع ما كان منك قبل وجود الروح فيك وما أوجد فيك بعد نفخ الروح، لأن جميع ذلك حجابك عن ربك عزَّ وجلَّ، فإذا صرت روحاً منفردة، سر السر،غيب الغيب، مبايناً للأشياء في سرك، متخذاً للكل عدواً وحجاباً وظلمة كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}.الشعراء77. قال ذلك للأصنام، فجعل أنت جملتك وأجزاءك أصناماً مع سائر الخلق، فلا تطع شيئاً من ذلك ولا تتبعه جملة، فحينئذ تؤمن على الأسرار والعلوم أللدنية وغرائبها، ويرد إليك التكوين وخرق العادات التي هي من قبيل القدرة التي تكون للمؤمنين في الجنة، فتكون في هذه الحالة كأنك أحييت بعد الموت في الآخرة، فتكون كليتك قدرة، تسمع بالله، وتنطق بالله، وتبصر بالله، وتبطش بالله وتسعى بالله، وتقل بالله، وتطمئن وتسكن بالله، فتعمى عن سواه وتصم عنه فلا ترى لغيره وجوداً مع حفظ الحدود والأوامر والنواهي، فإن أنخرم فيك شيء من الحدود فاعلم أنك مفتون متلاعبة بك الشياطين، وأرجع إلى حكم الشرع ودع عنك رأى الهوى، لأن كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهي زندقة، والله أعلم.

المقالة الحادية والأربعون

مثل في الفناء و كيفيته

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : نضرب لك مثلاً في الفناء فنقول: ألا ترى أن الملك يولى رجلاً من العوام ولاية على بلدة من البلاد، ويخلع عليه ويعقد له ألوية ورايات، ويعطيه الكؤوس والطبل والجند فيكون على برهة من الزمان، حتى إذا اطمأن واعتقد بقاءه وثباته، وعجب به ونسي حالته الأولى ونقصانه وذله وفقره وخموله، وداخلته النخوة والكبرياء جاءه العزل من الملك في أشر ما كان من أمره، ثم طالبه الملك بجرائم صنعها وتعدى أمره ونهيه فيها، فحبسه في أضيق الحبوس وأشدها، وطال حبسه ودام ضره له وذله وفقره، وذابت نخوته وكبرياؤه، وانكسرت نفسه وخمدت نار هواه، وكل ذلك في عين الملك ثم تعطف الملك عليه فنظره بعين الرأفة والرحمة، فأمر بإخراجه من الحبس والإحسان إليه، والخلعة عليه وردَّ الولاية إليه ومثلها معها وجعلها له موهبة، فدامت له وبقيت مصفاة مكفاة مهنأة وكذلك المؤمن إذا قربه الله إليه واجتباه فتح قبالة عين قلبه باب الرحمة والمنة والإنعام، فيرى بقلبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من مطالعة الغيوب من ملكوت السموات والأرض وتقريب وكلام لذيذ لطيف ووعد جميل، ووفاء به، وإجابة دعاء وكلمات حكمة وتصديق وعد، فإنها ترمى إليه قلبه قذفاً من مكان بعيد فتظهر على لسانه، ومع ذلك يسبغ عليه نعمة ظاهرة على جسده وجوارحه، في المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح الحلال والمباح وحفظ الحدود والعبادات الظاهرة، فيديم الله عزّ وجلّ ذلك لعبده المؤمن المجذوب برهة من الزمان، حتى اطمأن العبد إلى ذلك واغتر به واعتقد دوامه فتح عليه أبواب البلايا وأنواع المحن في النفس والمال والأهل

والولد والقلب فينقطع عنه جميع ما كان أنعم الله عليه من قبل، فيبقى متحيراً حسيراً منكسراً مقطوعاً به.

إن نظر إلى ظاهره رأى ما يسوؤه، وإن نظر إلى قلبه وباطنه رأى ما يحزنه، وإن سأل الله تعالى كشف ما به من الضر لم ير إجابته، وإن طلب وعداً جميلاً لم يجده سريعاً وإن وعد بشئ لم يعثر على الوفاء به، وإن رأى رؤيا لم يظفر بتعبيرها وتصديقها، وإن رام الرجوع إلى الخلق لم يجد إلى ذلك سبيلاً، وإن ظهرت له في ذلك رخصة فعمل بها تسارعت العقوبات نحوه وتسلطت أيدي الخلق على جسمه وأسنتهم على عرضه، وإن طلب الإقالة مما قد أدخل فيه من الحالة الأولى قبل الاجتباء لم يقل، وإن طلب الرضا أو الطيبة والتنعم بما به من البلاء لم يعط فحينئذ يأخذ النفس في الذوبان والهوى في الزوال والإرادة والأماني في الرحيل والأكوان في التلاشي، فيدام له ذلك بل يزداد تشديداً وعصراً وتأكيداً، حتى إذا فني العبد من الأخلاق الإنسانية والصفات البشرية وبقى روحاً فقط يسمع نداء في باطنه {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}.ص42. كما قيل لسيدنا أيوب عليه السلام، فيمطر الله عزّ وجلّ في قلبه بحار رحمته ورأفته ولطفه ومنته، ويحييه بروحه ويطيبه بمعرفته ودقائق علومه، ويفتح عليه أبواب رحمته ونعمته ودلاله، وأطلق إليه الأيدي بالبذل والعطاء والخدمة في سائر الأحوال والألسن بالحمد والثناء، والذكر الطيب في جميع المحال، والأرجل بالترحال، وذلك له وسخر له الملوك والأرباب، وأسبغ عليه نعمة ظاهرة وباطنة، تربيته ظاهرة بخلقه ونعمه، ويستأثره تربيته باطنة بلطفه وكرمه، وأدام له ذلك إلى اللقاء، ثم يدخله فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال جلّ وعلا : {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.السجدة17.

المقالة الثانية والأربعون

في بيان حالتي النفس

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : النفس لها حالتان لا ثالث لهما: حالة عافية، وحالة بلاء، فإذا كانت في بلاء فالجزع والشكوى والسخط والاعتراض والتهمة للحق جل وعلا لا صبر ولا رضى ولا موافقة، بل سوء الأدب والشرك بالحق والأسباب والكفر، وإذا كانت في عافية فالشره والبطر وإتباع الشهوات واللذات، كلما نالت شهوة طلبت أخرى، واستحقرت ما عندها من النعم من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب، فتخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوباً ونقصاً، وتطلب أعلى منها وأسنى مما لم يقسم لها، وتعرض عما قسم لها، فتوقع الإنسان في تعب طويل، ولا ترضى بما في يديها وما قسم لها، فيرتكب الغمرات ويخوض المهالك في تعب طويل لا غاية له ولا منتهى في الدنيا، ثم في العقبى، كما قيل: إن من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم. وإذا كانت في بلاء لا تتمنى سوى انكشافها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة ولا تطلب شيئاً منها، فإذا عوفيت منها رجعت إلى رعونتها وشرها وبطرها وإعراضها عن طاعة ربها وانهماكها في معاصيه، وتنسى ما كانت فيه من أنواع البلاء والضر وما حل بها من الويل، فترد إلى أشد ما كانت عليه من أنواع البلاء والضر، لما اجترحت وركبت من العظائم فطماً لها وكفاً عن المعاصي في المستقبل، إذ لا تصلح لها العافية والنعمة بل حفظها في البلاء والبؤس، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف البلية ولازمت الطاعة والشكر والرضى بالمقسوم لكان خيراً لها دنيا وأخرى، وكانت تجد زيادة في النعيم والعافية والرضى من الله عز وجل والطيبة والتوفيق، فمن أراد السلامة في الدنيا والأخرى فعليه بالصبر والرضا، وترك الشكوى إلى الخلق

وإنزال حوائجه بربه عز وجل ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه و الانقطاع إليه عز وجل، إذ هو خير من غيره ومن جميع خلقه، حرمانه عطاء، عقوبته نعماء، بلاؤه دواء، وعده نفذ، قوله فعل مشيئة حاله {إِنَّمَا} وقوله وأمره أَمْرُهُ {إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.يس82. كل أفعاله حسنة وحكمة ومصلحة، غير أنه طوى على المصالح من عباده وتفرد به، فالأولى واللائق بحاله والرضى والتسليم، واشتغاله بالعبودية من أداء الأوامر وانتهاء النواهي والتسليم في القدر، وترك الاشتغال في الربوبية التي هي علة الأقدار ومحاربتها، والسكوت عن لم وكيف ومتى؟ والتهمة للحق عز وجل في جميع حركاته وسكناته، وتستند هذه الجملة إلى حديث بن عباس رضي الله عنهما، وهو ما روى عن عطاء بن عباس رضي الله عنهما قال: بينما أنا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال لي : يا غلام "أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده أمامك، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن" فلو جهد العباد أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه فإن استطعت أن تعامل الناس بالصدق واليقين فاعمل، وإن لم تستطع فإن الصبر على ما تكره خيراً كثيراً. وأعلم أن النصرة بالصبر والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً، فينبغي لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة لقلبه وشعاره ودثاره وحديثه، فيعمل به في جميع حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا والآخرة ويجد العزة فيهما، برحمة الله عزَّ وجلَّ.

المقالة الثالثة والأربعون

في ذم السؤال من غير الله تعالى

قال قدَّس الله سرّه : ما سأل الناس من سأل إلا لجهله بالله عزَّ وجلَّ وضعف إيمانه ومعرفته ويقينه وقلة صبره، وما تعفف من تعفف عن ذلك إلا لوفور علمه بالله عزَّ وجلَّ وقوة إيمانه ويقينه وتزايد معرفته بربه عزَّ وجلَّ في كل يوم ولحظة وحياته منه عزَّ وجلَّ.

المقالة الرابعة والأربعون

في سبب عدم استجابة دعاء العارف بالله تعالى

قال قدَّس الله سرّه : إنما لم يستجب للعارف كلما يسأل ربه عز وجل ويوفى له بكل وعد لئلا يغلب عليه الرجاء فيهلك، لأن ما من حالة ومقام إلا ولذاك خوف ورجاء هما جناحي طائر لا يتم الإيمان إلا بهما وكذلك الحال والمقام، غير أن خوف كل حالة ورجاءها بما يليق بها، فالعارف مقرب وحالته ومقامه أن لا يريد شيئاً سوى مولاه عز وجل ولا يركن ولا يطمئن إلى غيره عز وجل، ولا يستأنس بغيره، فطلبه لإجابة سؤاله والوفاء بعهده غير ما هو بصدده ولائق بحاله ففي ذلك أمران اثنان : أحدهما لئلا يغلب عليه الرجاء والغرة بمكر ربه عز وجل فيغفل عن القيام بالأدب فيهلك، والآخر شركه بربه عز وجل بشئ سواه، إذ لا معصوم في العالم في الظاهر بعد الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فلا يجيبه ولا يوفى له كيلا، يسأل عادة ويريده طبعاً لا امتثال للأمر، لما في ذلك من الشرك والشرك كبيرة في الأحوال كلها والأقدام جميعها والمقامات بأسرها.

وأما إذا كان السؤال بأمر فذلك مما يزيده قرباً كالصلاة والصيام وغيرهما من الفرائض والنوافل، لأنه يكون في ذلك ممتثلاً للأمر.

المقالة الخامسة والأربعون

في النعمة و الابتلاء

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إن الناس رجلان: منعم عليه، ومبتلى بما قضى ربه عز وجل ، فالمنعم لا يخلو من المعصية والتكدر فيما أنعم عليه، فهو في أنعم ما يكون من ذلك إذ جاء القدر بما يكدره عليه من أنواع البلايا من الأمراض والأوجاع والمصائب في النفس والمال والأهل والأولاد فيتعظ بذلك، فكأنه لم ينعم عليه قط وينسى ذلك النعيم وحلاوته وإن كان الغنى قائماً بالمال والجاه والعبيد والإماء والأمن من الأعداء فهو في حال النعماء كأن لا بلاء في الوجود، كل ذلك لجهله بمولاه عزَّ وجلَّ {فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ}.هود107.البروج16. يبدل، ويحلى ويمر، ويغنى ويفقر، ويرفع ويخفض، ويعز ويذل ويحيي ويميت، ويقدم ويؤخر. لما اطمأن إلى ما به من النعيم، ولما اغتر به، ولما أيس من الفرج في حالة البلاء، وبجهله أيضاً بالدنيا اطمأن إليها وطلب بها صفاء لا يشوبه كدر، ونسى إنها دار بلاء وتنغيص، وتكاليف وتكدير وأن أصلها بلاء وطارفها نعماء فهي كشجرة الصبر أول ثمرتها مر وآخرها شهد حلو، لا يصل المرء إلى حلاوتها حتى يتجرع مرارتها، فلن يبلغ إلى الشهد إلا بالصبر على المر، فمن صبر على بلائها حلى له نعيمها، إنما يعطى الأجير أجره بعد عروق جبينه وتعب جسده وكرب روحه وضيق صدره وذهاب قوته وإذلال نفسه وكسر هواه في خدمة مخلوق مثله، فلما تجرع هذه المرائر كلها أعقبت له طيب طعام وإدام وفاكهة ولباس وراحة وسرور ولو أقل قليل، فالدنيا أولها مرة كالصحفة العليا من عسل في ظرف مشوبة بمرارة، فلا يصل الآكل إلى قرار الظرف ويتناول الخالص منه إلا بعد تناول الصحفة العليا، فإذا صبر العبد على أداء أوامر الرب عز وجل وانتهاء نواهيه والتسليم والتفويض فيما يجرى به القدر، وتجرع مرائر ذلك كله وتحمل أثقاله، وخالف هواه وترك مراده. أعقبه الله عز وجل بذلك طيب العيش في آخر عمره والدلال والراحة والعزة، ويتولاه ويغذيه كما

يغذى الطفل الرضيع من غير تكلف منه وتحمل مؤنة وتبعة في الدنيا والأخرى كما يتلذذ آكل المر من الصحفة العليا من العسل يأكله من قرار الظرف، فينبغي للعبد المنعم عليه أن لا يأمن مكر الله عز وجل فيغتر بالنعمة ويقطع بدوامها، ويغفل عن شكرها ويرخى قيدها بتركه لشكرها. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (النعمة وحشية فقيدوها بالشكر) فشكر نعمة المال الاعتراف بها للمنعم المتفضل وهو الله عز وجل والتحدث بها لنفسه في سائر الأحوال ورؤية فضله ومنته عز وجل وأن لا يتملك عليه ولا يتجاوز حده فيه، ولا يترك أمره فيه، ثم بأداء حقوقه من الزكاة والكفارة والنذر والصدقة، وإغاثة الملهوف، وافتقاد أرباب الحاجات وأهلها في الشدائد عند تقلب الأحوال وتبدل الحسنات بالسيئات، أعنى ساعات النعيم والرخاء بالبأساء والضراء. وشكر نعمة العافية في الجوارح والأعضاء في الاستعانة بها على الطاعات والكف عن المحارم والسيئات والمعاصي والآثام فذلك قيد النعم عن الرحلة والذهاب، وسقى شجرتها وتنمية أغصانها وأوراقها، وتحسين ثمرتها، وحلاوة طعمها وسلامة عاقبتها، ولذة مضغها، وسهولة بلها، وتعقب عافيتها وريعها في الجسد، ثم ظهور بركتها على الجوارح من أنواع الطاعات والقربات والأذكار، ثم دخول العبد بعد ذلك في الآخرة في رحمة الله عز وجل. والخلود في الجنان مع – النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً – فإن لم يفعل ذلك واغتر بما ظهر من زينة الدنيا وبما ذاق من لذتها، واطمأن إلى بريق سرابها وما لاح من بريقها وما هب من نسيم أول نهار قيظها، ونعمومة جلود حياتها وعقاربها، وغفل وعمى عن سمومها القاتلة المودعة في أعماقها، ومكامنها ومصايدها المنصوبة لأخذه وحبسه وهلاكه، فليهنأ للردى وليستبش بالعطف والفقر العاجل،مع الذل والهوان في الدنيا والعذاب الآجل في النار ولظى.

وأما المبتلى. فتارة يبتلى عقوبة ومقابلة لجريمة ارتكبها ومعصية اقترفها وأخرى يبتلى تكفيراً وتحميصاً، وأخرى يبتلى لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ليلحق بأولى العالم من أهل الحالات والمقامات، مما سبقت لهم عناية من رب الخليقة والبريات، وسيرهم مولاهم ميادين البليات على مطايا الرفق والألطاف، وروحهم بنسيم النظرات واللحظات في الحركات والسكنات، إذ لم يكن ابتلاهم للإهلاك والإهواء في الدركات، ولكن اخبرهم بها للاصطفاء والاجتباء واستخراج بها منهم حقيقة الإيمان وصفاها وميزها من الشرك والدعاوى والنفاق،ونحلهم بها أنواع العلوم والأسرار والأنوار، فجعلهم من اخلص الخواص، ائتمنهم على

أسراره، وارتضاهم لمجالسته. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الفقراء الصبر جلساء الرحمن يوم القيامة) دنيا وأخرى، في الدنيا بقلوبهم وفى الآخرة بأجسادهم، فكانت البلايا مطهرة لقلوبهم من دون الشرك، والتعلق بالخلق والأسباب والأماني والإرادات، وذوابة لها وسباكة من الدعاوى والهوسات، وطلب الأعواض بالطاعات من الدرجات والمنازل العاليات في الآخرة في الفردوس والجنات.

فعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات، عدم الصبر عن وجودها والجزع والشكوى إلى الخليقة والبريات.

وعلامة الابتلاء تكفيراً وتمحيصاً للخطيات وجود الصبر الجميل من غير شكوى وإظهار الجزع إلى الأصدقاء والجيران والتضجر بأداء الأوامر والطاعات.

وعلامة الابتلاء ارتفاع وجود الرضا والموافق، وطمأنينة النفس والسكون بفعل إله الأرض والسموات، والفناء فيها إلى حين الانكشاف بمرور الأيام والساعات.

المقالة السادسة والأربعون

في قوله عز و جل في الحديث القدسي
(من شغله ذكرى...) إلى آخره

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : في قوله النبي صلى الله عليه وسلم عن ربى عز وجل : (من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) وذلك أن المؤمن إذا أراد الله عز وجل اصطفاءه واجتباءه، سلك به الأحوال وامتحنه بأنواع المحن والبلايا فيفقره بعد الغنى

ويضطره إلى مسألة الخلق في الرزق عند سد جهاته عليه، ثم يصونه عن مسألتهم ويضطره إلى الكسب ويسهله وييسره له فيأكل بالكسب الذي هو السنة، ثم يعسره عليه ويلهمه السؤال للخلق، ويأمره به بأمر باطن يعلمه ويعرفه ويجعل عبادته فيه ومعصيته في تركه، ليزول بذلك هواه وتنكسي نفسه وهى حالة الرياضة فيكون سؤاله على وجه الإجبار لا على وجه الشرك بالجبار، ثم يصونه عن ذلك ويأمره بالفرض منهم أمراً جزماً لا يمكنه تركه كالسؤال من قبل ثم ينقله من ذلك ويقطعه عن الخلق ومعاملتهم، فيجعل رزقه في السؤال له عز وجل فيسأله جميع ما يحتاج إليه فيعطيه عز وجل ولا يقطعه إن سكت وأعرض عن السؤال، ثم ينقله من السؤال باللسان إلى السؤال القلب فيسأله بقلبه جميع ما يحتاج فيعطيه حتى أنه لو سأله جملة ظاهراً وباطناً، فيناديه بجميع ما يصلحه ويقوم به أوده من المأكول والمشروب والملبوس وجميع مصالح البشر من غير أن يكون هو فيها أو تخطر بباله. فيتولاه عز وجل وهو قوله عز وجل {إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}.الأعراف196. فيتحقق حينئذ قوله عز وجل (من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) وهى حالة الفناء التي هي غاية أحوال الأولياء والأبدال ثم قد يرد إلى التكوين فيكون جميع ما يحتاج إليه بإذن الله وهو قوله جل وعلا في بعض كتب "يا ابن آدم أنا الله الذي لا غليه إلا أنا أقول للشئ كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشئ كن فيكون".

المقالة السابعة والأربعون

في التقرب إلى الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : سألني رجل شيخ في المنام فقال : أي شئ يقرب العبد إلى الله عزَّ وجلَّ ؟؟ فقلت : لذلك ابتداء وانتهاء فابتداؤه الورع وانتهاؤه الرضى والتسليم والتوكل.

المقالة الثامنة والأربعون

في ما ينبغي للمؤمن أن يشتغل به

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ينبغي للمؤمن أن يشتغل أولاً بالفرائض، فإذا فرغ منها اشتغل بالسنن، ثم يشتغل بالنوافل والفضائل، فما لم يفرغ من الفرائض فالاشتغال بالسنن حمق ورعونة، فإن اشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض لم يقبل منه وأهين، فمثله مثل رجل يدعوه الملك إلى خدمته فلا يأتي إليه ويقف في خدمة الأمير الذي هو غلام الملك وخادمه وتحت يده وولايته.

عن أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن مثل مصلى النوافل قبل الفرائض مثل حبلى حملت فلما دنا نفاسها أسقطت فلا هي ذات حمل ولا هي ذات ولادة) كذلك المصلى لا يقبل الله له نافلة حتى يؤدى الفريضة. ومثل المصلى كمثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى يأخذ رأس ماله، وكذلك المصلى بالنوافل لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة، وكذلك من ترك السنة واشتغل بنافلة لم ترتب مع الفرائض ولم ينص عليها ويؤكد أمرها فمن الفرائض ترك الحرام والشرك بالله عز وجل في خلقه، والاعتراض عليه في قدره وقضائه وإجابة الخلق وطاعتهم، والإعراض عن أمر الله عز وجل وطاعته، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا طاعة لملخوق في معصية خالق).

المقالة التاسعة والأربعون

في ذم النـوم

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : من اختار النوم على الذي هو سبب اليقظة فقد اختار الأنقص والأدنى واللحوق بالموت والغفلة عن جميع المصالح، لأن النوم أخو الموت ولهذا لا يجوز النوم على الله لما انتفى عز وجل عن النقائض أجمع، وكذلك الملائكة لما قربوا منه عز وجل نفى النوم عنهم، وكذلك أهل الجنة لما كانوا في أرفع المواضع وأطهرها وأنفسها وأكرمها نفى النوم عنهم لكونه نقصاً في حالتهم، فالخير كل الخير في اليقظة، والشر كل الشر في النوم والغفلة، فمن أكل بهواه أكل كثيراً فشرب كثيراً فنام كثيرا فندم كثيراً طويلاً وفاته خير كثير، ومن أكل قليلاً من الحرام كان كمن أكل كثيراً من المباح بهواه، لأن الحرام يغطى الإيمان فلا صلاة ولا عبادة ولا إخلاص، ومن أكل من الحلال كثيراً بالأمر كان كمن أكل منه قليلاً في النشاط في العبادة والقوة، فالحلال نور في نور، والحرام ظلمة في ظلمة، لا خير فيه . أكل الحلال بهواه بغير الأمر، وأكل الحرام مستجلبان للنوم، فلا خير فيه.

المقالة الخمسون

في علاج دفع البعد عن الله تعالى
و بيان كيفية التقرب منه تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا يخلو أمرك من قسمين:

إما أن تكون غائباً عن القرب من الله أو قريباً منه واصلاً إليه، فإن كنت غائباً عنه فما قعودك وتوانيك عن الحظ الأوفر والنعيم والعز الدائم والكفاية الكبرى والسلامة والغنى والدلال في الدنيا والأخرى؟ فقم وأسرع في الطيران إليه عز وجل بجناحين: أحداهما: ترك اللذات والشهوات الحرام منها والمباح والراحات أجمع.

والآخر احتمال الأذى والمكاره وركوب العزيمة والأشد، والخروج من الخلق والهوى والإرادات والمنى دنيا وأخرى حتى تظفر بالوصول والقرب، فتجد عند ذلك جميع ما تتمنى، وتحصل لك الكرامة العظمى والعزة الكبرى فإن كنت من المقربين الواصلين إليه عز وجل ممن أدركتهم العناية وشملتهم الرعاية وجذبتهم المحبة ونالتهم الرحمة والرأفة، فأحسن الأدب ولا تغتر بما أنت فيه، فتقصر في الخدمة، ولا تخلد إلى الرعونة الأصلية من الظلم والجهل والعجل في قوله تعالى : {وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}.الأحزاب72. وقوله تعالى : {وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً}.الإسراء11. وأحفظ قلبك من الالتفات إلى ما تركته من الخلق والهوى والإرادة والتخير وترك الصبر والموافقة والرضا عند نزول البلاء، واستطرح بين يدي الله عز وجل كالكرة بين يدي الفارس يقلبها بصولجانه، والميت بين يدي الغاسل، والطفل الرضيع في حجر أمه وظئره، تعامى

عمن سواه عز وجل فلا ترى لغيره وجوداً ولا ضراً ولا نفعاً ولا عطاء ولا منعاً، أجعل الخليقة والأسباب عند الأذية والبلية كسوطه عز وجل يضربك به، وعند النعمة والعطية كيده يلقمك بها.

المقالة الحادية والخمسون

في الـزهــد

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الزاهد يثاب بسبب الأقسام مرتين يثاب في تركها أولاً، فلا يأخذها بهواه و موافقة النفس، بل يأخذها بمجرد الأمر، فإذا تحققت عداوته لنفسه و مخالفته لهواه عُد من المحقين و أهل الولاية و أدخل في زمرة الأبدال و العارفين أمر حنيئذ بتناولها و التلبس بها، إذ هي قسمة لابد له منها لم تخلق لغيره، جف بها القلم و سبق بها العلم، فإذا امتثل الأمر فتناول أو أطلع بالعلم فتلبس بها بجريان القدر و الفعل فيه من غيري أن يكون هو فيه، لا هوى و لا إرادة و لا همة أثيب بذلك ثانياً، هو ممتثل للأمر بذلك أو موافق لفعل الحق عز و جل فيه.

فإن قال قائل : كيف أطلقت القول بالثواب لمن هو في المقام الأخير الذي ذكرته من أنه أدخل في زمرة الإبدال و العارفين المفعول فيهم، الفانين عن الخلق و الأنفس و الأهوية و الإرادات و الحظوظ و الأماني و الأعواض على العمال الذين يرون جميع طاعاتهم و عباداتهم فضلاً من الله عز و جل و نعمة و رحمة و توفيقا و تيسيراً منه عز و جل ويعتقدون أنهم عبيد الله عز و جل ، و العبد لا يستحق على مولاه حقاً، إذ هو برمته مع حركاته و سكناته و أكسابه ملك لمولاه، فكيف يقال في حقه يثاب و هو لا يطلب ثواباً و لا عوضاً على فعله و لا يرى له عملاً، بل يرى نفسه من البطالين و أفلس المفلسين من الأعمال.

فتقول : صدقت، غير أن الله عز و جل يواصله بفضله و يدلله بنعمه و يربيه بلطفه و رأفته و بره و رحمته و كرمه، إذ كف يده عن مصالح نفسه و طلب الحظوظ لها و جلب النفع إليها و دفع الضر عنها، فهو كالطفل الرضيع الذي لا حراك له في مصالح نفسه و هو مدلل بفضل الله عز و جل و رزقه الدار على يدي والديه الوكيلين الكفيلين، فلما سلب عنه مصالح نفسه عطف قلوب الخلق عليه و أوجد رحمة و شفقة له في القلوب حتى كل واحد يرحمه و يتعطف عليه و يبره، فهكذا الكل فانٍ عن سوى الله الذي لا يحركه غيره أمره أو فعله مواصل بفضل الله عز و جل دنيا و أخرى مدلل فيهما مدفوع عنه الأذى متولي، قال تعالى : {إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَـزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}.الأعراف196.

المقالة الثانية والخمسون

في سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إنما يبتلى الله طائفة من المؤمنين الأحباب من أهل الولاية ليردهم بالبلاء إلى السؤال فيحب سؤالهم، فإذا سألوا يحب إجابتهم فيعطى الكرم والجود حقهما لأنهما يطالبان لأنه عز و جل عند سؤال المؤمنين من الإجابة، وقد تحصل الإجابة ولا يحصل النقد والنقاد لتعويق القدر لا على وجه عدم الإجابة والحرمان، فليتأدب العبد عند نزول البلاء، وليفتش عن ذنوبه في ترك الأوامر وارتكاب المناهى ما ظهر منا وما بطن. والمنازعة في القدر إذا تعاقب عليه، إنما يبتلى بذلك مقابلة، فان انكشف البلاء، وإلا، فليتخذ إلى الدعاء والتضرع والاعتذار فيديم بالسؤال لجواز أن يكون ابتلاه ليسأله، ولا يتهمه لتأخير الإجابة لما بيناه، والله أعلم.

المقالة الثالثة والخمسون

في الأمر بطلب الرضا من الله و الفناء به تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أطلبوا من الله عزَّ و جلَّ الرضا أو الفناء، لأنه هو الراحة الكبرى والجنة العالية المنفرة في الدنيا، وهو باب الله الأكبر وعلة محبة الله لعبده المؤمن، فمن أحبه الله لم يعذبه في الدنيا والآخرة فيه اللحوق بالله عزَّ و جلَّ والوصول إليه، ولا تشتغلوا بطلب الحظوظ وأقسام لم تقسم أو قسمت، فإن كانت لم تقسم فالاشتغال بطلبها حمق ورعونة وجهالة، وهو أشد العقوبات، كما قيل: من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم وإن كانت مقسومة فالاشتغال بها شره وحرص وشرك من باب العبودية والمحبة والحقيقية، لأن الاشتغال بغير الله عزَّ و جلَّ شرك، وطالب الحظ ليس بصادق في محبته وولايته فمن احتال مع الله غيره فهو كذاب وطالب العوض على عمله غير مخلص، وإنما المخلص من عبد الله ليعطى الربوبية حقها للمالكية والحقيقة، لأن الحق عزَّ و جلَّ يملكه ويستحق عليه العمل والطاعة له بحركاته وسكناته وسائر أكسابه، والعبد وما في يده ملك لمولاه كيف وقد بينا في غير موضع أن العبادات بأسرها نعمة من الله وفضل منه على عبده إذ وفقه لها وأقدره عليها، فالاشتغال بالشكر لربه خير وأولى من طلبه من الأعواض أو الجزاء عليها، ثم كيف تشتغل بطلب الحظوظ، وقد ترى خلقاً كثيراً كلما كثرت الحظوظ عندهم وتواترت وتتابعت اللذات والنعم والأقسام إليهم زاد سخطهم على ربهم وتضجرهم وكفرهم بالنعمة وكثرة هموهم وغمومهم وفقرهم إلى أقسام لم تقسم غير ما عندهم وحقرت وصغرت وقبحت أقسامهم عندهم وعظمت وكبرت وحسنت أقسام غيرهم وأنحلت قواهم، وكبرت سنهم وشتت أحوالهم وتعبت أجسادهم وعرقت جباههم وسودت صحائفهم بكثرة آثامهم وارتكاب عظائم الذنوب في طلبها وترك أوامر ربهم فلم ينالوها وخرجوا من الدنيا مفاليس لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لا شكروا ربهم فيما قسم لهم من اقسامهم فاستعانوا بها على طاعته. وما نالوا ما طلبوا من أقسام غيرهم، بل ضيعوا دنياهم وآخرتهم، فهم

أشر الخليقة وأجهلهم وأحمقهم وأخسهم عقولاً وبصيرة، فلو أنهم رضوا بالقضاء وقنعوا بالعطاء وأحسنوا طاعة المولى لأتتهم أقسامهم من الدنيا من غير تعب ولا عناء، ثم نقلوا إلى جوار العلي الأعلى فوجدوا عنده كل مراد ومنى، جعلنا الله وإياكم ممن رضي بالقضاء، وجعل سؤاله ذلك والفناء وحفظ الحال والتوفيق بما يحبه ويرضى.

المقالة الرابعة والخمسون

في من أراد الوصول إلى الله تعالى و بيان كيفية الوصول إليه تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا، و من أراد الله فعليه بالزهد في الآخرة، فيترك دنياه لآخرته و آخرته لربه، فما دام في قلبه شهوة من شهوات الدنيا و لذة من لذاتها و طلب راحة من راحتها من سائر الأشياء من مأكول و مشروب و ملبوس و منكوح و مسكون و مركوب، و ولاية، و رياسة و طبقة في علم من فنون العلم من الفقه فوق العبادات الخمس، و رواية الحديث و قراءة القرآن بروايته، و النحو و اللغة و الفصاحة و البلاغة، و زوال الفقر و وجود الغنى و ذهاب البلية و مجيء العافية، و في الجملة انكشاف الضر و نجئ النفع فليس بزاهد حقاً لأن كل واحد من هذه الأشياء فيه لذة النفس و موافقة الهوى و راحة الطبع و حب له، و كل ذلك من الدنيا و مما يحبب البقاء فيها و يحصل السكون و الطمأنينة إليها، فينبغي أن يجاهد في إخراج جميع ذلك عن القلب، و يأخذ نفسه بإزالة ذلك و قلعه و الرضا بالعدم و الإفلاس و الفقر الدائم، فلا يبقى من ذلك مقدار مص نواة ليخلص زهده في الدنيا، فإذا تم له ذلك زالت الغموم و الأحزان من القلب و الكرب عن الحشا، و جاءت الراحات و الطيب و الأنس بالله كما قال عز و جل: (الزهد في الدنيا يريح القلب و الجسد) فما دام في قلبه شئ من ذلك فالهموم و الخوف و الوجل قائم في القلب و الخذلان لازم له، و الحجاب عن الله عز و جل وعن قربه متكاثف متراكم فلا ينكشف جميع ذلك إلا

بزوال حب الدنيا على الكمال و قطع العلائق بأثرها، ثم يزهد في الآخرة، فلا يطلب الدرجات و المنازل العاليات و الحور و الولدان و الدور و القصور و البساتين و المراكب و الخيل و الحلي و المآكل و المشارب و غير ذلك مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين، فلا يطلب على عمله جزاء أو أجراً من الله عز و جل البتة دنيا و لا أخرى، فحنيئذ يجد الله عز و جل فيؤتيه حسابه تفضلاً منه و رحمة، فيقربه منه و يدنيه و يلطف به و يتعرف إليه بأنواع ألطافه و بره كما هو دأبه عز و جل مع رسله و أنبيائه و أوليائه و خواصه و أحبابه أولى العلم به عز و جل فيكون العبد كل يوم في مزيد أمره مدة حياته. ثم ينتقل إلى دار الآخرة إلى ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، مما تضيق عنه الأفهام و تعجز عن و صفه العبارات، و الله أعلم.

المقالة الخامسة والخمسون

في ترك الحظوظ

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ترك الحظوظ ثلاث مرات: الأولى يكون العبد ماراً في عشواه متخبطاً فيه متصرفاً بطبعه في جميع أحواله من غير تعبد لربه و لازم في الشرع يرده و لا جده من جدود ينتهي إليه عن حكمه، فبينما هو على ذلك ينظر الله إليه يعنى يرحمه، فيبعث الله إليه واعظاً من خلقه من عباده الصالحين فينبهه، و يثنيه بواعظ من نفسه، فيتضافر الواعظان على نفسه و طبعه، فتعمل الموعظة عملها، فتبين عندها عيب ما هي فيه من ركوب مطية الطبع و المخافة فتميل إلى الشرع في جميع تصرفاتها فيصير العبد مسلماً قائماً مع الشرع فانياً عن الطبع، فيترك حرام الدنيا و شبهاتها و منن الخلق، فيأخذ مباح الحق عز و جل و حلال الشرع في مأكله و مشربه و ملبسه و منكحه و جميع ما لابد منه، لتحتفظ البنية و يتقوى على طاعة الرب عز و جل، و ليستوفى قسمه المقسوم له الذي لا يتجاوزه و لا سبيل إلى الخروج من الدنيا قبل تناوله و التلبس به و استيفائه فيسير على مطية المباح و الحلال في الشرع في جميع أحواله تنتهي به هذه المطية إلى عتبة الولاية و الدخول في زمرة المحققين و الخواص أهل العزيمة

مريدي الحق، فيأكل بالأمر، فحينئذ يسمع نداء من قبل الحق عز و جل من باطنه: أترك نفسك و تعال، أترك الحظوظ و الخلق إن أردت الخالق، و أخلع نعليك، و دنياك و آخرتك، و تجرد عن الأكوان و الموجودات و ما سيوجد و الأماني بأسرها، و تعر عن الجميع وافن عن الكل و تطيب بالتوحيد و أترك الشرك و صدق الإرادة. ثم وطء البساط بالأدب مطرقاً، لا تنظر يميناً إلى الآخرة و لا شمالاً إلى الدنيا و لا إلى الخلق و لا إلى الحظوظ، فإذا دخل في هذا المقام، و تحقق الوصول جاءت الخلعة من قبل الحق عز و جل، و غشيته أنواع المعارف و العلوم و أنواع الفضل، فيقال له: تلبس بالنعم و الفضل و لا تسئ الأدب بالرد وترك التلبس، لأن رد نعم الملك افتئاتا على الملك و استخفافاً بحضرته و حينئذ يتلبس بالفضل و القسمة بالله من غير أن يكون هو فيه و من قبل كأن يتلبس بهواه و نفسه فله أربع حالات في تناول الحظوظ و الأقسام:

الأولى بالطبع هو الحرام. و الثانية بالشرع و هو المباح و الحلال. و الثالثة بالأمر و هي حالة الولاية و ترك الهوى. و الرابعة بالفضل و هي حالة زوال الإرادة و حصول البدلية و كونه مراداً قائماً مع القدر الذي هو فعل الحق و هي حالة العلم و الاتصاف بالصلاح، فلا يسمى صالحاً على الحقيقة إلا وصل إلى هذا المقام، و هو قوله تعالى: {إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّـهُ الَّـذِي نَـزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}.الأعراف196. فهو العبد الذي كفت يده عن جلب مصالحه و منافعه و عن رد مضاره و مفاسده، كالرضيع مع الظئر، و الميت الغسيل مع الغاسل، فتتولى يد القدر تربيته من غير أن يكون له اختيار و تدبير، فان عن جميع ذلك لا حالاً و لا مقاماً و لا إرادة، بل القيام مع القدرة، تارة يبسط و تارة يغنى و تارة يفقر، و يختار و لا يتمنى زوال ذلك و تغيره، بل الرضى الدائم و الموافقة الأبدية، فهو آخر ما تنتهي أحوال الأولياء قدست أسرارهم.

المقالة السادسة والخمسون

في فناء العبد عن الخلق و الهوى
و النفس و الإرادة و الأماني

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا فني العبد عن الخلق و الهوى و النفس و الإرادة و الأماني دنيا و أخرى و لم يرد إلا الله عز و جل و خرج الكل عن قلبه وصل إلى الحق، و اصطفاه و اجتباه، و أحبه و حببه إلى خلقه، و جعله يحبه و يحب قربه، و يتنعم بفضله و يتقلب في نعمه و فتح عليه أبواب رحمته، و وعده أن لا يغلقها عنه أبداً، فيختار العبد حينئذ الله، و يدبر بتدبيره و يشاء بمشيئته، و يرضى برضاه يمتثل أمره دون غيره، و لا يرى لغيره عز و جل وجوداً و لا فعلاً، فحينئذ يجوز أن يعده الله بوعد ثم لا يظهر للعبد وفاء بذلك، و لا يغير ما قد توهمه من ذلك، لأن الغيرية قد زالت بزوال الهوى و الإرادة فصار في فعل الله عز و جل و إرادته فيصير الوعد حينئذ في حقه مع الله عز و جل كرجل عزم على فعل شئ في نفسه و نواه ثم صرفه إلى غيره كالناسخ و المنسوخ فيما أوحى الله عز و جل إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز و جل : {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.البقرة106. لما كان النبي صلى الله عليه وسلم منزوع الهوى و الإرادة سوى المواضع التي ذكرها الله عز و جل في القرآن من الأسر يوم بدر {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.الأنفال67–68. كذا قالوا، و غيره و هو مراد الحق عز و جل لم يترك على حالة واحدة بل نقله إلى القدر إليه فصرفه في القدر و قلبه منها، نبهه بقوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.البقرة106. يعنى أنك في بحر القدر تقلبك أمواجه تارة كذا و تارة كذا، فمنتهى أمر الولي ابتداء أمر النبي ما بعد الولاية و البدلية إلا النبوة، و الله أعلم.

المقالة السابعة والخمسون

في عدم المنازعة في القدر و الأمر بحفظ الرضا به

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الأحوال قبض كلها، لأنه يؤمر الولي بحفظها وكل ما يؤمر بحظفه فهو قبض، والقيام مع القدر بسط كله، لأنه ليس هناك شئ يؤمر بحفظه سوى كونه موجوداً في القدر، فعليه أن لا ينازع في القدر بل يوافق ولا ينازع في جميع ما يجرى عليه مما يحلو ويمر. الأحوال معدودة فأمر بحفظ حدوده، والفضل الذي هو القدر غير محدود فيحفظ.

وعلامة أن العبد دخل في مقام القدر والفعل والبسط أنه يؤمر بالسؤال في الحظوظ بعد أن أمر بتركها والزهد فيها، لأنه لما خلا باطنه من الحظوظ ولم يبق غير الرب عزَّ و جلَّ بوسط فأمر بالسؤال والتشهي وطلب الأشياء التي هي قسمه، ولابد من تناولها والتوصل إليه بسؤاله، ليتحقق كرامته عند الله عزَّ و جلَّ ومنزلته، وامتنان الحق عزَّ و جلَّ عليه بإجابته إلى ذلك، والإطلاق بالسؤال في عطاء الحظوظ من أكثر علامات البسط بعد القبض، والإخراج من الأحوال والمقامات والتكليف في حفظ الحدود.

فإن قيل : هذا يدل على زوال التكلف والقول بالزندقة والخروج من الإسلام، ورد قوله عزَّ و جلَّ : {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}.الحجر99. قيل لا يدل على ذلك ولا يؤدى إليه بل الله أكرم و وليه أعز عليه من أن يدخله في مقام النقص والقبيح في شرعه ودينه، بل يعصمه من جميع ما ذكر ويصرفه عنه ويحفظه وينبهه ويسدده لحفظ الحدود، فتحصل العصمة وتتحفظ الحدود من تكليف منه ومشقة، وهو عن ذلك في غيبة في القرب قال عزَّ و جلَّ : {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}.يوسف24. وقال عزَّ و جلَّ : {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}.الحجر42.الإسراء65. وقال تعالى: {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ

الْمُخْلَصِينَ}.الصافات40+74+128+160. يا مسكين هو محمول الرب وهو مراده، وهو يربيه في حجر قربه ولطفه، أنى يصل الشيطان غليه وتتطرق القبائح والمكاره في الشرع نحوه؟ أبعدت النجعة وأعظمت الفرية وقلت قولاً فظيعاً، تباً لهذه الهمم الخسيسة الدنية والعقول الناقصة البعيدة و الآراء الفاسدة المتخلخلة، أعاذنا الله والإخوان من الضلالة المختلفة بقدرته الشاملة ورحمته الواسعة، وسترنا بأستاره التامة المانعة الحامية، وربانا بنعمه السابغة وفضائله الدائمة بمنه وكرمه تعالى شأنه.

المقالة الثامنة والخمسون

في صرف النظر عن كل الجهات
و طلب جهة فضل الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : تقام عن الجهات كلها ولا تبصبص على شئ منها، فما دمت تنظر إلى واحدة منها لايفتح لك جهة فضل الله عز وجل وقربه، فسد الجهات جميعا بتوحيده وإمحاء نفسك ثم فنائك ومحوك وعلمك، فحينئذ يفتح عين قلبك جهة فضل الله العظيم، فتراها بعيني رأسك إذا ذاك شعاع نور قلبك وإيمانك ويقينك فيظهر عند ذلك النور من باطنك على ظاهرك كنور الشمعة التي في البيت المظلم في الليلة الظلماء، يظهر من كوى البيت ومنافذه فيشرق ظاهر البيت بنور باطنه، فتسكن النفس و الجوارح إلى وعد الله وعطائه عن عطاء غيره و وعد غيره عز و جل. و ارحم نفسك ولا تظلمها ولا تلقها في ظلمات جهلك ورعونتك، فتنظر إلى الجهات وإلى الخلق والحول والقوة والكسب والأسباب فتوكل إليها، فتسد عنك الجهات ولم تفتح لك جهة فضل الله عز وجل عقوبة ومقابلة لشركك بالنظر إلى غيره عز وجل، فإذا وجدته ونظرت إلى فضله ورجوته دون غيره وتعاميت عما سواه، قربك وأدناك، ورحمك ورباك وأطعمك وسقاك، وداواك وعفاك، وأعطاك وأغناك، فلا ترى بعد ذلك لا فقرك ولا غناك.

المقالة التاسعة والخمسون

في الرضا على البلية و الشكر على النعمة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تخلو حالتك إما أن تكون بلية أونعمة. فإن كانت بلية فتطالب فيها بالصبر، وهو الأدنى، والصبر وهو أعلى منه. ثم الرضا والموافقة، ثم الفناء، وهو للإبدال، وإن كانت نعمة فتطالب فيها بالشكر عليها. والشكر باللسان والقلب والجوارح.

أما باللسان فالاعتراف بالنعمة أنها من الله عز وجل : وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أديهم، لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها، وإن قاسمها ومجريها وموجدها والشاغل فيها والمسبب لها هو الله عز وجل والقاسم هو الله، والمجرى هو والموجد هو، فهو أحق بالشكر من غيره.

لا نظر إلى الغلام الحمال للهدية إنما النظر إلى الأستاذ المنفذ المنعم بها قال الله تعالى في حق من عدم هذا المنظر : {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}.الروم7. فمن نظر إلى الظاهر والسبب ولم يجاوز علمه ومعرفته فهو الجاهل الناقص قاصر العقل، إنما سمى العاقل عاقلاً لنظره في العواقب.

وأما الشكر بالقلب، فبالاعتقاد الدائم. والعقد الوثيق الشديد المتبرم. إن جميع ما بك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عز وجل لا من غيره، ويكون شكرك بلسانك معبراً عما في قلبك. وقد قال عز وجل : {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ

اللّهِ}.النحل53. وقال تعالى : {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً }.لقمان20. وقال تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا}.النحل18. فمع هذا لا يبقى لمؤمن منعم سوى الله تعالى.

وأم الشكر بالجوارح فبأن تحركها وتستعملها في طاعة الله عز وجل دون غيره من الخلق، فلا تجيب أحداً من الخلق، فيما فيه إعراض عن الله تعالى، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأماني وسائر الخليقة، كجعل طاعة الله أصلاً ومتبوعاً وإماماً وما سواها فرعاً وتابعاً ومأموماً، فإن فعلت غير ذلك كنت جائراً ظالماً حاكماً بغير حكم الله عز وجل الموضوع لعباده المؤمنين، وسالكاً غير سبيل الصالحين. قال الله عز وجل : {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}.المائدة44. وفي آية أخرى : {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.المائدة45. وفي أخرى : {هُمُ الْفَاسِقُونَ}.المائدة47. فيكون انهاؤك إلى التي وقودها الناس والحجارة، وأنت لا تصبر على حمى ساعة في الدنيا وأقل بسطة وشرارة من النار فيها، فكيف صبرك على الخلود في الهاوية مع أهلها النجا النجا، الوحا الوحا، الله الله، أحفظ الحالتين وشروطهما، فإنك لا تخلو في جميع عمرك من أحديهما إما البلية وإما النعمة فأعط كل حالة حظها وحقها من الصبر والشكر على ما بينت لك، فلا تشكون في حالة البلية إلى أحد من خلق الله، ولا تظهرن الضجر لأحد ولا تتهمن ربك في باطنك. ولا تشكن في حكمته واختر الأصلح لك في دنياك، وآخرتك، فلا تذهبن بهمتك إلى أحد من خلقه في معافاتك فذاك إشراك منك به عز وجل، لا يملك معه عز وجل في ملكه أحد شيئاً لا ضار ولا نافع ولا دافع، ولا جالب ولا مسقم، ولا مبلي، ولا معاف ولا مبرئ غيره عز وجل، فلا تشتغل بالخلق لا في الظاهر ولا في الباطن، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، بل ألزم الصبر والرضا والموافقة والفناء في فعله عز وجل، فإن حرمت ذلك كله فعليك بالاستغاثة إليه عز وجل، والتضرع من شؤم النفس، ونزاهة الحق عز وجل والاعتراف له بالتوحيد بالنعيم، والتبرى من الشرك، وطلب الصبر والرضا والموافقة، إلى حين يبلغ الكتاب أجله، فتزول البلية وتنكشف الكربة، وتأتى النعمة والسعة والفرحة والسرور، كما كان في حق نبي الله أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأشرف السلام، كما يذهب سواد الليل ويأتي بياض النهار، ويذهب برد الشتاء ويأتي نسيم الصيف وطيبه لأنه لكل شئ ضداً وخلافاً وغاية وبدءاً ومنتهى، فالصبر مفتاحه وابتداؤه وانتهاؤه وجماله كما جاء في الخبر (الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد) وفى لفظ (الصبر الإيمان كله) وقد يكون

الشكر هو التلبس بالنعم وهى أقسامه المقسومة لك، فشكر التلبس بها في حال فنائك، وزوال الهوى والحمية والحفظ، وهذه حالة الأبدال وهى المنتهى، اعتبر ما ذكرت لك ترشد إن شاء الله تعالى.

المقالة الستون

في البداية و النهاية

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : البداية : هي الخروج من المعهود إلى المشروع ثم المقدور، ثم الرجوع للمعهود. ويشترط حفظ الحدود، فتخرج من معهودك من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمسكون والطبع والعادة إلى أمر الشرع ونهيه، فتتبع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه و سلم كما قال الله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}.الحشر7. وقال تعالى : {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ}.آل عمران31. فتفنى عن هواك ونفسك ورعونتها في ظاهرك وباطنك فلا يكون في باطنك غير توحيدك له وفى ظاهرك غير طاعة الله وعبادته مما أمر ونهى، فيكون هذا دأبك وشعارك ودثارك في حركتك وسكونك، في ليلك ونهارك، وسفرك وحضرتك، وشدتك ورخائك، وصحتك وسقمك، وأحوالك كلها، ثم تحمل إلى وادي القدر فيتصرف فيك القدر، فتفنى عن جدك واجتهادك وحولك وقوتك، فتساق إليك الأقسام التي جف بها القلم وسبق بها العلم، فتلبس بها وتعطى منها الحفظ والسلامة فتحفظ فيها الحدود ويحصل فيها الموافقة لفعل المولى، ولا تتخرق قاعدة الشرع على الزندقة وإباحة المحرم قال تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.الحجر9. وقال تعالى : {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}.يوسف24. فتصحب الحفظ والحمية وإنما هي أقساماً معدة لك، فحبسها عنك في حال سيرك وطريقك وسلوكك فيافي الطبع ومفاوز الهوى المعهود، لأنها أثقال أحمال ما زيحت عنك، لئلا يثقلك فتضعفك إلى حين

الوصول إلى عتبة الفناء، وهو الوصول إلى قرب الحق عز وجل والمعرفة به، والاختصاص بالأسرار والعلوم الدينية، والدخول في بحار الأنوار، حيث لا تضر ظلمة الطبائع والأنوار، فالطبع باق إلى أن تفارق الروح الجسد لاستيفاء الأقسام، إذ لو زال الطبع من الآدمي لالتحق بالملائكة وبطلت الحكمة، فبقى الطبع يستوفى الأقسام والحظوظ، فيكون ذلك وظائفاً لا أصلياً كما قال النبي صلى الله عليه و سلم: (حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة) فلما فني النبي صلى الله عليه و سلم عن الدنيا وما فيها ردت إليه أقسامه المحبوسة عنه في حال سيره إلى ربه عز وجل ، فاستوفاها موافقة لربه تعالى والرضا بفعله ممتثلاً لأمره، قدست أسمائه وعمت رحمته، شمل فضله لأوليائه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فهكذا الولي في هذا الباب ترد إليه أقسامه وحظوظه مع حفظ الحدود، فهو الرجوع من النهاية إلى البداية، والله أعلم.

المقالة الحادية والستون

في التوقف عند كل شئ حتى يتبين له إباحة فعله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : كل مؤمن مكلف بالتوقف و التفتيش عند حضور الأقسام عن التناول و الأخذ، حتى يشهد له الحكم بالإجابة، و العلم بالقسمة، و المؤمن فتاش و المنافق لقاف. و قال صلى الله عليه و سلم (المؤمن وقاف) و قال صلى الله عليه و سلم : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) فالمؤمن يقف عند كل قسم من مأكول و مشروب و ملبوس و منكوح و سائر الأشياء التي تفتح له فلا يأخذ حتى يحكم له بجواز الأخذ و التناول كحكمه إذا كان في حالة التقوى. أو حتى يحكم له بذلك الأمر إذا كان في حالة الولاية. أو حتى يحكم العلم في حالة البدلية و الغوثية، و الفعل الذي هو القدر المحض و هي حالة الفناء، ثم تأتيه حالة أخرى تتناول كل ما يأتيه و يفتح له ما لم يعترض عليه الحكم والأمر والعلم، فإذا اعترض أحد هذه الأشياء امتنع من التناول، فهي ضد الأولى.

ففي الأولى الغالب عليه التوقف و التثبت. و في الثانية الغالب عليه التناول و الأخذ و التلبس بالفتوح. ثم تأتى الحالة الثالثة.

فالتناول المحض و التلبس بما يفتح من النعم من غير اعتراض أحد الأشياء الثلاثة و هي حقيقة الفناء، فيكون المؤمن فيها محفوظاً من الآفات وخرق حدود الشرع مصاناً مصروفاً عنه الأسواء، كما قال الله تعالى : {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

الْمُخْلَصِينَ}.يوسف24. فيصير العبد مع الحفظ عن خرق الحدود كالمقرض إليه المأذون له و المطلق له في الإباحات الميسر له الخير، ما يأتيه قسمه المصفى له من الآفات و التبعات في الدنيا و الآخرة، و الموافق لإرادة الحق و رضاه و فعله و لا حالة فوقها و هي الغاية، و هي السادة الأولياء الكبار الخلص أصحاب الأسرار، الذين أشرفوا على عتبة أحوال الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

المقالة الثانية والستون

في المحبة و المحبوب و ما يجب في حقهما

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما أكثر ما يقول المؤمن قرب فلان و بعدت، وأعطى فلان و حرمت، وأغنى فلان و أفقرت و وفى فلان و أسقمت، و عظم فلان و حقرت، و حمد فلان و ذممت، و صدق فلان و كذبت. أما يعلم أنه الواحد. وأن الواحد يحب الوحدانية في المحبة، و يحب الواحد في محبته.

إذا قربك بطريق غيره نقصت محبتك له عز و جل و شعبت فربما دخلك الميل إلى من ظهرت المواصلة و النعمة على يديه، فتنقص محبة الله في قلبك، و هو عز و جل غيور لا يحب شريكه فكف أيدي الغير عنك بالمواصلة و لسانه عن حمدك و ثنائك و رجليه عن السعي إليك كيلا تشتغل به عنه، أما سمعت قول النبي صلى الله عليه و سلم : (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها) فهو عز و جل يكف الخلق عن الإحسان إليك من كل وجه و سبب حتى توحده و تحبه، و تصير له من كل وجه بظاهرك و باطنك في حركاتك و سكناتك، فلا ترى الخير إلا منه و لا الشر إلا منه عز و جل ، و تفنى عن الخلق و عن النفس، و عن الهوى و الإرادة و المنى، و عن جميع ما سوى المولى، ثم يطلق الأيدي إليك بالبسط و البذل و العطاء، و الألسن

بالحمد و الثناء فيدلك ابداً في الدنيا ثم في العقبى، فلا تسئ الأدب، انظر إلى من ينظر إليك، و اقبل على من أقبل إليك، و أحب من يحبك و استجب من يدعوك و أعط يدك من يثبتك من سقطك و يخرجك من ظلمات جهلك، و ينجيك من هلكك و يغسلك من نجاسك، و ينظفك من أوسخاك، و يخلصك من جيفك و نتنك، و من أوهامك الردية، و من نفسك الأمارة بالسوء و أقرانك الضلال المضلين شياطنيك، و أخلائك الجهال قطاع طريق الحق الحائلين بينك و بين كل نفيس و ثمين و عزيز.

إلى متى المعاد، إلى متى الحق، إلى متى الهوى، إلى متى الرعونة، إلى متى الدنيا، إلى متى الآخرة، إلى متى سوى المولى؟ أين أنت من خالقك و الأشياء، و المكون الأول الآخر الظاهر الباطن، و المرجع و المصدر إليه، و له القلوب و طمأنينة الأرواح و محط الأثقال و العطاء و الامتنان، عز شأنه.

المقالة الثالثة والستون

في نوع من المعرفة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : رأيت في المنام كأني أقول يا مشرك بربه في باطنه بنفسه و في ظاهره بخلقه و في عمله بإرادته، فقال رجل إلى جنبي ما هذا الكلام، فقلت هذا نوع من أنواع المعرفة.

المقالة الرابعة والستون

في الموت الذي لا حياة فيه و الحياة التي لا موت فيها

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ضاق أبى الأمر يوماً فتحرك في النفس، فقيل لي : ماذا تريد؟؟ فقلت: أريد موتاً لا حياة فيه و حياة لا موت فيها؟؟ فقيل لي: ما الموت الذي لا حياة فيه و ما الحياة التي لا موت فيها؟؟ قلت:

الموت الذي لا حياة فيه موتى عن جنسي من الخلق فلا أراهم في الضر و النفع، و موتى عن نفسي و هوائي و إرادتي و منائى في الدنيا و الأخرى فلا أحس في جميع ذلك و لا أجد.

و أما الحياة التي لا موت فيها: فحياتي بفعل ربى عزّ و جلّ بلا وجودي فيه، و الموت في ذلك وجودي معه عزّ و جلّ، فكانت هذه الإرادة أنفس إرادة أردتها منذ عقلت.

المقالة الخامسة والستون

في النهي عن التسخط على الله في تأخير إجابة الدعاء

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما هذا التسخط على ربك عزَّ و جلّ من تأخير إجابة الدعاء؟؟ تقول حرم على السؤال للخلق و أوجب على السؤال و أنا أدعوه و هو لا يجبيبنى فيقال لك أحر أنت أم عبد فإن قلت أنا حر فأنت كافر وغن قلت أنا عبد لله، فيقال لك أمتهم أنت لوليك في تأخير إجابة دعائك و شاك في حكمته و رحمته بك و بجميع خلقه وعلمه بأحوالهم أو غير متهم له عزَّ و جلّ ؟؟ فإن كنت غير متهم له و مقر بحكمته و إرادته و مصلحته لك و تأخير ذلك فعليك بالشكر له عزَّ و جلّ، لأنه اختار لك الأصلح و النعمة و دفع الفساد، و إن كنت متهماً له في ذلك فأنت كافر بتهمتك له، لأنك بذلك نسبت له الظلم و هو ليس بظلام للعبيد، لا يقبل الظلم و يستحيل عليه أن يظلم إذ هو مالكك و مالك كل شئ فلا يطلق عليه اسم الظالم، و إنما الظالم من يتصرف في ملك غيره بغير إذنه فانسد عليك سبيل التسخط عليه في فعله فيك بما يخالف طبعك و شهوة نفسك و إن كان في الظاهر مفسدة لك.

فعليك بالشكر و الصبر و الموافقة، و ترك السخط و التهمة و القيام مع رعونة النفس و هواها الذي يضل عن سبيل الله.

وعليك بدوام الدعاء و صدق الالتجاء، و حسن الظن بربك عزَّ و جلّ، و انتظار الفرج منه، و التصديق بوعده، و الحياء منه، و الموافقة لأمره، و حفظ توحيده و المسارعة إلى أداء أوامره، و التماوت عن نزول قدره بك و بفعله فيك، و إن كان لابد أن تتهم و تسئ الظن فنفسك الأمارة بالسوء العاصية لربها عزَّ و جلَّ أولى بهما، و نسبتك الظلم إليها أحرى من مولاك. فاحذر موافقتها و موالاتها، و الرضى بفعلها و كلامها في الأحوال كلها، لأنها عدوة الله و

عدوتك، و موالية لعدو الله و عدوك الشيطان الرجيم، هي خليلته و جاسوسته و مصافيته، الله الله ثم الله، الحذر الحذر النجا النجا، أتهمها و أنسب الظلم إليها و اقرأ عليها قوله عزَّ و جلّ : {مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ}.النساء147. وقوله عزَّ و جلّ : {إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.يونس44. و غيرها من الآيات و الأخبار.

كن مخاصماً لله على نفسك مجادلاً لها عنه عزَّ و جلّ، و محارباً و سيافاً و صاحب جنده و عسكره، فإنها أعدى عدو الله عزَّ و جلّ، قال الله تعالى : " يا داود أهجر هواك فإنه لا منازع ينازعني في ملكي غير الهوى ".

المقالة السادسة والستون

في الأمر بالدعاء و النهى عن تركه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تقل لا أدعو الله، فإن كان ما أسأله مقسوماً فسيأتي إن سألته أو لم أسأله، و إن كان غير مقسوم فلا يعطيني بسؤال، بل اسأله عزَّ و جلَّ جميع ما تريد و تحتاج إليه من خير الدنيا و الآخرة ما لم يكن فيه محرم و مفسدة لأن الله تعالى أمر بالسؤال له و حث عليه. قال تعالى : {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}.غافر60. و قال عزَّ و جلَّ : {وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}{ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ}.النساء32. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اسألوا الله و أنتم موقنون بالإجابة) و قال صلى الله عليه وسلم : (اسألوا الله ببطون أكفكم) و غير ذلك من الأخبار. و لا تقل إني أسأله فلا يعطيني فإذا لا أسأله، بل دم على دعائه، فإن كان ذلك مقسوماً ساقه إليك بعد أن تسأله، فيزيد ذلك إيماناً و يقيناً و توحيداً و ترك سؤال الخلق و الرجوع إليه في جميع أحوالك و إنزال حوائجك به عزَّ و جلَّ ، و إن لم يكن مقسوماً لك أعطاك الغناء عنه و الرضا عنه عزَّ و جلَّ بالقصص. فإن كان فقراً أو مرضاً أرضاك

بهما و إن كان ديناً قلب الدائن من سوء المطالبة إلى الرفق و التأخير و التسهيل إلى حين ميسرتك أو إسقاطه عنك أو نقصه، فإن لم يسقط و لم يترك منه في الدنيا أعطاك عزَّ و جلَّ ثواباً جزيلاً ما لم يعطك بسؤالك في الدنيا، لأنه كريم غنى رحيم، فلا يخيب سائله في الدنيا و الآخرة فلابد من فائدة، و نائلة إما عاجلاً و إما آجلاً فقد جاء في الحديث: (المؤمن يرى في صحيفته يوم القيامة حسنات لم يعملها و لم يدر بها فيقال له أتعرفها ؟ فيقول ما أعرفها من أين لي هذه ؟ فيقال له إنها بدل مسألتك التي سألتها في دار الدنيا) و ذلك أنه بسؤال الله عزَّ و جلَّ يكون ذاكراً الله و موحداً و واضع الشئ في موضعه، و معطي الحق أهله، و متبرئاً من حوله و قوته، و تاركاً للتكبر و التعظيم و الأنفة، و جميع ذلك أعمال صالحة ثوابها عند الله عزَّ و جلَّ.

المقالة السابعة والستون

في جهاد النفس و تفصيل كيفيته

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : كلما جاهدت نفسك و غلبتها و قتلتها بسيف المخالفة أحياها الله، و نازعتك و طلبت منك الشهوات و اللذات الجناح منها و المباح، لتعود إلى المجاهدة ليكتب لك ثواباً دائماً، و هو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) أراد مجاهدة النفس لدوامها و استمرارها على الشهوات و اللذات، و إنهماكها في المعاصي، و هو معنى قوله عزَّ و جلَّ : {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}.الحجر99. أمر الله عزَّ و جلَّ لنبيه صلى الله عليه وسلم بالعبادة و هي مخالفة النفس، لأن العبادة كلها تأباها النفس و تريد ضدها إلى أن يأتيه اليقين يعنى الموت.

فإن قيل : كيف تأبى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم العبادة و هو عليه والصلاة و السلام لا هوى له {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}.النجم3–4. فيقال أنه عزَّ و

جلَّ خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ليتقرر به الشرع فيكون عاماً بين أمته إلى أن تقوم الساعة. ثم إن الله عزَّ و جلَّ أعطى نبيه عليه الصلاة و السلام القوة على النفس و الهوى، كيلا يضراه و يحوجاه إلى المجاهدة، بخلاف أمته، فإذا دام المؤمن على هذه المجاهدة إلى أن يأتيه الموت و يلحق بربه عزَّ و جلَّ بسيف مسلول ملطخ بدم النفس و الهوى أعطاه ما ضمن له من الجنة، لقوله عزَّ و جلَّ : {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}.النتزعات40–41. فإذا أدخله الجنة و جعلها داره و مقره و مصيره، أمن من التحويل عنها و الانتقال إلى غيرها و العودة إلى دار الدنيا جدد له كل يوم و كل ساعة من أنواع النعيم و تغير عليه أنواع الحال و الحلى إلى ما لا نهاية و لا غاية و لا نفاد، كما جدد في الدنيا كل يوم و كل ساعة و لحظة مجاهدة النفس و الهوى.

و أما الكافر و المنافق و العاصي لما تركوا مجاهدة النفس و الهوى في الدنيا و تابعوها، و وافقوا الشيطان تمرجوا في أنواع المعاصي من الكفر و الشرك و ما دونهما حتى أتاهم الموت من غير الإسلام و التوبة، أدخلهم الله النار التي أعدت للكافرين في قوله عزَّ و جلَّ : {وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}.آل عمران131. فإذا أدخلهم فيها و جعلها مقرهم و صيرهم، فأحرقت جلودهم و لحومهم جدد لهم عزَّ و جلَّ جلوداً و لحوماً كما قال عزَّ و جلَّ : {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا}.النساء56. يفعل عزَّ و جلَّ بهم ذلك كما وافقوا أنفسهم و أهواءهم في الدنيا في معاصيه عزَّ و جلَّ ، فأهل النار تجدد لهم كل وقت جلود و لحوم لإيصال العذاب و الآلام إليهم. و سبب ذلك مجاهدة النفس و عدم موافقتها في دار الدنيا و هذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الدنيا مزرعة الآخرة).

المقالة الثامنة والستون

في قوله تعالى : (كل يوم هو في شأن)

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا أجاب الله عبداً ما سأله و أعطاه ما طلبه لم تنخرم إرادته و لا ما جف به القلم و سبق به العلم، لكنه يوافق سؤاله مراد ربه عزَّ و جلَّ في وقته، فتحصل الإجابة و قضاء الحاجة في الوقت المقدر الذي قدره له في السابقة لبلوغ القدر وقته كما قال أهل العلم قوله عزَّ و جلّ : {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}.الرحمن29. أي يسوق المقادير إلى المواقيت، يعطى الله أحداً شيئاً في الدنيا بمجرد دعائه، وكذلك لا يصرف عنه شيئاً بدعائه المجرد، و الذي ورد في الحديث (و لا يرد القضاء إلا الدعاء) قيل إن المراد به لا يرد القضاء إلا الدعاء الذي قضى أن يرد لقضائه، وكذلك لا يدخل أحد الجنة في الآخرة بعمله، بل برحمة الله عزَّ و جلَّ، لكنه يعطى العباد في الجنة الدرجات على قدر أعمالهم.

و قد ورد في حديث عائشة رضي الله عنها (أنها سألت النبي صلى الله عليه و سلم هل يدخل أحد الجنة بعمله؟ فقال لا برحمة الله، فقالت و لا أنت؟ فقال و لا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته و وضع يده على هامته) و ذلك لأن الله عزَّ و جلَّ لا يجب عليه لأحد حق و لا يلزمه الوفاء بالعهد، بل يفعل ما يريد يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء، و يرحم من يشاء، فعال لما يريد و لا يسال عما يفعل و هم يسئلون، يرزق من يشاء بغير حساب بفضل رحمته و منته، و يمنع من شاء بعدله، وكيف لا يكون كذلك و الخلق من لدن العرش إلى الثرى التي هي الأرض السابعة السفلى ملكه و صنعه، لا مالك لهم غيره و لا صانع لهم غيره، قال عزَّ و جلَّ : {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ}.فاطر3. و قال تعالى : {أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ}.النمل60–61–62–63–64. و قال تعالى : {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً}.مريم65. و قال تعالى : قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}.آل عمران26–27.

المقالة التاسعة والستون

في الأمر بطلب المغفرة و العصمة
و التوفيق و الرضا و الصبر من الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تطلبنّ من الله شيئاً سوى المغفرة للذنوب السابقة و العصمة منها في الأيام الآتية اللاحقة، و التوفيق لحُسن الطاعة، و امتثال الأمر و الرضا بمر القضاء، و الصبر على شدائد البلاء، و الشكر على جزيل النعماء و العطاء، ثم الوفاة بخاتمة الخير، و اللحوق بالأنبياء و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً و لا تطلب منه الدنيا و لا كشف الفقر و البلاء إلى الغناء و العافية، بل الرضا بما قسم و دبر، و اسأله الحفظ الدائم على ما أقامك فيه و أحلك و ابتلاك، إلى أن ينقلك منه إلى غيره و ضده، لأنك لا تعلم الخير في أيهما، في الفقر أو في الغناء، في البلاء أو في العافية، طوى عنك علم الأشياء و تفرد هو عزّ و جلّ بمصالحها و مفاسدها.

فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا أبالى على أي حال أصبح، على ما أكره أو على ما أحب، لأني لا أدرى الخير في أيهما. قال ذلك لحسن رضاه بتدبير الله عزّ و جلّ، و الطمأنينة على اختياره و قضائه. قال الله تعالى : {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.البقرة216.

كن على هذا الحال إلى أن يزول هواك و تنكسر نفسك فتكون ذليلة مغلوبة تابعة ثم تزول إرادتك و أمانيك، و تخرج الأكوان من قلبك و لا يبقى في قلبك شئ سوى الله تعالى، فيمتلئ قلبك بحب الله تعالى، و تصدق إرادتك في طلبه عزّ و جلّ فيرد إليك الإرادة بأمره بطلب حظ من الحظوظ دنيوية و أخروية، فحينئذ تسأله عزّ و جلّ بذلك و تطلبه ممتثلاً لأمره، إن أعطاك شكرته و تلبست به، و إن منعك لم تتسخط عليه و لم تتغير عليه في باطنك و لا تتهمه في ذلك ببخل، لأنك لم تكن طلبته بهواك و إرادتك، لأنك فارغ القلب عن ذلك غير مريد له، بل ممتثلاً لأمره بالسؤال و السلام.

المقالة السبعون

في الشكر و الاعتراف بالتقصير

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : كيف يحسن منك العجب في أعمالك و رؤية نفسك فيها و طلب الأعواض عليها، و جميع ذلك بتوفيق الله تعالى و عونه و قوته و إرادته و فضله، و إن كان ترك معصيته فبعصمته و حفظه و حميته.

أين أنت من الشكر على ذلك و الاعتراف بهذه النعم التي أولاكها، ما هذه الرعونة و الجهل، تعجب بشجاعة غيرك و سخائه و بذل ماله إذا لم تكن قاتلاً بعودك إلا بعد معاونة شجاع ضرب في عدوك ثم تمنيت قتله، لولاه كنت مصروعاً مكانه و بدله، و لا باذلاً لبعض مالك إلا بعد ضمان صادق كريم أمين ضمن لك عوضه و خلفه، لولا قوله و طمعك فيما وعد لك و ضمن لك ما بذلت حبة منه، كيف تعجبك بمجرد فعلك.

أحسن حالك الشكر و الثناء على المعين و الحمد لله الدائم و إضافة ذلك إليه في الأحوال كلها إلا الشر و المعاصي و اللوم، فإنك تضيفها إلى نفسك و تنسبها إلى الظلم و سوء الأدب و تتهمها به، فهي أحق بذلك لأنها مأوى لكل شر و أمارة بكل سوء و داهية وإن كان هو عزّ و جلّ خالقك و خالق أفعالك مع كسبك، أنت الكاسب و هو الخالق كما قال بعض العلماء بالله عزّ و جلّ : تجئ و لا بد منك، و قوله صلى الله عليه و سلم : (اعملوا و قاربوا و سددوا فكل ميسر لما خلق له).

المقالة الحادية السبعون

في الـمـريـد والـمـراد

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا يخلو إما أن تكون مريداً أو مراداً.

فإن كنت مريداً فأنت محمل و حمال يحمل كل شديد و ثقيل، لأنك طالب و الطالب مشقوق عليه حتى يصل إلى مطلوبه و يظفر بمحبوبه و يدرك مرامه، و لا ينبغي لك أن تنفر من بلاء ينزل بك في النفس و المال و الأهل و الولد، إلى أن يحط عنك الأعمال، و يزال عنك الأثقال، و يرفع عنك الآلام و يزال عنك الأذى و الإذلال، فتصان عن جميع الرذائل و الأدران و الأوساخ و المهانات و الافتقار إلى الخليقة و البريات، فتدخل في زمرة المحبوبين المدللين المرادين.

و إن كنت مراداً فلا تتهمن الحق عزّ و جلّ في إنزال البلية بك أيضاً، و لا تشكن في منزلتك و قدرك عنده عزّ و جلّ، لأنه قد يبتليك ليبلغك مبلغ الرجل، و يرفع منزلتك إلى منازل الأولياء.

أتحب ما يحط منزلتك عن منازلهم و درجاتك عن درجاتهم و أن تكون خلعتك و أنوارك و نعيمك دون ما لهم، فإن رضيت أنت بالدون فالحق عزّ و جلّ لا يرضى لك بذلك . قال تعالى : {وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.البقرة216+232.آل عمران66.النور19. يختار لك الأعلى و الأسنى و الأرفع و الأصلح و أنت تأبى.

فإن قلت: كيف يصلح ابتلاء المراد مع هذا النعيم و البيان مع أن الابتلاء إنما هو للمحب، و المدلل إنما هو المحبوب.

يقال لك ذكرنا الأغلب أولاً و سمرنا بالنادر الممكن ثانياً.

لا خلاف أن النبي صلى الله عليه و سلم كان سيد المحبوبين أشد الناس بلاء، و قد قال صلى الله عليه و سلم (لقد خفت في الله ما لا يخافه أحد، و لقد أوذيت في الله لم يؤذه أحد، و لقد أتى علي ثلاثون يوماً و ليلة و ما لنا طعام إلا شيء يواريه إبط بلال) و قد قال صلى الله عليه و سلم (إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) و قد قال صلى الله عليه و سلم (أنا أعرفكم بالله و أشدكم منه خوفاً) فكيف يبتلى المحبوب و يخوف المدلل المراد و لم يكن ذلك إلا بما أشرنا إليه من بلوغ المنازل العالية في الجنة لأن المنازل في الجنة لا تشيد و لا ترفع بالأعمال في الدنيا.

الدنيا مزرعة الآخرة، و أعمال الأنبياء و الأولياء بعد أداء الأوامر و انتهاء النواهي و الصبر و الرضا و الموافقة في حالة البلاء يكشف عنهم البلاء و يواصلون بالنعيم و الفضل و الدلال و اللقاء أبد الآباد، و الله أعلم.

المقالة الثانية والسبعون

في من إذا دخل الأسواق و مال إلى ما فيها
و من إذا دخلها و صبر

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الذين يدخلون الأسواق من أهل الدين و النسك في خروجهم إلى أداء ما أمر الله تعالى من صلاة الجمعة و الجماعة و قضاء حوائج تسنح لهم على أضرب :

منهم من إذا دخل السوق و رأى فيه من أنواع الشهوات و اللذات تقيد بهما و علقت بقلبه فتن، و كان ذلك سبب هلاكه و تركه دينه و نسكه و رجوعه إلى موافقة طبعه و إتباع هواه إلا أن يتداركه عزّ و جلّ برحمته و عصمته و إصباره إياه عنها فتسلم.

و منهم من إذا رأى ذلك كاد أن يهلك بها رجع إلى عقله و دينه و تصبر و تجرع مرارة تركها، فهو كالمجاهد ينصره الله تعالى على نفسه و طبعه و هواه، و يكتب له الثواب الجزيل في الآخرة. كما جاء في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : (يكتب للمؤمنين بترك شهوة عند العجز عنها أو عند المقدرة سبعون حسنة) أو كما قال.

و منهم من يتناولها و يتلبس بها و يحصلها بفضل نعمة الله عزّ و جلّ التي عنده من سعة الدنيا و المال، و يشكر الله عزّ و جلّ عليها.

و منهم من لا يراها و لا يشعر بها، فهو أعمى عن ما سوى الله عزّ و جلّ، فلا يرى غيره، و أصم عما سواه فلا يسمع من غيره، عنده شغل عن النظر إلى غير محبوبه و اشتهائه، فهو في معزل عما العالم فيه فإذا رايته و قد دخل السوق فسألته عما رأى في السوق يقول ما رأيت شيئاً. نعم قد رأى الأشياء لكن قدر رآها ببصر رأسه لا ببصر قلبه، و نظرة فجاءت لا نظرة شهوة، نظر صورة لا نظر معنى، نظر الظاهر لا نظر الباطن، فبظاهره ينظر إلى ما في السوق و بقلبه ينظر إلى ربه عزّ و جلّ، إلى جلاله تارة و إلى جماله تارة أخرى.

و منهم من إذا دخل السوق امتلأ قلبه بالله عزّ و جلّ رحمة لهم، فتشغله الرحمة لهم عن النظر إلى ما لهم و بين أيديهم فهو في حين دخوله إلى حين خروجه في الدعاء و الاستغفار و الشفاعة لأهله و الشفقة و الرحمة عليهم و لهم، و عينه مغرورقة و لسانه في ثناء و حمد لله عزّ و جلّ بما أولى الكافة من نعمه و فضله فهذا يسمى شحنة البلاد و العباد، و إن شئت سميته عارفاً و بدلاً و زاهداً و عالماً غيباً و بدلاً محبوباً مراداً و نائباً في الأرض على عباده، و سفيراً و

جهبذاً و نفاذا و هادياً و مهدياً و دالاً و مرشداً فهذا هو الكبريت الأحمر و بيضة العقعق، رضوان الله عليه و على كل مؤمن مريد لله وصل إلى انتهاء المقام، و الله الهادي.

المقالة الثالثة والسبعون

في قسم من الأولياء قد يطلعه الله على عيوب غيرهم

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : قد يُطلع الله تعالى وليه على عيوب غيره و كذبه و دعوته و شركه في أفعاله و أقواله و إضماره و نيته، فيغار ولى الله لربه و لرسوله و دينه فيشتد غضب باطنه ثم ظاهره حاضراً و غائباً، كيف يدعى السلامة مع العلل و الأوجاع الباطنة والظاهرة؟؟ و كيف يدعى التوحيد مع الشرك، و الشرك كفر و بعد عن قرب الله و هو صفة العدو و الشيطان اللعين، و المنافقين المقطوع لهم بالدرك الأسفل من النار و الخلود فيها فيجرى على لسان الولي ذكر عيوبه و أفعاله الخبيثة و وقاحته بعريض دعاويه أحوال الصديقين و مزاحمته للفانين في قدر الله و فعله،و المراد من على وجه الغيرة لله عزّ و جلّ، مرة على وجه الإنكار له و الموعظة له أخرى، و على وجه الغلبة بفعل الله عزّ و جلّ و إرادته و شدة غضبه على الكذب أخرى فيضاف إلى الله عزّ و جلّ غيبة، فيقال أيغتاب الولي و هو يمنع منها أو يذكر الغائب و الحاضر بما يظهر عند الخواص و العوام؟؟ فيصير ذلك الإنكار في حقهم كما قال الله عزّ و جلّ : {وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}.البقرة219. في الظاهر إنكار المنكر و في الباطن إسخاط الربّ و الاعتراض عليه فيصير حاله الخيرة، فيكون فرضه فيها السكوت و التسليم و طلب المساعي لذلك في الشرع، و الجواز لا الاعتراض على الربّ و الولي يطعنان لافترائه و كذبه، و قد يكون ذلك سبباً لإقلاعه و توبته و رجوعه عن جهله و حيرته، فيكون كرهاً للولي نفعاً للمغرور الهالك بغروره و رعونته. {وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}.البقرة213.النور46.

المقالة الرابعة والسبعون

فيما ينبغي للعاقل أن يستدل به
على وحدانية الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أول ما ينظر العاقل في صفة نفسه و تركيبه ثم في جميع المخلوقات و المبدعات فيستدل بذلك على خالقها و بمدعها، لأن فيه دلالة على الصانع و في القدرة المحكمة آية على الحكيم، فإن الأشياء كلها موجودة به.

و في معناه ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى : {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ}.الجاثية13. فقال في كل شئ اسم من أسمائه و اسم كل شئ من اسمه، فإنما أنت بين أسمائه و صفاته و أفعاله، باطن بقدرته و ظاهر بحكمته، ظهر بصفاته و بطن بذاته حجب الذات بالصفات و حجب الصفات بالأفعال، و كشف العلم بالإرادة و أظهر الإرادة بالحركات، و أخفى الصنع و الصنيعة و أظهر الصنعة بالإرادة، فهو باطن في غيبه و ظاهر في حكمته و قدرته {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.الشورى11.

و لقد أظهر في هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح، أمره برفع يد العصمة اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل، أنالنا الله تعالى بركاتهم و حشرنا في زمرتهم و حرمتهم آمين.

المقالة الخامسة والسبعون

في التصوف و على أي شئ مبناه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أوصيك بتقوى الله و طاعته، و لزوم ظاهر الشرع و سلامة الصدر، و سخاء النفس، و بشاشة الوجه، و بدل الندى، و كف الأذى، و تحمل الأذى و الفقر، و حفظ حرمات المشايخ و العشرة مع الإخوان، و النصيحة للأصاغر و الأكابر، و ترك الخصومة، و الإرفاق، و ملازمة الإيثار و مجانبة الادخار، و ترك صحبة من ليس من طبقتهم، و المعاونة في أمر الدين و الدنيا.

و حقيقة الفقر أن لا تفتقر على من هو مثلك و حقيقة الغنى أن تستغني عمن هو مثلك.

و التصوف ليس أخذ عن القيل و القال و لكن أخذ عن الجوع و قطع المألوفات و المستحسنات، و لا تبدءا الفقير بالعلم و إبدائه بالرفق، فإن العلم يوحشه و الرفق يؤنسه.

و التصوف مبني على ثمان خصال :

السخاء لسيدنا لإبراهيم عليه السلام
الرضا لسيدنا لإسحاق عليه السلام
الصبر لسيدنا لأيوب عليه السلام
الإشارة لسيدنا لزكريا عليه السلام

الغربة لسيدنا ليحيى عليه السلام
التصوف لسيدنا لموسى عليه السلام
السياحة لسيدنا لعيسى عليه السلام
الفقر لسيدنا لسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم

و على إخوانه من النبيين و المرسلين و آل كل و صحب كل و سلم أجمعين

المقالة السادسة والسبعون

في الـوصـيـة

قـال رضـي الله تعالـى عنـه و أرضـاه : أوصيـك أن تصحب الأغنيـاء بـالتعزز، و الفقـراء بالتذلل، و عليك بالتذلل و الإخلاص، و هو دوام رؤية الخالق، و لا تتهم الله في الأسباب و استكن إليه في جميع الأحوال، و لا تضع حق أخيك اتكالاً على ما بينك و بينه من المودة.

و عليـك بصحبـة الفقـراء بالتواضـع و حُسـن الأدب و السـخاء، و أمـت نفسـك حتـى تحيى، و أقرب الخلق من الله تعالى أوسعهم خلقاً، و أفضل الأعمال : رعاية السر عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى.

و الصولـة بالحق و الصبـر، و حسبك من الدنيا شيئان : صحبة فقير و خدمة ولي، و الفقير هو الذي لا يستغني بشئ دون الله تعالى.

و الصولة على من هو دونك ضعف، و على من هو فوقك فخر، و على من هو مثلك سوء خلق.

و الفقر و التصوف جدان فلا تخلطهما بشئ من الهزل، وفقنا الله و إياكم و المسلمين آمين.

يا ولـي عليك بذكر الله في كل حال فإنه للخير جامع. و عليك بالاعتصام بحبل الله فإنه للمضار دافع. و عليك بالتأهب لتلقى موارد القضاء فإنه واقع.

و أعلم أنك مسئول عن حركاتك و سكناتك، فاشتغل بما هو أولى في الوقت و إياك و فضول تصرفات الجوارح.

و عليك بطاعة الله و رسوله و من والاه و أد إليه حقه و لا تطالبه بما يجب عليه، و ادع في كل حال.

و عليك بحسن الظن في المسلمين و إصلاح النية لهم، و تسعى بينهم في كل خير، و أن لا تبيت و لأحد في قلبك شر و لا شحناء و لا بغض، و أن تدعو لمن ظلمك، و راقب الله عزَّ و جلَّ.

و عليك بأكل الحلال، و السؤال لأهل العلم بالله فيما لا تعلم، و عليك بالحياء من الله سبحانه و تعالى.

و أجعل صحبتك مع من الله معه و أصحب من سوى الله بصحبته، و تصدق في كل صباح بقرصك و إذا أمسيت فصل صلاة الجنازة على كل من مات من المسلمين في ذلك اليوم و إذا صليت المغرب فصلاة الاستخارة و تقول بكرة و عشياً سبع مرات (اللهمَّ أجرنا من النار) و حافظ على قول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}.الحشر22. إلى آخر سورة الحشر، و الله الموفق و المعين، إذ لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

المقالة السابعة والسبعون

في الوقوف مع الله و الفناء عن الخلق

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : كن مع الله عزّ وجلّ كأن لا خلق، ومع الخلق كأن لا نفس، فإذا كنت مع الله عزّ وجلّ بلا خلق وجدت، وعن الكل فنيت. وإذا كنت مع الخلق بلا نفس عدلت وبقيت ومن التبعات سلمت، وأترك الكل على باب خلوتك، وأدخل وحدك تر مؤنسك في خلوتك بعين سرّك، وتشاهد ما وراء العيان، وتزول النفس ويأتي مكانها أمر الله وقربه، فإذن جهلك علم، وبعدك قرب، وصمتك ذكر، ووحشتك أنس.

يا هذا : ما ثم إلا خلق وخالق، فإذا اخترت الخالق فقل لهم : {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}.الشعراء77.

ثم قال رضي الله عنه و أرضاه : من ذاق عرف، فقيل له : من غلبت عليه مرارة صفرته كيف يجد حلاوة الذوق؟؟ فقال : يتعمل في الشهوات من قبله بقصد وتكلف.

يا هذا : المؤمن إذا عمل صالحاً انقلبت نفسه قلباً وأدرك مدركات القلب، ثم انقلب قلبه سراً ثم انقلب الفناء فصار وجوداً وبقاء.

ثم قال رضي الله عنه و أرضاه : الأحباب يسعهم كل باب.

يا هذا : الفناء إعدام الخلائق، وانقلاب طبعك عن طبع الملائكة، ثم الفناء عن طبع الملائكة، ثم لحوقك بالمنهاج الأول، وحينئذ يسقيك ربّك ما يسقيك، ويزرع فيك ما يزرع.

إن أردت هذا فعليك بالإسلام ثم الاستسلام، ثم العلم بالله ثم المعرفة ثم الوجود. وإذا كان وجودك له كان كلك له.

الزهد عمل ساعة ، و الورع عمل ساعتين ، و المعرفة عمل الأبد.

المقالة الثامنة والسبعون

في أهل المجاهدة و المحاسبة و أولى العزم و بيان خصالهم

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لأهل المجاهدة و المحاسبة و أولى العزم عشر خصال جربوها، فإذا أقاموها و أحكموها بإذن الله تعال وصلوا إلى المنازل الشريفة :

(الأولى) أن لا يحلف بالله عزّ و جلّ صادقاً و لا كاذباً عامداً و لا ساهياً، لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه و عود لسانه رفعه ذلك إلى ترك الحلف ساهياً و عامداً، فإذا اعتاد ذلك فتح الله له باب من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه، و رفعه في درجة و قوة في عزمه و في صبره و الثناء عند الإخوان، و الكرامة عند الجيران حتى يهتم به من يعرفه و يهابه من يراه.

(الثانية) يجتنب الكذب لا هازلاً و لا جاداً، لأنه إذا فعل ذلك و أحكمه من نفسه و اعتاده لسانه شرح الله تعالى به صدره و صفا به علمه، كأنه لا يعرف الكذب، و إذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه و عيره به في نفسه، و إن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب.

(الثالثة) أن يحذر أن يعد أحداً شيئاً فيخلفه، و يقطع العدة البتة فإنه أقوى لأمره و أقصد بطريقه، لأن الخلف من الكذب فإذا فعل ذلك فتح له باب السخاء و درجة الحياء و أعطى مودة في الصادقين و رفعة عند الله جل ثناؤه.

(الرابعة) أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق، أو يؤذى ذرة فما فوقها، لأنها من أخلاق الأبرار و الصديقين، و له عاقبة حسنة في حفظ الله تعالى في الدنيا مع ما يدخر له من الدرجات، و يستنقذ من مصارع الهلاك، و يسلمه من الخلق، و يرزقه رحمة العباد، و يقربه منه عزّ و جلّ.

(الخامسة) أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق و إن ظلمه فلا يقطعه بلسانه، و لا يكافئه بقول و لا فعل، فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى. و إذا تأدب بها ينال منزلة شريفة في الدنيا و الآخرة، و المحبة و المودة في قلوب الخلق أجمعين من قريب و بعيد، و إجابة الدعوة و الغلوة في الخلق، و عز في الدنيا في قلوب المؤمنين.

(السادسة) أن لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك و لا كفر و لا نفاق، فإنه أقرب للرحمة، و أعلى في الدرجة و هي تمام السنة، و أبعد عن الدخول في علم الله، و أبعد من مقت الله و أقرب إلى رضاء الله تعالى و رحمته، فإنه باب شريف كريم على الله تعالى يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين.

(السابعة) أن يجتنب النظر إلى المعاصي و يكف عنها جوارحه، فإن ذلك من أسرع الأعمال ثواباً في القلب و الجوارح في عاجل الدنيا، مع ما يدخره الله له من خير الآخرة. نسأل الله أن يمن علينا أجمعين و يعلمنا بهذه الخصال، و أن يخرج شهواتنا عن قلوبنا.

(الثامنة) يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة و لا كبيرة، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما أحتاج إليه و استغنى عنه، فإن ذلك تمام عزة العابدين و شرف المتقين، و به يقوى على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و يكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة، فإذا كان كذلك نقله الله إلى الغناء و اليقين و الثقة به عزّ و جلّ، و لا يرفع أحداً

سواه، و تكون الخلق عنده في الحق سواء، و يقطع بأن هذه الأسباب عز المؤمنين و شرف المتقين، و هو أقرب باب الإخلاص.

(التاسعة) ينبغي له أن يقطع طعمه من الآدميين، و لا يطمع نفسه فيما في أديهم، فإنه العز الأكبر، و الغنى الخاص، و الملك العظيم، و الفخر الجليل، و اليقين الصافي، و التوكل الشافي الصريح و هو باب من أبواب الثقة بالله عزّ و جلّ، و هو باب من أبواب الزهد، و به ينال الورع و يكمل نسكه، و هو من علامات المنقطعين إلى الله عزّ و جلّ.

(العاشرة) التواضع لأنه به يشيد محل العابد و تعلو منزلته، و يستكمل العز و الرفعة عند الله سبحانه و عند الخلق، و يقدر على ما يريد من أمر الدنيا و الآخرة و هذه الخصلة أصل الخصال و كلها و فرعها و كمالها، و بها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين من الله تعالى في السراء و الضراء و هي كمال التقوى.

و التواضع : هو أن لا يلقى العبد أحداً من الناس إلا رأى له الفضل عليه، و يقول عسى أن يكون عند الله خيراً مني و أرفع درجة، فإن كان صغيراً قال هذا لم يعص الله تعالى و أنا قد عصيت فلا شك أنه خير مني، و إن كان كبيراً قال هذا عبد الله قبلي، و إن كان عالماً هذا أعطي ما لم أبلغ، و نال ما لم أنل، و علم ما جهلت، و هو يعمل بعلمه و إن كان جاهلاً قال هذا عصى الله بجهل و أنا عصيته بعلم، و لا أدرى بما يختم لي و بما يختم له، و إن كان كافراً قال لا أدرى عسى أن يسلم فيختم له بخير العمل، و عسى أن أكفر فيختم لي بسوء العمل، و هذا باب الشفقة و الوجل، و أولى ما يصحب و آخر ما يبقى على العباد، فإذا كان العبد كذلك سلمه الله تعالى من الغوائل، و بلغ به منازل النصيحة لله عزّ و جلّ و كان من أصفياء الرحمن و أحبائه، و كان من أعداء إبليس عدو الله لعنه الله و هو باب الرحمة ومع ذلك يكون قطع باب الكبر و جبال العجب، و رفض درجة العلو في نفسه في الدين و الدنيا و الآخرة، و هو مخ العبادة، و غاية شرف الزاهدين، و سيما الناسكين، فلا شئ منه فضل، و مع ذلك يقطع لسانه عن ذكر العالمين و ما لا يعنى، فلا يتم له عمل إلا به، و يخرج الغل و الكبر و البغي من قلبه في جميع أحواله، و كان لسانه في السر و العلانية واحداً، و مشيئته في السر و العلانية واحدة، و كلامه

كذلك، و الخلق عنده في النصيحة واحد، و لا يكون من الناصحين، و هو يذكر أحداً من خلق الله بسوء أو يعيره بفعل، أو يحب أن يذكره عنده واحدا بسوء. و هذه آفة العابدين، و عطب النساك، و هلاك الزاهدين إلا من أعانه الله تعالى و حفظ لسانه و قلبه برحمته و فضله و إحسانه.

تمت بعون الله

مقالات سيدي الغوث الأعظم قدَّس الله روحه

جمال الدين فالح الكيلاني
بغداد

تكملة في ذكر وصاياه لأولاده قدِّست أرواحهم
و بعض مقالات نافعة أوردها
و مرضه و وفاته رضي الله عنه و أرضاه

انه رضي الله تعالى عنه و أرضاه لما مرض مرضه الذي مات فيه و قال له ابنه عبد الوهاب قدس سره، أوصني يا سيدي بما أعمل به بعدك فقال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : عليك بتقوى الله عزّ و جلّ، و لا تخف أحداً سوى الله، و لا ترج أحداً سوى الله، وكل الحوائج إلى الله عزّ و جلّ، و لا تعتمد إلا عليه، و أطلبها جميعاً منه تعالى، و لا تتكل على أحد غير الله سبحانه، التوحيد التوحيد جماع الكل.

و قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا صح القلب مع الله عزّ و جلّ لا يخلو منه شئ و لا يخرج منه شئ.

و قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أنا لب بلا قشر.

و قال رضي الله تعالى عنه لأولاده : أبعدوا من حولي فإني معكم بالظاهر و مع غيركم بالباطن.

و قال رضي الله تعالى عنه : قد حضر عندي غيركم فأوسعوا لهم و تأدبوا معهم، هاهنا رحمة عظيمة، و لا تضيقوا عليهم المكان.

و كان رضي الله تعالى عنه يقول : عليكم السلام و رحمة الله و بركاته، غفر الله لي و لكم، تاب الله على و عليكم، بسم الله غير مودعين. قال ذلك يوماً و ليلة.

و قال رضي الله تعالى عنه : ويلكم أن لا أبالي بشئ، لا بملك و لا بملك الموت، منح لنا من يتولانا سواك، و صاح صيحة عظيمة و ذلك في اليوم الذي مات في عشيته رضي الله تعالى عنه.

و أخبر ولداه الشيخ عبد الرزاق و الشيخ موسى قدست أسرارهما أن حضرة الغوث رضي الله تعالى عنه كان يرفع يديه و يمدها و يقول : و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته، توبوا و أدخلوا في الصف إذا جئ إليكم.

و كان رضي الله تعالى عنه يقول : أوقفوا، ثم أتاه الحق و سكرة الموت.

و قال رضي الله تعالى عنه : بيني و بينكم و بين الخلق كلهم بعد ما بين السماء و الأرض، فلا تقيسوني بأحد و لا تقيسونا على أحد، ثم سأله ولده الشيخ عبد العزيز قدس سره عن ألمه و حاله فقال رضي الله تعالى عنه : لا يسألني أحد عن شئ، أنا أتقلب في علم الله عزّ و جلّ.

و قال رضي الله تعالى عنه و قد سأله ولده الشيخ عبد العزيز قدس سره أيضاً عن مرضه، فقال رضي الله تعالى عنه : إن مرضى لا يعلمه أحد و لا يعقله أحد إنس و لا جن و لا ملك، ما ينقص علم الله بحكم الله، الحكم يتغير و العلم لا يتغير {يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}.الرعد39. – و – {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}.الأنبياء23. أخبار الصفات تمر كما جاءت.

و سأله ولده الشيخ عبد الجبار قدس سره : ماذا يؤلمك في جسمك؟ فقال رضي الله تعالى عنه : جميع أعضائي تؤلمني إلا قلبي فما به ألم و هو مع الله عزّ و جلّ، ثم أتاه الموت فكان رضي الله تعالى عنه يقول : استعنت بلا إله إلا الله سبحانه و تعالى، و الحي الذي لا يخشى الموت، سبحان من تعزز بالقدرة و قهر عباده بالموت، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

و أخبر ولده الشيخ موسى قدس روحه أنه قال : لما قربت وفاة حضرة الشيخ رضي الله تعالى عنه و أرضاه كان يقول : تعزز و لم يؤدها على الصحة فمازال يكررها حتى إذا قال تعزز و مد بها صوته و شدها حتى صاح لسانه، ثم قال الله الله ثم خفي صوته و لسانه ملتصق بسقف حلقه، ثم خرجت روحه الكريمة رضوان الله تعالى عليه.

بهجة الاسرار ومعدن الانوار

في مناقب الباز الاشهب

الشيخ عبدالقادرالكيلاني

470-561 هـ/1077-1165م

"نسخة موجزة محققة وموثقة تحتوي ما ثبت نسبته له"

تأليف

علي بن يوسف الشطنوفي

دراسة وتحقيق

دكتور/جمال الدين فالح الكيلاني

بهجة الأسرار ومعدن الأنوار

في مناقب الباز الأشهب

الشيخ عبد القادر الكيلاني

"نسخة موجزة محققة وموثقة تحتوي ما ثبت نسبته له"

تأليف
علي بن يوسف الشطنوفي

دراسة وتحقيق
دكتور/ جمال الدين فالح الكيلاني

اسم الكتاب: بهجة الأسرار ومعدن الأنوار

في مناقب الباز الأشهب

تأليف: علي بن يوسف الشطنوفي

تحقيق: د/جمال الدين فالح الكيلاني

الطبعة الثانية

الناشر: المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم

فاس-المغرب

تصنيف الكتاب: م.م.ت.ث.ع 11-2013

بسم الله الرحمن الرحيم

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم
بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

الحديد ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

"هذه الدنيا سوق بعد ساعة لايبقى فيها احد ، عند مجيئ الليل يذهب اهله منه ، اجتهدوا انكم لاتبيعون ولاتشترون في هذه السوق الاما ينفعكم غدا"

"اعمل الخير لمن يستحق ولمن لايستحق والاجر على الله"

"من رضا بالقضاء والقدر استراح ومن لم يرضا به زاد همه وتعبه ولايحصل من الدنيا الا ما قسم له"

"اود لو ان الدنيا بيدي فأطعمها للجياع"

الشيخ عبدالقادر الجيلي

اولياء الله

"صانوا قلوبهم أن يدخلها غير الله أو تتعلق بكون من الأكوان سوى الله ، فليس لهم جلوس إلا مع الله ، ولا حديث إلا مع الله ، فهم بالله قائمون ، وفي الله ناظرون ، وإلى الله راحلون ومنقلبون ، وعن الله ناطقون ، ومن الله آخذون ، وعلى الله متوكلون ، وعند الله قاطنون ، فما لهم معروف سواه ، ولا مشهود إلا إياه ، صانوا نفوسهم عن نفوسهم فلا تعرفهم نفوسهم ، فهم في غيابات الغيب محجوبون ، هم ضنائن الحق المستخلصون"

"الفتوحات المكية"

شكر وتقدير

من دواعي سروري ان اعبر عن امتناني الى اساتذتي

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

لما بذله من جهد

متواصل ووقت سخي ومتابعة حقيقية في انجاز هذا العمل والى

الدكتور سالم الالوسي والدكتور كمال مظهر احمد

والدكتور عبدالقادر المعاضيدي والدكتور طارق نافع الحمداني

والدكتور حمدان الكبيسي ،لما ابدوه من متابعة وتشجيع وتقويم

والدكتور محي هلال السرحان والدكتورة نبيلة عبد المنعم داود

والدكتور نصير العبود لما قدموه من ملاحظات سديدة ومقترحات مفيدة والشكر موصول للدكتورة لقاء

الطائي لتشجيعها المتواصل ونصائحها القيمة

والى زوجها الاستاذ فراس ع .م

والى الدكتور اسامة ناصر النقشبندي،لتسهيله تصوير المخطوطة وملاحظاته المفيدة

واتوجه بشكر خاص الى عديلي :الشيخ عفيف الدين الكيلاني لاهدائه لي مخطوطة احد المراجع المهمة

اما ،ما ادين به لزوجتي ليلى علي يوسف الكيلاني فهو شيئ كبير .

والشكر ايضا لجميع منتسبي دار المخطوطات ببغداد

ومكتبة الدراسات العليا كلية الاداب –جامعة بغداد

ومركز احياء التراث العلمي العربي –جامعة بغداد

ومكتبة الدراسات العليا قسم التاريخ كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد

ومكتبة الجامعة المستنصرية

ومكتبة جامعة الموصل

والمكتبة القادرية في جامع الشيخ عبد القادر الجيلاني

الأهداء الى:

با ز الله الأشهب

سلطان الأولياء

تاج العا رفين

قطب بغداد

شيخ الأسلام

الأمام

عبدالقادر الجيلي

الذي غرس بذور النور في ا رض الظلمة

وترك في خلق الله عشقا ملك القلوب!

اهدي هذا الجهد المتواضع

"جمال الدين"

الاختصارات والرموز

ترمز الحروف والكلمات التالية إلى ما يقابلها أينما وردت في فصول الدراسة:

ص:	صفحة
ج:	جزء
ق:	قسم
ع:	عدد
ت:	توفي
هـ:	هجري
م:	ميلادي
ط:	طبعة
د. ط:	دون طبعة
د. ت:	دون تاريخ نشر
د. م:	دون مكان نشر
د. ن:	دون ناشر

كلمة المؤرخ المحقق : الاستاذ الدكتور حسين أمين "رحمه الله" .

بسم الله الرحمن الرحيم

هناك الكثير من الاقوال المأثورة عن الوثائق والمخطوطات واهميتها منها :

"لا تاريخ بدون وثائق" اما خزائن الوثائق المخطوطات فانها توصف بأنها "مفتاح الماضي" كما يوصف محقق المخطوطات ،بأنه "اكبر حارس للتاريخ" .

وللمخطوطات مكانة سامية،فهي تعد معلما شامخا من معالم الانسانية في التاريخ والتراث والثقافة والفكر،وركنا ركينا ، وارثا كبيرا،للنهضة المعاصرة .

ومخطوطتنا وثيقة نادرة من وثائق التاريخ العربي الاسلامي ،تخص سيرة علم من اعلام الامة ، وهو الامام الشيخ عبد القادر الجيلاني "قدس الله روحه" واذا آمنا بمقولة "التاريخ كله تاريخ معاصر" فنكون بصدد كتابة "تفسير جديد" يعتمد على مصدرين : جديد اكتشف حديثا وقديم اعيد النظر فيه،يثبت حقائق تاريخية،طمستها الروايات والعنعنات المكررة .

عرفت ولدنا النجيب،قبل سنين عدة، عرفت فيه ،الاخلاق الحميدة والثقافة العامة ،وحب المتابعة واهتمام بالتاريخ،واليوم نأمل وغدا نتطلع ،ان نراه مؤرخا محترفا ،يقدم لنا ، دراسات تاريخية نافعة .

والله الهادي الى سواء السبيل . . .

د . حسين أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

باسمك -اللهم- استرشد وابتدي ،وبنور الهامك استضيئ واهتدي،واحمدك يامن علم الانسان ما لم يعلم ،ومنحه عقلا به يفكر ويتفهم ،وخلق له لسانا به يعبر ويتكلم ،والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامي الخاتم وعلى اله الذين هم مظهر صدق لنور النبوة ،وقدوة المستضعفين حين تقل العدالة وتسود القوة ،وعلى اصحابه الذين سلكوا مسلك الحق المبين ،ونفذوا اوامر الله وهم على علم ويقين ،ورضي الله عن التابعين الذين صدعوا بمقتضى سلطان العقل والدين ، فاصبحوا قدوة حسنة لمن اراد العزة من ابناء المسلمين،وعن الاولياء الصالحين و العلماء العاملين الذين شغلوا انفسهم بما فيه خير الناس في كل زمان وحين .

ثم اعوذ بالله من شر حاسد اذا حسد ، ومن كيد حاقد اذا حقد ،والجأ اليه من عبث العابثين ،ومن مكر المنافقين ،واستعين به على تشفي الشامتين ،واتوسل اليه توسل التائب من ذنبه ،وان يجعل الصبر حليفنا في كل حال ، تأسيا بمن صبر في "الطائف" ودعا الله فقال :

"اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ،وقلة حيلتي،وهواني على الناس،يا ارحم الراحمين،انت رب المستضعفين،وانت ربي الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ؟ ام الى عدو ملكته امري ؟ ان لم يكن

بك علي غضب فلا ابالي ،ولكن عافيتك هي اوسع لي ،اعوذ بنور وجهك ،الذي اشرقت له الظلمات ،وصلح عليه امر الدنيا والاخره ،من ان تنزل بي غضبك ،او يحل بي سخطك ،لك العتبى حتى ترضى ،ولا حول ولا قوة الا بك" .

وبعد : تعَد المخطوطة من أهم الأثا ر التي يمكن للباحث الاستدلال من خلالها على عمق حضا رة أمة من الأمم، ومدى تطور الحياة العلمية وا زدها رها في تلك الفترة فالمخطوطة تمثل تراثاً ضخماً يمثل لسان الأمة الناطق وهي رصيدها الباقي وذخيرتها وهي الأصل انما يرجع إلى الاعتماد على تراث الأمة وماضيها ، والمخطوطة تراث زاخر وضخم يطوي السنين ويجعلنا نعيش وسط الأحداث وكأننا أمام صورة مرئية لقراءة سطر مكتوب وهو بذلك يكوّن شخصية الأمة وحيا تها لأنها تمثل كل ما خلفته وكل ما ساعدت في بنائه وتطويره ورعايته، من حضا رة وتمدن وثقافة ويحق لنا أن نفتخر بأمتنا لما خلّفته من تراث في مختلف العلوم والفنون وعبر عن هِمم الأجداد العظام، وهم بذلك يوجبون علينا الشكر لهم والثناء عليهم والإعتزا ز بهم فأستوجب بذلك نهوض المخلصين من أمتنا الذين أخذوا بجمع شتات هدا التراث الضخم وإعادة تنظيمه وكشف النقاب عن أماكن وجوده وإخراجه حياً ناطقاً معبراً عن روح أمتنا ورصيدها الباقي.

فظهر التحقيق الذي هو من أهم عوامل أبرا ز تراث الأمة والإفادة منه ليكون خير سلاح تواجه به أُمتنا من حاول العبث في تراثها وطمس معالمها وأثا رها حيناً ونسبة العلوم والأثا ر إلى غير أهلها

حيناً أخر، وكان للعرب عناية كبيرة بكتابة التاريخ لكونه أحد أهم مصادر تراث الأمة، فصنفوا فيه المصنفات الجليلة من بدء الخليقة إلى العصور التي عاشوا فيها، وساعدهم في ذلك ضخامة المادة المتوفرة لهم من وقائع وأحداث شجّعتهم على التأليف فأصبحت تشمل كل شرائح المجتمع العربي الإسلامي ودون تمييز.

ومن تلك المؤلفات الرائعة كتاب (بهجة الاسرار ومعدن الانوار في مناقب الباز الاشهب الشيخ عبد القادر الجيلاني، للشطنوفي) ولان الكتاب حوى اخبارا عدة منها مايصح ومنها ما لايصح ،اخذنا على عاتقنا تحقيقه من خلال مختصر نافع ونادر له ، وهو سيرة شخصية لعلم من أعلام الأمة ومصلحيها وهو السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني

الذي ما زالت مكانته عامرة في قلوب المسلمين شرقاً وغرباً، لمنزلته العلمية والأصلاحية وشخصيته الكارزمية ودوره المعلوم في إعداد جيل صلاح الدين الأيوبي الذي حرر القدس الشريف من الصليبيين.

والمخطوطة لم تجد طريقها للتحقيق والنشر علماً إن كاتبها مجهول لنا ولم نعثر على أسم صاحبها فيها، وعلى الأرجح أن مؤلف هذه المخطوطة يرجع الى الحقبة العثمانية وذلك لتشابه أسلوب المخطوطة مع أسلوب كتابة المخطوطات في العهد العثماني في تلك الحقبة. وهي تدل على أن صاحبها قد كتبها في العهد العثماني، لما ورد من كثير من الإشارات والدلائل فيها ،إذ إن المصحح أعتمد منهجاً موجزاً فقط لثوابت ما روي عن الشيخ عبد القادر الجيلاني، تاركاً

ماعليه اختلاف وهذا أسلوب أتبع في العصر العثماني من انتشا ر المختصرات وتركيزها على زبد الموضوعات، ولم يكن هذا الأسلوب موجوداً الى ماقبل الحقبة العثمانية بهذا الوضوح، فضلاً عن أهتمام رجال بالحقبة العثمانية بالتصوف وبسيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني وهذا معروف ومعلوم .

لذا قمت بتحقيق المخطوطة التي تضمنت معلومات مهمة تشرح في ثناياها أسلوب الشطنوفي الرائع في ذكر مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني وتناولت فيها موضوعات شتى حسبما وردت في المخطوطة (إذ نصحني أستاذي وشيخي : الدكتور "عماد عبد السلام رؤوف" على أبقائها كما هي حسب عناوينها الموجودة في المخطوطة دون العبث بها حفاظا على منهجيتها وأسلوبها كما أنها لم تكن مقسمة إلى فصول أو مباحث) .

ومن هنا توكلت على الله عزوجل وقمت بد راسة المخطوطة وتحقيقها وقسمت العمل الى بابين، الباب الأول ويشمل فصلين تناولا أحاطة بجوانب حياة الشطنوفي .

اذ يتناول الباب الاول، الفصل الأول الأمام الشطنوفي، عصره سياسياً وأجتماعياً وأقتصادياً، وترجمة سيرته:أسمه ونسبه وأصله ومولده ونشأته وعلومه ووفاته وحياته العلمية ومكانته وايضا تعريف مناسب بالشيخ عبد القادر الجيلاني كونه المترجم له . وتناول الفصل الثاني، دراسة المخطوط، أهميته وسبب أختيا ره ومنهج المؤلف في كتابته ووصف النسخة الخطية والخطوات التي اتبعتها في التحقيق مع صور من أوراق المخطوط المعتمد عليه في التحقيق .

أما الباب الثاني: فكان عن النص المحقق، إذ تطرقت الى تفاصيل النص المحقق وما أحتوته المخطوطة من عناوين مهمة إذ عمدت إلى ذكرها كما هي في المخطوطه دون العبث بها أو تغيير معالمها، وهو يتحدث عن تفاصيل السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني، نسبه ولادته، نشأته، دراسته، شيوخه، سيرته العلمية، آرائه، مزاياه، أخلاقه، علمه، فكره كراماته، وعظه، وفاته، وكذلك ماذكره من نصوص مهمة، أقواله وخطبه ونصائح وأقاويل تدل على دراية وأهتمام وخبرة ومعرفة في شؤون الحياة المختلفة، ونصائح دينية مؤثرة ليأخذ منها الأنسان العبر ويرفد من وعظه مايفيده في دنياه وآخرته، وتفسيره لبعض الأيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة، وما ذكره المؤلف في خاتمة كتابه، ثم اتبعت ذلك بذكر خاتمة الرسالة التي توضح اهم النتائج التي توصل اليها الباحث.

استأثرت سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني باهتمام عدد كبير من المؤلفين والباحثين والدارسين في العالم الاسلامي، وتحفل رفوف مكتبات الجامعات لهذا العالم وغيره بعدد وافر من الأطاريح والرسائل الجامعية الموضوعه في سيرة هذا الرجل الكبير.

اعتمدت في كتابة الرسالة على العديد من المصادر والمراجع وكان لبعضها دور رئيسي في العمل، فضلاً عن المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في المخطوطة التي سيأتي ذكرها فيما بعد وأهمها القرآن الكريم، إذ أعتمد الشيخ عبد القادر الجيلاني في خطبه ومواعظه على ذكر سور

قرآنية كريمة في حديثه وخطبه، وهذا ما سنجده واضحاً في المخطوطة بأكملها إذ كان يعتمد على كتاب الله العزيز لإسناد رواياته وأحاديثه وهذا أسلوبه في الكلام والخطب.

كما أعتمد الباحث على مصادر مهمة أثناء تحقيقه للمخطوطة ومنها:

١- مخطوطة علي بن سلطان(الهروي) من علماء العصر العثماني المتوفى(١٠١٤هـ/١٦٠٥م)،(نزهة الخاطر في ترجمة الشيخ عبد القادر) مخطوط محفوظ في المكتبة القادرية تحت رقم ٢٧٤٠ والكتاب غني بمادته العلمية ومليء بالعنعنة {أي كثرة ورود (عن) فيها} والعديد من الروايات، وقد أفادني في مراجعة بعض النصوص وتدقيق الأعلام والمصطلحات.

٢- كتابا الطبري(ت٣١٠هـ)، هما (جامع البيان في تفسير القرآن)[١] وكتابه الآخر هو(تاريخ الأمم والملوك)[٢].

٣- كتابا للسيد الشيخ عبد القادر الجيلاني،(الغنية لطالبي طريق الحق) و(الفتح الرباني والفيض الرحماني)، وهما وقد أخذت منهما معلومات مهمة وجمة، خاصة في مطابقة ومعرفة أسلوب الشيخ عبد القادر الجيلاني.

---

(١) حققه محمد أحمد شاكر، وكان أعتمادي عليه في مقارنة تفسير الآيات التي فسرها وأستعملها السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني في كلامه.

(٢) تحقيق محمد أبو الفضل أبراهيم، الذي كان مصدراً هاماً في المعلومات التاريخية والذي أفادني كثيرا.

٤- كتاب ابن الدبيثي (ت ٦٣٧هـ)[١] ،(المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد)

٥- كتاب لابن خلكان(ت٦٨١هـ)[٢] ،(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) .

٦- كتاب لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ،(الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)[٣]

وقد افادني في مجال ترجمة الأمام الشطنوفي وتفاصيل حياته .

وغيرها من المصادر التي اعتمدت عليها اثناء كتابتي للرسالة من خلال المراجعات والمقارنات، كما اعتمد الباحث على بعض المراجع المهمة ومنها :

٧- كتب للدكتور عماد عبد السلام رؤوف مثل كتاب(الاثار الخطية في المكتبة القادرية) وهو موسوعة كاملة عن كل المخطوطات القادرية وقد افادني كثيراً، وكتاب (مدارس بغداد) الذي ذكر فيه المؤلف أهم مدارس بغداد القديمة وأفرد مادة خاصة عن مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني . وكتابه الآخر (التاريخ والمؤرخون العراقيون في

---

[١] حقق مصطفى جواد الجزاين الاول والثاني والذي كان عونا لي بنصه وبتعليقاته وأفادني كثيراً خاصة في مجال تراجم أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني وغير ذلك،اما الجزء الثالث فقد حققه ناجي معروف .

[٢] حققه أحسان عباس، وهو موسوعة تاريخية في تراجم الأعلام، إذ أستطاع الباحث الأعتماد عليه في ترجمة بعض الشخصيات المهمة في رسالتي وبصورة وافية كونه متخصصاً بالتراجم وأفادني في مقارنة التراجم مع بعضها .

[٣] حقق كتاب الدرر الكامنه ،محمد سيد جاد الحق وطبع في القاهرة بدار الكتب الحديثه عام ١٩٦٦-١٩٦٧ ثم طبع الان بدار الكتب العلمية ببيروت عام١٩٩٧ بضبط وتصحيح من الشيخ عبد الوارث محمد علي في اربعة اجزاء مضيفاً اليه جزءاً مستقلاً سماه ذيل الدرر الكامنة في اعيان المائه الثامنه رتبه على السنين ابتدا بذكر من مات سنة ١٠٨هـ-٨٣٢هـ ،وقع مع الفهارس في ٣٧٦ صفحه .

العصر العثماني) الذي أفادني من خلال معرفة أساليب المؤرخين العراقيين في العصر العثماني .

٨- كتاب لإيمان كمال مصطفى المهداوي(عبد القادر الجيلاني،أديباً) ، ويتحدث عن أدب السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني (نثراً وشعراً) ودراسته وتحليله وقد أستفدت في هذا الجانب من معرفة أسلوب كتابة الجيلاني طبع في مركز البحوث والدراسات الاسلامية، مطبعة الاوقاف ،بغداد

كما أستفادت من بعض الرسائل الجامعية المتخصصة بسيرة السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني وهي:

٩- رسالة ماجستير غير منشورة لصادق جعفر سهيل(عبد القادر الجيلاني ومذهبه الصوفي) ، وتتحدث عن تصوفه وتفاصيل الطريقة القادرية واسسها وامتدادها وقد افادتني في معرفة شخصية السيد عبد القادر الجيلاني .

١٠-رسالة ماجستير غير منشورة لعمر سليم عبد القادر التل (متصوفة بغداد في القرن السابع الهجري) وتحدثت عن شخصيات الصوفية في بغداد في الحقبة المذكورة وافدت منة معلومات عن اهمية بهجة الاسرار وموقعه بين كتب التصوف

١١-أطروحة دكتوراة غير منشورة لسعيد القحطاني(عبد القادر الجيلاني وأراءه الأعتقادية والصوفية) ، وافادتني كونها تتحدث عن اراءه في القصائد الأسلامية وموقفه منها وتحليله

للتصوف بشكل مفصل، وبعض اقواله وحكمه . وهناك رسائل اخرى كثيرة تناولت جوانب شتى من حياة الشيخ عبد القادر الجيلاني في مختلف الجامعات .

واجهتني صعوبات جمّة بعد أختيار الموضوع أولها الظروف التي تعرض لها بلدنا العزيز من حرق وتدمير للمكتبات وتدهور الوضع الأمني مما أدى الى صعوبة الحصول على مصادر الرسالة المهمة وصعوبة التنقل و الى اطالة السقف الزمني للدراسة .

ان تخصصي في تاريخ وتراث شيخ الاسلام، الامام عبد القادر الجيلاني،مشروع قديم ،طويل النفس ،يعود لايام الصبا الاولى ،حيث كانت البدايات ، والمحاولات المتكررة،حملته مدة طويلة من الزمن ،في ذهني،وقلبي، وروحي وخاطري .

وفي الختام اقدم امتناني الى المشرف الأول الدكتور عماد عبد السلام رؤوف و المشرف الثاني الدكتورة لقاء الطائي و الى لجنة المناقشة الأساتذة الأجلاء الذين تشرفت بمناقشتهم واخذت بملاحظاتهم القيمة والمفيدة وهم الدكتور محي هلال السرحان والدكتورة نبيلة عبد المنعم داود والدكتور نصير العبود ، على ما بذلوه من جهد جزاهم الله خير الجزاء .

واخيرا ، فان كتاب "بهجة الاسرار ومعدن الانوار" المهذب ،وثيقة هامة ،تضيف الى تراث الامام عبد القادر الجيلاني ، مادة خصبة وثرية ومتجددة . . . فلعل تحقيقه اليوم يكون عاملا على استكمال ادوات البحث التاريخي ،وجعله في متناول المهتمين في التاريخ والحضارة العربية الاسلامية، ان التاريخ،لايعرف الامس واليوم والغد ،وانما هو نهر الحياة ،يمضي الى الاجل المضروب،الذي قدره علام الغيوب . . . .

والله ولي التوفيق

جمال الدين فالح الكيلاني

بغداد

القسم الاول

الــــدراسة

الفصل الأول

الأمام الشطنوفي

أولاً: عصره السياسي والأجتماعي والأقتصادي

قبل الحديث عن المخطوطه لا بد لنا من التطرق الى سيرة الامام علي بن يوسف الشطنوفي ، لانه صاحب الاصل و المخطوطة المراد تحقيقها نسة تصحيحية له،وهي تحسب عليه في كل الاحوال .

عاش الشطنوفي في عصر المماليك في مصر للفترة (٦٤٤هـ-٧١٣هـ) ، إذ أصبحت دولتهم أقوى دولة أسلامية بعد أحتلال بغداد من قبل المغول وسقوط الدولة العباسية عام ٦٥٦هـ [١]،ان اختيا ر سنة بعينها او حدث بذاته لتحديد ،نهاية عصر او بداية عصر من عصور التا ريخ او بداية عصر اخر ،يبدوا في نظرنا امرا بعيدا ،عن الحقيقة والواقع ،لان التطور التا ريخي يمتا ز دائما ،بالتد رج والاستمرا ر ،وتداخل،حلقا ته ،بعضها البعض ، ظهرت دولة المماليك بعد الحكم

---

[١] المقريزي،احمد بن علي،(٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، السلوك في معرفة دول الملوك،ج١،تحقيق محمد مصطفى زيادة،القاهرة،د.ت . .

الأيوبي وحكمت مصر والشام والحجاز ،امتازت بالبيروقراطية،وحكم جماعة مسيطرة،ومن هنا عاش الشطنوفي عصر الأضطرابات السياسية إذ عاصر السلاطين المذكورين أدناه:

١-الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٨-٦٤٧هـ) .

٢ -توران شاه بن أيوب (٦٤٧- ٦٤٨هـ)[1] .

٣-السلطانة شجرة الدر (٦٤٨-٦٤٨هـ)، إذ حكمت ٨٠ يوماً .

٤-المعز عز الدولة أيبك(٦٤٨- ٦٥٥هـ) .

٥-المنصور نور الدين علي بن أيبك(٦٥٥-٦٥٧هـ) .

٦-المظفر سيف الدين قطز(٦٥٧-٦٥٨هـ) .

٧-الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري(٦٥٨-٦٧٦هـ) .

٨-السعيد ناصر الدين بركة بن بيبرس(٦٧٦-٦٧٨هـ) .

٩-العادل سلامش بدر الدين بن بيبرس(٦٧٨-٦٧٨هـ) .

---

[1] زامباور،معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الأسلامي،ترجمة زكي محمد حسن،مطبعة فؤاد الأول،القاهرة،١٩٥١،ص٩٣ .

١٠-المنصور سيف الدين قلاوون(٦٧٨-٦٨٩هـ) .

١١-الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ) .

١٢-الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٦٩٤هـ) .

١٣-العادل زين الدين كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ) .

١٤-المنصور حسام الدين لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ) .

١٥-الناصر محمد بن قلاوون- ثانية(٦٩٨-٧٠٨هـ) .

١٦-المظفر بيبرس (٧٠٨-٧٠٩هـ) .

١٧-الناصر محمد بن قلاوون- ثالثة(٧٠٩-٧٤١هـ) .

ورغم الأضطرابات السياسية الواضحة والتحولات الرادكالية في هذه الحقبة،فقد شهدت تطوراً ملحوظاً في التجارة والثقافة والفنون وفن العمارة وما تزال القاهرة عامرة بمشارف ومساجد ذلك العصر، أما بالنسبة لحياة الشطنوفي في هذه الحقبة فقد عاصر الأحتلال المغولي لبغداد وكان عمره أثني عشر عاماً، وسمع عن الفظائع التي أرتكبها المغول في بغداد والتي قال عنها ابن الأثير إنها فوق الوصف وتقشعر لها الأبدان[1] ،وكان عمره أربعة عشر عاماً عندما

[1] إبن الأثير،أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري(ت٦٣٠هـ/١٢٠٨م) ،الكامل في التاريخ،ج١٠،دار صادر،بيروت،١٩٦٥،ص١٠٣ ،للمزيد من التفاصيل عن هذه المأساة،انظر: الصياد،فؤادعبدالمعطي،المغول في التاريخ،مكتبة النهضةالعربية،بيروت،١٩٨٠،ص ٢٦٥-٢٧٩ .

حدثت معركة عين جالوت الفاصلة في التاريخ عام ٦٥٨هـ، وأنتصر المسلمون على المغول، وتم إيقاف المد المغولي الى البلاد الأسلامية الأخرى[١]، وكان للمماليك أهتمام كبير في الزراعة والصناعة والعلوم وشاع في عصرهم تصنيف الموسوعات العلمية والأدبية[٢]، إذ برز الشطنوفي عالماً بارزاً في عصره وله مكانة علمية صرح بها المؤرخون أنذاك، إذ كان عالماً بالقراءات القرآنية ووجوهها وعلوم اللغة، والفقه، والاصول، والتفسير وأصبح شيخ الديار المصرية في عصره .

---

[١] عنان، محمد عبدالله، المعارك الحاسمة في التاريخ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٣، ص١٤٧ .

[٢] عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر في عهد المماليك، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص٤٩ .

ثانياً: أسمهُ ونسبهُ وحياتهُ

هو أبو الحسن نور الدين علي بن يوسف بن جرير بن معضاد بن جهضم بن فضل اللخمي الشطنوفي الشافعي[1]، وهو من قبيلة لخم القحطانية الكبيرة التي هاجر بعض منها الى مصر خلال الفتوح الأسلامية عصر الخلفاء الراشدين[2] رضي الله عنهم.

---

[1] للتفاصيل ينظر:

_ بن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت١٥٣هـ/١٤٤٩م)، الدرر الكامنة، ج٣، حيدر اباد، ١٩٢٩، ص١٤١.

_ الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (٨٣٣هـ/١٤٢٩م)، غاية النهاية، ج١، القاهرة، ١٩٣٢م، ص٥٨٥.

– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة، ج١، القاهرة، ١٣٢١هـ، ص٢٩٠.

– حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون، طهران، ١٩٤٧م، ص٢٥١.

– الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط٢، بيروت، دار العلم، ١٩٧٩، ج٥، ص٣٤.

– عطية الله، احمد، القاموس الأسلامي، ج٣، مكتبة النهضه المصرية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٧٥.

[2] إبن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧، ص١٦١.

والشّطّنوف (بفتح اوله وتشديد ثانيه وفتح النون واخره فاء) ، نسبة الى قرية شطنوف (وهي بلدة في مصر من نواحي كورة الغربية عنده يفترق النيل فرقتين، فرقة تمضي شرقياً الى تنيس ودمياط وفرقة تمضي غربياً الى رشيد ،على فرسخين من القاهرة . وشطنوف: من كورة الغربية بينها وبين القاهرة مسيرة يوم واحد) وهي اليوم من نواحي مركز اشمون بمديرية (محافظة) المنوفية[1] . ولد في القاهرة عام (٦٤٤هـ) وتوفي بها عام (٧١٣هـ) . قال الأمام الذهبي في كتابه (معرفة القراء الكبار)[2] ،وهو محقق في القاهرة من قبل محمد سيد جاد الحق(لقد حضرت مجلس أقرائه وأستأنست بسمته وسكونه) ، وكان الشطنوفي ذا غرام كبير للشيخ عبد القادر الجيلاني . جمع أخباره ومناقبه فيها ما يقرب ثلاث مجلدات[3] .

---

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج٣،ص١٠٣ .

(٢) طبع كتاب معرفة القراء الكبار بطبعتين الاولى قام بتحقيقها محمد سيد جاد الحق في دار الكتب الحديثة في القاهرة عام ١٩٦٩ في جزئين بمجلد واحد وقع في ٦٩٨ صفحه، والثانية حققها بشار عواد معروف وشبيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، بدار الرسالة بيروت عام ١٩٨٨ بجزأين في مجلد واحد بلغت صفحاته ٩١٤ .

(١) القادري،أبو الظفر ظهير الدين، الفتح المبين، المطبعة المركزية، القاهرة، ١٨٨٨،ص١١٤ .

ثالثاً: مكانته العلمية

تلقى العلوم على يد شيوخ عصره، درس اللغة العربية والفقه على المذهب الشافعي الى أن أصبح عالماً يُشار اليه بالبنان في القراءات والنحو واللغة والفقه وجلس للتدريس بالجامع الطولوني[1] وجامع الحاكم[2] والجامع الأزهر[1]. تصدر للأقراء في الجامع الأزهر في القاهرة

---

(٢) في مدينة الفسطاط بناه احمد بن طولون، ثالث المساجد الجامعة في مصر عام ٢٦٥هـ ولهذا الجامع أهمية خاصة إذ أتخذ نموذجاً للبناء فيما بعد. ينظر: حسن، حسن ابراهيم، المصدر السابق، ص٤٦٠.

(٣) بناه الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ٤٠١ هـ/١٠٠٣م، الحق به مكتبة اطلق عليها دار العلم يشتغل بها العديد من رجال العلم. ينظر: المصدر السابق، ص١٧٣.

(٤) بناه القائد جوهر الصقلي المتوفى ٣٨١هـ/٩٩٢م الذي فتح مصر للفاطميين عام ٣٥٨هجرية، وضع حجر الأساس لجامع الأزهر في عام ٣٥٩هجرية، والأزهر اكبر مدرسة علمية على مر العصور في القاهرة. ينظر: المصدر نفسه، ج٤، ص٦١٦.

(٥) وهي عنوان لقصيدة مشهورة في علم القراءات تنسب الى مؤلفها القاسم الشاطبي (ت٥٩٠هـ/١١٩٢م)، كما تعرف بأسمها الكامل (حرز الأماني ووجه التهاني) تتألف من(١١٧٣بيتاً). ينظر: عطية الله، أحمد، المصدر السابق، ص١٢.

وتكاثر عليه الناس لأجل الفائدة منه ويروى انه عمل على الشاطبية[٢] شرحاً جيداً . ويعد بهجة الأسرار [٣] أهم مؤلفات الشطنوفي وبهِ عرف وبهِ أرتبط أسمهُ، حيث شُغف المؤلف بحب الشيخ عبد القادر ودّون فيه كتابه في ثلاث مجلدات موزعة على واحد وأربعون، وتكمن أهمية (البهجة)[٤] أن مؤلفها أول من افرد كتابا في سيرة المترجم له وهو أقدم من أشتغل بها كسيرة شخصية، حيث أن الشطنوفي ولد عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، والشيخ عبد القادر الجيلاني توفي عام ٥٦١هـ/١١٦٣م،وهذه المدة القصيرة نسبيا تسمح لمن يكتب أن يسمع ويدون ،ممن عاصر اوسمع [٥] .

---

(٦) طبعت بهجة الاسرار عدة طبعات تجارية سقيمة ليس لها قيمة علمية،منها ، بمصر سنة ١٣٠١هـ وطبعة اخرى في سنة ١٣٠٤هـ في ٢٣٨ صفحه وبهامشه رياض البساتين من اخبار الشيخ عبد القادر الجيلاني محيي الدين ، تاليف الشيخ محمد الامين الجيلاني ،وطبع بمطبعة الدولة التونسية في تونس عام ١٣٠٢ في ٣٦٧ صفحه، وطبع بمطبعة شركة التمدن الصناعية بالقاهرة ١٣٣٠هـ في ٢٣٨ صفحه، وطبع مؤخرا بمطبعة دار الكتب العلمية ببيروت ٢٠٠٢ في ٤٤٨ صفحة .

(٤) اشتمل كتاب بهجة الاسرار على ترجمة للشيخ عبد القادر الجيلاني وعلى ترجمات اخرى وعنوان الكتاب هو (بهجة الاسرار ومعدن الانوار) وقال عنه حاجي خليفة (وجعله على احد واربعين فصلاً والاولى في مناقب الشيخ عبد القادر وهو طويل جداً ينتصف الكتاب به الى ان قال وفصل بذكر المشايخ وافعالهم واقوالهم)انظر كشف الظنون ١/٢٥٧

(٢) وتكمن أهمية مخطوطة(البهجة) أن أغلب ما كتب بعدها أعتمد عليها قديماً وحديثاً بل أن منها ما كان عملية نقل فصول كاملة مثل(قلائد الجواهر) لمحمد بن يحيى التادفي الحنبلي(٩٦٣هـ/١٥٥٥م) ،و(تحفة الأبرار) ليحي بن أحمد الجيلاني(١١١٣هـ/١٧٠١م)و(الجني الداني) لجعفر البرزنجي (١١٧٧هـ/١٧٦٣م) ، و(الفتح المبين) لظهير الدين القادري (١١١٠هـ) ،وأما الدراسات الحديثة فقد أعتمدت عليها بشكل كبير مثلا: كتاب عبد الله السامرائي،الشيخ عبد القادر الكيلاني

والشطنوفي رجل جمع روايات وأخبار وآثار، نقل كل ما أثر عن الشيخ عبد القادر أو نسب له من خوارق العادات من غير تدقيق أو تمحيص أو نظر أو تأمل مما يردُه الشرع وينكره العقل ألا أنه نقل أيضاً أخباراً وروايات صحيحة وحقيقية متوفرة ومشهورة، فهل يجوز تجاوز الكتاب لأنه نقل الصحيح وغير الصحيح.

إن للشطنوفي ميزةً فهو لا يتحدث إلا بالأسانيد وهو أمر قام به قبله كبار المؤرخين مثل المؤرخ الطبري (ت ٣١٠ هـ/٩١٢م) في (تاريخ الأمم والملوك). أذ ان نقل الروايات منهج أسلامي أصيل حيث تترك عملية التحليل للقارئ. وكما قال الطبري متحدثاً عن الخبر (فأن كان ثقةً فأقبل وإن لم يكن ثقةً فلا تقبل)[1]. فعلى من يقرأ الكتب الأخبارية أن يجعل هذا المنهج الأسلامي الصحيح أمامه في التعامل مع النصوص، وهذا ما نشط له مؤلف (المهجة) التصحيحية في تعامله

قطب الأولياء وتاج الأصفياء وهو ما زال مخطوطة أكمل تأليفه رحمه الله عام ١٩٩٦؛ والكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، دار الرسالة، بيروت، ١٩٩٩؛ وسهيل، جعفر صادق، عبد القادر الجيلاني ومذهبه الصوفي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أدارة العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٥، إذ لايكاد يخلو فصل من فصولها من هوامش لمخطوطة (البهجة)؛ أيمان كمال مصطفى، عبد القادر أديباً، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، مطبعة الوقف، بغداد، ٢٠٠٨؛ ورسالة القحطاني، سعيد، الشيخ عبد القادر وأراؤه الأعتقادية والصوفية، أطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية الدعوة، جامعة أم القرى، الرياض، ١٩٩٧ اما رسالة ماجستير التل عمر صوفية بغداد الجامعة اردنية ٢٠٠٨ فقدت اعتمدت على بهجة الاسرار بشكل رئيس وباغلب صفحات الرسالة تقريبا.

[1] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٣م)، تاريخ الأمم والملوك، ج١، تحقيق محمد أبو الفضل أبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥، ص٥.

مع (بهجة الأسرار) ،واهم من أنتقد (بهجة الأسرار) هو ابن رجب (ت ٧٩٥ هـ) في كتابه (ذيل طبقات الحنابلة) من القدماء والجدير بالذكر أن مؤلف (الفتح المبين) أبو الظفر ظهير الدين القادري قد دافع عن (بهجة الأسرار) دفاعاً شديداً لايخلو من تعصب[1] .

والشطنوفي لم يقسم كتابه إلى فصول وأبواب بل يبدأ كل موضوع بـ(ذكر) ويستمر بعرض المادة: ويتحدث عن سبب تأليفه للكتاب فيقول (فإني كنت قد سئلت أن أجمع ما وقع لي في قول شيخنا شيخ الإسلام، مقتدى الأولياء ،علم الهدى، محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني – قدس الله روحه ونور ضريحه– القائل: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله ،إذا هي يتيمة في عقد الزمان، وفريدة سلك البيان فاستخرت الله تعالى، وأجبت السائل ابتغاء النفع العاجل ،والأجر الآجل، ولخصته كتاباً مفرداً، مرفوع الأسانيد . . . وفصلته بذكر أعيان المشايخ الذين بلغنا بعض أقوالهم وأفعالهم في ذلك مقرين بقدره الرفيع)[2] .

وسئل الرجل أن يؤلف كتاباً عن سيرة السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وأستجاب لذلك ولم يحدد الطالب. وبالنسبة لقضية القدم التي ذكرها على لسان الشيخ عبد القادر الجيلاني في مقدمته للكتاب فهي قضية فلسفية ابستمولوجية، يقول فيها ظهير الدين

---

[2] القادري،المصدر السابق،ص ص١٢٥–١٢٦ .

[3] الشطنوفي: أبو الحسن علي بن يوسف ،ت ٧١٣ هـ١٣١٣م ،بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ، مخطوطة المكتبة القادرية تحت رقم ١٥٦٠،ص٢ .

القادري[1] في كتابه الفتح المبين (إن عبارة قدمي على رقبة كل ولي لله ، هي من الاشارات الرمزية)[2] .

لكن الشطنوفي يسوق الأسانيد المطولة ويكررها وينقلها عن عشرات المشايخ المعاصرين للسيد الشيخ عبد القادر الجيلاني، وفي أطول عبارة ينقلها في هذا الخصوص يقول نقلاً عن الشيخ عبد القادر (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، ولم يبق ولي لله في الأرض في ذلك الوقت إلا حنى عنقه تواضعا لله واعترافاً بمكانته، ولم يبق ناد من أندية صالحي الجن في ذلك الوقت ، إلا وفيه ذكر ذلك وقصدته وفود صالحي الجن من جميع الأفاق مسلمين عليه وتائبين على يديه، وازدحموا على بابه)[3] .

هذا ينطبق في مجال روايته للكرامات المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني فينقل غرائب وعجائب عدة، يقول في مقدمة بهجة الأسرار (ورصعتُها بطرف من خارقات أفعاله، وطرف من بداياته وأحواله، ترصيعاً كست ديباجته أزاهير الربيع رونقاً ، وأعارت بهجة الزهر يافعا

---

(4)(1) يؤكد الدكتور عبد السلام رؤوف أن ظهير الدين القادري هو السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب أشراف بغداد نفسه (اول رئيس وزراء عراقي) وكتب الفتح المبين باسم مستعار لأنه كان يشغل منصباً رسمياً في الدولة حينذاك، وكتابه كان رداً على كتاب الترياق، للواسطي، الذي طعن في شخصية الشيخ عبد القادر الجيلاني ،وللكتاب طبعتان تختلف احداهما عن الاخرى في المادة ومن يقرأ لوحة ضريح عبد الرحمن الكيلاني النقيب المدفون في الحضرة القادرية يقرأ ،أسمه كتب هكذا (هذا ضريح أبي الظفر ظهير الدين عبد الرحمن القادري الكيلاني) انظر: عبد الرحمن النقيب، لرجاء حسني الخطاب، المؤسسة العربية ،بيروت، ص٣٤ .

(٢) القادري، المصدر السابق، ص٧٩ .

(٣) الشطنوفي، المصدر السابق، ص٨٤ .

وموروقاً، وأهدت لطافته نسيم السحر رقة، وملكت محاسنه من تنضيد عقد الجواهر دقة)[1] .

ومن هذه الغرائب نقله للعديد من الكرامات التي نسبت للشيخ عبد القادر الجيلاني ومنها قصة رمي القبقاب (مما لا يصح بحال من الأحوال الكرامات المنقولة عن الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه رمى بقبقابه فقتلت عبدا في الهند في قصة طويلة معروفة ومتداولة عند العامة وهي من منقولات الشطنوفي في بهجته)[2] .

ومن غرائب ما نقل أيضاً أنه كان هناك رجل عمره ستون سنة يسكن جبل لبنان يتحدث عن الطيران في الهواء (كان يومئذ رجل من الصالحين يقال له الشيخ الجليل ويسمى الجبلي لطول أقامته في الجبل، فأتيته وجلست أليه وقلت له: يا سيد كم لك هنا ،قال ستون سنة قلت:أي شيء مر بك من العجائب، قال: كنت هنا سنة تسع وخمسمائة، فرأيت أهل الجبل في ليلة مقمرة يجتمع بعضهم إلى بعض ويطيرون في الهواء إلى جهة العراق جماعة بعد أخرى فقلت لصاحب لي منهم: إلى أين تذهبون قال:أمرنا الخضر سلام الله عليه أن نأتي بغداد فنحضر بين يدي الشيخ عبد القادر الجيلاني، فسألته أن أسير معه قال:نعم، فسرنا في الهواء إلى جهة العراق جماعة بعد جماعة فلم يكن إلا يسير حتى أتينا بغداد، فإذا هم بين يديه صفوف ،وأكابرهم يقولون:يا سيدنا

---

(1) الشطنوفي ،المصدر نفسه،ص١٩ .

(2) القادري، المصدر السابق،ص١٠٢ .

وهو يأمرهم فيبتدرون لامتثاله ،ثم أمرهم بالانصراف فرجعوا بين يديه القهقرى، حتى استقلوا الهواء سائرين وأنا معهم مع صاحبي، فلما رجعنا إلى الجبل قلت لهم: ما رأيت كالليلة في أدبكم بين يديه وإسراعكم إلى امتثال أمره)[1] وغيرها من غرائب الآثار والجلي هو اعتماد الشطنوفي على المثيولوجيا الشعبية، ومن هنا برزت لنا صورة بهجة الأسرار واهميته وخطورته، وللرجل وكتابه أهمية ومكانة كبيرة بين صفوف الصوفية وفي مجالسهم قديماً وحديثاً وهذا معلوم ومشهور، وهنا يتجلى لنا وبوضوح تام أهمية -المهجة- التي هذبت بهجة الأسرار وقدمت لنا نسخة مقبولة معدلة ومزيدة، لتكون البديل السليم .

وبالنسبة للموضوعات وفهرستها في بهجة الأسرار فالشطنوفي جعل كتابه متصلاً متسلسلاً بلا أقسام ولا فصول، وإنما على شكل سردٍ متصل بدأ البهجة بخطبة الكتاب ،مفتتحاً بالبسملة ومثنياً بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن ثم تحدث عن أسباب التأليف، وبعدها يفصل القول في أهم نقاط الكتاب ومحتوياته ، أذ ينتقل المؤلف بعدئذ إلى ذكر أخبار المشايخ الذين ذكروا أن الشيخ عبد القادر الجيلاني قال بمسألة (القدم) الآنفة الذكر، وينتقل إلى موضوع أخبار المشايخ بالكشف الصوفي عن أحوال الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم ذكر من حنى رأسه من المشايخ عند سماع ذلك، وينتقل بعدها إلى ذكر تعظيم الأولياء رضي الله عنهم

---

[1] الشطنوفي، المصدر السابق،ص١٤٣وللمؤرخ الدكتور هشام جعيط: دراسة مهمة حول الرؤى ودلالتها في التراث الاسلامي ،فلتراجع، في كتابه في السيرة النبوية ،دار الطليعة ، بيروت، ١٩٩٠

للشيخ عبد القادر، بسبب مقامه ودرجته عند الله عزوجل وينتقل إلى ذكر كلمات أخبر بها عن نفسه (الشيخ عبد القادر محدثاً بنعمة ربه ومنه عليه وفضله، وينتقل إلى موضوع آخر وفصول من كلامه مرصعاً بشيء من عجائب أحواله مختصراً، وينتقل إلى ذكر طريقته رضي الله عنه وذكر نسبه، وصفته، وذكر وعظه ،وفضل أصحابه وبشراهم، وشيء من أخلاقه ،وذكر علمه وتسمية بعض شيوخه ،و شيء من أجوبته ،مما يدل على قدم راسخ في علوم الحقائق ،وذكر سياق مروياته في الحديث النبوي الشريف وذكر أحترام المشايخ والعلماء له وثنائهم عليه، ويختتم الكتاب بقول للشيخ السيد احمد الرفاعي، يمتدح به الشيخ عبد القادر الجيلاني مجدداً التذكير بفضله وعلمه بقوله:(ومن يبلغ مبلغ الشيخ عبد القادر الجيلاني، ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه وبحر الحقيقة عن يساره، من أيهما شاء أغترف الشيخ عبد القادر الجيلاني، لا ثاني له في عصرنا هذا وإذا دخلت بغداد يوماً يا مريد فلا تقدم على زيارة الشيخ عبد القادر الجيلاني شيئاً، والشيخ محيي الدين أبو محمد عبد القادر حسرة على من لم يره رضي الله عنه وأرضاه رحمة الله عليه انتهى أخر ما بيض من هذا الكتاب وهو كتاب بهجة الإسرار ومعدن الأنوار في مناقب ألباز الأشهب والطراز المذهب قطب بغداد أمام العارفين وقدوة المتقين الشيخ سيدي محي الدين عبد القادر الجيلاني البغدادي الحسني العلوي رضي الله عنه ونور ضريحه .جمع الفقير إلى ربه تعالى الغني به عمن سواه، علي بن يوسف بن جرير بن معضاد بن فضل الشافعي

اللخمي، عرف بالشطنوفي، غفر الله له ولوالديه والمسلمين أمين)[1] . وهذا ما أنتهى عليه كتاب بهجة الأسرار للأمام الشطنوفي.

ويبقى (بهجة الأسرار ومعدن الانوار) من الاصول الصوفية الهامة، وهو أشهر كتاب عن مناقب الجيلاني إذ يتضمن معلومات هامة ونادرة عن الجيلاني ومدرسته والعلوم التي تدرسها ومواصفات مجلسه والرجال الذين التقى بهم،

مع ذكر نصوص نادرة كاملة للجيلاني في صلب التصوف، وتغلب عليها اللغة الرمزية الجميلة وفيها اشارات جميلة وتعريف لمصطلحات صوفية مهمة، وقد أفادت كثير من كتب التراجم من الكتاب، إلا ان بعضهم لم يشر اليه كمصدر[2] .

---

(1) الشطنوفي، المصدر السابق، ص٢١٠.

(2) التل، عمر سليم عبد القادر، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩، ص١١.

رابعا: الامام عبدالقادر الجيلاني

الامام السيد الشيخ عبد القادر الجيلي (٤٧٠ هـ - ٥٦١ هـ) الموصوف بـ "تاج العارفين" و"محيي الدين" و"شيخ الشيوخ" و"قطب بغداد" وسلطان الاولياء واشهرها "الباز الاشهب" هو أبو صالح السيد محيي الدين عبد القادر الجيلي بن السيد موسى بن السيد عبد الله الجيلاني بن السيد يحيى الزاهد بن السيد محمد المدني بن السيد داود الامير بن السيد موسى الثاني بن السيد عبد الله أبي المكارم بن السيد موسى الجون بن السيد عبد الله المحض بن السيد الحسن المثنى بن السيد الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب زوج السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد صلى الله عليه واله وسلم، ولد الشيخ عبد القادر الجيلاني ،في ١١ ربيع الثاني وهو الاشهر ، سنة ٤٧٠ هـ الموافق ١٠٧٧م، في قرية "جيل"

العراق وهي قرية قرب المدائن جنوب بغداد ، لافي جيلان الطبرستان كما يردد اعتمادا على رواية واحدة رددتها بعض الكتب بلا تدقيق او نظر [١] .

روى الحديث عن الشيخ عبد القادر الجيلاني رجال من أمثال ، الحافظ عبد الغني المقدسي، و الشيخ الموفق بن قدامة المقدسي، والشيخ علي بن إدريس البعقوبي، واحمد بن مطيع الباجسرائي، وعبد اللطيف بن محمد بن القبيط، وغيرهم من أئمة الحديث و قرأ الشيخ الجيلاني الأدب على أبي زكرياء يحيى بن على التبريزي [٢] .

وفي التصوف صحب الشيخ الجيلاني الشيخ حماد بن مسلم الدباس [٣] (ت ٥٢٥ هـ) وأخذ عنه علم الطريقة و تأدب به، وأخذ الخرقة من يد أبي سعد [٤] المبارك بن علي بن الحسين

---

(١) انظر : الكيلاني ، جغرافية الباز الاشهب ، قراءة ثانية في سيرة الشي عبد القادر الكيلاني وتحقيق محل ولادته وفق منهج البحث العلمي ، المنظمة المغربية للعلوم ، الرباط ٢٠١١ (المصادر المبكرة كلها تلقبه بالجيلي واما الجيلاني والكيلاني فهي تحريف متأخر) .

(٢) الشطنوفي، (مخطوطة) بهجة الأسرار ، ص ٢٢٤ .

(٣) انظر ترجمته . ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢١٥ . الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٥، ص .

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار ، ص ٢٢٤ . التدافي، قلائد الجواهر ، ص ٧ .

المخرمي [1] (ت ٥١٣ هـ)، وكان أبو سعد حنبلي المذهب وقد درس وأفتى وقبلت شهادته وولي قضاء باب الأزج [2]،حيث بنى مدرسة هناك [3]، ثم اشتهرت بالشيخ عبد القادر تلميذه" [4] . وهكذا كان المخرمي شيخ الشيخ عبد القادر في الفقه وفي لبس الخرقة.

أما سلسلة مشايخ خرقة التصوف التي لبسها الجيلاني من المخرمي فيذكر أن المخرمي لبسها من أبي الحسن علي بن محمد القرشي الهكاري وهو من أبي الفرج الطرسوسي، وهو من عبد الواحد بن عبد العزيز، وهو من والده، وهو من ابي بكر الشبلي، وهو من ابي القاسم الجنيد، وهو من خاله السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو من

---

(١) انظر ترجمته في: ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، (ت ٥٢١ هـ) . طبقات الحنابلة، ٢ج، (تحقيق محمد حامد الفقي)، دار المعرفة، بيروت، (د. ت.) . ج ٢، ص ٢٥٨ . ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٢١٥ . الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٥، ص ٣٥٩ . مجهول، (مؤلف من القرن الثامن الهجري) ، كتاب الحوادث، وهو الكتاب المسمى وهماً بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة والمنسوب لابن الفوطي، ط ١، (حققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، الدكتور عماد عبد السلام رؤوف) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧ . ص ١٦٧ . ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٢٩ . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٦٦ والمخرم اسم رجل وهي محلة ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧١ .

(٢) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٢١٦ . والأزج بالتحريك، محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد فيها عدة محال كل واحدة منها تشبه ان تكون مدينة، وينسب إليها كثير من أهل العلم (باب الشيخ حاليا) . ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٦٨ .

(٤) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٥، ص ٣٥٩ .

حبيب العجمي وهو من الحسن البصري وهو من علي بن ابي طالب[١]، إلاّ أن "المعتبر في طريق الخرقة الصحبة" [٢]. وهناك ما يشير أيضاً إلى ان الجيلاني اخذ التصوف عن الشيخ ابي يعقوب يوسف بن أيوب الهمذاني الزاهد [٣] (ت ٥٣٥ هـ) لما قدم بغداد [٤]. وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلاني يكتب إسناد خرقته لمن يلبسها منه[٥].

هذا، ويعود تاريخ صحبة الجيلاني للشيخ حماد الدباس إلى سنة ٤٩٩ هـ[٦] وما بعدها. ويبدو أن سنوات الخلوة التي قضاها الجيلاني في سلوكه الصوفي كانت خلال فترة صحبته للشيخ حماد الدباس. وقد كانت خلوة بعد تفقه آنذاك، وفي ذلك قال الجيلاني بعد أن سلك الطريق الصوفي وصار من الواصلين: "المؤمن من يتعلم ما يجب عليه، ثم يعتزل عن الخلق ويخلو بعبادة

---

(١) الجيلاني، عبد القادر، (ت ٥٦١). فتوح الغيب، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤. ص ١٣٥. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ٢٦٦. الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٦٨١-٦٨٢. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٧-٨.

(٢) التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨.

(٣) انظر ترجمته في قلائد الجواهر ص٢٣.

(٤) التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨، نقلها التادفي عن إبراهيم الدّيري الشافعي مؤلف كتاب " مختصر الروض الزاهر ".

(٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١٤.

ربه عز وجل" [1]، وقال أيضاً" القوم تفقهوا ثم اعتزلوا عن الخلق بقلوبهم. ظواهرهم مع الخلق لإصلاحهم، وبواطنهم مع الحق عز وجل في خدمته وصحبته" [2]، وقال أيضاً: "تعلّم ثم اعمل ثم انفرد في خلوتك عن الخلق، واشتغل بمحبة الحق عز وجل. فإذا صح لك الانفراد والمحبة قربك إليه وأدناك منه وأفناك فيه، ثم إن شاء يُشهرك ويُظهرك للخلق، ويُردُّك إلى استيفاء الأقسام... تستوفي الأقسام وقلبك مع الحق عز وجل"[3].

وقد أوصى الجيلاني أحد طلبة العلم الذين رغبوا بأن ينقطعوا للعبادة فقال له: "إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ و تتأدب، وإلاّ فتنقطع و أنت فُريخ ما ريشت" [4].

وقد ترجمت المصادر المتقدمة[5] للشيخ عبد القادر الجيلاني في حال شهرته ولم تفصل فيما جرى له في حال سلوكه وخلوته التي قضى فيها سنين طويلة.

---

(1) الجيلاني، محي الدين أبو محمد عبد القادر بن موسى، (ت ٥٦١ هـ). الفتح الرباني والفيض الرحماني، ط١، دار الجمل، (المانيا)، ٢٠٠٧ص ١٥٣.

(2) الجيلاني، الفتح الرباني، ص ٢٧٩.

(3) المصدر نفسه، ص ٧١.

(4) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٩، ص ٩٧.

(5) مثل: ابن الجوزي في المنتظم، وابن الاثير في الكامل، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان.

وعلى كل حال فإن ما يجده الصوفي في حال خلوته ومجاهدته هي من الأمور التي يندر أن يتكلم عنها الصوفية بالتفصيل، إلاّ أن الشطنوفي ينسب للشيخ الجيلاني ذكره تفصيل كثيراً مما كان يجده في حال خلوته من مشقة وأمور عجيبة ووصفه لها يعطي صورة نموذجية لما يواجهه الصوفية في خلواتهم، فمن ذلك قوله: "كانت الأحوال تطرقني في بدايتي في السياحة، فأقاومها فأملكها فأغيب فيها عن وجودي، وأغدوا وأنا لا أدري، فإذا سُرّي عني من ذلك وجدت نفسي بعيداً عن المكان الذي كنت فيه" [1]، وقال: "أقمت في صحارى العراق وخرابه خمساً وعشرين سنة مجرداً سائحاً لا أعرف الخلق ولا يعرفوني، ورافقني الخضر عليه السلام في أول دخولي إلى بغداد وما كنت عرفته قبل، وشرط علي أن لا أخالفه وقال لي أقعد هنا فجلست في المكان الذي أقعدني فيه ثلاث سنين يأتيني في كل سنة مرة ويقول مكانك حتى آتيك. وكانت الدنيا وزخارفها وشهواتها تأتيني في صور شتى عجيبة فيحميني الله تعالى من النظر إليها، وتأتيني الشياطين في صور شتى مزعجة ويقاتلونني فيقويني الله تعالى عليهم، وتبرز إليّ نفسي في صورة فتارة تتضرع إليّ فيما تريده وتارة تحاربني فينصرني الله عز وجل عليها، . . . . وأقمت زماناً في خراب المدائن (جيل العراق) آخذ نفسي بطريق المجاهدات، . . . واقمت في خراب الكرخ سنين. . . . . ، ويأتيني رجل في كل سنة بجبة صوف البسها، ودخلت في ألف فن حتى أستريح من دنياكم، وما كنت أعرف إلا بالتخارس والبله والجنون، وكنت أمشي حافياً في

---

(1) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٣.

الشوك وغيره، وما هالني شيء إلا سلكته ولا غلبتني نفسي فيما تريده قط، ولا اعجبني شيء من زينة الدنيا قط . . [1]، وقال أيضاً: "كنت في زمن مجاهد تي إذا اخذ تني سنة اسمع قائلاً يقول: ياعبد القادر ما خلقتك للنوم، قد أحببناك ولم تك شيئاً فلا تغفل عنا وأنت شيء" [2] .

ان الهدف من فترة الخلوة والانقطاع عند الصوفية هو قطع العلائق بغية الوصول إلى ما يسميه الجيلاني الوجود الثاني، ويذكر الجيلاني ان العلائق التي قطعها في خلوته هي أشراك الدنيا، وأسباب الخلق المتصلة به، ثم كشف له عن باطنه فرأى قلبه مناطاً بعلائق كثيرة هي إرادته و اختيا راته فقطعها وتخلص قلبه منها، ثم كشف له عن نفسه فرأى "أدواها باقية وهواها حي وشيطانها ما رد، فتوجه في ذلك، فبرئت أدواء النفس ومات الهوى وأسلم الشيطان وصا ر الأمر كله لله"، قال: "فبقيت وحدي والوجود كله من خلفي، وما وصلت إلى مطلوبي بعد"، ثم اجتذب إلى ابواب للدخول منها إلى مطلوبه: باب التوكل، وباب الشكر، وباب التسليم، وباب القرب، وباب المشاهدة، فوجد عندها زحمة حتى إذا اجتذب إلى باب الفقر فإذا هو خال فدخل منه فرأى فيه كل ما تركه، قال: وفتح لي منه الكنز الأكبر . . . ومُحقت البقايا ونسخت

---

(1) الشطنوفي، بهجة الاسرار، ص ١٨٠– ١٨١ .

(2) المصدر نفسه، ص ٤٦ .

الصفات وجاء الوجود الثاني " (١)، ويفهم من معنى الوجود الثاني عند الصوفية انه حال البقاء بالله بعد الفناء فيه، وهو مغاير لحال البقاء بالنفس الذي هو حال الناس عامة.

وفي فترة سياحة الجيلاني تلك أقام سافر الى بلدة بعقوبة قرب بغداد وهناك التقى ب (الشريف البعقوبي) (٢)، وقد مرّ عليه شيخه أبو سعد المخرمي ودعاه إلى باب الأزج ومضى، وآلى الجيلاني على نفسه ألاّ يسافر إلا بأمر فجاءه الخضر وأمره بالخروج إلى أبي سعيد فخرج ولبس الخرقة من أبي سعيد ولازم الاشتغال عليه(٣).

وقد كان أول حج للجيلاني قبل ان يشتهر في سنة ٥٠٩ هـ عندما حج وحده على ما تسميه الصوفية قدم التجريد، وفي الطريق التقى بالشيخ عدي بن مسافر وكان على قدم التجريد أيضاً فتصاحبا في الطريق(٤)، ثم لم يحج الجيلاني بعد أن اشتهر أمره إلاّ حجة واحدة وكانت بصحبته والدته التي التحقت به في بغداد لاحقا بعد أشتهار أمره وتوفيت ببغداد (٥).

وإذا كان الجيلاني قد تفقه ولبس الخرقة من يد الفقيه الصوفي أبي سعد المخرمي، فإنه لما صحب الشيخ الصوفي حماد الدباس – والذي لم يكن يُعدّ من الفقهاء – كان الجيلاني لايزال

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٢–١٨٣.

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٢٧ الشريف البعقوبي الحسني، ما زال ضريحه ظاهرا ببعقوبة.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٧–١٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢١٨ ولا صحة للمراقد المنسوبة لهما في بعض البلدان الاسلامية.

يدرس الفقه، فكان إذا غاب عن الدباس لطلب العلم ثم عاد إليه يقول له الدباس: "أيش جاء بك إلينا ؟ أنت فقيه، مُرّ إلى الفقهاء "، وكان أصحاب الدباس يقولون للجيلاني إذا جاءهم: "أنت فقيه، أيش تعمل معنا ؟" [١]، وقد سعى الجيلاني لاحقاً إلى تخفيف حدة تلك العلاقة عبر قيامه بإنشاء الرباط الصوفي إلى جانب المدرسة التي تدرس علوم الشرع في بغداد، وكان ذلك التلازم بين المؤسستين استهلال غير مسبوق في علاقة التصوف بالفقه في بغداد آنذاك.

ويبدو أن صحبة الجيلاني للدباس قد أفضت به إلى أن يقصد فقيهاً صوفياً جاء إلى بغداد يقال له القطب، وكان اسمه يوسف بن أيوب الهمذاني، وقد حلّ للجيلاني جميع ما أشكل عليه من أحوال، وأمره أن يجلس للوعظ [٢]،فكان أول جلوس للشيخ عبد القادر على كرسي للوعظ سنة ٥٢١ هـ، وذلك بعد الفتنة التي حدثت بين الحنابلة والفقيه الصوفي الأشعري ابي الفتوح الاسفراييني [٣] . وقد كان لظهور الجيلاني في ذلك الوقت أهمية فيما يتصل بالعلاقة بين الاشاعرة والحنابلة أشار إليها ابن الجوزي حيث قال: "وظهر عبد القادر فجلس في الحلبة [٤] فتشبث به

---

(١) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٩، ص ٩٥ .

(٢) انظر ترجمة الشيخ يوسف بن ايوب الهمذاني في المنتظم ج٩ص٥٦ .

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧ . الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص٥٧ .

(٤) الحلبة: محلة واسعة في شرقي بغداد عند باب الأزج، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٩٠ .

أهل السنة وانتصروا بحسن اعتقاد الناس به" (١)، يفهم منه أن الجيلاني أنقذ التصوف من الاحتكاكات التي كانت قائمة بين الحنابلة والأشاعرة .

وقد جلس الجيلاني في المدرسة التي كانت لشيخه أبي سعد المخرمي بباب الأزج ثم فوضت إليه، "وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت" (٢) .

وقد كان يحضر عنده الرجلان والثلاثة يسمعون كلامه ثم تسامع الناس به وازدحموا عليه، فلما ضاقت المدرسة على الناس حمل الكرسي إلى خارج البلد ، فكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط(٣)، "ويتوب عنده في المجلس خلق كثير، فعمرت المدرسة ووسعت" (٤)، وبذل الأغنياء في عمارتها أموالهم، وعمل الفقراء فيها بأنفسهم وتمت التوسعة سنة ٥٢٨ هـ وصارت المدرسة تنسب إليه، وتصدر بها للتدريس والفتوى وجلس بها للوعظ(٥) .

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٧ . سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٨، ق١،،ص١٢٤ . الذهبي، تاريخ الاسلام،ج٣٦،ص١٠ .

(٢) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٢١٩

(٣) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٢١٩ . الشطنوفي، بهجة الأسرار،ص١٩٤ .

(٤) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٢١٩ .

(٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار،ص٢٢٥ .

وكان الشيخ عبد القادر "يلبس لباس العلماء، ويتطيلس[١]، ويركب البغلة، وترفع بين يديه الغاشية[٢]، ويتكلم على كرسي عال" [٣]. ويذكر أن الشيخ عبد القادر كان يفتي على مذهب أبي حنيفة والشافعي وابن حنبل[٤].

وقد وصف ابن السمعاني الشيخ عبد القادر، وكان قد لقيه في بغداد، بأنه "إمام الحنابلة، وشيخهم في عصره"[٥]، وتابعه في ذلك كل من الذهبي[٦]، والصفدي[٧]، وابن رجب الحنبلي[٨].

---

(١) يتطيلس: أي يلبس الطيلسان....

(٢) الغاشية: "غاية سرج من أديم مخروز بالذهب يظنها الناظر كلها ذهباً يلقيها (الملك) على يديه يميناً وشمالاً".... "تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والاعياد ونحوها، ويحملها الركابدار رافعاً لها على يديه يلفتها يميناً وشمالاً". انظر ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٢٢٢ (الهامش).

(٣) السهروردي، عوارف المعارف، ص ٢٠٨. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٠٨. المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٦

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥٠. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٥، الكيلاني، جمال، جغرافية الباز الأشهب ص٥٤.

(٥) الذهبي. تاريخ الاسلام، ج٣٩، ص ٨٨.

(٦) المصدر نفسه، ج٣٩، ص ٨٧. وانظر قوله في العبر "شيخ العصر... ومدرس الحنابلة"، ج ٣، ص ٣٦.

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص ٢٦.

(٨) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٠.

ومن الأمثلة على فتاوى الشيخ عبد القادر ان رجلاً حلف بالطلاق أن يعبد الله عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت أدائها ، فأفتى الجيلاني بأن يأتي الرجل مكة ويُخلى له المطاف ليطوف وحده سبعة أشواط بالبيت ليتحلّ من يمينه[1] .

أما الكرامات التي كانت تجري على يدي الشيخ عبد القادر فقد أسهبت كتب المناقب في ذكرها[2]، وقد كانت كراماته ظاهرة، وكان أكثرها شيوعاً في مجالسه العامة أنه "كان يتكلم على الخواطر" [3]، وهو مما ساعد على اشتهاره وقبوله لدى الناس إذ كانوا ينجذبون إلى مجالسه بفعل الاخبار المتناقلة بينهم عن الكرامات التي تجري فيها[4] . ويذكر عن الشيخ علي بن الهيتي انه قال: "ما رأيت أحداً من أهل زماني أكثر كرامات من الشيخ محي الدين عبد القادر رضي الله عنه. وكان لا يشاء أحد أن يرى منه كرامة في أي وقت شاء إلاّ رآها . وكانت الخارقة

---

(1) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥١ . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٤ .

(2) انظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار . التادفي، قلائد الجواهر . وقد ورد في كتب التراجم التي ترجمت للشيخ عبد القادر الجيلي بعضاً من تلك الكرامات .

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ، ص ٢٦٤ .

(4) Arburry, sufism, p.85.

(الكرامات) تظهر أحياناً منه وأحياناً فيه"[١] . ويذكر أن الشيخ عبد القادر كان سيد اولياء بغداد [٢] .

وذكر عز الدين بن عبد السلام انه "ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلاّ الشيخ عبد القادر "[٣]، ويذكر عن الشيخ الموفق بن قدامة المقدسي قوله: ولم أسمع عن أحد يُحكى عنه من الكرامات أكثر مما يُحكى عنه، ولا رأيت أحداً يُعظّم من أجل الدين أكثر منه"[٤] .

ويذكر الشطنوفي (مؤلف كتابنا هذا) أن سبب تصنيفه لكتاب "بهجة الأسرار" الذي جمعه في مناقب الشيخ عبد القادر إنما كان لإظهار معنى قول الشيخ الجيلاني في أحد مجالسه في بغداد "قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله" [٥]، وهو قول اشاري فلسفي أبستمولوجي،وكان في مجلسه حينها عامة مشايخ العراق[٦]، وبينما يورد الشطنوفي الروايات الكثيرة التي يستشهد بها

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص٥٦ .

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص١٣٣، ١٣٤، ٣١٧ . التادفي، قلائد الجواهر، ص٨٠ . المناوي، الطبقات الكبرى، ج١، ص٦٧٦ .

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٩، ص ٩١–٩٢ . وانظر الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٢٧ . اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ٢٦٨ . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص ٢٩٢ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٣٣٢ .

(٤) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٣٦ . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص ٢٩٢ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٣٣٢ .

(٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص٣ .

(٦) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص١٤–١٥ . وانظر اسماء الحاضرين في ذلك المجلس، ص١٣–١٤ .

على أن هذا القول الصادر عن الجيلاني إنما أمر به أمراً إظهاراً لمقام القطب الغوث[1] – وهو مقام ندر أن يعلن عنه رجل على رؤوس الأشهاد – اعتبره الشهاب السهروردي (ت ٦٣٢هـ) من قبيل الكلمات المؤذنة بالإعجاب التي تظهر من بعض كبار المشايخ بسبب انحصارهم في مضيق سكر الحال وعدم الخروج إلى فضاء الصحو في ابتداء أمرهم"، والقول إشارة إلى "تفرده في وقته"[2]، ومع ذلك فقد فهم قول الجيلاني على أنه تصريح بالقطبانية التي ظهر برهانها عليه[3] والقطبية من مقامات الصوفية .

وقد لقب الشيخ الجيلاني بألقاب تدل على علو مكانته في التصوف، ويلاحظ في تلك المصادر التي ذكرت ذلك أنها مصادر متأخرة كتبت في فترة رواج الطرق الصوفية، ومن تلك الألقاب "ذو البيانين واللسانين، كريم الجدين والطرفين، صاحب البرهانين والسلطانين، إمام الفريقين والطريقين،

---

(1) الشطنوفي، بهجة الاسرار، ص ٥-٣٩ . وفيها تفصيل لمعنى القطب و الغوث عند الصوفية . وانظر ايضاً في تفسير معنى القطب الغوث نفس المصدر، ص ٤١، ٤٣، ١٦٠، ٣٢٩، ٤٨٠، وغيرها . وانظر: اليافعي، ابو محمد عبد الله بن اسعد، (ت ٧٦٨هـ) . نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية اصحاب المقامات العالية الملقب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد، ط ٢، (تحقيق وتصحيح ابراهيم عطوه عوض)، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة، ١٩٩٠ . ص ٢٩٢ .

(2) السهروردي، عوارف المعارف، ص ١٤٣-١٤٤ . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٥ .

(3) المناوي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٧٧ .

ذو السراجين والمنهاجين[1]، الباز الأشهب[2] . ويبدو أن التثنية الظاهرة في هذه الألقاب تشير إلى الجمع بين الفقه و التصوف، أو على ما تسميه الصوفية الشريعة والحقيقة .

وكان للشيخ عبد القادر دور في نقد السلطة فقد "كان يصدع بالحق على المنبر ويُنكر على الظلمة"، ولما ولي القاضي ابن المرخم[3] قال الجيلاني على المنبر مخاطباً الخليفة المقتفي: "ولّيت على المسلمين أظلم الظالمين، وما جوابك غداً لرب العالمين"[4]، فلما ولي المستنجد الخلافة قبض على ابن المرخم سنة ٥٥٥ هـ، وفي نفس السنة خلع المستنجد على الشيخ عبد القادر وعلى عدد من شيوخ الصوفية ببغداد[5] كالشيخ أبي النجيب السهروردي[6] وابن شقران[1]

([1]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٥ . اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ٢٦٧ . التادفي، قلائد الجواهر، ص ٩ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٣٣٢ .

([2]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣١٩ . التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٦٤-١٦٥ .

([3]) هو القاضي ابو الوفاء يحيى بن سعيد بن المظفر المعروف بابن المرخم (ت ٥٥٥ هـ) ، أقضى القضاة، ولاه المقتفي قضاء بغداد سنة ٥٤٢ هـ، وكان " بئس الحاكم يأخذ الرشا و يبطل الحقوق " وقد قبض عليه الخليفة المستنجد سنة ٥٥٥ هـ واستصفيت أمواله وأعيد منها على الناس ما ادعوه عليه، انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٢٥، ج١٠، ص ١٩٤ . ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٢٣١-٢٣٢ . الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٧، ص ١٠، ج٣٨، ص ١٨٧ . ويسميه سبط ابن الجوزي " القاضي ابن المجرم الظالم "، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ٢٦٥ .

([4]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ٢٦٥ .

([5]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٩٤ .

([6]) ابن الجوزي ج١٠، ص ١١٥ .

ومعهم عبد الرحمن بن الجوزي وأذن لهم في الجلوس بجامع القصر، وفي ذلك دلالة على ميول المستنجد وتوجهاته.

وقد كان للشيخ عبد القادر موقف من الملوك وذوي السلطان كان من شأنه إعزاز الطريق الصوفي في أعين الصوفية، فقد "كان يرى الجلوس على بساط الملوك ومن يليهم من العقوبات المعجلة، وكان يأتيه الخليفة أو الوزراء أو من له الحرمة الوافرة وهو جالس فيقوم ويدخل داره، فإذا تبعه خرج الشيخ من الدار لئلا يقوم لهم، وكان يكلمهم الكلام الخشن ويبالغ لهم في الموعظة، وهم يقبلون يده ويجلسون بين يديه متواضعين متصاغرين"[٢]، وكانت تهابه الملوك فمن دونهم[٣] ويعرف عن الجيلاني أنه ما ألمّ بباب ذي سلطان ولا جلس على بساطه ولا أكل من طعامه وهذا دليل انه لم يعاني من فوبيا السياسة، بل كان متحديا، سيدا، جريئًا في الحق[٤].

---

(١) هو احمد بن يحيى بن عبد الباقي الزهري ابو الفضائل يعرف بابن شقران (ت ٥٦١ هـ)، وكان معيداً بالنظامية، كان إماماً واعظاً صوفياً. انظر ترجمته في: الذهبي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ ابي عبد الله بن الدبيثي، ص١٢٧-١٢٨ (الرقم ٤٥٠). السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص٦٨ (الرقم ٦٠٣).

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص١٨٣. التادفي، قلائد الجواهر، ص٤١-٤٢. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٨١.

(٣) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص٢٩٢.

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص١٨٣. التادفي، قلائد الجواهر، ص٤١-٤٢. الشعراني، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٨٠.

وللخليفة المستنجد بالله لقاءات مع الشيخ عبد القادر حيث كان يقصده ليلاً في مدرسته وقد شهد له كرامات فيها مواعظ للخليفة[١]، ومع ذلك كان الشيخ عبد القادر إذا صلى العشاء دخل خلوته وكان لايخرج منها إلاّ عند طلوع الفجر، وقد جاءه الخليفة بالليل مراراً بقصد الاجتماع به دون ان يتمكن من ذلك إلى الفجر[٢].

وتذكر بعض كتب المناقب التي كتبت عن الشيخ عبد القادر أن احد الخلفاء العباسيين جاء إليه يستغيث به ليرد سلطان العجم الذي قصد بغداد وكان الخليفة قد عجز عن رده، فأغاثه الشيخ ورد جيش العجم عن بغداد بدعاءه[٣].

وللشيخ عبد القادر واقعة مع أحد سلاطين السلاجقة الذين كانوا في بغداد مفادها أن بعض اتباع السلطان مرّ بالشيخ عبد القادر ومعه أحمال خمر للسلطان فأمر الشيخ الدواب بالوقوف فوقفت ولم تتحرك، وتحول الخمر في الأواني إلى خل، ولما بلغ الخبر إلى السلطان حضر لزيارة الشيخ وارتدع عن فعل كثير من المحرمات[٤].

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٣٠. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٤٠. وانظر حادثة اخرى ذكرها ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٢.

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٧. التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٦٠-١٦١. ولا يذكر هذان المصدران اسم الخليفة العباسي ولا اسم السلطان المشار إليهما في تلك الحكاية، كما لايذكران تاريخ حدوثها.

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٨٩.

وبغض النظر عن موقفنا ،ضد او مع صدقية تلك الحكايات والكرامات، إلاّ أن ورودها في كتب المناقب وبعض كتب التراجم هو ما يهمّ الباحث من حيث أنها حكايات كانت تشكل عنصراً من عناصر الرأي العام والميثولوجيا الشعبية آنذاك، وكان لها أثر في تشكيل المواقف والقيم التي كانت سائدة في المجتمع في تلك الفترة التاريخية.

ويذكر أن مجالس الشيخ عبد القادر كان يحضرها كبار رجال الدولة مثل نائب الوزراة عز الدين محمد بن الوزير أبي المظفر ابن هبيرة، واستاذ الدار عبد الله بن هبة الله، وحاجب الباب مجد الدين بن الصاحب وغيرهم، وكان الشيخ عبد القادر يخاطبهم بمكنون سرائرهم ويتكلم على خواطرهم في سياق وعظه لهم، كما كان نقيب النقباء ابن الأتقى يحضر مجالس الشيخ عبد القادر وكان يأتيه في غير وقت المجلس ويجلس بين يديه متواضعا[1].

لقد كان للكلام على الخواطر عامل جذب للناس، عامتهم وخاصتهم، لحضور مجالس الشيخ عبد القادر، وفي معنى الكلام على الخواطر يقول الشيخ عبد القادر: "إنما أُنطّق فأنطق وأعطى فأفرق وأومر فأفعل، والعهدة على من أمرني والدية على العاقلة. . . . لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم. أنتم بين يديّ كالقوارير يُرى ما في بواطنكم و

(1) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٩٢-١٩٣. وانظر ايضاً ص ٦٧-٦٩.

ظواهركم . لولا لجام الحكم على لساني لنطق صاع يوسف بما فيه، لكن العلم مستجير بذيل العالم كي لا يُبدي مكنونه" [١] .

وكان الشيخ عبد القادر "في عصره مُعظماً يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد"[٢] ، ومن دلالات تعظيم العامة له انه كان إذا ذهب إلى الجامع يوم الجمعة" وقف الناس في الأسواق يسألون الله تعالى به حوائجهم، وكان له صيت وصوت وسمت و صمت"، وقد هال الخليفة المستنجد مدى تعلق الناس به وذلك عندما عطس الجيلاني في الجامع في يوم الجمعة فشمته الناس حتى سمعت في الجامع ضجة الناس وهم يقولون يرحمك الله و يرحم بك، وكان الخليفة المستنجد وقتها في مقصورة الجامع[٣] .

ومن الآثار السوسيولوجية التي تذكر للشيخ الجيلي في مجتمع بغداد توبة أعداد كبيرة من الناس في مجلسه، حتى قال سبط ابن الجوزي: "وتاب على يده معظم أهل بغداد، وأسلم معظم اليهود والنصارى" [٤]، وقد يكون في ذلك مبالغة إذ يقول الجيلي نفسه "أراد الله مني منفعة الخلق، فإنه أسلم على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود و النصارى، وتاب على يدي أكثر من مائة ألف من

---

(١) جدعان ،فهمي ،اسس التقدم عند مفكري الاسلام،دار الشروق،الاردن،١٩٩٠،ص٥٤ .

(٢) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة،ج١،ص٢٩٣ .

(٣) الشطنوفي، بهجة الأسرار،ص٢٠٨ . التادفي، قلائد الجواهر،ص٤٠ .

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٨، ق١،ص٢٦٤-٢٦٥ .

العيارين، وهذا خير كثير" (١) . على أية حال، كان التائبون على يد الشيخ عبد القادر من فئات اجتماعية متعددة كالعيارين وقطاع الطريق والقتلة(٢) وكان التقليد الجاري في الاعلان عن توبة التائبين ان يأتي التائب إلى الشيخ عبد القادر في مجلسه فيقص الشيخ شعره(٣)، وهذا ماعده المفكر الجزائري محمد اركون ،قمة الانسنة ،ومثال للاسلام الكلاسيكي ،وهي ظاهرة نفسية وابستمولوجية ،تستحق الدرس والتحليل ،وهذا ما يفسر اليوم ان الكثير من الغربيين يعتنقون الاسلام بواسطة الصوفية،وكان للشيخ عبد القادر طريقة في التصوف تميّز بها في زمانه، وقد وصف طريقته عدد من معاصريه بأوصاف ومصطلحات صوفية فيها قدر من الغموض: قال الشيخ علي بن الهيتي (ت ٥٦٤هـ) : "كان طريقه [أي الشيخ عبد القادر] التفويض و الموافقة مع التبرّي من الحول والقوة، و تجريد التوحيد، وتوحيد التفريد مع الحضور في موقف العبودية بسر قائم في مقام العبودية لا بشيء ولا لشيء، وكانت عبوديته صحيحة مستمدة من لحظ كمال الربوبية، فهو عبد سما عن مصاحبة التفرقة (إلى مطالعة الجمع مع لزوم أحكام الشريعة) "(٤) .

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص٢٠٣ . الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٩، ص٩٦ . التادفي، قلائد الجواهر، ص٣٩-٤٠، لكن التادفي يجعل عدد الذين اسلموا من اليهود و النصارى خمسة آلاف .

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص٢٠٣ . وانظر: ص١٣٤ . التادفي، قلائد الجواهر، ص٣٨ .

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٩، ص٩٧ . العمري، مسالك الأبصار، ج٨، ص١٩٤ .

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص١٧٨ . الشعراني، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٨٠ وانظر محمد اركون ،الفكر الاسلامي ،دار الساقي بيروت٢٠٠٩ ص١٣٤ .

وسئل الشيخ عدي بن مسافر (ت ٥٥٧ هـ) عن طريق الشيخ عبد القادر فقال: "الذبول تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والروح واتحاد الباطن والظاهر، وانسلاخه من صفات النفس مع الغيبة عن رؤية النفع والضر والقرب والبعد "[١] . وقال الشيخ بقا بن بطو (ت ٥٥٣ هـ) "طريق الشيخ محي الدين عبد القادر اتحاد القول والفعل، واتحاد النفس والقلب، ومعانقة الاخلاص والتسليم، وتحكيم الكتاب والسّنة في كل خطوة ولحظة ونفس ووارد وحال، والثبوت مع الله عز وجل على ما قرّ عند الأجلاء المتثبتين"[٢]، وقال الشيخ أبو الحسن القرشي: "كانت طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً، ووصفه: قلب فارغ وكون غائب ومشاهدة ربّ حاضر بسريرة لا تتجاذبها الشكوك، وسرٍ لا تتنازعه الأغيار وقلب لا يُفرقه التفات، فجعل الملكوت الأكبر من ورائه، والملك الأعظم تحت قدمه"[٣] .

ويذكر شيخنا الدكتور يوسف زيدان ان: للشيخ عبد القادر كلاماً عن طريقته في التصوف يظهر فيه معنىً لم يذكره معاصروه عند حديثهم عنه، وهذا المعنى يظهر في قوله "كل رجال الحق إذا وصلوا إلى القدر أمسكوا إلا أنا وصلت إليه وفُتح لي منه روزنة فأولجت فيها، ونازعت أقدار الحق بالحق للحق، فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له"[٤]، وتوضح هذا المعنى

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٧٩ . الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٨٠ .

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٧٩ .

(٣) الجيلاني، عبد القادر، تفسير الجيلاني، اعتناء المزيدي، دار الكتب العلمية، ج١، ص٨ .

(٤) زيدان، يوسف، باز الله الاشهب، دار الجيل بيروت، ١٩٩٠، ص٨٧ .

حادثة وقعت لأحد تجار بغداد سنة ٥٢١ هـ، مفادها أن الشيخ حماد الدباس أخبر التاجر بأنه إذا خرج في تجارته إلى الشام فسوف يقتل ويسلب ماله، ولكن الجيلاني أمر التاجر بالذهاب في تجارته على أن يذهب سالماً ويعود سالماً، ذلك أن الجيلاني سأل الله في هذا التاجر أن يجعل ما قدره عليه من القتل والسلب مناماً لا يقظة، فرأى التاجر الأمر مناماً وتمت له تجارته ورجع إلى بغداد سالماً وعُدّت هذه الحادثة من الكرامات التي شهد فيها الدباس للجيلاني بعلو المقام[1].

وطالما ان مجالس الوعظ في بغداد كانت من أبرز الملامح الاجتماعية والدينية آنذاك فمن المناسب في هذا السياق ذكر بعض مواصفات مجلس الشيخ عبد القادر، ففي ذلك دلالة على مكانته عند اهل زمانه ومدى تأثيره فيهم، وهو أمر كان له دور في الرفع من شأن التصوف في تلك الفترة وازدياد إقبال الناس عليه حتى صار للصوفية حُرمة لا تنكر.

كان إذا صعد الشيخ عبد القادر الكرسي للوعظ أو الدرس لا يبصق أحد ولا يتمخط ولا يتنحنح ولا يتكلم ولا يقوم، هيبة له. وكان يُعد من كراماته أن أقصى الناس في المجلس يسمع صوته كما يسمعه ادناهم، "وكان يتكلم على خواطر أهل المجلس ويوجّههم بالكشف"، وكان إذا قام فوق الكرسي يقوم الناس لجلالته[2]. وكان إذا رأى أحدٌ من الحاضرين شيئاً من

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص٦٤-٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٩٩.

الكشف أمره الشيخ بالكتمان قائلاً له " أسكت فليس الخبر كالمعاينة" أو "أقعد فإن المجالس بالأمانة" [١] . وكان يقرأ في مجلسه مقرئان أخوان بغير ألحان ولكن قراءة مرتلة مجودة، وكان يموت في مجلسه الرجلان والثلاثة [كناية عن تأثرهم بالأحوال]، وكان يكتب ما يقول في مجلسه أربعمائة محبرة عالمٍ وغيره، "وكان كثيراً ما يخطو في الهواء في مجلسه على رؤوس الناس خطوات ثم يرجع إلى الكرسي "[٢] . وكان للشيخ نقباء يجلسون على الكرسي، على كل مرقاة منهم اثنان، وكان لا يجلس كذلك إلا ولي أو صاحب حال، وكان يجلس تحت الكرسي رجال آخرون[٣] .

وكان الجيلاني يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات: مرتان بالمدرسة بكرة الجمعة وعشية الثلاثاء، ومرة بالرباط بكرة الأحد، وقد تكلم على الناس مدة أربعين سنة من سنة ٥٢١ هـ ولغاية سنة ٥٦١ هـ، أما مدة تصدره للتدريس والفتوى فامتدت ثلاثاً وثلاثين سنة من سنة ٥٢٨ هـ ولغاية سنة ٥٦١ هـ[٤] .

وكان الجيلاني يقبل النذر ويأكل منه، ويأمر كل ليلة بمد السّماط ويأكل مع الأضياف، وكان له حنطة يزرعها له بعض اصحابه كل سنة توخياً للمأكل الحلال، وكان له غلام يقف على باب

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

(٢) الشطنوفي، بهجة الاسرار، ص ٢٠٢ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٤ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٢ . التادفي، قلائد الجواهر، ص ٣٧–٣٨ .

داره وبيده الخبز وينادي على العشاء والمبيت[١] . كما يذكر أن الشيخ عبد القادر كان يأكل من عمل يده[٢] .

وقد صنف الجيلاني كتاب الغنية لطالبي طريق الحق، وجمع تلاميذه مما دونوه من كلامه في مجالسه كتاب فتوح الغيب[٣] وكتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني (وهو من أروع الكتب التي تخاطب النفس البشرية) وينسب له ديوان جميل من الشعر الصوفي حققه يوسف زيدان وقام بشرحه الشاعر فالح الحجية في مجلد كبير ومما ينسب له من شعر القصيدة الغوثية نوردها لكونها اشهرتها :

القصيدة الغوثية كما وردت في الديوان:

1- سقاني الحب كاسات الوصال فقلت لخمرتي نحوي تعالى

2- سعت ومشت لنحوي في كؤوس فهمتُ بسكرتي بين الموالي

3- وقلت لسائر الأقطاب لُمُّوا بحاني وادخلوا ، أنتم رجالي

4- وهيموا واشربوا أنتم جنودي فساقي القوم بالوافي ملالي

5- شربتم فضلتي من بعد سكري ولا نلتم علُوّي واتّصالي

---

(١) التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٥-١٦ .

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص ٢٧

(٣) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٩٦ .

6- مقامكم العُلا جمعاً ولكن مقامي فوقكم ما زال عالي

7- أنا في حضرة التقريب وحدي يُصرّفني وحسْبي ذو الجلال

8- أنا البازيُّ أشهب كُلّ شيخٍ ومن ذا في الملا أعطى مثالي

9- درست العلم حتى صرت قطباً ونلت السعد من مولى الموالي

10- كساني خِلْعةً بطراز عِزٍّ وتوجني بتيجان الكمال

11- وأطلعني على سر قديم وقلدني وأعطاني سؤالي

12- وولاني على الأقطاب جمعاً فحُكمي نافِذٌ في كل عالي

13- فلو ألقيت سري وسط نار لذابت وانطفت من سر حالي

14- ولو ألقيت سري فوق ميت لقام بقدرة المولى سعى لي

15- ولو ألقيت سري في جبال لدكت واختفت بين الرمال

16- ولو ألقيت سري في بحار لصار الكُلُّ غوراً في الزَّوالِ

17- وما منها شهور أو دهور تمُرُ وتنقضي إلا أتى لي

18- وتخبرني بما يجري ويأتي وتُعْلِمُني فأُقْصِرُ عن جدالي

19- بلادُ الله مُلْكِي تحت حُكْمي ووقتي قبل قبلي قد صفا لي

20- طبولي في السما والأرض دقت وشاءُسُ السعادة قد بدا لي

21- أنا الجيلاني مُحيي الدين اسمي وأعلامي على رُوس الجبال

22- أنا الحسنِيُّ والمخدع مقامي وأقـدامي على عُنق الرّجال

23- رجالُ خيموا في حيّ ليلى ونالوا في الهوى أقصى منال

24- رجالُ في النها ر ليوث غابٍ ورهبـانُ إذا جـنّ الليالي

25- رجالُ في هواجرهم صِيامُ وصوت عويلهـم في الليل عالي

26- رجالُ ما التهوا عنه بشيء ومـا اختا روا قصـوراً في عوالي

27- رجالُ لا يُضام لهم نزيلُ ولا يشـقى الجليس ولا يُبالي

28- رجالُ سائحون بكل واد وفي الغا بات في طلب الوصـال

29- ألا يا للرجال صِلوا مُحبّاً لـنا ر البعد والهجران صال

30- ألا يا للرجال قُتِلتُ ظُلماً بلحظ قد حكى رشق النبال

31- ألا يا للرجال خذوا بثأري فإنّي شيخُكم قُطب الكمال

32- فمن في أولياء الله مِثْلِي ومن في الحكم والتصريف خالي

33- ترى الدنيا جميعاً وسط كفّي كخردلةٍ على حُكْم النّوال

34- مُريدي لا تخف وشْياً فإني عزوُمٌ فاتِلُ عند القتـالِ

35- مُريدي لا تخف فاللّهُ ربّي حَبَاني رِفْعةً نِلْتُ المعالي

36- مُريدي هِمْ وطِبْ واشْطحْ وَغَنّي وافْعل ما تشـا فالإسْمُ عالي

-37 وكلُّ فتىً على قدمٍ وإنّي على قدم النبي بدْر الكمالِ

-38 عليه صلاة ربّي كلّ وقتٍ كتُعداد الرّمال مع الجبال.

.

توفي الجيلاني ودفن بمدرسته وقد بلغ تسعين سنة[١]، "ودفن ليلاً من كثرة الزحام فإنه لم يبق ببغداد أحد إلاّ وقد جاء إلى باب الأزج وامتلأت الحلبة و الأسواق والدروب فلم يتمكنوا من دفنه"[٢].

ومما قيل في رثاء الشيخ عبد القادر قصيدة لنصر النميري قالها غداة دفن الشيخ عبد القادر، فيها دلالات على مكانة الجيلاني في الفقه و التصوف[٣]، فمنها قوله:

ذو المقام العليّ في الزهد لا ينكر قول المحب فيه الحسود

والفقيه الذي تعذر أن يلقى له في الورى جميعاً نديدُ

تترامى إليه في العلم بالله وبالحكم في الفتوى الوفود

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢١٩.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٢٦٦.

(٣) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص٣٠٠-٣٠١.

ومنها قوله:

يخشع القلب عنده ويظل ... الدمع يجري وتقشعر الجلود

ومنها قوله:

يلتقي النجح ملتقيه ويُعطى ... عنده غاية المراد المريد

ومنها قوله:

مات من كانت الأقاليم تُسقى ... الغيث أغوارها به والنجود

ومنها قوله:

سيد الأولياء في الشرق والغرب ... وبحر الفضائل المورود

وقد وصفت المستشرقة شيمل الشيخ عبد القادر بأنه "أكبر وليّ شعبي في العالم الإسلامي" [1] . كما اعتبرته الباحثة الفرنسية جاكلين شابي أحد أهم من توسط في القرن السادس الهجري بين الحركة الصوفية و الفقهاء وأنه "كان ممن بفضلهم تبنّت الحركة التقليدية خلال القرنين اللاحقين منعطف الطرقية "[2] .

كان للشيخ عبد القادر تسعة و أربعون ولداً، سبعةٌ وعشرون ذكراً و الباقي إناث[3]، ومنهم

.

عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر (ت ٦٠٢ هـ) ، تفقه على والده، وحدث ووعظ ودرّس و تخرج به غير واحد ، ورحل إلى إحدى قرى سنجار و استوطنها[4] في حدود سنة ٥٨٠ هـ بعد

---

(١) شيمل، الابعاد الصوفية في الاسلام، ص ٢٧٩ .

(٢) "عبد القادر الجيلاني بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الأدبية"، بروفسورة جاكلين شابي، (ترجمة الدكتور حسن سحلول)، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد (٧٠)، السنة (١٨)، كانون الثاني، ١٩٩٨، دمشق (نسخة الكترونية) .

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣٩، ص٩٧، نقلاً عن ابن النجار . العمري، مسالك الأبصار، ج٨، ص١٩٦ . ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٢٨ . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٢٨ .

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٢ . الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٥٣ (الرقم ٩٢٦) .

أن غزا عسقلان وزار القدس وكانت ذريته في سنجار في منتصف القرن العاشر والرجل احد قادة جيش صلاح الدين الايوبي ومستشاريه [1] .

عيسى بن الشيخ عبد القادر (ت ٥٩٣ هـ) ، تفقه على والده وسمع منه الحديث ومن غيره، ودرس وحدث ووعظ وأفتى، وصنف كتاب جواهر الأسرار ولطائف الأنوار في علوم الصوفية، وقدم مصر بعد وفاة والده وحدث بها ووعظ وتخرج به جماعة من أهلها ، وتوفي فيها[2] ، وقد لبس منه خرقة التصوف القادرية بعض أهل مصر [3] .

عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر [4] (٥٢٢ هـ - ٥٩٣ هـ) ، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً ، قرأ الفقه على والده حتى برع فيه، ودرّس بمدرسة والده وهو حي نيابة عنه في مستهل سنة ٥٤٣ هـ وقد تجاوز العشرين من عمره، ثم بعد وفاة والده اشتغل بالتدريس، وكان أميز اخوانه، وكان

([1]) الكيلاني ،جمال الدين فالح، الشيخ عبد القادر الكيلاني، ص ٩١ ومن ذريته (المحقق) .

([2]) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤١-٢٤٢ . الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٤١ . التادفي، قلائد الجواهر، ص ٩٠-٩١ .

([3]) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٤، ص ٥١٤ (الرقم ٧٠٤) .

([4]) انظر ترجمته في: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٠٨ . أبو شامة، شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي، (ت ٦٦٥ هـ) . تراجم الرجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط ٢، (صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عني بنشره وراجع أصله عزت العطار الحسيني) ، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤ . ص ١٢ . الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤١ . الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٥٨ (الرقم ٩٤) . تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٣٤ . وانظر ج ٤١، ص ٧٧ . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٠٤ (الرقم ٧٤١٢) . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٨٨ (الرقم ١٩٦) . التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨٩ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥١٤ .

فصيح الوعظ حادّ الخاطر وله مروءة وسخاوة، وقد جعله الناصر لدين الله على المظالم فكان يوصل إليه حوائج الناس[١] وكان ذلك سنة ٥٨٣ هـ[٢]، وبنى تربة الجهة الخلاطية سلجق خاتون و تولى وقفها بأمر من الخليفة الناصر لدين الله[٣] . وروسل من الديوان العزيز إلى الشام[٤] .

وكان عبد الوهاب قد رحل إلى بلاد الهند في طلب العلم، وتخرج به غير واحد[٥]،وقرأ عليه ابن الدبيثي بعض الأحاديث[٦] .

وفي سنة ٥٨٨ كفت يد عبد الوهاب عن وقف الجهة الخلاطية وأخرج ابناء الشيخ عبد القادر عن مدرستهم وسُلّمت إلى عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) وذلك بسبب الركن

---

(١) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٠٨-٢٠٩ .

(٢) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص ٣٨٩ .

(٣) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٢ . الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٣٥، وانظر: ج ٤١، ص ٧٧ .

(٤) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٣٥ . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٨٩ .

(٥) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤١ .

(٦) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٥٨ .

عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر [١]، ثم رُدّت المدرسة إلى أبناء الشيخ عبد القادر بعد أن قبض على الوزير ابن يونس (ت ٥٩٣ هـ) [٢].

عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر [٣] (٥٢٨ – ٦٠٣ هـ) كان ثقة حافظاً [٤] زاهداً عابداً ورعاً "لم يدخل فيما دخل فيه غيره من إخوته [٥]" وكان فقيهاً صالحاً [٦]، تفقه على والده وحدث وأملى ودرّس وخرّج وأفتى، وتخرج به جماعة [٧]، "لكن معرفته بالحديث غطت على معرفته بالفقه [٨]"، وكان منقطعاً في منزله عن الناس لا يخرج إلاّ في الجمعات، "وكان خشن

---

(١) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤١، ص ٧٧.

(٢) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٨٩. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥١٥.

(٣) انظر ترجمته في: ابن نقطة، كتاب التقييد، ج ٢، ص ١٠٩ (الرقم ٤٣٧). أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٥٨. ابن الساعي، الجامع المختصر، ص ٢١٤–٢١٥. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٢–٢٤٣. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٦١ (الرقم ٩٥٨). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٢٤٨ (الرقم ٦٩٧٤). ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٥٦. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٠–٤١ (الرقم ٢٢١). التادفي، قلائد الجواهر، ص ٩٢–٩٣. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٨–١٩.

(٤) ابن نقطة، كتاب التقييد، ج ٢، ص ١٠٩.

(٥) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٥٨. وقال ابن كثير في البداية والنهاية "لم يدخل فيما دخلوا فيه من المناصب والولايات" ج ١٣، ص ٥٦.

(٦) ابن الساعي، الجامع المختصر، ص ٢١٤–٢١٥.

(٧) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٢–٢٤٣.

(٨) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤١.

العيش صابراً على فقره، عزيز النفس عفيفاً على منهاج السلف"[1]، وهو والد قاضي القضاة ابي صالح نصر بن عبد الرزاق .

ومن أحفاد الشيخ عبد القادر الذين لهم صلة بموضوع البحث: قاضي القضاة أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي[2] (ت ٦٣٣ هـ)، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً، وكان مقدم مذهبه وشيخ وقته، درّس في مدرسة جده وغيرها، وقلد قضاء القضاة في خلافة الظاهر بأمر الله "ولم يقلد قضاء القضاة حنبلي سواه"، فسار سيرة حسنة من فتح بابه ورفع حُجابه والجلوس للناس عموماً والاذان على بابه والخروج إلى صلاة الجمعة راجلاً، ثم عزل سنة ٦٢٣هـ فرجع إلى مدرسة جده يدرس ويفتي، ولما تكامل بناء الرباط المستجد بدير الروم جُعل شيخاً على من به من الصوفية إلى أن توفي[3]، "وتخرج به في علمي الشريعة والحقيقة أناس من اهل بغداد"[4].

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤١ . نقلاً عن ابن النجار .

(٢) انظر ترجمته في: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٥ . مجهول، الحوادث، ص ١١٥-١١٧ . الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن احمد الحنبلي، (ت ٧٢٣ هـ) . تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، الجزء الرابع، ٣ م، (تحقيق الدكتور مصطفى جواد)، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢-١٩٦٥ . ج٤، قسم ٢، ٨٧٣ (الرقم ١٢٩٥) . الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٣٥٦ (الرقم ١٣٦٣) . تاريخ الاسلام، ج٤٦، ص ١٧٣ . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٧، ص ٤٦ (الرقم ٣٦) . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٨٩ (الرقم ٣٠٧) . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص ٢٨١ .

(٣) مجهول، الحوادث، ص ١١٥-١١٧ . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٩١ .

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٤٥ .

وله كلام حسن في إشارات الصوفية[1] . وكان مقداماً من الرجال لا يهاب، وله أشعار في الزهد، وفي سنة ٦٣٠هـ انفذ رسولاً إلى الموصل واربل[2] . وقد ألّف في التصوف، وبنيت له دكة بجامع القصر للمناظرة، وكان له قبول تام، وكان يحضره أناس كثيرون، ويبدو أنه كان يتمتع بمكانة كبيرة عند الناس إلى الحد الذي جعلهم يدفنونه في دكة الامام احمد بن حنبل، إلاّ أنه قبض على من فعل ذلك، ثم نبش القبر ليلاً بعد أيام ونقل جثمانه إلى مكان آخر[3] .

ويبدو ان نصراً قد التقى بالشيخ محي الدين بن عربي وجرى بينهما مناظرة في حديث من احاديث الصفات[4] . كما يذكر انه ولي النظر في جميع الوقوف العامة ووقوف المدارس الشافعية والحنفية وغيرها ، فكان يولي ويعزل في جميع المدارس حتى النظامية، وكان المستنصر يعظمه ويجله ويبعث إليه أموالاً كثيرة ليفرقها[5] .

يستنتج مما تقدم انه استمر احترام الناس، الخاصة منهم والعامة، لأبناء الشيخ عبد القادر الجيلي واحفاده، وبخاصة الذين حملوا منهم رسالة الشيخ عبد القادر ، طيلة القرن السادس وحتى سقوط بغداد بيد التتار سنة ٦٥٦ هـ . وقد تابع اكثرهم طريق الشيخ عبد القادر في

---

(١) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٣٥٦ .

(٢) الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ٤، قسم ٢، ٨٧٤ .

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٦، ص ١٧٤-١٧٥ .

(٤) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٩٠ .

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٠-١٩١ .

الفقه والتصوف فكان منهم محدثون وفقهاء ومفتون ومدرسون وقضاة، وكانوا كلهم حنابلة.

وقد كان ارتحال بعض أبناء الشيخ عبد القادر إلى خارج بغداد، واستيطانهم وتناسلهم حيث استقروا، من العوامل التي ساهمت في انتشار التصوف خارج بغداد كالجبال وبلاد الجزيرة و الشام ومصر والمغرب والاندلس، ومهد لتطور لاحق تمثل في نشوء الطريقة القادرية. وكان تصوف ابناء الشيخ عبد القادر وأحفاده تصوف الفقهاء وهو التيار الذي تنامى في تلك الفترة، وقد شارك بعض أولاده بالغزو ضد الفرنجة كابنه عبد العزيز، كما أسهموا أيضاً في حركة التأليف في موضوع التصوف، ومنهم من كان سفيراً للخليفة، ومنهم من ولي الأربطة الصوفية في بغداد. ومما يلفت الانتباه أنه لم يل قضاء القضاة من الحنابلة أحد سوى نصر حفيد الشيخ عبد القادر، قال ابن رجب الحنبلي المتوفى في نهاية القرن الثامن الهجري: "ولا أعلم أحداً من اصحابنا دُعي بقاضي القضاة قبله، ولا استقل منهم بولاية قاضي القضاة بمصر غيره"[١]، وفي هذا دلالة على ان التصوف قد صار معترفاً به رسمياً إلى الحد الذي أصبح عنده الصوفي قاضي قضاة في حاضرة الاسلام، وهو حنبلي على غير ما جرت عليه العادة وتعتبر الاسرة الكيلانية من اكبر الاسر في العالم الاسلامي ،وبرز منهم العديد من الشخصيات من رؤساء وزارة ووزراء وقادة وثوار وادباء وشعراء وعلماء وفي كل الميادين وهم منتشرين في اغلب ارجاء المعمورة.

---

(١) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٩١.

لقد ازدهرت حركة تصوف الفقهاء عامة والحنابلة خاصة في بغداد على يد الشيخ عبد القادر الجيلي وتلاميذه الأمر الذي كان من شأنه ان يلطف الخلاف بين المذاهب ، فكان تصوف الجميع عامل تلطيف للخلافات المذهبية التي بلغت قبل ذلك حداً كاد يهدد استقرار المجتمع البغدادي .

أما تلاميذ الشيخ عبد القادر فهم أكثر من أن يستوعبوا ، وقد انتشروا في بغداد وغيرها من بلاد الاسلام على نحو يخرج هذا البحث عن حدوده لو أريد ذكرهم[١] . ومع ذلك فإن ذكر بعض أشهر تلاميذه من شأنه ان يعطي فكرة عن استمرارية تأثير الجيلاني في حركة التصوف وانتشارها .

لقد انتمى إلى الشيخ عبد القادر (اعداد كبيرة من العلماء و الفقهاء)[٢]، حيث قال ابن العماد أنه " تتلمذ له اكثر الفقهاء في زمنه، ولبس منه الخرقة المشايخ الكبار "[٣]، وفي هذين الخبرين تأكيد للتوجه الصوفي لدى الفقهاء آنذاك، ودور الشيخ عبد القادر في تنشيطه . ويذكر "أن جمهور شيوخ اليمن يرجعون في لبس الخرقة إليه [أي الشيخ عبد القادر]، بعضهم لبسها من يده لما قدمت أعلام فضائله عليهم، والأكثرون من رسول أرسله إليهم "[٤]، ويستدل من ذلك على

(١) للاطلاع على اسماء اشهر تلاميذه في علمي الشريعة والتصوف انظر: الشطنوفي، قلائد الجواهر، ص٩-١١، ٢٢٥-٢٤١ .

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٥ . اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ٢٦٧ .

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٣٣٢ .

(٤) اليافعي، مرآة الجنان، ٣،٢٦٨ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٣٣٢ .

انتشار التصوف وطريقة نشره إذ كان الشيخ يرسل رسلاً إلى البلاد لينشروا الطريقة ويلبسوا الخرقة القادرية أو كان الناس يقصدونه في بغداد ليلبسوا الخرقة من يده.

ويبدو أن الخرقة القادرية كان يُلبسها الآباء للأبناء خلفاً عن سلف، فيذكر عن جماعات من رجال التصوف أنهم "أخذوا له [أي للشيخ عبد القادر] الخرقة خلفاً عن سلف"[١]، ويذكر عن بعض مشاهير المقادسة كالحافظ عبد الغني المقدسي والموفق ابن قدامة المقدسي وغيرهما أنه "من أدركه [أي الشيخ عبد القادر] منهم واجتمع به فقد أخذ عنه، ومن لم يجتمع به منهم فأخذ عمن أخذ عنه خلفاً بعد سلف"[٢]. إن طبيعة هذا الانتقال لخرقة التصوف القادرية كان لها أثر في صبغ كثير من العائلات والأسر بصبغة التصوف حتى كاد ان يكون ذلك وراثياً، فلم يعد التصوف شأناً فردياً كما كان قبل ذلك، وهذا أسهم لاحقاً في التأسيس لقيام ما عرف باسم "الطرق الصوفية" بمعناها الذي راج لاحقاً في بلاد الاسلام عامة، حتى صارت عائلات وأسر بأكملها تتسمى بالقادري والرفاعي والسهروردي وغيرهم، وإنما يعني أن النسبة لم تعد مقصورة على البلد أو الذرية وإنما تعدتهما إلى النسبة إلى طريقة الشيخ المؤسس، ويعبر الشطنوفي عن

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٠.

(٢) الشطنوفي، بهجة الاسرار، ص ٢٣٦.

هذه النسبة الأخيرة بلفظة "انتسب إليه" تميزاً عن لفظة "انتمى إليه"، بحيث يُفهم ان الانتماء هو سير في طريقة الشيخ، اما الانتساب فهو التسمي بها[1].

وقد عرف عن بعض تلاميذ الشيخ عبد القادر انهم نشروا التصوف القادري في بلاد بعينها، وكانوا يدعون الناس هناك للانتماء إلى الشيخ عبد القادر ولبس خرقته، منهم الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن الحداد اليمني الذي دعا أهل اليمن إلى الانتماء إلى الشيخ عبد القادر[2]، والشيخ ابو عبد الله محمد البطائحي نزيل بعلبك الذي ألبس مشايخ الشام الخرقة القادرية وكان أشهر من لبس منه الشيخ أبو محمد عبد الله بن عثمان اليونيني المعروف بأسد الشام[3]، وقام الشيخ بديع الدين أبو القاسم خلف بن عياش الشارعي الشافعي بنشر التصوف القادري في مصر بعد أن درس على الشيخ عبد القادر ببغداد، "وألبس أعيان أهلها [أي مصر] يومئذ الخرقة القادرية"، وقد كان الشارعي "من العلماء الصلحاء المحدثين"[4]، وكان شافعياً أخذ عن الجيلي وهو حنبلي مما يؤكد مرة أخرى أنه عند الصوفية تتلاشى الفوارق المذهبية الموجودة عند غيرهم آنذاك.

---

(1) قارن على سبيل المثال قول الشطنوفي "كلهم انتموا إلى الشيخ محي الدين عبد القادر"، وقوله "تفقه عليه واخذ عنه وانتسب إليه" الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٠، ٢٣٣ على التوالي.

(2) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٢.

(3) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٣.

(4) المصدر نفسه، ص ١٤٧-١٤٨. التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨١.

ونظراً لأهمية تنامي تيار تصوف الفقهاء آنذاك، وازدهار وانتشار حركة التصوف في البلاد والمجتمعات الاسلامية، تغدو الاشارة إلى تراجم بعض مشاهير تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي ودورهم في التصوف أمراً لا مندوحة عنه.

فممن انتمى إلى الجيلي الشيخ ابو عمرو عثمان بن مرزوق القرشي[1] (ت ٥٦٤ هـ) الفقيه العارف الزاهد نزيل الديار المصرية، وقد افتى بها على مذهب ابن حنبل ودرس وناظر وتكلم على المعارف والحقائق، وانتهت إليه تربية المريدين بمصر وانتمى إليه ناس كثيرون من الصلحاء، وحصل له قبول تام من الخاص والعام، وكان له كرامات واحوال ومقامات وكلام حسن على لسان أهل الطريقة، وكان من "أوتاد مصر"[2] التقى بالشيخ عبد القادر الجيلي في الحج على عرفة، ولبس هو والشيخ أبو مدين[3] من الشيخ عبد القادر "خرقة بركة"، وسمعا عليه جزءاً من مروياته، وجلسا بين يديه[4]. وقد كانت الناس بمصر تستنجد به إذا زاد النيل إلى حد الغرق أو نقص عن حد الري[5]، وفي هذا دلالة على كراماته

---

(١) انظر ترجمته في: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣٧٧-٣٨٥، ٢٢٥. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص٣٠٦-٣١١ (الرقم ١٣٩).

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٣٧٧-٣٨٠. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٣) سيأتي ذكره لاحقاً في هذا الفصل.

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥٥. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص٣٠٦.

(٥) ابن رجب، الذيل، ج١، ص٣٠٨.

ومكانته عند الناس. ويذكر عن الشيخ علي بن نجا انه روى عن القرشي كرامة مفادها إنباؤه عن تملك أسد الدين شيركوه مصر في ثالث مرة يقدمها فجرى الأمر كما ذكر[1] . ومن كلامه في المعارف قوله: "من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه"[2] . ومن شعره الصوفي الذي كثر اقتباسه لدى الصوفية:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة ... وأيسر ما في الذكر ذكر لساني

وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهام عليّ القلب بالخفقان

فلما أراني الوجد أنك حاضري ... شهدتك موجوداً بكل مكان

فخاطبت موجوداً بغير تكلم ... ولاحظت معلوماً بغير عياني[3]

---

(1) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٨.

(2) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٧.

(3) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص٣٨٤.

ويبدو أن الفقيه إذا كان صوفياً ذا كرامات ظاهرة وكلمات هادية يصبح قدوة في المجتمع يقتدى الناس به ويتمثلون اقواله وأشعاره، وهذا الأثر للصوفية في مجتمعاتهم كان واضحاً آنذاك، ولكن القرشي وضع ضوابط للاقتداء بالصالحين فقال محذراً " وإياكم ومحاكاة أصحاب الاحوال قبل إحكام الطريق وتمكن الاقدام فإنها تقطع بكم"(١) .

ومن تلاميذ الشيخ عبد القادر الفقهاء الصوفية الذين كان لهم شأن عند نور الدين زنكي، حامد بن محمود بن حامد الحرّاني، تقي الدين المعروف بابن ابي الحجر(٢) (ت ٥٧٠ هـ)، شيخ حرّان وخطيبها ومُفتيها ومدرسها، رحل إلى بغداد ولقي بها الشيخ عبد القادر ولازمه" فرآه الشيخ يوماً يمشي على سجادته على بساط للشيخ فقال الشيخ عبد القادر: كأني بك وقد دُست على بساط السلطان، فكان كما قال"(٣)، وبنى نور الدين محمود المدرسة في حران

---

(١) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٠٧ .

(٢) انظر ترجمته في: ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٣٢–٣٣٤ (الرقم ١٥٣) . ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٩٢ . عباس، الدكتور إحسان، (١٩٨٨) . شذرات من كتب مفقودة من التاريخ . ٢ ج، (ج ١، ط ١)، (ج ٢، ط ٣) . بيروت: دار الغرب الإسلامي . = ج ١، ص ١٨٢، (ذكر في كتاب الاستسعاد بمن لقيته من صالحي العباد في البلاد لأبي الفرج ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم الانصاري المعروف بابن الحنبلي (ت ٦٣٤هـ)

(٣) ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٣٢ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٩٢ . عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج ١، ص ١٨٢ .

لأجله ودفعها إليه ودرس بها . . . وكان نور الدين محمود يقبل عليه، وله فيه حسن ظن" (١) .

ولما ولاه السلطان نور الدين قال: "بشرط ان تترك المظالم والضمانات، وتورث ذوي الارحام، فأجابه إلى ذلك " (٢) .

ويذكر أنه طلب يوماً من نور الدين قاضياً لحران، وكان نور الدين يومئذ صاحب دمشق، فسيّر إليه أسعد بن المنجا (او المنجى) بن بركات، أبو المعالي الحنبلي القاضي (ت بعد ٥٨١ هـ)، وهو أيضاً من تلاميذ الشيخ عبد القادر، فتولى القضاء والخطابة بحران سنة ٥٦٧ هـ (٣) .

يبدو مما تقدم أن السلطان نور الدين زنكي انتفع بتلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي الذين اسهموا بدور فاعل في النهضة العلمية التي نشطت على يد نور الدين ضمن مشروعه الجهادي ضد الفرنجة .

أما وارث مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني (١) وأجلّ اتباعه (٢) والمشار إليه بعده (٣) فهو أبو السعود بن الشبل العطار الحريمي، أحمد بن أبي بكر بن المبارك (٤) (ت ٥٨٢ هـ) "كان له

---

(١) ابن رجب، الذيل، ج١، ص ٣٣٣، نقلاً عن ابن الحنبلي . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٣٩٢ . عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج١، ص ١٨٢ .

(٢) ابن رجب، الذيل، ج١، ص ٣٣٣ .

(٣) ابن ابي جرادة، كمال الدين عمر بن احمد (ابن العديم)، (ت ٦٦٠ هـ) . بغية الطلب في تاريخ حلب، ط١، ١٠ج، (تحقيق الدكتور سهيل زكار)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ . ج٤، ص ١٥٨٠-١٥٨٢ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص ٣٦-٣٧ .

كرامات وإشارات وقبول تام عند الخاص والعام، وكان طريقه الفناء لا يأكل حتى يُطعم ولا يشرب حتى يُسقى ولا يلبس ثوباً حتى يحصل في عنقه، وكان بين يدي الله تعالى بمنزلة الميت بين يدي الغاسل، لا يزال مستقبل القبلة على طهارة لا يتكلم إلاّ جواباً . وكان حسن الاخلاق كريم الطباع متواضعا"[٥] . وقد صحب الشيخ عبد القادر وتخرج به وسمع منه[٦] ،وحدث بشيء يسير، واشتغل بحاله عن الرواية[٧] ، وكان منزله مجمع الفقراء[٨] . ويذكر "أن الشيخ ابا السعود كان امام وقته" ، وكانت طريقته أن "ما جاء من عند الله لا يرده أبداً ، ولا يطلب شيئاً من أحد"[٩] . وذكر ابن عربي "انه أعلى مقاماً من شيخه"[١] .

---

(١) المناوي، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٦٧٧ .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٦٤٣ .

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ٣٨٩ .

(٤) أنظر ترجمته في: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٣٨٩ . الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٧ . الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ١٢٩ (الرقم ٤٥٥) . تاريخ الاسلام، ج٤١، ص١٣٤، ١٥١ . الجامي، نفحات الأنس، ج٢، ص ٧٠٠ (الرقم ٥٣٠) . المناوي، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٦٤٣ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٤٥٠ .

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ٣٨٩ .

(٦) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٢٧ .

(٧) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ٣٩٠ .

(٨) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ١٢٩ . تاريخ الاسلام ج ٤١، ص ١٣٤ .

(٩) الجامي، نفحات الأنس، ج٢، ص ٧٠٠-٧٠١ .

ويبدو أنه كان لأبي السعود بن الشبل اتباع من أهل الحكم مثل استاذ الدار عضد الدين ابي الحسن علي بن بختيار البغدادي[٢] . ولما توفي أبو السعود " بنوا عليه قبة عالية، وقبره ظاهر يزار "[٣] .

ومن أولاد أمراء العرب الذين صحبوا الشيخ عبد القادر، نصر بن منصور بن الحسن النميري الأديب الشاعر الحنبلي[٤] (ت ٥٨٨ هـ)، وفي هذا دلالة على أن التصوف شمل أناساً من مختلف فئات المجتمع بما فيهم الأمراء .

ومن أشهر من لبس الخرقة من الشيخ عبد القادر، أبو مدين المغربي، شعيب بن الحسين الأندلسي[٥] (ت ٥٩٠ هـ) من أعيان مشايخ المغرب وأحد أوتادها، جمع بين علمي الشريعة

---

(١) المناوي، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٦٤٣ .

(٢) رتبه الناصر أستاذ الدار سنة ٥٨٤ هـ وعزله سنة ٥٨٧ هـ، وانقطع في داره، وكان فيه فضل وله قبول، ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج٤، ق ١، ص ٤٤٦ (الرقم ٦٣٦) .

(٣) سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص ٣٩٠ .

(٤) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٤٨٥ .

(٥) انظر ترجمته في: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٤٠٤-٤١٦، ص ١١٢ . الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤١، ص ٣٩٨ (الرقم ٤٢٤) . العبر في خبر من غبر، ج٣، ص ١٠٣ . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٩٥ (الرقم ٥٤٢٤) . ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٥٣٧ . الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٧٠٢ (الرقم ٥٣١) . التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٠ . الشعراني، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢١٥-٢١٧ (الرقم ٢٧٥) . التلمساني، احمد بن محمد المقري، (ت ١٠٤١ هـ) . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط (بدون)، ٨ ج، (تحقيق الدكتور إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨ . ج٧، ص ١٣٦-١٤٤ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٤٩٥ .

والحقيقة و أفتى ببلاد المغرب على مذهب مالك وناظر وأملى وقصده طلبة العلم و أخذوا عنه، وتخرج بصحبته عدد من الأكابر، سكن بلاد المغرب وتوفي بتلمسان[1] . وقد لبس خرقة التبرك من الشيخ عبد القادر الجيلي في الحج وسمع عليه جزءاً من مروياته وجلس بين يديه[2] .

وكان أبو مدين يرسل بعض تلاميذه، مثل الشيخ صالح بن ويرجان الدكالي، من المغرب إلى الشيخ عبد القادر كي يعلمهم الفقر، وقد جلس الدكالي في خلوة ببغداد مائة وعشرين يوماً بأمر الشيخ عبد القادر ثم رجع إلى المغرب[3] . قال الذهبي: "كان [أبو مدين] كبير الصوفية و العارفين في عصره "[4] . وهو "شيخ أهل المغرب"[5]، وأحد شيوخ محي الدين بن عربي[6]، ويسميه ابن عربي "بشيخ الشيوخ" [7] . ويذكر أنه "خرج على يده ألف شيخ من الأولياء أولي الكرامات"[8] .

---

(1) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٤٠٤-٤٠٥، ٤١٥ .

(2) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٥٥ . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص٣٠٦ . التادفي، قلائد الجواهر، ص١٠ . التلمساني، نفح الطيب، ج٧، ص ١٣٨ .

(3) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١١٢ .

(4) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤١، ص ٣٩٩ .

(5) الذهبي، العبر، ج٣، ص ١٠٣ . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ٩٥ . ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٥٣٧ .

(6) الجامي، نفحات الأنس، ج ٢، ص ٧٠٢ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٤٩٥ .

(7) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٤٩٥ .

(8) التلمساني، نفح الطيب، ج٧، ص ١٣٦ .

وهناك مايشير إلى تخوّف الدولة في المغرب من كثرة اتباع ابي مدين، وهو حال تكرر في غيرها من الدول، حيث وشى بعض العلماء بالشيخ أبي مدين عند يعقوب المنصور وقال له: "إنا نخاف منه على دولتكم، فإن له شبهاً بالامام المهدي، و أتباعه كثيرون بكل بلد"، فبعث إليه يستقدمه، ولكن ابا مدين توفي بالطريق[1] .

ولأبي مدين كلام في التصوف عال، ومنه قوله: "إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره"، وقوله "الاخلاص ان يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق"[2]، وقوله "بفساد العامة تظهر ولاة الجور، وبفساد الخاصة تظهر دجاجل الدين الفتانون"[3] .

يستدل من ترجمة أبي مدين أنه كان هنالك صلة واضحة بين صوفية المغرب و صوفية المشرق، وأن التفاعل بينهما كان قائماً، وأن لمتصوفة بغداد من الانتشار والتأثير في المجتمعات الاسلامية اكثر مما كان للخلافة العباسية نفسها آنذاك .

ومن مشاهير تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي، الشيخ أبو علي الحسن بن مسلم القادسي، وقيل الفارسي،[4] (ت ٥٩٤هـ) كان من الأبدال، وكانت السباع تأوي إلى زاويته، وكان

---

(١) التلمساني، نفخ الطيب، ج٧، ص ١٤٢ .

(٢) الشعراني، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢١٦ .

(٣) التلمساني، نفح الطيب، ج٧، ص ١٤٣ .

(٤) انظر ترجمته في: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٣ . الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٨ (الرقم ١٨٣) . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص ٣٩٥-٣٩٦ (الرقم ٢٠٠) . ابن العماد، شذرات

الخليفة وأرباب الدولة يمشون إلى زيارته، وكان له رباط بالقادسية(١) . تفقه في شيبته، وكان أبو الفرج بن الجوزي يبالغ في تعظيمه، وتردد إليه الامام الناصر لدين الله وكان يعتقد فيه، وكان الناس يقصدونه ويتبركون به(٢) . صحب الشيخ عبد القادر واشتغل بالعبادة والانقطاع إلى الله، وكان ذا كرامات(٣) .

إن تردد الناصر لدين الله على مثل هؤلاء الرجال له دلالة، وربما كان لمثل هذه الزيارات أثر في توجه الناصر لاحقاً نحو تنظيم الفتوة التي سيأتي ذكرها لاحقاً في البحث .

ومن مشاهير فقهاء الصوفية الذين لبسوا الخرقة من الشيخ عبد القادر الجيلي وتفقهوا عليه وسمعوا الحديث منه، وكان لهم دور يذكر في الدولة النورية والأيوبية، الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الانصاري الدمشقي الفقيه الحنبلي الواعظ(٤) (ت ٥٩٩ هـ) نزيل مصر،

الذهب، ج٦، ص ٥١٧ . قال أبو شامة إنه " من قرية بنهر عيسى يقال لها القادسية "، وقال ابن رجب: " أصله من حوراء قرية من قرى دجيل من سواد بغداد، ثم انتقل منها إلى قرية يقال لها الفارسية من نهر عيسى " .

(١) أبو شامة، الذيل، ص ١٣ . الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٩ . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص ٣٩٦ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٥١٧ .

(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٩ .

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٢، ص ١٥٨ . ابن رجب، الذيل، ج ١، ص ٣٩٥ .

(٤) انظر ترجمته في: البنداري، الفتح بن علي، (ت ٦٤٣ هـ) . سنا البرق الشامي، وهو مختصر لكتاب البرق الشامي للعماد الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ)، ط (بدون)، (تحقيق دكتورة فتحية النبراوي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩ . ص ٣١٤–٣١٥ . أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٤–٣٥ . الشطنوفي، بهجة الأسرار، ١٥٥–١٥٦، ٢٣٠ . التادفي، قلائد الجواهر، ص ٧١–٧٢ . ابن

والمعروف بابن نجية و (ابن نجا)، بعثه نور الدين محمود بن زنكي رسولاً إلى بغداد سنة ٥٦٤ هـ، "ثم سكن مصر قبل دولة صلاح الدين وفي أيامه وكان له منه منزلة جليلة، وهو الذي تمّ على عمارة اليمني الشاعر وأصحابه بما كانوا عزموا عليه من قلب الدولة فشنقهم صلاح الدين. . . . وكان صلاح الدين يكاتبه ويحضره مجلسه هو وأولاده العزيز وغيره، وكان له جاه عظيم وحرمة زائدة" (١)، وهو الذي نصب له سرير الوعظ بعد انقضاء صلاة الجمعة الأولى في القدس بعد فتحها على يد صلاح الدين يوم ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ، وذلك بعد خطبة القاضي ابن الزكي، وقد حضر صلاح الدين وعظه(٢).

وفي مصر "كان يعظ بجامع القرافة مدة طويلة، وله فيها وجاهة عظيمة عند الملوك. . . وكان صلاح الدين. . . يسميه عمرو بن العاص، ويعمل برأيه، وكان أهل مصر لا يخرجون عما يراه لهم زين الدين يعني ابن نجية وكثير من أرباب الدولة" (٣).

وفي بغداد اجتمع بالشيخ عبد القادر وغيره من الأكابر ووعظ بجامع المنصور (١).

العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ٥٥٤-٥٥٥. عباس، الدكتور احسان، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج١، ص ١٩٣-١٩٦ (كتاب الاستسعاد لابن الحنبلي). أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٤-٣٥.

(١) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٤-٣٥.

(٢) البنداري، سنا البرق الشامي، ص ٣١٥. عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج١، ص ١٩٥.

(٣) عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج١، ص ١٩٤-١٩٥.

ويذكر الشطنوفي، ويتابعه التادفي، خبر لبس ابن نجا الخرقة من الشيخ عبد القادر الجيلي وقراءته الفقه عليه وسماعه الحديث منه، ثم يذكر خبراً يؤكد فيه اتصال ابن نجا بالدولتين النورية والأيوبية وأثره فيهما بسبب كرامة من كرامات الجيلي، حيث ان ابن نجية حج ثم أتى بغداد والتقى بالجيلي فلما سلم عليه قال له الجيلاني " أهلاً وسهلاً بواعظ الديار المصرية"، فتعجب ابن نجا وقال له: كيف وانا لا أحسن أصحح الفاتحة، فقال: أمرت أن أقول لك هذا . قال ابن نجا: "فاشتغلت عليه [أي على الشيخ عبد القادر] بالعلم ففتح الله عليّ بالعلم في سنة ما لم يفتحه على غيري في عشرين سنة، وتكلمت ببغداد"، ولما استأذن للسفر إلى مصر أوصاه الجيلي أن يقول لجيش نور الدين المتأهب لدخول مصر أنهم لن يملكوا مصر في هذه المرة وإنما في مرة أخرى، فلما أبلغهم ابن نجية لم يقبلوا منه، ثم إن ابن نجية دخل مصر فوجد الخليفة المصري متأهباً فأخبره ان جيش نور الدين لن ينجح في مسعاه، فلما تحقق الأمر اتخذه الخليفة المصري جليساً وأطلعه على اسراره، ثم جاء جيش نور الدين في الثانية فملكوا مصر، وأكرموا ابن نجية بالكلام الذي قاله لهم بدمشق (٢) .

إن محور هذا الخبر هو أحدى كرامات الشيخ عبد القادر، وكيف كانت سبباً لبداية اتصال احد تلاميذه بأرباب السلطة، وليست الكرامات بحدّ ذاتها محور الاهتمام هنا، فهذا مما لا

(١) عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج١، ص١٩٤ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص٥٥٤ .

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص١٥٥-١٥٦، ٢٣٠ . التادفي، قلائد الجواهر، ص٧١-٧٢ .

يتسع البحث له، وإنما ما يهم البحث هو مدى تأثر أهل ذلك العصر بالكرامات وموقفهم منها وإيمانهم بها على نحو أملى عليهم في بعض الأحيان مواقفهم في الأحداث التاريخية. وكما أنه يصعب تصور التصوف بدون كرامات في القرن السادس الهجري، كذلك فإن تصور مجتمع تلك الفترة يبقى تصوراً قاصراً إذا لم يؤخذ بعين الاعتبار دور الكرامات فيه وأثرها في الفعل التاريخي، وذلك بصرف النظر عن موقف المؤرخ تجاه الكرامات الصوفية، سلبياً كان أم إيجابياً، ويؤكد هذا القول حقيقةُ مفادها أنه لا يكاد مصدر من المصادر التاريخية يخلو من ذكر أصحاب الكرامات، الأمر الذي يدل على أن الكرامات كانت عنصراً ثابتاً من العناصر النفسية والفكرية لأهل تلك الفترة، وبالتالي فإنها تدخل في الفعل التاريخي لهم.

ومن مشاهير تلاميذ الشيخ عبد القادر، الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي[1] (ت ٦٠٠ هـ) قدم بغداد هو والموفق بن قدامة المقدسي فنزلا في مدرسة الشيخ عبد القادر لما تفرس فيهما الخير والصلاح فأكرمهما وسمعا عليه، ثم توفي الشيخ عبد القادر بعد قدومهما بخمسين ليلة، وكان ميل عبد الغني إلى الحديث والموفق إلى الفقه[2]، قال موفق الدين

---

(١) انظر ترجمته في: أبو الشامة، الذيل على الروضتين، ص ٤٦-٤٧. ابن الساعي، الجامع المختصر، ص ١٤٠. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٠، ٢٣١، وغيرها. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٧٣ (الرقم ١٠٠٨). ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٤٦-٤٨. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٥-٣٢ (الرقم ٢١٤).

(٢) الذيل على الروضتين، ص ٤٦.

بن قدامة المقدسي: "لبست انا والحافظ عبد الغني الخرقة من يد شيخ الاسلام محي الدين عبد القادر في وقت واحد، واشتغلنا عليه بالفقه وسمعنا منه وانتفعنا بصحبته ولم ندرك من حياته سوى خمسين ليلة" [١]، وقد اشتهر عبد الغني بالرحلة في طلب الحديث، ومن مصنفاته كتاب الكمال في اسماء الرجال، وغيره، وكان زاهداً عابداً آمّاً راً بالمعروف نهاءً عن المنكر [٢] ويذكر له ابن رجب بعض الكرامات [٣].

ومن تلاميذ الشيخ الجيلي، عبد الله بن ابي الحسن بن ابي الفرج الجبائي [٤] (ت ٦٠٥ هـ)، من قرية الجبة من عمل طرابلس بجبل لبنان، وكان نصرانياً وأسلم وعمره إحدى عشرة سنة ثم رحل إلى بغداد في سنة ٥٤٠ هـ، وصحب الشيخ عبد القادر وتفقه على مذهب ابن حنبل [٥]، وقد لازم الشيخ عبد القادر واشتغل بالعبادة والانقطاع ولما توفي الشيخ عبد القادر

---

(١) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣١ .

(٢) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٧٣ .

(٣) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٢٧ .

(٤) انظر ترجمته في: الشطنوفي بهجة الأسرار، ص ٢٣١ . الذهبي المختصر المحتاج إليه، ص ٢٢٧ (الرقم ٨٢٣) . تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ١٧٥ . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٧، ص ٦٩ . ابن رجب، الذيل، ج ٢، ص ٤٤ (الرقم ٢٢٤) . ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٩ . عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ١٨٦ .

(٥) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ١٧٥ .

سافر إلى اصفهان واستوطنها[1] وقد حكى عن الشيخ عبد القادر كثيراً من احواله وكراماته[2].

ويذكر الجبائي أمراً وقع له مع الشيخ عبد القادر الجيلي فيه دلالة واضحة على دور الشيخ عبد القادر في إحياء تيار تصوف الفقهاء آنذاك، فقد ذكر الجبائي أنه كان يسمع كتاب حلية الأولياء على شيخه ابي الفضل بن ناصر، فرقّ قلبه واشتهى أن ينقطع عن الخلق ويشتغل بالعبادة فمضى إلى الشيخ عبد القادر الجيلي فصلى خلفه، فلما جلس نظر إليه الشيخ عبد القادر وقال: "إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم، فحينئذ يصلح لك الانقطاع، وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه وانت فريخ ما ريشت فإن أشكل عليك شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك و تسأل الناس عن أمر دينك؟ ما يحسن بصاحب الزاوية أن يخرج من زاويته ويسأل الناس عن أمر دينه. ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يُستضاء بنوره"[3].

إن في هذه الحكاية دلالة على منهج الجيلي في ترتيب الفقه قبل الانقطاع والتصوف، وقد أسهم هذا المنهج في الارتقاء بالفقهاء و بالصوفية على حدّ سواء، وفي ردّ الفقه و التصوف ليكون

---

(1) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(2) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ٤٦.

(3) ابن رجب، الذيل، ج ٢، ص ٤٦، نقلاً عن ابن النجار. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣١.

أحدهما استمراراً للآخر، وربما كان دافع الجيلي في حرصه على ترتيب الفقه قبل التصوف أن لا يدعي التصوف غير فقيه نظراً للمخاطر الاجتماعية التي تترتب على انفلات التصوف من ضوابطه الشرعية.

وقد كان الجبائي كبير الحرمة ببغداد وبأصبهان، وكان إذا مشى في سوق اصبهان قام له أهل السوق[1].

ومن تلاميذ الشيخ الجيلي المعروفين، عمر بن مسعود بن ابي العز الفراش، ابو القاسم البزاز[2] (ت٦٠٨هـ)، أحد أعيان أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلي، صحبه مدة طويلة، وتفقه عليه وسمع منه الحديث وتخلق بأخلاقه وتأدب بآدابه وسلك طريقته، وقد كان له خان يبيع فيه البز ثم ترك ذلك وانقطع إلى زاوية (رباط) له إلى جانب مسجد بالجانب الغربي، والتحق به جماعة من الاتباع، فاشتهر اسمه وشاع ذكره، وقصده الناس للزيارة وكثر الفقراء [اي من الصوفية] حوله، وصار الناس يقصدونه بالنذور والصدقات والهبات والفتوح وينفق ذلك على من عنده، وتاب على يده خلق كثير من خواص مماليك الخليفة الترك، ولبسوا منه خرقة التصوف

---

(١) ابن رجب، الذيل، ج٢، ص٤٦، نقلاً عن ابن الحنبلي. عباس، شذرات من كتب مفقودة من التاريخ، ج١، ص١٨٧.

(٢) انظر ترجمته في: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج٥، ص١٢٤ (الرقم ١٢٨٤). الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص٢٣٢. الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص٢٨٨ (الرقم ١٠٦٧). تاريخ الاسلام، ج٤٣، ص٣٠٣.

وصلحت أمورهم وانتفعوا بصحبته، وصار منهم جماعة إلى مقامات الزهاد والعباد، وكان للبزاز كلام حسن على طريقة القوم، وله شعر في التصوف، ومنه قوله:

إلهي لك الحمد الذي انت اهله   على نعم ما كنت قط لها أهلا

إذا زدت تقصيراً تزدني تفضلاً   كأني بالتقصير استوجب الفضلا

وقد حضر ابن النجار – صاحب ذيل تاريخ بغداد – عنده غير مرة وسمع كلامه، وقال عنه "على وجهه انوار الطاعة" (1).

وقال الذهبي عنه "كان من بقايا المشايخ الكبار ببغداد"(2). وقد ذكر الشطنوفي ان البزاز كان فقيهاً مفتياً(3).

يتجلى في ترجمة الشيخ عمر البزاز نموذج سوسيولوجي الذي كان للصوفية ببغداد، فهو فقيه صوفي صاحب رباط وله أتباع كان منهم أعداد كبيرة من خواص مماليك الخليفة الترك، وهذا

---

(1) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج٥، ص١٢٤–١٢٥.

(2) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٣، ص٣٠٤.

(3) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ٢٣٢–٢٣٣.

يلقي ضوءاً على جانب من جوانب الحياة الخاصة لخواصّ الخليفة وحاشيته، ويرجح الباحث أنه الخليفة الناصر لدين الله، ويمكن فهم توجه خواص مماليكه نحو التصوف في ظل اهتمام الناصر بتنظيم الفتوة، وهو أمر يدعم علاقة التصوف بالفتوة في أواخر القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع، ويحتمل أن يكون ميل مماليك الناصر إلى التصوف بتوجيه من الناصر نفسه.

كما يستنتج من ترجمة البزاز أن بعض تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي كانوا يبنون أربطة لأنفسهم ينشرون من خلالها طريقة الجيلي في التصوف، وهذا ما تؤكده الترجمة التالية أيضاً.

ومن مشاهير تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي، الشيخ أبو الثناء محمود بن عثمان بن مكارم النعّال الحنبلي[1] (ت٦٠٩هـ)، كان من الصالحين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر[2]، قال ابن رجب: "وكان الشيخ محمود وأصحابه ينكرون المنكر ويريقون الخمور، ويرتكبون الأهوال

---

(١) أنظر ترجمته في: أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٣، ص٣٤٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٧٧. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، ص٦٣ (الرقم ٢٣٣). ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص٧١. عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج١، ص٢٠٠.

(٢) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٣، ص ٣٤٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٧٧.

في ذلك . . . . وكان يُسمى شحنة الحنابلة" (١)، فقد "أنكر على جماعة من الأمراء، وبدّد خمورهم وجرت بينه وبينهم فتن و ضرب مرات، وهو شديد في دين الله، له إقدام و جهاد " (٢) .

وفي هذا الخبر ما يشير إلى جانب من الدور الاجتماعي الذي كان يقوم به فقهاء الصوفية في بغداد، وبخاصة الحنابلة منهم الذين تزايد انتشار التصوف بينهم على نحو جلي في القرن السادس الهجري .

ومما يلفت الانتباه أن الرباط الذي بناه النعال بباب الأزج اختص بإيواء أهل العلم من المقادسة، وغيرهم، حيث كان يؤثرهم وانتفع به كثيرون(٣) . وهذا الموقف تجاه المقادسة مفهوم نظراً للحال التي آل إليها أهالي بيت المقدس وما حوله من تهجير إثر الغزو الفرنجي آنذاك، الأمر الذي استوجب تعاطف المسلمين معهم، فكان موقف النعال المؤثر للمقادسة برباطه بمثابة إسهام من متصوفة بغداد في الجهود ضد الغزو الفرنجي . وقد كان هذا الرباط في سنة ٥٧٢ هـ مليئاً بطلبة العلم حتى أنه لم يكن فيه بيت خال(٤)، ويبدو أن الفترة التي قضاها النعال سائحاً في بلاد

---

(١) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٦٤ . ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧٢ . عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ٢٠٠ .

(٢) عباس، شذرات، ج ١، ص ٢٠٠ .

(٣) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢ . الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٤٩ . ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٧٧ .

(٤) عباس، شذرات من كتب مفقودة، ج ١، ص ٢٠٠ .

الشام[1] على عادة الصوفية في السياحة، كان لها أثر بالغ في موقفه المتعاطف على نحو مميز تجاه المقادسة إذ ليس الخبر كالمعاينة.

ويُستفاد من ذلك أيضاً أن سياحة الصوفية في البلاد كان لها أثر تعدّى الإهتمام الصوفي البحت، من حيث ان سياحتهم مكنتهم من الإطلاع على أحوال البلاد التي دخلوها فكانوا بذلك أوسع أفقاً من غيرهم وأقوى شعوراً بالإنتماء إلى أمتهم الواحدة رغم تفرقها السياسي آنذاك، ولا يبعد أنهم كانوا – بفضل سياحاتهم – بمثابة السفراء الشعبيين بين مجتمعات المدن الإسلامية الذين يُحافظون على اتصالها الشعبي وقوة ترابطها، وبدورها عززت الربط الصوفية المقامة في الحواضر الاسلامية هذا الشعور عبر تواصل والتقاء أهل الربط والقادمين من مختلف بلاد الإسلام لغايات صوفية أو فقهية أو كليهما، ويتوقع أن تكون ثقافة أهل الربط الصوفية ثقافةً وحدويّة في زمن كان فيه التشرذم السياسي، وربما المذهبي، هو السائد، إذ لم يعرف عن الربط الصوفية آنذاك أنها مقصورة أو موقوفة على مذهب دون آخر على نحو ما كانت عليه أكثر المدارس، وهذه ميزة للرباط الصوفي على المدرسة الفقهية.

يقول ابن رجب عن رباط الشيخ محمود النعال: "وكان رباطه مجمعاً للفقراء وأهل الدين وللفقهاء . . . حتى كان الإشتغال فيه بالعلم أكثر من الاشتغال بسائر المدارس . . . سكنه الشيخ موفق الدين المقدسي، والحافظ عبد الغني [المقدسي] وأخوه الشيخ العماد، والحافظ

---

(1) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٨٢. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٣، ص ٣٤٩.

عبد القادر الرهاوي وغيرهم من أكابر الرحالين لطلب العلم"، وقد كان النعال يجلس في رباطه للوعظ(١).

ومن مشاهير من لبسوا خرقة التصوف من يد الشيخ عبد القادر الجيلي، موفق الدين عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الحنبلي(٢) (ت٦٢٠هـ)، شيخ الإسلام(٣)، وقد ورد آنفاً أنه لبس خرقة التصوف من الشيخ عبد القادر واشتغل عليه بالفقه، ولم يدرك من حياة الشيخ عبد القادر غير خمسين يوماً(٤). قال الذهبي: "وكان [موفق الدين] إماماً حجة مفتياً مصنفاً متفنناً متبحراً في العلوم، كبير القدر"(٥). وله من المصنفات: المغني، والكافي، والمقنع، والعمدة، والتوابين وغيرها(٦). ويذكر انه شارك مع صلاح الدين الأيوبي في الجهاد ضد الفرنجة(٧)، وقد ذكر ابن رجب بعضاً من كراماته(١).

---

(١) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، ص٦٤. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص٧٢.

(٢) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص١٩٠، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٥١. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٤، ص٤٨٣–٤٩١. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، ص١٣٣ (الرقم ٢٧٢).

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٤، ص٤٨٣.

(٤) الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص٢٣١. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٤، ص٤٨٤

(٥) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٤، ص٤٨٥.

(٦) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٤، ص٤٨٧.

(٧) المصدر نفسه، ج٤٤، ص٤٩١.

أما بقية تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلي، فهم أكثر من أن يحصوا، وقد ذكر الشطنوفي أسماء كثيرين منهم معظمهم من مشاهير فقهاء وحفاظ و قضاة تلك الفترة، ومن هنا يتجلى لنا وبوضوح تام الدور الريادي للشيخ عبد القادر الجيلي في عصره وأثره الكبير في العصور التي تلت ،ومكانته في نفوس المسلمين شرقا وغربا [2] .

الفصل الثاني

المخطوطة دراسة

(1) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٤٢ .

(2) التل،عمر ،متصوفة بغداد ،دار المامون ،عمان،٢٠٠٩"اقتباس مطول بتصرف للفائدة"،

وانظر ايضا صادق جعفر ،عبد القادر الجيلاني ومذهبه الصوفي ،القاهرة ،ص٤٣-ص١٢٣ .

أولاً: أهمية المخطوطة وسبب الأختيار

إن لهذهِ المخطوطة حكاية أوثّقها للأمانة العلمية والمسؤولية التاريخية، فقبل سنين مضت أخبرني أستاذي الدكتور سالم الآلوسي أن المرحوم علامة العراق الأستاذ الدكتور مصطفى جواد أخبره أنه قد أطّلع على مخطوطة نادرة حول سيرة شيخ الإسلام عبد القادر الجيلاني، وهي مختصر نافع ونادر للكتاب(بهجة الاسرار ومعدن الانوار في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني) وتحتوي على مادة مهمة وقيمة ومركزة وجديدة ،مما ثبت نسبته للامام الشيخ عبدالقادر الجيلاني في الموضوع. ينوي تحقيقها بعد فراغه من عمله في كتاب (مختصر التاريخ لأبن الكازروني) ولكن المنية وافته قبل أن يحقق رغبته هذه في عام ١٩٦٩م.

إذ أن المرحوم الدكتور مصطفى جواد كان يريد نشر مادة تراثية أصيلة حول حياة (الزاهد القدوة) وكان يعتقد ان هذه المخطوطة وثيقة تاريخية ذات قيمة كبيرة ولا بد ان ترى النور، وأنه كان من المعجبين بسيرة السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني وذكره وأخباره، ومن هنا أردت تحقيق أمنية من أماني علامتنا المرحوم مصطفى جواد أحياءاً لذكراه وهو المؤرخ الثبت والعالم الثقة في أحياء هذا الكتاب وان يأخذ سبيله في الناس.

أن لسيرة السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني(٤٧٠-٥٦١ هـ/١٠٧٧-١١٦٥م) أبعاداً مختلفة تهم الباحث في تاريخ الفكر العربي الإسلامي عامةً والمعني بدراسة الشخصيات الإسلامية

المؤثرة في أواخر عصر الخلافة العباسية خاصة، لما له من دور كبير في عصره أثناء الحروب الصليبية إذ أدّى دوراً خاصاً في أعداد جيل من الدعاة الذين أسهموا مع صلاح الدين الأيوبي في تحرير القدس الشريف .

أستأثرت سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني بإهتمام عدد كبير من المؤلفين والباحثين في عصره وفي العصور التي تلته وما يزال موضوعاً قيماً للباحثين والدارسين في العالم الإسلامي[١] .

ثانياً : منهج المؤلف في كتابه وموضوع الكتاب

ومن الكتب التي أختصت بسيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني ولم تجد طريقها للتحقيق والنشر بشكل اكاديمي حتى اليوم (بهجة الاسرار ومعدن الانوار) واخترنا نشره من خلال (رواية المهجة) وهي نسخة فريدة صاحبها مؤرخ غير معروف لنا الآن .

---

(١) الفت في حياة الامام عبدالقادر الجيلاني عشرات المؤلفات والدراسات وبشتى اللغات الشرقية والغربية وترجمت كتبه الى اغلب اللغات الحية ،وطبعت في اغلب دول العالم من ماليزيا حتى الولايات المتحدة ،ويتطلب حصرها ،عمل ببليوغرافيا خاصة كدراسة مستقلة .

،ولأنها أقدم مادة مختصة بحياة الشيخ عبد القادر الجيلاني، تمثل مجالاً خصباً للدراسة والبحث في تفاصيل هذه السيرة .

وكتابنا (المهجة) سعى مؤلفها الى تخليص الأصل مما شاب رواياته من مبالغات وما داخلها من شطحات، ربما كانت مقبولة في عصر الشطنوفي، ولكن مؤلف(المهجة) رأى من خلال خلفياته الثقافية وفهمه لشخصية عبد القادر الجيلاني إن الدقة الواقعية تدعوه الى تقديم هذه الروايات بعد فرزها وتحليلها لتكون أكثر قرباً وصدقاً الى الواقع مستخدماً منهجاً صارماً في التعامل مع بهجة الأسرار فهو لم ينقل منه إلا ما رآه موافقاً لمنهجه ولم يعتمد عليه إلا حينما يطمئن الى مصداقيته ومن الجدير بالذكر ان مؤلف المهجة يطرح معلومة مهمة وهي ان الشيخ عبد القادر الجيلاني من مواليد جيلان العراق(قرب المدائن) لاجيلان طبرستان و بذلك يقدم مادة جديدة للبحث التاريخي .

لذا فأن (المُهجة) (هي نسخة جديدة من بهجة الاسرار) و هي خطوة حقيقية في فن كتابة السيرة في تاريخنا العربي الأسلامي، وتزداد أهميتها على وجه الخصوص في كتابته لسيرة السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني، وصاحب (المهجة) مجهول يرجح الدكتور عماد عبد السلام رؤوف أن يكون صاحب هذه المخطوطة من الحقبة العثمانية المبكرة وذلك للتشابه والمطابقة بين أسلوب المخطوطة مع أسلوب الكتابة العربية في العهد العثماني من الأختصار وحذف العنعنة وترتيب الكتاب.

ثالثاً: مصادره التي أستخدمها المؤلف في الكتاب

أستخدم صاحب المهجة مصادر عدة في تهذيبه لكتاب (بهجة الأسرار ومعدن الأنوار) للأمام الشطنوفي والذي فصلنا القول في سيرته وكتابه في الفصل الأول.

كما أن صاحب المخطوطة أستخدم مصادر أخرى عديدة أوسع وأشمل ذكر منها :

١- إبن قدامة(ت ٦٢٠ هـ/١٢٢٢م) ولكن المؤلف لم يحدد أسم الكتاب الذي نقل منه عن إبن قدامة، وإبن قدامة[١] هذا من تلاميذ السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني، وله العديد من المؤلفات أهمها موسوعة(المغني) الفقهية، ولعله نقلت عنه كلمات في أستاذه ودونت في مصادر أخرى.

٢- إبن الأثير(ت ٦٣٠هـ/١٢٣١م)، وهو من كبار المؤرخين وصاحب كتاب(الكامل في التاريخ) من أوسع مصادر التاريخ العربي الأسلامي، ويتميز بدقة المعلومات الواردة فيه، ويصرح باعتماده الأساسي على المؤرخ الطبري(ت ٣١٠هـ/٩١٢م) في كتابة (تاريخ الأمم والملوك)، وإبن الأثير ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني في تراجمه لسنة وفاة الجيلاني ٥٦١هـ/١٢٦٥م[٢] .

٣- سبط إبن الجوزي(ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، وهو حفيد إبن الجوزي، مؤرخ كبير صاحب الموسوعة التاريخية(مرآة الزمان)، الذي حقق وطبع في المغرب في اكثر من تسع مجلدات، سبط الجوزي ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني وأشاد به ونقل ذلك مؤلف(بهجة الأسرار) الامام

---

[١] البغدادي، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي، (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م) ، ذيل طبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٢، ج١، ص٢٩٩ .

[٢] إبن الأثير، المصدر السابق، ج١٠، ص٨٣ .

الشطنوفي ونقله عنه مؤلف المهجة، ولم يجد الباحث في المطبوع من (مرآة الزمان) ذلك النقل للشطنوفي وقد يكون في المخطوط منه .

٤-النووي(ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، وهو إمام من أئمة العلم الكبار شرح صحيح الامام مسلم وغيره من التصانيف المعروفة والمشهورة ومؤلفنا صرح باسم كتاب الامام النووي وهو كتاب(بستان العارفين)[1] للشيخ عبد القادر الجيلاني ذكر مطول في الكتاب وقد أقتبس منه المؤلف نصاً كاملاً وما زال كتاب بستان العارفين ضمن المخطوط إلا إذا كان قد طُبع في دولة ما ولم يصل الينا .

٥-إبن خلكان(ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) إمام المؤرخين ومن كبارهم صاحب الكتاب الكبير في التراجم(وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان)، وإبن خلكان ترجم للشيخ عبد القادر الجيلاني ونقل عنه هذه الترجمة للامام الشطنوفي ونقلها مؤلف المهجة والكتاب مطبوع في أكثر من مكان .

٦-الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، محدث، مؤرخ، عالم ثبت، لديه العديد من المؤلفات التاريخية، من أهمها (تاريخ الأسلام) و(سير أعلام النبلاء) وغيرهما ، ولقد ترجم للشيخ عبد

---

[1] إبن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق إحسان عباس،ج٣،دار الثقافة،بيروت، ١٩٧٢،ص٢٧٧ .

القادر الجيلاني في أكثر من كتاب، كما أن موقف الأمام الذهبي من الشيخ الجيلاني، موقف أجلال وأكبار وكان يعده من أعلام الأمة العظام وأئمتها المجتهدين[١] .

٧-إبن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)[٢] ،مؤرخ،مفسر وعالم كبير، لديه العديد من المؤلفات المهمة، منها كتاب (البداية والنهاية) ، وفيه ترجم وذكر للشيخ عبد القادر الجيلاني، وأشاد به وبدوره في الدين والفكر والتاريخ، ولقد نقل الشطنوفي عنه وأقر نقله مؤلف (المهجة) وإن كان موجزاً .

٨-إبن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، مؤرخ، محدث، فقيه، لديه العديد من المؤلفات العلمية في العديد من المجالات وله كتاب خاص في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني المسمى (غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر) وما زال مخطوطاً، (والمخطوطة تختلف تماما عما منشور ضمن كتاب السفينة القادرية) ولقد صرح الأمام الشطنوفي بالنقل عنه وأقر ذلك وأعتمده مؤلف المهجة، وإبن حجر من العلماء الذين يقدرون الجيلاني ، ولقد ذكرت مخطوطة (غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر) في كتاب (الأثار الخطية في المكتبة القادرية) لأستاذنا الدكتور عماد عبد السلام رؤوف[٣] .

---

[١] الذهبي،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ،المختصر المحتاج اليه،تحقيق مصطفى جواد،ج١،مطبعة المعارف،بغداد، ١٩٥١؛ سير اعلام النبلاء، ٤٣٩/٢٠، الترجمة٢٨٦ ،ص٤٥١؛ تاريخ الاسلام،طبعة الكتب العلمية، ٧٢٩/١١، الترجمة ٢١٠١٨ ضمن الطبعة السابعة والخمسين؛ والعبر، ٣٦/٣ .

[٢] إبن كثير،أسماعيل بن عمر أبو الفداء(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ،البداية والنهاية،ج٦،مطبعة السعادة،مصر، ١٩٦٨،ص١٧٨ .

[٣] رؤوف،عماد عبد السلام،الأثار الخطية بالمكتبة القادرية،مطبعة الأرشاد،بغداد، ١٩٧١،ذكرت تحت الرقم٩٩٩/١٤ .

رابعاً: وصف النسخة الخطية

أن مخطوطة مهجة البهجة ومحجة اللهجة (زبدة بهجة الاسرار)، نسخة الأصل وهي فريدة- لااخت لها- ومحفوظة في دار المخطوطات ببغداد تحت رقم(٢٠١٨٩)، النسخة يتيمة فلم نجد نسخة أخرى من المخطوطة فقد تعقبناها في الفهارس والمصادر والمراجع وبذل الدكتور عماد عبد السلام رؤوف جهداً أستثنائياً يذكر له في البحث عن نسخة أخرى في فهارس المكتبات العالمية فلم نجد لها أثراً فتكون بذلك وحيدة[1] ولقد قام الدكتور اسامة ناصر النقشبندي، مشكورا، بتصوير نسخة مايكروفلم خاصة بالمحقق، بموجب كتاب معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا والمعنون الى دار المخطوطات برقم ١٣١٧في ١٤- رمضان-١٤٢٢ .

وهذه النسخة قياسها (٢١×١٥)سم وعدد أوراقها (٥٠) ورقة وكانت مرقمة بـ(٨٥٩) في السجلات القديمة ثم رقمت بـ(٢٠١٨٩) في السجلات الحالية لدار المخطوطات . خطها نسخي واضح ولاسيما خط الأبيات الشعرية والآيات القرآنية الكريمة، وسطورها في أغلب الصفحات ١٢ سطراً يزيد وينقص في بعض الورقات وعدد الكلمات في السطر الواحد ١٤ كلمة تزيد وتنقص أيضاً حسب السطور، وهي خالية من التعليقات والحواشي ، وكتابة الآيات القرآنية كانت بخط أحمر تختلف عن باقي الكتاب الذي كتب بحبر أسود .

[1] مؤلف مجهول، مخطوطة مهجة البهجة ومحجة اللهجة دار المخطوطات ببغداد، تحت رقم٢٠١٨٩ .

في حين جاءت مخطوطة بهجة الأسرار الموجودة في المكتبة القادرية بخط يختلف عن الأولى وتحتوي على معلومات زاخرة وأسهاب في سرد الأحداث ومكتوب على ورق سميك مصفر بعض الشيء بخط حسن من النسخ، عنوان فصوله بالمداد الأحمر وعدد ورقاتها ٢١٠ وطول الصفحة ٢٠ سم وعرضها ١٣سم وفي كل صفحة ١٧ سطراً وفي كل سطر ٨ كلمات على وجه التقريب وهي مهداة للمكتبة القادرية من جامعة أكسفورد[١] .

أما مخطوطة بهجة الأسرار الموجودة في دار المخطوطات فكان لها خط عربي آخر يختلف عن سابقاتها وتحوي على الحواشي الجانبية وبنفس الخط الذي كتبت في هذه المخطوطة، وهي مخطوط مكتوب على ورق أسمر، عدد أوراقه ١٠٨ ورقة، طول الصفحة ٣٥ سم وكان رقم المخطوط حسب الترقيم القديم بكتب الدار، وكتبت بأكثر من خط وخطها يكون واضح تارة ومشكل تارة أخرى، مما شكل صعوبة في المقارنة مع النسختين الأخريين[٢]، وقد وضعت نسخة من خط المخطوطة وبعضاً من صفحاتها للتوضيح.

---

[١] الامام الشطنوفي ،(ت٧١٣هـ/١٣١٣م) ، بهجة الاسرار، مخطوطة المكتبة القادرية، تحت رقم ١٥٦٠ .

[٢] الامام الشطنوفي، ،(ت٧١٣هـ/١٣١٣م) ، بهجة الاسرار، مخطوطة دار المخطوطات ببغداد تحت رقم٣٢١٦ .

خامساً: منهج التحقيق

أ_ رجعنا في تحقيق النص المخطوط الى مخطوطات ثلاث:

١-مهجة البهجة ومحجة اللهجة، نسخة الأصل وهي فريدة ومحفوظة في دار المخطوطات ببغداد تحت رقم (٢٠١٨٩) وهي التي تم تحقيقها .

٢-بهجة الأسرار، مخطوطة محفوظة في دار المخطوطات ببغداد تحت رقم(٣٢١٦)، وسنرمز لها (م) .

٣-بهجة الأسرار، مخطوطة محفوظة في المكتبة القادرية تحت رقم(١٥٦٠)، مخطوط وسنرمز لها (ق) .

ب_ علماً أنه لبهجة الأسرار طبعات تجارية مليئة بالأخطاء جعل من شبه المستحيل الأعتماد عليهما ،(وقد أكد الاستاذ نورس في كتابه الشيخ عبد القادر الجيلاني:(أن طبعات بهجة الأسرار عتيقة ويمكن عدّها من المخطوطات ،وهي قديمة جداً مما يبعدنا عن الحقيقة إن وضعناها بالمطبوع أصلاً[١]) ،وكانت اخرها طبعة تجارية بعناية احمد فريد المزيدي، ٢٠٠٢ في بيروت حيث تم الاعتناء بالورق والغلاف وجماله من ناحية الالوان والخط ،مع اضافة ورقة فيها كلمة عن حياة الشيخ عبدالقادر ،تذكر انه توفي سنة٧١٣ه،وهذا كل شيئ .

---

[١] نورس ، عبد القادر الجيلاني،دار الجيل،بيروت،١٩٩٨،ص١٠ .

ج ـ وأتبعت عدة نقاط في التحقيق:

١- تخريج الأيات القرآنية الكريمة .

٢- تخريج الاحاديث النبوية الشريفة

٣-التحقق من اسم الكتاب وروايته لكتاب بهجة الاسرار .

٤-تشكيل بعض الكلمات التي يلتبس معناها اذا اهمل شكلها .

٥-ضبط الاسماء عندما تدعوا الحاجة لذلك .

٦-راعيت في تخريج النصوص ان اخرج اولا من مصادر المؤلف او من تابعه .

٧-وقد احلت الى بهجة الاسرار مخطوطة القادرية في كثير من الاستشهادات .

٨-كتابة مقدمة للتحقيق ،مع تفاصيل كاملة عن المترجم والمترجم له . .

٩- ترجمة للأعلام الواردة في النص المحقق .

١٠- تعريف بالأمكنة والمواضع الواردة في النص .

١١- إيضاح المصطلحات الصوفية الواردة في النص معتمداً على الكتب الصوفية .

١٢- تعريف بالمصطلحات العامة والكلمات الغريبة في النص المحقق .

١٣- مقابلة النص بمخطوطتي القادرية ودار المخطوطات وأثبات ذلك .

١٤- عمل فهرسة للمحتويات، تسهيلاً للتعرف على الموضوعات، علماً أن المخطوطة التي حققتها لاتحتوي على فهارس للموضوعات .

١٥-كتابة ملخص للكتاب بالانكليزية يعطي فكرة عامة عن العمل.

١٦-تجنبت اثقال الهامش بما هو غير ضروري، للحفاظ على حجم الكتاب.

القسم الثاني

النـــــص المحقـــــق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي هدى العباد، الى منهج الرشاد، وأهدى اليهم مايزيدهم هدى، والصبر والشكر والتقى وخير الزاد، وأعانهم على ماهم فيه في جهد المجاهدة، والجهاد في منع العباد عن النفس ودفع الفساد، وجذبهم بخفي لطفه ووفي عطفه الى حضرة قدسه فظفروا بوصل غاية البغية، وفازوا بنيل غاية المراد، أتحفهم باللطائف والكرامات وشرفهم بالمراتب والمقامات، فلقبوا بالأقطاب والأحباب والأوتاد والأفراد، ورفع ذكرهم، كقدرهم حتى أنتشرت مناقبهم الجليلة، وأوصافهم الجميلة فكتبت على الطروس[1] وعلقت بها النفوس، لما لها من روح الروح وعظيم الفوائد، وصلاح العباد في المبدأ والمعاد، فكيف لا وبها تنزل الرحمة، وتكمل النعمة فيذهب الخوف والحزن، بنزل الغيث بالمزن، كما قال وهو أصدق القائلين بسم الله الرحمن الرحيم (ألا إن أولياء الله لاخوفٌ عليهم ولاهم يحزنون)[2]، لأن من أحبهم فهو معهم، مقيم، وأنه مع من

([1]) الطروس: ومفردها طرس بالكسر، وتعني الصحيفة، ويقال هي التي محيت ثم كتبت وكذا الطرس والجمع الطراس. الرازي، محمد بن ابي بكر(٦٦٦هـ-١٢٧٠م)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥، ص٣٩٠.

([2]) سورة يونس: الأية ٦٢.

أحب وأراد، وأشهد أن لاأله ألا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولهُ، الذي من أتبعه وأحبه فقد أكمل هُداه، ومن أتبع هواه، فما له من هاد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد، فكنت قد سُئلت أن أكتب بعض مناقب السيد الجهبذ العالم، الأمام الهمام، الشهم المقدام، شيخ الأسلام، بركة الأنام، طراز حلة الأيام، العارف الواصف، القطب الغوث الفرد النادر: الشيخ الامام أبي محمد محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه. فتوكلت على الله تعالى، رب الأرباب وملهم الصواب، وجمعت مايقرب من الفهم ويبعد الابهام، كي لا تحار الافهام، فتعدم الالهام، وسميتُ كتابي (مهجة البهجة ومحجة اللهجة) وانتخبتها من بهجة الأسرار، بعد أن حذفت الأسانيد وهذبتها وأضفت أضافات ملتقطة من بعض الكتب المعتبرة.

كما قال ربُّ العالمين: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فأمَّا الزبد فيذهب جفاءً وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض﴾[1] وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت واليه أنيب، وأياه أسأل وأتضرع وأتذلل، أن يجعله نوراً وهدى، ولايتركه منسياً وسدى، وأن ينفع كل من له الهمة لفتح بابه من سائر طلابه، أن أجري ألا عليه، أنه جواد كريم قريب مجيب.

[1] سورة الرعد: الأية ١٤.

الباب الثاني

هو الشيخ محيي الدين

ذكر نسبه وصفته رضي الله عنه

هو الشيخ محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله الجيلي[1] بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض[2] بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم[3] بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[4] القرشي الهاشمي العلوي الحسني الجيلي البغدادي

---

[1] ق: الجيلاني.

[2] ق: الخالص.

[3] م: هشام.

[4] للتوسع انظر كتاب (الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة) من تاليف المحقق، نشر مؤسسة مصر مرتضى للكتاب ٢٠١٠ بغداد.

الحنبلي،سبط عبد الله الصومعي الزاهد[1]، ولد بالجيل وهي قرية بشاطىء الدجلة قرب المدائن على مسيرة ثلاث ليال تحت بغداد وهو الاصح لان كتب الاقدمين لم تنعته بالجيلاني نسبة جيلان بل الجيلي وهي نسبة جيل العراق والله اعلم[2].

قال الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي[3] رحمه الله، كان شيخنا محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر واللحية طويلة، أسمر، مقرون الحاجبين، ذا صوت جهوري وسمت وقدر علي، وعلم وافي.

---

(1) عبد الله الصومعي بن أبي جمال بن محمد بن محمود من ذرية جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي(عليه السلام) وهو جد الشيخ عبد القادر لأمه والذي رباه صغيراً. ينظر: القادري، المصدر السابق، ص٨٩.

(2) جيلان بلاد متفرقة وراء طبرستان جنوب بحر قزوين، ويقال لها أيضاً (كيلان) و(جيلان)، لذلك يقال في النسبة كيلاني أو جيلاني والجيل قرية من اعمال بغداد تحت المدائن والنسبة اليها جيلي. ونحن نأخذ بقول المؤلف: ان ولادة الشيخ عبد القادر كانت في جيل العراق. ينظر ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ج٢، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ص٤٩وابن شاكر الكتبي فوات الوفيات ج٤ ص٢ وحاجي خلفية كشف الظنون ج٢ص٣٤٠ ويوسف زيدان تحقيقه للديوان وكتابه عبد الكريم الجيلي الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٨٨ص١٥ وخاشع المعاضيدي من بعض انساب العرب بغداد ١٩٩٠ج٢ص٧٧ وابراهيم الدروبي المختصر في تاريخ شيخ الاسلام طبع باكستان ص١٥ والمستشرقة جاكلين شابي، عبد القادر الجيلاني بين الحقيقة التاريخية والاسطورة الادبية ص١٢ وهذا الرأي هو المعتمد لدى الاسرة الكيلانية، مقالة جيلان العراق لا جيلان طبرستان للمحقق، مجلة فكر حر ٢٠١٠" وانظر كتابنا (جغرافية الباز الأشهب) فهو دراسة مفصلة لهذه المسألة.

(3) المقدسي: هو عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، أمام الحنابلة في دمشق، عالم مجتهد، ولد سنة ٥٤١ هـ، وهو صاحب موسوعة (المغني) توفي عام ٦٠٠ هـ؛ ينظر ترجمته الكتبي، محمد بن شاكر(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٥٤، ص٧٣.

وسئل رضي الله عنه عن مولده[1] ، فقال لاأعلمه حقيقةً، لكني قدمت بغداد في السنة التي مات فيها التميمي[2] . وعمري آنذاك ثماني عشرة سنة، ولما وضعته أمه، أم الخير، فاطمة[3]، تقول غير مرة، لما وضعت ابني عبد القادر كان لا يرضع ثديي في نهار رمضان، وعم على الناس هلال رمضان.

وأشتهر في ذلك الوقت أنه ولد للأشراف[4] ولد لا يرضع في نهار رمضان قال ولده عبد الوهاب[5] سمعت من مشايخ الجيل وعلمائها في رحلتي أليها، يروون عن أكابرهم، أنه كان لا

---

[2] تذكر بعض المصادر أنه ولد عام(٤٧٠هـ/١٠٧٧م) وتوفي عام(٥٦١هـ/١١٦٥م) ودفن ببغداد . أنظر السامرائي،يونس بن أبراهيم،الشيخ عبد القادر الجيلاني،حياته وأثاره،مكتبة الشرق الجديد للطباعة،بغداد،١٩٨٨،ص ص٦-٧ .

[3] التميمي: هو رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي البغدادي،المقرئ المحدث،الفقيه الواعظ،وفي المنتظم لأبن الجوزي أنه ولد عام ٤٠٠هـ/١٠٠٢م، وتوفي عام ٤٨٨هـ/١٠٩٠م . للتفاصيل ينظر: الكتبي، محمد بن شاكر،فوات الوفيات،ج١،ص٩٥ .

[3] فاطمة: وهي فاطمة بنت عبد الله الصومعي الزاهد الحسيني،والدة الشيخ عبد القادر الجيلاني، زاهدة،عابدة،لها حظ وافر من الخير والصلاح، أنتقلت لبغداد وتوفيت فيها . ينظر ترجمة: التادفي، محمد بن يحي(ت٩٦٣هـ/١٥٥٥م) ،قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر،دار الباز،فلوريدا،الولايات المتحدة الأمريكية،١٩٩٨،ص٤٥، الكيلاني، جغرافية الباز الاشهب،ص٤٥ .

[5] ياقوت الحموي، معجم البلدان،ص٦٥ .

[6] عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلاني،فقيه حنبلي،ولد سنة ٥٢٢ هـ،وسمع الحديث من كثير من العلماء منهم والده قام بالتدريس نيابة عن والده بحياته،وبعد وفاته ،توفي في سنة ٥٩٣ هـ؛ انظر، أبن العماد، أبا الفلاح عبد الحق الحنبلي(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ج٤ ،مكتبة المقدسي،القاهرة،١٩٢٩،ص٣١٤ .

يرضع في نهار رمضان، يعني والده الشيخ محيي الدين عبد القادر ألجيلي رضي الله عنه[1].

ذكر الشيخ أبو المحاسن[2] عمر بن علي بن الخضر القرشي[3] الواعظ[4]، قال ما رأت عيناي أحسن خلقاً ولا أوسع صدراً ولا أكرم نفساً ولا أعطف قلبا[5]، ولا أحفظ عملاً ووداً من ألشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه[6]، ولقد كان مع جلالة قدره، وعلو منزلته وسعة علمه، يقف مع الصغير ويوقر الكبير، ويبدأ بالسلام ويجالس الضعفاء ويتواضع للفقراء، وما قام لأحد من العظماء والأعيان[7]، ولا ألم بباب وزير قط، ولا سلطان.

---

(1) أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن (ت٦٦٥هـ-١٢٦٩م)، الروضتين في أخبار الدولتين، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٢، ص١٢.

(2) أبو المحاسن: عمر بن علي بن الخضر القرشي، الحافظ الفقيه، محدث، سمع بدمشق، وحلب، والموصل والكوفة، وبغداد، ولي القضاء، توفي سنة ٥٧٥هـ.

(3) م: أبو الظفر المنصور الواسطي.

(4) ناقصة في (ق).

(5) ق: أرق.

(6) أبن الدبيثي، محمد بن سعيد، (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، المختصر المحتاج من تاريخ بغداد، انتقاء الذهبي، ج٣، تحقيق، مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، العراقي، بغداد، ١٩٥٢، ص٥٧.

(7) ق: عالي.

وذكر الذهبي: عن ولده عبد الرزاق[1]، قال لم يحج والدي رضي الله عنه، بعد ان أشتهر[2] أمره، إلا حجة واحدة وكنت فيها قائد زمام راحلته في الرجعة، فلما كنا بالحلة[3]، قال لنا: أنظروا أقرب بيت هنا، فوجدنا خربة[4] فيها بيت من الشعر فيه شيخ وعجوز وصبية[5]، فأستأذنه والدي في النزول عنده فأذن له، هو ومن معه في تلك الخربة. وجاء مشايخ الحلة، يومئذ ورؤساؤها وأعيانها اليه، وسألوه أن يتحول الى منازلهم[6]، هو ومن معه، أو الى غيرها، فأبى وساق أهل البلد من الغنم والبقر والطعام والذهب والفضة والقماش شيئاً كثيراً، ورحلوا له رواحل لأجل السفر، وهرع الناس اليه من كل جانب[7]، فقال الشيخ لمن معه، أنا قد خرجت عن نصيبي من جميع ما هناك لأهل البيت، فقالوا له ونحن كذلك، فأمر بجميع

---

[8] هوعبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني، محدث، حنبلي، زاهد عابد، ولد عام ٥٢٨هـ، توفي عام ٦٠٣هجرية. ينظر ترجمة: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، دار الرسالة للطباعة، بيروت، ١٩٩٠، ص٤٢٦؛ إبن رجب، زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي، (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، القاهرة، ١٩٥٢، ص٤٠. ابن العماد، المصدر السابق، ج٥، ص٩.

[9] م: ذاع.

[1] الحلة: من مدن العراق الكبرى، وهي اليوم مركز محافظة بابل. أنظر ترجمة: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص١٢٨؛ مصطفى جواد وأحمد سوسة، خارطة بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٩، ص١١٣.

[2] ق: غرفة.

[3] م: بنت.

[4] م: دراهم.

[5] ق: صوب.

ماهناك، فأعطى لذلك الشيخ والعجوز والصبية، وبات ورحل في السحر[1]، قال فأستأجرت بالحلة بعد عدة سنين وإذا بذلك الشيخ أكثر أهلها مالاً[2]، فقال لي جميع ما ترى من بركة تلك الليلة، وأن تلك الماشية تنجت[3] ونمت وهذا كله منها . وذكر شيخ الأسلام أبن حجر[4] في(غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر)[5]،أنه كان أذا ألمّ به نازل أوحادث، يحسن الوضوء ويصلي ركعتين لله تعالى، ويصلي على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يقول:

أيد ركني ضيم وأنت ذخيرتي ..... أأظلم في البيداء وأنت نصيري

وعار علي راعي الحمى وهو بالحمى ..... أذ ضاع في البيدا عقال بعيري[6]

---

[6] م:الصباح.

[7] ق:غِناً.

[8] ق:انتجت.

[9] أبن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني،الكناني،الشافعي،ولد في مصر سنة ٧٧٣هـ،عالم محدث ومؤرخ،من مؤلفاته: فتح الباري،والأصابة،والدرر الكامنة،توفي سنة ٨٥٢هـ،ينظر ترجمة:أبن اياس،محمد بن احمد الحنفي(ت.م) ،بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج٢ ،تحقيق محمد مصطفى،دار الكتب،القاهرة، ١٩٥٢ ،ص ص(٧-٣٢) ؛الشوكاني،محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) ، البدر الطالع،ج١ ،دار الكتب للطباعه،القاهرة١٩٤٦، ،ص٨٧ .

[5] ما زال مخطوطاً نسخة منه في المكتبة القادرية تحت رقم ١١٢٣،ص١٠ .

[6] الجيلاني،عبد القادر-ديوان عبد القادر الجيلاني،تحقيق يوسف زيدان،دار الجيل،بيروت، ١٩٨٣،ص١٩٣ .

كما أن سيدنا الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول بلغت بي الضائقة في غلاء نزل ببغداد أياماً لا آكل فيها طعاماً بل كنت أتتبع منبوذات[1] أطعمها فخرجت يوماً من شدة الجوع الى الشط لعلي أجد ورق الخس والبقل وغير ذلك من المنبوذات أتقوت بها فما ذهبت الى موضع إلا وجدت غيري قد سبقني اليه، وأن أدركت شيئاً وجدت جماعة من الفقراء ولاأستحسن مزاحمتهم علي فرجعت أمشي وسط المدينة فلاأدرك موضعاً قد كان فيه شيئ منبوذ إلا وقد سبقت اليه حتى وصلت الى مسجد السوق وقد أجهدني الجوع وعجزت عن التماسك فدخلت وقعدت في جانب منه وقد كنت أصافح الموت،إذ دخل علي شاب معه خبز رصافي وشواء وجلس يأكل فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أتألم من شدة الجوع حتى أنكرت على نفسي وقلت ماهذا ماههنا إلا الله وماقضاه من الموت أذا التفت الي الشاب فرأني فقال بسم الله ياأخي فأبيت عليه فألح علي فبدرت نفسي الى أجابته فأكلت وأخذ يسألني ماشغلك ومن أين أنت ومن تعرف فقلت أما شغلي فطالب علم وأما من أين فمن الجيل فقال لي وأنا من الجيل فهل تعرف شاباً جيلياً يسمى عبد القادر فقلت أنا هو فأضطرب لذلك وتغير لونه وقال والله يا أخي لقد وصلت الى بغداد ومعي بقية نفقة لي فسألت عنك فلم يرشدني أحد الى أن نفذت نفقتي وبقيت بعدها ثلاثة أيام لاأجد ثمن قوتي إلامن مالك معي فلما كان اليوم الثالث قلت قد تجاوزتني ثلاثة أيام لم

---

[1] المنبوذات: وهي الخضروات وأوراق الأشجار الطافية في نهر دجلة، السامرائي، عبدالله، الشيخ عبد القادر الجيلاني، مخطوط، ص٦٣ .

أكل فيها طعاماً وقد أحل لي الشارع أكل الميتة فأخذت من وديعتك ثمن الخبز والشواء فكل طيباً فأنما هو لك وأنا الان ضيفك بعد أن كان في الظاهر لي وانت ضيفي . فقلت وماذاك فقال أن أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير فأشتريت منها هدا الطعام أنا معتذر به اليك من خيانتي لك مع فسحة الشرع لي في بعض ذلك وطيبت من نفسه من طعامنا مادفعته اليه مع شيئ منه لأذهب فقبله وأنصرف . وذكر أيضاً ، أن الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه،أذا جاء أحدهم بذهب[١] ،يقول له ضعهُ تحت الوسادة،ولايمسه[٢] فأذا جاء خادمه قال خد ماتحت الوسادة وأعطه الخباز والبقال وكان غلامه يقف عند باب دار الشيخ والطبق فيه خبزوكان أذا جاءه خلعة[٣] من الخليفة يقول أعطوها الطحان وكان له حنطة[٤] مرباة من الحلال بيد بعض أصحابه يطحنها ويخبزله كل يوم أربعة أرغفة أوخمسة ويأتي بها في أخر[٥] النهار الى الشيخ فكان الشيخ يفرق منها على من حضره كسرة كسرة والباقي يدخره لنفسه وكان أذا

---

[١] ق:بشيئ.

[٢] م:ولا يلمسه.

[٣] م:حلة . الخلعة:هدية يهبها الخليفة لمن يريد من الزائرين له وغير ذلك من الناس وتكون شيئاً ثميناً من الحاجات . ينظر ترجمة:شعبان،محمد عبد الحي محمد ،التاريخ الأسلامي تفسير جديد ،الأهلية للنشر،بيروت،١٩٨٣،ص١٢٣ .

[٤] نبات معروف موسمياً في العراق،ينظر:الكبيسي،حمدان عبدالمجيد ،الخراج،بغداد،١٩٩٨،ص٦٥ .

[٥] ناقصة في(ق) .

أهديت له هدية يفرق[1] منها على من حضره ذلك الوقت وكان يقبل الهدية ويكافئ عليها ويقبل[2] النذور ويأكل منها .

وقال أبو صالح نصر[3]: أخبرنا أبي قال: كنت مع والدي الشيخ عبد القادر الجيلي (رضي الله عنه) في الجامع[4] يوم الجمعة فأتاه تاجر فقال له أن معي مالاً أريد أن أعطيه للفقراء والمساكين[5] من غير الزكاة وما وجدت له مستحقاً فمرني أن أعطيه لمن تريد فقال له الشيخ أعطه لمن يستحق ولمن لايستحق والاجر على الله قال ورأى فقيراً مكسور القلب ما شأنك قال مررت بالشط[6] وسألت ملاحاً أن ينقلني الى الجانب[7] الأخر فأبى انكسر قلبي لفقري فلم يتم كلام الفقير حتى دخل رجل معه صرة فيها ثلاثون دينارا نذراً للشيخ فقال الشيخ لذلك الفقير خذ هذه الصرة وأذهب بها الى الملاح وأعطيها له وقل له لاترد فقيراً أبداً وخلع الشيخ قميصه وأعطاه[8] للفقير .

---

[6] م: يوزع.

[7] ق: يرضى.

[8] هو أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني، فقيه، واعظ حنبلي، قاضي القضاة، ولد سنة ٦٠٤هـ، تفقه على أبيه وتكلم في مسائل الخلاف وسمع الحديث توفي سنة ٦٣٣هـ . ينظر ترجمة: أبن الدبيثي، المصدر السابق، ج١، ص٢٠١ .

[9] ق: المسجد .

[1] ق: المحتاجين .

[2] م: بالنهر .

[3] الصوب .

[4] ق: وهبه .

وكان الشيخ عدي بن مسافر[1] رضي الله عنه يقول: كانت الاوقات التي جالسنا فيها الشيخ عبد القادر رضي الله عنه كأنها في المنام كانت أخلاقه رضية، وأوصاف زكية ونفسه أبية وكفه سخية وكان يأمر بمد السماط ويأكل مع الأضياف ويجالس الفقراء والضعفاء ويعود المرضى[2] ويصبر على طلبة العلم، لايظلم جليسه أن أحدا أكرم عليه منه، ويتفقد من غاب من أصحابه[3]، ويسأل عن شؤونهم ويحفظ ودّهم ويعفو عن سيأتهم ويصدق من حلف ويخفي علمه فيه وما رأيت أشد منه حياءً[4].

وكان الشيخ عمر السهروردي[5]،

---

[5] عدي بن مسافر الأموي: كان عالماً متبصراً في علوم الشريعة، راسخاً في الزهد ،من كبار أصحاب الشيخ عبد القادر وهو من مواليد الموصل ظل متفرغاً للتربية والتدريس الى أن وافته منيته في جبال الموصل ودفن فيها سنة ٥٥٧ هـ،ينظر ترجمة:التادفي،المصدر السابق،ص٩٨.

[6] م:يراجع.

[7] طلابه.

[8] ق:خجلاً.

[9] شهاب الدين :عمر بن محمد بن عبدالله السهروردي البكري الصديقي ولد سنة ٥٣٩هـ،أخذ العلم والفقه والحديث من عمه أبي النجيب السهروردي والشيخ عبد القادر ،حنبلي المذهب، شيخ صالح ورع، توفي في بغداد سنة٦٣٢هـ/١٢٣٤م ومدفون في منطقة تعرف بأسمه الان(الشيخ عمر) ،ينظر: شهاب الدين السهروردي،عوارف المعارف،دار الكتاب العربي للطباعة،بيروت،١٩٦٦،ص١٢.

٥

إذا ذكر الشيخ عبد القادر (رضي الله عنه) ينشد[1] .

الحمد لله أني في جوار فتى ..... ما في الحقيقة نفاع وضرار

لا يرفع الطرف ألا عند مكرمة ..... من الحياء ولا يغظى علي عار

وسُئِل عنه الشيخ أبو مدين رضي الله عنه[2] فقال كان ظاهر الوضاءة دائم البشرة كثير البهاء شديد الحياء ما رأيت أنزه لساناً ولا أظهر[3] لفظاً منه وكان يقول: أن الشيخ عبد القادر رضي

([1]) الجيلاني، عبد القادر، ديوان الشيخ عبد القادر الجيلاني،ص١٠٣ ويوسف زيدان ،عبد القادر الجيلاني با ز الله الاشهب ،دار الجيل بيروت ١٩٩١،ص٤٤ .

[2] أبو مدين،شعيب بن حسين الأندلسي،ولد ونشأ في الأندلس ودرس فيها المذهب المالكي،سلك طريق الزهد ،وساح في المغرب الى أن أستقر في تلمسان(في الجزائر) من كبار تلاميذ الشيخ عبد القادر ،توفي سنة ٥٩٠هـ،ودُفن في تلمسان . ينظر: الذهبي،سير أعلام النبلاء ،ج٦،ص٩٣ .

[3] م:أبين . .

[4] م:طيب .

[5] ق:السداد .

[6] ق:الحق .

* ترجمنا لابي مدين بشكل مفصل في دراستنا لسيرة الشيخ عبد القادر الجيلي ، بداية هذا الكتاب فلتراجع .

الله عنه سريع الدمعة شديد الخشية كثير الهيئة مجاب الدعوة كريم[(١)] الأخلاق طيب الأعراق أبعد الناس عن الفحش أقرب الناس للحق شديد البأس أذا أنتهكت محارم الله عزوجل ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لغير ربه ولا يرد سائله. كان التوفيق[(٢)] رائده والأنس نديمه والبسط نسيمه والصدق[(٣)] رايته والفتح بضاعته والذكر وزيره والفكر سميره والمكاشفة غذاءه والمشاهدة شفاءه وأداب الشريعة ظاهره وأوصاف الحقيقة سرائره وأنشد فيه:

لله أنت لقد رحبت جناباً .... وشرفت أصلاً طاراً نصابا

وعظمت قدراً شامخاً حتى أغتدى .... قوس الغمام لأخمصيك ركابا

وبنيت بيتاً في المعالي أصبحت .... زهر الكواكب حوله أطنابا

يا ملبس الدنيا برونق جده .... بعد المشيب[(٤)] نضارةً وشباباً[(٥)]

قال الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي دخلنا بغداد سنة أحدى وستين وخمسمائة فأذا بالشيخ عبد القادر ممأ أنتهت اليه الرئاسة[(١)] بها علماً وعُلاً وحالاً وأستفتاءاً، كان يكفي طالب

[(٤)] م: البياض.

العلم عن قصد غيره من كثرة ما أجتمع[٢] فيه من العلوم والصبر[٣] وسعة الصدر وكان مليء العين وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة ما رأيت بعده مثله، وقال: كان الشيخ رضي الله عنه سكوته أكثر من كلامه.

وكان يتكلم[٤] على الخواطر وله قبول تام[٥] ولا يخرج من مدرسته ألا يوم الجمعة الى الجامع[٦] أو الى رباط وتاب على يديه[٧] معظم أهل بغداد،

وأسلم[٨] معظم اليهود والنصارى فيها على يده وكان يصدع[٩] بالحق على المنبر وينكر على من يوالي الظلمة، قال الأمام شيخ الأسلام شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي العسقلاني رحمه

---

[١] ق: الزعامة.

[٢] ق: العلوم.

[٣] م: الجمع.

[٨] ق: يتحدث.

[٥] م: الرضا.

[٦] م: المسجد.

[٧] م: يده.

[٨] ق: آمن.

[٩] ق: ينطق.

الله: في غبطة الناظر، توفي رضي الله عنه بعد أن أنقضى عمره النفيس ببغداد ليلة السبت ثامن شهر ربيع الأخر سنة أحدى وستين وخمسمائة ودُفِن في الليل بمدرسته بباب الأزج[1] ببغداد .

وذكر العلامة شمس الدين أبو المظفر يوسف سبط إبن الجوزي[2] رحمه الله في تاريخه الموسوم بمرآة الزمان في ذكر من توفى في سنة أحدى وستين وخمسمائة ودفن ليلاً لكثرة الزحام فأنه لم يبقَ ببغداد أحد إلا جاء وأمتلأت الشوارع والأسواق فلم يتمكن من دفنه في النهار وكذا قال أبن الأثير[3] وإبن كثير[4] في تواريخهما المعروفة . قال الأمام الذهبي أبو عبد الله: صلى عليه ولده عبد الوهاب وكان يوماً مشهوداً رضي الله عنه[5] .

---

(1) باب الأزج: محلة كبيرة في بغداد الشرقية وتعرف حالياً بمحلة باب الشيخ نسبة الى الشيخ عبد القادر الجيلاني، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤ .

(1) سبط أبن الجوزي: شمس الدين يوسف قزاوغلي البغدادي، حفيد أبن الجوزي (من أمه) مؤرخ وفقيه، ولد ببغداد سنة ٥٨٢ هـ، أنتقل الى دمشق وأستقر بها للوعظ والأرشاد وهو صاحب التاريخ الكبير (مرآة الزمان)، توفي سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، ينظر: سبط إبن الجوزي، مرآة الزمان، دائرة المعارف العثماني، حيدر آباد، د . ت، ج٨، ص ص٢٦٤-٢٦٥ .

(2) إبن الأثير: المصدر السابق، ج٧، ص١٣٩ .

(3) إبن كثير، اسماعيل بن عمر ابو الفدا (٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ج٦، مطبعة السعادة، مصر، ص٤٥٥ .

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٣٢٢ .

فصل

وأعلم أمدك الله برفده

قال رضي الله عنه: وأعلم ـ أمدّك الله برفده[1]، وجعلك من جنده، أن يد القدرة[2] استخرجت من البحر النبوي، درّة يتيمة عقدها، وفريدة مجدها، ونسيجة وحدها، ووحيدة

---

(1) ق: بعلمه.

(2) ق: الله.

فردها، وأستخلصها[1] مالكها[2] لنفسه، وطهّرها بجوار قدسه، وذرّها ببهجة أنسه، وصفاها بحبه، وأصطفاها لقربه، أصطنعها[3] لحضرته، وجذبها[4] لرحمته، وناداها بفضله، وباراها بوصله، وأودعها من علمه[5] وسره، معادن وألبسها من نوره وخيره محاسن، فبرزت طلائعها في مواكب المعالي[6] والمفاخر، وأسفرت عن صحيح[7] طاعة، الشيخ محيي الدين عبد القادر، فتلقته أيدي[8] الكرامة والتوفيق خلفه وأمامه، ولم يزل مربى في حجر الكرم[9]، مغذى بلبان النعم، محفوظاً بالرعاية، محفوظاً بالحماية، ملحوظاً بالعناية. وقدم رضي الله عنه الى بغداد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، فياله من قادم تواترت بقدومه، مقدمات السعادة، لأرض نزل بلادها وترادفت[10] عليها سحائب الرحمة، وتضاعفت بها بروق الهدى فأضاءت[11]

---

[3] م:وجعلها.

[4] م: الله.

[5] م:وصنعها.

[6] م:ووضعها.

[7] م:عمله.

[8] ق:العلالي.

[9] ق:صحة.

[10] م:أيادي.

[11] م:الكرام.

[12] م:وتجمعت.

([1]) م: فنورت.

أبدالها وأوتادها، وتتابعت اليها وفود المعالي. وفي جيد منازلها من مجده قلائد وساكنته الفضائل وفي تاج رأس مراتبها من علاه فرائد، فقلب[١] يورده، صدره بالبشر متواجد ولسان ثغره بأقبال وجهه ينطق لله[٢] بالمحامد:

بمقدمِهِ أنهل السحاب وأعشب[٣] البلد وزال الغي[٤] وأتضح الرشد فعيدانه رند وصحراؤه حمى وحصبائه درٌ وأمواجه شهد يميس به صدر البلد صبابة وفي قلب نجد من محاسنه وجد وفي الشرق برق من محاسن نوره وفي الغرب[٥] من ذكرى جلالته وعد ولما علم أن طلب العلم فريضة، وشفاء الأنفس[٦] المريضة.

إذ أوضح مناهج التقوى سبيلاً وأبلغها حجة، وأظهرها دليلاً وأرفع معارج اليقين، وأعلى مدار المتقين وأعلى مناصب الدين، وأفخر مراتب المهتدين، وهو المرقاة[٧] الى مقامات القرب والمعرفة، والوسيلة الى التولي بالحضرة المشرفة، شمّر عن ساق الأجتهاد في تحصيله وسارع في

---

[١] ق: البلاد.

[٢] ق: للحق.

[٣] ق: وأزهر.

[٤] ق: الظلم.

[٥] ق: المغارب.

[٦] م: النفوس.

[٧] ق: المرضاة.

طلب فروعه وأصوله، وقصد الأشياخ الأئمة، أعلام الهدى، علماء الأمة فأشتغل بالقرأن العظيم، حتى أتقنه[1] وعم بد رايته سره وعلنه وتفقه بأبي الوفاء علي بن عقيل البغدادي[2]، وأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلواذي[3]، والشريف البعقوبي[4]، وحماد بن مسلم الدباس[5]، وأبي محمد بن جعفر بن أحمد البغدادي السراج[6]، وأبي سعيد المبارك المخرمي[1].

---

[8] ق: حفظه.

[9] أبو الوفاء: علي بن عقيل بن عبد الله البغدادي، شيخ الحنابلة، ولد ببغداد سنة ٤٣١هـ/١٠٢٣م وكان حافظاً للحدود، ماخلف سوى كتبه وثيابه، توفي سنة٥١٣هـ/١١١٥م. ينظر ترجمة: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٤٤٦؛ أبن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٣٥.

[1] الكلواذي: أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلواذي، ولد سنة(٤٣٢هـ/١٠٣٤م) أحد أمة المذهب الحنبلي وأعيانه، كان عالماً بالحديث والفقه مذهباً وأصولاً توفي سنة(٥١٠هـ/١١٢م). ينظر ترجمة: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٣، ص٣٤٨؛ إبن العماد، المصدر السابق، ج٤، ص٢٧.

[2] الشريف البعقوبي: أبو المكارم محمد بن أحمد البعقوبي من ذرية النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وهو من شيوخ الشيخ عبد القادر الجيلاني، توفي في بعقوبة عام ٥٥٠هـ/١١٥٢م)، وهو من أشهر تلاميذه الأمام أبي أدريس علي الحسني البعقوبي دفين بعقوبة. ينظر: إبن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص١١٦.

[3] الدباس: حماد بن مسلم الدباس: من أهم أساتذة الشيخ عبد القادر وتأثر به كثيراً من أهل الأستقامة والمعرفة، كان مشهوراً، شيخ العارفين في زمانه توفي سنة(٥٢٥هـ/١١٢٧م). ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٥٩٤؛ إبن العماد، المصدر السابق، ج٤، ص٧٣.

[4] السراج: جعفر بن أحمد البغدادي، محدث، فقيه، ولد سنة(٤١٧هـ/١٠١٩م)، من أعلام بغداد في عصره، كان ممن يفتخر بمجالسته توفي سنة(٥٠٠هـ/١١٠٢م) ينظر ترجمة: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٣، ص٢٢٨.

ولقي جماعة من أعيان زهاد[٢] الزمان، وعظماء العا رفين بالعجم والعراق، أكرم بهم مجداً وسُؤدداً أو عزاً وفخراً مؤيداً، فهم حماة الملة[٣] ودواها وأنصا ر الشريعة وأعضادها وأعلام الأسلام وأركانه، وسيوف[٤] الحق وسنانه فقام رضي الله عنه في أخذ العلوم الشرعية عنهم دائباً وتلقي الفنون الدينية[٥] منهم واصباً حتى فاق أهل زمانه وتميز بين أقرانه[٦]، ثم أن الله تعالى، أظهره للحق وأدفع له القبول العظيم عند العام والخاص والهيبة الوافرة عند العلماء وأظهر الله الحكم من قلبه[٧] على لسانه وظهرت علامات قد رته من الله تعالى وأما رة ولايته وشواهد تخصيصه[٨] مع قدم راسخ في المجاهدة وتجرد خالص من دواعي الهوى ومقاطعة دائمة لجميع

---

[٥] المخرمي: أبوسعيد المبا رك علي المخرمي، شيخ الحنابلة في بغداد، بنى مد رسة باب الأزج المعروفة التي آلت الى الشيخ عبد القادر بعده، توفي سنة (٥١٣هـ/١١٥م). ينظر ترجمة: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٢٨؛ إبن العماد، المصد ر السابق، ج٤، ص٤٠؛ إبن رجب، المصد ر السابق، ص١٦٦.

[٦] ق: أعلام.

[٧] ق: الدين.

[٨] ق: صناديد.

[١] ق: الأسلامية.

[٢] م: أصحابه.

[٣] م: فؤاده.

[٤] ق: تخصه.

الخلائق[1] وصبر جميل في طلب مولاه سبحانه على مر الشدائد والبلوى ورفض كلي لكل الأشغال[2].

ثم أضيف الى مدرسة أستاذه أبي سعيد المخرمي وماحولها من المنازل والأمكنة مايزيد على مثلها وبذل الأغنياء[3] في عمارتها أموالهم وعمل الفقراء فيها بأنفسهم فكملت المدرسة المنسوبة[4] اليه الآن، وكان الفراغ فيها سنة ثمان وعشرين وخمسمائة هجرية وتصدر بها للتدريس والتقوى[5]، وجلس بها للوعظ وقصدت بالزيارات والنذور وأجتمع عنده بها من العلماء والفقهاء والصلحاء[6]، جماعة كثيرة ينتفعون بكلامه وصحبته وقصد اليه طلبة العلم من الأفاق، فحملوا عنه وسمعوا منه، وأنتهت اليه تربية المريدين في العراق وأتى مقاليد الحقائق[7] وسلمت اليه أزمة العارفين والمعارف فأصبح قطب الوقت حكماً وعلماً وقام بالنظر والفتوى

---

(٥) ق:الخلق.

(٦) ق:الأعمال.

(٧) ق: أصحاب الأموال.

(٨) ق:المدرسة: وهي المدرسة التي أستلمها بعد أستاذه المخرمي،والكائنة في باب الأزج،ولقد بقى الشيخ عبد القادر يدرس بها ثلاثاً وثلاثين سنة بدأها سنة(٥٢٨هـ/١١٣٠م) حتى وفاته ولاتزال المدرسة باقية الى اليوم ولها مكتبة وفيها مخطوطات شهيرة وتعرف بالمكتبة القادرية. للتفاصيل ينظر: عماد عبد السلام رؤوف،مدارس بغداد،بغداد،١٩٨٥،ص٩٧.

(٩) م:التقوى.

(١٠) م:الزهاد.

(١١) ق:الحق.

نقضاً وبرماً وبرهن على العلم فرعاً وأصلاً وبين الحكم نقلاً وعقلاً وأنتصر للحق[1] قولاً وفعلاً وصنف كتباً مفيدة وأملى فوائد[2] فريدة، فحدثت بذكره الرفاق وانتشرت أخباره في الآفاق وألتوت نحوه الأعناق وتنزهت في حدائق نزاهته ومحاسنه الأعين[3]، وأختلفت ببدائع أوصافه الألسن فمن واصف له بذي البيانين واللسانين ومن ملقب له بصاحب البراهين والسلاطين ومن داع له بأمام الفريقين والطرفين ومن مسمٍ له بذي السرجين والمنهاجين فأضحى الزمان[4] مشرقاً بمناقبه والدين مشرفاً به، والعلم عالية به مراتبه والشرع منصوراً به كتائبه، ولذلك أنتهى اليه جمع عظيم من العظماء والعلماء[5] وتتلمذ له خلق كثير من الفقهاء .

---

[1] ق:الله .

[2] ق:حقائق .

[3] م:الأعيان .

[4] م:الزمن .

[5] م:الأعلام .

فصل

الفرق بين شهود الذات والصفات

سُئِل عن الفرق بين شهود الذات والصفات

فقال رضي الله عنه: إذا شهد السر مايقوم ويحتجب[١] بخلافه ويستتر في معناه ويبدو[٢] مع وجود سواه فذاك شهود الصفات لأن قيامها بموصوفها فلابد من شهودها من تواري طرف[٣] من أطرافها لفقد شهود الذات مع ذلك الوصف[٤] الجاذب الى وجوب وجود غيره ويحتجب

(١) ق: يختفي.

(٢) ق: يظهر.

(٣) ق: جزء.

(٤) ق: النعت.

بخلافه لأن من شهد الجمال لايقوى لظهور الجلال[١] ومن أنس الكمال والبهاء لايثبت لبدو العظمة والكبرياء ولايحتجب الوصف البادي قوة شهود الوصف في حقيقته عن حقيقة عند ظهور غيره وأنما يحتجب عن شهود الشاهد لقهر الوصف الخافي[٢] ويستتر في معناه لأن معنى كل قائم بموصوفه فأذا بدت قوى أفعال معانيها اللازمة لموصوفها في عين الأزل أستترت أفعال بواديها في أفعال معانيها لتعالي الوحدة[٣] عن مجاورة التعدد .

فهنالك التفت أطرافها المتفرقة في وصف فرد ومعنى وتر ويبدو مع وجود سواه لأن السر قد شهد الصفات مع بقاء رسوم[٤] البشرية ويقتحم بحرها في سفينة من لحظ كونه ولمحة وجوده منازعاته وعلامة[٥] ذلك كله ثلاثة أشياء شهود البصيرة بقوة كانت لها قبل هذا الشهود والأستدلال بتعقل المشهود على كنهه فقد شهوده وشهود مشهودين مختلفين بشهود[٦] واحد في وصف واحد وأذا لاحظ السر موجوداً قائماً بنفسه بوجود مطلق فذلك شهود الذات ولابد في هذا المشهود من قوط شهودين ونفي تعلق الحظ بالحين والوقت والأين[٧] ومحو ثبوت الفرق

---

[٥] م:الكمال.

[٦] م:المختفي.

[٧] م:الواحدة.

[٨] م:رسم.

[٩] م:أية.

[١] م:ظهور.

[٢] ق:الزمن.

والجمع والقرب والبين لرمق العين ومحق الشهود وزهق الوجود وأنفراد بوصف الشهود وبروزه في عين الأزل لمقابل الأزل بقوة من لم يزل عند سلب[1] أوصاف الحدوث منه وخلوه من معانيه وصفاً وحكماً[2] وعيناً وحالاً فهنالك رجع أول كون الى آخره لمحق وصف القبلية في العدم ومحو نعت االبعدية[3] في الأبد[4] وأختفى كل باد في كن عدمه لهيبة سر مديته وعلامة هذه الشهود انه وصف غير مستحب من قبل وجوده وغير باق حكمه بعد توري عينه وغير منعقد به كنه ما شوهد به ولا مستدل به على حقيقته بعد اتصال الشاهد بطوره وانفصاله[5] عن هذا الوصف وهذا الأمر لا يكون مقاماً إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا منازلة إلا للصديقين ولا حالاً إلا للأولياء ولا ينال بالمكاسب بل بالمواهب ولا يعطى بالوسائل[6] بل بالسوابق .

---

[3] ق:نهب .

[4] ق:عقلاً .

[3]البعدية: البعد عكس القرب ومنه البعدية،لأنه أبتعاد عن التوفيق في القرب الى الله أوبعد عن التحقيق أي معرفة الله ولذلك يهتم أهل الحق بعمل الصالحات لتقربهم الى الله . ينظر: إبن عربي،محيي الدين(٦٣٨هـ-١٢٤٠م) ،الفتوحات المكية،تحقيق عثمان يحي،دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٩٩٤،ج٣،ص٩٦ .

[6] م:الأزل .

[7] م:أنعتاقه .

[8] ق:بالسؤال .

وسُئِل عن صفات الموارد الإلهية والطوارق الشيطانية

فقال رضي الله عنه: المورد الإلهي لا يأتي بإستدعاء ولا يذهب بسبب ولا يأتي على نمط[1] واحد ولا في وقت مخصوص والطارق الشيطاني بخلاف ذلك غالباً .

وسُئِل عن المحبة

فقال رضي الله عنه: هي تشويش[2] في القلوب يقع من المحبوب الدنيا عليه كحلقة خاتم أو مجمع مأتم والحب سكر[3] لا صحو معه وذكر لا محو معه وقلق لا سكون معه وخلوص المحبوب بكل وجه سراً وعلانية بإيثار اضطرار[4] لا بإيثار اختيار وبإرادة كلفة والحب العمى عن غير

(٩) م: طريق .

(١) م: حركة .

(٢) م: حفر .

(٣) م: مظهر .

المحبوب هيبة[1] ، والمحبون سكارى لايصحون إلا بمشاهدة محبوبهم، مرضى لايشفون إلا بملاحظة مطلوبهم حيارى لايأنسون[2] بغير مولاهم ولايلهجون بغير ذكره ولايحبون غير داعيه .

وسُئِل عن التوحيد[3]

فقال رضي الله عنه: هو أشارة من الصابر بأخفاء سر السرائر[4] عند وروده[5] الحظرة ومجاوزة القلب[6] منتهى مقامات الأفكار وأرتفاعه على أعلى[7] درجات الوصول منازل أسرار التعظيم[8]، وتخطيه الى التقرب بأقدام التجريد[9] وأقتباس النورين وفناء العالمين تحت لمعان[10] أنوار بروق الكشف من غير[1] عزيمة متقدمة .

---

[4] م:صفة .

[5] ق:يستقرون .

[3] التوحيد عند الصوفية: هو شهادة المؤمن يقيناً أن الله هو الأول في كل شيء وهو المعطي المانع، لامعطي ولامانع ولاضار ولانافع إلا هو . ينظر: الآلوسي، شهاب الدين أبي الثناء (١٢٧٠هـ-١٨٥٤م) ، الطراز المذهب، مخطوطة الكتبة القادرية، رقم ١٤٠٥، ورقة ١٧ .

[7] ق:الأسرار .

[8] ق:قدوم .

[9] ق:الفؤاد .

[10] ق:أعالي .

[11] ق:الوجود .

[12] م:التغريد .

[13] م:نور .

وسئل عن التفريد

فقال رضي الله عنه: هو أشارة من المفرد[٢] الى الفرد عن تفرده عن الكون وتعريه عن الملكين، وأنخلاعه عن وصف[٣] وجوده وحكم ذاته مطالعاً لما يرد على سره[٤] من الخواطر من الحق[٥] تحرياً لتصحيح التفريد وطلباً لصدقه في وصفه وذلك أن صفة[٦] الفردية تقتضي أشارة منفردة فيصعد[٧] معتصماً بأشارة الفردية الى نفسه فأذا قدح في هذا المعنى[٨] غيب سبب أو علة كدر أنفصل العبد[٩] عن معتصمه وأنقطع عن متمسكه ورجعت[١٠] الأشارة قهقرة الى البشر

(١) م: دون.

[١] م:الأفراد .

[٢] م:أوصاف.

[٣] ق:وجود .

[٤] م:الله.

[٥] م:وصف.

[٦] م:فيرتقي.

[٧] ق:الوصف.

[٨] ق:الأنسان.

[٩] ق:عادت.

وأحتجبت[١] عن مطالعة الحق وقت هيجان شوق الأرواح عند تلميع برق الشفقة عن حجب أطوار[٢] البشرية وصفة الفردانية عليه من وصول أشارات التمويه ونيل معاني الأرواح[٣] ووصف أعداد الأفراد .

وسُئِل (رضي الله عنه) عن التجريد[٤]

فقال: هو تجريد السر عن التدبر[٥] بثبات السكون عن طلب المحبوب[٦] وتعريه عن ألتزمل بلباس الطمأنينة[٧] على مفارقة المحدود والرجوع من الخلق الى الحق[٨] منيباً .

وسُئل رضي الله عنه عن المعرفة

فقال هي الأطلاع على معاني خفايا مكامن[١] المكنونات وشواهد الحق[٢] في جميع المشيات بتلميع كل شيئ منها على معاني وحدانية وأستدراك علم الحقيقة في فناء كل فان عند أشارة

---

(١٠) ق:توارت.

(١١) ق:أنوار.

(١٢) ق:الأفراح.

(٤) التجريد: هو الأعراض التام عن الدنيا ومافيها، فلايهتم بها ولايطلب مالاً ولاعوضاً لاعاجلاً ولاآجلاً، فهويتجرد عن أغراض الدنيا لالشيء إلا لأنه يعرف أن ذلك هو الحق. ينظر: الطوسي، الشيخ ابونصر السراج(٣٧٨هـ/٩٨٨م)، كتاب اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثه، القاهرة، ١٩٦٠، ص٤٢٨.

(٢) ق:التفكر.

(٣) م:المحجوب.

(٤) م:السكون.

(٥) م:الله.

الباقي اليه بتلويح هيبة[٣] الربوبية وتأثير أثر البقاء فيما أشار اليه الباقي بتلميع جلال الألوهية[٤] مع النظر الى الحق بعين القلب .

وسُئِل عن قطع طريق العشق[٥]

قال رضي الله عنه: الحلاج[٦] قطع طريق العشق وأخذ منه جوهرة سر المحبة أودعها في أخفي خزانة قلبه مشير الحالة فلما قابل بصر[٧] بصيرته شعاع نور جمالها عمى[٨] عن النظر الى

---

[٦] ناقصة في: م.

[٧] م: الله.

[٨] ناقصة في: ق.

[٤] جلال الألوهية: وذلك نعت من نعوت الجبروت، يتصف بها الله سبحانه وتعالى وحده، فهو صاحب القهر والغلبة والجلال لما يمتلكه الله تعالى من العظمة والكبرياء . ينظر: إبن عربي، محيي الدين(ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحي، ج٦، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤، ص٦٢ .

[١] العشق: هو الحب الألهي، حب صادق للذات الألهية ولرسوله المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث تتعلق النفس بسلوك الطريق الى الله . ينظر: السراج، إللمع، ص٣٦ .

[٦] الحلاج: الحسين بن منصور البيضاوي، زاهد متفلسف، صاحب الجنيد البغدادي تنقل كثيراً في البلاد حج وطاف بلاد المشرق حتى بلغ الهند وتضاربت الأراء فيه توفي مقتولاً سنة(٣٠٩هـ/٩١١م) ولقد ألف عنه المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون كتاب خاص عنه . ينظر: البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر(ت ٤٢٩هـ/١٠٣١م)، الفرق بين المذاهب، دار الجيل، ١٩٦٥، ص٢٤٧؛ القرطبي، عريب بن سعد (ت٣٦٩هـ/٩٧١م)، صلة تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل أبراهيم، دار العارف، القاهرة، ١٩٧١ص١٠٢؛ الذهبي، المصدر السابق، ج١٤، ص٣١٣؛ حسن، حسن أبراهيم، ج٣، ص٢٥٢ .

[٣] م: أبصار .

[٤] م: غيب .

الموجودات فظن خلوا المكان من الأعيان[1] فأعترف بالأخذ فأستحق قطع اليد والقتل وحياتك من ملك تلك الجوهرة لايقنع إلا بأوفى درجات المحبة وهي الفناء وأبو يزيد[2] دل بتصريحه على محبته ولا تائباً عن عشق[3] أنما كان وقع عليه غبار تعب الطريق بعد تحكمه في غايات درجات النهايات[4] فقال سبحاني شكر الوصول وأما بنعمة ربّك فحدث وأيضاً الحلاج لما وصل الى الباب[5] وطرقه ونودي يا حلاج لايدخل هذا الباب إلا من تجرد عن صفات البشرية وفنى عن سماع الأدمية فمات حباً وذاب عشقاً[6] وسلم روحه لدى الباب وجاد بنفسه عند الحجاب فوقف في مقام الدهشة على أقدام الحيرة[7] فلما أخرسه الفناء أنطقه السكر فقال أنا الحق فأجابه الهيبة اليوم فقطع وقتل وغدا قرب[8] ووصل، فقال لسان حاله(فما غلت نظرات

---

[5] ق:الأشراف.

[6] أبو يزيد: طيفور بن عيسى البسطامي، زاهد مشهور، أمتزجت سيرته بالأساطير، ولد حوالي سنة(١٨٨هـ)، رويت عنه بعض الخوارق، توفي بمسقط رأسه سنة(٢٦١هـ) ولقد ألف عنه عبد الرحمن بدوي كتاب خاص عنه. ينظر ترجمة: الذهبي، المصدر السابق، ج١٣، ص٨٦؛ عطية الله، أحمد، المصدر السابق، ج١، ص٣١٣.

[7] م:حب.

[8] ق:الغايات.

[9] ق:الدار.

[1] ق:حباً.

[2] ق:المضيعة.

[3] ق:وأدنى.

منهم بسفك دمي) فخر له أبو يزيد[١] من داخل الباب وقد طاب منزله وأخضر مرتعه[٢] وقد ضربت نوبته بالقرب بيد القدرة في ذلك الفناء ونصبت سرادقات[٣] المشاهد بسابق العناية في ذلك الحمى له لسانان ينطقان ونوران يشرقان لسان ينطق بطرب التمجيد[٤] ولسان ينطق بحقائق التوحيد فنرهم لسان طرب تمجيده فقال ما نظرت الى شيء إلا رأيت الله قبله فأجابه لسان حقائق توحيد سبحاني فصاح[٥] نور الوجدان أن القرب أفناني[٦] ثم أحياني ونادى نور الوصل أنا الحق أبقاني ثم رقاني فسبحاني لدياني ورحماني .

فيا دارها بالحزن أن مزارها ... قريب ولكن دون ذلك أهوال[٧]

وأيضاً فأن الحلاج[٨] لما هاجت بلابل أشواقه[٩] وأضطرمت نيران أحراقه طلب الوصال فأجلس على بساط الأمتحان ويلك يا إبن منصور إن كنت محباً صادقاً أو عاشقاً بائعاً فأبذل

---

[٤] م:أبويزيد .

[٥] م:معشبه . والمرتع:هو مكان خاص لمرتبة خاصة بأولياء الصوفية يتعبدون به ولكل ولي مرتعه أي مكانته . الطوسي،السراج، المصدر السابق،ص٤٢٥ .

[٦] ق:خيام.

[٧] ق:التحميد .

[٨] ق:فنادى.

[٩] ق:أحاني.

[٧] الجيلاني،الشيخ عبد القادر،ديوان عبد القادر الجيلاني،ص٨٣ .

[٨] وهو الحلاج بن منصور البيضاوي سبقت ترجمته في الصفحات السابقة من الرسالة .

[١٢] ق:القرب .

نفسك النفيسة وروحك الشريفة في الفناء لتصل الينا فقابل[1] الأمر بالطاعة وقال:أنا الحق ليقبل في هذه الساعة(ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا)[2] وأبليس لما كان قوله أنا عصينا وخالف المراسيم قيل أسجدوا قال:(أنا خير منه)[3] فأستحق البعاد ألا يعلم من خلق وأيضاً الحلاج غلب على سويداء[4] قلبه شكر المحبة وقهر سر سرائره سلطان العشق فقال من خيرة الطلبة أنا وأبليس دخلت نخوة الكبر في هامة[5] همته وجرت خزانة السر مع أنفاس نفسه فقال أنا خير منه فمن غلب عليه سكر مولاه جدير أن يمنح بوصله وقربه ومن نظر[6] الى نفسه بعين العجب حقيق أن يقطع رأس كبره بسيف الطرد فقيل له فما سر قول هذا أنا الحق وما حقيقة[7] قول ذلك سبحاني فقال رضي الله عنه:ما أرى كفواً أجلو عليه هذه الأفكار ولاأميناً أكشف له هذه الأسرار .

---

[1] ق:فتلقى .

[2] سورة آل عمران:الأية ١٦٩ .

[3] سورة ص:الأية٧٦ .

[4] م:لب .

[5] م:كبر .

[6] م:عظم .

[7] حقائق .

وسُئِل عن الهمّة[1]

فقال رضي الله عنه: أن يتعرى بنفسه عن حب[2] الدنيا وبروحه عن التعلق بالعقبى وبقلبه عن أرادته[3] مع أرادة المولى ويتجرد بسره عن الأشارة الى الكون ولو بلمحة ولو بطرفة .

وسُئِل عن الحقيقة[4]

فقال رضي الله عنه: هي التي لاينافيها مضادها[5] ولايقوم لها من فيها بل يبقى[6] عند أشارتها أضدادها ويبطل عند محاذاتها منافيها .

وسُئِل عن أعلى درجات الذكر

فقال رضي الله عنه: هو ما تأثر في الفؤاد[7] من أشارة الحق وقت لأختيار[8] اليه ببقاء العناية السابقة له فهذا ذكر دائم ثابت[1] راسخ لايقدح فيه نسيان ولاتكدره غفلة وكاتم السكوت[2]

---

[8] الهمة: يقال يهمُّ هماً ،أي قصد الى الشيء ويستخدم أئمة الصوفية تعبير الهمة بنفس المعنى القرآني وهم المجاهدون أي أصحاب الهمة الصابرون الصادقون . ينظر: الطوسي، المرجع، السابق،ص٤٣٨ .

[9] م:عشق .

[10] م:نفسه .

[4] الحقيقة: من الحق وهو ضد الباطل والحق واحد غير متعدد والحقيقة ضد المجاز وهي مايحق على الرجل أن يحميه فيقال فلان حامي الحقيقة أي حامي الحق . ينظر: ،المرجع السابق،ص٦٣ .

[2] م:أضدادها .

[3] ق:يظل .

[4] ق:القلب .

[5] ق:الأمتحان .

والنفس والخطوة مع هذا الوصف ذكراً وهو الذكر الكبير[٣]، الذي أشار اليه الحق تعالى في تنزيله[٤] وأحسن الذكر ما هيّجته الأخطار الواردة من الملك الجبّار فكمن[٥] في محل الأسرار.

وسُئِل عن الشوق

فقال: أحسن الأشواق ما كان عن مشاهدة[٦] فهو لا يفتر عن اللقاء ولايسكن على الرؤية ولا يذهب[٧] على الدنو ولايزال عن الأنس بل كلما أزداد لقاء أزداد شوقاً ولا يصبح الشوق حتى يتجرد من عللهِ[٨] وهي موافقة روح أو متابعة همة أو حظ نفس فيكون شوقاً مجرداً عن الأسباب فلايد ري السبب الذي أوجب له ذلك الشوق[٩] لأنه هو ذا يشاهد وتشوق الى المشاهدة مع المشاهدة.

---

[٦] م: كبير.

[٧] ق: الصمت.

[٨] م: الأكبر.

[٩] م: كتابه.

[١٠] ق: فبقى.

[١١] ق: بصيرة.

[١٢] ق: يجرؤ.

[١] أسبابه.

[٢] ق: الحب.

وسُئِل عن التوكل[1]

فقال رضي الله عنه: هو أشتغال السر عن الله فينسى[2] مايتوكل عليه لأجله ويستغني به عمّن سواه[3] فترتفع عنه حشمة الغنى في التوكل والتوكل أستشراف السر بملاحظة عين المعرفة الى خفي غيب المقدورات[4] وأعتقاده حقيقة اليقين بمعاني مذاهب[5] المعرفة فأنها مختومة لايقدح فيها مناقض.

---

[1] التوكل: هو الأعتماد على الله في كل شيء والرضا به وكيلاً، فهو الذي يوجه المتوكل ال كل الخير، الى الملل الصالح، فهو معينه ومرشده وصاحبه. ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار الجميل، المانيا، ١٩٩٧، ص١٥٣.

[4] م: فيترك.

[5] م: دونه.

[6] م: القدر.

[7] ق: طرق.

وسُئِل عن الإنابة[1]

فقال رضي الله عنه: الأنابة طلب مجاوزة المقامات والحذر من الوقوف[2] على الدرجات والترقي على أعلى المكنونات[3] والأعتماد بالهمم على صدور[4] مجالس الحضرة ثم الرجوع من الكل الحق بعد حضور الحضوة ومشاهدة هذه المحاضرة والأنابة، الرجوع اليه حذراً[5] أو من غيره اليه رعباً ومن كل تعليق اليه رهباً قيل له رضي الله عنه، أبليس يقول: أنا فطُرِد والحلاج يقول: أنا فقُرِب فقال رضي الله عنه الحلاج يقصد الفناء بقوله[6] أنا ليبقى هو بلا هو فأوصل الى مجلس الوصال وخلع عليه خلعة البقاء[7] وأبليس قصد البقاء بقوله أنا ففنيت هويته وسلبت نعمته وخفضت درجته ورفعت[8] لغته.

---

[1] الأنابة: هو الرجعة الى الله وهو ثمرة التوبة بالنية الحسنة والقصد بترك الأنام وهو باب من معرفة الخير والشر في النفس البشرية. ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الغنية لطالبي الحق، تحقيق فرج توفيق الوليد، ج٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص١١٣.

[9] ق: البقاء.

[10] م: المكنون.

[11] ق: بدايات.

[1] م: خوف.

[2] ق: بكلامه.

[3] ق: الفناء.

[4] ق: حذفت.

وسُئِل عن التوبة[1]

فقال رضي الله عنه التوبة نظر الحق تعالى الى عنايته السابقة[2] القديمة لعبده وأشارته له بتلك العناية الى قلب عبده وتجريده أياه بالشفقة مجتذباً اليه قابضاً فأذا كان ذلك كذلك[3] أنجذب القلب اليه عن كل همة[4] فاسدة ونابعه[5] الروح ووافقه العقل وصحت التوبة وصار الأمر كله لله .

وسُئِل عن التوكيل[6]

فقال حقيقة كحقيقة الأخلاص أرتفاع الهمة عن طلب الأعراض على الأعمال[7] وكذلك التوكل هو الخروج من الحول والقوة مع السكون الى رب الأرباب

---

[1] التوبة: هي أن يتوب الأنسان عن كل فعل أو ذكر شيء سوى الله عزوجل،أن الأنسان يتوب عن نفسه وينسى ذنبه . ينظر :الجيلاني،عبد القادر،الفتح الرباني،ص٦٩ .

[6] ناقصة في ق.

[7] ناقصة في ق.

[8] م:عزيمة.

[9] م:سر.

[6] التوكيل:أسقاط التدبير مع الله فلا يدخل قلبه شك ولا تقصير ولا قصور وأن يثق في الله لأنه وكيله ولا يطمئن إلا أليه . ينظر:الجيلاني، عبد القادر،الغنية،ص٧٧ .

[11] الأفعال.

تعالى[١] ثم قال يا غلام كم يقال أفلاتسمع وكم تسمع أفلا تفهم وكم تفهم أفلا تعمل وكم تعمل أفلا تخلص أفلا تغيب في أخلاصك[٢] عن وجودك .

وسُئِل عن البكاء[٣]

فقال رضي الله عنه: أبك له وأبك منه وأبكِ عليه، ولاحرج .

وسُئِل عن الدنيا

فقال رضي الله عنه: أخرجها من قلبك الى يدك فأنها لاتضرك[٤]،

وسُئِل عن التصوف

فقال رضي الله عنه: الصوفي من جعل ضالته مراد الحق منه رفض[٥] الدنيا وراءه فخدمته ورزقته أقسامه وحصل له في الدنيا قبل الأخرة مرامه[٦] فعليه من ربه سلامه[١٧] .

---

[١] ق: عزوجل .

[٢] ق: الكاف ناقصة في (م) .

[٣] البكاء: هو الوجد أي الحزن، والبكاء مصادفة القلوب لصفاء ذكر الله، ورؤية معنى من أحوال الآخرة أو كشف حاله بين العبد وربه . ينظر: إبن عربي، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٤ .

[٤] ق: الكاف ناقصة في (م) .

[٥] م: ترك .

[٦] م: مراده .

وسُئِل عن الفرق بين التعزز والتكبر[٢]

فقال رضي الله عنه: ما كان لله ويفيد[٣] ذُل النفس وأرتفاع الهمة الى الله عزوجل والتكبر ما كان للنفس وفي الهوى ويفيد هيجان الطبع وقهره الأرادة عن الله عزوجل والكبر الطبيعي أسهل من الكبر المكتسب .

وسُئِل عن الشكر[٤]

فقال حقيقة الشكر الأعتراف[٥] بنعمة المنعم على وجه الخضوع ومشاهدة المنة وحفظ الحرمة على وجه معرفة العجز عن الشكر على الشك[٦] وينقسم أقساماً: شكراً باللسان، وهو الأعتراف بالنعمة بنعت الأستكانة[٧] وشكراً بالأركان، وهو الأتصاف بالخدمة والوقار

---

[١] ينظر: أبراهيم، حبيب جميل، تاريخ متصوفة بغداد، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ١٩٨٨، ص ص١٢٦_١٢٧ .

[٢] التعزز والتكبر: وهو التجبر وأدعاء الكبر وعند الصوفية هو التكبر والتعزز على لذائذ النفس وممانعتها عن الرغبات والشهوات . ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الغنية، ج٣، ص٥٥ .

[٩] ق: ينفع .

[٤] الشكر: الشكر من الله لعباده مجازاتهم على أعمالهم الصالحة وأما شكر العبد لنعمة الله فيكون بنشرها ومعرفتها والشكور الكثير الشكر وهو أسم من أسماء الله الحسنى . ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الغنية، ص٢٨٣ .

[٢] ق: العرفان .

[٣] م: الظن .

[٤] م: الأستهانة .

وشكراً بالقلب، وهو الأعتكاف على بساط الشهود بأدامة حفظ الحرمة ثم الترقي بعد حضور هذه المشاهدة الى الغيبة[1] في رؤية المنعم عن رؤية النعمة والشاكر الذي يشكر على الموجود والشكور الذي يشكر المفقود الحامد الذي يشهد المنع عطاء والضر نفعاً[2] ثم يستوي عنده الوصفان والحمد الذي يستفيد الحامد بعين المعرفة[3] على بساط القرب .

وسُئِل عن المحبة[4]

لما قدِم ذكرنا على ذكره في قوله عزوجل (فأذكروني أذكركم)[5] وقدم محبته على محبتنا في قوله(يحبهم ويحبونه)[6] فقال الذكر مقام[7] طلب وقصد والطلب مقدمة العطاء فلهذا قدم ذكرنا له وأما المحبة فهي تحفة الهيبة من محض[8] القدر ليس للعبد فيها كسب ولايصبح[9] وجودها في

---

[5] م:الغيب .

[6] م:فؤاداً .

[7] م:المعارف .

[4] المحبة: والمحبة ميل النفس الى ما تراه أو تظنه خيراً ،أما محبة العبد لربه فهي تعظيم له وطلب للتقرب اليه وذلك بطاعته كما أن الله يحب عباده المخلصين . ينظر: الجيلاني،عبد القادر ،الغنية،ج٣،ص٥٩ .

[5] سورة البقرة:الأية ١٥٢ .

[6] سورة المائدة:الأية ٥٤ .

[11] ق:درجة .

[1] ق:خالص .

[2] ق:يبقى .

العبد إلا بعد بروزها من جانب الغيب على يد المشيئة والعبد هناك ساقط الكسب ممحو[1] السبب فلهذا قدّم محبته[2] لنا على محبتنا له فقيل له قدم توبته علينا على توبتنا له في قوله عزوجل (ثم تاب الله عليهم ليتوبوا)[3] وهو أيضاً كسب كالذكر فقال لأن التوبة أول مقامات[4] الطلب ومبدأ منازل السير فقدم فعله فيها على ما فعلنا فأنه لا يفتحه احد غيره[5] ولا يقدر احد يسلكه الا بتسهيله اذ هو عز وجل المنفرد[6] بأيقاظ الغافلين وتنبيه الراقدين ورد الشاردين الى طرائق القاصدين[7] وأنزعاج القلوب الى ذكر المحبوب .

وسُئِل عن الصبر[8]

فقال رضي الله عنه: هو الوقوف مع البلاء[9] بحسن الأدب والثبات مع الله عز وجل تلقى أمر أقضيته بالرحب والسعة على أحكام الكتاب والسنة ينقسم أقساما : صبر لله وهو الثبات[1]

---

[3] م:مسح .

[4] م:حبه .

[3] سورة التوبة:الأية ١١٨ .

[6] ق: درجات .

[7] م: دونه .

[8] م: المتفرد .

[9] ق: السالكين .

[8] الصبر: مقام من المقامات الرفيعة لأهل الله، والصبر لايتم إلا بمعرفة سابقة،إذ انه من أشجار الله،كما أنه لايتم إلا بحال قائم أي بغصن من أغصان الله . ينظر: الجيلاني،عبد القادر،الغنية،ج٣،ص١١٢ .

[11] ق: القضاء .

على أداء أمره والانتهاء بنهيه، وصبر مع الله عز وجل وهو السكون[٢] تحت جريان قضائه وفعله فيك وأظهار الغنى مع حلول[٣] الفقر من غير تعبيس، وصبر على الله وهو الركون إلى وعده في كل[٤] شيء والمسير من الدنيا الى الاخرة سهل على المؤمن، وهجران الحق في جنب الحق[٥] شديد والمسير من النفس الى الله عز وجل اشد والصبر مع الله تعالى اشد والفقير الصابر افضل من الغني الشاكر.

وسُئِل عن حُسن الخُلق

فقال رضي الله عنه: هو أن لا يؤثر فيك[٦] جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق واستصعاب[٧] نفسك وما فيها من معرفة يعتد بها وأستعظام الخلق وما منهم نظرا الى ما أودعوا من الايمان والحكم[٨] وهو افضل مناقب العبد وبه تظهر جواهر الرجال[٩].

---

(١٢) ق: الوقوف.

(١٣) ق: الصمت.

(١) ق: وجود

(٢) م: أبي.

(٣) م: الله.

(٤) م: بك.

(٥) م: استصغار.

(٦) ق: الاحكام.

(٧) م: الاولياء.

وسُئِل رضي الله عنه أيضاً عن حسن الخلق، فقال هو الأخذ مع الصدق وعدم الهوى وفاقه انفاق وتركه رِياء ونفاق .

وسُئِل عن الصِدق[1]

فقال رضي الله عنه: الصدق في الاقوال[2] موافقة الضمير القول في وقته والصدق في الاعمال اقامتها[3] على رؤية الحق سبحانه ونسيان رؤيتها والصدق في الاحوال مضيها بأقامة الخاطر[4] الحق فلا يكدرها مطالعة رقيب ولا منازعة فقيه .

وسُئِل عن الفناء

فقال رضي الله عنه: هو أن يطالع الحق[5] تعالى سر وليه بأدنى تجل فيتلاشى[6] الكون، ويفني الولي تحت تلك الاشارة وفناؤه ذلك الوقت بقاء، لكنه يفني تحت اشارة الباقي فأن كل اشارة الحق[7] تفنيه، فأن تجليه يبقيه عنه ثم يبقيه به .

---

[1] هو الكامل من كل شيء ومنها الصديق والتصديق والصدقة والصداقة والصادق، والصدق أهم ما يلقن الصوفي في طريقه الى الله . ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الغنية، ج٣، ص٢٠٣ .

[9] م: الافعال .

[10] ق: اجادتها .

[11] ق: العمل .

[1] ق: الله .

[2] ق: فينجلي

[3] ق: الله .

سُئِل عن البقاء[1]

فقال رضي الله عنه: البقاء لا يكون إلا مع اللقاء[2] لأن البقاء الذي ليس معه فناء لا يكون الا مع اللقاء الذي ليس معه انقطاع وهذا لا يكون الا كلمح[3] البصر او هو اقرب وعلامة[4] أهل البقاء أن لا يصحبهم في وصفهم به شيء فانٍ، لأنهما ضدان .

وسُئِل عن الوفاء[5]

فقال رضي الله عنه: هو الرعاية لحقوق الله تعالى في الحرمات[6] أن لا يطالعها سراً ولا نظراً والمحافظة على حدود[7] الله قولاً وفعلاً والمسارعة الى مرضاته بالكلية سراً وجهراً .

---

[1] البقاء: هو قيام الأوصاف الخيرة والنية الصادقة للسالك أو المريد الصادق، ومعنى ذلك إذا فنى العبد عن سوء الخلق بقيت له الكمالات الخلقية، والبقاء فناء عن الحق وبقاء مع الحق. ينظر: الجيلاني: عبد القادر، الفتح الرباني، ص ص ٢٩١-١٩٢ .

[5] ق: الفناء .

[6] ق: خطف .

[7] م: آية .

[5] الوفاء: هو الوفاء للأيمان بالله عزوجل، فكل الأسلام وفاء لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) . ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الغنية، ج١، ص٦٣ .

[9] م: المحكمات .

[10] م: كتاب .

وسُئِل عن الرضا

فقال رضي الله عنه: هو أرتفاع التردد والأكتفاء بما سبق في علم الله عزوجل في أزله[١] والرضا أن يصرف القلب الى نزول قضاء من الأقضية بعينه فأذا نزل قضاء فلا يستشرف القلب الى زواله.

وسُئِل عن الأرادة[٢]

فقال رضي الله عنه: تكرار الفكر في الفؤاد[٣] بمادة من الحرص فيما جرى فيه من الذكر.

---

[١] ق: غيبه.

[٢] الأرادة: يبين لنا الشيخ عبد القادر الجيلاني بأن العبد لايحصل له حقيقة الأيمان إلا بأمرين، الأول طاعة الله والثاني الأستسلام لأمره. ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الفتح الرباني، ص٨٧.

[٣] ق: القلب.

وسُئِل عن العناية[١]

فقال رضي الله عنه: أزلية[٢] وهي من صفات الله عزوجل لم يظهرها لأحد فلا يوصل اليها بوسيلة ولايقدح فيها سبب ولايفسدها علة[٣] ولايكدرها شيء وهو سر الله مع الله لايطلع عليه أحد[٤] ولايجد الكون اليه سبيلاً والعناية سابقة[٥] غير مؤقتة أهل الله لها من شاء من وجعل التأهل والمعرفة على رؤية العناية ثم جعل الأختيار الى الخلق[٦] ثم جعل العطاء على رؤية الأختيار ثم جعل التوفيق على رؤية العطاء ثم جعل القبول[٧] على رؤية التوفيق وجعل الثواب على رؤية القول وعلامة من له به عناية الأسر ثم الأستلاب ثم الحبس[٨] ثم التقيد بأسره عنه ثم يسلبه[٩] من الخلق ثم يحبسه في حضرة القدس ثم يقيده بقيد الحرمة فيبقى عنده مقيداً .

---

[١] العناية: هي عناية الله بالخلائق ومراعاتهم وتيسير حياتهم أنها عناية محبة وحب وأرتباط بين الخالق والمخلوق . ينظر: الجيلاني،عبد القادر،الفتح الرباني،ص٢١ .

[٥] ق:قديمه .

[٦] ق:سبب .

[٧] م:كائن .

[٨] م:قديمة .

[٩] م:الناس .

[١٠] م:الرضا .

[١] م:المحبس .

[٢] ق:يجرده .

وسئل عن الوجود

قال رضي الله عنه: أن تشغل الروح بحلاوة الذكر[1]، وتشغل النفس بلذة التطريب[2] ويبقى السر فارغاً من السلوى والمحب خالياً من الرقيب للحق مع الحق والوجود شراب يسقيه المولى[3] وليه على منبر كرامته فأذا شرب طاش وأذا طاش طار قلبه بأجنحة الأنس في رياض[4] القدس فيقع في بحور الهيبة فيصرع فلذلك يغشى على الواجد .

وسُئِل عن الخوف[5]

فقال رضي الله عنه: الخوف على أنواع[6] فالخوف للمذنبين والرهبة للعابدين، والخشية للعالمين والوجد[7] للمحبين والهيبة للعارفين، فخوف المذنبين من العقوبات وخوف العابدين من خوف فوات ثواب[8] العبادات وخوف العالمين من الشرك الخفي[1] في الطاعات وخوف المحبين فوت

---

[3] ق: الأيمان .

[4] ق: الطرب .

[5] ق: الحق .

[6] ق: جنة .

[5] الخوف: هو أن يخاف المؤمن من نفسه أكثر مما يخاف من عدوه، والخائف هو الذي لايخاف غير الله، ويخاف الله إجلالاً ورجاءً، وتسمي الصوفية ذلك بالتقوى . ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الغنية، ج٣، ص١١١

[8] ق: أشكال .

[7] الوجد: مصانعة القلوب لصفاء ذكر كان مفقوداً، وهو لهيب ينشأ في الأسرار فتضطرب الجوارح طرباً أو حزناً عند ذلك الوارد الألهي . ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الغنية، ج٣، ص٢٠١ .

[10] م: أجر .

اللقاء وخوف العارفين الهيبة والتعظيم وهو أشد الخوف لأنه لايزول أبداً وسائر هذه الأنواع[٢] تسكن إذا قوبلت بالرحمة واللطف .

وسُئِل عن الرجاء[٣]

فقال رضي الله عنه: حق الرجاء في حق الأولياء أن يكون حسن الظن بالله تعالى فقط[٤] لأن الرجاء الطمع وهو قاض عليه فما قدره وكتبه[٥] على العبد والتغاضي عنه لأهل الصفوة[٦] قبيح[٧] ، ولاينبغي أن يكون الولي بلا رجاء ولاينبغي أن يكون رجاؤه تغاضياً عنه، فالوجه أن يكون رجاؤه حسن لطمع في نفع ولالدفع سوء[٨] لأن أهل الولاية قد فرغ لهم من جميع[٩] مايحتاجون اليه فأستغنوا بعلمهم عن تجشم العناء في التغاضي عنه، فحسن الظن أذاً أفضل من

---

[١١] م:الأصغر .

[١] ق:الأشكال .

[٣] الرجاء: هو الرجاء في الله أن يمد للعبد أجله حتى تكتمل عبادته ويصبح عبداً ربانياً،فالرجاء هو رجاء الصالحين الذين يخافون الله وعقابه ويرجونه أن يمد من أجلهم حتى يزدادوا اليه تقرباً . ينظر :الجيلاني، عبدالقادر، الفتح الرباني،ص٢٣١ .

[٣] ناقصة في (ق) .

[٤] م:وضعه .

[٦] أهل الصفوة،الصفوة الصوفية،السالكين الى طريق الله،عندما يصل بهم المقام الى أماتة الشهوات والتخلص من الآفات والألتحاق بالله والتوكل على الله . ينظر: الطوسي،السراج،المصدر السابق،ص٤١٧ .

[٦] م:سيء .

[٧] م:مضرة .

[٨] م: كل .

الرجاء للتغاضي ولايكون رجاء ألا بخوف[1] لأن من رجا أن يصل الى شيء خاف أن يفوته وحسن الظن بالله تعالى معرفته بجميع صفاته واصل منه به، لا من حيث العبد علماً منه من صفاته أنه محسن[2] كريم، لطيف رؤوف حسن الظن بالله عزوجل تعليق الهمم على ماسبق من نظر العناية[3] ونظر القلب الى الرب بلا تطميع الفؤاد[4] ولاتمنية الأرواح والنفوس ورجاء العامة[5] متى هيئت أكثر أسبابه صدق عليه أسم الرجاء ومتى أنخرمت أكثر أسبابه فأسم الطمع أولى بضمن الرجاء والرجاء بلا خوف أمن والخوف بلا رجاء قنوط.

وسُئِل عن علم اليقين[6]

فقال رضي الله عنه: هو جمع بين الخبر والمعرفة نظراً فأذا وقع العلم وقلبه القلب بيقين المعرفة وكشف النظر صار[7] علماً يقيناً.

---

[9] ق: بخائف.

[10] ق: حسن.

[11] ق: الغاية.

[1] م: القلب.

[2] م: الناس.

[6] اليقين: وهو ضد الشك والألتباس، منحة ربانية يحظى بها الأولياء الصالحون والمقربون والصديقون عن طريق الألهامات والفتوحات، وهو سر الأسرار يودعه الله في قلب من يشاء من عباده الصالحين. ينظر: إبن عربي، محي الدين، المصدر السابق، ج١٠، ص١٢٢.

[4] م: كان.

وسُئِل عن الموافقة

فقال رضي الله عنه: هي موافقة القلب المحكوم من قضاء الله تعالى على غير أستكانة[1] البشرية فتصير الأرادة واحدة .

وسُئِل عن الدعاء

فقال رضي الله عنه: هو على ثلاث درجات[2] تصريح وتعريض وأشارة، فالتصريح ما تلفظ به والتعريض في قول مخفية من التعريض، والأشارة دعاء في دعاء مضمر وقول في قول مستور[3] وأشارة في قول مخفية من التعريض قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ربنا لاتكلنا الى أنفسنا طرفة عين)[4] ومن الأشارة قول أبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه (ربِ أرني كيف تُحي الموتى)[1] يشير الى الرؤية والتصريح قول موسى عليه السلام[2] (ربِ أرِني أنظر اليك)[1] .

---

[5] م: ذل .

[6] م: منازل .

[7] م: خفي .

[4] رواه البخاري ومسلم، اللؤلؤ والمرجان فيما أتفق عليه الشيخان (البخاري ومسلم) ،ج٣، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية للطباعة، بيروت، ١٩٨٢، ص١١١ .

[1] سورة البقرة: الأية ٢٦٠ .

[2] ق: صلى الله عليه وسلم.

وسُئِل رضي الله عنه عن الحياء[٢]

فقال هو أن يستحي العبد أن يقول الله ولم يقم بحقه[٣] وأن يتوجه اليه بما لم يعلم أنه لايليق به أن يتمنى على الله مايعلم أنه لايستحقه عليه أن يترك المعاصي[٤] حياء لاخوفاً وأن يقضي الطاعات على رؤية التقصير وأن يرى الحق مطلعاً على قلبه[٥] فيستحي منه وقد يتولد الحياء من أرتفاع الحجاب بين القلب وبين الهيئة[٦] .

وسُئِل (رضي الله عنه) عن المشاهدة[١]

---

[١] سورة الأعراف:الأية١٤٣ .

[٢] الحياء: هو الخجل،أي أن يخجل الأنسان من ربه في لمعاصي ويستحي من الأثم،وأن يبتعد عن السلوك السيء وغير اللائق . ينظر: الجيلاني،عبد القادر،الفتح الرباني،ص٥٨ .

[٥] ق:بواجبه .

[٦] م:الذنوب .

[٧] م:لبه .

[٨] م:الهيئة

[١] المشاهدة: هي حضور القلب وأستحضاره مع الله في الطاعات والتماس القلب ودوام الذكر،وهذا مقام عالٍ قل أن يوجد بين الناس فهو بحاجة الى المجاهدة مع النفس . ينظر: الجيلاني،عبد القادر،الغنية،ج٢،ص١٥٣ .

فقال هي العماء عن الكونين بعين الفؤاد ومطالعة بين المعرفة على غير توهم أو أستد راك ولاطمع[1] في تصور ولاتكييف وأطلاع القلوب بصفاء اليقين الى ماأخبر[2] الحق به تعالى من الغيوب. وسُئِل عن معنى القرب فقال رضي اللهُ عنه: هو طي المسافات بلطف المدناة.

وسُئِل عن السُكر[3]

فقال رضي اللهُ عنه: هو غليان القلوب عند معا رضة[4] ذكر المحبوب وأضطراب القلوب مما علمت من سطوة المحبوب واليقين تحقيق الأسرا ر بأحكام المغيبات[5] والوصول والأتصال بالمحبوب والأنقطاع عما سواه والأنبساط سقوط الأحتشام عند السؤال وأصلاح[6] الحال الأستئناس بالوحشة والغيبة في الذكر أن ترى نفسك حال الذكر، فأذا أنت عنه غائب والغيبة حرام[1] وترك الحرمة في المشاهدة التواجد في حال الشهود لأن التواجد على بساط اللقاء

---

[10] جذع.

[11] م:قال.

[3] السكر: هو الأنغماس في الحب الألهي وما يشعر به الصوفي العا رف، تجاه خالقه ومايحس به من شعور أمام جمال جمال من يحب، المنزه من الجمال العادي، ظهرت حالات النشوة التي أسموها حالات السكر وهذه الحالة علامة الصدق في الحب. ينظر: الجيلاني، عبدالقادر، الفتح الرباني، ص٢٣١؛ المهداوي، أيمان كمال مصطفى، المرجع السابق، ص٤٤.

[2] ق:مشاركة.

[3] ق:الغيب.

[4] ق:صالح.

[5] ق:محرمة.

والمشاهدة على بساط القرب وترك الحرمة في ذلك المقام حرام والسكر الحاصل[١] عند التواجد في حال الشهود لأن التواجد على بساط اللقاء والمشاهدة يعجز عنه الفهم والوهم والغيبوبة مع المحبة لايتصور، وأذا قويت الأرادة وأتصل بها الذكر وأشتد المرام بالمراد تولدت منها المحبة، وأذا أحتوى المراد على القلب[٢] كله ملكه سقطت الأرادة منه لغيره وكان سقوط الملوك منه حقيقة[٣].

وهذه الحالة محبة خالصة ومتى ذكرته فأنت محب ومتى سمعت ذكره لك فأنت محبوب والخلق حجابك[٤] عن نفسك حجابك عن ربك مادمت ترى الخلق ما ترى نفسك[٥] ومادمت ترى نفسك[٦] أترى ربك فالفقر موت والناس يطلبون أن يعيشوا فيه والقال تقتدي به العوام والحال تقتدي به الخواص وأذا بسطك أنبسطت وتنقلب رخصتك عزيمة[٧] وفي عزيمتك دلالة فالرخصة لناقص الأيمان والعزيمة لكامل الأيمان والملك للفنانين، فقرأ القارئ بين يديه رضي الله

---

[٦] ق:الجاري.

[٧] م:القلوب.

[٨] م:الحق.

[٩] م:سترك.

[١٠] م:أنفاسك.

[١] م:عزائم.

[٢] م:لرهبته.

عنه (لِمن الملك اليوم)[1] فقام الشيخ وكان الناس يقومون لجلالته[2] إذا قام فأشار اليهم على أن حالكم ثم بقى يقول من يقول الملك لي من يقول الملك لي وكررها[3] مراراً فقام اليه الرجل من كبار الصالحين وكان كثير العبادة وافر المجاهدة وقال أنا اقول المُلك لي لأنه لي ولم يكن له حتى كان لك، متى رأيت البلاء[4] يجول حول حماك فطرقت له اليك فصاح الفقير ورمى ثوباً كان عليه من الصوف اسود وخرج الى الصحراء عريانا[5] وقرئ القارئ بين يديه يوماً ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال يا غلام اسكت ثم صرخ صرخة وقال الى كم ؟ نحن نسبح بحمدك ونقدس لك الى كم ؟ ، وأنا لنحن المسبحون أفشيتم أسراركم وكتمنا ، فالقرب يقيننا والرؤية تمنينا فمن يعبر[6] عنا ورفع رأسه وقال أنزلوا يا ملائكة ربي أحضروا وأقروا بما كان جمعنا أكمل من جمعكم .

---

[1] سورة غافر :الأية١٦ .

[4] م:ورددها .

[5] م:الوباء .

[6] م: الوباء .

[7] ناقصة في (ق) .

[8] ق: يقول.

فصل

قال في (وأعلم والاك الله بجميل حمايته)

واعلم والاك الله بجميل حمايته[1] وصانك بلطف رعايته، أن قدم الصدق اذا طلبت وجدت،ويد الشوق[2] اذا جذبت ملكت جنود الحب إذا أسرت قتلت،وصفات الحر اذا فنيت،وغروس[3] الوصل اذا ثبتت نبتت،وأصول القرب أذا رسخت بذخت[4] ورياض القدس أذا أظهرت بهرت،وريح الأنس أذا هبت بسطت، وعيون الألباب[5]، إذا شهدت دهشت، وقلوب الأحباب أذا رمقت عشقت، وأسماع الأرواح[6] أذا قربت سمعت، وأبصار الأسرار[1] أذا حضرت نظرت، وألسن القوم أذا أمرت نطقت فلله درُ عباد ناداهم مولاهم[1]،

---

[1] ق:صيانته.

[2] ق:الأشواق.

[3] ق:طروس.

[4] ق:رست.

[5] م:العقول.

[6] م:الروح.

[7] ق:السد.

في سباق القدم، بلسان الكرم ودعاهم منادي الفضل الى نادي الوصل، فبدا لهم من معاني الحب بادي وحدا بهم الى جانب القرب حادي وشاهدوا مجد الجمال[٢] من مطالع الأزل، وعاينوا عز الكمال في طوالع الحلل، وسمت بصائرهم الى مطالعة عوالم الغيب ومعالم التوحيد وسرت سرائرهم الى مشاهدة القدس ومعارج التفريد، وشخصت أبصارهم[٣] الى رقوم الفتح في ديوان الكشف عن محيا ذلك ذلك الجانب، وأتكأت أفئدتهم على أرائك الأُنس، في مقاصير[٤] القدس بين تلك القبب وجلست أسرارهم على بساط البسط، وأرتاحت أرواحهم برياحين الخطاب فأن صمت صامتهم[٥] فلشهود حق اليقين، وأن نطق ناطقهم فلورود أمر يقين وأن خامر نفس مريدهم خوف فأمنوا مكر الله، أو باشر قلوبهم زجروا يحذركم الله نفسه ناجاها مخاطب لاتخافا أنني معكما ونطقت شواهد[٦] السعادة قائلة بشراكم اليوم.

وقال سفير الجودي: (وأما بنعمة ربِك فحدِّث)[١] وأن أخرج لمرادهم مرسوم ...... (أُتوني بِهِ أستخلصه لنفسي)[١] من ديوان (يختص برحمته من يشاء)[٢] جذبته أصطفينا من عبادنا الى

---

[٨] م: ربهم.

[٩] م: الكمال.

[١٠] م: عيونهم.

[١١] ق: رياض.

[١] ق: ناطقهم.

[٢] ق: جمل.

[١] سورة الضحى: الأية ١١.

حضرة (سلام قولاً من ربٍ رحيم)[٣] وقدم الى مجلس (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً)[٤] أو أستقبله وجه فخذ ما آتيتك فمد باع (ربِ أشرح لي صدري)[٥] فهمت به محب لي عبادي فأخبر لسان صدقه[٦] ما قلت لهم وأن ثبت قطبهم على طريق من يطع الرسول أستقام على سبيل (وما أتاكم الرسُول فخُذوه)[٧] وأستمسك بعروة أن كنتم تحبون الله بنسب من تبعني فأنه مني وسقي عرق حاله صاحب قاب قوسين وأمده بفيض[٨] من بحر (وما ينطق عن الهوى)[٩] وأن قرأت مكتوب سعدهم فيحبهم ويحبونه وأن نظرت منثور مجدهم فرضى الله عنهم وأن سألت عن مقامهم[١] فعند مليك مقتدر وأن حددت وصفهم فأولئك أعظم درجة عند الله وأن كبر ما ظهر منهم فما تخفى صدورهم[٢] أكبر وأن علمت نفس ما أحظرت لها العناية

---

[١] سورة يوسف:الأية٥٤ .

[٢] سورة آل عمران:الأية٧٤ .

[٣] سورة يس:الأية٥٨ .

[٤] سورة الأنسان:الأية٢١ .

[٥] سورة طه:الأية٢٥ .

[٩] ق:حاله .

[٧] سورة الحشر:الأية٧ .

[١١] ق:بمدد .

[٩] سورة النجم:الأية٣ .

[١٣] ق:درجاتهم .

[١] ق:قلوبهم .

فلاتعلم نفسٌ ما أُخفي لها كيف وقد ورد(١) :أن الله تعالى أوحى الى نبي من أنبياء بني أسرائيل أن لي عباداً يحبونني وأحبهم ويشتاقون الي وأشتاق اليهم ويذكرونني وأذكرهم وينظرون الي وأنظر اليهم، قال يا رب وماعلامتهم(٢) قال يحنون الى غروب الشمس كما تحن الطيور الى أوكارها(٣) فأذا جاء الليل وأختلط الظلام بالظلام وفرشت(٤) الفرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وأفترشوا الي وجوههم وناجوني بكلام فبين صارخٍ(٥) وباكٍ وبين متأوهٍ وشاكٍ وبين قائمٍ وقاعدٍ وبين راكعٍ وساجدٍ فبعيني مايتحملون(٦) من أجلي وبسمعي مايشكون من حبي أول ما أعطيهم أن أقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون(٧) عني كما أخبر عنهم والثاني لو كانت السموات السبع والأرض في ميزان أحدهم لأستقللتها له والثالث أن أقبل بوجهي الكريم عليهم أفترى من أقبلت بوجهي الكريم عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه فعليك يا أخي(٨) بأتباعهم لعلك تكون من أتباعهم وسلم لهم ما ترى وما تسمع تنل من السعادة منزلاً

---

(٢) م: روي.

(٣) ق:آيتهم.

(٤) ق:أعشاشها .

(٥) م:وبسطت.

(٦) م:شارك.

(٧) م:يلاقون.

(٨) م:فيذكرون.

(٩) م:ياغلام.

أرفع والله تعالى أسأل أن يكحل أبصار بصائرنا بنور هدايته ويسدد قواعد عقائدنا[1] بحسن رعايته.

---

(١٠) م: أسلامنا.

ومن كلامه[1] رضي الله عنه: أنا سيفي مشهور، وقوسي موتور، ونبالي مفوقة، وسهامي صائبة[2]، ورمحي مصوب، وفرسي مسرج، أنا نا ر الله الموقدة، أنا سلاب الأحوال، أنا بحر بلاساحل، أنا دليل[3] الوقت،أنا المتكلم في غيري، ياصوام ياقوام، ياأهل الجبال دكت جبالكم، ياأهل الصوامع هدمت[4] صوامعكم، أقبلوا الى أمر من أمر الله، يا بينات الطريق، يا رجال ياأبطال.

وقال رضي الله عنه:من رام أن يدرك الشأو من هذا المعنى، أو يبلغ الحد[5] من هذا المبنى فقد نزعت همته الى أمنية قاص منالها[1]، وأرتفعت عزيمته الى ذروة[2] صعب مجالها، فأن دون مرامه، من سعتها أمداً بعيداً ووراءه من قيضها مدداً سديداً أذ هي غاية[3] لن يملكها عدد الحساب ومادة لن ينهيها مدد الكتاب، ومهمة ما أضاء فيه قبس أحاطة الأخبار،وحلبة

---

[1] هنا يتحدث الشيخ عبد القادر الجيلاني عن نفسه متحدياً بذلك العصاة الما رقين،وأصحاب القلوب القاسية،بأنه يستطيع بأذن الله تعالى أن يكسبهم ويرشدهم للطريق الصحيح من خلال الكلمة والموعظة الحسنة وأتباع الأسلام السليم. ينظر: ،المهداوي،أيمان كمال مصطفى،المرجع السابق،ص٨٩.

[2] ق:ضاربة.

[3] ق:باز.

[4] م:دكت.

[5] ق:الحدود.

[6] م:وصالها.

[7] م:قمة.

[8] م:نهاية.

ماجرى[1] اليها سابق حصر الأكبار ،ومدرك ما أنيط به سبب أستقصاء ،الا أنقطع قاصر أو فرض ما صوب اليه أحصاء ،الا أنقصم حائر ،أو كيف لا .

قال رضي الله عنه: سنة ثلاثة وخمسين وخمسمائة رأيت[2] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الظهر يوم الثلاثاء السادس عشر من شوال سنة أحدى وعشرين وخمسمائة فقال لي يا بني[3] لم لاتتكلم قلت يا أبتاه أنا رجل فقير، كيف أتكلم على فصحاء العرب ببغداد ، قال لي أفتح فاك ففتحته فنفخ فيه سبعا ، وقال لي تكلم على الناس، وأدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فصليت الظهر[4] وجلست وحضرني خلق كثير، فأُرتج علي فرأيت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قائماً بأزائي[5] في المجلس فقال لي، يا بني لم لاتتكلم فقلت: يا أبتاه قد أرتج علي، فقال أفتح فاك ففتحته فنفخ فيه ستاً ، فقلت لم لاتكملها سبعاً ،فقال أدباً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم توارى[1] عني ،فقلت :

---

[9] م:حصل .

[10] ق:شاهدت .

[11] ق:ياولدي .

[1] ناقصة في (م) .

[2] م:بقربي .

[3] م:أختفى .

(غواص الفكر، يغوص في بحر القلب على درر المعارف، فيستخرجها الى ساحل الصدر، فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان، فتشترى بنفائس أثمان[1] حسن الطاعة، في بيوت أذن الله أن ترفع)، قالوا هذا أول كلام تكلم به الشيخ للناس على الكرسي رضي الله عنه، وهذا هو عين ما أورده الشيخ أبن حجر، سقى الله ثراه بوابل الرحمة والرضوان[2] .

---

[4] ناقصة في (ق) .

[5] ينظر ترجمة: إبن حجر، غبطة الناظر، مخطوطة المكتبة القادرية، رقم ١١٢٣، ص١٨؛ الهروي، علي بن سلطان القادري، نزهة الخاطر في ترجمة الشيخ عبد القادر، مخطوطة المكتبة القادرية، رقم ٧٢٤ تراجم، ص١٢٤ .

فصل

قال في آدم عليه السلام

وقال رضي الله عنه في آدم عليه السلام: لما سمعت الملائكة بأذان العقول قوله تعالى: (أني جاعل في الأرض خليفة)[1]، ولمع لها من أفق العناية برق المجعول[2]، بيد (فأذا سويته ونفختُ فيهِ من روحي)[3]، قالت: إلهنا أين يكون هذا خليفة؟ قال: في نقطة خط الأرض، قالت بلسان الأعتراض[4]: (أتجعل فيها)[5]، كيف لمع هذا البارق من سحاب التراب، هل التراب إلا حمل الظلمة، هل الصلصال إلا ركز[6] العيب لا الغيب؟ إلهنا نحن رهبان صوامع الصفح الأعلى، نحن شيوخ صفة الصفا، نحن سكان مقام ربط يسبحون الليل والنهار، لايفترون، قال لهم مجيب[7] القدر أخطأ فاسد نظركم في تأملكم، أما علمتم أن في الأرض معدن الياقوت، وأن

---

[1] سورة البقرة: الأية ٣٠.

[2] ق: المفعول.

[3] سورة الحجر: الأية ٢٩.

[4] ق: الأفتراض.

[5] سورة البقرة: الأية ٣٠.

[6] ق: نقطة.

[7] ق: داعي.

الجواهر من بحارها تستخرج،وأن أشخاص الأنبياء من معادنها[1] أخرجت، وأن غرائب أسرار القدم كنوزها دفنت وجسد الصفى آدم من عناصرها ركب،فلما أستخرج القدر شكلاً القى من نطفة(إني خالقٌ بشراً)[2] ومد على صفحة لوح الكون بيد، فأذا سوّيته وصار ذاتاً[3] أدمية، بسابق علم فعال لما يريد، ووضع طفله في حجر أصطفى آدم وربي في مهد (وعلم آدم الأسماء)[4]، رأت الملائكة ذاتاً صلصالية الهيكل ولحت عليه أسرار (ونفخت فيه من روحي)[5] وأشرق لها من شرق الطين فصاح (أسجدوا لآدم)[6] ورأت عليه خلعة وقلنا (ياآدم أسكن)[7]، وأخذت عليه علم (ياآدم أنبئهم)[8]، فقالت الملائكة: أجلس في دست السلطنة[9] عزيز وصل الى مصر الفخر عاشق هب عليه نسيم وصل محبوبه عز تنقل من أشباح الملائكة الى الحمأ المسنون أشتهى أدم أن يخلد[1] في حضرة القدس بها بجذع صاحب فوسوس عن قول (أن

---

[8] م:ترابها .

[2] سورة ص:الأية ٧١ .

[10] م:نطفة .

[4] سورة البقرة:٣١ .

[5] سورة الحجر:الأية ٢٩ .

[6] سورة البقرة:الأية ٣٠ .

[7] سورة البقرة:الأية ١٩ .

[8] سورة البقرة:الأية ٣٣ .

[5] ق:السلطة .

[6] ق:يبقى .

لك أن ألا تجوع فيها)[1] دخل عليه عدوه من ثلمة (هل أدلك على شجرة الخلد)[2]، غره بأباطيل مانهاكما ربكما كانت الشجرة شمعة نصبت[3] لفراش زوجه حامت حولها بأجنحة فأكلا منها فأحترقت بلهب ألم أنهكما، جذبت مافيه من ظلمة الأرض الى غفلة وعصى، فأستدرك بما فيه من نور السماء فقال: (ربنا ظلمنا أنفسنا)[4] بكى على فرقة محله الأول قال من أين لي جلد على فراق[5] محبوبي، قيل ياأدم المعصية حجاب بينك وبين ربك حضرته طاهرة لاتوطأ بأقدام ملوثة، بمخالفة المحبوب أكد[6] أسباب هجرة كيف تقيم في دار عصيت فيها صاحبها، فقال لسان الحال: إلهي محتوم قضائك يرد بأجتهاد، وسهام قدرك لاتدفع بدروع الحيل، ماعصيتك جراءةً عليك بل غفلة، وماخالفت أمرك، إلا لأمر كتب عليّ، فناداه أن الأعتراف بالذنب كفارته، وأني لغفار لمن تاب، قد كتبنا لك قبل زلة وعصى منشور فتاب عليه وقبلنا قبل خلقك عذر فنسي، ولم نجد له عزما .

---

[1] سورة طه: الأية ١١٨ .

[2] سورة طه: الأية ١٢٠ .

[9] ق: وضعت .

[4] سورة الأعراف: الأية ٢٣ .

[11] ق: بعد .

[12] ق: أثبت .

قال في موسى عليه السلام

قال رضي الله عنه كان موسى عليه السلام طفلاً نشأ في مهد عهد القدم صغيراً، تغذى بلبن ولتصنع على عيني صبياً ربي في حجر وأصطنعتك لنفسي،(أن أقذفيه في التابوت)[1] شبه من يموت، فقذفته أمه في اليم خوفاً من فتنة يذبح[2]، أوقعه القدر في كفالة عدوه بواسطة،(قرة عين لِي ولكِ)[3] ورده الى أمه بشفاعة لاتقتله وسلم من القتل بمقالة (عسى أن ينفعنا)[4] ثم نبه طفل عقله لرؤية عجائب الكون[5]،عرف الخالق بنور أشرح لي صدري، وما كان جاهلاً بثبوت أحكام القادر[6] فأن الأنبياء فطروا على نور المعرفة، وجبلت أرواحهم على توحيد صانع الوجود، وإثبات وجود واجب الوجود، أنطبعت في مرآة علمه أشكال الأكوان فصار نوراً في فتور حدقة[1] الزمان.

---

[1] سورة طه:٣٩.

[2] م:يقتل.

[3] سورة القصص:الأية٩.

[4] سورة يوسف:الأية ٢١.

[5] م:الدنيا.

[6] م:القدر.

[7] م:قرة.

وخطب له خطيب، أتيناه حكماً، وحرك القدر ساكن عزمه ونبه بريد الأمر المقضي نائم فكره، فأنصب سيل سحابه إلى شعب شعيب، أنبت له في أرض مدين نبات (أني أريد أن أُنكِحك)[1]، أثمر ثمر، فلما قضى موسى الأجل خرج بأهله وقد أستبان وضع الحمل والليل كسواد حدق، حور الجنة، والريح تثير عبرات[2] عيون السحاب،وسيوف البرق تسل من غمد الغمام، وأسود الرعود تزمجر في غابات الديم[3]، فطلب قطراً يأوي اليه من القطر، ليقدح لزوجه من زند الظلام شراراً[4]، ويطلب في أكناف الوادي المقدس ناراً،هذا والغرام غريم سره والوجد نديم روحه، والشوق سمير قلبه والتوق جليس فؤاده[5] والهوى حشو صدره فلاح له النور في معرض النار،نصب[6] لصياد طائر روحه شباك (إنني أنا اللهُ)[1] رأى سطراً من سطور لوح القدر، تجلت لفراسة روحه شمعة الطور، ووقعت رجل عقله في شرك أنس[2] أنيس، أفرغ

---

[1] سورة القصص:الأية٢٧ .

[9] ق:دموع.

[3] الديم:مصطلح زراعي معروف في زمن الدولة العربية الأسلامية وبالذات في العصر العباسي ويقصد بها الأراضي التي تسقى ديماً أي بلاواسطة .ينظر:الكبيسي،حمدان عبد المجيد ،الخراج،مطبعة جامعة بغداد،١٩٩٨،ص١٣٤ .

[1] م:ناراً .

[2] ق:قلبه .

[3] م:وضع .

[1] سورة طه:الأية:١٤ .

[5] ناقصة في (ق) .

في سمعه كأس صرف شراب أنا الله لاأله إلا أنا أسكره بأدامة شرب مدام كلمه ودبت فيه نشوات الشوق، وطاحت به طوائح أمواج بحار الوله[١]، غلب على قلبه هيمان العشق، خرقت لذة التكليم منافذ سمعه حتى وصلت الى بصره، فطلب البصر نصيبه[٢] من النظر، ووافقه توق ألقلب.

فقال: (ربِ أرني أنظُر اليك)[٣]، قيل: يا موسى أنظر أولاً الى مرآة الجبل روحك ذهب ثباتك على محك، فأن أستقر[٤] فأعتبر سكونك عند حركة الصخور لهيبة تجلى، فمادت به أجزاء الطور عند أشراق لمعان ذلك النور، وتعطرت[٥] أشجار الوادي المقدس بنسيم القرب وأرجت رياض البقعة المباركة ببهجة وقت الوصل وصارت هضبات الطور[٦] حدائق لأجل تجلى، وأمتلأت جنباته بالملائكة، أستعظاماً لقوله أرِني، وقامت أرواح الأنبياء تترصد ما يكون بعد ذلك، سمع كلاماً لا ككلام البشر خاطبه من ليس من جنس المحدثات، نودي من جميع أفاق جهة الوجود[١] صارت جملته سمعاً بصراً، فالتفت بعين سره الى الطور ووقع شعاع نور عين

---

[٦] ق:الحب.

[٧] ق:حقه.

[٣] سورة الأعراف:الأية١٤٣.

[٩] ق:ثبت.

[١٠] ق:تبخر.

[١١] ق:الجبل.

[١] م:الأكوان.

عقله على لموع نور مرآة الجبل، انعكست أشعة الميقات دخان برق بصره الحسن[١]، ذهلت عين الفكر حرس لسان الطبع، انقطعت أسباب الحواس، قر لسان حال موسى وخشعت الأصوات للرحمن، قال المخبر عن صدق طلبه وخرّ موسى صعقاً، قيل: يا موسى معدة طبعك ضعيفة عن تناول[٢] شراب تجلي، أنيق عينيك ضيق عن مقابلة أنوار سبحان أرني أنظر أليك، عين الحدث لا تنفتح في شعاع شمس القدم، ورد النظر لا يطلع في شجر كانون هذا الكون، أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا خلعة النظر في الدنيا مدخرة في خزائن الغيب لصاحب قاب قوسين هذا الشرف[٣] لا يناله في الدنيا سوى سيد ولد آدم ويتيمة عقد البشر (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه)[٤].

مات موسى عليه السلام بضرب سيف لن تراني ثم جِيء بروح فسوف وقام على قدم تبت اليك فرفل في حلة إني أصطفيتك رجع[١] الى أهله مبرقعاً ببرقع الغيرة، أن ترى نور تلك الآثار

---

[٢] م:الثاقب.

[٣] ق:شرب.

[٤] ق:المجد.

[٤]سورة الأنعام:الأية ١٥٢.

[٦] ق:عاد.

الأغيار، قالت له صفراء بنت شعيب[1] عليه السلام، يا كليم الله، أني قد أشتقت الى نظر وجهك فأكشف لي عنه البرقع لأراه، فقال لها كيف أكشف لك وجهاً قابل على صخور جبل الطور بهجة[2] نور تجلى، كيف أريك روضاً فاح طيبه من أريج، ولكن أنظري الى بقايا شراب وكلمه ربّهُ في كؤوس وجنات سطوات هيبة جعله دكاً، في لمحات أسارير وجهي،

قالت: رضيت[3] أن أراه فأموت فقد هان عليّ بذل نفسي بنظرة الى زهرات جمال وجهك ياغلام كن في صدق طلبك كبنت شعيب عليه السلام مع نفسك في طمع[4] نظرة من أهل الحمى سارع بقطع المنازل وطي المراحل بعزم مجرد من جواذب الإرادات شوقاً إلى رؤية المحبوب وولهاً بنيل[5] المطلوب وأدخل حرم الحرمة وقف موقف العبودية وأم مجد الوجد فعسى أن تقف بإزاء[1] ليل الأرواح، وترى مصر يوسف ويعقوب القلوب، فأن أتاك نشر من تلقاهم يحمل نسمة

---

[1] صفراء بنت شعيب: هي صفراء أو صفوراء بنت نبي الله شعيب عليه السلام وزوجة نبي الله موسى عليه السلام صاحبة القصة المعروفة في القرآن الكريم هي وأختها مع نبي الله موسى. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق محمد أحمد شاكر، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٧٨، ج٣، ص٦٣.

[8] ق: شعلة.

[1] م: أردت.

[2] م: طلب.

[3] م: بطلب.

[4] م: بقرب.

من نور جمالهم، فته لشذائه المتصوع، وبع مهجتك بعودة من تألق برقهم[١] غراماً يعود ذلك الوصل والله ما غبن بائع نفسه بنظرة واحدة، النظر عبارة عن الرؤية بالابصار، ولم ينله مخلوق[٢] في هذه الدار سوى صاحب المقام المحمود .

والمشاهدة عبارة عن الرؤية ببصائر الأسرار تخرج تواقيع مقاماتها من ديوان ﴿يَخْتَصُ بَرحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[٣] . أيها المريد الصادق الشواق التواق[٤] ان ظفرت بخلعة المشاهدة في خلوة مجلس سرك فلك الهناء وان لم تنلها فأستقم على جادة[٥] الصدق حتى يأتيك اليقين وتنقل ان شاء الله الى دار الصادقين فتنظر الى مطلوبك وتأخذ نصيبك من رؤية محبوبك .

الشجاعة صبر ساعة يا غلام[٦] كن موسوي[٧] الهمة لا تنفع بدون أرني عيسوي[١] التوحيد، ما قلت لهم الا ما أمرتني به أحمدي[٢] الثبات ما زاغ البَصَرُ ومَا طَغَى، أول أحوال الانبياء غاية

---

[٥] م:سناهم.

[٦] م: بشر.

[٣] سورة آل عمران:الأية ٧٤ .

[٨] ق : المشتاق.

[٩] ق: طريق.

[١] ق: يا هذا .

[٧] نسبة الى النبي موسى عليه السلام.

[١] نسبة الى النبي عيسى عليه السلام.

[٢] نسبة الى النبي محمد عليه وعلى آله الصلاة واسلام.

مراقي أقدام الأولياء بداية أفعال الرسل أقصى معارج همم العارفين طوبى لك يا فقير ليلة[1] يقع موسى عقلك في شاطئ وادي عرفانك في البُقعة المباركة من قربك أن أردت أن تعرف ذلك فاطلب دلائل تلك الاثار في صفحات[2] وجوه الأعمال (وقُل اعْمَلوا فَسَيَرى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنونَ)[3] . يانحل العقول ارتعي في ظهر هذه البساتين واجمعي شهد[4] المعارف من هذه الحدائق حتى اذ مرض ولي من الاولياء بغير مزاج المحبة قلنا لطبيب أسقام العارفين حكيم الشريعة الاسلامية صاحب[5] الملة الحنيفية اتل بلسان قلت به دللت الى الفصاحة يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين .

---

(٥) م: يوم.

(٦) م: ورق.

(٣) سورة التوبة:الأية ١٠٥ .

(٨) م: عسل.

(٩) م: رسول.

قال في النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

قال رضي الله عنه في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لما أرجت مشام أرباب صوامع النور، بعطر (أني خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طينٍ)[1] وأشرق الملكوت الاعلى بأنوار أني جاعل في الارض خليفة قيل لرهبان[2] صوامع القدس الاشرف (فأذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)[3] صار التراب مسكاً في مشام اصحاب يسبحون، وجليت[4] عروس ادم في خلع ان الله اصطفى وسجدت الملائكة لسطوع نور ونفخت فيه من روحي وسمع موسى عليه

---

[1] سورة ص: الأية ٧١.

[2] ق: كهان.

[3] سورة الحجر: الأية ٢٩.

[4] ق: زفت.

السلام بلبلاً يترنم بلذيذ لحن (أنني أنا الله)[1] وأنس ساقياً يفرغ[2] شراب القدم في كؤوس وأنا اخترتك مادت به جنبات الطور وطويت تحته أكناف الجبل ووقف تحت الشجرة في الوادي المقدس أشتاق الى رؤية الساقي، هزت أعطافه نشوات سكره وكتب[3] بيده شدة توقه في قرطاس عشقه، حروف أرني فأنقلب القلم في يده فكتب لن تراني وسطع لعين عقله نور بارقة تجلي، وصار الجبل جنة لولا نار وخر قال بعد إفاقته سبحانك تبت أليك قيل له عند أنقضاء دولته[4]، ياموسى سلم قلم الرسالة لصاحب ويكلم الناس في المهد وأعطه الدواة[5] ليكتب في كتاب توحيدي إني عبد الله وينقش في صحف رسالته سطور (ومبشراً برسول يأتي من بعدي أسمهُ أحمد)[6] كان تاج شرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً وعرضه ربه على عيون سكان السموات.

فأشرق جمال[1] رسالته حين زينه بعزة أنزل على عبده الكتاب وضوعفت الأنوار في الملكوت الأعلى ليلة جلى عروس أحمد صلى الله عليه وآله وسلم فأنبهرت أحداق[1] أشخاص النور من

---

[1] سورة طه: الأية ١٤.

[3] م: يسكب.

[4] م: سطر.

[5] م: مدته.

[6] م: القلم.

[6] سورة الصف: الأية ٩.

[8] ق: كمال.

شعاع بهاء بهجته وغشيت أبصار الملائكة من لألئ نوره وقيل لها ياسكان الملكوت الأعلى من القدس الأسنى أقتبسوا من ضياء المبعوث سراجاً منيراً فأنت في خفارة أمام الأنبياء أستترت الشمس السمائية[٢] لظهور الشمس الأرضية، وأختفت الكواكب حياء من طلوع نجم يثرب[٣]، وأنطفت الشهب بتبلج شهاب مكة واندرجت الأنوار في شعاع نور أحمد صلى الله عليه وآله وسلم. وخرجت رهبان صوامع القدس الأشرف لتنظر جمال صاحب (ومايبنطق عن الهوى)[٤].

قيل له ياسيد الوجود[٥] طُورك ليلة أسرى، رفرف النور الوادي المقدس لك قاب قوسين، البلبل الذي يرجع لك شهى اللحون، فأوحى الى عبده ما أوحى، مطلوب موسى قد تجلى لك به سجل فزاغ البصر وماطغى، أنت آخر حرف كُتب في ديوان[١] الأنبياء، أنت أعظم سطر رُقم في منشور تلك الرسُل فضلنا زفت عروسك في محل[٢] الأفق الأعلى فكان من بعض خلعها، لقد

---

[٩] ق:عيون.

[١٠] ق:العلوية.

[٣] يثرب: الأسم القديم للمدينة المنورة قبل أن يحط بها النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر ترجمة: إبن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص٤٦؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٣٢.

[٤] سورة النجم: الأية ٣.

[٣] ق:الكون.

[٤] م:كتاب.

[٥] م:مكان.

رأى من أيات ربّه الكبرى، قد صيغ لمفرق جبين الوجود من شرفك تاج لم يصنع قط الأنبياء كلهم، ماقدر على عز ليلة أسرى بعبده، ولاوجدوا نسمة من نسمات روض[1] قاب قوسين ولاقيل لأحد منهم كفاحاً السلام عليك أيها النبي وتأخر الكل عند حجاب، او أدنى، تقدم صاحب، دنى فتدلى، وجليت عليه عرائس الأكوان في خلع لقد رأى ماألتفت اليها بعين الأشتغال بل تأدب بأدب ولاتمدن عينيك هذا الوادي المقدس.

فأين موسى هذا روح القدس فأين عيسى هذا مغتسلٌ با ردٌ وشرابٌ، فأين أيوب كم سافر في العقول[2] في ميادين الغيوب، وكم طارت الأفكار من أوكار أوطارها الى رياض العلي، تطلب نسمةً من نسمات هذا الشرف الأعلى وتطمع[3] في نفحة من نفحات هذا الروض الأغر، وتتعلل بالخوض في لجج كل بحر فما وجدت الى ماطلبت سبيلاً فنادت ألسن معارفها بلسان أعترافها، ياخاتم الرُسل أنت روح القدس أنت روح جسد الوجود، أنت ورد بستان الكون، أنت عين[1] حياة الدارين لك نظمت يتائم الوحي على مشام روحك. هبت نسمات عطف لطف القدم

---

(٦) م: جنة.

(٧) ق: القلوب.

(٨) ق: تطمح.

(١) ناقصة في (م).

لك عقد القدر لواء (ولسوف يعطيك ربّك فترضى)[1]، بعطر الثناء عليك أريج الملكوت الأعلى من نور علومك، أضاء مصباح الشرع بمصابيح كلمك تشرق سموات الحكم. قامت الأنبياء صفوفاً خلفه لتأتم لجلالته في مشهد شهادتهم لتقدمه عليهم من فناداهم منادي القدر: ياأصحاب أوكار السعادة وأرباب الحجة[2] على الخليفة، هذا قمر العلى، هذا شمس السنا، هذا درة تاج الأنبياء، فحدقوا أحداق البصائر في بهائه وكشفوا براقع الأبصار عن ضيائه تجدوه يتيمة شرف بهاء درر جيد الرسالة ودبج بها طراز حلة الوحي[3] فتلوا بلسان الأعتراف (ومامنا إلا له مقام معلوم)[4].

---

[1] سورة الضحى: الأية ٥.

[2] ق: المحجة.

[3] م: جبريل.

[4] سورة الصافات: الأية ١٦٤.

فصل

قال في قوله تعالى (يحبهم ويحبونه)[1]

قال رضي الله عنه: في قوله تعالى (يُحبهم ويحبوُنه)، حدقوا أحداق البصائر وكشفوا براقع الغفلة[2]، عن وجود السرائر، وقابلوا أشخاص عوالم الغيب بصقال مرايا القلوب وألتقطوا المعاني من نثار عقود كلم الوحي، وأرتعوا في رياض[1] ربيع حكم القدم بعيون أفهام الأسرار وأجتلوا بموشط الأفكار عرائس أوصاف الأزل، وأحضروا بقلوب غير ملتفتة الى القوالب،

---

[1] سورة المائدة: الأية ٥٤ .

[2] م: الفتنة .

[3] م: روض .

وأشهدوا بأرواح قدسية[١] قد ألفت مساكن هذه الأشباح، وأخرجوا بعقولهم من ديار هياكل الصلصال الى أطوار مراتب القدس، وطلبوا بنجائب الهمم جنات جلال الوحدانية[٢]، وميلو بمشام أرواحهم الى أنتشاق نسمات روض القرأن.

قال معشوق الأرواح ومحبوب القلوب وغاية أمال الطالبين الى صفوته من خلقه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه كانوا نياماً في مراقد العدم، رقوداً في مهود[٣] الغيب[٤]، فتية في كهف الكرم فأستخرج ذرات ذواتهم سابق القدر من أجزاء الطين وأذهب غشها بنار الأصطفاء نقش[٥] عليها صائغ المواهب في دار ضرب الأزل سطور يحبهم، وقال عنهم وهم في طي العدم ويحبونه، حديث منطق الطير لا يفهمه إلا سليماني[٦] الوقت، وأشارت عيون العشاق لا يفهمها[١] إلا مجنون ليلى[٢] الغرام لما كتب كاتب الأزل في ديوان القدم على صفاء صقال الواح الأرواح بقلم

---

[٤] ق:نورانية.

[٥] م:السرمدية.

[٦] ق:أدراج.

[٤] مهود الغيب: هي عوالم الهامية، لادخل للعقل والحس بها، وأنما يلهم الولي الهاماً عن طريق روحاني وعلم إلهي. ينظر: الطوسي، السراج، المصدر السابق، ص٤١٦.

[٨] ق: كتب.

[٦] نسبة الى النبي سليمان عليه السلام.

[١] م:يعلمها.

[٢] مجنون ليلى: قيس بن الملوح شاعر أموي من بني عذرة أشتهر بحبه لبنت عمه ليلى وقصته معروفة. ينظر: الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص١٢٩؛ شوقي، ضيف، العصر الأسلامي، دار المعارف، القاهرة،، ١٩٩٥، ص١٤٣.

الأجتباء عن أستمداد مداد الولاء، أسطر يحبهم ويحبونه، كانت رهبان صوامع أشخاصهم في العدم ودُرر ذواتهم في أصراف أغطية الغيب، وندماء نفوسهم رقوداً تحت ظلال شجر أكنان كن، فنبههم مؤذن[1] القدر بهبوب نسيم فيكون، فأشرقت ظلمة الدنيا بأضواء شموع وجودهم وسكنت نفوسهم قصور الصور فأختلط صفاؤها بكدرها وأمتزجت أنوارها بالظلمة العنصرية[2]، وحلت الأرواح محل الغريب في البلد النازح فأشتاقت الى ما أشرقت به من جناب القدم وحنت الى ما أنست به في مواطن القدس وطال عليها التنقل في الفوق والتحت،

فأصبحت ذرات ذواتهم هباءً طائراً في فضاء الغرام،فلما خرجوا الى سعة[3] ميدان القرب البست يد العناية كلا منهم ماقدر له،مقدر القدر من خلع الحب وعقد لخواصهم في خلوة مجلس الأنس ،ألوية يحبهم ويحبونه، نصب لقدومهم أسرة العز على ساحل بحر وسارعوا وأمر كاتب[4] ديوان الأزل أن يسجل لهم سجل السعادة الكبرى وجعل ختم كتابه والله يدعو الى دار السلام، وعنوان خطابه (فأتبعوني يُحبِبكم الله)[1]، وبعثه بريداً على جواد قد جاءكم من الله

---

[3] م:صاحب.

[4] م:الكفرية.

[5] م:ساحة.

[6] ق:صاحب.

[1] سورة آل عمران:الأية ٣١.

نور، يا هذا سرير الأسرار ينصب في سرادق الأطوار الطينية وتلحظ بعيون اليقين نقطة خط التوحيد، قاعدة بناء الوجود هو الأول والآخر والظاهر والباطن.

قال في أبراهيم الخليل (صلوات الله عليه وسلامه عليه)

وقال رضي الله عنه: في أبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، كان طفل أبراهيم عليه السلام مربى في مهد عطف لطف القدم، تحت ظل[1] شجرة

---

(1) ق: ظلال.

الكرم[١] بروحه مروح الفضل، بنسيم (ولقد أتينا إبراهيم رشدهُ من قبل)[٢] حين جمع القدر ذرات الذوات وأرواح النسمات في مجلس[٣] عهد، إذا أخذ ربّك ونطق رقاب السُتُ بربكم فكان فصيح رشده ولسان سعده من أول من خطب على منبر الولاء بكلمة بلى[٤] فقرعت مسامع سره لذة (سلام على أبراهيم)[٥]، وطافت عليه سقاة الأزل بسلاف راح أقداح وأتخذ الله أبراهيم خليلاً فأنصرع متواجد على بساط وله عشقه لأستيلاء نشوة سكره، ورمقه ودبت حميا الأشواق في شغاف[٦] قلبه، وملك سلطان الغرام حمى لبه، وبقى مطروحاً بين تلك النسيم في حضائر وأشهدهم حتى آن أوان ظهوره، في سرادق الزمان في دولة[٧] نمرود بن كنعان[٨] فنهض ينشق محيا ذلك النسيم في براري[٩] الوله يهيم طالباً للتفرد في مجلس تجلي، وقد لذ له

---

(١) شجرة الكرم: وهي شجرة متفرعة عن كرم الله لأنبياءه يمنحهم مايشاء من فضله ومنته من مدا راة لهم في جميع أحوالهم وهي من مصطلحات الصوفية. ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الفتح الرباني، ص٢٠٣.

(٢) سورة الأنبياء: الأية ٥١.

(٤) ق: مقعد.

(٥) م: نعم.

(٥) سورة الصافات: الأية ١٠٩.

(٧) ق: داخل.

(٨) ق: زمن.

(٨) النمرود بن كنعان: هو ملك بابل في زمن نبي الله أبراهيم الخليل عليه السلام والذي كان له الموقف المعروف من النبي أبراهيم إذ أمر أن يلقى بالنبي أبراهيم الى النار فكانت برداً وسلاماً. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرأن، ج٥، ص٦٣.

(١٠) ق: بر.

التهتك في الحب وحلا، والشوق يجدد باله والعشق يثير دفين بلباله وخرج الخليل الجليل من المغا رة، وقد أضرم الوجد في قلبه نا ره، فدهش ناظر فكره[١] وعين سره الى وجه عرائس الفلك وقال منادم حاله لمسامر جماله قرة عين لي ولك وأشرقت أشعة بصيرته في عرصات الأعتبا ر لمع ومض[٢] وتألق له با رق نُري أبراهيم ملكوت السموات والأرض فأجال نظر فكره في ميادين العالم وحدائق العلى، بأحداق مبشريه برقان توق شوقه بهيمان سكر عشقه[٣]، فما تراءى لعين قبله لائح إلا خاله المطلوب، ولابد الناظر سره طالع إلا ظنه المحبوب فكلما لاح له شيء ظن طلعته الساقي يخاطبه، في كفه القدح[٤] والليل قد صبغ ثوب الكون بظلمته ومد على بساط البسيطة أذيال هيبته وبستا ن الفلك قد أزهر، ونور الجو قد ظهر، وثغر القضاء قد أبتسم ووجه الوجود قد أدهش النسيم، وجمال[٥] الأنوار قد رفعت عليه أستا ر السحب، ومنزه الأبصا ر قد قطعت دونه الحجب، والخيمة الزرقاء كالعروس تحلى كمالاً ودلالاً والقبة العليا كالثمل[٦] المايس الأعطاف، يميناً وشمالاً وروضة السماء قد أينعت بزهر الكواكب وبحر العلى قد ماج

---

[١] م:عقله.

[٢] م:برق.

[٣] ق:حبه.

[٤] ق:الكاس.

[٥] ق:كمال.

[٦] م:كسكران.

بدرر الشهب الثواقب، ومنازل[1] النجوم قد أختلفت صفاتها في درج المشارق والمغارب، فالمشتري كالصب الغرق النشوان أو كالمحب الفلق السكران، والمريخ كجذوة نار غرام في قلب وآله مستهام، والثريا كعاشق ناحل من آلم البين[2] لم يبق فيه الجوى منظراً سوى الرأس والعين، والجوزاء كسرادق سلطان المحبة، وقد دخل قرية[3] روح المحب، وملك قلبه والصبا كرسول الحبيب إلى مهج الأحباب يبلغ رسالة هل من داع هل من تائب، هلموا[4] الى الباب، هذا والغرام غريم قلب المحب، والوجد حريق روح الطالب، والشوق حليف[5] فكر الحبيب والوله، متسول على القلب الكئيب، والعشق القديم قد ظهر على ذات أبراهيم، فبدا له جمال وجه الزهرة، بحالة الساقي في تلك الحضرة، تشرق في أشعة ضيائه ويرفل في حالة بهائه[6]، يسير بين مواكب الزهر في جيوش الملك كأنه في هالة دارة كماله، فقال لسان نظرة لفهم فكره، إن كان هذا يتصرف في سيره على مقتضى أختيار ه تصرف القادرين[7]، ويتنقل من منازل السماء كما يشاء، تنقل المختارين فسأقول له بلسان حبي عن قلبي، هذا ربي وان كان لايملك أزمة

---

[7] ق: مواقع.

[8] ق: الفراق.

[9] م: دار.

[1] م: تعالوا.

[2] ق: صاحب.

[3] م: جماله.

[4] م: الجبارين.

أحواله ويخالف مبدأه، هيئة مآله، فكان تحت حجر سابق القدر، تعتريه مختلفات الغير، ولا يدفع عن نفسه من خصمه واقع الضرر، فالمطلوب سواه يجيب من دعاه، فلما حالت عليه بين الصفين خيول الأفول ووقع بين الجيشين[1] عند النزول، وغرق في بحر الظلمة بعدما طاف وغاب مستتراً في معاني معاطف الأفق وأختفى، أتضح لناظر فكره معنى حقيقة أمره، فقال بلسان صفاء اليقين لا أحب الأفلين، ثم طلع القمر بازغاً في برج[2] كماله باهراً في نور جماله، قد أشرق أيوان السماء بتوقد أنوار أشعته، وبعث عساكر الأضواء بين يدي دولته، فقال هذا أجل سلطاناً وأرفع مكاناً فأن سلما سيره من الأعوجاج والتغير والأنزعاج، والأفول والطلوع والتقدم والرجوع فسأقول له بلسان فهمي عن لبي، هذا ربي فلما أستتر وجهه ببهجة معاليه بنقاب خفائه وتواريه، وأختطفت أنواره يد الأفاق وأستولى على بدره المحاق وقطع القدر علامة[3] وجوده بسيف العدم، وغاص في لجة الثرى غوص المنهزم، ووقف مطلق دليله بمقيد تحصيله، فقال بلسان تحقيق[4] المرسلين بـ (لئن لم يهدني ربّي لأكونن من القوم الضالين)[5]، ثم بدا له سلطان أضواء الشمس من جميع جيوش مهابة الإشراق، فأنس وحشة النفوس وشرح ضيق الصدور،

---

[5] ق: الفريقين.

[6] م: بدر.

[7] م: دليل.

[1] م: كل.

[5] سورة الأنعام: الآية ٧٧.

وفسح مد الأحداق وضرب سرادقات مواكب أنواره[1] في أيوان السماء ومد رواق كتائب في أفاق الفضاء[2] وركب سناه على الجو، كالطراز المذهب على الحلة الزرقاء، فسجدت لجلال عزته حياء أشعة الكواكب، وعنت لكمال هيبته وجوه الطوالع والغوارب، وأنهزمت[3] من سطوة بهجته عساكر النجوم الزاهر، وخسفت لجمال بهائه بدور الجواري الباهرة فقال هذا أعظم وأكبر وأزهر وأبهر وأشرق وأحرق وأسنى وأبهى، فأن سلم من مجاذبات[4] القهر في مدارج سيره ومنازعات القلب في مناهج أمره فسأقول له بلسان فكري عن سري هذا ربّي، فلما أزمعت دولها على النقلة والأرتحال وأحتجبت[5] برداء الأفول والزوال، وأنتهبتها أيدي الغير وكرت عليها خيول القدر، وأظلم لغيبتها إيوان الأفق، ودار حول أقطار السماء نطاق الشفق، فقال حاكم أعتباره لشاهد أختياره أرى دولة متغيرة الوصف، يجب أن يكون لها مالك سواها ومملكة متقنة[6] الصنع، لابد أن يكون المدبر لها مولاها، إيوان زمردي ولون لازوردي، فبرت يد القدرة على بساطه الأزرق، جواهر النجوم ونسجت الرياح تحته بيدا

---

(٣) م:النور.

(٤) م:السماء.

(٥) ق:هربت.

(٦) ق:معركة.

(٧) م:أختفت.

(٨) م:دقيقة.

الحكمة، أردية الغيوم وليل مظلم كلجة[1] البحر المتلاطم، ونهار مشرق كوجوه البدر التمائم، ومهاد بسط فوق بساطه فراش الحكم، ودل بإتقان صنعه على ثبوت[2] القدم، وليس الأزل، مما تكفيه الخواطر، ولايدخل في كمية الأغراض والجواهر، فقال له لسان التوحيد بمنصف الفهم، أيها الجليل الحركات والسكون والظهور والكون والألوان والأكوان والمباني والمثاني والمألوف والتأليف والطوالع واللوامع، من أوصاف المنشئات بعد العدم بيد إرادة[3] القدر، فلاتقس الأفعال الأزلية على مقاييس فعلك، ولاتمثل الأوصاف الأحدية بما يترائى لعين عقلك، ثم ناداه منادي القدر بلسان لطف عطف الكرم، يا أبراهيم سر الى جنات العزة والتمس لتمسك بأذيال أستار القدرة، وتوجه الى حمى الجلال الأحدي، وقف على باب الكمال[4] الأزلي، وأقصد الخالق الفرد في تدبير مملكته وأعبد الرب[5] الواحد المقدس، عن شبه خليقته، وضع في مسيرك اليه وتعويلك عليه قدمك الأولى، على رأس قمة البراءة مما يشركون وضع الثانية على ذروة شرف أني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، فقال لسان طربه[1] بنيل أربه، الى

---

[9] ق: كموجة.

[1] ق: رسوخ.

[2] ق: سيد.

[3] م: الجمال.

[4] ق: الله.

[5] م: أنسه.

متى الأعراض عمن لا عليه أعتراض، وفيم هذه المقاطعة لمن له الحجة القاطعة، في النفل والفرض والحجة اللامعة في الطول والعرض، أنب (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض)[1] .

فصل

قال في لما ضربت عالم الملكوت الأعلى

وقال رضي الله عنه: لما ضربت عالم الملكوت الأعلى نوبة إني جاعل وتلألأت في العلى أنوار (ونفخت فيه من روحي)[1] ونشرت[1] في السماء أعلام (فقعوا له ساجدين)[2] وأشرقت في

---

[1] سورة الأنعام: الأية ٧٩ .

[1] سورة الحجر: الأية ٢٩ .

عالم الغيب أضواء أشعة أن الله أصطفى وأبرزت يد القدرة شخص أدم من كنه كن الى بنية تسوية الهيكل جالساً على سرير جلالته، متوجاً بتاج كرامته مرفوعاً على مرتبة خلافته، عليه ملابس[٣] الأنس والمواصلة، وعلى رأسه لواء القرب والمكالمة، نظرت اليه أعين سكان الصفيح الأعلى، بأحداق الدهش، وأشارت اليه أيدي ملائكة السرادق الأمني بأنامل[٤] التعجب، ولم يتبن لهم معاني رموز كتابة سورته، ولم ينحل لهم مشكل حروف سطور خلقته ولم يفهموا أشارات حقائق كنه بشريته، فأنقطعت عبارات فصاحتهم عن فهم كنز سره، وكشف غيب علمه وعكس القدر عليهم دعوني منزلة[٥] ونحن نسبح بحمدك بأعتراف شاهد لاعلم لنا ناداهم لسان العزة من جانب القدم ياأرباب صوامع النور، هذا أول نقطة قطرت من رأس قلم القدرة على لوح أنشاء العالم الأنساني، عن أستمداد مدد أرادة الأزل، وأول سهم رشق من قوس القضاء الألهي الى الفضاء الوجودي عن قوة رامي القدر الأحدي، وأول طلائع الصور متقدمة بين يدي عساكر البشر[٦]، هذا أبو الأنبياء وعنصر الأصفياء وعقد كمال وجلالة منظم

---

[٢] ق:وفرقت.

[٢] سورة الحجر:الأية ٢٩.

[٤] م:ثياب.

[٥] م:بأصابع.

[٦] م:مرتبة.

[٧] ق:الناس.

جيد بهائه وجماله، هذا شكل على حروف الأنشاء ونقطة على كلمات الكون، وسطر على لوح الوجود وعنوان على رأس كتاب الجود، وستر على باب الخالق وكنز من كنوز القد رة ومعدن من معادن الحكمة، وصندوق من صناديق المجد، وقنديل في صومعة الجلال، ولسان بين ثنايا معالي وعلم وأنسان في عين شخص[1] العالم، نهض ليرقى من خير دويرة الطين الى د رج الجلال، في مقام التعال عن عنصر الصلصال، فا راً من تلهب نا ر الفخا ر فتعلقت بذيل فخره يد حمأ مسنون وتمسكت بأ ردان عزه أنامل سلالة من طين فقال القد ر[2] دعوة فبنجاح أصطفائنا مطا ره وبلطافة أيا تنا أفتخا ر فليس المفضل إلا من أصطفيناه وأجتبيناه، ولا المكرم إلا من أخترناه وكان موسى عليه السلام ملحوظاً من جانب القدم بأعين الكرم، برقت له من صخور[3] الطور[4] با رقة وقربناه نجينا ومدت اليه يد الألطاف الرحمانية، من خزائن المواهب الربانية كأس أستئناس وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرعت مسامع حسه من محيا عز سلطان الأزل لذة (إني أنا الله)[1] فشرب[2] من يد ساقي وأنا أخترتك على بساط وأصطنعتك لنفسي سلاف

---

[1] م: روح.

[2] ق: الحق.

[3] م: حجار.

[4] الطور: جبل في جزيرة سيناء بمصر وهو الجبل الذي صعد اليه النبي موسى عليه السلام وبأسمه سورة كاملة في القرآن الكريم(وهي سورة الطور) . ينظر: ياقوت الحموي، المصد ر السابق، ج٢، ص٥٤ .

[1] سورة القصص: الأية ٣٠ .

[6] ق: فسقي.

راح الأرتياح الى ملاطفة (وما تلك بيمينك)[١] وطافت عليه سقاة ندماء القدس بشراب الأصطفاء للكلام في كؤوس حروف ياموسى ونودي من شجرة عقله (إني أنا ربّك)[٢] وأتاه الخطاب من قبل الجناب (فأخلع نعليك)[٣] ونبهه جاذب الغيرة في حال الحيرة على شرف مقام (إنك بالواد المقدس)[٤] فلما توالى عليه شرب مدام الكلام بيد سقاة الأكرام وأستمر له أبتسام نسيم أنس فأستمع لما يوحى ودام له أنس وصل مسامر فأعبدني ورقت نسيمات أوتيت سؤلك ياموسى غلب سكره من شربه لكأس قربة على قرية قلبه وأستولى سلطان حبه لحبه، على مدينة لبه وغرق في لجة بحر وحده وأنمحقت[٥] رسوم هزله بكتائب جده، فكاد يخرج عن حده لولا مساعدة جده وخلع جلباب[٦] صبره لغاية موارد سكره،وشرب حمياً الكأس في ذلك الرأس وتحكمت الأشواق من تلك الأحداق، وقام راهب روحه في صومعة أرتياحه الى الحضور على الطور ليلة النور، فوضع قدم تقدمه على قمة طور نهاية أطوار الطالبين، وحاول أن ينال شر فلم يدركه[١] أحد قبله من المرسلين فقال وقد فنى (ربي أرني)[١] فقيل له أيها الكليم

---

[١] سورة طه:الأية ١٧ .

[٢] سورة طه:الأية ١٢ .

[٣] سورة طه:الأية ١٢ .

[٤] سورة طه:الأية ١٢ .

[١] م:وأنمسحت.

[٢] ق:ثوب.

[٣] ق:يناله.

والمخصوص بالتكريم، أنت مكلف بأطوارك مقيد بأوطارك فتارة تقول (رب أني لاأملك إلا نفسي)[2]، وتارة تقول:(إني قتلت منهم)[3] وتارة تقول: (إني لما أنزلت الي من خير فقير)[4]، وتارة تقول:(ربي إني ظلمت نفسي)[5] وتارة تقول:(رب أشرح لي صدري)[6] وهذا مذهب من ضاقت به الحيل في مناجاة محبوبه وجال كل مجال، في نيل مطلوبه يا إبن عمران[7] يا أيها القلق النشوان إن السكر لا يداوي خمار الخمرة، إلا بالأشياء المرة ولا أمر من منع لن ترابي، فرجع رجوع اليائس وأنصرف أنصراف البائس، واضطرمت في قلبه نيران الذوبان وأنتهبته أيدي الهيمان، فلما هب عليه نسيم ولكن أنظر الى الجبل أحي قتيل أشواقه وبعثر فاين أتواقه، فظنها يداً مني تداركت غريقاً أو ريح صبا سرت فبشرت متشوقاً حريقاً، فإذا كاتب الأزل قد وقع لبريد الخطاب على قصة العشاق بسؤال العتاب بالحوالة على صخور الجبل فضاقت الحيل وأشتد الحبل وخاب[1] الأمل وأنقطع الجدل ولاح الحلل، ولم يبقى في الأرض يابس إلا أخضر

---

(1) سورة الأعراف:الأية ١٤٣ .

(2) سورة المائدة:الأية ٢٥ .

(3) سورة القصص:الأية ٣٣ .

(4) سورة القصص:الأية ٢٤ .

(5) سورة القصص:الأية ١٦ .

(6) سورة طه:الأية ٢٥ .

(10) ق:ياموسى .

(1) ق:وخبى .

ولاحطام إلا أوراق، ولامظلم إلا أشرق ولا أعمى إلا أبصر ولا ذو عاهة إلا برئ ولا ماء غور إلا عاد غدقاً وخرّ موسى صعقا فلما أفاق قال(سبحانك تُبت إليك)[1] وكان الشخص المحمدي والشكل الأحمدي هاشمي المناسب أحدى المناقب، ملكوتي الأيات غيبي الأشارات، شرف بخصائص الكرم وخص بجوامع الكلم، بشرفه قام عمود خيمة[2] الكون الكلي وبجلاله أنتظم سمط الوجود العلوي والسفلي، وهو سر كلمة كتاب الملك ومعنى حرف فعل الخلق[3] والفلك، وقلم كاتب أنشاء الحادثات وأنسان عين العالم،وصائغ خاتم الوجود ورضيع ثدي الوحي[4] وحامل سر[5] الأزل، وترجمان لسان القدم وحامل لواء العز ومالك أزمة المجد وواسطة عقد النبوة، ودرة تاج الرسالة وقائد ركب الأنبياء ومقدم عسكر المرسلين وأمام أهل الحضوة[1]، أولى في السبب أخرى، في النسب بعث بالناموس الأكبر[2] ليؤيد سليم الفطر ويمزق ستور الهمم،

---

[1] سورة الأعراف:الأية ١٤٣ .

[3] ق: فسطاط.

[4] ق:الخلائق.

[4] رضيع ثدي الوحي: أي قد زُق العلم زقاً بواسطة العلم اللدني الرباني لا بالواسطة وأنما مباشرة من الله سبحانه وتعالى. ينظر الجيلاني،عبد القادر،الغُنية،ج٢،ص٦٣ .

[6] ق:أسرار .

[7] ق: العبرة.

[2] الناموس الأكبر: وهو كناية عن جبريل عليه السلام الذي نزل على صاحب سليم الفطرة النبي الأمي المكي محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام. ينظر: الجيلاني،عبد القادر،الفتح الرباني،ص٩٣ .

ويلين صعب الأمور ويمحق وسواس الصدور، ويروح كرب[1] الأرواح ويجلو امر الألباب ويضيء ظلمة البواطن ويغني فقراء القلوب، ويفك اسر النفوس ويطرد وحشة الانقباض ويجلب انس الانبساط، ويفرق مجتمع الغفلة ويجمع مفترق المسرة ويميت حي الشقاوة ويحيي ميت السعادة[2] ويضع أسر الغواية ويرفع علم الهداية ويجد بأولي الألباب الى الوصال ويثير دفن البلبال الى الجمال، ويشوق الى لقاء الأحبة ويضرم نيران المحبة، ويذكر الأرواح عهدها في سالف القدم[3] ويجدد على الذوات ميثاقها في عرصة الكرم، وأينعت بسقياه زهرات الحكم في شجرات الشريعة وأخضرت برؤياه رياض الأحكام في حدائق العلوم.

وقامت بقيامه أشخاص الآيات وظهرت بظهوره مخبئات المعجزات[4] بعث في عنصر الفصحاء فأخرس بفصاحته بليغ ألسنتهم وجمع بموجز بلاغته بسيط ألسنهم، وسجدت لعزة أشارته رؤوس عقول معارفهم، وبرز بجموعهم في مواكب وذللت له الفصاحة بحبل لواء لو اجتمعت الأنس والجن فكسفت شموس[1] أفهامِهم في جوامع كلمه، وخسفت بدور أفكارهم في لوامع حكمه أتاه الروح الأمين عند رب العالمين، وحمله على البراق وخرق به السبع الطباق لمباشرة

---

[9] م: هموم.

[1] ق: الأفراح.

[2] ق: الزمن.

[3] م: الأيات.

[4] ق: شمس.

جمال الجلال الأزلي[١]، ومحاضرة كمال العز الأبدي ممدود الرواق مضروب السرادق على الأفاق، والوقت قد صار أعبق من نسيم روض الزهر وأشرق من نور الفجر بعد السحر، طوى له بساط البسيطة بيد أسرى بعبده ليلاً والتفت له أطراف القضاء[٢] بأمر (أتوني به أستخلصه لنفسي)[٣] وعرضت عليه عوالم السماء وملكوت العلي في حلة لِنُريه من أياتنا وزفت عليه مخدرات الكونين وأسرار الملكين، وأمور الدارين وعلوم[٤] الثقلين في مجلس (لقد رأى من أيات ربّه الكبرى)[٥] وأتته رؤساء الرُسل مسملة عليه وهو بالأفق الأعلى وقد كانت أمة أمرائهم أن تجلس على أبواب السموات، ترتقب وفود[٦] عليهم وأقبلت ملوك الأملاك تسعى حجاباً بين يديه الى سدرة منتهى مقاماتهم، وقد كانت سألت ساداتهم أن تمتع أبصارهم وتسر أسرارهم، بمشاهدة طلعته وملاحظة بهجته، فغشى سدرة منتهى عقولهم، وغاية علومهم من انوار بهائه ما غشى أبواب[١] السماء، من شارق ضيائه فبهتت لجلاله أحداق أشباح النور، ودهشت

---

[٥] م:الأبدي.

[٦] م:القدر.

[٣] سورة يوسف:الأية ٥٤.

[٨] م:معالم.

[٥] سورة النجم:الأية ١٨.

[١] ق:قدومه.

[٢] ناقصة في ق.

لجماله أبصا ر سكان الملكوت الأعلى، وخشعت لهيبته أعناق أهل السرادق الأسنى[1] وخضعت[2] لعزته رؤوس أصحاب صوامع النور، وشخصت لكمال مجده أعين الكروبيين والروحانيين.

ووقفت الملائكة صفوفاً من المقربين، وأبتهجت حضائر القدس بزجل المسبحين وأرجت معالم التنزيه بأنفاس المتواجدين، وأهتز العرش والكرسي طرباً برؤيته وزينت الجنان الحسان فرحاً بمقدمه، وماج الكون بأهله من أعجابه ودله، وأفتخر العلى على الثرى بما رأى، وأشرق إيوان السماء بالأضواء[3] وسما إيوان العلى بأسناء، وأنكشف لعين المختار الأسرار ورفعت لصاحب الأنوار الأستار، وتقدم به الروح الأمين الى دائرة (وما منا إلا له مقام معلوم)[4]، وقال له أيها الحبيب القريب تهيأ لتلقى الله وحدك خالياً وزجه في نور وتأخر عنه، وعند التناهي يقصر المتطاول فوقعت أشخاص الأنبياء[1] في حرمة الحرمة، على خدم الخدمة وقامت أشخاص الملائكة في معارج الجلال على أرجل الأجلال، وهامت أشباح العشاق في مقامات الأشواق،

---

[1] السرادق الأسنى: وهو مقام عالي لأهل الصدق من العارفين بالله تعالى أصحاب البصيرة وهي نوع الغرابة. ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الفتح الرباني، ص٢٥٦.

[4] ق: ركعت.

[5] ق: الأنوار.

[4] سورة الصافات: الأية ١٦٤.

[7] م: الأولياء.

لعلها تراه في رجعاه لتستنشق من محياه النسيم من تهواه، الى مستوى أهيب تسمع فيه صرير أقلام الوحي، على صفاء صفحة اللوح الأعظم[1]، وسار[2] على رفرف النور الى الأفق الأعلى وطار بجناح الأشواق، الى مقام دنا فتدلى وأنزله مضيف اللوح الأعظم وسار على رفرف النور الى الأفق الأعلى، وطار بجناح الشوق الى مقام دنا فتدلى،وأنزله مضيف الكرم في روضة قاب قوسين بسط له فراش الدنو أو أدنى سمع من جناب الرفيع[3] الأعلى، السلام عليك أيها النبي تلقاه الحبيب بالأكرام وبادية الجليل بأسلام وبسط منقبض روعته، وانس منزعج وحشته فرعى مخاطبات (فأوحى الى عبده ماأوحى)[4] كوشف بعيان ولقد رآه نزلة أخرى هم أن يجيب المسلم سبقه القدر ففتح فمه فقطرات فيه قطرة من بحر العلم الأزلي، فعلم بها علم[5] الأولين والأخرين.

وقال لسان خلقه العظيم وجود العميم، هذه حضرة الكرم وعرصة النعم ومعدن الرحمة وجناب الفضل، وبساط الفتوة ومنيع الخيرات ولايليق[1] في شرع المكارم، التخصيص عن

---

[1] م:الأكبر.

[2] م:وطار.

[3] م:المقام.

[4] سورة النجم:الأية ١٠.

[5] م:علو.

[6] ق:يجوز.

الأخوان لايحسن في حكم الموافاة ترك مواساة الأحباب، فأنعطف عليهم بعواطف مراحمة وأثنى عليهم بمعاطف بره، وجعل لهم نصيباً من شرف منزلته وبركته من صالح[١] دعوته، وذكرهم حيث نسى لا الذاكر نفسه ولم ينسهم في مقام أنفراده بالفرد، ومناجاته للرب فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فناداه الحبيب ياسيد السادات وأمام أهل المكرمات، لك الجلالة أولاً وأخراً والمفاخر باطناً وظاهراً، ولك المروءة والوفاء والفتوة والصفاء (ألم نشرح لك صدرك، ألم نضع عنك وزرك الذي أنقض ظهرك، الم نرفع لك ذكرك)[٢]، الم نشرفك في الأزل على جميع الرسل، الم نرسلك الى الأحمر[٣] والأسود، الم نؤثل لك في عليين المجد الأمجد، الم نجعل عيسى (ومبشراً برسول يأتي من بعدي أسمهُ أحمد)[٤]، ذاك يقول:(ربِّ أشرح لي صدري)[٥] وأنت يقال لك: (ألم نشرح لك صدرك)[٦]، ذاك يقول رب أرني، وأنت يقال لك ألم تر الي ربك أنت في الدنيا على أمتك شهيد، ولايكون في الأخرة إلا ما تريد فأذا فرغت من تمهيد الشريعة، فأنصب والى ربك في أمتك فأرغب، فأتصلت الرسائل بين الصب والحبائب، ورق نسيم وصل

---

[٧] م: بركة.

[٢] سورة الانشراح الأيات ٤،٣،٢،١.

[١] ق: الأبيض.

[٤] سورة الصف: الأية ٦.

[٥] سورة طه: الأية ٢٥.

[٦] سورة الشرح: الأية ١.

الحبيب المخاطب، فقال المراد المخطوب القرب الجذوب الهي ملحوظ نهمتك، ومحفوظ عصمتك وطفل مهد عهدك وغذى لبان لطفك، وربي حجر جودك[1] قد كل لسانه دهشاً، في مترادف ألائك وحار بصره في مراتع نعمائك، فأحلل عقدةً لسانه وأكشف أستار بيانه وأيد قوى جنانه، فأجابه الجليل ها نحن قد رفعناك أستار الجلال وأبدينا لك صفات الكمال، لترى ما وراء رداء الكبرياء وتنظر ما فوق العظمة.

ومع هذا قد جعلنا قلبك بيت الحكمة، لسانك[2] محل الفصاحة، وعنصرك معدن البلاغة وذكرك منبع الأعجاز، فأذا رجعت من سفر الأسراء نبئ عبادي إني أنا الغفور الرحيم وبلغ خلقي (فإني قريب أُجيب دعوة الداعي إذا دعاني)[3] فنطق صاحب الرسالة والجلالة، بلسان جمع فيه بين أطراف المحامد وأسباب المماجد، لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. ثم عاد الى معالمه وأهل عالمه، ورؤساء الملائكة تضع جباهها في مواطئ قدميه[4]، والروح الأمين يحمل بين يديه فخره، ويطرق له بين صفوف الملائكة تعظيماً القدرة، وآدم يرفع ألوية جلالته وأبراهيم ينشر أعلامه وموسى يناجي حبيبه، من جانب الطور[1] غربي صفحات

---

[٥] ق: كرمك.

[٦] ق: كلامك.

[٣] سورة البقرة: الأية ١٨٦.

[٨] م: رجليه.

[١] م: الجبل.

وجه نظرت عيناه محبوبه، يسأله عودة بعد عودة عسى نظرة بعد نظرة فناداه القدر ، من جانب الطور قضينا الأمر وعيسى يتالى بالمولى ليتنزلن وليخبرن أهل الأرض[١] ، ما شاع في أرجاء السماء[٢] من أخبار صاحب قاب قوسين، هذا وبين يديه صلى الله عليه وآله وسلم شاويش[٣] هذا عطائنا ، يترنم بأناشيد عبد أنعمنا عليه تاج شرفه، محمد رسول الله طراز حلته ما زاغ البصر نادى منادي سلطان عزه في طبقات الأكوان وصفحات الوجود بلسان الأمر بالتشريف (أن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)[٤] .

فصل

وقال رضي الله عنه في الأولياء رضي الله عنهم

---

[٢] م:الثرى.

[٣] م:الثريا .

[٣] شاويش: كلمة تركية دخلت الى مفردات بغداد خلال العصر العباسي الثاني ويقصد بها المنادي على الشيء للأعلان عنه . رؤوف ،مدارس بغداد ،المصدر السابق،ص٥٦ .

[٤] سورة الأحزاب:الأية ٥٦ .

قال في الأولياء رضي الله عنهم: الولاية[1] ظل النبوة والنبوة ظل الإلهية والنبوة مستفادة من وحي الملك وغيب الأزل، والولاية مطالعة روح الكشف وملاحظة مطالع البيان بصفاء يذهب كدورة البشرية، وطهارة[2] تنقي دنس الأسرار فالأنبياء مصادر الحق والأولياء مظاهر الصدق، ومعجزة النبي(ص) محل جرى الوحي والتحدي بأسرار معاني الحكمة وأعجاز كمال[3] القدرة، مبرهناً على صدق قوله ومنهاج أمره يقطع به حجج المنكرين، وكرامة الولي استقامة فعل على قانون قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فالتحدث[4] بسر الولاية نقص والترصد لنسميها كرامة، والكرامة اثر انعكاس نور الحق على قلب الولي من منبع ضوء نور الكلي، بواسطة الفيض الألهي ولايظهر ذلك على الولي ألا مع عدم أختيارة، والأولياء خصوا بأشارات[5] نبوية وأطلاعات حقيقية، وأرواح نورية وأسرار قدسية وأنفاس روحانية ومشاهدات زكية، وهم خلفاء الأنبياء وبقايا أسرار الأصفياء وغيب غيث قطرات الكرم ومهابط أسرار كلمة القدم، رقود في الأظلة قعود في الأكلة كالأهلة، إذا نهضوا من مراقد أكوانه

---

(1) الولاية: مكانة سامية يبلغها أولياء الله وهو من أستولى عليه سلطان المحبة الألهية فلم يترك في قلبه متسعاً لغير الله تعالى ومن صفاته أنه شخص يؤيده الله وينصره وأن يكون محفوظاً من مخالفة الشرع. ينظر: عفيفي، أبو العلا، التصوف، الثورة الروحية في الأسلام، دار جامعيون، مصر، ١٩٤٩، ص٢٩١.

(2) م: نقاوة.

(3) م: جمال.

(4) م: النطق.

(5) م: علامات.

بأشراق أفكارهم وصفاء أسرارهم، وخرجوا من معاقل وجودهم بطهارة أشباحهم[١] وانوار أرواحهم، وجاؤا الى معالم مقاماتهم بمعارف منازلاتهم وعوارف مشاهداتهم، وأقاموا أمر سرائرهم الصقيلة وعيون[٢] بصائرهم الصحيحة، بإزاء عوالم الملكوت ومظاهر أسرار الجبروت، ووقفوا تحت مناظر الأنبياء ومطالع أشراقات شموس الأصفياء، وقع أنعكاس ضوء شمس الأصيل على صفاء صقال مرآة الفرع، وأنطبع فيها أثر نور الغيب، وأنقشت فيها أشخاص الغائبات وترائت فيها صور الكائنات، وأنجلت لها أمثلة أصناف الحكم وأسرار القدر[٣]، لما عقد سلطان الجبروت في رواق الملكوت بخواص الصفوة مجلس الحلوة بين رياض يحبهم ويحبونه، ونصب لقدومهم أسرة الجلوة على أرائك القرب في مقعد صدق، ومدّ لحضورهم[٤] رواق المشاهدة على حدائق الأنس، عند مليك مقتدر، وأمر الأزل كاتب ديوان القدر أن يكتب بريد القدم، بأحضارهم سجل، والله يدعو الى دار السلام، وجعل عنوانهم فأتبعوني يحببكم الله.

---

[٦] ق:أرواحهم.

[١] م:ضمائر.

[٢] ق:الأقدار.

[٣] م:وجودهم.

وأرسلوا اليهم على جواد، قد جاؤكم من الله نور، ونودي في أمصار أسرارهم بلسان، فأن خير الزاد التقوى، ركبوا خيول[1] الأشواق، وركائب الأحتراق وساروا في براري الهيمان[2] وصحاري الذوبان، نشروا أعلام (ربنا أننا سمعنا منادياً ينادي الى الأيمان)[3] بأناشيد سمعنا وأطعنا وحدات الغرام تحدوا نجائب عشقهم بالسنة الحنين في أودية (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[4]، وكل ما توارث عنه أعلام قصدهم بفنائهم في محبتهم[5]، نودوا من وراء الستار طلبهم، أينما تولوا فثم وجه الله، وكلما خرجوا من أطوار تغربهم عن ذلك المكان، فلما أستقر بهم المزار[6] ورفعة عيون بصائرهم أستار الأسرار، أدارت عليهم ندماء الأمس في مقاصر القدس كؤوس، وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً فتحكمت الأشواق من تلك الأحداق، وسرت الكووس في تلك الرؤوس، وأديرت الأقداح على تلك الأرواح، ودبت المحيا في ذاك المحيا، وتمكن السلاف[7] من تلك الأعطاف، وزهن القباب بالأحباب، وسكرت الألباب بالخطاب وأقبلت

---

[4] م:مطايا .

[5] م:الهيمان.

[3] سورة آل عمران:الأية ١٩٣ .

[4] سورة النساء:الأية ٨٠ .

[8] ق:حبهم.

[9] م:الترحال.

[1] م:المرام.

وفود التهاني من كل باب، ومنح الكون ومات البين وطاح الغين وهامت العين، بكشف[1] الحجاب ودام الشراب، وأمتد القرب وأنهب الحب ثياب الحجم وإذا العتاب أينع الوادي وأشرف النادي وزمزم الحادي، بأسم ذاك الجناب وهام القلب وطاش اللب، وحار الفكر ومات الصبر، وعاش العشق وساح السوق رفيق التوق زميل[2] الموق كفيل المرق لذلك الباب، يا غلام إذا رمقت عين العاشق الصادق جمال محبوبه الأعظم، قابلت مرآة عقله محاسن معانيه ومعاني محاسنه، فوجدت فيه صقالها أستعداد الحلاء، بهجة لطائفة وأنتقش[3] عشق جمال وجهه في صفاء لوح شغاف قلبه، وانعكست أشعة نوره على سره وأنبسطت حركات طلبه، ونهضت القوى الروحانية التي فيها جما صفات المحبوب، وسار سلطانها الى الرأس فشغل العين بالرمق وملئ اللب[4] بالسكر وقرن الروح بالصبابة، ثم عاد الى القلب فأودعه الفلق، وأنثنى على الفكر، فأسكنه الحيرة فأشتد الشوق، لرؤية المحبوب وأبتهجت النفس لكمال محاسن المطلوب[5].

وأثبت ذلك الأبتهاج في مواد قوى الأجزاء البدنية، وأخذ كل عضو من ذلك بقسطه على مقدار قوته، فصارت الحواس كلها مأسورة للجمال فخرس اللسان عن مناجاة غيره، وصمت الأذان

---

[2] ق:رفع.

[3] ق:شقيق.

[4] ق:أرتسم.

[5] م:القلب.

[6] م:المطلب.

عن سماع كلام[1] سواه، وعمل نظر عن ملاحظة مادونه، وبهت العين اليه وأبى القلب القلق ألا عليه، وخانه الجلد وأوعزه الصبر، وملكه الوجد[2] وأنتهبه السُكر وعلاه الهيام وأسرة الغرام، وخطفت المحبة بأشعتها نور عين لبه وصا ر أقبال محبوبه قبلة قلبه، ونسيم روح مطلوبه حياة[3] روحه ووجه جلال مقصود روضة عين لبه، ورائحة ريحان وصل مراده ورد مشام سره وقربة غاية طلبه، ونظرة نهاية أربه ومحادثته[4] أعظم سؤاله، ومحاضرته أعلى مأموله فأشجا ر العقول على أنها ر القلوب، بأصائل أوقات الوصال تتواجد بين أستا ر الجمال[5]، عند بث شجون المحبة وأغصان الغرام، تنا زل نسائم الوجد كلما هبت من رياض القدس على حدائق قلب المشتاق، وصبابات الأرواح في ميادين الأشباح ترقص طرباً، بأنتشاق ريح من تهواه كلما غناها نسيم سحر[6] الشوق، وناغاها بلبل السكر بلذات الحان نغمات المناجاة، وكاسات المصافاة في ظلال كهوف القرب وأطيا ر الأنس، قد ركبت منابر الخطاب على أوتاد المشاهدة، في مقاصير الأسرا ر صادحات مطربات قد هيجت أشواق المحبين، وبعثرت دفائن الحنين، بنفخ أسرافيل

---

[7] م:حديث.

[8] ق: الشجن.

[1] ق:سر.

[2] ق:مخاطبته.

[3] ق:الجلال.

[4] ق:الليل.

البوق في صور الأنين، الى ميدان[1] العندية ولسان الأبدية (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)[2] يا غلام منازل الزلفة لاينزل بها المتشبثون بالأغيار، ومقار القربة لاتسكنها المستأنسون بالآثار، أنت أخو العز ما ألتحفت برداء القناعة، ومحبوب القدم ما التزمت مفروض الطاعة، ياطفل مهد عهد وأذا أخذ ربك وغذ ألبان، وأشهدهم ورضيع ثدي يحبهم أين شواهد حقيقة ويحبونه، صف لي مواضع نظرات عين[3] الأزل من فؤادك ومواقع منازلات لحظ الجلال من مرادك، ترصد في أوقات الخلوات هبوب نسيم أن لربكم في أيام دهركم نغمات.

فصل

قال في العقل والشرع والنبوة

---

(٥) م:مكان.

(٢) سورة القمر:الآية ٥٥.

(٧) ق:ذات.

وقال رضي الله عنه في العقل والشرع والنبوة: العقل نور تألق بارقه من أفق العناية، من وراء حدود غايات الفكر[1] وقابل شعاعه صقال مرآة الهداية، فيستضيئ صاحبه في ظلم الأمور وغياهب الأكوان، بوميض لألئه وأشراق ضيائه، حتى يريش لطائر طلبه جناح النجاح ويسفر لوجه توجه صباح الفلاح[2]، والعقل طائر غيبي لايصاد إلا بشباك عناية، ووارد ألهي لايرد إلا من جناب مفيض[3] النعم، جوهري الصفات نوراني الذات ملكي السموات، وهو روح قدس روحك وجبريل قلبك، يهبط بالوحي من سماء أعاليك، على رسل أعاليك، على رسل سرك وينزل بتحف الغيوب عليك من ربك، فيلطف كثيف صفتك ويجوهر صدف[4] علمك، وهو ميزان العدل ولسان الفضل وشرع الكرم ومعدن الحكم، ومقر النعم وعمود الفكر ودليل الفهم، وترجمان السر والشرع حكم بث القضاء يشاهده حاكم الرسالة، فتفرد سلطان عزه في دولة بقاء كماله[1]، وأنقادت ملوك الحكم طائعةً لهيبة جلاله، ودانت ممالك الحكم خاشعةً لتعظيم أجلاله، وحامت أطيار البلاغة حول حماه ورضعت أطفال العلوم بلبان هديه وهاه، ومحق

---

[1] م: العقل.

[2] م: الصباح.

[3] ق: موزع.

[4] م: درر.

[5] ق: جمال.

سيف[1] سطوة قهره من خالفه وناوءه، وأعتصمت بحبل حمايته وثيقات عرى الأسلام، وعليه مدار أمر الدارين وبأسبابه أنيطت منازل الكونين[2] .

والنبوة: نور من أنوار العزة مختومة بطابع روح القدس[3] ، قوتها فعالة بالقدرة ومعناها متسع بالبهجة، وظاهرها مؤيد بأفعال الله الخارقة للعادة المستمرة، وباطنها مقرون بالوحي وهي غيب روح القدس ومعنى سر الأزل ونتيجة سابق القدم ومشاهدة مناط معنى القدر ، ومحط مدرك سر الأمر وموضع الفصل بين القدم والحدوث، والوحي بدر بازغ في أفق النبوة طالع من فلك الرسالة تلقيه من كلام الله عزوجل ، معه روح القدس ينشر لديه مطويات العلوم وتبرز عنده مخبئات[4] الأسرار وتظهر منه مفاتح معالم الأبد ، وتؤخذ عنه أنباء أمور الكائنات، وتطوى فيه مسافات مفترقات العلوم والعقول والعوالم والمعالم والشواهد والرسوم، والمؤتلف والمختلف والمركب والمثنى، ويكشف عن حقيقة[1] معنى وحداني وسر رباني لاينكشف بغير طريق

---

(٦) م:سلاح.

(٧) م:الأكوان.

(٣) روح القدس: وهو لقب يطلق على جبريل عليه السلام كما في قوله تعالى(وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)[البقرة:٨٧] . ينظر: الطبري، جامع البيان، ج٤، ص٨٣؛ المدرس، عبد الكريم، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج٥، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٧، ص٣٤ .

(٢) م:خبايا .

(٣) ق:سر .

الوحي الصريح، وهو بريد الأزل يخترق فضاء الغيب بمخزون أسرار القدم ومكنون أخبار الأبد[1]، على يد أمين المملكة ومقدم عساكر الملائكة الى من وقع له كاتب القدر في مجلس الأزل توقيع تلك الرسل، فيجلو نوره صقال مرآة قلبه[2] فينطبع بها أشخاص تفاصيل أحوال الدارين، وجزئيات أحكام الكونين ودقيقات أنباء الملكين.

ثم ينعكس للألئ أضوائه[3] على صفاء جوهرية سريرته، فترى عين عنايته آيات ربه الكبرى، ويلحق بالرفيق الأعلى فحينئذ النبي مشكاة لنور قلبه، وفي المشكاة زجاجة مصباح الرسالة، مصباح الرسالة نور متعلق بذنب الوحي، والوحي سر غيب الموحي، فالأنبياء رضعاء أثداء غيب الأزل، وندماء[4] مخاطب سر الوحي وجلساء حضرة القدس، وسفراء وجوه الحق وأقام رواق عزفي الأفق الأعلى، إلا لجلالتهم عقد لوائه ولا مد بساط مجد في المقام الأسنى إلا على مهابتهم[1]، نسجت أركانه ولا سكن صوامع القدس الأشراف، شبح نوري ألا كان له من جلالتهم جليسا ،ولا أوى إلى ضل التسبيح ألا رفع لطف معنوي، ألا كان من بهائهم أنيسا ولا

---

[4] ق:الأزل.

[5] ق:لبه.

[6] م:أنواره.

[7] ق:جلساء.

[1] ق: مكانتهم.

رقي صديق صاعدا في مقامات[1] القرب، ألا كانت بقواهم معا رجة ولا سلك ولي سائر إلى مولاه، الا كانت مناهجهم مدارجه ولا رفع علم كرامه لبشر ألا كان شرفهم عماده، ولا شيد بنيان[2] مكانه لعبد غلا كان على تأسيس إبراهيم صلى الله عليه وسلم تأثيله .

وقال رضي الله عنه في عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

حركت الإرادة الأزلية العزيمة المحمدية للخروج[3] في بعض أسفارها، فأستصحب الدرة اليتيمة معه من قرارها، ووكل بخدمها ورفع قبتها، حين أمسى وأصبح عبده مسطح، فنزل القوم منزلاً[4] لإصلاح عيشهم، وسكن النوم حركات بطشهم، واستولت على العبد في المسرى سنة الكرى، فأثارت المشيئة الأحدية حركات عائشة الصديقة الصفية للخروج من مطارها إلى بعض أوطارها، ونزلت من قبتها لقضاء حاجتها، فحلت يد القدر عقدها، وانتثرت قلادتها من يدها[1]، وانشغلت بنظم نثرها لتردها إلى صدرها، نادى القدر يا جبريل أنها

---

(٢) ق: درجات.

(٣) ق: بناء .

(٤) م: للخوض.

(٥) ق: دراء.

(٦) ق: عندها.

فقدت من قلادتها جزعا ، فاجعل مكانها جزعا فانتبه مسطح[1] وساق جمله ولا علم له بما حصل له، فلما وصل إلى المدينة ولم يرها عاد يطلب أثرها .

والقدر يثير دفين الأسرار ويقدح شرار أفك[2] الأشرار ، فلما بلغ ذلك رضيع ثدي الوحي وحامل سر الأزل، وحافظ ودائع الغيب ورافع لواء[3] الحمد ، فظن لرمز عيون أفكهم وتراءت له أشارات شركهم، تألم قلبه وجرح بنصل الكآبة لبه، وأنصدعت[4] زجاجة سره وأنقسمت مجتمعات أمره .

---

[1] مسطح: هو مسطح بن اثاثة،كان أبي بكر الصديق يتصدق بالمال عليه، فلما كانت حادثة الافك خاض مسطح مع الخائضين،إلى أن نزلت سورة النور في براءة عائشة بنت ابي بكر(رض) . ينظر ترجمة: القرطبي،ابي عبد الله محمد احمد الانصاري،(ت٦٧١هـ/١٢٧٢م) ، الجامع لأحكام القرأن،ج٥،دار احياء التراث العربي،بيروت، ١٩٨٥،ص٤٠؛ ابن كثير، تفسير القرأن العظيم،ج١٣، مكتبة دار التراث،القاهرة، ١٩٧٢،ص٢٢٩ .

[2] حول حادثة الأفك . ينظر :إبن هشام،أبو محمد عبد الملك أيوب الحميدي(ت٢١٨هـ/٨٢٠م) ،السيرة النبوية،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ج٣،دار الفكر ،بيروت،١٩٦٦،ص٦٦؛ الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج٥،دار المعارف،القاهرة، ١٩٦٥،ص٦٦؛الطبري،جامع البيان،ص٧٥؛حسن أبراهيم حسن،المصدر السابق،ج١، ١٩٦٧،ص١٢٥؛المودودي،أبو الأعلى، تفسير سورة النور،المكتبة الأسلامية،القاهرة، ١٩٨٥،ص٣٥؛قدورة، زاهية،عائشة أم المؤمنين،مطبعة التراث،القاهرة،١٩٤٧،ص٨٤ .

[3] ق: راية .

[4] ق:انكسرت .

وقال لها بلطف شفقة قولاً معنوياً ولوح لها برمز محبته تلويحاً خفياً: أنصرفي إلى بيت أبيك فسيأتيني الخبر فيك، فأنتثرت عبراتها واستولت عليها زفراتها، وأظلم نهار فرحها واسود[1] ليل ترحها، وتصاعدت أنفاس وجدها . وعدم الصبر من عندها، وقالت غلام[2] اهجر وما جنيت، وابعد وما تعديت امن جهة شكوى الضرائر، من دلال الحبيب الهاجر قيل لها أيتها الصديقة والسيدة[3] على الحقيقة البلاء بقدر الولاء والنصر[4] في ضمن الصبر، فلما عرفت القصة وتبينت القصة، محق بدر عيونها لحرقة نارها، وأنحنى[5] الف قامتها على لوح انكسارها، وطالت عليها مدة هجر محبوبها، وعدمت رضاع ثدي مطلوبها .

قالت الهي بك يستنصر الذليل والى جنات عزك[6] يلجأ المظلوم، ومن غيرك ينفس كرب المكروب، ومن سواك يجيب دعاء المضطر، أنت أخبر بطهارة عصمتي واعلم مني بمسألتي .

فأتخذت قبة يعقوبية وجعلت الفرقة حالة يوسفية، وصارت ظلمة قبتها سجن يوسف، حزنها مر بها من اجنب الحبيب، هبوب نسيم كيف تيكم فقالت: انما ربيبة خدر[7] الفصاحة، وقرينة

---

[4] م:اظلم.

[5] م:لم.

[6] م: الصادقة.

[7] م: الظفر.

[8] ق:دنى.

[1] م: جبروت.

[2] ق:بيت.

افصح من نطق بالضاد، والتاء للمخاطب القريب والكاف للغائب البعيد، أين تاء انت من كاف ذاك، أين هاء هذه من تأتيكم ميم الجمع، لا توجب تخصيص احد المذكورين، طال ما كنت سواد عين الهاجر، وسويداء قلب الغائب وريحانة انس المعرض، ولكن للزمان أحوال تحول وفصول تصول يا رب يم همي قد أغرقني، وحر حزني[1] قد احرقني، وتحول حالي وتبلبل بالي قد بلبني، فضجت الملائكة في الملكوت الأعلى واختلفت تسابيح سكان حظائر القدس، وانزعجت رهبان صوامع النور، وقالت الأشباح النورانية والأرواح الروحانية، الهنا طاهرة فراش[2] النبوة قد تكدر صفاء قلبها، ودرة بحر الشرف قد تشظى جوهر لها، وريحانة مشام الرسالة قد ذبلت بأفك الفاسقين، ورضيعة ثدي الوحي قد فطمت بكذب المنافقين.

قيل لبريد[3] المملكة ومقدم عساكر الملائكة، يا جبريل خذ لوح غيب الأزل سبع عشرة أية براءة من العيب بالسنة الغيب، فأني تكلمت[4] بها في الأزل وقديم القدر وجعلتها طراز الكم ثوب

---

[3] ق: ألمي.

[4] م: دار.

[5] م: رسول.

[6] م: قلت.

عائشة[1] إلى يوم القيامة، فهبط بريد الأزل على السيد المفضل، بآيات السرور في سورة النور فلما سمعت الصديقة[2] زنات الآيات ولاح لها أشارات البشارات.

قالت: سبحان من يجبر الكسير ويعز الحقير، وينصف المظلوم ويصرف الغموم[3]، والله ما كنت أظن أن ربي تبارك وتعالى ينزل في قرآنا ولا يذكرني لنبيه فيما يوحى إليه، ولكن رجوت أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه، ما يقضى براءة ذمتي وطهارة[4] عصمتي، فلا ييئس المظلوم من الانتصار ولا يعول المقهور الأعلى الأصطبار، فأن مات مطاوي الأقدار تقلبت ما في الليل والنهار.

---

[7] م: الصديقة.

[8] ق: الصادقة.

[1] ق: الهموم.

[2] م: نقاوة.

فصل

قال في نسمات أسحار الوصال

قال رضي الله عنه في نسمات أسحار الوصال: أذا اجتازت بربوع المطرودين وطيف ليالي الاتصال[1]، إذا طرق مضاجع المهجورين أتوا، وأوتار الشوق، إذا ركبت على عيدان المشاهدة في مجلس الانس، على ندماء عشاق الازل ورضعاء انداء المحبه، اهتزت اشجار[2] ألعقول في بساتين القلوب، وتمايلت أغصان النفوس في در الهياكل، ورقصت جواهر الخواطر طرباً في قصور[3] الصور، وتواجدت الباب الأحباب سرور في معاني المباني، وقدح زند الكشف في حرق الأكباد ،شرارنا العشق وأحترقت بصواعق الهيبة، ذرات أجزاء الذوات،

---

[1] م: الوصال.

[2] م:ثمار.

[3] م:دور.

وماج الكون بأهله، وجرح رامي الغرام أسرار المحبين بنبله[1]، وتزلزله قواعد أركان السرائر، وهامت بسكر توق رمقها البصائر، وقامت الأرواح على أقدام سؤال ما الخبر، وأشتغلت الأعين بمج سحب العبرات عن النظر[2]، ووقف آدم الأحوال على قدم الأعتراف بالأقتراف، وقام أبراهيم الهمم على باب أطْمع أن يغفر لي خطيئتي وخر موسى العزائم صعقاً على قمة طور تبت اليك، وأشار أيوب الوله بيد منسا الضر[3] ومر سليمان الهيمان على بساط صولة دولته، محمولاً بريح أن لربكم في أيام دهركم نفحات.

وقالت نملة القلب لرعاية الخواطر عند أنتشار عساكر سلطان الجلال، وأستيلاء جيوش ملك الكمال يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم فبدت أضواء القرب وأنبسطت أشعة الدنو[4]، ومد رواق اللقاء وفرش بساط الحضرة، على أرائك بسط القدس وعقد مجلس الحلوة تحت لواء الملك، في أرض المشاهدة ونصبت أسرة الحلوة بين سرادقات الجمال في حرم الأمن، وأنتظم حال العشق[5] وأجتمع المحب مع المحبوب، ودارت كؤوس الشراب في أقداح الأفراح، وعطر الوقت وسعد البخت وأرتفع المقت وتجلت أسرار غيب القدم من بين أكناف مسالك أوصاف الأزل،

---

[4] م: بقومه.

[5] م: البصر.

[6] م: الشر.

[7] ق: القرب.

[1] م: الوله.

يالها من مسالك دقت فظل الوهم دهشاً عن معرفة كيفيتها ومعان رقت، فضاقت هواجس[1] الفكر، عن علم ماهيتها[2] فهي كالبرق لامعة لحدق الخواطر، من سحب الأبد وكالشموس طالة من مدارات بروج الحال، وتالله لقد تألقت البرق عند بروزها وميضاً وغموضاً، وخجلت[3] الشموس عند ظهورها تلويحاً وتعريضاً، حين أسفرت يداً لارادة لأبصار خطابها عن جبين جمالها نقاب الحجاب، ونصصتها مواشط الأزل على سرير الأستجلاء على أستهزاز عشاق الطلاب، وأظهرها اللوح النوراني[4] من أقاصي مكامنها وأدانها، وكشف الوصف الوحداني نعوت[5] معانيها ومعاليها، وغامرت لحظات جمالها صبابات التواقين والمشتاقين، وغازلت نظرات سبحاتها حيرة الشاخصين العارفين، فلما قدموا لنظر جلائها وحضروا لمشاهدة بهائها، أهتز تاج جمالها في مجلس كمالها، فنثر على رؤوسهم جواهر[6] القبول، ودرر الرضوان ثم توارت[7] بأستار العزة، ورداء الكبرياء وأزار العظمة، فقطعت القلوب وجداً وأشتياقاً، وهامت الأرواح عطشاً وأحتراقاً وتمايلت أغصان العزام تغازل نسائهم الوجد، وتناثرت

---

(٢) ق: ظنون.

(٣) م: كنهها.

(٤) ق: أستحت.

(٥) م:النوري.

(٦) م:أوصاف.

(٧) ق:درر.

(٨) ق:تخفت.

أوراق الصبر تشكو قلق الفراق، يا ركائب الأرواح جدي في طلب هذه المنازل[١]، ونجائب القلوب أسرعي الى نبل هذه الدرجات (وقُل أعملوا فسيرى اللهُ عملكم ورسولهُ والمؤمنون)[٢].

قال عن هجر المحبوب

نار يضرمها مالك[٣]، جهم الوجد وفقد[٤] المطلوب، صواعق ترسل من غمام الغرام على البعد وتواري المشهود، فصل تذبل فيه أغصان الوصل في حدائق الأتصال، وأستتار المتجلي سيف[٥] سلّه المحبوب، من غمد الدلال بيد الملال وغيبة الحاضر شرر يقدحه زند الحب، في حرائق فؤاد الصب وأعراض[٦] الحبيب غصة يتجرعها المحب، من يد المحب في كاسات الضد بلذة أحلى من الشدو، تنائي القريب عذاب يذيب القلوب، يتوقد لهيب النوى[٧] سكري بنشوة العتب، بأحاديث أشهى للنفوس من المني، وتجافي الأليف صولة تصرع أعطاف الأرواح، بشدة وطأة سلطان الهيمان، في قيعان براري الهوى وكثبان الحجب، عن المنى وعرائس الفتح جواهر

---

[١] م:الدرجات.

[٢] سورة التوبة:الأية١٠٥.

[٣] مالك:هو خازن النار. ينظر:الطبري،جامع البيان،ج٩،ص٤٥.

[٤] ق:ضاع.

[٥] ق:سلاح.

[٦] ق:فراق.

[٧] ق:البعد.

معان نضدها ناظم القدم، ورياض[1] الكشف حدائق بيان أنبت أعطاف الحكم، والشوق ستور مسدلة على جمال ووجوه عرائس الغيوب، والمحبة شموس لاتشرق أشعة أنوارها من الأعلى شرف مدائن القلوب والمشاهدة سلاف راح يطوف بها سقاة الأزل، على ندماء[2] الأرواح في أقداح الخطاب، في مجلس الوصل عند سدرة منتهى الأمل، فوق غاية العارفين تحت ظلال جلال القدم، قدام وفود ركائب أرباب العشق[3]، خلف حادي مطايا جناب القرب، عن عين ساق حمياً جمال رب الحي، يا أرباب الوله في معاني كمال صفات الأله في معاني صفات الأله[4] العظيم، قوموا يا أصحاب الصدق في عشق الحبيب القريب، أنهضوا الى هذا الوصال فكل ملذذ بسماع نغمة من منتشد النغمة، أو مضطرب بأصوات حادي الى نادي هذا العز البادي، فأنما ذلك محرك[5] من القدر يذكر روحه حلاوة النظر، من مجلس وأخذ ربك أو يدفن سره، الى لذة سماع ما بقى من مسموعة، في حضرة الست بربكم عند تجريد الأرواح، عن صور الأشباح ويفردها بنعت توحدها في العالم النوري، فأن وجدت مشام روحك روح الأنس[1]

---

[8] م: روضة.

[9] ق: جلساء.

[10] م: الغرام.

[1] ق: الرب.

[2] ق: مسير.

[3] م: الأنسان.

يهب عليها من رياض ربيع الكرم، عند ذكر الحبيب الأعظم، فذلك وارد من جناب الأبد، يذكرك الزام شرط بيعة المحبة، تحركات شمائل محاسن العهد القديم، فأضطرمت في سويداء القلب نار أسف المهجور، لوحشة الأنقطاع وتوقدت في صميم السر، جمرة حرقة المحبوب بفرقة الأحباب، نادى لسان هيمان وجد فاقد الأحبة.

قال في كل معراج

قال رضي الله عنه: كل معراج فإلى باب أسمه أنتهاؤه وكل سلم للصعود فبأسمه عروجه تجلى في أسمائه[1] فظهر التجلي في أفعاله فأشرق كل مكون بأشراق التجلي وفصلت شواهدي التفصيل في الوجدين وظهر تباين حكم العدل في العالمين[2] فبرزت الأسماء وأفترقت الصفات وأختلفت اللغات[3] وتقابلت الأفعال وتنوعت الأنواع وتجانست الأجناس فكل بقهر العدل معتدل وكل يوحده بما ظهر فيه من التجلي ويشير اليه بما أبطن فيه من أسرار أسمائه يعرفه بما تعلق به عمله في أزله من أيجاده بين العوالم لولا أنيس رحمته مأخوذ عن حسه في معرفته لولا درك الحيرة أظهر شدة[1] بطشه في تجليات أسمائه للجبال فسكنت وللبحار فأضطربت وللنيران فأضطرمت

---

(٤) ق:صفاته.

(٥) ق:العالم.

(٦) م:الألسن.

(٧) ق:قوة.

فالذي به سكن حرك وأظهرت العرش أنوار أسمه العلي فأنتشات ملائكته أنتشاء من سبا تلك الحضرة فلكل منهم ولكل روح نفس من أرواحهم ولك ذكر من أذكارهم روح وكل منهم أذهلته عظمة من تجليه في أسمائه فأنفلت ذواتهم بتلك الأسماء[1] فهم ذاكرون من الذهول وذاهلون من الذكر فذكرهم من حيث الأسم أنت الله، ومن حيث الذهول هو الله، ومن حيث العظمة التجلي الله تعالى، ومن حيث الستر سبحانك، فهيم الصافون، وزجل الروحانيون، وسبح المقربون، أشرقت أنواره في كل موجود أشراقاً أظهر منه سر وجوده بشهوده، فأعترفت[2] به له أعتراف عبودية وقهر، فالأذكار حمامة المحمولين ومسكنة الساكنين وجاذبة الى ما وارته سرادقاً في الجلال من مضمون الأسماء وبديع الصفات فتقلبت[3] أسرار العارفين في أطوار معارف أسمائه تقلباً يشهدون به في دارة وجوههم أوجدته ذوات وجودي الملك والملكوت، حتى عاينوا سريان سر قدره في عالم المعلومات، فلم يبقى معلوم إلا وأبدى سر دقيقة منه مجذوبة بيد كمال ونور، فتصرفوا في المهج بمهجات المحبة، وأغمسوا في بحر نور هيبته فخرجوا وفي وجوههم شعاعات هيبة تخلف أبصار الناظرين من الجن والأنس وقوبلوا بنور أسمائه مقابلة ملات وجودهم من ودودهم سر ما كتبه[1] لهم قلم التقدير من كل مستودع في مستقر، ومستقر

---

[1] ق:الصفاة.

[2] ق:فأقرت.

[3] م:فتغيرت.

[4] م:سطره.

في مستودع، فلم يخف عنهم ما غاب عليهم فنظروا أنفسهم به ونظروا ما سواه بنور أسمه، ورأوا الكمال المطلق ومشوا بما أشهدهم في أفاق[1] الملكوت، وكشفوا معنى كلمة التكوين فأنفعل لهم كل مكون أنفعال تلك الكلمة بأذنه.

يا من أظهر كبريائه ومجده في أسألك بالصفات[2] التي لايعلوها موجود محدث الأمس بمقابلات[3] سر القدر أنساً يمحوا أثار وحشة الفكر حتى يطيب وقتي بك فأطيب بوقتي لك.

قال في مقامات العارفين

قال رضي الله عنه: في مقامات العارفين على سبعة أصول تعلم أداب[4] الحضرة أقتداءً والعجز عن الأدراك أرتقاء والتوجه للعارف أهتداء وأتخاذ الجوع وصالاً وأنفصال الأرواح عند المناجاة[5] حالاً والوقوف مقام باباً من أبواب مواهبه فيفتح من تعلمه أداب الحضرة أقتداء باب البسط وهو أن يبسط الله له في الملك والملكوت والجبروت بساطاً من مواهب رحمته ولطائف

---

(٥) م:وسع.

(١) ق:الأسماء.

(٢) م:بمجادلات.

(٣) م:أدب.

(٤) ق:الدعاء.

منته[1] ، فهو في بساط الملك بالعلم والجسم وفي بساط الجبروت بالحال والقلب وفي بساط الملكوت بالروح والسر فتظهر[2] له أسرار المقامات وحقائق الأحوال مع أنتقاء الغيب جهراً والفناء عن الألتفات سراً والخاطبة بالجواب أمر أتحدت أرواحهم لنسيم القرب فلاتؤلف إلا بسببها وهذا هو سر العرفان المتولد عن التقوى[3] وهو أول حقائق العارفين[4] في أول مشاهدتهم ومبادئ منازلهم ومن أداب المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحضرة لما سلم الله تعالى عليه ليلة المعراج[5] في قاب قوسين وقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته لم يرد السلام والرحمة والبركة ثلاث مراتب كان من سواه على ثلاث مراتب الصديقين[6] والشهداء والصالحين فالصديقون للسلام والشهداء للرحمة والصالحون للبركة وواردات المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في أفعال الحق على ثلاثة أقسام في ثلاثة مواطن:

الأول: رحمتي سبقت غضبي فوجب بهذا الوصف السلام

والثاني: هذه الى الجنة وهذه الى النار[1] فوجب بهذا الوصف الرحمة

---

[5] ق: كرمه وجوده.

[6] ق: فتجلى.

[7] ق: اليقين.

[8] م: السالكين.

[9] ق: الأسراء.

[1] ق: الصادقين.

[2] م: سقر.

والثالث: لمن الملك اليوم وهذا الوصف في مقابلة ظهور البركة فمن سبقت رحمته في أفعاله غضبه فقد تأدب بأول تلقيه وله السلام وكان من الصديقين[١] الجالسين على بساط الجبروت ومن قدّم رضاء ربّه على هوى نفسه فقد تأدب بالتلقي الثاني وله الرحمة وكان من الشهداء الجالسين[٢] على بساط الملكوت ومن لم يخش إلا الله عزوجل علماً بان لاضار ولانافع سواه فقد تأدب بالتلقي الثلث وله البركة وكان من الصالحين الجالسين على بساط الملك وأقتفاء كل من نزل[٣] مقاما من هذه المقامات الثلاث لأداب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسب تلقيه من أداب هذه المحاضر الربانية الثلاثة لأن هذه المقامات أنما نشأت وظهرت من بركة أشارته (صلى الله عليه وآله وسلم) لأهل التمكين[٤] من أمته ويفتح له في العجز عن الأدراك أرتق باب التمكين وهو أن الله تعالى يحقق له أنوار الغيبة في الحضور وأسرار الحضور في الغيبة فهو مع الله تعالى في مشاهدة الأنوار في الغيبة مع التجلي في ملاحظة الأسرار[١] في الحضور حكم الجملة على صراط الكتاب والسنة وهذا الذي ينبغي الأقتداء بطريقته والأهتداء بحقيقته فأذا كان حاضراً أشرقت عليه شموس العبارات من حقائق الأيات وأذا كان غائباً أخفته رموز

---

[٣] ق: الصادقين.

[٤] ناقصة في (م).

[٥] ق: قعد.

[٦] ق: المكنة.

[٧] ق: السر.

الأشارات مع بقائه بالأبد وفنائه بالأنوال معناه بقائه بالعلم وفاؤه بالمعلوم ويفتح له في التوجه للمعارف أهتداء[1] باب الفكر وهو أن يتضائل بالملك والملكوت وعوالمهما في فسيح أنوار فكرته وهم الذين خرجوا من رق الأكوان في الأزل ففهموا أسرار التسخير[2] على الجملة والتفصيل وقبلوا الشائع كشفاً وتحققوا الملكوتيات أدراكاً ويظهر عليهم من تحية[3] الله تعالى في عالم أرواحهم ما يقع أثره في أرواح المؤمنين فينموا أيمانهم وترقى مقاماتهم فترجع الأعمال اليهم أضطراراً[4] ويتركون الأكوان أختيار ويفتح له في أتخاذ الجوع وصالاً باب القوة الملكوتية والحقيقة الروحانية وهو أستيلاء أنوار الصمدية على ذات وجوده فتحرق[5] بأنوارها ظلم الأجسام فلا ترجع اليه حاسة الطبع الجسماني إلا بعد عدد الأسماء أياماً وذلك مما يعلمه المحققون[1] وهذه مبادئ القوم في الجوع وأمانها يتهم فيه بأن تخرق أجسامهم حجب الغيوب وتفجر أنوارهم ينابيع الحكم ومن خزائن القلوب وطعامهم كلام الله تعالى وشرابهم سنة الرسول[2] (صلى الله عليه وآله

---

[1] ق:هدي.

[2] م:العمل.

[3] ق:حب.

[4] م:مضطر.

[5] م:ملتهب.

[6] ق:العاملون.

[7] م:المصطفى.

وسلم) وغذائهم من طعام الفضل في مقر[1] الأمن وريهم سلسبيل القرب المختوم بختام الأنس ويفتح له في أنفصال الأرواح عند المناجاة حالاً باب الأسترواح وهو المعبر عنه بالنفس والروح وهو طيب الوقت بصفاء السر وأستنشاق نسيم القرب[2] من حضرة الوصال وهذا الذي صلاته دائمة الوجود ومناجاته سرمدية الشهود فكل زمن منه صلة وكل نفس منه مناجاة وكل لحظة[3] منه شهود وكل حركة منه أسترواح وهذا يرزقه الله تعالى التمكين في عالم الأرواح فينفصل حركة منه أسترواح وهذا يرزقه الله تعالى التمكين في عالم الأرواح فينفصل بالأستغراق في طلب الفناء متى أراد ويتصل بعالم الصحوة[4] والحس متى أراد ففي العرش سر تمكينهم كم أن في الكرسي سر تلوينهم مع حفظ القالب حساً وظهور النور حكماً وشهود[5] الحق جمعاً ويفتح له في الوقوف مع التوحيد وضعا باب العناية الربانية وهو أن يشبته الله تعالى في مبدأ أرادته وحقيقة أجابته وأول فطرته فهو في العلم يسمع من الله تعالى وفي الأفعال يشهد الفاعل عزوجل وفي الفطرة يوحد الله تعالى بما وعد به نفسه على تمام كمال[1] صفاته التي أودعها في حقائق

---

(8) م:مكمن.

(9) ق:الود.

(10) ق:بارقة.

(1) ق:الوجد.

(2) ق:جنود.

(3) ق:جمال.

أسمائه فهذا هو الذي جاءه الرسول ليذكره في عالم الأنسانية مبدأ أمره في مبدأ فطرته كما أتى غيره ليعلمه حقائق أنسانية لأن له (صلى الله عليه وآله وسلم) الكمال الأوفر بشير الأهل القبضة اليمنى نذير[١] الأهل القبضة اليسرى وحقيقة الوقوف مع التوحيد وضعا طمس البصائر عن التواني وخرق الحجاب[٢] وكسر[٣] الأواني وشهود ما تجلى في السبع المثاني ويفتح له في ذكره سورة الأخلاص باب التجلي وهو أن تجلى له الحق تعالى في الموجودات فيوحد الله تعالى بحركته عدد من وحده وبسكونه عدد من لم يوحده وأن كانت الخلائق[٤] كلها موحدة الله تعالى فهو يوحد الله تعالى بجهر من وحده وبسر من لم يوحده فهو سر قطب التوحيد وباطن التفريد ولطيفة التجريد فهؤلاء قوم شاهد وأنجلى الحق[٥] سبحانه في أطوار التوحيد بكل لسان وكل لغة فيأنسون بالجمادات لسر أذكارها ويسمعون نطقها في عالم أسرارها فأذا أسمعوا كلام الله العظيم فاضت عليهم أنوار التعظيم[١] فيعقبهم الوحيد إيناساً وأذا تكلموا فاضت عليهم أنوار التعظيم فيعقبهم الصمت أدباً وأذا تحركوا بالفعل فاضت عليهم أنوار التعظيم فيعقبهم الوقوف على

---

[٤] م: منذر.

[٢] الحجاب: ويعني الستر أي لايعرف حال العبد الصالح فهو مستور لكنه معروف عند الله تعالى. ينظر: الطوسي، السراج، المصدر السابق، ص٤٢٨.

[٦] م: تحطيم.

[٧] م: المخلوقات.

[٨] ق: الرب.

[١] م: التفخيم.

حدهم أستحقار وأذا أستغرقوا في الحال فاضت عليهم أنوار التعظيم فيعقبهم لزوم الثبات على الشرع[1] فيريهم مولاهم بهذه الأختصاصات حقائق ما لهم في اليوم الأخر ويبسط لهم نور الكشف في طبقات الأكوان فينكشف[2] لهم ما في اللوح المحفوظ ويشهدون بسر العناية الأزلية مواضيع أهل الدارين وما أعد الله لكل في ماله ويسمعون داعياً[3] من قلوبهم ومخاطباً من أسرارهم فما الداعي الذي قلوبهم فينطق لهم عن حقائق الأرواح في الدارين فتنكشف لهم حقيقة أحوالهم من النعيم والعذاب في البرزخ وهم على قسمين قوم كملوا المقام فرأوا ذلك كشفاً وقوم لم يكملوا المقام فبرز لهم ذلك من وراء أستار الأشارات وأما المخاطب الذي من أسرارهم فينطق لهم بمظاهر لطائف[4] الأسرار في التوحيد برزت لهم القدرة لأستحكام أنوار التوحيد على مقامه وأذا نظر اليهم بعين العلم تراءت لهم الأدارة ببطون القدر لتفرقة العلم وجمع التوحيد وهذا الذي يخرق بواطن الخلق بأنوار المكاشفات فينجلي له ما أودع فيها من أسرار التصريف وهذا ينتفع به أهل الخلوات[1] وأرباب الرياضات ويزن أصحاب الرسوخ بقسطاس الحقيقة على بساط الكشف قد أمد الله بالقوة الملكوتية في أخراق أحوال الواصلين يختلف الى

---

[2] م:الدين.

[3] م:فينجلي.

[4] ق:منادياً .

[5] م: سر.

[6] ق:الصلوات.

زوايا بواطن[١] السالكين في كل نقائص الناقص ويرجع حال الصادق ويظهر على نسبة حال الرائي فتارة في الخيال لضعف المريد وتارة في الحسن لتمكن السلوك وتارة يخاطب المريد من زواياه وتارة يخاطبه من لطائف أسراره فيمد أرباب الأحوال بلطائف البواطن أي مد أصحاب الأعمال بشرائف الأذكار وله القوة في التصريف وربما قرب الى البواطن بمعاني القرب[٢] وربما بعد من الكشف بقرائن الأحوال في طور القربة .

قال في الذكر

وقال رضي الله عنه في الذكر : أعذب مورد وردته عطاش العقول مورد الذكر والتوحيد وأطيب نسيم هب على مشام القلوب نسيم الأنس بالله عزوجل التلذذ بحلاوة[٣] مناجاة الله كؤوس راحات الأرواح وذكر الله تعالى جلاء رمد عيون العقول ودرر حمد الله لايرصع بها التيجان مفارق الأسرار ومسك شكره لا يفتق إلا في جيوب ثياب الأرواح وورد الثناء عليه لايطلع إلا على شجر ألسن عباده[١] المؤمنين إن ذكرت ربك بالسن حسن صنعة فتح أقفال قلبك

---

[٧] ق:مدارج.

[١] م:الوصل.

[٢] م:بطلاوة.

[٣] ناقصة في (م) .

وإن ذكرته بألسن لطائف أسرار أمره فأنت ذاكر على الحقيقة وإن ذكرته بقلبك قربك من جناب[1] الرحمة وإن ذكرته بسرك أدناك من مواطن القدس وإن صدقته في حبه حملك بجناح لطفه الى مقعد صدق ماعرف قدر جلاله من فتر لحظة عن ذكره ولاحظ أزلية وحدانيته من ألتفت بعين سره الى غيره الذكر روح جناب الرحمة يهب نسيمه على مشام أرواح الذاكرين فتهز من نشواته أعطاف الأرواح في أقفاص الأشباح فتقوم العقول راقصةً في بساتين[2] الصور وتخرج الأسرار هائمة في براري[3] الوجد وتنطق بلابل السكر بما في خبايا الضمائر ويحترق المحب بنيران التلهف ويغيب المشتاق عن نظر ذاته لشدة التأسف[4] ويقول لسان الواجد طرباً بقرب الوجداني لأجد ريح يوسف فتبرز مواشط القدم تجلو عرائس صفات المحبوب على أعين الألباب[1] في قصور الأفكار تحت قباب الأسرار ثم تجلل عليها بجلال ستور الغيبة فتحجبت برداء العظمة فرمدت عيون البصائر من حريس العشق وسقطت قوادم شوقها لطول سفرها في هجير براري الهجرة فأرسل اليها سفير الكرم[2] طبيب القدر رمدها بكحل بسم الله الرحمن

---

[4] م:جنابات.

[5] م:حدائق.

[6] ق:صحاري.

[7] م:الألم.

[8] م:العقول.

[1] ق:الجود.

الرحيم فلما طلعت طلائع هذا الأسم في جبروت الجلال وسطعت سطو العز تحت خفاقات البنود الكبرياء بهتت عيون العقول ودهشت نواظر الأفهام ووقعت أطيار الأفكار وطمست سطور[1] الكتابات الكائنات وقال لسان هيبة الأحدية وخشعت الأصوات فتزلزلت جبال عصم الألباب ودكت ببهاء نور تجلي أرض نعوت[2] البشرية ونصت أجنحة الأرواح فلا مطر لها في فضاء علم التفريد وتيمت القلوب بأشواق عشقه وهامت الأسرار بوله حبه وتبلبلت الأفكار في براري بعده وقربه فحكمه مبثوثة في كل ذات وآثار صنعة لائحة في كل مصنوع وعجائب قدرته ظاهرة في كل كائن وبراهين وحدانيته قائمة على كل موجود وأنوار أقداره[3] باهرة لعين كل عقل والسن حسن صنعه تخاطب أهل الوجود بأشارات شواهد الهيبة قابل مرايا العقول بأشخاص بيان عجائبه[1] وجلي على عيوب قلوب عباده عرائس أسرار الغيب، ذلكم الله ربكم له الملك، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير.

---

[2] م:حروف.

[3] م:صفات.

[4] م:قضائه.

[5] ق:غرائبه.

فصل

قال في الشريعة المطهرة

قال رضي الله عنه في الشريعة المطهرة: الأيمان طائر غيبي ينزل من أفق يختص برحمته من يشاء يسقط على شجرة قلب العبد يترنم له لذيذ لحون يبشرهم ربّهم بطير من قفص صدر صاحبه؛ الى مقعد صدق الشريعة المطهرة المحمدية[١]، ثمرة شجرة الملة الأسلامية، شمس أضاءت بنورها ظلمة الكون أتباع شرعه يعطي سعادة الدارين، أحذر أن تخرج من دائرته، إياك أن تفارق أجماع أهله في قلب صاحب الشرع الأعظم ودائع بدائع[٢] الحكمة في أسرار صاحب الناموس الأكبر، جواهر خزائن الغيب، أجعل قبول أمره طريقك الى الله تعالى، صيّر كعبة

---

[١] ق: النبوة.

[٢] م: روائع.

عقلك[١] مهبط أملاك كلمات أحكامه، من ماء غمام أقوالهُ تشرب عطاش الأرواح في عيون حياة بألفاظه، يغتسل خطر العقول[٢]، نادى منادي الأرواح الكامنة في القوالب أثار ساكن عزمها الى العلي، طارت بأجنحة الغرام في فضاء المحبة، وقعت بعد التعب[٣] على أغصان الشوق، وتناغت في السحر بلابلها بمطربات الحان الحنين الى جمال وأشهدهم أزعجها هبوب نسيم الغرام[٤] الى أعادة لذاذة الست بربكم، خرجت بعض تلك الطيور من أقفاص الصدور تتلمح أثراً من مطارها القديم تستنشق نسمةً[٥] من مهب التكليم، تتذكر عيشها في ظل أثل الوصل، تشكو جواها بعد بعاد الأحباب، فسمعت داعي الله بلسان أنسان عين الوجود، أنتقش دعاؤه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في صفحات[١] الواح الأرواح، صارت دعوته ريحاً تهز أغصان أشجار القلوب، أضطربت فرسان العقول في ميادين الصور غراماً[٢] بما سمعت، أهتزت الألباب بأيدي الوجد طرباً بذلك العهد، صار عيشها لهُ سراً من أسرار القدم،

---

[٣] م:قلبك.

[٤] م:القبول.

[٥] م:النصب.

[٦] ق:الملام.

[٧] ق:همسة.

[٨] م:أوراق.

[١] ق:مداماً.

وأصبح ولهها به لطيفة لطائف القدر[1]، أذا أشرقت على النفوس الحرية أنوار الغيب حفظت الأسرار، وأرتفعت الحجب الظاهرة من عيون بصائرها، لاحظت جمال صاحب الكون شاهدته بصفاء مرايا الأسرار، كعبة كل عارف موضع نظرات الحق منه أقرب الطرق الى الله تعالى لزوم قانون[2] العبودية، والأستمساك بعروة الشريعة الأسلامية، والأستقامة على جادة التقوى، أُنسك بالله عزوجل على قدر وحشتك من غيره، ثقتك به على قدر معرفتك[3] به، الكدر في الأعمال نوع من الحرمان، الأنغماس في طلب الدنيا يثني العقل عن طلب الله عزوجل، الرياء في المطالب كسوف في شموس الطلب، والنفاق في المقاصد خدش[4] في وجوه القصد، عدم المطلوب عذاب القلوب، فرقة الأحباب عذاب العقول، علائق زهد الدنيا حجاب يمنع من الوصول الى الملكوت العلى، أقبالك على الله عزوجل بوجه عبادتك[1] في الدنيا سبب أقباله عليك بوجه الرحمة، لوبلغ طفل عقلك الأشد في حجر التأديب ما ألتفت الى الدنيا، لكن هو بعد في مهد شغلتنا أموالنا وأهلون، الأرواح الطاهرة قناديل هياكل الأجساد، العقول الصافية ملوك

---

[2] ق:الأقدار.

[3] ق:أحكام.

[4] م:علمك.

[5] م:جرح.

[6] ق:أعمالك.

قصور الصور، ياغلام أفتح عين عقلك[1] لتلقي عرائس الأزل، وأنتشق بمشيم روحك هبوب نسيم لطائف القدر، إن الله تعالى وضع تماثيل الوجود على ساحل بحر الدنيا لأمتحان عيون[2] أهل البصيرة، وتسلم من الألتفات الى زخرفها أطفال أرواح أقيمت في مهود الثبات، وربيت في حجور العصمة، وأرخيت عليها أكناف أيات الأمر، ولو كوشفت بلطائف مخبئات[3] القدر، وجليت عليها عرائس الغيب وردت الى كهف الكرم بلبل أسرار العارفين هيم أفكار الوالهين، زلزل جبال عصم العقول[4]، أطلع على مخبئات الأسرار يا أرواح المؤمنين طيري اليه بأجنحة الشوق وصدق العشق، أطوي في صدق قصدك اليل أذيال بسط البسيطة، أصبري حول شمعة طلبه فراشاً يتهافت حول النور، حومي حول حماه بقوادم أقدام الوله، أطلبي منه ما طلب آدم (صلى الله عليه وسلم)، قالا: (ربنا ظلمنا أنفسنا وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)[1].

ومما جمعت من كلامه في التنزيه

---

[7] م:قلبك.

[8] م:قلوب.

[1] م:خبايا.

[2] ق:المعقول.

[1] سورة ص:الأية ١٠٧.

قال رضي الله عنه في التنزيه: ربنا الله القريب في علوه المتعالي في دنوه باري الخلق بقدرته ومقدر الأمور بحكمته والمحيط بكل شيء بعلمه تمت كلمته وعمت رحمته[1] لاأله إلا هو وكذب بعده من أدعى له نداً أو أعتقد له شبهاً أو سيماً سبحان الله عدد خلقه وزنة عرشه ورضاء نفسه ومداد كلماته ومنتهى علمه وجميع[2] ماشاء وخلق وذرأ وعالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الملك القدوس العزيز الحكيم واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لاشبيه له ولانظير ولاعون ولاظهير ولاشريك ولاوزير ولاند ولامشير ليس بجسم فيمس ولاجوهر فيحس ولاعرض فينتفي ولاذي تركيب في بعض ولاذي اله فيمثل تأليف[3] فيكيف ولاذي ماهية مخيلة فيحدد[4] ولاطبيعة من الطباع ولاطالع من الطوالع ولاظلمة تظهر ولانور يزهر أحاط بالأشياء علماً من غير ممازجة[1] شاهد لها أطلاعات غير مماسة قاهر حاكم قادر راحم غافر سائر خالق فاطر فرد معبود حي لايموت أزلي لايفوت أبدي الملكوت سرمدي الجبروت قيوم[2] لاينام عزيز لايضام منيع لايرام له الأسماء

---

(٤) م:بركته.

(٥) ق:كل.

(٦) م:تصنيف.

(٧) م:فيسدد .

(٨) ق:بمازحة.

(١) م:حي.

الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى والمجد الأبقى لاتصوره الأوهام ولاتقدره الأفهام ولايدركه[1] بالقياس ولايمثل الناس ولاتكفيه العقول ولاتحده الأذهان جل ان يشبه بما صنعه أو يضاف الى ما أخترعه محصى[2] الأنفاس قائم على كل نفس بما كسبت لقد أحصناهم وعدهم كلهم أتيه يوم القيامة فرداً يطعم ولايطعم يَرزُق ولايُرزَق يجير ولايجار عليه خلق ما أبتدع لأجتلاب نفع ولا لدفع ضر ولا لداع دعاه ولا لفكر حدث له بل أرادة مجردة عن تغيرات الحدثان[3] فهو المنفرد بالقدرة على أختراع الأعيان[4] وكشف الضر وأزالة البلوى وتقليب أعيان وتغير الأحوال يسوق ماقدر الى ما وقت لامعين له في تدبير ملكه حي بحياة غير مكتسبة ولا مسبوقة عالم بعلم غير محدث ولامحجوب ولامتناه قادر بقدرة غير محورة مدبر[1] بأرادة لامحدثة ولامتناقضة حفيظ لاينسى قيوم لايسهو رقيب لايغفل يقبض ويبسط يرضى ويغضب يغفر ويرحم أوجد وأعدم فأستحق أن يقال له قادر أراح علل مخلوقاته وأبداها كاملة الوصف فأستحق أن يقال له رب أجرى أفعال عباده على مقتضى[2] مراده منهم فأستحق أن يقال له

---

(٢) ق:ولايعرف.

(٣) م:معد .

(٤) ق:الزمان . وعند الصوفية هو تبدل الزمان وتغيره،وهو دلالة على إرادة الخالق عزوجل . ينظر:الطوسي،السراج،المصدر السابق،ص٤١٨ .

(٥) ق:الأنسان.

(٦) ق:مصير.

(٧) ق:مرام.

لايتجدد له علم ينبفي علمه في القدم فأستحق أن يقال له عالم على الحقيقة لا تشابه ذاته ولا صفاته ذات ولا صفات فوجب[1] أن يقال له ليس كمثله شيء قائم فقيامه بديمومة أزله كل كل حي فحياته مستفادة بأمره أن ضرب العقل لعزته مثلاً أو جال العلم في جلاله جدلاً وقف الفهم مذهولاً ودهش الفكر[2] كللاً ولاح التعظيم جللاً ولم يجد للتنزيه بدلاً ولا عن التوحيد حولاً وجاءت جيوش التقديس قبلاً تسلك سبل التفريد للأحجب الألباب برداء كبريائه عن معرفة كنه[3] ذاته جسر الأبصار بنور بقائه عن أدراك حقيقة أحديته فأن نهضت غايات علوم الخلائق تقف وخبراً أو شخصت نهايات معارف المالك تتلمح[4] أثراً تألق لها باق من الأزل مبرقعاً بنقاب الكل عن نقائض التشبيه فلم تستطع مجاورة سناه ومحقت مداركها وأنفعالات قواها في أتصال أوصاف القدم بنعوت إلا بأتصالاً لم يزل غير مسبوق[1] بأنفصال ولا صائر الى أنفصال وبدت من جناب القدس الأشرف هيبة تميت العلل وأنفراد يمنع التعدد ووجود يحيل الحد وجلال ينفي الكيف وكمال يسقط المثل ووصف يوجب الوحدة وقدرة تبسط الملك ومجد

---

(٨) ق:فحق.

(١) ق:العقل.

(٢) م:ذات.

(٣) م:تتجلى.

(٤) ق:ملحوق.

يستنفذ المحامد وعلم محيط بما في السموات والأرض وما بينهما وتحت الثرى وما في قعر[1] البحار ومنبت كل شعرة وشجرة ومسقط كل ورقة وعدد الحصى والرمال ومثاقيل الجبال ومكاييل البحار وأعمال العباد وآثارهم وأنفاسهم وهو باين من خلقه ولايخلو مكان من علمه فرجعت[2] ليس لها علم سوى التصدق بأحديته والأقرار أن لاأول لقدم أزليته ولاآخر لبقاء أبديته ولاكيف ولامثل يدخلان في صمديته[3] تعرف الى خلقه بصفات ليوحدوه ويثبتوا وجوده فالأيمان يثبتها بعلم اليقين تصديقاً والأطلاع على علم حقيقتها غيب لامجال للعقل[4] في أدراكه وكلما حكاه الوهم أو جلاه الفهم أو تخيله العقل أو تصوره الذهن فعظمة الله وجلاله وكبريائه بخلاف ذلك هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

---

[5] م:قاع .

[6] م: رجعت .

[7] م:سرمديته . وتعني أيضاً هو الباقي الذي لايزول وقيل الدائم الذي لايطعم والذي يصمد اليه في الحوائج ويقصد اليه على الدوام بالأحتياج اليه فالكل مفتقر اليه وهو لايفتقر لأحد . ينظر: الجيلاني،عبد القادر،الغنية،ج٢،ص٧٣ .

[8] م:الفكر .

قال في الحلاج[1] رضي الله عنه

قال رضي الله عنه: طار طائر عقل بعض العارفين من وكر شجرة صورته وعلا[2] الى السماء خارقاً صفات الملائكة وكان بازٌ من بُزاة الملك محيط[3] العينين بخيط وخلق الأنسان ضعيفاً فلم يجد في السماء مايحاول من الصيد فلما لاحت له فريسة رأيت[4] ربي أزداد تحيره في قول مطلوبه (أينما تولوا فثم وجه الله)[5] عاد هابطاً الى حضيرة خطة الأرض طلب ماهو أعز من وجود النار في قعور البحار تلفت بعين عقله فما شاهد سوى الأثار فكر فلم يجد في الدارين مطلوباً سوى فطرب[6] فقال بلسان سكر قلبه أنا الحق ترنم بلحن غير معهود من البشر صفر في روضة الجود صفير الأبليق ببني أدم لحن صوته لحاً عرضه لحتفه ونودي في سره يا حلاج أعتقدت أن قوتك بك قل الأن نيابة عن جميع[7] العارفين حسب الواحد أفراد الواحد قل يا محمد أنت سلطان الحقيقة أنت أنسان عين الوجود على عتبة باب معرفتك تخضع أعناق العارفين في حي جلالتك توضع جباه الخلائق أجمعين .

---

[1] الحلاج:سبقت ترجمته في ص٣٣ .

[2] م:طار .

[3] ق:مغلق .

[4] ق:شاهدت .

[5] سورة البقرة:الأية١١٩ .

[6] م:فترنم .

[7] ق:كل .

وقال في التفقه

وقال رضي الله عنه: تفقه ثم أعتزل من عبد الله بغير[١] علم كان مايفسده أكثر مما يصلحه خذ معك مصباح شرع ربك من عمل بما يعلم أو ربه الله علم مالم يعلم أقطع الأسباب عنك فارق الأخوان والأقسام، أعطها ظهر قلبك بتزهدك تكلف، أن ربك جلدك حسن أدبك، كن مقاطعاً لمن سواه منفصلاً عن الأغيار والأسباب خائفاً على أنطفأ مصباحك[٢]، أخلص لربك أربعين صباحاً تتفجر ينابيع الحكم من قلبك على لسانك بينما هو كذلك إذ رأى حق عزوجل كما رأى موسى عليه السلام يرى ناراً من شجرة قلبه يقول لنفسه وهواه وشيطانه وطبعه وأسبابه ووجوده: (أمكثوا إني أنست ناراً)[١] ،نودي القلب من السر: أنا ربك، أنا الله فأعبدني ولاتدِن لغيري، لاتتعلق بغيري، أعرفني وأجهل غيري، أتصل بي وأنقطع عن غيري، وأطلبني وأعرض عن غيري الى علمي الى قربي الى ملكي الى سلطاني حتى أذاتم البقاء جرى ماجرى أوحى الى عبده ماأوحى زالت الحجب زالت الكدر سكنت النفس الألطاف جاء الخطاب أذهب الى فرعون ياقلب أرجع الى النفس والهوى والشيطان طوقهم الى ياقوم أتبعون أهدكم سبيل الرشاد أتصل ثم أوصل.

---

[٨] ق:بدون.

[١] م:سراجك.

[١] سورة طه:الأية ١٠.

وقال ما ينبغي للفقير[1] أن يرتديه

وقال (رضي الله عنه) ينبغي للفقير أن يرتدي العفة ويتزين[1] بالقناعة حتى يصل الى الحق عزوجل[2] ويسعى بقدم الصدق طالباً لباب القرب[3] مهر ولا عن الدنيا والأخرة والخلق

---

[1] الفقير: هو المحتاج الى الله تعالى على الحقيقة، يعني أن يشعر الأنسان رغم ماله وجاهه بحاجته وبعجزه وبفقره الى الله تعالى فأذا أحتاج الى غيره لم يعد فقيراً. ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الغنية، ج٣، ص٨٩.

والوجود يحتاج أن يموت الف مرة ويفنى الف مرة تستقبله عناية الحق عزوجل ورأفته ورحمته وشوقه اليه وجذبانه ونظراته ومباهاته ومواكب أرواح النبيين والمرسلين والصديقين والملائكة تصحبه وترقيه[٤] الى الحق عزوجل، ويتفرغ[٥] قلبه ويصفى سره من كل محدث ويدنو الى الحق عزوجل ويقرأ سابقته فيقف على كل سطر وكل كلمة وكل حرف يقف على أوقافه وأزمانه وساعاته ولحظاته ويتيسر له أمره ومايؤول اليه كلما جذب الخوف اليه جذبه القرب منه ثم لايزال ينتقل من شيء حتى يجعل حاجباً بين يديه منفرداً عنده مطلعا على أسراره يعطي خلعه وطبقاً ومنطقة وتاجاً[١] وأشهد الملك على نفسه أن لايغير عليه يوقع له بصحبة دائمة وولاية مستمرة فلايبقى زهد مع المعرفة ياموتى القلوب طلبكم الجنة قيدكم عن الحق سبحانه وتعالى .

قال في يا عباد الله

---

[٤] ق:يتجمل .

[٥] ق:سبحانه وتعالى .

[٦] ق:القرى .

[٧] م:ترقيه .

[٨] م:ويقرع .

[١] م:لباساً .

وقال رضي الله عنه: يا عباد الله يأمر بدين له عليكم بسنة من تقدمكم فهم الأدلاء فهم المفاتيح بأتباعهم تصلون الى ربكم عزوجل تصل اليه قلوبكم وأسراركم ومعانيكم[1] أذا أتبعتم كتابه وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعملتم بهما وأخلصتم في أعمالكم جائتكم يد الرحمة واللطف والمحبة فتدخل قلوبكم عليه وتخبيئكم السابقة وعها ماسبق لكم من علمه في قرب[2] قلوبكم منه فيأخذ بكم ويقفكم بين يديه فترون ما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر أذا وصل العبد الى هذا المقام جاءت الخلع الى قلبه ونزل تاج المملكة على رأسه وخاتم الملك في أصبعه ودرع بدرع التقوى[3] يؤخذ قلب هذا العبد فيغيب عن جميع الخلق فيرى مايرى ويعلم مايعلم ويستكتم مايستكتم ثم يُرد لبى الخلق لخالقهم فأذا رجعا الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه رضي الله عنهم والكتاب[1] عن يمينه والسنة عن يساره وأرواح الأنبياء حوله فحينئذ يقال له أذكر نعمة الله عزوجل عليك .

---

[٢] ق:مرامكم .

[٣] ق:دنو .

[٤] م:اليقين .

[٥] م:القرأن المجيد .

قال في الدنيا

وقال رضي الله عنه: الدنيا قيد عن الأخرة، والأخرة عن رب الدنيا والأخرة لاتأخذهما ولا تشتغل[1] بهما بعد الوصول اليه تصل اليه من حيث قلبك وسرك ومعناك أعرض عن الدنيا وأقبل على الأخرة ثم أعرض عن الأخرة وأقبل على الحق عزوجل فأنهما يمتعانك أتبعهما بالسير خلفك[2] تأتي الدنيا ومعها أقسامك منها تطلبك عند الأخرة فلاتجدك عندها فتقول لها الى أين ذهبت به فتقول ذهبت الى باب الملك وأنا في طلبه[3] أيضاً فيقومان ويسرعان في السير خلفك فيصلان اليك وأنت على باب الملك فتشكو الدنيا حالها الى الملك تشكو كيف تركت وداعئك، وهي الأقسام المقسومة المرتبة بالسابقة، فتأتي الشفاعة منه اليك في حقها وأخذ الأقسام عن يدها، تأتيك الوصية منه بلاأخذ من الدنيا والنظر الى الآخرة، فترجع بها في صحبة[1] الملائكة وأرواح النبيين فيقعد على دكة بين الجنة والنار، بين الدنيا والأخرة، بين الخلق والخالق، بين السبب والمسبب، بين الظاهر والباطن، بين مايعقل ومالايعقل، بين ما يضبط وبين ما لايضبط، بين

---

[1] ق: تعمل.

[2] ق: ورائك.

[3] ق: مراده.

[4] ق: معية.

مايدرك الخلق وما لايدرك الخلق، فتصير لك أربعة وجوه: وجه تنظر به الى الدنيا ووجه تنظر به الى الأخرة ووجه تنظر به الى الخلق ووجه تنظر به الخالق[1] .

قال في الزهد[2]

وقال رضي الله عنه في الزهد :غريب في الدنيا والمعارف غريب في الدنيا والأخرة والزهد زهد في الخلق[3] وما في أيديهم وأخرج حب الدنيا من قلبه،وقعد[4] على بساط التوكل منتظراً لربه عز وجل أما على أيدي الخلق والأسباب أو على يد التكوين فلاجرم[5] هو غريب بين الخلق في الدنيا والعارف زهد في الدنيا كما زهد في الأخرة لاتشغله الدنيا والأخرة عن ربه عزوجل لايسكن الى شيء سواه حتى يقيده عنه فلاجرم[1] يكون غريباً فيهما يد الدنيا مقطوعة عنه وهكذا يد الأخرة معطيان عنه غطى الله عز وجل عنه وجه الدنيا حتى لانفتن سره كشف له الأشياء جميعها[2] الظاهرة والباطنة حتى عرفها عرف ما سواه به وفتح له باب قربه

---

(٥) ق:الحق عزوجل .

(٢) الزهد : وهو الغنى عن الناس والأقبال على الله تعالى،لذلك يرتبط الزهد عند الصوفية بالفقر ،فالفقر هو مايحتاج اليه الأنسان فالزهد كمال الأبرار وكراهية الدنيا وشغل عنها بالآخرة . ينظر :الجيلاني،عبد القادر ،الغنية،ج٣،ص٢٠١ .

(١) ق:الدنيا .

(٢) م:جلس .

(٣) م:ريب .

(٤) ق:ريب .

(٥) ق: كلها .

فرأى جلاله وجمله ورأى قضائه وقدره وملكه وسلطانه رأى كل المخلوقات المصورات المحدثات بين حرفي (كن فيكون)[1] سلوا هذا الملك العظيم[2] الكريم قفوا بقلوبكم على بابه سلوه ولا تبرحوا ان اجابكم او لم يجبكم لا تتهموه في فعله بكم فقد يكون منعه للاجابة في حق هذا العبد السالك القاصد كالفخ يخبيه حتى يصل اليه فأذا وصل اليه قيده[3] عنده ثم يكون بعد ذلك ما يكون بخبية حتى يحجبه عن الخلق يدعوه حتى يدخل فأذا دخل اغلق الباب دونه وقص جناح نفسه وهواه وطبعه واختيا ره وارادته سوء ادبه واخلاقه بقص[4] هذه الاجنحة وينبت له جناحين جديدين ويرده الى الخلق والوجود فيطير بين الدنيا والاخرة بين الخلق والخالق يطير في قضاء ما بين العرش الى الثرى يجيب دعاءه في البداية ويناديه في النهاية يلهمه[1] الدعاء حتى يجيبه ثم يمنعه عنه عن الدعاء والاجابة حتى يناديه بما يريد من غير اختيار منه ولا تحكم كيف يدعوا وقد اغناه عن الدنيا[2] تحصيله في دار الضيافة اذا تمت معرفة هذا العبد وتمكن من القرب اوجده بين الخلق فينجي به قوماً وهكذا الانبياء صلوات الله عليهم رحمة ونقمة والاولياء

---

(1) سورة البقرة:الأية ١١٧ .

(7) ق: الجليل.

(8) ق: سجله.

(9) م: بقطع.

(10) م: يرزقه.

(1) م: الحاجة.

تبع لهم اجابهم وصدقهم فهم له رحمة ومن اعرض عنهم وكذبهم فهم عليه نقمة يأخذون بايدي الذين يحبونهم ويحملونهم الى الحق عز وجل[١] ويدخلونهم الى جنته ما كان جوهرا رفعوه الى خزانة الملك وما كان قشوراً حملوه الى ناره هذا دأب الانبياء والاولياء الى يوم القيامة رفع الاولياء والابدال والصديقين كلما مات منهم واحد اقام بدله[٢] اخر العلم اذا عمل بعلمه وعلمه الخالق فقد صحت ورثته للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) وإذا صحت وراثته له رقي قلبه الى دار قرب ربه عز وجل والملائكة حوله يصير قلبه ملكاً يسير[٣] الى قرب الملك اقبلوا من الرسول اتبعوه في فعله[٤] وقوله حتى اخذ بأيديكم في الدنيا والاخرة ائتموا اليه سيروا على اثره كونوا افرخاً تحت جناحيه .

فصل

قال في معاشر العارفين

---

[٢] ق: سبحانه .

[٣] ق: مكانه .

[٤] م: يمشي .

[٥] ق: عمله .

وقال رضي الله عنه في معاشر العارفين: أسمعوا بأذان العقول كلام ربكم عز وجل وأنصتوا بأسماع الإفهام إلى قول بارئكم[1] سبحانه وتعالى وتدبروا بأفكار القلوب معاني أوامره واجنوا بنحل أرواحكم شهد[2] حكمه من زهر أشجار الشريعة الحمدية وأنظروا بأبصار بصائركم أثار اقتداره في تصاريف أفانين قدره وصفوا إفاضة معين ماء منبع[3] عين العلم من اكدار ظلم نفوسكم طارت نحل الارواح قبل وجود الاشباح من اوكار من فضاء روض التوحد لترعى من زهر اشجار الانس وتأكل من ثمار اغصان[4] المعرفة وتتخذ بيوتاً في مواطن القدس فوق قمم[5] جبال العز، وتسلك سبل الدنو الى ربها في حضرة العلو في مقام قربها وتجبني شراب الحضور بايدي الهمم من الهياكل بهجة حسن الصنعه والفت مساكن البشرية فنسيت مواطنها من القدس الاشرف فاوحى ربك الى نحل الارواح، فاسلكي سبل ربك ذللا، في مسالك الاشباح وكلي من كل ثمرات الشريعة وارعى من ازهار انوار الحقيقة فلما طار طائرها ليرعى حب الحب من حدائق[1] المجاهدة وقع في شرك المحنة ورأى ماء البلاء في غدير الولاء فقال كيف

---

(1) م: خالقكم.

(2) م: عسل.

(3) ناقصة في (ق).

(4) ناقصة في (ق).

(5) ق: اعالي.

(6) م: رياض.

الخلاص روض انيق لكن ثمرة مرمنهل عذب[1] لكن ساحله غريق فناداه حادي مطايا صدق الطلب بلسان النصح يا ارباب الوله في حب معشوق الارواح يا اصحاب الحرق في غاية اماني العارفين ما بينكم وبين مطلوبكم[2] سوى ارتفاع استار الصور ولا يحجبكم شأنه الا حجب الهيا كل فطيروا اليه باجنحة الغرام، وأطلبوا عنده الحياة الابدية، وموتوا عن شهوات إرادتكم، ليحييكم به عنده في مقعد صدق، فالبلاء ريحان أرواح العارفين والعناد نعيم اسرار الواصلين، البلاء والولاء نجمان طلعاً في فلك السعادة[3]، والمحنة والمحبة وردتان لمعتا في غصن القرب، البلاء الأعظم فقد المحبوب، والعزاء الأكبر عدم المطلوب.

معاشر العارفين ما البراءة من الحول والقوة إلا به حقيقة التوحيد، ومحو كل متلوح لعين[1] العقل محض التفريد، وألقاء كل ما في الوجود من يد الطمع عين التجريد قل الله ثم (ذرهم في خوضهم يلعبون)[2] لما نظرت الملائكة الى نحل الأرواح كامنة في مكامن أسرار الغيب ساكنة في ظل أثر الوصل مستقرة في مهد وهد اللطف يهب عليها نسيم سحر القرب ويعبق في ناديها ريحان روح[3]

---

(٧) ق: سائغ.

(٨) م: مرادكم.

(١) م:الأرادة.

(٢) ق:لعيون.

(٢) سورة الأنعام:الأية ٩١.

(٤) م:أرواح.

الأنس ويتألق لها برق نور المعارف ويهز أعطافها نشوات سكر شراب المشاهدة وينادمها حديث مسامرة المخاطبة أريج الملكوت الأعلى يعطر أعجابهم وبهت[1] عيون أشباح النور الى سطوع أنوارهم في أطوارهم فقال القدر يا أصحاب صوامع النور الطائر الى درجة هذا الشرف أنظروا الى طائر من وكر شجرة الشرف الأعظم[2] يقال له أحمد مطاره فضاء جو قاب قوسين بجناح شرفه طاروا الى أوكار هذا العز بنور هدايته، نزلوا على أغصان شجر هذا الوصف بأتباع شرعه أشرق لعيون عقولهم هذا النور بخفارة بركته وصلوا الى هذا المقام هو هدهد يعود من بلاد بلقيس الغيب الى سلمان العقول بنبأ يقين بكتاب لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[1] يقول إذا وردت عليه واردات محبوبه لست كأحدكم يتميز على الأنبياء برتبة أظل عند ربي ترعى نخلة روحه ليلة أسرى زهرة شجرة فأوحى نثر على تاج رأس مجده نثار در لقد رأى من أيات ربه الكبرى في مجلس أو أدنى من أجله نشر رداء بهاء[2] الزمان على مناكب بهجة

---

(٥) م:أنفرجت.

(٦) م:العظيم.

(١) يضمن الجيلاني هنا كلامه بمفردات من قصة سليمان عليه السلام وملكة اليمن بلقيس، وهذا أسلوب جليل قد أتبعه في مقالاته وحواراته مما يجعل لكلامه نكهة صوفية خالصة وأسلوب معين به. ينظر: المهداوي،إيمان كمال مصطفى،المصدر السابق،ص١٢٢.

(٢) م:جمال.

المكان لله در عبد لايجعل بين أذن سره سماع هذا الكلام حجاباً من غفلة طبعه وعمل بقوله تعالى تذكروا (فإذا هم مبصرون)[1] .

كان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه في بغداد فجاءه المقتفي لأمر الله[2] وسلم عليه وأستوصاه ووضع بين يديه مالا في عشرة اكياس[3] يحملها عشرة من الخدم فقال لا حاجة لي فيها فابى ان يقبلها والح عليه فاخذ كيساً[4] منها في يمينه واخر في يساره وعصرها بيده فسالا دماً فقال يا ابا المظفر اما تستحي من الله تعالى ان تأخذ دماء الناس وتقابلني بها فغشى عليه فقال الشيخ وعزة المعبود لولا حرمة تاله برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لتركت الدم يجري الى منزله .

---

[1] سورة الأعراف:الأية ٢٠١ .

[2] المقتفي لأمر الله: هو أبو عبد الله محمد إبن المستظهر بالله(ت٥٣٠هـ/٥٥٠م) الخليفة العباسي ويُعد من خيرة الخلفاء العباسيين، بويع بالخلافة عقب وفاة إبن أخيه الراشد وأستمرت خلافته الى ان توفي فكانت خلافته ٢٤ عاماً .ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٩٢ . الخضري، الشيخ محمد ، الدولة العباسية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣، ص١٢٢؛ شعبان، محمد عبد الحي محمد ، المصدر السابق، ص١٨٩ .

[5] ق: صدور .

[6] ق: صرة .

قال في الإرادة والمُريد[1] والمُراد

وقال رضي الله عنه: أما الإرادة فترك ما عليه العادة وتحقيقها نهوض[2] القلب في طلب الحق ترك ما سواه فإذا ترك العبد العادة التي هي حظوظ الدنيا والآخرة فتجردت حينئذ إرادته فالإرادة مقدمة كل امر ثم يعقبها القصد ثم الفعل فهو بدء طريق كل سالك واسم اول منزلة كل قاصد ، قال عز وجل لنبيه (صلى الله عليه واله وسلم) (ولا تطردنّ الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)[3] فنهى نبيه (صلى الله عليه واله وسلم) عن طردهم وأبعادهم وقال في آية أخرى (وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا)[4] فأمره بالصبر منهم وملازمتهم[5] وتصيير النفس في صحتهم ووصفهم بأنهم يريدون وجهه عز وجل ثم قال (ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا)[1] فبان بذلك أن حقيقة[1] الأرادة وجه الله عز وجل فحسب دون زينة الدنيا وزينة

---

[1] المريد: هو السالك الى الله تعالى وعليه أن يترك ما أعتاد عليه وتطبع به بطريق التقليد والمحاكاة، ولكي يصدق في سلوكه الى الله تعالى عليه أن يهجر الهوى وأن يصدق النية ويبدأ العمل لمرضاة الله تعالى، فالمريد ينظر بنور الله تعالى ويتقرب اليه، ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الغنية، ج٢، ص٢٨٤ .

[2] ق: قيام .

[3] سورة الأنعام: الأية ٥٢ .

[4] سورة الكهف: الأية ٢٨ .

[5] ق: مصاحبتهم.

[1] سورة الكهف: الأية ٢٨ .

الأخرة فأما المريد على الله عزوجل فيعمل بما في الكتاب والسنة ويصم عما سوى ذلك ويبصر بنور الله سبحانه فلا يرى إلا فصله فيه وفي غيره من سائر الخلائق[٢] ويعمى عن غيره فلا يرى فاعلاً على الحقيقة غيره جل وعز بل يرى ألة وسبباً محركاً مدبراً مراداً مسخراً قال النبي صلى الله عليه آله وسلم: (حبك الشيء يعمى ويصم)[٣] أي يعميك عن غي محبوبك ويصمك عنه لأشتغالك بمحبوبك فما أحب حتى أراد وما أراد حتى تجردت أرادته وما تجردت أرادته حتى قذفت في قلبه جمرة[٤] الخشية فأحرقت كل ما هناك.

قال الله عزوجل: (أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة)[٥] كما قيل أنها لوعة تهون فنومه غلبة وأكله فاقة وكلامه ضرورة تصيح نفسه فلا يحييها أبداً الى محبوبها ولذاتها وينصح عباد الله ويأنس بالخلوة مع الله ويصبر عن معاصي الله ويرضى[٦] بقضاء الله ويختار أمر الله ويستحي من نظر الله ويبذل مجهوده في محاب الله ويتعرض أبداً لكل سبب يوصله الى الله ويتحبب الى ربه عزوجل بكثرة النوافل مخلصاً[١] لله عزوجل حتى يصل الى الله سبحانه

---

[٧] م: الكلمة.

[٨] م: الكائنات.

[٣] رواه البخاري ومسلم، المصدر السابق، ج٣، ص١١٤.

[١٢] ق: نار.

[٥] سورة النمل: الأية٣٤.

[٣] ق: يقنع.

[٤] م: مستسلماً.

فيحصل في زمرة[1] أحباب الله ومراديه فحينئذ يسمى مراد الله فيحط عنه أثقال سالكي طريق الله ويغتسل بماء رحمة الله ورأفته ولطفه فيبني له بيت في جوار الله فيخلع عليه أنواع الخلع وهي المعرفة بالله والأنس به والسكون والطمأنينة الى الله فينطق بحكمة الله وأسرار الله بعد الأذن الصريح بل الخبر عن الله عزوجل ويلقب بلقب يتميز بين أحباب الله فيدخل في خواص[2] الله ويسمى بأسماء لايعلمها إلا الله ويطلع على أسرار تخصه فلايبوح بها عند غير الله فيسمع من الله ويبصر بالله وينطق ويبطش بقوة الله ويسعى في طاعة الله ويسكن الى الله وينام مع طاعة الله وذكر الله في كلام الله وحرز الله فيكون من أمناء الله وشهدائه وأوتاد أرضه وسجن عباده وبلاده وأحبابه وأخلائه قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حاكياً عن الله عزوجل لايزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فأذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده في يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يعقل وبي يبطش)[3] فهذا عبد حمل عقله العقل الأكبر وسكنت[1] حركاته الشهوانية لقبضة الحق عزوجل فصار قلبه خزانة أسرار الله عزوجل فهذا مراد الله عزوجل أن أردت ان تعرفه ياعبدالله المريد المبتدئ والمراد المنتهى المريد

---

[5] م:جماعة.

[6] م:ضغائن.

[3] رواه البخاري ومسلم،المصدر السابق،ج٣،ص١٢٦ .

[2] ق:وقفت.

الذي نصب بعين التعبد[١] والقى في مقاسات المشاق والمراد الذي كفى الأمر من غير مشقة المزيد متعب والمراد مر فوق به من ربه فالأغلب في حق القاصدين[٢] المبتدئين في سنة الله ما قد تم وجرى من توفيق الله عزوجل للمجاهدات ثم إيصالهم اليه وحط الأثقال عنهم والتخفيف[٣] عنهم في كثير من الامور وترك الشهوات والأقتصار على القيام بالفرائض والسنن في جميع العبادات وحفظاً القلوب ومحافظة الحدود والأنقطاع عما سوى الحق عزوجل بالقلوب فتكون[٤] ظواهرهم مع خلق الله عز وجل ولسنتهم لحكم الله قلوبهم لعلم الله والسنتهم لنتهم لنصح عباد الله واسرارهم لحفظ ودائع الله فعليهم سلام الله وتحياته وبركاته ورحمته ما دامت ارضه وسماؤه وقام العباد بطاعته وحفظ حقه وجوده المريد تتولاه سياسة العلم والمراد محمد صلوات الله عليهما ، كان موسى مريداً ونبينا مراداً انتهى سير موسى (صلى الله عليه[٥] وسلم) الى جبل طور سيناء وطار نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى العرش[١] واللوح المسطور فالمريد طالب والمراد مطلوب وعبادة المريد مجاهدة وعبادة المراد موهبة المريد موجود والمراد فان

---

[٣] م:المناجاة.

[٤] ق:السالكين.

[٥] ق:التيسير.

[٦] م:فتصبح.

[٧] ق:عليه السلام.

[٨] ق:السماء.

المريد يعمل للعوض والمراد لايرى العمل[١] بل يرى التوفيق والمنن المريد ينظر بالله عزوجل المريد قائم بأمر الله والمراد قائم بفعل الله المريد يخالف هواه والمراد يتبرأ من أرادته[٢] ومناه المريد يتقرب والمراد يتقرب به المريد يحمي والمراد يدلل وينعم ويغذي ويشهى المريد يحفظ والمراد يحفظ والمراد يحفظ به المريد في الترقي والمراد قد وصل وبلغ الى الرب الذي هو المرقي ونال عنده كل طريف[٣] .

قال في المتصوف والصوفي[٤]

قال رضي الله عنه في المتصوف والصوفي، المبتدئ والصوفي المنتهي المتصوف الشارع في طريق الوصل[٥] والصوفي من قطع الطريق ووصل الى من اليه القطع والوصل المتصوف محمل والصوفي محمول حمل المتصوف كل ثقيل وخفيف فحمل حتى ذابت[١] نفسه وزال هواه وتلاشت أرادته وأمانيه فصار محمول القدر كرة المشيئة مربى القدس منبع العلوم والحكم بيت الأمر والنور كيف

---

[٩] م:الفعل .

[١] م: رغبته .

[٢] ق:مستطرف .

[٤] المتصوف والصوفي: التصوف هو الأسترسال مع الله تعالى، فهو عيش مع الله ولله وبالله، وهو حفظ للأوقات، وأسقاط التدابير، وخوف من الله تعالى، ورجاء في الله تعالى، إذاً هو عدم المبالاة في الدنيا ومافيها، فالتصوف هو أيمان وتوحيد وأخلاص وطاعة، وأما الفرق بين المتصوف والصوفي، فالمتصوف المبتدئ والصوفي المنتهي . ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الغنية، ج٢، ص٤٤٣ .

[٤] م:الوصول .

[٥] م:ذبلت .

الأولياء والأبدال وموئلهم ومرجعهم ومسترحاهم ومتنفسهم ومسرتهم إذ هو عين القلادة درة التاج منظر الرب[1] المتصوف مكابد لنفسه وهواه وأرادته وشيطانه ودنياه وأخراه متعبد لربه عزوجل بمفارقة هذه الجهات الست والأشياء وترك العمل لها وموافقتها والقبول منها وتصفية باطنه من الميل اليها والأشتغال بها فيخالف شيطانه ويترك دنياه يفارق[2] أقرانه وسائر خلق ربه بحكمه عزوجل لطلب أخراه ثم يجاهد نفسه وهواه بأمر الله عزوجل فيفارق أخراه وماأعده الله عزوجل لأولياءه في جنته لرغبته في مولاه فيخرج من الأكوان فيتصفى من الأحداث ويتجوهر لرب الأنام فتنقطع عنه العلائق والأسباب والأهل والأولاد فتسد عنه الجهات وتنفتح في وجهه الجهات وباب الأبواب وهو الرضا بقضاء رب الانام ورب الارباب ويفعل فيه فعال العالم بما مضى وماهو آت والخبير بالسرائر[3] والخفيات وما تتحرك به الجوارح وما تضمره القلوب والنيات ثم يفتح تجاه هذا الباب باب يسمى باب القرب الى الملك الديان ثم يرفع منه الى مجالس الأنس ثم يجلس على كرسي[1] التوحيد ثم ترفع عنه الحجب، ويدخل دار الفردانية[2] ويكشف

---

[6] م:الحق عزوجل.

[7] م:يجافي.

[1] ق:البواطن.

[2] ق:بساط.

[2] الفردانية: وهي رديف الصمدية،ومعناها تفرد الله تعالى بالأكوان،وهو الباقي الذي لايزول،والذي يقصد اليه على الدوام اليه،فالكل مفتقر اليه،وهو لايفتقر لأحد . ينظر الطوسي، السراج،المصدر السابق،ص٤٤٠ .

عنه الجلال والعظمة فأذا وقع بصره على الجلال[١] وبعظمة بقى بلا هو فانياً عن نفسه[٢] وصفاته وعن حوله وقوته وحركته وأرادته ومناه ودنياه وأخراه فيصير كأناء بلور مملوء ماء صافياً تبين فيه الأشباح فلايحكم عليه إلا القدر ولايوجده غير الأمر فهو فانٍ عنه وعن حظه موجود لمولاه وأمره لايطلب خلوة لأن الخلوة للموجود فهو كالطفل[٣] لايأكل حتى يطعم ولايلبس فهو مسترسل مفوض (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال)[٤] الأية هو كائن بين الخليقة الجثمان بائن عنهم بالأفعال والأعمال والسرائر والضمائر والنيات فحينئذ يسمى صوفياً على معنى أنه تصفى من التكدر بالخليقة والبريات وإن شئت[٥] سميه بدلاً من الأبدال وعيناً من الأعيان عارفاً بنفسه وربه الذي هو محي الأموات المخرج أولياءه من ظلمات النفوس والطباع والأهوية والضلالات الى ساحة الذكر والمعارف والعلوم والأسرار ونور القربة ثم الى نوره عزوجل[١] .

قال تعالى: (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح)[٢]، وقال تعالى: (الله ولي الذين أمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور)[١] فالله عزوجل تولى أخراجهم من الظلمات

---

[٤] ق:الجمال.

[٥] ق:ذاته.

[٦] ق:الصغير.

[٤] سورة الكهف:الأية ١٨ .

[٨] م:أردت.

[٩] ق:سبحانه وتعالى.

[٢] سورة النور:الأية ٣٥ .

واطلعتهم على ما أضمرت قلوب العباد وأنطوت[٢] عليه النيات إذ جعلهم جواسيس القلوب والأمناء على السر والخفيت والخفيات والخطرات لاشيطان مضل ولاهوى متبع ولانفس أما رة بالسوء ولاشهوة غالبة متبعة تدعوه الى اللذات المردية في الدركات المخرجة من أهل السنة والجماعات[٣] قال عز من قائل لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا الصالحين، أخرسهم ربي وقمع رعونات نفوسهم وضراوتها بسلطان الجبروت فثبتهم في مراتبهم ووفقهم للوفاء[٤]، قال عز من قائل: (كذلكِ لِنصرف عنه السوء والفحشاء أنه من عبادنا المخلصين)[٥]، فحرسهم ربي وقمع رعونات نفوسهم وضراوتها بسلطان الجبروت فثبتهم في مراتبهم، ووفقهم للوفاء[١] بالصدق في سرهم بالصبر في محل أنقطاعهم وأضطرارهم قادوا الفرائض وحفظوا الحدود والأوامر وألزموا المراتب حتى قوّموا وهذّبوا وتقوّا وأدبوا وطهّروا وأطيبوا ووسعوا وزكّوا وشجّعوا وعدّوا فتمت ولاية الله عزوجل[٢]، وتوليته الله ولي الذين آمنوا وهو يتولى الصالحين

---

[١] سورة البقرة:الأية ٢٥٧ .

[٣] م:عقدت .

[٤] ناقصة في (ق) .

[٥] م:للعمل .

[٥] م:سبحانه وتعالى .

[١] م:ذو الجلال والأكرام .

[٨] م:سبحانه وتعالى .

فنقلوا من مراتبهم الى مالك الملك[1] ، فرتب لهم ذلك بين يديه وصار نجواهم كفاحاً يناجونه بقلوبهم وأسرارهم فأشتغلوا به عمّن سواه ولهوا به عن نفوسهم وعن كل شيء وهو رب[2] كل شيء ومولاه يصيرهم في قبضته وقيدهم بعقوبتهم وجعلهم أمناء فهم في قبضته وحصنه وحراسته يشتمون روح القرب ويعيشون في فسحة التوحيد والرحمة ولايشتغلون بشيء إلا بما أذن لهم من الأعمال فأذا جاء وقت عمل أبدانهم دون قلوبهم[3] تحصنوا مع الحرس في تلك الأعمال كيلا تضرهم شياطينهم ونفوسهم وأهويتهم فتسلم أعمالهم من حظ الشياطين وسمات النفوس من الرياء والنفاق والعجب وطلب الأعواض والشرك بشيء من الأشياء الحول والقوة بل يرون جميع[4] ذلك فضلاً من الله وتوفيقاً منه عزوجل خلقاً ومنه بوفيقه كسباً كي لايخرجوا بغير هذه العقيدة من سنن الهدى ثم يردون بعد أداء الأوامر وفراغ تلك الأمثال الى مراتبهم التي ألزموها فوقتوا معها وحفظوها بالقلوب والضمائر وقد ينقلون الى حالة بعد أن جعلوا الأمناء وخوطبوا[1] كل واحد منهم على الأنفراد في حالته (إنك اليوم لدينا مكين أمين)[2] فلايحتاجون فيها الى أذن

---

[9] م:ذو الجلال والأكرام.

[10] ق:إله.

[1] ق:عقولهم

[2] ق:كل.

[3] ق: كلموا.

[2] سورة يوسف:الأية ٥٥ .

لأنهم صاروا كالمفوض اليهم في قبضته[1] حيث ماذهبوا في شيء من قلب[2] هذا العبد بحب ربّه عزوجل ونوره وعلمه والمعرفة به فلايسمع غير ذلك وذلك أنه عزوجل أقامه في هذه المرتبة[3] على شريطة اللزوم لها فلما وفي له بالشروط ولم يبغ عملاً وحركة غير ذلك وحفظه ولم يتجاوزه نقله منها الى ملك الجبروت فجبر نفسه وقمعها بسلطان الجبروت حتى ذلت وخضعت ثم نقله منها الى ملك السلطان ليذهب تلك العدد التي في نفسه وهي أصول[4] تلك الشهوات قد صارت عدة ثابتة فأدب ثم نقله منها الى ملك الجمال فنقى ثم الى ملك العظمة فصبر[5] ثم الى ملك البهاء فطيب ثم الى ملك البهجة فوسع ثم الى ملك الرحمة فخوطب وقوي وشجع ثم الى ملك الفردية فعود فاللطف يغذيه[1] والرأفة تجمعه فكيف به والمحبة تقربه والشوق يدنيه والمشيئة تؤديه اليه والجواد[2] العزيز يقبله فيقربه ثم يمهله ثم يؤويه ثم يناجيه ثم يبسطه منه ثم يقبض عليه فأين ماصار وكل مكان حال وفي كل حال لديه فهو في قبضته وأمين من أمنائه على

---

[5] ق: يده.

[6] ق:لب.

[7] ق:الدرجة.

[8] م:أصل.

[9] ق:فشكر.

[1] ق:بطعمه.

[2] م:الكريم.

أسراره وما يئويه من ربه[١] عزوجل الى خلقه فأذا صار الى هذا المحل فقد أنقطعت الصفات وأنقطع الكلام والعبارات فهذا هو منتهى القلوب والعقول وغاية ما يبلغ حال الأولياء اليه ويؤول وماوراء مختص[٢] بالأنبياء والرسل عليهم السلام لأن نهاية الولي بداية النبي على الجميع صلوات الله وتحياته ورأفته ورحمته والفرق بين النبوة والولاية أن النبوة كلام ينفصل من الله عزوجل وحياً معه من الله تعالى فينقضي الوحي ويختمه بالروح فيه قبوله فهذا الذي يلزم تصديقه ومن رده[٣] فهو كافر لأنه راد لكلام الله عزوجل وأما الولاية فهي لمن ولي الله حديثه عن طريق الألهام فأوصله اليه فله فيه الحديث وينفصل ذلك الحديث من الله تعالى على لسان الحق معه السكنة التي في قلب المجذوب[٤] فيقبله فيسكن فالكلام للأنبياء والحديث للأولياء فمن رد الكلام كفر لأنه رد على الله عزوجل كلامه ووجهه وروحه ومن رد الحديث لم يكفر بل يخيب ويصير[١] وبالاً عليه وينهب قلبه لأنه رد على الحق ما جاءت به محبة الله تعالى من علم لله في نفسه فأودعه الحق وجعله مؤدياً الى القلب لأن الحديث ما ظهر من علمه الذي برز في وقت المشيئة فيصير[٢]

---

[٣] م: الحق.

[٤] م: خاص.

[٥] م: تركه.

[٦] ق: المحبوب.

[٧] ق: يصبح.

[٨] م: يصبح.

حديثاً في النفس كالسر وأنما يرتفع ذلك الحديث محبةً من الله لهذا العبد فيمضي مع الحق فيقلبه القلب بالسكينة .

قال في التقوى

قال رضي الله عنه في التقوى: التقوى على وجوه، تقوى العامة، ترك الشرك بالحق[1] وتقوى الخاصة، ترك الهوى والمعاصي ومخالفة النفس في سائر الأحوال، وتقوى خاصة الخاصة من الأولياء بترك الأرادات في الأشياء والتخير في الأشياء والتخير في النوافل من العبادات[2]، والتعلق بالأسباب والركون الى ماسوى المولى بل لزوم الحال والمقام وأمتثال الأمر في جميع ذلك مع أحكام الفرائض وتقوى الأنبياء عليهم السلام لايتجاوز هم غيب شيء فهم من الله الى الله يأمرهم وينهاهم ويوفقهم ويؤدبهم ويطيبهم ويطرزهم ويكلمهم ويحدثهم ويرشدهم ويهديهم ويعافيهم ويعطيهم ويبصرهم، لامجال للعقل في ذلك فيهم في معزل عن البشر، بل عن الملائكة أجمع إلا فيما يتعلق بالحكم الظاهر[1] والأمر البين الموضوع للأمة وعوام المؤمنين فأنهم يشاركون الخلق في ذلك وينفردون عنهم فيما سوى ذلك وقد يعطي بعض ذلك الكرام من البدال والخاصة من الأولياء فتقصر عباراتهم عن ذكر ذلك الكرام من الأبدال والخاصة من الأولياء فتقصر عباراتهم

---

(١) ق: بالله .

(٢) م: الكلمات .

(٣) ق: الواضح .

عن ذكر ذلك فلايظهر الوجود[١]، ولايدرك بالسمع والحس ويستدل على التقوى بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضى فيما قد نال وحسن الصبر على ما قد فات[٢]، ومن لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل الى الكشف والمشاهدة فالمتقى من لم يدنس ظاهره بالمعارضات ولاباطنه بالعلات ويكون واقفاً مع الله تعالى موقف الأتفاق فظاهره محافظة الحدود وباطنه النية والأخلاص وطريق التقوى أولاً التخلص من مظالم[٣] العباد وحقوقهم ثم من المعاصي الكبائر منها الصغائر ثم الأشتغال بترك ذنوب[٤] القلب التي هي أمهات الذنوب وأصولها منها تتفرع ذنوب الجوارح من الريا والنفاق والعجب والكبر والحرص والطمع والخوف من الخلق[١] والرجاء لهم وطلب الجاه والرياسة والتقدم على أبناء جنسه[٢] وغير ذلك مما يطول شرحه وأنما يقوى على جميع ذلك بمخالفة الهوى ثم الأشتغال بتلك الأرادة ولايختار مع الله تعالى شيئاً ولايدبر مع تدبيره ولايتخير عليه ولايتصير على جهة وسبب في رزقه ولايعترض عليه عزوجل في حكمه[٣] في خلقه بل يسلم الكل اليه ويستسلم بين يديه ويطرح نفسه لديه فيصير في يد

---

[٤] ق:الوضوح.

[٥] ق:مات.

[٦] م:ظلم.

[٧] ق:معاصي.

[١] م:الناس.

[٢] م:قومه.

[٣] ق:قضائه.

قدرته كالطفل الرضيع في يد ظئره والميت في يد غاسله مسلوب أختيار منزوع عن أرادته والنجاة في ذلك فأن قال قائل كيف الطريق[١] الى ذلك قيل له الطريق الى ذلك بصدق اللجا[٢] الى الله عزوجل والأنقطاع اليه ولزوم طاعته بأمتثال أوامره وأجتناب نواهيه والتسليم لقدره[٣] وحفظ الحال وصيانة حدودها أبداً ومانجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء وتحقيق الوفاء وتحقيق الحياء وتخليص الرضى وصدق الأعراض عن الدنيا وهي الحجاب العظيم وبها يتبين الخالص من المهرج.

قال في الورع

وقال رضي الله عنه في الورع: أشارة الى التوقف في كل شيء وترك الأقدام عليه إلا بأذن الشرع[١] ،فأن وجد للشرع فيه فعلاً ولتناوله فيه مساغاً وإلا تركه، والورع ملاك[٢] الأمور كلها، والورع ثلاث درجات: ورع العوام؛ وهو ورع عن الحرام والشبهة، وورع الخواص؛ وهو ورع عن كل ما للنفس والهوى فيه شهوة، وورع خواص الخواص؛ وهو ورع عن كل ما لهم فيه إرادة ورؤية.

---

[٤] م:السبل.

[٥] ق:القصد .

[٦] م:الأقدار .

[٧] م:الدين.

[٨] ق: زمام.

والورع ورعان؛ ظاهر: وهو أن لايتحرك إلا لله، وباطن وهو أن لايدخل قلبك[1] سوى الله تعالى، ومن لم ينظر في دقائق الورع لم يحصل له نفائس العطاء، والورع في النطق أشد، والزهد في الرئاسة[2] أصعب، والزهد أول الورع كما أن القناعة طرف الرضا، ومن قواعد الورع الورع في الطعام واللباس، فطعام المتقي ماليس للخلق عليه تبعة، ولاللشرع عليه مطالبة، وطعام الولي ماليس فيه هوى بل مجرد بالأمر، وطعام البدل ماليس فيه أرادة[3] بل فضل من الله تعالى، فمن لم يتحقق له الوصف الأول لم يصل الى مابعده على الترتيب، والحلال المطلق هو الذي لايعصي الله تعالى به، ولا بشيء فيه والناس[1] في اللباس على ثلاثة أضرب: فلباس الأتقياء هو الحلال المتقدم ذكره، سواءاً كان كتاناً أو قطناً أو صوفاً، أو غير ذلك، ولباس الأولياء ماوقع به الأمر وهو أدنى[2] ماتستر به العورة، وتدعو اليه الضرورة ليتحقق بذلك زوال أهويتهم، ولباس البدلاء ماجاء به القدر مع حفظ الحدود، إما قميص بقيراط أو حلة بمائة دينار، فلالإرادة تسمو

---

[1] ق:لبّك .

[2] ق:الزعامة.

[3] م:هوى.

[4] م:الخلق.

[5] م:أقل.

إلى الأعلى، ولاهوى يكسر بالأدنى[١] بل ما تفضل به المولى، ولايتم الورع إلا أن يرى عشرة خصال، فريضة على نفسه:

أولها: حفظ اللسان عن الغيبة لقوله تعالى: (ولايغتب بعضكم بعضاً)[٢].

والثاني: الأجتناب عن سوء الظن بقوله تعالى: (إجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظنِ أثم)[٣]

وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (أياكم والظنِ فأنه أكذُب الحديث)[٤].

والثالث: الأجتناب عن السخرية لقوله تعالى (لايسخرْ قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم)[٥].

والرابع: غض البصر عن المحارم لقوله تعالى (قُل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)[١].

والخامس: صدق اللسان[٢] لقوله تعالى (وأذا قلتم فأعدلوا)[٣]، يعني فأصدقوا.

---

[٦] م: الأقل.

[٢] سورة الحجرات: الأية ١٢.

[٣] سورة الحجرات: الأية ١٢.

[٩] رواه البخاري ومسلم، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٠.

[٥] سورة الحجرات: الأية ١١.

[١] سورة النور: الأية ٣٠.

[٣] م: الكلام.

[٣] سورة الأنعام: الأية ١٥٢.

والسادس: أن يعرف منة الله تعالى عليه لكي لايعجب بنفسه لقوله تعالى: (بل الله يمن عليكم أن هداكم للأيمان)[1] .

والسابع: أن ينفق ماله في الحق[2]، ولاينفقه في الباطل لقوله تعالى(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا)[3]، يعني لم ينفقوا في المعصية، ولم يمنعوا من الطاعة .

والثامن: أن لا يطلب[4] لنفسه العلو والكبر لقوله تعالى(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولافساداً)[5] .

والتاسع: المحافظة على الصلوات الخمس في مواقيتها وأتمام ركوعها وسجودها لقوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا الى الله قانتين)[1] .

والعاشر: الأستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيماً فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)[2]

---

[1] سورة الحجرات: الأية ١٧ .

[2] م: الحلال .

[3] سورة الفرقان: الأية ٦٧ .

[4] ق: لايريد .

[5] سورة القصص: الأية ٨٣ .

[1] سورة البقرة: الأية ٢٣٨ .

[2] سورة الأنعام: الأية ١٥٣ .

فصل

قال في خواطر القلب

وقال رضي الله عنه في خواطر القلب: أن في القلب خواطر ستة أحدها خاطر النفس والثاني خاطر الشيطان والثالث خاطر الروح والرابع خاطر الملك والخامس خاطر العقل والسادس خاطر اليقين فخاطر النفس يأمر بتناول ومتابعة الهوى المباح منه والجناح وخاطر الشيطان يأمر في الأصل بالكفر والشرك والشك[1] والتهمة لله تعالى في وعده[2] وفي الفرع بالمعاصي والتسويف[3] بالتوبة وما فيه هلاك النفس في الدنيا والأخرة فالخاطران مذمومان محكوم لهما بالسوء وهما لعموم[4] المؤمنين وخاطر الروح وخاطر الملك يردان بالحق والطاعة لله عزوجل

---

(١) ق: الظن.

(٢) م: قضائه.

(٣) م: المماطلة.

(٤) م: كافة.

وما عاقبة السلامة في الدنيا والأخرة وما يوافق العلم فهما محمودان لا يعد مهما خصوص[1] الناس

وأما خاطر العقل فتارة يأمر بما تأمر به النفس والشيطان وأخرى بما تأمر به الروح[2] والملك

وذلك حكمة من الله تعالى وأتقان لصنعه ليدخل العبد[3] في الخير والشر بوجود معقول وصحة

شهود وتميز فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائد له وعليه لأن الله تعالى جعل الجسم

مكاناً لجريان أحكامه ومحلاً لنفاذ مشيئته في مباني حكمته كذلك جعل العقل مطية الخير والشر

يجري معهما في خزانة[4] الجسم أذا كان مكاناً للتكليف وموضعها للتصريف وسبباً للتعريف

فللعقل لذة النعيم من الله تعالى عزوجل أو عذاب أليم أما خاطر اليقين وهو روح مخصوص[1]

بخواص من الأولياء الموقنين الصديقين الشهداء الأبدال لا يرد إلا بحق وإن خفي وروده ودق مجيئه

ولا يقدح إلا بعلم لدني وأجبار الغيوب وأسرار الأمور فهو للمحبوبين[2] والمرادين المختارين

الغائبين عنهم المفعول فيهم الغائبين عن ظواهرهم[3] الذين أنقلبت عباداتهم الظاهرة الى الباطنة

ماخلا الفرائض والسنن المؤكدة فهم أبداً في مراقبة بواطنهم والله تعالى يتولى تربية ظواهرهم كما

---

[5] م:خاصة.

[6] ق:الناس.

[7] م:البشر.

[8] م:جميع.

[1] ق:خاص.

[2] ق:للعاشقين.

[3] م:بواطنهم.

قال جل أسمه[1] في كتابه العزيز (أن وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين)[2] تولاهم وكفاهم وأشغل قلوبهم بمطالعة أسرار الغيوب ونورها بالتجلي في كل قريب فأصطفاهم[3] لمحادثته وأختصهم بالأنس به والسكون اليه والطمأنينة لديه فهم في كل يوم في مزيد علم ونمو معرفة وتوفير نور وقرب من محبوبهم ومعبودهم في نعيم لانفاذ له ولاأنقطاع لها وسرور لاغاية[4] له ولامنتهى فأذا بلغ الكتاب أجله وأنتهى الى ماقدره من البقاء في دار من الأدنى الى الأعلى فالدنيا في حقهم جنة وفي الأخرة لاعينهم قرة وهو النظر الى وجه الله الكريم من غير حجاب ولاباب ولاحاجب ولابواب ولامانع ولاضيم ولاأضرار ولا أنقطاع ولانفاذ كما قال عز من قائل: (إن المتقين في جنات ونهر في مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مُقتدر)[1]، وكما قال تعالى: (الذين أحسنوا بالحسنى وزيادة)[2]، النفس والروح مكانان لالقاء الملك والشيطان فالملك يلقى التقوى الى القلب، والشيطان يلقي الفجور الى النفس، فتطالب القلب بأستعمال الجوارح بالفجور، وفي مكانين من البنية العقل والهوى، بمشيئة حاكم، وهو التوفيق أو الغرور، وفي القلب نوران

---

[4] م:عزوجل.

[2] سورة الأعراف:الأية ١٩٦.

[6] م:فخصهم.

[7] م:لانهاية.

[1] سورة القمر:الأية ٥٥.

[2] سورة يونس:الأية ٢٦.

ساطعان، وهما العلم والأيمان، فجميع ذلك أدوات القلب وحواسه والآته، والقلب في وسط هذه الآلات كالملك وهذه جنوده، تؤدي اليه، أو كالمرآة المجلوة، وهذه الآلات حوله تظهر فيراها وتقدح فيه فيجدها، والخواطر خطاب يرد على الضمائر، فإذا كان من قبل الملك فهو الألهام، وإذا كان من قبل الشيطان فهو الوسواس، وإذا كان من قبل النفس فهو الهاجس، وإذا كان من قبل الله تعالى وإلقائه في القلب فهو خاطر حق، فعلامة الألهام أنه يرد بموافقة العلم، فكل إلهام لايشهد له ظاهر فهو باطل، وعلامة الهواجس اللجاج في وصف من خصائص صفات النفس، ولايزال يعاود ولو بعد حين، حتى يأتي الرجل ذلك الوصف، وعلامة الوسواس أنه إذا دعي الى زلة فخولف فيها وسوس بزلة أخرى، لأنه جميع المخالفات عنده سواء، كما قال تعالى (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)[1]، وعلامة الخاطر الحق أنه لايؤدي الى حيرة، ولايجذب الى سوء، بل يرد بزيادة علم وبيان، يعرف بنعته عند وجدانه، وإذا ورد على القلب خاطر حق بعده خاطر حق.

---

[1] سورة فاطر: الأية٦.

قال في أسم الله الأعظم[1]

وقال رضي الله عنه: أسم الله الأعظم هو الله، وإنما يستجاب لك إذا قلت: الله، وليس في قلبك غيره، بسم الله من العارف ككن من الله عزوجل، هذه كلمة تزيل الهم، هذه كلمة تكشف الغم، هذه كلمة تبطل السم، هذه كلمة نورها يعم، ألله مظهر العجائب، الله يغلب كل غالب، الله سبحانه رفيع، الله جنابه منيع، الله مطلع على العباد، رقيب على القلب والفؤاد، الله قاهر الجبابرة، الله قاصر الأكاسرة، الله عالم السر والعلانية، الله لاتخفى عليه خافية، من كان في حفظ الله، من أحب الله لايرى غير الله، من سلك طريق الله وصل الى الله، ومن وصل الى الله عاش في كنف الله، ومن أشتاق الى الله أنس بالله، من ترك الأغيار صفا وقته مع الله، أقرع باب الله ألجأ الى الله، توكل على الله، يامعرضاً أرجع الى الله، هذا سماع أسمي في دار الشقاء فكيف عند اللقاء؟ هذا في دار المحنة، فكيف في دار النعمة؟ هذا أسمي وأنت على الباب، فكيف إذا

---

[1] ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني في ذلك، اذا وصلت الى الله قربت بتقريبه وتوفيقه ومعنى الوصول الى الله _ عزوجل _ خروجك عن الخلق والهدف والارادة والمنى والثبوت، فأذا وصلت الى الحق _ عزوجل _ فكن امناً ابداً من سواه عزوجل، فلا ترى لغيره وجوداً لبته لا في الضر ولا في النفع هو الله اهل التقوى واهل المغفرة. ينظر الجيلاني، عبد القادر، فتوح الغيب، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٢.

كشف الحجاب ؟ هذا وقد ناديت فكيف إذا تجليت ؟ القوم في المشاهدة وأنجز الفضل اليهم واردة، المحب كالطير لاينام في الأشجار يناجي حبيبه في خلوات الأسحار، تهب رائحة القرب على قلوبهم فيشتاقون الى ربهم، أذكروني بالتسليم والتفويض أذكركم بأصلح الأختيار، بيانه قوله تعالى(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)[1]، أذكروني بالشوق والمحبة أذكركم بالوصل والقرابة، أذكروني بالحمد والثناء أذكركم بالمن والجزاء، أذكروني بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة، أذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء، أذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال، أذكروني بلا غفلة أذكركم بلا مهلة، أذكروني بالندم أذكركم بالكرم، أذكروني بالمعذرة أذكركم بالمغفرة، أذكروني بالأرادة أذكركم بالأفادة، أذكروني بالتفضل أذكركم بالتفضيل أذكروني بالأخلاص أذكركم بالخلاص، أذكروني بالقلوب أذكركم بكشف الكروب، أذكروني باللسان أذكركم بالأمان، أذكروني بالأفتقار أذكركم بالأقتدار، أذكروني بالأعتذار والأستغفارة أذكركم بالرحمة والأستغفار، أذكروني بالأيمان أذكركم بالجنان، أذكروني بالأسلام أذكركم بالأكرام، أذكروني بالقلب أذكركم بكشف الحجاب، أذكروني ذكراً فانياً أذكركم ذكراً باقياً، أذكروني بالأبتهال أذكركم بالأفضال، أذكروني بالتذلل أذكركم بغفران الزلل، أذكروني بالأعتراف أذكركم بمحو الأقتراف، أذكروني بصفاء السر أذكركم بخالص البر، أذكروني بالصدق أذكركم بالرفق، أذكروني بالصفو أذكركم بالعفو، أذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم، أذكروني بالتكبير أذكركم بالنجاة من السعير،

---

[1] سورة الطلاق:الأية ٣ .

أذكروني بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء، أذكروني بترك الخطاء أذكركم بأنواع العطاء، أذكروني بالجهد في الخدمة أذكركم بأتمام النعمة، أذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا، ولذكر الله أكبر[1].

قال في قلب عرف وما أنحرف

وقال رضي الله عنه: الخرقة عبارة عن تلهب قلب عرف وما أنحرف، وعلى قدم الأخلاص وقف سرير[1] الأسرار لاينصب إلا في سرادق حق اليقين، وحق اليقين نقطة دائرة التوحيد، والتوحيد قاعدة بناء الوجود، الهوية الأحدية مغناطيس حديد قلوب العارفين، والروضة[2] الأبدية مراتع أسرار المكاشفين، كاشف الأرواح ليلة الست، بأسرار قدمه لاطف العقول في مقام وإذ أخذ بألطاف تقرير عهده باسط الخواطر في حضرة السرمدية ببساطة، وأشهدهم تقرب[3] الى الأسرار في جناب الأزل بمخاطبة الست، سقاهم كأس محبته بأيدي سقاة قربه، خرجوا الى الدنيا في رؤوسهم نشوات[4] ذلك الخمار، وفي عيون عقولهم بقاية رسوم ذلك

---

[1] ينظر، التادفي، المصدر السابق، ص٦٤؛ القادري، المصدر السابق، ص٧٢.

[1] ق: سر.

[2] ق: الحديقة.

[3] م: دنو.

[4] م: سكر.

الجمال[1]، وفي أحداق قلوبهم برقان ذلك الجناب، وأحرقتاه عليكم كيف تموتون، وماعرفتم ربكم، الشجاعة صبر ساعة، ياأعجمي، الفطنة سافر الى بلاد العرب ياموتى الطبيعة سافروا الى بلاد هند الهداية، سقي بعض العا رفين من هذا الشراب[2] قطرة، وأفرغ ما في القد ر له منه نغة، فقامت روحه ترقص طرباً بين ندمائه، وأهتز جبل موسى شوقاً عندما لمع برق التجلي، فنظر سر المحبوب، فقال من غلبة طفحات عشقه: أنا الحق[1]، سكر نديمه الآخر، فقال سبحاني، فا رقت جماعة من طيور الأرواح أقفاص الأشباح، وطا رت بأجنحة الشوق في فضاء الغرام[2]، وأمت من نجد الوجد وادي منادي الأزل، وطمعت أن ترعى من طور القدم حب المشاهدة، فأنقضت على حمائم طلبها بزاة العظمة، فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، لاحت لأسرا ر العالمين بهجة جلال الديمومة[3]، وأشرق لعيون العا رفين نور كمال الأحدية من مشكاة نور غيب القدم، وسقطت قوادم أقدام الخلائق في مفاوز ماقد روا الله حق قد ره، وأنقطع العاصون في تيه، نسوا الله شر معاشر المريدين، لقد أودعت

---

(5) م: الكمال، وتعني أيضاً الأبدية عند الصوفية وهي الأنقطاع لله سبحانه وتعالى والأسترسال مع الله في جميع الأوقات. ينظر الجيلاني،عبد القادر،الفتح الرباني،ص١٧٩.

(6) م:الخمر.

(7) ق:الله.

(8) م:العشق.

(1) ق:الكمال.

صورة الآدمي سراً من الغيب، ودفن في ترابها كنز من العل، فرامت السبب الى معرفته، والأطلاع على دفينه، فمنعها حاجز النفوس وما وجدت سبيلاً لترد سلسبيلاً. معاشر العا رفين أحذ روا من سرادق الأماني وخدع لصوص الأمل، وجدوا فأن الأمر جد، ليس المحبوب[١] غائباً عنكم إلا بحجاب الهوية، والله إن هوى النفوس قيد أ رجل العقول، وإن مواطئ الشهوات مزالق أقدام الأفهام، يا أخواني سافروا بالهمم الى المحبوب، أخرجوا من جيوش الصور الى طلب نظر المصور، وأطلبوا حياة الأبد تحت جبل قاف القرب[١]، وتزودوا فأن خير الزاد التقوى.

قال في برقت با رقة من جنات الأزل

وقال رضي الله عنه: برقت با رقة من جناب الأزل في سماء قلوب العا رفين هب نسيم من رياض الديمومة[٢] على مشام أرواح المكاشفين تنوعت أ رانيج زهر القدس على زهر أسرا ر المشاهدين سافرت[٣] تلك العقول في بحر بسم الله ليصل غايتها الى ساحة جناب الرحمن فترجع

---

[٢] م:البشر.

[٣] ق:المعشوق.

[٤] ق:الأبدية.

[٥] م:ذهبت.

غنية بجواهر فرائد الألوهية فائزة بتحف[1] خزائن الأزلية ظافرة بنيل سؤال موسى ليلة أرني ناظرة على طور طلبها الى نور سبحات تجلى معاشر العارفين الموت في حرب حبه كل الحياة[2] الحياة مع غيره ولو لحظة حقيقة الموت أن أعمى عين عقلك عن نظر غيره في الدنيا جعل جزاءها في الآخرة وجوهٌ يومئذ ناضرة الى ربها ناضرة أن قتلك بسيف حبه في العاجل جعل دينك في الأجل أحياءٌ عند ربّهم يرزقون ضافت سقاة القدم على أرواح بعض بني آدم[1] بكؤوس الشراب[2] الست في خلوة مجلس وأذا أخذ ربهم أسكرهم الساقي لا الشراب[3] سكنت تلك النشوات في ذرات تلك الذوات حتى أنفلق صبح شرع أحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من مشرق سماء رسالته وجائته من جناب الأزل لطائف[4] أسرار الغيب فنبه سكارى العشق وأيقظ نوام القول لتذكر عهدها معه في خلوة ليلة[5] السبت فطارت اليه بجناح وعجلت اليك

---

(٦) ق: بدرر.

(٧) م: الدنيا.

(١) م: البشر.

(٢) ق: الشراب: فالشراب شراب الحقيقة، يتجلى الله تعالى به على بعض المخلصين الصادقين من عباده وينفرد به أصحاب الولاية والصالحين من أهل الحق كثمرة من ثمرات جهادهم ورياضتهم. ينظر: الجيلاني، عبد القادر، ديوان عبد القادر الجيلاني، ص٧٦.

(٣) ق: الخمر.

(٤) ق: رياح.

(٥) ق: يوم.

لترضى كاشف الأرواح بقوله هو الله سكن القلوب(١) بقوله الذي لا أله إلا هو خوف الأسرار بقوله عالم الغيب والشهادة لاطف العقول الرحمن الرحيم الهوية بحر يغرق فيه سابح كل عقل(٢) وينكسر في طلب علمه كل سفينة فكر أن سار العقل على مطية الفكر الى ساحل هذا البحر بدليل الأقان قذفت(٣) اليه أمواجه جواهر أسرار الأزل وأتحفته بلطائف أنباء الغيب واراه نور الهداية حق اليقين وسارت به نجائب العناية الى جبل قاف القرب(١) وغسل خضر سره في عين ماء الحياة وأخرجه من الظلمات الى النور فهنالك يرى شرع سيد الكونين سراج عيون عقول العارفين يكاد يخطف بلوامع بروق(٢) أنوار أبصار الواصلين وتنقش أيدي مواشط أتباعه وجوه عرائس مقامات النقربين ويدبج صناع أديم أدامة التأدب به وشيء حلل المشاهدين يا هذا قلبك موضع نظرات القدم وفي فضاء صدرك(٣) تضرب خيمة القرب لأجلك خلق الجنة والنار وبسبب معصيتك قال وإني لغفار لمن تاب وآمن .

---

(٦) ق:الألباب .

(٧) م:قلب .

(٨) م:دفعت .

(٩) م:الدنو.

(١٠) م:شهب .

(١٠) ق:عقلك .

فصل

قال في جسد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

قال رضي الله عنه في جسد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): مشكاة روحه، في المشكاة زجاجة أشراق الوحي[1] مصباح الزجاجة إبلاغ ما يوحى اليه نور على نور إذا سطع نور النبوة في زجاجة مشكاة القلب، جليت مرآة فؤاده فأبصر بها غائب الغيب، خوطب[2] بلسان بلغ أنخرق لعين عقله منفذ الى الملأ الأعلى، عرضت عليه مخبآت لطائف الأزل صار ترجماناً بين الحادث والقديم، السير الى الله عزوجل[3] على قدر نور المعرفة، والمعرفة على قدر قوة العقل،

---

[1] ق: جبريل.

[2] م: نودي.

[3] م: سبحانه وتعالى.

والعقل على مقدار ماسبق في ديوان نحن قسمنا .الولي، من أقتفى مواطئ أقدام النبي والنبوة والولاية نتائج تختص برحمته .

قال في العقل والشرع

قال رضي الله عنه: العقل والشرع نوران دخلا بأشراقهما منافذ قلب المؤمن، أمتزجا فيه إمتزاج الماء بالراح[١] واللطافة بالرياح، أنطبعت أشخاص النبوة في صفاء مرآة العقل كأنطباع نور الروح في ظلمة الجسد، العقول أشراك نصبت على مجاري مياه الأرواح في حدائق أسرار القلوب[١] لأصطياد طيور الحكم من جو الغيب بصياد الفكر .

النبوة: نور إلهي أشرق على عين العقل المضاف الى اليقين إشراقاً[٢] معنوياً[٣] صادف منها إستعداد الشروق أشعته، ولألاء نوره، أنفعل لوقوعه عليها إنفعال الظلام للصباح، والأجسام للأرواح، ما أفاضه جود الألهية على بواطن[٤] الصور وأسرار الهياكل، من إشراق لطفه، وإضاءة أنوار سعة رحمته، أكسبها علماً ضرورياً بأستحالة وجود جسم واحد في محلين،

---

(٤) م: بالخمر .

(٥) م: العقول .

(٢) الأشراق: الأيمان برب العالمين، فالمحب قد أشرقت نفسه بحب الله فتاه في بيداء العشق الإلهي . ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الفتح الرباني، ص١٢٥ .

(٧) ق: قلبياً .

(١) ق: دواخل .

وتعلق عرض منفرد بجوهرين بأحسن[١] الحسنين وأقبح القبحين. شمس النبوة: لاتلقى أنوارها وتفيض أسرارها إلا على شرف مدائن العقول المهيأ لذلك بالأوامر الألهية.

النبوة: هداية غيبية تسري في طرق إرادة القدم الى بعض بني آدم على نجائب وربك يخلق ما يشاء ويختار.

قال الشيخ أبو الحسن علي بن أبي ظاهر أبراهيم بن نجا الأنصاري الدمشقي، الفقيه الحنبلي الواعظ[١] نزيل مصر بالشارع سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، قال: حججت مرة وأتيت بغداد، أنا ورفيق لي، وما كنا دخلناها قبل ولانعرف فيها أحداً، ولم يكن معنا إلا مدية[٢]، فبعناها وأشترينا بثمنها أرزاً فأكلناها ولم يطب لنا ولم نشبع، وأتينا مجلس الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، فلما جلسنا قطع كلامه وقال: مساكين الغرباء جاءوا من الحجاز[٣] ولم يكن معهم إلا

---

[٢] م: بأفضل.

[٣] أبن نجا (ابن نجية): زين الدين علي بن نجا الأنصاري، أحد أهم أصحاب الشيخ عبد القادر والذي قدر له لأن يكون مستشاراً لصلاح الدين والظاهر أنه كان حلقة وصل وأرتباط بين الشيخ عبد القادر وصلاح الدين مما يدلل على التنسيق العام بين القيادة الفكرية للشيخ عبد القادر والقيادة السياسية لصلاح الدين توفي سنة(٥٥٩هـ)؛ ينظر ترجمة: سبط إبن الجوزي، يوسف، (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان، مطبعة حيدر اباد، الهند، ١٩٣٦، ص٥١٥؛ الجيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، المعهد العالمي الأسلامي، أمريكا، ١٩٩٦، ص٢٢٤؛ السامرائي، عبدالله، المرجع السابق، ص٢٦٩.

[٤] ق: حاجة.

[٣] الحجاز: وهي أحد أقاليم المملكة العربية السعودية حالياً، وهو أهم أقاليم شبه الجزيرة العربية وبه مكة المكرمة والمدينة المنورة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٩.

مدية[1] فباعوها وأشتروا بثمنها أرزاً وأكلوه فلم يطب لهم ولم يشبعوا فأعجبت به أعجاباً شديداً فلما إنقضى كلامه أمر بمد السماط فقلت لرفيقي سراً ما تشتهي قال كشكاً بد راج وقلت أنا في نفسي أشتهي شهداً فقال الشيخ للخادم[2] أحضر كشكاً بد راج وشهداً على الفور فأحضرهما فقال ضعهما بين يدي ذينك الرجلين وأشار الينا فأحضرهما ووضع الكشك قدامي والشهد قدام رفيقي فقال له الشيخ أعكس تصب، فلم أتمالك نفسي أن صرخت وسعيت اليه اتخطى رقاب[1] الناس فقال لي أهلاً وسهلاً بواعظ الديار المصرية فقلت يا سيدي فكيف وانا لاأحسن أصحح الفاتحه فقال قد أمرت أن اقول لك هذا القول قال فأشتغلت عليه بالعلم في سنة بما لم يفتح على غيري في عشرين سنة وتكلمت ببغداد ثم استأذنته في السفر[2] الى مصر فقال لي انك ستصل الى دمشق وتجد بها الغز[3] متأهبين للدخول الى مصر ليملكوها فقال لهم انكم لن تنالوا ما تريدون من مصر في هذه المرة بل ترجعون وتعودون اليها مرة اخرى وتملكونها قال فلما اتيت دمشق وجدت الامر كما قال الشيخ وقلت لهم ما قال لي فلم

---

[6] م:حاجة.

[1] م:لغلامه.

[2] ناقصة في(ق).

[3] م: الدخول.

[4] الغز: وهي قبائل تركية دخلت الاسلام واصبحت من اشد المتحمسين اليه والمقصود بهم هنا القياده الغزنوية الثورية التي كانت تحت امرة السلطان نور الدين محمود. ينظر ابن الاثير، المصدر السابق،ج٩،ص١٧٦؛ حسن،ابراهيم حسن، المرجع السابق،ج٤،ص٢.

يقبلوا مني ودخلت الى مصر فوجدت الخليفة متأهباً للقائهم فقلت له لا بأس انهم ينقلبون خائبين[1] وترجعون ظافرين فلما وصل الغز الي مصر كسروا فأتخذني الخليفة جليساً وأطلعني على أسراره ثم جاء الغز في الثانية فملكوها وأكرموني أكراماً عظيماً بالكلام الذي قلت لهم بدمشق[2] وحصل لي من الدولتين مائة الف وخمسون دينار بكلمة واحدة من الشيخ محي الدين عبد القادر رضي الله عنه وهذا الشيخ زين الدين قدم الى مصر قديماً يقال عنه أنه كان يحفظ غير ما كتب في التفسير وحصل له بها القبول التام من الخاص والعام وكان أحد العلماء المحدثين وعقد بها مجلس للوعظ تنفع[1] الناس به وتوفي بها شهر رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة ومولده بدمشق سنة ثمان وخمسمائة، قال رضي الله عنه أنفرادك في طريق طلبه أمارة صحة المحبة لفتة عين قلبك الى سواه، علامة[2] البعد نطقك بغير ذكره على صفاء مرات قلبك ما ذاق حلاوة وصلة من أشتغل بغيره ما قرب من جناب رحمته من مال الى سواه طرفة عين للطريق ثلاثة أركان الحق والصدق والعدل .

---

(٥) ق: خاسرين .

(٦) ق:الشام.

(٧) م:تفيد .

(١) ق:آية.

العدل على الجوارح، والحق على العقول، والصدق على القلوب، من طلب ربه بحقيقة صدق قلبه صار صدقه في قلبه مرآة تريه عجائب(١) الدنيا والآخرة، حفظ قوانين الحياة السرمدية(٢) خير من حفظ قوانين الحياة الفانية(٣) الوحدة باب الفكر وكثرة الفكر علامة حضور القلب مع الله تعالى، علامة التوفيق، وحصول التوفيق دليل الى حضرة القدس أكل الشبه كدر عليك صفاء منبع الطاعة أعراضك عن أقامة وظائف الخدمة سبب أعراضه عنك، ياغلام لاتكن كبلبل يهوى صوته وقت الربيع يقف مع ترجيع أشجانه(١) يقضي وقته بألتذاذ صوته، لايحصل إلا على مجرد شكاية الجوى، لكن كن كباز لايلتفت الى خفارة أصوات البلابل، في رياضها ولايطربعلى لذة نغمات الهواتف، تعويلاً على علو عزة العقل، طلب موسى (صلى الله عليه وآله وسلم(٢)) عين الحقيقة، في أرض أرني قيل له: أنها من وراء جبل ويحتاج أسكندر طالبها أن يقطع اليها سد يأجوج، يخرق ردم ماجوج، وجوده بصحة التوحيد(٣)، الذي هو محل كل مثلوج لعين العقل في الأكوان ويخرج بحضور عقله الى حيز الأخرة من دائرة الدنيا(٤) فأنه يجدها تحت ظل شجرة

---

(٢) م:غرائب.

(٣) م:الأبدية.

(٤) م:الزائلة.

(٥) ق:أحزانه.

(٦) ق:عليه السلام.

(٧) م:التفريد.

(٨) ق:الحياة.

وجوهٌ يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة تلك الشجرة[1] تنبت في جناب القدس في مقعد صدق عند مليك مقتدر لا شرقيه فتطلع من مشرق أفق الدنيا إلا في مشارق سموات الأسرار ولاغربية فتلوح من مغرب جو الكون إلا في مغارب معاني[2] القلوب وطلب عيسى صلوات الله على نبينا وعليه عين الحياة الحقيقية في الأرض قيل له لاتجدها إلا بعد تعب إني متوفيك تحت ظل أرائك مقام ورافعك الى المحبوب الكلي أحمد[3] (صلى الله عليه وآله وسلم) وجد عين الحياة الحقيقية في معارج وما طغى ليلة أسرى بعبده في مجلس ما زاغ البصر قيل له أغتسل منها بماء ماكذب الفؤاد وخذ من دررها عقداً ينظمه لك ناظم الشوق في سلك القدر أية من أيات ربه الكبرى هذا معنى ذاتك لاتموت بعده بدليل قوله(صلى الله عليه وآله وسلم: تعرض عليّ أعمال أمتي)[1].

قال في خلق الآدمي

قال رضي الله عنه في خلق الآدمي: ماأعجب خلق هذا البشري وماأغرب حكمة دفنها الصانع تبارك وتعالى[2] فيه ملك بعقله لولا أتباع هواه لطيف المعنى لولا كثافة طبعه كنز أستودع

---

[1] م:النخلة.

[2] ق:صفات.

[3] م:محمد.

[1] رواه البخاري ومسلم،المصدر السابق،ج٣،ص٢٠.

[5] م:عزوجل.

غرائب[1] أسرار الغيب وجوامع أصناف العلم وعاء ملئ نور أو ظلمة أهاب ستر عروس الروح في بستار الصور عن عيون الأغيار عجيبة جلاجمالها[2] القدر على عيون الملائكة في حلل ولقد كرّمنا بني آدم في مجلس وفضائهم العقل فيه أشارة الى كونه من عالم الشهادة حملت أصداف الهياكل درر الأرواح في بحر الوجود على سفن العلم ليكمل به ضياء[3] نور اليقين فسارت بريح الروح الى جزائر المشاهدة ووقف سلطان العقل فيه بإزاء سلطان الهوى وتقابلا وتقاتلا في سعة فضاء صدره وكانت النفس من أخص جنود سلطان الهوى والروح من أشرف جنود سلطان العقل فأذن مؤذن الحكم بينهم ياخيل الله أركبي وياكتائب الحق أبرزي ويا جنود[1] الهوى تقدمي فكل يريد نصرة حزبه وكل يحاول قهر خصمه فقال التوفيق لهما بلسان سابق الغيب من نصرته كانت الغلبة معقودة براياته ومن أعنته كان كان السعيد في الدنيا والآخرة ومن كنت معه لم أفارقه حتى أوصله الى مقعد صدق ياغلام[2] أتبع العقل وقد وقف بك على محبة طريق السعادة الكبرى وفارق نفسك وهواك وقد رأيت العجب الروح[3] سماوية غيبية والنفس ترابية أرضية

---

[6] م:عجائب.

[7] م:كمالها.

[8] ق:أنوار.

[1] م:جيوش.

[2] ق:ياهذا.

[3] م:النفس.

طار طائر اللطيف من وكر الكثيف بجناح العناية الى شجرة العلى وأوكر في غصن القرب وغرد بتلحين لسان الشوق وناغاه نديم الأنس والتقط جواهر[١] الحقائق من بين أكناف المعارف وبقي الكثيف محصوراً في قفص ظلمة وجودة أذا فنيت القوالب بقيت أسرار القلوب إن نظر الى قلبك أقامة مقام عرشه وأودعه حقائق[٢] العلوم وجعله خزانة أسرار المعرفة[٣] فحينئذ يترأى لعين عقلك جمال الأزل وتعرض عن كل شيء متصف بصفات الحدوث وتقابل بصيرة سرك أشخاص عوالم الملكوت في مرآة القلب وتجلى عن عين سريرتك عرائس الفتح[١] في مجلس الكشف عن حقائق الآيات فأذا أثار متلوحات الأكوان ممحوة من لوح همتك يا هذا القول المنورة سرج الفحول في كل ظلمة الأفكار الصافية[٢] أدلة أرباب المعارف والعناية السابقة تكشف عن وجه خلود اليقين نقاب الشك إذا تزاحمت الظنون والأرادة اللاحقة تقطع أفكار الباطل بيد الحق أذا تقاصرت الأدلة .

---

[٤] ناقصة في (ق) .

[٥] م:أسرار .

[٦] م:العلم .

[٧] م:الشطح .

[٨] م:الخالصة .

قال في الصدق والصفاء

قال رضي الله عنه: ياغلام عليك بالصدق والصفاء فلولاهما لم يقترب بشر الى الله ياغلام لو ضرب حجر قلبك بعصا موسى الأخلاص لتفجرت منه ينابيع الحكم فبجناح الأخلاص يطير العارف[1] من ظلمة قفص الكون الى فسحة نور القدس وينزل بعد الطيران في ظل روض مقعد صدق ياغلام ما أشرق نور اليقين في قلب عبد إلا ظهر على أسارير[2] وجه صاحبه ضياء نور رضا الله ونوهت الملائكة بأسمه في الملكوت الأعلى وجاء يوم القيامة في زمرة الصديقين[1] ياغلام الأعراض عن مشتهيات النفوس تجريد بل توحيد هو صفاء بوارق شوق عشقه[2] لخواطر العارفين حتى لايتلذذوا بوصل غيره هو هيم قلوب الوالهين حتى وقعت في أدوية حبه الطريق الى الله عزوجل لايسافر فيها بغير زاد الصدق الحضور معه لايحصل بغير تجريب[3] القوالب والأفطار في الآخرة على شراب النظر لايوصل اليه إلا بعد الصيام عن الدنيا وما فيها ما نظرة منه اليك غالية بترك الوجود وما لحظة منه لك كثيرة بالخروج، إلا أكوان أذا صفت النفوس،

---

[1] ق:الولي.

[2] ناقصة في (ق).

[3] ق: السالكين.

[4] ق:حبه.

[5] م:معرفة.

من الأكدار البشرية[١]، أمتثلت الأوامر وإذا قوى نظر عقل العارف، سطعت على سره أنوار بارئة، الأولياء هم خواص حضرة السلطان، العارفون ندماء مجلس الملك، وذوق حلاوة[٢] تشهد الولاء بجسم مرارة صبر البلاء، ياغلام عيون عقول الفحول لم تلتفت الى الدنيا، ولم يخدعهم خلب برقها اللامع، بل فهموا قول المحبوب عنها، إنما الحياة الدنيا لعب ولهو، ياغلام من اللذات[٣] يدخل الشيطان الى القلوب، ومن منافذ الشهوة يعبر الى الصدور[٤] ويخدع، حب الدنيا يزرع في النفوس بغض الاخرة، فطوبى لمن تنبه من رقدة غفلة عقله، وصفا مورد حالة بطلب قرب[١] مولاه، وبادر بالخروج الى ما لايدينه، وحاسب نفسه قبل محاسبة أسرع الحاسبين، وشمر للسباق الى الآخرة، فأن الدنيا ميدان المسابقين، والأعمال جلبات سبق الفائزين، وعلى جسر القيامة الممر والساعة أدهى وأمر.

---

[٦] ناقصة في م.

[٧] ق:شهد.

[٨] ق:الشهوات.

[١] م:القلوب.

[٢] ق:ود.

فصل

قال في الفناء

قال رضي الله عنه في الفناء: أفن عن الخلق، لحكم الله عزوجل، وعن هواك بأمر الله وعن أرادتك[1] بفعل الله ،فحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله، فعلامة فناء عن خلق الله تعالى أنقطاعك عنه، ولاياًس مما في أيديهم، وعلامة فنائك عنك وعن هواك ، ترك التعلق بالتسبب في جذب[2] النفع، ودفع الضر، فلاتترك فيك بك، ولاتعتمد عليك لك، ولا لتذب عنك ولاتنتصر لنفسك، ولاكل ذلك كله الى من تولاه، أو لا فيتولاه أخر، وعلامة فنائك[3] عن أرادتك أن لاتريد مع أرادة الله عزوجل، سواه بل يجري فعله فيك، وأنت ساكن الجوارح، مطمئن الجنان، مشروح الصدر، عامر البطن، غني عن الأشياء بخالقها تقلبك يد القدرة، ويدعوك لسان الأزل ويعامل رب الملك، ويكسوك من نوره حُللاً، ويُنزِلك منازل من سلف من أولى العلم الأول[1]، فتكون أبداً منكسر ،لا تثبت فيك غير أرادة الله سبحانه، فحينئذ يضاف اليك التكوين وخرق العادات، فيرى ذلك منك في الحكم، وهو فعل الله عزوجل حقاً في العلم، وهذه نشأة أخرى، فأذا وجدت فيك أرادة كسرت، لوجودك فيها الى أن يبلغ الكتاب أجله فيحصل اللقاء فالفناء، هو حد ومرد، وهو أن يبقى الله عزوجل تعالى وحده كما كان، قبل أن يخلق الخلق، وهذه حالة

---

(١) م:قوتك.

(٢) م:جلب.

(٣) ق:موتك.

(٤) ناقصة في (ق).

الفناء، فأذا مت[١] عن الخلق، قيل لك رحمك الله، وأماتك عن هواك، وأذا مت عن هواك قيل لك رحمك الله، وأماتك عن أرادتك ومناك، وأذا مت عن الأرادة قيل لك رحمك الله وأحياك، فحينئذ تحيى حياة لاموت بعدها، وتغني غنىً لافقر بعده، وتعطى عطاءً لا منع[٢] بعده، وتعلم علما لا جهل بعده، وتأمن أمناً لاخوف بعده،وتسعد فلاتشقى، وتعز فلاتذل، وتقرب فلاتبعد، وتعظم فلاتحقر،وتطهر فلاتدنس، ياهذا[٣] كن مع الله تعالى كان لاخلق ومع الخلق، كان لانفس فإذا كنت مع الله تعالى كان لاخلق، وحدت وعن الكل فنيت، وأذا كنت مع الخلق كان لانفس عدلت وأبقيت،أترك الكل على باب خلوتك، وأدخل وحدك ترى مؤنسك في خلوتك، بعين سرك وتشاهد ماوراء العيان[١]، وتزول النفس ويأتي مكانها أمر الله تعالى، فإذا جهلك علم، وبعدك قرب، وصمتك ذكر، وحشتك أنس، ياهذا ماثم إلا خلق وخالق، فإن أخترت[٢] الخالق عزوجل، فقل أنهم عدو لي إلا رب العالمين، ثم قال من ذاقه فقد عرفه، فقيل له من غلبت عليه مرارة الصفراء،كيف يجد حلاوة الذوق،فقال يتعمد فناء الشهوات من قلبه، ياهذا المؤمن[٣] أذا

---

(٥) ق:فنيت.

(٦) ق:لاسد .

(١) ق:ياغلام.

(٢) م:البصر.

(٣) م:أردت.

(٤) م:المسلم.

عمل صالحاً، أنقلبت نفسه قلباً، ثم أنقلب قلبه سراً، ثم أنقلب السر فصار فناء، ثم أنقلب الفناء فصار وجوداً، ثم قال ليس كل الأحباب يسعهم كل باب[1]، يا هذا الفناء أعدام الخلائق، وأنقلاب طبعك الى طبع الملائكة، ثم الفناء عن طبع الملائكة، ولحوقك بالمنهاج الأول، فحينئذ يسقيك ربك ما يسقيك، ويزرع فيك ما يزرع، أن أردت هذا فعليك بالأسلام، ثم الأستسلام ثم العلم بالله[2] عزوجل، ثم المعرفة ثم الوجود به، فأذا كان وجودك به، كان ذلك له الزهد عمل ساعة، والورع عمل ساعتين والمعرفة عمل الأبد .

قال في قلب المؤمن

وقال رضي الله عنه ما يطلع في قلب المؤمن نجم الحكم، ثم شمس المعرفة، فبضوء قمر العلم ينظر الى الآخرة، وبضوء شمس المعرفة ينظر الى المولى، النفس المطمئنة نجم والقلب السليم قمر، الصافي شمس مقام النفس في الباب، ومقام القلب في الحضرة، ومقام السر في المخدع، قائم بين يدين الحق سبحانه[1]، يلقن القلب والقلب يلقن النفس المطمئنة، والنفس تملي على اللسان، واللسان يملي على الخلق، وجود نفس مظنة التهمة، ووجود القلب مقام الشبهة، وعند صفاء السر تأتي العجائب[2]، ما دمت تأخذ بقلب متقلب فأنت تأكل الشبهة، فإذا صفا سرك[1]

---

(٥) ق:دار .

(٦) م:العمل لله .

(٧) م:عزوجل .

(١) ق:الغرائب .

أكلت الحلال المطلق، الرضاء بالقضاء سبب تقريب القلب، ودخوله دار الفضل، وأكله من طعام الفتح وشرابه من شراب الأنس، أسرار القوم[٢] رواسي[٣] الأرض، وأوتاد الوجود، يناجيهم منادم الأنس، بأحاديث أحلى في النفوس من المنى، يقول لهم يكون بعد هذا الضيق سعة، وبعد هذا التشتت[٤] جمع، وبعد هذه المرارة حلاوة، وبعد هذا الذل عز، وبعد هذا الفناء وجود، فحينئذ يستقبل وجه القرب، صاحب هذا المقام ويجعل بينه وبين الخلق حاجزاً، ويجمع في قلبه[١] بين الحكم والعلم، والقرب نور صنعه وخرق عادة قلوب القوم، تنظر بنور الله الى ماسواه، يدخلهم جنة النظر اليه، فأذا نظروا الى الأكوان صاحوا[٢]، يادليل الحائرين دلنا الى أقرب الطرق اليك، فيهيمون ولايصغون الى زجل مسبحها، ولايلتفون الى عوالمها فتأتيهم يد الرأفة والمحبة فتأخذ بأيدي قلوبهم، وتضعها في حجر اللطف، وكنف الأنس ولذة القرب، وتنزع عنها السفر وتنزلها منازلها وتمكنها من حضرته وتحصل لقلبه أبواباً يرى من كلها ملكه وسلطانه

---

[٢] ق:قلبك.

[٢] أسرار القوم: السر عند الصوفية هو الذي ينفرد به الأولياء والعارفون بالله مما أوضعه الله في قلوبهم من الأسرار الألهية والحقائق الربانية التي لايعرفها غير أحباء الله ولذلك كانت هذه الأسرار مما يجب سترها عن العامة وعدم كشفها إلا لأهل الطريقة من الأولياء خوفاً من الفهم غير المقصود. ينظر: عفيفي، أبو العلا، المصدر السابق، ص٨٧.

[٥] م:جبال.

[٦] م:التفرق.

[٧] ق:لبه.

[٨] م:نادوا.

وجلاله وجماله، فقلوبهم مجرى إرادته وقرائن علمه، وصور سره، كلما دارت أسرارهم في مناكب دار القلب، القت العلوم والأسرار، فصاروا جلساء ذلك البيت، ورأوا ما ثم من الخزائن والمرافق، وجائهم البسط من كل جانب، وقوي جنانهم، فطاروا الى سرادقات ذلك الجناب، وصارت بريهم، وإن سقطوا، سقطوا في صحن الدار يتقلبون بين يدي رب الملك، دعاة مجابون محبوبون مجذوبون، فالقلب من الرب، والسر مع السر، إذا أنفتح القلب راى بعين السر جمال الرب عزوجل، وقطع الحجب، ياهذا: صدور الصديقين قبور أسرار رب العالمين فيها نجوم العلم وشموس المعارف، وبهذه الأنوار تستضيء الملائكة.

قال في من عامل مولاه بالصدق والنصاح

قال رضي الله عنه: من عامل مولاه بالصدق والنصاح، أستوحش ممن سواه في المساء والصباح، يا قوم[١] لاتدعوا ماليس لكم، ووحدوا، ولاتشركوا، وتهدفوا لسهام القدر تصبكم خدشاً لاقتلا، ومن كان في الله تلفه كان على الله خلفه، وأعلموا رحمكم الله أنكم إن لم توافقوا مجرى الأقضية وإلا قصمتكم فأنه لايصطفي القلب[٢] حتى تصطفي النفس وتصير مثل كلب أهل الكهف، رابضة على الباب وتنادي: {ياأيتها النفس المطمئنة أرجعي الى ربك}[٣]، فحينئذ يدخل القلب الى الحضرة يصير كعبة لنظرات الرب تعالى[٤]، ويكشف له عن جلال الملك، وكمال[١] الملك، ويستوطن خيمة القرب، ويغرس في جوار الملك، وتظهر نجابته وتخر للقائه، وتسلم اليه وراثه، ويسمع النداء من الرفيق الأعلى، ياعبدي[٢] أنت لي، أنا لك فإذا طالت صحبته صار بطانة للملك، وخليفته على رعيته، وأمينه على أسراره، وأرسله الى البحر لينقذ الغرقى، والى البر ليهدي الضال، فإن مر على ميت أحياه أو على عاصٍ[٣] ذكره، أو على بعيد قربه، أو على شقي أسعده.

---

[١] ق:ياناس.

[٢] ق:العقل.

[٣] سورة القمر:الآية ٢٧.

[٤] ق:سبحانه وتعالى.

[٥] ق:جمال.

[٦] ق:يامؤمن.

[٧] م:ضال.

فصل

قال في المعرفة

قال رضي الله عنه في المعرفة: المعرفة على ثلاث درجات:

الأولى: معرفة الصفات والنعوت، وردت[1] أشاميها بالرسالة فظهرت شواهدها في الصنعة، وبهاء طيب حياة العقل بقيصر النور، القائم الدائم في سر الموجود، ودام سرور القلب، بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار، وهي معرفة العامة التي لانعقد شرائط اليقين[2]، إلا بها وهي على ثلاث أركان، إثبات الصفة باسمها من غير تشبيه، ونفي التشبيه من غير تعطيل، والأكياس من أدراك كنهها[1]، وابتغاء تأويلها.

الثانية: معرفة الذات مع إسقاط التفريق، بين الذات والصفات، وهي تثبيت بعلم الجمع، وتصفو في ميدان الصفاء، وتستكمل بعلم البقاء، وتشارف عين الجمع، وهي على ثلاثة أركان أرسال الصفات على الشواهد، وإرسال الوسائط على المدارج[2]، وإرسال العبارات على المعالم، وهي معرفة الخاصة، التي تؤنس من أفق الحقيقة.

---

[1] م: ذكريات.

[2] م: الأيمان.

[3] ق: ذاتها.

[4] م: المسالك: وهي عند الصوفية تعني مدارج الدهشة والسكينة وهو مدرج خوف ورجاء يتملك العبد فكأنه قد غشي عليه من قوة الذي تملكه. ينظر: الجيلاني، عبد القادر، الفتح الرباني، ص٨٨.

الثالثة: معرفة مستغرقة في محض التعريف لايوصل اليها بالأستبدال ولايدل عليها شاهد ولاتستحقها وسيلة وهي على ثلاثة أركان مشاهد القرب والصعود على العلم[1]، ومطالعة الجمع من أفق الأزل، وهي معرفة خاص الخواص، والمعرفة بطريق التوحيد، هي الصعود على منازعات العقول، والتجاوز عن التعلق بالشواهد، وهو أن لايشهد في التوحيد، دليلاً ولافي التوكل سبباً، فيكون مشاهد أسبق الحق، بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها، وأخفاءه أياها في رسومها[2] وهذا يصح بعلم التحقيق، ويصفو في عين الشهود، ويجذب الى توحيد، أرباب الجمع، وهو توحيد أختصه[1] الله عزوجل لنفسه، وأستحقه بقدرته[2]، ولاح منه لائح لأسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثه[3]، وقطب الأشارة اليه أسقاط الحدوث، أثبات القدم، على أن هذه الأشارة في هذا التوحيد علة، لايصح تحقيقه إلا بأسقاطها، وهذا التوحيد وراء مايشير اليه مكنون[4]، أو يتعاطاه حين أو يقله سبب، ولاتصح هذه الدرجة لعبد إلا أن يكون كالميت بين يدي غاسله، تجري[5] عليه تصاريف تدبير ربه

---

[5] م:العلوم.

[6] م:معالمها .

[1] ق:أوجده.

[2] ق:بقضائه.

[3] ق:ذكره.

[4] ق:مضنون.

[5] م:تمشي.

عزوجل، في مجاري أحكام قدره، في لجج[1] في ما أراد منه، وذلك أن يرجع أخر العبد الى أوليته، فيكون كما كان قبل أن يكون، ويبقى الله عزوجل، كما لم يزل، مع العلم بأنه غير مشبه للذوات، ولا منفي الصفات، وأستقامة القلب بأثبات مفارقة التعطيل، وانكار التشبيه وهذا الأمر[2] حقيقة الوجد، للواحد والمعرفة بطريق الأتصال، هي الخلاص من الأعتلال، والغنى عن الأستدلال، وسقوط شتات الأسرار[3]، والخواض في بحر عين الوجود، وهذا لايدرك منه نعت ولامقدار، والمعرفة بطريق الأنس، أرتفاع الحشمة مع وجود الهيبة، وشرور القلب بحلاوة الخطاب وأرتياح الروح[1] بمشاهدة المحبوب، ومحادثة الأسرار للمحبوب على بساط الأنوار في مجالس القرب، وهو أتم من البسط كما أن الهيبة غيبة، فكل مستأنس صاح، وكل هائب غائب، فأذا أقذف بالعبادة في عش[2] الأنس، فكأنهم في الجنة مخاطبون بلسان النور، وأذا أقذف بهم في بحر الهيبة، كأنهم في جهنم مخاطبون، بلسان النار، ثم يتفاوتون في الهيبة، على حسب تباينهم في التعظيم، ويتباينون في الأنس حسب تباينهم في الشوق، فان عصفت[3] عليهم عواصف

---

[6] ق:غمار.

[7] م:الشيء.

[8] ق:الأحوال.

[9] م:النفس.

[10] ق:دار.

[1] ق: هبت.

الهيبة، طاشوا وإن هبت عليهم نسمات الانس عاشوا، فتلك قلوب المحبين، وهذا اسرار الصديقين، يتقلبون بين نسيم أنسه، ورياض قدسه، وينادون بالسن احوالهم، والمعرفة بطريق الولاية، هي الفناء المجرد[١] في حالة الباقي، في مشاهدة الحق بتوليه سياسته ورعايته، فتوالى عليه انوار الموالي، فأذا تولاه والاه، وأذا والاه أصطفاه وأذا اصطفاه صفاه، وأذا صفاه باتجاه، وأعانته الروح في المجاهدة وسربله الانس في المكابدة، ثم فتح عليه باب القرب ثم رفعه الى مجالس الفتح ،ثم اجلسه على كرسي[٢] التوحيد، ثم رفع عنه الحجب، ثم كشف له عن الجلال والعظمة، فيبقى هو بلاهو، فالولي ريحانة الله في الارض، يشمه الصديقون فتصل رائحته الى قلوبهم، فيشتاقون الى ربهم، على تفاوت منازلهم[١]، فالأولياء[٢] عرائس الله تعالى لا يراهم إلا ذو محرم، مخدرون عنده في حجاب الغيرة، لا يطلع عليهم الا محبوب، والمعرفة بطريق التجريد هي تجرد للقلوب[٣]، بشواهد الالهية عن رؤية اكدار صفات الحدوث، مع سقوط رؤيتك عنهم، فلايبقى لك نظر معه، فحينئذ تنظر الى ما هنالك من الكرامات، وتشاهد ما ذكر لك من

---

[٢] ق: الخالص.

[٣] ق: بساط.

[٤] م: درجاتهم.

[٢] الأولياء: وهم منتهى غاية الواصلين للعلم الألهي،فقد صانوا قلوبهم أن يدخلها غير الله أو أن تتعلق بشيء سوى الله. ينظر: إبن عربي،المصدر السابق،ج٩،ص٣٠٢.

[٦] ق: للالباب.

خفي العيوب، وهي على ثلاثة اركان، تجريد عن الكشف، عن كسب اليقين، وتجريد عن الجمع عن درك[1] العلم، وتجريد الخلاص من شهود التجريد، هو انخلاع[2] عن شهود الشهود، والمعرفة بطريق التفريد ،هي افراد القديم برفع لفظ المحدث، ووجود فرائد حقائق الفردية، وتخليص الاشارة الى الحق، ثم بالحق عن الحق فيصير[3] فرد الفرد، وهي على ثلاثة اركان تفريد القصد عطشا، ثم تفريد المحبة تلفاً، ثم تفريد الشهود اتصالاً، ولها ثلالث اشارات تفريد الاشارة، بالافتخار وتفريد الاشارة بالسكون[1]، وتفريد الاشارة بالقبض، وهي ترد ببسط ظاهر[2]، يتضمن قبضاً خالصاً للهداية، الى الحق والمعرفة، بطريق الحمع والتفرقة، فالتفرقة شهود الاغيار بالله، وجمع الجمع استهلاك بالملكية، عند غلبات الحقائق، وهي على ثلاثة اركان، جمع علم وهو تلاشي علوم الشواهد[3]، في العلم اللدني صرفاً، وجمع وجود وهو تلاشي نهاية الاتصال[4]، في عين الوجود محقاً، وجمع عين هو تلاشي كل ما نفعله، الاشارة الى ذات الحق في

---

[7] ق: تحصيل.

[8] ق: اسلاخ.

[1] ق: فيصبح.

[2] م: بالصمت.

[3] م: واضح.

[3] علم الشواهد: وهو علم وهبي ألهي الهامي،لادخل للقل والحس فيه وأنما يلهم به الولي الهاماً عن طريق نفث روحاني وعلم ألهي. ينظر: الطوسي، السراج،المصدر السابق،ص٤١٥.

[5] م: الارتباط.

اختطاف الشهود، الى ما استولى من سلطان حقيقة[١]، وجود المشهود، حقاً بنعت المحاضرة، وهي حضور القلب في سر البيان[٢]، ووصف المكاشفة وهي مقابلة لحقائق الايات، من غير الاحتياج في هذه الحال، والى تأمل دليل وقانون المحادثة وهي لا تكون بأظهر الاغيار، انما يظهر[٣] منها النطق بالاخبار، وتستر المحادثة في الاسرار، فالحاظر بالبرهان والمكاشفة بالحقائق، والمشاهدة بالانوار والمحادثة بالاسرار، والمعرفة بطريق البقاء[١]، هي ان ينفى عن كل شيء، حيث يثبت مع الله، ويبرز لله الواحد القهار، ثم بدت عليهم حقائق[٢] من الله عزوجل، فأفنهم عن رؤية بقائهم، يشاهد بقاء الله تعالى لهم، وبدت عليهم حقائق من سلطان الهيبة والجلال، ففنوا عن رؤية البقاء، بمشاهدة علم الفناء، ثم بدت عليهم حقائق التحقيق، حيث لا حقائق موجودة غير انها حقائق محت اثار رؤية العلم فيهم، ثم يفنون عن الفناء بالفناء، حتى لا يشهدوا فناء ولا بقاء، فيكلؤهم الله عزوجل كلاءة الطفل الوليد[٣] وهي على ثلاثة اركان بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عيناً، لا علماً وبقاء الشهود بعد سقوط الشهود وجد الآنعتاً، لم يزل حقاً

---

[٦] ق: الحقائق.

[٧] ق: الكلام.

[٨] م: يطلع.

[٩] ق: الغناء.

[١٠] م: عجائب.

[١] م: الرضيع.

بأسقاط ما لم يمكن محواً، ولا يصح هذا الوصف[١] لأحد إلا بعد فناء نفسه عن المألوفات، ونزول التبعات وملازمة أداب العبودية، والأستقامة على قيام بأوامر الشريعة، فكل جمع بلا تفرقة زندقة، وكل تفرقة بلا جمع تعطيل، ومن لم يصبه سهم الفقد، فأن البقاء يرده زمن شاهد سر، مالا يتسلط عليه التغير، ولا يحويه الفهم فقد شاهد صفة قديمة، واراد استدلال لا وارد جلال، وصفات العارف ان يعرف الله تعالى بوحدانيته، وكمال صفاته، وان يصدق في معاملته، وخلص له كليته بدوام الوقوف على امتثال[١] أوامره، ويصير عن الاغيار أجنبياً، ومن افات نفسه برياً، ويصفي قلبه عن كدر بشريته، ويفارق بسره ملاحظة الخلق.

قال في الشهود

وقال رضي الله عنه في الشهود: ان الله عزوجل لا يتجلى لعبد في صفتين، ولا في صفة لعبدين، مادام الخير باقياً والوقت موجوداً، والجمع ملحوظاً، والطبع[٢] مألوفاً، والحد قائماً، وألا فقد يكون ولكن عبد حد، ولكل حد وصف ولكل وصف طور، ولكل طور ولكل تجل منازلة، ولكل منازلة سر ولكل سر معراج، ولكل معراج غاية ولكل غاية مستقر بين يدي الله عز وجل[٣] ومستودع من علمه، وأذا كان العبد في حده او دونه، فشهوده مقيد بأنتهاء، وملازم لا يستثار،

---

[٢] ق: النعت.

[٣] م: التزام.

[٤] ق: الأنس.

[٥] م: تبارك وتعالى.

لانه من حيث الشاهد، وهذا موضع جواز ظهور[1] صفة قديمة، في مثال مخالفها، لأن حد الخير[2] مرد الوسع، ووسع الرد خير الحد، ولا يسمع الحد وجوداً مطلقاً، ولا يحمل الوسع حقيقة، ما استقرت[3] به قوته، وأذا كان العبد من وراء حده، فشهوده في وصف الوجود الكلي، القائم بنفسه لانه من حيث المشهود، وهذا وصف لايقوم له مثال ولايثبت معه قوة غيره ولايبدو ألا في الحقيقة، وإذا كان الشهود مشهوداً فلابد من خفاء[1] معنى من معانيه، في سمت ما قام من وجود، ولا يصح الشهود المطلق، إلا عند تجريد الشهود شهوده وأنخلاعه عن أستتارات المركبات ومتواريات المؤتلفات فأنه بين كل مركبين مخالفة توجب التباساً، وفي كل مؤتلفين تغاير يورث اشتباهاً، وعند قيامه بصفة واحدة، في محض[2] التوحيد، وجمع الجمع يتحد ظاهر الشهود وباطنه

فصل

قال في كتبك الله من ذوي السعادة

---

[1] م: وجود.

[2] ق: الجود.

[3] م: ثبتت.

[4] ق: ضمور.

[5] ق: خالص.

قال رضي الله عنه: أعلم كتبك الله من ذوي السعادة، وجعلك ممن فاز بالحسنى وزيادة ان شيخ الاسلام[١] محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه لما تحلى بحلل العلوم الشرعية[٢] ونال لطائفها بتيجان الفنون الدينية، وحاز شرائفها وهجر في مهاجرته الى الحق كل الخلائق وتزود في سفره الى ربه عزوجل احسن الاداب واشرف الحقائق[١] وعقدت له الوية ولاية فوق العلى ذوائبها، ورفعت له منازل جلى له في سماء القرب كواكبها ونظر قلبه الى رقوم الفتح في ذيول الكشف عن الاسرار وشخص سره الى شموس[٢] المعارف من مطلع الانوار واشهدت بصيرته عرائس الحقائق في مقاصير الغيوب واسكنت سريرته حضرة القدس في خلوة وصل المحب بالمحبوب ورفعت اسراره الى مشاهد المجد والكمال[٣] ودوام احضاره في معالم العز والجلال هنالك انكشف له علم السر المصون واتضح له حقيقة الحق المكنون واطلع على معاني خفايا مكامن المكنونات[٤] وشاهد مجاري القدر في تصاريف المشيئات واخترع علم من معادنها وظهر التحف من مكامنها وأتاه الأمر النفي من تدنيس بالجلوس لوعظ والتصدر

---

[١] ق: الامام.

[٢] م: الدينية.

[٣] ق: الوقائع.

[٤] م: الشمس.

[٥] ق: الجلال.

[٦] م: الدرر.

للتدريس وكان اول جلوسه للوعظ في الرباط[١] في شوال سنة احدى وعشرين وخمسمائة لله در مجلس تجلله الهيبة[٢] والبهاء[١] وتحف به الملائكة والاولياء فقام بنص الكتاب والسنة خطيباً على الاشهاد ودعى الخلق الى الله عزوجل فأسرعوا الى الانقياد له من داع اجابته ارواح المشتاقين[٢] ومن منادٍ لبته قلوب العارفين ومن حاديهم ركائب النفوس في فلوات الشوق ومن هادٍ ساق نجائب القلوب الى حمى الوصل ومن ساق روى عطاش العقول من شراب الانس فكشف براقع اللبس عن وجوه[٣] المعارف ورفع اغطية العين عن عين شرائف اللطائف وهز اعطاف القلوب بوصف جمال القدم وارقص اشباح الارواح بسماع نعت كمال الكرم وناغى اطيار الاسرار في صوامع[٤] قدسها بألحان لذيذ انسها فطارت من اوكار اطوارها في حسها الى انوار انوارها مع جنسها وجلي عرائس المواعظ فدهش ببهجة حسنها العشاق وزف مخدرات

---

[٧] الرباط: مكان للاجتماع على التقوى والمصالح الدينية ومواساة الاخوان بالمال والبدن. ينظر: السهروردي، المصدر السابق، ص ص١٠٧–١١٠؛ رؤوف، عماد عبد السلام، معالم بغداد في العصور المتأخرة، بغداد، ٢٠٠٢، ص١٠٢.

[١] م: الجمال.

[١] البهاء: وهو بهاء الله فكلما زاد الأيما ان يقطف السالك ثمرات عن طريق الأتصال فيشعر بلذة كبرى فيزداد شوقاً الى القرب من بهاء الله تعالى. ينظر: الجيلاني، الفتح الرباني، ص١٠٧.

[٣] م: السالكين.

[٤] م: درر.

[٥] ق: جوامع.

المواهب فصبا لمعنى جمالها كل مشتاق ونطق بنفائس[1] الحكم في رياض انس اينعت مروجها وابرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمت امواجها يرى معانيها من معادنها در او ياقوت ويجد من درها دواء ومن ياقوتها قوتاً ودبج روض الحقائق بحدائق ذات بهجة فيا للسالكين الى الله عزوجل محجة وحجة وبث لألئ الفتح على بسط الافهام فتسابق لألتقاطها الألباب[2] والأقلام فتنضدت منها فوائد هدي في اعناق ذوي الهمم العالية يصل العامل بها ان شاء الله تعالى الى المقامات السنية[1] فجال في النفوس مجال الانفاس في الصدور وعبق الروض الممطور وأبرأ النفوس من اسقامها وشفى الخواطر من اوهامها فما سمعه الا من اوضح بالتوبة دجونه او من بخل[2] بالبكاء جفونه فكم رد الى الله عزوجل عاصياً وكم ثبت الله به واهياً وكم اصحى من خمر الهوى سكارى وكم فك من قيود النفوس أسارى وكم أصطفى الله عزوجل به اوتاداً وابدالاً وكم وهب الله سبحانه به مقاماً وحالاً رحمة الله عليه.

حضر يوماً مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه أحد كبار الاعيان[3] ولم يكن حضره قبل ذلك فقال الشيخ مشيراً اليه ليتك لم تخلق وليتك اذ خلقت علمت لماذا خلقت يا نائم

---

(٦) م: روائع.

(٧) م: العقول.

(٨) م: العالية.

(١) ق: ضن.

(٢) م: نقيب النقباء.

انتبه افتح عينك وانظر ما امامك فقد اتتك جنود[1] العذاب يا راحل يا زائل يا منتقل سافر الف عام لتسمع مني كلمة واحدة لتبلغ عندك كم سمت الحياة مثلك بالجاه والكثرة ثم انا اذا ثار طبع اخلاصي وطبع سرى لا ازول خطوتان وقد وصلت الى الله[2] عزوجل النفس والخلق وانت يا مريد خطوتان وقد وصلت الدنيا والاخرة الا الى الله تصير الامور فلما نزل عن الكرسي، قال له بعض تلاميذه[1] :يا سيدي لقد غلطت في القول له فقال انما هو نور جلى ظلمته.

قال: فلم يزل بعد ذلك يحضر مجلسه ويأتيه في غير وقت المجلس ويجلس بين يديه متواضعاً متصاغراً رحمه الله تعالى، فكان رضي الله عنه اذا قام اليه شاب[2] ليتوب يقول يا هذا ما قمت حتى اقاومك ولا اقبلت حتى قبلوك ولا جئت حتى طلبوك ولا قدمت من سفر الجفاء حتى استحضروك يا هذا[3] ما تركناك لما تركتنا ولا قاطعناك لما قاطعتنا ولا هجرناك لما هجرتنا ولا نسيناك لما نسيتنا انت في اعراضك، ورعايتنا تحفظك وأنت في جفاك وعنايتنا تلحظك ثم حركناك لقربنا وازعجناك[4] لوصلنا وقربناك لأنسنا وخطبناك باشارتنا . وكان إذا قام اليه

---

[3] م: جيوش.

[4] ق: الحق.

[5] ق: طلابه.

[6] ق: رجل.

[7] م: يا غلام.

[8] م: وردعناك.

الشيخ ليتوب يقول يا هذا اخطأت وابطأت واسأت كلما فسحنا لك المهل اطلت الا ما أسأت العمل كلما كبر سنك[1] تمرد جنك هجرتنا في الصبا وعذرناك وبارتنا في الشباب ومهلناك فلما قاطعتنا في المشيب مقتناك أقبح منظر يرى يوم القيامة ذو شيبة بيضاء بيده صحيفة سوداء .

يقول الشيخ الجليل[1] ابو الفرج عبد الجبار[2] بن شيخ الاسلام محيي الدين عبد القادر رضي عنه قال: سمعت والدي غير مرة يقول: وعزة العزيز ما ثنيت ما قلت قط وما تكلمت الا بالفتح . قال وكانت خطبته في مجالس[3] وعظه الحمد لله رب العالمين ويسكت[4] ثم يقول الحمد لله رب العالمين ويسكت ثم يقول الحمد لله رب العالمين ويسكت ثم يقول عدد خلقه وزنة عرشه ورضى نفسه ومداد كلماته ومنتهى علمه وجميع ما شاء وخلق وذرا برأ عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الملك القدوس العزيز الحكيم واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير واشهد ان محمداً عبده ورسوله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، اللهم اصلح الامام

---

[1] ق: عمرك.

[2] ناقصة في (م) .

[3] ابو الفرج عبد الجبار: هو ابو عبد الرحمن عبد الجبار بن عبد القادر الجيلاني، شيخ محدث، فقيه، تفقه على يد والده وسمع منه، كان مصباحاً لأرباب القلوب، توفي سنة (٥٧٥هـ/١١٧٧م) ودفن مع والده . ينظر: إبن الدبيثي، المصدر السابق،ج٢ ،ص٥٣؛ التادفي،المصدر السابق،ص٤٣ .

[4] م: مجلس .

[5] ق: يصمت .

والامة والراعي والرعية والف بين قلوبهم بالخيرات وادفع شر بعضهم عن بعض ، اللهم انت العالم بسرائرنا فأصلحها وانت العالم بذنوبنا فغفرها وانت العالم بعيوبنا فاسترها وانت العالم بحوائجنا فقضاها لا ترانا حيث نهيتنا ولا تفقدنا من حيث امرتنا ولا تنسنا ذكرك ولا تؤمنا مكرك ولا تحجونا الى غيرك ولا تجعلنا من الغافلين اللهم الهمنا رشدنا وأعِذنا من شرور أنفسنا ، أعزنا بالطاعة[1] ولا تذمنا بالمعصية واشغلنا بك عن من سواك اقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك ، الهمنا ذكرك وشكرك وحسن عبادتك[2] . ثم يلتفت عن يمينه ويقول لا اله الا الله ما شاء الله كان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم يشير تلقاء وجهه باصبعه ويقول لا اله الا الله ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . ثم يلتفت عن يساره ويقول: هكذا[3] ثم يقول لا تبدِ اخبارنا ولا تهتك أستارنا ، لا تأخذنا بسوء اعمالنا لا تحيانا في غفلة ولا تأخذنا على غرة ربنا لا تؤخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا وغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين . ثم يتكلم رضي الله عنه وكان اذا قام من مجلس ناقص ايمان او ناقص توبة يقول: يا هذا[4] ناديناك وما أجبت وكم ردعناك وما التفت وكم استعجلناك وما عجلت وكم وبخناك

---

[1] م: القناعة.

[2] م: طاعتك.

[3] م: نفس الكلام.

[4] ق: يا غلام.

وما خجلت وكم كشفناك وانت تعلم انا نراك امهلناك اياماً وشهوراً او سترناك اعواماً ودهوراً وانت لا تزداد الا نفوراً ولا ترقي الا فجوراً كم نقضت[1] العهود واخلفت الوعود وعدت بعدما عاهدتنا ان لا تعود اما صحبتنا على المجلس فلا تدوم وانما انذرناك حتى تقوم فكيف بك ان رددناك[2] او طردناك ولم اعدناك او محونا ربوعك ولم نقبل رجوعك الم تعلم انك جئتنا خاشعاً ووقفت بابوابنا خاضعاً ثم انحرفت عنا راجعاً عجباً عجباً لمن يدعينا كيف لا يسمح بكله فينا ، عجباً لمن وجد نسيم[3] قربنا وذاق شربه من حبنا ينفر من حزبنا لو كنت صادقاً لكنت موافقاً لو كنت الفاً لم تكن مخالفاً لو كنت من احبابنا لما حرمت لذة شربنا يا صنيعة اليد يا تربية الاحسان يا غذى الجود ديار الكرم[4] .

قال عبد العزيز[5] كان من ادعية والدي رضي الله عنه في مجالس وعظه اللهم إنا نسألك ايماناً يصلح للعرض عليك وايقاناً[6] نقف به يوم القيامة بين يديك وعصمة تنقذنا بها من ورطات

---

[5] م: تركت .

[6] ارجعناك .

[7] م: ود .

[1] ق: الجود .

[2] عبد العزيز: هو شمس الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني، عالم جليل، فقيه في العراق، تفقه على يد والده وسمع من غيره، ولد سنة (٥٣٢هـ/١١٣٤م)، ذكر انه غزا عسقلان في حملة القدس مع صلاح الدين، توفي سنة(٦٢١هـ/١٢٢٣م) . ينظر: إبن الدبيثي، المصدر السابق، ص٤٦؛ الزبيدي، محمد مرتضى :(١٢٠٥هـ/١٧٩١م) ، تاج العروس في شرح جواهر القاموس، مطبعة الكويت، الكويت، ١٩٨٠، ص٢٤ .

الذنوب ورحمة تظهرنا بها من دنس العيوب وعلماً نفقه به اوامرك ونواهيك وفهما نعلم به كيف نناجيك[1] ، واجعلنا في الدنيا والاخرة من اهل ولايتك واملأ قلوبنا بنور معرفتك وكحل عيون عقولنا بمداد هدايتك واحرس اقدام افكارنا[2] من مزالق مواطئ الشبهات وامنع طيور نفوسنا من الوقوع في شباك موبقات الشهوات وأعنا في اقامة الصلوات على ترك الشهوات وامح سطور[3] سيئاً آتنا من جرائد اعمالنا بايدي الحسنات كن لنا حيث ينقطع الرجاء عنا اذا عرض اهل الوجود بوجوههم عنا حتى نحصل في ظلم اللحود[4] رهائن اعمالنا الى اليوم المشهود اجبر عبدك الضعيف على ما الف من العصمة من الزلل ووقفة الحاضرين لصالح القول والعمل واجر على لسانه ما ينفع به السامع وتذرف له المدامع ويلين له القلب الخاشع واغفر له وللحاضرين ولجميع المسلمين قال: وكان القلب الخاشع واغفر له وللحاضرين ولجميع المسلمين ، قال وكان من ادعيته ايضا في مجالسه اللهم انا نعوذ بوصلك من صدك وبقربك من طردك وبقبولك من ردك وأجعلنا الله واياكم ممن تنبه لخلاصه وتنزه عن الدنيا وتذكر يوم حشره واقتفى اثار

---

(٣) م: ايماناً .

(٤) ق: ناديناك .

(٥) ق: عقولنا .

(٦) م: كلماتنا .

(٧) م: القبور .

الصالحين[1] انه ولي ذلك والقادر عليه. .... قال أبو عبد الله عبد الوهاب: كان مما يقوله والدي رضي الله عنه على الكرسي في مجالس وعظه رضي الله عنه الرفيع العماد الطويل النجاد المؤيد بالتحقيق[1] المكني بعتيق الخليقة، الشفيق المستخرج من اطهر اصل عريق الذي اسمه مع اسمه مقرون وجسمه مع جسمه مدفون الذي قال في حقه سيد كل فريق لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر الصديق رضي الله عنه وعن القصير الامل الكثير العمل الذي لا يتداخل افعاله زلل المؤيد بالصواب الملهم فصل الخطاب المنصور[2] يوم الأحزاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن مشيد الايمان ومرتل القران ومشتت الفرسان ومضعضع[3] الطغيان عثمان بن عفان رضي الله عنه افضل الشهداء واكرم الكرماء ذو النورين وعن البطل المهول[4] وزوج البتول وسيف الله المسلول وابن عم الرسول مظهر العجائب ليث[5] بني غالب، علي بن ابي طالب عليه السلام[6]، وعن السبطين السيدين الشهيدين أبي محمد الحسن وأبي عبد

---

[1] ق: المباركين.

[2] م: بالتصديق.

[3] م: المنتصر.

[4] م: داحض.

[5] ق: البهلول.

[6] م: اسد.

[6] يقول الشاعر الأسلامي محمد أقبال أنه قد أعجب أعجاباً شديداً بكلمات الشيخ عبد القادر الجيلاني في الخلفاء الراشدين وضمنها إحدى قصائده. ينظر: أقبال، محمد، ديوان أقبال، دار الصحابة للطبع، باكستان، ١٩٩٦، ص٢٣٤.

الله الحسين وعن العمين الشريفين حمزة والعباس رضوان الله عليهم أجمعين وعن الانصار والمهاجرين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين امين .

كان الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يتكلم[١] في أول مجلسه بانواع العلوم ولا يبث ما يقول وكان اذا صعد الكرسي لا يبصق احد ولا يتمخط ولا يقول هيبة له الى وسط المجلس فيقول الشيخ مضى الفال وعظنا بالحال فيضطرب الناس[٢] اضطراباً شديداً ويتدخلهم الحال والوجد وكان يعد من كراماته ان اقصى[٣] الناس في مجلسه يسمع صوته كما يسمعه أدناهم على كثرتهم وكان يتكلم على خواطر اهل المجلس ويواجههم بالكشف وكان اذا قام فوق الكرسي يقوم الناس لجلالته وإذا قال لهم اسكتوا سكتوا حتى لم يسمع لهم سوى أنفاسهم .

فصل

قال في الشجاعة صبر ساعة

---

[٨] م: يتحدث .

[١] م: الجالسين .

[٢] م: أبعد .

قال قاضي القضاة أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عب القادر رضي الله عنه قال: سمعت عمي أبا عبد الله عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه يقول: تغربت في البلاد، وتفننت في العلوم، فلما رجعت[1] الى بغداد قلت لوالدي أريد ان أتكلم على الناس بحضرتك، فأذن لي، فصعدت على الكرسي، وتكلمت بما شاء الله تعالى من العلوم والمواعظ، ووالدي يسمع، فلم يخشع قلب، ولم تجر[2] دمعة، فضج أهل المجلس على والدي يسألونه ان يتكلم عليهم، فنزلت وصعد، فضج أهل المجلس بالصراخ فلما نزل قلت له ما ذلك، فقال: يا بني انت مدل بسفرك، اسافرت الى هنا، وأشار[3] بأصبعه الى السماء، ثم قال رضي الله عنه: يا بني إني لما صعدت الكرسي فتق الحق عزوجل لساني فقبضت بالهيبة فكان الذي رأيته[4] من الناس، قال: وكنت بعد ذلك ربما أصعد الكرسي، وأتكلم على الناس بفنون العلوم والأصول والفقه والمواعظ ووالدي يسمع فلا يتأثر أحد من كلامي، ثم أنزل ويصعد فيقول: يا أبله[5] الشجاعة

---

[1] ق: عدت.

[2] م: تذرف.

[3] ق: وأمأ.

[4] م: شاهدته.

[5] أن أسلوب الشيخ عبد القادر الجيلاني يكون حاداً مع المبتعدين عن الحق فيخاطبهم بكلمات، يا غلام، يا أبله، لأثارة أنتباههم وهو أسلوب تفرد فيه الشيخ عبد القادر الجيلاني يدل على معرفة بالنفس البشرية، ينظر: المهداوي، إيمان كمال مصطفى، المصدر السابق، ص١١٤.

صبر ساعه فيصيح أهل المجلس صيحه[1] واحدة وكنت عن ذلك فيقول لي انت المتكلم فيك وانا المتكلم في غيرك قال: وكان اذا سُئِل عن مسئلة في مجلس وعظه ربما يقول أستأذن في الكلام عليها واخلص ويطرق وتجلله الهيبة ويعلوه الوقا ر ثم يتكلم عليه بما يشاء الله تعالى قال وكان يقول وعزة العزيز ما تكلمت[1] حتى قيل لي تكلم فقد أمنتك من الرد ويقال لي يا عبد القادر تكلم يسمع منك، وكان الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يلبس لباس[2] العلماء وتطلس ويركب البغله وترفع بين يديه الغاشيه ويتكلم على كرسي عالٍ وكان في كلامه سرعة وجهر وله كلمة مسموعة اذا قال أنصت له وإذا أمر أبتدر لأمره وإذا رآه ذو القلب القاسي[3] خشع وإذا رأيته فقد رأيت الناس كلهم وإذا مر الى الجامع يوم الجمعة وقف الناس في الأسواق يسألون الله تعالى به حوائجهم وكان له صيت وصوت وسمعت وصوت ولقد عطس في الجامع[4] يوم الجمعة فشمته الناس حتى سمعت في الجامع ضجة عظيمة يقولون يرحمكم الله ويرحم بك وكان المستنجد[5] في مقصورة في الجامع فقال ما هذه الضجة قيل له عطس الشيخ عبد القادر فهاله

---

[6] م:صرخة.

[1] ق:نطقت.

[2] م:ذي.

[3] ق:الحجر.

[4] م:المسجد.

[5] المستنجد: أبو المظفر يوسف بن محمد المقتفي، يعود نسبه الى ها رون الرشيد، كان عابداً زاهداً قوياً جسوراً نزيهاً شريفاً، صفت له الخلافة، كان شديد التواضع توفي سنة(٥٦٦هـ/١١٦٣م)؛ ينظر: إبن الأثير، الكامل في التا ريخ، ص١٢٤؛ إبن الكا زروني، ظهير الدين

وكان الشيخ محيي الدين عبد القادر ذا هيبة عظيمة اذا نظر الى احد يكاد يرعد من هيبته وربما أرتعدوا إذا جلس يحدق به قوم كأنهم الأسود وما ترى أمتنا لأمره منهم ولا أشد أنقيادا[١] له منهم رضي الله عنهم أجمعين

قال الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه أتمنى أن أكون في الصحاري والبراري كما كنت في الأول لا أرى الخلق ولا يروني ثم قال أراد الله عزوجل مني منفعة الخلق فأنه قد

علي بن محمد ،(ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) ،مختصر التاريخ ،تحقيق مصطفى جواد ،مطبعة الحكومة ،بغداد ، ١٩٧٠ ،ص٢٣٣ ؛السيوطي ،جلال الدين عبد الحمن بن ابي بكر(ت٩١١هـ/١٥٠٥م) ،تاريخ الخلفاء ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،مطبعة الأستقامة ،القاهرة ،١٩٣٤ ،ص٢٧٩ .

[٦] م:طوعاً .

أسلم[1] على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود والنصارى وتاب على يدي أكثر من مائة الف من العيارين[1] هذا خير كثيراً لم تكن مجالس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه تخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى ولاممن يتوب عن قطع الطريق وقتل النفس وغير ذلك من الفساد ولاممن يرجع عن معتقد شيء من الباطنية[2] وغيرهم وأتاه راهب وأسلم على يديه في المجلس ثم قال للناس إني رجل من اليمن[3] وإن الأسلام وقع في نفسي وقوى عزمي على أن لاأسلم إلا على خير أهل اليمن في ظني وجلست مفكراً فغلب علي النوم فرأيت عيسى بن مريم صلوات الله عليه[4] وهو يقول لي ياهذا أذهب الى بغداد وأسلم على يد الشيخ عبد القادر الجيلي فأنه خير أهل الأرض[5] في هذا الوقت قال وأتاه مرة أخرى ثلاثة عشر رجلاً من النصارى وأسلموا على يديه في مجلس وعظه ثم قالوا نحن من نصارى المغرب وأردنا الأسلام وترددنا فيمن نقصد

---

[1] م:آمن.

[1] العيارين: وهولاء من الصعاليك واصحاب المهن الوضيعه،خارجون عن القانون منصرفون الى السلب والنهب والضرب والشجار، يزعمون البطولة وتجلت ظاهرة العبارة في خضم الاضطربات السياسية والاقتصادية في مراحل العصر العباسي. ينظر

-التنوخي، ابوعلي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، الفرج بعد الشدة، دار صادر ،بيروت،١٩٧٨،ص١٢٠

-النجار، محمد رجب، حكايات الشطار والعيارين،عالم المعرفه،الكويت، ١٩٨١،ص١٠.

[3] م:الزنادقه.

[4] م:صنعاء.

[5] م:عليه السلام.

[6] ق:الدنيا.

لنسلم على يده فهتف بنا هاتف نسمع صوته ولا نرى[1] شخصه يقول أيها الركب ذو الفلاح[2] أئتوا الى بغداد وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فأنه يوضع في قلوبكم من الأيمان عنده ببركته مالم يوضح فيها عند غيره من سائر الناس .

لما أشتهر أمر الشيخ محي الدين عبد القادر رضي الله عنه أجتمع مئة فقيه من أعيان فقهاء بغداد وأزكيائهم على أن يسأله كل واحد منهم مسألة في فن من العلوم غير مسألة صاحبه ليقطعوه بارقة من نور لايراها[1] إلا من شاء الله تعالى ومرت على صدور المئة لم تمر على أحد منهم إلا منهم إلا ويهتف ويهتف ويضطرب ثم صاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم وصعدوا اليه فوق الكرسي ووضعوا رؤوسهم على رجليه وضج أهل المجلس ضجة واحدة وظننت أن بغداد[2] رجت بها فعجل الشيخ يضم الى صدره واحداً منهم بعد واحد حتى أتى على آخرهم ثم قال لأحدهم أما أنت فمسألتك كذا وجوابها كذا حتى ذكر لكل واحد منهم مسألته وجوابها قال فلما أنقضى[3] المجلس أتيتهم وقلت لهم ماشأنكم قالوا لما جلسنا فقدنا جميع مانعرفه من العلم حتى كأنه نسخ منا فلم يمر بنا قط فلما ضمنا الى صدره

---

[1] م:نشاهد .

[2] م:الصلاح.

[3] ق:لا يشاهدها .

[4] م:دار السلام.

[5] م:أنقضى.

رجع الى كل منا مانزع منه من العلم ولقد ذكرنا مسائلنا التي هيأناها له وذكر فيها أجوبة لانعرفها .

وقال الشيخ محيي الدين النووي[1] رحمه الله تعالى في كتابه بستان العارفين[2]: ماعلمنا فيما بلغنا من الثقاة الناقلين كرامات الأولياء أكثر مما وصل الينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، كان شيخ الشافعية[3] والحنابلة[4] ببغداد .

وأنتهت اليه رياسة العلم بعد أبي حامد الغزالي[5]، في وقته وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وأنتهى اليه أكثر أعيان مشايخ العراق وقال بأرادته جمع[1] غفير من ذوي الأحوال الفاخرة

---

[6] النووي: يحيى بن شرف بن مري بن حزام النووي الدمشقي، ولد سنة(٦٣١هـ/١٢٢٣م) في بلدة نوى من أعمال دمشق، كان من طلاب العلم في صغره، صاحب المؤلفات الكبيرة، شرح مسلم، رياض الصالحين، المنهاج، كان أماماً وزاهداً توفي سنة(٦٧٦هـ) ،ينظر: الكتبي، محمد أبن شاكر: (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ،عيون التواريخ، ج٢٣ ،تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص٢٤٣؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج٢ ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٥٤، ص١٩٣ .

[7] النووي: بستان العارفين، مخطوطة المكتبه القادرية ،تحت رقم ٩٣٢، ورقم٨٤ .

[1] السادة الشافعية .

[2] السادة الحنابلة .

[5] أبو حامد محمد بن أحمد الغزالي: ولد بطوس في أقليم خراسان(٤٥٠هـ/١٠٥٢م-٥٠٥هـ/١١٠٧م) ،وهو من كبار العلماء المسلمين وأمام من أئمة الصوفية ويرجح سعيد القحطاني ان الامام الغزالي التقى الشيخ الجيلاني ويعطي ادلة وهذا مانميل اليه وناخذ به ،وللغزالي العديد من المؤلفات أهمها (أحياء علوم الدين) و (المنقذ من الظلال) .ينظر: الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني

وتلمذ له خلق كثير لايحصون عدد وكثرة من أرباب المقامات الرفيعة وأنعقد عليه أجماع المشايخ والعلماء رضي الله عنهم بالتبجيل والأعظام والأحكام والرجوع الى قوله والمصير الى حكمه وقصد بالزيارات مع النذورات من كل قطر ورمي بالأمال من كل جهة وأهرع اليه أهل السلوك من كل فج عميق وكان جميل الصفات شريف الأخلاق كامل الأدب والمروءة كثير التواضع، دائم البشر وافر العلم والعقل شديد الأقتفاء للكتاب[١] والسنة معظماً لأهل العلم مكرماً لأرباب الدين والشريعة[٢] مبغضاً لأهل البدعة والأهواء محباً لمريدي الحق مع دوام المجاهدة ولزوم المراقبة الى الموت، له كلام عالٍ في علوم المعارف، شديد الغضب إذا أنتهكت محارم الحق[٣] عزوجل، سخي[٤] اليد كريم النفس على أجمل طريقه، وبالجملة فلم يكن في زمانه مثله رضي الله عنه، وهذا آخر كتاب مهجة البهجة (زبدة بهجة الاسرار) في مناقب محي الدين عبد القادر، قائد ركب المحبين، وسلطان الأولياء رضي الله تعالى عنهم أجمعين، رحمنا الله بمنه وكرمه وجوده وعفوه أنه أرحم الراحمين.

(١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، أتحاف السادة المتقين في شرح أحياء علوم الدين،ج١، المطبعة الملكية، المغرب، ١٩٣٦، ص١٩ والقحطاني رسالته للدكتوراة ص١١٣ والكيلاني، جمال، لقاء الجيلاني بالغزالي، مجلة فكر حر، بغداد عدد ٣.

[٤] ق: جماعة.

[٥] كلام الشرع.

[٦] ألسُنة.

[٧] الله سبحانه وتعالى.

[٨] سخي الكف.

الخاتمة

تعرفنا من خلال دراسة وتحقيق (المخطوطة) على ماقدمه السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني، من فكر عميق وفهم سليم للأسلام، وعلى مكانته العلمية التي أحتلها كعالم بين رجال عصره والعصور التي تلت.

إن (مخطوطتنا) ماهي إلا سيرة شخصية للشيخ عبد القادر الجيلاني، زبدة كتاب (بهجة الأسرار) للأمام الشطنوفي والذي جمع الغث والسمين في كتابه مما جعل من الصعوبة الأفادة منه

على عادة الأخبا ريين العرب وجاءت مخطوطة(مهجة البهجة)ومن اسمها ، بعملية تنقية وأستخلاص وأخذ المفيد والنافع وترك ما يحسب على الشطحات والخيال معتمداً منهجاً علمياً صا رماً بالتعامل مع الكتاب واضاف اليه ما راءاه مهما من غيره، مقدما لنا (نسخة جديدة من بهجة الاسرار) ،تكمن أهميته في أنه قدم لنا أقدم مادة علمية وصلت الينا عن الشيخ عبد القادر الجيلاني أصيلة وجيدة .

فالمخطوط أوصل الينا نصوص مهمة من كلام للشيخ عبد القادر الجيلاني وسيرته الشخصية ونصائحه وأقواله وأراءه في أمور عدة، مثلاً رأيه في التوحيد ، الشوق، التوكل، الأنابة، التوبة، البكاء، الدنيا ، التصوف، الشكر، الصبر، حسن الخلق، الصدق، الفناء، البقاء، الوفاء، الرضا ، الأرادة، العناية، الوجد ، الخوف، الرجاء، الدعاء ، الرؤية، المشاهدة، القرب، وعن النبي آدم وموسى والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والحب الألهي، والأولياء الصالحين، والشريعة المطهرة، والعقل، والنبوة، ومقامات العا رفين، والذكر، والفقر الصوفي، والدنيا ، والكشف، والتقوى، والعمل الصالح، والأسم الأعظم .

فجاءت كلماته ومواعظه وحكمه ومحاوراته تنبض بأهداف وغايات سامية، لأن أساسها الدعوة والتمسك بمبادئ وقين الأسلام الحنيف، ويتجلى ذلك بأثا ره العلمية الباقية كمد رسته الخاصة والتي درس بها بنفسه، وبذل لها وقته وماله ومؤلفاته العديدة والتي ما زالت محط أهتمام وأعجاب العالم والتي طبعت في العديد من البلدان .

كان الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه عالما ومفكراً ورجل دين له مكانته المتميزة في التاريخ الأسلامي كمصلح ديني وأجتماعي وفكري ونفسي يخاطب النفس البشرية بما يعتريها ويجد الحلول المناسبة للمشاكل التي كان يمر بها الأنسان أنذاك فهو يخاطب العقل البشري ويوجهه نحو الصواب وعمل الخير والصلاح لتحقيق رضا الله تعالى.

إن إحياء تراث الأجداد من العلماء الأعلام الذين كان لهم دور في صناعة التاريخ، يمد أبناء الجيل الحاضر بالأمل الذي يساعد الأمة على أعادة دورها الحضاري من جديد والأفتخار بما تركه لنا الأجداد والأفادة منه في مواصلة بناء الحاضر والمستقبل، . . .

.

((ملحق بقصائد مختارة منسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني))

وَلَما صَفَا قَلْبِي وَطَابَتْ سَرِيرَتِي

وَلَما صَفَا قَلْبِي وَطَابَتْ سَرِيرَتِي	وَنَادَمَنِي صَحْوِي بِفَتْحِ الْبَصِيرَة
شَهِدْتُ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الْوِلَايَةِ	وَقَدْ مَنَّ بِالتَّصْرِيفِ فِي كُلِّ حَالَةِ

سَقَانِي إلهي مِنْ كؤوس شَرَابِهِ	فَأَسْكَرَنِي حَقّاً فَهِمْتُ بِسَكْرَتِي
وحَكَّمَنِي جِمْعَ الدِّنَانِ بِمَا حَوَى	وَكُلُّ مُلُوكِ الْعَالَمِينَ رَعِيَّتِي
وَفِي حَانِنَا فادْخُلْ تَرَ الْكَأْسَ دَائِراً	وَمَا شَرِبَ العُشَّاقُ إلاَّ بَقِيَّتِي
رُفِعْتُ عَلَى مَنْ يَدَّعِي الْحُبَّ فِي الْوَرَى	فَقَرَّبَنِي الْمَوْلَى وَفُزْتُ بِنَظْرَةِ
وَجَالَتْ خُيُولِي فِي الأَرَاضِي جَمِيعهَا	وَزُفَّتْ لِيَ الْكَاسَاتُ مِنْ كُلِّ وجْهَةِ
وَدُقَّتْ لِيَ الرَايَاتُ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَا	وَأَهْلُ السَّمَا والأَرْضِ تَعْلَمُ سَطْوَتِي
وَشَاءُوسُ مُلْكِي سَارَ شَرْقاً وَمَغْرِباً	فَصِرْتُ لأَهْلِ الْكَرْبِ غَوْثاً وَرَحْمَةِ
فَمَنْ كَانَ مِثْلِي يَدَّعِي فَكُمُ الْهَوَى	يُطَاوِلُنِي إنْ كَانَ يَقْوَى لِسَطْوَتِي
أَنَا كُنْتُ فِي الْعُلْيَا بِنُورِ مُحَمَّدٍ	وَفِي قَابَ قَوْسَيْنِ اجْتِمَاعُ الأَحِبَّةِ
شَرِبْتُ بِكَاسَاتِ الغَرَامِ سُلَافَةً	بِهَا انْتَعَشَتْ روحِي وَجِسْمِي وَمُهْجَتِي
وَصِرْتُ أَنَا السَاقِي لِمَنْ كَانَ حَاضِراً	أُدِيرُ عَلَيهِمْ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةِ
وَقَفْتُ بِبَابِ اللهِ وَحْدِي مُوَحِّداً	وَنُودِيتُ يَا جِيلاَنِيَ ادْخُلْ لِحَضْرَتِي
وَنُودِيتُ يَا جِيلاَنِيَ ادْخُلْ وَلا تَخَفْ	عُطِيتُ اللِوا مِنْ قَبْلِ أَهْلِ الحَقِيقَةِ
ذِرَاعِي مِنْ فَوْقِ السَّمَوَاتِ كُلِّهَا	وَمِنْ تَحْتِ بَطْنِ الحُوتِ أَمْدَدْتُ رَاحَتِي
وَأَعْلَمُ نَبْتَ الأَرْضِ كَمْ هُوَ نَبْتَةٌ	وَأَعْلَمُ رَمْلَ الأَرْضِ عَدّاً لِرَمْلَةِ

وَأَعْلَمُ عِلْمَ اللهِ أُحْصِي حُروفَهُ	وأَعْلَمُ مَوْجَ الْبَحْرِ عدًّا لِمَوْجَةِ
وَمَا قُلْتُ هَذَا القَوْلَ فَخْراً وإنَّمَا	أَتَى الإِذْنُ حَتَّى تَعْرِفُوا مِنْ حَقِيقَتي
وَمَا قُلْتُ حَتَّى قِيلَ لِي قُلْ وَلَا تَخَفْ	فَأَنْتَ وَلِيِّي فِي مَقَامِ الْوِلَايَةِ
أَنَا كُنْتُ مَعْ نُوحٍ أُشَاهِدُ فِي الْوَرَى	بِحَاراً وَطُوفَاناً عَلَى كَفِّ قُدْرَتِي
وَكُنْتُ وَإِبْرَاهِيمَ مُلْقَىً بِنَارِهِ	وَمَا بَرَّدَ النِّيرانَ إِلَّا بِدَعْوَتِي
وَكُنْتُ مَعَ اسْمَعِيلَ فِي الذَّبْحِ شَاهِداً	وَمَا أَنْزَلَ الْمَذْبُوحَ إِلَّا بِفُتْيَتِي
وَكُنْتُ مَعَ يَعْقُوبَ فِي غَشْوِ عَيْنِهِ	وَمَا بَرِئَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا بِتَفْلَتِي
وَكُنْتُ مَعَ إِدْرِيسَ لَمَّا ارْتَقَى الْعُلَا	وَأُسْكِنَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَحْسَنَ جَنَّةِ
وَكُنْتُ وَمُوسَى فِي مُنَاجَاةِ رَبِّهِ	وَمُوسَى عَصَاهُ مِنْ عَصَايَ اسْتَمَدَّتِ
وَكُنْتُ مَعَ أَيُّوبَ فِي زَمَنِ الْبَلَا	وَمَا بَرِئَتْ بَلْوَاهُ إِلَّا بِدَعْوَتِي
وَكُنْتُ مَعَ عِيسَى وَفِي الْمَهْدِ نَاطِقاً	وَأَعْطَيْتُ دَاوُداً حَلَاوَةَ نَغْمَتِي
وَلِي نَشْأَةٌ فِي الْحُبِّ مِنْ قَبْلِ آدمٍ	وَسِرِّي سَرَى فِي الْكَوْنِ مِنْ قَبْلِ نَشْأَتِي
أَنَا الذَّاكِرُ الْمَذْكُورُ ذِكْراً لِذَاكِرٍ	أَنَا الشَّاكِرُ الْمَشْكُورُ شُكْراً بِنِعْمَتِي
أَنَا الْعَاشِقُ الْمَعْشُوقُ فِي كُلِّ مُضْمَرٍ	أَنَا السَّامِعُ الْمَسْمُوعُ فِي كُلِّ نَغْمَةِ
أَنَا الْوَاحِدُ الْفَرْدُ الْكَبِيرُ بِذَاتِهِ	أَنَا الْوَاصِفُ الْمَوْصُوفُ عِلْمُ الطَّرِيقَةِ

مَلَكْتُ بِلادَ اللَّهِ شَرْقَاً وَمَغْرِباً	وَإِنْ شِئْتُ أَفْنَيْتُ الأَنَامَ بِلَحْظَةِ
وَقَالوا فَأَنْتَ الْقُطبُ قُلْتُ مُشَاهِدُ	وَتَالِ كِتَابَ اللهِ فِي كُلِّ سَاعَةِ
وَنَاظِرُ مَا فِي اللَّوْحِ مِنْ كُلِّ آيَةٍ	وَمَا قَدْ رَأَيْتُ مِنْ شُهُودٍ بِمُقْلَتِي
فَمَنْ كَانَ يَهْوَانَا يَجِي لِمَحَلِّنَا	وَيَدْخُلْ حِمَى السَّادَاتِ يَلْقَ الْغَنِيمَة
فَلا عَالِمٌ إِلاَّ بِعِلْمِي عَالِمٌ	وَلاَ سَالِكٌ إِلاَّ بِفَرْضِي وَسُنَّتِي
وَلاَ جَامِعٌ إِلاَّ وَلِي فِيهِ رَكْعَةٌ	وَلاَ مِنْبَرٌ إِلاَّ وَلِي فِيهِ خُطْبَتِي
وَلَوْلاَ رَسُولُ اللهِ بِالْعَهْدِ سَابِقٌ	لأَغْلَقْتُ أَبْوَابَ الْجَحِيمِ بِعَظْمَتِي
مُرِيدِي لَكَ الْبُشْرَى تَكُونُ عَلَى الْوَفَا	وَإِنْ كُنْتَ فِي هَمٍّ أُغِثْكَ بِهِمَّتِي
مُرِيدِي تَمَسَّكْ بِي وَكُنْ بِي وَاثِقاً	لأَحْمِيكَ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَكُنْ يَا مُرِيدِي حَافِظاً لِعُهُودِنَا	أَكُنْ حَاضِرَ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْوَقِيعَةِ
وَإِنْ شَحَّتِ الْمِيزَانُ كُنْتُ أَنَا لَهَا	بِعَيْنِ عِنَايَاتٍ وَلُطْفِ الْحَقِيقَةِ
حَوَائِجُكُمْ مُقْضِيَّةٌ غَيْرَ أَنَّنِي	أُرِيدُكُمُو تَمْشُونَ طُرْقَ الْحَمِيدَةِ
وَأُوصِيكُمُو كَسْرَ النُّفُوسِ فَإِنَّهَا	مَرَاتِبُ عِزٍّ عِنْدَ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ
وَمَنْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِتَكَبُّرٍ	تَجِدْهُ صَغِيراً فِي عُيُونِ الأَقِلَّةِ
وَمَنْ كَانَ فِي حَالاتِهِ مُتَوَاضِعاً	مَعَ اللهِ عَزَّتْهُ جَمِيعُ الْبَرِيَّةِ

مَا فِي الصَبابَةِ مَنْهَلٌ مُسْتَعْذَبُ

مَا فِي الصَبابَةِ مَنْهَلٌ مُسْتَعْذَبُ	إِلاّ وَلِي فِيهِ الْأَلَذُّ الْأَطْيَبُ
أَوْ فِي الْوِصَالِ مَكَانَةٌ مَخْصُوصَةٌ	إِلاَّ وَمَنْزِلَتِي أَعَزُّ وَأَقْرَبُ
وَهَبَتْ لِيَ الْأَيَّامُ رَوْنَقَ صَفْوِهَا	فَحَلَتْ مَنَاهِلُهَا وَطَابَ الْمَشْرَبُ
وَغَدَوْتُ مَخْطُوباً لِكُلِّ كَرِيمَةٍ	لاَ يَهْتَدِي فِيهَا اللَّبِيبُ فَيَخْطُبُ
أَنَا مِنْ رِجَالٍ لاَ يَخَافُ جَلِيسُهُمْ	رَيْبَ الزَّمَانِ وَلاَ يَرَى مَا يَرْهَبُ
قَوْمٌ لَهُمْ فِي كُلِّ مَجْدٍ رُتْبَةٌ	عُلْوِيَّةٌ وَبِكُلِّ جَيْشٍ مَوْكِبُ
أَنَا بُلْبُلُ الْأَفْرَاحِ أَمْلأُ دَوْحَهَا	طَرَباً وَفِي الْعَلْيَاءِ بَازٌ أَشْهَبُ
أَضْحَتْ جُيُوشُ الْحُبِّ تَحْتَ مَشِيئَتِي	طَوْعاً وَمَهْمَا رُمْتُهُ لاَ يَعْزُبُ
أَصْبَحْتُ لاَ أَمَلاً وَلاَ أُمْنِيَّةً	أَرْجُو وَلاَ سَوْعُودَةً أَتَرَقَّبُ
مَا زِلْتُ أَرْتَعُ فِي مَيَادِينِ الرِّضَا	حَتَّى بَلَغْتُ مَكَانَةً لاَ تُوهَبُ
أَضْحَى الزَّمَانُ كَحُلَّةٍ مَرْقُومَةٍ	تَزْهُو وَنَحْنُ لَهَا الطِّرَازُ الْمُذْهَبُ

أَفَلتْ شُمُوسُ الْأَوَّلِينَ وَشَمْسُنَا	أَبداً عَلَى فَلَكِ الْعُلَى لاَ تَغْرُبُ

نَظَرْتُ بِعَيْنِ الْفِكْرِ فِي حَانِ حَضْرَتِي

نَظَرْتُ بِعَيْنِ الْفِكْرِ فِي حَانِ حَضْرَتِي	حَبِيباً تَجَلَّى لِلْقُلُوبِ فَحَنَّتِ
سَقَانِي بِكَأْسٍ مِنْ مُدَامَةِ حُبِّهِ	فَكَانَ مِنَ السَّاقِي خُمَارِي وَسَكْرَتِي
يُنَادِمُنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ	وَمَا زَالَ يَرْعَانِي بِعَيْنِ الْمَوَدَّةِ
ضَرِيحِي بَيْتُ اللهِ مَنْ جَاءَ زَارَهُ	بِهَرْوَلَةٍ يَحظَ بِعِزٍّ وَرِفْعَةِ
وَسِرِّي بِسِرِّ اللهِ سَارَ بِخَلْقِهِ	فَلُذْ بِجَنَابِي إِنْ أَرَدْتَ مَوَدَّتِي
وَأَمْرِي بِأَمْرِ اللهِ إِنْ قُلْتُ كُنْ يَكُنْ	وَكُلٌّ بِأَمْرِ اللهِ فَاحْكُمْ بِقُدْرَتِي
وَأَصْبَحتُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ جَالِساً	عَلَى طُورِ سِينَا قَدْ سَمَوْتُ بِخَلْعَتِي
وَطَافَتْ بِيَ الْأَكْوَانُ مِن كُلِّ جَانِبٍ	فَصِرْتُ لَهَا أَهْلاً بِتَحْقِيقِ نِسْبَتِي
فَلِي عَلَمٌ فِي ذَرْوَةِ الْمَجْدِ قَائِمٌ	رَفِيعُ السَّنَا تَأْوِي لَهُ كُلُّ أُمَّةِ
فَلاَ عِلْمَ إِلاَّ مِنْ بِحَارِ وِرَدْتُهَا	وَلاَ نَقْلَ إِلاَّ مِنْ صَحِيحِ رِوَايَتِي
عَلَى الدُّرَّةِ الْبَيْضَاءِ كَانَ اجْتِمَاعُنَا	وَفِي قَابَ قَوْسَيْنِ اجْتِمَاعُ الْأَحِبَّةِ

وَعَايَنْتُ إِسْرَافِيلَ وَاللَّوْحَ وَالرِّضَا	وَشَاهَدْتُ أَنْوَارَ الجَلَالِ بِنَظْرَتِي
وَشَاهَدْتُ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ كُلَّهَا	كَذَا الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ فِي طَيِّ قَبْضَتِي
وَكُلُّ بِلَادِ اللهِ مُلْكِي حَقِيقَةً	وَأَقْطَابُهَا مِنْ تَحْتِ حُكْمِي وَطَاعَتِي
وَجُودِي سَرَى فِي سِرِّ سِرِّ الحَقِيقَةِ	وَمَرْتَبَتِي فَاقَتْ عَلَى كُلِّ رُتْبَةِ
وَذِكْرِي جَلَى الأَبْصَارَ بَعْدَ غِشَائِهَا	وَأَحْيَا فُؤَادَ الصَّبِّ بَعْدَ الْقَطِيعَةِ
حَفِظْتُ جَمِيعَ الْعِلْمِ صِرْتُ طِرَازَهُ	عَلَى خِلْعَةِ التَّشْرِيفِ فِي حُسْنِ خَلْوَتِي
قَطَعْتُ جَمِيعَ الْحُجْبِ لِلْحُبِّ صَاعِداً	وَمَا زِلْتُ أَرْقَى سَائِراً بِمَحَبَّتِي
تَجَلَّى لِيَ السَّاقِي وَقَالَ إِلَيَّ قُمْ	فَهَذَا شَرَابُ الْحُبِّ فِي حَانِ حَضْرَتِي
تَقَدَّمْ وَلَا تَخْشَ كَشَفْنَا حِجَابَنَا	تَمَلَّ بِحَانِي وَالشَّرَابِ وَرُؤْيَتِي
شَطَحْتُ بِهَا شَرْقاً وَغَرْباً وَقِبْلَةً	وَبَرّاً وَبحراً مِنْ نَفَائِسِ خَمْرَتِي
وَلَاحَتْ لِيَ الأَسْرَارُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ	وَبَانَتْ لِيَ الأَنْوَارُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةِ
وَشَاهَدْتُ مَعْنَىً لَوْ بَدَا كَشْفُ سِرِّهِ	لِصُمِّ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ لَدُكَّتِ
وَمَطْلَعُ شَمْسِ الأُفْقِ ثُمَّ مَغِيبُهَا	وَأَقْطَارُ أَرْضِ اللهِ فِي الْحَالِ خَطْوَتِي
أُقَلِّبُهَا فِي رَاحَتَيَّ كَأُكْرَةٍ	أَطُوفُ بِهَا جَمْعاً عَلَى طُولِ لَمْحَتِي
أَنَا قُطْبُ أَقْطَابِ الْوُجُودِ حَقِيقَةً	عَلَى سَائِرِ الأَقْطَابِ قَوْلِي وَحُرْمَتِي

تَوَسَّلْ بِنَا فِي كُلِّ هَوْلٍ وَشِدَّةٍ	أُغِيثُكَ فِي الأَشْيَاءِ طُرّاً بِهِمَّتِي
أَنَا لِمُرِيدِي حَافِظٌ مَا يَخَافُهُ	وَأَحْرُسُهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَفِتْنَةٍ
مُرِيدِي إِذْ مَا كَانَ شَرْقاً وَمَغْرِباً	أُغِثْهُ إِذَا مَا سَارَ فِي أَيِّ بَلْدَةٍ
فَيَا مُنْشِداً لِلنَّظْمِ قُلْهُ وَلَا تَخَفْ	فَإِنَّكَ مَحْرُوسٌ بِعَيْنِ الْعِنَايَةِ
وَكُنْ قَادِرِيَّ الْوَقْتِ لِلَّهِ مُخْلِصاً	تَعِيشُ سَعِيداً صَادِقاً بِمَحَبَّتِي

سَقَانِي حَبِيبِي مِنْ شَرَابِ ذَوِي الْمَجْدِ

سَقَانِي حَبِيبِي مِنْ شَرَابِ ذَوِي الْمَجْدِ	فَأَسْكَرَنِي حَقّاً فَغِبْتُ عَلَى وَجْدِي
وَأَجْلَسَنِي فِي قَابَ قَوْسَيْنِ سَيِّدِي	عَلَى مِنْبَرِ التَّخْصِيصِ فِي حَضْرَةِ الْمَجْدِ
حَضَرْتُ مَعَ الأَقْطَابِ فِي حَضْرَةِ اللِّقَا	فَغِبْتُ بِهِ عَنْهُمْ وَشَاهَدْتُهُ وَحْدِي
فَمَا شَرِبَ الْعُشَّاقُ إِلَّا بَقِيَّتِي	وَفَضْلَةُ كَاسَاتِي بِهَا شَرِبُوا بَعْدِي
وَلَوْ شَرِبُوا مَا قَدْ شَرِبْتُ وَعَايَنُوا	مِنَ الْحَضْرَةِ الْعَلْيَاءِ صَافِي مَوْرِدِي
لَأَمْسَوْا سُكَارَى قَبْلَ أَنْ يَقْرَبُوا الْمُدَا	م وَأَمْسَوْا حَيَارَى مِنْ مُصَادَمَةِ الوِرْدِ
أَنَا الْبَدْرُ فِي الدُّنْيَا وَغَيْرِي كَوَاكِبٌ	وَكُلُّ فَتًى يَهْوَى فَذَلِكُمْ عَبْدِي

وَبَحْرِي مُحِيطٌ بِالبِحَارِ بِأَسْرِهَا	وَعِلْمِي حَوَى مَا كَانَ قَبْلِي وَمَا بَعْدِي
وَسِرِّي لَهُ الأَسْرَارُ تُزْجَرُ فِي الدُّجَا	كَزَجْرِ سَحَابِ الأُفْقِ مِنْ مَلَكِ الرَّعْدِ
فَيَا مَادِحِي قُلْ مَا تَشَاءُ وَلَا تَخَفْ	لَكَ الأَمْنُ فِي الدُّنْيَا لَكَ الأَمْنُ فِي غَدِ
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْظَى بِعِزٍّ وَقُرْبَةٍ	فَدَاوِمْ عَلَى حُبِّي وَحَافِظْ عَلَى عَهْدِي

رُفِعَ الحُجْبُ عَنْ بُدُورِ الجَمَالِ

رُفِعَ الحُجْبُ عَنْ بُدُورِ الجَمَالِ	مَرْحَباً مَرْحَباً بِأَهْلِ الجَمَالِ
مَلَكُونِي بِحُبِّهِمْ وَرَضُوا عَنْ	عَبْدِ رِقٍّ فَسُدْتُ بَيْنَ المَوَالِي
عَامَلُونِي بِلُطْفِهِمْ فِي غَرَامِي	فَحَلَى فِي بَصَائِرِ النَّاسِ حَالِي
فَرَّحُونِي بِصَرْفِ رَاحِ هَوَاهُمْ	فَتَرَبَّيْتُ فِي حُجُورِ الدَّلَالِ
إِنْ أَرَادُوا الصُّدُودَ يَفْنَ وُجُودِي	رَحَمُونِي وَأَنْعَمُوا بِالوِصَالِ
وَإِذَا مَا ضَلَلْتُ عَنْهُمْ هَدُونِي	هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ المَوَالِي
سَادَتِي سَادَتِي بِحَقِّي عَلَيْكُمْ	إِنَّنِي عِنْدَكُمْ عَزِيزٌ وَغَالِ
مَا بَقَى لِي حَبِيبُ قَلْبٍ سِوَاكُمْ	مَاتَ وَهْمِي بِكُمْ وَبَانَ خَيَالِي

بِحَيَاتِي عَلَيْكُمُ يَا سُقَاتِي	رَوِّقُوا الكَأْسَ إِنَّ حِبِّي مَلَالِي
وَأَدِيرُوا الكُئُوسَ بَيْنَ النَّدَامَى	فَجَمِيعُ الأَنَامِ سَكْرَى بِحَالِي

سَقَانِي الْحُبُّ كَاسَاتِ الْوِصَالِ

سَقَانِي الْحُبُّ كَاسَاتِ الْوِصَالِ	فَقُلْتُ لِخَمْرَتِي نَحْوِي تَعَالِي
سَعَتْ وَمَشَتْ لِنَحْوِي فِي كُئُوسٍ	فَهِمْتُ بِسَكْرَتِي بَيْنَ الْمَوَالِي
وَقُلْتُ لِسَائِرِ الأَقْطَابِ لُمُّوا	بِحَانِي وَادْخُلُوا أَنْتُمْ رِجَالِي
وَهِيمُوا وَاشْرَبُوا أَنْتُمْ جُنُودِي	فَسَاقِي الْقَوْمِ بِالْوَافِي مَلَالِي
شَرِبْتُمْ فَضْلَتِي مِنْ بَعْدِ سُكْرِي	وَلَا نِلْتُمْ عُلُوِّي وَاتِّصَالِي
مَقَامُكُمُ الْعُلَا جَمْعًا وَلَكِنْ	مَقَامِي فَوْقَكُمْ مَا زَالَ عَالِي
أَنَا فِي حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ وَحْدِي	يُصَرِّفُنِي وَحَسْبِي ذُو الْجَلَالِ
أَنَا الْبَازِيُّ أَشْهَبُ كُلِّ شَيْخٍ	وَمَنْ ذَا فِي الرِّجَالِ أُعْطِي مِثَالِي
دَرَسْتُ الْعِلْمَ حَتَّى صِرْتُ قُطْبًا	وَنِلْتُ السَّعْدَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي
كَسَانِي خِلْعَةً بِطِرَازِ عِزٍّ	وَتَوَّجَنِي بِتِيجَانِ الْكَمَالِ

وَأَطْلَعَنِي عَلَى سِرٍّ قَدِيمٍ	وَقَلَّدَنِي وَأَعْطَانِي سُؤَالِي
وَوَلَّانِي عَلَى الأَقْطَابِ جَمْعاً	فَحُكْمِي نَافِذٌ فِي كُلِّ عَالِي
فَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي وَسْطَ نَارٍ	لَذَابَتْ وَانْطَفَتْ مِنْ سِرِّ حَالِي
وَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي فَوْقَ مَيْتٍ	لَقَامَ بِقُدْرَةِ الْمَوْلَى سَعَى لِي
وَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي فِي جِبَالٍ	لَدُكَّتْ وَاخْتَفَتْ بَيْنَ الرِّمَالِ
وَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي فِي بِحَارٍ	لَصَارَ الْكُلُّ غَوْراً فِي الزَّوَالِ
وَمَا مِنْهَا شُهُورٌ أَوْ دُهُورٌ	تَمُرُّ وَتَنْقَضِي إِلَّا أَتَى لِي
وَتُخْبِرُنِي بِمَا يَجْرِي وَيَأْتِي	وَتُعْلِمُنِي فَأُقْصِرُ عَنْ جِدَالِي
بِلَادُ اللهِ مُلْكِي تَحْتَ حُكْمِي	وَوَقْتِي قَبْلَ قَبْلِي قَدْ صَفَا لِي
طُبُولِي فِي السَّمَا وَالأَرْضِ دُقَّتْ	وَشَاءُوسُ السَّعَادَةِ قَدْ بَدَا لِي
أَنَا الجِيلَانِي مُحْيِي الدِّينِ إِسْمِي	وَأَعْلَامِي عَلَى رُؤْسِ الْجِبَالِ
أَنَا الحَسَنِيُّ وَالْمِخْدَعْ مَقَامِي	وَأَقْدَامِي عَلَى عُنُقِ الرِّجَالِ
رِجَالٌ خَيَّمُوا فِي حَيِّ لَيْلَى	وَنَالُوا فِي الْهَوَى أَقْصَى مَنَالِ
رِجَالٌ فِي النَّهَارِ لُيُوثُ غَابٍ	وَرُهْبَانٌ إِذَا جَنَّ اللَّيَالِي
رِجَالٌ فِي هَوَاجِرِهِمْ صِيَامٌ	وَصَوْتُ عَوِيلِهِمْ فِي اللَّيْلِ عَالِي

رِجَالٌ فِي النَّهَارِ لُيُوثُ غَابٍ	وَرُهْبَانٌ إِذَا جَنَّ اللَّيَالِي
رِجَالٌ سَائِحُونَ بِكُلِّ وَادٍ	وَفِي الْغَابَاتِ فِي طَلَبِ الْوِصَالِ
أَلَا يَا لِلرِّجَالِ صِلُوا مُحِبّاً	لِنَارِ الْبُعْدِ وَالْهِجْرَانِ صَالِ
أَلَا يَا لِلرِّجَالِ قُتِلْتُ ظُلْماً	بِلَحْظٍ قَدْ حَكَى رَشْقَ النِّبَالِ
أَلَا يَا لِلرِّجَالِ خُذُوا بِثَأْرِي	فَإِنِّي شَيْخُكُمْ قُطْبُ الْكَمَالِ
أَنَا شَيْخُ الْمَشَايِخِ حُزْتُ عِلْماً	بِآدَابٍ وَحِلْمٍ وَاتِّصَالِ
فَمَنْ فِي أَوْلِيَاءِ اللهِ مِثْلِي	وَمَنْ فِي الْحُكْمِ وَالتَّصْرِيفِ خَالِي
تَرَى الدُّنْيَا جَمِيعاً وَسْطَ كَفِّي	كَخَرْدَلَةٍ عَلَى حُكْمِ النَّوَالِ
مُرِيدِي لَا تَخَفْ وَشْياً فَإِنِّي	عَزُومٌ قَاتِلٌ عِنْدَ الْقِتَالِ
مُرِيدِي لَا تَخَفْ فَاللَّهُ رَبِّي	حَبَانِي رِفْعَةً نِلْتُ الْمَعَالِي
مُرِيدِي هِمْ وَطِبْ وَاشْطَحْ وَغَنِّي	وَافْعَلْ مَا تَشَا فَالِاسْمُ عَالِي
وَكُلُّ فَتىً عَلَى قَدَمٍ وَإِنِّي	عَلَى قَدَمِ النَّبِي بَدْرِ الْكَمَالِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ رَبِّي كُلَّ وَقْتٍ	كَتَعْدَادِ الرِّمَالِ مَعَ الْجِبَالِ

مشرَعْتُ بِتَوْحِيدِ الإِلَهِ مُبَسْمِلاً

شَرَعْتُ بِتَوْحِيدِ الإِلَهِ مُبَسْمِلاً	سَأَخْتِمُ بِالذِّكْرِ الْحَمِيدِ مُجَمِّلاً
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ	تَنَزَّهَ عَنْ حَصْرِ الْعُقُولِ تَكَمُّلا
وَأَرْسَلَ فِينَا أَحْمَدَ الْحَقِّ مُقْتَدِي	نَبِياً بِهِ قَامَ الْوُجُودُ وَقَدْ خَلاَ
فَعَلَّمَنَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مُؤَيَّدٍ	وَأَظْهَرَ فِينَا الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالْوَلاَ
مَا طَالِباً عِزّاً وَكَنْزاً وَرِفْعَةً	مِنَ اللهِ فَادْعُهُ بِأَسْمَائِهِ الْعُلاَ
وَقُلْ بِانْكِسَارٍ بَعْدَ طُهْرٍ وَقُرْبَةٍ	فَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ نَصْراً مُعَجَّلاَ
بِحَقِّكَ يَا رَحْمَنُ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي	أَحَاطَتْ فَكُنْ لِي يَا رَحِيمُ مُجَمِّلا
وَيَا مَلِكُ قُدُّوسُ قَدِّسْ سَرِيرَتِي	وَسَلِّمْ وُجُودِي يَا سَلاَمُ مِنَ الْبَلاَ
وَيَا مُؤْمِنٌ هَبْ لِي أَمَاناً مُحَقَّقاً	وَسِتْراً جَمِيلاً يَا مُهَيْمِنُ مُسْبَلاَ
عَزِيزٌ أَزِلْ عَنْ نَفْسِيَ الذُّلَّ وَاحْمِنِي	بِعِزِّكَ يَا جَبَّارُ مَا كَانَ مُعْضِلاَ
وَضَعْ جُمْلَةَ الأَعْدَاءِ يَا مُتَكَبِّرٌ	وَيَا خَالِقٌ خُذْ لِي عَنِ الشَّرِّ مَعْزِلاَ
وَيَا بَارِيَّ النَّعْمَاءِ زِدْ فَيْضَ نِعْمَةٍ	أَفَضْتَ عَلَيْنَا يَا مُصَوِّرُ أَوَّلاَ
رَجَوْتُكَ يَا غَفَّارُ فَاقْبَلْ لِتَوْبَتِي	بِقَهْرِكَ يَا قَهَّارُ شَيْطَانِيَ اخْذُلاَ
وَهَبْ لِي يَا وَهَّابُ عِلْماً وَحِكْمَةً	وَلِلرِّزْقِ يَا رَزَّاقُ كُنْ لِي مُسَهِّلاَ
وَبِالْفَتْحِ يَا فَتَّاحُ نَوِّرْ بَصِيرَتِي	وَعِلْماً أَنِلْنِي يَا عَلِيمُ تَفَضُّلاَ

وَيَا قَابِضُ أَقْبِضْ قَلْبَ كُلِّ مُعَانِدٍ	وَيَا بَاسِطُ ابْسُطْنِي بِأَسْرَارِكَ الْعُلَا
وَيَا خَافِضُ اخْفِضْ قَدْرَ كُلِّ مُنَافِقٍ	وَيَا رَافِعُ ارْفَعْنِي بِرَوْحِكَ أَسْأَلَا
سَأَلْتُكَ عِزًّا يَا مُعِزُّ لِأَهْلِهِ	مُذِلٌّ فَذِلَّ الظَّالِمِينَ مُنَكِّلَا
وَعِلْمُكَ كَافٍ يَا سَمِيعُ فَكُنْ إِذَنْ	بَصِيرًا بِحَالِي مُصْلِحًا مُتَقَبِّلَا
وَيَا حَكَمٌ عَدْلٌ لَطِيفٌ بِخَلْقِهِ	خَبِيرٌ بِمَا يَخْفَى وَمَا هُوَ مُجْتَلَا
فَحِلْمُكَ قَصْدِي يَا حَلِيمُ وَعُمْدَتِي	وَأَنْتَ عَظِيمٌ عُظْمُ جُودِكَ قَدْ عَلَا
غَفُورٌ وَسَتَّارٌ عَلَى كُلِّ مُذْنِبٍ	شَكُورٌ عَلَى أَحْبَابِهِ كُنْ مُوَصِّلَا
عَلِيٌّ وَقَدْ أَعْلَى مَقَامَ حَبِيبِهِ	كَبِيرٌ كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْجُودِ مُجْزِلَا
حَفِيظٌ فَلَا شَيْءٌ يَفُوتُ لِعِلْمِهِ	مُقِيتٌ يُقِيتُ الْخَلْقَ أَعْلَى وَأَسْفَلَا
فَحُكْمُكَ حَسْبِي يَا حَسِيبُ تَوَلَّنِي	وَأَنْتَ جَلِيلٌ كُنْ لِخَصْمِي مُنَكِّلَا
إِلَهِي كَرِيمٌ أَنْتَ فَاكْرِمْ مَوَاهِبِي	وَكُنْ لِعَدُوِّي يَا رَقِيبُ مُجَنْدِلَا
دَعَوْتُكَ يَا مَوْلَى مُجِيبًا لِمَنْ دَعَا	قَدِيمَ الْعَطَايَا وَاسِعَ الْجُودِ فِي الْمَلَا
إِلَهِي حَكِيمٌ أَنْتَ فَاحْكُمْ مَشَاهِدِي	فَوُدُّكَ عِنْدِي يَا وَدُودُ تَنَزَّلَا
مَجِيدٌ فَهَبْ لِي الْمَجْدَ وَالسَّعْدَ وَالْوَلَا	وَيَا بَاعِثُ ابْعَثْ جَيْشَ نَصْرِي مُهَرْوِلَا
شَهِيدٌ عَلَى الْأَشْيَاءِ طَيِّبْ مَشَاهِدِي	وَحَقِّقْ لِي يَا حَقُّ الْمَوَارِدِ مَنْهَلَا

إِلَهِي وَكِيلٌ أَنْتَ فَاقْضِ حَوَائِجِي	وَيَكْفِي إِذَا كَانَ الْقَوِيُّ مُوَكَّلَا
مَتِينٌ فَمَنَّ ضَعْفَ حَوْلِي وَقُوَّتِي	أَغِثْ يَا وَلِيُّ مَنْ دَعَاكَ تَبَتُّلَا
حَمَدْتُكَ يَا مَوْلَى حَمِيداً مُوَحِّداً	وَمُحْصِيَ زَلَّاتِ الْوَرَى كُنْ مُعَدِّلَا
إِلَهِي مُبْدِي الْفَتْحِ لِي أَنْتَ وَالْهُدَى	مُعِيدُ لِمَا فِي الْكَوْنِ إِنْ بَادَ أَوْ خَلَا
سَأَلْتُكَ يَا مُحْيِي حَيَاةً هَنِيئَةً	مُمِيتٌ أَمِتْ أَعْدَاءَ دِينِي مُعَجِّلَا
وَيَا حَيُّ أَحْيِي مَيْتَ قَلْبِي بِذِكْرِكَ الْ	قَدِيمِ وَكُنْ قَيُّومَ سِرِّي مُوَصِّلَا
وَيَا وَاجِدَ الْأَنْوَارِ أَوْجِدْ مَسَرَّتِي	وَيَا مَاجِدَ الْأَنْوَارِ كُنْ لِي مُعَوِّلَا
وَيَا وَاحِدٌ مَا تَمَّ إِلَّا وُجُودُهُ	وَيَا صَمَدٌ قَامَ الْوُجُودُ بِهِ عَلَا
وَيَا قَادِرٌ ذَا الْبَطْشِ أَهْلِكْ عَدُوَّنَا	وَمُقْتَدِرٌ قَدِّرْ لِحُسَّادِنَا الْبَلَا
وَقَدِّمْ لِسِرِّي يَا مُقَدِّمُ عَافِنِي	مِنَ الضُّرِّ فَضْلًا يَا مُؤَخِّرُ ذَا الْعُلَا
وَأَسْبِقْ لَنَا الْخَيْرَاتِ أَوَّلَ أَوَّلَا	وَيَا آخِرُ اخْتِمْ لِي أَمُوتُ مُهَلِّلَا
وَيَا ظَاهِرُ أَظْهِرْ لِي مَعَارِفَكَ الَّتِي	بِبَاطِنِ غَيْبِ الْغَيْبِ يَا بَاطِنٌ وَلَا
وَيَا وَالِ أَوْلِ أَمْرَنَا كُلَّ نَاصِحٍ	وَمُتْعَالِ أَرْشِدْهُ وَأَصْلِحْ لَهُ الْوَلَا
وَيَا بَرُّ يَا رَبُّ الْبَرَايَا وَمُوهِبَ الْ	عَطَايَا وَيَا تَوَّابُ تُبْ وَتَقَبَّلَا
وَمُنْتَقِمٌ مِنْ ظَالِمِينَ نُفُوسَهُمْ	كَذَاكَ عُفُوٌّ أَنْتَ فَاعْفُ تَفَضُّلَا

عَطُوفٌ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ وَمُسْعِفٌ	لِمَنْ قَدْ دَعَا يَا مَالِكَ الْمُلْكِ أَجْزِلَا
فَأَلْبِسْ لَنَا يَا ذَا الْجَلَالِ جَلَالَةً	فَجُودُكَ بِالْإِكْرَامِ مَا زَالَ مُهْطِلَا
وَيَا مُقْسِطُ ثَبِّتْ عَلَى الْحَقِّ مُهْجَتِي	وَيَا جَامِعُ اجْمَعْ لِي الْكَمَالَاتِ فِي الْمَلَا
إِلَهِي غَنِيٌّ أَنْتَ فَاذْهِبْ لِفَاقَتِي	وَمُغْنٍ فَأَغْنِ فَقْرَ نَفْسِي لِمَا خَلَا
وَيَا مَانِعُ امْنَعْنِي مِنَ الذَّنْبِ وَاشْفِنِي	مِنَ السُّوءِ مِمَّا قَدْ جَنَيْتُ تَعَمُّلَا
وَيَا ضَارُّ كُنْ لِلْحَاسِدِينَ مُوَبِّخاً	وَيَا نَافِعُ أَنْفِعْنِي بِرُوحٍ مُحَصَّلَا
وَيَا نُورُ أَنْتَ النُّورُ فِي كُلِّ مَا بَدَا	وَيَا هَادِ كُنْ لِلنُّورِ فِي الْقَلْبِ مُشْعِلَا
بَدِيعَ الْبَرَايَا أَرْتَجِي فَيْضَ فَضْلِهِ	وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْتَ بَاقٍ لَهُ الْوَلَا
وَيَا وَارِثُ اجْعَلْنِي لِعِلْمِكَ وَارِثاً	وَرُشْداً أَنِلْنِي يَا رَشِيدُ تَجَمُّلَا
صَبُورٌ وَسَتَّارٌ فَوَفِّقْ عَزِيمَتِي	على الصَّبْرِ وَاجْعَلْ لِي اخْتِيَاراً مُزَمَّلَا
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى دَعَوْتُكَ سَيِّدِي	وَآيَاتُكَ الْعُظْمَى ابْتَهَلْتُ تَوَسُّلَا
فَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ رَبِّي بِفَضْلِهَا	فَهَيِّئْ لَنَا مِنْكَ الْكَمَالَ مُكَمَّلَا
وَقَابِلْ رَجَائِي بِالرِّضَا مِنْكَ وَاكْفِنِي	صُرُوفَ زَمَانٍ صِرْتُ فِيهِ مُحَوَّلَا
أَغِثْ وَاشْفِنِي مِنْ دَاءِ نَفْسِي وَاهْدِنِي	إِلَى الْخَيْرِ وَاصْلِحْ مَا بِعَقْلِي تَخَلَّلَا
إِلَهِي فَارْحَمْ وَالِدَيَّ وَإِخْوَتِي	وَمَنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ يَدْعُو مُرَتِّلَا

أَنَا الْحَسَنِيُّ الأَصْلِ عَبْدُ لِقَادِرٍ	دُعِيتُ بِمُحْيِي الدِّينِ فِي دَوْحَةِ العُلا
وَصَلِّ عَلَى جَدِّي الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ	بِأَحْلَى سَلامٍ فِي الْوُجُودِ وَأَكْمَلا
مَعَ الآلِ وَالأَصْحَابِ جَمْعاً مُؤَيَّداً	وَبَعْدُ فَحَمْدُ اللهِ خَتْماً وَأَوَّلا

(

طُفْ بِحَانِي سَبْعاً وَلُذْ بِذِمَامِي

طُفْ بِحَانِي سَبْعاً وَلُذْ بِذِمَامِي	وَتَجَرَّدْ لِزَوْرَتِي كُلَّ عَامِ
أَنَا سِرُّ الأَسْرَارِ مِنْ سِرِّ سِرِّي	كَعْبَتِي رَاحَتِي وَبَسْطِي مُدَامِي
أَنَا نَشْرُ العُلُومِ وَالدَّرْسُ شُغْلِي	أَنَا شَيْخُ الوَرَى لِكُلِّ إِمَامِ
أَنَا فِي مَجْلِسِي أَرَى العَرْشَ حَقاً	وَجَمِيعَ الأَمْلاكِ فِيهِ قِيَامِي
قَالَتِ الأَوْلِيَاءُ جَمْعاً بِعَزْمٍ	أَنْتَ قُطْبٌ عَلَى جَمِيعِ الأَنَامِ
قُلْتُ كُفُّوا ثُمَّ اسْمَعُوا نَصَّ قَوْلِي	إِنَّمَا القُطْبُ خَادِمِي وَغُلَامِي
كُلُّ قُطْبٍ يَطُوفُ بِالبَيْتِ سَبْعاً	وَأَنَا الْبَيْتُ طَائِفٌ بِخِيَامِي
كَشَفَ الحُجْبَ وَالسُّتُورَ لِعَيْنِي	وَدَعَانِي لِحَضْرَةٍ وَمَقَامِ
فَاخْتَرَقْتُ السُّتُورَ جَمْعاً لِحِبِّي	عِنْدَ عَرْشِ الإِلَهِ كَانَ مَقَامِي

وَكَسَانِي بِتَاجِ تَشْرِيفِ عِزٍّ	وَطِرَازٍ وَخِلْعَةٍ بِاخْتِتَامِ
فَرَسُ العِزِّ تَحْتَ سَرْجِ جَوَادِي	وَرِكَابِي عَالٍ وَعَزْمِي لِجَامِي
وَإِذَا مَا جَذَبْتُ قَوْسَ مَرَامِي	كَانَ نَارُ الْجَحِيمِ مِنْهَا سِهَامِي
سَائِرُ الأَرْضِ كُلِّهَا تَحْتَ حُكْمِي	وَهْيَ فِي قَبْضَتِي كَفَرْخِ حَمَامِ
مَطْلَعُ الشَّمْسِ ثُمَّ أَقْصَى الْغُرُوبِ	خُطْوَتِي وَأُقِلُّهَا بِاهْتِمَامِ
يَا مُرِيدِي لَكَ الهَنَا بِدَوَامِ	عِشْ بِعِزٍّ وَرِفْعَةٍ وَاحْتِرَامِ
وَمُرِيدِي إِذَا دعَانِي بِشَرْقٍ	أَوْ بِغَرْبٍ أَوْ نَازِلٌ بَحْرَ طَامِ
فَأَغِثْهُ لَوْ كَانَ فَوْقَ هَوَاءِ	أَنَا سَيْفُ الْقَضَا لِكُلِّ خِصَامِ
أَنَا فِي الْحَشْرِ شَافِعٌ لِمُرِيدِي	عِنْدَ رَبِّي فَلَا يُرَدُّ كَلَامِي
أَنَا شَيْخٌ وَصَالِحٌ وَوَلِيٌّ	أَنَا قُطْبٌ وَقُدْوَةٌ لِلْأَنَامِ
أَنَا عَبْدٌ لِقَادِرٍ طَابَ وَقْتِي	وَجَدِّيَ الْمُصْطَفَى شَفِيعُ الْأَنَامِ
فَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ فِي كُلِّ وَقْتٍ	وَعَلَى آلِهِ بِطُولِ الدَّوَامِ

رُفِعَتْ عَلَى أَعْلَى الْوَرَى أَعْلَامُنَا

رُفِعَتْ عَلَى أَعْلَى الْوَرَى أَعلامُنَا	لَمَّا بَلَغْنَا فِي الغَرَامِ مَرامَنَا
نَحْنُ المُلُوكُ عَلَى سَلاطِينِ المَلا	وَالكَائِنَاتُ وَمَنْ بِهَا خُدَّامُنَا
وَبِبَذْلِنَا لِلحُبِّ نِلْنَا عِزَّةً	وَعَلَى الرؤوسِ تَنَقَّلَتْ أَقْدامُنَا
إِنْ كَانَ أَخَّرَنَا الزَّمَانُ فَإِنَّنَا	فُقْنَا الَّذِينَ تَقَدَّمُوا قُدَّامَنَا
بِالأَخْذِ عَمَّنْ قَابَ قَوْسَيْنِ دَنَا	المُصْطَفَى المُخْتَارِ عَيْنُ مُرَادِنَا
ضَرَبَتْ طُبُولُ العِزِّ فِي سَاحَاتِنَا	وَعَلَى السُّهَى شَرَفًا نَصَبْنَ خِيَامَنَا
فَجَمَالُنَا مَلأَ المَلا وَجَلالُنَا	لا يُسْتَطَاقُ وَلا يُفَلُّ حُسَامُنَا
وَلأَجْلِنَا وُجِدَ الزَّمَانُ وَكَوْنُهُ	فَالدَّهْرُ عَبْدٌ وَالزَّمَانُ غُلامُنَا
وَلَنَا الوِلايَةُ مِنْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ	رَشَقَتْ قُلُوبَ المُنْكِرِينَ سِهَامُنَا
وَخُيُولُنَا مَشْهُورَةٌ بَيْنَ الوَرَى	عَالٍ عَلَى كُلِّ الرِّكَابِ رِكَابُنَا
وَجَلِيسُنَا لَمْ يَشْقَ يَوْمًا فِي الوَرَى	وَمُرِيدُنَا مَا زَالَ فِي إِكْرَامِنَا
عِشْ يَا مُرِيدِي آمِنًا فِي غِبْطَةٍ	فَالعِزُّ ثُمَّ العِزُّ فِي عَرَصَاتِنَا
لَوْحُ الوُجُودِ بِصَدْرِنَا مَحْفُوظَةٌ	وَبِسَعْدِنَا فِيهِ جَرَتْ أَقْلامُنَا
قَدْ قَالَ لِي رَبُّ البَرِيَّةِ لا تَخَفْ	قُلْ مَا تَشَاءُ فَأَنْتَ مِنْ أَحْبَابِنَا
أَنَا قُطْبُ أَقْطَابِ الوُجُودِ حَقِيقَةً	وَجَمِيعُ مَنْ فِي الأَرْضِ مِنْ خُدَّامِنَا

قُطْبُ الْزمانِ وَغوْثُهُ وملاذُهُ	والأَوْلِيَا جمْعاً بِظِلِّ خِبائِنَا
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	والآلِ والأَصْحَابِ ثُمَّ صِحَابِنَا

عَلَى الأَوْلِيَا أَلْقَيْتُ سِرِّي وبُرْهَانِي

عَلَى الأَوْلِيَا أَلْقَيْتُ سِرِّي وبُرْهَانِي	فَهَامُوا بِهِ مِنْ سِرِّ سِرِّي وإِعْلانِي
فَأَسْكَرَهُمْ كَأْسِي فَبَاتُوا بِخَمْرَتِي	سَكَارَى حَيَارَى مِنْ شُهُودِي وعِرْفَانِي
أَنَا كُنْتُ قَبْلَ القَبْلِ قُطْباً مُبَجَّلاً	تَطُوفُ بِي الأَكْوَانُ والرَّبُّ سَمَّانِي
خَرَقْتُ جَمِيعَ الْحُجْبِ حَتَّى وَصَلْتُهُ	مَقَاماً بِهِ قَدْ جِدَّى لَهُ دَانِي
وَقَدْ كَشَفَ الأَسْتَارَ عَنْ نُورِ وَجْهِهِ	وَمِنْ خَمْرَةِ التَّوْحِيدِ بِالْكَاسِ أَسْقَانِي
نَظَرْتُ إِلَى الْمَحْفُوظِ والْعَرْشِ نَظْرَةً	فَلاحَتْ لِيَ الأَنْوَارُ والرَّبُّ أَعْطَانِي
أَنَا قُطْبُ أَقْطَابِ الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ	أَنَا بَازُهُمْ والكُلُّ يُدْعَى بِغِلْمَانِي
فَلَوْ أَنَّنِي أَلْقَيْتُ سِرِّي بِدِجْلَةٍ	لغَارَتْ وراحَ الْمَاءُ مِنْ سِرِّ بُرْهَانِي
وَلَوْ أَنَّنِي أَلْقَيْتُ سِرِّي إِلَى لَظَى	لأَخْمدَتِ النِّيرانُ مِنْ عُظْمِ سُلْطَانِي
وَلَوْ أَنَّنِي أَلْقَيْتُ سِرِّي لِمَيِّتٍ	لَقَامَ بِإِذْنِ اللهِ حَيّاً ونَادَانِي
سَلُوا عَنِّيَ السُّرَى سَلُوا عَنِّيَ المُنَى	سَلُوا عَنِّيَ القَاصِي سَلُوا عَنِّيَ الدَّانِي

سَلُوا عَنِّي العَلْيَا سَلُوا عَنِّيَ الثَّرَى	وَمَا كَانَ تَحْتَ التَّحْتِ وَالإِنْسِ وَالجَانِ
فَيَا مَعْشَرَ الأَقْطَابِ لُمُّوا بِحَضْرَتِي	وَطُوفُوا بِحَانَاتِي وَاسْعُوا لأَرْكَانِي
وَغُوصُوا بِحَارِي تَظْفَرُوا بِجَوَاهِرِي	وَتِبْرِي وَيَاقُوتِي وَدُرِّي وَمُرْجَانِي
وَقَفْتُ عَلَى الإِنْجِيلِ حَتَّى شَرَحْتُهُ	وَفَكَّكْتُ فِي التَّوْرَاةِ رَمْزَةَ عِبْرَانِي
وَحَلَّلْتُ رَمْزًا كَانَ عِيسَى يَحُلُّهُ	بِهِ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَالرَّمْزُ سُرْيَانِي
وَخُضْتُ بِحَارَ الْعِلْمِ مِنْ قَبْلِ نَشْأَتِي	أَخِي وَرَفِيقِي كَانَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانِ
فَمَنْ فِي رِجَالِ اللهِ نَالَ مَكَانَتِي	وَجَدِّي رَسُولُ اللَّهِ فِي الأَصْلِ رَبَّانِي
أَنَا قَادِرِيُّ الْوَقْتِ عَبْدُ لِقَادِرِ	أُكَنَّى بِمُحْيِي الدِّينِ وَالأَصْلُ جِيلانِي

رُفِعَ الحَجْبُ عَنْ بُدُورِ الجَمَالِ

رُفِعَ الحَجْبُ عَنْ بُدُورِ الجَمَالِ	مَرْحَباً مَرْحَباً بِأَهْلِ الجَمَالِ
مَلَكُونِي بِحُبِّهِمْ وَرَضُوا عَنْ	عَبْدِ رِقٍّ فَسُدْتُ بَيْنَ المَوَالِي
عَامَلُونِي بِلُطْفِهِمْ فِي غَرَامِي	فَحَلَى فِي بَصَائِرِ النَّاسِ حَالِي

فَرَّحُونِي بِصَرْفِ رَاحِ هَوَاهُمْ	فَتَرَبَّيْتُ فِي حُجُورِ الدَّلَالِ
إِنْ أَرَادُوا الصُّدُودَ يَفْنَ وُجُودِي	رَحِمُونِي وَأَنْعَمُوا بِالوِصَالِ
وَإِذَا مَا ضَلَلْتُ عَنْهُمْ هَدُونِي	هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ المَوَالِي
سَادَتِي سَادَتِي بِحَقِّي عَلَيْكُمْ	إِنَّنِي عِنْدَكُمْ عَزِيزٌ وَغَالِ
مَا بَقَى لِي حَبِيبُ قَلْبٍ سِوَاكُمْ	مَاتَ وَهْمِي بِكُمْ وَبَانَ خَيَالِي
بِحَيَاتِي عَلَيْكُمُ يَا سُقَاتِي	رَوِّقُوا الكَأْسَ إِنَّ حِبِّي مَلَالِي
وَأَدِيرُوا الكُؤُوسَ بَيْنَ النَّدَامَى	فَجَمِيعُ الأَنَامِ سَكْرَى بِحَالِي

حكم للشيخ عبد القادر الكيلاني رضى الله عنه :

١/الإعتراض على الحق عز وجل عند نزول الأقدار موت الدين .

٢} انتبهوا قبل أن تنتبهوا بلا أمركم فتندموا وقت لاينفعكم الندم .

٣} عظ نفسك أولا ثم عظ نفس غيرك ،عليك بخويصة نفسك ،لاتتعد إلى غيرك وقد بقي عندك بقية تحتاج إلى إصلاح .

٤} إذا كان التوحيد بباب الدار والشرك داخل الدار فذاك النفاق بعينه .

٥} نم تحت ميزاب القدر متوسدا بالصبر؛ متقلدا بالموافقة عابدا بانتظار الفرج فإذا كنت هكذا صب عليك المقدر من فضله ومننه ما لاتحسن طلبه وتتمناه

٦} خراب معظم الناس مع الزلات ،وخراب الزهاد مع الشهوات ،، وخراب الصديقين في اللحظات .

٧} إقرن بين الدنيا والآخرة وإجعلهما في موضع واحد وانفرد بمولاك عز وجل عريانا من حيث قلبك : بلا دنيا ولاآخرة .

٨} إجعل الدنيا لنفسك والآخرة لقلبك والمولى لسرك .

٩} التوبة قلب دولة .

١٠} همك ما أهمك فليكن همك ربك عز وجل وما عنده: الدنيا لها بدل وهو الآخرة . . والخلق لهم بدل وهو الخالق عز وجل

١١} قد ر أنه بقي من عمرك هذا اليوم فحسب .

١٢} إذا جاءت البلايا من الله عز وجل وأنت ثابت فأنت محب وإن تغيرت بان الكذب وانتقض الأول وذهب .

١٣} إذا كان السائل هدية من الله عز وجل ،وأنت قادر على أن تعطيه: فكيف ترد الهدية على مهديها ؟

١٤} تناول الأقسام بيد الزهد لابيد الرغبة .

١٥}قابلوا العسر بالصبر واليسر بالشكر . ..

١٦} العبادة ترك العادة . ..

١٧} حياة القلب بالخروج من الخلق والقيام مع الحق عز وجل من حيث المعنى . ..

١٨} تفكر ساعة خير من قيام ليلة . ..

٢٠} لب العلم العمل . ..

٢١} أسلم ثم تب ثم تعلم واعمل وأخلص وإلا فلا تهدى أبدا . ..

٢٢} قصر أملك وقد جاءك الزهد في الدنيا :لأن الزهد كله في قصر الأمل . ..

٢٣}كل من وادد ته تصبح بينك وبينه قرابة، فانظر لمن توادد . ..

٢٤} طلبك لما قسم تعب ،وطلبك لما لم يقسم مقت وخذلان . ..

٢٥} تفكر في الصنعة وقد وصلت إلى الصانع .

٢٦} المومن الموقن له عينان ظاهرتان وعينان باطنتان فيرى بالعينين الظاهرتان ما خلق الله عز وجل في الأرض ؛ ويرى بالعينين الباطنتين ما خلق الله عز وجل في السماوات .

٢٧} من كنوز البر كتمان السر والمصائب والصدقة .

٢٨} إحذر بحر الدنيا فقد غرق فيه خلق كثير .

٢٩} لا تكن في أخدك للدنيا كحاطب الليل ؛ لا يدري ما يقع في يده .

٣٠} من إستعجل أخطأ أو كاد ؛ ومن تأنى أصاب أو كاد .

٣١} أما تستحي أن تأمره أن يغير ويبدل . ؟ . أأنت أحكم منه وأعلم منه وأرحم منه ؟

٣٢} من ذاق فقد عرف .

٣٣} لاتدع بلسانك وقلبك معترض . .

٣٤} الشأن في تذكر اليوم قبل الموت ، فذكر الحرث والبذر وقت حصاد الناس لاينفع .

٣٥} صحبتك للأشرار توقعك في سوء الظن بالأخيار .

٣٦} إشتغلتم بجمع ما لاتأكلون ، وتأملون ما لا تدركون، وتبنون ما لاتسكنون .

٣٧} أطلب الجار قبل الدار ، هو الكائن قبل كل شيء والمكون لكل شيء ، والكائن بعد كل شيءْ .

٣٨} المخلص ملكه في قلبه ،سلطانه في سره: لا اعتبار للظاهر . . النادر منهم من يجمع بين الملك الظاهر والباطن .

٣٩} أطرق باب الحق عز وجل واثبت على بابه فإنك إذا ثبت هناك بانت لك خواطر : فتعرف خاطر النفس وخاطر الهوى وخاطر القلب ، وخاطر إبليس وخاطر الملك . . يقال لك هذا خاطر حق وهذا خاطر باطل . . تعرف كل واحد بعلامة تعرفها . إذا وصلت إلى هذا المقام أتاك خاطر من الحق عز وجل يؤيدك ويثبتك ويقيمك ويقعدك ويحركك ويسكنك ويأمرك وينهاك . . .

٤٠} تب واثبت على توبتك فليس الشأن في توبتك الشأن في ثباتك عليها .

٤١} ذهاب دينكم بأربعة أشياء :

أولها أنكم لاتعملون بما تعلمون .

الثاني أنكم تعملون بما لاتعلمون .

الثالث أنكم لاتتعلمون ما لا تعلمون .

الرابع أنكم تمنعون الناس من تعلم ما لايعلمون .

٤٢} الزاهد في الدنيا مبتلى بالآخرة، والزاهد في الدنيا والآخرة يبتلى برب الدنيا والآخرة .

٤٣} قد غفلتم :كأنكم لاتموتون . . وكأنكم يوم القيامة لا تحشرون ،وبين يدي الحق لاتحاسبون ،وعلى الصراط لاتجوزون : هذه صفاتكم وأنتم تدعون الإسلام والإيمان ؟ ؟ .

٤٤} شجاعة المخاصمين للكفار في لقائهم والثبات معهم، وشجاعة الصالحين في لقاء نفوسهم والأهوية

والطباع والشياطين وقران السوء، وشجاعة الخواص في الزهد في الدنيا والآخرة وما سوى الحق عز وجل بالجملة.

٤٥} قلل فرحك وكثر حزنك فإنك في دار سجن.

٤٦} إذا صحت خلوتك مع الله عز وجل دهش سرك وصفى قلبك،: يصير نظرك عبرا وقلبك فكرا وروحك ومعناك للحق عز وجل أصلا.

٤٧} التفكر في الدنيا عقوبة وحجاب، والتفكر في الآخرة علم وحياة للقلب.

٤٨} ما أعطي عبد التفكر إلا أعطي علم أحوال الدنيا والآخرة.

٤٩} الخشية من الله تعالى هي العلم بعينه لقوله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء"

٥٠} إعرفوا قدركم وتواضعوا في نفوسكم: أولكم نطفة قذرة من ماء مهين، وآخركم جيفة ملقاة..

٥١} الطامع في أخذ الدنيا من أيدي الخلق يبيع الدين بالتين، يبيع ما يبقى بما يفنى.

٥٢} فقه اللسان بلا عمل القلب لا يخطيك إلى الحق خطوة، السير سير القلب ، القرب قرب الأسرار ، العمل عمل المعاني :مع حفظ حدود الشرع بالجوارح، والتواصل لله ولعباده .

٥٣} من جعل لنفسه وزنا فلا وزن له . من أظهر أعماله للخلق فلا عمل له .

٥٤} من لا توحيد له ولا إخلاص له لا عمل له . . أحكم أساس عملك بالتوحيد والإخلاص، ثم لين الأعمال بحول الله وقوته، لا بحولك وقوتك . . . يد التوحيد هي البانية لا يد الشرك والنفاق . .

٥٥} خذ الأقسام بيد الشرع إذا كنت مريدا ، وبيد الأمر إذا كنت خاصا صديقا . . وبيد فعل الله عز وجل إذا كنت قانتا واصلا مقربا . . .

٥٦}من لا يوافق القدر لا يوافق ولا يرافق . . من لم يرضى بالأقضية لا يرضى عنه . . من لا يعطي لا يعطى .

٥٧} إذا كنت منكرا على نفسك قدرت أن تكون منكرا على غيرك . .

٥٨} المرائي ثوبه نظيف وقلبه نجس .

٥٩} إنخلع من حولك وقوتك ووجودك واستطرح بين يدي الحق عز وجل بلا حول ولا قوة .

٦٠} عليكم بإماتة نفوسكم وأهويتكم وشياطينكم ،:"قبل ان تموتوا الموت العام :عليكم بالموت الخاص" .

٦١} من أفنى الخلق بيد توحيده ، وأفنى الدنيا بيد زهده، وأفنى ما سوى الله عز وجل بيد الرغبة:فقد استكمل الصلاح والنجاح. وحظي بخير الدنيا والآخرة .

٦٢} إذا خدمت خدمت .

٦٣} لكل مقام مقال ولكل عمل رجال .

٦٤} عليكم بالاتباع لا بالابتداع .

٦٥} من فاته باب الحق قعد على أبواب الخلق .

٦٦} من استغنى بالله عز وجل إحتاج إليه كل شيء ، وهذا لايجيء بالتحلي والتمني ولكن بما وقر في الصدور وصدقه العمل . .

٦٧} الإقبال على الخلق هو عين الإدبار عن الحق .

٦٨} لا فلاح لك حتى تترك الأرباب وتخلع الأسباب .

٦٩} الظاهر عنوان الباطن .

٧٠} إذا تواضعت للصالحين فقد تواضعت لله عز وجل .

٧١} كلما كثر علم القلوب قربت من مولاها .

٧٢} لا تقعد في مقام تقام منه .

٧٣} إن أردت سعة الصدر وطيب القلب فلا تسمع ما يقول الخلق، ولا تلتفت إلى حديثهم، أما تعلم أنهم لا يرضون على خالقهم ،فكيف يرضون عنك أنت ؟

٧٤} عملك بالحكمة يوصلك إلى قدرة الله عز وجل .

٧٥} كن مع الله صامتا عند مجيء قدره وفعله:حتى ترى منه ألطافا كثيرة .

٧٦} المنقول لايستنتج بالعقل . . والنص لايترك بالقياس . . لاتترك البينة وتقعد مع مجرد الدعوى .

٧٧} أعقل خلق الله عز وجل لو رأيتموهم لقلتم مجانين ،ولو رأوكم لقالوا ماآمن هؤلاء بيوم الدين .

٧٨} جيد قليل خير من رديء كثير .

٧٩} لايعرف الإخلاص إلا من كان مرائيا .

٨٠} المعاصي داء والطاعة دواء . .

٨١} لاتخل لنفسك رأسا مشالا . . إلا ركبتها وإلا ركبتك . . . وإن صرعتها وإلا صرعتك . .

٨٢} لا أحد لقلبك وفيه غير الله تعالى . .

٨٣} من يدعي إرادة الله عز وجل ويطلب سواه فقد بطلت دعواه .

٨٤} مريدوا الدنيا فيهم كثرة ، ومريدو االآخرة فيهم قلة . . ومريدوا الحق عز وجل الصادقون في إرادته هم أقل من القليل .

٨٥} إقبال أولياء الله عز وجل على الخلق فريضة لأنهم أطباء والناس مرضى.

٨٦} إحذروا من نظر الشهوة فإنه يزرع المعصية في قلوبكم.

٨٧} إحذروا من اليمين الكاذبة فإنها تترك الديار بلاقع:

"تذهب ببركة الأموال والأديان"..

٨٨} إستهانتك بأولياء الله عز وجل من قلة معرفتك بالله عز وجل.

٨٩} لما قلت معرفتك بنفسك قلت معرفتك بأقدار الناس.

٩٠} على قدر قلة معرفتك بالدنيا وعاقبتها تجهل قدر الآخرة.. وعلى قدر قلة معرفتك بالآخرة تجهل قدر الله تعالى..

٩١} المعاصي بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت..

٩٢} لاتيأس فإن الصانع الله . .

٩٣} البلاء مع الصبر أساس كل خير . . :أساس النبوة والرسالة والولاية والمعرفة والمحبة البلاء . . ،فإذا لم تصبر فلا أساس لك . .

٩٤} كيف لاتكون قلوب المومنين قوية وقد أسري بها إليه . . لاتزال عنده القلوب والأجسام بالأرض .

٩٥} إن أردت الصفاء الكلي ففارق بقلبك الخلق . . وواصله بالحق عز وجل . .

٩٦} ما يفعله المحب لله عز وجل بغيره ؟ الجنة دار طالبي الدرجات التجار : باعوا الدنيا بها .

٩٧} العارف العامل لله تعالى سندان: يدق عليه ولا ينشق .

٩٨} الدائرة على صحة قلبك وسرك : عن صفائهما : إنهما يصفوان بتعلم العلم والعمل به والإخلاص والصدق في طلب الحق عز وجل .

٩٩} قدم الاخرة على الدنيا فإنك تربحهما جميعا . . وإذا قدمت الدنيا على الآخرة خسرتهما جميعا .

١٠٠} لا فلاح لك حتى تبغض نفسك وتعاديها في جانب الحق عز وجل .

١٠١} إذا أراد الله بعبد خيرا علمه . . ثم ألهمه العمل والإخلاص وأدناه وقربه وعرفه: وعلم القلوب والأسرار مختارة له دون غيره: يجتبيه كما اجتبى موسى عليه السلام: :"واصطنعتك لنفسي" .

١٠٢} إغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة والثبات عليها والإخلاص فيها . . وطيبه وبخره بطيب المعرفة . .

١٠٣} لا تكن كحاطب الليل يحطب ولا يدري ما يقع في يده .

١٠٤} الغنى فيما عدم طلب الغنى .

١٠٥} الدواء في توحيدك لله عز وجل بالقلب لا باللسان .

١٠٦} كلما خطوت بقلبك خطوة للخلق بعدت عن الحق .

١٠٧} تدعي أن قلبك خرج من الخلق وأنت تخافهم وترجوهم : ظاهرك الزهد ، وباطنك الرغبة . . ظاهرك الحق وباطنك الخلق .

١٠٨} الشجاع طهر قلبه مما سوى الحق عز وجل ،ووقف على بابه بسيف التوحيد وصمصامة الشرع، لا يخلي شيئًا من المخلوقات تدخله: جمع قلبه بمقلب القلوب .

١٠٩} الشرع يهذب الظاهر . . والتوحيد والمعرفة يهذبان الباطن .

١١٠} بين قالوا وقلنا لايأتي شيء .

١١١} تعلم ثم اعمل ثم انفرد في خلوتك عن الخلق ، واشتغل بالمحبة . .وإن شاء قربك إليه وأدناك منه وأفناك فيه . . ثم إن شاء يشهرك ويظهرك للخلق ويردك إلى استيفاء الأقسام .

١١٢} الحق في القلوب والأسرار والمعاني . . والباطل في الأهوية والنفوس والعادات والطاعات وما سوى الحق عز وجل .

١١٣} القلب الصادق يسافر من الخلق إلى الحق . .يرى في طريقه الأشياء يسلم عليها ويجوز .

١١٤} العلماء العمال بعلمهم نواب السلف ورثة الأنبياء .

١١٥} من زاد علمه يجب أن يزداد خوفه من الله عز وجل وطواعيته له .

١١٦} يا نياما لاينام عنهم . . يا معرضين لايعرض عنهم . . يا ناسين لاينسون . .يا تاركين لايتركون .

١١٧} لا فلاح لمن لايحسن الظن بالله عز وجل وبعباده الصالحين ويتواضع لهم .

١١٨} لاتستهينوا بكلمات الحكماء والعلماء فإن كلامهم دواء وكلماتهم ثمرة .

١١٩} الصديق من صادقته في الخير: تدوم صداقته في الخلوة والجلوة . . في السراء والضراء . .في الشدة والخير .

١٢٠} من جملة مواصلة الحق عز وجل أن تواصل الفقراء بشيء من مالك . . . .

١٢١} أطلبوا حوائجكم من الحق عز وجل لامن غيره .

١٢٢} الأولياء هم الذين أخرجوا هم أرزاقهم من قلوبهم .

١٢٣} المومن يتزود والكافر يتمتع .

١٢٤} غاية المومن العارف العالم باب قربه من الله عز وجل : أن يصل قلبه إليه في الدنيا قبل الآخرة . القرب من الله عز وجل يكون غاية القلب ومسارة السر .

١٢٥} أنقر بيضة وجودك بمنقار صدقك . . وانقر حيطان رؤيتك للخلق والتقيد بهم بمعاول الإخلاص في توحيدك . . واكسر قفص طلبك للأشياء بيد زهدك فيها . . وطر بقلبك حتى تقع على ساحل بحر قربك من الحق عز وجل فحينئذ يا تيك ملاح السابقة ومعه سفينة العناية فيأخذك إلى ربك عز وجل .

١٢٦} أصدق في طلبك لمولاك عز وجل وقد أغناك صدقك عن كثير من التعب .

١٢٧} الدنيا بحر وإيمانك سفينتها .

١٢٨} إرجع بقلبك إلى الله عز وجل والتائب إلى الله هو الراجع إليه .

١٢٩} لاتستأنس بشيء بل استوحش من كل شيء مما تحت العرش إلى الثرى .

١٣٠} العبادة صنعة وأهلها الأولياء والأبدال المخلصون المقربون من الله عز وجل .

١٣١} لاإله نفي كلي وإلا الله إثبات كلي له لا لغيره .

١٣٢} القلب هو المومن .

١٣٣} الجاهل يفرح بالدنيا والعالم يغتم فيها .

١٣٤} الذاكر لله عز وجل حي ينتقل من حياة إلى حياة فلا موت له سوى لحظة: إذا تمكن الذكر في القلب دام ذكر العبد لله عز وجل وإن لم يذكره بلسانه . . كلما دام العبد في ذكر الله عز وجل دامت موافقته له ورضاه بأفعاله .

١٣٥} الموافقة في البلايا والآفات تزيل الكرب والضيق والحرج والضجر والإنزعاج وقت وقوعها .

١٣٦} لا تغتر بالعارية وتظنها لك عن قريب تؤخذ منك :الحق عز وجل قد أعارك الحياة حتى تطيعه فيها حسبتها لك وفعلت فيها ما أردت .

١٣٧} لا تهتم برزقك فإن طلبه لك أكبر من طلبك له

١٣٨} إشتغل بيومك لو عرفت الحق عز وجل لاشتغلت به عن طلب الرزق وكانت هيبته تمنعك من

الطلب إليه .

١٣٩} من عرف الله عز وجل كل لسانه لايزال العارف أخرس اللسان أمام الله عز وجل حتى يرده إلى مصالح الخلق .

١٤٠} كل من تجرد عما سوى الحق عز وجل ، ووقف بين يديه على أقدام قلبه وسره، فقد قال بلسان الحال كما قال موسى عليه السلام: " وعجلت إليك ربي لترضى "

١٤١} معرفة الله سبحانه وتعالى هي الأصل .

١٤٢} دع مجالسة من يرغبك في الدنيا . . واطلب مجالسة من يزهدك فيها .

١٤٣} حظوظ القلب باطنة ، وحظوظ النفس ظاهرة ، وحظوظ القلب لاتأتي إلا بعد منع النفس حظوظها . . حتى إذا استغنى القلب بحظوظه من الحق عز وجل جاءت الرحمة للنفس .

١٤٤} من خدم خدم . . ومن أحسن يحسن له . . ومن يعطي يعطى . . وإذا عملت للنار كانت النار لك . . .

١٤٥} أعمالكم عمالكم .

١٤٦} كيف تتمنى الجنة من دون أعمال أصحاب الجنة ؟ أرباب القلوب في الدنيا الذين عملوا بقلوبهم لا بجوارحهم فحسب .

١٤٧} سلم المشترى إلى المشتري وغدا يعطيك الثمن .

١٤٨} الجار قبل الدار . .الرفيق قبل الطريق .

١٤٩} يا من يريد الجنة :شراؤها اليوم لا غدا .

١٥٠} ثبات الأقدام على قدر الإيمان .

١٥١} لا تغترن بعمل فإن الأعمال بخواتمها .

١٥٢} اللهم انصرنا بطاعتك ولا تخذلنا بمعصيتك .

١٥٣} المريد كل لحظة له أمر ونهي يخصه من حيث قلبه .

١٥٤} كن صحيحا تكن فصيحا كن صحيحا في الحكم تكن فصيحا في العلم كن صحيحا في السر تكن فصيحا في العلانية .

١٥٥} من استجاب لله عز وجل أجابه .

١٥٦} واس الخلق اليوم حتى يواسيك الحق غدا برحمته .

١٥٧} إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء .

١٥٨} المومن يتقوت والمنافق يتمتع :المومن يتقوت لأنه في الطريق إلى المنزل، قد علم أن له في المنزل كل ما يحتاج، أما المنافق فلا منزل له . . لا مقصد له .

١٥٩} إعكسوا تصيبوا .

١٦٠} كما تمرض ولا تدري كيف تمرض تموت ولا تدري كيف تموت .

١٦١} للكلمات أخوات .

١٦٢} اللهم طيبنا بالتوحيد وبخرنا بالغنى عن الخلق وما سواك بالجملة .

١٦٣} لاتسمنوا أنفسكم فإنها تاكلكم .

١٦٤} البكاء عبادة وهو مبالغة في الذل .

١٦٥} كل من الخلق يريدك له، والحق عز وجل يريدك لك . .

١٦٦} الرجل الكامل في رجولته لايعمل لغير الله .

١٦٧} نفوسكم تدعي الألوهية وما عندكم خبر لأنها تتجبر على الحق عز وجل وتريد غير ما يريد ، وتحب الشيطان الرجيم ولا تحبه . إذا جاءت أقضيته لاتوافق ولاتصبر بل تعارض وتنازع . . ما عندها من الاستسلام خير قد قنعت باسم الإسلام .

١٦٨} "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . " إنقلب العقل قلبا وانقلب القلب سرا وانقلب السر فناء وإنقلب الفناء وجودا" .

١٦٩} من قوي إيمانه وتمكن في إيقانه رأى بقلبه جميع ما أخبره الله به عز وجل من أمور القيامة .

١٧٠} من صح نظره نظر بعين رأسه الخلق وبعين قلبه إلى فعل الله عز وجل فيهم . . يرى تحريكه وتسكينه لهم .

١٧١} التضرر عند ضعف الإيمان : عند كونه طفلا ، والصبر عند كونه شابا ومراهقا ، والموافقة عند كونه بالغا والرضا عند كونه قريبا .

١٧٢} شرط المحبة ألاتكون لك إرادة مع محبوبك ، وأن لاتشتغل عنه بدنيا ولا آخرة ولاخلق .

١٧٣} محبة الله عز وجل ليست هينة حتى يدعيها كل واحد .

١٧٤} لاتحقروا أحدا من المسلمين فإن أسرار الحق عز وجل مبدورة فيهم .

١٧٥} ما أنتم إلا في غفلة كبيرة : كأنكم قد حوسبتم وعبرتم الصراط ، ورأيتم منازلكم في الجنة .

١٧٦} الرزق مقسوم لايزيد ولاينقص ، ولا يتقدم ولا يتأخر ، أنت شاك في ضمان الحق عز وجل ، حريص على طلب ما لم يقسم لك .

١٧٧} كل من اعتمدت عليه فهو إلهك . وكل من خفته ورجوته فهو إلهك ، كل من رأيته في النفع والضر ولم تر أن الحق عز وجل يجري ذلك على يديه فهو إلهك .

١٧٨} إحذر أن يرى الحق عز وجل في قلبك غيره فتنتهك . . إحذر أن يرى فيك حب غيره أو رجاء غيره أو خوف غيره . . . طهروا قلوبكم من غيره : لا تروا الضرر والنفع إلا ممن أنتم في داره وضيافته .

١٧٩} المتزهد المبتدئ يهرب من الخلق ، والزاهد الكامل لا يبالي بهم : بل يطلبهم ؛ لأنه يصير عارفا بالله عز وجل ، ومن عرف الله عز وجل لا يهرب من شيء ولا يخاف من شيء .

١٨٠} المبتدئ يهرب من الفساق ، والمنتهي يطلبهم : كيف لا يطلبهم وعنده دواؤهم ؟ ؟ .

١٨١} الدنيا حجاب عن الآخرة ، والآخرة حجاب عن رب الدنيا والآخرة .

١٨٢} العارف لله عز وجل المحب له الناظر إليه بعيني قلبه : الذي يرى الإحسان والإساءة منه لا يبقى له نظر لمن يحسن او يسيء إليه من الخلق . . إن ظهر منهم إحسان رآه بتسخير الله عز وجل ، وإن ظهرت منهم إساءة رآها بتسليطه . .

١٨٣} عليك بالخلوة عن النفس ثم بالخلوة عن الخلق . ثم بالخلوة عن الدنيا ثم بالخلوة عن الآخرة ثم بالخلوة

عما سوى المولى : إذا أردت أن تخلو مع المولى فاخل عن وجودك وتدبيرك وهذيانك .

١٨٤} كل مخلوق حجاب عن الخالق عز وجل مهما وقفت معه فهو حجاب لك .

١٨٥} لا تلتفت إلى الخلق ولا إلى الدنيا ولا إلى ما سوى الحق عز وجل حتى تأتي إلى باب الحق عز وجل بأقدام سرك وصحة زهدك فيما سواه عريانا عن الكل متحيرا فيه مستعينا به ناظرا إلى سابقته وعلمه فإذا تحقق وصول قلبك وسرك ودخلا عليه قربك وحياك وولاك على القلوب وأمرك عليها وجعلك طبيبا لها فحينئذ إلتفت إلى الخلق والدنيا فيكون التفاتك إليهم نعمة في حقهم وأخذك للدنيا من أيديهم وردك إلى فقرائهم واستيفائك لقسمك منها عبادة وطاعة وسلامة ؛ من أخذ الدنيا على هذه الصفة لاتضره بل يسلم منها وتصفو له من كدرها .

١٨٦} الولاية لها علامة في وجوه الأولياء يعرفها أهل الفراسة .

١٨٧} الإشارات تنطق بالولاية لا اللسان .

١٨٨} لا تأكل قسمك من الدنيا وهي قاعدة وأنت قائم بل كلها على باب الملك وأنت قاعد وهي قائمة .

١٨٩} الدنيا تخدم من هو واقف في باب الحق عز وجل ؛ تهين من هو واقف ببابها .

١٩٠} من لم يكن قلبه مجردا على الخلق والأسباب لايستطيع أن يسلك جادة النبيين والصادقين والصالحين .

١٩١} إذا جاءك الكثير من الحق عز وجل دون اختيارك كنت محفوظا فيه .

١٩٢} يا واعظا عظ الناس بصفاء سرك وتقوى قلبك ولا تعظهم بتحسين علانيتك مع قبح سريرتك .

١٩٣} ربنا عز وجل على العرش كما قال من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تجسيد .

١٩٤} جاهد نفسك حتى تطمئن فإذا اطمأنت عرفت عيوب الدنيا وزهدت فيها ،طمأنينتها أنها تقبل من القلب وتوافق السر وتطيعهما فيما يأمران به وينهيان عنه وتقنع بعطائها وتصبر على منعها . . إذا صارت مطمئنة انضافت إلى القلب وسكنت إليه .

١٩٥} الشكر للحق عز وجل شيئان :

الأول الاستعانة بالنعم على الطاعات ومواساة الفقراء .

والثاني الاعتراف للمنعم بها والشكر لمنزلها وهو الحق سبحانه وتعالى .

١٩٦} كل من يشغلك على الله عز وجل فهو عليك مشؤوم .

١٩٧} لا تكذب حتى في صلاتك تقول الله أكبر وتكذب لأن في قلبك إله غيره .

١٩٨} قل الله أكبر ألف مرة بقلبك ومرة بلسانك .

١٩٩} أما تستحيي أن تقول لا إله إلا الله وفي قلبك ألف معبود .

٢٠٠} من صح إيمانه بالله عز وجل وبقدره سلم كل أموره إليه ولم يجعل له شريكا فيها .

٢٠١} توحيد القلب عند كمال الإيمان .

٢٠٢} ازهدوا في الأشياء وقد رضيتم بتدبيره .

٢٠٣} طوبى لمن وافق القدر وانتظر فعل المقدر وعمل بالقدر وسار مع القدر ولم يكفر نعمة القدر .

٢٠٤} آية نعمة القدر الرحمة والقرب منه والغنى به عن كل خلقه .

٢٠٥} إذا وصل قلب العبد إلى ربه عز وجل أغناه به عن الخلق يقربه ويملكه ويقول له " إنك اليوم لدينا مكين أمين " .

٢٠٦} ألزم نفسك وأهلك وولدك القناعة، وتفرغ أنت وهم إلى طاعة ربك عز وجل فإن كان لكم في الغيب سعة الرزق فهي تأتي في وقتها المقدر عند الله ،تراها منه وتتخلص من الشرك بالخلق ،وإن لم يكن لك عند القدر ذلك فعندك غنى عن جميع الأشياء بزهدك وقناعتك .

٢٠٧} المومن لايطلب الغنى بدينه وبريائه ونفاقه وتنمسه كما يفعل المنافق .

٢٠٨} قولك لاإله إلا الله دعوى ، وتوكلك عليه وثقتك به وإعراضك عن غيره بينة .

٢٠٩} في حالة الإيمان تأخذ من الدنيا بمباح الشرع ،وفي حالة الولاية تاخذ من يد الله بأمره مع شهادتهما لك ، وفي حالة القطبية والبدلية تأخذ بفعله وتفوض كل الأشياء له .

٢١٠} بك لايجيء شيء ولابد منك .

٢١١} أبكوا على أنفسكم قبل أن يبكى عليكم .

٢١٢} الدعاء منك والإجابة منه ،الإجتهاد منك والتوفيق منه ، الترك منك والحمية منه ،

٢١٣} أصدق في طلبك وقد أراك باب قربه : ترى رحمته ممتدة إليك ، ولطفه وكرمه ومحبته مشتاقين لك : وهذا غاية مطلوب الولاية .

٢١٤} سلامة الدين هو رأس المال ،والأعمال الصالحة هي الأرباح .

٢١٥} العاقل لايفرح بشيء حلاله حساب وحرامه عقاب .

٢١٦}إنتصح بأرباب القلوب حتى يكون لك قلب .

٢١٧} يا من باع كل شيء بلاشيء واشترى لاشيء بكل شيء : قد اشتريت الدنيا بالآخرة ، وبعت الآخرة بالدنيا ، أنت هوس في هوس . . عدم في عدم . . جهل في جهل .

٢١٨} الولي قائم من الأمر . . والبدل مسلوب الإختيار .

٢١٩} اللهم افننا عمن سواك وابقنا بك .

٢٢٠} القلب يصدأ فيتداركه صاحبه بالسنة وإلا انتقل إلى السواد : يسود لبعده عن النور ولحبه الدنيا والتحويز عليها من غير ورع .

٢٢١} من ذكر الله عز وجل بقلبه فهو الذاكر .

٢٢٢} اللسان غلام القلب .

٢٢٣} حقيقة التوبة تعظيم أمر الحق عز وجل في كل الأحوال .

٢٢٤} المريدون صبروا مع الله عز وجل ولم يصبروا عنه: صبروا له وفيه ، صبروا ليكونوا معه .

٢٢٥} من أراد الفلاح فليصبر نفسه .

٢٢٦} لايضحك في وجه الفاسق إلا العارف : يضحك في وجهه كأنه لايعرفه : وهو يعلم بخراب بيت دينه ،وسواد وجه قلبه ،وقلة عدره وكدره .

٢٢٧} الله أكبر عليكم يا موتى القلوب . . إلى أي وقت تضيعون عمركم في لاشيء ؟

٢٢٨} كل من يرى الضر والنفع بيد غير الله عز وجل فليس بعبد له .

٢٢٩} ما يسلم من نار الله عز وجل إلا المتقون الموحدون المخلصون التائبون .

٢٣٠} توبوا بقلوبكم ثم بألسنتكم : التوبة قلب دولة، تقلب دولة نفسك وهواك وشيطانك وأقرانك السوء . . إذا تبت قلبت سمعك وبصرك ولسانك وقلبك وجميع جوارحك وتصفي طعامك وشرابك من كدر الحرام والشبهة . . وتتورع في معيشتك وبيعك وشرائك وتجعل كل همك الله عز وجل: تزيل العادة وتترك مكانها العبادة ،تزيل المعصية وتترك وراءها الطاعة ،ثم تتحقق في الحقيقة مع صحة الشريعة وشهادتها : لأن كل حقيقة لاتشهد لها الشريعة فهي زندقة . . فإذا تحقق هذا جاءك الفناء عن الأخلاق المذمومة وعن رؤية سائر الخلق . . فحينئذ يكون ظاهرك محفوظا وباطنك بربك عز وجل، لأنك قائم معه مقبل عليه مشغول به ناظرا إلى جلاله وجماله: إذا نظرت إلى جلاله تفرقت وإذا نظرت إلى جماله اجتمعت . تخاف عند رؤية الجلال وتثبت عند رؤية الجمال ،فطوبى لمن ذاق من هذا الطعام .

٢٣١} اللهم أطعمنا من طعام أنسك واسقنا من شراب قربك .

٢٣٢} الواحد من المقربين في الآخرة يتلبس بنعيم الجنة على غير إرادة منه . .

٢٣٣} على قدر همتك تعطى .

٢٣٤} إجعل أعمالك كلها لله عز وجل لا لطلب نعمة، إرض بتدبيره وقضائه وأفعاله . . فإذا فعلت هذا فقد مت عنك وحييت به: يصير قلبك مسكنه يقلبه كيف شاء ، يصير في كعبة قربه متعلقا بأستار ها ذاكرا له ناسيا لمن سواه .

٢٣٥} مفتاح الجنة قول: " لا إله إلا الله محمد رسول الله" اليوم ؛ وغدا بفنائك عنك وعن غيرك وعن كل ما سواه مع حفظ حدود الشرع .

٢٣٦} قرب الحق عز وجل جنة القوم ، والبعد عنه نا رهم . لا يرضون إلا هذه الجنة ولا يخافون إلا من هذه النا ر .

٢٣٧} عليكم بالإيمان ثم بالإيقان فالوجود بالله عز وجل لا بك ولا بغيرك مع حفظ الحدود .

٢٣٨} يا من لبس الصوف إلبس الصوف لسرك ثم لقلبك ثم لنفسك ثم لبدنك . بداية الزهد من هناك تكون لا من الظاهر إلى الباطن .

٢٣٩} إذا صفى السر تعدى الصفاء إلى القلب والنفس والجوارح والمأكول والملبوس وتعدى إلى جميع الأحوال .

٢٤٠} أول ما يعمر داخل الدار ثم بعد ذلك بابها لا كان ظاهر دون باطن .

٢٤١} الإسلام مشتق من الإستسلام .

٢٤٢} سلم أمر الله عز وجل إلى الله عز وجل .

٢٤٣} حب الله عز وجل وحب غيره لا يجتمعان في قلب واحد وقد قال تعالى : " ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه " .

٢٤٤} أترك الأشياء الفانية حتى يحصل لك شيء لا يفنى

٢٤٥} ما دمت قائما مع نفسك وهواك فلا كلام .

٢٤٦} صف لقمتك وخرقتك وقلبك وقد صرت صافيا .

٢٤٧} الصوفية مشتقة من الصفاء يا من لبس الصوف الصوفي الصادق في تصوفه يصفو قلبه عما سوى مولاه عز وجل .

٢٤٨} قد قنعت من أحوال الصالحين بالكلام فيها، والتمني لها، كالقابض على الماء : يفتح يده فلا يرى فيها شيئًا .

٢٤٩} التمني وادي الحمق .

٢٥٠} تعمل أعمال أهل الشر وتتمنى درجات أهل الخير .

٢٥١} من غلب رجاؤه خوفه تزندق، ومن غلب خوفه رجاءه قنط والسلام في اعتدالهما .

٢٥٢} من جملة جهلك طلبك الدنيا من غير مولاها .

٢٥٣} كل من وافق القدر دامت له الصحبة مع الله عز وجل .

٢٥٤} كل من لم يقدم النية قبل العمل فلا عمل له .

٢٥٥} الدنيا حكمة والآخرة كلها قدرة .

٢٥٦} التقوى دواء وتركها داء .

٢٥٧} التوبة عرش الإيمان .

٢٥٨} تقول إني خائف من الله عز وجل وأنت تخاف غيره ؟ لا تخف إنسيا ولا جنيا ولا ملكا ، ولا تخف شيئًا من الحيوانات الصامتة والناطقة ،لا تخف من عذاب الدنيا ولا الآخرة ، وإنما تخاف من المعذب بالعذاب .

٢٦٠} العطاء لمن أطاع والعصى لمن عصى .

٢٦١} وكل البلاء بالولاء .

٢٦٢} الأمراض كثيرة وطبيبها واحد .

٢٦٣} ما دام حب الدنيا في قلبك لا ترى شيئًا من أحوال الصالحين .

٢٦٤} إذا تركت ما في حسابك جاءك ما ليس في حسابك.

٢٦٥} الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر.

٢٦٦} رزقك لا يأكله غيرك.

٢٦٧} عمرك يذوب وما عندك خبر.

٢٦٨} ويل للمحجوبين الذين لا يعلمون أنهم محجوبون.

٢٦٩} المتزهد يخرج الدنيا من يده، والزاهد المتحقق يخرجها من قلبه.

٢٧٠} لا سكون لك حتى تميت نفسك وطبعك وهواك وما سوى مولاك. فحينئذ تحيا بقربه: موت ثم نشر: " وإذا ما شاء أنشره ".

٢٧١} الوقوف على باب واحد خير من الوقوف على أبواب كثيرة.

٢٧٢} إزهد فيك وفي الخلق وفي الدنيا يرحك الحق من الخلق.

٢٧٣} طهر قلبك مما سواه فإنك ترى به سواه .

٢٧٤} لا كلام حتى يكون لك دهشة بقرب الله .

٢٧٥} عند الخواص يزيد الإيمان بخروج الخلق من قلوبهم وينقص بدخولهم إليها .

٢٧٦} عند ارتكاب المعاصي يصير الكلام عبادة والصمت عنها معصية .

٢٧٧} الزاهد صائم عن الشراب والطعام ، والعارف صائم على غير معروفه .

٢٧٨} إذا صح لك الإسلام صح لك الإستسلام .

٢٧٩} إذا صبرت على الوحدة جاءك الأنس بالواحد .

٢٨٠} أخرج نفسك من قلبك وقد جاءك الخير فهي الكدرة المكدرة .

٢٨١} غيروا له من نفوسكم ما يكره حتى يؤتكم ما تحبون .

٢٨٢} الحق عز وجل لا يطلب من العبد صورته إنما يطلب معناه .

٢٨٣} يريدونك لهم لا لك والحق يريدك لك لا لهم فاطلب من يريدك لك واشتغل به فإن الإشتغال به أولى ممن يريدك له .

٢٨٤} أبغض الخلق إلى الله تعالى من يطلب الدنيا من خلقه .

٢٨٥} العلم إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه .

٢٨٦} تقول لا إله إلا الله وفي قلبك صنم ؟ ؟ لا ينفعك توحيد اللسان مع شرك القلب .

٢٨٧} الموحد يضني شيطانه والمشرك يضنيه شيطانه .

٢٨٨} احفظ باطنك بالمراقبة لله عز وجل وظاهرك باتباع السنة وقد صار لك خاطر صحيح مصيب وتصح لك المعرفة بالله عز وجل .

٢٨٩} الصداقة في غير الله عز وجل وصل عداوة ، والثبات في غيره زوال . . والعطاء في غيره حرمان .

٣٠٠} من عرف بعين اليقين أن الله عز وجل قد قسم جميع الأشياء وفرغ منها لا يطلب منه شيئًا حياء منه . يشتغل بذكره عن مطالبته .

٣٠١} إن أردت الملك دنيا وآخرة فاجعل كلك لله عز وجل فتصير أميرا على نفسك وغيرك .

٣٠٢} إذا كذبت وكذبت كذبت وكذب لك ، وإذا صدقت وصدقت صدقت وصدق لك : كما تدين تدان .

٣٠٣} إن كنت زاهدا فأنت واقف بين الدنيا والآخرة وإن كنت خائفا فأنت قائم بين الجنة والنار وإن كنت عارفا فأنت قائم بين الخلق والخالق .

٣٠٤} فارق قبل أن تفارق ودع قبل أن تودع . . واهجر قبل أن يهجرك أهلك وسائر الخلق .

٣٠٥} تب من تناول المباح بشهوة .

٣٠٦} من استغنى برأيه ضل .

٣٠٧} الإجابة إنما تكون بعد الاستجابة .

٣٠٨} وافق الله عز وجل في الخلق ،ولا توافق الخلق في الله انكسر من انكسر وانجبر من انجبر .

٣٠٩} لا تخف الخلق ولا ترجهم فذلك من ضعف الإيمان .

٣١٠} بك لا يجيء شيء ولا بد منك .

٣١١} إذا كان القدر لا يمكنك رده ولا تغيره ومحوه ومخالفته فلا ترد غير ما يرد . . إذا كان لا يأتيك إلا بما يريد فلا ترد .

٣١٢} المحب لا يملك شيئًا . . يسلم كل شيء إلى محبوبه . محبة وتملك لا يجتمعان .

٣١٣} الله غيور لا يحب أن يرى في قلبك غيره .

٣١٤} الصبر في أول قدم اضطرار وفي ثاني قدم اختيار

٣١٥} ثمن كلامي العمل به .

٣١٦} نفسك حجابك عن معرفة الحق، والخلق حجابك عن معرفة الخالق .

٣١٧} مادمت مع نفسك لاتعرف الخلق ،ومادمت مع الخلق لا تعرف الخالق عز وجل: مادمت مع الدنيا لا تعرف الآخرة ومادمت مع الآخرة لاترى رب الدنيا والآخرة. . مالك ومملوك لايجتمعان .

٣١٨} إحصروا كتب المعاصي واضربوا على سطورها بالتوبة .

٣١٩} المومن غريب في الدنيا والزاهد غريب في الآخرة والعارف غريب فيما سوى المولى .

٣٢٠} المومن بشره في وجهه وحزنه في قلبه: عرف الدنيا فطلقها بقلبه. . أول ما طلقها طلقة واحدة لأنه خاف من تقليب الأعيان، فبينما هو كذلك إذ فتحت الآخرة أبوابها فجاء بريق حسن وجهها ،فطلق الدنيا طلقة ثانية. . فجاءته الأخرى فعانقته فطلق الدنيا طلقة ثالثة ووقف مع الآخرة بكليته فبينما هو معها إذ برق نور الحق عز وجل فطلق الأخرى . .قالت له الدنيا لم طلقتني قال لها : رأيت أحسن منك، وقالت له الأخرى: لم طلقتني ؟ قال لها : لأنك محدثة وصورة . أما أنت غيره ؟ كيف لا أطلقك ؟ " .

٣٢١} أترك غدا إلى جنب أمس لعله يأتي وأنت ميت .

٣٢٢} الدنيا محبوبة النفوس والآخرة محبوبة القلوب والحق عز وجل محبوب الاسرار .

٣٢٣} غير حتى يغير الله لك .

٣٢٤} إذا ترقت درجة العبد من الإسلام إلى الإيمان من الإيمان إلى الإيقان إلى المعرفة، من المعرفة إلى العلم ،من العلم إلى المحبة من المحبة إلى المحبوبية، من طلبه إلى مطلوبيته: فحينئذ إذا غفل لم يترك ،وإذا نسى ذكر، وإذا نام نبه ،وإذا غفل أوقظ ، وإذا ولى أقبل،، فلا يزال أبدا مستيقظا صافيا لأنه قد صفت آنية قلبه: يرى من ظاهرها باطنها ؛ ورث عن نبيه عليه الصلاة والسلام اليقظة ، "كان تنام عيناه ولا ينام قلبه" "كان يرى من ورائه"

٣٢٥} من شرط المحبة الموافقة ومن شرط العداوة المخالفة .

٣٢٦} يا من يدعي العلم لا عبرة لعلمك من غير عمل ولا عبرة لعملك بغير إخلاص لأنه جسد بلا روح .

٣٢٧} علامة إخلاصك أنك لا تلتفت إلى حمد الخلق وذمهم ولا تطمع بما في أيديهم ،بل تعطي الربوبية حقها : تعمل للمنعم لا للنعمة ،للمالك لا للملك ،للحق لا للباطل .

٣٢٨} إذا كنت عارفا أطلعك الله على لب اللب على سر السر ومعنى المعنى: فحينئذ تتعرى عما سواه

بالجملة . التعري للقلب لا للجسد ،، الإعراض للسر لا للظاهر ، النظر إلى المعاني لا للمباني ؛ النظر للحق لا للخلق :الدائرة أن تكون معه لا مع الخلق

٣٢٩} اجهد في تحصيل الإيمان وقد حصل لك الإيمان .

٣٣٠} إذا تبت بقلبك فإن نور التوبة يضيء الوجه .

٣٣١} إجتهد ألا تكون أنت بل يكون هو .

٣٣٢} إذا خرقت العادة خرقت لك العادة .

٣٣٣} الخلق حجاب نفسك . . ونفسك حجاب قلبك . .وقلبك حجاب سرك . .فما دمت مع الخلق لاترى نفسك . .فإن تركتهم رأيتها .

٣٣٤} من الحال ما يكتم .

٣٣٥} إذا كان لايتم لك ما تشاء فلا تشأ .

٣٣٦} من رأى توفيق الله له انتهى عنه العجب بشيء من الأعمال .

٣٣٧} أما تستحي جعلت ما للخلق مزينا وما للخالق منجسا

٣٣٨} إذا صح للمرء ذوبان نفسه وهواه وطبعه بقي ومولاه بلا زحمة .

٣٣٩} من عرف الله عز وجل اشتد خوفه .

٣٤٠}أمنك غدا يوم القيامة على قدر خوفك اليوم

٣٤١} خوفك غدا يوم القيامة على قدر أمنك بالدنيا .

٣٤٢} دع عنك الحرص فيما قسم لك وما لم يقسم . كيف يحسن لعاقل ان يضيع زمانه فيما فرغ منه ؟ .

٣٤٣} متى تصفو حتى ترى الصفاء وأهله ؟

٣٤٤}الصدق يحملك ويقدمك ويوقظك . . والكذب يردك وينومك .

٣٤٥} إن أردت الاتصال به فاقطع كل موصول غيره . وأعرض عنك وعنهم .

٣٤٦} الدنيا سجن المومن فإذا نسي سجنه جاء الفرج .

٣٤٧} سلم إليه وقد سلمت . . . . سلم إياك والخلق له .

٣٤٨} أشكره وقد زادك .

٣٤٩} أد الأمر وانته عن النهي ووافق القدر وسكن ظاهرك وباطنك عن الكلام بين يديه وقد رأيت الخير دنيا وآخرة .

٣٥٠} النفس عمياء طرشاء خبلاء جاهلة بربها عز وجل عدوة له : وبدوام مجاهدتها تنفتح عيناها وينطلق لسانها وتسمع أذنها ويزول خبلها وجهلها . وعداوتها لله عز وجل : وهذا يحتاج إلى حبال ورجال ودوام ساعة بعد ساعة ويوم بعد يوم وسنة بعد سنة .

٣٥١} ليكن صمتك أكثر من نطقك فإنه سبب لتعلمك وقربك .

٣٥٢} الدنيا حكمة وعمل الآخرة كله قدرة .

٣٥٣} الفصاحة للقلب لا للسان . . .

٣٥٤} من لم يعمل بعلمه فهو جاهل . . .

٣٥٥} إسمع من نفسك كما تسمع من مجنون زال عقله . . .

٣٥٦} قص جناح النعمة بالشكر وإلا ضاعت منك . . .

٣٥٧} العلم والتسليم فيما لا تعلم إسلام . . .

٣٥٨} الرضى بالقضاء أفضل من تناول الدنيا مع المنا زعة . . .

٣٥٩} إحفر أرض قلبك حتى ينبع منها ماء الحكمة . . ثم ابن بالمجاهد ات والإخلاص والأعمال الصالحة إلى أن يرتفع قصرك . . ثم ادع الناس إليه بعد ذلك . . .

٣٦٠} من كا ن في حالة من الأحوال : ولم يتمن ما فوقها ولا ما تحتها ولا زوالها ولا بقاءها : فقد حصل له شرط الرضى والموافقة والعبودية . . .

٣٦١}أشد الأشياء على من عرف الله عز وجل :النطق مع الخلق والجلوس معهم .

٣٦٢} إن أردت أن تعرف الحق عز وجل فأسقط قدر الخلق من قلبك فيما يلي الضر والنفع : فإنك ما تعرفه إلا بذلك .

٣٦٣} الدنيا إلى أمد والآخرة إلى أبد .

٣٦٤} حقيقة التقوى أنك لو جمعت ما في قلبك وتركته في طبق مكشوفا وطفت به في السوق لم يكن فيه شيء تستحي منه .

٣٦٥} لولا الإبتلاء والإختبار لادعى الولاية خلق كثير .فقد وكل البلاء بالولاية حتى لا تدعى .

٣٥٦}ما سوى الله عز وجل كله قشر . والطلب له والقرب منه هو اللب .

٣٥٧} إبن آدم إذا صح فلا صحيح مثله ، وإذا صفا فلا صفاء مثله ، وإذا قرب فلا قريب مثله .

٣٥٨} الجاهل ينظر بعيني رأسه ، والعاقل ينظر بعين عقله، والعارف ينظر بعين قلبه .

٣٦٩} إذا سمعت كلمة من العلم وعملت بها وعلمتها إلى غيرك كان لك ثوابان : "ثواب العلم وثواب التعلم"

٣٧٠}إذا بنيت حالك على أحكام الحكم الظاهر لاأحد من الخلق يقدر على نقضه . . وإذا لم تبنه على ذلك : لا يثبت لك حال ولا تصل إلى مقام .

٣٧١} العارف في كل ساعة أقرب لله عز وجل من الساعة التي قبلها .

٣٧٢} من عرف الله عز وجل خرس لسان نفسه وطبعه وهواه وعادته ووجوده . . أما لسان قلبه وسره وحاله ومقامه وعطائه فينطلق بإنعام النعم التي عنده .

٣٧٣} المومن صاحب حال والحال يحول . والعارف صاحب مقام والمقام ثابت .

٣٧٤} إذا صح قلبك كنت دوما في نومة عن الخلق وغيبة عنهم . . ويقظة مع الخالق .

٣٧٥} لو رأيتموهم ـ العارفين ـ لقلتم "مجانين" ولو رأوكم لقالوا "ماآمن هؤلاء برب العالمين "

٣٧٦} ترك الدعاء عزيمة والاشتغال به رخصة .

٣٧٧} لا إيمان لك وعلى وجه الأرض من تخافه وترجوه . . لا زهد لك وفي الدنيا شيء تريده ، لا توحيد لك وأنت ترى في طريقك إليه غيره .

٣٧٨} من غلب علمه هواه فذلك العلم النافع .

٣٧٩} ألزم الخوف في ليلك ونهارك حتى يقال لقلبك وسرك : " لاتخافا إنني معكما أسمع وأرى " .

٣٨٠} المومن إذاقوي إيمانه سمي موقنا . وإذا قوي إيقانه سمي عارفا . وإذا قويت معرفته سمي عالما . وإذا قوي علمه سمي محبا . وإذا قويت محبته سمي محبوبا . وإذا صح له ذلك سمي غنيا مقربا مستأنسا بقرب الله عز وجل .

٣٨١} سعة الرزق فتنة مع عدم الشكر . . وضيق الرزق فتنة مع عدم الصبر .

٣٨٢} من أحب أن يحصل له الرضى من الله عز وجل فليدم ذكر الموت .

٣٨٣} السؤال عند البعد والسكوت عند القرب .

٣٨٤} من ادعى محبة الله عز وجل وطلب منه غيره فقد كذب في محبته .

٣٨٥} المحب مقبوض والمحبوب مبسوط الحرمان للمحب والعطاء المحبوب .

٣٨٦} لاتنس من لاينساك ولاتغفل عمن لايغفل عنك .

٣٨٧} أحسن ظنك بغيرك وأسئه في نفسك .

٣٨٨} إذاتم جنون مجنون الحق عز وجل حان خروجه من الجنون

٣٨٩} ما من عالم إلا ويحتاج زيادة علم . وما من عالم إلا وهناك من هو أعلم منه .

٣٩٠} لو ذكرت الموت قل فرحك بالدنيا وكثر زهدك فيها .

٣٩١} المعصية وجود النفس والطاعة فقدانها .

٣٩٢} لكل داخل دهشة .

٣٩٣} إذا تبتم فلابد من بداية ونهاية .

٣٩٤} لا تبع الدين بالتين .

٣٩٥} العبد إذا عرف الله عز وجل سقط الخلق من قلبه .

٣٩٦} المومن إذا تحدى خاطره وهمه لم يبق له سوى خاطر الحق عز وجل إلى قلبه ،وهو واقف على باب قربه .

٣٩٧} التوكل ليس له وقوف مع أحد . والتوحيد ليس له رؤية الضر والنفع من أحد .

٣٩٨} الحركة عند وجودك والسكون عند فقدك : الحركة في الحكم والسكون في العلم .

٣٩٩} الصوفي لايكون بخيلا لأنه ما ترك ما يبخل به وقد ادعى ترك الكل .

٤٠٠} كلام الطامع لايخلو من رجة ومداهنة .

٤٠١} الطامع فارغ كالطمع لأن حروفه كلها فارغة .

٤٠٢} لاتستعر كلمات الصالحين وتتكلم بها وتدعيها لنفسك : العارية لاتخفى .

٤٠٣} اللسان ترجمان القلب .

٤٠٤} إخراج الكل من القلب قلع الجبال الرواسي يحتاج إلى معاول المجاهدات والصبر على المكابدات ونزول الآفات .

٤٠٥} التواضع يرفع والتكبر يضع .

٤٠٦} إشتغالك بالدنيا يحتاج إلى نية صالحة وإلا فأنت ممقوت .

٤٠٧} إشتغل بطهارة قلبك أولا فإنها فريضة ، ثم تعرض للمعرفة .

٤٠٨} كل إناء بما فيه يرشح .

٤٠٩} رضى المريد في الطاعات ورضى العارف في القرب من الله عز وجل .

٤١٠} أخلص تخلص ، صدق وقد وصلت ، سلم وقد سلمت ، وافق وقد وفقت ، إرض وقد رضي

عنك ، أسرع وقد تمم الله لك .

٤١١} أخرج الدنيا من قلبك ثم تعالى .

٤١٢} يا مستعجلا : إصبر وقد أكلت هنيا .

٤١٣} العبد يضرب بالعصا ، والحر تكفيه الإشارة .

٤١٤} خاطر الله عز وجل لا يأتي إلا لقلب خال مما سواه .

٤١٥} إحقر نفسك واحكم أمرك وكن على ذلك إلى أن يقال لك : "وأما بنعمة ربك فحدث" .

٤١٦} كل من لا يعبد الله عز وجل فهو من أولئك الذين لا يدرون لماذا خلقوا ؟

٤١٧} كان الله قادرا أن يهدي إليه بلا أنبياء .

٤١٨} يصل الأولياء إلى حالة لا يبقى فيها دعاء ولا سؤال .

٤١٩} إني أنطق بما أنطق به .

٤٢٠}إذا أحكمت الإيمان وصلت إلى دار المعرفة ثم العلم ثم وادي الفناء عنك وعن الخلق ثم وجودك به لابك ولا بهم .

٤٢١} إستخدم هاته النفس وعلمها العزيمة فإنك ما تحملتها تحملت .

٤٢٢} العمل للقلوب والمعاني للأسرار .

٤٢٣} الفروع تبنى على الأصول .

٣٢٤} القلب الصحيح يهرب من الكلام الذي يكون باللسان لا بالقلب .

٤٢٥} الصديق ينظر بنور الله عز وجل لا بنور عينيه ولا بنور الشمس والقمر .

٤٢٦} وحد الحق عز وجل حتى لا يبقى فيك للخلق ذرة .

٤٢٧} أنتم تعدون خلف الدنيا حتى تعطيكم وهي تجري حول أولياء الله حتى تعطيهم .

٤٢٨} إذا صح القلب صح النظر إذا صح القلب فقد قرب من الحق عز وجل .

٤٢٩} إذا صح القلب وثبتت أقدامه على باب الحق عز وجل وقع في تيه التكوين وفي أوديته وفي بحره، يكون تارة بكلامه وتارة بهمته وتارة بنظره يصير فعل الله عز وجل وينعزل هو، يفنى وهو يبقى .

٤٣٠} تسعى في طلب الدنيا وتحرص وليس لك فيها إلا ما قسم لك .

٤٣١} من شرط المحبوب الراحة .

٤٣٢} من علم ما يطلب هان عليه ما يبذل من قواه وجهده في طاعة الله عز وجل .

٤٣٣} من صح زهده في الخلق صحت رغبتهم فيه وانتفعوا بكلامه والنظر إليه .

٤٣٤} العبادة ترك العادة .

٤٣٥} لولا الامتحان لكثرت الدعاوي من ادعى الحلم نبتليه بالإغضاب ،ومن ادعى الكرم نمتحنه بالطلب منه، وكل من ادعى شيئًا نمتحنه بضده .

٤٣٦} يتأيد العلم الأول بالعلم الثاني جهل ثم علم ثم عمل ثم إخلاص ثم علم ثاني وعمل ثاني، سكون ثم نطق . فناء عنك ثم وجود به .

٤٣٧} الإعراض على الخلق حق ؛ والاشتغال بخالقهم أحق .

٤٣٨} سلم وقد استرحت .

٤٣٩} ما أصابك لم يكن ليخطئك بالتحذر ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك بالجد والطلب .

٤٤٠} السبب في البداية والمسبب في النهاية .

٤٤١} الصادق المحبة لا يقف مع غير محبوبه .

٤٤٢} العبد إذا وحد الله عز وجل يكون له، فيدخل في تكوينه، وتارة يسلم له التكوين فيكون هو لنفسه، هذا الخواصه من خلقه .

٤٤٣} كل من دخل الجنة يقول للشيء كن فيكون .

٤٤٤} الشيء في تكوين اليوم لا غدا .

٤٤٥} الفقر والبلاء مع عدم الصبر عقوبة ومع وجوده كرامة .

٤٤٦} في البداية عند ضعف الإيمان "لا إله إلا الله" وفي النهاية عند قوة الإيمان "لا أنت إلا أنت" .

٤٤٧} المومن كلما شاخ قوي إيمانه، واستغنى عن الخلق لقربه من الحق عز وجل .

٤٤٨} على قدر تعظيمك لله عز وجل يعظمك خلقه .

٤٤٩} بينك وبين ربك أن تفارق إياك وقد رأيته .

٤٥٠} البداية دائما بالمكارم .

٤٥١} مت قبل أن تموت مت عنك وعنهم وقد حييت به .

٤٥٢} أكل الشهوات يقسي القلب ويقيد السر ويزيل الفطنة ويكثر النوم والغفلة ويقوي الحرص ويطول الأمل

.

٤٥٥} الصوفي من صفا عن وجوده .

٤٥٦} أغلق باب منة الخلق وقد فتح لك باب منة الحق .

٤٥٧} نفسك معشوقتك لو علمت أنها عدوتك وقاتلتك لفارقتها .

٤٥٨} تطلب الدنيا والآخرة وأنت تدعي المحبة؟ ؟ .

٤٥٩} الزاهد من زهد في الحلال ،أما الزهد في الحرام فهو واجب .

٤٦٠} أزهد في مشيئتك لتظفر بمشيئته . . من شرط المحبه ترك المشيئة والإرادة .

٤٦١} إذا أنست بالخلق من الإنس ثم سددت ذلك فتح لك باب الأنس بالجن ثم إذا سددته فتح لك باب الأنس بالملك .

٤٦٢} ينبغي للفقير الصادق ألا يطلب رزق نفسه فإن كان ولابد طالبا فليطلب قدر كفايته .

٤٦٣} إذا قربك وابتلاك تنعم ببلائه . . وإلا شغلك ببلائك .

٤٦٤} من لايخاف الله عز وجل لاعقل له .

٤٦٥} الدين الخوف .

٤٦٦} قوم يكرهون الطلب من الله عز وجل :قد لايضاف لهم الشر لترك التفويض والتسليم .

٤٦٧} الولاية باطنة مكنونة .

٤٦٨} لايصبر البدل حتى تكون أثقال العباد على ظهره .

٤٦٩} الأسباب حجاب .

٤٧٠} تعر والبس لباس التقوى .

٤٧١} من عرف الله كل لسانه .

٤٧٢} المومن من إذا أغمض عيني رأسه إنفتحت عينا قلبه .

٤٧٣} التكوين في الطريق .

٤٧٤} الأولياء أكلهم أكل المرضى ، ونومهم نمو الغرقى ، وكلامهم عن ضرورة .

٤٧٥} أربعة أشياء منها صلاح القلب :

ـ النظر في اللقمة .

ـ الفراغ للطاعة .

ـ صيانة الكرامة .

ـ ترك ما يشغلك عن الله .

٤٧٦} جاهد النفس الخبيثة حتى تموت ، ثم تحييها نشأ آخر : فقيهة عالمة مطمئنة ، تغلق باب شهواتها

ولذاتها، إحبسها عن شهواتها حتى إذا دبلت رجعت شهواتها إلى سرك . تصير قلبا بالمجاهدة .

٤٧٧} كيف تطلب الإستئناس بالخلق والملائكة معك ؟ ؟ .

٤٧٨} العبد إذا صفا قلبه استأنس بالملائكة، وقد تحد ثه في خلوته .

٤٧٩} ما كان لله فاتهزه، وما كان لغيره فاتته عنه .

٤٨٠} جذبة من جذبات الحق خير من عمل الثقلين .

٤٨١} القلب إذا ارتفع عن الدنيا وصار ضيفا عند الحق عز وجل يأبى العصمة من الخلق في الجملة :"من العرش إلى الثرى "كأن الخلق لم يخلقوا :"كأن لا أحد غيره " .

٤٨٢} المومن لالباس ولا طعام ولا نكاح له ولا سرور ولا أمن ولاقرار له حتى يرى موضعه ويسمع قلبه :حتى يرى سابقته واسمه في خلوته .

٤٨٣} أقوى سلاح الشيطان عليك :" الخلق " .

٤٨٤} الصلاة صلة لله تعالى بعد الانفصال عن غيره.الجسم لايتجزأ في مكانين.إنفصال من الخلق واتصال بالحق : هذه صلاة القوم .

٤٨٥}لا تأكل بدينك إنما تؤكل بالدين الآخرة .

٤٨٦} أنت لاعقل لك : " بيتك على دجلة وتموت عطشانا "

٤٨٧} خطوتان وقد وصلت إلى الرحمان : النفس والخلق .

٤٨٨} لاكلام حتى تصير أربابك ربا واحدا ،وجهتك واحدة، ومحبوبك واحد : يتحد قلبك .

٤٨٩} إذا تهذب باطنك لله عز وجل تهذبت الدنيا لك .

٤٩٠} المتزهد محمود ، والزاهد مسلول، والعارف حي بعد الموت

٤٩١} كم من مجاهد محجوب بجهده ، وكم من عارف محجوب بمعرفته .

٤٩٢ } إن كنت عاقلا إحسب نفسك من أهل النار حتى يحملك ذلك على إحسان العمل .

٤٩٣} المومن كالجبل مرة وكالريشة أخرى .

٤٩٤} من ترك الدنيا واشتغل بالعلم وصبر على الأذى فهو محبوب الشرع ،فبينما هو كذلك جاء الله سبحانه وتعالى بلطفه ، جاءه بمعرفته وبخلع تخصه : ولاية فوق ولاية .

٤٩٥} من عرف الله وأدخل عليه لاتمتد عينه لشيء من ملكه .

٤٩٦} إذا طابت النفس ذابت مع القلب "سجينها" ويخرج القلب من السجن .

٤٩٧} الرخص لناقض الأجل ، والعزائم لكامل الإيمان ، والملك للفانين .

٤٩٨} من استوى يوماه فهو مجنون .

٤٩٩} من ادعى شيئًا نمتحنه بضده .

٥٠٠} الأعمال تصفوا بقصر الأمل .

٥٠١} من كان في الله تلفه كان على الله خلفه .

٥٠٢} ليكن كسبك لعيالك ، وقلبك لفضل الله .

٥٠٣} الدنيا ما تراه والآخرة ما يفتح لك .

٥٠٤} متى كنت مريدا فالاشتغال بعبادتك أفضل ،فإذا كنت مرادا فلا تدبير لك في نفسك .

٥٠٥} علامة غفلتك مصاحبتك الغفلة .

٥٠٦} إن لفي حفظ القلب لشغلا شاغلا ، ذرة من أعمال القلب خير من أعمال الظاهر ألف مرة .

٥٠٧} إنقطع ثم اتصل واتصل ثم أوصل .

٥٠٨} ليس في خلق الله ألذ كلاما من الملائكة :أحسن خلق الله صورا ، وألذهم كلاما

٥٠٩} الأكل بالدين نفاق ،والأكل بالكسب سنة .

٥١٠} إصحب الخلق بعد مصاحبة الحق ،فأنت مع الحق لا مع الخلق .

٥١١} إذا صحبت الخلق بعد مصاحبة الحق فأنت مع الحق لا مع الخلق .

٥١٢} علامة الولي الاستغناء بالله تعالى عن كل شيء ، والقناعة بالله عز وجل من كل شيء ، والرجوع إليه في كل شيء .

٥١٣} إذا أرادك الله لأمر هيأك له .

٥١٤} الترك زهد والأخذ معرفة .

٥١٥} الزاهد غلام العارف .

٥١٦} متى ذكرته بلسانك فأنت تائب ، ومتى ذكرته بقلبك فأنت سالك ، ومتى ذكرته بسرك فأنت عارف .

٥١٧} وجوههم إلى الكعبة وقلوبهم للدرهم والدينار .

٥١٨} الولاية أحوال لا أقوال : بناء باطن وعمارته واتصال للقلب

٥١٩} أهل الله كل منهم على قلبه شحنة : يحاربون النفس والطبع والهوى وقطاع الطريق عن الله .

٥٢٠} داهيتك رؤيتك لنفسك .

٥٢١} المرافقة الموافقة .

٥٢٢} إستفت قلبك ولو أفتاك المفتون .

٥٢٣} كلام الأولياء دوما بالله وعن الله وفي الله

قائمة بأهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(أ) المخطوطات

١-الالوسي،شهاب الدين ابي الثناء (ت١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) ،الطراز المذهب في شرح الباز الاشهب،مخطوط في المكتبه القادرية، رقم,١٤٠٥

٢-الأمام الشطنوفي،علي بن يوسف (ت٧١٣هـ/١٣١٣م) ، بهجة الأسرار ، مخطوطة المكتبة القادرية تحت الرقم ١٥٦٠ .

٣-الأمام الشطنوفي، علي بن يوسف(ت٧١٣هـ/١٣١٣م) ، بهجة الأسرار ، مخطوطة دار المخطوطات تحت الرقم ٣٢١٦ .

٤-النووي، يحي بن شرف (ت٦٧٦هـ/٢٧٧م)، بستان العارفين، مخطوط في المكتبه القادرية، رقم, ٩٣٢.

٥-الهروي، علي بن سلطان القاري(ت١٠١٤هـ/١٦٠٥م)،(من علماء الدولة العثمانية)، نزهة الخاطر في ترجمة الشيخ عبد القادر، مخطوطة المكتبة القادرية تحت رقم ٧٢٤.

٦-الحجية ،فالح نصيف ال الحجية الكيلاني (والد المحقق)، شرح ديوان السيد الشيخ عبدالقادر الجيلاني، مخطوطة عند المؤلف .

(ب) المصادر العربية

١- إبن الأثير، محي الدين المبارك بن محمد الجزري، (ت:٦٣٠هـ /١٢٠٨م)، الكامل في التاريخ، ج٩ ،دار صادر، بيروت، ,١٩٧٥.

٢- إبن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٢ .

٣- إبن تغرى بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، دار المعارف، القاهرة، د .ت .

٤- إبن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (ت ٧٦٨ هـ/١٣٢٧ م)، الفتاوى، المكتبة السلفية، الرياض، ١٩٦٠ .

٥-ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م)، غاية النهاية،ج١،
القاهرة، ١٩٣٢ .

6-إبن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧ هـ/١٢٠١ م)،
المنتظم في تا ريخ الملوك والأمم، ط١، مطبعة حيد ر آباد، دائرة المعا رف الأسلامي،
١٩٦٩,

7-إبن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني(ت٨٥٣
هـ/١٤٤٩م)، الد رر الكامنة، ج٣، مطبعة حيد ر آباد ،الهند، ,١٩٢٩

8-إبن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي(٤٥٦هـ/١٦٠٤م)، جمهرة أنساب العرب،
تحقيق عبد السلام محمد ها رون، دا ر المعا رف، القاهرة، ,١٩٦٧

9-إبن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)،
وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دا ر الثقافة، بيروت، ,١٩٧٢

10-إبن الدبيثي، محمد بن سعيد بن محمد(ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، المختصر المحتاج اليه من
تا ريخ بغداد ، أنتقاء الذهبي، تحقيق مصطفى جواد ،مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد
،١٩٥٢ .

11-إبن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي(ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م) ، الذيل على طبقات الحنابلة،ج١-٢ ، مطبعة الحلبي،القاهرة، ١٩٥٢ .

12-إبن الصابوني، جمال الدين(ت٦٨٠هـ/ ١٢٨٣م)، تكملة أكمال الأكمال، تحقيق، مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ,١٩٥٧

13-إبن عربي، محي الدين(ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحي،ج٦، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ,١٩٩٤

14-إبن العماد، أبو الفلاح عبد الحق الحنبلي(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤-٥ ، مكتبة المقدسي، القاهرة، ١٩٢٩ .

15-إبن الكازروني، ظهيرالدين علي بن محمد (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠ .

16-إبن كثير، أسماعيل بن عمر أبو الفدا (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)،

أ- البداية والنهاية ، ج٦،مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٨ .

ب- تفسير القرآن العظيم،ج١٣،مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٢ .

17-إبن هشام، أبو محمد عبد الملك أيوب الحميدي(ت٢١٨هـ/ ٨٢٠م)، السيرة النبوية،ج٣، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٦٦ .

18-أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن(ت٦٦٥هـ/١٢٦٩م)، الروضتين في أخبار الدولتين، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٢.

19-البخاري ومسلم، اللؤلؤ والمرجان فيما أتفق عليه الشيخان(البخاري ومسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

20-البغدادي، ابو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد ين رجب الحنبلي(ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، ذيل طبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمدية،القاهرة، ١٩٥٢.

21-البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر(ت٤٢٩هـ/١٠٣١م)، الفرق بين المذاهب، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٥.

22-التادفي، محمد بن عيسى،(ت٩٦٣هـ/١٤٦٥م)، قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر،دار الباز، فلوريدا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٨.

23-التنوخي،ابو علي المحسن بن علي(٣٨٤هـ/٩٩٤م)، الفرج بعد الشدة،دار صادر،بيروت،١٩٧٨.

٢٤-الجيلاني، محي الدين أبا محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله(ت٥٦١هـ/١٢٦٢م).

ا-فتوح الغيب، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠.

ب-الغنية لطالبي طريق الحق، تحقيق فرج توفيق الوليد ،ج٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥

ج- الفتح الرباني والفيض الرحماني،دار الجميل،المانيا،١٩٩٧ .

د-تفسير الجيلاني ،باعتناء المزيدي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،٢٠٠٧ .

ذ- الجيلاني،عبد القادر ،ديوان عبد القادر الجيلاني،تحقيق يوسف زيدان،دار الجيل،بيروت، ,١٩٨٣

٢٥-حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله(ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون،مكتبة أسماعيليان، طهران، ,١٩٤٧

٢٦-الحموي، ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي،(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ج٥، بيروت، ,١٩٥٦

٢٧-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .

ا- سير أعلام النبلاء،ج13، ١٢، دار الرسالة للطباعة، بيروت، ط٤، ١٩٨٦ .

ب-العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، وزارة الأرشاد، الكويت، ١٩٦٣ .

ج-المختصر المحتاج اليه، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المعارف،بغداد، ١٩٥١ .

٢٨-الزبيدي، محمد مرتضى،(ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) .

ا- تاج العروس في شرح جواهر القاموس، مطبعة الكويت، الكويت، ١٩٨٠ .

ب- أتحاف السعادة للمتقين في شرح أحياء علوم الدين،ج١،المطبعة الملكية،المغرب،١٩٣٦ .

٢٩- سبط إبن الجوزي، يوسف(ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان، مطبعة حيد ر آباد، الهند،١٩٣٦ .

٣٠_ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ,١٩٦٥

٣١- السهروردي، عمر بن محمد بن عبد الله البكري(ت٦٣٢هـ/١١٣٤م) ، عوارف المعا رف، دا ر الكتاب العربي للطباعة، بيروت، ,١٩٦٦

٣٢- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ/١٥٠٥م) .

ا- تا ريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٣٤ .

ب- حسن المحاضرة ،ج١ ،مطبعة الحلبي،القاهرة، ,١٩٠٠

٣٣- الشبلنجي، مؤنس بن حسن،(١٢٩٨هـ/١٨٨٠م)، نور الابصا ر في مناقب آل البيت المختا ر، تحقيق عبد الواحد محمد علي، دا ر الكتب العلمية للطباعة، بيروت،١٩٩٧ .

٣٤- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)، البد ر الطالع، ج١، دا ر الكتب للطباعة، القاهرة، ١٩٤٦ .

٣٥- الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ/٩١٢م) .

ا-جامع البيان في تأويل أي القرأن، ج٥، تحقيق محمد احمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٧٨ .

ب- تاريخ الأمم والملوك، ج٥-١ ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ج٤-٥ دار المعارف للطباعة، القاهرة، ١٩٧٨,

٣٦-الشطنوفي، علي بن يوسف(ت٧١٣هـ/١٣١٣م)، بهجة الاسرار، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩١١,

٣٧-القادري، ابو الظفر ظهير الدين، (ت.م)، الفتح المبين، المطبعة المركزية، القاهرة، ١٨٨٨ .

٣٨-القرطبي، ابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري، (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م)، الجامع لاحكام القرأن، ج٥، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥ .

٣٩-القرطبي، عريب إبن سعيد، (ت٣٦٩هـ/٩٧١م)، صلة تاريخ الطبري، تحقيق محمد ابو الفضل أبراهيم، دار المعارف للطباعة، القاهرة، ١٩٧١ .

٤٠-الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) .

ا-فوات الوفيات، ج٢-١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية للطباعة، القاهرة، ١٩٥٤ .

ب-عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشد للطباعة، بغداد، ١٩٨٣,

٤١-المهداوي، ايمان كمال مصطفى،عبد القادر الجيلاني اديباً،مطبعة الوقف ،بغداد،٢٠٠٨.

(ج) قائمة المراجع

١-أبراهيم،حبيب جميل،تا ريخ متصوفة بغداد ،مكتبة الشرق الجديد ،بغداد ،١٩٨٨ .

٢-أقبال،محمد ،ديوان أقبال،دا ر الصحابة للطبع،باكستان، ,١٩٩٦

٣-جواد ،مصطفى وأحمد سوسة،خا رطةبغداد ،مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد ، ,١٩٥٩

٤-الجيلاني، عبدالرزاق ،الشيخ عبدالقادرالجيلاني،دا ر القلم بيروت، ,١٩٨٣

٥-الجيلاني، ماجد ، هكذا ظهر صلاح الدين، المعهد العالي الاسلامي، الولايات المتحدة الامريكية،١٩٩٦ .

٦-حسن،حسن أبراهيم،تا ريخ الأسلام السياسي،ج٤،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، ,١٩٨٦

٧-الخضري،الشيخ محمد ،الدولة العباسية،دا ر الكتب العلمية،بيروت، ,١٩٩٣

٨- رؤوف، عماد عبد السلام .

ا-الآثار الخطية في المكتبة القادرية، مطبعة الأرشاد، بغداد، ١٩٧١ .

ب-مدارس بغداد ، بغداد ، ١٩٨٥ .

ج-معالم بغداد في العصور المتأخرة، بغداد ، ٢٠٠٢,

٩- زامباور، معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الأسلامي، ترجمة زكي محمد حسن، مطبعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥١ .

١٠-الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٥، مطبعة النهضة، القاهرة، ١٩٤٩,

١١-السامرائي، عبدالله ، عبد القادر الجيلاني قطب الاولياء ، مخطوط لدى السيد عفيف الدين الكيلاني .

١٢-السامرائي، يونس بن ابراهيم، الشيخ عبد القادر الجيلاني، حياته وأثاره، مكتبة الشرق الجديد للطباعة، بغداد ، ١٩٨٨,

١٣-الشرقاوي، حسن، معجم الفاظ الصوفية، دار مختار للنشر، القاهرة، ١٩٨٧,

١٤-شعبان، محمد عبد الحي محمد ، التاريخ الأسلامي : تفسير جديد ، دار الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٣,

١٥-شوقي، ضيف، العصر الاسلامي، الكويت، ١٩٩٥,

١٦-عاشور،سعيد عبد الفتاح،مصر في عهد المماليك،دار الكتب المصرية،القاهرة، ,١٩٦٦

١٧-عطية الله، احمد ، القاموس الاسلامي، ج٣، ٢، ١، دار مكتبة النهضة للطباعة، القاهرة، ,١٩٧٦

١٨-عفيفي،ابو العلا،التصوف والثورة الروحية في الأسلام،دار جامعيون،مصر ، ,١٩٩٧

١٩-عنان،محمد عبد الله،المعارك الحاسمة في التاريخ،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، ,١٩٥٣

٢٠-قدورة، زاهية،عائشة أم المؤمنين،مطبعة التراث، ,١٩٤٧

٢١-الكبيسي،حمدان عبد المجيد ،الخراج،مطبعة جامعة بغداد ،بغداد ، ,١٩٩٨

٢٢-المدرس،عبد الكريم،مواهب الرحمن في تفسير القرآن،ج٥ ،دار الحرية للطباعة،بغداد ، ,١٩٩٧

٢٣-أبو الاعلى المودودي، تفسير سورة النور ، المكتبة الاسلامية، القاهرة،١٩٥٨ .

٢٤-النجار ، محمد رجب، حكايات الشطار والعيارين، عالم المعرفه، الكويت، ١٩٨١ .

٢٥-شابي، بروفسورة جاكلين، (١٩٩٨) . عبد القادر الجيلاني بين الحقيقة التاريخية و الأسطورة الأدبية

(ترجمة الدكتور حسن سحلول)، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، السنة (١٨) كانون الثاني (٧٠)، دمشق. نسخة الكترونية طبعت بتاريخ ١٤/٩/٢٠٠٤,

٢٦–محمد اركون ،الفكر الاسلامي :نقد واجتهاد ،ترجمة هاشم صالح؛دار الساقي بيروت، ٢٠٠٩,

٢٧–هشام جعيط ، في السيرة النبوية، دار الطليعة ،بيروت، ١٩٩٠,

٢٨–فهمي جدعان ،اسس التقدم عند مفكري الاسلام ،دار الشروق الاردن، ١٩٩٠ .

(ج) الرسائل الجامعية

١-التل، عمر سليم عبد القادر، متصوفه بغداد في القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير ،الجامعه الاردنية، ٢٠٠٩,

٢-سهيل، جعفر صادق، عبد القادر الجيلاني ومذهبه الصوفي، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٥,

٣-القحطاني، سعيد، الشيخ عبد القادر الكيلاني وأرائه الاعتقادية والصوفية، اطروحة دكتوراه، كلية الدعوة، جامعة أم القرى، الرياض، ١٩٩٧ .

٤-المهداوي ،ايمان كمال مصطفى،عبدالقادر الجيلاني اديبا ، رسالة مجاجستير،كلية التربية ابن رشد ،جامعة بغداد،١٩٩٦ .

٥-عليوي ،جعفر موسى،عبدالقدر الجيلاني والتصوف ،اطروحة دكتوراة ،كلية الاداب جامعة بغداد ,٢٠٠٢

٦-البلاطي ،علي محمود علي ،الروض الفاخر في ترجمة الشيخ عبد القادر ،دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، معهد التاريخ للدراسات العليا ,١٩٩٩

٧-ماجد عرسان الكيلاني، نشأة القادرية، رسالة ماجستير،جامعة بيروت العربية،١٩٩٦ .

المراجع المترجمة الى العربية

• بروكلمان، كارل، (١٩٦٨) .

تاريخ الشعوب الاسلامية، ط ٥، ١ج، (نقله الى العربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي)، بيروت: دار العلم للملايين . ــ، (د . ت .) .

تاريخ الأدب العربي، ٦ج، (نقله الأجزاء ١، ٢، ٣ الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار، ونقل الجزء ٤ الى العربية السيد يعقوب بكر، و رمضان عبد التواب)، ج١/ط٥، ج٢ /ط٤، ج ٣، ٤/ط٣، ج٥/ط (بدون)، ج٦/ط (بدون)، القاهرة: دار المعارف .

• جيب، هـ . أ . ر .، والعوا، عادل، (١٩٧٧) .

علم الاديان و بنية الفكر الاسلامي، ط ١، بيروت– باريس: منشورات عويدات .

• خاتشاتريان، الكساندر، (١٩٩٨) .

أهل الفتوة و الفتيان في المجتمع الاسلامي، ط ١، ١ج، بيروت: المركز العربي للابحاث والتوثيق.

- دوزي، رينهارت، (١٩٨٠–٢٠٠٠).

تكملة المعاجم العربية، ط١، ١١ج، (نقله الى العربية وعلق عليه الدكتور محمد سليم النعيمي)، ١٩٨٠(ج١، ج٢)، ١٩٨١(ج٣، ج٤)، ١٩٨٢(ج٥)، (ج٦ د. ت.)، ١٩٩١ (ج٧)، ١٩٩٧(ج٨)، ١٩٩٩(ج٩)، ٢٠٠٠(ج١٠)، (ج١١ ؟)، بغداد: وزارة الثقافة والاعلام.

- سزكين، فؤاد، (١٩٩١).

تاريخ التراث العربي، ط (بدون)، ١٠ج، ٣م، (نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، راجعه عرفه مصطفى وسعيد عبد الرحيم)، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.

- شترك، الحسيني، السيد عبد الرزاق، الدوري، عبد العزيز، (١٩٨٤).

بغـداد. ط ١، ١ج، كتب دائرة المعارف الإسلامية رقم ١٥، (لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: ابراهيم خورشيد، الدكتور عبد الحميد يونس، حسن عثمان)، بيروت: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة.

- شيمل، آنا ماري، (٢٠٠٦) .

الأبعاد الصوفية في الاسلام و تاريخ التصوف، ط١، ١ج، (ترجمة محمد اسماعيل السيد، ورضا حامد قطب)، كولونيا – المانيا: منشورات الجمل. ظهرت الطبعة الانجليزية الاولى سنة ١٩٧٥ والالمانية سنة ١٩٧٩ .

- لسترنج، كي، (١٩٨٥) .

بلدان الخلافة الشرقية. ط٢، ١ج، (نقله إلى العربية وعلق عليه ووضع فها رسه بشير فرنسيس، كوركيس عواد)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- العش، الدكتور يوسف، (١٩٩١) .

دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط. ط١، (ترجمه عن الفرنسية نزار أباظة، محمد الصباغ)، بيروت: دار الفكر المعاصر.

- ماسينيون، لويس، (٢٠٠٤) .

آلام الحلاج. ط١، ٤ج، ١م، (ترجمة الحسين مصطفى الحلاج)، بيروت: شركة قدمس للنشر و التوزيع.

- مقدسي، جورج، (١٩٩٤) .

نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب. ط١، ١ج، (ترجمة محمود سيد محمد)، جدة: جامعة الملك عبد العزيز، مركز النشر العلمي.

- ــ، (١٩٨٤).

خطط بغداد في القرن الخامس الهجري. ط (بدون)، ١ج، (ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي)، بغداد: المجمع العلمي العراقي.

- نيكولسون، رينولد أ.، (١٩٤٧).

في التصوف الإسلامي وتاريخه. ط (بدون)، ١ج، (نقلها إلى العربية وعلق عليها أبو العلا عفيفي)،

القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

مراجع باللغة الانجليزية

Arburry, A. J., (1970).

Sufism: an account of the mystics of Islam.

New York: Harper & Row.

The Encyclopaedia of Islam (New Edition), B. Lewis, CH. Pellat and J. Schacht (ed.'s). Vol. II (C- G). Leiden: E. J. Brill, 1965.

(Futuwwa), pp, 961- 969, by: FR. Taeschner.

The Encyclopedia of Islam and The Muslim World, II Vol., Richard C. Martin (ed.), Macmillan Reference USA, New York, 2004. (Vol.1 A-L. Vol.2 M-Z)

Makdisi, George, (1963).

Ibn 'Aqil et la Resurgence de l' Islam Traditionalist AU XI^e^ SIECLE (V^e^ siecle de l' Hegire).

Damas: Institut Francais de Damas.

Muhamad, Abdul Munim Rashad, (1963).

The Abbaside Caliphate (575/ 1179- 656/ 1158).

Unpublished thesis submitted for the degree of Doctor of Philosophy. The School of Oriental and African Studies, The University of London (SOAS), London.

Saunders, J. J., (1965).

A History of Medieval Islam.

London & New York: Routledge.
Trimingham, J. S., (1965).

Islam in The Sudan.
London: Frank Cass & Co. Ltd.
Trimingham, J. Spencer, (1971).

The Sufi Orders in Islam.
London: Oxford University Press.

Abstract

Al-Syed Muhiyudin Abu Muhammad Abdal Qadir al -Gilani al-Hasani wal-Hussaini ,[1][2] *Abdolqāder Gilāni*) (also spelled Abdulqadir Gaylani, Abdelkader, Abdul Qadir, Abdul Khadir - Jilani, Jeelani, Jilali, Gailani, Gillani, Gilani, Al Gilani) or simply known as Ghaus-e-Azam (470–561 AH) (1077–1166 AD[3]Hanbali preacher, Sufi sheikh and the figurehead of the Qadiri Sufi order. He was born on a Wednesday the 10th Rabi at-Thani in 470 AH, 1077 AD,[4] in Gilan (Iraq)

[] Lineage and Biography

Abdul-Qadir ibn Abi Salih Musa ibn Abdullah ibn Yahya ibn Muhammad ibn Abu Muhammad AbuBakr Dawud ibn Musa ibn Abdullah ibn Musa Jawni ibn Abdullah ibn Hassan al-Muthanna ibn Hassan ibn Ali ibn Abi Talib , and this on his father side so you can see why they call him al-Hassani due to his tracing up to Muhammad's grandson Hassan ibn Ali. On his mother side, she is the daughter of a saintly person Abdullah Sawmai who was a direct descendant of Imam Husain ibn Ali making the Shaykh also al-Husayni due to this.

Al-Gilani was born in 1078 AD (471 AH) in a small town of Iraq-Gilan Province. His ancestors were Syeds who settled in Gilan () hence the epiphet of *al-Jilani*.[5][6]

His complete name *Al-Syed Muhiyudin Abu Muhammad Abdal Qadir al-Gaylani al-Hasani wal-Hussaini*,[1][2] Syed denoting his honorific title of descendancy from the Islamic prophet Muhammad,[8] *Muhiyudin* his title for being known popularly as *"the reviver of religion"*,[9] Abu Muhammad his Kunya or nick name (meaning 'father of Muhammad'), *al-Gaylani* denoting the region he hailed from[10][11] although however he also had the epiphet *al-Baghdadi*. [12][13][14] (denoting also the city of Baghdad where he was now residing in and therefore also geographically recognised through, eventually being buried there), and *al-Hasani wal-Hussaini* affirming his lineal descent from both Syed Imam Hasan and Imam Hussain, the grandsons of Muhammad.[1][15]

His father, Syed Abu Saleh Musa al-Hasani[16] was a direct descendant of the Syed Imam Hasan.[15][17] He was an acknowledged saint of his day *"..and was popularly known as Jangi Dost, because of his love for Jihad"*[18] *Jangi dost* thereby being his sobriquet[5][19]

His mother *Ummal Khair* Fatima,[20] daughter of Syed Abdullah Sawmai az-Zaid a descendant of Syed Imam Hussain[15][21] through Imam Zain ul Abideen,[22] he was known himself as a *"great saint of his time and a direct descendant of Hazrat Imam Husain, the Great Martyr of Karbala"*[23]

[] Education

He spent his early life in the town of his birth. At the age of eighteen he went to Baghdad (1095), where he pursued the study of Hanbali law under several teachers. The Shaikh received lessons on Fiqh from Abu Ali al-Mukharrimi, Hadith from Abu-Bakar-bin-Muzaffar, and tafsir from the renowned commentator, Abu Muhammad Jafar. When he was on the way going to "Baghdad" with a large convoy (Qafila), a group of thieves attacked

the convoy and took all of their precious belongings, one of the thieves came to him (Sheikh Abdul-Qadir Gilani) and asked him "Boy, tell me what you have in your luggage". He replied "I have forty dinars." The thief searched all of his luggage and could not find the dinars. He then took the boy to his sardar (master) and told him that this boy (Sheikh Abdul-Qadir Gilani) claims he has forty dinars, but after searching his belongings I could not find the dinars. The sardar (master) then asked, "Boy, do you lie?" He replied "No, I am not lying, the dinars were sewn by my mother into my shalwar." Then one of the thieves checked and found the money. The sardar then asked him. "Boy, you could have lied to us and could have saved your money, why you didn't you lie?" Sheikh Abdul-Qadir Gilani replied "Before I started my journey, my mother advised me to tell the truth even if someone tries to kill me as Allah frowns upon those who do not speak the truth." After listening to this the sardar began to cry, as this little boy had so much fear of Allah that he did not lie in such a situation. He felt guilt for all his wrongdoings and felt the fear of Allah so the sardar then gave back all of the looted things to their owners.

In Tasawwuf (the sciences of the heart), his spiritual instructor was Shaikh Abu'l-Khair Hammad bin Muslim al-Dabbas. From him, he received his basic training, and with his help he set out on a spiritual journey.

After completion of education, Abdul-Qadir Gilani abandoned the city of Baghdad, and spent twenty-five years as a wanderer in the desert regions of Iraq as a recluse.[24]

[] Later life

He was over fifty years old by the time he returned to Baghdad in 1127, and began to preach in public. He moved into the school belonging to his old teacher al-Mukharrimii; there he engaged himself in teaching. Soon he became popular with his pupils. In the morning he taught hadith and tafsir, and in the afternoon held discourse on science of the hearts and the virtues of the Qur'an.

He busied himself for forty years in the service of Islam from 521 to 561 AH. During this period hundreds of thousands of people converted to Islam because of him and organized several teams to go abroad for dawah purposes.

He was also the teacher of Ibn Qudamah whom he also designated as a Caliph of his Qadri order (amongst others). Ibn Qudamah also later fought as a general in Sultan Saladin Ayyubi's army and conquered Jerusalem from the Christian dominance. His work and jurisprudent works influenced Ibn Taymiyyah who referred to both Ibn Qudamah and Shaikh Al-Gilani as his Shaikhs with full honorifics.

[] Death

The sheikh died on Saturday night 1166 (8th Rabi' al-Awwal 561AH) [25] at the age of ninety one years (by the Islamic calendar), and was entombed in a shrine within his Madrassa in Baghdad.[26][27][28] His Shrine and Mosque are in what used to be the school he preached in, located in Babul-Sheikh, Resafa (East bank of the Tigris) in Baghdad, Iraq. Worldwide the Qadiriyyah celebrate Ghawth al-a'tham day on Wednesday closest to his birthday not his death-date for respect and elevation of their Shaykh which is 10th of Rabi at-Thani in the islamic calendar[25]

Al-Gilani succeeded the spiritual chain of Junayd Baghdadi. His contribution to thought in the Muslim world earned him the title *Muhiyuddin* (lit. "The reviver of the faith"), as he along with his students and associates laid the groundwork for the society which later produced stalwarts like Nur ad-Din and Saladin. His Sufi order named after him is generally thought to be one of the most popular Sufi orders of the Islamic world.[29]

[] Family

The Shaikh had four virtuous wives and forty-nine children, twenty-seven sons and twenty-two daughters.[] The most famous of his sons are Shaikh

Abdul-Wahab, Sheikh Abdul-Razzaq, Shaikh Abdul-Aziz, Shaikh Isa, Shaikh Musa, Sheikh Yahya, Sheikh Abdullah, Sheikh Muhammed and Sheikh Ibrahim. His sons and grandsons reached the Indian sub-continent throughout the years preaching Islam in his method (Arabic=Tareqa,طريقة). As they have reached the Western part of the Arab world of North Africa and Morocco, and parts of the Horn of Africa (Ethiopia, Eritrea, and Somalia (a country that predominantly professes to the Qadiriyyah order only in the Sufi sect though small patches of Ahmed ibn Idris' order is found)). In Somalia the order is subdivided to Zaylaiyyah order and Uwaisiyyah order.

Among the Sufis, who came to India from Baghdad, and who belonged to the family of Shaykh Abd-ul-Qadir Jilani Hz. Shah Badr Dewan whose real name was Hasan, and whose honorific title was Badr-ud-Din, is one of the top most Sufis. He stayed near Batala, and laid the foundation of Masania, a kind of inn in his times, but later populated by his children, grand children and great grand children, became a village of its own culture. The progeny of Baba Shah Badr Dewan is one of the biggest Syed Families, whose origin goes straight to Shaykh Syed Abd-ul-Qadir Jilani

[] Works

Some of Jilani's more well known works include:

- Al-Ghunya li-talibi tariq al-haqq wa al-din (Sufficient Provision for Seekers of the Path of Truth and Religion)
- Al-Fath ar-Rabbani (The Sublime Revelation)available for download (urdu)
- Malfuzat (Utterances)
- Futuh al-Ghaib (Revelations of the Unseen) available for download (urdu) (English)
- Jala' al-Khatir (The Removal of Care)
- Bahajja-Tul Asrar (Ground Secerets)

[] Bibliography

- Utterances of Shaikh Abd al-Qadir al-Jī lānī (Malfūzāt) / transl. from the Arabic by Muhtar Holland Malfūzāt

Author: Muhtar Holland (1935-) Year: 1994, Publisher: Kuala Lumpur : S. Abdul Majeed & Co, ISBN 1-88221-603-2

- Fifteen letters, khamsata ashara makt□ban / Shaikh Abd Al-Q□dir Al-J□l□n□ ; translated from the Persian into Arabic by Alī usāmu □D-Dī n Al-Muttaqī ; and from Arabic into English by Muhtar Holland, Kamsata ašara maktūban

Author: ʿAlāʾ al-Dī n ʿAlī b. ʿAbd al-Malik al- Muttaqī al-Hindī (ca1480-1567); Muhtar Holland (1935-) Year: c1997 Edition: 1st ed Publisher: Hollywood, Fla : Al-Baz Pub ISBN 1-88221-616-4

- The removal of cares = Jalā Al-Khawātir : a collection of forty-five discoures / Shaikh Abd Al-Qādir Al-Jī lānī ; transl. from the Arabic by Muhtar Holland

Jalā al-Khawātir Author: Muhtar Holland (1935-) Year: c1997 Publisher: Ft. Lauderdale, Fla : Al-Baz Pub Extent: xxiii, 308 p Size: 22 cm ISBN 1-88221-613-X

- The Sultan of the saints : mystical life and teachings of Shaikh Syed Abdul Qadir Jilani / Muhammad Riaz Qadiri

Author: Muhammad Riyaz Qadiri Year: 2000, Publisher: Gujranwala : Abbasi Publications, Size: 22 cm, ISBN 969-851016-8

- The sublime revelation = al-Fath ar-Rabbānī : a collection of sixty-two discourses / Abd al-Qādir al- Jī lānī ; transl. from the Arabic by Muhtar Holland, al-Fath al-Rabbānī

Year: 1998 Edition: 2nd ed, Publisher: Ft. Lauderdale : Al-Baz Publishing, ISBN 1-88221-602-4

- Al-Ghunya li-talibi tariq al-haqq wa al-din (Sufficient Provision for Seekers of the Path of Truth and Religion) ,(Arabic),PartI,II,Abd Al-Qadir Al-Gaylani,Pub.Dar Al-Hurya, Baghdad, Iraq, 1988.
- Al-Ghunya li-talibi tariq al-haqq wa al-din (Sufficient Provision for Seekers of the Path of Truth and Religion)

(Arabic), Introduced by Dr. Majid Irsan Al-Kilani, Pub. Dar Al-Khair, Damascus-Bairut, 2005.

سيرة الباحث : جمال الدين فالح الكيلاني

بقلم:

ا .د .إبراهيم خليل العلاف

أستاذ التاريخ الحديث –جامعة الموصل

□

□

صديق عزيز ، أتابع منذ فترة طويلة ، نشاطاته العلمية، ولي معه علاقة تبادل علمي . . . . هو جمال الدين بن فالح بن نصيف بن جاسم بن أحمد الحجية بن عبد الكريم بن عبد الرحيم بن خميس بن ولي الدين محمد بن عثمان بن يحيى بن حسام الدين بن نور الدين بن ولي الدين بن زين الدين الكبير بن شمس الدين بن شرف الدين بن محمد الهتاك بن عبدالعزيز بن الباز الاشهب الشيخ عبدالقادر الكيلاني بن ابي صالح موسى بن عبدالله الجيلي بن يحيى الزاهد بن محمد المدني بن داود امير مكة بن موسى الثاني بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن اسد الله الغالب علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه ورضي الله عنهم اجمعين،من الأسرة الكيلانية، ذرية الشيخ عبدالقادر الجيلاني).

من مواليد ١٩٧٢، ومنذ طفولته أولع بحب التاريخ ،و قراءة الكتب المتنوعة ،تأثر بوالده الأستاذ فالح الحجية الكيلاني –الأديب والشاعر،وأخذ عنه حب الأدب والمعرفة وتذوق الشعر،وبحكم نشأته في الخالص وعلاقة القرابة التي تربطه بالعلامة سالم عبود الالوسي ،تعرف بالعلامة مصطفى جواد وتراثه

،واهتم منذ بواكير حياته العلمية بالتراث القادري والذي بات تخصصه الدقيق ويعد نفسه من تلاميذ الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ومدرسته التاريخية، مارس التدريس في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي ، كما حاضر في جامعة بغداد والجامعة المستنصرية واتحاد المؤرخين العرب وجامعات لاقادسية والبصرة وواسط

حصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من كلية التربية – ابن رشد – جامعة بغداد . كما نال شهادة (دبلوم) في اللغة الانكليزية من معهد المعلمين

لم يقف عند هذا الحد ، بل غذ السير ، وأكمل دراسته وحصل على شهادة (دكتوراه) فلسفة في التاريخ الإسلامي . ولحبه التاريخ والدراسات التاريخية انتمى إلى" معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا التابع لاتحاد المؤرخين العرب بغداد " وحصل على شهادة ماجستير آداب في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية . حصل على لقب "باحث علمي" من مركز دراسات التاريخ والوثائق والمخطوطات سنة ١٩٩٨

والدكتور الكيلاني عضو اتحاد المؤرخين العرب ١٩٩٦ وعضو الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب ١٩٩٨ وعضو جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق ١٩٩٥ وعضو (شرف) لجنة الدراسات القادرية

المغرب١٩٩٧ . مشرف مركز دراسات الإمام عبد القادر الجيلاني المتخصص بالتراث والتاريخ والأنساب القادرية ٢٠١١ .

كرم بالعديد من الشهادات التقديرية من المجمع العلمي العراقي ١٩٩٦ والهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب ٢٠٠٠ ،والهيئة العامة للآثار ١٩٩٧ وجامعة بغداد ١٩٩٩ وغيرها.

اهتم بتاريخ الأنساب وشغل نفسه بهذا اللون المهم من الدراسات التي تحتاج إلى معرفة بأمور كثيرة . وقد أجيز في مجال دراسة وتدقيق الأنساب من ثلة من الأساتذة العراقيين المعروفين أمثال الدكتور عماد عبد السلام رؤوف والأستاذ سالم عبود الالوسي والأستاذ اللواء احمد خضر العباسي والأستاذ الشيخ خليل الدليمي والأستاذ جمال الراوي . ومنذئذ قام الدكتور الكيلاني بدراسة وتدقيق العشرات من شجرات النسب ومن كافة أنحاء العراق وبموجب كتب رسمية من الهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب وغيرها ، ويفخر بأنه حضر دروس للعلماء الأعلام كل من الشيخ العلامة عبد الكريم محمد المدرس –مفتي الديار العراقية– والعلامة الدكتور حسين علي محفوظ والعلامة الدكتور علي الوردي و العلامة الدكتور –حسين أمين

كما أن لديه العديد من البحوث والدراسات والكتب . من كتبه المنشورة : كتاب الإمام عبد القادر الجيلاني –تفسير جديد مراجعة الأستاذ الشاعر فالح الحجية الكيلاني ،مكتبة المصطفى ، القاهرة، ٢٠٠٩ . وكتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة تقديم الدكتور عماد عبد

السلام رؤوف ،مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي – بغداد ٢٠١١ . وهو بالاصل رسالة باشراف الدكتورة لقاء الطائي والدكتور رؤوف وكتاب " بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي ، دراسة وتحقيق " ،تقديم الدكتور حسين أمين شيخ المؤرخين –نشر على نفقة السيد احمد الكيلاني ،الجزائر ٢٠١١ .وكتاب " أصول التاريخ الإسلامي " ،مراجعة الدكتور حسين علي محفوظ (مخطوط) ١٩٩٩ .وكتاب " تنقيحات دراسة تحليلية لنسب الإمام عبد القادر الجيلاني " ، مراجعة الدكتور عبد القادر المعاضيدي (نشر محدود) منه نسخة محفوظة في المكتبة القادرية١٩٩٦ . وكتاب" دراسات في التاريخ الأوربي " ، تقديم الدكتور كمال مظهر احمد (معد للنشر) وكتاب ،الرحلات والرحالة في العصر العباسي : دراسة تاريخية وهو بالأصل أطروحته للدكتوراة (معد للنشر) ، وكتاب التاريخ العثماني ،تفسير جديد تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف وكتاب التاريخ الاسلامي رؤية معاصرة تقديم الدكتور صالح احمد العلي وكتاب الاستشراق وكتاب المدخل في تاريخ الفلسفة الاسلامية وغيرها .

ومن بحوثه ودراساته :عرض كتاب الإمام عبد القادر الجيلاني – تفسير جديد في مجلة فكر حر ٢٠٠٩ . وعرض مخطوطة مهجة البهجة ومحجة اللهجة (كتاب) منشورة في جريدة الصباح ٢٠٠٥ . ومقالة مصطفى جواد ومخطوطة نادرة عن الكيلاني جريدة الصباح٢٠٠٦ . ومقالة رشيد عالي الكيلاني ابن ديالى المشورة في جريدة العراق ٢٠٠٢ . ومقالة المقدادية أصل التسمية المنشورة في جريدة العراق ٢٠٠٢ . ومقالة" الشرق الأوسط واصل التسمية" المنشورة في مجلة كلية الاداب جامعة عين شمس

٢٠٠٩. ومقالة عن " براغماتية السيد عبد الرحمن الكيلاني النقيب "، مجلة فكر حر ٢٠٠٩. ومقالة عن "الشيخ عبد القادر الكيلاني: جيلان العراق لا جيلان طبرستان، مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠٠٩. وتفسير الجيلاني – دراسة في نسبة التفسير للمؤلف، مجلة رؤى ٢٠١٠. و"المؤرخ هشام جعيط – دراسة في رؤيته للسيرة النبوية " ، مجلة رؤى ٢٠١٠.

هذا فضلا عن عشرات المقالات المنشورة على شبكة الانترنت وضمن مواقع كثيرة ومن الموضوعات التي كتبها موضوعات ،عن عصر الرسالة وعصور الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين والعصر الحديث والمعاصر والشخصيات العربية والإسلامية وبعض الشخصيات الغربية ،مثل مقالات تدور حول الشيخ عبد القادر الجيلاني وذريته في العالم ،وأهمية ثورة الحسين في التاريخ العربي الإسلامي، وإبان بن عثمان المؤرخ المبكر ،والإمام الغزالي، والإمام الرفاعي، والإمام أبو مدين ،والإمام البخاري ،والشيخ ابن تيمية وقوميته، والشريف البعقوبي،الامين والمأمون والميكافلية ،والطريقة القادرية المبكرة ،ومعنى الباز الاشهب،والتراث الصوفي – دراسة أولية والإمام أبو إدريس البعقوبي، والمغول، وجنكيز خان، وهولاكو خان، وتيمورلنك، والدولة الفاطمية وخلفاءها ، وبغداد، وسمرقند، وكابول، ودلهي، والمقدادية أصل التسمية، والناصرية العراقية، والصويرة العراقية، والعزيزية العراقية، وال بابان، وال السعدون، ومحمد الفاتح ،وسليمان القانوني ،ومراد الرابع، وعبد الحميد الثاني، والشرق الأوسط ،والمكنا كارتا، وعبد القادر الجزائري، وجمال الدين الافغاني ،وعبد الكريم قاسم ،والحبوبي الشاعر والإمام، والسيد محمد باقر الصدر، والمؤرخ الدروبي وجهوده في تدوين تاريخ الأسرة القادرية في العهد العثماني، والرينسانس ،ومترنيخ، وبسمارك، وهتلر، وميكافللي والميكافلية، وونستون تشرشل، وجان جاك روسو ،والثورة

الفرنسية، ولويس الرابع عشر ،ولويس السادس عشر، وماري انطوانيت ،ونابليون الأول ،ونابليون الثالث، وقراءة في كتاب –لينين– خطوة إلى الإمام خطوتان إلى الوراء، وتلخيص كتاب قصة الفلسفة للمؤرخ ويل ديورانت، وتاج محل ،والأزهر، والقرويين، وبدر شاكر السياب، و" الصراع السياسي والديني في اليمن قبل الإسلام –نجران نموذجا " .

درس التاريخ على أيدي العديد من أساتذة التاريخ في العراق منهم الأساتذة الدكاترة عماد عبد السلام رؤوف وكمال مظهر احمد وفاروق عمر ،وعبد الرزاق الانباري وعبد القادر المعاضيدي وخاشع المعاضيدي وعبد القادر الشيخلي وجعفر عباس حميدي ويقظان سعدون العامر وحمدان الكبيسي وقحطان عبد الستار الحديثي وهاشم يحيى الملاح وعبد الامير العكام وصادق ياسين الحلو ومفيد كاصد الزيدي ومحمد احمد الشحاذ وعبد الامير دكسن وعبد الجبار ناجي وفاروق عباس وهيب وخضير الجميلي وطارق نافع الحمداني ومحمد جاسم المشهداني ومحمد باقر الحسيني ومزاحم علي عشيش البعاج وناهض عبد الرزاق القيسي ومحي هلال السرحان.

من آراءه " أن التاريخ لايعرف اليوم والأمس والغد وإنما هو نهر الحياة يمضي الى الاجل المضروب الذي قدره علام الغيوب، فالتاريخ كله تاريخ معاصر ،نعم له تقسيمات علمية، ولكنه يعيش معنا ويهمنا وعلينا أن نستفاد منه في حياتنا كلها ويستند في هذا الرأي على أن استقراء التاريخ خير من التجارب ،وان اختيار

سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر ،يبدو ، امرا بعيدا عن الحقيقة والواقع لان التطور التاريخي يمتاز دائما بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها ببعض ، وان وقائع التاريخ الكبرى عائمات جليد طرفها ظاهر فوق الماء ، وكتلتها الرئيسية تحت سطحه ومن يريد استكشافها عليه أن يغوص في الأعماق،والفرق بيننا وبين الغرب اننا نعيش في التاريخ فقط وهم يفهمونه ويستغلونه لتحقيق مصالحهم،والتاريخ هو طريق الإنسانية الى الحضارة، لأنه ضوء ينير الماضي لرؤية الحاضر والمستقبل ، فجذور أنظمتنا السياسية ،والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية ،تمتد عميقا في تربة الأجيال الماضية ."

مرفقـــــات

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني المحترم

م/ شكر وتقدير

يقر مركز الدراسات الإقليمية بجامعة الموصل ، بأنك من الباحثين الجادين الذين خدموا المكتبة العراقية المعاصرة خدمة كبيرة من خلال دراساتك العلمية الدقيقة وخاصة في مجال تأصيل ما يمكن أن نسميه (الدراسات الكيلانية) المتعلقة بتاريخ وتراث شيخ بغداد الشيخ عبد القادر الكيلاني (ولادةً و وفاةً) .. بارك الله بجهودك ووفقك خدمة للحقيقة التاريخية الخالصة لوجه الله تعالى ...

الأستاذ الدكتور إبراهيم خليل العلاف

مدير مركز الدراسات الإقليمية

جامعة الموصل

٨ ذي القعدة ١٤٣٣ هـ

الموافق لليوم ٢٤ أيلول – سبتمبر ٢٠١٢

University Of Baghdad
College of Education - Ibn Rushd
The Library

جامعة بغداد
كلية التربية - ابن رشد
المكتبة

((فلنعد بالقرآن الى العراق ونعد بالعراق الى القرآن))

No.: العدد : ٦٨٥
Date: / / 20 التاريخ : ٣/٤/٢٠١٠

الى/السيد جمال الدين فالح الكيلاني

م/شكر وتقدير

تحية طيبة وبعد ......

لايسع كلية التربية /ابن رشد الا ان تقدم شكرها وتقديرها للسيد جمال الدين فالح لاهدائه نسخة عن مصنفه الموسوم (الشيخ عبد القادر الكيلاني :رؤية تاريخية معاصرة ١٠٧٧-١١٦٦م-٤٧٠-٥٦١ه)الى مكتبة علوم القران التربوية والنفسية متمنين له دوام الموفقية والنجاح .

مع التقدير ......

أ.د.طارق نافع الحمداني
معاون العميد للشؤون العلمية

نسخة منه الى :
الموما اليه
المكتبة

بغداد - مجمع كليات باب المعظم - كلية التربية - ابن رشد - ص ب ٥٠٠٣٧
E-mail:ibn_rushd2004@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
ديوان الرئاسة
المجمع العلمي

العدد / ٨٠٣

التاريخ / ١٢ / رجب / ١٤١٧هـ
٢٣ / ١١ / ١٩٩٦م

السيد جمال الدين فالح الكيلاني المحترم

ص. ب ١٩٥ (باب المعظم)

بغـــــداد

تحيـة طيبـة :

تلقينا رسالتك الكريمة وقدرنا اهتمامك بالمجمع العلمي ، ونحن إذ نشكر لك هذا الاهتمام نود أن نبين لك أن المجمع العلمي يرحب بالتعاون معه في جميع المجالات العلمية وينظر الى الجهود العلمية الذي يبذلها البـاحثون بعين الرعايـة والاهتمــام .

وبصدد مؤلفاتكم فانكم تستطيعون أن تقدموها الى المجمع لينظر فيها ، وأما بخصوص المسـكوكات التـي قد ترجع الى العصر السلجوقي فأن مديرية الآثار العامة مهتمة بها ولك أن تقدمها اليها .

نكرر الشكر والمجمع العلمي مستعد للتعـاون مـع جميع البـاحثين الخيريـن ونرحب باستقبالكم فـي المجمـع لبحث الموضوع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدكتور ناجح محمد خليل الراوي

رئيس المجمع العلمي

٢٠ / ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد المؤرخين العرب
الامانة العامة
الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب

Union of the Arab Historians
Office of General Secretary
The Arab Mission for Genealogy History Writing

العدد ه ن / ٧١
التاريخ ٧ محرم ١٤٢٢ هجرية
الموافق ١ / ٤ / ٢٠٠١ ميلادية

No.: ....
Date :..............................

الاستاذ جمال الدين الكيلاني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحيل اليكم نسب السادة الكيلانيين في ديالى . نرجو تدقيقه واعلامنا .
مع التقدير .

المرفقات

شجرة نسب

أ.د. محمد جاسم المشهداني
الامين العام
رئيس الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب

نسخة منه الى

مقرر الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب/ نرجو المتابعة مع التقدير .

ع

العراق - بغداد - المنصور - شارع النقابات - حي طرابلس - ص ب (٦٣٨٧) هاتف ٨٨٤٠٦٥٩-٥٣٧٢٨٧٥-٥٣٧٢٨٧٦-الفاكس: ٥٣٧٢٥١٦
Iraq-Baghdad-Al-Naqabat St. - P.O. Box (6378) - Tel.: 8840659-5372876-5372876-Cable Moarkheen- Fax: 5372516

Union of the Arab Historians

Office of General Secretary
The Arab Mission for Genealogy History Writing

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد المؤرخين العرب
الامانة العامة
الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب

No.: ....
Date :............................

العدد ....هـ ن / ١٣٢
التاريخ ١٥ /صفر / ١٤٢٢ هجرية
الموافق ٨ / ٥ / ٢٠٠١ ميلادية

الى / السيد جمال الدين الكيلاني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحيل اليكم نسب عشيرة (السادة الحياليين) .

نرجو تدقيقه .. واعلامنا .

مع التقدير .

أحمد خضر سلمان الدوري
مقرر الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب

نسخة منه الى

اضبارة العشيرة .

ع

العراق - بغداد - المنصور - شارع النقابات - حي طرابلس - ص ب (٦٣٧٨) هاتف ٨٨٤٠٦٥٩-٥٣٧٢٨٧٥-٥٣٧٢٨٧٦-الفاكس: ٥٣٧٢٥١٦
Iraq-Baghdad-Al-Naqabat St. - P.O. Box (6378) - Tel.: 8840659-5372876-5372876-Cable Moarkheen- Fax: 5372516

UNION OF ARAB HISTORIANS
Offce of the General Secretary
Iraq - Baghdad P.O. Box 4085
Tel : 4438868/4434236 Cable Moarkheen Baghdad

إتحاد المؤرخين العرب
الامانة العامة
العراق ـ بغداد ـ ص.ب : ٤٠٨٥
هاتف : ٤٤٣٨٨٦٨/٤٤٣٤٢٣٦ برقيا/مؤرخين/بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد : 338 / ت
التاريخ : 1996/12/1

Date : ....
No : ....

الاستاذ الفاضل جمال الدين فالح الكيلاني المحترم

م / اهداء كتاب (دراسه في عبد القادر الجيلاني)

تسلمنا ببالغ الشكر والامتنان هديتكم الثمينه وبحثكم العلمي الرصين ونود في هذه المناسبه ان نعبر عن اسمى آيات الاعتزاز والتقدير العالي لمشاعركم النبيله نحو اتحادكم .

نشكر لكم هذه المشاعر الرائعه ونود ان نسجل اعتزازنا بهديتكم التي اتخذت لها مكانا بارزا في مكتبتنا وفقنا الله جميعا في خدمة هذه الموسسه العلميه والصرح التاريخي العظيم .

وتقبلوا وافر تقديرنا

الدكتور
مصطفى عبد القادر النجار
الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

نسخه منه الى /
ـ المؤلف • جمال الدين الكيلاني / الباحث في جامعه بغداد
ـ الاستاذ سالم الالوسي / مدير عام مركز دراسات التاريخ
ـ المكتبه القادريه العامه ـ مع التقدير
ـ مكتبه اتحاد المؤرخين العرب
ـ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ـ لدراسه الكتاب وتقييمه ولكتابه تقرير عنه .






الحضرة القادرية الشريفة



مصورة المخطوط والمسحوب من المايكرو فيلم

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Of Baghdad
Center of Revival of Arabian
Science Heritage

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مركز أحياء التراث العلمي العربي

No :
Date : / / 201

العدد : ٩٥٨
التاريخ : ١٧/ ٧ / ٢٠١٦

إلى / الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

م / شكر و تقدير

تحية طيبة...

لجهودكم العلمية المتميزة في تحقيق المخطوطات العربية وإزاء تلك الجهود لا يسعنا إلا ان نتقدم لكم بالشكر والتقدير والعرفان أملين المزيد من العطاء والتميز خدمة لتراث امتنا العربية والإسلامية ولبلدنا العراق العزيز .

مع التقدير...

أ.م.د. عبدالله حميد العتابي
مدير المركز

نسخة منه الى///

- وحدة الإدارة / مع الأوليات.
- الحفظ العام.

حديث التجديد في الدراسات الصوفية

كيف نقرأ التصوف الإسلامي

المنهج السليم في التفكير والبحث والسلوك
غربلة المفاهيم وتغيير الرؤية

تأليف:

الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

أستاذ التاريخ الإسلامي

الدكتور زياد حمد الصميدعي

أستاذ القانون

اسم الكتاب : كيف نقرأ التصوف

تأليف : د زياد حمد الصميدعي

د جمال الدين فالح الكيلاني

تنسيق : رامي جمال الدين الكيلاني

الناشر : دار الزنبقة القاهرة الطبعة الاولى 2022

البريد الالكتروني: E-mail: unecriv@net.sy

الانترنيت : Internet :: aru@net.sy

تصنيف الكتاب : م.م. ت. ث.ع 2022-1110


الله نور السموت والارض
مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح
في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من
شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره
من يشاء ويضرب الله الأمثل للناس والله بكل شيء عليم

الاهداء

الى

الذين يتطلعون لرؤية

نهضة فكرية اسلامية

قائمة على

"فهم للاسلام سليم"

لعلهم يجدون في هذه الصفحات

بعض مما يبتغون

زياد و جمال

كيف نفهم التصوف الإسلامي

تأليف:

الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

الدكتور زياد احمد الصميدعي

"احتياجات الإنسان: للعنى، للإيمان، للحبة، للجمال، لسكينة الروح، لطمأنينة القلب، لتقدير الذات للاعتراف للعطاء، للتضامن الإنساني، لا ترويها الأشياء المادية منها غرق الإنسان في استهلاكها، ومنها كانت قيمتها السوقية"

الحقيقة والتاريخ

إلى الذين يحرقهم الشوق إلى الحقيقة
إلى الذين يؤرقهم الخوف من الحقيقة
إلى أولئك وهؤلاء جميعا يساق هذا الحديث

علامة إخلاصك أنك لا تلتفت إلى حمد الخلق،
ولا إلى ذمهم، ولا تطمع فيما في أيديهم،
بل تعطي الربوبية حقها، تعمل للمنعم
لا للنعمة، للمالك لا للملك، للحق لا للباطل.
الإمام عبدالقادر الجيلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

على سبيل التمهيد

عندما يفكّر الإنسان وَفق منهج، فإنَّ من المتوقع أن يحصل له فكرٌ منهجي. وبقدر سلامة المنهج تكون سلامة الفكر. وقد زوَّد اللّهُ سبحانه الإنسانَ بالأدوات اللازمة للتفكير السليم، وقد ذكر القرآن الكريم، مرات متعددة، هذه الأدوات والوظائف التي تؤديها؛ فالآذان وظيفتها السمع، والأعين وظيفتها البصر، والأفئدة وظيفتها العقل والفقه. وهي أدوات العلم والمعرفة، ومن دونها لا يستطيع الإنسان أن يعلم شيئا: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))النحل: 78). واللّه سبحانه يطلب من الإنسان أن يتثبَّتَ من صحة ما يسمع؛ فليس كلُّ ما يُروى صحيحا، وأن يتثبتَ من صحة ما يَرى بتكرار الملاحظة والتجربة، وأن يتتبَّع الدليل ويحاكم المقولات بالعقل والمنطق السليم، حتى لا تسوقه الأوهام والظنون والأباطيل بعيدا عن منهج اللّه. ومَثلُ الإنسان الذي لا يستعمل هذه الأدوات لوظائفها كمثل الأنعام، بل هو أضلُّ. وسوف يسأل اللّه الإنسانَ عن استعماله السليم لهذه الأدوات، وسوف تشهد هذه الأدوات للإنسان أو عليه، على أساس منهج استعماله لها وغرضه من استعمالها.

فكلُ العلوم تحتاج في بنائها واختبارها وتوظيفها إلى منهج. والفكر المنهجيُ يميز بين مستويات المناهج، وأنواعها، ودرجة توظيفها لأدوات بناء العلم واختباره وتوظيفه؛ فثمَّة مناهج عامة لكل العلوم، ومناهج خاصة بكل علم دون غيره. واختيارُ المنهج المناسب للغرض المناسب هو من الحكمة... التي أرسل الله الرسل ليعلِّمُوها الناس. فقد منّ الله سبحانه على رسوله صلى الله عليه وسلم أنه أنـزل عليه الكتاب والحكمةٌّ :(وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتابِ وَالحِكْمَة وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيما) (النساء: 113)

لم يكن التصوف في الإسلام فكرة مستوردة أو ضيفا غريبا جاء من بلاد بعيدة؛ بل كان جزءا من صميم الإسلام وامتدادا لمعاني الزهد والتزكية -بمفهومهما الشرعي الإيجابي نفعا والمتوازن روحا ومادة- التي نظر لها الإسلام منذ المرحلة المكية. ولذا لم يكن العلماء من الفقهاء والمحدثين منابذين له كما قد يتوهم البعض بسبب بعض انتقاداتهم لأقوال وأفعال معينة تنسب لأهل التصوف، كما لم يكن هذا النقد يعني الإبعاد والإقصاء للمتصوفة.

والحق أن نقد العلماء لمسالك التصوف كان جزءا من عملية إصلاحية طويلة تحاول تنقية المناهج الصوفية، ثم إعادة دمجها في مسار التيار العام خصوصا داخل أهل السُنة والجماعة. لقد كانت عملية الإصلاح هذه طويلة ومعقدة جدا، ورسمُ مخطط تاريخي

لتقصيها فيه صعوبة معروفة لمتتبعي تاريخ الأفكار والفِرَق والظواهر الثقافية المجتمعية، خصوصا إذا كان هذا المسار يحاول أن يرصد استجابات أطراف عملية الإصلاح الثلاثة (الصوفية والفقهاء والمحدثون) لتحديات هذه العملية وإسهاماتهم فيها.

تعرض التصوف الإسلامي وتراثه على مر العصور الى رؤية قاصرة في التقييم سواء في الفهم أو المنهج ، ولعل مرجع ذلك بسبب المغموض ـ وسوء الفهم المقصود - أو بسبب بعض المدعين ـ وهذا يقرر واقع أن هذا التراث أصابه الظلم الكبير .

وقد عرف تاريخ الفكر الإسلامي اتجاهات لنقد التصوف بعضها من داخله لتصحيح المسار، وبعضها من خارجه – وهو بيت القصيد ـ ذهب أهل هذا الأخير مذاهب، أحدها مَدَح حتى الأخطاء، وسوغها بالتأويل، وثانيها غض طرفه عن كل حسن في هذا التراث، فلم يرَ فيه إلا كل خلل وفساد، وانطلق من حالات فردية إلى حكم عام وموقف شامل، وثالثها توسّط، لكنه لم يكن على شهرة السابقين.

وقد عانى الفكر الصوفي من المذهبين الأولين، بل وحجب كلّ جزءًا من الحقيقة عن الناس؛ الأمر الذي جعل كثيرًا من العلماء والباحثين قديمًا وحديثا ينادون بضرورة التزام منهج وسط بين الرفض المطلق والقبول المطلق.

وتعددت أشكال نداءاتهم، فمن قائل بضرورة المنهجية قبل الحكم والنقد، ومن قائل بضرورة التريث قبل الحكم على السابقين، ومن قائل بضرورة النظر إلى كل زوايا التصوف، واعتبار كل مراحله عند التقسيم.

وقديمًا تبني هذه الدعوة علم من أعلام العلماء المحافظين، فنادى بخطأ القبول المطلق والرفض المطلق، وجعل الحكم هوى إن كان صادرًا عن حب مطلق أو بعض مطلق. ذلكم هو شيخ الإسلام الامام عبدالقادر الجيلاني الذي سار في هذا الأمر على درب سابقين له من العلماء .

وإذا كان هناك اتفاق بين دعوة المعاصرين ودعوة الجيلاني ومن سبقه، فإن هناك فارقا أساسيًا هو أن المعاصرين لم يقدموا تصورًا كاملاً للمنهج الذي ينبغي أن تكون عليه قراءة التصوف، بل أشاروا إلى بعض النقاط بإيجاز وإجمال، أما الجيلاني فقد قدم تصورًا أكثر تفصيلًا عن المنهج في تهذيب التصوف، بل وطبّقه في النظر إلى مراحل التصوف، وإلى المصطلح، وإلى رجال التصوف ونحو هذا.

لكن نقول أيضًا: إن هذا التصور عنده مبثوث في شتى كتاباته عن التصوف، وعن السلوك.

فرغبة في الإفادة من تراثنا الروحي في حياتنا المعاصرة، ورغبة في إنصاف هذا الجزء من تراثنا، وإيمانا بضرورة المنهج في قراءة التراث بل وغير التراث، وانضمامًا إلى صفوف العلماء والباحثين المنادين بذلك،

ورغبة كذلك في إبراز الموقف المنهجي الحق للامام الجيلاني .. لهذه الأسباب وما في بابها رأيت أن أقدّم تصورًا لكيفية القراءة المنهجية للتراث الصوفي، آملا أن أضع به نقطة ضوء أمام الدارسين الباحثين عن الحق والمستهدفين الإفادة من التراث للمعاصرة دون تكلف أو افتعال.

وقد جمعنا شتات إشارات من هنا ومن هناك، وتطبيقات تناثرت في ثنايا البحوث وأضفنا إليها خبرة صلتنا بهذا الجزء من تراثنا لنقدّم هذه الرؤية التي بين يدي القارئ، محاولين ألا نحيد عن العدل في الحكمي التعليق؛ التزامًا بالمنهج الذي ندعو إليه، على طريق علماء سبقوا وباحثين لا يزالون يعطون العلم خبراتهم ورؤاهم.

ضوابط في المنهج

نقرر في البداية أن هذه الضوابط وليدة تأمل طويل لما أثير حول التصوف الإسلامي وما نريد بتقييمه مدحًا أو قدحًا، وقد حاولنا – قدر الطاقة- أن نرجع المظاهر التي يأخذها إلى أسبابها الحقيقية المتصلة بطرق التفكير ومناهج البحث، حيث ظهر ذلك من خلال بعض الكتابات التي التزمت بمنهاج دقيق للقراءة، وبعضها الآخر الذي أعوزته الروح الدقيقة لقراءة العلم والحكم عليه والإفادة منه.

ولكي نفيد من هذا الجزء، من تراثنا ينبغي –إضافة إلى الوعي بالحقائق التي أشرنا إليها- أن نلتزم بما يلي:

أولا ـ ترك القشور

نريد بذلك أن نفرق بين أمرين يتصل أحدهما بالآخر بشكل ما: الأول: حقيقة ومضمون ما يسمى بالتصوف أو الزهد الإسلامي، والثاني: هذا الاسم الذي أطلق عليه وصار مصطلحا له ظروفه التاريخية والعلمية.

فتحديد الهدف من القراءة وهو الإفادة من الماضي للحاضر، يقوي ما نشير إليه من ضرورة الدخول إلى المضمون مباشرة، والدخول إلى المضمون سوف يضيق هوة الخلاف -إن لم يقض عليها نهائيًا- بين المتحاورين حول هذا الجزء من تراثنا، ذلك أن الأخلاق التي هي أبرز ممارسات هذا التراث سمة أصيل للإسلام ذاته، فإذا كان البعض يقرر هذه الحقيقة -وهي أن التصوف خلق- بالنسبة للتصوف الإسلامي "واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق... إن هذا العلم مبني على الإرادة فهي أساسه ومجمع بنائه، وهو يشتمل على تفاصيل أحكام الإرادة وهي حركة القلب؛ ولذا سُمّي بعلم الباطن كما أن علم الفقه يشتمل على تفاصيل أحكام الجوارح ولهذا سمي بعلم الظاهر"، يقول الامام عبد القادر الجيلاني : "التصوف هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء."

نقول: إذا كان هذا هو جزء هام من مضمون التصوف الإسلامي فإن من المقرر أنه أخذه من قوام الدين "الإسلام" الذي نشأ في كنفه. فقد

امتدح القرآن نبي الإسلام محمدًا صلى اللّه عليه وسلم بقوله: "وإنك لعلى خلق عظيم" وفسّرت بأنك على دين عظيم أي الإسلام. وهو ما عبر عنه النبي صلى اللّه عليه وسلم بقوله: "إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق" وقول عائشة رضي اللّه عنها في وصف الرسول الكريم: "كان خلقه القرآن."

كذلك فإن التزكية وأدب النفس بتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل –وهي أبرز إن لم تكن كل غايات التصوف متضمنة حتى الجوانب المعرفية فيه- حقيقة شرعية قررها الكتاب والسنة، وطبّقها الرسول صلى اللّه عليه وسلم، وصحابته والتابعون، ومن سار سيرهم، وكان لذلك كله أثره في الحياة الإسلامية اعتدالا، وزهدًا، وشجاعة في الحق ونحو هذا مما تلتزم به النفس الزكية المحسنة، "و(لو) رجعنا إلى الكتاب والسنة وعصر الصحابة والتابعين، وتأملنا في القرآن والحديث، وجدنا القرآن ينوه بشعبة من شعب الدين، ومهمة من مهمات النبوة يعبر عنها بلفظ "التزكية" ويذكرها كركن من الأركان الأربعة التي بعث الرسول الكريم ﷺ لتحقيقها (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)، وهي تزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل، وتخليتها من الرذائل، التزكية التي نرى أمثلتها الرائعة في حياة الصحابة رضوان اللّه عليهم وإخلاصهم وأخلاقهم، والتي كانت نتيجتها هذا المجتمع

الفاضل المثالي، الذي ليس له نظير في التاريخ، وهذه الحكومة العادلة الراشدة التي لا مثيل لها في العالم."

نقول: تحديد الهدف والدخول إلى المضمون لتحقيق أمر منهجي يؤدي الالتزام به إلى الالتقاء حول الحقيقة الشرعية التي" هي الكيفيات الباطنية التي تصاحب الأعمال والهيئات عند أدائها وهي أخلاق إيمانية هي من الشريعة بمنزلة الروح من الجسد، والباطن من الظاهر وتندرج تحت هذه العناوين تفاصيل وجزئيات وآداب وأحكام، وتجعل منها علمًا مستقلاً وفقهًا منفردًا."

وهذا ما حدث فعلاً، فقد اتفق على هذه الحقيقة الشرعية –وهي مضمون التصوف- علماء اختلفت مشاربهم لكنهم جميعًا مسلمون يعرفون حقائق دينهم، فقد قرر هذه الحقيقة الجيلاني، وابن خلدون، والقشيري، وغيرهم، مشيرين جميعًا إلى أن إطلاق لفظ الزهاد أو العباد أمر له ظروفه التاريخية، وجودًا ودلالة، وذلك لا يقدح في حقيقة المسمى.

والدخول إلى المضمون مباشرة يجنبنا أن نقع فيما أسماه البعض بجناية المصطلح على حقيقته ومضمونه، فقد كان مصطلح "التصوف "والخلاف حول دلالته، وتعريفاته، طريقًا للخلاف بين قراء المسلمين، حجبهم فيه الوقوف أمام الشكل عن حقيقة التزكية والتربية والإسهام الاجتماعي وكل خير قدمه التصوف الإسلامي لمجتمعه باعتباره فكرًا إسلاميًا، تضرب جذوره في مصادر الإسلام،

ويأخذ نماذجه وقدوته من سيرة الرسول الكريم وصحابته ومن سار على طريقهم.

كل هذا حجب عن عين القارئ وذهنه لأنه شُغل بالخلاف حول التصوف ونسبته إلى الصوف أو الصُفّة أو الصفاء، أو إلى كلمة ليست في لغة العرب "سوفيا" وهذا لا يجدي للحياة وإن كان يشتغل به الباحثون في زوايا التاريخ، ولو فطن من يقرأ لهذه الحقيقة لعرف أن هذا التراث اجتهاد قوم لإثراء الحياة في جانب من جوانبها، كما أثراها علوم أخرى واجتهادات أقوام آخرين، "وإذن عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة، وأنه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد ما له فيه اجتهاد، كما كان في الكوفة من يسلك طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد.

وهؤلاء نُسِبوا إلى اللبسة الظاهرة، وهي لباس الصوف، فقيل في أحدهم (صوفي)، وليس طريقهم مقيدًا بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك، ولا علقوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال."

وجدير بالذكر أن هذا المضمون الذي يمكن أن نفيده لحياتنا كان سمة التصوف الإسلامي بوصفه السني أو الشرعي، وأنه ما جانبه هذا السمت إلا حين انتحل التصوف بعض الغلاة أو المنحرفين الذين كانا موضع نقد الصوفية أنفسهم -كما سيجيء إن شاء الله- وكذلك حين غرق التصوف في متاهات الفلسفة، فانتقل في نظريات بعض القوم إلى عبارات ودلالات لا يوافق عليها مسلم ملتزم، وهي كذلك لا

تفيد الحياة في التربية أو التغيير؛ إذ هي إلى شطحات الخيال أقرب منها إلى التحقيق في الواقع.

ونحن نقول مع أبي الحسن الندوي: "ليس لنا الآن إلا أن نقرر هذه الحقيقة، ونتحرر من القيود والمصطلحات، ومن النزعات والتعصبات، ولا نفرّ من حقيقة دينية، يقررها الشرع ويدعو إليها الكتاب والسنة، والتراث الاسلامي النقي.

ثانيا ـ الاستقلالية الفكرية

ذلك أن الدخول على فكر ما بفكرة سابقة في رأس القارئ يحرمه الموضوعية في الحكم، ويجعله لا يرى فيما يقرأ إلا ما يشهد لفكرته التي في رأسه، ويلجئه هذا المنهج إلى تأويل ما يراه على غير ما يهوى إلى ما يؤيد فكرته، حتى ولو خالف أظهر قواعد التفكير ومناهج البحث، فالذي يقرأ فكر المعتزلة وفي رأسه حكم الفقهاء عليهم، ووصف أهل السنة لهم بأنهم المعطلة في الصفات، تراه لا يلتفت إلى أثرهم في الحياة العقلية، ولا إلى ما عُرف عن شيوخهم من عبادة وصلاح، الأمر الذي يتناقض مع ما أشيع عنهم أنهم معطلة يعبدون عدمًا، بل ولا يلتفت إلى جهودهم في مناظرة اليهود والنصارى ودفاعهم عن الإسلام ضد المارقين.

وقد كان الأمر كذلك في قراءة البعض للتصوف الإسلامي؛ حيث قرءوه لإدانته أولا وقبل كل شيء؛ ولذلك وقعوا في فجاجة لا يقبلها منطق، ولا يقرها المحققون من العلماء.

ونشير إلى أمثلة وقعت في التعميم وربما التناقض نتيجة للقراءة من موقف محدد سلفا، فابن الجوزي "أبو فرج عبد الرحمن ـ 597 هـ" الفقيه الحنبلي هاجم التصوف في مواطن شتى من كتبه، وكان جماع هجومه في كتابه "تلبيس إبليس"، ولا يعنينا هنا الهجوم أو المدح بقدر ما يعنينا أن ابن الجوزي في مسلكه هذا الذي عمم فيه الحكم على التصوف ، وجرح كل الكتابات التي كُتبت من فقهاء صوفية كالجنيد أو المحاسبي أو المكي أو الغزالي أو المقدسي ؛ فهو من جهة يذكر أن أوائل الصوفية كانوا يعوّلون على الكتاب والسنة فكيف يجوز التعميم على كل الصوفية كما وضح في كتابه سالف الذكر؟!، وهو من جهة أخرى له كتاب ترجم فيه للعديد من أوائل الصوفية وشيوخهم، وفيه ينقل الكثير من أقوالهم التي تفيد العلم الذي نفاه عنهم في كتابه "تلبيس إبليس"، فضلا عن اتهامهم بكثير من التهم، فكيف يُقبل هذا؟!

وهو من جهة ثالثة عرف عنه –من خلال دراسة علمية عنه- أنه راضَ نفسه في مستهل حياته على ممارسة حياة الزهاد والإمعان في التقشف، لكنه سرعان ما عدل عن السير في هذا الطريق، ونسب ما اعتراه من مرض إلى هذا الأسلوب من الحياة.

أعني أنه عرف القوم عن كثب، وكان هذا يقتضي أن يفرّق بين الملتزمين منهم، والذين اندسوا في وسطهم وكانوا مثالا رديئا للصوفية.

ولقد حاول بعض الباحثين أن يفسر هذا الموقف بأنه دخول على التصوف بفكرة سابقة وهي أن ابن الجوزي فقيه حنبلي متشدد، وقد رأى التصوف علما مستقلا عن الفقه له سمته الذي يُعنى فيه بكيفيات وبواطن ظواهر الأحكام الفقهية، وهذه نظرة جديدة من هؤلاء القوم، جعلت ابن الجوزي ينظر إلى التصوف على أنه مخالف للسنة الدقيقة، ونحن لا نرى في الحنبلية والتشدد السبب الحقيقي، بقدر ما نرى أنه يبني نظرته إلى التصوف من خلال فهمه الخاص ، إذ الحنبلية لم تمنع الامام الجيلاني من أن ينصف التصوف .

أما المعاصرون الذين قرءوا التصوف بعيون غير موضوعية فكثيرون من جهة، وأمرهم عجيب من جهة أخرى، فهذا أحدهم يسقط رغبته في تجريح التصوف على كتابات بعض العلماء ويؤولها إلى ما يريد هؤلاء لا ما يريد المؤلف؛ فكتاب "مصرع التصوف" الذي نسب إلى برهان الدين البقاعي (ت 885 هـ) كان أصله كتابين مستقلين: أحدهما في تكفير ابن عربي، والآخر في تكفير ابن الفارض، فجاء عبد الرحمن الوكيل وجمعهما في كتاب واحد سماه "مصرع التصوف" وأضاف إليه من العناوين ما يحقق به هدفه هو، علما بأن البقاعي قد ذكر صراحة تقديره لأوائل الصوفية، بل ولمتأخريهم الذين لم يذهبوا مذهب ابن عربي، ومنهم علاء الدين البخاري (834 هـ). كما ذكر البقاعي أنه لا يبغض التصوف لكنه يبغض من أبغضه الصوفية ومحققو متأخريهم ممن حاد عن الطريق السوية.

والغريب أن محقق الكتاب عاب على المؤلف إنصافه وإقراره أن الصوفية فقهاء، فقال معلقا على المؤلف: "هذه دعوى كذوب."

ومن المعاصرين كذلك نجد من يبدأ تعريفه للتصوف بقوله "والتعريف الصحيح للتصوف الإسلامي بأحكام وعظية لا ترتبط فيها النتائج بالمقدمات"، ولكن لأن الرجل كتب الكتاب خدمة لفكرة ما في رأسه أو في رأس غيره فقد أداره على محور التعميم والسب دون دليل يمكن أن يقنع أحدا، فضلا عن أن يفيد منه.

أما عن ضرورة الاستقلال الفكري فذلك لأن المتابع دون وعي مستقل إمعة يحسن إذا أحسن الناس، ويسيء إذا أساءوا، وهذه صفة من ليس يملك فكرا مستقلا، ولا يمكن لقارئ بهذه الصفة أن يقدم جديدا، أو يقترح مفيدا، وحسبنا أن نشير إلى أن هناك قضايا أثارها المستشرقون بخصوص مصدر التصوف وأخذه من غير الإسلام أصوله، وكانوا في هذا خاضعين لعوامل عديدة، بعضها خاص بما لم يكن تحت أيديهم من تراث للصوفية غير فكرهم بعد هذا، وبعضها خاص بقضية التأثير والتأثر التي كانت رائجة في الدراسات الإنسانية في فترة ما.

وقد تابع بعض العرب والمسلمين آراء المستشرقين دون نقد أو تمحيص فقالوا بعدم إسلامية التصوف؛ جريا وراء غيرهم دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتأصيل ولو علموا أن بعض المستشرقين رجع عن رأيه في قضية "أجنبية مصادر التصوف" بعد أن توافرت له بعض

النصوص الصوفية، ولو قرءوا دراسات المدققين من علماء العصر الذين ذكروا خصائص للتصوف الناضج في كل دين، تبعد قضية التأثير والتأثر عن مكانها الذي كانت قد تسنمته في الدراسات الإنسانية – نقول لو قرءوا هذه البحوث الدقيقة لما قبلوا متابعة غيرهم ولحرصوا على استقلالهم الفكري.

وحين يفقد الباحث استقلاله تجده يتابع دون تدقيق، ودون بصر بعواقب ما يقول، بعداً عن المنهجية، أو تضييعاً لتراثٍ له ما له وعليه ما عليه.. يقول أحدهم: "وفي رأي الدكتور زكي مبارك التصوف: مجموعة من الأفكار الإسلامية والنصرانية واليهودية، أو هو الخلاصة الروحية من تلك الديانات الثلاث.. أما التصوف في رأينا فهو طريقة زهدية في التربية النفسية، يعتمد على جملة من العقائد الغيبية (الميتافيزيقية) مما لم يقم على صحتها دليل في الشرع ولا في العقل"، فانظر كيف جرّ عدم الاستقلال البعضَ إلى أن يقول ما يناقض حقائق ومسلمات في مجال البحث في التراث الصوفي.!!

ثالثا ـ الفصل بين تراث الصوفية وروايات المخالفين عنهم

ما دام القارئ يبتغي الحكم على التراث الصوفي، بغية الإفادة من الناضج الملتزم منه فإن أمانة العلم تلزمه أن يفرق بين أقوال الصوفية موثقة النسبة إليهم، وفهم مؤرخي الفكر وكُتّاب الطبقات لأقوال الصوفية وأفعالهم، ذلك أنه إضافة إلى ما يغلب على كتب الطبقات من بعض المبالغات فإنها تكتب غالباً في وقت متأخر عن حياة المؤرخ

لهم، وليس بالضرورة أن يدقق المؤرخ في كل رجال سند الرواية التي ينسبها إلى هذا الشخص أو ذاك، وربما استنبط من روايات لم تخضع لقواعد الجرح والتعديل معاني هو فيها مجتهد ويبتغي بها الخير، وإن جاءت حقيقتها -بعد الدرس والتفنيد- على خلاف مما قصد إليه باجتهاده.

فإذا أضفنا إلى ذلك رغبة بعض المؤرخين في إضفاء صفات معينة على العلم أو الشخص الذي يؤرّخون له لسبب مذهبي، أو لميل طائفي، كان لنا أن نؤكد ضرورة التفرقة بين أقوال الصوفية أنفسهم ونظرة المؤرخين لهم وللتصوف، باعتبارها ضرورة منهجية للحكم والاستنباط.

ولا ينفرد التصوف بهذه المسألة فيا روي عنه وعن أهله، بل هي سمة عامة في عموم الروايات "وهكذا كثير من أهل الروايات، ومن أهل الآراء والأذواق، من الفقهاء والزهاد والمتكلمين وغيرهم، يوجد فيما يأثرونه عمن قبلهم، وفيما يذكرون معتقدين له شيء كثير، وأمر عظيم من الهدى، ودين الحق الذي بعث الله به رسوله. ويوجد أحيانا عندهم من جنس الروايات الباطلة أو الضعيفة، ومن جنس الآراء والأذواق الفاسدة أو المحتملة شيء كثير."

وها نحن أولاء نذكر بعض الأمثلة التي ذكرها مؤرخو التصوف، وهي عند التحقيق تؤدي إلى غير ما قصدوا إليه، أو لا تدل على ما استنبطوه؛ الأمر الذي جعل بعض العلماء يفندها ويرد عليها.

أ- مسألة الصفة وربط التصوف بصفات أهلها:

يقول -صاحب التعرف لمذهب أهل التصوف" :-وقال قوم إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم."

ولو كان الأمر مجرد رواية عن قوم قالوا هذا في نسبة التصوف لهان الأمر، لكننا نجد السراج الطوسي يصف أهل الصفة بأنهم مقيمون في المسجد، وأنهم لم يؤمروا بطلب المعاش من المكاسب والتجارات. ويصف حب رسول الله لهم، وارتباطه بهم، ويذكر أن الصوفية وجدوا فيهم الاقتداء والاهتداء، ويذكر أن عددهم كان نيّفًا وثلاثمائة.

أما أبو طالب المكي فيجعل منهم رباطا، ولهم رئيس هو أبو هريرة يأمرهم فيأتمرون، ويصفهم بأنهم كانوا أشد الناس زهدًا. وقريب من هذه الأوصاف وصف أبي نعيم لهم.

وقد فهم أحد الباحثين من هذا تمهيد المكي للربط بين صفة أهل الصفة هذه وبين الرباط عند الصوفية، وربما يوطئ بذلك لحاجة المريد إلى شيخ ينزل المريد عند أمره ونهيه.

وقد تابع هؤلاء المؤرخين في فكرتهم ربط الصوفية بأهل الصفة، وجعلها بذرة التصوف الأولى بعض كبار الباحثين "ونحن لا نجد بذور هذه الحياة الروحية مغروسة في قلب النبي صلى الله عليه وسلم وقلوب صحابته من الخلفاء الأربعة فحسب، وإنما نحن واجدوها أيضًا

حية نامية في قلوب كثير من الصحابة غير الخلفاء، ويكفي أن نذكر هنا أهل الصفة، وما كان لهم من أثر قوي في تاريخ الحياة الروحية الإسلامية عامة، وفي تاريخ التصوف الإسلامي خاصة."

وإذا كنا نتفق مع هؤلاء المؤرخين في صلاح مجموع أهل الصفة، فلا نوافقهم على إقامتهم الدائمة في المسجد. ولا على عدم شغلهم وكسبهم في كل الحالات، ولا نوافق كذلك على أن العدد كان ثابتا، بل إنه كان يزيد وينقص حسب ظروف القادمين من مكة والذين لا يجدون مأوى لهم غير المسجد، فقد كانوا يزيدون فيكونون ستين أو أكثر ويقلون حتى يكون عددهم عشرة.. "فإن المؤمنين كانوا يهاجرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فمن أمكنه أن ينزل في مكان نزل به. ومن تعذر ذلك عليه نزل في المسجد إلى أن يتيسر له مكان ينتقل إليه."

بل إن الامام الجيلاني يرى أن من كان ينزل بالصفة هم من جنس سائر المسلمين ليس لهم مزية في علم ولا دين، "بل فيهم من ارتد عن الإسلام وقتله النبي صلى الله عليه وسلم كالعرنيين الذين اجتووا المدينة، وحديثهم في الصحيحين من حديث أنس، وفيه أنهم نزلوا الصفة، فكان ينزلها مثل هؤلاء، ونزلها من خيار المسلمين سعد بن أبي وقاص، وهو أفضل من نزل بالصفة ثم انتقل عنها، ونزلها أبو هريرة وغيره.. وقد روي أنه كان غلام للمغيرة بن شعبة وأن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: أهذا واحد من (السبعة)، وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم."

ولم يؤثر للصوفية الأوائل – فيما قرأت أقوال ينسبون فيها أنفسهم إلى الصفة، وبعيدًا عن عدم موافقة النسبة لقواعد اللغة العربية في النسب، فإن ما حكاه المؤرخون في مسألة الصفة وربط التصوف بها باعتبار أنها أول بذوره، صاحبه كثير من البُعد عن حقائق تاريخية تتصل بالمسألة ذاتها، وإننا نظلم الصوفية إن حكمنا عليهم وفق هذه الروايات وأمثالها.

بـ وقريب من المثال السابق ما حكاه المؤرخون مما يفيد أن بداية التصوف كانت على يد علي بن الحسين زين العابدين (توفى بالبقيع 99هـ) فالكلاباذي يقول تحت باب عقده بعنوان: "في رجال الصوفية": "من نطق بعلومهم، وعبّر عن مواجيدهم، ونشر مقاماتهم، ووصف أحوالهم قولا وفعلاً بعد الصحابة رضوان الله عليهم علي بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر بن محمد الصادق."..

كذلك ربط بعض المتأخرين بين الحسن البصري وعلي بن أبي طالب في علمه الذي ورثه عنه والموروث من النبي صلى الله عليه وسلم وراثة لا كسبًا، بل إن البعض جعل مستندهم في الخرقة الصوفية أن عليًا ألبسها الحسن البصري، وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة، واتصل

ذلك منهم حتى الجنيد من شيوخهم، ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح.

ولعل هذه الأمثلة وما تفيده من توجيه لتاريخ التصوف وجهة معينة لسبب أو لآخر هي التي جعلتنا نؤكد الحاجة إلى التفرقة المنهجية التي أشرنا إليها، ونفهم في ضوء هذا موقف الامام الجيلاني من أمثال هذه الروايات، فقد نقل عن القشيري قوله في اعتقاد الصوفية وأنهم أشاعرة في مجمل اعتقادهم، ثم رد هذا الفهم من القشيري بالرجوع إلى أقوال المشايخ أنفسهم ليثبت أنهم كانوا على اعتقاد الصحابة "فصل فيما ذكره الشيخ أبو القاسم القشيري في رسالته المشهورة من اعتقاد مشايخ الصوفية، فإنه ذكر من متفرقات كلامهم ما يستدل به على أنهم كانوا يوافقون اعتقاد كثير من المتكلمين الأشعرية، وذلك هو اعتقاد أبي القاسم الذي تلقاه عن أبي بكر بن فورك وأبي إسحاق الإسفراييني...، والثابت الصحيح عن أكابر المشايخ يوافق ما كان عليه الصحابة، وهو الذي كان يجب أن يذكر، فإن في الصحيح المحفوظ عن أكابر المشايخ مثل الفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ويوسف بن أسباط، وحذيفة المرعشي، ومعروف الكرخي إلى الجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وأمثال هؤلاء ما يبين حقيقة مقالات المشايخ."

ويورد الامام الجيلاني أقوالهم موثقة النسبة إليهم ليصل إلى أن الصوفية الاوائل خواص الخواص، وأن المعرفة عندهم تخالف المصطلح

الكلامي، والإيمان عندهم قول وعمل، وكذلك كان موقف الجيلاني حين روى القشيري عن أبي سليمان الداراني قوله في الرضا "قال أبو سليمان الداراني: الرضا ألا تسأل اللّه الجنة ولا تستعيذ به من النار" فقد نشكك في صحة هذه النسبة إلى أبي سليمان، معتقدين على أمثلة ذكرها القشيري في رسالته و"سندها فيه كلام"، ومستندًا كذلك إلى الكتب التي اهتمت بجمع أقوال الصوفية مثل حلية الأولياء لأبي نعيم، وطبقات السلمي، وصفة الصفوة لابن الجوزي وغيرها لم تذكر هذه الكلمة لأبي سليمان. ويذكر أنه من المحتمل أن تكون هذه الكلمة نقلت بالمعنى عن قول آخر، إذ ثبت لأبي سليمان أنه قال: لو ألقاني في النار لكنت بذلك راضيًا، فيشبه أن يكون بعض الناس حكى ما فهم بالمعنى فذكر الكلمة التي هي موضع الحديث.

ونؤكد استبعاد صدور هذا القول من أبي سليمان "فإن الشيخ أبا سليمان من أجلاء المشايخ وساداتهم، ومن أتبعهم للشريعة حتى إنه كان يقول: إنه ليمر بقلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين من الكتاب والسنة، فمن لا يقبل نكت قلبه إلا بشاهدين يقول مثل هذا الكلام؟."!!

قلت: فلو اخذنا برواية القشيري مع – تقديرنا له- لكان اتهامه لأبي سليمان الداراني أسبق من إنصافه: ولا نسد الطريق على الإفادة من أقواله – أو إشاراته أو أخلاقه.

رابعًا ـ في المصطلح والمعنى

فما دامت القراءة للحكم والاستنباط والتوظيف تستهدف عدم الوقوع في أخطاء التعميم أو التسرع في الأحكام فإن من الضروري حينئذ أن يهتم قارئ التراث الصوفي الإسلامي بالتحديد الدقيق للمصطلح المراد نقده والإفادة منه، وهذا يشمل الألفاظ التي استخدمها الصوفية وحددوا مرادهم منها بما يتفق مع أصول دينهم، لكن التعميم والأخذ بالفهم الشائع لأدنى ملابسة أدى بأصحابه إلى خطأ في الحكم، فضلا عن عدم تقدير دقيق وعدم إفادة من هذا التراث.

كما يشمل التحديد المراد الأوصاف التي عُرفت بها مراحل التصوف الإسلامي واتجاهاته متمثلة في مراحله التاريخية، وخصائص كل مرحلة، وظاهرة على رجال كل مرحلة كذلك، وقد أدى الخلط في هذا الباب إلى نتائج تعوزها الدقة المنهجية في كثير من الأحيان، ولنأخذ بعض الأمثلة في كلا الجانبين :الألفاظ – الأوصاف.

أـ ففي باب الألفاظ نذكر مثلا: الزهد – التوكل – الاتحاد –الفناء:

هذه ألفاظ دار حولها حديث طويل من حيث دلالتها وصلة هذه الدلالة بالفهم للإسلام، وبخاصة أن البعض ربط بين كلمات الصوفية في الزهد ودعوات بعضهم – مثل شقيق البلخي مثلاً – للقعود عن الكسب، كما ربط البعض بين التوكل والدعوى ذاتها، حتى إن ابن الجوزي اتهمهم بعدم الفهم ومجافاة ما يحب أن يكون، حيث تنكبوا الطريق الشرعي للحياة، فالتوكل عمل قلبي وثقة

بالله لا تركٌ للعمل، ولا تعطيل للجوارح، ويستشهد بأن النبي صلى الله عليه وسلم تاجر حتى كُفِي العمل من الفيء.

وإن كنا نجد نيكلسون يقرر أن الصوفية بعد شقيق البلخي كانوا لا يرون الكسب منافيًا للتوكل.

نقول: لو رجعنا إلى أقوال الصوفية في الزهد وفي الكسب وفي التوكل وحددنا دلالة هذه الألفاظ عندهم وعرفنا موقفهم من العمل، ورفضهم لأصحاب دعوى القعود عن الكسب، لو رجعنا إلى أقوالهم لتحدد لنا رأيهم بدقة في هذه المفاهيم، ولكان لنا أن نحكم على مدى قرب منهجهم أو بعده عن دعوة الإسلام، ولتجنبنا الخلط الذي وقع فيه البعض حين فهم الزهد بمعنى خاص من بعض عبارات القوم، ثم عممه على الجميع، بل قرر أن الإسلام لا يفسح المجال لهذا الزهد.

ولسنا نريد هنا أن نفصّل القول في هذه المسألة، وحسبي أن أشير إلى عبارتين إحداهما للمحاسبي والأخرى لأبي طالب المكي، وهما نموذجان لكثير من القول يماثلهما عند الصوفية، ولهما دلالتهما في مسألة الزهد ومسألة التوكل.

يقول الحارث المحاسبي: "ولرب مكنز للأموال بغير الإكثار مشغول، ليس بذاكر دنياه، لأن الآخرة غلبت على مناه، تذكّره للدنيا تذكر من أراد فيها البلاغ، وحبه لها حب من لا يغيره تقلب الأحوال، قلبه لغيرها ذاكر، وهو على ما أعطاه الله منها شاكر، إن أعطي منها لم يمنعه حلول النعمة عن أداء شركها، وأن مُنع لم يمنعه نزول

البلية عن النظر إلى مواضع الخير، ولرب مقل قد ظهر الزهد على ظاهرة وبدنه وقلبه مشغول بالرغبة؛ فقد استقل كل ما صار إليه من الدنيا وإن كان في العدد كثيرا، ويستكثر ما بيد غيره وإن كان في العدد قليلا."

ويقول المكي: "ولا يضر التصرف والكسب لمن صح توكله، ولا يقدح في مقامه من حاله، قال الله تعالى: "وجعلنا النهار معاشا" و "وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون" وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أحلّ ما أكل العبد من كسب يده، وكل بيع مبرور."

فمن أدرك دلالة الزهد والتوكل عند الصوفية كان له أن يقرهم على فهمهم الذي هو صدى لما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد، وكان له كذلك أن يناقش البعض في قضية التوكل بين العامة والخاصة. وهذا طريق الحكم الحق والتوظيف الجيد للتراث. أما من لم يعنِ نفسه بالتحقيق في مراد القوم فقد سهل عليه أن يكيل لهم الاتهامات لموقفهم من الزهد والعمل والمال ونحو هذا، وحسب أنه بذلك قدم للبشرية خيرا.

وبالمقياس ذاته نقول: إن الصوفية في كلامهم عن الحب الإلهي، وهو نزع نصوص قرآنية وحديثية، عبروا عن أشواقهم بلغة جعلت البعض ينفر، ويتهمهم منذ فترة مبكرة -أي قبل التصوف الفلسفي- أنهم يقولون بالاتحاد، مع أن حقيقة ما دعوا إليه وما تغنوا به هو صدى

للحديث الصحيح: "لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي."

وقد فطن الامام الجيلاني إلى الفرق بين هذا الاتحاد، والاتحاد الذي قال به البعض فيما بعد بمرحلة تفلسف التصوف "وهذا اتفاق واتحاد في المحبوب المرضي المأمور به، والمبغض المكروه المنهي عنه، وقد يقال له اتحاد نوعي وصفي، وليس ذلك اتحاد الذاتين فإن ذلك محال ممتنع، والقائل به كافر، وهو قول النصارى والغالية .. وأما الاتحاد المطلق الذي هو قول أهل وحدة الوجود الذين يزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، فهذا تعطيل للصانع وجحود له، وهو جامع لكل شرّ."

وأما الفناء وهو عند الصوفية لازم المحبة حين تشتد وتسيطر، فإن هذا اللفظ كمّ جرّ المتعجلين في الحكم إلى تشنيع على كل الصوفية، وتنديد باللفظ في كل دلالاته، وهذا ولا شك يتناقض مع الدقة والمنهج.

وبعد تفحص أقوال الصوفية أن نقرر "الفناء الذي يوجد في كلام الصوفية يُفسّر بثلاثة أمور :أحدها: فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب والتوكل عليه وعبادته، وما يتبع ذلك، فهذا حق صحيح وهو محض التوحيد والإخلاص.

الأمر الثاني: فناء القلب عن شهود ما سوى الرب، فذاك فناء عن الإرادة، وهذا فناء عن الشهادة، ذاك فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه، وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه."

ويرى الامام الجيلاني أن هذا النوع فيه نقص، وأن شهود الحقائق أكمل، لكنه يقرّ أن البعض قد تغلبه المحبة فيسكر ويسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان، فيقول أقوالا ظاهرها يخالف الشرع، ويرى أن الحكم عليه يكون ببحث سبب السكر فإن كان السبب حلالا كالمحبة وشدة الذكر لم يؤاخذ بما قال، ونبّه إلى عدم اتباع طريقته أو أقواله.

وهذان النوعان عند الامام الجيلاني مقبولان وعن النوع الثاني يقول: "وعامة ما نجده في كتب أصحاب الصوفية مثل (الهروي الأنصاري) أن من قبله من الفناء هو هذا.. وفي الجملة فهذا الفناء صحيح."

لكن هذا لم يمنع الجيلاني من أن ينكر النوع الثالث وهو الفناء عن وجود السوى الذي يرى أن الله هو الوجود، وأنه لا وجود سواه، وأنه عن الموجودات؛ لأنه يخالف الشرع، وما به قال المحققون من مشايخ الصوفية.

ب ـ بيت التصوف السني والتصوف الفلسفي:

وهذا التحديد مهمّ لأننا إذا كنا نقرأ التصوف السني فنحن نقيمه ونفيد منه في ضوء خصائصه التي استخلصها من نصوصه المحققون

من العلماء، وننظر إلى رجاله في ضوء ارتباطهم بالمصادر الإسلامية، وعدم تأثرهم بالفلسفة والأثر الأجنبي بعامة، وإذا وجد لدى بعضهم بعض الأثر الفلسفي كالحلاج عند البعض، والبسطامي عند البعض.

فإن هذا لا يمثل ظاهرة في التصوف السني وبخاصة في مراحله الأولى (القرنين الثالث والرابع الهجريين) الأمر الذي جعل البعض يعتذر عن الحلاج، ويوضح أن الحلول عنده لم يكن حقيقيًا وأنه كان مجازيًا، ومستندًا في ذلك إلى عبارة نقلها السلمي عنه (ما انفصلت البشرية عنه، ولا اتصلت به" (وهذا قد يعني عنده أن الإنسان الذي خلقه اللّه على صورته هو موضع التجلي، فهو متصل باللّه غير منفصل عنه بهذا المعنى، ولكن تجلي اللّه للعبد أو ظهوره من حيث صورته فيه ليس يعني اتصالا بالبشرية حقيقيًا."

وقد فسرت أقوال الحلاج والبسطامي تفسيرًا نفسيًا من حيث غلبة الوجد، وفرط المحبة الأمر الذي أشار إليه الامام الجيلاني في حديثه عن الفناء كما سبق أن أشرنا.

...أما إذا كنا نقرأ في التصوف الفلسفي حيث النظريات التي يصعب تأويلها أو الاعتذار عنها لتتفق مع الإسلام فإن الأمر يختلف تمامًا، فنحن هنا لا نقرأ تصوفا جل اهتمامه بالأخلاق والتربية" السابق"، بل نقرأ فكرًا روحيًا أشرِب مضامين الفلسفة، وهنا سنلتقي بالنظريات التي هي موضع الرفض لدى مجموع العلماء والدارسين مثل الاتحاد

ووحدة الوجود؛ الأمر الذي جعل من الصعب أن تسمي هذا النوع تصوفا خالصًا أو فلسفة خالصة، وعلينا أن ندرك– ونحن نقرأ هذا النوع من التصوف- أنه وإن اشترك مع التصوف في اسمه وبعض خصائصه "إلا أن أولئك المتفلسفة زادوا على المتصوفة السنيين بأمور: أولها: أنهم أصحاب نظريات أو مواقف من الوجود، بسطوها في كتبهم أو أشعارهم، ولا يمكن أن توصف عبارتهم فيها بأنها من قبيل الشطح الذي لا يسأل عنه أصحابه، وثانيها: أنهم أسرفوا في الرمزية إسرافا إلى حد بدا معه كلامهم غير مفهوم للغير، وثالثها: اعتدادهم الشديد بعلومهم وأنفسهم وهو اعتداد إن لم يلازمهم كلهم، فقد لازم أكثرهم على الأقل."

والذين لم يفرقوا بين أنواع التصوف وقعوا في خلط شديد، فهم يرفضون الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وهي من التصوف الفلسفي من جهة، وموضوع نقد مؤرخي التصوف وشيوخه من جهة أخرى، لكنهم يسحبون ما يرفضونه من التصوف الفلسفي على كل التصوف ولا يفرقون بين رجال وشيوخ هذه المرحلة أو تلك.

أما الذين فرقوا بين تصوف استمد مصدره من الكتاب والسنة وإن صاحبته بعض الاجتهادات وظروف التاريخ، وتصوف غلبت عليه الفلسفة ونظريات تفسير الوجود، فهؤلاء فرقوا بين المشايخ وفق ما عُلم عنهم من ضبط والتزام، فكان قبول الامام الجيلاني لحديث الجنيد عن التوحيد، وكانت كثرة نقول الشيخ عن الجيلاني

واستشهاده بأقواله في مواضع مختلفة من كتبه، وكان كذلك توضيحه لموقف شيوخ الصوفية الأوائل من قضايا العقيدة، والسماع ونحو ذلك بما ينصف المحسن، ويحذر من غيره.

وليس معنى التحديد أننا نقبل نوعا ما جملة، أو نرفض نوعا آخر من التصوف جملة، فهذا مرتبط بالدراسة وتحليل النصوص، لكننا نعني بالتحديد أنه يساعدنا أن نعلم ماذا نقرأ؟ ولماذا نقرأ؟ ويبعدنا عن المدح أو القدح دون أسباب أو أدلة كافية لأي منهما.

ولا شك أن الوعي بالمراحل التاريخية التي مر بها التصوف الإسلامي له أثره في طبيعة التقويم والحكم، وفي كيفية الاستفادة من إيجابيات مرحلة ما، أو تجنب سلبيات مرحلة ما، فالتصوف الإسلامي في مرحلة تحديد المصطلح وثباته علما بين العلوم وثيق الصلة بمصادر العلم والحياة الإسلامية، يختلف عنه في مرحلة كونها أصبح طرقا ومؤسسات اجتماعية، على أن الاختلاف لا يعني انبتات الصلة بين مرحلة وأخرى، ولكن يعني أن كل مرحلة لها خصائصها وتوجهاتها وتراثها الذي يبرز هذه السمات، والتي تمكننا من التقييم والإفادة.

والشيء نفسه نجده حين نقرأ التصوف الإسلامي في طرقه المعاصرة في ظروف استعمار بعض البلاد، وتدني مستوى التعليم والفهم الإسلاميين وهو ما يحبذ ضرورة العناية بالناحية الاجتماعية أكثر من أي وقت مضى.

قلنا: القراءة وفق هذه التحديدات وأمثالها تفسر كثيرًا من المسائل التي دار حديث حولها، فقد يتضح أن الخلاف لفظي بين المادحين للتصوف والقادحين فيه لأن المادحين يمدحون نوعًا ومرحلة من التصوف، والقادحين يقدحون في نوع آخر غير النوع والمرحلة السابقة، وبخاصة إذا عرفنا أن النوع الذي ذمّه القادحون ذمّه الصوفية أنفسهم وسجل هذا مؤرخوهم كما فعل القشيري في رسالته، وكما فعل الهروي الأنصاري في منازل السائرين. وكما فعل الغزالي في المقصد الأسنى، وإن كان هذا لم يمنع الغزالي من الاعتذار عن بعض أقوال الصوفية التي يمكن توجيها من خلال الظروف النفسية للحالة التي كانوا هم عليها، من حالات الوجد كما فعل في مشكاة الأنوار.

كذلك يفسر لنا هذا الوعي ثقة بعض العلماء المحسوبين على التيار السلفي في بعض شيوخ الصوفية ويسمونهم بالمحققين كما فعل ابن تيمية وابن القيم "ولهما نفس صوفي تم تغييبه قسرا" مع الجيلاني وقبله الجنيد والسقطي ومن على شاكلتهم، في الوقت الذي يتعقب فيه أمثال الحلاج وابن عربي والتلمساني وغيرهم، وما ذاك إلا لأن الشيوخ الموثوق فيهم أبناء مرحلة وأصحاب ذكر يختلف عن غيرهم من أصحاب النظريات المتأثرة بالأثر الأجنبي أيًا كان مصدره.

كما يفيد هذا الوعي بالمراحل والسمات في محاولة إصلاح ما قد يكون من انحراف في بعض طرق التصوف المعاصر، وبخاصة إذا

علمنا كثرة أتباعها من العامة والبسطاء ومدى تأثيرها فيهم، وذلك من خلال ما التزم به التصوف السني في مجالسه الأولى وطرقه المنظمة في القرن السادس الهجري وما بعده، وكيف حرص شيوخه على الالتزام بالشرع في فكرهم، وممارساتهم الروحية، وحركتهم الاجتماعية وحرصهم على تنقية صفوفهم من الأدعياء والمغالطين.

وبالطبع لا نستطيع أن نتلمس هذا الإصلاح في التصوف الفلسفي لأنه هو ذاته جزء من مشكلة البعد عن الحياة الإسلامية النقية، فضلاً عن أثره بشكل أو بآخر في بعض هذه الطرق الغالية في العصر الحديث، ونحن نريد أن ننهض بالجانب الروحي للإنسان المعاصر وفق منهاج الإمام عبدالقادر الجيلاني في تنمية هذا الجانب، كما كان في حياة الرسول صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه، وكما اجتهد محققو الصوفية في فهمه ومحاكاته.

خامسًا ـ مراعاة طبيعة التصوف كتجربة ذوقية

التصوف تجربة ذوقية وجدت في سائر الأديان السماوية والوضعية، وعبَّر عنها كل صوفي في إطار ما يسود مجتمعه من عقائد وأفكار، وقد درسها العلماء وحاولوا التماس خصائص تميزها عن غيرها من التجارب وتنطبق على كل أنواع التصوف الناضج، ولقد لخصها الامام عبد القادر الجيلاني وهي:

- 1 الترقي الأخلاقي.
- 2 الفناء في الحقيقة المطلقة.

- 3 العرفان الذوقي المباشر.

- 4 الطمأنينة والسعادة.

- 5 الرمزية في التعبير.

ووفق هذا عُرف "التصوف بأنه فلسفة حياة تهدف إلى الترقي بالنفس الإنسانية أخلاقيًا، وتتحقق بواسطته رياضيات عملية معنية تؤدي إلى الشعور في بعض الأحيان بالفناء في الحقيقة الأسمى، والعرفان بها ذوقا لا عقلا، وثمرتها السعادة الروحية، ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية؛ لأنها وجدانية الطباع ذاتية."

ويتضح من هذا أن التصوف تجربة ذوقية خاصة ليس للعقل مدخل فيها؛ ولذا لا يقبل أصحابها الحكم عليها بالفلسفة والعقل،" فإنه يحق للصوفية أن يعترضوا على كل من يحاول أن يَزِن تجاربهم وتعبيراتهم بميزان العقل؛ لأن العقل وقوانينه مشترك بين الناس جميعًا، أما التجارب الصوفية فلا تخص غيرهم."

وفي التصوف الإسلامي نرى ذوقية علومه واعتبار ذلك حتى لدى رؤوس التصوف الفلسفي، ومن ذلك ما يروى أن تلميذًا لابن عربي قال له "إن الناس ينكرون علينا علومنا، ويطالبوننا بالدليل عليها، فقال ابن عربي ناصحًا: إذا طالبك أحد بالدليل والبرهان على علوم الأسرار الإلهية فقل له: ما الدليل على حلاوة العسل؟ فلا بد أن يقول لك: هذا علم لا يحصل إلا بالذوق، فقل له :هذا مثل ذلك."

وإذا كانت هذه الرواية تظهر اعتبار الذوق في علوم متفلسفة.

لكن الذي يبقى موضع اتفاق هو أن التصوف تجربة ذوقية خاصة يعبر كل صوفي عنها بوسيلته وطريقته، وقد تختلف من صوفي إلى آخر نتيجة درجته في التجربة ذاتها.

وكذلك يبقى أن الحكم على هذه التجربة لا يكون بالفلسفة العقلية ولا يكون بتجاهل خصائصها والتركيز على بعض الجوانب دون الأخرى؛ لأن ذلك لا ينصف التصوف، وذلك كما فعل بعض علماء النفس حين درسوا التجربة الصوفية ضمن مسائل علم النفس الديني، لأنهم ركزوا على الجانب الحسي في التجربة، ولم يدققوا في المصطلحات التي تحمل شحنة وجدانية خاصة، بل وأكثر من ذلك – كما يذكر الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح ـ نظروا إلى بعض حالات التصوف على أنها حالات مرضية عقلية ناسين أو متناسين طبيعة التجربة المحكوم عليها، والتي لا يمكن الحكم عليها حكمًا سليمًا إلا ممن ذات أو عنده استعداد للتذوق وتأمل حالات موجودة بالفعل وناطقة بطبيعة التجربة الذوقية التي نحن بصدد الحكم عليها.

نقول: لو نظر إلى التصوف في ضوء طبيعته التي أشرنا إليها فإن مسألة غموض بعض التعبيرات الصوفية "للعامة" سوف يعرف سببها، ومسألة اختلاف التعبيرات للصوفي الواحد سوف يدرك سرها كذلك، وسوف ندرك لماذا اعتدل البعض في حكمهم على التصوف وذلك حين فهموا طبيعته واعترفوا بها ولماذا لم يدرك البعض هذا

الحظ من الإنصاف، وذلك لأنهم قاسوا التصوف كعلم على سائر العلوم في عصره مع أن هذا المقياس ذاته غير دقيق لأن علوم العصر تختلف بحسب موضوعاتها وتختار لذلك وسائلها وتعين لغة التعبير فيها.

فلكي نستطيع الإفادة من جوانب الثراء في التراث الصوفي ينبغي أن نراعي هذا الأمر ونحن نقرأ تراثنا .

سادسًا ـ في الأحوال

الصوفية من خلال طبيعة تجربتهم أصحاب أحوال ومواجيد، ولكنهم كذلك حين يخرجون من هذه الأحوال يصبحون أصحاب صحو وفكر، شأنهم في ذلك شأن بقية الناس، والحكم على الصوفية ـ وهم في أحوالهم ـ يختلف عنه في حالات صحوهم، أو هكذا ينبغي أن يكون، وعدم الأخذ بهذه التفرقة أدى بالناس إلى تطرف في الحكم عليهم، فالبعض حين رأى من أحوالهم ما يخالف ظاهر الشرع حكم عليهم بالكفر والفسوق والعصيان جملة ودون تفصيل، وهناك من رأى أن ما عليه هؤلاء في أحوالهم هذه أمور سائغة وطيبة، ويمتدحونه بمبالغة كذلك.

وقد يغلو كل واحد من هذين حتى يخرج بالأول "إنكاره إلى التكفير والتفسيق في مواطن الاجتهاد، متبعًا لظاهر من أدلة الشريعة. ويخرج بالثاني "إقراره" إلى الإقرار بما يخالف دين الإسلام مما يعلم بالاضطرار أن الرسول جاء بخلافه اتباعًا في زعمه لما يشبه قصة موسى والخضر، والأول كثيرًا ما يقع في ذوي العلم لكن

مقرونًا بقسوة وهوى. والثاني كثيرًا ما يقع في ذوي الرحمة لكن مقرونًا بضلالة وجهل، والعدل في هذا الباب قولا وفعلاً أن تسليم الحال له معنيان:

أحدهما: رفع اللوم عنه بحيث لا يكون مذمومًا ولا مؤثمًا. والثاني: تصويبه على ما فعل بحيث يكون محمودًا مأجورًا، فالأول عدم الذم والعقاب، والثاني وجود الحمد والثواب، الأول عدم سخط الله وعقابه، والثاني وجود رضاه وثوابه؛ ولهذا نجد المنكرين غالبًا في إثبات السخط والذم والعقاب، والمقرين في إثبات الرضا والحمد والثواب، وكلاهما قد يكون مخطئًا، ويكون الصواب في أمر ثالث وسط، وهو أنه لا حمد ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب."

ويذكر الامام الجيلاني أنه وإن أنكر بعض التابعين على أصحاب الأحوال أمرهم فإن تحقيق الأمر يقضي بالإنصاف بأن يبحث سبب زوال العقل فإن كان بسبب غير محرم، وكان سكره نتيجة حالة من الحب والوجد والوله استغرقته فأسكرت عقله، كان في حاله هذه معذورًا، وله من التاريخ شاهد على ذلك، ومن رأى جمهور العلماء أعذارا له. "والذي عليه جمهور العلماء أن الواجد من هؤلاء إذا كان مغلوبًا على أمره لم ينكر عليه، وإن كان حال الثالث أكمل منه؛ ولهذا لما سئل الإمام عن هذا قال: قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان، فغشي عليه، ولو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد، فما رأيت أعقل منه."

ورسم هذا المنهج للتعرف على الصوفية في أحوالهم ومواجيدهم من عالم كالامام الجيلاني أمر له دلالته، فالرجل منصف ومقدر؛ لأن هؤلاء الناس في نظره مجتهدون في العبادات، كما اجتهد جيرانهم في الفقه والقضاء والإمارة، وهم في نظره أكمل وأفضل ممن لم يكن عنده خشية للّه أو حب له؛ إذ من المقرر أن الصوفية إنما أوردهم هذه الأحوال حب ومجاهدة ودوام ذكر أدى ببعضهم إلى سكر قال فيه – وهو في غياب عقل- ما يستشنع ظاهره شرعًا، لذا فهو يرى عذرهم ما داموا ليسوا متكلفين ذلك، وما دام المعروف عنهم تمسكهم بالشرع في حال صحوهم وجماع تاريخهم، بل إن الامام الجيلاني يقول: إذا شك الإنسان في حال أحدهم هل هو سكر طبيعي ومتكلف كان عليه أن يتوقف في الحكم فلأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة، شريطة أن ينبه أن هذا الذي وقع لا يقتدي به إذ هو مخالف للشرع، وإن كان لصاحبه عذره.

في اليقظة

أما في حال يقظتهم فيكون من منطلق أنهم بشر يخطئون ويصيبون، وأنه لا عصمة لأحد من البشر غير الأنبياء، وأشد الناس استحقاقا لوصف الولاية يجوز عليهم الخطأ لا بل يجوز أن يخفى عليه علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء اللّه تعالى وتكون

من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى."

وعليه فإن الحكم على أقوالهم وأفعالهم يكون بعرضها على الكتاب والسنة وصالحي أمة محمد صلى الله عليه وسلم

وقد كان الصوفية حريصين على جعل الكتاب والسنة مقياسًا يحكم به على أقدار الرجال ومدى التزامهم، بل جعل هذا المقياس هو الفيصل في قبول هذه الفئة لشخص ما أو رفضها له "وهذا كثير من كلام المشايخ كقول الشيخ أبي سليمان الداراني: إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة. وقال الجنيد رحمه الله: علمنا هذا مقيد بالكتب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم عن علمنا أو قال لا يقتدي به.

وقال أبو عثمان النيسابوري: من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة لأن الله تعالى يقول في كلامه القديم (وإن تطيعوه تهتدوا)، وقال أبو عمرو بن نجيد: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل."

وقد أورد أبو الفرج بن الجوزي أقوالا كثيرة للشيوخ في هذا المعنى، ولم يشذ عن ذلك بعض من اتهموا بالشطح، فهذا أبو يزيد البسطامي يقول: لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء

فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود.

ويقول: من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة، وحضور الجنائز، وعيادة المرضى، وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع."

وهو نفس المعنى الذي يحكيه عن أبي الحسين النوري في قوله: من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه، ومن رأيته يدعي حالة لا يدل عليها دليل، ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه في دينه."

وهذا هو الموافق للعقل إذ لا يقبل ممن يسندون مقاماتهم وأحوالهم إلى الكتاب والسنة أن يرضوا في صفوفهم بمن ينقض هذا الأصل، أو يقدس وليًا فيرفعه فوق مستوى الخطأ قابلاً منه كل ما جاء به، ملتمسًا للغريب من أقواله وأفعاله مسالك التأويل وطرق التسويغ، لا يعقل أن يقبل هذا من قوم أتباع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صفة طريقهم، ومصدر مجاهداتهم.

والذي يخرج عن هذا الخط الوسط، فيقدس الشيوخ ويصفها بما ليس في إمكانها أو من حقها غالط مقدار تجاوزه للمنهج الشرعي في تقدير الناس والحكم عليهم (نعرف الرجال بالحق لا نعرف الحق بالرجال)، (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم). وقد وقع الغلط

قديمًا وحديثا؛ نظرًا لتجاوز المنهج الذي ألح على الالتزام به الامامين الغزالي و عبد القادر الجيلاني .

في الفكر

وينبغي أن يؤخذ في الاعتبار ونحن نقرأ التراث الصوفي حرص مؤرخي التصوف وهم صوفية في غالب الأحيان – على تنقية هذا الطريق من الدخلاء، والأدعياء، والتنبيه إلى أن هؤلاء ينبغي الحذر من اتباعهم فيما غلطوا فيه.

ويمكن أن يقال: إن هذا اللون من النقد – المسمى بالنقد الذاتي ـ هو مظهر مظاهر الحب للصفو والحرص على أن يتفادى نفور المجتمع منه، بل الحرص على أن يثبت موقعه في مجتمع عرف تيارات للفكر عديدة، بعضها فقهي، وبعضها كلامي، وما إلى ذلك، قد يقال هذا – وهو حق في مجمله ـ لأن الذين كتبوا في غلطات الصوفية، هم الذين مدحوا التصوف وأهله بأحسن صفات المدح والتقدير، لكنك مع ذلك لا بد أن تشهد لهؤلاء المادحين الراصدين للأغلاط بنقطة وعي منهجي حيث لم يمنعهم الحب من بيان وجه الخطأ لدى المخطئ، بل وإرجاع أسبابه الخطأ إلى جهل بالشرع، ونقص في العلم.

ولعل السراج الطوسي (ت 278 هـ) أبرز من كتب في هذا الباب حيث أفرد مساحة غير قليلة من كتابه (اللمع) وقد ين الأسس التي ينبني عليها طريق القوم، والذي لا يبني فهمه وعمله عليها ويدعي أنه من الصوفية فهو غالط مخدوع، والأسس ثلاثة:

أولها: اجتناب جميع المحارم، كبيرها وصغيرها.

ثانيها: أداء جميع الفرائض، عسيرها ويسيرها.

والثالث: ترك الدنيا على أهل الدنيا قليلها وكثيرها إلا ما لا بد منه للمؤمن منها.

ثم يقول: فكل من وعى حالا من أحوال أهل الخصوص، أو توهم أنه سلك منازل أهل الصفوة، ولم يبن أساسه على هذه الثلاثة فإنه إلى الغط أقرب منه إلى الإصابة في جميع ما يشير إليه أو يدعيه أو يترسم برسمه، والعالم مقر، والجاهل مدع."

ويفصل الشيخ القول في طبقات الغالطين جاعلهم ثلاثة: طبقة غلطت في الأصول لجهلهم بالأصول الشرعية، وطبقة غلطت في الفروع) يعني الآداب والأخلاق، والمقامات والأحوال) وهذا لقلة علمهم بالأصول. وطبقة ثالثة أخطأت هفوة وزلة إذا تنبهت إلى الخطأ عادت إلى طريق الصواب وسدوا الخلل ولموا الشعث، وفي تفصيل الشيخ لهذه الطبقات يتعرض لأصحاب النظريات أو بذورها على الأقل تلك التي يظهر فيها الأثر الأجنبي، فيفندها ويبين وجه الخطأ وسببه الحقيقي، كل ذلك بنقد موضوعي، وأدلة مقنعة.

ولم يكن الطوسي هو فارس هذا الميدان وحده، وإن كان واضع أساس هذا المنهج النقدي إذ بعده جاء أبو عبد الرحمن السلمي (ت 412 هـ) فكتب رسالة مفردة في غلطات الصوفية كان جل ما فيها – باستثناء الفصل الذي رد فيه على القائلين بالحلول- صدى لما ذكره

السراج، وتتابعت الكتابات، فكان ما ذكره القشيري في رسالته (ت 465 هـ) وما ذكره الهجويري (ت 465 هـ تقريبًا) في كشف المحجوب، وما ذكره الغزالي (ت 505 هـ) في كثير من كتبه وبعده الامام عبدالقادر الجيلاني في كتابه الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، بل وسرت هذا الروح الناقدة إلى عصرنا فوجدنا بعض المحققين من مشايخ الطرق يؤكدون حرصهم على التزام الكتاب والسنة ويذكرون أن من يخالف هذا فتبرأ منه الصوفية كما يبرأ منه كل مسلم.

ينبغي أن نقرأ تراث التصوف لنفيد منه، مفرقين بين حالاتهم تلك التي يعذر فيها صاحبها، وتلك التي يحكم فيها الكتاب والسنة كما يحكمان في حياة كل مسلم، وبمنهجهم نمتدح الحق ونذم الباطل في ضوء المقاييس الشرعية المعلومة.

رؤية تجديدية

يستمدّ مشروع تجديد الفكر الصوفي أهميته المعرفية والمجتمعية من بواعث عدة، تجعله يكتسي طابع الإلحاح والراهنية، ومن جملتها حاجة هذه الأمة إلى التربية العرفانية في زمن تعاظمت فيه النزعات المادية والميول الفردية المقيتة التي لا تراعي قيم أمتنا الإسلامية ذات البعد الإنساني في الجوهر والمبدأ. وتبقى العودة إلى التصوف مشروطة بأشكال متعددة من التقويم يحتاجها الفكر الصوفي من شأنها أن تعيد إليه بريقه العرفاني وجاذبيته الروحية،

سيما بعد الذي اعتراه من اعوجاج ساهم فيه أعداء التصوف من الداخل عن قصد وغيره، وفسح المجال لخصوم التصوف الخارجيين الذين اكتالوا عددا لا يستهان به من الأباطيل وألحقوها بسلوك القوم، لم ينفع معها ما جنّده المنافحون عن التجربة من شواهد للذود عن أصالتها الدينية ونقائها. ضمن هذا المسعى يتنزل مشروع تجديدي بسطه الأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح في كتابه الموسوم التصوف .تتجلى أهميته في كونه يتخلص من النزعة النظرية التي غالبا ما تطغى على هذا النوع من المبادرات التجديدية، ويكتسي بالمقابل صبغة عملية، نابعة من قرب الرجل من واقع التصوّف .

لقد تعرّض التصوّف منذ استوائه في القرن الثاني للهجرة إلى اليوم لعدد كبير من المضايقات والهزات العنيفة بلغت حدود الإنكار، ورمي أهله بالشرك والزندقة، وتبديعهم، ورغم ذلك استطاعت هذه التجربة الروحية الصمود في وقت أعلنت فيه عديد من التيارات الفكرية إفلاسها. ولعل من أخطر أنواع الإساءات التي تعرض لها الفكر الصوفي هي تلك التي صدرت عن بعض المنتسبين والمحسوبين على التصوف، الذين انقلبوا إلى الجهالة فأهملوا الواجبات الشرعية وهجروا القرآن والحديث، واشتغلوا بالشطح والهرطقة والفلسفات، وتشوفوا للخوارق والكرامات. وجاءت بعض الطروحات التي ادعى

أصحابها تجديد التصوف لتضاعف من أزمة الفكر الصوفي، سيما وأنها لا تحمل من التجديد غير الاسم والصفة.

يعتبر تجديد الفكر الصوفي من مشمولات التجديد الديني، سيما وأنّ التصوف ليس نحلة يرتضيها العارف على سبيل المخالفة، بقدر ما أنه من صميم الدين

محاولة لتأصيل السؤال

يحتمل مفهوم التجديد معانٍ متعددة، تكاد تتفق مجتمعة على أنه ينافي التغيير من حيث كونه يقع على شيء موجود من قبل، وبعد تعرضه للبلى الكلي أو الجزئي، بات تجديده وإعادته إلى ما كان عليه من صلاح ضرورة ملحة .فكان بذلك تجديد الدين بمفهومه السليم هو العودة به إلى أصوله ومنابعه الأصيلة، وهي عملية مشروطة بأن لا يقع التجديد على مبادئ الدين وثوابته الراسخة، بقدر ما أنّ المرجو والمطلوب هو أن يستهدف التجديد بالأساس علاقة المؤمن بربّه. وهكذا، كان منطلق التجديد في الدين عامة هو حديث الرسول: «إن اللّه يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها .«وجعل ابن عاشور من مقتضيات التجديد حسب هذا الحديث أن يكون عمل المجدد منوطا بوقت ظهوره أو انتشار أمره وقوة عمله في تجديد الدين.

انطلاقا مما تقدّم، يعتبر تجديد الفكر الصوفي من مشمولات التجديد الديني، سيما وأنّ التصوف ليس نحلة يرتضيها العارف على

سبيل المخالفة، بقدر ما أنه من صميم الدين، ويشهد على ذلك القول المنسوب للإمام مالك (ت 179هـ/ 795م): «من تصوّف ولم يتفقه؛ فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف؛ فقد تفسّق، ومن جمع بينهما فقد تحقق .»وعلق الشيخ زرّوق (ت 899هـ/ 1494م) على هذا الأمر بقوله: «تزندق الأول لأنه قال بالجبر الموجب لنفي الحكمة والأحكام. وتفسّق الثاني لخلو عمله من التوجّه الحاجب منهما عن معصية الله، ومن الإخلاص المشترَطِ في العمل، وتحقّق الثالث لقيامه بالحقيقة في عين التمسّك بالحق«؛ من ثمة كان سلوك القوم مشروطا بالتفقه في الدين؛ إذ لا تصوّف إلا بالفقه، الذي به تعرف أحكام الظاهر، ولا فقه إلا بالتصوف، الذي به يتحقق صدق العمل والتوجّه.

وفق هذا المقتضى، بات تجديد التصوف مشروطا بتصحيح اختلالات شابت التجربة الصوفية فكرا وممارسة يمكن إيجازها فيما يلي:

أ- فصل الشريعة عن الحقيقة :وهي من المفاهيم الخطيرة، التي استحالت إلى مرتكز لدى بعض مدّعي التصوف، قوامه ادعاؤهم أنّ المتصوفة أهل باطن وغيرهم أهل ظاهر، وتوسّلوا بطرق ماكرة تقوم على يسر الدين وتقديم التربية الروحية على التكاليف الشرعية، بدعوى أنّ النفس لا تطيق ما يتجاوز وسعها: «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من

قبلنا، ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به .«وأنكر الشيخ عبد القادر الجيلاني هذه الحال الشاذة فقال: «ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال.«

بـ الغلوّ والمغالاة في الدين :جعل بعض المنتسبين للتصوف ـاسما وصفة ليس إلاـ الغلوّ جوهر التصوف؛ فاعتزلوا الناس وانقطعوا للعبادة، غير مبالين بواجباتهم الدنيوية، وكل ذلك على حساب ذواتهم وأنفسهم والمحسوبين على نفقتهم، ولم يستحضروا قوله عز وجلّ: «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق.«

تـ التكاسل والبطالة بدعوى الزهد :أساء بعض المنتسبين للتصوّف فهم معنى الزهد؛ فآثروا الراحة والبطالة، واعتزلوا الخلق، واكتفوا بمقام التوكل؛ وبات تصوفهم أقرب إلى الرهبانية التي لا يجرؤ عليها إلا من نفض يده من أسباب الحياة، ورفض الدنيا وما إليها. فوقع هؤلاء في التواكل وباتوا عالة على المجتمع، ناسين أنّ التوكّل طاقة وحرارة في المسلم تدفعه للجدّ والاجتهاد، وأنّ اللّه يدعو عباده إلى اتخاذ الأسباب والنهوض إليها تأدّبا مع سنة اللّه في الكون.

ثـ الإعراض عن طلب العلم والتهوين من شأنه :أسقط بعض المتصوّفة العلم الشرعي من التجربة الروحية، بدعوى أنّ الصوفي من أهل الخصوصية والفتوحات والعلوم اللدنية والتجليات، والحال أنّ التصوّف علم وعمل، علم لأنه يستهدف سلوك المرء، وعمل يرى

مشهودا في أخلاق الناس، ومن ذلك قول حجة الإسلام، وهو يعرّف التصوّف: «التصوف أوّله علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة؛ فالعلم يكشف عن المراد، والعمل يعين على الطلب، والموهبة تبلغ غاية الأمل.«

ج- الاستغراق في الجانب الوجداني :والقصد به حين يتوهم بعض المتصوفة أنّ السبيل إلى رب العالمين تتحقق بالوجدان لا بالسلوك والعلم، وجعلوا سندهم في ذلك بعض الأحاديث من قبيل قول الرسول: «المرء مع من أحبّ، أو حديث الأعرابي، الذي سأل النبي عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أني أحبُ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنت مع من أحببت . «وصحة هذه الآثار لا تعفي أصحابها من العمل، لأنّ التعلق بالحضرة الإلهية وبسيّد البرية تلزم بالمبدأ النهوض بالتكاليف الشرعية على وجه الطاعة والاتباع لقوله عزّ وجل: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.«

ح- التعصّب الطرقي :أفرغت الطرق الصوفية من مقصدها الجليل الذي أنشئت من أجله، والمتمثل في التربية العرفانية والتكوين العلمي، وظهر بالمقابل تعصّب شاذ بين المنتسبين للطرق، كلّ يدّعي الحق والنور، ويرمي الآخرين بالظلال والثبور.

د- التصوّف السوقي : لطرح بعض معاني التصوف وبعض علومه بمنهجية سقيمة تمسّه في الجوهر والخصائص، ويستفحل الأمر

حين يمسي هذا الفضاء مصدرا للتربية الصوفية، التي تستلزم وجود شيخ مربّي، وفي ذلك يقول العلامة ابن عاشر في منظومته:

يصحب شيخا عارف المسالك   يقيه في طريقـه المهالـك

يعـــــرفــــــــه الله إذا رآه   ويوصل العبد إلى مولاه

إنّ غنى التجربة الصوفية وتعدّدها مصدرا وإنتاجا جعل منها قضية القضايا لدى عدد من المقاربات العلمية والإنسانية، ويبدو أنها مجتمعة لم تتجنّد لتقف عند حدود الفهم والتحليل، بل انبرى بعض أصحابها محاولين «بثّ روح تجديدية في الفكر الصوفي». وضمن هذا السياق انجذب البعض إلى الجانب الفلسفي والأدبي في الفكر الصوفي، فحاول أن يسحب عليه مقولات فلسفية جاهزة أو يضعه في قوالب أدبية وجمالية، وتجنّدت فئة أخرى لتنظيم ملتقيات وندوات للوقوف على جوانب من حياة بعض المتصوفة، مع تغييب كلّي لمجالس التزكية والتربية المطلوبة في هذا الباب. وبات التصوف يقدّم في نمط احتفالي، أعطى للبعض فرصة لتمرير بعض المقولات من قبيل أنّ التصوف إرث مشترك بين جميع الأديان، في حين أنه قرآني وحديثي ليس إلا. أمّا ما يزعم البعض أنه تصوف في الديانات الأخرى لا يعدو أن يكون سوى شيطنة أو انحراف.

نماذج من مدارس التجديد الصوفي:

إنّ النفَس الزمني الطويل الذي راكمه الفكر الصوفي يجعل من العسير الوقوف على عدد من النماذج التجديدية الصوفية الموفقة،

لكن ثمة تجارب مشرقة يمكن قصر النظر عليها للوقوف على مقترحاتها التقويمية الأصيلة.

-1مدرسة الغزالي :لا يمكن بأي حال أن نعزل المشروع التجديدي الذي بسطه الغزالي عن مساره العلمي وتجربته العملية، فالناظر في هذا المشروع يكاد يجزم أنه محصلة لتجارب علمية راكمها حجة الإسلام منذ حداثة عهده بالعلم؛ فقد كان التصوف أول مشربه ، كما أفاد من ملازمته لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت 478هـ/ 1085م)، حيث حصّل علوما جمة وصار عالم الوقت بلا منازع، وعلت حشمته ودرجته في بغداد، سيما بعد توليه التدريس بنظاميتها.

وانطلق المشروع التجديدي للغزالي من لبنة أساس، تتمثل في تشخيص واقع عصره، سيما في الجانبين العلمي والديني، وهو ما ترتّب عنه مبدئيا وصف دقيق للواقع المذكور، شكلت مادته أساسا لقراءة نقدية لواقع التصوف، وعبّر عنها بجلاء ذلك التصنيف الذي أفرده لتمييز بعض المنتسبين والدخلاء على العرفان. ونبّه في الوقت ذاته إلى الانحرافات التي سقط فيها كثير من هؤلاء كالغرور والجهل والشطح والقول بالاتحاد والتفريق بين الحقيقة والشريعة.

لقد وضع الغزالي مشروعا تجديديا قوامه أربعة عناصر: أولها إلزامية العودة إلى العلم الشرعي كشرط صحة في تكوين السالك، لذلك كان العلم أول العقبات في المنهاج الذي رسمه للعابدين، ولا تتفق المجاهدة دون اجتيازها . وثانيها الدعوة إلى تصوف عملي

بعيدا عن الشطح والتهويل والذوق المطلق، ويتضح ذلك في كتاب الأربعين الذي جعله مخصوصا بالتربية السلوكية . ويتصل المرتكز الثالث بتأصيل الزهد وتخليصه من أشكال العنف التي يمارسها الزاهد على ذاته، والدعوة بالمقابل إلى عدم ترك الدنيا أو قمع الشهوات بالكلية. أما المرتكز الرابع والأساس، فيتجسد في وضع منهاج جديد لطلاب العلم، يكون للتربية فيه أثر واضح حتى لا يترسخ الفصل بين الصوفية وطلب العلم.

-2مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني :يمكن اعتبار تجربة الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 561هـ/ 1165م) التجديدية ردّ فعل طبيعي على الواقع السياسي والديني الذي عايشه، ولعل ذلك ما يبرر الانتقادات الشديدة التي وجهها لعلماء وحكام عصره .وأمام الانحرافات الضالة التي أمسى عليها بعض متصوفة وقته، بسط مشروعه التصحيحي على أساس العودة بالتصوف إلى مصادره الأصيلة، ممثلة في الكتاب والسنة، وقد ضمّن تفاصيل هذا المشروع في كتبه الثلاثة :الغنية لطالبي الحقّ وفتوح الغيب وآداب السلوك.

لقد انطلق التجديد الصوفي عند عبد القادر الجيلاني من محاربة الفكرة الداعية إلى فصل الشريعة عن الحقيقة، التي كانت سائدة في عصره، فكل حقيقة لا تشهد لها الشريعة في نظره تعتبر من قبيل الزندقة، لأنّ الاتحاد بين الحقيقة والشريعة قائم بالاتفاق . فكان الجمع بين الفقه والتصوف شرطا أساسا للسالكين، حيث

يلزم المريد في بادئ أمره بالتفقه في الدين قبل الإقبال على علم التصوف. وعلى هدي حجة الإسلام دعا الجيلاني إلى زهد سني، مشروط بإبعاد التصوف عن الطروحات الفلسفية المضللة، والتأكيد على أهمية شيخ التربية في تكوين المريدين.

-3مدرسة الشيخ احمد الرفاعي :اعتبرت العديد من الدراسات تجربة الشيخ العباس احمد الرفاعي (ت 578 هـ/1182م) حلقة مهمة في الفكر الصوفي، وذلك ليس للانتشار الواسع الذي اتفق لطريقته فقط، ولكن بالنظر أيضا لمظاهر التجديد التي حفلت بها، وجعلتها في مصاف المدارس التجديدية الكبرى التي وصلت العهد مع المنهج التجديدي الذي أرساه كل من الغزالي والجيلاني. وهو تجديد لم يخرج عن منهج الاتباع ومحاربة الابتداع.

ولعل من أخص خصائص المدرسة الرفاعية هو تركيز مؤسسها على أهمية العمل والسعي في طلب الرزق، فقد جعل من اتخاذ المريد لحرفة يقتات بها ويستر نفسه وأهله شرطا أساسا من شروط سلوك طريق القوم. فكان يكره المريد العاطل السائل للناس، وأعطى لمريديه مثالا حيا للتوكل، حيث اتخذ من التربية سببا .كما رفع الرفاعي راية الجهاد الفكري مع الشيخ عبد القادر الجيلاني في اعداد جيل صلاح الدين الايوبي الذي حرر القدس من الصليبيين من خلال الاشراف على المدارس التربوية اللتي حملت على عاتقها دور التربية والاعداد لهذا الجيل الفذ

مستنهضا للهمم، وكان لأدعيته وصلواته ومواعظه دور كبير في ذلك.

انطلق المشروع التجديدي للغزالي والجيلاني من تشخيص واقع العصر, سيما في الجانبين العلمي والديني، وهو ما ترتب عنه مبدئيا وصف دقيق للواقع المذكور , تبعهما في ذلك الرفاعي.

وتعزى الثورة الروحية الكبيرة، التي أحدثتها الرفاعية وساهمت في انتشارها الواسع إلى المبدأ التجديدي الذي قامت عليه، والمتمثل أساسا في تقريب الطريق إلى الجمهور، بشكل يراعي عقولهم وأفهامهم، فكانت أسهل الطرق وأقربها، سيما وأنها قامت على رؤية الحق والفناء فيه من أول قدم وهي أيضا ليست من قبيل التصوف القاعدي الذي يخاطب العلماء فحسب، بل إن جميع الطبقات الاجتماعية تجد فيه حاجتها. كما أرسى الرفاعي تصوفه على المحبة، واعتبرها قطب المقامات وأصلها وعنصرها، وفي ذلك يقول: «وحب الله قطب تدور عليه الخيرات، وأصل جامع لأنواع الكرامات .«وعلى غير عادة أهل الطرق المتعصبين، سعى الرفاعي إلى خلق ألفة بين الطرق الصوفية، ونبذ كل أشكال التفرقة، ودعا إلى نشر روح السلام والتصافي والمحبة بين السالكين على اختلاف طرقهم، لذلك نجده يخاطب مريديه بقوله: «اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري، فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوه.«

4-مدارس تجديدية معاصرة :لم تحد بعض المدارس التجديدية المعاصرة عن النهج الذي رسمه الجيل الأول من المجددين، والمقصود بالإشارة الشيخ خالد النقشبندي (ت 1242هـ/ 1826م)، والشيخ **محمد بن احمد النبهان (ت 1394هـ/1974م)**، والشيخ عبد الكريم محمد المدرس (ت 1425هـ/ 2005 م). ويتضح من خلال معاينة مشاريعهم التجديدية والتقويمية وجود خيط ناظم بينها، أفضى إلى مرتكزات مشتركة يمكن اعتبارها مخرجات أساس لتجديد الفكر الصوفي في مجتمعاتنا المعاصرة:

أ- ربط التصوف بالعلم والتربية :لن يستقيم تجديد التصوف دون إحياء ما اتفق لأهله من أدوار في نشر العلم، والقصد تحديدا ما كان يقام من كراسي علمية في الزوايا، يفيد منها المريدون وغيرهم؛ فبالعلم يقيس السالك مدى صحة وسلامة سيره على سكة الشريعة؛ وهو ما سيفضي دون شك إلى تنوير العقول والقلوب، وتصحيح المفاهيم وتجديد الهمم والعزائم. ولما كانت التربية إحدى الأركان الأساس في تجربة أهل الصلاح، فإن إحياءها اليوم يقتضي مراعاة ظروف العصر، لأن الصوفي الحقيق هو ابن وقته. وهذا التكييف من شأنه أن يكون إنسانا يجمع بين التزكية النفسية والتكوين العلمي والمهني. وتحفل مناهج هؤلاء المصلحين بنماذج تربوية قمينة بتحقيق هذه الغايات، من ذلك أن الشيخ

المدرس استطاع أن يخرج من مدرسته الصوفية رجالا أكفاء في جميع الميادين

وتتصل بهذا الجانب ضرورة عودة الدرس الصوفي للجامعة، بالقدر الذي يسعف في إعداد دراسات أكاديمية رصينة تتناول حياة الأعلام المجددين، وتستلهم تجاربهم الإصلاحية. وتعتني من جانب آخر بتأصيل علم التصوف، والعودة به إلى مشاربه الأصيلة، لأن الذود عن المشروع العرفاني لا يتحقق بالتعصب أو الندوات الدعائية، ولكنه يتفق بالمعرفة الرصينة.

ب- توحيد الطرق الصوفية :لم يعد في الوقت الحاضر أي مبرر للتفريق بين طرق التصوف السني، سيما وأنها موحدة في أصلها ومشربها، بالقدر الذي يجعل التآلف بينها في غاية اليسر، وذلك انطلاقا من التركيز على المتفق عليه بين الطرق الصوفية، وطرح ما دون ذلك من الخلافات. والناظر في التعصب الطرقي يقف على طابعه الشخصي، الذي جعل منه تعصبا للشيخ المؤسس ولحزبه، والحال أن التزكية والتربية كغايات أساس تنشدها هذه الطرق لم تكن قط موضوع خلاف أو تعصب.

ت- توسيع قاعدة المنتسبين إلى التصوف :يشترط هذا المطلب تحقيق مصالحة بين الجماهير وعلم التصوف، وذلك بتخطي حالة سوء الفهم وما ترتب عنها من أحكام جائرة على المتصوفة. ويستلزم ذلك مبدأ محاربة أدعياء التصوف المفتخرين بالكرامات والغيبيات.

في أخلاقية التصوف إنّ في التصوّف ما يمكن أن يساعد على تقديم العلاج الشافي لأدواء العصر الحاضر وكل العصور نعني التصوّف في جوهره النقي الصافي فإذا اتفقنا على أنّ أزمة عصرنا الحاضر أزمة أخلاقية في صميمها، وعلمنا أنّ التصوّف أخلاق أو لا يكون أدركنا عظيم دور التصوّف في إصلاح واقعنا المأزوم وإذا كانت رسالة النّبي الأكرم ﷺ تتمثل في إتمام مكارم الأخلاق، فإنّ التصوّف بهذا الاعتبار هو روح الإسلام. كيف لا والأخلاق هي دعامة التصوّف ومناط اهتمام المتصوفة، بل لقد لخصوا الطريق الصوفي في «التخلية» و«التحلية»، فالتصوّف استقامة في السلوك قبل كل شيء، ولا تحصل تلك الاستقامة إلا بالتخلّي عن مرذول الصفات وقبيح الأفعال والتحلّي بحميدها، ولا يبلغ الصوفي الكمال في السلوك إلّا إذا حسنت أخلاقه وتميز بالصلاح والفضل والتقى والورع ومقياس التفاضل الأخلاقي قولاً وفعلاً هو المثل الأعلى النبوي. قال الجنيد شيخ الطائفة (تـ 298هـ/ 910م) : «الطرق كلّها مسدودة على الخلق إلّا من اقتفى أثر الرسول وتبع ولزم طريقته، فإنّ طرق الخيرات كلّها مفتوحة عليه[18]. فالأخلاق هي جوهر التصوّف عندهم

علماً وعملاً ، يلخص ذلك قول ابن قيم الجوزية (ت 751هـ/1350م): واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم أنَّ التصوّف هو الخلق». ولذلك اعتبر الصوفية النفس منبت الشرور ومنبع الأخلاق الدنيئة والأفعال الذميمة أي المعاصي وسيئ العادات ومرذول الصفات مثل الكبر والحسد والبخل والغضب والحقد والطمع وأمثالها، وأوجبوا ترويضها بالتوبة لترك المعصية وبالمجاهدة لإزالة الأوصاف الرديئة. فقالوا: «التصوّف خلُق، فمن زاد عليك في الخلُق، فقد زاد عليك فيه وقالوا: «التصوّف هو الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني»

فالصوفي يعيش الحياة الماديّة، ولكنه دائم التعبّد
والتفكر والذكر ، يقبل على العبادة أكثر من
الآخرين، ويحاول أن يكون أكثر استقامة وأكثر
إحساناً وتسامحاً ولا يكتفي بمجاهدة نفسه، بل عليه
أن يخدم الإنسانية، وأن يكون شاهداً على الحقيقة
الربانية. إنَّ الطاقة التي تحرّكه هي المحبّة،
ولا يمكن أن تكون معرفة إلهية دون محبّة،
فالطاقة الوحيدة التي تسمح للكائن البشري
أن يصل إلى هذه الطريق ويترقى فيها هي المحبة.
وما أحوج الناس في هذه الأيام إلى أن يتبادلوا المحبة
ولا شك عندنا أنَّ هذا من روح الإسلام، ألم يقل اللّه
في القرآن الكريم: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» آل عمران 31/2

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

الحمد لله رب العالمين

"لا إيمان لك
وعلى وجه الأرض
من تخافه وترجوه،
لا زهد لك
وفي الدنيا شيء تريده،
لا توحيد
لك
وأنت ترى غيره
في طريقك إليه"

الإمام
عبد القادر الجيلاني
"قدس الله روحه ونور ضريحه"



الدكتور عبدالوهاب الصيني مع المؤلف الأستاذ الدكتور جمال الدين
فالح الكيلاني في مدينة لينشيا / ولاية قانصو / الصين



الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني استاذ التاريخ الاسلامي الزائر
بمعهد الدراسات الاسلامية ولآية قانصو_ الصين



الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني/ معهد الدراسات الاسلامية/
قانصو/الصين / 2020